٧٩٧٧

Copyright © King Saud University

Copyright © King Saud University

٢١٢ غنية التالي وجلاء الخاطر، تأليف الشيخاني، محمود بن
غ . ش م
محمد - كان حياً قبل ١٠٩٨ هـ، بخط محمد سعيد بن حسين
الترشي الكوكني النقشبندي سنة ١٠٩٨ هـ.

٣١ × ٢٠ سم ٣١ س ٥٨٠ ص

نسخة جيدة، خطها نسخ حسن، تبدأ من سورة الفاتحة حتى
سورة هود. ٧٩٧٧

١ - تفسير القرآن ٢ - المؤلف

ب - الناسخ ج - تاريخ النسخ

Copyright © King Saud University

قمت ٧

١٢

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٧٩٧٧ ف ١٧٤٧ / ٧
العنوان: غنية التالي وجلاء الخاطر
المؤلف: الشيخاني، محمد بن محمد
تاريخ النسخ: ١٠٩٨ هـ
اسم الناسخ: محمد سعيد بن حسين القرشي الكوكني النقشبندي
عدد الأوراق: ٢٥٨
ملاحظات:

Copyright © King Saud University

هذا التفسير المسمى بغنية التالي وجلاء الخاطر
للشريف العالم العامل المحقق الفاضل الكامل خاتمة
المفسرين السيد محمود بن محمد بن علي الشيخاني
من جماعة غوث الله الاعظم ذي
القدم الراسخ والبحر الزاخر الي
محمد الباز الاشهب محي الدين
عبد القادر الجيلاني
قدس الله سره
العزيز
ونفع به
آمين

وفي هذا المجلد عشرة سور • سورة البقرة • سورة آل عمران
سورة النساء • سورة المائدة • سورة الانعام • سورة الاعراف
سورة الانفال • سورة التوبة • سورة يونس • سورة هود

ذكر كرامات حضرت شيخ عبد القادر رضي الله عنه

Copyright © King Saud University

اللهم انى اتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم بنى الرحمة • وبعيد الامة • وكاشف الغمة • ان توصل هذا الكتاب لى من خصصته من الرحمة العامة فى هذا العصر العضوض على مفارق المومنين • والعدالة السامية العالية بين كافة المسلمين • امير المومنين • راس الغزاة والمجاهدين • وناصب راية المظلومين • ومشتة جيش المشركين • وناصر دين الله بالفتح المبين • وقامع الكافرين • السيد السلطان • محى الدين محمد • اورنك زيب عالمگير بادشاه • ادام الله سلطانه • وعمم بالسلطنة العظمى • والخلافة الاسمى • برهانه • وجمع شمله وشانه • امين • رب العالمين •

سُبْحَانَ مَنْ بِهِ كَانَ مَا كَانَ وَبِهِ يَكُونُ مَا يَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له • واشهد ان محمدا عبده ورسوله • صلى الله عليه وسلم • اما بعد فقد حبب الى ان الخص مختصرا فى تفسير القران ملتجيا الى الله فى تيسيره وتسهيله وتاويله ليكون عونا للطالبى هذا الشان • وراغبا اليه ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وجلاء لخاطر اهل وده وقربه بمنه وكرمه وسميته غنية التالى وجلاء الخاطر • مولف هذا المختصر العبد الفقير العاجز السيد محمود ابن محمد بن على الشيخانى من جماعة غوث الله الاعظم ذى القدم الراسخ والبحر الزاخر ابى محمد الباز الاشهب محى الدين عبد القادر قدس سره • ثم انى اذكر فيه ثلاثة وقوف التام والحسن والكافى الى قوله انك اذا لمن الظالمين فقط فعلامة التام تا وعلامة الحسن حسن وعلامة الكافى ك واذا قلت القراة كذا وكذا فهى من السبعة واذا قلت وقرى بكذا فهى شاذة ولنذكر ما يتعلق بالتفسير والتاويل والفرق بينهما فالتفسير الوقوف على اسباب نزول الاية وشانها وقصتها والاسباب التى نزلت والاقوام الذين اريد وا بها ولا يتكلم فى ذلك الا بالسماع والتاويل صرف الاية الى معنى الاية او كلمة منها بيان ذلك لو قيل ما معنى لا ريب فنقول لا شك فهذا تفسير لتلك الكلمة فان قيل قد نفيت الريب وقد راينا بولغا انه اجنت وقلت انه فى نفسه صدق واذا تومن وجد كذلك فانتفى عنه الريب فهذا تاويل وخصه التفسير ما يتعلق بالرواية والتاويل ما يتعلق بالدراية او التفسير كشف ظاهر الكلام والتاويل كشف باطنه اذا وافق الحق او التفسير للخلق كما فى المحكمات والتاويل للحق كما فى المتشابهات قال الله تعالى وما يعلم تاويله الا الله او التفسير ما لا يختلف فيه والتاويل ما اختلف فيه على وجه يوافق الشرع قال بعضهم لا يجوز تفسير القران بشى الا ان يرد به نقل صحيح وذلك لرواية ابن عباس رضى الله عنهما انه قال من قال فى القران برايه فليتبوا مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم

من قال فى القران برايه فاصاب فقد اخطا وسئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وفى رواية انه قال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى اية من كتاب الله بغير ما اراد الله بها وقال ابى بن كعب رضى الله عنه ما استبان لك فاعمل به وانتفع به وما اشتبه عليك فامن به وكله الى عالمه وذهب عامة اهل العلم على جواز التفسير لقوله تعالى افلا يتدبرون وهو حث على التامل فيه للوقوف على معانيه ولقوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه ولقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولقوله تعالى تبيانا لكل شىء ولقوله صلى الله عليه وسلم اول ما يرفع من الارض العلم قالوا يا رسول الله اين فع القران قال لا ولكن يموت من يعلم تاويله ويبقى قوم يتاولونه على اهوايهم اقول ومن الرحمة على الامة احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه والتابعين لهم من الايمة الاربعة ومقلديهم فى جواز الاختلاف فى الفروع عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله فبسنة منى فان لم يكن سنة منى فما قال اصحابى ان اصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فايما اخذتم به اهتديتم واختلاف اصحابى لكم رحمة رواه البيهقى فى المدخل بسنده قلت فافهم سر قوله صلى الله عليه وسلم فايما اخذتم به اهتديتم يعنى يستنبط منه ان المجتهدين كلهم على هدى فلا لوم لاحد منهم على احد وفى المدخل للبيهقى ايضا وعن القاسم بن محمد انه قال كان اختلاف اصحاب محمد رحمة للناس وفى الطبقات لابن سعد وعن عمر بن عبد العزيز ما يسرنى باختلاف اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حمر النعم وفى المدخل للبيهقى بلفظ ما سرنى لو ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة وقال مالك بن انس لهارون الرشيد لما اراد ان يعلق الموطا فى الكعبة ليحمل الناس على ما فيه يا امير المومنين لا تفعل ذلك فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان وكل مصيب فقال هارون وفقك الله يا ابا عبد الله اخرجه ابو نعيم فى الحلية وفى الطبقات لابن سعد ان المنصور قال لمالك حين حج كمقالة هارون مع اختلاف فى العبارات واعلم ان السر فى كون اختلاف هذه الامة رحمة لهم من الله كما فى الحديث المذكور هو ان اختلاف الامم السابقة كان عذابا لهم وهلاكا وكانت الانبياء يبعث احدهم قبل نبينا بشرع واحد وحكم واحد من غير تخيير فى كثير من الفروع التى تشرع فيها التخيير فى شريعتنا كتحتم القصاص فى شريعة اليهود وتحتم الدية فى شريعة النصارى ومن ضيق شريعة اليهود هو ان كتابهم لم يكن يقرا الا على حرف واحد وليس فى كتابهم ايضا ناسخ ومنسوخ واما شريعتنا فسمحة سهلة لا حرج فيها كما قال الله تعالى يريد الله

Copyright King Saud University

بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال الله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وفى
الحديث الصحيح بعثت بالحنيفية السمحة ومن سعة شرعنا ان كتابنا نزل على
سبعة احرف تقرا باوجه متعددة والكل كلام الله ويوجر القارى على كل حرف ويهدى
به وفى توسعة شرعنا اسرار عظيمة لقدر نبينا وخصوصية له على ساير الانبياء
يستحسن ذلك من له ذوق فى ادراك اسرار الشريعة فاذا فهمت ان المذاهب كلها
حق فلا باس بالاحتياط فى العمل وارجو من الله ان يكون كتابي هذا فذلكة لما سلف من
الكتب فى هذا الفن ولكن ان الطباع ترغب عن محاسن اهل عصره حسدا والقول فى ذلك
ما قاله الاديب ابن رشيق ؂ اولع الناس بامتداح القديم ؂ وبذم الجديد غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحى ؂ ورثوا على العظام الرميم ؂ ولقد اجاد من قال
اخا العلم لا تعجل لعيب مصنف ؂ ولم تتيقن زلة منه تعرف ؂ فكم افسد الراوى كلاما بعقله
وكم غير المنقول قوم وصحفوا ؂ وكم ناسخ اضحى لمعنى مغيرا ؂ وجاء بشىء لم يرده المصنف
ولقد اجاد من قال ايضا ؂ اذا اب على جمع الفضايل جاهل ؂ وادم لها تعب القريحة والجسد
واترك كلام الحاسدين وبغيهم ؂ هملا وبعد الموت ينقطع الحسد ؂ وقال بعضهم ايضا
لا تسمعن حديث الحاسدين لى ؂ فان ذلك موضوع ومنقطع ؂ فاذا فهمتم هذا
وقر عندكم ما ذكرنا فان رايتم كلمة فى اى كتاب كان من كتبى مما لا تليق بجناب
الصحابى او التابعى او الايمة الاربعة او غيرهم من اتباعهم فصحح ذلك
كما اوصى بذلك الامام الجليل عبد الرحمن السيوطى وانا اوصيت بوصيته
لانى رايت فى تفسير الامام البغوى وعلى بن محمد بن ابراهيم بن الخازن
ويعقوب البصرى وعبد الحليم اليمنى وعبد الله الاصفهانى فى مواضع
كثيرة ما هو صورتها وعند الشافعى ومالك كذا وعند اصحاب الراى كذا فانقلت
ذلك كما ترى من تلك التفاسير بحروفها وبا لعز واليها مع علمى ان اصحاب
الراى السديد والقياس الصحيح والاجتهاد الصايب ولا باستنباط من الايات
والاحاديث الايمة الاربعة وعلمت ايضا ان ذكر اصحاب الراى مدح لهم كيف لا
وقد قال الله تعالى وشاورهم فى الامر اى فى الراى وقد ذكر ذلك الامام
النووى الذى هو ولى بلا نزاع وبرى من التعصب فى مقام مدح الامام الاعظم
ومناقبه فى كتاب تهذيب الاسماء واللغات ما نصه وعندنا كذا وعند اصحاب
الراى كذا وقد نص ابن حجر ايضا فى كتاب خيرات الحسان فى مناقب ابى حنيفة
النعمان • بان مرادنا باصحاب الراى فى اى محل ذكر ارباب الاجتهاد الذين بذلوا
جهدهم وسعيهم فى استخراج المسايل من الكتاب والسنة وامتثلوا كلهم بقوله تعالى
فاعتبروا يا اولى الابصار واقتدوا بالانبياء والرسل فى الراى والقياس
وحاشاهم ان يقدموا القياس على نص الكتاب والسنة فكلهم اصحاب

الراى

الراى يعنى انهم استنبطوا الاحكام الشرعية من كتاب الله العزيز وسنة رسوله
فالراى على هذا هو الاعتقاد الاجتهادى المختلف فيه فيقال هذا قول الشافعى
ويراد انه رايه ومذهبه لا يعنى العمل بالراى عند وجود النص كما زعمه المتعصبون
ولعل اخفى مدارك الامام النووى والبغوى وابن الخازن على المتعصبين
والا فكلهم ما اشتغلوا بالاستنباط الا عند الضرورة واكثرهم اجتهادا واستنباطا
من الكتاب والسنة ابو حنيفة النعمان وكفى به فخرا قول الشافعى الناس عيال
على ابى حنيفة فى الفقه وقال فى حق شيخه مالك بن انس اذا ذكر العلما فهو النجم
بالكتاب وقال فى حق تلميذه احمد بن محمد بن حنبل ؂ يقولون يزور احمد وتزوره
قلت الفضايل لا تفارق منزله ؂ ان زارنى فبفضله وان زرته فالفضل فى الحالين له
فاقول معاذ الله ثم معاذ الله بان نذكر احدا من هولاء الاعلام
بما فيه ذم لهم او شايبة ذلك ولا يضمر ذلك فى قلبه الا من ليس له
حظ فى الاسلام ولعل تخصيص الايمة المذكورين الامام الاعظم
بالراى فى كتبهم لانه اقدم الاربعة اجتهادا او استنباطا الكيف لا
وكان ابو حنيفة يرد على قتادة فى صغر سنه كما سأذكر ذلك
فى غنيتى ان شاء الله فى سورة النمل ومقصودى مما ذكرت لكم
هو ان بعض الجهلة ممن هو قريب العهد بالاسلام اذا طالع فى
غنيتى فراى فى بعض الاماكن وعندنا كذا وعند اصحاب الراى
كذا مع عزوى لاولئك الاجلة المذكورين بانهم قالوا فى
تفاسيرهم كذا فيثار عليه داء الحسد والتعصب فيقول هذه
كلمة جاء بها فلان وحده وسطرها على حسب مزاجه فى
تفسيره فيهلك بسوء ظنه اذ من المعلوم ان الكتاب
قد يقع فى يد اهله وفى يد غير اهله ونرجو من الله ان يقع
هذا الكتاب على ايدى العلماء العاملين بعلمهم فينصفوا ويجتنبوا
لاولئك الاجلة ولا يسوء ظنهم بهم • فالمامول من ذوى
الالباب والعقول • من العلماء الاعلام والفضلاء الفحول • ان
ينظروا فى كتابى هذا بعين الرضا والقبول • لا من حيث
انه تاليفى بل من حيث انه الف فى مدينة الرسول • فاذا
انتظمت النشاة المعنوية • وتشخصت صورة روحانية
الكلام فى المرتبة الذهنية • فلينظروا اليه بنظر
الانصاف والاستبصار • فان اطلعوا على فايدة وخير
من غرايب الاسرار والعلوم • ولطايف الاشارات والفهوم •

Copyright © King Saud University

فليحمد الله عليه وان راوا نقصا وخللا لا يجدون له محملا صادقا
ولا تاويلا موافقا • والعياذ بالله من ذلك فليسرحوه الى
بقعة امكان الصواب ان لم يتلقوه بالتسليم • وليستحضروا
قوله عز وجل وفوق كل ذى علم عليم • قال علم الله اعظم من
ان ينحصر فى ميزان او ينضبط بقانون متقن • هذا مع ان
البشرية محل النقايص والله ولى الارشاد والتوفيق •
لاصوب نهج وطريق • القول فى الاستعاذة ولفظها
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ استجير و
امتنع والشيطان من شيطن بعد من رحمة الله تعالى
ومنه بير شيطون فوزنه فيعال او من شاط يشيط
هلك لهلاكه بمعصية الله عز وجل فوزنه فعلان
والرجيم المرجوم بالشهب عند استراق السمع او الملعون
والملعون المطرود وقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله
اى اردت فصار المعنى استجير وامتنع بعظمة الله عز وجل
من الرجوم المطرود عن رحمة الله عز وجل سورة
الفاتحة مكية على الاصح نزلت حين فرضت
الصلوة بها وانما قلنا على الاصح لقوله تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثانى والقران العظيم وهو مكى بالنص وقيل
نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة وابعد من قال مدنية
فقط وذلك حين حولت القبلة وهى سبع ايات
مع البسملة ان كانت منها والسابع صراط الذين الى اخرها
وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب الى اخرها
بسم الله الرحمن الرحيم تا
متعلق بفعل مضمر موخر عن البسملة والتقدير بسم الله اقرأ وانما
قدر موخرا لافادة الاختصاص والاهتمام بشان المقدم لانه رد على المشركين كانوا يبدؤن باللات والعزى
كما فى اياك نعبد وانما قدم الفعل فى اقرا باسم ربك للاهتمام بالقراة لانها اول سورة نزلت فالامر
بالقراة اولى واحسن ولكون المخاطب من لا يتوهم فى حقه الاشراك قال ابو يحيى ويقدر فى
اولها قول ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبا له بكونها من مقول العباد ويحتمل ان يكون بسم الله فى محل
الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذا بسم الله او ابتدائى بسم الله والاسم غير المسمى ان اريد به اللفظ
لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد بالاسم ذات المسمى فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح

اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
له تعالى عن الرفث وسوء الادب والاسم من السمو وهو العلو والله اسم موضوع كاسماء الاعلام لا
اشتقاق له او هو مشتق من اله كعبد وزنا ومعنى او من لاه احتجب او من وله كدله وزنا ومعنى
وتصرفا اى تحير ودهش لتحير الناظرين فى عظمته وجلاله وهو الاسم الاعظم عند المحققين ولكن بشرط
الاستغراق فى بحر الاخلاص والرحمن والرحيم صفتان من رحم بعد نقله الى فعل بضم العين لان الصفة
المشبهة لا تشتق الا من فعل لازم وهذا مطرد فى باب المدح مثل رفيع الدرجات وبديع السموات
وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم لان زيادة المبانى لزيادة المعانى فالرحمن عام معنى لان معناه
الرزاق لكافة الخلق فى الدنيا وخاص لفظا لان غيره عز وجل لم يسم به وما شذ فلا اعتداد به والرحيم
خاص معنى لانه يرحم المومنين خاصة يوم القيمة وعام لفظا لان غيره قد يسمى رحيما ومنه الحديث
يا رحمن الدنيا والاخرة ويا رحيم الاخرة وقال ابو عيسى والزيادة اما فى الكم كقوله يا رحمن الدنيا
ورحيم الاخرة او فى الكيف كما فى رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما ومعناهما واحد لانهما من الرحمة
وهى ترك عقوبة من يستحقها او ارادة الخير لاهله واشتقاقهما من الرحمة بمعنى الرقة والتعطف وهى
من اوصاف الاجسام اريد لازمها وهو الانعام وسمى الرحم رحما لرقتها وانعطافها على ما فيها انتهى
وفى تفسير على بن محمد بن ابراهيم بن خازن ما نصه واخرج مسلم فى افراده عن انس رضى الله عنه
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله
قال انزل على انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر قال البيهقى احسن ما احتج
به اصحابنا فى ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران وانها من فواتح السور سوى سورة براة ما رويناه فى جمع
الصحابة كتاب الله عز وجل فى المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى
سورة براة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها ماية وثلثة عشر اية ليست من القران قال وقد علمنا
بالروايات الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة وروى
الشافعى بسنده عن ابن عمر انه كان لم يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القران والسورة التى بعدها زاد غيره
عنه انه كان يقول لم كتبت فى المصاحف اذا لم تقرا وروى الشافعى عن ابن عباس رضى الله عنهما
انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير اية فى القران وفى افراد البخارى من حديث انس
رضى الله عنه انه سيل كيف كانت قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن
الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وصح عن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا البسملة فى
اول الفاتحة وعدها اية واخرج ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس ان الاية السابعة من الفاتحة
هى بسم الله الرحمن الرحيم وقال ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة او انقضاءها
حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم وابو عبد الله فى مستدركه وقال فيه
انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطنى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قراتم الحمد فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن
الرحيم احدى اياتها قالوا واجماع الصحابة ومن بعدهم على اثباتها فى المصاحف دليل واضح على ان البسملة

Copyright © King Saud University

من الفاتحة ومن اول كل سورة سوى براة وكانوا لا يزيدون فى المصحف حرفا ولا كلمة انتى الحمد لله
مبتدا وخبر وقصد بهذه الجملة الثناء لله بمضمونها من انه عز وجل مالك لجميع الحمد من الخلق او مستحق لان
يحمدوه قال ابو يحيى وهذا المبتدأ والخبر بمعنى الامر اى فقولوا الحمد لله رب العلمين
اى مالك جميع الخلق ومربيهم الرب مصدر فى الاصل وصف به او هو صفة بعد تنزيل فعله منزلة
اللازم والتربية ايصال الشى الى كماله وانه تعالى هو الرؤف الموصل كلا الى كماله ولذلك لا يطلق على غيره
الا مضافا اى لا يقال الرب معرفا باللام الا لله ولا يقال لغيره الا مضافا كرب الدار والبقر والعالمين جمع
عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه وهو كل موجود سوى الله عز وجل وجمعه جمع العقلاء بالياء
والنون تغليبا لهم على غيرهم لشرفهم قال الاستاد والعالم ما يعلم به الشى كالخاتم غلب فيما يعلم به الصانع
فيشمل جميع المخلوقات من الانس والجن والملئكة وساير الدواب والبهائم ونحوها مما لا يعقل وتخصيصه جمع ذلك
لئلا يتبادر العالم المشاهد فقط او افراد نوع او جنس او قدر المشترك او الثقلان والملئكة او افراد
الانسان فقط اذ فى كل فرد من افراده ما تفرق فى العالمين مع بدايع اخرى كما قال من قال ❊ وتزعم
انك جرم صغير ❊ وفيك انطوى العالم الاكبر انتهى وكفى الوقف على الرحمن الرحيم كما لو وقفه صلى
الله عليه وسلم اى ذى ارادة الخير لاهله وقد سبق الكلام فيهما مالك يوم الدين حسن اضيف
اسم الفاعل الى الظرف اتساعا والمعنى مالك الامور فى يوم الدين اى يوم الجزاء وهو يوم القيمة وانما وقع
صفة للمعرفة لان الاضافة فيه حقيقية اما لقصد الاستمرار اذ بيده تعالى الامور فى الازمان كلها
واما التنزيل ما سيكون منزلة الكاين المحقق وقوعه لا محالة كقوله ونادى اصحاب الجنة القراة ملك
بغير الف ومالك بالالف ومعنى الملك والمالك فى حقه تعالى هو القادر على اختراع الاعيان بقوته القاهرة
من العدم الى الوجود اذ لا يقدر على ذلك الا الله الذى قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ومعناهما فى
حقنا اثبات تصرف خاص فى كل شى بما يناسبه قال بعضهم ومالك اجمع من ملك يقال هو مالك العبيد
والطير وغيرهم ولا يقال هو ملكهم لتخصصه الملك اكثر اضافة من الملك فى الوجود وقال بعضهم
وملك اعم من جهة المعنى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ثم التفت من الغيبة الى الخطاب فقال
اياك نعبد واياك نستعين اى يا من هذا شانه نخصك بالعبادة التى هى فى غاية
التذلل لانك فى غاية الافضال والكرم ونطلب منك المعونة على جميع امورنا من العبادة وغيرها واياه هو
الضمير واللواحق كالكاف والهاء والياء لبيان المراد به وعن الزجاج ان ايا اسم مضاف والضمير ما بعده
لقولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب ورد بان المثال شاذ لا يعول عليه وعن الخليل ان
ايا ضمير اضيف الى اللواحق ولم يوافقه احد لان الضمير لا يضاف وذهب الكوفيون الى ان المجموع ضمير ورد
بان الاختلاف باللواحق غير معهود بالضماير وفى تقديم العبادة على الاستعانة اشارة الى تعليم عباده
الاداب وفى مجموع قوله اياك نعبد واياك نستعين تحقيق مذهب اهل السنة والجماعة وهو اثبات
الفعل من العبد والتوفيق من الله وفيه رد على الجبرية ينفون الفعل من العبد وفى قوله اياك نعبد
رد عليهم والمعتزلة لا يرون التوفيق من ربهم وفى قوله واياك نستعين رد عليهم واهل السنة
والجماعة يقولون من العبد الفعل والاختيار الفعل ومن الله خلق الفعل ومشيئة ذلك الفعل والاية تدل على

المالك اكثر اضافة من الملك

ذلك كله ثم اتى بما هو بيان الطلب والمعنى كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم
اى ثبتنا او ارشدنا الى الطريق الواضح الذى لا عوج فيه من الاسلام الذى هو الموصل الى السعادة
الابدية والقران وما فيه من الاداب والاحكام والمعنى امتنا على الهداية لانهم كانوا مهتدين
قراة الجمهور بالصاد مبدلا بالسين وقرا ابن كثير فى رواية قنبل بالسين وحمزة اشم الصاد زايا حيث
وقع فى القران فى رواية الخلف ومعنى اشمام الحرف باخر مزجه به شيوعا ليكون حرفا بين حرف وفى
ذلك رعاية الجانبين ويبدل من الصراط بدل الكل صراط الذين انعمت عليهم اى مننت
عليهم بالهداية والاستقامة وهم كل من ثبته الله تعالى على الايمان وفى تفسير الكواشى والقراة بالسين
فيهما لان السين هو الاصل والقراة ايضا باشمام الصاد الزاى وبالصاد الخالصة ايضا لان السين
يجوز ان تبدل صادا اذا وقع بعدها خاء او طاء او قاف او عين وقرى بالزاى الخالصة ولا يوقف هنا
لكون غير المغضوب عليهم وهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه واصل الغضب
الشدة وغضب الله تعالى هو ارادة الانتقام من عصاة الكفار نعوذ بجلال وجهه من غضبه ونسأله
رضاه بدلا من الذين انعمت عليهم او هو نعت لهم لان غيرا ان اضيفت الى صفة معرفة لا يتعرف لان المغاير
كثير ولا تقف على عليهم الثانية لان ما بعدها معطوف عليها وهو ولا الضالين تا هم النصارى
لقوله ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف وتفصيل
هذا ما قرى وغير الضالين والسنة ان يقول القارى بعد الفاتحة امين مفصولة عنها والامام والمأموم
يجهرون بها عندنا وابو حنيفة واصحابه يسرون بها ونكتة البدل افادت ان المهتدين ليسوا هو اليهود
ولا النصارى والله اعلم بمراده واسرار كتابه سورة البقرة مدنية وهى مايتان وسبع وثمانون
اية او مايتان وثمانون اية قوله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم
قد سبق الكلام على البسملة قوله الم فيها اقاويل كثيرة منها انه اسم الله الاعظم ومنها ان معناه
انا الله اعلم ومنها ان معناه الله اللطيف المجيد وذلك ثناء على الله فى اول السورة وفى اخرها
وختمها سؤالات الحاجات قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لله تعالى فى كل كتاب سر وسره فى
القران هذه الحروف التى فى اوايل السور وقال عمر رضى الله عنه لكل كتاب زينة وزينة القران حروف
التهجى وقال على رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة القران حروف التهجى وقال ابن عباس
هى من المكتوم وقال الضحاك عجزت العلماء عن تفسير الحروف المقطعة ثم للقراء فى هذه الحروف عند
الوصل ادغام ميم اللام فى ميم الميم والمد وتشديد الميم ويجوز ترك المد وترك الادغام وترك التشديد
وعند الوقف يصير كلمة ويجوز ذلك والاحسن اخراج كلها فى نفس واحد ومحل ذلك من الاعراب
عند بعضهم ان الم مبتدا وذلك خبره والكتاب صلة خبره كقولك زيد ذلك الرجل لا شك فيه
وقيل ذلك الكتاب مبتدا وقوله الم خبره وقد ذكر مقدما على الاسم كقولك عالم هذا الرجل وقيل لا محل
لهذه الاحرف الثلثة من الاعراب على وجه التعلق بما بعده وذلك مبتدا والكتاب خبره والم قسم او افتتاح
او اسم للسورة او امر هو تام بنفسه قال احمد بن يوسف وتخصيصه الحروف المقطعة هو ذلك
الكتاب المعهود فالكتاب بيان لتلك المقطعات لان اسماء الاجناس تبين بها المبهمات وكذلك ان جعلت

Copyright King Saud University

الم خبر مبتدأه ذلك الكتاب لانه صلى الله عليه وسلم كان قد وعد ان ينزل عليه كتاب لا يمحوه الماء ولا يخلق
على كثرة الرد ومر الايام فلما نزل القران قيل له هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك بانزاله ومنهم من يجعل ذلك
بمعنى هذا اى هذا الكتاب الموعود انزاله على محمد حيث قال انا سنلقي عليك قولا ثقيلا لا شك فيه او الموعود
على لسان موسى وعيسى او الموعود في الكتب الالهية المتقدمة وعلى لسان ساير الانبياء والرسل الكرام فعند من يجعل
ذلك بمعنى هذا يكون ذا الاسم واللام للفصل والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب مثلها في اياك والكتاب
بمعنى المكتوب كقولهم درهم ضرب الامير اى مضروبه واصل الكتب الجمع وسمى كتابا لاجتماع حروفه بعضها الى
بعض وقد روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رهطا من اليهود منهم كعب بن الاشرف وحيى وجدى
ابنا اخطب وابو لبابة وكعب بن اسيد ومالك بن الصيف دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن الم
وقالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت ثم
حاسبوا حسابا بزعمهم فخبطوا خبط العشواء وذهبوا الى ديارهم خاسرين كافرا تباهم اخر الدهر قال استاذى
واحسن العبارة ان تقول واما اعرابها فان كانت مقطعات على نمط التعديد فلا يتصور الاعراب بحال واما
اذا جعلت اسماء السور فهي مرفوعة على الابتداء ان صح ان يكون بعدها خبرا او على الخبرية عن مبتدأ محذوف او
منصوبة باذكر او مجرورة باضمار حرف القسم وذلك الكتاب المشار اليه ما دل عليه الم وهي السورة او القران
باجمعه وغير النازل كالنازل لوعد الكريم فالاشارة اليه بذلك الموضوع للبعيد لان الكلام بعد التكلم به في
حكم المتباعد قال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حكم المتباعد
فان قلت قبل وصوله ذلك على حاله قلت لما كان مقطوعا بوصوله بناء على الوعد المذكور جعل
كانه واصل وكثيرا ما يولف المتكلم كلاما يلاحظ فيه حين تاليفه وصوله الى المخاطب به فان قلت
فاذا كان المراد بالمقطعات السورة فالمشار اليه حينئذ مونث فما وجه تذكير المشار به قلت ان كان ما بعده
خبرا اجرى حكمه على المبتدا في التذكير لكونهما متحدين ذاتا كما اجرى عليه في التانيث في قوله وما كانت امك بغيا
واذا كان وصفا فلكون الاشارة اليه صريحا كقولك هند ذلك الانسان انتهى مقالته الكريمة لا ريب فيه تا اى
لا شك فيه انه من عند الله تعالى ومنهم من يجعل جملة لا ريب فيه خبرا لذلك بيانه ان ذلك مبتدأ وما بعده خبره
او خبر مبتدا محذوف اى المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب المعجز او مبتدأ والكتاب صفته ولا ريب فيه هو الخبر
قال ابو يحيى والاشارة بذلك وان كان المشار اليه قريبا للتشرف والتعظيم تنزيلا لعلو الرتبة والمكانة منزلة
المحسوس البعيد فان قلت كيف نفى الريب عن الكتاب مع ارتياب الكفار وقلقهم واضطرابهم وتهمتهم
وسوء ظنهم فيه قلت المراد بهذا النفي انه ليس من شانه ذلك او لا ريب فيه عند الله وعند رسوله وعند المومنين
او هو نفى بمعنى النهي اى لا ترتابوا فيه لانه من عند الله ونظيره قوله تعالى ان الساعة اتية لا ريب فيها
قال احمد بن يوسف وقرى لا ريب بالتنوين او هو خبر معناه النهي اى لا ترتابوا ولا ريب مبني على الفتح
مرفوع المحل مبتدأ خبره فيه فعلى هذا الوقف على الكتاب او في موضع رفع خبر ذلك فتقف على هذا على ريب
ونقف ايضا على لا ريب اذا جعلته مبتدأ او خبرا تقديره هو لا ريب ثم تبتدى فيه هدى مبتدأ او خبر
او هدى خبر مبتدأ محذوف اى هو هدى اى رشد وبيان والهدى كلما يهتدى به انتهى مقالة احمد وقال
سند يحيى وجملة النفي خبر وذلك مبتداه وهدى خبر ثان لذلك ومعناه هاد للمتقين تا الصايرين الى

التقوى

التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لاتقايهم بذلك النار وكونه هدى للمتقين والمتقي لا يكون الا مهتديا
يراد به الزيادة او التثبيت وكلاهما هدى او اريد بهم المشارفون للتقوى او لانهم صاروا متقين باستفادتهم
الهدى من الكتاب ولهذا فسرنا بالصايرين الى التقوى والمتقي شرعا من اتى بالفرايض واجتنب الكباير ولم يصر على
الصغاير من الوقاية وهي فرط الصيانة ولها ثلث مراتب الاولى التقوى من الشرك والثانية ما اشير اليه
انفا والثالثة ربط السر على الله والتبرؤ من كل ما سواه والجامع لذلك بان يتقي نفسه عما يضره في الاخرة وقد
اشار اليها في قوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا قال ابو المظفر ومحل هدى للمتقين الرفع على خبر مبتدا محذوف اى هو هدى
او خبر اخر لذلك او مبتدا والظرف المتقدم خبره ويجوز نصبه على الحال والعامل فيه الظرف اى لا ريب في كونه هدى
او معنى الاشارة فان قيل لم اضاف الهداية الى الكتاب الذي هو القران وهو من الله تعالى قلنا هذا الاضافة
على وجه التسبيب كما في قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم مع قوله انك لا تهدى من احببت وكما في اضافة الاضلال الى
فرعون بقوله واضل فرعون قومه والى الاصنام بقوله انهن اضللن كثيرا من الناس والله عز وعلا هو الذي يضل
من يشاء ويهدي من يشاء قال الله تعالى ان الهدى هدى الله فان قيل لم خص ههنا فقال هدى للمتقين وعم
في موضع اخر فقال هدى للناس وبينات قلنا هو هدى للناس كلهم بيانا وهدى للمتقين على الخصوص ارشادا
وهو كقوله في حق رسوله على الخصوص انما انت منذر من يخشاها وقال انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
مع ما قال في حقه على العموم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا لكن انذر الكل تبليغا ونفع ذلك اهل الخشية
تنبيها فهذا مثله وايضا هو هدى للمتقين ولغيرهم ولكن للمتقين مع الزيادة لانهم هم المنتفعون به فكانهم خصوا به
ولذلك يقال في كل من ينتفع بشي على الخصوص دون غيره انه لك على الخصوص اى انت المنتفع به وحدك واذا لم يهتد بالقران
بعض الناس لا يخرجه من ان يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور
والمسك مسك وان لم يدرك طيب ريحه المزكوم فالخيبة كل الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقي في الظلمة والبدر
زاهر وخبث والطيب حاضر وزوى والروض ناضر والحسرة كل الحسرة لمن عصى وفسق والقران ناه
آمر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر ولذلك قال جل جلاله وانه لحسرة على الكافرين
ثم ان نصبت او رفعت على المدح قوله الذين يومنون بالغيب وقفت على المتقين وان جررته وصفا لم
تقف عليهم ويجوز ان يكون مبتدأ غير موصول بالمتقين فالخبر اولئك على هدى من ربهم والمعنى الذين يصدقون
بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار قال احمد بن يوسف الغيب هو الله عز وجل لانه لا تدركه الابصار في
الدنيا او القران والايمان في اللغة هو التصديق بالقلب ويكون معه امن وطمانينة وفي الشريعة هو الاعتقاد
بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان هذا عند الشافعي ومالك والاوزاعي واهل الحديث وقال الاشعري
هو كل ذلك والبقاء عليه الى الموت والاسلام الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه
تصديق فقد يكون الرجل مستسلما ظاهرا غير مصدق باطنا وقد يكون مصدقا باطنا غير منقاد ظاهرا وسمي المومن
مومنا لانه يومن نفسه من العذاب بفضله والله تعالى مومن لانه يومن عباده من عذابه بفضله وفي الحديث المومن
من امن جاره بوايقه والمومن هين لين جواد سمح كالجمل الانف اذا قيد انقاد واذا انيخ على صخرة استناخ
والمومن الف مالوف حيي ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف والمومن فطن حذر وقاف متثبت عالم ورع اولئك هذه الاحاد

Copyright ... Saud University

وليشتملها من اوصاف اهل الايمان ثم عطف على المومنين بالغيب ما هو من جملة صفاتهم جملة بعد جملة فقال
ويقيمون الصلوة اى يداومون عليها تامة الاركان بحقوقها من قراءة وقيام وركوع وسجود وغير ذلك
مع النية والمراد الصلوات الخمس لخصيصه انهم يديمون الصلوات معطاة حقوقها ومما رزقناهم اى مما
اعطيناهم ينفقون فى طاعة الله واصل الانفاق الاخراج عن اليد اى يخرجون عن ايديهم ما فيها ويصرفون
فى طاعة الله والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان حلالا كان او حراما وان لم يامر الله بالانفاق من الحرام قال الله
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها والاسناد الى نفسه فى رزقناهم للتعظيم عند اهل السنة ودلايل اهل الاعتزال
مردودة بالايات والاحاديث مذكورة فى المطولات وجاء لغة بمعنى الحظ والنصيب قال الله وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون قال ابن الخير والظاهر من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير فرضا كان كالزكاة بقرينة ويقيمون
الصلوة او نفلا للاطلاق اللفظ والعموم احسن لقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله سرا وعلانية وهذه
الاية فى مومن العرب ونزل فى مومن اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه قوله والذين يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك وهو ساير كتب الله تعالى ومن ذلك التوراة والانجيل والزبور وهو عطف على الذين
يومنون بالغيب فيشملهم صفة التقوى ان لم يكن المخصص الاول فقط او هم الاولون والعطف باعتبار تغاير
الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم والايمان بالغيب ان شمل الايمان بالكتب المنزلة الا
انه افرد اشعارا بمكانه ولذلك اعيد الموصول ولم يكتف بذكر الصلة مبالغة كان الموصوف بها مغاير للموصوف
بما تقدم وبالاخرة هم يوقنون تا اى يعلمون بان الدار الاخرة كائنة باستدلال لا شك فى ذلك وليسوا كالذين
قالوا ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين والاخرة هى تانيث الاخر اسم فاعل من اخر بمعنى تاخر وهو نقيض الاول
وسميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وقد نص على الدار الاخرة فى قوله وللدار الاخرة خير وجمع بين الدارين فى قوله
حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وفى قوله لعلكم تتفكرون فى الدنيا والاخرة وفى قوله وجيها فى الدنيا والاخرة وجاء
اليقين بمعنى العلم كما تقدم انفا وبمعنى العلم والعمل كما فى قوله تعالى هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون
ومثال علم اليقين كعلم كل عاقل بالموت ومثال عين اليقين اذا رأى الملك بقرب وفاته واذا ذاق الموت فهو حق اليقين
وفى تقديم الجار والمجرور فبنا يوقنون على الضمير وبجوهم اشارة وتعريض الى ان من لم يومن من اهل الكتاب بما
انزل الله على محمد وبما انزل الله على ساير رسله من قبله فاعتقادهم فى امر الاخرة غير مطابق للحق ولا صادر عن ايقان
بل طبع على قلوبهم جهل محض وخيال باطل اولئك اى من ذكر من المتقين الموصوفين بما ذكر على هدى اى
رشد وبصيرة وصل اليهم من ربهم الذى اصلح احوالهم بما اوصله اليهم ومن بيان لما حصل لهم من عنده
عز وجل واولئك هم المفلحون الفايزون بالجنة والناجون من النار قال ابو عمرو واولئك عطف على قوله
اولئك وهو مبتدأ اخر وكلمة هم تاكيد وتسمى فصلا وتسمى عمادا والمفلحون خبر اولئك او هم مبتدأ اخر والمفلحون خبره وهما
جميعا خبر اولئك واتفق القراء السبعة على ادغام النون الساكنة فى الراء واللام بلا غنة اما الادغام فلتلاحق
المخرج واما عدم الغنة فلمبالغة فى التخفيف ونقلها عن ابن عامر وعاصم سهو ان الذين كفروا
كابى جهل وابى لهب وغيرهما من مشركى العرب او من اليهود كحيى بن اخطب واصحابه والكفر الجحود واصله
الستر اى ان الذين ستروا الحق اما انكارا او جحودا باللسان مع معرفة القلب او عنادا او هو الاعتراف بالقلب
والاقرار باللسان لكن لا يدين به او نفاقا بان يومن تقية وينكر بقلبه قوله سواء عليهم خبر ومبتدأ و
جملة

جملة قوله اانذرتهم بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى
وتركه ام لم تنذرهم او سواء عليهم مبتدأ وقوله اانذرتهم ام لم تنذرهم خبره وهما على القولين خبر ان
السواء لغة عدم رجحان احد الطرفين على الاخر قال الله تعالى فانبذ اليهم على سواء والمعنى مستو لديهم الانذار
وعدمه فلذلك لا يؤمنون تا وهذا فيمن علم الله عدم ايمانه والانذار اعلام مع تخويف والوقف تام على
ام لم تنذرهم على الاعراب الذى ذكرنا وان جعلت الذين اسم ان والخبر لا يومنون وما بينهما اعتراضا وقفت
على لا يومنون ومعنى لا يومنون لا يصدقون وان علقت ختم الله على قلوبهم بلا يومنون
ونصبت ختم حالا لم تقف على قوله لا يومنون والمعنى طبع الله على قلوبهم فلا يومنون فى حال الختم والختم هو
الشد والاستيثاق قال ابن عباس معناه طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير ولا يدخلها ذلك يعنى جعلها
بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وهذه الاشياء ونظايرها كاينة بخلق الله
وقدرته القاهرة وارادته النافذة اذ لا قبح لصنعه يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد والختم عند الجبرية هو المنع
عن الاسلام والمعرفة والجبر على الكفر ومذهبهم الفاسد هو ان العباد مجبورون ولا فعل لهم اختيارا ومعنى الختم
عند المعتزلة وتاويلهم الباطل هو ان الله شهد له على قلوبهم بكفرها او اظهر ذلك للملئكة وانما اولوا كذلك لان
افعال العباد عندهم ليست بمخلوقة الله تعالى ولا هى بقضايه وتقديره ومشيته وارادته وحاصل الختم عند اهل
السنة عقوبة من الله لا تمنع العبد من الايمان جبرا ولا تحمله على الكفر كرها بل هى زيادة على سوء اختيارهم وتماديهم
فى الكفر واصرارهم تحرم بها عن اللطف الذى يسهل به فعل الايمان وترك العصيان يدل عليه انهم مخاطبون
بالايمان بقوله امنوا بالله ورسوله وملومين على الامتناع عنه بقوله فما لهم لا يومنون وقوله وماذا عليهم
لو امنوا بالله واليوم الاخر وموبخين على الكفر بقوله قتل الانسان ما اكفره اى ما حمله على الكفر ولو صاروا مجبورين
وعن الايمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما فى الختم على الافواه يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة
عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام وتحقيق مذهب اهل الحق اثبات فعل العبد وتخليق الله اى فعل نفسه وقد
ذكر الله ذلك بالختم والطبع والكنان فقال فى الختم ختم الله على قلوبهم وهذا اثبات فعل نفسه وقال قبله ان
الذين كفروا وهذا اثبات لفعل العبد وقال فى الطبع طبع الله عليها بكفرهم فقوله طبع فعله وقوله بكفرهم فعل
العباد وقال فى الكنان انا جعلنا على قلوبهم اكنة وقال قبله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها وجاء الختم
فى القران على ثلثة اوجه للعقوبة كما فى هذه الاية وللكرامة والشرف كما فى قوله ام يقولون افترى على الله كذبا
فان يشا الله يختم على قلبك اى يختم بالصبر فلا تجد غصة التكذيب وهذا تسهيل عليه بطريق الكرامة قال الله تعالى
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فلين الله قلبه بالصبر والحلم والرحمة والرافة وللتذكير والموعظة
كما فى قوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به قال لو احتمل اخذ عيان
السمع والابصار لو اخذ منا فيهما مع بقاء صور اعيانها والمعنى ايها الشاغلون الاسماع والابصار والقلوب بغير الحق
لو اخذ الله هذه الاعيان واذهبها فمن ياتى بها وايها الشاغلون الاسماع والابصار والقلوب بالحق لو ان الله ازالها
عن الحق فمن الذى يعيدها اليه فهو تنبيه وعظة للمبطل والمحق جميعا فالعاقل يرفع الختم عن الكيس لاداء حق الله منه
ويضع الختم على اللسان لئلا يطلق فى كذب وزور باطل والحمد لله حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وختم على الباطل
قلوب اعدائنا من اهل الشرك والكفر بالطغيان وعلى سمعهم وحد لانه مصدر والمراد ختم على سمعهم

بالكفر فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق وعلى ابصارهم غشاوة اى تغطية مانعة من ابصار الحق
وابصارهم جمع بصر وهو نور العين كالبصيرة نور القلب والجار والمجرور خبر مقدم على المبتدأ القراءة برفع التاء
ولهم عذاب عظيم تا والعذاب كالنكال وزنا ومعنى اى لهم نكال شديد قوى دايم فى الاخرة ونزل
فى المنافقين كعبد الله بن ابى سلول واضرابه ومن الناس جمع انسان سمى به لنسيانه واصله الاناس
فى محل الرفع على انه خبر المبتدأ من يقول بلسانه امنا بالله وهو لا يدرى عظمة الله حيث كذب
فيما قال وباليوم الآخر اى يوم القيمة سمى به لانه اخر الايام وهو الابد الذى لا امد له او هو من وقت النشور الى
ان يدخل فريق فى الجنة وفريق فى السعير لانه اخر الاوقات المحدودة واللام فى الناس للجنس وفائدة الاخبار بان
من يقول كذا من الناس التعجب وان تلك الصفات تنافى الانسانية او للعهد اى ومن المصرين طايفة كذا وما
هم بمؤمنين بقلوبهم جمع ضمير هم رعاية لمعنى من ولفظه مفرد للعقلاء يعم الواحد والجمع والذكر والانثى
وجى بالباء لتاكيد النفى المعنى بعض الناس وهم المنافقون يدعون الايمان وهم كاذبون وقد دلت الاية على ان
الايمان ليس مجرد القول مع ابطان الكفر وفيه بطلان مذهب الكرامية ثم اوضح كذب المنافقين بقوله يخادعون
الله والذين امنوا تا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تريد به لتوقعه فى المكروه من حيث لا يدرى وفى
الحديث يكون فى اخر الزمان سنون خداعة اى تكون ذات امطار بلا ريع ومعنى مخادعة المنافقين علام الغيوب
ومخادعته اياهم ان من الجانبين معاملة شبيهة بالخداع لان اظهارهم الايمان مع ابطان الكفر واجراء الله تعالى عليهم
احكام المؤمنين وهم اهل الدرك الاسفل وكذلك امتثال الرسول والمؤمنين باجراء الاحكام عليهم صورة الخداع
ففى يخادعون استعارة تبعية ويجوز ان يكون المفاعلة هنا من واحد كقولهم عافاك الله وعاقبت اللص وذلك
لان المخادعة انما تتصور فى حق من يخفى عليه الامر ليتم الخداع من حيث لا يعلم ولا يخفى على الله شئ فالمعنى على هذا يخادعون
رسول الله وذكر الله للتحسين اذ معاملة الله معاملة رسوله كعكسه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وما يخادعون الا انفسهم اى وما ينقصون الا انفسهم لان فى الخدع
نقصا ونفس الشئ ذاته وحقيقته والمعنى وبال خداعهم راجع عليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين على نفاقهم فيفتضحون فى الدنيا ويعاقبون فى الاخرة القراءة بالالف وبغير الالف وقرى وما يخدعون
بضم الياء مجهولا وفى التسهيل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بضم الياء واثبات الالف وكسر الدال طلبا لمشاكلة الاول
وقرا غيرهم بفتح الياء واسكان الخاء وحذف الالف وفتح الدال اشارة الى ان المفاعلة هنا للواحد وما يشعرون
كا اى وما يعلمون بخدعهم لانفسهم ورجوع وبال ذلك عليهم لا تخطاهم فى قلوبهم مرض واصل المرض الضعف
وهو هنا الشك والنفاق وما يضمرون من الشرور لان ذلك يمرض قلوبهم اى يضعفها ويوهنها فزادهم الله مرضا
اى امدهم الله بمرض بعد الختم تنمية لان الايات كانت تنزل عليهم حينا بعد حين فكلما نزلت اية فكفروا بها
ازدادوا شكا ونفاقا ويزيد مرضهم ايضا بنصر رسوله وتسلطه فى البلاد وكثرة الفتوح قال احمد بن يوسف
زاد الشئ يزيد زيدا نمى وكثر وزدته انا وقال بعضهم معناه زاد الله خلق الكفر فى اعتقادهم وفى هذه
الاية اثبات خلق الافعال من الله حيث قال فزادهم الله مرضا وقال فى اية اخرى زادهم هدى واتاهم تقواهم
ولهم عذاب اليم اى مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب مبالغة كقوله تحية بينهم
ضرب وجيع بما كانوا يكذبون تا وقيل حسن القراءة مخففا اى بكذبهم انفسهم فى قولهم امنا بالله

ومشددا اى بتكذيبهم غيرهم كالنبى واصحابه والتشديد احسن على كل حال لانهم قالوا نشهد انك لرسول الله
ثم قال الله فى حقهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون والكذب هو الاخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه
وقبحه ليس ذاتيا فيحسن اذا كان فيه نجاة مظلوم والباء للسببية اى لهم ذلك العذاب بسبب كذبهم واذا
قيل لهم لا تفسدوا فى الارض اى قال المؤمنون للمنافقين او لليهود لا تفسدوا فى ارض المدينة او
ساير الاراضى بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعموم احسن القراءة فى قيل باخلاص الكسر
وبالاشمام والفساد نقيض الصلاح قالوا انما نحن مصلحون تا اى قالوا فى جواب الناصح ان حالنا
مقصور على الاصلاح لا يشوبه شئ من الفساد واثبتوا انما لادعائهم ان اصلاحهم بيّن مكشوف فرد الله
عليهم بقوله الا انهم هم المفسدون بالكفر وتعويق الناس عن الايمان الا حرف تنبيه نبه على
تحقق ما بعده وقال بعضهم الا مركب من همزة الاستفهام للانكار عليهم ومن لا النافية فافادت التنبيه وتحقيق
ما بعدها وهكذا كل استفهام دخل على نفى كقوله اليس ذلك بقادر ولكن لا يشعرون اى لا يعلمون لفرط تماديهم
انهم مفسدون وان فعلهم افساد واذا قيل لهم للمذكورين امنوا كما امن الناس الكاملون
فى الانسانية وهم جميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم او يريد به عبد الله بن سلام واصحابه قالوا اى المنكرون
انؤمن كما امن السفهاء تا اى الجهال السفه الخفة فى الراى والطيش وهو نقيض الحلم واللام للعهد
اشير به الى الناس السابق ذكرهم او للجنس ويدخل فيهم الجارى ذكرهم لانهم اعرف الناس عندهم وهذا القول
من اهل النفاق اما التدليس فطرهم يرون الحسن قبيحا كالمريض المختل ذايقته يجد الحلو مرا او تجلدا وعدم
مبالاة بمن فارقهم من شيعتهم وما فى الموضعين مصدرية او كافة فرد الله عليهم بقوله الا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون كا اى لا يدرون لاعتقادهم الباطل حقا مع جلاء برهانه والعلم اقوى من
الشعور فان الانسان قد يشعر بالشئ اى يحس به ولا يعلمه واصل العلم الظهور وهو ما يدرك به الاشياء و
اذا لقوا اصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقاء الساكنين بعد حذف ضمتها مع الواو
الساكنة فبقى لقوا وقرى لاقوا ومعنى لقيته ولاقيته استقبلته وصادفته الذين امنوا قالوا امنا
كايمانكم واذا خلوا اى رجعوا وانفردوا ومضوا الى شياطينهم اى روساهم الذين ماثلوا الشياطين
وشاركوهم فى تمردهم والشيطان العاتى والمتمرد من الجن والانس والدواب وهو فعلان من شطن يشطن اى
بعد لبعده عن الخير والصلاح وقربه الى الشر وامتداده فيه او من شاط يشيط اى بطل واحترق فالنون زايدة
تخصيصه اذا لقوا المؤمنين خدعوهم بقولهم امنا واذا لقوا اصحابهم المنافقين قالوا انا معكم فيما انتم عليه
باطنا فى الدين اى بالقلب والاعتقاد انما نحن مستهزءون كا الاستهزاء الاستخفاف والسخرية والتجهيل
اى انا نجهل محمدا واصحابه ونسخر بهم باظهارنا الايمان فرد الله عليهم بقوله الله يستهزئ بهم اى
يجازيهم جزاء استهزائهم بان يعذبوا او يحقر شانهم وينزل بهم الهوان وذلك حين يفتح الله لهم بابا الى الجنة
فاذا وصلوا اليه سد عنهم وردوا الى النار وانما فسرنا كذلك لان السخرية والعبث لا يليق بالحكيم قال سيبويه
معناه الله يوقع ضرر استهزائهم بهم كما قال ولا يحيق المكر السيء الا باهله واضاف الاستهزاء الى نفسه تشريفا
للمؤمنين حيث جعل فعلهم بالكفار كفعله فانهم يضحكون ويستهزءون بالكفار يوم القيمة قال الله تعالى فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون وقد جعل فعل نبيه كفعله ايضا حيث قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد

الاية على قبح الاستهزاء بالناس قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم والاستهزاء فعل الجاهلين حيث قال فى
قصة موسى قالوا انتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ويمدهم اى يمهلهم ويتركهم
فى طغيانهم فى تجاوزهم الحد فى كفرهم وضلالهم وغلوهم وعتوهم يعمهون يترددون فى الباطل
متحيرين فيه وهو حال من طغيانهم والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اى الذين هم بهذه الصفة هم الذين استبدلوا الضلالة والكفر بالهدى وهو كقوله ومن يتبدل
الكفر بالايمان وبعبارة اخرى آثروا الضلالة واختاروها على الهدى ومعناه عند ابن مسعود اخذوا الكفر
وتركوا الايمان وفى التيسير البيع والشرى الابتياع والشروى المثل قال الشيخ معناه اولئك الذين اشتروا
الجور عن القصد بالاهتداء والمعنى استبدلوا الكفر بالايمان لان الباء انما يصحب المتروك ايذانا بتمكنهم من
الهدى لان الانسان لا يستبدل بما لا يقدر عليه فشبه الاستبدال بالشرى الذى هو معاوضة ومن قال
الشراء البيع فالمعنى باعوا ايمانهم بموسى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال فى الغاية اشتراء الضلالة بالهدى
استبدالها به على طريق الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر قال الاستاد واصل الاشتراء
استبدال مال بمال واستعير فى الهدى استعمال الهدى والضلال والجامع بينهما معنى الاختيار والاستبدال
بكل مشتر مستبدل وكذا هؤلاء اختاروا الكفر على الهدى واستبدلوه به وقد اشار الى هذين المعنيين فى آيتين
فقال ان استحبوا العمى على الهدى وقال ومن يتبدل الكفر بالايمان فما ربحت تجارتهم وفى الكلام معنى الشرط
اى اذا اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحوا فى تجارتهم ومعاملتهم بل خسروا فيها لخلودهم فى النار مالا ونسبة
الربح الى التجارة مجاز وهو كقوله تعالى والليل اذا يسر اى يسرى فيه وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار اى مكرهم فيهما
وما كانوا مهتدين اى ناجين من الضلالة او مصيبين فى التجارة ثم انه تعالى شبه المنافقين وايمانهم
بمن اوقد نارا فى مفازة مظلمة فقال مثلهم اى شبههم وصفتهم فى نفاقهم كمثل الذى استوقد نارا
اى اوقد نارا فى ظلمة يقال وقدت النار واشتعلت واوقدها غيرها اى اشعلها قال الاخفش معناه
كمثل الذى اشعل نارا بنفسه ويقال استوقد اى سأل وطلب غيره ان يوقد فان سين الاستفعال للطلب والسؤال
قال استاذى رحمه الله وانما قال كمثل الذى استوقد نارا على الوحدان وان كان قوله مثلهم على الجمع لان معناه
مثل كل واحد منهم كمثل المستوقد وهذا كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا وان خاطب الجمع لان معناه
يخرج كل واحد منكم طفلا وقيل هو اسم جنس فيصلح للواحد والجمع وقيل الموقد للجمع يكون واحدا والمستضئ
يكون كثيرا وقيل هو تمثيل فعلهم لا اعيانهم ومعناه مثل فعل المنافقين كمثل فعل المستوقد وكلا الفعلين واحد
واضمار الفعل فى الاسم جائز كما فى قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى كخلق نفس واحدة وبعثها
فلما اضاءت ما حوله عطف على استوقد والاضاءة فرط الانارة اى فلما افرطت انارة النار ما حول المستوقد
فابصر ما حوله واستدفأ وامن المخوف واضاء يكون لازما ومتعديا وعلى الثانى ما مفعوله وعلى الاول
زايدة وحوله ظرف قال الاستاد وتانيث اضاءت مع الاسناد الى ما لان ما حوله اماكن او مسند الى
ضمير النار وما زايدة وحوله ظرف لغوا وموصولة مع صلتها مفعول فيه انتهى وجواب لما وان كان نظرا
فهو ذهب الله بنورهم اى اطفأ نورهم بالكلية وازال عنهم ذلك وابقاء حرارة النار عليهم والباء
للتعدية قال الاستاد ولو قال ذهب بضوءهم لاحتمل بقاء نور ما وجمع الضمير مع توحيده فى استوقد

مراعاة

المراعاة معنى الذى قال الاستاد والضمير للمنافقين انتهى ويمكن ان يكون جواب لما محذوفا والمعنى
والمعنى اخذ تعالى نورهم وامسكه عنده فلا مطمع فى هدايتهم ويؤكد هذا قوله وتركهم اى طرحهم
فى ظلمات قرئ بسكون اللام وقرئ فى ظلمة موحدة وهى عدم النور لا يبصرون تائهين ما حولهم
متحيرين عن الطريق قال ابن عباس رضى الله عنهما والمعنى مثل المنافقين فى كفرهم ونفاقهم كمثل
رجل اوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مفازة واستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله واتقى ما حذر وما خاف
فامن من ذلك فبينما هو كذلك اذ اطفئت ناره فبقى فى ظلمته خائفا متحيرا فكذلك المنافقون اذا
اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها واعتزوا بعزها وامنوا من القتل والاسر واخذ الاموال
فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فاذا ماتوا عادوا الى الخوف الاعظم والظلمة العظمى وبقوا
فى العذاب والنقمة ثم وصفهم بعدم الهداية فقال صم خبر مبتدأ محذوف اى هم صم لا يسمعون الحق
مع سلامة حواسهم الظاهرة والضمير للمنافقين بكم والبكم وهو ان يولد اخرس اى لا ينطقون
بالحق ولا يفهمونه اذ الذى يفهم يقال الاخرس والذى لا يتكلم ولا يفهم يقال له ابكم عمى لا يبصرون
طريق الحق فهم لا يرجعون عن ضلالتهم التى اشتروها او لا يعودون الى الحق والهدى الذى باعوه
وضيعوه اى ما داموا على الذى هم عليه من النفاق او كصيب من السماء عطف على كمثل الذى
استوقد نارا اى مثلهم كمثل ذوى صيب اى اصحاب مطر وكلما نزل من علو الى سفل من اى جهة وافق
كان فهو صيب والمراد به المطر واصله صيوب من صاب يصوب اذا انحط ونزل من علو الى سفل
واو للشك وهو تساوى الطرفين يرجع الى الناظر الى المنافقين واحوالهم والمعنى ان الناظر الى
المنافقين لا يدرى ان يشبههم باصحاب الصيب او المستوقد لتساوى حالى اصحاب الصيب والمستوقد
او للتخيير اى ان شئت شبهتهم باصحاب الصيب او بالمستوقد او للابهام اى ابهم امرهم فبعضهم شبههم
باصحاب الصيب وبعضهم بالمستوقد او خبر مبتدأ محذوف فى تقديره ومعناه ومثلهم كمثل اصحاب صيب اى
مطر على قول ابن عباس وابن مسعود وقال بعضهم الصيب السحاب بقرينة قوله فيه ظلمات ورعد
وبرق وذلك فى السحاب لا فى المطر ويسمى السحاب صيبا لان الصيب منه اى المطر وفى قوله من السماء اشارة
الى السماء التى فوقنا كما فى قوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم وجاء بمعنى السحاب كما فى قوله وانزل من السماء ماء
هذا هو السحاب فى رؤية العين وجاء بمعنى المطر كما فى قوله يرسل السماء عليكم مدرارا فمن جعل الصيب
سحابا لم يمكنه صرف السماء الى السحاب فيصرفه الى السماء الدنيا ومن جعل الصيب مطرا امكنه صرفه الى
كل واحد منهما والتوفيق بين التفسيرين ان المطر من السحاب فى رؤية العين وهو من السموات فى الاصل والحقيقة
قال الله الم تر ان الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه الى اخر الاية وروى وهب بن منبه عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه قال تحت العرش بحر تنزل منه ارزاق الحيوانات يوحى الله تعالى اليه فيمطر بحسب مشيته
من سماء الى سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا ويوحى الى الريح فيحمله فتنشئه فى السحاب والسحاب بمنزلة
الغربال ثم يوحى الى السماء ان غربله فيغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها
ولا تنزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل بغير
كيل ولا وزن وذكر شيخنا محى الدين عبد القادر فى غنيته بان المطر تنزل من بحر تحت العرش واطال

Copyright © King Saud University

في ذلك على الكشف الصحيح ومن فسر الصماء والصيب ايضا بالسحاب فالضمير في قوله فِيهِ للسحاب
في قوله ظُلُمَاتٌ على هذا سحمة السحاب وتطبيقه مع ظلمة الليل ومن فسر الصيب بالمطر فالظلمات ظلمة
تكاثفه وتتابع قطره واظلال غمامه مع ظلمة الليل ومن رجع الضمير الى الليل وان لم يجر له ذكر كما ذكره
الكواشي فالظلمات ظاهر وفيه خبر مقدم وظلمات مبتدأ مؤخر وَرَعْدٌ هل هو ملك يزجر السماء بهذا
الصوت المسموع واسمه الرعد ايضا او ملك هذا صوت تسبيحه او هو اسم للصوت الذي يسمع من السحاب فقط
ارجحها الاخير كذا في التسهيل وَبَرْقٌ هل هو آلة من حديد يسوق بها الملك السحاب او سوط نور
بيده لسوق السحاب او ملك اقوال اقربها اولها وهو لعلي كرم الله وجهه والثاني لابن عباس ويروى
الاخير عنه ايضا وهو ضعيف كذا في التسهيل وقال بعضهم وهو السيوطي الرعد هو الملك الموكل بالسحاب
وقيل صوته والبرق لمعان سوطه الذي يزجره به وقال احمد بن يوسف ويروى ان الملك اذا اشتد غضبه
على السحاب طارت من فمه النار وهي الصواعق والتقدير فيه رعد قاصف وبرق خاطف وهما مصدر رَعَدَ
وبَرَقَ ولذا لم يجمعا على رعود وبروق وتقف على وَبَرْقٌ ان رفعت الجملة التي بعد استينافا وان جررتها
صفة للسحاب صيب لم تقف على وَبَرْقٌ والجملة هي يجعلون اصابعهم وقال بعضهم والمشهور ان سببه
اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها يتولد منها نار لامعة باذن الله تعالى وقال عبد الله بن عمر الرعد
ملك وكله الله تعالى بسياقة السحاب فاذا اراد الله ان يسوقه الى بلد امره فساقه فاذا تفرق عليه زجره
بصوته حتى يجمع كما يرد احدكم ركابه ثم قرا ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفي رواية فاذا تفرقت سحابه
ضمها فاذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق وفي رواية عن ابن عباس ليس شيء احسن منطقا
ولا احسن ضحكا من السموات قالوا اما منطقه وما ضحكه قال منطقه الرعد وضحكه البرق وفي رواية عن
ابن عباس الرعد ريح تختنق تحت السحاب وتتراكم بعضه على بعض فيتصاعد فيكون منه الصوت وقيل الرعد هو
تلالؤ الماء وقال بعضهم البرق ملك له اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر
فاذا ضرب باجنحته فذلك البرق وفي قصة المعراج من رواية ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
مررت على ملك يشبه الادمي خلقا نصفه من الثلج ونصفه من النار وسمعت تسبيحه وهو يقول سبحان الذي
الف بين الثلج والنار سبحان الذي يولف بين عباده المؤمنين فقلت يا جبريل من هذا الملك قال هذا ملك خلقه الله
بقدرته كما تراه وجعله على السحاب يسوقه من موضع الى موضع واسمه رعد ومنه الرعد والبرق وبسياقة السحاب يعني
يظهر الرعد وبجنفه على السحاب يظهر البرق الم تسمع ان الله يقول الم تر ان الله يزجي سحابا الآية وقال ابن الرحا
الرعد صعقات الملائكة والبرق حرقاتهم والمطر بكاؤهم فان حمل هذا الكلام على الظاهر فالملائكة موصوفون بالخشية
والخيفة كما قال الله والملائكة من خيفته وقال وهم من خشيته مشفقون وبكاؤهم شديد ايضا دل على ذلك انه
صلى الله عليه وسلم راهم ليلة المعراج باكين اهل كل سماء الى العلو اشد اثر من الذين دونهم فيجئ ان يكون ما ترى من العلو
والهواء هو منهم الى السماء فان حمل على التمثيل فله وجه كما تسمعون صوت الرعد فاعلموا ان صياح الملائكة في الخوف كذلك
وكما ترون لمعان البرق فلمعان نيران اشواقهم كذلك وكما ترون تقاطر الامطار فدموعهم كذلك وهذا حالهم
مع انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم عباد مكرمون وهم من خشيته مشفقون فكيف ينبغي لنا
ان نغفل مع هفواتنا وجفواتنا وخطراتنا وخطيئاتنا وفي المدارك وفيه على ان السحاب من السماء ينحدر ومنها

يأخذ

يأخذ ماءه وقيل انه يأخذ من البحار انتهى ثم كأنه قيل كيف حالهم مع ذلك الرعد والبرق فقال يَجْعَلُونَ
اي اصحاب الصيب أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ اي رؤس انامل الاصابع وفي اطلاق الكل وارادة الجزء
المبالغة الدالة على انهم لو قدروا على ادخال الاصابع بتمامها لفعلوا مِنَ الصَّوَاعِقِ اي لاجل الصواعق
وهي شدة صوت الرعد وانما فعلوا اصابعهم كذلك لئلا يسمعوها فيهلك قال الشيخ وهي جمع
الصاعقة وهي قطعة عذاب مهلك ينزلها الله تعالى على من يشاء من خلقه وكل عذاب مهلك صاعقة
او هي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا احرقته لكنها سريعة الخمود او هي قطعة من نار في غاية الحدة و
الحرارة تنفصل من السحاب اذا اصطكت اجرامه لا تمر بشيء الا احرقته ولذلك اشتق لها هذا الاسم من
الصعق وهو الهلاك كقوله وخر موسى صعقا وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل هي قطعة نار تخرج من فم الملك عند غضبه
والاصابع جمع اصبع وفيها خمس لغات اَصبع بفتح الهمزة وكسر الباء وبضم الهمزة وفتحها وبضمهما وبكسرهما
وبكسر الهمزة وفتح الباء وهي اشهرها والاصبع مونثة سماعا قال صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع
دميت وفي سبيل الله ما لقيت قوله حَذَرَ الْمَوْتِ حس اي خوف الموت من سماعها لانه كذا هؤلاء اذا
نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمة والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق
يسدون اذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا الى الايمان وترك دينهم وهو عندهم موت ونصب حذر على
انه مفعول له ليجعلون اي لاجل حذرهم من الموت وهلاكهم يجعلون كذلك قال احمد بن يوسف
الكواشي الموت فساد بنية الحياة او زوال قوة الاحساس وفي التيسير الموت زوال الحيوة انتهى قال
البيضاوي الموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق
بمعنى التقدير والاعدام مقدرة انتهى وقال القطب البكري والموت زوال الحيوة وقيل عرض
يضادها ويعقبها فالاول اصح فهو عدمي ولا حجة للخصم في خلق الموت والحيوة لان المعنى قدر او خلق يصح
ذلك وليس سلم فاعدام الملكات مخلوقة انتهى وفي الغاية والموت عرض يضاد الحيوة لقوله خلق
الموت والحيوة وقيل عدم الموت والخلق بمعنى التقدير على ان اعدام الملكات مخلوقة عند المحققين انتهى
قلت وفي روايات عديدة يؤتى بصورة الكبش فيذبح بين الجنة والنار وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
اي محدق بهم بعلمه وقدرته قال الله تعالى احاط بكل شيء علما فيحشرهم يوم القيمة ويعذبهم
واصل الاحاطة الاحداق بالشيء من جميع جهاته ومنه الحائط تخصيصه انه عز وجل لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط اي لا يخلصهم الحذر والخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها ثم كأنه قيل
كيف حالهم مع البرق فقيل يَكَادُ اي يقرب الْبَرْقُ اسم يكاد يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ اي يأخذها ويسلبها
بسرعة خبر يكاد ويكفي الوقف على ابصارهم ان استانفت كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ ويجيء هنا اضاء اللازم
والمتعدي ومعنى الاول كلما اضاء لهم البرق ومعنى كلما اضاء البرق الطريق وجواب كلما مَشَوْا فِيهِ
اي يسيرون في ضوء البرق وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا اي وقفوا متحيرين قد عرف وجه التشبيه عند
قوله حذر الموت مختصرا حيث قلنا كذلك هؤلاء الى اخره ونوجهه بعبارة اخرى اوضح من ذلك انه
شبه لكفرهم ونفاقهم بمن كان في ليلة مظلمة في مفازة اصابه بطرفيه ظلمات لا يمكن للساري المشي

Copyright King Saud University

فيها رعد يجعل السامعون اصابعهم فى اذانهم من هوله وبرق يقرب من خطف ابصارهم لشدته قال
جعفر الصادق هذا المثل فى القران واهل النفاق فشبهوا المطر بالقران لانه حياة القلب كالمطر حياة
النبات والظلمات بما فى القران من ذكر الشرك والرعد بما فيه من الوعيد والبرق بما فيه من الهدى وذكر
الجنة فالكافرون يسدون اذانهم عند قراءة القران خوف ميل القلب اليه لان الايمان عندهم كفر
وروى ان هذا المثل فى رجلين من المنافقين من المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
فاصابهما هذا المطر الذى ذكره الله فى كتابه من الرعد والبرق والصواعق فجعلا كلما اضاء لهما البرق
جعلا اصابعهما فى اذانهما من الخوف فاذا لم يلمع لم يبصرا فجعلا يقولان ليتنا اصبحنا فناتى محمدا صلى الله عليه وسلم
نضع ايدينا فى يده فاصبحا فاتياه فاسلما فضرب الله مثلهما للمنافقين فى المدينة ثم اخبر عز وجل بانه
قادر على ذهاب اسماعهم وابصارهم الظاهرة كما يقدر على ذهاب اسماعهم وابصارهم الباطنة فقال
ولو شاء الله لذهب بسمعهم بصوت الرعد وابصارهم اى الظاهرة والباطنة كما تقدم الكل ١٢ وجواب لو هو قوله لذهب
ومفعول شاء محذوف اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم لفعل ذلك وقرى باسماعهم ان الله على كل
شئ شاءه قدير تا اى قادر لما يشاء على قدر ما تقتضيه الحكمة لا زايدا ولا ناقصا ومن قدرته
اذهاب اسماعهم وابصارهم فان الرعد يوثر فى السمع والبرق فى البصر وذلك تقدير العزيز
العليم ولا يوصف بالقدير غير الله والشئ هو ما يعلم ويخبر عنه وهو مصدر شاء قال احمد الكردى
وفى هذا دليل على انه عز وجل لو شاء لذهب بحواسهم لانه شئ من الاشياء داخل تحت هذا العموم
والشئ وما يراد فيه اعم وجودا من كل اعم كما ان لفظ الله اشد خصوصا من كل خاص والمعدوم ليس
بشئ بمعنى انه لا تقرر له ولا ثبوت بدون الوجود والمعتزلة قالوا به فى المعدوم الممكن ولغة يطلق على
كل ما امكن ان يخبر عنه ويتصور حتى المحال وهذا هو المناسب للمقام ويخرج عنه المحال بقرينة
الفعل لخروج الواجب عن قوله والله خالق كل شئ ولا حاجة ان يقال كل ما شاء الله فهو موجود
فى الجملة لانه قبل تعلق القدرة والمشية وحين التعلق ليس بموجود ولا بشئ وبعده لا تعلق والقدرة
صفة حقيقية يقتضى التمكن من الايجاد وليست نفس التمكن ولا نفى العجز عنه والقادر هو الذى ان
شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير كامل القدرة البالغ نهاية القوة ولذلك لم يوصف به غير الله
عز وجل ثم ذكر ما فيه الدلالة على ثبوت الوحدانية والنبوة وهما اصل الايمان فقال يا ايها
الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا عام لكن الصغار
والمجانين لا يدخلونه اعبدوا ربكم الذى خلقكم اى وحدوا ربكم الذى ٤
انشاكم على غير مثال سبق واخترعكم ولم تكونوا شيئا او اطيعوه والعبادة خضوع يتذلل مع
امتثال الامر ويجوز ان يكون امرا للمؤمنين بالمداومة على ما هم عليه من التوحيد والطاعة وللكافرين
على الدخول فيهما ثم نعت نفسه ثانيا بما يوجب عبادته فقال وخلق الذين من قبلكم
لعلكم تتقون على رجاء ان يوجد منكم التقوى فتنجوا بسببه من العقاب والعذاب ولعل
فى الاصل للترجى والاطماع وفى كلامه عز وجل للتحقيق لان الكريم لا يطمع الا فيما يفعل وخص المخاطبين
فى قوله لعلكم بالذكر تغليبا لهم على الغائبين ومن العجب ذكر الترجية فى حق فرعون حيث قال فقولا

له قولا

سورة البقرة

١ له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكان الشبلى رحمه الله يقول فى هذا يا رب هذا لطفك بمن
يقول انا ربكم الاعلى فكيف لطفك بمن يقول سبحان ربى الاعلى ومعنى هذا الترجية
انه قال لموسى وهارون اذهبا اليه وادعواه الينا وانتما على رجاء اجابته واعتذاره عن
جنايته والله تعالى قد علم انه لا يجيب حيث قال قد اجيبت دعوتكما لكن امر بذلك الزاما للحجة عليه
واخفى الحال عليهما بعد الاجابة لئلا يقصرا فى الدعوة ثم وصف نفسه باحسانه اليهم ووجوب
شكره عليهم فقال الذى جعل لكم الارض فراشا اى خلق وصير لكم الارض التى انتم عليها
بساطا ووطاء يفترش ويستقر عليه حين المنام ونظيره والله جعل لكم الارض بساطا وفى اية
اخرى الذى جعل لكم الارض مهادا وفى الاخرى والارض فرشناها فنعم الماهدون والمراة فراش
الرجل لانه يستفرشها وهذا صفة لقوله ربكم الذى خلقكم تخصيصه ذللها متوسطا ولم يجعلها
حزنة فى غاية الصلابة بحيث لا يدخل فيها شئ ولا يخرج منها شئ ثم قال والسماء بناء اى
وجعل لكم السماء سقفا مرفوعا كالقبة المرتفعة وفراشا وبناء منصوب بان على الحالية لان جعل
متعد الى واحد وان قدرت جعل بمعنى صير كما قدرنا نصبتهما مفعولا ثانيا وانزل من السماء عطف
على قوله خلقكم وجعل لكم اى وانزل من الجرم المعهود وقيل السحاب لانه ينزل من السماء اصالة ثم
الى السحاب ماء اى مطرا فاخرج به اى بالماء المذكور من انواع الثمرات كالفواكه وساير
المأكولات من الزروع والنبات لانه قال فى اية اخرى كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده
والحصاد فى الزرع وقال فى اخرى وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ
فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا رزقا لكم اى طعاما لكم وعلفا لدوابكم واطلق
اسم الرزق على ما يخرج قبل تملكه لانه ايل الى ذلك قال الاستاد الى هنا من تمام صلة الذى
ثم ان جعلت من الثانية تبعيضا نصبت رزقا مفعولا له وان جعلتها للتبيين نصبته باخرج
ثم ذكر ما هو لايق بحال العبد فى قوله يا ايها الناس اعبدوا فقال فلا تجعلوا لله اندادا
اى امثالا واضدادا تعبدونهم كعبادته تخصيصه انه يامركم بالعبادة فلا تجعلوا لله شركاء
فى عبادته وطاعته وانتم تعلمون حال من فاعل فلا تجعلوا والمفعول متروك نسيا اى والحال
انكم من اهل العلم والمعرفة بان الله تعالى واحد خالق لهذه الاشياء ومبدع لها ولا خلق للانداد
ولا امثال فكيف تكفرون بالله مع العلم قال الشيخ والمخاطب بها جميع الكفار ونسبة العلم اليهم
بمعنى انهم يعلمون انه المنفرد بالخلق ولا يكون الها الا من يخلق او انتم تعلمون انه ليس فى التورية
والانجيل جواز اتخاذ الند او انتم تعلمون ان الند مخلوق لا يقدر على شئ من الخلق وقيل المراد
بالخطاب كفار بنى اسرائيل لا جميع الكفار ثم عطف على ما هو حجة لاثبات الوحدانية ما هو حجة
لاثبات اعجاز النبى صلى الله عليه وسلم وهو القران فقال وان كنتم فى ريب اى شك مما نزلنا
اى مما نزلناه من القران العظيم على عبدنا العظيم الاعظم الافضل من عبادنا وقرى على
عبادنا اى محمد العلم او هو واصحابه وان هنا بمعنى اذ وانما استعملت مكانها لوجود الشك
عندهم وجواب الشرط فاتوا بسورة وهذا امر تعجيز والسورة هى قطعة من القران معلومة

Copyright © King Saud University

لاول ولاخر واقل السورة ثلاث ايات من مثله اى من مثل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فمن صلة او
للتبيين او للتبعيض اى بسورة مما هو على صفته فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم والاخبار عن
الغيب فكانه منه ومن جعل من لابتداء الغاية فالضمير لعبدنا اى فاتوا بسورة مبتداة من مثل
عبدنا محمد وشبهه فى البشرية وفى كونه اميا لا يحسن الكتابة فتكون من على هذا متعلقا بسورة
حال كونها صفة لمن مثله اى فاتوا بسورة كائنة من مثله وذكر هنا من ولم يذكر فى سورة يونس
وهود لانه قد وصف السورة بالافتراء صريحا فى هود ورمزا واشارة فى يونس فلم يحسن الاتيان بمن
الدلالة على التبيين او الزيادة او التبعيض وادعوا شهداءكم اى وادعوا احضروا معبوداتكم والهتكم
التى تعبدونها ومن احضركم من اوليائكم ليعينكم او ادعوا من حضركم من الجن والانس ليأتوا بمثله متجاوزين
الله فانه ممن حضركم ومعكم لا تستعينوا به فانه المتفرد بالقدرة على الاتيان بمثله وهذا ارجح الوجوه
الذى يشهد له قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ومن على هذا ابتدائية وشهداء جمع شاهد وشهيد بمعنى الحاضر من دون
الله اى من غير الله العظيم القوى الذى لا يوازيه احد ليعينكم فى الاتيان بمثله والخلق باجمعهم
مع الله كالعدم اذ كل شئ هالك الا وجهه قال الغزالى فى مشكوة الانوار هالكا ازلا وابدا لان حياتهم
ليست بالاستقلال بل من الغير الذى ليس كمثله شئ انتهى قلت فهو باين عن خلقه فى الاحدية
والواحدية والتعينات والتجليات جميعا ومن تعلق بالمتشابهات وجعل الخلق عين الحق او جزءا منه
فى جميع التعينات فهو مدفوع بقوله تعالى والذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وبقوله
ليس كمثله شئ مع قوله وهو السميع البصير شتان بين صفات الله وصفات خلقه وبقوله وجعلوا له من عباده
جزءا ان الانسان لكفور مبين قال البكرى ودون فى جميع القران بمعنى غير كقولهم المدينة دون مكة
ولا اقوم من مجلسى دون ان تجئ انتى وقال ابن عباس الشهداء هو الاعوان لان الشاهد كالعون للمدعى
فى استخراج حقه وقد مر بان الشهيد بمعنى المعبود والالهة لانهم كانوا يعتقدون انها تشهد لهم وتشفع لهم
ومن دون الله صلة قوله شهداء اى الذين اتخذتموهم شهداء من دون الله وهذه صفة الاصنام كما فى
قوله اتخذوا من دونه اولياء وقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء ثم قال فى هذا قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال فى الاولياء والذين اتخذوا من دون الله اولياء فالله هو الولى
وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وقال احمد بن يوسف وقوله من دون الله اى من دون اوليائه
المؤمنين وهم رؤساء الكافرين متعلق بادعوا وشهداءكم لتخصيصه ومعناه استعينوا بالهتكم التى تعبدونها
وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة ومعنى دون الانخفاض والقرب لانه اخفض مكانا من غيره ومنه الشئ
الدون ومنه قولهم دونك كذا اى خذه من مكان هو اخفض منك ثم كثر استعماله للتفاوت فى الاحوال والرتب
فقيل زيد دون عمرو فى العلم والشرف انتهى اقول وكلمة من دون الله لها معان ومعناها ههنا
غير ودون فى الاصل اسم ولهذا دخلها الخافض وخفضها وهو من ولكنها تستعمل استعمال الحروف لانها تفيد
المعنى فى غيرها كالحروف فاجريت مجراها ولذلك هى مزيدة عن اللام الذى هو للتعريف والتنوين الذى هو
للتنكير وهما من خصايص الاسماء ان كنتم صادقين تا فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقول القران

اى قاله

اى قاله من عند نفسه كسائر كلام البشر وان الهتكم شهداءكم والصدق هو الاخبار عن المخبر به على ما هو
به وهو نقيض الكذب الذى هو الاخبار عن المخبر به على خلاف ما هو به وجواب الشرط محذوف تقديره
فافعلوا ذلك ويدل على حذف فافعلوا قوله تعالى لهم بعد عجزهم عن الاتيان عند التحدى فان
لم تفعلوا ما ذكر لكم فيما مضى لعجزكم مع انكم عربيون فصحاء وهذا الفعل مجزوم بلم دون ان لان لم اصل
فى عمل الجزم ولانها لا تدخل الا على مستقبل لفظا وماض معنى واما ان فتدخل على الماضى لفظا ويليها
الاسم نحو قوله وان احد ولم ايضا مختصة بنفى الماضى معنى وان شرط وحق الشرط الدخول على
المستقبل معنى وبين الماضى والمستقبل منافاة وبعضهم يجعل ان بمعنى اذ واذ يكون للماضى ويقول
متى ما عرض ما يحيل معنى الشرط جعلت ان بمعنى اذ وبعضهم يتركه على اصله شرطا وتقديره ان يثبت
لكم فى المستقبل انكم لم تفعلوا فيما مضى ولن تفعلوا فيما يستقبل ابدا وذلك لظهور اعجاز القران وهو
معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وجملة لن تفعلوا اعتراض بين الشرط وجوابه وهو قوله فاتقوا بايمانكم
بالله وان القران ليس من كلام البشر النار التى وقودها الناس وعرف النار بلام الاستغراق
لان الخطاب هنا مع المنافقين وهم فى اسفل نار جهنم المحيطة بهم والوقود بفتح الواو ما يوقد به وهو
الحطب والناس عام اللفظ خاص المعنى اى من سبق له القضاء بذلك وقال الجلال السيوطى اراد
بالناس الكفار والحجارة الجمهور انها حجارة الكبريت لا ساير الاحجار لان احجار الكبريت فيها
خمسة انواع من العذاب سرعة الايقاد ونتن الرايحة وشدة اللصوق بالابدان وكثرة الدخان
وقوة حرها اذا احميت وقيل هى ساير الاحجار وقيل هى احجارهم التى نحتوها لعبادتهم وفى الاية
دليلان لاثبات النبوة تظهر كون المتحدى به معجزا والاخبار بالغيب اذ لو عارض لنقل الينا وتواتر
ذلك واذا عجز الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فمن بعدهم اعجز اعدت اى هيئت والمعد هو
الله حذف للعلم به للكافرين تا يعذبون بها ولما ذكر وعيد الكافرين اردفه بوعد المؤمنين
وبشارتهم فقال وبشر اى اخبر يا محمد الذين امنوا اى صدقوا بالله والبشارة هى كل خبر
صدق يتغير به بشرة الوجه واستعمالها فى الخير اكثر وعملوا الصالحات والصالحات من العمل
ما حسنه الشرع وسوغه وهى كل ما كان لله وحده كالاخلاص فى الاعمال واقامة الصلوات المفروضة
والنوافل وتانيثها على تاويل الخصلة والخلة واللام فيها للجنس قال بعضهم وعطف العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعار بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين
الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء ولا غناء
باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل
ان الشئ لا يعطف على نفسه ولا ما هو داخل فيه وقال بعضهم وفى الاية دليل على ان الطاعات
غير الايمان لانه عطفها على الايمان والعطف دليل المغايرة وهو رد على من جعل من الايمان كاصحابنا قال
بعضهم والجواب ان مجموع الامرين شئ واحد من قبيل عطف بعض الاجزاء على الكل وهو جائز لغرض
من الاغراض كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل والله اعلم ان لهم جنات اى بان
لهم بساتين وحدائق ذات شجرة ومساكن ونكرت لان لكل طائفة من العاملين جنات من الجنان

الثانية سمى البستان بالجنان لاجتنان الارض اى استتارها بالاشجار تجرى من تحتها اى
من تحت اشجارها وعرائشها وقصورها التى فيها الانهار اى المياه فى الانهار والنهر الموضع الذى
يجرى فيه الماء لان الماء ينهره اى يحفره ونسبة الجرى الى الانهار مجاز وفى الحديث انهار الجنة تجرى
فى غير اخدود كلما رزقوا منها اى متى ما اطعموا من تلك الجنات ومن فى منها لبيان المكان من
ثمرة رزقا اى ثمرة ومن فى من ثمرة زائدة اى كلما رزقوا ثمرة او للجنس ويجوز ان يكون من ثمرة بيانا
فالظرف الاول لغو والثانى مستقر وقع حالا من رزقا فانه مفعول ثان لرزقوا وعلى هذا يجوز حمل الثمرة
على النوع والفرد لان كل فرد مرزوق قال احمد الكردى ومن فى الموضعين للابتداء والمعنى ان
الفعل المطلق وهو الرزق جعل مبدؤه من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتديا من الثمرة والمراد
بها النوع لا الفرد اذ لا معنى لابتداء الرزق من البستان من تفاحة واحدة لانه يوجب ان يكون
المرزوق قطعة منها ليكون من للابتداء وكلا الظرفين لغو وقيل من الثانية تاكيد للاول قالوا
هذا الذى اى مثل ما وشبه ما رزقنا اطعمنا من قبل اى من قبل هذه الثمرة من ثمار الجنة فى
الجنة لان الثمار فى الجنة متشبهة لونا مختلفة طعما فاذا اطعموا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى
بقرينة ما ياتى من قوله واتوا به متشابها وانما قدرنا مثل ما وشبه ما لان اداة التشبيه هنا محذوف
لاستحكام الشبه كقولك زيد اسد وفى التيسير وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة فى
معنى قوله قالوا هذا الذى رزقنا من قبل اى قالوا هذا الذى رزقنا من ثمار الجنة مثل الذى كنا رزقنا
من ثمار الدنيا اى فى الصورة والاسم فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الدنيا مما فى الجنة
الا الاسماء فاشجار الجنة من الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وقال ابو عبيدة ويحيى ابن
كثير ان ثمار الجنة اذا جنيت من اشجارها استخلف مكانها مثلها فاذا راوا ما استخلف بعد الذى
جنى اشتبه عليهم وقالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها اى جيئوا بالرزق
الى الذين امنوا وعملوا الصالحات يشبه بعضه بعضا فى اللون والريح لكن فى الطعم واللذة مختلف او
متشابها اسما لا طعما ولهم فيها ازواج اى نساء من الحور وغير الحور مطهرة من
الاخلاق الذميمة ومن الحيض ومن كل قذر وشهوة الولد فى الجنة غير واقعة لكن لو اشتهى
وقع له فى ساعة واقل ما ورد اثنان وسبعون زوجة وصح خمسمائة والزائد على ذلك فى اسناده
نظر وهم فيها خالدون تا ماكثون ابدا اى دائمون احياء لا يموتون قال صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم ثم لما ضرب الله تعالى المثل بالذباب بقوله
وان يسلبهم الذباب او بالعنكبوت بقوله كمثل العنكبوت قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء
الخسيسة وضرب مثل هذا مما يستحى منه نزلت ردا عليهم على سبيل المقابلة واطباق السؤال على الجواب
كقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ان الله الحيى الكريم لا يستحيى
ان يضرب مثلا لا يتركه للحياء ولا يمنعه ان يذكر شبها او ان يجعل شبها مثلا مفعول اول لضرب
اذا كان بمعنى يجعل وما زائدة للتاكيد فى الخسة فى قوله ما بعوضة كقوله فبما نقضهم وبعوضة
نصب على انه مفعول ثان ليضرب اذا كان بمعنى يجعل كما تقدم آنفا وهو كقوله وجعل الليل سكنا

اونكرة

او نكرة مبهمة فى موضع نصب على انه مفعول ثان ليضرب وبعوضة نعت لها او عطف بيان لمثلا
ورجح بعضهم ان ما مخصوصة تقول جئتك فى امر ما فتفيد النكرة تخصيصا وتقريبا وقرئ بعوضة
بالرفع فما موصولة على هذا اى يضرب الذى هو بعوضة مثلا فحذف العائد على الذى ومثله ما قرئ
تماما على الذى احسن اى هو احسن قال ابو الحسن اعرابه ان يضرب بمعنى ان يجعل ومثلا مفعول
اول له وما نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان اى اى مثل كان او زائدة لتاكيد الخسة فما بعدها
المفعول الثانى انتهى وبعوضة مفرد البعوض وهو صغار البق اى الناموس قال البكرى البعوض
الذباب او البق او صغار الكل قالوا البعوض على صغره كهيئة الفيل على كبره وفى البعوضة زيادة جناحين
والبعوض تطير والفيل تسير والفيل يالف والبعوض ينفر ويوذيك ويستولى عليك والفيل تقهره انت
وتستولى عليه ومن العجيب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير فما فوقها تا اى فما
اكبر واعظم وان يدخل فيها كصغار الذباب والعنكبوت وقال ابو عبيدة وجاء فوقها بمعنى دونها
لان فوق من الاضداد اى دونها فى الصغر كقولك فلان جاهل وفوق ذلك اى دون ذلك واقل منه وهو
كالوراء يكون بمعنى الخلف والامام والمعنى ان الله عز وجل لا يترك بيانه لما فيه من الحكمة البالغة ولما كان اما
حرفا فيه معنى الشرط ويذكر تفصيلا لما اجمل وكان فيه زيادة تاكيد تقول زيد ذاهب فاذا اردت
توكيد ذلك قلت اما زيد فذاهب ومعناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب والاسم بعده مبتدا
ويلزم خبره الفاء لمعنى الشرط قال فاما الذين امنوا بمحمد والقرآن فيعلمون انه اى المثل
الحق اى الثابت المحكم الواقع موقعه لان الحق وضع الشئ فى موضعه من ربهم اى من
مالكهم المصلح لاحوالهم يضرب لهم الامثال ليعرف لهم ما خفى عليهم واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله وما فى موضع رفع مبتدا وخبره ذا واللفظ مركب من ما وذا وكل منهما اسم وذا
بمعنى الذى فالمعنى ما الذى اراد الله بهذا الشئ وهو المثل الذى حقير عندنا فى الصورة مثلا
تا تمييز وما استفهام انكار اى اى فائدة فى المثل اى لا فائدة فيه قالوا لجهلهم فقال الله فى جوابهم
يضل به كثيرا كا اى يضل بالمثل المذكور كثيرا من الخلق لكفرهم به وتكذيبهم اياه فيزدادون
ضلالا وهو اخبار من الله على الاصح وفيه رد على من قال ان الله لا يخلق الضلال ويهدى به
بالمثل المذكور كثيرا كا اى من المومنين لتصديقهم به ووصف المومنون بالقلة فى قوله تعالى
وقليل من عبادى الشكور وفى قوله وقليل ما هم وهذا القلة والكثرة فى الظاهر واما فى الحقيقة فالمومنون
الكثر لكونهم على الحق والكافرون على الباطل وعن ابن مسعود السواد الاعظم هو الواحد على الحق
وما يضل به اى بتكذيب المثل الا الفاسقين تا اى الخارجين عن الطاعة من فرق اهل
الكتاب والنفاق واهل الاشراك والفاسقين منصوب لانه مفعول ليضل وليس نصبه بالاستثناء لان
يضل لم يستوف مفعوله ثم لما نقض اهل الكتاب العهد والميثاق حيث قال الله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم حيث كتموا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم ونقضوا العهد ونسفوا واشتروا به ثمنا قليلا او هو نقضهم المذكور فى قوله تعالى واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الى قوله ثم توليتم من بعد ذلك او هو نقض العرب عهودهم كما اخبر الله عنهم بقوله

Copyright © King ... University

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اى اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير
اى محمد ما زادهم الا نفورا او هو نقض اليهود فى السبت او هو اخذ ميثاق ذرية ادم حين اخرجهم كامثال
الذر وقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم جحدوا بعد الاقرار فنكر خبرهم ونحتهم بنقض العهد والافساد و
قطع ما امر الله به ان يوصل فقال الذين نعت ينقضون اى يفسخون وينكثون عهد الله اى
ما عهدهم اليهم فى الكتب من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم او غير ذلك مما بينا من بعد ميثاقه اى توكيده
وتشديده عليهم حيث قال واخذتم على ذلكم اصرى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من
الايمان بنبينا او بجميع الانبياء كما قال امنوا بالله ورسله فامنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعضهم او اراد
بالوصل صلة الرحم حيث امر الله بذلك فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ومحل ان يوصل جر
لانه بدل من ضمير به وهذا من بدل النكرة من المعرفة او نصب على انه بدل اشتمال من ما تقديره ويقطعون
وصل ما امر الله به اى يوصل او رفع على تقدير هو ان يوصل ويفسدون فى الارض بالكفر و
المعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ذلك من الافساد اولئك مبتداء اى الموصوف
بما ذكر هم الخاسرون تا خبره اى المغبون فى الدنيا لاستبدالهم الضلال بالهدى والنقض بالوفا و
الفساد بالصلاح والعذاب بالمغفرة وبال ضعفائهم التابعين لهم عليهم فاولئك الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة او معناه اى المغبونون فى الدنيا بالقتل على الكفر ونحوه وفى الاخرة بالعذاب الدائم لمصيرهم الى النار
المؤبدة عليهم واصل الخسران نقص الحظ فى الوزن والكيل وغيرهما قال الله ولا تخسروا الميزان ثم استفهم خطابا
لاهل مكة او لكل كافر حيث قال كيف حال من الضمير فى تكفرون بالله العظيم الخالق لكل شئ وتكون
عامل فى الحال تقديره امعاندين تكفرون وهو توبيخ لهم وتعجب فى حقنا بمعنى هم مستحقون لان يتعجب من
شانهم لكفرهم ونصب الدلايل والبراهين على وجوب الايمان بالله وهو تنقلهم من الصلب الى الرحم ثم
الى الدنيا ثم الى الموت ثم الى الحيوة يوم القيمة ثم الى الحساب والجزاء ورتب ذلك بقوله وقد كنتم
امواتا فى الاصلاب لا احساس لكم فاحياكم فى الارحام او الى الدنيا بنفخ الروح فيكم وعقب بالفاء
لسرعة انتقال النطفة من الصلب الى الرحم ولما كان المقام قد يطول جاء بثم حرف التراخى فقال ثم
يميتكم عند انقضاء اجالكم وانتهائها ويطول عليكم مدة اللبث فى التراب ثم يحييكم فى القبر
للبعث وفى هذه الاية اثبات عذاب القبر وراحة القبر وكذلك فى قوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى
حين اى الى الموت وكذلك فى قوله قل الله يحييكم قال ابراهيم بن جعفر ختمت القران مع تفكر وتدبر
سبعمائة مرة حتى استنبطت عذاب القبر وراحته من هذه الايات الثلثة ثم اليه ترجعون تا
اى ثم الى الله تردون بعد البعث لجزاء الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر قال احمد بن يوسف
معناه ثم يرجعون الى ارادته ومشيته لا انه عز وجل فى جهة فيرجعون اليها تعالى علاؤه وشانه
ثم اوما الى منته وقدرته مع اثبات دليل البعث لمنكريه فقال هو الذى خلق لكم ما فى
الارض اى هو الذى اخترع واوجد لانتفاعكم واعتباركم بعد العدم الارض وما فيها من
المعادن وما عليها من الموجودات جميعا حال من ما ويستدل بهذا على ان الاصل فى الاشياء الاباحة
ثم استوى الى السماء اى بعد تمام خلق الارض وما فيها استوى قصد قدرته وسلطانه الى ايجاد

السموات

السموات من غير ان يحدث شيئا اخر يقال استوى الى كذا كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا
لا يلوى الى غيره فسويهن سبع سموات اى خلقهن مستويات السطوح بالاملاس لانه لا عوج
فيها ولا فطور ولا خلل فى روية العين وثم على اصلها من التراخى زمانا لقوله خلق الارض فى يومين
وجعل فيها رواسى من فوقها الاية ومن غفل عن هذا التفصيل جعل ثم للتراخى رتبة لقوله والارض
بعد ذلك دحاها وقيل الدحو متاخر عن خلق السموات لا عن التسوية وليس بسديد لان قوله
والارض بعد ذلك دحاها اشارة الى السابق وهو رفع السمك والتسوية فان قلت فما وجه
اعراب قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت وجهه النصب بمعنى تدبر او تذكر او اذكر
الارض بعد ذلك ثم شرع فى تفصيل احوالها مستانفا بقوله دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها
والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم وفيه اشارة الى ان ايات الارض قاصرة عن عجايب ملكوت السموات
وما يروى من ايجاد الجوهرة النورية والنظر بعين الجلال المبطن بالرحمة والجلال وذوبها وامتيازه
عن كثيفها وصعود المادة الدخانية وبقاء الكثيف ان صح ذلك فكل ذلك سابق على الايام الستة قال
ابو يحيى والضمير المونث للسماء لان السماء جنس او التانيث باعتبار ان السماء جمع سماءة او السماء مفرد
والمراد به الجهة العلوية فكان كل جزء منها سماء او الضمير مبهم وسبع سموات تفسيره وبيانه وهذا
اوجه عندى واحسن لما فيه من الابهام والتفسير والتمييز بعده كقوله ربه رجلا وقال الشيخ
جمال الدين وجمع ضمير السماء لانها فى معنى الجمع الايلة اليه اى باعتبار مصيرها اليه فعلى هذا يكون
سويهن بمعنى صيرهن كما فى اية اخرى فقضاهن سبع سموات ولا تناقض بين قوله خلق لكم ما فى
الارض جميعا ثم استوى الى السماء وبين قوله والارض بعد ذلك دحاها لان الدحو البسط خلق الله
اولا الارض فى موضع بيت المقدس على هيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها ثم بسط منها الارض وفى رواية عن ابن عباس
ان الارض كانت حشفة تحت الكعبة ومعنى حشفة اى اكمة ثم بسط منها الارض وقال استاذى
واقتضت الاية ان الارض بما فيها خلقت قبل السماء وهو صحيح ثم دحيت الارض بعد خلق السماء وبهذا
تجتمع الايات وهو بكل شئ عليم تا اى هو كامل العلم بالاشياء جميعها مجملا ومفصلا قبل الخلق وبعده
افلا تعتبرون ان القادر على خلق المذكور ابتداء من غير شئ وهو اعظم منكم قادر على اعادتكم وبعثكم
ولما خلق الله تعالى الارض اسكن فيها الجن واسكن فى السماء الملئكة فافسدت الجن فى الارض فبعث اليهم
طايفة من الملئكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال واقاموا مكانهم فامر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يذكر قصتهم ليتحفظها وهى عادة الانبياء التذكير فقال واذ منصوب باذكر
مقدرة قال ربك للملئكة جمع ملاك كالشمايل جمع شمال انى جاعل اى خالق او فاعل
وجاعل متعد الى مفعولين اذا كان بمعنى مصير وهما فى الارض خليفة ط اى فى ارض مكة لان
الارض دحيت من تحتها والعموم انسب اى خليفة عن الله فى اقامة احكامه وتنفيذ شرايعه فى الارض
وهو ادم وسمى ادم خليفة لما ذكرنا او لانه خلف الجن حين افسدوا فى الارض وجاء بعدهم او لما
رفع الله الملئكة الى السماء والله وابدل منهم ادم كرهوا ذلك لان العبادة كانت قد خففت عليهم على ما قيل

او لما علمت الملايكة ان الذين يخلفونهم بوحى او بالهام يعصون الله تعالى كالجن فقالوا استعظاما
لله وعصيانه وطلبا للحكمة ذلك لا غيبة وحسدا واعجابا منهم لانهم معصومون عن الذنب راسا
قال الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وانما شاورهم فى ذلك ليكون المشاورة
سنة بين عباده لكونها فعل علام الغيوب ولئلا تعتريهم شبهة وليعلموا ان الحكمة تقتضى ايجاد ما
يغلب خيره اى يكثر فان ترك الخير الكثير للشر القليل خارج عن الحكمة اتجعل فيها من يفسد فيها
بالمعاصى قاسوهم على الجن ولم يعلموا وجه الحكمة ويسفك الدماء اى يصب الدماء ظلما بالقتل
ونحن احق بالاستخلاف وساير احسانك لانا نسبح بحمدك اى ننزهك حامدين لك وملتبسين
بحمدك وتسبيحهم صلواتهم او سبحان الله وبحمده او سبحان الله ولا خير بعدها ونقدس
لك كما اى ننزهك ونطهرك ونثنى عليك بالطهارة عن النقايص وما لا يليق بعظمتك وجلالك
واللام على هذا المعنى زايدة للتاكيد او المعنى نطهر انفسنا من الاثام لاجل طاعتك مذعنين لك
فانك مقدس ازلا وابدا قال الله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون تا من وجه المصلحة باستخلافى
لادم وان كانت افعاله جل شانه لا تعلل فيها والمعنى لا يعلمون حكمة استخلافى لادم وبنيه اذ فيهم
الطايع والعاصى فيظهر العدل والفضل بينهم بالاستخلاف او اعلم ان فيكم ايها الملايكة من يعصينى من
غير جنسكم وهو ابليس فيبعد عن رحمتى وانتم لا تعلمون حكمة ذلك وفى بعض الروايات المشهورة ان الملايكة
قالوا لن يخلق ربنا خلقا اكرم عليه منا ولا اعلم لسبقنا له ورويتنا ما لم يره فخلق الله تعالى ادم من اديم
الارض اى وجهها بان قبض منها قبضة من جميع الوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح
فصار حساسا بعد ان كان جمادا قالوا لما الهم الله الارض بان يخلق منها ما يفسد فيها بكت الارض
فانفجرت منه العيون الى يوم القيمة فبعث الله اليها جبريل ليقبض من اجزايها المختلفة قبضة فقالت
له الارض انى اعيذ بعزة الذى ارسلك الى ان لا تاخذ منى شيئا فرجع وذكر عذره للرب ثم بعث اليها
ميكايل فنفعل به ما فعل بجبريل ثم بعث اليها اسرافيل ففعل به ما فعل بهما ثم بعث اليها ملك الموت فقالت
له ما قالت لهم فقال ملك الموت انى اعيذ بعزة ان اعصى له امرا فقبض منها قبضة وخلق منها ادم
بتربة مكة فسلط عليه ملك الموت بقبض روحه وارواح اولاده وذريته وعلم ادم الاسماء كلها
قيل ادم مشتق من الادمة وهى السمرة او من اديم الارض اى وجهها وكنيته ابو البشر ووزنه افعل
لا فاعل بفتح العين لانه لو كان فاعلا لانصرف وقيل هو عبرانى لا اشتقاق له فان اكثر اسماء
الانبياء لا اشتقاق لها وقيل لا يجوز فى القران غير العربى لقوله تعالى قرانا عربيا وقيل كانت
العرب تتكلم ببعض الكلمات الغير العربية فصارت عربية وقال على بن الحسين بن واقد ليس فى القران
نبطية ولا حبشية ولا غيرذلك لكنها عربية لا عوج فيها قد توافق نبطية وحبشية ونحو ذلك والمعنى
وعلم اسماء المسميات ومعانيها كلها بكل اللغات بعد خلقها وخلق حقايقها ومنافعها وخواصها حتى
علم القصعة والقصيعة وكان التعليم بعد السجود لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له
ساجدين وانما قدم لشدة ارتباطه برد دعوى الملايكة وعدم علمهم بما احاط به علما وقيل اراد
بالاسماء اسماء الملايكة وقيل اسماء اولاده الى يوم القيمة والمعلم هو الله بالهام القاء اليه ذلك فوقع فى قلبه
فجرى

فجرى لسانه بما فى قلبه بتسمية الاسماء من عنده والظاهر انه علمه اسماءه كلها واسماء مخلوقاته
من اهل الارض والسماء واسماء ساير الحيوانات والجمادات والمطعومات والمشروبات وكل نعيم
فى الجنة وقيل ارسل الله ملكا من غير هولاء واوحى اليه بذكر اسماء المخلوقات كلها فسمعها وحفظها
فى ساعته وقيل علمه بلسان واحد ثم وضع بالهام الله ايضا ربيس كل قوم لقومه لسانا فى قيل
جرى لسانه بتسميتها بالالسنة كلها التى يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيمة وعلم هو ذلك كله اولاده
فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان استسهلوه منها والفوه ثم نسوا غيره بعد تطاول الزمان ثم
عرضهم على الملئكة اى عرض المسميات يعنى اصحاب الاسماء من الانس والجن والملايكة والشياطين
وغيرهم من الاحياء والجمادات فاجتمع فى ذلك من يعقل ومن لا يعقل ولذلك قال عرضهم كما هو
قراءة الجمهور دون عرضها وعرضهن تغليبا للعقلاء المذكرين على غيرهم وقال احمد الكواشى وعرض
الاسماء لا يصح والعرض اظهار الشى وان تمر به عرضا لتعرف حاله انتهى وفى التيسير والصحيح ان
الاسماء هى التسميات فى هذه الاية فان التعليم يقع عليها لا على الذوات ويكون معنى قوله ثم عرضهم
اى عرض اصحاب الاسماء على الاضمار وهو جايز انتهى قلت تخصيصه المعروض اما الاشخاص او الاسماء
مشو لانها عن مسمياتها فقال للملئكة انبئونى اى اخبرونى وهذا امر تعجيز وتبكيت لهم باسماء
هولاء الموجودات ان كنتم صادقين حس اى ان كنتم صادقين بانى لا اخلق افضل ولا اعلم
منكم لعصمتكم وجواب الشرط دل عليه ما قبله او ان كنتم عالمين فلما ظهر عجزهم قالوا معترفين
بالعجز سبحانك اى ننزهك عن الاعتراض عليك بان تفعل ما لا حكمة فيه وسبحان مصدر كغفران
لا يكاد يستعمل الا مضافا لا علم لنا الا ما علمتنا ما مصدرية اى الا علما علمتناه ومحله
رفع على انه بدل من موضع لا علم كقولك لا اله الا الله او بمعنى الذى ويكون العلم بمعنى المعلوم اى لا المعلوم
الذى علمتناه قال ابن عباس وجماعة من الاصحاب معناه انك اعلمتنا انهم يفسدون فى الارض فقلنا
على حسب ما ظهر لنا اتجعل فيها من يفسد فيها ولو اكتفوا بقولهم لا علم لنا كان جوابا لكن قالوا الا ما علمتنا
ليكون زيادة عبودة فان قولهم لا علم لنا من باب العذر وقولهم الا ما علمتنا من باب الشكر وهما جماع
كل الخير وقولهم لا علم لنا وصف لانفسهم وقولهم الا ما علمتنا وصف لربهم اى منا النقص ومنك الكمال
ومنا الطلب ومنك الافضال وافادت الاية ان العبد لا ينبغى له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله
واحسانه ولا يانف ان يقول لا اعلم ولا ادرى فيما لا يعلم ولا يدرى فان الملئكة كانوا فى الحضرة وقالوا
لا علم لنا قال بعضهم لا ادرى نصف العلم انك انت العليم بخلقك اذ لا يخفى عليك شى وانت
تاكيد للكاف قال الاستاد والتاكيد بان وانت لدفع ما سبق منهم من مخايل الشك الحكيم حس
المتقن فى صنعه الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وان خفيت على اللبيب الالمعى قال بعضهم الحكيم
هو الذى سوى وقدر ولا ينقض حكمه البشر وهو العالم بعواقب الامور والمطلع على المكشوف والمستور
او الذى لا يخرج شى عن علمه وحكمته لانه يضع الاشياء فى محلها الحكمة والحكيم ايضا هو الذى منع الخلل
ان يتطرق عليه والعالم النحرير لا يانف ان يقول لا ادرى وسئل الشعبى عن مسئلة فقال لا ادرى فقالوا
لا تستحيى وانت امام العراقين قال الملئكة كانوا فى الحضرة وقالوا لا علم لنا فى انا وسئل يعقوب القاضى

رحمه الله عن مسئلة فقال لا ادري فقيل له ترتزق من بيت مال المسلمين كل يوم كذا وكذا ثم تقول
لا ادري فقال انما ارتزق بقدر علمي ولو اعطيت بجهلي لم يسع مال كل الدنيا وسئل ابو بكر العياضي
عن مسئلة وهو على المنبر فقال لا ادري فقيل له ليس المنبر موضع الجهال فقال انما علوت بقدر علمي
ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء وسئل عالم عن مسئلة فقال لا ادري فقال له السايل ليست الصلاة
مكان الجهال فقال العالم المكان لمن يعلم شيئا ولا يعلم شيئا فاما الذي يعلم كل شي فلا مكان له لانه خالق
المكان بقول الفقير مولف هذا الكتاب وانى سئلت عن اية فقلت معناه كذا والله اعلم ثم سئلت
عن حديث فقلت معناه كذا والله اعلم وكان في المجلس رجلان متعصبان اسم احدهما حسن بن
هاويه زادة واسم الثاني كدكلي زادة فسئلا عن مسالة فقهية فتوقفا وتحيرا في الجواب فاجبت
السايل باذنهما فنهقا وقالا ان ارباب الاحاديث واصحابها سد علينا طرق الجواب ثم قاما ونهضا
عن المجلس وهددانى بحاكم البلد وقاضيه انا لله وانا اليه راجعون فانظر يا اخى الى ثمرة علمهما
من الكبر والنخوة فلما عجزوا عن الانباء قال الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم اى انبئ
الملكة واعلمهم باسماء المسميات قال وهب فسمى ادم كل شي في الارض باسمه وذكر منفعته
التى لاجلها خلق وهم جلوس بين يديه في الارض وهو على الكرسى ثم فتحت له السموات فسمى اهل كل
سماء باسمائهم فلما انباهم باسمائهم وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما قال الله تعالى
لهم توبيخا الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما ولا دليل
اليه ولا طريق اليه من علوم الخلق من اهل السماء والارض قيل غيب السموات هو اكل ادم وحوا
من الشجرة التى نهيا عنه وهو اول عصيان كان في السماء وغيب الارض قتل قابيل اخاه هابيل وهو
اول عصيان كان في الارض وقيل غيبهما فيهما ما قضاه فيهما بقضايه السابق من امور خلقه
قال احمد بن يوسف وهذا دليل ان ما اطلع الله عليه بعض عباده يسمى غيبا لانه دخل في ذلك
ما علمه ادم صلى الله عليه وسلم انتهى قلت وقد قال في سورة اخرى ولا يظهر على غيبه احدا الا
من ارتضى من رسول وقد بينت هذا في غنيتي فراجعها واعلم ان ظاهر قوله الم اقل لكم استفهام
ومعناه التقرير اى قد قلت لكم واعلم ما تبدون اى ما تظهرون فيما بينكم جهارا من قولكم اتجعل
فيها من يفسد فيها الاية وما كنتم تكتمون اى وما تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقا
اكرم عليه منا ولا اعلم او وما تكتمون من كل شي ولما ظهر فضل ادم على الملكة بالعلم امرهم بتعظيمه
بسجود التحية ببعض الانحناء لا بسجود العبادة قال واذكر اذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم
والمقول لهم الملكة باجمعهم ارضية او سماوية يدل على ذلك عموم اللفظ وعدم المخصص في
لادم اى الى ادم تخصيصه كان السجود لله عبادة والى ادم تكرمة كالصلوة الى الكعبة قالوا لم
يكن ثم وضع الجباه على الارض انما كان الانحناء فسجدوا الا ابليس استثناء متصل للقايل بانه
من الملكة ومنقطع للقايل بانه ابو الجن كان بين الملكة وليس منهم وعليه الاكثر وابليس غير منصرف
لعجمته وتعريفه وان جعلته عربيا فعدم صرفه لتعريفه وقلة مثاله في كلام العرب واصلت
واجعل من الشواذ ابى واستكبر اى امتنع من السجود وتعظم عنه فراى نفسه اكبر من ادم حيث

قال

قال انا خير منه وكان من الكافرين في علم الله انه لا او صار منهم قاله الكواشي وقال احمد
الكردي اى كان من الكافرين في علم الله اشارة الى المذهب اذ لا يمكن تغيير معلومه ولا يلزم
تكليف المحال لوجود الاختيار او صار من الكافرين لاستقباحه ما استحسنه الله عز وجل
لان ترك المامور به من غير استقباح لا يوجب الكفر انتهى ولم يكن لادم من يونسه في الجنة
فخلقت من ضلعه الايسر من قصيراه وهو نايم فاستيقظ فراها عنده فقال من انت فقالت
زوجتك اسكن اليك وتسكن الى فقال له عز وجل وقلنا يا ادم اسكن اى استقر لانه ضد
الحركة انت تاكيد للضمير المستتر في اسكن ليعطف عليه قوله وزوجك الحواء بالمد الجنة اى جنة
الخلد وهي في السماء السابعة وكلا منها رغدا اى اكلا واسعا كثيرا لا حجر فيه حيث شئتما
اى في اى مكان كنتما وسع ذلك ازالة للعذر في تناول ما نهي عنه ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل
منها هي شجرة يعلمها الله ومنهم من عين فقال الحنطة او التينة او اللوز او الكرم او الاترج او
النخلة او شجرة العلم وفيها من كل شي او الكافور وغير ذلك وصح عن ابن عباس انها السنبلة فتكونا
بالجزم لانه عطف على تقربا او نصب لانه جواب للنهي من الظالمين اى فتصيرا من العاصين
الضارين لانفسهم بمخالفتي واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه فازلهما الشيطان عنها
قرا حمزة فازالهما بالالف بعد الزاى اى نحاهما ابليس عن المكان الذي كانا فيه من خيار الجنة
وقرا الباقون بلا الف مع تشديد اللام والمعنى دعاهما الى الزلة اى المخالفة المبعدة عن الجنة وهذا
من باب ترك الافضل والاتيان بالفاضل وهذا عوتبا على الاكل قالوا لما سكنا الجنة واحتباها حسدهما
ابليس الخبيث فمنع من دخول الجنة بالكلية فادخل ابليس الحية في الجنة بحليه او كان ابليس بدنو
من الجنة بحيث يتراءى لهما فلما راهما بكى ابليس وناح بنياحة احزنتهما وهو اول من ناح فقالا ما
يبكيك قال ابكي عليكما فانكما تموتان فتفارقان نعيم الجنة فاهتما لذلك ثم قال لادم هل ادلك على
شجرة الخلد فابى ادم ذلك فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاكلت حواء اولا ثم ناولت ادم
فاكل بعد امتناع فاخرجهما مما كانا فيه وفي التيسير وضمير فيه راجع الى اللباس الذي كانا فيه
حتى بدت لهما سوءاتهما وقيل وهو قول الاكثرين انه راجع الى الجنة فان قيل فعلى هذا كيف يرجع
ضمير فيه الى الجنة قلنا هو راجع الى ما في قوله مما كانا وقيل راجع الى النعيم اى فاخرجهما من الحال
الذي كانا فيه اى من النعمة والراحة والسرور الى البلاء والمحنة والشدة ثم انه عز وجل قال لادم
الم يكن بك يا ادم مندوحة عن اكل هذه الشجرة فقال بلى يا رب ولكن زينته لي حواء وما كنت اعتقد
ان احدا يحلف بك كاذبا وبه يدل على ان القول كان من الله عز وجل قوله وقلنا اهبطوا اى انزلوا
واخرجوا من الجنة العالية الى الارض وخطاب الجمع لادم وحواء وما اشتملتهما عليه من ذريتهما
لانهما الاصل فكانهما الجنس كله حيث نزلا منزلة الجنس البشري لانهما اصله والدليل على ذلك قوله
عز وجل في سورة طه اهبطا منها جميعا وقال مجاهد الخطاب لادم وحواء وابليس وقال
ابن عباس الخطاب لهم وللحية وقال بعضهم الخطاب لخمسة فزاد في ذلك طاوس قلت
والاظهر الاقوال ان الخطاب لادم وحواء وذريتهما اشتملتهما عليه بعضكم اى بعض الذرية

Copyright © King Saud University

لبعض عدوٌّ اى اعداء من ظلم بعضهم بعضاً وتضليل بعضهم بعضاً ولكم فى الارض مستقر
اى موضع قرار على وجه الارض او فى القبور ومتاع الى حين اى وما تتمتعون به من نبات
الارض وبركاتها الى وقت انقضاء اجالكم قال الاستاد معناه ولكل انسان مكان فى الارض
مستقر فيه بلغة ومنفعة وتمتع يتمتع بما قسم له فيه مدة حياته وقد اشتهر استعمال المتاع فى
نفع قليل يشارف الزوال كمتاع المسافر ولذلك يستعمل فى معرض التحقير قالوا لما اهبط ادم الى الارض
خر على وجهه فى موضع البيت اربعين صباحاً لا يرفع راسه من السجود حياء من الله وكان لغته
فى الجنة العربية فلما اكل من الشجرة كان تكلمه بالسريانية فلما تاب الله عليه رد عليه العربية
وبكى على ما جرى عليه ثلثماية سنة فتلقى ادم من ربه كلمات اى الهمه الله كلمات فاستقبلها
وتعرض للقائها فاخذها بالاجلال والاكرام كما يتلقى الاعزة واصل التلقى القبول عن فهم وعلم وفطنة
ومنه الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يتلقى من جبريل تلقيا القراة برفع ادم على انه فاعل وبنصب كلمات
على انه مفعول هذا قراة الاكثرين والقراة ايضا برفع كلمات على الفاعليه ونصب ادم على المفعولية اى جاءته
كلمات ووصلته فكانت الكلمات استقبلته واتته هذا على القراة الثانى وهو قراة ابن كثير والكلمات التى
تلقاها ادم من ربه وبسببها كانت التوبة هى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين قالوا وهذه هى الكلمات التى تلقيها ابراهيم فتاب عليه قيل كلمات ادم وابراهيم هى ايتمارهما
بالامر وانتهاؤهما عما نهى عنه فغفر لهما بذلك او هى التسبيح والتحميد والاستغفار والمناسك يعنى
امر حتى حج البيت وتكلم بهذه الكلمات وقيل هى الصلوة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم او سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك او لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب
الا انت او لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى انك انت الغفور الرحيم او لا
اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسى فارحمنى انك انت ارحم الراحمين او هى الحياء وبعض
هذه الادعية مع البكاء او قوله اسالك بحق محمد الا غفرت لى او سبحانك لا اله الا انت انى كنت من الظالمين
او لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت رب سوءاً وظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم
او هو قوله يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال يا رب
الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت ارجعنى الى الجنة قال نعم فتاب واصلح فى توبته
اى ما نقضه فتاب عليه او قال يا رب ارايت ما اتيته اشىء كتبته على قبل ان تخلقنى او شىء ابتدعته
على نفسى قال بل شىء كتبته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فما كتبت على فاغفر لى او قال يا رب بمعرفتى
انه لا يسعى سالع الا بمشيتك وقدرتك تغفر له او قال يا رب ما خرجت الا بك فقال صدقت فتاب عليه
او دعا بهذا الدعاء فتاب وهو اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى
سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم انى اسالك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم
انه لن يصيبنى الا ما كتبت لى ورضا بما قسمت لى وفى نسخة ورضا بقضائك فاوحى الله اليه يا ادم من
قال من ذريتك هذا غفرت له ذنوبه فتاب عليه اى رضى منه وقبل توبته وزوى ذكر حواء
لانها تبع كما يطوى ذكر النساء فى اكثر الاحكام قال الاستاد وبالفاء دل على ان التلقى كان توبة

غاية

من ادم والتوبة من العبد الرجوع الى الطاعة بالاقلاع عن المعصية والعزم ان لا يعود ويلزمه
الندم على الماضى ومن الله تعالى الرجوع اليه بالغفران ومحو الذنب عن ديوان الحفظة انه هو
التواب اى الكثير التوب الذى يقبل التوبة مرة بعد مرة من عباده وان كثرت ولا يقال لغير الله
التواب الرحيم بخلقه وعباده واتى بصيغة المبالغة ترغيبا للتايب وتطميعا له فى الرحمة قلنا
اهبطوا منها اى من الجنة جميعا كرر الامر بالهبوط ليصح العطف فان بين المعطوف والمعطوف عليه
مغايرة فى المعنى فالاول معناه اهبطوا على عداوة بعضكم لبعض وعلى سكناكم فى الارض الى حين ثم ذكر
امرهم بالهبوط ثانيا للابتلاء بالطاعة فى ساير تكاليف الشرع فالخطاب بقوله فاما ياتينكم
لذرية ادم لان ابليس وذريته لا ياتيهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع منى هدى اى
كتاب ورسول ورشد وبيان شريعة وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض
بينهما كلام وهو تلقية الكلمات وتليه قبول التوبة فاعاد الاول ليتصل المعنى الثانى به وهو الابتلاء
بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال ابو يحيى كرره للتاكيد اى لشدة
العناية باتيانهم او كرره لان الهبوط هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثانى من السماء
الدنيا الى الارض فهبط ادم بسرنديب بالهند وحواء بجدة وابليس بالابلة والحية باصفهان
وجميعا حال فى اللفظ وتاكيد فى المعنى كانه قيل اهبطوا انتم جميعا ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على
الهبوط فى زمان كقولك جاؤا جميعا وفى التيسير الفاء للتعقيب واصل اما ان ما فان حرف شرط
ادغمت فى ما وما صلة ويات بحذف الياء فعل شرط والنون للتاكيد فعادت الياء المحذوفة
بسبب ان الشرطية وجواب هذا الشرط هو شرط الثانى مع جوابه وهو قوله فمن تبع هداى اى
امن بى وبكتابى ورسولى وعمل بطاعتى فمن حرف شرط مرتفع محلا على انه مبتدا وخبره تبع
هداى وفى تبع ضمير راجع الى من وجواب قوله فمن هو قوله فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم
فضلا ان يحل بهم مكروه وفمن مع جوابها جواب لقوله فاما ولا هم يحزنون فى فوات محبوب على
ما خلفوا فى الدنيا ولا فى الاخرة اذا احزن الناس تخيصه ولا يعتريهم هم الذى هو ضد الفرح فى الاخرة
بان يدخلوا الجنة قال استادى والمعنى على التفصيل فمن عمل بالكتاب فلم يخالفه واطاع الرسول
ولم يفارقه فليس عليهم خوف فيما بين ايديهم من الاخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا
ثم اوعد الكافرين بعد وعد المومنين فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اى بجميع كتبنا او
بالايات القرانية وهذا عطف على قوله فمن تبع هداى وقسيم له كانه قال ومن لم يتبع هداى بل
كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا ولما لم يكن للكافرين مقر فى
الاخرة سوى النار وكانهم قد ملكوها فصاروا اصحابها فلذلك قال اولئك اصحاب النار ثم اكد
ذلك بقوله هم فيها خالدون اى ماكثون ابدا لا يموتون فيها ولا منها يخرجون وانتظام
قوله يا بنى اسرائيل الى اخره بتمام قصة ادم هو ان الله تعالى عدد علينا نعمه ومنته التى عددها
على ابينا ادم وعدد ايضا نعمه ومنته التى انعم بها على بنى اسرائيل يعنى اولاد يعقوب فى الزمن السابق
على اولادهم الكاينين فى زمن نبينا ايضا كفلق البحر واغراق فرعون والمن والسلوى وغير ذلك لان

Copyright King Saud University

المنة على الاباء منة على الابناء واستظامه ايضا بما مضى من قبل قصة ادم هو انه قال قبلها الذين
ينقضون عهد الله ثم امرههنا بالوفاء بعهد الله واصل بنى بنين وهو جمع ابن وسقطت النون
للاضافة والبنون اسم للذكور والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا كنعت الرجال يشتمل الذكور
والاناث اذا اجتمعوا واسرايل باسم يعقوب قال ابن عباس اسر ابالعبرانية عبد وايل
هو الله ومعناه عبد الله وفيه اقاويل اخر لا يعول عليها هذا معنى يا بنى اسرايل فردا فردا واما
معناه من حيث المجموع يا بنى عبد الله اذكروا اى اشكروا نعمتى التى انعمت عليكم اى نعمتى
التى انعمت بها على ابايكم من الانجاء من الغرق ومن تظليل الغمام وتفجير العيون من الحجر للشراب
والعفو بعد اتخاذ العجل وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى والانعام وهو ايصال الاحسان الى سواك
بشرط ان يكون ناطقا فلا يقال انعم فلان على فرسه واوفوا بعهدى اى اتموا عهدكم
الذى عاهدتمونى بامتثال امرى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد كتموا اوصاف نبينا فى توراتهم وانجيلهم
اوف بعهدكم اى اتمم جزاءكم الذى عهدته اليكم وهو الثواب عليه بدخول الجنة قال الله لئن
وفى بالعهد لاكفرن عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار قال بعض مشايخنا
معناه اوفوا بعهدى الذى قبلتموه يوم الميثاق اوف بعهدكم الذى ضمنت لكم يوم التلاق واوفوا بعهدى
فى ان لا تتركوا على غيرى اوف بعهدكم فى ان لا امنع منكم خيرى واياى منصوب بمحذوف اى واياى
فارهبوا لا بقوله فارهبون فان ارهبون قد اخذ مفعوله ومعنى قوله فارهبون اى خافونى فى
نقض العهد ورميه وراء الظهور ولا تخافوا غيرى وقال امامنا القشيرى معناه افردونى بالرهبة
لانفرادى بالقدرة وفى الكلام معنى الشرط اى ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ونزلت فى علماء اليهود
كعب بن الاشرف واصحابه قوله تعالى وامنوا بما انزلت وهذا تفسير للعهد الذى مر انفا اى امنوا
ايها اليهود بالقران الذى انزلته على محمد مصدقا لما معكم اى موافقا للتوراة التى معكم فى
التوحيد والاخبار عن الامور الماضية والمستقبلة وفيها ذكر بعثة محمد وانزال القران عليه ومصدقا
حال موكدة من الهاء المحذوفة من انزلت ولا تكونوا اول كافر به اى بالقران من
اهل الكتاب او بالتوراة لان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثابت فى التوراة فبكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم
كفروا بالتوراة والهاء على هذا لمحمد اى ولا تكونوا اول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كقوله فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانما قلنا من اهل الكتاب لان قريشا كفروا قبل ذلك والنهى عن الكفر لخصوصه لما فيه من عظم
الاثم لان خلفهم تبع لهم فاثمهم عليهم ولا تشتروا اى لا تستبدلوا باياتى التى فى كتابكم من نعت
محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا اى عرضا يسيرا من الدنيا اى لا تكتموا صفته خوف فوات ما تاخذون
من سفلتكم ورؤسايكم قالوا ان كعب بن الاشرف اعطى لاصحابه لكل واحد منهم صاعا من شعير و
اربعة اذرع من كرباس حتى بدلوا نعت النبى صلى الله عليه وسلم بنعت الدجال وهذا هو الثمن القليل فى
هذه الاية وما اخذوه لم يكن ثمنا حقيقة لكن اخذوه عوضا فكان فى صورة المبيع تبا لمن باع واشترى
اخر الدهر قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة

ومن

ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فورد بنى قريظة وبنى النضير
واهل خيبر وفدك وساير من وافق كعب بن الاشرف فى كتمان صفة النبى صلى الله عليه وسلم من جميع
اليهود الى يوم القيمة على كعب بن الاشرف قال الحسن الدنيا بحذافيرها قليل واياى فاتقون
اى فاخشون وخافون فى شراء الايات بالثمن القليل دون غيرى الوقاية حفظ الشىء مما يؤذيه
لغة وشرعا حفظ النفس عما يوثمها وقد تسمى التقوى خوفا وخشية وتسمى الخوف تقوى ولا تلبسوا
الحق اى لا تخلطوا الحق الذى انزلت عليكم من بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذى
تغيرونه ولا تكتموا الحق الذى هو صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون اى والحال
انتم تعلمون ان نعته حق ثابت فى كتابكم وانه نبى مرسل قال الكواشى والباء للاستعانة
كقولك كتبت بالقلم والمعنى لا تجعلوه ملتبسا باستعانة باطلكم او زايدة وتكتموا جزم عطف
على تلبسوا او نصب جواب النهى باضمار ان والواو للجمع المعنى لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمان
الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن انتهى واقيموا الصلوة اى اديموا الصلوات الخمس بمواقيتها
وشروطها واركانها وحدودها واتوا الزكوة اى ادوا واعطوا الزكاة المفروضة من اموالكم
واركعوا مع الراكعين اى صلوا مع المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه قال احمد معناه
صلوا صلوة ذات ركوع لان اليهود لم يكن فى صلوتهم ركوع او صلوا مع من فى صلوتهم ركوع وهم المسلمون
وهذا حث على الصلوة جماعة فانها سنة موكدة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وذكر الركوع
بالخصوص دليل على ركنيته قال استاذى واللام فى الصلوة والزكوة للعهد او للجنس اى صلوا صلوة
المسلمين وادوا زكاتهم فان ما عدا صلوة المسلمين وزكاتهم ليس بصلوة وزكوة وفى الاية دليل على الامر
باتباع ملتنا المحمدية وكان الرجل من علماء اليهود يقول لاقربايهم من المسلمين اثبت على دين محمد فان
امره حق ودينه صدق وكانوا لا يفعلون ما يامرون به كيلا تفوتهم الرشوة والرياسة فنزل انكارا
عليهم وتعجيبا منهم اتامرون الناس بالبر اى بالخير الواسع وهو الايمان بمحمد والطاعة لربه
وتنسون انفسكم اى تتركونها فلا تامرونها بالايمان به ولا تتبعونه فى طاعة الله البر الخير الواسع ومنه
قول المجيب صدقت وبررت اى اتيت ايها المؤذن بخير واسع فى صدقك حيث دعوت كل سامع الى
الصلوة والفلاح وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون او بالصدق وهم يكذبون وفى معناه قوله
تعالى لم تقولون ما لا تفعلون روى البخارى ومسلم عن ابى وايل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون
يا فلان الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت امركم ولا افعل وانهاكم وافعل ولقد احسن
من قال ⁂ ما اقبح التزهيد من عالم ⁂ يزهد الناس ولا يزهد ⁂ لو كان فى التزهيد صادقا ⁂ اضحى
وامسى بيته المسجد ⁂ ثم وبخهم بقوله وانتم تتلون الكتاب وانتم تقرؤن التوراة وفيها نعت
محمد والوعيد على مخالفة القول العمل افلا تعقلون ان الايمان بمحمد حق والطاعة لربه كذلك فتتبعونه
او افلا تعقلون سوء فعلكم وصنيعكم فترجعون يقال للقوة المتهيئة للعلم عقل وللعلم المستفاد بتلك
القوة ايضا عقل واصلهما المنع والاستمساك ومنه عقال البعير وهو ما تشد به ركبته فيمنعه من الشرود

Copyright King Saud University

فالعقل الصحيح يمنع صاحبه من الكفر وسائر الاشياء القبيحة قال الاستاد والعقل قوة غريزية في
القلب يحصل بها الادراك عند سلامة الآلات واستعينوا بالصبر اي اطلبوا المعونة على امورکم وقضاء
حوائجكم بحبس النفس على ما تكره مطلقا والصلوة ﻫ بان تصلوا صابرين على مشاق العبادة وغيرها
افرد الصلوة بالذكر تعظيما لشانها وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر بادر الى
الصلوة وفي رواية اذا احزنه امر فزع الى الصلوة واصل الصبر الامساك في ضيق ومنه النهي عن المصبورة
والصبر الصوم ومنه شهر الصبر لرمضان والخطاب للمسلمين وقيل لليهود وذلك حين عاقهم الشره
وحب الرياسة عن الايمان فامروا بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة وامروا بالصلوة لانها تورث
الخشوع وتنفي الكبر وانها اي الاستعانة بالصبر او الاستعانة بالصلوة قال الاستاد الضمير للصلوة ان
قيد الصبر بالصبر عليها لانها المقصود والمذكور لفظا هو الصبر وان فسر بمعنى اخر كالصوم بقرينة الصلوة فاي
للاستعانة فيكون اشمل وقيل الواو في قوله والصلوة بمعنى على اي استعينوا بالصبر على الصلوة لكبيرة
اي لشاقة ثقيلة عظيمة من كبر الشيء عظم الا على الخاشعين ﻫ اي الخائفين من ربه الساكنين
المطمئنين الى طاعته فان الصلوة بل سائر الطاعات خفيفة عليهم لا ثقل فيها وذلك لتوقعهم ما ادخر
لهم من ثوابها وثقلت على غيرهم لانهم لا يتوقعون ثوابها ثم ان جعلت ما بعد الخاشعين صفة لها لم تقف على
الخاشعين ويتم الوقف على الخاشعين ان نصبت او رفعت مدحا الذين يظنون اي يوقنون وفي
بعض المصاحف يعلمون والظن قد يكون بمعنى اليقين وقد يكون بمعنى الشك لانه من الاضداد كالرجاء لا
قد يكون بمعنى الامن وقد يكون بمعنى الخوف انهم ملاقوا ربهم اي معاينوا ربهم في الدار الاخرة حين
البعث او صائرون اليه يوم القيمة وانهم اليه اي الى حكمه وقضائه راجعون ﻫ يوم القيمة فيجازيهم
باعمالهم قال الاستاد الظن هنا بمعنى اليقين البتة يدل على ذلك ويؤيده قوله وانهم اليه راجعون
الا ان يقدر له عامل اي ويعلمون كما مر في بعض المصاحف وهو خلاف الظاهر يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم بالشكر عليها بطاعتي ومحل قوله واني فضلتكم نصب على انه عطف
على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي اباءكم قال الاستاد ومعنى فضلتكم اي ميزت اباءكم على العالمين
ﺣﺲ اي على عالمي زمانهم وبتفضيل الاباء يحصل تفضيل الابناء قال استادي رحمه الله في معنى قوله
واني فضلتكم على العالمين اي على الموجودين في زمنكم وهو وان كان للاباء فيحصل به الشرف للابناء اذا سلكوا
مسلك ابائهم والا فهو تانيب وتوبيخ لهم ولما ذكر الله تعالى فضلهم بان جعلهم اولاد الانبياء مع
بعدهم منهم في الزمن قالوا ان اباءنا يخلصوننا يوم القيمة فقال واتقوا اي خافوا يوما مفعول به
لا ظرف لان الامر بالتقوى لا يقع يوم القيمة وايضا ان نفس اليوم يتقى بسبب ما فيه قال الاستاد
والمعنى واخشوا عذاب يوم لان نفس اليوم لا يتقى لا تجزي اي لا تقضي فيه او لا تؤدي فيه نفس
عن نفس شيئا من الحقوق التي لزمتها فلا تغني ولا تكفي شيئا من الشدائد في يوم القيمة وشيئا
منصوب على انه مفعول به او واقع موقع المصدر وهو جزاء وتنكيره عز وجل النفس مؤذن ان لا نفس
تجزي عن نفس ما شيئا ما الا من شاء الله عز وجل قال الاستاد والمعنى لا تغني او لا تقضي او لا تؤدي
نفس مؤمنة عن نفس كافرة وهو كقوله لا يجزي والد عن ولده وقوله لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم وكيف

ينفع

ينفع وقد قال يوم يفر المرء من اخيه نعم هذا في حق الكافر واما المؤمن فقد استثناه بقوله يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي خال عن الشرك وبقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى الا من امن وعمل صالحا يقول اجزى عنه اي كفى عنه واصل الجزاء المقابلة وتجزى نسمة عن نسمة ومحل
لا تجزي وما اتصل بها منصوب على انه صفة ليوما والعائد على الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه
ولا يقبل القراءة بياء التذكير على ان الشفاعة بمعنى التشفيع الذي هو سوال في الخلاص والقراءة ايضا
بتاء التانيث لتانيث الشفاعة منها اي من النفس الاولى التي في قوله لا تجزي نفس شفاعة اي
للنفس الثانية في قوله عن نفس شيئا والمعنى ليس لها شفاعة فتقبل لقوله فما لنا من شافعين ولا يقبل
على القراءتين الصحيحتين المذكورتين على بناء المجهول وقرئ على بناء الفاعل ونصب شفاعة على ان الفاعل
هو الله والشفاعة ضد الوتر لان الشفيع مع المشفوع له زوج وحقيقتها ضم واحد الى اخر ناصرا
له وسائلا عنه واكثر ما يستعمل في انضمام الاعلى الى من هو رتبة منه قال امامنا القشيري فالله تعالى
هو الشفيع الاكبر على التحقيق وان كان لا يطلق عليه اسم الشفيع لعدم التوفيق وقد قيل في معناه الحمد لله
شكرا فكل خير لديه صار الحبيب شفيعي الى شفيعي اليه ولا يؤخذ منها عدل وضمير منها للنفس
الثانية اي المشفوع لها بدليل قوله ولا هم ينصرون ﻫ فان ضميرهم للنفوس المجزي عنها والتذكير
باعتبار الاشخاص والمعنى لا يؤخذ من النفس المشفوع لها من اهل الكفر فداء ولا هم يمنعون من عذاب الله
اي لا يعاونون فلا يمنعون عن ايدي المعذبين ومعنى عدل اي فداء واصل المعادلة المماثلة والمساواة
وانما اطلق العدل الذي هو المساواة والمماثلة على الفداء لان الفداء يساوي المفدى به ويماثله واصل النصر العون
والمنع روي ان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم يشفعون لهم فايسوا بهذه الاية قال احمد الكواشي تلخيصه
لا شافع ولا نافع ثم الا الله تعالى ومن شاء من خلقه انتهى قال الشيخ والمعنى لا يؤخذ من الكافر فدية
ينجو بها من النار ولا يجد ذلك ليفتدي به اصلا لقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة ولقوله ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم
ولقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولقوله لو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه الاية ولقوله ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولقوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين سد عليهم طرق دفع العذاب سواء في ذلك مجانا او بعوض او بشفاعة او بقهر ناصر وليس
في الاية دلالة على عدم الشفاعة لاهل الكبائر وفي الحديث انه يعطى كل مؤمن يهوديا او نصرانيا
فيقال له هذا فداؤك من النار واجمعوا على ان قوله ولا هم ينصرون هو في حق الكفار وذلك لان الله قال
في حق المؤمنين انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا الاية واذ نجيناكم عطف على اذكروا اي اذكروا
نعمتي واذكروا اذ نجيناكم والنجاء من النجوة للمكان المرتفع المعنى جعلنا اباءكم بمكان حريز فنجوتم بنجاتهم و
الخطاب بنجيناكم وبما بعده للموجودين من اليهود في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما انعم على ابائهم واجدادهم
واسلافهم تذكيرا لهم بنعم الله ليؤمنوا تلخيصه واذكروا اذ خلصنا اجدادكم ومن عادة العرب ذكر الابناء
وارادة الاباء والاجداد كقولهم قتلناكم يوم عكاظ اي قتل اباؤنا واجدادنا اباءكم واجدادكم من
آل فرعون اي من اتباع فرعون وحقيقة الآل هم الذين يؤول امرهم اليه في نسبة او صحبة او في دعوى

Copyright © King Saud University

لقب لمن ملك العمالقة وكان اسم من يملك مصر كقيصر لمن ملك الروم وخاقان لمن ملك الترك وتبع لمن ملك
اليمن وكسرى لمن ملك الفرس قال بعضهم وفرعون لقب لمن ملك العمالقة وكان اسم فرعون موسى
مصعب بن ريان وقيل واسم فرعون موسى وليد بن مصعب بن ريان من بقايا عاد وكان بين فرعون
موسى ويوسف اكثر من اربعماية عام **يسومونكم** اى يذيقونكم ويبغونكم ويلزمونكم ويكلفونكم كما يفعل بالسائمة
واصل السوم الذهاب في طلب الشئ والابتغاء من سامه خسفا اذا اولاه ظلما ومنه سامت الابل اى ذهبت
فى المرعى حيث شاءت وسمته كذا بغيته اياه والزمته به **سوء العذاب** اى اشد العذاب واسوءه واقبحه
وسوء مصدر ساء يسوء والمفعول الاول ليسومونكم والمفعول الثانى سوء العذاب والجملة حال من ضمير
انجيناكم او من آل فرعون او منهما لان فيها ضمير كل واحد منهما ثم بين سومهم وسوء عذابهم بقوله **يذبحون**
ابناءكم اى يقتلون المولودين فى صغرهم **ويستحيون نساءكم** اى يستبقون بناتكم ويتركونهن من غير
تعذيب وقتل فالاستحياء استفعال من الحياة وكذا الاستبقاء لانهم كانوا يستبقونهن ولم يقتلوهن ليخدموهم والذى
حمل فرعون على قتل الاطفال واستحياء البنات هو انه رأى نارا فى نومه خرجت من بيت المقدس احرقت جميع
القبط ولم تضر باسرائيل فسال عن كهنته فقالوا له يولد فى بنى اسرائيل من يكون هلاكك على يده فامر بقتل
الغلمان فكثر القتل فيهم سنة وتركهم سنة فولد هارون فى سنة لا قتل فيها وموسى فى سنة فيها قتل **وفى**
ذلكم بلاء وجاء البلاء بمعنى المحنة وبمعنى النعمة فان كانت الاشارة الى العذاب فالبلاء بمعنى المحنة اى فى
فعله فيكم وصنيعه بكم من الذبح محنة ومشقة وفتنة شديدة **من ربكم عظيم** صفة البلاء وان كانت
الاشارة الى الانجاء والخلاص فالبلاء بمعنى النعمة والرحمة اى وفى انجائكم وخلاصكم من آل فرعون نعمة عظيمة
من ربكم وانما قلنا وجاء البلاء بمعنى المحنة وبمعنى النعمة لانه عز وجل قال مرة وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا
وقال مرة اخرى ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال احد الكواشى ويختبر تعالى على النعمة بالشكر وعلى الشدة
بالصبر قصته مختصرا صحيحا هو ان موسى صلى الله عليه وسلم خرج ليلا هاربا بجميع بنى اسرائيل من فرعون
وجنوده فتبعهم بجنوده فلما ابصرهم قال اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين
فاوحى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فاوحى اليه ان كنه فضربه فى يوم عاشوراء وقال انفلق ابا خالد
كناه بذلك لطول بقايه فانفلق اثنى عشر مسلكا ثم ارسلت عليه الريح والشمس فصار يبسا فدخله بنو اسرائيل
فلم ير بعضهم بعضا فخاف بنو اسرائيل اذ ذاك فصار فى الماء كوى يرى بعضهم بعضا فقال فرعون لاصحابه
انظروا كيف انفلق البحر لهيبتى ولادرك عبيدى وكان على فحل ادهم فكان يهرب من البحر فجاء ابو الفتوح جبرئيل على
فرس انثى وتقدمه الى البحر فشم ادهم فرعون ريح فرس جبرئيل وتبعته الخيول فدخلوا فيه وخرج منه موسى
ثم انطبق على فرعون واصحابه فغرقوا جميعا وهو بحر قلزم بينه وبين مصر سفر ثلثة ايام وقلزم اسم الجبل
صغير على طرف البحر بقرية يقال لها فى زمننا سويس وقيل هو بحر من بحار مصر يقال له اساف فذلك قوله **و**
اذكروا **اذ فرقنا** اى فلقنا وفصلنا **بكم البحر** الباء للسببية ومحله النصب على الحالية اى فرقناه بكم او لاجل
انجائكم حين دخلتموه هاربين من عدوكم او ملتبسا بكم حين دخلتموه هاربين من عدوكم فالباء للمصاحبة
كقول ابى الطيب ٭ تدوس بنا الجماجم والتريبا ٭ ويسمى بحرا لاتساعه ومنه سمى الفرس بحرا اذا اتسع فى
جريه **فانجيناكم** من الغرق بفضلنا **واغرقنا آل فرعون** بعظيم قوتنا وقهرنا وعدنا اى فرعون

مع جيوشه

مع جيوشه باعتبار موته فى البحر وان نجى جيفته الميت حيث رماه الى الساحل كى يرونه ويشاهدونه
بنو اسرائيل لذا قال **وانتم** يا بنى اسرائيل **تنظرون** الى مصارعهم وانطباق البحر عليهم وجاء النظر بمعنى
العلم كما فى هذه الاية ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون وقومه لم يكن لهم شريعة ينتهون اليها
وعد الله موسى بالتورية وجعل ميقات ذلك بعد اربعين ليلة ذى القعدة بكماله وعشرا من ذى الحجة وذكر
الميعاد بالطول كما قال **واذ وعدنا موسى اربعين ليلة** فيعطيه عند تمام ذلك التورية لتعملوا بها
وفى الكلام حذف اى تمام اربعين وليلة تمييز وذكر الليل دون النهار لانه الاصل خلقا لان الظلمة سابقة
على النور ولان شهور العرب وضعت على سير القمر فاول الشهر يحسب من الليل وقيل موسى اسم عبرى عرب عن موشا
بالمعجمة ومعنى مو الماء ومعنى شا الشجر لانه وجد بين الماء والشجر وقلبت المعجمة مهملة فى العربية القراءة وعدنا من
الوعد بغير الف والقراءة ايضا واعدنا من باب المفاعلة ولكن هنا من واحد كعاقبت اللص فعلى هذا الوعد من
الله وحده ومن موسى القبول واعلم ان وعدنا متعد الى مفعولين موسى هو الاول واربعين هو الثانى فذهب
موسى الى المناجاة واستخلف عليهم هارون وصاغ السامرى من الحلى التى كانوا قد استعاروها عند هربهم
من فرعون بعلة عرس كان لهم عجلا والقى فيه ترابا كان اخذه من حافر فرس جبرئيل فخار خورة ومشى
مشية وكان بنو اسرائيل قد اختلفوا فى الوعد فعدوا يوما وليلة واحدة بيومين كاملين الى تمام العشرين
فقال السامرى هذا ربكم نسيه موسى هنا وذهب يطلبه فاقبلوا كلهم على عبادة العجل فعبدوه الا هارون
مع اثنى عشر الفا فذلك قوله **ثم اتخذتم العجل** الذى صاغه لكم السامرى الها تعبدونه **من بعده**
اى من بعد ذهاب موسى الى الطور **وانتم ظالمون** اى بوضع العبادة فى غير محلها والظلم هنا بمعنى الشرك
ثم عفونا عنكم من بعد ذلك المعنى محونا ذنوبكم بعد شرككم لما تبتم عن عبادة العجل وقيل
كان اسم العجل بهموت او بهموت **لعلكم تشكرون** اى ارادة ان تشكروا الله سرا وعلانية فى مقابلة
العفو لان العفو يوجب الشكر قال الاستاذ ولعل هو ترج فى حقهم معناه لكى تشكروا ولتكونوا فى
صورة من يرجى منه الشكر ومن تسبيح داود سبحان من جعل العجز عن شكره شكرا كما جعل الاعتراف بالعجز
عن معرفته معرفة والشكر فى العرف صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله **واذ اتينا** اى اعطينا
موسى الكتاب اى التورية التى فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام ولاجل ذلك عطف قوله **والفرقان** على
الكتاب الذى هو التورية كالصفة الكاشفة والعطف التفسيرى ولهذا المعنى سمى القرآن فرقانا قال بعضهم
الكتاب هو التورية والفرقان هو معجزات موسى كالحية واليد وانفلاق البحر وغيرها وقيل الفرقان هنا
هو هذا القرآن ومعناه اتينا موسى التورية وذكرنا له نزول الفرقان الذى هو القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الفرقان هنا فرق البحر وقيل صحف نزلت على موسى قبل التورية **لعلكم تهتدون** اى لكى
تهتدوا بالكتاب من الضلال او لكى توصلوا بها او به والمراد بالاهتداء هنا الوصول او لكى تهتدوا بالتامل فى
الكتاب والتفكر فى ايات الله **واذ قال موسى لقومه** اى الذين عبدوا العجل من بعده **يا قوم انكم**
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها قالوا وما نصنع قال **فتوبوا** اى فارجعوا **الى بارئكم** اى خالقكم
قالوا كيف نرجع قال **فاقتلوا انفسكم** تب قتل العابدين للعجل لانفسهم اليهم مع ان القاتل غيرهم برضاهم به
والمعنى ليقتل البرئ منكم من عبادة العجل المجرم اى العابد للعجل قيل ان السبعين الذين اختارهم موسى قتلوا

Copyright ... University

قتلوا عبدة العجل وبلغ المقتولون سبعين الفا وقيل فاقتلوا بعضكم بعضا بايديكم سواء فى ذلك من عبد
العجل ومن لم يعبد قال الحسن بن زيد وا صفين نضرب بعضهم بعضا من صلوة الفجر الى الليل هذا يقول
لم عبدت وهذا يقول لم لم تنهنى فصار القتل لهم شهادة وغفر الله لمن بقى بعد عفو الله ببكاء موسى
لرضايه بذلك لانه وصلة ذلكم اى القتل المرضى لله خير لكم عند بارئكم كا
وجه لقومه
الى الحياة الابدية واسكن ابو عمرو وحمزة باريكم لتنقل توالى ثلث حركات وروى عنه الدورى الاختلاس
لكفا بمعنى السكون وقيل انه عز وجل وفقهم لهذا الخير فجلسوا محتبين وقيل لهم من حل حبوته
اومد طرفه الى قاتله فهو ملعون غير مقبول التوبة نسل القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى
نسيبه وصديقه فلا يستطيع قتله فارسل عليهم سحابة سوداء لئلا يرى بعضهم بعضا فيرحمه فقتلوهم
الى المساء فعند ذلك تضرع موسى وهارون وبكيا وقالا يارب البقية فامروا بالكف عن القتل فقتل منهم
~~فارسل عليهم سحابة سوداء لئلا يرى بعضهم~~
سبعون الفا فكان من قتل شهيدا ومن بقى مغفورا ذنوبه
والفاء فى قوله فتاب عليكم كا متعلقة بشرط محذوف تقديره ان فعلتم ذلك فقد تاب عليكم وتجاوز
عنكم انه هو التواب الرحيم جس اى انه هو القابل للتوبة الرحيم بكم حيث تاب عليكم ولو شاء لاهلككم
بذنوبكم ثم امر الله عز وجل موسى ان ياتيه بناس من قومه يعتذرون اليه من عبادة العجل فخرج بسبعين
رجلا الى الطور فاسمعهم الله تعالى خطابه على قول وقيل ما سمعوا كلام الله القول بالسماع مردود
فلما وصلوا الى الطور سئلوا من موسى روية الله جهارا كما حكى الله عنهم ذلك بقوله واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك اى فى المستقبل لاجل قولك او ان نصدقك او لن نقر لك والمعنى لن نصدقك
لاجل قولك ان هذا كتاب الله وانك سمعت كلام الله وان الله امرنا بقبوله والعمل به ولن نقر لك بالله
بمجرد القول وعلم من هذه الاية انها ليست لتابيد نفى الروية لمجئ الغاية بعدها بقوله حتى نرى
الله جهرة اى عيانا بابصارنا لا ساتر بيننا وبينه لا روية علم فقط فاخذتكم الصاعقة لسوالكم
ما هو مستحيل على الله فى الدنيا ورويته فى الدنيا من خصايص نبينا والصاعقة هنا هو الموت
او هى نار جاءتهم فاحرقتهم قال السيوطى معناه فاخذتكم الصيحة فمتم انتهى قال الاستاد
والمعنى فاخذتكم الرجفة والاضطراب وكان فيها موتكم نحو يوم وليلة وانتم تنظرون كا بعضكم
بعضا ما حل بكم من الموت قالوا ان موسى لم يمت وانما غشى عليه بدليل قوله فلما افاق اى غشيته
وزعم بعضهم ان السبعين لم يموتوا ايضا وانما اخذتهم الرجفة من غير موت وليس بشئ وروى
ان الاطفال استغاثوا بموسى وقالوا يا موسى العفو العفو فبكى موسى وهارون وسالا الله تعالى ان يحييهم
فاحيوا ثم بعثناكم اى احييناكم اصل البعث اقامة الشئ عن محله ومنه بعثت البعير اى اقمته
عن مكانه الذى ناخ فيه من بعد موتكم وكان للموت لاظهار القدرة لا لانقضاء اجالهم
قال الاستاد والمعنى ثم احييناكم من بعد اخذ ارواحكم لتستوفوا بقية اجالكم قالوا ولو ماتوا
باجالهم لم يحيوا الى يوم القيمة لعلكم تشكرون كا الله لنعمتنا عليكم بالاحياء بعد الموت وبقبول
التوبة بعد العصيان قالوا وحل لهم ما حل لان سوالهم كان تكذيبا واجتراء بخلاف موسى فان
سواله كان اشتياقا وافتقارا قال ابو منصور وتعلقت المعتزلة بظاهر الاية على نفى روية

الله وعندنا فيها اثباتها وذلك لان موسى لما ساله السبعون الروية جهارا ولم ينههم عن ذلك
ولذلك سال هو ربه عز وجل الروية فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف ترانى وهذا
تعليق بما يتصور وكذلك سالت الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انرى ربنا فلم ينههم عن
ذلك وانما اخذ هولاء الصاعقة لانهم لم يسالوا سوال استرشاد وانما سالوا سوال تعنت ولم يكن
لبنى اسرايل ما يكنهم فى التيه فغشيهم غيم يقيهم حر الشمس وجعل لهم عمود من نور يضئ لهم الليل
وجعل لهم ما يقتاتون به وكان ثيابهم لا يتوسخ ولا تبلى والدليل على هذا قوله تعالى وظللنا عليكم
الغمام اى جعلنا عليكم الغمام بمحض فضلنا لتخيصه ستر لكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس فى التيه
وانزلنا عليكم فيه المن والسلوى جس قالوا المن هو الترنجبين وهو شئ حلو يشبه فى اللذة القطر
كان ينزل عليهم على صفة الثلج من الفجر الى طلوع الشمس واما السلوى فهو السمانى بتخفيف الميم والقصر
وهو نوع من الطير دون الحمام جثته تضرب الى الحمرة قيل المن يشبه الترنجبين والسلوى يشبه السمانى
قال البيضاوى ويبعث الجنوب عليهم السمانى انتهى وكانوا مامورين بان ياخذوا قدر كفايتهم ولا
يدخروا فاخذوه وخبوه فنتن وروى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال لولا بنو اسرايل لم يخنز اللحم
قال ابو اجد فياخذ انسان من المن والسلوى كفايته الى الغد الا يوم الجمعة فانهم كانوا ياخذون
فيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم جس اى من حلال
التى رزقناكم بفضلى فلما ظلموا بكفرهم هذه النعم قال الله تعالى وما ظلمونا بكفرهم هذه النعم
وباد خارهم الرزق بعدما نهوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون كا بقطعنا هذا الرزق الحلال
عنهم بل وبال ذلك عليهم قال صلى الله عليه وسلم لولا بنوا اسرايل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم
ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر واذ قلنا لبنى اسرايل بعد خروجهم من التيه قيل اولادهم
فى التيه ادخلوا هذه القرية اى بيت المقدس او اريحا او الرملة او الاردن او فلسطين
او قرية العمالقة بقرب بيت المقدس وهو بلقا وقيل هى كيسان الشام والقرية منصوب على انه نعت
لهذه وسميت القرية قرية لجمعها اهلها كما يسمى الحوض مقراة لجمعه الماء فكلوا منها حيث
شئتم والفاء للتعقيب لان الاكل يكون عقيب الدخول لا مع الدخول ومعنى حيث شئتم اى فى كل مكان
وزمان ومعنى رغدا اى واسعا عليكم الرزق لا حجر فيه قال الاستاد والمعنى ابحناها لكم ووسعناها
عليكم فتعيشوا فيها حيث شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمليك لهم بطريق القيمة وخص الاكل لانه
معظم المقصود وادخلوا الباب سجدا اى المعهود من ابواب القرية قال ابن عباس هو احد
ابواب بيت المقدس يسمى بباب حطة وهو الباب الثامن من بيت المقدس وقيل هو باب القبة
التى كان يتعبد فيها موسى وهارون قالوا لم خص باب القبة لانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى
حياة موسى سجدا اى خاضعين منحنين مطاطين روسكم وقيل معناه سجدا اى ركعا وقيل ساجدين
قبل دخول الباب سجدة الشكر على اخراجكم من التيه او على قتل الجبارين او فتح القرية وقيل معناه
مصلين صلوة قبل دخول الباب وقولوا حطة وحطة مرفوع على القراءة الصحيحة على انه خبر لمبتدا
محذوف اى مسئلتنا منك حطة اى سوالنا ان تحط عنا اوزارنا وخطايانا بقرينة قوله نغفر لكم

خطايا كم وقرئ حطةً بالنصب اى حط عنا ذنوبنا حطةً قال علي كرم الله وجهه في معنى حطة
اى قولوا بسم الله الرحمن الرحيم لان الذنوب تحط بالبسملة وفي رواية عن ابن عباس معناه استغفروا
الله وقال الحسن معناه حط عنا ذنوبنا فانا قد انحططنا لوجهك قيل معناه قولوا مقالةً هي
حطةٌ لخطاياكم وقيل امروا ان يتكلموا بهذه الكلمة وحدها تعبدًا لتحط بها اوزارهم فغيّرها
بنوا اسرايل وقالوا حنطة نغفر لكم خطاياكم وجزم نغفر لجواب الامر اى نستر لكم خطاياكم
وذنوبكم فلا نجازيكم بها القراة هنا يغفر لكم بالياء التحتية والتاء الفوقية مضمومتين وفتح الفاء
على بناء المجهول مذكرا ومونثا وبالنون وكسر الفاء عند الاكثرين قال بعضهم وحقيقة جزم
بشرط محذوف تقديره ان تقولوا ذلك نغفر لكم ذنوبكم وادغم ابو عمرو الراء في اللام وسنزيد
المحسنين اى سنطلب الزيادة لمن احسن من فضلنا والمحسنون هنا من احسن في فعله الى
نفسه قال الاستاد والمعنى وسنزيد المحسنين بالطاعة ثوابا من فضلنا الواسع العميم جعله من عند
لا جوابا اشارة الى ان المحسن بصدد ذلك انتهى قلت والمعنى وسنزيد المحسنين على غفران
الخطايا بانواع المزايا واخراجه عن الجواب الى الاخبار للدلالة على الوقوع لا محالة تخيصه وسنزيد
المحسنين منكم بطاعته فيما امرنا هنا احسانا الى سالف احساننا عنده فنزيده في سعة دنياه وثواب
عقباه فبدل الذين ظلموا اى اذا قلتم حطة منهم بترك الامر واتباع الشهوات قولا غير الذي قيل لهم
اى فخالفوا وقالوا استهزاء مكان حطة حبة في شعرة او في شعيرة او حنطة حمرا في شعرة ومعنى الاخير
بلغتهم حطا سمقاثا ودخلوا يزحفون على استاههم مقنعي روسهم سخرية منهم وكان تبديل الاستيراد
من بعضهم وفعل المحسنون ما امروا به ولهذا لم يقل فبدلوا بالجمع بل قال فبدل الذين ظلموا وظاهره
يدل على انهم بدلوا القول وحده دون العمل اى السجود ولهذا قال جماعة افول وقد قال الاستادي
فان قلت لم يحك عنهم تبديل الفعل فانه روى انهم دخلوا زحفا على استاههم مقنعي روسهم
على صورة الذلة وامتثال الامر بالسجود الذي هو الذلة قلت اكتفى بالقول من غير حاجة الى
الفعل فانه اظهر في المخالفة ولانه ربما يتوهم ان الدخول على ذلك كان لعذر فانزلنا على الذين
ظلموا فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في توبيخهم وكررايضا وصفهم بالظلم لتقبيح حالهم
رجزا من السماء اى عذابا من السماء وهو العذاب المفسد للمعاش او هو الطاعون مات منهم
في ساعة واحدة سبعون الفا او هو عذاب معدود لقوله تعالى في سورة الاعراف فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنومنن لك ثم قال فلما كشفنا عنهم الرجز سمى ذلك كله رجزا وقيل كان ذلك
فاحرقتهم بما كانوا يفسقون اى بسبب خروجهم عن الطاعة اذ الفسق هو الخروج
عن الطاعة ولما عطشوا في التيه سالوا موسى الماء فسال ربه عز وجل حيث قال واذكر اذ
استسقى موسى اى طلب السقيا لقومه اى بني اسرايل فقلنا اضرب بعصاك التي حملها
ادم من الجنة وتوارثها الانبياء الى ان وصلت اليك واسمها نبعة طولها عشرة اذرع كطولك
من علق الجنة ولها شعبتان يتقدان في الظلمة الحجر اللام فيه للعهد لانه كان حجرا معهودا

على هيئة

على هيئة راس الانسان او راس ثور وهو الذي فر بثوب موسى وكان خفيفا مربعا مقدار راس
الانسان من رخام اى كذان بذال المعجمة ولكن فيه اربعة اوجه في كل وجه ثلاث اعين وكان
موسى يحمله معه ويضعه في مخلاته وذلك لان جبريل قال له ارفعه فان لله فيه قدرة ولك
فيه معجزة وقد نزل به ادم من الجنة فدفعه لشعيب وهو لموسى او للجنس اى اى حجر كان
وهذا ابلغ في الاعجاز وفي الكلام حذف تقديره فلما ضربه فانفجرت اى انشقت وسالت منه
اثنتا عشرة عينا حسن على عدد الاسباط لكل سبط عين لا يدخل سبط على سبط في
شربه اى لا يشركهم فيه غيرهم قد علم كل اناس اى كل سبط منهم مشربهم اى
عينهم وموضع شربهم المشرب المكان والمصدر كالمدخل والمخرج والمطلع قال قتادة في معنى
قد علم اى كان قد علم كل سبط اى قد يعرف كل منهم عين نفسه فيجي فياخذ من العين مقدار حاجته
فينقطع لكل عين لا يجري الا لسبط معلوم لدفع التنازع بينهم وقلنا لهم كلوا من المن و
السلوى واشربوا من الماء من رزق الله اى مما اعطاكم الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين كا وعثي يعثي من باب علم وعثى يعثو من باب دخل يدخل وهو الفساد الشديد
البليغ ومفسدين حال موكدة اكدها لما فهم من لا تعثوا وهو العامل في مفسدين والمعنى لا تكثروا
في الفساد ولا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم تخيصه لا تعتدوا حال كونكم مفسدين ونبع الماء
من بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم ابدع واغرب من انفجار الماء من الحجر لانه متعارف في الاحجار
وصخور الجبال فسئموا من اكل المن والسلوى لكونهما غير متبدلين والانسان اذا داوم شيئا
وحدا سامته وطلبوا غيرها فقال عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد اى على نوع واحد منه ومعنى وحدته لانهم كانوا يخلطون المن بالسلوى فيصيرا
طعاما واحدا و ياكلونهما او اريد بالواحد نفي تبدله وعدم اختلافه كما يقال مايدة الامير
طعام واحد يريد على نمط واحد وان اشتملت على الوان وفي نفي الصبر نفي الرضا ونفي الرضا
مشعر بفظاعة حالهم في عدم الشكر وروى انهم كانوا اصحاب فلاحة فطلبوا ما الفوا من نسهم
بقولهم لموسى فادع لنا ربك يخرج لنا اى فاسئل لنا ربك ومعنى يخرج اى يظهر و
يوجد ومفعول يخرج محذوف اى شيئا مما تنبت الارض اسناد مجازي ومن للتبعيض
وما بمعنى الذي او نكرة موصوفة ومحل من بقلها حال من الضمير في تنبت تقديره مما تنبته
كاينا من بقلها ومن لبيان الجنس والبقل هو الخضر والبقول والمراد هنا اصنافها اطايبها
التي ياكلها الناس وقيل من بقلها بدل من ما تنبت باعادة الجار وقثائها المعروف وفي التبيين
القثاء هو الخيار انتهى قلت وفي اصطلاح اهل مصر القثاء شيء يشبه الخيار والخيار احسن
منه اكلا واغلى ثمنا انتهى وفومها اى الحنطة وهو قول ابن عباس وقتادة ومنه فوموا
لنا اى اخبزوا او هو الثوم المعروف بالثاء كما هو قراءة ابن مسعود ويدل عليه ما قال امية بن ابي
الصلت شعرا كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومات والبصل ومن
قال هو الثوم قال ذكر البصل في الاية يدل على انه هو المراد وانه من جنسه من حيث الريح ومن

حمله بمعنى الخبز والحنطة قال ذكر العدس يدل على انه هو المراد وعدسها وبصلها حسن المعرف
قال لهم موسى منكرا عليهم او قال الله لهم على لسان موسى اتستبدلون الذى هو ادنى
اى اخس قدرا او احط رتبة وادون قيمة واصل ادنى القرب لان قيمته قريبة اى قليلة لخساسته بالذى
هو خير اى اشرف واسنى وهو المن والسلوى والباء داخلة على المبدل المتروك اى اتاخذونه
قال الاستاد رحمه الله والاستفهام للانكار والمعنى اتسالون الاردى بدلا عن الاعلى من دنى يدنو
اى قرب اى هو اقل قيمة يقال ثوب مقارب اى قليل القيمة فلما ابوا ان يرجعوا عن طلب الادنى فدعا الله اى موسى
فقال الله عز وجل اهبطوا مصرا اى انزلوا من التيه الى مصر من الامصار لان ما سالوه من البقل ونحوه
لا يكون الا فى الامصار ولما كان التيه مشرفا على بلاد كثيرة كان الهبوط منه اليها وان اريد بمصر العلم
والبقعة دون العموم فصرفه على هذا لسكون وسطه كنوح يقال مصر الشئ يمصره اى قطعه
سمى به لانقطاعه عن الفضاء بالعمارة قال الحسن وابو العالية والربيع هو مصر فرعون الذى خرجوا منه
لقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله واورثناها قوما اخرين اى بنى اسرائيل وقيل هو بيت المقدس
لقوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم والمعنى اهبطوا مصرا من امصار الارض المقدسة وكان شيخنا
يعجب هذا المعنى وعلى هذا وانما نونه ههنا لانه اراد به البلد وهو مذكر ولم ينونه فى قوله وقال ادخلوا
مصر لانه اراد به البلدة وهى مونثة فلما اجتمع التعريف والتانيث امتنع من الصرف وفى الاول لم يجتمعا
فان لكم ما سالتم اى فان لكم فى مصر ما طلبتم من بقول الارض او من الادنى ولما تركوا الاعلى
للادنى ضرب الله عليهم الهوان لهذا العصيان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى جعلت
عليهم اثار الذل والهوان والفقر والخزى وان كانوا اغنياء والمسكنة هنا الفقر لان الفقر سكنه عن الحركة ف
المعنى ان الذلة والمسكنة قد علا عليهم والزمهم لزوم الدرهم المضروب لسكته او احاطت بهم احاطة القبة
بداخلها او الصقت بهم الصاق الطين بالحايط والحمار العاجز ولما ترى اليهود وان كانوا مياسير
اغنياء الا اذلاء ومساكين اما جبلة او تكلفا خيفة تضاعف الجزية وفى المثل فلان اذل من اليهود
قال الاستاد وهذه على الوجوه المذكورة استعارة مكنية ولا يبنافى كون الكلام كناية عن كونهم اذلاء
صاغرين وباؤا بغضب من الله اى رجعوا من التيه بابعادهم من الله العظيم قال احمد
الكواشى وغضب الله ذمه اياهم فى الدنيا وعقوبتهم فى الاخرى وزعم بعضهم انه لا يقال باء الا بالشر
وفى الدعاء ابوء بنعمتك وابوء بذنبى وقال بعضهم والمعنى رجعوا من سفرهم الذى كان للجهاد مصاحبين
للغضب او صاروا احقاء بغضب من الله يقال باء فلان بفلان اى اساواه ذلك اى جميع ما ذكرنا مما حل
بهم من ضرب الذلة والمسكنة واستحقاق الغضب وهو مبتداء وخبره قوله بانهم اى بسبب انهم كانوا
يكفرون بايات الله اراد بايات الله كتمانهم صفة نبينا وانكارهم اية الرجم وتحريفهم التوراة لاستحلالهم
ما حرم الله فيها تخصيصه بالمعجزة استحقوا ما ذكر بكفرهم بما ذكرنا وبقتلهم الانبياء كما قال ويقتلون
النبيين كزكريا ويحيى وشعياء وفيه اشارة الى انهم ساعون لقتل نبينا ايضا قراءة نافع بالهمزة من النباء
وهو الخبر لان النبى يخبر عن الله وبغير الهمزة لغيره من النبوة وهو المكان المرتفع لان النبى علا بنبوته على غيره
بغير الحق كا قيده بهذا الوصف تاكيدا كما فى قوله لا تتخذوا الهين اثنين وقوله طاير يطير بجناحيه
وقوله

وقوله ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحقيقه
كانوا يقتلون الانبياء بالباطل والظلم وقتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق على جميع الاحوال قال ٤
الاستاد ومحل بغير الحق نصب على انه حال من الضمير فى يقتلون اى يقتلونهم مبطلين بغير جرم ثم
كرر الاشارة للتاكيد والدلالة على ان لهم غير الكفر بايات الله وقتل الانبياء معاص اخر واعتداء
فى الحدود حيث قال ذلك اى المذكور من كفرهم وقتلهم الانبياء بما عصوا معاصى اخر اى بسبب ارتكابهم
انواع المعاصى وبما كانوا يعتدون اى امر الله ويرتكبون محارمه كصيدهم فى السبت فى ايلة
وهى ارض بين الشام والمدينة على ساحل بحر قلزم وياكلون اموال الناس بالباطل وكان قولهم الاثم
واكلهم السحت كما قال يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت وقال وخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة الاية ان الذين امنوا اى من المنافقين بالسنتهم دون قلوبهم كابى بن سلول
واضرابه امنوا لحفظ دمائهم واموالهم او امنوا حقيقة بخلوص القلب كساير المومنين او امنوا بالانبياء
من قبل والذين هادوا اى تهودوا ودخلوا فى اليهودية او هم اليهود يقال هاد يهود وتهود دخل ٤ع
فى اليهود فهو هايد وجمعه هود قال الاستاد المراد بهادوا اليهود سموا به اما لقولهم انا هدنا
اليك اى ملنا او لانهم هادوا عن الحق اى مالوا عنه وهو دين محمد ودين موسى او لانهم هادوا اى
تابوا من عبادة العجل او هو معرب يهوذا الكبير اولاد يعقوب سماه عند قتل التورية
نصرانى كندامى فى ندمان والياء فى نصرانى باسم ابى القبيلة وحولت العرب الذال الى الدال اى غيرها
من العبرانية الى العربية او لانهم يتهودون اى يتحركون عند قراءة التورية والنصارى جمع نصران
كندامى جمع ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كاحمرى سموا بذلك لنصرهم المسيح كقول الحواريين نحن
انصار الله او لانهم كانوا معه فى قرية تسمى نصران او ناصرة فسمى النصارى بها او اخذ اسمهم من اسمها
والصابئين طائفة من اليهود او النصارى او منهما جميعا مالوا عن دينهم الى عبادة الملائكة قال
الاستاد يقال صبا يصبو اذا خرج من دين الى دين اخر سموا به لانهم خرجوا من اليهودية والنصرانية
الى عبادة النجوم وقيل كانوا طايفة بنجران يعبدون النجوم ويقرون بالصانع والمعاد ويبغضون
الانبياء وقيل هم من المانوية وقيل هم بين المجوس واليهود لا يوكل ذبايحهم ولا ينكح نساؤهم وهذا مختار
قول الحسن البصرى وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله هم كاهل الكتاب فى حل ذبايحهم
ونكاح نسايهم لانهم يقرؤن الزبور ويعظمون الكواكب تعظيم القبلة لتوجههم اليها فى صلاتهم وقيل
وقيل القراءة بهمز الصابئين والصابئون على الاصل لانه من صبا اذا مال والقراءة ايضا بالياء وترك
الهمزة لان الكسرة التى قبل الياء تدل عليه وهو قراءة نافع ومذهب امامنا الشافعى رضى الله عنه
ان الصابئين ان خالفوا النصارى فى اصل دينهم حرمت ذبايحهم ومناكحتهم والا فلا وقوله من
شرط ومحله الرفع على الابتداء وخبره امن اى منهم يعنى من اليهود والنصارى والصابئين
بان ضم بايمانه بنبيه الايمان بنبينا صلى الله عليه وسلم او من الكفار مطلقا او اخلص فى ايمانه من اهل
النفاق او ثبت على ما عليه من الايمان وداوم عليه من اهل الايمان وضم على ذلك كله الايمان
بشرايعه ومن ذلك ان يومن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا وجواب الشرط فلهم اجرهم

Copyright © King Saud University

اى ثواب اعمالهم الصالح وايمانهم عند ربهم الجواد الكريم باصلاح احوالهم واثابتهم او من شرط مرفوع على انه مبتداء وخبره جوابه اى فلهم والشرط وما اتصل به خبر ان او من بمعنى الذى ومحله نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوف عليه والخبر فلهم اجرهم والعايد محذوف تقديره امن منهم والفاء لتضمن من معنى الشرط ووحد عمل صالحا نظرا الى لفظ من وجمع فى فلهم اجرهم نظرا الى معناها ولا خوف عليهم اى لا يخافون من ارتكاب ما سلف او لا يخافون ان تبطل حسنة ولا هم يحزنون تا بفوت ثوابها فى الاخرة بل ينالون اجرا كاملا ثم لما نزلت التورية امر بنى اسرائيل ان يعملوا بما فيها فلم يفعلوا لما فيها من التكاليف الشاقة فقطع جبريل جبلا على قدر عسكرهم فرسخا فى فرسخ وجعله على رؤسهم كالظلة قدر قامة الرجل او هو الطور لما باتى ان شاء الله وجعلنا نارا من قبلهم وبحرا من خلفهم وقال لهم ان قبلتم والا رضختكم بالجبل وغرقتكم فى البحر واحرقتكم بالنار فقبلوا وسجدوا على انصاف وجوههم وهم يلاحظون الجبل لئلا ينزل عليهم وقالوا بهذا السجود رفع عنا العذاب فمن ثم اتخذ اليهود سجودهم اليوم فحكيت قصتهم بقوله عز وجل

واذ اخذنا ميثاقكم اى عهدكم بالعمل بما فى التورية وباتباع موسى قولا وفعلا وقبلتم قوله وخرجتم معه من مصر فعبرتم بناه نجيا واعطيناه الالواح فيها التورية فاتاكم بها وقلتم هى شديدة فلا نطيقها وقد رفعنا فوقكم الطور قال الكواشى معناه الجبل بالسريانية وفى القران غير العربية وبعضهم يزعم انه انما وقع اتفاقا فيها انتهى واراد بالطور الجبل الذى ذكره عز وجل فى قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم اى اقتلعنا من اصله وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اى شدة وعزم على العمل وجد واجتهاد بما اعطيناكم من التورية وما فيها من التكاليف قال الاستاد معناه خذوا باقتدار ونشاط واداء لما فرض عليكم واذكروا اى اعملوا ودرسوا واحفظوا ما فيه اى ما فى الكتاب الذى هو التورية من الاحكام والشرايع ولا تنسوه وهذا يشمل ذكر القلب واللسان لعلكم تتقون تا اى لكى تتقوا المعاصى ولتنجوا من هلاك الدارين او لكى تكونوا فى صورة من يرجى منه التقوى قال البيضاوى ويجوز عند المعتزلة اى يتعلق بالقول المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان يتقوا انتهى ثم توليتم من بعد ذلك اى ثم اعرضتم عن الايمان والطاعة من بعد اخذ الميثاق وقبول التورية وقيل من بعد رد الجبل وانما وحد كلمة ذلك والمذكور قبله شيئان وهو قبول التورية ورد الجبل لانه اراد من بعد ما ذكرنا فوحد لتوحد كلمة ما فلولا فضل الله عليكم ورحمته بالاحسان والتوبة اى بتوفيقهما الا سلافكم لان المخاطبين لم يؤمنوا لقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم قال الاستاد معناه فلولا فضل الله العظيم المنعم عليكم ورحمته التى عظمت فرحمت من وجد منهم بالتوفيق للتوبة وبارسال محمد صلى الله عليه وسلم وبتاخير العذاب لكنتم من الخاسرين كا اى من المغبونين الهالكين الكاملين فى الخسران تلخيصه لو لم يتب عليكم لخسرتم فى الدارين قال الاستاد معناه فلولا فضل الله ورحمته عليكم برد الجبل عنكم وامهالكم الى ان تبتم بعد ما توليتم لوقع الجبل عليكم فمتم كافرين خاسرين هذا فى حق الذين تابوا بعد ما تولوا ثم انذر اليهود وذكرهم ما جرى لمن تقدمهم منهم وهم اصحاب ايلة

ارض بين الشام والمدينة بساحل بحر قلزوم حين حرم عليهم الصيد يوم السبت فكان الصيد ياتيهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا ياتيهم فاتخذ واحصايد فكان يقع فيها الصيد ليلة السبت ويومه وياخذونه يوم الاحد فقال الله عز وجل متهددا لهم ولقد اللام للقسم علمتم اى لقد عرفتم الذين اعتدوا اى تجاوزوا فى الحد منكم الخطاب لاهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم فى السبت اى بصيد السمك وقد نهيناهم عنه والمعنى لقد عرفتم يا اهل عصر محمد الذين تجاوزوا الحد ظلما من اسلافكم وهم اصحاب الحيل فى السبت وما احللنا بهم من النكال فى الدنيا بالمسخ فلم يكن تاخيرنا العقوبة عن اسلافكم الذين كانوا قبلكم على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم للعجز عن تعجيل ذلك بل فضلا ورحمة ولو شئنا لعاجلناهم بما عاجلنا به اصحاب السبت وكذا انتم فى تمردكم على محمد صلى الله عليه وسلم لو شئنا لانزلنا بكم ما انزلنا بهم والسبت اخر الايام من الاسبوع سمى به لانه سبت فيه خلق كل شئ اى قطع وتم وكمل واصل السبت القطع والسبات النوم لانه يقطع الحركات الاختيارية واليهود يسبتون فيه اى يقطعون الاعمال فيه اى يتركونها قال الاستاد وعن ابن عباس انه قال كانت هذا الحيل فى زمن داود من بعد موسى باعوام كثيرة فى ارض يقال لها ايلة بين المدينة والشام على ساحل بحر قلزوم وكان مكانا يجتمع فيه صياد تلك الديار وحيتان كل البحر من السنة فى شهر حتى لا يرى وجه الماء من كثرة الحيتان وتاتيهم من غير ذلك الشهر فى كل سبت كما كانت تاتيهم فى ذلك الشهر فاذا ذهب الشهر لم يروا شيئا منه انتهى تلخيصه ان الله امر اليهود ان يتجردوا للطاعة فى يوم ويتركوا ساير الاعمال فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود صلى الله عليه وسلم واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على ساحل البحر يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا واشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فحل بهم ما حل وفى الكواشى واصل السبت القطع لان اليهود امروا بقطع الاعمال فيه وفى هذا حجة لمالك فى ابطال الحيل وجوزها ما لم يكن فيه ابطال حق او احقاق باطل وانما لم تجز هذه لانها اليست بحيلة وانما هى عين المنهى عنه لانهم انما نهوا عن اخذها فاقتسموا ثلاثة قسم لم يصد ولم ينه عن الصيد وقسم لم يصد ونهى وقسم اصطادوا انتهى فقلنا لهم اى للذين اعتدوا كونوا قردة جمع قرد كالفيلة جمع فيل والدببة جمع دب والقرد حيوان معروف خاسئين كا ذليلين متبعدين عن بابنا لاتباعكم شهواتكم ومخالفتكم لامرنا تلخيصه كونوا جامعين بين صورة القرد والخسوء فبقوا بعد المسخ ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالد ممسوخ قط وانما مسخوا على صورها ولا ذا القردة ثم لم يكن ابتداء القردة من هولاء الممسوخين بل كانت قبلهم قردة وهولاء حولوا الى صورها لقبحها جزاء على قبح افعالهم وماتوا بعد ثلثة ايام والقردة التى فى الدنيا هى نسل قردة كانت قبل الممسوخين وهذا امر تسخير وتكوين وتحويل والمراد سرعة التكوين والتحول لانهم لم يكن لهم قدرة على التحول والتكون من صورة الى صورة فصار شيوخهم وشبانهم قردة او شبانهم قردة والشيوخ خنازير لهم اذناب يتعاوون وليس تحويل الصورة باعظم من انشاء العنصر وابداعه فمن امن باختراع الجواهر فاذا علبه ان يؤمن

Copyright © King Saud University

بانقلاب الصور والامر بكونوا قردة كالامر في قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فاذا
اراد الله تكوين شيء كان كما اراد من غير امتناع ولا لبث وهو كقوله كما لعنا اصحاب السبت وكان
امر الله مفعولا وهو كقوله ايضا قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم والدليل على انه امر تكوين
وتسخير انه قال فجعلناها نكالا واقبح الصور هو صورة القرد والكلب والخنزير فحول الله صورهم
الانسانية الى صور القردة والخنازير قال الامام ابو منصور وفي هذا رد ونقض لقول المعتزلة
لانه خالق لذميم الصور والحسن والخير والشر قيل مسخوا قردة فلم يبق في ظاهرهم وباطنهم
معنى الانسانية وقيل كان فيهم العقل والفهم وكانوا يذهبون الى ابواب بيوتهم ويشيرون برؤسهم
نفيا واثباتا اي بلى ونعم ولا والدموع تفيض من اعينهم وهذا دلايل الفهم والعقل قال احمد بن
يوسف الكواشي وعن مجاهد انما مسخت قلوبهم دون صورهم وهذا خلاف الاجماع انتهى اقول
وانما قال وهذا خلاف الاجماع لانه لا يناسب مقام الترهيب حيث قال فجعلناها اي المسخة نكالا والنكال
الفضيحة الشاهرة الزاجرة والعقوبة التي ينكل بها عن الاقدام على مثل تلك الجناية وفي قول المجاهد
ايضا خلاف الآثار ان صح الرواية منه وذلك لان اليهود اذا سبوا قيل لهم يا اخوة القردة والخنازير
ويخاطبون بذلك في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثبت امر المسخ في كتب الاولين قال البيضاوي وكانوا
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما
المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم انتهى قلت وفي رواية اخرى عن مجاهد
انه قال لم يمسخوا بل هذا مثل ضربه لهم كمثل الحمار يحمل اسفارا قال استادي ومن قال بهذا جعله كقول
الرجل العارف باحوال الجاهل والعالم لرجل ذاهب الى عالم عامل بحسب ظنه من غير معرفة تامة المجالس
اهل العلم اذهب ولا تجالسه فكن حمارا اي شبيه الحمار فان الذي تذهب اليه كمثل الحمار اي شبيه به
ونظير هذا قول الشاعر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ❊ فكن حجرا من يابس الصخر جلدا ❊ وفي
بعض النسخ بدل المصراع الثاني ❊ فقم واعتلف تبنا فانت حمار ❊ ويستعمل الخسوء متعديا ولازما
نحو خسأته خسأ وخسأ خسوءا كرجعته رجعا ورجع رجوعا وخاسئين خبر ثان لكان او حال
او نعت للقردة فجعلناها اي تلك العقوبة اي المسخة نكالا اي عبرة مانعة من ارتكاب مثل
ما عملوا لما بين يديها وما خلفها اي جعلناها عبرة لما سبقهم من الذنوب على هذه
العقوبة جزاء لما سبقها من ذنوبهم قبل ومعنى وما خلفها اي وما حضرها اي العقوبة من الذنوب
التي اخذوا بها وهي العصيان باخذ الحيتان قال السيوطي معناه جعلنا العقوبة عبرة للامم
التي في زمانها وللامم التي جاءت بعدها انتهى تلخيصه لما بين يديها من اهل زمانهم ممن شاهدها وما
خلفها اي وما بعدها الى يوم القيمة ممن يسمع بذكرها فيتعظوا بها قال ابو يحيى والمعنى لما بين
يديها اي لما بعدها من عقوبة الآخرة والفضاحة على رؤس الاشهاد ولا شك ان الآخرة كائنة
بعد تلك العصيان ومعنى ما خلفها من فضاحة الدنيا فيتعظون بها الى قيام الساعة وبين يديها
يحتمل ان يكون بمعنى بعد وبمعنى قبل وما خلفها كذلك ولهذا اختلفوا في معنى بين يديها وخلفها قال

اسامة

٣٠

اسامة للنبي صلى الله عليه وسلم الصلوة يا رسول الله فقال الصلوة امامك اي بين يديك اي بعد وقرب وقتها
وموعظة للمتقين من اي حكمة زاجرة وقضية مذكرة لمن يخاف الله من امة محمد صلى الله عليه وسلم
او للمتقين الذين نهوهم وخصوهم بالذكر لانهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم وكان في بني اسرائيل
رجل فقير وله ابن عم غني فقتله ليرثه ثم جاء بناس الى موسى يدعي عليهم القتل وهذا كان
قبل نزول اية القسامة فسألوا موسى ان يدعو الله ليتبين قاتله فقال لهم موسى ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة الى اخر القصة فحكى الله تلك القصة وما جرى بينهم لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال
واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وكان اول القصة واذ قتلتم
نفسا وانما قدمت هذه الاية ليتصل نظم مساويهم وكاذيبهم من نسبة نبي الله موسى الى الهزء
وترك الامتثال سريعا والاشتغال بما لا يعني من الاستقصاء في احوال البقرة كما قالوا لموسى
اتتخذنا هزوا اي اهل هزء ومزح او مهزوءا بنا او مكان هزء او نفس الهزء والهزء المزح
في خفية تعجبوا من ذبح البقرة ووضع بعض لحمها على بدن الميت ليكلمهم ويبين لهم قاتله قال احمد
الكواشي القراءة باسكان الزاي والفاء من كفوءا مع الهمزة وبضم الزاي والفاء من غير همز وبضم الزاي
والفاء والهمز لغات كلها المعنى انستهزئ بنا نسألك امر القتيل وتامرنا بذبح بقرة ولا جامع بينهما
انتهى قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين كا اي قال لهم موسى امتنع بالله ان اكون من الذين
يستهزءون بالمؤمنين او من الجاهلين لجوابكم لا على وفق السؤال وكان في بني اسرائيل شاب بار بامه
وكان يحتطب ويبيعه ويعطي امه ثلث ثمنه ويتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويقسم ليله اثلاثا
ينام فيه ثلثا ويصلي فيه ثلثا ويقعد عند راس امه ثلثا فقالت له ان والدك استودع الله لك
عجلة اي بقرة في غيضة كذا فاذهب فأت بها فبعها فذهب الى الغيضة وناداها فخرجت اليه فلزم
بعنقها فقالت له اركبني فقال لم تامرني امي بذلك فقالت لو ركبتني لم تكن تقدر علي ابدا ولكن انطلق
فلو امرت الجبل ان ينقلع من اصله وتبعك لفعل لبرك بامك فجاء بها امه فقالت اذهب فبعها
بثلاثة دنانير بمشورتي فذهب فجاء ملك في صورة ادمي فاعطاه ستة دنانير على ان لا يشاور امه
فلم يفعل فاخبر امه بذلك فقالت اذهب فبعها بستة دنانير بمشورتي فجاءه ذلك الملك واعطاه
اثني عشر دينارا على ان لا يشاور امه فلم يفعل واخبر امه بذلك فقالت ان الذي ياتيك ملك فقل له
تبيع البقرة ام لا فقال لا فانه يقتل في بني اسرائيل قتيل ويشتريها منكم موسى فلا تبيعوها الا بملء
مسكها ذهبا ولما تحققوا ان ذبح البقرة عزيمة من الله عز وجل عجبوا من ذلك ثم قالوا يا موسى
ادع لنا ربك وقرئ فاسأل لنا ربك يبين لنا اي يوضح ما هي اي صفتها وما سنها
قال انه اي قال موسى ان الله يقول انها بقرة لا فارض اي ليست بمسنة
كبيرة بحيث لا تلد فرضت بضم الراء وفتحها بمعنى طعنت في السن وسميت فارضا لانها فرضت
سنها وقطعتها اي بلغت اخر عمرها او لانها تفرض اي تشق بها وسميت بقرة لبقرها الارض والهاء
ليست للتانيث وانما هي لتدل على انها واحد من جنس كالبطة والدجاجة والاوزة والحمامة قال
الاستاد ولو كانت للتانيث لقال لا فارضة بالتاء ولا بكر بالتاء ايضا بل حذفت

ها وهما لاختصاصهما بالاناث كالحايض والمعنى ولا فتية صغيرة لم تلد قط او ولدت مرة ماخوذ
من اول الشى وباكره ومنه باكورة الفاكهة لاولها وفارض وبكر خبر لمبتدا مضمر اى لا هى فارض ولا
هى بكر والجملة نعت لقوله بقرة وكذلك **عوان** اى نصف وجمعها عون **بين ذلك** ط
اى بين ماذكرنا من الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك على التثنية مع ان البين يقتضى شيئين لان معناه
بين ماذكرنا من الفارض والبكر كما فسرنا بذلك قال الاستاد معناه وسط ونصف بين السنين
او السنين اى بين الكبر والصغر لان كل واحد منهما شئ ولان لفظ ذلك يدل عليهما وحسن ذلك
فى اسماء الاشارة لان تثنيتها وجمعها وتانيثها ليس بحقيقة ومثله لما سئل رؤبة عن قوله
فيها سواد من خطوط وبلق ٭ كانه فى الجسم توليع البهق ٭ فقيل لو اذا اردت الخطوط فقل
كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك تلخيصه ان ذلك مفرد اللفظ
وبين لا يضاف الا الى متعدد فالجواب انه قد صح اذ ذلك يشار به الى المفرد والتثنية والجمع ومنه قوله
عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وان تصبروا وتتقوا الاية وزين للناس حب الشهوات
الاية **فافعلوا ما تؤمرون** ط اى فافعلوا ما تؤمرون به من ذبح البقرة فورا اى لا تكثروا فى
السوال ولا تكرروه قال الاستاد وهذا الامر للحال كما يفهم من القراين دون محض الاستقبال وان دل
على الاستقبال تقصيرهم كما قال وما كادوا يفعلون وما تؤمرون فى محل النصب على انه مفعول لقوله
فافعلوا **قالوا ادع لنا ربك** اى سله لنا ان **يبين لنا ما لونها** ط من الالوان
ما استفهام مبتدا ولونها خبره **قال انه يقول انها بقرة صفراء** ط الصفرة لون بين
البياض والسواد وهى الى السواد اقرب ولذلك يعبر عنها بالسواد قالوا كانت صفراء حتى ظلفها
وقرنها وكانت سوداء ورد هذا لقوله بعد الصفرة **فاقع لونها** ط مبتدا وخبر والجملة صفة
البقرة ومعنى فاقع لونها اى شديد الصفرة خالصها وانما فسرنا بشديد الصفرة وخالصها لانه
لا يقال اسود فاقع بل يقال اسود حالك فعلى هذا لا نقف على صفراء لئلا تفصل بين الصفة
والموصوف وان جعلت صفراء بمعنى سوداء وقفت عليها ويكون الفقوع صفة اللون فى المعنى كانه
قال لونها خالص واكثر ما يستعمل الاصفر بمعنى الاسود فى الابل قال الاستاد يقال اسود حالك
واحمر قانى واخضر ناضر وابيض يقق للمبالغة فيها وعن الحسن معنى فاقع لونها اى شديدة سوادها
ان الفقوع ترشيح والسواد الخالص جالب للسرور كسواد الحدق **تسر الناظرين** ط اى
يعجبهم النظر اليها لحسنها فتلتذ قلوبهم بذلك والسرور لذة تحصل فى القلب عند حصول موجبها
وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه ومحل قوله تسر الناظرين الرفع على انه خبر
مبتدا محذوف ثم سالوه تمام الكشف والزيادة على الوصف الذى ذكر مع كونها مسنة او فتية ومن
كونها كذا **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى** اى اسايمة هى ام عاملة **فان البقر
تشابه علينا** اى ان جنس البقر المنعوت بهذه النعوت كثيرة جدا وقد اشتبه علينا لكثرته فلم
نهتد الى المقصود من ذلك عن عمر بن عبد العزيز انه قال لبعض عماله اذا كتبت اليك ان اعط فلانا
شيئا فلا تراجعنى اضانئ ذلك الشاة ام ماعز لانى اذا قلت لك هو ضائن قلت لك اذكر ام انثى

واذا

واذا قلت لك هو ذكر قلت لك هو اسود او ابيض والمراد اذا قال واحد لعماله اعط لفلان شيئا
مطلقا فليعطه ما يناسبه من غير مراجعة **وانا ان شاء الله لمهتدون** ط الى هذه البقرة والى
ذبحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واتوا بالاسم
الاعظم للاشارة الى عظمة الله تعالى من حيث ان كل واقع بمشيته وان كل شئ بيده وقرئ ان الباقر
وقرئ ايضا بشد الشين اصله تتشابه بالتائين ادغم الاولى فى الثانية **قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول** اى غير مذللة بالعمل قال ابو عيسى فقوله ولا ذلول خبر لمبتداء محذوف اى لا
هى ذلول والجملة صفة لقوله بقرة وصيغة الفعول اذا كان وصفا لم تدخله الهاء كصبور وشكور
قال الاستاد والذلول ضد الصعب من الذل بكسر الذال صفة لبقرة اى هى بقرة ذلولة ما استعملها
احد اصلا ومحل قوله **تثير الارض** اما رفع على انه صفة لقوله لا ذلول داخلة فى النفى كما فى التسهيل
للبكرى او نصب على الحالية كما فى الكواشى ومعنى تثير الارض اى تقلبها للزراعة وتكريها لها ولا فى
قوله **ولا تسقى الحرث** ص موكدة للاولى اى بقرة غير مذللة بتثير الارض وتقليبها ولا بسقى
الحرث والحرث هو الارض المهيئة للزرع بالسوانى ونحو ذلك تلخيصه هى بقرة لا يستقى عليها الحرث
بالسوانى ولم تذلل باثارة الارض وتقليبها للزراعة **مسلمة** خبر مبتداء محذوف اى بل هى بريئة من
العيوب كلها لوحشتها وبعدها عن الناس **لا شية فيها** ص اى لا لون فيها يخالف لون
جميع جلدها تلخيصه لا لون فيها يخالف صفرتها حتى القرن والظلف ويقال وشاه وشيا اذا خلط
لونه لونا اخر كاجتماع البياض والسواد واصل شية وشية لانها مصدر لوشاه وشيا وشية
اذا خلط لونه بلون اخر ومنه ثوب موشى فوزنها بعد الحذف علة كما تقول فى الصفة والزنة
والعدة صفة وزنة وعدة قال الامام ابو منصور ان البقرة كانت ذكرا لانه وصفه
بالاثارة والسقى وهما من عمل الثيران ثم قال اللهم ان كان ذلك الزمان يحرثون بالانثى فهى انثى وقال
ابو حنيفة تاؤها للتوحيد لا للتانيث اى هى ثور وقال الاكثرون اذا قال البقرة بالتاء فهى للانثى
خاصة واذا قال بقر صلح للذكر والانثى كما فى الحمار والحمارة والحمام والحمامة وقد سمى النبى واصحابه الاسود
بالبقرة بالتاء ثم بعد تحققهم البقرة **قالوا الان** هو ظرف للزمان الذى انت فيه لانه فصل
بين الماضى والمستقبل وهو مبنى لتضمنه معنى الاشارة اى قالوا هذا الوقت **جئت بالحق** ط
اى نطقت بالبيان التام والوصف المطلوب الذى تحققنا به البقرة فطلبوها فوجدوها عند
الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا والفاء فى قوله **فذبحوها** فصيحة اى فحصلوا البقرة
المنعوتة فذبحوها **وما كادوا يفعلون** ط اما لغلاء ثمنها او لقلة اجتماع الاوصاف او
لكثرة مراجعاتهم وتعنتهم وشدة اختلافهم او لخوف فضيحة القاتل والمعنى من انهم ما قاربوا
ان يفعلوا حتى انتهوا سوالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجى الى الفعل قال
الاستاد والمعنى فعلوا ذلك بعد الاستقصاء اى بعد توقف وبطء وتطويل مدة حتى كاد يقع الياس
وفى الغاية روى انهم طلبوها اربعين سنة فلم يجدوها ثم وجدوها عند ارملة لها يتيم وكان ابوه
من الصالحين فاشتروها بملء جلدها ذهبا قال السيوطى والبكرى ايضا وفى الحديث لو ذبحوا

اي بقرة كانت لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وفي التيسير وفيه دليل على
امضاء الخطاب على العموم وعلى ان الحكم يتعلق باقل ما ينطلق عليه الاسم وعليه وجوب العمل بالظاهر انتهى
وقال الامام احمد الكواشي ويحتج بهذه القصة اصحاب الخصوص لانهم امروا بذبح بقرة ثم خصصت
حتى لم يقم غيرها مقامها لانهم اجازوا الخصوص في كل عام لفظا ومن لم يقل بالخصوص قال لا يطلق العام
على الخاص الا بدليل يقارنه انتهى وقيل وانما امتحنوا بذبح البقرة لانهم كانوا فيما مضى يعبدون البقرة والعجل
وحبب اليهم كما قال واشربوا في قلوبهم العجل ثم عادوا وتابوا الى عبادة الله وطاعته فاراد الله ان
يبتليهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم في قلوبهم وقيل كان افضل
قرابينهم حينئذ ذبح البقرة فامروا بذبحها ليحصل التقرب لهم بما هو افضل عندهم ثم بين
سبب ذبح البقرة وخاطب الجماعة مع ان القاتل كان اثنان منهم وهما ابنا عم المقتول وذلك لرضائهم
بفعلهما او لوجود القتيل فيهم وتلبسه بهم فقال واذ قتلتم نفسا اى فاذكروا ايضا اذ قتل
بعض اسلافكم نفسا اى رجلا وهو عاميل وقد مر بان هذا اول القصة ولا بأس بان نذكر التقديم والتاخير
بعبارة اخرى فنقول وهذا مؤخر لفظا مقدم معنى لانه اول القصة ولم يقدم لفظا لان الغرض انما
هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل فقدم ما هو بشأنه احوج واعنى ثم ذكر القتل بعد ذبح البقرة ليكون
ابلغ في توبيخهم عليه قال البكري في تسهيله وفي ذكر قتل النفس اشارة الى ان امتثال الامر بالذبح
سبب للحياة ففيه ان من ذبح نفسه اى تعبها بسيف المخالفة لها احياه الله به فادارأتم فيها
اى اختصمتم واختلفتم وتدافعتم في شان النفس والمعنى دفع بعضكم قتلها الى بعض او دفع كل منكم
اما عن البراءة الى التهمة تلخيصه فكان كل واحد يدرأ اى يدفع عن نفسه ويحيل على صاحبه والدرء
في الاصل الدفع قال الله تعالى ويدرأ عنها العذاب واصله فتدارأتم فادغم التاء في الدال لانهما من مخرجها
وسكنت فادخلت الف الوصل لانه لا يبتدأ بساكن والله المطلع على الخفيات العالم بالسرائر مخرج ما
كنتم تكتمون اى مظهر لا محالة ما كنتم تسترونه من امر نفس المقتول وقاتلها ليظهر البرئ
من المجرم وما مصدرية او موصولة في محل النصب على انه مفعول لمخرج وانما عمل مخرج لانه حكاية
المستقبل بالماضي كما عمل باسط ذراعيه لكونه حكاية حال ماضية والجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه وذكر المعطوف بقوله فقلنا اضربوه اى فقلنا بعد ذبح البقرة اضربوا المقتول والضمير للنفس
والتذكير باعتبار الخبر ببعضها اى ببعض البقرة والمراد اى بعض كان قيل ضربوه باللسان
وقيل بعجب ذنبها لانه اخر ما يبلى واول ما يخلق او بفخذ الايمن او بالاذن او بغير ذلك والله اعلم
بذلك وفي الكلام حذف تقديره فضرب فحيي فقام واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان
وفلان لابني عمه ثم مات فحرما الميراث وقتلا مكان المقتول وفي الخبر لم يرث قاتل بعد صاحب البقرة
وقيل قتله اخوه ثم اوما الله عز وجل الى كيفية احياء الموتى عند البعث مخاطبا من حضر هناك
او مخاطبا لمنكري البعث من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يحيي الله الموتى
ومحل الكاف نصب على انه صفة لمصدر محذوف تلخيصه فضرب فحيي احياء مثل احياء الله الموتى
ويريكم اياته اى ويري ايات قدرته لمن حضر القتيل او لمنكري البعث والجزاء لعلكم تعقلون

اى لكي

اى لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها فتؤمنون تلخيصه لكي
تتدبروا فتعلموا المراد منكم فتمنعون نفوسكم هواها ثم قست قلوبكم اى صلبت وغلظت ويبست
وجفت قلوبكم ايها اليهود عن قبول الحق وقسوة القلب خروج الرحمة واللين منه كما قال الله تعالى وجعلنا
قلوبهم قاسية من بعد ذلك اى من بعد ما تقدم من امر احياء القتيل وما ذكر قبله من الايات
المعدودة فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة اى فالقلوب في قسوتها وشدتها مثل الحجارة ولم
تشبه القلوب بالحديد والصفر وان كان اصلب لانه قابل للتليين بالنار وقد لان لداود او اشد
قسوة اى القلوب اشد قسوة من الحجارة واشد مرفوع لانه معطوف على معنى الكاف في قوله كالحجارة
فان معناه مثل الحجارة وقسوة مصدر قسا في الاصل وهي منصوبة على التمييز قال استادي ونصبها على
التفسير كقوله هو احسن الناس خلقا واعمهم رفقا ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار واللام في لما للتاكيد وما بمعنى الذي وهو مرفوع على انه خبر ان و
المعنى وان من الحجارة الحجر الذي يتفجر منه الانهار وضمير منه راجع الى ما لا الى الحجارة وقيل راجع الى من
الحجارة فانه للتبعيض والمعنى وان بعض الحجارة وعلى هذا يكون ما زائدة كما في قوله فبما رحمة من الله
وعما قليل فبما نقضهم تلخيصه وان بعض الحجارة ليتفجر منه الانهار ومعنى يتفجر اى ينفتح بكثرة تلخيصه
وان بعض الحجارة لينفتح بكثرة وتسيل منه سيلا واسعا والانهار الكثيرة والانهار جمع نهر وهو معروف
ومعناه المجرى الواسع من مجرى الماء قيل هذا الانفجار يكون على العموم في جميع الحجار العظام التي تخرج منها
الانهار والاودية وقيل هذا الانفجار على الخصوص كما وقع لموسى في الحجر الذي كان في مخلاته حين ضربه
بعصاه فتفجر منه اثنتا عشرة عينا للاثني عشر سبطا ومعنى الخصوص اوقع في النفس لانه ذكرهم بما وقع لهم مما سبق و
قرئ بتخفيف ان على انها المخففة من المثقلة والفارق بينها وبين النافية لزوم اللام لها في قوله لما يتفجر
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء اى وان بعض الحجارة لما يتصدع فيخرج
منه الماء القليل اى عيونا دون الانهار واصل يشقق يتشقق فادغمت التاء في الشين وان منها لما
يهبط من خشية الله حسن وقد مر اعراب قوله وان من الحجارة الى اخره على الاسلوب الذي
مر ذكره قال ابو يحيى واللام في لما يتفجر ولما يشقق ولما يهبط توكيد ومحل ما نصب على انها اسم ان
والظرف خبرها والمعنى وان من الحجارة ينزل من اعلى الجبل الى اسفله من خوف الله عز وجل كما وقع في تجلي الله
للجبل وقلوبكم يا يهود لا تلين ولا تخشع والخشية محمولة على الحقيقة لان المزاج ليس شرطا في الحيوة وتسليم
الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم حديث مشهور قال الله تعالى في كتابه لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله وحنين الجذع وكلام الشاة المسمومة معه وتسبيح الحصا في كفه وكف اصحابه ومجي
الشجرتين الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تستتر بهما وقضى حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وامثال هذا ظاهر لا يخفى على
احد وقيل هذا تمثيل اى مجاز عن الانقياد اطلاق الاسم الملزوم على لازمه اى ومن القلوب لما ينزل ويخضع
لعظمة الله تعالى ثم هددهم بقوله وما الله بغافل ليس بساه عما تعملون تا وانما
يؤخركم لوقتكم فيجازيكم على اعمالكم قرأ ابن كثير بالياء على الغيبة وفيه التفات الى الخطاب والباقون بالتاء
على الخطاب ثم خاطب عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معجبا من طلبهم ايمان اليهود المعاندين

Copyright ... University

بالتحريف مع العلم ولا ستيقان ثم ارد فهم بالعوام الذين قلدوهم فهم مشاركوهم في الوزر سواء لانه على
العالم ان يعمل بما علم وعلى الجاهل ان يطلب العلم فقال افتطمعون ان يؤمنوا لكم اى اتطلبون
وترجون يا محمد انت واصحابك ان يصدقكم اليهود فيؤمنوا بما جيت به لاجل قولكم لا وانما قلنا لا لان
الهمزة للانكار واستبعاد لايمانهم والحال قد كان فريق منهم اى طايفة من احبار اليهود
يسمعون كلام الله في التوراة ثم يحرفونه اى يبدلونه ويغيرون ما فيها من الاحكام كتغيير صفة
محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وفي لفظ السماع اشارة الى عدم حظهم من معناه من بعد ما عقلوه
اى من بعد ما فهموا مراد الله بعقولهم ولم يبق لهم ريبة هل هم الفريق السبعون المختارون من قوم موسى
ام غيرهم قولان الاول هو الاظهر لانه قول ابن عباس قالوا وهولاء المختارون لما سمعوا كلام الله من موسى
بالامر والنهي حرفوا ذلك حيث قالوا لقومهم يقول في اخر كلامه ان استطعتم فافعلوا وان شئتم فلا
تفعلوا وهذا قول الكاذبين من السبعين واما الصادقون فاخبروا بما سمعوا وما في ما عقلوه مصدرية
وموضع قوله وهم يعلمون نصب على الحالية اى وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون مبطلون
قال البيضاوي ومعنى الاية ان احبار هولاء وعلماءهم ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك
بسفلتهم وجهالهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك قال الاستاد والمعنى انهم مع كثرة ما عاينوا
من الايات وشاهدوا من العجايب في عهد موسى لم يطع موسى [اى الاحبار] في ايمانهم فكيف طمعتم انتم يا محمد و
اصحابك في ايمان هولاء وهم ابناؤهم ثم اخبر عن صنع منافقي اليهود بالمومنين فقال واذا لقوا
اى منافقوا اليهود الذين امنوا من اصحاب النبي قالوا امنا كايمانكم لان محمدا نبي وهو
المبشر به في كتابنا واذا خلا بعضهم الى بعض اى واذا رجع بعض اليهود وهم الذين
ثبتوا على يهوديتهم وكفرهم بمحمد وبما جاء به ولم ينافقوا وهم رؤساء اليهود ومعنى قوله الى بعض
اى بعض اليهود وهم الذين نافقوا من اليهود لام رؤساؤهم الذين لم ينافقوا الذين نافقوا
فقالوا منكرين على المنافقين وعاتبين عليهم ثم بين العتاب بقوله اتحدثونهم اى اتخبرون
اصحاب محمد بما فتح الله عليكم اى بما من الله عليكم وعرفكم في التوراة من نعت محمد واثبات
نبوته وصدقه فيما انزل الله عليه وجاء فتح بمعنى قضى اى بما قضى الله عليكم في كتابكم التوراة من بيان
صفته وصدقه وصحة نبوته وحكم عليكم بذلك ويقال للقاضي الفتاح وجاء الفتح ايضا بمعنى بين
اى بما بين الله لكم وجاء ايضا بمعنى من كما فسرنا به وبمعنى انزل وبمعنى اعطى والكل صحيح اذ الفتح يستعمل
في الكل واصل الفتح ازالة الاغلاق ليحاجوكم به اى ليخاصموكم بما قلتم لاصحابه من صفاته في كتابكم
التوراة واللام للصيرورة تلخيصه ليحتج عليكم ويخاصمكم اصحاب محمد في انه نبي في كتابكم فتثبت
الحجة عليكم في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه عند ربكم في الاخرة لقوله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند
ربكم تختصمون وتظهر في الدنيا حيث قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخوة القردة والخنازير
قالوا بينهم من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم وقيل في معنى عند ربكم اى في حكم ربكم لقوله
فاولئك عند الله هم الكاذبون وقيل في الاية تقديم وتاخير من جهة المعنى تقديره اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم اى بما انزل عليكم من عند ربكم ليحاجوكم افلا تعقلون تا هو متصل بكلام الرؤسا لمنافقيهم

والمعنى

٢

والمعنى افلا تعقلون انكم اذا فعلتم ذلك عادت الحجة عليكم وفيه عيبكم وعيب سلفكم تلخيصه
افلا تعقلون انهم يحاجونكم اذا حدثتموهم بما اعطاكم من العلم بنبوة محمد فتنتهوا ولا تحدثونهم
بما علمكم الله في توراتكم واكتموا ذلك تغنموا تباعهم ولحقوهم اخر الدهر ثم اتى بالاستفهام التقريري
فقال عز وجل اولا يعلمون يعني هولاء المنافقين من اليهود او اللائمين منهم او كليهما او اياهم
والمحرفين والواو الداخل على همزة الاستفهام للعطف ان الله العليم يعلم ما يسرون
اى يخفون من الايمان وغيره وما يعلنون كذا اى وما يظهرون من الكفر وساير المعاصي
تلخيصه يعلم كل شي ومن علم ان الله يعلم ما يبديه ويخفيه منعه ذلك عما لا ينبغي او ما يسرون من
الاعتقاد وما يعلنون من الاقرار او ما يسرون وما يعلنون من القول والعمل فيرجعوا عن ذلك و[رجعوا] تم(?)
عنه او ما يسرون من قولهم فيما بينهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم وما يعلنون للمومنين من قولهم هو
نبي حق وهو في كتابنا ومنهم اميون مبتدا وخبر والضمير لليهود واميون جمع امي اى ومن اليهود
عوام لان الامي هو الذي لا يحسن القراة ولا يحسب الحساب ولا يكتب الكتاب منسوب الى الام كانه
باق على اصل الخلقة ثم بين ذلك بقوله لا يعلمون الكتاب اى التوراة او الكتب حتى يطالعون
ويعلمون ما في التوراة او انهم كانوا يقرؤن التوراة ولا يعرفون معناها الا اماني جمع امنية
من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وهو في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه
من الاكاذيب والاستثناء منقطع بمعنى لكن لان الاماني والاكاذيب والاباطيل والمحرف الذي تلقوه من
علمايهم السوء ليس من جنس العلم والكتاب في شيء والمعنى من اليهود جهلة لا يعلمون شيئا من التوراة
ولكن يقدرون من عند انفسهم اكاذيب او تلقوها من رؤسايهم فيعتمدون عليها وهي قولهم
ان الله يغفر لهم وان اباءهم الانبياء تشفع لهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك القراة
بتشديد ياء اماني وقرئ بتخفيفها للخفة وجاء الاماني بمعنى الاكاذيب كما قال عثمان رضي الله عنه ما تمنيت
منذ اسلمت اى ما كذبت وجاء بمعنى القراة كما في قوله تعالى الا اذا تمنى اى قرأ وجاء بمعنى الشهوات كما في قوله تعالى
يعدهم ويمنيهم وان هم الا يظنون اى وما هم في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقون ويأخذون من
علمايهم تقليدا الا يظنون ظنا من غير تيقن اتى وعلم به فويل اى شدة عذاب او الهلاك او التحسر
لان الويل كلمة تفجع وتحسر قال الله تعالى حكاية عن الكفرة يا ويلتنا او واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره او واد من صديد في اصل جهنم او واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال
لانماعت ولذابت من حره وهو في الاصل مصدر والى كما في الغاية او لم يستعمل له فعل لان فاءه وعينه
معتلتان للذين يكتبون الكتاب بايديهم اى فشدة العذاب للذين يكتبون التوراة محرفا
مبدلا مغيرا من التاويلات الزايغة بايديهم وذكرت اليد مع ان الكتابة لا تكون الا بها لافادة التحقيق
ونفي المجاز اى يتولون مباشرة كتابة ما حرفوه بانفسهم اى مختلقا من عند انفسهم زيادة في تقبيح
فعلهم وهو كقوله كتبت بنفسي او بيدي فقد اخبر انه باشره بنفسه وقال بعضهم وذكر اليد تاكيد
للفعل بحصوله بما هو مختص به وهو كقوله يقولون بافواههم وقوله يطير بجناحيه ورايته بعيني
ونحو ذلك ثم يقولون هذا من عند الله اى ثم يكذبون بافواههم بان الذي كتبوه مبدلا

[الا تتحججون باصحاب محمد من انكارهم نعت محمد وهم يعلمون ان الله يعلم الجميع]

نصف
نصف ٢

Copyright © King Saud University

من نعت النبي انه منزل من عند الله هو كذلك في التوراة لئلا تفوتهم ماكلهم التي كانوا ينالونها من
سفلتهم كما قال ليشتروا به اي ليستبدلوا بالذي بدلوه ثمنا قليلا من متاع الدنيا وثم
للتراخي رتبة لان القول اشد جرما من الكتبة واللام في ليشتروا متعلقة بيقولون فويل لهم
مما كتبت ايديهم وما مصدرية اي لكتبة ايديهم او موصولة اي للذي كتبت ايديهم من المختلق
وويل لهم مما يكسبون وما ايضا اما مصدرية اي من كسبهم من الرشوة والمعاصي او موصولة
اي او للذي يكسبونه من الرشوة لكتم نعت النبي واية الرجم واصل الكسب الفعل لجر نفع او دفع ضر
ولهذا لا يوصف به ربنا عز وجل وكتابة المصحف وبيعه امر مرخص فيه فاخذ الاجرة على كتابته جائز
لان الاية نزلت في ذم من بدل وحرف فقط وهم اليهود ومن جملة اكاذيبهم انهم قالوا لن
تمسنا النار اي لن تصيبنا النار الا اياما معدودة اي قليلة اي اربعين يوما قدر عبادة ابائهم
العجل ثم تزول وقيل سبعة الاف سنة مقدار بقاء الدنيا بزعمهم في مقابلة كل يوم الف سنة قال
بعضهم لا معنى لصرف هذه الايام الى ايام عبادة العجل لان هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبد اباؤهم ولو صرف
ذلك الى اباهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم تابوا عن ذلك وقد قال الله تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله معدودة للتقليل لان كلما دخل في العدد فسرعان ما ينفد فاكذبهم الله تعالى
بقوله قل لهم يا محمد اتخذتم هي الف استفهام دخلت عليه الف الوصل فبقيت الالف التي للاستفهام
وحذفت الاخرى استغناء بالمذكورة عند الله عهدا اي وعدا موثقا بانكم لا تعذبون او اقلتم لا اله
الا الله قال احد الكواشي وفي الكلام حذف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
الذي عهده اليكم لا محالة فالفاء على التقدير للذكر جواب لان الشرطية قال البكري دلت لن على
تابيد النفي من حيث ان الله تفضل بانه لا يخلف وعده لا من حيث وضعها ام منقطعة بمعنى بل تقولون
على الله ما لا تعلمون اي بل تقولون كاذبين على الله ما لا علم لكم به ويجوز ان يكون ام معادلة
لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقريب لان العلم واقع بوقوع احدهما وما في ما لا تعلمون
اما موصولة او نكرة موصوفة ولما قالوا لن تمسنا النار رد الله ذلك عليهم بقوله بلى اي بلى تمسكم
النار وتخلدون فيها وبلى اثبات لما بعد النفي كبل ولو كان بدل بلى نعم لكان اعترافا بالنفي ومحل من
رفع على انه مبتدأ بمعنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره وان كان جوابا للشرط وهو ما ياتي قريبا
من قوله فاولئك اصحاب النار كسب سيئة اي شركا الكسب تحصيل الشيء بالاختيار فان كان فيه
زيادة تعمل سمي اكتسابا واحاطت اي احدقت اصل الاحاطة الاحداق بالشيء من كل جانب به خطيئته
القراءة بالافراد والجمع قال الاستاذ والمعنى احدق به الشرك واستولى عليه بان مات مشركا
والعياذ بالله والخطيئة اسم للذنب من خطي بالكسر خطاء لقوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي ذنبا
كبيرا فاولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون لا غيرهم من اصحاب الكبائر
وعمم في جمع الضمير اي هم معنى من في قوله من كسب ثم بشر المؤمنين بالجنة بقوله والذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت
سنة الله في كتابه بان يشفع الوعد بالوعيد ترغيبا وترهيبا ليرجى ثوابه ويخشى عذابه وتضادها

تبيين

تبيين الاشياء واذكر اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل في التوراة وقلنا لا تعبدون القراءة بالتاء
والياء خطابا وغيبة وباثبات النون لانه جواب قسم يدل عليه اخذنا ميثاق لان معناه احلفناهم
وقلنا بالله لا تعبدون الا الله او اراد ان لا تعبدوا وقرئ بها فلما حذف ان رفع الفعل
كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى او هو خبر بمعنى النهي كقولك تذهب الى فلان تقول
كذا وكذا تريد الامر وهو ابلغ من الامر لارادتك المسارعة الى الامتثال وقرئ لا تعبدوا نهيا
فـ احسنوا او ووصينا بالوالدين احسانا برا وتعظيما ومطاوعة الا فيما نهى الله عنه
والباء بمعنى الى كقوله وقد احسن بي اي الي وقد اعظم الله حقهما حيث قرن حقهما بحقه
في الاية المذكورة اي واذ اخذنا الى ان قال لا تعبدون الا الله ثم قال وبالوالدين احسانا وقال في
اية اخرى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وفي اية اخرى وقضى ربك الا
تعبدوا الا الله وبالوالدين احسانا وفي اية اخرى واشكر لي ولوالديك وذي القربى اي صاحب
القرابة قال البكري وهم الاقارب ولو من غير ذوي الارحام وهو عطف على الوالدين والقربى
مصدر ووحد ذي ولم يقل وذوي بالجمع لانه بمعنى الجمع اذ هو بمعنى الجنس واليتامى عطف
على الوالدين في الامر بالاحسان اليهم جمع يتيم كنديم وهو صغير لا اب له ومن الحيوانات الصغير
الذي ماتت امه وفعيل على فعالى قليل ويجمع على ايتام وقد يتم ييتم يتما وهو من باب علم والمساكين
عطف على الوالدين كاليتامى في الامر بالاحسان اليهم جمع مسكين وهو هنا الفقير لان المسكنة
من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اي واخذنا عليهم الميثاق بما سبق وقلنا لهم
في هذا الميثاق وقولوا للناس حسنا القراءة بفتح الحاء والسين على انه نعت القول اي قولوا قولا حسنا
فهو مصدر وصف به للمبالغة والقول الحسن هو اظهار نعت النبي صلى الله عليه وسلم اي قولوا يا بني
اسرائيل في شان محمد صلى الله عليه وسلم قولا صدقا وحقا واخبروا بانه مذكور في كتابكم انه رسول الله وذلك
على هذا مخصوص بالنبي وقيل المراد به الصحابة معه والمعنى على هذا اي قولوا للنبي واصحابه حسنا و
صدقوهم بما يقولون والينوا لهم القول هذا قول ابن عباس وغيره والقراءة بضم الحاء وسكون السين
ايضا على انه اسم ومصدر وعن الثوري القول الحسن هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو اللين
في المعاشرة وحسن الخلق لجمع ذلك كله كافشاء السلام وملاطفة كل الناس في الكلام وقرئ حسنى
كبشرى واحسانا على المصدر والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد
ما فرض على بني اسرائيل في شرع موسى صلى الله عليه وسلم تلخيصه اخذنا عهدكم يا بني اسرائيل بجميع المذكور فقبلتم
واقبلتم عليه ثم توليتم اي اعرضتم عن الوفاء بالعهد فيه التفات من الاخبار عن الغائبين الى
خطاب من كان في زمن محمد صلى الله عليه وسلم لانه فائدة سوق الاية او المراد اباؤهم الا قليلا منكم
يريد به من اقام اليهودية ومات على الحق قبل النسخ اي قبل ان يدرك محمدا او بعد النسخ بان ادرك محمدا
وامن به وانتم معرضون كاباكم جملة معترضة اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء بالعهد والطاعة
والتولي والاعراض مترادفان فان قيل لم جمع بينهما قلنا لان قوله وانتم معرضون حال من فاعل توليتم
فهي حال مؤكدة كما في قوله ثم توليتم مدبرين او مؤسسة والمعنى ثم توليتم عن الوفاء بالعهد وانتم معرضون

اي الادبار والتولي مترادفان

Copyright © King Saud University

عن النظر والفكر في عاقبة ذلك قال الاستاد والاعراض اسوحالا من التولى لان الاعراض هو الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض والتولى هو ان يرجع عودا على بدءه وفي الجمع بينهما غاية الذم القراة قليلا بالنصب
على الاستثناء وقرى قليل بالرفع اى امتنع قليل او مبتدا خبره محذوف اى قليل منكم لم يتول ولا يرتفع
على البدلية لانه يصير المعنى ثم تولى قليل ثم اخذ العهد على بنى اسرائيل ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج
بعضهم بعضا من داره ومن وجده اسيرا اشتروه واعتقوه فذلك قوله **واذ اخذنا ميثاقكم**
ثم قلنا لكم **لا تسفكون دماءكم** اى لا يقتل ولا يريق لا مباشرة ولا تسببا بعضكم دم بعض نزل قتل الغير
واخراجه من الدار منزلة قتل نفسه واخراجه لان من اراق دم غيره فكانما اراق دم نفسه لعلة
القصاص او للاتصال دينا ونسبا والمراد بالسفك القتل واصل السفك الاراقة والصب **ولا تخرجون**
انفسكم من دياركم اى لا يخرج بعضكم بعضا من داره فيغصبها وكل موضع حل به قوم فهو دار
وجمعه ديار قال الله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين او لا تؤذوا الجار بالسب والشتم ونحوه فيخرج
فالمسبب كالفاعل فتقبلتم الميثاق **ثم اقررتم** اى اعترفتم على انفسكم بهذا العهد والتزمتموه ثم اكد الاقرار
والالتزام بقوله **وانتم تشهدون** اى تعترفون على انفسكم بهذا الاقرار كقولك فلان مقر بالذنب
على نفسه قال الاستاد والمعنى اما اقر اسلافكم وشهدوا على انفسهم وانما اسند الى الحاضرين
من حيث المجاز لكونهم على طريقتهم او المعنى وانتم ايها المخاطبون الحاضرون الموجودون في زمن نبينا صلى
الله عليه وسلم تشهدون على اسلافكم بهذا الاقرار وانما ذكرت الشهادة بعد الاقرار مبالغة كما في قولك فلان
مقر بكذا شاهد على نفسه او انتم مستمرون بعد الاقرار ثم وبخهم على فعلهم بقوله **ثم انتم** مبتدا
خبره **هؤلاء** تقديره انتم مثل هؤلاء فحذف مثل واقيم هؤلاء مقامه كقولهم ابو يوسف ابو حنيفة نحلى
هذا **تقتلون انفسكم** حال اى يقتل بعضكم بعضا او انتم مبتدا والخبر تقتلون انفسكم فعلى هذا هؤلاء منصوب
باضمار فعل او منادى اى انادى هؤلاء او يا هؤلاء كما في قوله يوسف اعرض عن هذا او هؤلاء بمعنى الذين
كقوله وما تلك بيمينك اى وما التى فتقتلون انفسكم اشارة الى نقض لا تسفكون **وتخرجون فريقا**
منكم من ديارهم اشارة الى نقض لا تخرجون انفسكم والقراة في قوله **تظاهرون** هنا وتظاهرا
في التحريم بتخفيف الظاء فيهما والقراة ايضا بتشديد الظاء فيهما اذ الاصل تتظاهرون بتائين فادغم التاء في
الظاء كما في قوله ان يصالحا بينهما صلحا ومعنى تظاهرون تعاونون جميعا **عليهم بالاثم** اى بالمعصية
والاثم كل فعل يبطا عن خير **والعدوان** اى الظلم واصله تجاوز الحد وفي ذكر العدوان بعد الاثم ترق
لان العدوان هو الظلم على الغير **وان ياتوكم اسارى** قرا حمزة اسرى بفتح الهمزة واسكان السين من
غير الف على انه جمع اسير كجريح وجرحى والباقون اسارى بضم الهمزة والالف بعد السين على انه جمع اسرى
كسكرى وسكارى ومحل اسارى نصب على الحالية اى ان جاوكم ماسورين اى ظهر وكم على هذه الحالة
ولم يرد به الاتيان الاختياري والاسير هو الماخوذ قهرا واصل الاسر الشد والايثاق ومن اخذ قهرا اشد
غالبا وسمى الماخوذ اسيرا وان لم يشد وفي التيسير وعن ابي عمرو الاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى
الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق انتهى قال احمد الكواشى وعن ابي عمرو ما صار في اليد فهم
اسارى وما جاء مستاسرا فهم اسرى واذا قيدوا فهم اسارى واذا حصلوا في اليد من غير قيد فهم اسرى

تفادوهم اى تبادلوهم الاسير بالاسير واصل الفداء حفظ الشئ بما تبذل عنه صيانة له القراة
تفادوهم بالف بين الفاء والدال والقراة ايضا تفدوهم بغير الف قال الاستاد وضمير وهو للشان
وهو مبتدا وخبره **محرم عليكم** وقوله **اخراجهم** مرتفع بمحرم او هو مبتدا واخراجهم خبره
وقال ابو الخير في قوله وهو محرم عليكم اخراجهم انه متصل ومنتظم بما قبله من قوله وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض وضمير هو للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
تخرجون من المصدر والاخراج المذكور في قوله واخراجهم تاكيد وبيان له ولم يتعرض للقتل للعلم
من حال الاخراج قال محمد بن اسحاق ان الله حرم على بنى اسرائيل في التوراة سفك دماهم وافترض
عليهم فيها فداء اسراهم فكانوا فريقين فريق منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والفرقة الاخرى
النضير وقريظة وكانت حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو
قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وبنو قريظة مع الاوس يقاتل ويظاهر كل فريق حلفاءه
على اخوانه حتى يتسافكوا الدماء وبايديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم وكان الاوس والخزرج
اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون القيمة والجنة والنار والحلال والحرام واذا وضعت الحرب
اوزارها افتدوا اساراهم تصديقا لما في التوراة افتدى بنو قينقاع ما كان من اسراهم في ايدى
الاوس وافتدى النضير وقريظة ما كان في ايدى الخزرج منهم ويبطلون الدماء وكانت العرب
تعيرهم بصنيعهم ذلك فيقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم وحرم
علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيى ان يذل حلفاؤنا قال بعضهم وفي الاية تقديم
وتاخير من حيث المعنى وتقديرها واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم وذلك محرم عليكم اى الاخراج والسفك وان ياتوكم اسارى تفادوهم كان العهد عليهم
الثلثة ترك القتل وترك الاخراج ووجوب مفاداة الاسارى فقتلوا واخرجوا فخالفوا العهد
اليهم ووفوا بالاسارى وهو من الايتان بالعهد ونحوا بما هو خلاف العهد حيث قال **افتؤمنون**
ببعض الكتاب اى ببعض ما فرض عليكم في التوراة وهو الفداء فقط حيث كانوا يفدون اساراهم
وتكفرون ببعض وهو القتل والاخراج اى لا تتركون القتل والاخراج وتركهما فرض عليكم في التوراة
فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما بمعنى وما استفهام مرفوع على الابتداء وخبره جزاء او نفى
ومحل منكم النصب على حال من الضمير في يفعل **الا خزى** اى هوان وذل وعذاب فخزى قريظة
القتل والسبى وخزى النضير الجلاء والنفى الى الشام وضرب الجزية **في الحيوة الدنيا** وهذا
اسهل بنسبته خزيهم في الاخرة كما قال **ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب** وهو عذاب النار
وهذا كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
القراة يردون بياء الغيبة وقرى بالتاء خطابا وفي رواية المفضل تردون بتاء الخطاب لقوله ذلك
منكم **وما الله بغافل عما تعملون** اى ليس هو بساه عن صنيعكم حيث بدلتم احكام التوراة
فيجازيكم على ذلك القراة بتاء الخطاب بناء على قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون والقراة ايضا بياء الغيبة
بناء على قوله يردون بياء الغيبة والخطاب ابلغ ترهيبا لما فيه من تاكيد الوعيد **اولئك الذين**

اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اى بالحيوة الاخرة فاثروا الفاني على الباقي وقد مر تفسيره في قوله
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومعناه ملخصا اخذوا
قليل الدنيا بدلا عن كثير الاخرة ثم اخبرهم متهددا ان عذابي الدنيا والاخرة لا يفتر عنهم العذاب
ولا ينصرون مانع لهم منه بقوله فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون اى لا يهون عنهم
العذاب ولا يمنعون منه بدفع وقهر من احد قال الاستاد معناه ولا يكون لهم نصرة في الدنيا
لان المبطل وان غلب صورة فهو مخذول حقيقة ولا ينقص لهم خزى في الاخرة باحراقهم في النار
ولقد اتينا موسى الكتاب اى اعطينا موسى التورية اخبر الله قبل هذه الاية انه اعطى بني اسرائيل الكتاب
والرسل وبين معاملتهم في حق الكتاب والرسل ثم اخبر مرة اخرى بمعاملتهم ههنا في الكتاب والرسل
حيث قال ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل اى واتبعنا واردفنا من بعده
رسولا من بعد رسول مقتفين اثره وقد روى ان الله عز وجل بعث بعد موسى الى عصر عيسى اربعة
الاف نبي وقيل سبعين الف نبي عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى كاشمويل
بن بابل ومنشائيل وشعيا بن امضيا وحزقيل وارميا بن حلقيا وهو الخضر وداود بن ايشا وهو ابو سليمان
وعيسى بن مريم فان الله اخذ العهد والميثاق على هؤلاء الاجلة عليهم الصلوة والسلام ان يؤدوا الى
اممهم صفة محمد وامته صلى الله عليه وسلم كذا اخرجه ابن عساكر واتينا عيسى ابن مريم البينات واعلم
ان موسى وعيسى ومريم اسماء اعجمية ولذلك لا تنصرف حين اجتمعت العجمة والتعريف ومعنى موسى هو
ان مو هو في لسانهم الماء وشا الشجر وهم يقولون موشى ومعناه انه اخذ من بين الماء والشجر اى من
تابوت كان هو فيه ثم جعل التابوت في الماء والشجر فاخذ في دار فرعون ونقلت الشين الى السين في العربية
وعيسى معرب ايشوع في العبرية بمعنى الخادم قال الاستاد وعيسى في لسانهم عيشى بالشين
من العيش الذى هو الحيوة وكان يحيى الله بدعايه الموتى ونقلت الى السين في العربية وان جعل في
الاصل بالسين فهو من العيس الذى هو البياض ومريم معناها بالسريانية الخادم او العابدة وقد
جعلتها امها محررة لخدمة المسجد والبينات الايات الظاهرات كالانجيل والمعجزات الباهرات
كاذهاب البرص وابراء الاكمه واحياء الموتى والاخبار بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم وشفاء
المرضى وايدناه اى قويناه بروح القدس اى بروح المقدسة الطاهرة وهو جبريل كان يسير
معه حيث سار وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس لم يؤذن للارض
ان تاكل من لحمه او هو الانجيل الذى فيه احكام دينهم سمى الانجيل روحا كما سمى القران روحا قال الله
تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سمى جبريل بالقدس لانه معصوم لم يقترف ذنبا اضيف الموصوف
وهو الروح الى الصفة وهو القدس مبالغة في ثبوت القدس والطهارة لجبريل وهو كقولهم حاتم الجود
او الروح هو جبريل والقدس هو القدوس وهو الله عز وجل فاضافة روح الذى هو جبريل الى
القدس الذى هو القدوس وهو الله على هذا لتشريف جبريل وتكريمه لانه الذى نفخ الروح في عيسى
بارادة الله تعالى او روح القدس هو اسم الله الاعظم الذى كان به يحيى الموتى ويرى العجائب قراءة
الجمهور القدس بضم القاف والدال على الاصل ولم يراعوا الثقل لقلة حروف الكلمة وقرا ابن كثير باسكان

الدال

الدال فرارا من اجتماع الضمتين افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم والاستفهام للانكار
التعجبي والفاء لعطف الشرطية على الفعلية قبلها تقديره ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده
بالرسل الى قوله افكلما جاءكم رسول الى اخره ويجوز ان يكون عطفا على مقدر كانه قال ولقد اتينا موسى
الكتاب وارسلنا بعده رسلا اكراما لكم فجحدتم وعصيتم ذلك فكلما جاءكم رسول بما لا تحب انفسكم من الحق
قال الاستاد الخطاب لمن عاصر النبي من اليهود والمراد اباؤهم وسلفهم تقديره ولقد اتينا بني اسرائيل
انبياءكم ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول بما لا يوافق اهواءكم وهو سكم من الحق استكبرتم اى تعظمتم عن اتباع
الرسل والايمان بهم وبما جاءهم من عند الله او طلبتم الكبر عن اتباعه قال الاستاد ثم وسط همزة الاستفهام
بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم وتعجيبا من شانهم وصنيعهم ثم جاء بفاء العطف في قوله ففريقا
اى فطايفة منهم لتعطف ما بعدها على استكبرتم تخصيصا استكبرتم فكذبتم اى فكذبتم طايفة من
الرسل وهم الذين لم تقدروا على قتلهم كعيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام قال البيضاوي
والفاء للسببية او للتفصيل انتهى وفريقا تقتلون اى وقتلتم طايفة من الرسل وهم الذين قدرتم على
قتلهم كزكريا ويحيى وشعيا قال تقتلون بالمضارع ولم يقل قتلتم بالماضي ولذا اريد بفعل المضارع الماضي
وذلك اما للتعظيم استحضار تلك الحالة والصورة الفظيعة فكانها وان مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت
عارها عليهم وعلى ذريتهم من بعدهم او المراد تقتلون فيما ياتي ان قدرتم على القتل لانهم ارادوا قتل محمد صلى الله
عليه وسلم وسعوا في ذلك ولهذا سحروه وسموه يوم خيبر وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في مرضه الذى توفي فيه لا زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا اليهود للنبي
صلى الله عليه وسلم استهزاء قلوبنا غلف القراءة بضم الغين واسكان اللام جمع غلاف كفرش في فراش
وهو الوعاء اى قلوبنا اوعية للعلوم فلا حاجة لنا بعلم محمد او قلوبنا اوعية لكل علم ومع ذلك فلا تعي علمك
ولا تفهمه ولو كان فيه خير لوعت قلوبنا علمك وقرى بضم الغين واللام او جمع اغلف كاحمر اى مغشاة
باغطية فلا تعي قلوبنا ولا تفهم ما تقول انت قال الاستاد والمعنى عندي قلوبنا ذات غلاف لا يصل اليها
ما يقول محمد مستعار من الاغلف الذى لم يختن والاقلف والاغلف معناهما واحد كما في التيسير انتهى وفي مسند
احمد بسند جيد عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه
مثل السراج يزهر وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن
سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكر واما القلب
المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والدم فاى المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وفي رواية اخرى فاى المادتين غلبت صاحبها
اهلكته وقال ابو يحيى ولما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون سكتوا ولم يسعهم
التكذيب فقالوا قلوبنا غلف كما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقالوا لشعيب عليه الصلاة والسلام ما نفقه
كثيرا مما تقول فاضرب الله تعالى عن دعواهم وكذبهم عما قالوا مثبتا ان قلوبهم خلقت على الفطرة السليمة
القابلة للايمان والتمكن من قبول الحق لولا ما عرضها من الكفر فقال بل لعنهم الله بكفرهم اى ابعدهم
عن رحمته بسبب جحودهم الحق كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم والمعنى بعبارة اخرى اى طردهم الله من رحمته

Copyright King Saud University

بسبب صرفهم القدرة والارادة من الطاعة الى ايثار الكفر فافسدوا الفطرة او هم جهلة ملعونون بعض
ما فى التوراة فمن اين لهم دعوى العلم ولا استغناء عنك فقليلا ما يؤمنون وما زايدة لتاكيد القلة وقليلا
منصوب على انه صفة مصدر محذوف تقديره فايمانا قليلا يؤمنون اى فايمانهم قليل جدا لان من المشركين
اكثر من مؤمن اليهود او هو ايمانهم ببعض الكتاب او ما زائدة بان يراد بالقلة العدم اى فما يؤمنون قليلا ولا
كثيرا وفيه نظر لان النفى له صدر الكلام فلا يعمل ما بعده فيما قبله كالاستفهام ولا يكون ما مصدرية لبقاء قليلا
بلا ناصب وفى الغاية ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم لعدم الاعتداد بذلك الايمان ويكون قليلا حينئذ من
صفات الاحيان كانه قيل لا يؤمنون الا بقليل مما فى ايديهم ويكفرون بما وراءه او اراد بالقليل ما لا عبرة به كقوله ولئن
سالتهم من خلقهم ليقولن الله وهذا ايمان منهم بهذا مع كونهم مشركين فى غير هذا الايمان كما جعلوا عزيرا ابنا
لله تعالى وهم اخر الدهر ولما جاءهم اى اليهود كتاب من عند الله وهو القران العظيم
مصدق لما معهم من الكتاب وهو التوراة لان القران لا يخالف التوراة فى الاصل الذى هو التوحيد والطاعة
ومصدق بالرفع صفة لكتاب وقرئ مصدقا بالنصب حال من كتاب او من الظرف والعامل فيه الظرف وجواب
لما محذوف تقديره كفروا ولا يكون فلما الثانية فى قوله فلما جاءهم للجواب لوجود الفاء فيها لان لما لا
تجاب بالفاء عند اكثرهم وسبب نزوله ما روى ان معاذ بن جبل رضى الله عنه قال لاهل الكتاب انكم فيما
سلف كنتم تستنصرون برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائكم حيث كنتم تقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى
المبعوث اخر الزمان وكنتم تقولون لهم ايضا ان نبينا يبعث قد اظل زمانه يخرج بتصديق ما قلناه نتبعه
ونقتلكم معه قتل عاد وارم فما لكم ادركتموه فلم تؤمنوا به فقالوا ليس هذا بذلك النبى فنزلت ولما جاءهم
كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل اى من قبل نزول هذا القران المصدق يستفتحون
اى يستنصرون قال الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح والسين للمبالغة كما فى استعجب او يسال بعضهم بعضا
على الذين كفروا والمعنى وكانوا يستنصرون على الذين كفروا بالله ورسله فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق وهو بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كفروا به حسدا وحرصا على الرياسة وهذا جواب لقوله فلما جاءهم
ما عرفوا وقال السدى وقتادة وابو العالية وكانت الحرب اذا استدارت بين اليهود ومشركى العرب
اخرجوا التوراة ووضعوا ايديهم على موضع صفات النبى وذكره باحسن الاخلاق وقالوا اللهم انا نسالك بحق
نبيك الذى وعدتنا ان تبعثه فى اخر الزمان ان تنصرنا اليوم على عدونا فكانوا ينصرون فلعنة الله ع٠
على الكافرين الالف واللام للعهد اى عليهم وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان اللعنة والطرد
انما لحقهم بسبب كفرهم او هى للجنس وهم اولى من دخل فيه لقبح كفرهم ولان الكلام انما هو فيهم وما فى
بئسما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس المستتر بمعنى شيئا اى بئس شيئا وبئس نقيض نعم وهما فى
الاصل فعلان ماضيان على وزن علم جعلا للمدح والذم اشتروا به اى باعوا بذلك الشئ انفسهم
اى حظ انفسهم من الثواب والمخصوص بالذم هو قوله ان يكفروا اى كفرهم بما انزل الله من
القران قال الاستاد والمعنى اذا كان الشرى بمعنى البيع اى بئس شيئا باعوا به حظ انفسهم من النجاة
والكرامة بالثمن الذى هو للهلاك والاهانة وهو الكفر بالقران واما اذا كان الشرى بمعنى الشراء لا البيع فالمعنى
بئس شيئا بدلوا انفسهم بهذا الثمن وهو الكفر بايات القران فصارت انفسهم للنار وهو معنى قوله فى اية

اخرى

سورة البقر

اخرى خسروا انفسهم قال البيضاوى ما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته
٣ ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا انتهى قال القفال
يجوز ان يحمل الشرى على الاشتراء الذى هو التملك فان النفس مرهونة بعملها قال الله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة وافتكاكها بمنزلة اشترائها وانما يجب ان يشتريها بالعمل الصالح فاذا كفر فقد اراد افتكاكها بالكفر
وبئسما افتكاكها به بغيا منصوب على انه مفعول له ليكفروا وهو علة للشراء واصل البغى الطلب والمراد
به هنا الفساد والظلم والحسد اى كفروا لاجل الحسد ان ينزل الله من فضله بانزال الله تعالى
الفضل وهو القران على من يشاء للرسالة من عباده وهو محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن اختاره
للرسالة القراءة تنزل وتنزله وينزل مستقبلا مخففا ومشددا فى الثلثة وكلهم شددوا ما ننزله
الا بقدر معلوم فباءوا اى رجعوا وهو عطف على اشتروا بغضب اى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والتنكير للتعظيم والجار والمجرور فى محل النصب على الحال اى مغضوبا عليهم على غضب صفة لغضب الاول
والمعنى صاروا احقاء بغضب شديد متصل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليهما الصلوة والسلام ولتضييعهم التوراة
وعبادتهم العجل وغير ذلك من كفرياتهم وقيل الغضب الاول هو قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
والاخر تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واحسن ما قال فيه ان معناه استحقوا غضبا متتابعا متواترا كما يقال
فلان يحسن الى احسانا على احسان اى على التتابع وللكافرين عذاب مهين اى مذل ذو اهانة
فى الاخرة بعد عزتهم فى الدنيا واعلم ان عذاب المؤمنين تاديب وتطهير وان كان فى صورة الخزى لقوله تعالى
انك من تدخل النار فقد اخزيته وعذاب الكفار اهانة وتشديد قال الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون
وقال ذق انك انت العزيز الكريم وقال يسحبون فى النار على وجوههم واذا قيل لهم امنوا
بما انزل الله اى واذا قال اصحاب رسول الله لهؤلاء اليهود الذين يكفرون بالقران امنوا بالقران
والتوراة وبساير كتب الله قالوا نؤمن بما انزل علينا اى نؤمن بالتوراة التى هى كتابنا انزل على نبينا
موسى فقط قال الله تعالى ويكفرون الواو للحال بما وراءه اى بما سوى التوراة من الكتب الالهية او بالكتاب
الذى بعد التوراة وهو الانجيل والفرقان وقيل ما بمعنى من كما فى قوله انكم وما تعبدون من دون الله
ومعناه بمن وراء موسى وهو عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قال الازهرى وراء يصلح لما قبله ولما
بعده لان معناه توارى عنك اى استتر وهو موجود فيهما وهو الحق الضمير لما فى قوله بما وراءه وفى تجد
لتوحد اللفظ والجملة فى محل النصب على الحالية والعامل فيها يكفرون وقوله مصدقا لما معهم
حال ثانية مؤكدة من الحق والعامل فيها ما فى الحق من معنى الفعل وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام
والمعنى ان القران انما يكون هو الحق اذا كان مصدقا لكتب الرسل فاذا لم يصدقها فليس بحق ولو قلت
هو زيد قائما لجعل قائما حالا لم يجز لانه يلزم انه انما يكون زيدا اذا كان قائما فاذا ترك القيام فليس بزيد
ولو قلت هو زيد معروفا جاز لتخصيصه انتم كاذبون فى قولكم نؤمن بما انزل علينا لانكم تكفرون بما يوافق كتابكم
وهو القران واذا كفرتم به فقد كفرتم بكتابكم ثم استفهم معرضا عليهم بقتل الانبياء حاذفا الالف من فلما
فرقا بين الاستفهام والخبر فقال فلم تقتلون انبياء الله اى لاى شئ قتل اباؤكم وسلفكم انبياء الله
ولما رضيتم بفعلهم فكانكم قد قتلتم فى زمن الماضى ولذلك قال من قبل اى من قبل هذا الزمن قال الاستاد

Copyright King Saud University

واصل فلم فلما اللام للتعليل دخلت في ما التي هي للاستفهام وسقطت الالف تخفيفا لكثرة الاستعمال في الاستفهام
نحو كفعلهم بم وعم وفيم وتقتلون مستقبل في معنى الماضي كما في قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما تلت
وقال والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وقال وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ان كنتم مؤمنين تا
بالتورية بان الله عهد الينا في التورية ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار وقد فهيم فيها
عن قتلهم اذ ليس فيها جواز قتل مؤمن فضلا عن نبي واعلم ان الحاضرين واذ لم يقتلوا الا انهم على دين
ابائهم معتقدون صواب افعالهم فلذا اسند فعلهم اليهم وقد تقدم شرح هذا المعنى آنفا وانما كررنا ذلك
لزيادة التوضيح كما يقتضي المقام ذلك ولقد جاءكم موسى بالبينات اي بالمعجزات الظاهرات وهي الايات
التسع التي في الاعراف ان شاء الله تعالى وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء
وفلق البحر وتفجير الماء من الحجر ثم اتخذتم العجل الها تعبدونه من بعده اي من بعد ذهابه وانطلاقه
الى الجبل للميقات المعلوم وانتم ظالمون كالحـ اي وانتم قوم دابكم الظلم فلا يبعد منكم عبادة العجل وهذا
اعتراض او حال والغرض منه التوبيخ اذ عبادة العجل لا يكون الا ظلما والظلم وضع الشي في غير موضعها وفي
هذا رد لقولهم في الاية التي قبلها حيث قالوا نؤمن بما انزل علينا اي انتم مبطلون في هذا الدعوى واذ اخذنا
ميثاقكم على العمل بما في التورية ورفعنا فوقكم الطور حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم كرر ذكر
الطور ههنا وفيما مر لان فيما ذكر اولا من تعداد النعم حيث قال هناك ثم عفونا عنكم وذكره ههنا لتوبيخهم
في دعوى الايمان بما انزل عليهم وهم قد عبدوا العجل وردوا الميثاق ولم يذكر بعدها عفوا ولا نحوه خذوا
اي وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد واجتهاد وعزم على العمل به واسمعوا حس اي اطيعوا
لما تؤمرون به سماع قبول وطاعة قال الله تعالى واسمعوا واطيعوا وقال الله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون اي لا يقبلون ولا يعملون به ومعنى قوله قالوا سمعنا وعصينا اي قالوا سمعنا قولك بالاذان
وعصينا امرك بالقلوب قال الاستاد في قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا بل كان بعده باوقات
لانهم لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدائد رفع الله الجبل فوقهم ليهلكهم فقبلوها خوفا وقالوا سمعنا
واطعنا فلما زايل الجبل وخرجوا من تحته وامنوا قالوا عصينا وهو كقوله ثم توليتم وكان التولي بعد ذلك باوقات
وقيل كان السمع من ابائهم والعصيان من ابنائهم واشربوا اي خولطوا ثم بين مكان الاشراب وموضعه
بقوله في قلوبهم العجل المعنى دخل حب العجل في قلوبهم كتداخل الصبغ الثوب وذلك بكفرهم
اي بسبب كفرهم تلخيصه ان حب العجل والحرص على عبادته رسخ في قلوبهم وتمكن في باطنهم كما تمكن وداخل
الثوب الصبغ وبعبارة اخرى جعلوا شاربين حب العجل نافذا في اعماقهم نفوذ الماء فيما يتخلخل يقال في الوصف
مشرب اللون اي مختلط البياض بالحمرة بحيث لا يفارق هذا عن هذا وفي قوله بكفرهم اثبات فعلهم واختيارهم
وهو دليل مذهب اهل السنة والجماعة ويجوز ان يقال ان الله عز وجل اشرب اي ادخل في قلوبهم ذلك وفي
هذا اثبات التخليق من الله عز وجل قل لهم بئسما شيئا يامركم به ايمانكم بالتورية والمخصوص بالذم
محذوف تقديره ان تعبدوا العجل اي عبادة العجل واضافة الامر الى الايمان استهزاء بهم ان كنتم مؤمنين
تا اي ان كنتم مصدقين بالتورية فرضا وتقديرا ما امركم بعبادة العجل وساير القبائح حاصله ان ايمانا
يدعوا الى عبادة العجل انما يليق باولئك الاشقياء وفي الشرطية تقرير لابطال دعواهم الايمان بالتورية حيث قالوا

نؤمن

نؤمن بما انزل علينا قال الاستاد والمعنى ان كنتم مؤمنين كما تزعمون بان ايمانكم بالتورية يامركم بقتل
الانبياء وعبادة العجل ونقض الميثاق وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فبئسما يامركم به ايمانكم وقال الاستاد
ايضا والمعنى بعبارة اخرى اي ان كان حب عبادة العجل يساوي ويعدل حب عبادة خالقكم فبئس الايمان
ايمان يامر العبد بالكفر وحقيقته ان هذا ليس بايمان اصلا بل هو كفر محض فان الايمان لا يامر بالكفر و
انما يامر بالخير والطاعة واضافة الامر الى الايمان مجاز ومعناه الدلالة والارشاد بطريق التسبب ونظيره
قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اي ان اداء الصلوة باركانها وشروطها وآدابها سبب للانتهاء
عن الفحشاء والمنكر وقال السدي وابن جريج لما رجع موسى الى قومه اخذ العجل فحرقه ثم جعل اجزاءه
كالهباء في الهواء وبالمبرد ثم ذراه في اليم فلم يبق نهر يجري يومئذ الا وقع فيه منه شيء ثم قال لهم اشربوا منه
فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب فهؤلاء شربوا بافواههم واشربوا العجل في قلوبهم وقال
الحسن كان بقي منهم طايفة لم يتوبوا من عبادتهم العجل ولم يقبلوا ما جاء عن الله من التوبة وهم الذين
بقي حب العجل في قلوبهم وهم الذين قال الله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب الاية اظهر الله
في هذه الايات افعالهم واقوالهم الفاسدة ثم رد فيما بعده ما كان لهم من ذلك من الاطماع الفاسدة فانهم
قالوا لن تمسنا النار ولن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه فامر الله نبيه بالرد
عليهم بان يقول لهم قل اي قل لهم يا محمد ان كانت لكم الدار الاخرة اي الجنة عند الله خالصة
اي خاصة بكم صافية سايغة لكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وخالصة منصوب
على انه حال من الدار وعند خبر كان قال الاستاد وخالصة منصوب على انه خبر لكانت واسم كان
هو الدار ويجوز ان يكون نصب خالصة على المصدر وان لم يجوز الحال عن اسم كان فعن المستكن
في لكم انتهى من دون الناس كلهم كما زعمتم او من دون محمد واصحابه فتمنوا الموت اي فاحبوا
الموت واسالوه من الله لانفسكم واصل التمني تقدير الشيء في النفس واكثر ما يستعمل فيما لا حقيقة له
ويعبر عن التمني باللسان ان كنتم صادقين تا في قولكم ان الجنة لنا ونحن اهلها لان من يعلم ان
الجنة ماواه يحن اليها ولا سبيل اليها الا بالموت وبعبارة اخرى ان كنتم صادقين في دعواكم لان من ايقن
ان الجنة له ماذا اتى قفه في دار البلايا والافات قال الاستاد وتعلق بقوله فتمنوا الموت شرطان
على ان الشرط الاول وهو ان كانت لكم الدار الاخرة قيد في الشرط الثاني وهو ان كنتم صادقين اي
ان صدقتم في زعمكم انها لكم ومن كانت له يؤثر الوصول اليها والموصل اليها الموت فتمنوه واستريحوا
من دار البلاء والمحنة والافات انتهى قول الاستاد قلت ومعنى قول الاستاد وتعلق اي ارتبط
لان هذا التعلق معنوي لا نحوي فان قيل ان المؤمنين اجمعوا على ان الجنة للمؤمنين من دون غيرهم
ثم ليس احد منهم يتمنى الموت اذا قيل له اطلب الموت وتمناه فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك
قلنا ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والرتبة عند الله ما جعل اليهود ذلك لانفسهم لانهم
ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وان الجنة خالصة لهم والانسان لا يكره القدوم على ابيه وحبيبه
ولا يخاف انتقامه بالرجوع والمصير اليه بل يرجو وصوله الى محابه فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوا
ظهر كذبهم في دعاويهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تمني الموت قال لا يتمنى احدكم الموت

Copyright © King Saud University

٤١

لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى قال خباب بن الارت رضى الله عنه لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت الله به وقال الشيخ فان قيل لو تمنوا الموت وماتوا بالتمنى اليس قد كان انقضاء العمر بدون الاجل الذى جعل لهم واليس فى ذلك الموت تقديم الآجال عن الوقت الذى كان اجلا لهم وقد قال الله لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قيل لهم فى الجواب اذ اعلم الله عز وجل منهم فى سابق علمه وازليته انهم لا يتمنون جعل آجالهم ذلك ولو علم منهم انهم يتمنون الموت لكان يجعل آجالهم ذلك فى الابتداء وكذا هذا فيما روى ان صلة الرحم تزيد فى العمر انه كذلك يجعل فى الابتداء لا ان يجعل اجله الى وقت ثم اذا وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل او ينقص لتمنى الموت عن الاجل المضروب له **ولن يتمنوه ابدا** اى لا يشتهون الموت ابدا ولن يسالوه فى جميع زمان المستقبل لان ابدا اسم لجميع مستقبل الزمان كقط لماضيه ولم يقع التمنى من احد من اليهود اصلا وقطعا ولو احب الموت احد منهم لاشتهر ونقل الينا خبر ذلك روى ان جماعة من المسلمين ومن تقدمهم احبوا الموت وفرحوا به عند قدومه لعلمهم بمصيرهم كيوسف صلى الله عليه وسلم وعلى بن ابى طالب حين قال لا ابالى سقطت على الموت او سقط الموت على وحذيفة حين احتضر قال جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره وعمار حين قال بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه ولم يجبه احد من اليهود وهذا من المعجزات التى ثبتت بها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وكون القرآن من عند الله وذلك لانه اخبار بالغيب حيث قال ولن يتمنوه ابدا وقد وقع كما قال روى ان اليهود لو تمنوا الموت لغص كل واحد منهم بريقه ولما بقى على الارض يهودى الا مات وفى رواية لو تمنوا الموت لشرق كل يهودى بريقه ولم يبق على وجه الارض يهودى قال ابن عباس كان الله حكم انه لا يتمنى الموت من بنى اسرائيل ممن قرأ التوراة وشهد بما فيها وانها من عند الله ثم كفر بما فيها الا مات من ساعته وعن نافع قال جالس الينا يهودى يخاصمنا فقال ان فى كتابكم فتمنوا الموت وانا ذا اتمنى الموت فما لى لا اموت فسمع ذلك ابن عمر فدخل بيته فاخذ السيف ثم خرج ففر اليهودى حين رآه فقال ابن عمر اما والله لو ادركته لضربت عنقه توهم هذا الجاهل ان هذا لليهود فى كل وقت اذا تمنى الموت يموت بل انما هو لاولئك الذين كانوا يعادون النبى فى حياته ويجحدون نبوته بعد ان عرفوه اذا تمنى الموت يموت وقال الامام القفال لم يخل ذلك من احد الامرين اما ان علموا صدقه وانهم لو تمنوه لم يمهلوا وماتوا وفى ذلك دليل على انهم عرفوا نبوته فعاندوه واما ان لم يعلموا ذلك ومنعهم الله عن هذا التمنى وصرفهم عنه وخذلهم فيما ازال تمنيه عن قلوبهم وفى ذلك بيان صدق النبى لان هذا امر خارج عن العادات لا يفعله الله الا لاراد معجزة تدل على نبوة نبى فان قيل لن هذا للتابيد ثم ذكر انهم يتمنون فى النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك ويقولون يا ليتها كانت القاضية اى الموت قلنا فى الجواب هذا التابيد فى الدنيا كما فى قوله لن تراني **بما قدمت ايديهم** اى بما عملوا بانفسهم والعرب تضيف فعل كل النفس الى اليد لحصول الفعل من اليدين غالبا وعلى متعارفهم نزل القرآن قال الله تعالى ذلك بما قدمت يداك ذلك بما قدمت ايديكم وفى امثال يداك اوكتا وفوك نفخ ومعنى بما قدمت ايديهم اى بعثتهم

الانبياء

٣

الانبياء وتغييرهم نعت النبى وتكذيبه قال الاستاد معناه بسبب تقديم ايديهم الذى فعلوه فى الدنيا من كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم فى دعواهم وقال ايضا وانما اسند فعل جملة البدن الى اليد لانه جناح الانسان ومحل ايثار قدرته وبها اكثر اعماله **والله عليم بالظالمين** اى لا يخفى به هؤلاء وهم ظالمون بهذه الافعال وخصهم بعلمه بظلمهم وان كان الله عالما بهم وبغيرهم لانه اراد به تخصيصهم بالتهديد بالشديد وهو ابلغ وعيد قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون تخصيصه والله عليم بالكافرين فيجازيهم **ولتجدنهم احرص الناس على حيوة** ادخل لام القسم على تجد التى بمعنى العلم المتعدية الى مفعولين المفعول الاول هو هم والمفعول الثانى احرص واصل الحرص الظهور وفرط الشره وافعل التفضيل اذا اضيف الى جملة هو بعضها لم يحتج الى ذكر من كقولك زيد افضل الناس ولا يضاف الى جملة ليس بعضها لان المراد تفضيل الشئ على جنسه فلا يقال زيد افضل اخوته لان اخوته غيره بدليل انه لو سئل عن اخوة زيد لقيل بكر وعمرو وخالد لم يدخل زيد فيهم ولو قلت زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة وعليه قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة لان اليهود من الناس وان صار بعضهم قردة وخنازير واراد بقوله على حيوة اى حياة متطاولة ولذلك نكر الحيوة فانى لهم تمنى الموت قال الاستاد والمعنى والله يا محمد لتعلمن اليهود احرص الناس واشدهم ولوعا واغرطهم فى الشره على حيوة متطاولة فانى لهم تمنى الموت انتهى ثم بالغ فى توبيخهم بقوله **ومن الذين اشركوا** وانما قدرنا احرص لدلالة احرص الناس عليه واذا اختلف الجنسان جئ فى التفضيل بمن فقيل زيد افضل من اخوته والخيل افضل من الحمير فعلى هذا ومحل من الذين اشركوا جر لاضافة احرص المحذوفة اليه والمراد بالذين اشركوا المجوس او اليهود الذين قالوا عزير ابن الله واذا كان المراد باليهود الذين قالوا عزير ابن الله فالمعنى حينئذ ومن هؤلاء اليهود اناس وافرد المشركون بالذكر وان كانوا من الناس لشدة حرصهم على الحيوة وانما كان هؤلاء اليهود احرص من المشركين على الحيوة لعلمهم ما هم صائرون اليه من العذاب قال الحسن ومقاتلهم مشركو العرب وانما كان اليهود احرص على الحيوة مع انهم مقرون بالبعث والقيامة من المجوس والمشركين وهم ينكرون البعث لما قال ابن عباس ان اليهود عرفوا ما لهم فى الآخرة من الخزى والنكال بما صنعوا من الظلم مع العلم **يود** اى هؤلاء اليهود قوم يتمنى ويحب ويريد **احدهم لو يعمر الف سنة** اما حقيقة اى تعمير الف سنة بالتمام او المقصود المبالغة فى الحيوة حتى انه لا يموت ابدا ولو مصدرية بمعنى ان وهى بصلتها فى تاويل مصدر مفعول لقوله يود قال الاستاد والمعنى يتمنى احدهم ان يعطى العمر والبقاء الف سنة قال ابو الخير وانما كان هؤلاء احرص من المشركين على الحيوة لعلمهم ما هم صائرون اليه من العذاب فعلى هذا يكفى الوقف على حيوة ويتم على اشركوا ان جعلت يود مستانفا اى هؤلاء قوم يود اى يتمنى وان جعلت اشركوا كلاما مبتدأ اى ومنهم ناس يود احدهم على حذف موصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم لم تقف على اشركوا ووقفت على حيوة وكذلك لا تقف على اشركوا ان جعلت يود حالا من الذين اشركوا اى وادا احدهم فعلى هذا الذين اشركوا المجوس وان جعلتها حالا من هم فى لتجدنهم اى لتجدنهم احرص الناس وادا احدهم لو يعمر الف سنة فعلى هذا الذين اشركوا اليهود الذين قالوا عزير

Copyright ... University

فعلى هذا لا وقف على اشركوا ولا على حيوة لئلا يفصل بين الحال وصاحبها ولو هنا ليست التي يمتنع بها
لامتناع غيره وانما هي بمعنى ان الناصبة للفعل ولم تنصبه وفيها معنى التمني والمعنى تمنى احدهم تعمير الف
سنة وانما خص هذا العدد لانه من تحية المجوس يقولونها فيما بينهم عند العطاس ويقولون عير المجوس
عند العطاس تعيش عشر الف سنة والف نيروز والف مهرجان وهذه التحية بالعجمية بزى هزار سال
والضمير في قوله وما هو لاحدهم فالاحد الذي يرجع اليه الضمير اسم لما اي وليس الاحد الذي ود
ان يعمر الف سنة بمزحزحه اي بمباعده ومنجيه من العذاب بالنار ان يعمر كما الزحزحة
المباعدة تكون لازما ومتعديا تقول زحزحته فتزحزح وزحزحته فزحزح قال الاستاد وضمير
هو لاحدهم واحد على هذا اسم لما ومن العذاب خبر لما وان يعمر مرفوع بمزحزحه اي فاعل المزحزحه
كما يرفع الفعل فاعله تلخيصه وما احدهم بمنجيه من النار تعميره او وما يزحزح احدا منهم من العذاب
تعميره اي طول عمره ويجوز ان يرجع هو للتعمير وان يعمر بدل من هو او هو ضمير مبهم وان يعمر موضحه
ومفسره قال ابو بشر واصل سنة في قوله الف سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل اصله سنهة
كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون نا
اي والله المطلع على كل شيء بصير بما تعملون فيجازيهم على ذلك قرأ يعقوب بالتاء على الخطاب لانه خطاب
مع الحاضرين وتذكير لهم والباقون بالياء على الغيب لانه حكاية عن غايبين قال عبد الله بن صوريا
اليهودي وكان بيته بفدك للنبي صلى الله عليه وسلم من الذي يأتيك بالوحي من الملئكة فقال جبريل فقال هو عدونا
ولو كان غيره لامنا بك ثم بين سبب عداوته فقال ان الله انزل على موسى ان بيت المقدس سيخربه
رجل اسمه بخت نصر فبعثنا رجلا قويا لقتله فوجده غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفعه عنه جبريل
وقال ان كان ربه امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وان لم يكن هو فلم تقتلونه فكبر بخت نصر وبلغ
حد الرجال وذهب الى بيت المقدس فخربه وايضا ان الله امر جبريل بوضع النبوة فوضع في غيرنا وفي
رواية ان اليهود قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من صاحب محمد من الملئكة فقال جبريل فقالوا هو
عدونا ويأتي بكل عذاب وميكايل يأتي بالخصب والسلم فقال لهم عمر اخبروني عن مقام جبريل وميكايل
ومنزلتهما عند الله فقالوا جبريل عن يمين الله وميكايل عن يساره وجبريل عدو لميكايل فقال عمر اشهد
انه من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكايل ومن كان عدوا لهما فانه عدو لله فنزل قوله تعالى موافقا
لما قاله عمر امرا بنبيه قل اي قل يا محمد لليهود من كان عدوا لجبريل جواب من محذوف
اي فليمت غيظا وفي جبريل سبع لغات او خمس عشرة بينها في المطولات ومعناه على اللغات كلها عبد الله
او عبد الرحمن وجبريل اسم غير عربي عربته العرب وفي تفسير البكري واسم جبريل في الملائكة خادم الله
وفي حديث ابي امامة واسم جبريل عبد الله واسم ميكايل عبيد الله واسم اسرافيل عبد الرحمن وملك الموت
موكل بقبض الانفس وميكايل موكل على النبات والقطر وجبريل على الرياح والجنود ذكره هذا عند قوله
تعالى فان الله عدو للكافرين يقول الفقير مولف هذا الكتاب واني بحمد الله رأيت جبريل في مبشرات
على احسن صور ملكية وادمية عند النبي في حجرته فكلمني وقال اني احبك واحب من يحبك وذكر لي
اشياء واعطاني اشياء فظهر اثارها بحمد الله قرأ حمزة والكسائي وخلف والعليمي عن ابي بكر جبريل

هنا

هنا وفي التحريم بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء وقرأ ابو بكر من طريق يحيى بن ادم
كذلك الا انه يحذف الياء وقرأ ابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز والباقون كذلك الا انهم
يكسرون الجيم والكل لغات ولم ينصرف جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل للعجمة والتعريف فانه
نزله اي ان جبريل نزل القران والهاء الثاني للقران وان لم يسبق له ذكر كانه علم لفرط شهرته
لا يذهب الوهم الى غيره ويمكن ان نقول وقد تقدم ذكر القران عند قوله ويكفرون بما وراءه فيصح صرف
قوله نزله اليه ونظير هذا ضمير انا انزلناه على قلبك اي اوحاه اليك وقذفه في قلبك او نزله
عليك لتحفظه بقلبك او تثبيتا لقلبك وهذا انتقال للخطاب تعظيما وتفخيما لشان النبي صلى الله عليه وسلم
بالاقبال عليه وهو في معنى حكاية كلام الله للنبي صلى الله عليه وسلم قال الاستاد وفي على دلالة على ان
المنزل اخذ بمجامع قلبه صلى الله عليه وسلم باذن الله اي بامر الله وارادته وتيسيره وهو حال من فاعل
نزل قال القفال رحمه الله في معنى قوله نزله على قلبك اي اخبرهم انه نزله على قلبك ولو قال على
قلبي جاز على حكاية اللفظ الذي يقول لهم كقولك قل لفلان ان الخبر عندي كذا ويجوز عندك كذا قال
الشيخ يقول الباطنية ان القران لم ينزل على رسول الله بالاحرف التي يقرأها لكنه الهام نزل على قلبه ثم
هو صور بهذه الاحرف وهذا باطل وزور وكذب وافتراء لانه لو كان كذلك لزال موضع الاحتجاج عليهم
بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
اذ كان لهم ان يقولوا انزل على لسان العجم لكنه غيره ذلك بلسانه وقال الله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به اي مخافة الذهاب والنسيان وقال الله عز وجل ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه
فدلت هذه الايات على بطلان قولهم وفساد مذهبهم وبعدهم عن دين الله المستقيم وقربهم الى سواء الجحيم
مصدقا حال من نزله او مفعوله لما بين يديه اي لما قبله من الكتب الالهية كتوراة وانجيل وزبور
وساير الكتب والصحف وهدى اي هاديا للمومنين من الضلالة وهو ايضا اما حال من نزله او مفعوله
وبشرى اي مبشرا بالجنة وهذا ايضا اما حال او مفعول لنزل للمومنين تا ونظيره هدى للمتقين
قال الاستاد وجواب من في قوله قل من كان عدوا لجبريل اما مقدر تقديره من كان عدوا لجبريل
فلا وجه لعداوته لانه نزل القران المصدق لكتابه فهو حقيق بان يصادق ولا يعادى ومن عاداه
فقد خلع نفسه عن دين الله لان سبب المعادات ما ذكر نزوله بالقران ومن كره ذلك فقد كفر فاقيم ما ذكر
من العلة مقام الجواب او تقديره من كان عدوا لله فلعداوته وجه لانه اتى بما يكره ويزيل رياسته او تقديره
من كان عدوا لجبريل فليمت كمدا وغيظا فانه نزل القران على قلبك وجواب من الشرطية هو قوله
فانه نزله على قلبك الى اخره من كان عدوا لله اي قل لهم يا محمد من كان معاديا لله اي كافرا
بما جاء منه فحذفت كما تقدم انفا وملئكته ورسله وجبريل وميكال والواو هنا بمعنى او وعطف
جبريل وميكايل على الملئكة من عطف الخاص على العام وذلك لتفضيلهما وتفخيمهما وعلو شانهما ورفعة
مقامهما عند الله وانما ذكر الرسل مع الملئكة لان الرسل والملئكة دعاة الخلق الى الله عز وجل فهم متفقون ومعادا
احدهم معاداتهم جميعا وهو كقوله كذبت قوم نوح المرسلين وهم ما ادركوا الا رسولا واحدا القراءة ميكال بلا همز
ولا ياء والقراءة ايضا بهمزة بعدها ياء بعد الالف او بياء بعد الهمزة وانما ذكر جبريل وميكال مع ذكر الملئكة في الحال

انهما داخلان في الملائكة ليكون انفى للشبهة وابعد من التاويل كيلا يقول اليهود انهما غير داخلين ٤
في جملة الملائكة او احدهما غير داخل فيهم **فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ولما كان عداوة الله
لهولاء اليهود لكفرهم ذكرهم بالمظهر دون المضمر اي قال للكافرين دون لهم تخصيصه من كان عدوا لله
او ملئكته او رسله او جبريل او ميكائيل فان الله عدو له ويعذبه على ذلك وفي الغاية وفي الكلام دلالة
على ان عداوة كل واحد مما ذكر كفر لارتباط الجزاء به لا بالمجموع فقط ونزل لرد قول ابن صوريا للنبي صلى
الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء يا محمد او ما جئتنا باية نعرفه **وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ** يا محمد **آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**
وهي حال اي واضحات مفصلات بالحلال والحرام قيل اراد بالايات امره عز وجل لنبيه بقل من كان
عدوا لجبريل الى للكافرين في الرد على من يبغض جبريل كابن صوريا وساير اليهود مع الايات التي ذكرت
في هذه السورة للخبار عن اخبارهم وقصصهم التي لا معرفة لها الا عند احبارهم ومن ذلك اجوبة النبي لسوالات
ابن صوريا حيث سال فقال يا محمد كيف نومك فانا اخبرنا عن نوم النبي الذي في آخر الزمان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي وقلبي يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد امن الرجل
يكون ام من المراة قال اما العظم والعصب والعروق والشحم فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر
فمن المراة قال صدقت يا محمد قال وما بال الولد يشبه اعمامه ليس من شبه اخواله فيه شيء او يشبه
اخواله ليس فيه شيء من شبه اعمامه فقال ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت
وساله عن الطعام الذي حرم اسرائيل على نفسه قال ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه الله
حرم على نفسه احب الطعام واحب الشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه
البانها فحرمهما على نفسه وسال عن اول نزل اهل الجنة قال الحوت والنور ثم قال بقيت خصلة ان قلتها
امنت بك واتبعتك اي ملك ياتيك بما تقول من الله قال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة
ورسولنا ميكائيل ياتي باليسرى والرخاء ولو كان ميكائيل لامنا بك وصدقناك فقال له عمر ما بدء عداوته
لكم قال عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد عداوته لنا ان الله انزل على نبينا موسى ان بيت المقدس
سيخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر الى اخر ما مر ذكره قريبا قال القفال المراد بالايات العلامات
الواضحات على صدق نبوة نبينا التي لا يخفى على احد صحتها ومن ذلك جوابات سوالات ابن صوريا
انتهى **وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ** اي ولا ينكر تلك الايات الا الخارجون عن طاعة الله وامره
تمردا او الخارجون عن الاديان وان ظهروا انهم متمسكون بها فان اليهود خرجوا بتكذيب محمد عن
شريعة موسى واما اهل الانصاف فقد امنوا مثل عبد الله بن سلام واصحابه واللام في الفاسقون
للجنس اي الكاملون في الفسق ويجوز ان يكون للعهد مشارا بها الى اليهود ليقع الحصر بالا موقعه ثم ادخل
همزة الاستفهام التوبيخي على واو العطف على محذوف دل عليه المعنى تقديره أكفر اهل الانجيل وهم اليهود
بالايات البينات **وَكُلَّمَا عَاهَدُوا** اي اليهود مع الله **عَهْدًا** وميثاقا على الايمان بمحمد ان
بعث حيث قالوا لئن خرج محمد ليؤمنن به فلما خرج كفروا به او المراد بالعهد ما كان بين اليهود وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهود ان لا يعاونوا المشركين عليه فنقضوا العهد وعاونوا المشركين عليه
كما فعل ذلك قريظة والنضير وعهدا مصدر وقع نصبه من غير لفظ الفعل المذكور [illegible]

القراءة

٣ القراءة بفتح الهمزة والواو وقرئ بسكون الواو تقديره الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا او التقدير بعبارة
اخرى اي الا الذين فسقوا او نقضوا العهد فعلى هذا لا يتم الوقف على الفاسقون وقرئ عوهدوا واو
عهدوا وجواب كلما **نَّبَذَهُ** اي طرحه والقاه ورماه وقرئ نقضه واصل النبذ الالقاء والمراد هنا
نبذ الذمام وطرح العهد **فَرِيقٌ مِّنْهُم** وقيده بفريق وطايفة لان بعض اليهود من لم ينقض العهد
وفي التيسير الفريق الطايفة ويكون للقليل والكثير وظهر بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون انه اراد بالفريق الكثير
انتهى قلت ودل كلما ايضا على وقوع النقض منهم كثيرا اخرها نقض قريظة عهد النبي يوم الاحزاب
وفي تسهيل البكري والنابذ هو مالك ابن ابي الصيف انتهى **بَلْ** للانتقال **أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** اي
لا يؤمنون بالتوراة ولا يبالون بالدين فلا يعتدون بنقض العهد قال البيضاوي وفي هذا رد لما
يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء انتهى **وَلَمَّا جَاءَهُمْ**
رَسُولٌ بعد رسول **مِّنْ عِندِ اللَّهِ** كعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم **مُصَدِّقٌ** كل واحد من الرسولين
لِّمَا مَعَهُمْ من التوراة **نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** اي اعطوا علم الكتاب وهم احبار اليهود
كِتَابَ اللَّهِ وهو التوراة **وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ** مجاز عن عدم الالتفات الى الكتاب والاعتناء به فان
الكتاب كان بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به قال سفيان بن عيينة ادرجوا التوراة في الحرير
والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فهذا هو النبذ وراء الظهور قال
الاستاد انهم لم يعملوا بما في التوراة من الايمان بمحمد وغيره **كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ما فيها ولم يتدبروا معانيها
من ان محمدا نبي حق ورسول صادق او كانهم من جهلهم لم يعلموا انها كتاب الله قال الكواشي ومفعول نبذ
هو كتاب الله ومفعول اوتوا هو الكتاب لا كتاب الله قيل اراد بكتاب الله الانجيل او القران وكفى الوقف
على لا يعلمون لعطف قوله **وَاتَّبَعُوا** على نبذ تقديره نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا اي اليهود **مَا تَتْلُو**
اي ما تلت وقرأت وعملت به **الشَّيَاطِينُ** من كتب السحر والشياطين شامل لشياطين الانس والجن
عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ والمضاف هنا محذوف اي على زمن ملك سليمان او على عهد ايام سليمان من
السحر وذلك ان الشياطين دفنوا كتب السحر تحت كرسي سليمان لما نزع ملكه وكان سليمان لا يعلم الغيب
او ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما يسمعون كذبا كثيرا ويلقونه الى الكهنة والكهنة
يعلمونه وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب فجمع سليمان بعض كتب السحر ودفنها تحت
كرسيه لانه مكان منيع ليطلب الباقي فلما مات سليمان قبل دفن الجميع دلت الشياطين الناس على الكتب
فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالت الشياطين انما تم لسليمان ملكه وغلبته عليكم وتسخير الجن
والطيور والرياح وساير الاشياء له بهذه الكتب والعلم فتعلمه الناس ورفضوا كتب انبيائهم فقال
الله تعالى ردا على اليهود في قولهم انظروا الى محمد يذكر سليمان بين الانبياء وما كان الا ساحرا او فبرأه الله
عز وجل بتبرئة سليمان من هذا الافتراء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والكذب ذلك ولذلك كرره ذكره
لا مضمرا بقوله **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ** بالسحر وعمله اي ما فعل سليمان شيئا مما نسب اليه من السحر لانه كفر
وانما يكفر الساحر والمنجم اذا اعتقد تاثيره استقلالا او انضم اليه ما هو كفر كعبادة الكواكب والاصنام
اكبر الكباير ولما تعلمه من غير اعتقاد تاثيره فكذلك من الكباير الا اذا دعت اليه حاجة بان فشى في ناحية

واريد تبيين فساده ورد الخلق الى الحق كتعلم الفلسفة للذب عن الدين ودفع الشبهة قال البكري
في تسهيله وفي هذا دليل على ان السحر كفر وهو كذلك اذا كان فيه اعتقاد الوهية كوكب من الكواكب
ونحو ذلك **ولكن الشياطين كفروا** باعتقاد السحر وعمله اى كتبوه ودونوه وعملوا به للاغواء وتلخيصه
وما سحر سليمان فلم يكفر لانه لم يسحر ولكن الشياطين سحروا فكفروا به وقيل معناه وما ستر سليمان
كتب السحر بل الشياطين ستروا لان الكفر جاء بمعنى الستر القراءة بتخفيف نون لكن ورفع الشياطين مبتدأ
والقراءة ايضا بتشديد النون ونصب الشياطين ومثله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى ومحل **يعلمون**
الناس السحر اى اغواء واضلالا وهو نصب على انه حال من ضمير كفروا قال الامام الكواشي واصل
السحر العلم والحذق بالشيء وله وجود حقيقة عند اهل السنة والعمل بالسحر كفر قالوا وكذلك تعلمه للعمل به
ايضا كفر وتعلمه لاجتنابه ليس بكفر وعن الشافعي رضي الله عنه انه يخيل ويمرض ويقتل ويوجب
القصاص على من قتل به انتهى وفي الغاية السحر لغة الصرف حكاه الازهري عن الفرا ويونس ولا يظهر
الا على يد فاسق شرير بمزاولة قول او فعل محرم كما ان الكرامة لا تظهر الا على يد مؤمن متق انتهى قال
البيضاوي والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب
الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر
عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعاونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة
اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه انتهى ومحل قوله
وما انزل على الملكين النصب لانه معطوف على السحر قبله اى ويعلم الشياطين الناس السحر والذي
انزل على الملكين اى الهم اليهما او عطف على ما تتلوا اى واتبعوا ما تتلوا او واتبعوا ما انزل على الملكين
والملكان انزلهما الله لتعليم السحر ابتلاء منه للناس ولا يدل ذلك على جواز تعلم السحر مطلقا لانه انما يجوز
تعلمه ليجتنب كما لو سئل انسان عن الزنا لزمه بيانه للسائل ليعرفه فيجتنبه وهما من ملائكة الله ولا يلزم
من التعلم عدم العصمة ان كان عن امتحان لا عن اعتقاد بدليل النصيحة وابعد من قال هما جبريل وميكائيل
وقيل ليسا من الملائكة اذ في قراءة شاذة الملكين بكسر اللام وعليه هما علجان ساحران يعلمان السحر ببابل
واغرب وابعد عن الحق من قال هما داود وسليمان **ببابل** متعلق بكائنين وهو بلد في سواد العراق
قال البيضاوي وهو ظرف او حال من الملكين او من الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة
قال احمد الكواشي الملك لا يعلم الناس السحر وانما يصفه لهم فيتعلم السحر من وصفه لهم وانه
يعلم السحر فالشقي يتعلمه فيكفر والسعيد يتركه فيبقى على الايمان انتهى وبابل غير منصرف لانه اعجمي واسم للبلد
وسميت ببابل لتبلبل الالسن اى اختلاف الالسن بها عند سقوط صرح نمرود ويجعل **هاروت وماروت**
بدلين من الملكين او عطف بيان لهما ولم ينصرفا للعجمة والتعريف ولو كان من الهرت والمرت لانصرفا ومن
جعل ما في قوله وما انزل نافية ابدل هاروت وماروت من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض
ويرد هذا البدل قوله انما نحن فتنة فلا تكفر اذ مثله لا يقوله الشيطان المغوي قال الاستاد من
جعل ما نافية فهو معطوف على وما كفر سليمان والمعنى على هذا لم يكفر سليمان ولم ينزل الله السحر على الملكين
وقرئ هاروت وماروت بالرفع على انهما خبر مبتدأ محذوف اى هما هاروت وماروت وقصتهما مختصرا
على

على ما ذكره الشيخ الامام احمد الكواشي ان الملائكة رأت ما يصعد من ذنوب بني آدم فعيروهم وقالوا
هؤلاء الذين اخترتهم يعصونك فقال الله عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا
سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال فاختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من خيارهم
فاهبطا الى الارض يقضيان بين الناس نهارا ومساء يذكران اسم الله الاعظم ويصعدان الى السماء
وكانا قد نهيا عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فجاءتهما الزهرة امرأة من اجمل
النساء تخاصم زوجها اليهما فوقعت في انفسهما فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي عليه
ففعلا ثم سألاها فقالت لا الا ان تقتلاه فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تصليا معي
لصنمي ففعلا وقال علي وغيره قالت لهما لن تقدرا علي حتى تخبراني بم تصعدان الى السماء فقالا
باسم الله الاعظم فقالت ما انتم تدركاني حتى تعلمانيه ففعلا فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخت
كوكبا قالوا هي الزهرة المعروفة وانكر هذا بعضهم وقال الكواكب من الكواكب السبعة التي هي في السماء منذ خلق
السموات وخلق فيها الكواكب اللهم الا ان يكون كوكبا اخر يشبه الزهرة وقال من انكر ايضا والزهرة
التي فتنتهما كانت تسمى زهرة لحسنها لا زهرة السماء فلما علم الملكان ما حل بهما قصدا ادريس فاستشفع
لهما فخيرهما عز وجل بين عذاب الدنيا والاخرة فاختارا عذاب الدنيا لانقطاعه وهما معلقان
بشعورهما او منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة **وما يعلمان** اى الملكان كيفية السحر
من زائدة **احد** اى احدا **حتى يقولا** له نصحا **انما نحن فتنة** اى ابتلاء
واختبار من الله للناس فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان **فلا تكفر**
باعتقاد جوازه والعمل به فيقولان له سبع مرات فان ابى الا التعلم علماه واصل الفتنة الاختبار والامتحان
ومنه فتنت الذهب ووحدت الفتنة لانها مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع **فيتعلمون منهما**
اى من الملكين **ما يفرقون به** اى بسببه **بين المرء وزوجه** وهو ان يبغض كل
واحد منهما الى صاحبه لتخصه يتعلمون منهما من السحر ما يكون سبب تفريقهما بعد ما كانا مجتمعين
وما هم اى المتعلمون وهم السحرة **بضارين به** اى بالسحر **من** زائدة **احد** اى احدا **الا باذن**
الله كذا اى الا بارادة الله وعلمه وتيسيره وفي الغاية والسحر سبب من الاسباب غير مؤثر بالذات
بل بامر الله وجعله لتخصيصه فالساحر يسحر والله تعالى يكون او بتخلية الله تعالى قال الحسن من
شاء الله منعه ولم يضره السحر ومن شاء الله خلى بينه وبين السحر فضره **ويتعلمون** من السحر **ما**
يضرهم في الاخرة ثم بين ان لا نفع في السحر اصلا فقال **ولا ينفعهم** حسن بالثواب عند الله اصلا
قال بعضهم معناه ويتعلمون ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في الاخرة ثم اكد عدم نفع السحر بادخاله
اللام الموطئة للقسم على من الشرطية المرتفعة بالابتداء فقال **ولقد** اى بالتحقيق **علموا** اى اهل
الكتاب الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واتبعوا السحر وهم اليهود **لمن اشتراه** اى اختار السحر
على كتاب الله اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله قال الاستاد والاظهر ان اللام لام
علقت علموا عن العمل ومن موصولة وجواب القسم **ما له في الاخرة** اى في الجنة **من خلاق** اى
من نصيب **ولبئسما** اى شيئا **شروا** اى باعوا **به** اى بالسحر **انفسهم** اى انفس الشارين

Copyright © King Saud University

اى حظ انفسهم من الاخرة ان تعلموه حيث اوجب لهم النار قال الاستاد ولبئسما جواب قسم
محذوف او عطف على جملة القسم وجوابه فى قوله ولقد علموا او على الجواب وهو ماله فى الاخرة وعطف
الانشاء على الاخبار شايع كثير ولقد من حقيقة قوله ولبئسما قريبا وجواب قوله لو كانوا يعلمون نا
محذوف تقديره لو انتفعوا بعلمهم لامتنعوا من السحر تلخيصه لو علموا امر قبح السحر على اليقين او لو علموا
حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ما تعلموا السحر اثبت لهم العلم اى لا على طريق التوكيد حيث قال
ولقد علموا ثم نفى العلم عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ومقتضاه دلالة على ان من لم يعمل بعلمه كالجاهل
الغبى الذى لا يعلم فان العلم بالقبح للارتداع ولا انزجار عن القبيح فحيث لا ارتداع لا نفع وما لا نفع فيه كالمعدوم
وقيل العلم المثبت اولا العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل وفيه ان الكلام مع اليهود الذين نبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون اصلاح رصانة بما فى كتاب الله ولو انهم امنوا
اى لو وقع ايمان اليهود بالقران والنبى او ولو ان اهل الكتاب والسحرة امنوا بالقران والنبى
واتقوا عقاب الله بترك الشرك وهو اليهود به والسحر وجواب لو محذوف اى لاثيبوا دل على الحذف
قوله لمثوبة من عند الله خير اى لثواب الله لهم اى عوض عملهم لهم من عند الله على ايمانهم
بالقران والنبى وتقواهم خير لهم مما شروا به انفسهم وهو كفرهم وسحرهم ورمى كتاب الله وراء
ظهورهم ومثوبة مفعلة من الثواب وثاب بمعنى رجع سمى ثوابا لانه عوض عن عمله يرجع اليه قال
بعضهم وجواب لو مذكور وهو اللام فى قوله لمثوبة وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ومن عند الله
صفته وخير خبر المبتدأ قال الاستاد رحمه الله وخير افعل التفضيل وليس مرادا هنا اذ لا خير فى
السحر فهو لبيان المثوبة اى خير من كل ما سوى ذلك كما فى قوله افمن يلقى فى النار خير وكما يقال الرجوع
الى الحق خير من التمادى فى الباطل لو كانوا يعلمون نا اى لو كانوا يعملون بعلمهم لعلموا ان
ثواب الله خير لما اثروا عليه ويجوز حمل لو على التمنى فى الموضعين المذكورين آنفا والمعنى انهم على حال
يتلهف الناظر فيها عليهم وكان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا سمعك من المراعاة اى فرغ
سمعك لكلامنا وكانت سبا وشتما بلغة اليهود بمعنى الحمق والرعونة ففرحوا بذلك وقالوا كنا
نسب محمدا سرا فاعلنوا الان فكانوا يقولونها للنبى صلى الله عليه وسلم ويضحكون فسمعها سعد بن معاذ
فقال لئن سمعت احدا يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فنزل يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا للنبى راعنا وقولوا انظرنا اى قولوا بدل راعنا انظرنا اى انظر الينا برعايتك
وانتظرنا وتأن بنا ولا تعجل علينا او فهمنا وامهلنا قال الحسن كل شئ فى القران يا ايها الذين
امنوا فانها نزلت بالمدينة واسمعوا اى واسمعوا واطيعوا لما تؤمرون به وما نهيتم عنه سماع قبول
لا كسماع اليهود او اسمعوا لما انزل عليكم من الرسول مع الاحسان بلا اتباع او اسمعوا كلامه باذان واعية
حتى لا تحتاجوا الى كلمة راعنا التى نهيتم عنها وللكافرين عذاب اليم كا اى ولليهود الذين
تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب مؤلم وهو النار كان المسلمون يقولون لليهود الذين يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير امنوا بمحمد فيقولون ليس ما تدعوننا اليه خيرا مما نحن عليه
ولوددنا ذلك لو كان خيرا فنزل تكذيبا لهم ما يود والود حب الشئ مع التمنى الذين كفروا

ثم بين

ثم بين الكافرين بقوله من اهل الكتاب اى اليهود ولا المشركين عطف على اهل الكتاب بخلف
جر والمراد مشركوا العرب قال احمد الكواشى والشرك وضع الشئ مع مثله انتهى ان ينزل
عليكم من زائدة لتاكيد الاستغراق من خير اى خير من ربكم حى والمراد بالخير الوحى ومحل
جملة ان ينزل الى اخره النصب بقوله يود ومن فى من ربكم لابتداء غاية الانزال تلخيصه يرون
اليهود انهم احق منكم بنزول الوحى عليهم فلا يحبون نزوله عليكم حسدا لكم والله يختص اى
يخص ويفرد برحمته بنبوته ووحيه واصل الخصوص والاختصاص الانفراد بالشئ من يشاء كا
اى من يشاء اختصاصه واقتضت حكمته اذ ليس لاحد عليه حق فلا عبرة بكراهة اليهود نزول
الخير عليكم وفسر بعضهم الخير بالوحى وبالعلم والنصرة وساير ما فيه نفع المسلمين والله ذو الفضل
العظيم نا لابتدائه بالفضل والاحسان كرر الثناء على نفسه اشعارا بانه انزل علينا رحمة
عظيمة له بها علينا فضل عظيم ومنة جسيم ليعلم سعة فضله وكثرة انعامه تلخيصه والله ذو الفضل
العظيم من حيث انه خص فردا من البشر من بنى نوعه بالرسالة التى لا رتبة فوقها بعد الالوهية
ولذلك خاطب سيد الرسل والانبياء تارة بقوله وكان فضل الله عليك كثيرا واخرى بقوله وكان
فضل الله عليك عظيما طعن المشركون فى النسخ وقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يامر اليوم بامر وحكم
ثم ينهى عنه غدا ويامر بخلافه وبما يناقضه ولا يامر الا من تلقاء نفسه وكانوا يقولون ايضا
لا ينسخ شريعة بغيرها فنزل تبيينا لحكمة النسخ ما ننسخ وما شرطية وننسخ مجزوم بها ومحلها
النصب بننسخ كقوله اياما تدعوا والنسخ لغة ازالة شئ بشئ يعقبه ومعنى الازالة الرفع كنسخ
الشمس الظل يقال نسخت الشمس الظل وهذا المعنى فى هذا المحل احسن اذ القران بعضه ناسخ و
بعضه منسوخ وفيه تمام مناسبة لقوله تعالى نأت بخير منها ويكون النسخ فى اللغة ايضا بمعنى التحويل
والنقل فعلى هذا كله منقول ومنسوخ اى مكتوب ومحول لانه نقل من اللوح المحفوظ وفى الشرع
بيان انتهاء حكم شرعى بحكم اخر يعارضه او بيان رفع تعلق حكم شرعى ومآل العبارتين واحد كامر القبلة
فانه كان مشروعا الى المدة المعلومة فلما قال فول وجهك شطر المسجد الحرام انتهى حكم الاول قال
ابو الحيرو والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره كنسخ الظل الشمس اى اذهاب الشمس الظل
ومنه التناسخ ومناسخة المواريث ثم استعمل لكل واحد منها كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب
اى نقلته من نسخة الى نسخة اخرى والنسخ فى الشرع فى الاية هو بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد
منها او هو بيان انتهاء التعبد بقراءة الاية مع انتهاء الحكم المستفاد من الاية جميعا القراءة ننسخ بفتح النون
والسين من نسخ والقراءة ايضا ننسخ بضم النون الاولى وكسر السين من انسخ اى نامرك او جبريل
بنسخها او نجدها منسوخة يقال نسخت الكتاب كتبته وانسخته غيرى جعلته نسخة له من
اية فى محل النصب على انه تمييز لها والنسخ قد يكون للحكم والتلاوة كقول عايشة رضى الله عنها كان
مما يتلى عشر رضعات يحرمن فنسخ بخمس رضعات وقد يكون النسخ للتلاوة دون الحكم وهو ما روى
عن عمر رضى الله عنه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة جزاء بما كسبا نكالا من الله والله
عزيز حكيم قال عمر رضى الله عنه لولا ان يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لاثبتها فى المصحف

Copyright ... University

لئلا يقول احد انا لم نجده في كتاب الله الا انا قد قرأناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون
النسخ للحكم دون التلاوة كاية العدة بالحول اى نسخ الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد باربعة اشهر وعشر
وفي النسخ تخفيف ظاهر قال الاستاد وما نسخ حكمه وبقيت تلاوته وهي الايات التي فيها الامر بترك
القتال نسخت باية السيف وبقيت تلاوتها وفايدة بقاء تلاوة المنسوخ في الحكم دون القراءة حصول
الثواب بقراءتها أَوْ نَنْسَأْهَا قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح النون الاولى واسكان الثانية وفتح السين
وبعدها همزة ساكنة والمعنى او نتركها بلا نسخ وجاء ننسأها بمعنى التاخير يقال انسأ الله في اجله
اى اخر فيه والمعنى نؤخرها فلا نبدلها قال الاستاد مثاله في التاخير بان يرفع تلاوتها ويؤخر
رفع حكمها كاية اى الشيخ والشيخة الى اخره والتاخير بمعنى الترك اى او نؤخرها اى نتركها في اللوح المحفوظ
فلا ننزلها وقرأ الباقون ننسها بضم النون الاولى وكسر السين بغير همز ومعناه ننقيها على قلبك بغير ناسخ
او ناسر بتركها قال احمد الكواشي وننسها بقراءة الثاني من النسيان ضد الذكر اى او ننسكها وقرى
ننسكها نقل الفعل بالهمز فتعدى الى مفعولين الاول هو النبي لان كاف الخطاب له واسمه متروك والثاني
الهاء راجع للاية وقرى نُنَسِّهَا مشددا او تَنْسَهَا وتُنْسَهَا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وقرى ما ننسك
من اية او ننسخها وجواب الشرط نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا اى بما هو انفع لمصالح العباد من حيث التخفيف
عنهم لا ان اية خير من اية والناسخ غالبا يكون اسهل من حيث النفع من المنسوخ او كثرة الثواب لتخصيصه
كل اية ننهب بها او بمعناها او بهما نجئ بما هو اسهل واكثر ثوابا منها أَوْ مِثْلِهَا في المنفعة والتكليف
والثواب قال الشيخ رحمه الله والمعنى ما نرفع من اية اى من حجة فنغيبها عن الابصار نات بخير منها
اى اقوى منها في الزام الحجة او مثلها قال ابو الخير في قوله نات بخير منها اى للمكلف اما في الدنيا ان
كان البدل اخف ويدخل فيه النسخ لا الى بدل او في الاخرى ان كان اثقل وقال في قوله او مثلها اى في
التقرب في الثواب ويشمل النسخ بالوحي المتلو وغيره ويعم النسخ والانساء اذ لا امتناع في الاتيان بعد انساء
حكم بما يكون اخف او اكثر ثوابا وفسر الخير في النسخ والمثل في النسئ على طريقة اللف ثم استفهم مقررا انه
انه لا يعجزه شئ فقال أَلَمْ تَعْلَمْ اى قد علمت أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ من النسخ والاتيان بالبدل
وغيره قَدِيرٌ تلخيصه ان الله يقدر على ان يتعبد عباده بما شاء من العبادات المختلفة وينقلهم
من عبادة الى غيرها على حسب ما يعلمه صلاحا لهم قال الشيخ والحاصل ان الله رفع حكما ولا ياتي ان
يبدله مما هو مثله او احسن منه وله في ذلك فضل عظيم والامر بيده فليس لغيره الاعتراض على عظمته
ونزلت هذه الاية المذكورة ردا على اليهود في اعتراضهم على النسخ ولا يدل وجوده على حدوث
القران لان الخبرية من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القايم بالذات ثم اكد قدرته على كل شئ بقوله
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الملك بمعنى الشئ المملوك يقال هذا ملك فلان اى مملوكه
والمعنى قد علمتم انه مالك السموات والارض وقادر عليها وانه مالككم فله الخلق والامر ان الله خص نبيه
بهذا الخطاب تشريفا له بالاقبال عليه وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ زايدة لتاكيد الجحد وَلِيٍّ اى ليس لكم
من غير الله قريب يتولى اموركم ويحفظكم وَلَا نَصِيرٍ اى ولا مانع يمنعكم من العذاب ان اتاكم
قال الاستاد في قوله من ولي انه مبتدأ وما لكم خبره مقدم عليه ولا نصير عطف على ولي تقول

لان من زايدة اى ولى ...

الفقير

سورة البقر

٢ الفقير مولف هذا الكتاب وفي هذا تسكين لقلوب المؤمنين بان الله وليهم وناصرهم دون ما سواه
من الاقارب وغيرهم ونزل لما ساله اهل مكة ان يوسعها ويجعل لهم الصفا ذهبا والظاهر ان المخاطب
هم المؤمنون كما في قوله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ولذلك ذيله بقوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان او نزلت في اليهود وذلك لما قالت اليهود يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة
كذلك فنزلت ردعا وزجرا لهم عن السوال بام المنقطعة بمعنى الهمزة أَمْ تُرِيدُونَ اصله اتريدون
من راد يرود اى الم تعلموا الى اخره بل اتريدون التعنت المذكور بقوله أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ
وهو محمد صلى الله عليه وسلم كَمَا سُئِلَ مُوسَى اى سوالا مثل سوال قوم موسى منه صلى الله عليه وسلم
مِنْ قَبْلُ وهو قوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر
من ذلك حيث قالوا له ارنا الله جهرة واجعل لنا الها وغيره ومن قال ان الاية نزلت في المشركين فهم
عبد الله بن امية المخزومي واتباعه حين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تفجر لنا في الارض ينبوعا الايات
او لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فاخبر الله انهم سلكوا في اقتراحهم على نبيهم طريقة
في اقتراحهم على موسى فالمعنى لا تكونوا مثلهم في التعنت بل عليكم بالثقة بما يقول لكم محمد واتركوا
الاختلاف والتعنت عليه قال الاستاد ويحتمل ان يكون ام متصلة لان قوله الم تعلم الى اخره حمل
على الثقة معاملة له كانه قيل اتثقون به بعد العلم بما يوجب الوثوق ام لا وتقترحون كما اقترحت
اسلاف اليهود وفيه حمل على الوثوق على ابلغ وجه كقوله فهل انتم منتهون بعد مفاسد الخمر ويجوز ان
يكون منقطعة بان نزلهم منزلة من يريد السوال بعد بيان الصارف عنه فانكر عليهم والظاهر ان المخاطب
هم المؤمنون كما في قوله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ولذلك قال وَمَنْ
يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ اى ومن ياخذ الكفر ويختاره بدلا وعوضا عن الايمان بمحمد وبما جاء به بترك
النظر في الايات البينات والمعجزات الباهرات واقتراح غيرها فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ اى
فقد اخطأ وسط الطريق السوي الذي هو بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل وهو الحق اى
الصراط المستقيم يقال اجتمع فلان على سواء راسه اى وسطه وقال الله تعالى فاطلع فراه في سواء
الجحيم اى وسط الجحيم وفي الاية دلالة على ان اقتراح الايات من شيم الكفار مبالغة فلا تحوموا حول
خواطرهم الردية قال فنحاص بن عازوراء وكعب بن اشرف وحيي بن اخطب وابو ياسر بن اخطب
واصحابهم لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد انكسار المسلمين يوم احد ارجعوا فنحن على الحق فقال
عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فقد عاهدت الله ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالوا اما
هذا فقد صبا وقال حذيفة رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران اماما وبالكعبة
قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اخبرا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبتما الخير وافلحتما ونزل
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ اى احبار اليهود لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ولو هنا
بمعنى ان لان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ وهي هنا مصدرية وكفارا حال من ضمير المخاطبين
وهو كم اى احب كثير من احبار اليهود وتمنوا ان يصرفوكم بعد الايمان مرتدين حَسَدًا
مفعول له لود اى ودوا ذلك لاجل حسدهم ويجوز نصبه على الحالية اى ودوا ذلك حاسدين لكم

Copyright ... University

من عند انفسهم اى من تلقاء انفسهم ومن قبل شهواتهم لم يامرهم الله بذلك وتعلقت
المعتزلة بظاهر الاية فى ان المعصية من جهة العبد لا فعل لله عز وجل فيها ونحن نقول لا حجة
لكم فيه فانا نقول الايمان والكفر والطاعات والمعاصى افعال العباد وهى مخلوقات الله عز وجل
والفعل الذى هو الكسب من العبد والتخليق من الله والاية لا تنفى ما قلنا قال الاستاد فى قوله
من عند انفسهم تاكيد للحسد لان الحسد لا يكون الا من قبل النفس قال ابو الخير اما متعلق
بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم الخبيثة او متعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم
وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق من بعد ما تبين لهم الحق اى من بعد ما ظهر لهم
فى التورية الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة فيها بان محمدا رسول الله وما جاء به صدق لا ريب
فيه وان الاسلام دين الله فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره اى لا تنالوهم بسوء
واتركوا قتالهم واعرضوا وتجاوزوا عن مكافاتهم حتى يحكم الله بحكمه فيهم كيف يشاء يحتمل حكمه
لقريظة بالقتل والسبى وللنضير بالنفى والجلاء والاية قبل نزول القتال وقال بعضهم العفو
والصفح من مكارم الاخلاق حتى ياتى الله بالقيامة لا حتى يامر الله بالقتال ان الله على كل شئ
قدير فينتقم منهم بقدرته ولكن اقتضت حكمته التاخير فان قيل هذه السورة مدنية
والامر بالقتال كان سابقا فما معنى الامر بترك القتال قلنا ان هذا امر بترك القتال مع النضير
وقريظة على الخصوص لانهم كانوا معاهدين وقيل فى معنى قوله ان الله على كل شئ قدير اى هو قادر
على كل شئ ومن ذلك انه قادر على تفريجكم عن اذاهم من غير قتال فانتظروا الفرج واشتغلوا الان
بالصلوة والزكوة كما قال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا امرهم بالتقرب اليه ثلثة ارباع
بالصبر على اقامة الصلوات واداء الزكوات والحاق ساير العبادات والبر ليكون وسيلة الى دفع
مكايد اليهود وساير الاعداء تخصيصهما لكونهما سببا لبقاء نعمة الايمان فلا تقدر اليهود صرفكم
عنه وما شرطية جزمت تقدموا بحذف نونه ومحلها النصب بتقدموا لانفسكم من خير كصلوة
وصدقة وساير اعمال البر لان اعمال البر كلها خير وهذا تعميم بعد التخصيص تجدوه اى تجدوا
ثوابه عند الله فتجدوا اللقمة والتمرة فى الاخرة مثل احد وفى الاحاديث ان الاعمال
نفسها تتجسد يوم الجزاء ويوجد نفسها تخصيصه وكل شئ قدمتموه الى الاخرة من جنس الخيرات
كالصلوات والزكوات وساير الطاعات وجدتم ثوابها عند الله وقرئ تقدموا من اقدم ان
الله بما تعملون بصير اى لا يخفى عليه مما تعملون خافية ولا يضيع عنده عمل وقرئ بياء الغيبة
فيكون وعيدا على المعصية بابلغ وجه وبالخطاب على القراءة الصحيحة وعدا على الطاعة بابلغ
وجه ايضا وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اى لما تناظر يهود المدينة
ونصارى نجران بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود على
زعمهم وقال نصارى نجران لن يدخل الجنة الا النصارى وفى هذا تفصيل وذلك لانهم لم يجتمعوا
ولم يتفقوا على دعواهم بان جميعهم يدخلون الجنة كما بين هذا بقوله بعد هذا وقالت اليهود ليست
النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ فظهر بان احد الفريقين لا يشهد للاخر بالجنة

وانما

وانما جمعهم فى اول الاية لانهم مجتمعون ومتفقون على الايمان بالتورية ثم ذكر عنهم قولا وهو قالت
اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ فظهر ما كل قايل منهم قول
على التفصيل فصح الاجمال على ارادة التفصيل ونظير هذا قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اجمع
الليل والنهار فى كونهما برحمته ثم قال لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وانصرف السكنى الى الليل وابتغاء
الى النهار ففى هذا ايضا تفصيل واجمال كالاول وهودا جمع هايد كعايد وعوذ ونصارى جمع نصران
كسكارى جمع سكران واو فى او نصارى تفصيل الاجمال فى قوله لن يدخل الى اخره او لاحد الشيئين وافراد
الاسم المضمر فى كان وجمع خبره وهو هودا باعتبار لفظ من ومعنى من وقرئ الا من كان يهوديا او
نصرانيا ثم اشار الى تمنيهم الباطل فقال تلك امانيهم وتلك اشارة الى جميع ما تقدم من
قوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الى او نصارى تخصيصه ان تلك اشارة الى الامانى المذكورة وهى
ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غير اليهود والنصارى او
اشارة الى ما فى هذه الاية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم وجملة تلك امانيهم اعتراض
بين قوله وقالوا لن يدخل الجنة الى اخره وبين قوله قل هاتوا والامانى جمع امنية افعولة من التمنى مثل
الاعجوبة والاضحوكة ومعنى التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصويره فيها ولما كان اكثر التمنى عن
تخمين صار البطلان له اكمل والمعنى تلك شهواتهم الباطلة الكاذبة التى لا حجة معها والعرب تسمى
الكلام العارى عن الحق تمنيا وغرورا وضلالا ثم اومى عز وجل الى بطلان اقوالهم بقوله لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اى قل لهم يا محمد ايتوا بحجتكم واحضروا براهينكم
على دعواكم بدخولكم الجنة بالخصوص دون غيركم ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير
ثابت ولم يقل براهينكم مع ان الخطاب للجمع ولا برهانيكم على التثنية مع انهم فريقان لان الدعوى
واحدة وهو نفى دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة وهات صوت بمعنى هاء
اى احضر قال الخليل الهاتاة والهتاء مصدر هات او اصله اءتوا بلى اثبات لما نفوه من
دخول غيرهم الجنة قال الامام احمد بن يوسف الكواشى ولا يوقف على بلى وان كانت جوابا
للجحد قبلها فهى ايجاب لما بعده فلا يفصل بينه وبينه والحرف الذى يؤدى معنى الايجاب يجب
ان يكون موصولا بالكلام الذى يوجبه لان الفصل بينهما ينقص معنى الايجاب وان كان من
فى من اسلم اى اخلص او صرف وجهه اى عبادته او دينه او نفسه وذاته وقصده
بعبادته لله لا يشرك به غيره او المراد بالوجه حقيقة الوجه اى العضو المعلوم والاسلام الانقياد
والخشوع وخص الوجه بالذكر لانه اذا جاد بوجهه الذى هو اشرف اعضايه الظاهرة فساير
اعضايه اولى بالخضوع متضمنة معنى الشرط مرتفعة محلا ابتداء وكذلك لا يوقف على بلى ان
جعلت من اسلم فاعل فعل محذوف تقديره بلى يدخل الجنة من اسلم انتهى كلام الكواشى قال
البيضاوى وبلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وجملة فله اجره عند ربه جواب من
ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله
بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم انتهى

Copyright © King Saud University

قال استادى رحمه الله ويجوز ان يكون المراد ببرهانهم ما قال فى هذه السورة فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين وما سمع من احد انهم تمنوا ذلك فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون البرهان هو
الايمان بمحمد وكتابه قال صلى الله عليه وسلم ثمن الجنة لا اله الا الله وقال ايضا مفتاح الجنة لا اله
الا الله ويجوز ان يكون برهانهم ما ذكر بعده وهو قوله بلى من اسلم وجهه لله و بلى رد لما قبله
واثبات لما بعده اى ليس الامر كما تقول اليهود والنصارى بان الجنة مخصوصة بهم بل من انقاد لله
بالتوحيد بكليته فله الجنة واليهود يعبدون العزير والنصارى عيسى والوجه عبارة عن كل
البدن كما يختص فى التحية يقال حيا الله وجهه على وكرم الله وجه على وقال الله وعنت الوجوه
للحى القيوم ولان اثر الانقياد والخضوع يظهر فى الوجه يجوز اضافة الفعل اليه انتهى كلام استادى
رحمه الله **وَهُوَ مُحْسِنٌ** اى والحال انه مخلص فى عمله فيما بينه وبين ربه وبينه وبين الناس او
معناه وهو مومن اى مخلص فى ايمانه وموحد لا يشرك بربه شيئا او يحسن افعاله مع صحة اعتقاده
واقراره بوحدانية الله وجاء الاحسان بمعنى اداء ما امر به قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
وجاء بمعنى بذل المال قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وجاء بمعنى حسن المعاملة وبذل النفس
والمال قال الله عز وجل خبرا عن صاحبى السجن انا نريك من المحسنين وجاء بمعنى كظم الغيظ والعفو
عن الظلم قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والاحسان فى هذه الاية مضمر اى
اى وهم محسنون بدليل قوله والله يحب المحسنين بعد ذلك وقيل الاحسان ما فسر النبى صلى الله عليه
وسلم لجبريل حيث قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وجواب الشرط
هو قوله **فَلَهُ أَجْرُهُ** اى له اجره الذى وعد له على عمله الخالص **عِنْدَ رَبِّهِ** كاملا من غير نقص
تلخيصه فله ثواب عمله عند الله فى الاخرة وهو الجنة **وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**
اى عدم الخوف وعدم الحزن يكون فى الاخرة لان المومنين فى الدنيا هم اشد خوفا وحزنا من غيرهم
لنظرهم فى مصيرهم وعدم اعتمادهم على طاعتهم ووحد ضمير فله اجره لرجوعه الى لفظ من فى قوله
من اسلم وجمع فى قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان من اسم جنس من حيث المعنى تلخيصه
فلهم ثواب الايمان والاعمال الصالحة ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من وقوع مكروه او فوات
مطلوب ولا هم يحزنون على ما خلفوا من الدنيا قال يهود المدينة لنصارى نجران عند النبى صلى الله
عليه وسلم ما انتم على شىء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما انتم على شىء من
الدين وكفروا بموسى والتوراة فنزل **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ** اى على امر يصح ويعتد به من امور الدين الحق وهو كقوله ٤٥
يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التورية والانجيل قال الاستاد وفى نفى الشىء غاية
المبالغة لان الشىء يتناول المعدوم الممكن والمحال فاذا سلب الشيئية لم يبق من المبالغة حد وراءه
ومن قيده بقوله على امر يصح ويعتد به فقد اخل بالمعنى انتهى اقول وفى كلام الاستاد نوع تهود
يعرف بالتامل **وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ** اى الفريقان يقراون الكتاب المنزل عليهم وفى كتاب اليهود
تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى والواو للحال اى قالوا ما قالوا والحال انهم من اهل التلاوة
للكتب

للكتب والعلم ومن امن بواحد من كتب الله تعالى يجب عليه الايمان بكلها لان كل واحد منها مصدق
للاخر قال البيضاوى والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب انتهى قال الكواشى
والمراد جميع كتب الله المنزلة انتهى **كَذَلِكَ** اى مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود **قَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ** اى المشركون من العرب وغيرهم ممن لا علم لهم بالكتاب كعوام اليهود والنصارى والجهال
الدهرية والمعطلة وساير الفرق الضالة **مِثْلَ قَوْلِهِمْ** بيان لمعنى ذلك فى كذلك اى قال كل من
لا كتاب لهم او من لا علم لهم بكتبهم مثل مقالة اليهود والنصارى لكل ذى دين ليسوا على شىء من
الدين الحق كما اخبر الله عن مشركى العرب بقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما
سبقونا اليه قال الاستاد فان قيل لم قال مثل قولهم دون مثل قولهما قلت لان المنظور هنا جهة
اتحاد اليهود والنصارى فى كونهما اهل الكتاب ومثل قولهم بيان لقوله كذلك لما فيه من الابهام او
بدل منه ويجوز ان يكون كذلك مفعولا به اى قال كلاما مثل كلامهم الشنيع الذى سمعت به تلخيصه
قال الجهلة قولا مثل قولهم صادرا عن عناد وجهل بلا حجة فيكون مثل نصبا على المصدرية وهذا توبيخ
عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ** اى فالله يقضى
بين اهل الكتاب وهما اليهود والنصارى وقول البيضاوى بين الفريقين يريد بذلك اهل الكتاب
كما لا يخفى فلا اعتراض لارباب الحواشى **يَوْمَ الْقِيَامَةِ** اى يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار
عيانا فيظهر المحق من المبطل والفاء فصيحة كانه قيل اذا لم يرضوا بحكم الكتاب فى الدنيا فالله يحكم
بينهم يوم القيمة **فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** اى من امر الدين فيقسم الله لكل فريق من العقاب
والثواب فيدخل المحق الجنة والمبطل النار وقال بعضهم وحكمه عز وجل يوم القيمة بين اليهود
والنصارى حين نفى بعضهم دين بعض بان يكذبهم ويدخلهم النار ويوفيهم ما يستحقون من
العذاب فان الحكم بين الخصمين لا يقتضى ان يكون احدهما محقا البتة يقول الفقير مولف هذا الكتاب
هذا حكم الله بينهم يوم القيمة واما حكمه عز وجل بينهم بالحجة فى الدنيا فقد بينه الله عز وجل فيما اظهر
من حجج المسلمين ومن عجز الخلق باجمعهم عن ان ياتوا بمثل هذا القران او باقصر سورة من سوره
وقد وقف بعضهم على لفظ كذلك ولم يقف بعضهم عليه والثانى اقرب لافهام اولى العلم وقد
حكى ان ططيوس بن الروم غزا بيت المقدس والقى فيه الجيف واحرق التورية وبقى خرابا الى
ان عمره زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقتل مقاتلة بنى اسرائيل او الذى غزا وفعل ذلك هو
بخت نصر بسبب قتل يحيى بن زكريا عليهما الصلوة والسلام او منع المشركون رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام عام الحديبية قلت وكيف كان فالاعتبار بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب والدليل على العموم تعميم الحكم حيث قال مساجد الله مع ان المنع والتخريب انما وقع
على مسجد واحد وهو مسجد بيت المقدس او المسجد الحرام ومعنى قوله عز وجل **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** اى لا احد اظلم ممن منع مساجد الله عن طاعة عباد
الله فيها بان يمنع عن الصلوة والذكر والتسبيح والتقديس والاعتكاف فيها وذكر اسم الله هو
ذكر الله قال الله تعالى واذكر اسم ربك دلت فيما مر ان الظلم التعدى والظلم فى الاصل وضع الشىء

Copyright King Saud University

صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الانكاري وهذا لا ينافي لكون المشرك اظلم لان فضله في الظلم
لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير والظلم في الاصل وضع الشيء في غير موضعه وفي غاية الاماني اذا كان
الباعث على المنع كراهة الذكر يكون المانع كافرا انتهى قال ابو يحيى وقد ظهر في زماننا هذا من يحرق
كتب اهل الذكر ويضربهم بل يقتلهم على جهره به ويتعللون في ذلك بادلة سفسافية ثم قال والذي
احرق كتبهم واقر بذلك في مجالس شتى هو سليمان بن قنطور وساعده في ذلك كيكلي بن زنبور
وحسن الذي كان ابوه امام الاموات وغشا لهم انتهى ومن مرفوع على انه مبتدا واظلم خبره ومنع
يتعدى الى مفعولين الاول مساجد الله والثاني ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يقدر من الجارة اي من ان
يذكر وحذف حرف الجر مع ان قياس ويمكن ان يكون نصبه على المفعولية اي كراهة ان يذكر ويجوز
ان يكون قوله وان يذكر في محل النصب على انه بدل من مساجد الله **وسعى في خرابها** اي عمل في خرابها
بمنع المصلين والذاكرين فيها او بان عطلها بالهدم قال احمد الكواشي وتخريب بيت الله هو منع
المصلين فيه والحجاج والمعتمرين عنه انتهى والخراب اسم للتخريب كالسلام اسم للتسليم واصل الخراب
الثلم والتفريق وقال مساجد الله وخرابها بالجمع وان اريد واحد بعينه لان من خرب مسجدا او
او منع ذاكرا واحدا عن ذكره الشرعي فكانما خرب مساجد عدة وذاكرين كثيرا لان المساجد
والذاكرين كلهم لله **اولئك** المانعون عن الدخول وهم النصارى او مشركو العرب **ما كان**
ما ينبغي **لهم ان يدخلوها** اي المساجد **الا خائفين** حال من ضمير ان يدخلوها
قال احمد الكواشي ولم يدخلها بعد عمارتها رومي الا خائفا لو علم به قتل وترى خيفا كرنج
وبعضهم لم يجعله استثناء حقيقة ومعناه اذا دخلوها كانوا خائفين كقولهم ليس لك ان تفعل
هذا الا سفيها او هذا خبر بمعنى الامر اي اخيفوهم حتى لا يدخلوها الا خائفين او المراد مكة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتحها نادى مناديه الا لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن بعد
العام مشرك قال ابو حنيفة واصحابه يجيزون دخول المسجد الحرام وغيره للمشركين بالاذن
ومنعه مالك مطلقا والشافعي لا يجيزه في المسجد الحرام ويجيزه في غيره وكفى الوقف هنا لان
لهم في الدنيا خزي وهو القتل للحربي والجزية للذمي او هو فتح مدائنهم الثلاثة كعمورية
ورومية وقسطنطينية جملة استئنافية وليست بحال لاستحقاقهم الخزي في كل حال **ولهم في
الآخرة عذاب عظيم** ○ وهو النار انتهى كلام الكواشي وقال ابو الخير في معنى قوله ما كان
لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان اللائق بحال النصارى او مشركي العرب ان يدخلوا المساجد
كبيت المقدس او مكة الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوهم ويقتلوهم لظلمهم وعتوهم فضلا
ان يمنعوهم منها او ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع ووجل من عقاب الله
وعذابه فضلا ان يجترؤا على هدمها وتخريبها والقاء القمامة على الصخرة التي هي قبلة الانبياء
او ما كان لهم في علم الله وقضائه وحكمه المسطور في اللوح المحفوظ ان يدخلوها الا خائفين فيكون
وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز الله وعده ولله الحمد وحده حيث
استخلص عمر الفاروق بيت المقدس من ايدي الروم اولا وصلاح الدين والدنيا ابن يوسف الكردي

من ايديهم

من ايديهم ثانيا في خلافة الناصر لدين الله وعن الحسن والسدي وقتادة ان بختنصر
البابلي المجوسي خرب بيت المقدس واعانه على ذلك اعداء الله الروم وحملهم على ذلك بغض
اليهود ولما استولى عمر على ولاية كسرى واخذ اموالهم عمر بها بيت المقدس وسال عن حدوده فلم يعرفه
احد غير يهودية فشارطت اليهودية على عمر ان تبينت له الحدود ان يكون واحد من ذريتها
فيه بعد العمارة ابدا فاجابها عمر الى ذلك فبينت وعمره عمر على الحدود المعلومة ووفى لها بالشرط
ونزلت تسلية للنبي واصحابه وذلك لما طعن اليهود المسلمين حيث قالوا ليس لهم قبلة وذلك حين نسخت
القبلة او في سرية مسافرين صلوا صلواتهم في ظلمة الليل الى غير القبلة ثم تبين خطاهم حين اصبح عليهم
فلما قدموا المدينة اخبروا النبي بذلك فانزل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا قول الكلبي
ومقاتل بن سليمان وقال قتادة وكان المسلمون يتوجهون في الصلاة الى حيث شاؤا منه ثم نسخ هذه
الاية بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام انتهى مقالة قتادة قلت والظاهر انهم اخطاؤا في
توجههم للصلوة الى بيت المقدس لانهم كانوا يصلون الى غير القبلة مطلقا وقد روي انهم كانوا في
سرية واظلم عليهم الليل ولم يعرفوا جهة بيت المقدس فصلوا بالاجتهاد كيف شاؤا فنزل قوله فول وجهك
شطر المسجد الحرام قال ابن عباس اول ما نسخ في القران القبلة وقال بعضهم الاية نزلت في النجاشي حيث
اسلم وتوجه الى المدينة مع اصحابه فمات في الطريق فاخبر جبريل رسول الله عليهما الصلاة والسلام بوفاته
فصلى عليه مع اصحابه فقالوا كيف نصلي عليه وانه لم يصل الى قبلتنا فنزلت الاية او نزلت في المسافر يصلي
على الراحلة حيث توجهت به راحلته **ولله المشرق والمغرب** اي وله خلقا وملكا الارض كلها لان
المشرق والمغرب ناحيتاها تخصيصه الارض كلها له عز وجل لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ايها
المؤمنون من ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا وفيه ايماء الى انه ليس
لاحد ملك حقيقة الا الله عز وجل **فاينما تولوا** اي ففي اي مكان فعلتم التولية يعني توليتم وجوهكم
في الصلوة شطر القبلة بامره وانما قلنا يعني توليتم الى اخره بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره واينما كلمة شرط وهي جازمة وعلامة الجزم ههنا سقوط النون
من قوله تولوا اي توجهوا وجوهكم والتولية متعدية ووجوهكم في الصلوة مقدرة كما قدرنا انفا
وجواب الشرط **فثم وجه الله** اي هناك جهة الله التي امر الله ان يصلى اليها وهي قبلته
التي رضيها لكم ان تصلوا اليها وانما فسرنا كذلك لان الوجه هنا عبارة عن الجهة والجهة عبارة
عن القبلة على ما عليه اكثر المفسرين والمعنى هناك اي اينما توليتم ووجهتم وجوهكم شطر المسجد الحرام
فهو قبلتكم قال بعضهم معناه هناك ذاته يعني انه عز وجل عالم مطلع بحالهم ليس بغائب عنهم
وعن اعمالهم وقد يذكر الوجه ويراد به الذات كما قال ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك وحده ف
قال بعضهم الوجه كالوزن والجهة كالزنة وهما مصدران نقلا الى الاسم اي هناك جهته
التي امرها بها معناه ملخصا انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت
الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة
في كل مكان لا يختص مكانها بمسجد دون مسجد ولا بمكان دون مكان انتهى ما قاله البعض وهو

Copyright © King Saud University

مفهوم قولنا عند قوله فاينما تولوا غير انه زاد في العبارة قال بعضهم معناه فثم الله والوجه
صلة انتهى قلت ومعنى فثم الله على ان الوجه صلة اى فثم قبلته او علمه بحال المصلى بانه لا يصلى
الا له وبنى ثم على الفتح لتضمنه معنى حرف الخطاب لانك تقول للغايب هناك وللحاضر هنا زيد
فثم ثابت عن هناك تخصيصه على ما ذكره استادى بلاد المشرق والمغرب ملك لله فاى مكان صرفتم
وجوهكم اليه للصلوة فثم الجهة التى رضيها عز وجل قبلة انتهى كلام الاستاد يقول الضعيف
مولف هذا الكتاب الوجه عند عرب العربا بمعنى القصد قال الشاعر رب العباد اليه الوجه والعمل
اى الى الله قصد القاصد وعمل العامل فى عبادة الله وطاعته والمعنى على هذا ففى اى مكان قصدتم
التولية ووجهتم نحو القبلة فهى الجهة التى ارادها وارتضاها ولا تختص عبادته بالمساجد على ما
رواه البخارى فى خواصه جعلت لى الارض مسجدا فاى رجل ادركته الصلوة فليصل حيث كان وانما
قلنا فى بعض معانى هذه الاية اى هناك قبلته التى رضيها لان المعبود منزه ان يكون فى جهة وحين
ولان الوجه جاء بمعنى الرضا يقال فعل ذلك لوجه الله واعتق عبده لوجه الله اى لرضاء الله ان
الله واسع يسع فضله كل شئ او واسع العلم كما قال انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما
او واسع المغفرة والواسع الجواد اى هو جواد يعطى من السعة يعنى يسع عطاياه السايلين لغناه
المطلق عن عبادة العباد وعن خلقهم فلا يواخذهم اذا اخطؤا فى القبلة ونحوها ولا يكلفهم بما
لا طاقة لهم قال الاستاد ومن سعة فضله انه يريد التوسعة على عباده ويسهل عليهم امر
القبلة وغيرها بمحض فضله عليم تا بصالح خلقه وتدبير عباده واعمالهم فى الاماكن كلها اى عليم
بنياتهم وقصدهم حيثما صلوا ونزل لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركوا العرب الملئكة بنات الله وقالوا اتخذ الله ولدا القراة وقالوا بالواو عطفا على وقالوا
لن يدخل الجنة فعلى هذا لا يتم الوقف على عليم ولا على ما بينهما ولا يحسن ايضا بل يكفى وقرا ابن عامر
قالوا بدون الواو وعليه رسم مصحف اهل الشام على انه مستانف كانه سئل هل انقطع
حبل مفترياتهم على الله عز وجل او امتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا اعظم من ذلك وافظع او انه
تتمة للاعتراض لافراطهم فى الظلم ثم نزه نفسه عز وجل عن اقوالهم الشنيعة بقوله سبحانه
اعتراض والمعنى تنزيه له عما نسب اليه من الولد وكيف يولد له الولد ولا مجانسة بينه وبين
احد والحال ان الولد لا يكون الا من جنس الوالد ولا يكون الصنع من جنس الصانع قال الله
كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم انى لا اقدر على
ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا قال
استادى واتخاذ الولد لا يكون الا لعلل اربع اما لشهوات تغلبه فيمتضها به واما لوحشة تاخذه
فيحتاج الى من يستانس به او لدفع عدو يقهره فيحتاج الى من يستنصره ويستغيث به او
لخوف حدثان الدهر والموت ليرث ويقوم مقامه والله متعال عن هذه العلل كلها واما اتخاذ الخليل
كابراهيم قال الله واتخذ الله ابراهيم خليلا والحبيب كنبينا كما صح فى الحديث الصحيح فانه جايز من
الله تعالى لان المحبة تقع على غير جوهر المحب وجنسه والدليل على ذلك ان الانسان يحب اشياء

سوى

سوى البشر كحبنا لجبريل وساير الملئكة قال البيضاوى فى معنى سبحانه اى تنزيه له من ذلك
فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
لما كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا وطبعا انتهى
بل له ما فى السموات والارض كل فيه رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى بل له السموات
والارض وما فيهما خلقا وملكا وان شئت قلت عبيدا وملكا ومن جملته العزير وعيسى والملئكة
تخصيصه ان الملكية تنافى الولادة وعبر بما دون من تغليبا لما لا يعقل كل له قانتون تا والتنوين
فى كل عوض من المضاف اليه اى كل ما فى السموات والارض او جميع اهل طاعته له طايعون
مقرون بالعبودية قايمون بالشهادة واصل القنوت القيام وجمع قانتون نظرا الى معنى كل فالمومن
يسجد طوعا والكافر يسجد ظله على كره منه قال الله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والدليل على طوع المومن واختياره وكره الكافر واضطراره قوله وله اسلم من فى السموات والارض
طوعا وكرها او يكون ذلك يوم القيمة قال البيضاوى والمعنى كل له منقادون لا يمتنعون عن
مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق
الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشانهم
وتنوين كل عوض عن المضاف اى كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه
واحتج به الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه عز وجل نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى
تنافيهما انتهى قال الاستاد تخصيصه وانما غلب غير اولى العقل حيث قال ما فى قوله بل له ما فى السموات
دون من فى السموات تحقيرا لشانهم لاقتضاء المقام ذلك لما عبر عن الملئكة باسم الجنة فى مثله وقال
ايضا وانما غلب اولوا العقل للاشارة الى ان الجمادات فى الانقياد لمشيته كانها عقلاء مميزون ففى
مقام كبريائه العقلاء كالجمادات وفى مقام العبودية بالعكس انتهى بديع خبر مبتدا محذوف اى
هو بديع السموات والارض البديع والمبدع والمبتدع واحد نص اساطين اهل اللغة وقد جاء
بدعه كمنعه بمعنى انشاه كما ذكر فى القاموس وغيره فالبديع عند الجمهور هو الذى لم يسبقه احد
فى انشاء مثله ولذلك سمى صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه فى مثل قوله احد ولهذا يقال لمن
خالف اهل السنة والجماعة مبتدع لانه ياتى فى دين الاسلام بما لم يسبقه الصحابة والتابعون
رضى الله عنهم وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا اى من قدر على خلق السموات والارض
من غير شئ اى من غير مثال سبق كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب ويجوز ان يكون عين
البديع بدلا عن الهمزة بيانه ان البديع والمبدع كالبدئ والمبدئ قال الله تعالى فانظروا كيف
بدا الخلق وقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق فجاء على فعل وافعل جميعا قال ابو بس
والمعنى موجد السموات والارض من غير مثال سبق اى من غير مادة وجاء بديع بمعنى مبدع كسميع
بمعنى مسمع وفعله ابدع اى خالقهما وموجدهما ومخترعهما من غير مثال سبق ومنه البدعة وهو الاضافة
على هذا حقيقية لان الابداع للسموات والارض ماض او فعله بدع بضم الدال فهو بديع كشرف

Copyright King Saud University

فهو شريف فالاضافة على هذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سماواته وارضه
وجميع المستعمل من تراكيب ب د ع يشمله بمعنى الحدوث والظهور وقرئ بديع بالجر بدلا من الهاء
في له وقرئ بالنصب على المدح وقال ابو الحسن الاصفهانى الشافعى المفسر واعلم ان الابداع ايجاد
الشي دفعة وهذا الصق بالمقام في الرد على النصارى وكل من يدعى ان لله ولدا لان الصنع في
التكوين وامثالهما نزه نفسه من الولد لان الولد جزء من الوالد منفعل منه ومبدع الاشياء
منزه عن الانفعال قال الله في كتابه وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين فالله
لا يرضى بان يضيف اليه جزءا من خلقه فكيف يرضى بان يكون عين خلقه وفيه رد ظاهر على
النصارى والقائلين بان الله هو عين خلقه في اى تعين من التعينات فان من اخترع الاكوان
وابدعها على حسب ما صوره في الازل بالقوة القاهرة دفعة واحدة من غير مادة فايجاد مولود
من غير اب لا يستبعد منه انتهى قال شيخ الاسلام وعبارة البيضاوى عندى احسن من جميع من تكلم
في هذا المقام لانه قال بعد قوله بديع السموات والارض اى مبدعهما ونظيره السميع في قوله
امن ريحانة الداعى السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة و
تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها
فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشي عن لا شي دفعة
وهو اليق بهذا الموضع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفي زمان
غالبا انتهى **وَاِذَا قَضٰىٓ اَمْرًا** اى اذا اراد شيئا لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون واراد اتمام ايجاد شي لان اصل القضاء اتمام الشي قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كخليقا
كقوله فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشي من حيث انه يوجبه
قال ابو الخير وجاء قضى لمعان للامر كقوله وقضى ربك قال ابن مقسم ومعنى قضى ربك اى قدر
ربك وللاخبار كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل وللحكم كقوله وقضى بينهم بالحق وللتخليق كقوله
فقضيهن سبع سموات وللفراغ كقوله ثم اقضوا الى اى افرغوا الى وللحتم كقوله ثم قضى اجلا
وللقتل كقوله فوكزه موسى فقضى عليه وكقوله يا ليتها كانت القاضية والقاضية هى الموت وللارادة
كقوله واذا قضى امرا اى اراد امرا ويوضح ذلك قوله انما قولنا لشي اذا اردناه وقوله انما امره اذا
اراد شيئا قال بعضهم في قوله واذا قضى امرا هو جواب لسوال النصارى كان النصرانى يقول ان
لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه فالجواب اذا قضى امرا اى اذا اراد خلق ولد بلا اب كونه قال
ابو الخير في معنى قوله واذا قضى امرا اى اذا اراد تكوين امر والتعبير بالقضاء للدلالة على التمام واللزوم
فهو اخص من الارادة وقال ابن يوسف والمعنى اذا احكم امرا اذ اصل القضاء الفراغ والاحكام واذا
ظرف ولها جواب والعامل فيها ما دل عليه جوابها وهو قوله **فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ** اى احدث
فَيَكُوْنُ يحدث قال صاحب التيسير لم يرد بقوله فانما يقول له كن فيكون انه عز وجل يخاطب
شيئا بكلمة كن فيكون بهذا الخطاب لانه لو جعل خطابا حقيقة فلا يخلو اما ان يكون خطابا
للمعدوم فيوجد او خطابا للموجود بعدما وجد لا جائز ان يكون خطابا للمعدوم لان المعدوم

ليس

ليس بشي فكيف يخاطب ولا جائز ان يكون خطابا للموجود لان الموجود قد كان وثبت وجوده فكيف
يقال له كن وهو كائن وانما هو بيان انه اذا شاء كونه فكان انتهى قلت قال استادى
لعل مراده من هذا البيان هو انه اذا شاء كون الصورات العلمية كونه من غير توقف واباء والصور
لا يطلق عليها انها الموجودات الخارجية قبل ان برزها ولا يطلق عليها انها المعدوم بحت لانه
تصوره فانه قد تصورها ازلا فلما كان مصورا مقدرا حتما من حيث الفضل والجود فكانه موجود
فصح خطابه بهذا المعنى انتهى كلام الاستاد قلت وفي كلام الاستاد دقائق يفهمها ارباب
الكشف واليقين وانى لنا ذلك قال البيضاوى في معنى قوله فانما يقول له كن فيكون اى كن
من كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس المراد حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة
وهو ان ايجاد الولد يكون باطوار ومهلة وفعله عز وجل يستغنى عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون
بفتح النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب
على الله عز وجل باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه
هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة واعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك
كفر قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد انتهى كلامه عليه رضوان الله وبركاته
قال الامام الكواشى وكن ليس بامر حقيقة لانه لا خطاب ثم لان الخطاب لا يرد على الموجود
لان الموجود متكون ولا على المعدوم قالوا لان المعدوم ليس بشي وانما هو مجاز وانما كن خبر ليس
بامر في الحقيقة تقديره وانما يقول له يكون فهو يكون ومثله ابصر به واسمع ظاهرهما امر ومعناهما
خبر ويجوز انه لما كان مقدرا حتما فكانه موجود فصح خطابه بتخصيصه ان ما يتكون يحصل في
الوجود سريعا من غير توقف ولا اباء القراة فيكون بالرفع على الاستيناف بالفاء اى اذا قال للشي كن اى
احدث فيكون اى فهو يكون بمعنى فهو يحدث وقال بعضهم ويكون مرفوع لانه عطف على يقول ونصبه
ابن عامر على لفظ كن لانه امر وجواب الامر بالفاء منصوب وفي المدارك وكن ليس بامر حقيقة اذ لا فرق
بين ان يقال اذا قضى امرا فانما يكونه فيكون وبين ان يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك
فلا معنى للنصب وهذا لانه اذا كان امرا فاما ان يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن او المعدوم
والمعدوم لا يخاطب وقال ايضا هو من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة
التكوين وتمثيل ولا قول ثم انتهى كلامه قال استادى وفي قول صاحب المدارك فلا معنى للنصب
لا معنى لكلامه لتهوره على القراة الثابتة انتهى قلت ومن اراد تحقيق معنى كن فيكون فليراجع
لغنية شيخنا محى الدين عبد القادر الجيلانى قدس سره فانه اوضحه غاية الوضوح ولما ذكر قبح اليهود
والنصارى ذكر قبح مشركى العرب وقبح جهلة اهل الكتاب بقوله **وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ** قال
البيضاوى اى قال جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب انتهى قلت نفى العلم عن كفار مكة
او جهلة اهل الكتاب لعدم انتفاعهم به **لَوْلَا** اذا دخلت على مستقبل كانت تحضيضا واذا
دخلت على الماضى كانت توبيخا والمعنى هلا **يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ** كما يكلم الملئكة وموسى او يوحى الينا

Copyright … University

ويخبرنا بانك يا محمد رسوله فنؤمن بك ونتبع ايات الله اقتراحهم فى ايات اخر كقولهم لولا نُزّل علينا الملائكة
او نرى ربنا وكقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعًا او تاتينا اية كما اى حجة
ودلالة من الله على صدقك غير القران وساير المعجزات الباهرة وهذا الطلب والاقتراح منهم
استهانة بالمعجزات الباهرة وانكارًا بالايات القرانية الظاهرة كانّ القران وساير المعجزات
عندهم كلاشئ ففى طلبهم الكلام استكبار ظاهر وفى طلبهم الايات جحود لما اتاهم الله من الايات
البينات كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم اى مثل ما قال مشركوا العرب لك وطلب منك
قال الذين من قبلهم من الامم الماضية لانبيائهم فان اليهود قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة وان النصارى قالوا لعيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السموات واو للتخيير
تشابهت قلوبهم كما اى تماثلت قلوب هؤلاء وقلوب من قبلهم فى العمى
القراءة بتخفيف الشين
والقسوة والفساد والكفر والتكذيب والعناد وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم قال البيضاوى
وقرئ بتشديد الشين انتهى وقال الكمال وخطأه الفراء قائلا ذلك انما يجوز فى المضارع فيدغم
احدى التائين فى الشين ثم اوما عز وجل الى مجئ الايات والى ان من لم ينتفع بالايات فهو شقى فقال
قد بينا الايات لقوم يوقنون انها ايات يجب الايمان والاعتراف بها والمعنى ذوى بصائر
بعبارة اخرى اى لقوم يطلبون اليقين بانها ايات فيؤمنون بها او لقوم يوقنون الحقائق لا تعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الايات او لطلب مزيد تعيين
وانما قالوه عتوًا وتجبرًا وعنادًا والمعنى بعبارة اخرى لقوم يوقنون ايقانًا خاليًا عن الكفر
الايقان المجرد عن الاذعان والقبول ليس من الايمان فى شئ لقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال
ابو موسى واللام فى الايات للاستغراق اى كل الايات او الماهية اى ما يعرفه العقلاء انها ايات
وتنكير قوم للتعظيم اى قوم صفتهم الايقان وفيه تعريض بانهم اراذل اهل الظن والتقليد فى
بان الايمان له شان ثم اوضح الايات بقوله انا ارسلناك بالحق اى مصحوبًا بالقران والهدى
وساير شرايع الاسلام بحيث لا يفارقك او ملتبسًا مؤيدًا به على انه حال مؤكدة لان الارسال مع
لا يكون الا كذلك بشيرا ونذيرا حالان اى مبشرًا او لجائى بالايمان به بالجنة ومنذرًا اى مخوفًا
اعدائى بعدم الايمان به بالنار اى لم نرسلك عبثًا وما عليك الا البلاغ ان اصروا او كابروا فالخصيصة
انا ارسلناك مبشرًا لمن ايقن بالايات ونذيرًا لمن تغافل عنها فلم يؤمن بها قال بعض فى معنى
قوله بالحق اى بالاسلام قال الله تعالى بالهدى ودين الحق وهو الاسلام او معناه ارسلناك لبيان
الحق لان الباء جاء بمعنى اللام قال الله تعالى ذلك بان الله هو الحق اى لان الله او معناه على الحق قال
الله وخلق الله السموات والارض بالحق اى على الحق يعنى حق لا باطل وقد جاء الباء بمعنى على قال الله تعالى
وظنوا انه واقع بهم اى عليهم يقول الفقير الضعيف مؤلف هذا الكتاب والذى يميل اليه خاطرى
من بين الاقوال ان يكون الباء بمعنى مع اى انا ارسلناك مع الحق وهو القران تقول العرب دخل فلان بسيفه
اى مع سيفه قوله عز وجل ولا تسئل عن اصحاب الجحيم كما قراءة الجمهور تُسئل بضم التاء مبنيًا للمفعول
مع رفع الفعل لان لا نافية والواو استينافية او عاطفة لجملة على جملة ومحل الجملة حال اى ارسلناك

بشيرا

٧ بشيرًا ونذيرًا وغير مسئول عن اهل النار بانهم لم لم يؤمنوا بعدان بلغت ما ارسلت به وبذلت
جهدك فى دعوتهم وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولذلك
قال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وهو كقوله تلك امة قد خلت وعبّر بلفظ اصحاب الجحيم
اشارة الى انهم مخلوقون للجحيم فلذلك لم تؤثر فيهم الانذار والجحيم النار المتاججة الشديد التهاب
والجاحم المكان الشديد الحر وقرأ نافع ولا تسئل على بناء الفاعل على الخطاب بلا الناهية
الجازمة اى انه نهى نبيه عن السؤال عن حال اصحاب النار وذلك اما لان حالهم فى الفظاعة و
الشناعة بلغت حدًّا يوحش السامع عن الاستماع اى لا يصبر السامع على استماع خبرها او يوحش
المتكلم من التكلم بها اى لا يقدر المتكلم ان يخبر عنها لفظاعتها كما يقال لمن تسأل عن حاله وهو فى
هلكة لا تسأل عن حال فلان اى انه قد هلك وصار الى اعظم حال مما تظن او لما قيل ان ابن عباس
ومحمد بن كعب القرظى قالا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليت شعرى ما فعل ابواى اى على ما انتهى
امرهما فنزلت والاول هو الوجه الصحيح بدليل انه ذكر بعد اصحاب الجحيم ارباب النار وهم اليهود
والنصارى ولم يذكر احدًا من اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام فقال ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم حسن لف بعد النشر على عكس ما فى قوله عز وجل
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودًا او نصارى وفى الارشاد وحمل قوله ولا تسئل عن اصحاب
الجحيم على نهى النبى عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم انتهى قلت ومعنى
قوله لا يساعده النظم الكريم اى لانه غير موافق للسباق والسياق وفى الاية مبالغة فى اقناط رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اسلامهم واتباعهم اياه فانهم اذا لم يرضوا منه صلى الله عليه وسلم حتى تتبع
ملتهم اى دينهم وطريقتهم فكيف يتبعون ملته صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يلاطف معهم
رجاء ان يتبعوه ولعل اليهود والنصارى قالوا للنبى صراحة لن نتبعك حتى تتبع ملتنا فحكى الله
عنهم ذلك ثم بالغ فى اقناط نبيه عن اسلامهم ولذلك امر نبيه ان يجيبهم بقوله قل ان هدى
الله هو الهدى اى ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا زيادة عليه وما تحرض
وتدعونه اليه من عبادتكم الاصنام وغيرها فانما هو هوى وضلال لا هدى ولا رشد والدليل على
الذى ذكرنا هو قوله ولئن لام قسم اتبعت اهواءهم اى اراء الذين يدعونك اليها فرضًا وتقديرًا
وهو الدين والقبلة ونحو ذلك وانما جمع الاهواء ولم يقل هواهم لان فرق الخلاف لم يكونوا على
هوى واحد بل لكل فرقة هوى فاخبر انه لا يرضى الكل الا باتباع اهواء الكل والملة ما شرعه
الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والاهواء جمع هوى وهو
الراى الزايف فان الهوى راى عن شهوة وميل الى لذة نفسانية داع الى الضلال وانما سمى بذلك
لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا الى كل داهية وفى الاخرة الى الجحيم والهاوية قال بعضهم هذا
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه عز وجل انه صلى
الله عليه وسلم لا يتبع ملتهم والجواب ان العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفعها لان اشد البلاء الانبياء
بعد الذى جاءك من العلم اى من الوحى من الله او من الاسلام وما فيه من الاحكام قال الاستاذ

Copyright King Saud University

بخصوصه
والذى جاءك من العلم هو بيان حقيقة الاسلام وبطلان الكفر وان القبلة هى الكعبة وقال ايضا فى
اى بعد ما جاءك من العلم الذى هم فيه اى من الدين المعلوم صحته انتهى قلت ومن التبيين ما ابهمه
ثم بيّنه للتعظيم اى من بعد ما جاءك من الدين الحق المعلوم صحته بالبرهان ومن العلم منصوب على انه
حال من ضمير جاءك ما لك من الله من ولى ولا نصير تا ان الله وعد نبيه ومن معه من المومنين
بالنصر والتائيد فى آية اخرى بقوله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فاخبر بهذه الاية انه
لو اتبع هواهم لم يكن له من الله ولى اى حبيب يتولى امرك اى يتولى عنك الدفاع ولا ناصر يمنع
عنك العذاب والعقاب وجملة ما لك الى اخره جواب للقسم قد سد مسد جواب الشرط ولنذكر
نبذة مما يتعلق بنجاة اهل الفترة سيما والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخنا فى الطبقة
الثالثة زكريا الانصارى وما يروى من انه صلى الله عليه وسلم قال ليت شعرى ما فعل ابواى
فنهى عن السوال بقوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم اى عن احوال الكفرة ضعيف او لا اصل له لانه
مخالف لكثير من الآيات والاحاديث والمختار ان الاية نزلت فى كفار اهل الكتاب لدلالة ما قبلها
وما بعدها على ذلك وايضا ان والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا فى زمن الفترة على التحقيق ولم
تبلغهما الدعوة باتفاق الائمة وقد قبضا فى حداثة السن ولم يبلغا سنا يحتمل الوقوف على
الاخبار والفحص عنها فان سيدنا عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم صحح الحافظ صلاح الدين
العلائى انه عاش نحو ثمانى عشرة سنة ووالدته آمنة نحو العشرين تقريبا قال الجلال
السيوطى وحكم من لم تبلغه الدعوة باتفاق الائمة الشافعية من الفقهاء والائمة الاشاعرة منا
من اهل الكلام والاصول الفقه انه يموت ناجيا ويدخل الجنة نص على ذلك الامام الشافعى وتبعه
سائر الاصحاب والدليل على ذلك قوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والدليل على
ذلك ايضا الحديث الذى اخرجه احمد بن حنبل وجماعة اخرى وهو قوله صلى الله عليه وسلم اربعة
يحتجون يوم القيمة رجل اصم لا يسمع شيئا ورجل احمق ورجل مات فى فترة الى ان قال واما
الذى فى الفترة فيقول اى رب ما اتانى لك رسول فياخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم ان
ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها والدليل على
ذلك الحديث الذى اخرجه البزار فى مسنده بسند حسن على شرط الترمذى وهو قوله صلى الله
عليه وسلم يؤتى يوم القيمة بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك فى الفترة اى
رب لم يأتنى كتاب ولا رسول ويقول المعتوه اى رب لم تجعل لى عقلا اعقل به خيرا و
لا شرا ويقول المولود اى رب لم ادرك العمل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها فيدخلها
من كان فى علم الله سعيدا لو ادرك العمل ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو ادرك العمل
فيقول تبارك وتعالى اياى عصيتم فكيف برسلى بالغيب والدليل على ذلك ايضا الحديث الذى
اخرجه عبد الرزاق وجماعة اخرى معه فى اسانيدهم الصحيحة على شرط الشيخين وهو قوله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى اهل الفترة والمعتوه والاصم والابكم والشيوخ
الذين لم يدركوا الاسلام ثم ارسل اليهم رسولا ان ادخلوا النار فيقولون كيف ولم تأتنا
رسل

رسل قال وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان
يريد ان يطيعه قال ابو هريرة راوى هذا الحديث اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا والدليل على ذلك ايضا الحديث الذى اخرجه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين
واقره الذهبى والدليل على ذلك ايضا الحديث الذى اخرجه ابو نعيم فراجع مسانيدهم ترى
فيها نجاة اهل الفترة قال عبد الرحمن السيوطى وقال العلماء والآيات والاحاديث المذكورة ناسخة
لكل ما خالفها من الاحاديث الثابتة فى البخارى ومسلم كما ان الاحاديث الواردة فى اطفال المشركين
وانهم فى النار منسوخة بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وبالاحاديث الواردة بخلاف ذلك
وذهب الى اسلام اهل الفترة ونجاتهم جماعة من الحفاظ آخرهم شهاب الدين ابن حجر العسقلانى
وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى ان لا يدخل النار احدا من
اهل بيتى فاعطانى ذلك اورده الحافظ المحب الطبرى فى ذخائر العقبى وعن عائشة رضى الله تعالى
عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون وهو باك
حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طفر فنزل فقال يا حميراء استمسكى
فاستندت الى جنب البعير فمكث عنى طويلا مليا ثم انه عاد الى وهو فرح متبسم فقلت له بابى
انت وامى يا رسول الله نزلت من عندى وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ثم
انك عدت الى وانت فرح متبسم فماذا يا رسول الله فقال ذهبت لامى آمنة فسألت
ربى ان يبعثها فاحياها فآمنت بى او قال فآمنت وردها الله عز وجل وقد مال الى هذا الحديث
عائشة الامام القرطبى وابن المنير ونقله ابن سيد الناس عن بعض اهل العلم وقال به الصلاح
الصفدى فى نظمه وكذا الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى فى ابيات له وجعلوا حديث
عائشة ناسخا لما خالفه من الاحاديث لتأخره وقد ايد هذا بالقاعدة التى اتفق عليها الامة
انه ما اوتى نبى معجزة او خصيصة الا واوتى نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وقد احيى الله لعيسى
الموتى من قبورهم فلا بد ان يكون لنبينا مثل ذلك فلذلك احياء الله تعالى على يديه جماعة من
الموتى فاذا ثبت فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة فى كرامته وفضله قالوا وكما احيى
الله له امه احيى له ايضا ابوه قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى شعرا
حبا الله النبى مزيد فضل وكان به رؤفا
فاحيا امه وكذا اباه لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وان كان الحديث به ضعيفا
ورد القرطبى قول ابى الخطاب بن دحية
وهو من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك
فكيف الاعادة بقوله وروى فى المعجزات ان الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها
ذكره الطحاوى وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد به الوقت
لما ردها عليه فثبت بان احياء ابوى النبى كان نافعا لايمانهما وتصديقهما بالله ورسوله
وقال بعض الاكابر من اهل الحق فلو قلنا الايمان بعد الاحياء لو لم يصح الا لوالدى نبينا
صلى الله عليه وسلم فقط لخصوصه لصح ذلك وكم له من الخصايص والفضايل والكرامة عند الله

Copyright King Saud University

ما ليس لاحد من الانبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم فاذا لا عبرة بمن قال ان الايمان بعد انقطاع العمل لا
ينفع صاحبه مطلقا فظهر ان حديث ردّ الشمس كالشمس في الردّ على القايلين بان احياء ابوي النبي
ما نفعهما بعد انقطاع العمل وذكر القرطبي في تذكرته بان فضايله صلى الله عليه وسلم وخصايصه لم تزل
تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به واكرمه وليس احياؤهما وايمانهما ممتنعا
عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرايل واخباره بقاتله وذهب اعلم المفسرين
الامام فخر الدين الرازي من المتاخرين ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم الى ادم على التوحيد لم يكن
فيهم مشرك وقال ايضا ان والدي النبي صلى الله عليه وسلم كانا على التوحيد ودين ابراهيم عليه السلام
كما كان على ذلك طايفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن ساعدة وورقة بن نوفل وعمرو بن
حبيب الجهني وعمرو بن عنبسة في جماعة اخرين وقال ابن حجر الهيتمي وقول ابي حيان الرفضة هم
القايلون بان اباء الرسول صلى الله عليه وسلم غير معذبين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فلك
ردّه بان مثل ابي حيان انما يرجع اليه في علم النحو وما يتعلق به واما المسايل الاصولية فهو عنها بمعزل
كيف والاشاعرة وغيرهم من اهل السنة على ان اباءه صلى الله عليه وسلم مومنون غير معذبين فكيف
ينسب ذلك للرفضة وحدهم مع ان هولاء هم الذين هم ايمة اهل السنة قايلون بذلك انتهى كلامه في
في شرح القصيدة الهمزية وفي حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة شفعت لابي وامي
وعمي ابي طالب واخ لي في الجاهلية اورده المحب الطبري في كتابه ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى
وقال ان ثبت فهو مؤول في ابي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب بشفاعته فاحتاج الى
تاويله في ابي طالب لانه ادرك البعثة ولم يسلم وقد اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فاكثرهم
من قال فيه ناج وقال بعض الاصحاب مسلم وقال الغزالي التحقيق ان يقال في معنى المسلم وقال
الامام فخر الدين الرازي ومما يدل ان اباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله صلى الله عليه وسلم لم ازل
انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال الله تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد
من اجداده مشركا وقال الامام فخر الدين الرازي ايضا ومن ذلك قوله تعالى الذي يراك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين معناه انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد ثم قال الامام وبهذا التقرير
فالاية دالة على ان جميع اباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين وقال الامام البيهقي وفي الحديث
ما افترق الناس من فرقتين الا جعلني الله في خيرها فاخرجت من بين ابوي فلم يصبني شيء من عهد
الجاهلية وخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم حتى انتهيت الى ابي وامي فانا خيركم
نفسا وخيركم ابا وعن ابي نعيم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة
الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا ما تشعبت شعبتان الا كنت في خيرهما وفي الاية ان ابراهيم دعا
لذريته ان لا يعبد احد منهم الاصنام حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وعبد الله والد النبي من اولاد اسماعيل ولم يعبد صنما اصلا نص على ذلك سفيان بن عيينة وما احسن
قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي ∴ تنقل احمد نورا عظيما ∴ تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرنا فقرنا ∴ الى ان جاء خير المرسلينا ∴ وحكى ابن سيد الناس في سيرته ان الله احيا عبد المطلب

حتى

حتى امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن عرباض بن سارية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم
عن ذلك دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني نورا اضاءت له قصور الشام
الى اخر ما قيل فانظر كيف قابل شهادة اباته بدعوة الخليل وبشارة عيسى قلت والاية الدالة
على ايمان والدي النبي واسلامهما ايضا قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا والايق بكمال المومن
ان لا ينكر احد من اولاد النبي وذريته واجداده سيما والديه الا بالخير قال الله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا قال ابو بكر العربي المالكي الفقيه
ولا اذى اعظم واكبر من ان يقال عن ابيه وامه انهما في النار وعن ابي هريرة انه قال جاءت سبيعة
بنت ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الناس يصيحون بي يقولون انت بنت حطب
النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب شديد الغضب فقال ما بال اقوام يؤذونني في قرابتي
الا من اذى قرابتي فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تؤذوا
الاحياء بسبب الاموات والله اعلم بمراده واسرار كتابه ونزل في الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب
من الحبشة او في عبد الله بن سلام واصحابه او في جميع المسلمين الذين مبتدا اتيناهم الكتاب صلته
قال البيضاوي يريد مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يتلونه اي يتلون الكتاب وهو
حال مقدرة من مؤمني اهل الكتاب او من الكتاب لانهم لم يكونوا تالين له وقت الاتيان وتنصب حق
تلاوته مصدرا تقديره تلاوة حقا كما انزل فلما قدم وصف المصدر عليه واضيف اليه نصب نصب
المصادر المعنى يقرأون الكتاب ولا يغيرون ما فيه ويتبعونه حق اتباعه لتخصيصه يقراونه بمراعاة اللفظ
عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه قال الكواشي والهاء في يتلونه للنبي صلى الله عليه وسلم
في المعنى اي يصفون النبي في كتبهم حق صفته لمن سالهم عنه اولئك الذين يتلون على ما يجب مبتدا ثانيا
خبره يؤمنون به حسن اي يصدقون بالكتاب دون المحرفين والمبدلين والجملة خبر المبتدا الاول
قال استادي رحمه الله في معنى قوله اتيناهم الكتاب اي التوراة وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم هم
الذين عملوا به فكانهم خصوا به وقال في معنى قوله يتلونه حق تلاوته اي يتبعونه حق اتباعه قال
الله والقمر اذا تلاها اي تبعها واتباعه حق اتباعه هو العمل بمحكمه والايمان بمتشابهه وان يحل حلاله
ويحرم حرامه ويعمل باوامره وينتهي بنواهيه ويقرأونه حق قراءته قال الله تعالى واتل عليهم اي اقرأ
عليهم وقراءته حق قراءته التدبر والتفكر والترتيل وترك التحريف والتبديل او يصفونه حق صفته
اي يقولون هو كلام الله غير مخلوق ولا محدث ولا حادث ويصدقون بما فيه من نعت محمد صلى الله
عليه وسلم انتهى كلام الاستاد ثم استانف فقال ومن يكفر به اي ومن لم يؤمن ولم يصدق بالكتاب
المؤتى بان يحرفه ويبدله ويغيره فاولئك هم الخاسرون اي الذين يكفرون بالكتاب هم الهالكون
المغبونون في تجارتهم لصيرهم الى النار المؤبدة عليهم لاستبدالهم الضلالة بالهدى واشترائهم الكفر بالايمان
وانما فسرنا كذلك لما فيه من الرمز والاشارة الى ما ذكر في اول السورة عند قوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واولئك جمع والمذكور قبله وهو قوله ومن يكفر

موحد في الظاهر لكنه جمع في المعنى لانه للجنس واولئك مبتدا وهم عماد والخاسرون خبر المبتدا واثبت
الخسران لمن كفر به لا لمن يتبعه حق اتباعه وهذا لطف من الله عز وجل بعباده يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالشكر عليها بطاعتي واني فضلتكم على العالمين اى فضلت
سلفكم من ابائكم على عالمي زمانهم واتقوا يوما اى خافوا يوما وهو يوم القيمة لا تجزي نفس عن
نفس اى لا تغني نفس عن نفس في ذلك اليوم شيئا ولا يقبل منها عدل اى فداء ولا
تنفعها شفاعة اى ليس لها شفاعة تنقبل قال الله فما من شافعين ولا هم ينصرون
اى ولا هم يمنعون من عذاب الله وقد مر تفسير هذين الايتين في اول السورة غير انه قال هناك ولا
تقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل وقال هنا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وبدأ
قصة بني اسرائيل بهذين الايتين في اول السورة وههنا كذلك ففي الاية الاولى في الموضعين تذكير
النعمة والقيام بحقوقها حيث قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
وفي الاية الاخرى في الموضعين تخويف العقوبة والحذر عن اضاعة النعمة عن الساعة واهوالها
حيث قال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون وبالايتين ختم الكلام معهم وفائدة صورة التكرار في الموضعين التقرير في الاذهان والمبالغة
في النصح والاعلام بان تذكير النعمة وتخويف العقوبة هو نتيجة القصة ووصل بقصة بني اسرائيل قصة
ابراهيم حيث قال واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وكان بنو اسرائيل يدعون انهم على ملة ابراهيم فنفى الله
دعواهم بقوله في اية اخرى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وشرح الله حال
ابراهيم ههنا فقال وَاِذِ ابْتَلٰى اِبْرٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ اى واذكر وقت اختبار ابراهيم او اذكر
اذ امر ابراهيم يعني كلفه باوامر ونواهي قدم المفعول ثم ذكر الفاعل فقال ربه وانما فعل ذلك
للجواز لانه لو قدم الفاعل فقال واذ ابتلى رب ابراهيم ابراهيم تكرر ذكر ابراهيم في موضع المفعول
والايجاز ابلغ والابتلاء في الاصل هو الاختبار وتكاليف الله اوامره ونواهيه ابتلاء قال الله ليبلوكم
ايكم احسن عملا وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه والاختبار منا لظهور ما لم نعلم وتبين
ومن الله تعالى لاظهار ما قد علم هو وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفي في الشاهد والغايب جميعا فجاز
تسمية ذلك من الله عز وجل ابتلاء لهذه العاقبة في هذا المعنى كابتلاء العباد قال احمد الكواشي القراءة
اى الصحيحة بجعل ابراهيم مفعولا وربه فاعلا وقرئ بجعل ابراهيم فاعلا وربه مفعولا فالابتلاء على هذا
اى القراءة الشاذة هو الدعاء والمسالة ويكون الضمير في اتمهن لله عز وجل بان اجاب مسالته والضمير
على القراءة الصحيحة لابراهيم القراءة ابراهيم جميع ما في القران وابرهام جميع ما في هذه السورة ومواضع
اخر جملتها ثلثة وثلثون موضعا وقرئ جميع ما في القران ابراهِم بكسر الهاء وضمها لغات كلها وهو عجمي
وجمعه اباره او براهم او براهمة او ابارهة انتهى قال الكمال ومعنى ابراهيم بالسريانية اب راحم
وذلك لرحمته بالاطفال قيل جعل هو وزوجته سارة كافلين لاولاد المومنين الذين يموتون صغارا الى يوم
القيمة انتهى وروي انه اول من اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وهي قرية بالشام واول من قلم
الاظفار واول من راى الشيب في راسه والكلمات عن ابن عباس هي اوامر مناسك الحج وشرايع الاسلام

واحكامها

واحكامها فمعنى قوله فاتمهن على قول ابن عباس اى فادى مناسك الحج على التمام والكمال وروي عن
ابن عباس ان الكلمات هي الفطرة وهي عشر خصال خمس في الراس وهي المضمضة والاستنشاق
والسواك وقص الشارب وفرق الراس وخمس في البدن وهي قلم الاظفار ونتف الابط وحلق
العانة والاستنجاء بالماء والختان ومعنى فاتمهن على هذا اى عمل بهن قال الله تعالى وابراهيم الذي
وفى ومعنى هذه الاية اى قام بهن حق القيام واطاعه فيهن احسن الطاعة وهذه الخصال العشرة
كانت عليه فرايض ولنا سنة والختان واجب عندنا والكلمات قد يطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال
المحمودة كما فسرت الكلمات بالمعاني في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات والخصال المحمودة على الاكثر الاقوال هي
ثلثون خصلة عشرة منها في سورة الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخر الصفات وذلك في الايتين
وعشر في براءة اى في التوبة التائبون الى اخر الاية وعشر في اول قد افلح المومنون الايات وقال محمد بن علي
الترمذي الكلمات هي الخصال التي بني عليها الاسلام وهي اثنان وثلثون سهما عشر منها في سورة الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات الاية وعشر في سورة الرعد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق الايات وست
في اول سورة قد افلح الى قوله هم الوارثون وست في اول سورة البقرة من هدى للمتقين الى قوله هم
المفلحون وقال ابو الخير في معنى واذ ابتلى ابراهيم اى بالكواكب والقمر والشمس فاحسن فيها النظر وعلم
ان ربه لا يزول ابدا فصار محجة على عبدة الشمس والقمر والكواكب وقال ايضا معناه انه ابتلى بالشدايد
كالنار في محاجة نمرود والهجرة وذبح الولد واسكانه بواد غير ذي زرع ولا ماء والختان فصبر على ذلك
فتمم الله تعالى له فاستحق الامامة للناس وانما سماها كلمات لانها اعاجيب قيل ولذلك قيل لعيسى كلمة الله
والاوامر والنواهي انما يكون بالكلام كما هو الظاهر وتلخيصه ان الله عامله معاملة المختبر بتلك الكلمات وقيل
الكلمات هي الدعوات المحكية عنه في القران نحو رب اغفر لي ولوالدي ولا تخزني يوم يبعثون وغير ذلك انتهى
كلام ابي الخير قال الحسن ابتلاه بالاشياء المذكورة فاتمهن فشكرها الله عز وجل له فقال الله عز وجل
لابراهيم اِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا اى رسولا يقتدى بك في الدين جميع من ياتي بعدك والامام
فعال بمعنى المفعول اسم لمن يوتم به كالازار لما يتزر به وامامة ابراهيم عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده
نبي الا من كان من ذريته مامورا باتباعه وقد انجز الله هذا الوعد فقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال الله لنا ملة ابيكم ابراهيم وملة نصب على الاغراء وقال
الله عز وجل ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وقال الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابراهيم قال ابو الخير في قوله قال اني جاعلك للناس اماما هو استيناف ان اضمر ناصب اذ كانه
قيل فماذا قال لابراهيم ربه حين اتمهن فاجيب بقوله قال اني جاعلك للناس اماما ويجوز ان يكون
قوله اني جاعلك للناس اماما بيانا لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام قبل هذه الثلثة وان نصبت اذ بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل
من جعل الذي له مفعولان لانه بمعنى التصيير قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف على الكاف في جاعلك والمفعولات
محذوف فان هنا تقديره ومعناه واجعل بعضا وفريقا من اولادي وذريتي اماما يقتدى به بعدك لان
جعل يتعدى الى مفعولين كما تقدم قال الاستاد وتلخيص الكلام ان قوله ومن ذريتي عطف على الضمير المجرور

لان الاضافة اللفظية فى تقدير الانفصال اى وجاعل لذريتى الامامة ايضا اخرجه فى صورة الاخبار
عن صورة الامر خطابا للمن تعالى شانه فهو كعطف التلقين فى قوله ومن ذريتى لمن قال اهتماما بوقوعه و
سائرك بجعل نفسك نائبا عن المتكلم وفيه من الاختصار والحسن ما يروق كل ناظر قال صاحب الغاية
الامانى وانما لم يسال الامامة لجميع ذريته لعلمه بان بعضهم لا يؤمن وفى التيسير ومن للتبعيض ههنا لا للتجنيس
اى اجعلهم كلهم ايمة تقتدى وهذا شفقة منه على اولاده على الخصوص اكرم بكرامة فاحب ان يشاركه
فيها اولاده وشفقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت فى درجة الكمال اكرم ليلة المعراج بالسلام والرحمة
والبركة فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاشرك فيها اهل السماء والارض من اهل التوحيد
وفق له **قال لا ينال عهدى الظالمين** كا اى لا تصيب الامامة اهل الظلم من ولدك وهم اهل الكفر اخبر
ان امامة المسلمين لا تثبت لاهل الكفر وان من اولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى
اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المسلم والظالم الكافر وتعلقت المعتزلة بظاهر
الاية فى نفى صلاحية الامامة للفاسق لكن نقول الظالم نريد به الكافر ههنا الى هنا من كلام صاحب التيسير
وقال احمد الكواشى لا ينال امانى من النار المشركين او المعنى من كان من ذريتك ظالما لا يناله ما
عهدته اليك من النبوة ولا الاستخلاف وانما يناله من كان بريا من الظلم قالوا فى هذا دليل على ان الفاسق
لا يجوز ان يكون اهلا للامامة وكيف يجوز امامة من لا يجوز حكمه ولا شهادته ولا يقدم للصلوة ولا تجب
طاعته عن ابن عيينة ان الظالم لا يكون اماما قط لان الامام هو لكف الظلمة فكيف يجوز ان يكون
ظالما انتهى كلامه وكان شيخنا يقول وكلام احمد الكواشى احسن من كلام صاحب التيسير والمدارك
وابى السعود العمادى والعيون ثم كان يقول واحسن من كلام احمد الكواشى كلام البيضاوى لحسن سبكه
حيث يقول فى معنى قوله قال لا ينال عهدى الظالمين اى هذا اجابة الى ملتمس ابراهيم وتنبيه على انه
قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امامة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها
وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرى الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته انتهى قلت ولو قال بعد قوله
من الكبائر ومن الصغائر ثم حسن السبك وقال السيوطى والمعنى لا ينال عهدى وامانى من النار
بالامامة الكافرين منهم دل على انه يناله غير الظالم انتهى قلت وظن الكمال بان الفاسق يصلح للامامة
بحسب زعمه حيث يقول فى تفسيره والمعنى من كان ظالما من ذريتك لا يناله عهدى اليه بالامامة وانما
يناله من كان عادلا او النيل الحقوق واختلف فى المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلا دلالة فى الاية على
ان الفاسق لا يصلح للامامة انتهى كلامه وكان الاستاد يقول واقول كلام الكمال يرد على اصل كما لا يخفى للعامى
فكيف بالجاهل وكيف يزعم انه يرد على البيضاوى فى هذا المحل بقوله فلا دلالة الى الاخر ثم قال الاستاد
انى طالعت فيما يزعمه فى الرد على البيضاوى فى جميع تفسيره فما وجدت لكلامه طلاوة ولا حلاوة وكان
الاستاد يقول ايضا ومن العجب ممن يقول ان الظلم الحالى مانع من الامامة واما الظلم الطارى فلا ومن العجب
ايضا من يقول لا دلالة فى الاية على عصمة الانبياء قبل النبوة انتهى كلام الاستاد قلت تعجب الاستاد
من كلام صاحب غاية الامانى حيث يرد على البيضاوى بزعمه من معنى قوله تعالى قال لا ينال عهدى الظالمين

اى هذا

اى هذا اجابة الى سواله وابن زاده اشار اليه فى السول بمن التبعيضية اى انما يناله من كان عادلا لكنه لم
لا يرث منى اجنبى فى جواب من قال اوص لبنيك والاية دلت على ان الظلم الموجود مانع واما ان الطارى
يبطل الامامة فلا ولا دلالة فيه على عصمة الانبياء قبل النبوة لان الفاسق بعد التوبة صالح للامامة انتهى
كلام صاحب الغاية وقال ابو منصور الماتريدى قيل كيف كان قوله لا ينال عهدى الظالمين جوابا
لقوله ومن ذريتى وكانت الرسالة فى ذريته قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية يحتمل قوله ومن ذريتى انه
احب ان تكون الرسالة **واذ جعلنا البيت مثابة للناس** اى واذكروا اذ جعلنا الكعبة الشريفة مرجعا للناس
لانهم يثوبون ويرجعون اليه من كل جانب والبيت علم للكعبة الشريفة بالغلبة كالنجم للثريا واصل التوب
الرجوع والبيت مفعول اول لجعلنا ومثابة مفعول ثان له وان جعلت جعل بمعنى وضع فمثابة حال
قال ابو الخير والبيت المعرف بالالف واللام اسم للكعبة وقد ذكر البيت فى القران على وجوه ان اول
بيت وضع للناس للذى ببكة ان طهرا بيتى للطائفين فليعبدوا رب هذا البيت والبيت الحرام ولله
على الناس حج البيت قال الحسن فى معنى مثابة اى يثوبون اليه كل عام اى ليس هو فى الزمان مرة فقط و
قال مجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم واجعل افئدة
من الناس تهوى اليهم وقال ابن عباس معناه لا ينصرف عنه احد وهو يظن انه قد قضى منه وطرا فهم
يعودون اليه وفى الغاية والمعنى يثوب الزائرون اليه اما باعيانهم وانفسهم واما بامثالهم لان الزائرين
ربما لا يثوب واللام للجنس وانما استدركه لاتحاد الكل فى الاسلام والقصد الى الحج والاعتمار وقيل
للاستغراق والمراد الكمل والاشراف انتهى وقال ابو الفتح فى معنى مثابة للناس اى مرجعا لهم يثوب اليه اعيان
الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثوبون بحجه واعتماره وقرى مثابات لانه مثابة كل واحد اى لان
لكل واحد مثابة لا تختص واحدا دون غيره كقوله سواء العاكف فيه والباد وفى تفسير النيسابورى
وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى او بان الله تعالى
القى تعظيمه فى القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دنيوية
كالتجارات والمكاسب فى ايام الموسم او دينية كما قال صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق
يرجع كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس
له جزاء الا الجنة **وامنا** قال البيضاوى اى وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله
او لا يواخذ الجانى الملتجى اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة انتهى وفى تفسير النيسابورى وقال
امامنا الشافعى ان الامام يامر بالتضييق على الذين وجبت عليهم الحدود بما يودى الى خروجه فاذا
خرج اقيم عليه الحد فى الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذا من قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه وقد يقع
فيه القتل الحرام والمباح قال الله تعالى ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم انتهى قال الاستاد معناه ذا امن او نفس امن وصفا بالمصدر مبالغة وقال ايضا
ومعنى ان الحج يجب ما قبله من غير حقوق الناس ومظالمهم واذا نظرنا الى ظاهر الحديث الذى يصير
الحاج كيوم ولدته امه فقد صح ان الحج يجب ما قبله انتهى قال الحافظ عبد الرحمن السيوطى فى معنى

اى مأمنًا لهم من الظلم والاغارات الواقعة فى غيره كان الرجل منهم يلقى قاتل ابيه فلا يهيجه انتهى
لتخصيصه جعل الله البيت مأمنًا يامنون فيه اى موضع امن وهو ضد الخوف قال الله ومن دخله كان
آمنا وقال حرمًا آمنا وكان المشركون لا يتعرضون الى اهل مكة ويسمونهم باهل الله ولان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حرمه يوم فتح مكة ونهى عن عضد شجره وتنفير صيده والتقاط لقطته الا لمعرفها واختلاء
خلاه الا الاذخر وقال صلى الله عليه وسلم الا ان حرم مكة حرام من حرام الله لم تحل لاحد بعدى
وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت بعد حرامًا الى يوم القيامة وقيل معناه امنًا من الجنون والجذام
والبرص وقيل امنًا من ايدى الجبابرة فانه ما قصد قوم تخريبه الا هلكوا كاصحاب الفيل وقيل امنًا
للصيود حتى ان الاسد والنمر وساير السباع يتبع الصيد فدخل الحرم فيرجعون عنه والطير لا يطير
فوق البيت الا لعلة او شدة او المحافظة ونحو ذلك وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله لو
اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزل **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى حسن** قرا نافع وابن
عامر واتخذوا بفتح الخاء بلفظ الماضى على الخبر لا على الامر عطفًا على جعلنا اى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها تخصيصه على هذه القراءة واذ
جعلناه مثابة للناس واتخذ الناس مقامه وهو الحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت مكان
صلاة فصلوا خلفه ركعتى الطواف والباقون على الامر استينافًا والخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
فهو على هذه القراءة معطوف على اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واتخذوا من مقام ابراهيم مكان
صلوة بان تصلوا خلفه ركعتى الطواف وقيل القول هنا مقدر اى وقلنا لهم واتخذوا او قلنا لهم
واتخذوا وقيل واتخذوا اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا وانما اضمر توبوا
لان قوله واذ جعلنا البيت مثابة يقتضى اضمار توبوا او توبوا يقتضى واتخذوا وهذا امر استحباب
لان الفرض لا يختص بمكان اجماعًا لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح جعلت لى الارض مسجدًا فاى
رجل ادركته الصلوة فليصل حيث كان ومن هذا الحديث خذ قوله فاينما تولوا فثم وجه الله روى
البخارى عن انس بن مالك عن عمر رضى الله عنهم وافقنى ربى فى ثلث اى وقع مرادى على وفاق حكم الله فى
ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذنا مقام ابراهيم مصلى فنزلت هذه الاية وقلت لو امرت نساءك بالحجاب
فنزلت اية الحجاب وقلت لنسايه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجًا فنزلت قال البيضاوى
مقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدمه والموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او
رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم وقال
عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى
جابر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وللشافعى رضى الله عنه فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج و
اتخاذها مصلى ان يدعو فيه ويتقرب الى الله تعالى انتهى قال شيخنا والراجح من قولى الشافعى عنده وعند
اكثر اصحابه الاستحباب لان مذهب الحديث وفقهه مؤيد به وقال احمد الكواشى ومقام ابراهيم
الحجر الذى يصلى عنده ركعتا الطواف وهو الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت وهو الذى اعتمد عليه

رجله

٢

برجله لما غسل راسه وهو على دابته لما جاء زائرًا اسماعيل فلم يجده ووجد امراته فغسلت راسه
ضيفته فقال اقرى زوجك السلام وقولى قد استقامت عتبة بابك فلا تغيرها وفى الحديث ان الركن
والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة لولا مسته ايدى المشركين لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب او هو جميع
مشاهد الحج كعرفة ومزدلفة ومنى ومكة او جميع الحرم ثم جاء مرة اخرى فقال لاسماعيل ان الله امرنى
ببناء بيت هنا اتعيننى عليه قال نعم فبنى البيت انتهى وقال عز الملة والدين عبد الغفور الشيرازى
والمقام بفتح الميم موضع القيام وبالضم موضع الاقامة ونفس الاقامة وفى رواية عن ابن عباس الحرم كله
مقام ابراهيم فمن كان فيه استقبل البيت اى نفس الكعبة ومن كان خارجًا عنه كالافاقى استقبل الحرم
الذى المصلى قال استادى رحمه الله ومقام ابراهيم هو الحجر الذى قام عليه ابراهيم حين بنى البيت فغاص
رجله فيه وكان عند جدار البيت فنقل الى المكان الذى الآن به لئلا يشق على الطايفين وعلى الحجر الذى
قام عليه ابراهيم كسوة من حرير وقبة لطيفة يقابل باب الكعبة وفى الغاية ولما وقع سيل الحجاز وذهب السيل
بالمقام الى اسفل مكة سال عمر المطلب بن ابى وداعة عن مكانه وكان المطلب قد قاس من البيت الى مكان
المقام بخيط مثله فدل على المكان الذى الآن به وضرب عليه سدًا لئلا يصل اليه السيل وفى التيسير وقيل
المقام هو الحجر الذى وضع عليه ابراهيم قدمه حين نادى بالحج فقد روى انه لما فرغ من بناء الكعبة قيل
اذن فى الناس بالحج فقال كيف انادى وانا بين الجبال وليس بحضرتى احد فقال الله عليك النداء وعلى
البلاغ فصعد ابا قيس واخذ هذا الحجر معه ووضع عليه قدمه فارتفع الحجر حتى علا كل حجر فى الدنيا وجمع
الله الارض كالسفرة فنادى يا معشر المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتًا وامركم ان تحجوه فحجوا فاجاب الناس من
اى زوى له الارض على مقدار سفرة
اصلاب الاباء وارحام الامهات فمن اجابه مرة حج مرة ومن اجابه عشرا حج عشرا وفى رواية اخرى عن ابن عباس
انه قال كان ابراهيم يبنى الكعبة واسماعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البناء وضعف عن رفع الحجارة اليه قام
على حجر فهو مقام ابراهيم وفى تفسير النيسابورى وقال القفال ويحتمل ان يكون ابراهيم صلى الله عليه وسلم قام
على هذا الحجر فى هذه الامور كلها وقرا ابن عامر ابراهام بالالف فى احدى الروايتين وعليه رسم مصحف
الشام وهو اصله فى السريانية فالياء بعد التعريب **وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل** والعهد هنا بمعنى
الامر اى امرناهما امرًا موكدًا بـ**ان طهرا** هذا ان كان ان مخففة وان كانت مفسرة فمعناه اى طهرا
والمراد بالتطهير من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى
واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص وكل هذه اما ان لا تكون موجودة هناك اصلا
فالمراد بهذا الامر اثبات البيت على ما كان عليه من الطهارة مثل قوله ولهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن
لم يطهرن بعد ان كن نجسا بل خلقن طاهرات فالمعنى اى مبقاة على الطهارة الاصلية كقوله تعالى يا ايها
النبى اتق الله اى دم على ما انت عليه من كمال التقوى واما ان تكون موجودة فامر بازالتها وذلك
~~[illegible]~~
انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بالقرابين وكانوا يلطخون الجدر بالدماء فامرهم الله بالتطهير
~~[illegible]~~
قال الاستاد وبعض السودان بل كثير من العلماء من اهل المدينة يلطخون ابوابهم وجدرانهم واساريهم

Copyright © Kyung Hee University

بالدما، خوفا من الجان فالله حسيبهم انتهى وقيل هو تطهير عن الكاسب فيه وقال عطا كنت عند
ابن عباس فساله رجل عن قوله طهرا بيتى قال اما والله ما امرهم الله ان يبخروه بالبخور ولا ان يصونوه
بالخلوق ولكن امرهم ان يطهروه من الاوثان والشرك والمعاصى ومما لا يحبه الله عز وجل قال
شيخي رحمه الله تامل كيف امر الله خليله وابن خليله بتطهير البيت بعبادتهم مجانا كيف امكن مع رفعة
شانهما فطوبى لمن لم ياخذ من حطام الدنيا فى تطهير بيت الله ومسجد رسوله بل ساير المساجد
انتهى **للطايفين** اى للدايرين حوله **والعاكفين** اى المعتكفين فيه لتحول الاعتكاف انواع العبادات
واصناف الطاعات اذ فى الحديث ان الله تعالى ينزل فيه كل يوم مائة وعشرين رحمة ستين للطائفين
واربعين للمصلين وعشرين للعاكفين اى المعتكفين فيه قال بعضهم معناه المقيمين عند البيت المجاورين
فى المسجد الحرام وقال السيوطى معناه اى المقيمين فيه انتهى وفى الغاية معناه المجاورين المقيمين
فيه او الواقفين للصلوة لقوله والقايمين **والركع السجود** كالجمع راكع وساجد وهم المصلون
فان قلت لم لم يعطف السجود على الركوع كما عطف العاكف على الطايف قلت لانهما عبارة
عن المصلى لعدم مشروعية الركوع عبادة ولهذا قال بعضهم وترك العطف بينهما لكمال الاتصال قال
بعضهم اشار بالطايفين الى الغرباء والعاكفين الى اهل مكة وبالركع السجود المصلين قال عطاء
الطواف للغرباء افضل والصلوة للمكيين افضل قال استادى رحمه الله الطواف فى الحج والعمرة والعكوف
ملازمة المسجد والركوع والسجود فى الصلوة وهى العبادات المتعلقة بالبيت فامر الله ابراهيم واسمعيل
بتطهيره لهولاء انتهى **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا** اى واذكر وايضا اذ دعا
ابراهيم فقال يا رب حذف حرف النداء وهو جايز قال الله تعالى يوسف اعرض عن هذا وهذا اشارة
الى المكان وهو الوادى قال الله تعالى انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع سال ابراهيم ربه عز وجل
مرة قبل ان يصير الوادى بلدا ان يجعله بلدا آمنا كما هنا وسال مرة اخرى بعدما صار الوادى بلدا ان
يجعله آمنا كما قال فى سورة ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا فان قلت لم جاء فى سورة ابراهيم
معرفا عكس ما فى هذه السورة قلت ذلك سابق نزوله اشار به الى الحاضر فى الذهن قبل صيرورته
بلدا وهذا انما قاله بعدما صار بلدا فالمسول اولا صلوحه للسكنى بالامن فى اكثر الاحوال كساير البلاد
وثانيهما ازالة خوف يعترى البلاد الامنة او الاستدانة او احدهما اشارة الى امن الدنيا والاخر الى
امن الاخرة قال ابو يحيى فان قيل ان مكة كانت حراما قبل هذا لقوله صلى الله عليه وسلم الا ان مكة
حرام منذ خلق الله السموات والارض فما معنى سوال الامن قلت كان الاول امنا عن الاصطلام وشانا
فى النفوس بتعظيمها واحترامها وهذا كان سوال وقوع الامن عن الحوادث والعوارض وكان هذا سوال
دوام ذلك الامن وقد اجاب الله دعوته فقال اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم وبلدا مفعول ثان لاجعل ومعنى آمنا اى ذا امن يامن فيه اهله كقوله فى عيشة راضية اى
ذات رضى او آمنا فيه اى امنا فيه اهله كقوله ليل نايم وقد اجاب الله دعاءه فجعله حرما امنا
لاهله لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاؤه وامنا صفة
لبلدا البلد الاثر فى الجلد وغيره وانما سمى البلد بلدا لما فيه من الاثار وقدم معنى الامن عند قوله

مثابة

مثابة للناس وامنا **وارزق اهله من الثمرات** اى قال ابراهيم وارزق اهله من الثمرات وقد
فعل اى اجاب دعاءه بنقل الطايف من الشام اليه بدعاء ابراهيم وكان اقفر لا زرع فيه ولا ماء
قال الاستاد والثمرات جمع ثمرة وهى جميع ما يخرج من الاراضى والاشجار فهو سوال الطعام والفواكه
وانما قال اهله دون اهلى تعميما للدعاء كما هو اللايق بشان الانبياء قال الزهرى والثمرات هى الفواكه
فقط قال الله يجبى اليه ثمرات كل شئ وانما خص ذلك بالسوال لان الطعام المعهود مما يكون فى كل
مكان فاما الفواكه فقد يعدم فسال لاهلها الامن والسعة وبهما يطيب العيش وتقوم المصالح فاجاب
له فى ذلك ايضا بنقل قرية من قرى فلسطين كثير الثمار اليها فاتى جبريل عليه الصلوة والسلام فقلعها وجاء
وطاف حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلث مراحل من مكة وهى الطايف وبذلك سميت به **من امن
منهم بالله واليوم الاخر** قال الاستاد ومن امن منهم بدل من قوله اهله من الثمرات بدل البعض اى
وارزق من امن من اهل البلد بالله وبالبعث لتخصيصه وارزق المومنين من اهله خاصة فان قيل لم
لم خص المومنين بالدعاء لهم بسعة الرزق قلت ليوافق قوله لا ينال عهدى الظالمين ولان الله تعالى
امر الخليل وابنه اسماعيل بتطهير البيت للطايفين والعاكفين والمصلين دون غيرهم **قال ومن كفر**
عطف على من امن والمعنى قال الله تعالى وارزق الذى كفر اى لا امنع الذى كفر من هذا الرزق وهو الثمرات
قاس ابراهيم شأن الرزق حيث قال وارزق اهله من الثمرات على شان الامامة فاخبر الله عز وجل
نبيه خليله على ان امر الرزق وشانه ليس كشأن الامامة لان الرزق رحمة دنيوية تعم المومن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم فى الدين فانه مختص باهل الايمان قال ابو يحيى ويجوز عطف قوله ومن كفر
على مقدر اى ارزق من امن منهم ومن كفر بلفظ الخبر دون الامر ويجوز ان يكون من كفر مبتدا لتضمنه
معنى الشرط وخبره **فامتعه قليلا** ويدل على تضمينه معنى الشرط دخول الفاء على الخبر اى فانا امتعه
وامد له من لذات الدنيا متاعا قليلا يتناول ذلك مدة حياته وزمن شهواته ابتاتا للحجة عليه لانه
اهل للانعام قال صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وانما
قدر تا متاعا قليلا لان قليلا نعت لمصدر محذوف وهو متاعا لعلى حذفه الفعل المذكور والدنيا كلها
قليل وعدتها كذلك واصل التمتع الامتداد ومنه متع النهار اى طال وامتد قال ابو احمد الشيرازى ومعنى
امتعه قليلا الى منتهى اجله لانه وعد عز وجل بالرزق كافة للخلق وقيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل
لفنائها قال البيضاوى والكفر وان لم يكن سبب التمتع ولكنه سبب التقليل بان يجعله مقصور الحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى الاخرة انتهى القراءة فامتعه بضم الهمزة
مخففا من امتع يمتع اى اجعله ذا متاع والقراءة ايضا بالتشديد وهذا ابلغ واشهر ومعناه امهله واعطيه
المتاع قال الحسن معناه امهله الى وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم فمن امن به لا اعذبه ومن كفر به
ثم اضطره الى عذاب النار اى الجيه فى الاخرة والزمه
عاقبته بالقتل والاجلاء والسيف يوم بدر
يوم القيمة الى عذاب النار لكن المضطر لكفره وتضييعه ما متعته من النعم قال النخعى وذكر الاضطرار
لقوله عز وجل خذوه فاعتلوه ولقوله نسوق المجرمين ولقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا فاخبر
انهم ينقلون الى النار اجبارا وقهرا لا انهم ياتونها طوعا واختيارا واصل الاضطرار عدم الامتناع عن

Copyright ... University

الشيء وقهرًا اي الزه الى عذاب النار لا يجد الى غيره سبيلا تحصيصه الجثه الجاء لا يمكنه الامتناع منه
وثم للتراخي رتبة اذ لا فاصلة بين زوال التمتع ودخول النار لان قبر الكافر حفرة من حفر النار
القراة اضطر بفتح الهمزة على القطع وسكون الضاد وضم الراء فامتعه بقطع الالف وجزم العين
على الدعاء وقرئ ثم اضطره بوصل الهمزة وفتح الراء اذا ابتدات امر من ابراهيم عطفا على امتعه امرا من
ابراهيم وفي البيتين وقرئ فامتعه بقطع الالف وجزم العين على الدعاء وقرئ ايضا ثم اضطره بادغام
الالف وفتح الطاء والراء على الدعاء اي سال ابراهيم ربه عز وجل ان يمتع الكافر قليلا ويجعل مصيره
الى النار وبئس المصير والمخصوص بالذم محذوف اي بئس عذاب النار او مصيرهم او بئس المرجع
الذي يصير اليه وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطر بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة وقرئ
فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع نقل سيبويه عن بعض العرب مطجعا في مضطجع
وقال مضطجع اكثر فدل على ان مطجعا كثير واذكر واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت متعلق
بيرفع واسمعيل ربنا ومعنى يرفع اي يبني وقيل يظهر لان البيت كان مختفيا فرفعه واظهره ولا كثرون
على ان يرفع حكاية حال ماضية اورد هامع اذ استحضارا لها ليعظم وقعها في النفوس وهذا ابهم
القواعد بالاطلاق ثم بينها بالتقييد من التبيينة بقوله من البيت تفخيما لشان المبين يعني لم يقل قواعد
البيت بغير من ليكون الكلام مبينا على تبيين بعد ابهام ففيه تعظيم لشان المبين والقواعد جمع قاعدة
وهي الاساس والاصل للفرع الذي يبني فوقه وهي من الصفات الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفع القواعد
اي الاساس وهو البناء عليها لان القواعد اي الاساس بسبب البناء عليها نقلت من هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع قال استادي رحمه الله ويجوز ان يكون المراد بالقواعد سافات البناء من الحجر والطين
لانه اذا وضع ساف فوق ساف فقد رفع البناء وذلك لان كل ساف قاعدة واصل للذي يبنى عليه
ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه وقال الاستاد ايضا بعبارة اخرى والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس جرت مجرى الاسماء ومعنى رفع الاسماء رفع البناء من باب جري النهر والجمع باعتبار
الاجزاء لان كل جزء اساس ورفع القواعد صحيح فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة
وان ابراهيم عمرها ورفعها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه
وقال الاستاد ايضا بعبارة اخرى والقواعد هي الجدر عند الكسائي وعند غيره هي الاسس وواحدها
قاعدة والقواعد من النساء جمع قاعد بغير هاء وهي التي قعدت عن التزوج وعن الحيض والولادة
وهي من صفات النساء على الخصوص لم يحتج فيها الى الهاء كما في الطالق والطامث والحايض والحامل والقاعدة
التي هي الاساس سميت بها للثبوت وقعود الانسان وهو الجلوس اي الثبوت على الارض واسمعيل عطف على
قوله ابراهيم اي واسمعيل كان يشارك والده ابراهيم في رفع قواعد البيت اي في بناء قواعد البيت انتهى
مقالات الاستاد وقال البيضاوي وكان اسمعيل يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء
عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب انتهى وقال شيخي رحمه الله وانما اخر
ذكر اسمعيل عن رفع القواعد لانه كان معينا وابراهيم هو الباني انتهى اقول وظاهر العطف يدل
على اشتراكهما في بناء القواعد وتعميرها الى ان تم البيت وكون ابراهيم اعلم بامر البناء من اسمعيل هو امر اخر

وعن

وعن علي رضي الله عنه انه قال مر على البيت دهر بعد بناء ابراهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر
فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفع الحجر الاسود اختصموا
فيه فقالوا الحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج
اليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبايل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوضعه موضعه واعلم ان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا
بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين
واعادت قريش عمارته على الكيفية التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الحلال
ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم
وضيقوا عرض الجدار من الحجر الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي
يسمى الشاذروان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعايشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت
ولبنيته على قواعد ابراهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه
ايام ولايته وبناه على قواعد ابراهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التي هي عليها
وهي بناء قريش وفي بعض التفاسير وروي ان البيت خلق قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء
فدحيت الارض من تحتها ولما اهبط ادم الى الارض اهبط اليه البيت المعمور ليانس به ويطوف حوله
بباب شرقي وغربي على مواضع البيت فحج ادم من الهند وقيض الله له ملكا فاراه المناسك وبقي في
الارض الى ايام الطوفان فرفع الى السماء يدخله كل يوم سبعون الف ودحية مع كل دحية سبعون
الف ملك واسمه ضراح وهو في السماء الرابعة والكعبة بحياله على قدره ومثاله واول من بنى الكعبة
ادم ثم ابراهيم او انه بقي موضع البيت المعمور بعد رفعه خاليا الى ان بنى ابراهيم واسمعيل الكعبة موضعه
وفي بعض التفاسير ان الله انزل لادم البيت المعمور ياقوتة حمراء الى موضع البيت وحج ادم من الهند ماشيا
حجة وكان باقيا الى زمن الطوفان فرفع وكان مكانه رابية يذهب السيل من حواليه الى ان امر الله ابراهيم
ببناء بيت على تلك الرابية روى الترمذي والنسائي ان البناء لما ارتفع الى موضع الحجر جاء جبريل بالحجر
الاسود وهو اشد بياضا من الثلج فسودته خطايا بني ادم وفي بعض التفاسير وهو النسفي وكان
بناء البيت من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا وطور لبنان والجودي وحراء وكان اول من بناه
ادم ثم اندرس ذلك فرفع ابراهيم قواعده وخلق الله تعالى موضعه قبل ساير الارض بالفي عام فكانت
زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله ادم الى الارض كان راسه يمس
السماء حتى صلع واورث اولاده الصلع تنفرت من طوله دواب الارض فصارت وحشا من يومئذ
وكان يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم فيانس اليهم فهابته الملايكة فنقصه الله تعالى الى ستين
ذراعا فلما فقد ادم صلى الله عليه وعلى اولاده من المرسلين سيما سيدهم محمد صلى الله عليه وسلم اصوات
الملايكة استوحش وشكى الى الله ذلك فانزل الله ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر
باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من الجنة فوضعه على موضع البيت الان ثم قال يا ادم اني
اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي وانزل عليه الحجر

Copyright © King Saud University

ليمسح به دموعه وكان ابيض فلما مسته الحيض في الجاهلية اسود وتوجه ادم من ارض الهند الى مكة
ماشيًا وسلط الله له ملكا يدله على البيت وقيل لجاهد لم لم يركب ادم فقال واى شى كان يحمله كان
خطوته مسيرة ثلثة ايام فكل موضع وضع فيه قدمه عمران وما تعداه مفاوز فاتى مكة وحج
البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملئكة فقالوا بر حجك لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام
وقيل بخمسين الف سنة وحج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه وكانت الكعبة على
ذلك المكان الى ايام الطوفان ثم رفعه الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ثم لا يعودون الى يوم القيمة وهو بحيال الكعبة فلو ارسل من السماء شى لنزل على ظهر الكعبة وبعث الله
جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له عن الغرق فكان موضع البيت خاليا عن البناء
الى زمن ابراهيم وروى ان الله امر جبلا من جبال فلسطين حتى جاء وستر موضع البيت فلم يصبه
الطوفان فامر الله عز وجل ابراهيم بعدما ولد له اسماعيل واسحاق ببناء بيت له يذكر ويعبد فيه
فلم يدر ابراهيم اين يبنى فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله اليه السكينة اى سكينته التى هى
التابوت لتدله على موضعه ولها راسان يشبه الحية فتبعها ابراهيم فوقف السكينة على موضع البيت
فامر ابراهيم ان يبنى حيث استقر السكينة وفى رواية بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير
وابراهيم يمشى فى ظلها حتى اتت مكة ووقفت على موضع البيت فنودى ابراهيم بان يبنى على مقدار ظلها
فجعل يبنى واسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا** بناءنا وعملنا والقول هنا مقدر كما
قدرناه وذلك فى القران كثيرة قال الله والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم
ومحل يقولان المقدرة حال وقرى باظهار يقولان قال الامام النيسابورى وقبول الله تعالى عمل العبد
عبارة عن كون العبد بحيث يرضاه الله ويثيب عليه والاول اولى عند العارفين من الثاني شبه الفعل
من العبد بالهدية وشبه الاثابة الله عليه ورضاه بالقبول **إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ** لدعائنا **الْعَلِيمُ**
بنيانا بنائنا ومنهم من فسر السميع للقول والعليم للفعل وما ذكرنا اظهر واوضح **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا**
مُسْلِمَيْنِ لَكَ اى مخلصين لك من اسلم وجهه اذا اخلص او منقادين خاضعين مطيعين لك من اسلم
اذا استسلم وانقاد والمعنى زدنا اخلاصا وانقيادا لك او دواما واثباتا على ذلك كما فى قوله اهدنا
الصراط المستقيم وهذا تعليم منهما للناس بالدعاء للثبات والانقياد مع كونهما معصومين مامونين
فاجيبا على ذلك حتى انقاد ابراهيم للالقاء فى النار واسماعيل للامر بالذبح وقرى مسلمين بالجمع على
ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع **وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا** اى واجعل من بعض اولادنا
لان من للتبعيض كما فى قوله ومن ذريتى **أُمَّةً** اى جماعة **مُسْلِمَةً لَكَ** صفة لامة اى مخلصة لك
بالعبادة والطاعة وانما خص البعض بالدعاء لتقدم قوله عز وجل لابراهيم لا ينال عهدى الظالمين
وقد قال فى اية اخرى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والحكمة الالهية لا تقتضى الاتفاق على الاخلاص
والاقبال الكلى على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا فاجيب الى ذلك حيث
قال الله عز وجل وجعلها كلمة باقية فى عقبه وكان فى ولد اسحاق وهم بنو اسرائيل الى ان حرفوا ثم فى
ولد اسماعيل وهو محمد وامته صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة قال ابو الجزرى وانما خص الذرية بالدعاء

لانهم

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

٧

لانهم اذا اصلحوا صلح بهم الاتباع ولانهم احق بالشفقة واولى بالرعاية وكثرة الثواب الا يرى الى قوله
عز وجل قوا انفسكم واهليكم نارا والى قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل من المسلمين يخلف من بعده
ذرية يعبدون الله الا جعل الله له مثل اجورهما ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة وتكرار
ربنا للاستلذاذ بذكره عز وجل والخضوع بالربوبية قال بعضهم ويجوز ان يكون من للتبيين
كما فى قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله
عز وجل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن انتهى قلت والظاهر ان مسلمين مفعول ثان
لجعلنا ومن في قوله ومن ذريتنا لابتداء غاية الجعل فيكون مفعولا ثانيا وامة مفعول لجعل ومسلمة
لك صفة لامة قال النيسابورى وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة واقدم
قال الله قوا انفسكم واهليكم ولانهم ائمة فبصلاحهم يصلح غيرهم وفى سدادهم يكون سداد من وراءهم
وقد استجاب دعاءه فلم يزل فى ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل الكرام
من ذرية ابراهيم وقد كان فى الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم
جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحق قائلين بالابداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله
ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان انتهى قال شيخنا وكفى لعبد المطلب فخرا حيث اقام النبى
مقام والده بقوله صلى الله عليه وسلم انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ولو لا كان مومنا موحدا ثابتا
على ملة ابراهيم لما مدحه بذلك وقد نهى عن تعزى بعزاء الجاهلية وعلى كل حال هو من اهل الفترة وممن
اجاب الله دعاءه يوم الابابيل والفيل والقصة مشهورة معلومة انتهى كلام الشيخ **وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا** اى علمنا
شرايع عبادتنا والروية على هذا قلبية ويقال فى ما يل الرابات اى علمت والمناسك على هذا عين افعال
الحج لا مواضعها او هو سوال اراءة العين وعلى هذا يكون المناسك مواضع افعال الحج من عرفات ومزدلفة
والصفا والمروة ومواضع رمى الجمرات القراءة بكسر الراء مشبعا لا مختلسا والقراءة ايضا بسكون الراء لنقل
الكسرة على الراء والقراءة ايضا باختلاس كسر الراء جمعا بين التخفيف وابقاء الحركة لانها حركة الهمزة المنقولة
قال البيضاوى وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ومعنى مناسكنا متعبداتنا
فى الحج او مذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ فى فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة
دليل عليها وقرا الدورى عن ابى عمرو بالاختلاس انتهى وقال ابو يحيى الاصفهانى ثم الشيرازى
دارا والشافعى مذهبا والنسك فى الاصل العبادة والناسك العابد والتنسك التعبد وخص بالقربات
ولافعال الحج وواحد المناسك منسك بالفتح والكسر فهو اسم للمصدر والمكان جميعا وارنا بصرف
الى ابراهيم واسماعيل والى ذريتهما الا انهما بالخصوص وقرى وارهم مناسكهم **وَتُبْ عَلَيْنَا** سالاه
التوبة مع عصمتهما هضما لانفسهما وتعليما وارشادا لذريتهما وفى التيسير معناه تجاوز عنا
التقصير الواقع فى هذا العمل وقيل الكاف فى قوله وتب علينا واقعا عليهما وعلى ذريتهما فيهم من له
الذنوب كان سوال التوبة فى حق الذرية لا فى حقهما وقال ابو منصور الحنفى دل سوال
التوبة على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم

[illegible]

Copyright King Saud University

ثم فيه الدليل على ان العبد يُسال عن زَلَّة لم يتعمدها لانهم سالوا التوبة مجملا فلو كان سبق منهم شي
علموا به وعرفوه لذكروا ذلك الشى وبينوه فذلك سوالهم التوبة ان العبد مسئول عن زلات لم يتعمدها
انتهى ما فى التيسير قلت لعل مراد ابي منصور من الزلات والعثرات على غير قصد منهم بان صدر منهم
سهوا ما هو تركه اولى إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا اى انك قابل للتوبة رحيم بمن تاب وبجعل
حيث تبدل سيئات التايب حسنات رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ اى فى اهل البيت الذى بناه ابراهيم واسماعيل
وهم اهل مكة رَسُولًا عظيما مِّنْهُمْ اى من انفسهم وجنسهم وقومهم يتكلم بلسانهم لامن غيرهم وهو
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يبعث من ذرية اسماعيل نبي غيره وروى الامام احمد عن عرباض بن سارية
وابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى انها رات حين
خرجت منها نورا اضاءت بها قصور الشام وكان فى ذلك اشارة الى بقاء شرعة الى اخر الدهر ولذلك ينزل
بالشام عيسى ويقتل الدجال قال الكواشى معناه واجعل فى جماعة الامة المسلمة من اولادهما ادهم اهل
مكة رسولا منهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم كل الانبياء من بنى اسرائيل الا عشرة مع محمد صلى الله عليهم اجمعين
انتهى وقال بعضهم ضمير منهم راجع الى الامة المسلمة فقد ذكرت قبله لانه اخبران عهده لا ينال
الظالم فلم يرجع الى قوله ومن ذريتنا وقال بعضهم الضمير راجع الى قوله ومن ذريتنا لا الى الامة المسلمة لعدم
الدلالة حينئذ على انهم امة ذلك الرسول وقال بعضهم الضمير راجع للجنس اى رسولا من جنسهم من البشر
لا من الملئكة يقول الفقير مولف هذا الكتاب والظاهر هو الذى ذكرنا اولا لانه سال ربه رسولا لاهل
البيت وهم اهل مكة يكون من جنسهم يعلم بلسانهم ويتم به امور دينهم من الشرايع وامور دنياهم من التمرات
والامن ونحو ذلك وقد اجاب الله الدعوة والحمد لله على ذلك يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ والايات جمع اية وهى
كل كلام متصل الى انقطاعه والمعنى يقرا عليهم رسولك محمد صلى الله عليه وسلم ايات كتابك ويبلغهم ما يوحى
اليه من دلايل وحدانيتك وكمال ذاتك وصفاتك او هى ما يتعلق بالنبوة من الايات وهى المعجزات لمن
مضى من المرسلين وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ اى القران قال الاستاد معناه ويلطفهم فى التفهيم شيئا فشيئا
كلام الله المنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو اعم من القراة لاشتماله على منسوخ التلاوة الخارج عن القران
قال الحسن الحكمة القران قال الله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة فتكرير الاية على هذا المعنى للتاكيد
وقال مالك الحكمة الفقه وهو فهم معانى القران وهو استخراج مودعاته التى يتعلق بها الاحكام وقال
الحافظ بن عساكر وكان الايمة يقولون رحم الله الشافعى كان فقيها مويدا بالاحاديث وقال بعضهم الحكمة هى
بيان ما فى الكتاب من الاحكام من الحلال والحرام وشرايع الاسلام وبه يقع الاستحكام وقال بعضهم هى مواعظ
القران او هى العلم والعمل وقال بعضهم الكتاب هو القران والحكمة هى السنة وفيهما علوم الشرايع وقيل
الكتاب ظاهر القران والحكمة باطنه وقال بعضهم الكتاب هو القران المنزل والحكمة هى الوجه التى بها يكون
صواب القول والعمل قال الاستاد الكتاب هو القران والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف اصولا وفروعا
وانما اخر فى هذه الاية التلاوة حيث قال يتلو للاشارة الى ظهورها وانها غنية عن التفهيم وَيُزَكِّيهِمْ اى يطهرهم
الرسول عن الشرك والمعاصى وساير الذنوب قال الله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى اى الى ان تتطهر بالاسلام
من الشرك وساير المعاصى والاثام او يشهد لهم بالعدالة اذا شهدوا للانبياء يوم القيمة بالبلاغ قال

ابن عباس

ابن عباس معناه ويطهرهم من الاثام باخذ زكوتهم قال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
وقيل معناه يجعلهم الرسول ازكيا بالعمل الصالح الذى يدعوهم اليها ويحملهم عليها وانما ذكرنا معنى الاخير
بالقيل لانه خلاف المذكور فى قوله عز وجل بل الله يزكى من يشاء ذلك من الله عز وجل فى العبد التخليق والايجاد
وهذا من الرسول الدعوة والارشاد وذكر الجلال المحلى فى سورة الجمعة عند قوله ويزكيهم اى يطهرهم من الشرك
وعند قوله ويعلمهم الكتاب اى القران والحكمة اى ما فيه من الاحكام وذكر السيوطى هنا ما ذكره المحلى هناك بحرفه
وقال محمد بن على الترمذى معناه ينبيهم فانما هم حتى صاروا ايمة الهدى فبليت اجسادهم وبقيت اثارهم إِنَّكَ
أَنتَ الْعَزِيزُ الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد قال الاستاد معناه انت الغالب الذى لا يعجزك مراد
ولا يناك شي لعزتك وقهرك واصل العزة الشدة والامتناع الْحَكِيمُ اى فى صنعه لحسن التدبير لانه
لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة البالغة وقد اجاب الله دعوة ابراهيم واسماعيل فبعث نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم على
الصفات المذكورة حيث قال هو الذى بعث فى الاميين الاية وقال فى اية اخرى لقد جاءكم رسول من انفسكم وقد
مر حديث انا دعوة ابي ابراهيم الى اخره وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ومن للاستفهام
الذى يجرى على وجه النفى والاستبعاد والانكار لان يكون احد يرغب عن ملة ابراهيم الواضحة وعن سلوكه وطريقته
الغراء والمعنى لا يرغب عن ملته احد من العقلاء فتركها لانها فى الحس اوضح من كل واضح فلا يتوجه بان الجاهل قد
يفعله ومعنى الا من سفه نفسه اى الا من جهل نفسه بانها مخلوقة لله يجب عليها عبادته وطاعته واستخف بها
واذلها وامتهنها وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل اصلا فقد بالغ فى اذلال نفسه وتعجيزها وخفتها
حيث خالف بها كل نفس عاقلة قالوا والنفس العاقلة هى التى تتفكر فى الامور فيستدل بها بحدوث الاثار صنع الله تعالى
وحدانيته وحكمته ويرتقى الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن مبتدا ويرغب خبره واصل الرغبة السعة والمبالغة
فى ارادة الشي واذا قيل رغب فيه واليه فمعناه اراده واحبه وحرص فيه واذا قيل رغب عن الشي فمعناه كرهه
وزهد فيه وابادة وقال ابن سيد الناس والملة من امللت الكتاب جمعته او امللت الطريق سلكته تَرادف
الدين والشريعة واكثر ما يستعمل فى الاصول ولذلك يقال ملة الانبياء واحدة ولا تضاف الى الله فلا يقال ملة الله بخلاف
الشرع والدين انتهى وفى الاية توبيخ لليهود لانه نزل فى مهاجر اليهودى كما ياتى قريبا وفيها ايضا توبيخ للنصارى
ومشركى العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضايلهم الانتهاء الى ابراهيم ثم مع هذا لا يومنون بالرسول
الذى هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص فان قيل ملة ابراهيم هى عين ملة محمد فى الاصول والفروع ام هما
متحدان فى الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفان فى فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم
يكن شرع محمد ناسخا لساير الشرايع ولا الى الثانى لانه يلزم ان يكون محمد راغبا عن ملة ابراهيم ولان الاعتراف بالاصول
لا يقتضى الاعتراف بنبوة محمد قلت المختار اتحاد الملتين فى الاصول فقط ولكن نبوة محمد من جملة الاصول التى مهدها
ابراهيم والمراد بملة ابراهيم فى الاية اصولها التى لا تختلف بين الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد راغبا عنها
لانه امر باتباعها لقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال ابو احمد وموضع الا من نصب على
الاستثناء او رفع على البدلية على القول المختار لانه بدل من الضمير فى يرغب لان من يرغب غير موجب اى انه
فى معنى النفى كقولك هل جاءك احد الا زيد وقال ثعلب والمبرد وسفه بكسر الفاء متعد بنفسها لازم و
يشهد له ما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس ومعنى ان تسفه الحق اى تجهله لان سفه هنا بمعنى جهل

Copyright © King Saud University

وكل من عبد غير الله فقد جهل نفسه فالجاهل هالك لنفسه وموبقها او مضل لها قال احمد الكواشي وصاحب
التيسير وفي الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه واوحى الى داود اعرفني واعرف نفسك فقال يا رب
كيف اعرفك واعرف نفسي فقيل اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء
قال ابو بكر العراقي ونفسه منصوب على انه مفعول لسفه اي وضع سفه موضع جهل وعدي كما عدي
او منصوب على نزع الخافض اي سفه في نفسه فحذف الجار كما في قوله زيد ظني مقيم اي في ظني وكما في قوله
بطرت معيشتها اي في معيشتها وكما في قوله عز وجل وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم وكما في قوله عز وعلا
ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقدة النكاح وكما في قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا وقيل اصله سفه
نفسه برفع نفسه فنصب على التمييز وان كان معرفة على الشذوذ كما هو مذهب الكوفيين نحو الم راسه غير
رأيه ووجع بطنه وقول جرير ❀ ونأخذ بعده بذناب عيش ❀ اجب الظهر ليس له سنام ❀ ونزول
الاية في مهاجر ابن اخي عبد الله بن سلام وكان لعبد الله ابنا اخ سلمة ومهاجر دعاهما الى الاسلام وقال
لهما اتعلمان ان محمدا صلى الله عليه وسلم الذي كنا نقرأه في التوراة انه من ولد اسماعيل العربي راكب الجمل اسمه احمد
واحيد لانه يحيد امته عن النار ملعون من ترك شريعته ومنهاج دينه ولما سلمة فاسلم واما مهاجر فابى
فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ثم انه عز وجل لما سفه عن من يرغب عن ملة
ابراهيم بين السبب في ذلك فقال **وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا** اي وبالله لقد اخترناه للرسالة
والحكمة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال
منزلة الخلة **وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذي لب
وعقل ودين ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راي له قال الاستاد معناه انه لمن
المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح واللام في قوله ولقد جواب لقسم محذوف والواو اعتراضية
والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي والله لقد اصطفيناه كما تقدم تقديره آنفا وجملة قوله وانه في الاخرة
لمن الصالحين عطف على قوله ولقد اصطفيناه داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرر ولا حاجة
الى جعله اعتراضا اخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الاخرة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل
وايثار الاسمية كما ان انتظامه في زمرة صالحي الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه امر يحدث في الاخرة والتاكيد
بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد
اثارها وكلمة في الاخرة متعلقة بالصالحين على ان الالف واللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض
الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ❀ ربيته حتى اذا تمعددا ❀ كان جزائي
بالعصا ان اجلدا ❀ او متعلقة بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير لفظه
اي اعني في الاخرة نحو لك بعد رعيا وقال بعضهم هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتاخيرا
ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين وفي بعض التفاسير في معنى قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا
اي اخترناه في الدنيا بالاسلام والنبوة حيث قال المعنى بالصالحين اي الانبياء وبالسخاوة والخلة والعهد
والامامة وبالكلمات وبناء الكعبة وفي معنى قوله وانه في الاخرة لمن الصالحين اي اجبنا دعاءه حيث قال والحقني

بالصالحين

الصالحين اي الانبياء الماضين قال الله تعالى ومن ذريته داود وسليمان وايوب الى قوله كل من الصالحين
وقال الله وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين قال بعضهم معناه انه في الاخرة لمع الصالحين اي لمع
ابائه المرسلين في الجنة وقال بعضهم معناه انه لمن الباقين على الصلاح في الدنيا حتى يكون كذلك في الاخرة
فكم من صالح في اول حاله ذهب صلاحه في مآله فكان في الاخرة لعذابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وفرعون
وقارون ونحوهم اللهم الحقني بالصالحين ولا تخرجني من مدينة رسولك الا للزيارة بيتك والرجوع الى طيبة
حبيبك والوفات بها **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ** ولا وقف على الصالحين ان نصبت اذ ظرفا لاصطفيناه
والمعنى على الظرفية له اي اخترناه في ذلك الوقت والحين ويكفي على الصالحين ان نصبته باذكر مقدرة اي اذكر
يا محمد اذ قال ربه ابراهيم له اسلم اي استقم على الاسلام واثبت عليه ودم على ذلك وجواب اذكر ليظهر انه
المصطفى الذي لا يرغب عن ملته وانما قدرنا هكذا لانه كان مسلما او معناه اسلم نفسك الى الله واستسلم لما يجري عليك
وفوض امورك اليه واخلص له دينك ونفسك وانقد له كما ينبغي ويجوز ان يكون اذ تعليلا لاصطفينا اي اذكر
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نالها نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله الموجبة الى المعرفة الداعية الى الاسلام اي انه قال في هذه السورة
اسلمت لرب العالمين وفي سورة اخرى قال لا احب الافلين كما قال الله عز وجل فلما جن عليه الليل راى كوكبا
اي الايات وهذا في بداية ما عقل ومن ذلك قوله اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض قال ابو خليل ويجوز ان يتعلق اذ بقال وعدم العاطف للدلالة على مبادرته كانه مع الامر بالاسلام
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ اي فوضت اموري وحقق تفويضه الى الله حيث لم يستعن باحد حين
القي في النار وتلخيصه انه امتثل لما امر به واستقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال لربه ولما
قال له جبريل حين القاه نمرود في النار هل لك من حاجة قال اما اليك فلا فقال الا تسال ربك قال حسبي من
سوالي علمه بحالي فان قيل لما قال الله لابراهيم اسلم قال اسلمت ولما قيل لمحمد فاعلم انه لا اله الا الله لم يقل علمت
قلت انه صلى الله عليه وسلم قد كان يعلم ذلك قبل نزول هذه الاية لان هذه الاية نزلت بالمدينة وكان اول
الوحي بمكة فالمعنى دم يا محمد على علمك بانه لا اله الا الله او فازدد علما على علم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه
انا اعلمكم بالله واخشاكم لله وقال في اية اخرى امن الرسول وهو العلم بانه لا اله الا الله وهذه الاية ايضا مدنية
وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ عطف قصة على قصة اخرى وضمير بها راجع الى الملة عند الزجاج لانها مذكورة صريحا في قوله ومن
يرغب عن ملة ابراهيم ولذلك اتى بالمظهر وعطف عليه بقوله يعقوب ولان الوصية بالملة لجميع اسباب الفلاح
وقال بعضهم هو عطف على قوله قال اسلمت وضمير بها لاسلمت باعتبار الكلمة والمعنى ووصى بنيه بان يقول كل منهم
اسلمت لرب العالمين وقال بعضهم والضمير للكلمة التي في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه الى قوله انني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقال احمد الكواشي الضمير للملة او الكلمة وهي لا اله الا الله او لقوله اسلمت
اي على تاويل جملة اسلمت بالكلمة والتوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله عن ابراهيم واوصيته
بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا اوصلته اليه وارض واصية اي متصلة النبات
فالموصي يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات التي حصلت له في الحيوة ويحمل الوصي على هذا الوصل بسبب
الوصية قال ابو الخير والتوصية التقدم بفعل الى الغير في ذلك الفعل صلاح ديني او دنيوي واصلها واشتقاقها

Copyright © King Saud University

الوصل يقال وصّاه اذا وصله ويقال فی ضده فصّاه اذا فصله كان الموصی يصل فعله بفعل الموصی قرأ ابن عامر
ونافع وابو جعفر اوصی بفتح الهمزة وسكون الواو وتخفيف الصاد علیه رسم مصحف الشام والمدينة وقرأ
الباقون ووصّی بتشديد الصاد من غير همزة وهذا ابلغ واراد بقوله **بنيه** ای اولاده الذكور الاربعة
اسماعيل واسحاق ومدين ومداين وقال احد الكواشی وبنوه ثمانية اسماعيل واسحاق ومدين ومداين
وزمران ويقشان ويشبق وشوح وقيل بنوه اربعة عشر وقيل اربعة وعشرون **ويعقوب** بنصب عطف
علی ابراهيم ای ووصی بالملة يعقوب بنيه الاثنی عشر كما اوصی ابراهيم بنيه الثمانية او الاربعة قال ابو الخير
واسماء اولاد يعقوب روبيل وشمعون ولاوی ويهوذا ويشسوخور وزبولون وذوابا ونفتونا
وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف القراءة برفع يعقوب وقری شاذا بنصبه ای ووصی بها ابراهيم بنيه
ووصی ايضا ابراهيم حافده يعقوب لان يعقوب ادرك جده ابراهيم فادخل ابراهيم حافده يعقوب
مع بنيه فی وصيته ويعقوب غير منصرف للعجمة والعلمية قال ابن عباس سمی يعقوب به لانه مع اخيه عيص
كانا توأمين فخرج يعقوب عند الولادة اولا آخذا بعقب اخيه عيص وقيل سمی به لكثرة عقبه وهم كل بنی اسرائيل
قال احمد بن يوسف وخص يعقوب بالذكر لانه ابن ابنه اسحاق فكانه خصه وحده بوصيته واوصاه
بوصية اخری مع بنيه فقال **يا بنی** اصله يا بنون فاضيف الی ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو
ياء فادغم الياء فی الياء والقول مضمر عند البصريين ای قال ابراهيم يا بنی ای يا اولادی او متعلق بوصی عند الكوفيين
لان الوصية نوع من القول بمعناه ونظيره كما فی قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بكسر
همزة انا رأينا فهو عند البصريين بتقدير القول وعند الكوفيين متعلق باخبر الذی هو نوع من القول بمعناه
وفی الارشاد وقری بتقدير ان يا بنی وفی التيسير وان مقدرة ههنا كانه قال اوصی ان يا بنی وجاز حذف
ان لان الوصية قول وفی القول يصح حذف ان ومثل الوصية فی جواز حذف ان واثباتها الوعد والرسالة
والابلاغ والانذار والاذان والدعوی وما يجری مجراها قال الله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ولم يقل ان لهم مغفرة لان العدة قول وقال فاذن موذن بينهم ان لعنة الله وقال انا
ارسلنا نوحا الی قوله ان انذر قومك وقال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ففی كل ما ذكرنا يجوز اثبات
ان اذا قدرت الفعل ويجوز حذفها اذا قدرت القول وفی قوله ان كان ذا مال وبنين لا يجوز حذفها لانه ليس
فيه معنی القول وفی صريح القول واضماره لا يجوز ابرازها تقول قلت لعمرو زيد فی الدار ولا يجوز قلت له
ان زيدا فی الدار وقال الله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم لا يجوز فی مثله ان اخرجوا انفسكم لان القول
مضمر وانشد الكسائی شعرا انی سابدی لك فيما ابدی لی شجنان شجن بنجد وشجن لی ببلاد السند لان
الابداء قول وقوله **ان الله اصطفی لكم الدين** ای اختار لكم صفوة الاديان وهو الاسلام قال
الاستاد واللام ليس للاستغراق بل لتعريف المعهود لان الدين عند الله الاسلام وهو الدين المطلق الموصی
المشروع المأمور به ای ان الله وفقكم للاخذ باكمل الاديان واحسنها وهو دين الاسلام قال الله تعالی ان الدين
عند الله وقال بعضهم الالف واللام بدل الاضافة وهو مضاف اليهم والمعنی استخلصه واختار لكم دينكم
الذی تدينون به وهو دين الاسلام ايضا والدين مضاف الی الله كالملة يضاف الی الانبياء والمعنی علی هذا ان
الله اختار لكم دينه وهو دين الاسلام ايضا قال ابو موسی معناه ان الله اصطفا لكم الدين ای استخلصه لكم

بان اقام

بان اقام لكم الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره للاخذ به ومثل هذا لا يكون
الا صفوة الاديان لقوله **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** كان النهی راجع الی القيد لانه نهی عن
ترك الاسلام وامر بالثبات علی الاسلام الی مصادفة الموت لان الموت لا اختيار فيه والمعنی لا يكن حدوث
الموت الضروری الا فی حال اسلامكم تخصيصه فلا يكن موتكم الا علی حال كونكم ثابتين علی الاسلام او دوموا
علی الاسلام حتی اذا ادركم الموت وجدكم مسلمين كقولك للمصلی صلوته لا تصل الا وانت خاشع وليس
فی هذا نهی عن ترك الصلوة ولكن نهی عن ترك الخشوع والمكنية فی النهی عن ترك الخشوع فی الصلوة اظهار
ان الصلاة التی لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله قوله صلی الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا فی المسجد فانه
فی قوة قوله لجار المسجد لا تصل الا فی المسجد فكان موتهم لا علی حال الاسلام موتا لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء
ومن حق هذا ان لا يحل بهم لان العبرة بالخاتمة والموت علی غير الاسلام علامة سوء الخاتمة والعياذ بالله قال
البيضاوی ظاهره النهی عن الموت علی خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهی عن ان يكونوا علی تلك الحال اذا ماتوا
والامر بالثبات علی الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة علی ان موتهم لا علی الاسلام موت
لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره فی الامر مت وانت شهيد اسعی وقال الفضيل بن عياض معناه لا تموتوا
الا وانتم محسنون بربكم الظن قال صلی الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله فان قوما اساؤا
الظن بربهم فهلكوا قال الله تعالی وذلكم ظنكم الذی ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وقيل معناه
لا تموتوا الا منقادين مفوضين لامر الله عز وجل ثم جاء بام المنقطعة بمعنی الهمزة انكارا علی اليهود حين قالوا للنبی
صلی الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصی بنيه باليهودية فقال ردا عليهم **ام كنتم شهداء**
ای اكنتم حضورا ايها اليهود وشهداء جمع شهيد بمعنی الحاضر ولم ينصرف لاجل الف التأنيث والمعنی ما كنتم حاضرين
اذ حضر يعقوب الموت ای حين حضره امارات الموت وقرب خروجه من الدنيا قال الاستاد ام
اذا لم يتقدمه الف الاستفهام كان بمعنی الاستنكار والخطاب لليهود المعاصرين للنبی او لليهود والنصاری كانه
قيل لهم كيف تزعمون انما انتم عليه دين ابراهيم او سائر الرسل وتزعمون ايضا انه لم يمت نبی الا علی اليهودية او النصرانية
ولم تكونوا حاضرين هناك ولم تشهدوا وصايا الرسل والانبياء ولم تعلموا ما جری فی تلك الازمن فلا تتعلقوا بما لم
تشهدوه ولا تدعوا اولاد ابراهيم ويعقوب الی اليهودية والنصرانية فانهم كانوا علی دين الاسلام وبه اوصی
ابراهيم ويعقوب اولادهم ولو شهدتم وصية ابراهيم ويعقوب لاولادهم وسمعتم قولهما لبنيهم باذا انكم لعلمتم
لكم حرصهما علی ملة الاسلام والدين الحنيفی ولرغبتم فيما جاء به محمد صلی الله عليه وسلم ولم يسعكم الا الاتباع احد وقال
بعضهم ام فی ابتداء الكلام بمنزلة بل بمعنی ان الاستفهام للتقرير والخطاب لليهود ای للحاضرين فی زمن نبينا والمراد بذلك
اسلافهم والمعنی بل شهد وحضر اجدادكم ابراهيم ويعقوب حين اوصی بنيهم بالتوحيد والاسلام دون ما قلتم
فكيف تدعون علی الانبياء اليهودية وتفترون علی الله بان عزير ابن الله وعيسی كذلك تبا لكم ولعقولكم اخزاكم
وقال بعضهم ام منقطعة للاضراب عن الكلام الاول والاخذ فيما سواه والخطاب للمومنين وذلك انه للحث
علی اتباع ملة ابراهيم وبيان حاله وحال يعقوب فی التوحيد والاهتمام به حصل لهم احوالهما سماعا ممن لا ينطق عن
الهوی وكانوا حقيقا بالاتباع فانكروا عدم بحرهم بانفسهم لتلك الاحوال والمعنی ما كنتم حاضرين ايها المومنين
للوصية حين احتضر يعقوب الموت وانما حصل لكم العلم بالوصية وباحوالهم من طريق الوحی وقال بعضهم ام متصلة

Copyright © King Saud University

على ان يقدر قبلها محذوف والمعنى ايدعون على الانبياء اليهودية كشهودكم وحضوركم وصاياهم ام كان اسلافكم
شاهدين حاضرين لوصية الانبياء لابنائهم واولادهم والغرض تبكيتهم لاعترافهم بالمنافي القراءة حضر بفتح
الضاد وقرئ حضِر بكسر الضاد **اذ قال لبنيه** كرر كلمة اذ لان الاولى لبيان وقت حضور الموت والثانية
لبيان وقت الايصاء اراد بني يعقوب الاسباط وهم الاولاد الاثنا عشر وقيل اراد بذلك اولاده وحفدته
وكانوا يومئذ ثمانين نفسا وقيل مائتين وخمسين وهم بمصر واذ في اذ قال لبنيه بدل من اذ في اذ حضر يعقوب
الموت والعامل فيهما شهداء وقال احمد الكواشي والنيسابوري وروي انه لما دخل يعقوب مصر وراى اهل مصر
يعبدون النار خاف على بنيه فقال لهم **ما تعبدون من بعدي** اي بعد موتي ما عام يستعمل في
العقلاء وغيرهم عند الابهام سواء كان للاستفهام او غيره فاذا علم الشيء خص من بذي العلم وما بغير ذوي
العلم ويجوز ان يحمل ما في الاية على الصفة اي ما نعت ما تعبدونه بعد موتي وقال النيسابوري وروي ان
يعقوب لما دخل مصر راى اهلها يعبدون النيران والاوثان فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا
لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد ينافي ذلك ولان
المشهور من امر الاسباط انهم كانوا صالحين انتهى يقول الفقير مؤلف هذا الكتاب واتفق اني زرت الشافعي
وعمر ابن الفارض فرايت جماعة من الزوار يقربون الجبل فقصدت في سري بان هناك قبر هود او بنيامين فذهبت
سريعا فدخلت المقام وسلمت على كل واحد منهما باسمه ثم قرات ما تيسر واخذتني الهيبة وعرفت حياء فخرجت
وصادفت البواب وكانت امراة عجوزة بصيرة فقلت لها هذا قبر هود او بنيامين فقالت نعم ثم سالت عمن عندها
من الزوار فقالوا مثل مقالتها فرجعت فرحا مسرورا والحمد لله على ذلك وقد قال النيسابوري فيما تقدم في المشهور
من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين قلت والظاهر من قوله الاتي قريبا انهم كانوا انبياء او فيهم لان الله
خاطب المؤمنين بقوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
قال الكواشي فيما سياتي وكان في الاسباط انبياء ولذلك قال والاسباط اي وما انزل اليهم والله اعلم بمراده
واسرار كتابه وفي التيسير وقوله وما تعبدون كقوله والسماء وما بنيها اي ومن بنيها وقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد اي من اعبد ومحل ما رفع باضمار الهاء العائدة عليه اي ما تعبدونه او نصب بايقاع الفعل عليه بلا اضمار
الهاء انتهى وقال ابو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي والمعنى اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ ما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن
نفسه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد اطبيب ام فقيه انتهى وقال ابو بكر الاصفهاني الشافعي امام النحاة
في وقته ان ما استفهامية نصب تعبدون وما تعم العقلاء وغيرهم او ما هنا بمعنى من ويدل عليه انهم **قالوا**
في جواب يعقوب على وفق سواله **نعبد الهك** اي نعبد الله الذي تعبده انت ونلتجئ اليه وهو الاله
المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته **واله آبائك** اي وهو الله الذي كان يعبده اباؤك الانبياء
وقوله **ابراهيم واسمعيل واسحق** عطف بيان لابائك او بدل وابراهيم كان جدا ليعقوب والجد اب قال
الله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب واسماعيل
كان عما ليعقوب وعده ابا لان العرب تسمي العم ابا والخالة اما لحرمتهما وفي الحديث عم الرجل صنو ابيه اي
عديله وقائم مقامه عند فقده وفي التيسير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق العباس هذا بقية ابائي وقال
ايضا

ايضا ردوا علي ابي فاني اخشى ان يفعل به قريش ما فعلت بعروة بن مسعود وقدم اسماعيل على اسحاق
مع ان اسماعيل كان عما ليعقوب واسحاق ابوه حقيقة لان اسماعيل اكبر سنا منه قال بعضهم كان آزر
عم ابراهيم وتارخ اباه فذكر الله آزر في كلامه بانه اب لابراهيم وقال النيسابوري واطلق اسم الاب
على ابراهيم وهو جد يعقوب وعن الشافعي انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات لاب وام لا يسقطون
بالجد واليه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة
انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطا
قالت التعليمية لا طريقة الى معرفة الله عز وجل الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي
دل عليه العقل بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده واباؤك يعبدونه فدل على ان طريق المعرفة هو التعليم
واجيب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح
صفات الله تعالى بيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون النفس فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقك
من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود ابائك
كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم والقراءة اله ابائك بالجمع وقرئ واله ابيك وله وجهان
احدهما انه قصر الابوة على ابراهيم وميز عنه اسماعيل لانه عم لا اب والثاني ان ابيك جمع اب على انه جمع سلامة
يقال في حالة الرفع ابون واخون وفي حالتي النصب والخفض ابين واخين وحذفت النون من
ابين للاضافة كقوله وفدّيننا بالابينا وتمام الكلام فلما تبين اصواتنا بكين وفدّيننا بالابينا قال
الكواشي وقرئ واله ابيك مفردا لفظا وجمعا معنى او مفردا لفظا ومعنى فيكون ابراهيم وحده على هذا عطف
بيان او جمع جمع السلامة وحذفت للاضافة كقوله وفدّيننا بالابينا قال ابو مسلم القدسي الشافعي
واخصر العبارات ما قاله البيضاوي وهو قوله وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما
تبين اصواتنا بكين وفدّيننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان انتهى وقرئ اله ابراهيم بطرح
ابائك **الها واحدا** بدل من الهك او من اله ابائك وهذا جائز وان كان الهك واله ابائك معرفتين
بالاضافة لان الها موصوف بقوله واحدا وهذا كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدة تكرار الاله مع
ذكر الصفة وهو الواحد دفع توهم التعدد الناشئ من العطف كما في غلامك وغلام زيد وبيان وهم الجاهل
بقواعد العربية انهم قالوا في جواب يعقوب الهك واله ابائك فذكروا الاله مرتين وبينهما واو العطف ظن
ان لهم الهين فقطع وهمه باعادة الاله مع صفة الوحدانية ويجوز نصب قوله الها واحدا على الاختصاص
والمدح قال ابو مسلم القدسي وعبارة البيضاوي اوضح من اكثر ما رايت من مختلف تفسير حيث يقول
في قوله الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي
التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص انتهى **ونحن له**
مسلمون اي منقادون ومنقادون بالطاعة ثابتون على العبادة او مخلصون التوحيد له بالقول
والعمل والنية ومحل قوله ونحن له مسلمون النصب على انه حال من فاعل نعبد او من مفعوله تعالى هذا او وقف على
واحدا وان جعلت جملة قوله ونحن له مسلمون مستانفة وقفت على واحدا ويجوز ان تكون جملة معترضة
يؤكد امر العبادة قال شيخنا وانما اجابوا يعقوب بهذه الكلمات التي تتضمن الثبات على الدين الحق ومدح

Copyright © King Saud University

ابائهم بكونهم على ذلك وانهم متبعون لهم ثابتون على دينهم ليكونوا بارين اباءهم سائرين اياهم بقبول
ما وصاهم وفيها اشارة الى انه عز وجل اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه محب له ظهر اثار انوار
تجليه على قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع اعضائه فيخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا
لا متفرقا من الهوى والدنيا والاخرة ثم اشار الى ابراهيم واولاده المذكورين الموحدين اسماعيل واسحاق
ويعقوب بقوله تلك مبتدأ والاشارة الى ابراهيم ويعقوب واولادهما وانث لتانيث خبره وهو امة
جماعة ويقال للواحد الجامع للكمالات امة والامة اهل الملة الواحدة وهي في الاصل المقصود من امه كالعمدة
من عمده وسمي بها الجماعة لان الفرق تامها قد خلت اي مضت وسلفت وانقضت والغرض انه لم
يبق منهم اثر سوى ما عملوا من انواع الخيرات قال شمس الافاق معناه قد مضت وصارت الى الخلاء وهي
الارض التي لا انيس بها ويلزمه الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اي فرغ
منه وانما قلنا ان الغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا لان الله يقول لها ما كسبت من التوحيد والاعمال
اي لها جزاء اعمالهم من الثواب قال احمد الكواشي وهذه جملة مستانفة او حال من ضمير خلت انتهى
وقال السيوطي معناه لها ما كسبت من العمل اي جزاؤه استيناف ولكم الخطاب لليهود ما كسبتم من
جزاء العمل انتهى وقال استاذي رحمه الله والمعنى انه عز وجل يقول لليهود الحاضرين في مجلس الرسول
على لسانه لتلك الامة المكرمة ما كسبت من التوحيد والاعمال ولكم ما كسبتم اي لا يتجاوز كسبكم الخير كم
وفي الحديث ادم من تراب والناس من ادم لا فضل لعربي على عجمي ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه
قلت وهذا الحديث مذكور في التفسير المسمى بغاية الاماني ايضا وما مع الفعل مصدر اي لها كسبها
ولكم كسبكم اي هم يحاسبون يوم القيمة باعمالهم ويجازون عليها وانتم تحاسبون يوم القيمة باعمالكم
وتجازون عليها لا تؤاخذون انتم باعمالهم ولا هم يؤاخذون باعمالكم قال البيضاوي لكل اجر عمله
والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم قال صلى
الله عليه وسلم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم انتهى وفي التيسير والكسب ما يقع بقدرة حادثة
والاختراع ما يقع بقدرة قديمة فلا يوصف الله بالكسب ولا العبد بالاختراع انتهى قلت الكسب اجتلاب
النفع بعلاج وذلك بالقوة العاجزة المقارنة للقوة القاهرة والاختراع خلق شيء من لا شيء بالقوة القاهرة
فقط فالثانية لله وحده ولا تسالون عما كانوا يعملون وهو كقوله قل لا تسالون عما اجرمنا
الاية وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى تلخيصه ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وعبارة
اخرى ولا تسالون انتم عما كانوا يعملون كما لا يسالون عن عملكم فضلا عن المؤاخذة به او الثواب وفي
تفسير النيسابوري وفي الاية تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر ابائهم باتخاذ العجل
وفي الاية ايضا وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة محمد ائتوني يوم
القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الاية تدل
على ان للعبد كسبا لكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا
لانه لو كان عالما موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولكن وقع الامام ارادة العبد
وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة

الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله عز وجل فاذا خلقه فيه
استحال من العبد ان لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال ان يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا
عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع
بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة العبد وعن القاضي
ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة
العبد وضعف بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز ان حصل بفعل الله تعالى
فهو عين المنهي عنه وقد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم
الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني الشافعي ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير
ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي
وضع الاسباب المتادية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع
فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم
جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل
وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب هذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول امام الحرمين
اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا ينافي كون ذلك الاثر منسوبا الى اثر اخر بعيد الى البعيد
الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدع المبادي ومالك الاختيار بحقك دون هؤلاء انتهى
ولما بين الله عز وجل بالدلايل المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها طعن اليهود
والنصارى فيه كما قال الله تعالى حكاية عنهما وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا واحسن الضمير الغائب
لاهل الكتابين واو للتفصيل او التنويع وتهتدوا جواب الامر والمعنى معا لتهم احد هذين القولين اي
قالت روساء اليهود من اهل المدينة ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا او قالت ابضا رى
النصارى من بني نجران كالسيد والعاقب ومن معهما للنبي واصحابه كونوا على ديننا تهتدوا اي تصيبوا الصراط
السوي وزعمت كل فرقة ان نبيها افضل الانبياء وكتابها افضل الكتب ودينها افضل الاديان وانما قالوا
كذلك لما علم من العداوة بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقدمر نظير هذا في قوله وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى فاكذبهم الله حيث امر نبيه بان يجيبهم بقوله قل بل ملة ابراهيم
حنيفا اي قل يا محمد ليس الامر كما قلتم وزعمتم بل نتبع ملة ابراهيم ونتبع هنا مقدر لدلالة ما مر اتفاقا عليه فان
قوله كونوا هودا او نصارى في معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية وبل رد لذلك واثبات لما يخالفه وقيل بل العقد
هنا نكون بقرينة المذكور قبله وهو كونوا ثم نصب قوله ملة على هذا الطريق من وجهين احدهما معناه بل نكون على
ملة ابراهيم فملة منصوب بنزع الخافض وثانيهما المقدر هنا نكون مع اهل معناه بل نكون اهل ملة ابراهيم فيكون
اضمارا لاهل كما في قوله واسئل القرية او نتبع مع اهل اي بل نتبع اهل ملة ابراهيم وقرئ في الشاذ ملة بالرفع اي بل
ملتنا ملة ابراهيم او ملة ابراهيم ملتنا او نحن ملته بمعنى اهل ملته والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الاسلام
واصل الحنف بفتح الحاء والنون الميل من الباطل الى الحق هذا هو المشهور عند اكثر اهل اللغة وانشد ولكنا خلقنا
اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وعن الزجاج ان الحنيف المستقيم والمعنى انه كان مستقيم الدين قال

Copyright ... University

ابو الخير وحنيفا منصوب على الحالية اى نتبعه فى حال كونه حنيفا اى مايلا عن الباطل الى الحق فهو اما حال
من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا وانما جاز ذلك اذا جاز وقوع
المضاف اليه من المضاف كما فى المثال المذكور بخلاف قولك ضربت غلام هند جالسة والعامل فى المضاف
اليه هو العامل فى المضاف وفى التيسير وقال ابن دريد والحنيف هو العادل من دين الى دين والعرب كانت
تسمى به العادل عن اليهودية والنصرانية والحنف الميل والاحنف الذى فى صدور قدميه ميل وقال الازهرى
الحنيف المقبل على الدين الحق والحنف اقبال احدى القدمين على الاخر وقال ابن عباس وفى كل موضع ذكر الحنيف
مع المسلم فهو الحاج قال الله تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وفى كل موضع ذكر وحده فهو المسلم قال الله تعالى
لله حنيفا وقال بعضهم الحنيف المستقيم سمى به تحسينا للاسم كما يقال للاعمى بصير وللمهلكة مفازة وللديغ
سليم وفى غاية الامانى الحنف بفتح النون ميل فى اليدين والرجلين وقال ابو عبيدة الحنيف عند العرب فى
زمن الجاهلية من كان على دين ابراهيم لميلهم عن طريقتهم الى طريقة غيرها قال ذو الرمة شعر اذا
بلغ الظل العشى رايته حنيفا وفى قرن الضحى ينتصر يصف الحرباء باستقباله الكعبة عشيا وتوجهه الى
المشرق غدوة وما كان ابراهيم من المشركين تا وهذا توبيخ لمن يدعى انه تابع ملة ابراهيم وهو مشرك
كاليهود والنصارى وعبدة الاوثان فالنصارى قايلون بالتثليث وبان المسيح ابن الله واليهود قايلون
بالتشبيه وبان عزير ابن الله وحال عبدة الاوثان ظاهر فثبت بانهم ليسوا من ملة ابراهيم التى هى محض التوحيد
وخالص الاسلام روى ان اهل الكتاب كانوا يقرءون التورية بالعبرانية ويفسرونها بالعربية فقال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تصدقوهم ولا تكذبوهم فنزل قوله قولوا امنا بالله خطابا للمؤمنين لقوله
فان امنوا بمثل ما امنتم به والمعنى وقولوا صدقنا بالوهية الله ووحدانيته وبجميع ما جاء من عنده قال الاستاد
والاظهر ان هذا تعليم للمؤمنين بالجواب لاهل الكتاب حين قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا كانه قيل قل فى
جوابهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بالله وجوز بعضهم ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا يا اهل الشرك
امنا بالله وحده لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وما انزل الينا اى وما انزل على نبينا من القران
والانزال الى النبى انزال على امته لانهم امة الدعوة فحكم المنزل يلزم الكل او لان النبى هو القايل فحكى الله
كلامه ولو حكى كلامهم لقيل وما انزل اليكم وما انزل الى ابراهيم من صحفه العشر واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا كلهم اولاد يعقوب قال البيضاوى والصحف وان
نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم
كما ان القران منزل الينا انتهى وفى التيسير وظاهر القران يدل على انهم اى الاسباط انبياء بذكر الانزال
اليهم وقد اختلف فيه انتهى وفى غاية الامانى والصحف وان نزلت على ابراهيم الا ان اولاده واحفاده
كانوا متعبدين كتعبدنا بالقران وفى تفسير الكمال بعد قوله ويعقوب وعطفا اسمعيل واسحق ويعقوب على
ابراهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة عليه كانها منزلة اليهم ثم قال والاسباط
اولاد يعقوب عليه السلام جمع سبط وهو فى الاصل كالطايفة والفرقة والاسباط فى اولاد اسحاق كالقبايل
فى اولاد اسمعيل وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها اغصان كثيرة انتهى وقال
الكواشى والاسباط جمع سبط وكانوا اثنى عشر سبطا كلهم اولاد يعقوب سموا بذلك لان كل واحد منهم ولد
جماعة

٧ جماعة والاسباط من بنى اسرائيل كالقبايل من العرب والشعوب من العجم وكان فى الاسباط انبياء فلذلك
قال وما انزل اليهم انتهى وقال البيضاوى والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب
او ابناؤه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق انتهى قلت والاسباط جمع سبط وهو ولد الولد
واصله الاسترسال والامتداد قال الشاعر وجاءت به سبط العظام كانما عمامته فوق الرجال
لواء سمى به الحافد لانه امتداد فى الفروع قال الجلال السيوطى بعد قوله ويعقوب والاسباط اى اولاده
انتهى وفى التيسير والاسباط وهم اولاد يعقوب وحوافده اى وبما انزل الى هؤلاء والاسباط فى قول ابن عباس
اولاد يعقوب واحدهم سبط وهو ليس باسم للولد الواحد لكن السبط كالطايفة والفرقة فى الاصل والا
فى اولاد اسحاق كالقبايل فى اولاد اسمعيل وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها
اغصان كثيرة وفى الحديث الحسن سبط من الاسباط اى امة من الامم فى الخير وفى الحديث ايضا الحسن
والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قطعتان منه واولاد يعقوب هم اثنا عشر ولد لكل ابن
منهم امة من الناس وقال النيسابورى وانما قدم الايمان بالله لان معرفة الكتاب والسنة متوقفة
على معرفته وفيه ابطال لما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة وما
اوتى موسى اى وامنا بما اعطى موسى من التورية والمعجزات وعيسى اى وبما اعطى عيسى من الانجيل والمعجزات
غير الاسلوب بقوله وما اوتى ايماء الى عظم شان الكتابين ولم يعد الموصول مع عيسى لان اكثر احكام
شريعة عيسى هى شريعة موسى اى كاين فى التورية الا نادرا فكان ما اوتى موسى اوتى عيسى ايضا فترك
اوتى فى عيسى وما اوتى النبيون اى وامنا بما اعطى النبيون المذكورون وغير المذكورين من ربهم
اى منزلا عليهم من ربهم من الكتب والايات والدلالات ومن الكتب المشهورة الزبور لداود والتنزيل لا يكون
الا من فوق فيستعمل بعلى والى لملاحظة معنى الوصول قال النيسابورى عدد بعض الانبياء لتقدمهم
وشرفهم ثم عمم بعد ما خصص لتعذر التفصيل وقال الكمال وافرد عيسى وموسى لوقوع النزاع فيهما انتهى
لا نفرق بين احد منهم كاليهود والنصارى نؤمن ببعض ونكفر ببعض اى لا نفرق بين احد منهم
فى الايمان بنبوتهم وتصديقهم بما جاءوا به من الله وان تفاوتوا فى الرتبة ولا نقول انهم متفرقون فى اصول
الديانات بل نقول اصل دين الكل التوحيد والطاعة وان اختلفت شرايعهم قال الله شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا الاية وانما دخل بين على احد لان احدا هنا وقع فى سياق النفى فهو عام يستوى فيه
المفرد والمثنى والمجموع فصح ان يضاف اليه كلمة بين قال الكواشى التفريق بينونة الشئ عن غيره
ويكون احد بمعنى الجميع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين او المعنى لا نفرق بين احد منهم واخر وغيره
فحذف اخر لدلالة بين عليه لان بين لا يكون الا لاثنين فما زاد عليه وكذلك التفريق تخصيصه نؤمن بالله
وجميع كتبه ورسله ونحن له مسلمون ٥ اى نحن لله مذعنون منقادون بالجوارح والاعمال
مخلصون له قال الله الا لله الدين الخالص فلا جرم لا نخص بالقبول بعض كمل عبيده المؤيدين
بالمعجزات والايات الباهرات خلاف من كان اسلامه تقليدا وهوى قال الحسن علموا اولادكم واهاليكم
وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكروا فى القران ليؤمنوا بهم وبالذى جاءوا به لقوله قولوا امنا ثم ذكر
فى هذه الاية النبيين وكذا فى قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم الى قوله والنبيين وقال فى قوله كل امن بالله

Copyright © King Saud University

وملايكته وكتبه ورسله كذا فى قوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله فاستدل بذكر الانبياء فى
بعض والرسل فى بعض انه لا فرق بينهما وقال بعضهم وبينهما فرق لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبى فعلى هذا كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا ولما بين الطريق الواضح فى الدين وهو ان يعترف الانسان
بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم فى مثل هذا الايمان بقوله **فان امنوا** اى اليهود
والنصارى **بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا** واحسن اى فقد اصابوا الصراط السوى ويهديهم
ربهم الى الجنة كما قال فى حق المومنين يهديهم ربهم بايمانهم وقال فى حق الكفار لم يكن ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم وههنا سوال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل والجواب ان قوله
فان امنوا كلمة شك وفى الاتيان بها دليل واضح على الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم
ومساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا لسلامته عن التناقض بخلاف
غيره فاذا ثبت هذا فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذى تشير اليه هذا هو الراى الصواب فان كان
عندك راى اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه
على ان ما رايت لا راى وراءه وتخصيصه ان ذكر كلمة الشرط مع ما بعده من باب التعجيز والتبكيت والتوبيخ
كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للاستعانة لا
للالصاق والمثل واقع بين المصدرين اى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم فقد اهتدوا وقال
الاستاد واذا جعلت الباء للالة دون التعدية فالمعنى حينئذ اى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل
طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تابى تعدد الطرق وقيل المثل صلة اى فان امنوا بما امنتم به وتكون
ما على هذا بمعنى الذى وقرى به اى بالذى اى فان امنوا بالذى امنتم به ونظير المثل اذا كان صلة اى مقحما
قوله وشهد شاهد من بنى اسرايل على مثله اى عليه ونظير المثل اذا كان زايدا ايضا قوله تعالى ليس كمثله شى
اى ليس كهو شى ونظير المثل ايضا اذا كان زايدا قول الرجل لا يقال لمثلى هذا اى لا يقال لى هذا باقحام المثل وقال
بعضهم الباء زايدة كقوله جزاء سيئة بمثلها وكفى بالله شهيدا ويشرب بها عباد الله والمعنى ايمانا مثل
ايمانكم وقال ابو الخير والباء زايدة للتاكيد ومثل صفة محذوف وما مصدرية تقديره فان امنوا ايمانا
مثل ايمانكم وقال احمد الكواشى والهاء لله او للقران اى محمد ويجوز ان يقال للجميع وقيل الباء بمعنى على
اى على مثل ايمانكم كقولك كتبت بمثل ما كتب فلان اى على مثل ما كتب فلان وقيل معناه فان امنوا بايمان
مثل ايمانكم وقال شمس الافاق والمعنى عندى انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا هم
بمثل ذلك فى التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الاية دليل على ان
هداية الله قبل هذا الاهتداء وهى الدلايل التى نصبها الله عز وجل وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل
بها ليفوز بالسعادة العظمى فان قلت اذا كان الخطاب فى قوله قولوا امنا لاهل الكتاب فما وجه قوله
فان امنوا بمثل ما امنتم به قلت تقديره قل لهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا فان امنوا بمثل ما امنت به
انت واصحابك فقد اهتدوا **وان تولوا** يقال تولاه اى اتخذه وليا واحباء قال الله لا تتولوا قوما غضب الله
عليهم وهو يتولى الصالحين اى يلى حفظهم وكفايتهم بنفسه واذا وصل بالى فهو بمعنى الاقبال عليه قال الله ثم تولى
الى الظل واذا وصل بعن فهو بمعنى الاعراض وهو المراد هنا اى فان اعرضوا عن الايمان الذى عرضت عليهم وبعبارة

اخرى

٢ اخرى فان اعرضوا عن الايمان بما امنتم به وعما قيل لهم ولم ينصفوا **فانما هم فى شقاق** اى ما هم الا فى
شق وجانب والايمان والاسلام فى شق وجانب اخر وليسوا من طلب الحق فى شى وبعبارة اخرى ما هم الا فى
شقاق عظيم لاهل الحق ومخالفتهم وعداوتهم فان كل واحد من المتخالفين ياخذ فى شق وجانب غير شق
صاحبه قال الله تعالى شاقوا الله اى خالفوه وقال الله تعالى وان خفتم شقاق بينهما اى خلاف ما بينهما قال الله تعالى
لا يجرمنكم شقاقى اى عداوتى ويجوز ان يكون من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصا بينهم او من المشقة
والتعب لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه وفى وصف القوم بذلك دليل على معاداتهم الرسول
واظهارهم له كل سوء وتربصهم به الايقاع فى المحن فلا جرم امن الله عز وجل والمومنين من كيدهم
فسيكفيكهم الله اى لا تحزن يا محمد بشقاقهم وخلافهم وعداوتهم فسوف يكفيك الله شرهم وناهيك به
من كاف وقد كفى باجلاء النضير وقتل قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى وفيه تسلية وتسكين
للمومنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من خالفهم وناواهم والفاء عاطفة لنظم معنى الكلام قال الاستاد
هى جواب لقوله فان تولوا ومعنى السين ان ذلك كاين لا محالة وان تاخر الى حين لانها للطلب والوعد وفيه معنى
التاكيد ولذلك قلنا ذلك كاين لا محالة وقال سيبويه هى فى مقابلة لن للتاكيد وقد انجز وعده بقتل قريظة
وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب وقد صح واعجاز القران لا يتناهى والحمد لله
وحده وقال ايضا وفى كلمة فسيكفيكهم الله فاء الجواب لقوله فان تولوا واختصاص السين من سوف للتاكيد
الباء بعده للاستقبال بوعد الكفاية لان فى نظم الكلمة يكفى وقد كفاه حيث فرقهم والكاف خطاب للنبى وهو مفعول
اول ليكفى وهاء الغيبة وميم الجمع راجع الى اهل الكتاب ومحلهما النصب لانه مفعول ثان ليكفى والله فاعله
ثم اوعدهم ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله **وهو السميع** لاقوالهم ولدعايك **العليم** باحوالهم ومرادك
فيجازى كلا ما يشاء قال الاستاد وفيه وعد للنبى اى هو يسمع دعاءك يا محمد ويعلم نيتك واخلاصك
فى اعلاء كلمة الحق فيستجيب لك لا محالة ووعيد لاهل الكتاب اعداء رسول الله والمومنين اى هو الله عز وجل
منهم بمراى ومسمع يعلم ما يسرون وما يخفون من الغل والحسد فيعاقبهم على ذلك **صبغة الله ومن احسن** اى
دين الله انتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله قولوا امنا بالله مثل وعد الله اى تكون نصبها
بفعل مقدر كما هو عند سيبويه تقديره صبغنا الله بالايمان الفطرى صبغته والمراد بها فطرة الله التى فطر الناس
عليها اى دين الله الذى فطر الناس عليه فانه حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ وسمى الدين
صبغة لظهور اثره على الانسان كظهور الصبغ على الثوب او معناه هدانا الله تعالى هدايته او ارشدنا الله حجته
او طهرنا الله قلوبنا بالايمان تطهيره لا مثل تطهيركم بالمعمودية الاصغر بدل الختان قال احمد الكواشى
او سمى دين الاسلام صبغة لظهوره على الانسان كظهور الصبغ على الشى او الصبغة الختان لانه يصبغ صاحبه
بالدم لان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى اليوم السابع فى ماء اصفر يسمونه المعمودية بدل الختان ويقولون
الان صار نصرانيا حقا فاخبر الله عز وجل ان دينه الاسلام لا ما يفعله النصارى انتهى قلت فعلى ما ذكره
الكواشى يكون قوله صبغة الله على المشاكلة والمقابلة اى قولوا فى مقابلة فعلهم وقولهم الباطلين القول الحق
وهو صبغة الله اى صبغنا الله بالايمان صبغته لا مثل صبغتكم بالماء الاصفر ومن المشاكلة قولك لمن يغرس
الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره قوله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم

Copyright © King Saud University

قال الاستاد وسمي الايمان صبغة لظهور اثره على ظاهر المومنين ظهور الصبغ على المصبوغ ولتداخل الايمان
في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب تخصيصه سمي الدين صبغة لظهور هيبته على وجه صاحب الدين والتقوى
قال الله سيماهم في وجوههم من اثر السجود اى من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار كما هو ظاهر في
وجوه ارباب الطرائق وقال ايضا اختصاص الصبغ والمقابلة بالنصارى مع ان الخطاب بهم ولليهود
لو قوعه بالماء الاصفر كان بينهم لانهم كانوا يقولون في اليوم السابع بعد ما يغمس اولادهم في الماء الاصفر
صبغناه بالنصرانية وطهرناه بهذا الماء فذكر صبغة الله على مقابلة ذلك على قول الفراء وقال قتادة
اليهود تصبغ ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى اى يلقنون دينهم فيقولون لهم ديننا
ودين ابائنا كذا وكذا فيدخل ذلك في قلوبهم كما يدخل الصبغ في الثوب وكما دخل محبة العجل في سويداء قلوبهم
قال الله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل وفي التيسير وعن عمر رضي الله عنه انه كتب في عهد نصارى بني تغلب
ان لا يصبغوا اولادهم ولكن يتركوهم حتى يبلغوا ويختاروا لانفسهم ما شاؤا اى لا يلقنوهم ولا يعلموهم ذلك
قال الله صبغة الله اى كان تلقينهم يوم الميثاق حين قلت الست بربكم قالوا بلى وقال ابن الانباري
اى التعليم الالهي كلا تلقين
وكانت العرب تعرفون معنى الصبغة ولهذا قال الله صبغة الله وذلك لانهم كانوا يقولون فلان يصبغ فلانا
في الشر اذا ادخله فيه والزمه اياه كما يلزم الثوب الصبغ وقال الشيرازي من ايمتنا في معنى قوله صبغة
الله اى قولوا نتبع صبغة الله ثم قال وهذا احسن الاقوال فيها لقوله في اخر الاية ونحن له عابدون وقد
تقدم ان معنى قوله بل ملة اى بل نتبع ملة ابراهيم ثم قال ايضا ان الله عز وجل سمى دين الاسلام باسماء واضاف
كل واحد من ذلك الى نفسه فقال هدى الله لقوله تعالى ان الهدى هدى الله وصراط الله لقوله صراط الله
الذى وفطرة الله لقوله تعالى فطرة الله التى وصبغة الله كما هنا ودين الله لقوله يدخلون في دين الله ونور الله
لقوله يريدون ان يطفئوا نور الله وحبل الله لقوله واعتصموا بحبل الله وكلمة الله لقوله وكلمة الله هي
العليا وقال ايضا ان الله سمى دين الاسلام باسماء مفردة نحو كلمة التقوى لقوله والزمهم كلمة التقوى
والكلم الطيب لقوله اليه يصعد الكلم الطيب وكلمة طيبة لقوله مثل كلمة طيبة والقول الطيب لقوله وهدوا
الى الطيب من القول وقول الصواب لقوله الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقول المرضي لقوله ورضي له قولا
وقول الحق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق ودعوة الحق لقوله له دعوة الحق وشهادة الحق لقوله الا من شهد
بالحق والعهد لقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا والحسنة لقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم في النار والاحسان لقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان والايمان لقوله ان هداكم
للايمان والاسلام لقوله ان الدين عند الله الاسلام ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام والسلم لقوله ادخلوا في السلم
كافة والسبيل لقوله انا هديناه السبيل وسبيل الرشاد لقوله اهدكم سبيل الرشاد وسبيل الرشد لقوله وان
يروا سبيل الرشد والرشد لقوله يهدي الى الرشد والنعمة لقوله فضلا من الله ونعمة والفضل لقوله قل بفضل الله
والعدل لقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان قال ابن عباس معناه ان الله يامر بالتوحيد ولدين الاسلام
اسماء اخر مذكورة في المطولات وكتابنا هذا مختصر لا حشو فيه ولا نطويل بل من تنبه يعرف ذلك بالتامل الصادق
في نكته وغوامضه واغواره وقال ابو بشر والصبغة فعلة من صبغ كالجلسة من جلس الحالة التي يقع عليها
الصبغ والجلسة وفي التيسير وصبغ يصبغ بفتح الباء في المستقبل وضمها وكسرها انتهى وقال ابو عيسى واعلم ان

صبغة الله

صبغة الله منصوب على الاغراء اى الزموا صبغة الله او اتبعوا صبغة الله وقيل على البدلية من ملة ابراهيم
فعلى هذا لا يتم الوقف على قوله العليم وحسن الوقف على قوله صبغة الله لان من في قوله ومن مبتدأ
خبره احسن ومحل من الله نصب بقوله صبغة وهي تمييز قال الاستاد ومن استفهام في معنى
الجحد اى لا احد احسن دينا من الله لانه يصبغ بالايمان الذى لا يمحى اثره سرمدا وبعبارة اخرى لا صبغة
احسن من الايمان بالله والدين الذى شرع لكم ليطهركم من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له
عابدون اى مخلصون باتباعنا لابراهيم وصبغة الله والعابد العامل بحق العبودية بمرضات الله تعالى
قال ابو بكر الشيرازي هذا عطف على ضمير امنا بالله او على قوله ونحن له مسلمون وهو حال من فاعل امنا بالله
وفيه تعريض بهم اى لا نشرك بالله كشرككم والقول بانه عطف على امنا يقتضي ذلك دخول قوله صبغة الله في
مفعول قولوا امنا ولمن نصبها على الاغراء والبدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا
امنا بدل من اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب انتهى وقال عمر بن عثمان الاصفهاني في قوله ونحن له
عابدون عطف على امنا ومن جعل صبغة الله نصبا على البدل من ملة ابراهيم او على الاغراء اى الزموا صبغة الله
جعله اعتراضا تعريضا بمن اشرك في عبادته لئلا يقع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالاجنبي والعطف على
فعل الاغراء بتقدير القول اى الزموا وقولوا ونحن له عابدون تكلف واضمار بلا دليل قلت وفي قول عمر
تكلف بلا دليل لا ينهض له في ذلك حجة قل اتحاجوننا في الله الالف للاستفهام وهو للتوبيخ والاستنكار
ههنا ومعناه عند ابن عباس قل يا محمد لاهل الكتاب لم تحاجوننا وعند مجاهد لم تخاصموننا والمحاجة مفاعلة
بين الاثنين في ايراد الحجة على ما يدعي تخصيصه قل يا محمد لاهل الكتاب لم تجادلوننا في شانه عز وجل واصطفائه نبيا
من العرب دونكم ومن افترائهم انهم قالوا ان ابراهيم سال الله ان تكون النبوة في اولاد اسحاق والملك في اولاد
اسماعيل قال البيضاوي وروي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
قوله وهو ربنا وربكم فاستوينا نحن وانتم في عبوديته فاذا لا اختصاص له بقوم دون قوم بحسب بر
من يشاء من عباده فله ان يصطفي محمدا بالرسالة عليكم فلا تقولوا لم خص محمدا بالنبوة ونحن اهل الكتاب
والعرب عبدة الاوثان قال ابن عباس قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى به
منكم فنزلت وهو ربنا وربكم او قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا فنزلت وهو ربنا وربكم اي الناس في ذلك
سواء وقال استادي رحمه الله ويحتمل ان يكون الخطاب لمشركي العرب فنطحيت قالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم او لمشركي العرب واهل الكتاب جميعا والمعنى اتجادلوننا في شان الله
او في دينه وهو ربنا وربكم وللرب ان يفعل بمربوبه ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه اهلا له فالعرب والعجم في ذلك
سواء والقراءة اتحاجوننا بنونين وقرئ اتحاجونا بنون واحدة مشددة ولنا اعمالنا نجازى بها ولكم اعمالكم
تجازون بها لانه عادل تخصيصه فكما ان لكم اعمالا ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار
ولكن لما كان في اعتقادنا واعمالنا الاخلاص دون اعتقادهم واعمالهم الشرك بين سبب استحقاقنا الكرامة بقوله
ونحن اى الامة المحمدية له اى لله مخلصون اى موحدون وانتم به مشركون ومن كان مخلصا كان اهلا
لكرامته ومن كان مشركا كان اهلا لنكاله وغضبه والخالص كالصافي معنى الا ان الخالص هو ما زال عنه شوبه
بعد ما كان فيه ماخوذ من خلصت الشيء من الشيء اى انتبه عنه فالاخلاص على هذا تصفية الاعمال من الشرك والرياء

Copyright King Saud University

والصافي اسم لما لا شوب فيه اصلا قال ابو يحيى القزويني وترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجلهم شرك
والاخلاص المعافاة منهما وقال الكلبي والمعنى قل يا محمد اتجادلوننا في دين الله والله رب الكل غني
عن الكل لا تنفعه طاعة مطيع ولا يضره عصيان عاص ولا نؤاخذ باعمال غيرنا من سلف من المشركين
ونحن له من المخلصين وقال سعيد البغدادي الشافعي والمعنى فكان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها
على زعمكم فكذلك لنا اعمال ولكن احسن من اعمالكم فلا يبعد ان يكونوا ويجزينا باعمالنا الحسنة ويجزيكم باعمالكم
السيئة وفي الاية اشارة الى ان الله عز وجل الزمهم على كل مذهب ينتحلونه ويعتمدون عليه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين
لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص لوجه الله فالله الا لله الدين الخالص وقال الجلال
السيوطي والجمل الثلاث احوال انتهى قلت وقد روعي في الفواصل اسلوب الترقي لانه ذكر اولا
الاسلام ثم ثنى بالعبادة ثم ثلث بالاخلاص ثم استفهم منكرا بقوله **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ** قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر عن
عاصم بالياء على الغائبة وقرا الباقون بالتاء على المخاطبة بناء على قوله اتحاجوننا في الله اي يكون
الخطاب هنا معادلا للهمزة في اتحاجوننا المعنى اي الامرين تاتون المحاجة في الله وقد مر انه ربنا
وربكم ام تقولون بزعمكم ان هؤلاء الانبياء على دينكم فبأي الحجتين تتعلقون اما التوحيد فنحن الموحدون
دونكم واما اتباع دين الانبياء فنحن المتبعون دونكم وقد برأ الله ابراهيم من اليهودية والنصرانية
بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما والتوراة والانجيل قد انزلا بعده
والانبياء المذكورون معه تبع له وقراءة الياء على الاعراض عن الخطاب لهم استجهالا لهم بما كان منهم
كما يقبل العالم على من بحضرته اذا ارتكب من يجادله جهالة فيقول قد قامت الحجة عليك ام هو
يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة قال سيف الدين المصري الشافعي وام متصلة لانها معادلة
للهمزة في قوله اتجادلوننا المعنى اي الامرين تاتون المحاجة ام ادعاء غير الاسلام على الانبياء هذا
على قراءة الخطاب وعلى قراءة الغيبة فلرد على قوله فسيكفيكهم الله وجوز بعضهم ان تكون ام هذه
منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار ايضا واذا قرأتها بالغيبة فلا تكون ام الا منقطعة تخصيصه بل
اتقولون ان المذكورين كانوا هودا او نصارى فرد الله عليهم بقوله الاتي قريبا أأنتم اعلم ام الله اي بل الله
اعلم لانه اخبر بما كان عليه ابراهيم وقال ابو ابراهيم واخصر العبارة ان يكون قوله ام يقولون الى اخره
للاضراب عن الخطاب في اتحاجوننا وام منقطعة لانكار هذا القول عليهم هذا على قراءة صحيحة وفي قراءة
صحيحة ايضا بالخطاب على ان ام متصلة معادلة لهمزة اتحاجوننا وهذا ابلغ لدلالته على ان كل واحد
من الامرين منكر فكيف وقد اجتمعا كقولك لمن اخطار يا ومقالا اتدبيرك ام تقريرك وكذا ان جعلت ام
منقطعة **قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** اي قل يا محمد اتجادلوننا في دين الله ام تقولون ان ابراهيم ومن
ذكر معه بواو العطف كانوا على ملتكم وليس الامر كذلك بل كانوا مسلمين وفاقا على الدين الذي نحن عليه
كذا اخبرنا ربنا أفأنتم اعلم ايها الجاهلون بما دينهم ام الله اي فالله اعلم به منكم وقد علم منهم خلاف
ما تقولون قال احمد الكواشي وام هذه موصولة والله مبتدا خبره محذوف تقديره اعلم اي بل الله اعلم

ثم زادهم انكارا وتبكيتا بقوله **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ** قوله من الله
اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه هودا او نصارى للزم ان الله كتم واخفى هذه الشهادة
ولم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع وافظع واما ان يتعلق بكتم اي
لا اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها واخفاها منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك
عندي شهادة من فلان ومن هنا على هذا المعنى كمن في قوله تعالى براءة من الله ورسوله لان من ثمة نعت
لبراءة ولذلك حسن الابتداء ببراءة والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة
الى ان المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم بالحنيفية والاسلام وتعريض بان اهل الكتاب
قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحنيفية ابراهيم صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من تحريفاتهم
قال ابو ابراهيم وكتم يتعدى الى مفعولين تقديره كتم الناس شهادة عنده كائنة من الله تعالى ولا
احد اظلم من اليهود حيث كتموا شهادة الله في التوراة لابراهيم بالحنيفية ايضا قال البيضاوي
والمعنى لا اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او لا اظلم منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وقال
استادي والمعنى عندي لا احد اظلم منكم معاشر اهل الكتاب لان من استفهام بمعنى الجحد اذ كتمتم من الله شهادة
عندكم وانتم تشهدون بان هؤلاء الانبياء لم يكونوا هودا ولا نصارى وان محمدا نبي وهو سيد الانبياء وعلى
دينهم وقد علمتم هذا ووجدتموه في كتابكم ومن الله على هذا متعلق بالكتمان يقال كتمتك الشهادة وكتمت
منك الشهادة اي لم اقمها عندك فكانه قال ومن اظلم ممن كتم عنده شهادة فلم يقمها عند الله وبين عباده
بل كتمها واخفاها فظلم بذلك وقال ايضا والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من الله فحرفها واخفاها
ومن الله على هذا متعلق بالشهادة اي كالشهادة من الله انتهى كلام الاستاد وفيه مع ما ذكرنا نوع تكرير
غير انه لا حشو فيه وقال الحسن هذا قول المؤمنين لاهل الكتاب والمعنى ومن اظلم منا معاشر المؤمنين
ان تابعناكم على ما تقولون بعد ان حصلت عندنا شهادة من الله عليكم بالكذب في قولكم ان هؤلاء الانبياء
كانوا هودا او نصارى ثم هدد اهل الكتاب بقوله **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** من كتمان
الشهادة بصدق محمد وما جاء به والبشارة بمجيئه كما قال يأتي من بعدي اسمه احمد قال احمد بن محمد
فان قيل قوله أأنتم اعلم ام الله نفى لعلمهم واثبات الشهادة عندهم اثبات علمهم اذ الشهادة لا تكون
الا بعلم قلت كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولما كتموا ذلك التحقوا بالجهال لفوت نفع العلم انتهى قال
ابو علي الشافعي وفي قوله وما الله بغافل عما يعملون اشارة الى تهديد عظيم لاهل الكتاب اي لا تحسبوا انه غافل
عما يعملون ثم قال وهذا كلام جامع لكل وعيد لهم ولا ضرابهم ولو ان احدا كان عليه رقيب من
قبل ملك مجازي لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه
وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله جنته او ناره **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ
وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** وقد مر مثل هذا فالتكرير للتاكيد والتقرير وقيل اريد بالامة الاولى الانبياء
والثاني اسلاف اليهود والنصارى او الاول اشارة الى اسلاف اليهود والنصارى اي تلك الاسلاف قد مضت
والثاني الى ابراهيم ومن معه ووجه ذلك ان تلك الاسلاف مع فضلها اذا لم ينفعها عند الله الا ما كسبت بانفسها

الجزء الثاني

٤

فانتم احرى ان لا ينفعكم عند الله ما كسبوه ولا تنفعون الا بما تكسبونه فلا تتكلوا الى فضائلهم وقال الشيخ
الخطاب فيما مر لاهل الكتاب وفى هذه الاية لنا تحذير عن الاقتداء بهم وقال ايضا وهذا تكرير للمبالغة
فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقال ابو الخير واحسن العبارة
ان تلك ههنا اشارة الى ابراهيم وبنيه كالتى مر وانما اعيدت الاية ههنا لغرض اخر وهو زجرهم عن الاشتغال
بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان اديانهم لا تنفع الا اياهم لاندراس اثارها وانطماس انوارها
واما الآن فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان الواضح النير الساطع فيجب اتباع المعلوم واقتفاء
والغاء المظنون والمغاير ولا يسال المتاخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزى **سيقول**
السفهاء من الناس ومحل قوله من الناس على الحالية وعاملها يقول وقد مر عند قوله ما ننسخ من اية طعنا
لاهل الكتاب فى الاسلام وهذه شبهة ثانية منهم طعنا فى الاسلام ايضا حيث قالوا النسخ يقتضى اما الجهل
او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد بان يكون مطلقا غير مقيد بالدوام وعدمه كفى فعله مرة
واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه نسخا له وان كان مقيدا بالدوام فكذلك وان كان مقيدا وكان
الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبدا وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وهذه من الحكيم قبيح ثم
انهم خصصوا هذه الصورة بمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان
الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال ولفظ سيقول وان كان
للاستقبال لكنه قد يستعمل فى الماضى كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول لهم انا اعلم سيطعنون
فى كانه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرة اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك
نزلت الاية والمشهور ان الله عز وجل اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد ثلث
منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب
العتيد اقطع للخصم يعنى استحضار الجواب قبل الحاجة اثبت عند الحجاج والخصومة كما قيل وقبل الرمى يراش
السهم وقال ابو الخير وفائدة تقديم الاخبار به مع انه نوع من الاعجاز توطين النفس واعداد الجواب
وتلخيصه انما اخبر الله كلامهم لنبيه قبل الوقوع منهم ليتوطن نفسه ويتلقى المكروه بصدر رحب ويستحضر الجواب
قبل الحاجة ليكون اثبت عند الدعوى انتهى وقال ابو يحيى الشافعى واعلم ان اليهود لا يرون نسخ الشرايع والاحكام
ولهذا قالوا ما ولاهم والنسخ عندهم كالبدا والرجوع وذلك عندهم فعل من يجهل عواقب الامور وقالوا هو
نظير بان بنى قصرا ثم هدمه ونقضه وهذا جهل مركب من اليهود لان النسخ عندنا هو بيان منتهى الحكم
الى وقت وليس فيه بدا ولا نقض لما مضى بل تجديد حكم فى وقت بعد انقضاء حكم والسفهاء الخفاف
الاحلام اى الجهال الضعفاء العقول المنهمكون فى التقليد والمعرضون عن النظر بحيث لا يتدبرون ما له
وعليه فى امر دنياه وقد عد هذا سفيها فى الشرع فالذى يضيع امر اخرته اولى بهذا الاسم قال ابن عباس
والبراء بن عازب ومجاهد هم المنكرون لتغيير القبلة وهم اليهود ككعب بن الاشرف ورفاعة بن قيس وقردم
ابن عمرو ونافع بن ابى نافع وامثالهم قالوا يا محمد ما ولاك واصحابك عن قبلتكم التى كنتم عليها كن على قبلة
بيت المقدس نتبعك ونصدقك وارادوا بذلك فتنة النبى صلى الله عليه وسلم فسماهم الله عز وجل سفهاء
لانهم نوافل ابراهيم والكعبة بناؤه ومع ذلك رغبوا عنها وقال بعضهم وانما سماهم سفهاء لانهم كانوا

ارباب

ارباب التقليد ويحبون ان يانسوا بموافقة النبى اباهم فى القبلة فلما تحولت القبلة استوحشوا
ذلك وقالوا ما ولاهم وقال الحسن هم مشركوا العرب لما حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة
من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة ابائك ثم رجعت اليها والله لترجعن الى دينهم قال
السدى هم المنافقون قالوا ما ولاهم استهزاء بالاسلام من حيث انه يميز بعض الجهات عن بعض من غير
دليل على زعمهم فحملوا امر النبى صلى الله عليه وسلم على العبث والعمل بالراى والتشهى والاقرب ان يكون الكل
داخلا فى الانكار عن التحويل والسفاهة التى ذكرها الله لانهم اعداء باجمعهم جبلت قلوبهم على الغيظ والتشفى
فاذا وجدوا مجالا للطعن لم يتركوا مقالا وقال ابو منصور كان وعد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه يحوله
الى الكعبة فاخبره بهذا وبما يقول له اليهود اذا حولت وكان هذا قبل ان يحول وقبل ان يقول له شيئا الا ترى
الى قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء ولو لم يكن له وعد بذلك لكان تقلب وجهه تعنتا منه وتحكما
عليه وليس لاحد على الله ذلك فدل على الوعد ثم قال وفيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان
اخبر على ما اخبر وكان كذلك فدل على انه علم ذلك بالله وقال ابو بكر قوله سيقول وان كان هذا
الاستقبال ولكن معناه سيواصل اليهود هذا القول ويدومون عليه طعنا فيكم والقول مما يمكن فيجوز الاخبار
عنه بهذه الصيغة بمعنى انه يجدد ويكرر انتهى وقال الحافظ جلال الدين السيوطى والاتيان بالسين الدالة
على الاستقبال من الاخبار بالغيب قوله عز وجل **ما ولاهم** اى اى شىء صرف النبى واصحابه يقال ولى
عن كذا اى انصرف عنه وولاه غيره اى صرفه فما على هذا كلمة استفهام لانهم استفهموا على جهة التعجب
والاستهزاء **عن قبلتهم التى كانوا عليها** اى كان النبى واصحابه معتقدين على استقبالها
والتوجه اليها وهى بيت المقدس وضمير الجمع فى قوله ما ولاهم للرسول والمؤمنين كما قررنا وهو المجمع عليه عند
المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل بعود الضمير فى كانوا الى السفهاء اى ما الذى صرف الرسول والمؤمنين عن القبلة
التى كان السفهاء عليها لانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهى الى المغرب وقبلة النصارى وهى الى
المشرق فكانهم قالوا كيف يتوجه احد الى غيرها من الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله
قل لله المشرق والمغرب اى هما بما فيهما من البلاد والارض كلها والجهات باسرها لله عز وجل ملكا
وملكا فيامر بالتوجه الى اى جهة شاء لا اعتراض عليه قال البيضاوى معناه ما صرفهم عن قبلتهم
التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت
عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة وقال فى معنى قوله لله المشرق والمغرب اى لا يختص به مكان دون
مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان انتهى وقال
الكواشى فى معنى قوله قل لله المشرق والمغرب اى انكم تصلون الى الكعبة وهى بالمشرق والى بيت المقدس
وهو بالمغرب وهما بما فيهما لله انتهى قلت تلخيصه قل يا محمد لله الامكنة والنواحى كلها ملكا وتصرفا
يامر عباده ان يتوجهوا الى اى جهة شاء شرقا او غربا فالطاعة له فى الايتمار بامره لا فى تعين التوجه
نحو المشرق والمغرب لهوى هو فيه او لتمنى تمنوه لان اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم
وكذا النصارى اتخذوا المشرق قبلة لهوى انفسهم والمسلمون اتبعوا الامر فى ذلك وذلك هو قبلة الله
كما قال **يهدى** اى يرشد **من يشاء** هدايته **الى صراط** اى طريق **مستقيم** اى دين الاسلام وانت

وامتك منهم قال الاستاذ واراد بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم القبلة التي اقتضت الحكمة في
هذا الزمان توجه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المودية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها
وقال ايضا واراد بالهداية المذكورة ما يرتضيه الحكمة ويقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة
والى الكعبة اخرى لا اعتراض عليه في ذلك لانه المالك وحده وقال ايضا معناه انه يرشد من يشاء
الى قبلة الحق وهي الكعبة التي امرها ابيهم ابراهيم فيتوجهون اليها حيث امروا به لا الى ما يهوى اهواهم ويتمناهم من غير امر
وفي الاية رد على المعتزلة لانه اخبر انه يهدي من يشاء فدل على ان اهتداء العبد بهدايته وعند المعتزلة
قد يشاء هدى العبد فلا يهتدي بتاكم وقال ايضا ولما كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس
ليتميزوا به من المشركين ولما انتقل الى المدينة وكان بها اليهود يتوجهون نحو بيت المقدس نقلوا الى الكعبة ليتميزوا
منهم كما تميز من اولئك وعن ابن عباس والبراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت قبلته نحو بيت المقدس
تصلي اليها مع اصحابه بعد مقدمه الى المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا وقال قتادة ستة عشر شهرا
وقال انس تسعة اشهر او عشرة اشهر وقال قتادة صلى الانصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم وجهه الله الى الكعبة وقال مقاتل وكان التحويل في رجب عند الظهر قبل قتال بدر بشهرين ونزل
حينئذ قد نرى تقلب وجهك في السماء وقال مقاتل بن حيان كان النبي واصحابه يصلون الى الكعبة سنتين
فلما هاجر امروا ان يصلي نحو بيت المقدس فصلى مدة معلومة ثم جعل الكعبة قبلة للمسلمين الى يوم القيمة وقال
ابو منصور والصلوة الى بيت المقدس كانت بالسنة اذ لا ذكر له في الكتاب وقال ابو يحيى الشافعي في
نزل اية التحويل صلى النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبة فلما عمل به صار نسخ السنة بالسنة مع الامر وعند الحنفية
الكتاب ناسخ للسنة سواء عمل او لا وقال الباقلاني وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه عز وجل
فعال لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد على من تصرف في ملكه كما يريد وان افعاله عز وجل لا يعلل بغرض
وان كانت لا تخلو عن فايدة وحكمة كما هو معلوم وكثير منها ما لا يهتدي عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد
يستنبطون بحسب افهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة
عقلية تدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجسام وقلما تنفك العقلية عن
الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في ادراك المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين
له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه يستقبله بوجهه ثم يشتغل
بالثناء والحمد فاستقبال القبلة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والثناء يجري مجرى الثناء عليه
والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا
يتاتى ذلك الا بتعيين جهة واحدة على التعيين واذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في
الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه عز وجل يحب الموافقة والالفة بين المومنين وقد من عليهم بذلك
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وتوجه كل مصل الى
جهة يتفق مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه عز وجل يقول يا مومن
انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي والجنة دار كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الى

وجهي

اهيئ دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمومنون استقبلوا مظهر
الانوار وهي مكة فيها محمد صلى الله عليه وسلم ومنه خلق الله الانوار ولاجله دار فلكه الدوار وايضا
المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وما بينهما قبلة ابراهيم ومحمد وخير الامور اوسطها وايضا
الكعبة سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى
الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة و
الكعبة قبلة المومنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي
من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحراء
كانه قال عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فاتيت الكعبة حاجا او معتمرا وتوجهت نحوها مصليا الصلوات
الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سبب الظهور دولة العرب كانت رغبتهم في توجهها
اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا نحن ارشدناكم الى القبلة ويكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل
تشويشهم وايضا الكعبة منشا محمد فتعظيمها تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه
بمقتضى حشمة المرء بكونه فنزل قوله فهذه هي الوجوه المناسبة قال احمد الكواشي ولما قالت اليهود
لمعاذ قبلتنا قبلة الانبياء وما تركها محمد الا حسدا وانه يعلم انا عدل بين الناس فقال معاذ نحن
على حق وعدل نزل قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى
معنى يهدي من يشاء اي كما انعمنا عليكم بالهداية اي كما جعلناكم مهتدين كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم
امة وسطا او كما هديناكم الى اوسط القبل واشرفها كذلك جعلناكم امة وسطا وقال بعضهم
واسم الاشارة راجع الى قوله ولله المشرق والمغرب والمعنى كما خصصنا بعض الجهات المتساوية بمزيد التشريف
والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا كذلك جعلناكم مختصين بالعدالة برا منا وامتنانا
مع تساوي الخلق في العبودية وقال بعضهم وقد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا
كان المضمر مشهورا معروفا نحو قوله انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور المعروف عند كل احد انه
عز وجل هو القادر على اعزاز من يشاء الى صراط مستقيم واذلال من يشاء الى ضده والمعنى ومثل الجعل
العجيب لا يقدر عليه احد غيري جعلنا امة وسطا وفي كتاب الجوهري يقال جلست وسط القوم
بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم فكل موضع يصلح فيه بين فهو وسط
بالسكون وان لم يكن يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء
وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير شعرا ❊ هم وسط يرضى الانام بحكمهم
اذا نزلت احدى الليالي بمعظم ❊ وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط
ولهذا ذكره الله عز وجل في معرض المدح والامتنان وقال بعضهم الوسط الخيار لانه لا يستعمل في
الجمادات قال الزمخشري اكتريت بمكة جملا من اعرابي فقال اعطني من سطاهن اراد من خيار الابل
ويويده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقال بعضهم المراد بالوسط ههنا انهم متو

فى الدين بين المفرط والمفرط والغالى والمقصر فى شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا عيسى ابنا
والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا التوراة وجعلوا عزيرا ابنا لله عز وجل وكان الوسط اسم
وصف به استوى فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمونث وقال ابو الخير الشيرازى واسم
الاشارة راجع الى مفهوم قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم والمعنى كما جعلناكم مهديين الى الصراط
المستقيم او كما جعلنا قبلتكم افضل القبل واشرفها كذلك جعلناكم امة وسطا اى خيارا عدولا متزكين
بالعلم والعمل والوسط فى الاصل اسم للمكان الذى يستوى اليه المساحة من الجوانب فى المدور ومن
الطرفين فى المطول كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود ثم استعير وجعل عبارة عن العدل
والخصال المحمودة وشبه به كل ما وقع بين طرفى افراط وتفريط كالجود المحمود بين البخل والاسراف والشجاعة
بين التهور والجبن ثم جعل عبارة عن المختار من كل شى حتى قيل فلان من اوسطهم نسبا فاستوى
فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث كساير الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ
لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لا نثلمت به عدالتهم انتهى قلت توضيحه ان الله جعل هذه
الامة عدولا والعدل هو الوسط المستحق للشهادة وقبولها ففيه الدلالة على جعل الاجماع حجة فاذا اجتمعوا
على شى وشهدوا به لزم قبوله بما شهدوا والشهادة فيه انه من عند الله وقع له ذلك وقال
استادى رحمه الله والمعنى كما هديناكم يا امة محمد الى صراط مستقيم صيرناكم امة وسطا وهذا وجه
النظم بما قبله والمعنى ايضا كما جعلنا قبلتكم خير القبلتين فى الدنيا فكذلك جعلناكم خير الامم فى العقبى والمعنى
ايضا ان عابكم السفهاء بما قالوا فى الاية المتقدمة فان الله يمدحكم فى هذه الاية وسموا وسطا لانهم
كالمتوسط بين الخصمين يعدل ولا يميل وكالوسط بين الشيئين المتساويين وسموا وسطا ايضا لان قبلة
النصارى الى المشرق وقبلة اليهود الى المغرب والكعبة فى الوسط وهى سرة الدنيا قال ابو عبيدة
الوسط الخيار قال الله تعالى قال اوسطهم اى خيارهم وافضلهم وقال احمد بن فارس الوسط بالفتح
من كل شى عدله وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الامة الوسط
العدل وهذه الامة لن يغلو غلو النصارى حيث مدحوا المسيح وهو عبد بالالوهية وبانه ابن الله
وبانه ثالث ثلثة ولم يقصروا تقصير اليهود حيث قتلوا الانبياء ووصفوا عيسى ومريم بما لا يليق ذكره
بل ذكروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة وبانه عبد اسرى به وبانه بشر ونحو ذلك ولا عبرة بما شاع
من بعض الجهلة مما لا يليق البحث عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم
ثم علل تعالى جعلناكم وسطا بقوله لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ان رسلهم قد بلغتهم وعلى
بمعنى اللام كما فى قوله تعالى وما ذبح على النصب اى للنصب والناس هم الانبياء ههنا كما فى قوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس اى ذكرت للانبياء وقيل كلمة على لحقيقتها ههنا والناس ههنا
هم الكفار وهم امم الانبياء الذين لم يومنوا وتقديره لتكونوا شهداء على الكفار للانبياء يوم القيمة
قال الله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فيقول الكفار ما جاءنا من بشير ولا
نذير ويقول الانبياء قد بلغناهم واذا انكر الامم احتاج الانبياء الى اثبات ذلك فيأتون محمدا صلى
الله عليه وسلم يلتمس كل رسول منهم طايفة من امته تشهد له على امته واذا شهدوا قال الكفار كيف

تشهدون

تشهدون ولم تكونوا فى زماننا فيقولون اخبرنا الله به فى كتاب نبينا كذبت قوم نوح المرسلين
وكذا فى ساير القصص وفى تفسير احمد بن يوسف الكواشى وفى الحديث انه يقال للكفار يوم القيامة
الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيقول الانبياء كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة
وهو اعلم اقامة للحجة عليهم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون للانبياء بالتبليغ فيقول
الامم من اين علموا وقد جاؤا بعدنا فتسأل امة محمد عن ذلك فيقولون انك ارسلت الينا رسولا
وانزلت الينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيزكى
امته ويشهد بصدقهم انتهى وفى تفسير شيخنا وروى البخارى وغيره ان الامم المكذبة تنكر
تبليغ الرسل فتشهد الرسل بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الامم من اين علمتم وانتم لم تكونوا موجودين
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه المنزل على نبينا فيؤتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مزكيا لهم
فيشهد بصدقهم وعدالتهم كما قال الله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا والحكمة فى هذه الشهادة تميز امة محمد فى الفضل على ساير الامم حيث يبادرون الى تصديق
الله وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدول بالنسبة الى غير العدل فلذا
تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة الامم عليهم وانما سمى هذه الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشى الذى اخبر الله عنه مثل الشمس بل اظهر فصح الشهادة عليه قال
ابن زيد والاشهاد اربعة الملئكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون وامة محمد خاصة
والجوارح قوله عز وجل وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا اى مزكيا لكم معدلا ولم يقل لكم باللام بل قال
عليكم بعلى مع ان شهادة رسول الله لهم لا عليهم لكن لما كان الشهيد بمعنى الرقيب والرسول كالرقيب
المهيمن على امته جىء بحرف الاستعلاء كقوله كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شى شهيد قال
ابو بيرو وانما عدى شهادته بعلى دون اللام مع انها لهم لا عليهم لتضمن معنى المراقبة لاشتراط كون
المزكى خبيرا بحال المزكى وفى ذلك غاية مدح لهم وقدمت صلة الشهادة اولا لان الغرض
اثبات شهادتهم على الامم واخرت اخيرا تخصيصا لهم بشهادة الرسول عليهم وبعبارة اخرى وانما قدمت
الصلة لاختصاص شهادته بهم ولا يقدح فى ذلك كونه شاهدا للرسل ايضا لان هذه تزكية وتلك
شهادة تبليغ على ان الحصر اضافى لان التقابل بين الامم لا بين امته والرسل وقال القفال والمفسرون
فى الاية ثلثة احوال احدها انها تكون منهم على قوم خاصة والثانى انها تكون على كفار امة هذه الدعوة وهى
دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والثالث انها تكون منهم على جميع الامم وقال ابو الخير فى معنى قوله
لتكونوا الى اخره اى لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه عز وجل ما بخل على احد
وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم او بعدكم وقال ايضا
بعبارة اخرى ولعل المعنى ليشهد كل قرن منكم على من يحدث فى عصرهم ومن بعدهم بالشرايع التى بلغتهم
ويكون الرسول شهيدا عليكم اى مبلغا اليكم شهيدا عليكم عن الله بما يوديه اليكم من شرايع دينه وتكونوا
انتم شهداء على الناس بالله والرسول باداء الرسول اليكم عنه انتهى وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ

Copyright King Saud University

عليها اى وما جعلنا الجهة التى كنت عليها اوّلاً وهى الكعبة ومعنى كنت عليها اى كنت على اعتقاد
استقبالها كما يقال فلان على دين كذا وعلى قول كذا قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اولاً وكان
يصلى حينئذ الى الكعبة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفاً لليهود ثم امر بالصلوة الى الكعبة
وقالوا ايضا المعنى وما صيرنا الجهة التى كنت عليها اوّلاً وهى الصخرة وذلك لقول ابن عباس كانت
قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بين نفسه وبين بيت المقدس ثم امر بالصلوة الى الكعبة
فافتتن بذلك قوم فنزل وما جعلنا القبلة فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ
والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك الا لنعلم الاية قال الكواشى والقبلة هى
المفعول الاول لجعل والمفعول الثانى له هو قوله التى كنت عليها وبعضهم يجعل الثانى محذوفا
ويجعل التى كنت عليها صفة المحذوف تقديره وما جعلنا القبلة القبلة التى كنت عليها والمعنى
وما رددناك الى القبلة التى انت عليها الآن الا لنعلم الاية انتهى وقال بعضهم والمعنى وما
جعلنا الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة كان صلى الله عليه وسلم يصلى اليها بمكة ثم امر بعده بالصلوة
الى الصخرة بيت المقدس لا تألفاً لليهود لانه مردود بالحصر المستفاد من تمام الكلام الآتى ذكره فانه
صريح فى ان جعل الكعبة قبلة ليس تألفاً لقريش على هذا الوجه وان جعل الصخرة قبلة ليس تألفاً
لليهود على الوجه لانه ثم حول الى الكعبة فالمعنى رددناك الى الكعبة وذلك لا يقتضى ان يكون القبلة المفعول
الاول والتى كنت عليها المفعول الثانى كما توهم بل يجوز ان يكون على العكس اى صيرنا الجهة التى كنت
عليها اوّلاً ثم صرفت عنها الى بيت المقدس قبلتك اى وما جعلنا الجهة التى كنت عليها وهى الصخرة
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما
جعلنا قبلتك بيت المقدس الا امتحاناً وابتلاءً للناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته
صلى الله عليه وسلم بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وبالاد لا له فى هذا على احد المعنيين
المذكورين بخصوصه كما لا يخفى انتهى مقالة البعض وكان شيخنا يقول والبعض هو كمال باشا زاده و
اكثر منقولاته من الحواشى وقد يصيب وقد يخطئ وجانب الخطأ اكثر انتهى وقال ابو الخير والجعل هنا
بمعنى التصيير وهو يقتضى اضمار المفعولين تقديره وما صيرنا القبلة التى كنت عليها وفى تفسير النيسابورى
وقيل ان هذه الشهادة فى الدنيا وذلك ان الشاهد فى عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ
مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر
قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان تكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم فى الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم
بلفظ الماضى فلا اقل من حصولها فى الحال ثم كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء فى الدنيا
فان قيل لعل التحمل فى الدنيا ولكن الاداء فى الاخرة قلت المراد فى الاية الاداء بان العدالة انما تعتبر
فى الاداء لا فى التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق فى نفسه بل بمعنى
ان هيئتهم الاجتماعية تقتضى كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل مع ذلك
لهم الشهادة فى الاخرة فيجرى الواقع منه فى الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل
ومن الراد ثم يشهدون بذلك يوم القيمة كما ان الشاهد على العقود يعرض ما الذى تم وما الذى لم
ثم يشهد

ثم يشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول
الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا ويزكيكم ويعلم بعدالتكم انتهى وقال ابو الخير والجعل هنا بمعنى
التصيير وهو يقتضى اضمار المفعولين تقديره وما صيرنا القبلة التى كنت عليها قبلة الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه اذا حولناك عنها الى الكعبة وقيل جعلنا بمعنى نصبنا وشرعنا كما فى قوله
ما جعل الله من بحيرة اى ما شرع فلا يقتضى الا اضمار وقيل المضمر واحد اى وما جعلنا تغيير القبلة التى
كنت عليها او صرفك عنها او تحويلها كما فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة اى وما جعلنا
ذكر الرؤيا او خبرك عن الرؤيا اذ لا فتنة فى نفس الرؤيا وقال الاستاد والجعل فى القران يجى على
قريب من عشرين وجها **الا لنعلم من يتبع الرسول** فى امر القبلة **ممن ينقلب على عقبيه** كا
اى وما رددناك الى القبلة الاولى وهى الكعبة الا امتحانا وتمييزا بين الصادق فى اسلامه الثابت على
ذلك فيوافقك ويصدقك وبين الناكص الراجع المتزلزل فيرجع عن الاسلام لقلقه وضعف ايمانه
فيخالفك ولا يصدقك فيما انت عليه قال ابو الخير فان قيل كيف يكون علمه عز وجل غاية للجعل وهو
لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق
علمنا به موجودا انتهى وقال ابو يوسف الشافعى والاولى ان يقول اراد بالعلم العلم المتعلق به الجزاء وذلك
لا يتعلق الا بما يوجد من العامل او اراد بالعلم علم الظهور اى علم رسول الله واصحابه والمعنى ليظهر علمنا على
مظاهر الرسول واصحابه ويظهر عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه وانما عبر عن الظهور المذكور بالعلم
المسند الى ذاته تجوزا لانهم خواصه واهل الزلفى والقرب عنده تعظيما لهم وبهذا المعنى يندفع ما قيل
كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما واما التأويل بانه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء
والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا فليس بشئ لان علمه عز وجل به موجودا فى وقت وجوده لم يزل ايضا فانه
عز وجل كان عالما فى الازل بهم وبكل حال من احوالهم التى تقع فى زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذى
يقع فيه تلك وقال ابو بشر المراد بالعلم التمييز والمعنى ليميز التابع الثابت عن الناكص المتزلزل لقوله
ليميز الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم سبب التمييز ويشهد له ما قرئ ليعلم مجهولا قال
سيف الدين التبريزى الشافعى والمعنى عندى وما جعلنا القبلة التى انت عليها الآن ثابتة ابدا غير منسوخة
الا لنعلم الثابت على الاسلام من الناكص عنه بتخصيصه لم نفعل ذلك الا امتحانا واحتجاجا بالحجة عليهم لانه
ثبت فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة اخرين ولقد ارتد جماعة عن الاسلام عند تحويل القبلة
قال ابن جريج بلغنى انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير
رايه والمعنى على هذا لنميز اهل الشك من اهل اليقين وقال السدى لما توجه الى الكعبة قالت اليهود
ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس
وقال اخرون اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير فى امر دينه وقد كان فى توراة موسى انه
صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والعلم اما بمعنى المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا
عنها العلم كقولك علمت ازيد فى الدار ام عمرو الى هنا كلام التبريزى وقال والد التبريزى فى معنى الاية
الا لنعلم كائنا ما علمناه قبل كونه انه سيكون لان الله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها انها ستكون وبعد الكون

Copyright … University

بعلمها كاينة وبعدما يمضى يعلم انها كانت وقال ايضا الحوفى ان يقال يعلم من السكون فى حال السكون
حركة ومن المتحرك فى حالة الحركة سكونا ويعلم من الجالس قياما ومن القيام جلوسا لانه وصف بعلم
ما ليس وهو محال انتهى وقال النيسابورى واللام فى لنعلم ليست لاجل التعليل والغرض وانما هى
لتقرير الحكمة والغاية التى يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب
ان معناه ليعلم حزبنا من النبى والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده والعرب تضيف
فعل الاتباع الى المتبوع كقولهم رسول الله ما غزا وقتل ابو بكر الصديق اهل الردة وفتح عمر السواد وعن
بعض العرب انى اجوع فى غير بطنى واعرى فى غير ظهرى يعنى عيالهم وخدمهم وقال ابن عباس معنى
لنعلم اى لنرى وقال عمر ابن على والمعنى الا لنعاملكم معاملة من يمتحن ليعلم وقال فى قوله ممن ينقلب
على عقبيه هو مجاز عن الارتداد اى يرجع من الدين الحق الى الكفر شكا فى الاسلام وظنا ان النبى صلى
الله عليه وسلم فى حيرة من امره والعقب على ما قاله الاصمعى ما اصاب الارض من مؤخر الرجل الى موضع الشراك
وفى ذكر العقبين استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى والمنتهى ان الانقلاب على العقب
بادنى قلق اسوء حال الراجع فى مشيه وفى تثنية العقب تقوية لمساءته وزيادة فى سوء حاله وان
كانت لكبيرة وان هى المخففة من المثقلة التى يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية واوجب البصريون
كون الفعل الذى دخلت هى عليه من باب كان او علم ويبطل عمل ان فى الظاهر وكذا فى التقدير فلا يقدر
ضمير الشان كما يقدر فى ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير المستتر العايد
الى القبلة اى وان كانت القبلة لكبيرة لان القبلة هى المذكورة او الى ما دل عليه الكلام السابق من التولية
فى قوله ما ولاهم او الجعلة فى قوله وما جعلنا القبلة او الردة قال الكواشى والصلوة وان هى المخففة و
اللام فى لكبيرة عوض من اسمها او فارقة بينها وبين المشددة وزعم بعضهم ان ان بمعنى ما النافية واللام
بمعنى الا ويابى ذلك القياس والسماع انتهى وقرى لكبيرة بالرفع على زيادة كان والاصل ان هى لكبيرة
كقولك زيد لمنطلق وكقوله وجيران لنا كانوا كرام وقال البيضاوى وقال الكوفيون هى النافية
واللام بمعنى الا وفى الغاية وقد سهى من قال ان اللام عوض عن اسم ان وقال بعضهم ان ان مع
اللام بمعنى قد واللام بمنزلة القسم تقديره وقد كانت كبيرة والله وقال السيوطى واسم ان محذوف
اى وانها وضمير كانت للتولية ومعنى لكبيرة اى لشاقة ثقيلة مستنكرة للناس كقوله كبرت كلمة تخرج
من افواههم لان من الف شيئا ثم فارقه شق عليه بيانه ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالانفكاك
عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الاباء والاسلاف عسير وان وقع الامتحان بالتحويل اى بنفس
القبلة فهو مبنى على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب اعتقاد حقيته الا على
الذين هدى الله حس استثناء من محذوف اى لكبيرة على الناس الا على الذين هدى الله الى حكمة
الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وبعبارة اخرى اى الا على الذين وفقهم الله لاتباع امره والانقياد
لحكمه ومخالفة طبعه لموافقة شرعه وهم التابعون المخلصون وبعبارة اخرى على ان الراجع محذوف اى الا
الذين هديهم الله ممن ينقلب على عقبيه الى الثبات على دين الاسلام بان نصب لهم الدلايل اولا ثم جعلهم
منتفعين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل قال احمد بن يوسف وعلى الذين متعلق بقوله لكبيرة

ودخلت

ودخلت الا للمعنى ولم تغير اعرابا وما كان الله ليضيع ايمانكم ع اى ما كان الله ليضيع
ثواب صلوتكم الى بيت المقدس قبل التحويل الى الكعبة بل يثيبكم عليه لان سبب نزولها السؤال عمن
مات قبل التحويل روى البخارى عن البراء قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا قبل التحويل فنزلت قال
البيضاوى معناه ما كان لنضيع ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها
روى انه عليه الصلوة والسلام لما وجه الى القبلة قالوا كيف من مات يا رسول الله قبل التحويل من
اخواننا فنزلت انتهى بحروفه وقال احمد الكواشى فى معنى ايمانكم اى صلاتكم لان الصلاة لا تكون الا
بالايمان ويستدل بهذا ان العمل من الايمان وقال صلوتكم خطابا بالمؤمنين المعاصرين واراد صلوة الاحياء
والاموات تغليبا للاحياء الحضور على الاموات وفى التيسير روى ان حيى بن اخطب واصحابه قالوا
للمسلمين اخبرونا عن صلوتكم نحو بيت المقدس اكانت هدى ام ضلالة فان كانت هدى فقد تحولتم عن الهدى
وان كانت ضلالة فقد تعبدتم الله بها وان من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة فقال
المسلمون انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما قولكم على من مات منكم على قبلتنا
وكان مات قبل ان تحول القبلة اسعد بن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من
النقباء ومات رجال اخر فانطلق عشايرهم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم توفى اخواننا وهم يصلون
الى القبلة الاولى وقد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا فانزل الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلوة ايمانا لان وجوبها على اهل الايمان وقبولها وصحتها من
اهل الايمان انتهى وقال بعضهم ان الصحابة لم يرتابوا فى قبول صلاة من صلى الى الصخرة وماتوا
قبل التحويل بل كان سؤالهم على تحسر ثواب القبلتين اشفاقا عليهم وانما قلنا لم يرتابوا لان الصحابة
كانوا عاملين بامر الله وامر رسوله وبصحة صلوتهم فسؤالهم ليس من الشك فى حقية النسخ فى شىء وانما
هو لاجل الاطمينان وبرد اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنون
عن ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب
الاموات والاحياء جميعا فان النسخ حق فى وقته كما ان الناسخ حق فى وقته سواء عمل المكلف بهما فى
وقتيهما ولم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ انتهى كلام البعض وهو احمد المصرى وقال
بعضهم الخطاب للمؤمنين المعاصرين للنبى واللام لتاكيد النفى الداخل فى كان ينتصب المضارع بعدها
بتقدير لن اى لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم ترتابوا بل يشكر صنيعكم واعد لكم
الثواب الجزيل والاجر العظيم وقال ايضا يجوز ان يكون المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف ليلا
يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا يحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك فى ابى تراب
فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلى منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب
الناس اليه واحبهم وقرى ليضيع بالتشديد اضاع الشىء اضاعة اهلكه واضعته وضيعته اهلكته
واللام فى قوله ليضيع متعلقة بخبر كان المحذوف تقديره وما كان الله مريدا لان يبطل
صلوتكم وصلوة امواتكم الى بيت المقدس ثم علل ذلك بكسر الهمزة فى ان فقال ان الله بالناس
لرءوف رحيم القراءة لرءف بهمزة من غير واو والقراءة ايضا بهمزة مضمومة وبعدها واو ساكنة

Copyright King Saud University

والرافة اشد من الرحمة وهى صفة مشبهة ولذلك قدم الابلغ للفاصلة ولدلالته على اللزوم وثبات
قيل ذكر الرحيم بعد الرافة للتتميم قال الاستاد الرحيم اعم والروف ابلغ ولذلك جمع بينهما لا بناء
ولذلك ايضا بدا بالابلغ وختم بالاعم ومعناه انه برافته ورحمته لا يضيع اجر عملهم
المخلصين جميعا ولا تدع صلاحهم حيث نقلهم من شرع الى شرع هو اصلح لهم ولا يوجب عليهم اعادة الصلوة بعد النسخ
فمن كان اقبل للفيض كان الاثر عليه الاظهر وقال ايضا وانما قدم الروف على الرحيم لان الرافة
انما يكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الآفات والنقايص التى يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة
الكمالات والسعادات التى بها يستحق الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا يكون
التحلية الا بعد التزكية ثم ان الله وصف نبيه بقوله بالمومنين روف رحيم ووصف نفسه بقوله
ان الله بالناس لروف رحيم وهو يعم الكفار والمومنين وذلك فى حق الكافر فانه يرزقه ويمهله واذا
اتاه يقبله واذا مرض يشفيه ويعافيه واذا مات على الكفر يخلده فى النار وذلك فى حق المومن اعظم لانه
اذا مات على الايمان يدخله دار كرامته مخلدا فيها واما رافة محمد ورحمته بالمومنين خصوصا فهى كاينة
من الله قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية ومن كمال رحمة الله انه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم اخبر عز وجل ان الكفار يستعجلون العذاب ولو كان
امره كله الى النبى لاهلكهم فلا ارأف ولا ارحم من رب العالمين هو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة احب التوجه الى الكعبة مصليا فجعل ينظر الى السماء رجاء
ان ينزل عليه الوحى بالتوجه اليها من غير سوال باللسان لانه سيد المتادبين وقد قال ابراهيم حسبى
من سوالى علمه بحالى ولانها قبلة ابراهيم واقدم القبلتين ومفخر العرب وامنهم وادعى لهم الى الايمان
ولئلا يظن اتباعه اياهم وايضا انه كان يتمنى ذلك لمخالفة اليهود لانهم كانوا يقولون انه يخالفنا
فى ملتنا ويتوجه الى قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل نزل قوله عز وجل **قد نرى تقلب
وجهك فى السماء** هذا مستقبل لفظا ماض معنى ومتاخر تلاوة متقدم معنى لانه اول القصة وفى
تقدم القصة وان كان هو راسها واولها لما قلنا انه متقدم معنى وهذا اول ما نسخ من امر القبلة وقد
كلمة تاكيد وتحقيق والتقلب التردد والتصرف والتطلع والتشوف وتقلب الوجه ابلغ من تقلب العين
على ان الوجه يريد به العين كما لا يخفى والمعنى وقد شاهدنا وعلمنا كثرة تردد وجهك وادامة نظرك فى
جهة السماء تطلعا للوحى وانتظارا لتحويل القبلة الى الكعبة وانما قلنا كثرة تردد وجهك كما قال البيضاوى
ربما ترى لانا قد هنا للكثرة وان كان فى الاصل للتقليل قال الشاعر قد اترك القرن مصفرا اناملة
كان اثوابه مجت بفرصاد **فلنولينك قبلة ترضيها** واللام فى اوله والنون فى اخره للقسم اى فلنعطينك قبلة
ولنمكننك من استقبالها والتوجه اليها من قوله وليته كذا اذا صيرته واليا له اى جعلته واليا متمكنا
عليه او لنحولنك الى قبلة ونجعلنك تلى سمتها وجهتها من الولى وهى الكعبة دون غيرها كبيت المقدس
وقبلة مفعول ثان لقوله فلنولينك **ترضيها** اى تحبها وتهواها وتميل اليها لمقاصد دينية ومصالحها
التى وافقت تلك المرادات والاغراض مشية الله وحكمته وقيد الرضا للدلالة على ان التولية كانت
رعاية لرضاه صلى الله عليه وسلم فلا دلالة فيه على كراهية استقبالها الى صخرة بيت المقدس وهذا
كما تقول

وهذا كما تقول لصاحبك اعطيك شيئا ترضاه وان لم يظهر منه الكراهة فى غير ذلك ودلت الاية على عظم
قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله حيث جعل الكعبة قبلة له على موافقة محبته ورضاه وقد تقدم
انه كان يحبها لانها كانت قبلة ابراهيم الى اخر ما مر ولما نزل قوله عز وجل ترجى من تشاء منهن وتؤوى
اليك من تشاء قالت عايشة رضى الله عنها يا رسول الله اما ان ربك ليسارع لك فى رضاك **فول وجهك**
اى اصرف وجهك يعنى استقبل فى الصلوة بوجهك قال النيسابورى فى معنى قوله فول وجهك اى
كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر
لانه اشرف اعضايه وبه يتميز الاشخاص بعضهم عن بعض انتهى وقال النيسابورى ايضا وعن
ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل وددت ان الله تعالى صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها
فقد كرهتها فقال له جبريل انا عبد مثلك فسل ربك فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء
مجى جبريل بما سئل فنزلت وانما احب اليه صرف وجهه عن قبلة اليهود لما تقدم ان اليهود كانوا يطعنون
فيه ويقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل فلما عن قوله لله المشرق
والمغرب فكره النبى قبلتهم لقولهم وطعنهم ولا يبعد انه يميل طبعه الى شى ثم يتهيا فى قلبه اذن الله
فيه انتهى قلت والظاهر من هذا انه كان يصلى الى الصخرة باجتهاده من غير امر وقال النيسابورى
ايضا وقيل انه استاذن جبريل فى ان يدعو الله فاخبره بان الله عز وجل قد اذن له فى الدعاء وكان
يتقلب وجهه فى السماء وينتظر مجى جبريل للاجابة وعن الحسن ان جبريل اخبره بان الله تعالى يحول
القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للتحويل اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكعبة فكان ينتظر الوحى بذلك وعلى هذا فقيل ان الله نهاه عن استقبال بيت المقدس ولم يعين
له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة ولذلك كان يقلب وجهه وعن الاصم وقيل
بل وعد بصرف وجه نبيه الى الكعبة وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل انه
كان يقلب طرفه الى السماء وهذا اولى والا لم يكن القبلة ناسخة للاولى بل كانت مبتداة لكن المفسرين
اجمعوا على انها ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يومر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلفوا فى ان التوجه
الى صخرة بيت المقدس هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان للنبى صلى الله عليه وسلم مخيرا فى توجهه الى صخرة
بيت المقدس والى غيرها نعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب ولما روى
ان قوما قصد وا من المدينة الى مكة للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم فى الطريق لصلوته الى الكعبة لكونها
اقدم القبلتين ولكونه قبلة ابراهيم وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سالوا النبى صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس انه كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه
كان مخيرا بين صخرة بيت المقدس وبين الكعبة وفى التيسير وقال ابو منصور وعن الحسن البصرى
انه كان حبب اليه الصلوة حتى كان لا يصبر عن الصلوة وكان قد نهى عن الصلوة الى صخرة بيت المقدس
ولم يومر بعد بالتوجه الى غيرها فكان يقلب وجهه الى السماء رجاء ان يومر بالتوجه الى غيرها انتهى ومعنى
قوله **شطر المسجد الحرام** اى نحوه وناحيته وشطر منصوب على الظرفية اى اجعل وجهك فى
جهة المسجد الحرام والمسجد الحرام هو المسجد الكبير الذى فيه الكعبة وقيل هو الحرم كله وليس بشى والصحيح

Copyright King Saud University

عندنا انه اراد به عين الكعبة لما ثبت فى اكثر الاحاديث كذلك والمعنى فلنحولنك نحو الكعبة وقيل
الشطر فى الاصل اسم لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر قال البيضاوى والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع
عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه صلى الله عليه وسلم كان فى المدينة والبعيد يكفيه
مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه الصلوة والسلام قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر
بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل
الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين انتهى وقال النيسابورى من ائمتنا وشطر
المسجد الحرام اى نحوه وجهته قاله جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم
ان الشطر نصف الشئ كما فى الحديث الطهور شطر الايمان وتعدادها اكثر شطر دهرها لا تصلى والكعبة
واقعة من المسجد فى النصف اى فى الوسط من جميع الجهات والجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان
الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وزيف بالفرق بين النصف وبين المنتصف والمكلف ماموره بالثانى
دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقباء فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم
قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا
الى الكعبة وفى الموطا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت
المقدس ثم حولت القبلة قبل قتال بدر بشهرين واختلفوا فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن
ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق
والمغرب وهذا قول مالك وقال اخرون القبلة هى عين الكعبة لما اخرج فى الصحيحين عن ابن جريج
عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعى
فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج منه ركع ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد
وردت اخبار كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال
اخرون القبلة هى المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند امامنا الشافعى فى اظهر قوليه ان يستقبل
المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظاهر قوله عز وجل وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله
صلى الله عليه وسلم هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم عين الكعبة من النبى صلى الله عليه وسلم بلغ مبلغ
التواتر وتوقيف صحة الصلوة وهى من اعظم شعار الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد
شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة امر معلوم غير مشكوك فيه والاخذ
بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة وبعض القول الاخر للشافعى فمحاذات جهة الكعبة كافية
لان فى استقبال عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان
الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر هو الجانب واكتفى به فى الاية ولان اهل قباء استداروا
الى الكعبة فى اثناء الصلوة فى ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة حيث انها تحتاج
الى النظر الدقيق لم يتات لهم ثم لم ينكر عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وسمى مسجدهم بذى القبلتين
ولان

ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا بالدلايل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها
من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا يتم الواجب الا به فهو
واجب فلزم ان يكون تعلم تلك الدلايل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى
التعبد واصابة العين للبعيد غير بعيد فان من نقطتين فى الارض ولا فى السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما الخط
وهذا يعرف بالدايرة الهندية وغيرها من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وهو علم براسه ولمعرفة القبلة
امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهى اما ارضية وهى الجبال والقرى والانهار او هوائية وهى الرياح او سماوية
وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل
او شماله او قدامه او خلفه وكذلك الرياح قد تهب فى بعض النواحى من صوب معين واما السماوية ففى النهار
لا بد ان يراعى قبل الخروج من البلد الشمس عند الزوال هل هى بين الحاجبين ام على العين اليمنى ام اليسرى
ام تميل الى الاكثر من ذلك فان كثر البلاد الشمالية قلما يتجاوز هذه المواضع وكذلك يراعى وقت العصر
ويعرف وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هى مايلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت
العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق الشمس ويحتاط مشرق الصيف والشتاء ومغربهما
وبالليل يستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرفه انه على قفا المستقبل او على منكبه الايمن او الايسر
فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلايل فى بلدته فليعتمد
عليها فى الطريق كله الا اذا طال السفر فحينئذ اذا انتهى الى بلد يسال اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب الى ان يجد
وهو مستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى ساير طريقه ومعرفة دلايل القبلة فرض عين ام فرض
الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كاركان الصلوة وشرايطها انتهى وقال صاحب غاية
الامانى ليس فى ذكر المسجد دلالة على ان الجهة كافية للبعيد كما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك والشافعى
فى احد قوليه اى غير الاظهر لانهم لا يريدون بالجهة المسجد الحرام بل تدل على عكسه لان مستقبل المسجد هو
مستقبل الكعبة كالخطوط المستقيمة من محيط الدايرة الى المركز فان كانت اوسع دايرة بتصور والتكليف
بحسب الامكان فان امكن اصابة العين يقينا كداخل المسجد فذاك والا فظنا ولا حرج فى ذلك فلا يرد
التوجه الى اطراف الدايرة ولا النصف المستطيل لانه اما ظان للاصابة او لا فعلى الاول مصيب وعلى الثانى
لم يات بما كلف به وروى البخارى ومسلم عن ابن عمر بينما الناس يصلون صلوة الصبح فى مسجد قباء اذ جاء
رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل عليه القران بالتوجه الى الكعبة وكانوا فى الركوع فداروا كما هم
قبل البيت وما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى الصلوة فسهو واستدل به على قبول خبر الواحد انتهى
وقال الكواشى وقرئ تلقاء المسجد الحرام اى المحرم والمراد الكعبة وفى ذكره المسجد الحرام دون الكعبة
دليل على ان الواجب استقبال الجهة دون العين خصوصا فى حق من بعد ونزل تحويل القبلة فى رجب بعد الزوال
قبل بدر بشهرين والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى بهم ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة
واستقبل الميزاب وجعل النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فسمى ذلك المسجد ذا القبلتين او كان
خارج الصلوة بين الصلاتين ووصل الخبر الى اهل قباء وهم فى صلوة الصبح وكانت وجوههم نحو الشام فاستداروا
نحو الكعبة وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره هذا خطاب لجميع الامة بعدما خص النبى به وفيه اشعار

Copyright © King Saud University

تقديره اى وفى اى موضع كنتم من بر وبحر واردتم الصلوة فولوا وجوهكم فيها نحوه واين وجدت حيثما
يجوز ان تكون شرطا وغير شرط ولا تكون شرطا مع غيرها فان جعلتها هنا شرطا فجوابه فولوا وجوهكم
شطره قال النيسابوري ولا تكرار ههنا لان الاول خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهنا خطاب
للامة او لان الامة قد دخلت فى الاول تبعا للنبى صلى الله عليه وسلم واحتمل ايضا ان يكون الخطاب مختصا به فى
الاول ولاهل المدينة بالتبعية وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض ولا بد من الاجتهاد فى
التيامن والتياسر فى غير محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان محرابه بالمدينة نازل منزل الكعبة لانه لا تقرر
على الخطا فهو صواب قطعا وكذلك البقاع التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ضبط المحراب كمحراب مسجد
قبا وانما قلنا ولا بد من التيامن والتياسر لان الخطا فى ذلك يقع كثيرا وقد شاهدنا فى نفس المسجد الحرام
من يصلى الى بين زمزم وابى قبيس وقعيقعان واما الخطا فى الجهة فبعيد وقال عبد الله بن المبارك
كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو انتهى واعلم انه لا بد من معرفة الزوال والقبلة لاهل
الصلوة ولا يمكن ذلك الا بالادلة وقد بينه ذلك مرشد العارفين شيخنا وقدوتنا الى الله محى الدين عبد القادر
الجيلانى قدس سره فى غنيته ما نصه واعلم انك اذا اردت ان تعرف وقت الزوال فقس الظل بان تنصب
عمودا فى موضع من الارض مستويا معتدلا ثم علم على منتهى الظل بان تخط خطا ثم انظر اينقص الظل
ام يزيد فان رايته ينقص علمت ان الشمس لم تزل بعد واذا رايته قايما اى واقفا لا يزيد ولا ينقص
فذلك قيامها وهو نصف النهار ولا تجوز الصلوة حينئذ فاذا اخذ الظل فى الزيادة فذلك زوال الشمس
فقس من حد الزيادة الى طول ذلك الشى الذى قست به طول الظل فاذا بلغ الى اخر طوله فهو اخر
وقت الظهر فاذا زاد شيئا يسيرا فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشى مرة اخرى فذلك
اخر وقت العصر ثم يبقى وقت الضرورة الى قبل غروب الشمس وكذلك تفعل بقيامك فتعلم على موضع ظلك
فان نقص علمت انه لم تزل الشمس وان وقف فهو حال القيام وان زاد فهو الزوال وطول كل ادمى سبع اقدام
بقدمه ومعرفة ذلك انك تقوم مستقبلا للشمس بوجهك ثم تامر انسانا يعلم طرف ظلك بعلامة ثم تقيس
من عقبك الى تلك العلامة فان كان بينهما اقل من سبعة اقدام سوى ما زالت الشمس عليه من الظل فتعلم انك
فى وقت الظهر وان وقت العصر لم يدخل بعد فاذا زاد الظل على سبعة علمت دخول وقت العصر
وهذا الذى ذكرنا من الاقدام ونصب العود يختلف فى الشتاء والصيف فيزيد الظل وينقص فالزيادة
تكون فى الشتاء لان الشمس تكون فى مسامتة الشخص لانها تسير فى ذيل السماء ولا ترتفع الجو ونقصانه
يكون فى الصيف لان الشمس ترتفع الى الجو فتشرف على الاشخاص لانها اول ما تصعد تكون من جانب السماء
فيمتد ظلها لمقابلة قرصها فكلما صعدت قصر الظل الى ان ينتهى فى الارتفاع فتكون فى كبد السماء وهى حالة
قيامها فاذا اخذت فى الانحدار وهو النزول نحو ما يلى مغربها فياخذ الظل فى الطول فهو الزوال وكذلك يختلف
ذلك فى البلدان فما كان منها تحت وسط الفلك كمكة وما حواليها من البلدان قصر ظل الشمس فيه حتى لا يبقى
للشخص ظل اصلا وما كان بعيدا عن وسط الفلك كخراسان وما والاها من النواحى فان ظل الشمس يطول
صيفا وشتاء فيكون صيفها كشتاء غيرها فى طول الظل فقد يزول فى تلك البلاد على قدم واحد واعلم ان معرفة
الزوال على التحقيق امر يدق ويصعب وقد ورد فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل جبريل عليه الصلوة والسلام

ارايت

ارايت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال من قولى لك لا نعم قطعت الشمس من الفلك خمسين الف فرسخ
فكان النبى صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله تعالى لكن انك اذا استقبلت القبلة فكانت
على حاجبك الايمن فى الصيف فقد زالت بلا شك فصل الظهر فاذا صار ظل كل شى مثله فهو وقت
العصر فان كان الشمس على حاجبك الايسر فى الصيف ايضا وانت مستقبل القبلة فاعلم انها لم تزل
بعد فاذا كانت بين عينيك فهو قيامها واستواؤها فى كبد السماء وقد يجوز انها قد زالت اذا كان
فى اول الشتاء وقصر النهار واما اذا كانت على حاجبك الايمن فيكون قد زالت فى جميع الازمنة لانه
اذا كان ذلك فى الصيف فهو اول وقت الظهر وان كان فى الشتاء فهو اخر وقت الظهر وان كانت
على حاجبك الايسر فى الشتاء فقد يجوز انها قد زالت لقصر النهار فى اول الشتاء ولا يجوز فى اول الصيف
لامتداد النهار وطوله واذا كانت بين عينيك فى الشتاء فقد زالت بلا شك فاذا صارت الى حاجبك
الايمن فهو اخر وقت الظهر وهذا لاهل اقليم العراق وخراسان الذين يصلون الى الركن الاسود وباب
البيت من جهة الكعبة واما اهل اليمن والمغرب ومن يليهم فعلى ضد ذلك لانهم يصلون الى الركن اليمانى
وعرض الكعبة فلذلك اختلف التقدير فاذا عرفت الزوال واردت ان تعرف القبلة فاجعل ظلك على
يسارك فانك تكون حينئذ مستقبل القبلة فاعلم ذلك مختصرا بلا تعب انتهى ما ذكره الشيخ الامام عبد القادر
الجيلانى قدس سره الذى اتفق البر والفاجر على جلالته وصدقه وامانته وتواتر كراماته حشرنا الله تعالى واحبابه
فى زمرته امين وقد ذكر الامام الغزالى دايرة فى احيايه فى معرفة الزوال فراجعها لتلك تفهم مطلوبك منها
ولما قالت اليهود والنصارى فى تحويل القبلة هذا امر يبتدعه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه
نزل قوله **وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم** اى وان اليهود والنصارى
ليعلمون ان التولى والتحويل الى القبلة التى دل عليه قوله فلنولينك قبلة وهى الكعبة للحق الثابت من ربهم
لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم ومبعثه وهجرته ومن انه يصلى الى القبلتين ببشارة انبيايهم لهم
او ليعلموا انما نوليه وما نفعله من تحويلك الى القبلة هو الحق الثابت لعلمهم انه نبى وانه لا ياتى الا بالحق عن
السدى اراد بقوله اوتوا الكتاب اليهود خاصة والكتاب التورية وضمير انه للرسول اى انه مع شرعه
ونبوته حق فيشمل تحويل القبلة وغيرها او لتحويل القبلة بالخصوص وهذا انسب بالمقام قال البيضاوى
معناه ليعلمون انه الحق من ربهم جملة اى اجمالا لعلمهم ان عادته عز وجل تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه انتهى قال استادى والمعنى لعلمهم
انه الحق من ربهم لما فى الكتب السالفة اى المبشر به يصلى الى القبلتين لا لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة
اذ لا دليل على ذلك كيف والقبلة منحصرة فى الكعبة وبيت المقدس فى الشرايع كلها انتهى **وما الله بغافل
عما تعملون** قرا ابن عامر وحمزة والكسائى بتاء المخاطبة لانه وعد بالثواب لامتثال امر الله حيث تحولوا الى
الكعبة وقرا الباقون بياء الغيبة لانه وعيد لليهود بالعقاب لانكارهم امر القبلة عتوا وتمردا **ولئن
اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية** اى والله لو جئت جميع اليهود والنصارى لعموم قوله اوتوا
الكتاب او علماءهم ورؤساءهم الذين ذكرهم فى الاية المتقدمة فى قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومعنى قوله
بكل اية اى بكل معجزة وبرهان وحجة طلبوها منك حيث قالوا ائتنا باية على صدقك فى دعوى رسالتك

واثبات قولك ان الكعبة قبلة ما تبعوا قبلتك اى ما يتبعون قبلتك للصلوة اليها ولم يومنوا
برسالتك عنادا وتمردا ومكابرة قال الحسن الاية فى جميعهم فلا ينافى اتباع بعضهم وقال
بعضهم الاية لقوم باعيانهم علم الله منهم انهم لا يومنون ولا يتبعون قبلة النبى صلى الله عليه وسلم وهم الذين
ختم الله على قلوبهم قالوا واللام موطئة للقسم دخلت على ان التى هى للشرط وما تبعوا قبلتك جواب
لقسم مقدر والقسم مع جوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما
خالفوك مكابرة وعنادا وقد يكون جواب القسم ما كما فى هذه الاية اى ما تبعوا قبلتك وكما فى قوله
والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وقد يكون بان المشددة كما فى قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
وقد يكون باللام المفتوحة كما فى قوله تعالى فوربك لنحشرنهم وقد يكون بان المخففة كما فى قوله تعالى تالله
ان كنا لفى ضلال مبين وقد يكون بلا كما فى قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال احمد بن يوسف الكواشى
واللام موطئة لقسم محذوف وهى متصلة بحرف الشرط او جواب القسم ما تبعوا قبلتك وقد سد مسد جواب
الشرط او جواب الشرط ما تبعوا فهو ماض بمعنى المستقبل اى ما يتبعوا قبلتك لان جواب الشرط انما هو بالمستقبل
وحذفت الفاء من الجواب لان فعل الشرط ماض والفراء يشبه ان هنا بلو فلذلك اجيب بما لان كل واحد
منهما لا يتم الا باخره وفيه بعد لان ان للمستقبل ولو للماضى والمعنى ان الكفار كلهم لا يتبعون قبلتك
او هذا مخصوص بدليل اسلام من اسلم منهم انتهى وما انت بتابع قبلتهم حسم اى ولست انت يا محمد
بتابع قبلتهم اى لست بمستقبل بيت المقدس فى صلوتك بعدما صرفتك عنه لانك على الحق وقبلتك
غير منسوخة ابدا وقرئ بتابع قبلتهم بالاضافة وفى الاية قطع لاطماعهم فى عود النبى الى قبلتهم فانهم
قالوا لو تقرر النبى واطماعا فى رجوعه الى قبلتهم لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى
ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجههم وتباين دينهم فبين
ان استصلاحهم محال غير ممكن بحالى للطبع الذى على قلوبهم وقبلة المخالفين وان تعددت لحسب توجه
بعضهم الى الصخرة كاليهود وبعضهم الى مطلع الشمس كالنصارى لكنها متحدة من جهة البطلان ومخالفة الحق
ولهذا وحدت القبلة فى الاية قال الشيخ ويحكى انه قال قوله ما تبعوا قبلتك بقوله وما انت بتابع قبلتهم وهذا
من اقسام البلاغة تقول ما نيل بتاركى انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به وما بعضهم بتابع
قبلة بعض حسم قال البيضاوى وذلك فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى
توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه انتهى وفى الغاية وذلك لان اليهود تصلى
الى المغرب والنصارى الى المشرق وكل طايفة منهما تقول ان الحق دينها ولئن اتبعت اهواءهم من
بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين تا واعلم ان الله عز وجل وعد نبيه بالعصمة
عن اتباع قبلتهم واهوائهم فى المستقبل حيث قال وما انت بتابع قبلتهم فظهر ان الخطاب معه
والتهديد له فى الظاهر والمراد غيره او هو كلام على سبيل الفرض والتقدير لقرينة نفى اتباعه قبلتهم
ولان الله ثبته عن الميل الى اهوائهم كما قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
والمعنى ولئن اتبعت اهواءهم ومرادهم بان وافقتهم فى القبلة مداراة لهم وحرصا على ايمانهم واسلامهم
من بعد ما جاءك ووصلك من العلم اليقين الذى هو الوحى بامر القبلة وشرايع الاسلام انك اذا اى حين

اتباعك

اتباعك لقبلتهم فرضا لمن الظالمين اى الضارين بنفسك اتفق الامة على عصمة الانبياء من الصغائر
والكبائر قال الاستاد والخطاب للنبى فى الظاهر والمراد الامة فعلى هذا ففى ذكر الظلم لطف للنبى
وامته فان مزيد المحبة تقتضى التخصيص بمزيد التحذير وفى التيسير ويجوز ان يكون الخطاب للنبى وان
كان معصوما لان العصمة لا ترفع النهى انتهى واهواءهم جمع هوى وهو الارادة والمحبة والميل الذى تقتضى
النفس ولم يقل وان اتبعت هواهم بالافراد لاختلاف ارادة المخالفين ففى قوله ولئن اتبعت اهواءهم
الى قوله لمن الظالمين من المبالغة والتهديد ما لا يخفى لانه اتى باللام الموطئة للقسم وبالقسم المضمر
وبحرف التحقيق وهو ان وبتركيبه من جملة اسمية وبالاتيان باللام فى الخبر وبجعله من الظالمين لو اتبعهم
فرضا وبتقييد الاتباع بالعلم واراد بقوله الذين اتيناهم الكتاب علماء اليهود واحبارهم وايتاء
الكتاب عبارة عن دراسته وفهم معانيه يعرفونه اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم كما يعرفون
ابناءهم من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل
على نبيه الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام
يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال
عمر كيف ذلك قال يا عمر اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا ادرى
ما تصنع النساء فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام وقبل راسه وفى رواية البخارى قال ابن سلام لقد
عرفته حين رايته كما اعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد وقيل الضمير فى يعرفونه
للقران او لتحويل القبلة وقيل للطواف يعنى نزل حين قالت اليهود لاصحاب النبى عليه السلام لم تطوفون
بالبيت المبنى من الحجارة على الحجارة فقال النبى صلى الله عليه وسلم الطواف بالبيت حق وانكم تعلمون ذلك بالتورية
فجحدوا فقال الله الذين اتيناهم الكتاب اى اعطيناهم التورية يعرفونه اى ان الطواف حق والبيت
قبلة كما يعرفون ابناءهم يعنى لا يشتبه عليهم وهذا القول لبعض الناس والحق الظاهر ان الضمير للنبى
صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وان فريقا منهم اى طائفة من الذين
لم يسلموا ليكتمون اى ليسترون الحق يعنى صفة النبى وامر القبلة وهم اى ذلك الفريق يعلمون
بانهم كاتمين للحق عنادا وحسدا لان الله بين الحق اى صفة نبيه فى كتابهم الحق مبتدا خبره من ربك
اى الحق من الله لا من غيره فهو كلام مستانف يعنى ان الحق هو الذى ثبت انه من الله كالذى انت عليه يا محمد
واصحابك وما لم يثبت انه من الله كالذى عليه اهل الكتاب فهو الباطل ويجوز ان يكون الحق خبر المبتدا
محذوف اى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر فلا تكونن من الممترين اى الشاكين فيما اخبرتك
فى انه من ربك الخطاب للنبى والمراد به الامة او فى كتمان اليهود للحق حال كونهم عالمين بالحق ولكل او لكل من
المسلمين فى بلادهم المختلفة فى مشارق الارض ومغاربها وجهة اى قبلة على الاول او جهة وجانب
من الكعبة على الثانى والوجهة اسم للشئ الذى توجه اليه فى الطاعة والدعاء كالكعبة لنا والمشرق
والمغرب للنصارى واليهود هو الضمير راجع للكل او للاهل اى اهل كل قبلة موليها بكسر اللام
اى مستقبلها بكسر الباء ومقبل اليها والهاء فى موليها للوجهة اى هو موليها وجهه اى اهل كل قبلة
مول بوجهه الى ذلك الوجهة والحق ان هو كناية عن الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه قال الاخفش

هو كناية عن الله يعني الله مُوَلِّي الامم الى قبلتهم وقرأ ابن عامر هُوَ مُوَلَّاهَا اى المستقبل مصروف
اليها يعني هو مولى تلك الجهة وقرئ بفتح اللام المشددة مع الالف اى كل واحد منهم مُوَلَّيهَا اى مُوَلَّى
تلك الجهة قد ولّيها الله موليه اليها لا غير وقرئ بغير تنوين بالاضافة والمعنى وَكُلِّ وِجْهَةٍ اللهُ
مُوَلِّيهَا اهلها واللام حينئذ من يدة للتاكيد فَاسْتَبِقُوا يا امة محمد الْخَيْرَاتِ اى بادروا الى الطاعات
وقبولها بالاعمال الصالحة من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا اى اى موضع تكونوا انتم يا مسلمون واهل الكتاب مفترقي الاجزاء ويجمعها ويحشركم
الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا فى اعماق الارض وقلل الجبال بقبض ارواحكم او اينما تكونوا فى الجهات
المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
يقدر على الاماتة والاحياء والجمع وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ اى من اى مكان خرجت للسفر فَوَلِّ وَجْهَكَ اذا
صليت شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اى جانبه وناحيته وَإِنَّهُ اى التوجه الى القبلة للصلاة لَلْحَقُّ
الثابت مِنْ رَبِّكَ من الله لا من تلقاء نفس محمد وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بالتاء
ايها المؤمنون من امتثال امر الله فيجازيكم على صنيعكم وبالياء ايها اليهود من انكار امر القبلة فيجازيهم
بالنار تقدم مثله لبيان تساوي حكم السفر وغيره وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الخطاب للنبي عليه السلام وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ الخطاب للامة اى وصليتم فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ اى بالصلوة شَطْرَهُ اى جانبه كرر حكم التوجه الى الكعبة مرارا لتاكيد النسخ وليعلم ان التحويل
الى الكعبة عزيمة لا رخصة لا يجوز تركها ولان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد
امر القبلة ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لِئَلَّا علة لقوله فولوا وجوهكم اى لكيلا يَكُونَ
لِلنَّاسِ اى لليهود والمشركين عَلَيْكُمْ على المسلمين حُجَّةٌ مجادلة اذا توليتم وتوجهتم الى غير
الكعبة اى لتنتفي مجادلة اليهود والمشركين لكم اما مجادلة اليهود فهو لو صليتم الى الصخرة لقالوا
يجحد ديننا ويتبع قبلتنا واما مجادلة المشركين فهو لو صليتم ايضا الى الصخرة لقالوا يدعي ملة
ابراهيم ويخالف قبلته حاصله ان مجادلة الناس من الظالمين من الفريقين المتصفين بانواع
الظلم والطغيان للا بوصف العناد قد نفيت إِلَّا الَّذِينَ اى الا مجادلة الذين ظَلَمُوا مِنْهُمْ بالعناد
اى من الناس فان مجادلتهم باقية لعنادهم يعني ما بقي لاحد من الناس عليكم حجة ومجادلة
الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده وانه يعمل
برايه فالاستثناء متصل واختلف المفسرون فى تاويل قوله الا الذين ظلموا منهم فقال بعضهم
معناه حولت القبلة الى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولون
ليست لكم قبلة الا الذين ظلموا وهم القريش واليهود اما القريش فتقول رجع الى الكعبة لانه علم
انها الحق وانها قبلة ابائه فكذلك يرجع الى ديننا واما اليهود فتقول لم ينصرف عن بيت المقدس
مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه وقال قوم لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني اليهود وكانت حجتهم على
طريق المخاصمة للمؤمنين فى صلاتهم الى بيت المقدس لانهم كانوا يقولون ما درى محمد واصحابه اين
قبلتهم حتى هديناهم نحن وقوله تعالى الا الذين ظلموا هم مشركو مكة وحجتهم انهم قالوا لما صرفت القبلة

الى الكعبة ان محمدا قد تحير فى دينه وسيعود الى ملتنا كما عاد الى قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطاء
وعلى هذين التاويلين يكون الاستثناء صحيحا وقيل قوله تعالى الا الذين ظلموا اى لا حجة لاحد عليكم
الا مشركي قريش فانهم يحاجونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال الله
تعالى حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وموضع الذين خفض كانه قال ولا للذين ظلموا قاله الكسائي وقال
الفراء نصب بالاستثناء وقوله منهم يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الاول
معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل كما قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن يعني لكن
يتبعون الظن فهو كقول الرجل ما لك عندي حق الا ان تتظلم قال ابو روق لئلا يكون للناس
يعني اليهود عليكم حجة وذلك انهم عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا فى التورية ان محمدا سيحول
اليها فحوله الله اليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون ان النبي الذي نجده فى كتابنا سيحول اليها ولم
تحول انت فلما تحول اليها ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا يعني الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق
وقال ابو عبيدة قوله الا الذين ظلموا ليس باستثناء ولكن الا فى موضع واو العطف يعني والذين
ظلموا ايضا لا يكون لهم كما قال الشاعر ❊ وكل اخ مفارقه اخوه ❊ لعمر ابيك الا الفرقدان ❊ معناه والفرقدان
ايضا يتفرقان فمعنى الاية توجهوا الى الكعبة لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة فيقولون لم تركتم
الكعبة وهي قبلة ابراهيم وانتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد عليه
السلام قبلة جده وتحول عنها الى قبلة اليهود وقرئ الا بحرف التنبيه الذين ظلموا على انه استئناف
وعلى كل حال لا يكون لاحد عليكم كلام الا كلام هؤلاء المعاندين فَلَا تَخْشَوْهُمْ اى لا تخافوا جدالهم
فى التولي اليها فان مطاعنهم لا تضركم وَاخْشَوْنِي فلا تخالفوا ما امرتكم به واحتثلوا امري وَلِأُتِمَّ
نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى
قبلة ابراهيم فتتم لكم الملة الحنيفية قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على
الاسلام قال سعيد بن جبير لا تتم نعمته على المسلم الا ان يدخله الجنة وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ اى ولكي
تهتدوا من الضلالة الى الحق ولعل وعسى من الله واجب كَمَا أَرْسَلْنَا متعلق بقوله لاتم نعمتي اى لاتم نعمتي
عليكم فى الاخرة كما اتممتها عليكم بارسالي او يتعلق بما ياتي من قوله تعالى فاذكروني اى كما ذكرتكم بارسال
محمد عليه السلام فاذكروني فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ من العرب وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا من الملائكة
ليمكن الانس به والنظر اليه فى الدنيا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا اى القران وَيُزَكِّيكُمْ يطهركم من
الشرك ويحملكم على ما تصيرون به ازكياء وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ القران وَالْحِكْمَةَ اى السنة وما
فى القران من الاحكام والمواعظ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ من الاحكام وشرائع الاسلام
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفة ذلك الا بالوحي فَاذْكُرُونِي بطاعتي او بالصلوة والتسبيح ونحو ذلك
أَذْكُرْكُمْ بعوني والثواب والجزاء وفى الحديث عن الله من ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي ومن
ذكرني فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملائه او اذكروني فى النعمة والرخاء اذكركم فى الشدة والبلاء
بيانه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وفى الحديث عن الله يقول
الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني فى نفسه ذكرته فى نفسي وان

Copy… University

ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي
ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن الحسن عن انس رضي الله عنهما قال
اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد انامل هذه العشرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن ادم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملأ
ذكرتك في ملأ خير منه وان دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا دنوت منك
باعا وان مشيت الي هرولت اليك وان هرولت الي سعيت اليك وان سألتني اعطيتك وان
لم تسألني غضبت عليك قال الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وعن عبد الله
ابن بسر المازني قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الاعمال افضل
قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله ومن معاني فاذكروني اذكركم اذكروني بالصدق
اذكركم بالمغفرة او بالثناء والعطاء او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفو الحوبة او بالاخلاص والخلاص
او بالمناجاة والنجاة وغير ذلك وقد ذكر شيخنا غوث الله الاعظم الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره في
غنيته معاني كثيرة عديدة في هذا الباب ومع هذا فقد ظهر من يمنع الناس من الذكر جهارا وظهر
له ظهير والله المستعان وعليه البلاغ والتكلان واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون
بجحد النعم وعصيان الامر فان من اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره يا ايها الذين
امنوا اي الذين صدقوا بتوحيد الله استعينوا على الخيرات بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس
وعلى الطاعة والبلاء والصلاة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومنهاج العابدين ومناجاة
رب العالمين خصهما بالذكر لتكررهما وعظم شأنهما وروي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع
الى الصلاة وانما خص الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر اشد الاعمال الباطنة على البدن والصلاة اشد
الاعمال الظاهرة على البدن ان الله مع الصابرين بالعون والنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات كسائر الاموات بل لهم عند الله مقدار فانتهوا
عن هذا القول بل هم احياء ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت
لحديث بذلك وثوابهم يجري عليهم الى يوم القيمة ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم اي
ليست حياتهم بالجسد حتى تعقل وانما هي امر لا تدرك بالعقل بل بالوحي كما قال في شهداء احد ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وعن الحسن ان الشهداء احياء
عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة
من المهاجرين وثمانية من الانصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب
عنه نعيم الدنيا ولذتها فنهى الله عن ذلك واذن بهم بالقران وفي هذه الاية دلالة على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من
الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم اي لنختبرنكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم ليتميز بينكم العاصي

والمطيع

والمطيع لا لنعلم ما لا نعلم به قبله والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ومن الله لاظهار ما قد علم يعني لاظهار
المطيع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به سبحان من لا يخفى عليه خافية بشيء من الخوف والجوع
حكي عن امامنا الشافعي رحمه الله تعالى انه قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام رمضان ونقص
من الاموال اداء الزكوات والصدقات والانفس الامراض والثمرات موت الاولاد لان ولد الرجل
ثمرة قلبه وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد
عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وانما قال بشيء اي بقليل من ذلك
ليريهم ان رحمته لا تفارقهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما الخوف خوف العدو والجوع القحط
ونقص من الاموال بالخسران والهلاك والانفس بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب والثمرات
يعني الجوائح في الثمار يعني ولنختبرنكم فننظر اتصبرون ام لا وبشر الصابرين على البلايا والرزايا بالجنة
هم الذين اذا اصابتهم مصيبة بلاء قالوا انا لله عبيدا وملكا يفعل بنا ما يشاء وانا
اليه راجعون في الاخرة فيجازينا وفي الحديث من استرجع عند المصيبة اجره الله تعالى فيها
واخلف عليه خيرا وفي الحديث ان مصباح النبي صلى الله عليه وسلم طفئ فاسترجع فقالت عائشة رضي
الله عنها انما هذا مصباح فقال عليه السلام كلما ساء المؤمن فهو مصيبة رواه ابو داود في مراسيله
قال صلى الله عليه وسلم ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني
في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قالت ام سلمة رضي
الله عنها لما توفي ابو سلمة عز علي فقلت اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها قالت فاخلف الله
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير ما اعطي احد في المصيبة ما اعطي هذه الامة يعني
الاسترجاع ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله في فقد يوسف يا اسفى على يوسف
اولئك اهل هذه الصفة عليهم صلوات مغفرة من ربهم ورحمة اي نعمة ولطف واحسان وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة
اما الصفا فهو في ذيل ابي قبيس والمروة في سفح جبل قعيقعان وهما علمان للمكانين بطرفي المسعى وبينهما
السوق وقال بعضهم هما الجبلان المعروفان بمكة في طرفي المسعى ولذلك دخل فيهما الالف واللام من
شعائر الله اي من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام دينه نزلت الاية حين تحرج
المسلمون من الطواف بينهما عند مجيء الاسلام وكسر الاصنام لانه كان رجل اسمه اساف وامرأة اسمها نائلة زنيا
فمسخا ونصبا في ذلك المكان فطال الزمان فعبدوهما في الجاهلية واذا سعوا مسحوهما فكره اهل الاسلام
ان يسعوا بينهما لانه فعل الجاهلية فاذن الله في الطواف بينهما فمن حج البيت او اعتمر اي تلبس
بالحج او العمرة والحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين
فلا جناح اثم عليه ان يطوف اي يتحول ويدور بهما ان يسعى بينهما سبعا والاجماع على ان السعي
بينهما مشروع وانما الخلاف في فرضيته فعن احمد رحمه الله انه سنة وبه قال ابن عباس وانس لقوله تعالى

Copyright King Saud University

فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الفرض
فلا يرفعه وعن الشافعي ومالك انه ركن لا يسقط بالدم لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم
السعي رواه البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم ابدؤا بما بدأ الله تعالى به يعني الصفا رواه مسلم
وعن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراة احدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت
مع نسوة من قريش دار آل ابي حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة
فرايته ليسعى وان مئزره ليدور من شدة السعي حتى لاقول اني لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا
فان الله كتب عليكم السعي وعن ابي حنيفة انه واجب وعلى من تركه دم وقال الثوري كابي حنيفة
اذا تركه يجبر بالدم وقال مجاهد حج موسى عليه السلام على جمل احمر وعليه عباتان قطوانيتان
فطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط الى المسعى وهو يلبي يقول لبيك اللهم لبيك فقال الله لبيك
عبدي وانا معك فخر موسى ساجدا **ومن تطوع خيرا** اى فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد في
الطواف بعد اداء الفرض او تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحجة الواجبة عليه او فعل ما لم يفرض عليه
من صلاة وزكاة وطواف وغيرها من انواع الطاعات او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وقرأ حمزة والكسائي
يطوع بالياء وتشديد الطاء وجزم العين بمعنى يتطوع وقرأ الاخرون بالتاء وفتح العين على الماضي
فان الله شاكر مجاز لعمله بالاثابة عليه **عليم** بنيته لا يخفى عليه شيء **ان الذين يكتمون**
نزلت في رؤساء اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام واية الرجم وغيرهما ككعب بن صيف وابن صوريا
وكعب بن الاشرف اى الذين يسترون على الناس خوفا لذهاب رياستهم وطمعا في جمع المال **ما انزلنا**
من البينات اى القران وما فيه من الاحكام **والهدى** اى الهداية الى الاسلام بنعت محمد واصحابه بالايمان
به **من بعد ما بيناه** اوضحناه وخصصنا **للناس في الكتاب** اى في التورية **اولئك** اهل
هذه الصفة والعمل **يلعنهم الله** اى يبعدهم من رحمته **ويلعنهم اللاعنون** من الثقلين والملئكة
يعني يقولون اللهم العنهم قيل ما تلاعن الرجلان الا ارتفعت اللعنة بينهما فان استحقها احدهما
نزلت عليه والا رجعت على الذين كتموا صفة محمد عليه السلام ونعته **الا الذين تابوا** اى الا الذين
رجعوا عن كتم البينات اى الذين رجعوا عن الكفر والضلال **واصلحوا** عملهم بينهم وبين الله
وبينوا اظهروا ما كتموا باعترافه واقرارهم ليقبل توبتهم **فاولئك اتوب عليهم** اى اتجاوز
عنهم واقبل توبتهم **وانا التواب** المتجاوز البليغ عمن تاب عن ذنبه **الرحيم** بقبول توبته ومغفرته
وافاضة الرحمة عليه **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار** اى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات على
ذلك **اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين** يعني عليهم لعنة الله ولعنة الملئكة
ولعنة الناس اجمعين اى استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء
وهذا لعنهم امواتا قال ابو العالية هذا يوم القيمة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملئكة ثم تلعنه
الناس فان قيل فقد قال والناس اجمعين والملعون من جملة الناس فكيف يلعن نفسه قيل يلعن نفسه
في القيمة قال الله ويلعن بعضهم بعضا وقيل انهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن لعن الظالمين
والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه **خالدين فيها** اى في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها

وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن على النار **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** اى لا يمهلون
ولا يؤجلون اى لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة وعفو كقوله تعالى ولا يؤذن لهم
فيعتذرون **والهكم اله واحد** سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف وانسب لنا
ربك فانزل الله تعالى هذه الاية وسورة الاخلاص اى المستحق للعبادة منكم واحد لا شريك له فرد لا نظير
له في ذاته ولا شريك له في صفاته يعني خالقكم خالق واحد قال صلى الله عليه وسلم ان في هاتين الايتين اسم
الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحي القيوم وقال لي شيخي وامامي
عبد القادر في مبشرة اسم الله الاعظم هو يا حي يا قيوم لا اله الا انت وحصل لي اليقين لانه هو الذي
ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ورأيت نتيجته بحمد الله **لا اله** اى لا خالق للاشياء كلها **الا هو** او دون
غيره تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة **الرحمن**
الرحيم اى المولي لجميع النعم فما سواه اما نعمة واما منعم عليه ومعنى الرحيم اى المتجاوز عن السيئات
لمن تاب وهما خبران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف قيل لما سمع المشركون هذه الاية الدالة على التوحيد
تعجبوا وقالوا ائت باية نعرف بها صدقك فنزلت **ان في خلق السموات والارض** اى ما فيهما من
العجائب فالاية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد وعلاقة وما يرى فيها من الزينة بالشمس
والقمر والنجوم والاية في الارض بسطها ومدها وسعتها واقرارها بالاوتاد وهي الجبال وزينتها بتفجير
الانهار واحداث الاشجار والاثمار والبحار وغير ذلك مما يبهر العقول في ذلك وذكر السموات بلفظ الجمع
والارض بلفظ الوحدان لان كل سماء من جنس اخر لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة
بخلاف الارضين فانها كلها من جنس واحد وهو التراب **واختلاف الليل والنهار** في الطول والقصر
والنور والظلمة والذهاب والمجيء كقوله جعل الليل والنهار خلفة اى يتعاقبان دائما وقدم الليل على النهار
في الذكر لانه اقدم كما سياتي في سورة يس ان شاء الله في قوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار **والفلك**
اى السفن والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء **التي**
تجري في البحر بقدرته وارادته **بما ينفع الناس** اى بالذي ينفعهم يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات
والمكاسب وانواع المطالب **وما انزل الله من السماء من ماء** والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة
العلو ومن الاولى للابتداء والثانية للبيان وقيل اراد به السماء المعروفة يخلق الماء في السماء ثم ينزله من
السماء الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض **فاحيا به** بالماء اى النبات **الارض بعد موتها**
اى يبسها وجدوبتها **وبث** فرق ونشر **فيها** اى في الارض **من كل دابة** اى يدب على
وجه الارض من الحيوان وهو معطوف على انزل لانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث
الحيوانات في الارض على توحيده كما سيشير بقوله لايات الخ او معطوف على احيا لان بث الدواب
يكون بعد حياة الارض بالماء لان عيشهم يكون بالنبات الحاصل بالمطر **وتصريف الرياح** اى تقلبها
في مهابها واحوالها جنوبا وشمالا حارة وباردة قرأ حمزة والكسائي الريح بغير الالف وقرأ الاخرون بالالف
قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضي
ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او لسقيم صحيح والبشارة في ثلث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب

Copyright King Saud University

واما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية اربعة للرحمة واربعة للعذاب فالتي
للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات والتي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر
والعاصف والقاصف في البحر والسحاب اي الغيم المسخر المذلل للرياح بامر الله بين السماء و
الارض بلا علاقة يعني تقلبه في الجو بمشية الله ويمطر حيث يشاء ولا يقع على الارض ولا ينقشع مع
ان الطبع يقتضي ذلك حتى ياتي امر الله قال وهب بن منبه ثلثة لا يدري من اين تجيء الرعد والبرق
والسحاب لايات لقوم يعقلون فيعلمون ان لهذه الاشياء خالقا وصانعا ويتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون عقولهم وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واسقطها
عن نظره ولم يعتبر بها وفي الاية والحديث تنبيه على شرف علم الكلام واهله والحث على البحث والنظر
فيه هذا في الصدر الاول اما الآن فاشتغال المرء بنفسه والاعتزال عما سوى الله احرى واولى
لكثرة الاراء ومن الناس اي من المشركين من يتخذ للعبادة من دون الله اي من غير الله
اندادا اصناما يحبونهم بالتعظيم والخضوع كحب الله اي كحب المومنين ربهم من حيث
التعظيم وقيل يحبون الاصنام كما يحبون الله لانهم اشركوها مع الله فسووا بين الله وبين اوثانهم
في المحبة والذين امنوا اشد حبا لله من حب الكفار اصنامهم لان المومن لا يختار على الله ما سواه
والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وكم اكلوا اصنامهم
ايام القحط ولو يرى اي لو يعلم او يبصر الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الاصنام والانداد
اذ حين يرون العذاب اي شدة عذاب الله باعينهم يوم القيمة لعرفوا مضرة الكفر وان ما
اتخذوا من الاصنام لا ينفعهم والكلام تام عند قوله اذ يرون العذاب مع اضمار الجواب ولرأوا و
ايقنوا ان القوة اي بان القوة لله جميعا اي ان القدرة والغلبة لله وحده وان الله اي
بان الله شديد العذاب اي شديد عذابه يعني لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وان القدرة
لله وحده وقت معاينتهم العذاب يوم القيمة لما اتخذوا من دون الله اندادا هذا على قراءة اليا اي
يرى واما على قراءة التاء بالخطاب يكون معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب
لرأيت امرا عظيما وقيل معناه قل يا محمد ايها الظالم لو ترى الذين ظلموا اي في شدة العذاب لرأيت امرا
فظيعا وايضا معناه لو يعلم الكفار ان القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب لا لانداد هم لينفعوا
لهم اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لتركوا عبادتها وندموا عليها اشد ندامة اذ تبرأ بدل من اذ
يرون العذاب والتبرؤ التخلص والتبعد والتفرق مما يستكره او ظرف لشديد اي الله شديد العذاب
حين تبرأ الذين اتبعوا على بناء المفعول القادة والرؤساء اي المتبوعون يتبرؤن من الذين
اتبعوا على بناء الفاعل اي من الاتباع اي يتبعد المتبوعون من اتباعهم واذا قرأت بالعكس يكون
معناه يتبعد التابع من متبوعه ورأوا العذاب الواو للحال اي قد تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب
وتقطعت بهم اي انقرضت وانقطعت عنهم الاسباب عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي
كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاغراض الداعية الى ذلك وقال الذين
اتبعوا اي الاتباع لرؤسائهم ومتبوعيهم يوم القيمة على وجه التمني حين لم ينفعهم متبوعوهم

لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا وذلك حين تبرأ منهم الرؤساء ولم ينفعوهم شيئا فنتبرأ منهم
اي من المتبوعين والرؤساء والقادة كما تبرءوا منا اليوم كذلك اي كما اراهم الله شدة
عذابه وتبرأ بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم التي حسبوها نافعة لهم حسرات ندامات
عليهم او يريهم ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لم عملوها او يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون
على تضييعها او انهم اشركوا بالله الاوثان رجاء ان تقربهم الى الله تعالى فلما عذبوا على ما كانوا يرجون
تحسروا وندموا او تفتح لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو اطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم
لو اطعتم الله ثم تقسم تلك البيوت بين المومنين فذلك حين يندمون ويتحسرون وما هم اي الاتباع
والمتبوع بخارجين من النار لانهم خلقوا لاجلها ونزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني
مدلج فيما حرموا على انفسهم من رفيع الاطعمة والملابس او من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة
والحام يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي من بعضه اذ لا يؤكل كل ما فيها حلالا الحلال ما احله
الشرع طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة ومعنى ما احله الشرع اي لا يعاقب باستعماله وقيل ما يستطاب
ويستلذ والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب الطاهر ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اي اثاره وطرقه وزلاته يعني لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالات لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله
اولياؤهم الطاغوت ثم بين عداوته فقال انما يأمركم بالسوء والفحشاء والسوء والفحشاء ما انكره العقل
واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فان ما انكره الشرع سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء
باستقباح الشرع اياه او السوء الذنب الذي لا حد فيه والفحشاء الذي فيه الحد كاللواط او السوء يعم القبايح
والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكباير وان يأمركم الشيطان ايضا ان تقولوا على الله بان تتكلموا
عليه ما لا تعلمون من تحريم الحرث والانعام او كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى دليل شرعي
فوجوبه قطعي واذا قيل لهم اي للمشركين من الناس او لليهود اتبعوا ما انزل الله من التوحيد
وتحليل الطيبات وتحريم ما حرم الله في القرآن قالوا لا نتبع ما انزل الله بل نتبع ما الفينا اي وجدنا
عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتحريم السوايب والبحاير او التورية على قول قال الله أ تتبعون
الاباء ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من امر الدين القيم ولا يهتدون للصواب والحق والهمزة للانكار
ومثل الذين كفروا يعني مثلك يا محمد في وعظك الكفار ودعائهم الى توحيد الله كمثل الراعي الذي
ينعق يصوت بالغنم بما لا يسمع بالذي لا تدركه البهايم الا دعاء اي الا صوتا من الراعي الناعق
عليها ونداء اي زجرا مجردا من غير فهم شيء اخر يعني كما ان البهايم تسمع صوت الراعي ولا تفهمه
ولا تعقل ما يقال لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك انما يسمع صوتك او مثل الذين كفروا في قلة فهمهم و
غفلتهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهايم التي لا تفقه من الامر والنهي الا الصوت يعني
يعني ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهايم التي ينعق عليها معناه
ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم

Copyright King Saud University

فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف معناه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه
او مثلهم فى اتباع ابايهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته
او مثلهم فى دعائهم الاصنام ونداءهم اياها بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهائم
اعلم هم صم من سماع الحق بكم خرس لا يتكلمون بالحق عمى لا يبصرون الهدى فهم لا يعقلون
اى لا يفهمون شيئا من مواعظ القران كالبهائم للاخلال بالنظر يايها الذين امنوا كلوا من طيبات
اى حلالات ما رزقنكم ثم امر المؤمنين بالقيام بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل
لكم ان كنتم اياه تعبدون اى ان كنتم تخصونه بالعبادة وتعرفون انه مولى النعم كلها فان
عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ
عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لم تكن هذه الاشياء
محرمة فالمحرم ما هو فنزل انما حرم عليكم الميتة اى اكلها اذ الكلام فى الاكل وكذا ما بعدها
وهى ما لم تذك شرعا والحق بالحديث ما ابين من حى سوى الجراد والسمك لقوله عليه السلام
احلت لنا ميتتان ودمان فالميتتان الحوت والجراد والدمان الكبد والطحال والدم يعنى الدم الجارى
ليخرج عنه الكبد والطحال ولحم الخنزير اى جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من
الحيوان وساير اجزائه كالتابع له وما اهل اى رفع الصوت به لغير الله اى ما ذبح للاصنام
والطواغيت او ما ذكر عليه اسم غير الله عند ذبحه للصنم وكان المشركون اذا ذبحوا رفعوا الصوت بذكر
الهتهم ثم رخص لعباده فى اكل الميتة عند الضرورة بقوله تعالى فمن اضطر اى الجئ واحوج الى اكل الميتة
او الى اكل كل شئ حرمه الله غير باغ باستيثاره نفسه على مضطر اخر بان ياكل شيئا ويعطى شيئا او غير خارج
على السلطان ولا عاد على سد الرمق والجوعة او غير متعد عاص بسفره بان خرج لقطع طريق او لفساد
فى الارض قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير لا يجوز للعاصى بسفره ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها
ولا ان يترخص برخص المسافر حتى يتوب وبه قال الامام الشافعى واحمد رحمهما الله لان فى اباحته له اعانة
على فساده وقال الحسن وقتادة ياكله من غير اضطرار ولا عاد اى لا يعدو شبعه وقال مسروق
من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم ياكل ولم يشرب حتى مات دخل النار وقال ابو حنيفة رحمه الله
يجوز للعاصى بسفره اكل الميتة والترخص برخص المسافرين ومقدار اكله عنده سد الرمق واحد قولى
الشافعى كذلك والقول الاخر حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله وقال سهل بن عبد الله غير باغ
مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع تناول المحرم عند الضرورة وغير
باغ نصب على الحال يعنى فى حال كونه غير ظالم على مضطر اخر يعنى لا يستاثر نفسه باكله ويمنع
غيره منه بل يتناول شيئا ويعطى الباقى لمضطر اخر كما مر انفا ولا عاد اى غير متجاوز حد الشبع عند
الاكل بالضرورة فلا اثم عليه فى تناوله ان الله غفور لاكله المحرم رحيم بالرخصة فيه ان الذين
يكتمون نزل فى علماء اليهود الذين غيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم بالتاويل فى كتابهم خوفا على زوال رياستهم
وفوت ماكلهم ووظائفهم من اتباعهم اى ان الذين يسترون ما انزل الله من الكتاب اى التورية
ويشترون به اى يختارون به اى بالمنزل المكتوم ثمنا قليلا اى عوضا يسيرا حقيرا اولئك ما ياكلون

فى

فى بطونهم الا النار يعنى الا ما يؤديهم الى النار وهو الرشوة والحرام والثمن الذى اخذوا
من سفلتهم فلما كان ذلك يفضى بهم الى النار فكانهم اكلوا النار وقيل معناه يصير فى بطونهم
نارا ولا يكلمهم الله لغضبه عليهم ولا يزكيهم اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولا يثنى عليهم
ولهم عذاب اليم اى وجيع دائم بسبب كتمانهم الحق ثم قال فى شان هؤلاء العلماء من اليهود
اولئك الذين اشتروا اى اختاروا الضللة الكفر بالهدى اى على الايمان والعذاب بالمغفرة اى
اختاروا النار على الجنة ونعيمها فى الاخرة بكتمان الحق والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار اى
اى شئ صبرهم على النار يعنى اجراهم على عمل اهل النار والقائهم فيها فهذا تعجب من حالهم ومواظبتهم
على ما يوجب لهم النار من غير مبالاة بها وفى الحديث من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن ابن
مسعود ورايت مكتوبا فى بعض التفاسير بالقبل كما ترى قيل من كتم علما اعطاه الجم يوم القيمة بلجام
من النار فما تامة مرفوعة بالابتداء وما بعدها خبرها يعنى ما اشد صبرهم من ارتكاب موجبات النار
من غير مبالاة والموجب لذلك كتمان صفات النبى ونعوته فى التورية ذلك اى ذلك اكلهم النار و
التعذيب بذلك وما بعده بان الله اى بسبب ان الله سبحانه نزل الكتاب اى القران بالحق اى
بالصدق ومما لا شك فيه فاختلفوا فيه فامنوا ببعض وكفروا ببعض اذ قال بعضهم شعر وبعضهم سحر
وبعضهم كهانة وان الذين اختلفوا فى الكتاب اى ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او فى
كون القران شعرا او سحرا او كهانة كما زعموا لفى شقاق بعيد اى لفى خلاف بعيد عن الحق لا يرجع الى الهدى
ليس البر البر كل فعل مرضى وكل عمل خير يفضى بصاحبه الى الجنة ان تولوا وجوهكم فى الصلاة
قبل المشرق فى حق النصارى والمغرب فى حق اليهود بخرابة بيت المقدس يعنى دعواكم فاسد وليس البر ما زعمتم
من التوجه الى المشرق والمغرب وانه منسوخ خارج عن البر وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك
نزل فى حق المؤمنين وذلك ان الرجل كان فى ابتداء الاسلام قبل نزول الفرائض اذا اتى بالشهادتين وصلى
الصلوات الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونزلت الفرائض وحدت الحدود وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله تعالى هذه الاية يعنى ليس كل البر
ان تصلوا قبل المشرق والمغرب يعنى ليس البر مقصورا بامر القبلة فقط ولا تعملوا غير ذلك ولكن البر ما ذكر فى
الاية ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به من امن بالله اى صدق به بانه واحد لا شريك له
واليوم الاخر اى بالبعث الذى فيه جزاء الاعمال على انه كائن لا محالة والملئكة بانهم عباد الله مكرمون
والكتب اى القران والكتب المنزلة والنبيين بانهم بعثوا لدعوة الخلق الى الحق واتى المال
عطف على من اى البر من اعطى الصدقة من ماله بعد الايمان على مع حبه المال اى يعطى المال
على حب المال او حب الله او حب الاعطاء بطيبة نفس ذوى القربى اى اصحاب القرابة الفقراء قال
صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنان لانها صدقة وصلة واليتمى
اى الفقراء منهم والمسكين الذين يسكنون الى الناس لشدة احتياجهم وحال المسكين احسن من
حال الفقير عندنا كما هو معروف فى كتب الفقه وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى
القاطع ابن الطريق والسائلين اى الذين الجاتهم الحاجة الى السوال وفى الرقاب تخليصها

يوم القيمة

ربع

معاونة المكاتبين اى فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة
يحتمل ان يكون المقصود من اتى الزكوة ومن اتى المال المفروضة ولكن الغرض من اتى المال بيان مصارفها
وباتى الزكاة اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت
فى المال بسوى الزكاة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعنى وجوبها والموفون عطف على
من آمن اى الذين يوفون بعهدهم من الاوامر والنواهى اذا عاهدوا الله او الناس من العقود
والودايع والاسرار روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من اعطى عهد الله ثم نقضه فالاجر منتف عنه ان
انقطع نظره عنه ومن اعطى ذمة رسول الله ثم غدر فالنبى صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيمة والصابرين
نصبه على المدح اى امدح ولم يعطف لما قبله لفضل الصبر على ساير الاعمال فى البأساء اى شدة الفقر
والمصيبة والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو فى سبيل الله اولئك اى
الموصوفون بالصبر فى الاحوال الثلثه هم الذين صدقوا فى الدين والايمان واتباع الحق فيما عاهدوا و
اولئك هم المتقون الله عن نقض العهد او المطيعون لله لشدة خوفهم من عذابه فقوله عز وجل
من آمن الى والنبيين يشير الى صحة الاعتقاد وقوله عز وجل واتى المال الى وفى الرقاب يشير الى حسن المعاشرة
وقوله عز وجل واقام الصلوة الى آخرها يشير الى تهذيب النفس والاخلاق الحميدة فالاية جامعة للكمالات
الانسانية باسرها لا يعلم ذلك الا بصدق الفكر والملاحظة يا ايها الذين آمنوا كتب اى فرض عليكم
القصاص المماثلة والتساوى والتكافؤ فى القتلى فى المقتولين الحر يقتل بالحر لتكافئهما ولا يقتل الحر
بالعبد والعبد بالعبد والانثى بالانثى وبينت السنة ان الذكر يقتل بالانثى وانه يعتبر المماثلة فى الدين
فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو كان حرا وقال الشافعى ومالك رحمهما الله لا يقتل الحر بالعبد ولا المؤمن
بالكافر وهذه الاية تفسير لمبهم فى قوله تعالى النفس بالنفس ولا يصح القول بان قوله تعالى الحر بالحر منسوخ
بقوله عز وجل النفس بالنفس لانه ورد فى حكاية ما وجب على اليهود فى التورية من غير فرق بين الحر والعبد
والذكر والانثى وهذه شريعة من قبلنا وهى لا تلزمنا الا ما جاء فى شريعتنا ما يخالف وانما يلزمنا لو لم يجئ
المخالف ويعلم من الدين بالضرورة ان القرآن مهيمن على جميع الكتب الالهية وناسخ لذلك ولو كان
موسى عليه السلام حيا ما وسعه الا اتباعه لنبينا والقرآن ومن سلم نص هذه الاية يعنى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى اى لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس
لانه حكاية ما فى التورية فلا ينسخ ما فى القرآن وقال ابو حنيفة رحمه الله يقتل الحر بالعبد كما يقتل المؤمن
بالكافر ويجعل قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى منسوخة بقوله تعالى ان النفس بالنفس
وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم اى تتساوى ولان التفاضل لو اعتبر فى النفوس لما
قتل جماعة بواحد لكنها يقتل بالاجماع وسبب نزول الاية فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى
الجاهلية قبيل الاسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم ياخذها بعضهم من بعض حتى جاء
الاسلام قال مقاتل بن حيان كان ذلك بين قريظة والنضير وقال سعيد بن جبير كان بين
الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير
مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلان منهم وجعلوا جراحاتهم

ضعفي

ضعفي جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وامر بالمساواة
فرضوا وسلموا وجملة الحكم فيه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد المسلمين او الاحرار
من المعاهدين او العبيد منهم قتل من كل صنف الذكر اذا قتل بالذكر وبالانثى والانثى اذا قتلت
بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر
والولد بالوالد هذا قول اكثر اهل العلم من الصحابة ومن بعدهم وعن ابى جحيفة قال سألت عليا
عليه السلام هل عندكم من النبى صلى الله عليه وسلم شىء سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ
النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وما فى الصحيفة قلت وما فى الصحيفة قال العقل و
فكاك الاسير ولا يقتل مؤمن بكافر روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تقام الحدود فى المساجد ولا يقاد بالولد الوالد ويجرى القصاص فى الاطراف كما يجرى فى
النفوس الا فى شىء واحد وهو انه لو قطع يدا شلاء او ناقصة اصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة
وذهب اصحاب الاجتهاد الى ان القصاص فى الطرف لا يجرى الا بين حرين او حرتين ولا يجرى بين
الذكر والانثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد وعند الآخرين الطرف فى القصاص مقيس على النفس
وعن انس ان الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا اليها العفو فابوا فعرضوا الارش فابوا فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوا الا القصاص فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال انس
بن النضر يا رسول الله اتكسر ثنية الربيع لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا انس كتاب الله القصاص فرضى القوم فعفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من
عباد الله من لو اقسم على الله لابره ومن اراد زيادة البيان فليراجع التفسير الكبير للامام فخر الدين
الرازى فمن عفى له وهو القاتل يعنى من عفى له عن جنايته من جهة دم اخيه الاخ
ولى المقتول اى عن قتيله الذى هو اخوه فى الدين او من الولى الذى هو اخوه من الدين يعنى من ترك
له القتل باخذ الدية اى من ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد ورضى عنه
بالدية والحال ان العفو عن البعض كالعفو التام فى اسقاط القصاص شىء اى شىء من العفو اى بعض
الدم بان ترك القصاص وتنكير شى يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة
وذكر بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه وضمير له واخيه
كناية عن القاتل راجعان الى من وفى قوله شىء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا يسقط القصاص لان
شيئا من الدم قد بطل كامر فاتباع اى فعلى العافى الطالب للدية من القاتل ان يتبع بالمعروف بلا يطلب
اكثر من حقه واداء اى وعلى القاتل اداء الدية اليه الى العافى وهو الوارث باحسان بلا مطل ولا بخس
امر كل منهما بالاحسان فيما له وعليه ومذهب اكثر العلماء من الصحابة والتابعين ان ولى الدم اذا عفى عن
القصاص على الدية فله اخذ الدية وان لم يرض به القاتل وقال بعضهم لا دية الا برضى القاتل وعن ابى
شريح الكعبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم انتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وانا والله
عاقله من قتل بعده قتيلا فاهله بين خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا العقل ذلك اى الحكم
المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية تخفيف تسهيل وتيسير وتوسعة من ربكم ورحمة

Copyright © King Saud University

بكم وانما قال ذلك لان القصاص كان واجبا على اليهود فى التوراة لا غير واخذ الدية من غير قصاص
كان واجبا على النصارى فى الانجيل لا غير وقال امامنا الشافعى الولى مخير ان شاء قتل وان شاء
اخذ الدية وان لم يرض به القاتل وقال ابو حنيفه رحمه الله له ان ياخذ الدية برضى القاتل وخير
الله هذه الامة المحمدية بين القصاص والعفو عنه واخذ الدية والاية تدل على ان صاحب الكبيرة من
الموصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة
والله ذو الفضل العظيم **فمن اعتدى بعد ذلك** اى من تجاوز ما شرع له فقتل الجانى بعد العفو
او قتل غير القاتل بعد اخذ الدية وقبولها **فله عذاب اليم** وهو ان يقتل قصاصا فى الدنيا وفى
الاخرة عذاب اليم وجيع قال ابن جريج يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو لقوله عليه السلام لا اعافى
احدا قتل بعد اخذ الدية **ولكم فى القصاص** اى فى هذا الحكم الذى هو القصاص **حيوة** اى بقاء عظيم
وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله
فكان القصاص سبب حيوة النفسين **يا اولى الالباب** اى ذوى العقول الكاملة ناداهم للتامل
فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس **لعلكم تتقون** القتل مخافة القصاص
فانظر الى فصاحة الكلام وبلاغته مع رعاية الاختصار حيث جعل الشئ محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحياة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما لان العلم به يردع العاقل عن القتل
كتب عليكم نزل حين كانوا يوصون للاجنبى ولم يوصوا لذوى القرابة شيئا لرفع ذلك اى فرض
ووجب عليكم **اذا حضر** دنى **احدكم الموت** اى اسبابه من الامراض فظهرت اماراته **ان
ترك خيرا** اى مالا كثيرا طيبا يغنى الورثة ويفضل لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد
ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة
رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشئ يسير فاتركه لعيالك **الوصية** مرفوع بكتب عليكم والعامل
فى اذا مدلول كتب والمعنى اوجب الله عليكم وقت حضور الموت لا حكم الوصية لا الوصية ان كانت
اذا ظرفية محضة و دال على جوابها ان كانت شرطية وجواب ان ترك محذوف اى فليوص
وقيل الوصية مبتدأ خبره للوالدين وقد مر ان المشركين كانوا يوصون للاجانب رياء وسمعة
ويتركون الاقارب والورثة فنهى الله عز وجل المسلمين من صنيعهم فقال **للوالدين والاقربين
بالمعروف** اى بالعدل فلا يفضل الغنى على الفقير ولا يتجاوز الثلث **حقا على المتقين** اى حق ذلك
الوصية حقا على من يتق الله تعالى ويمتثل امره او جعل الوصية حقا على المتقين المومنين وكانت الوصية
فريضة فى ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين على من مات وله مال ثم نسخت باية الميراث وبحديث
لا وصية لوارث رواه الترمذى وعن عمرو بن خارجة قال كنت اخذا بزمام ناقة النبى صلى الله عليه
فقال ان الله تعالى اعطى كل ذى حق حقه ولا وصية لوارث فذهب جماعة الى ان وجوبها صار منسوخا
فى حق الاقارب الذين يرثون وبقى وجوبها فى حق الذين لا يرثون من الوالدين والاقارب وهو قول
ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن قال طاوس من اوصى لقوم وترك ذى قرابته محتاجين انتزعت

منهم

منهم ورثت فى ذوى قرابته وذهب الاكثرون الى ان الوجوب صار منسوخا فى حق الكافة وهى
مستحبة فى حق الذين لا يرثون وفى المنهاج للنواوى رحمه الله وتصح الوصية لوارث فى الاظهر ان اجاز
باقى الورثة اى بخلاف ما اذا ردوا ولا عبرة بردهم واجازتهم فى حياة الموصى والعبرة فى كونه وارثا
بيوم الموت اى بوقته والوصية لكل وارث بقدر حصته لغو لانه يستحقه بلا وصية وبعين هى قدر
حصته صحيحة وتفتقر الى الاجازة فى الاصح لاختلاف الاغراض فى الاعيان انتهى بحروفه **فمن بدله**
اى غيره من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** اى قول الموصى اى علمه ووصل اليه علم ذلك
وتحقق لديه **فانما اثمه** اى اثم الايصاء المغير **على الذين يبدلونه** اى الايصاء من الاوصياء
والشهود لا على الموصى اى الميت فانه برئ من ذلك الاثم لانه لا حاف ولا خالف الشرع **ان الله
سميع** لقول الموصى بما اوصى به **عليم** بتبديل المبدل والمغير فيجازيه الله على عمله **فمن خاف**
اى علم لقوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله اى علمتم **من موص** مخففا ومثقلا **جنفا**
اى ميلا عن الحق الى الباطل فى وصيته لكن خطا لا عمدا لان الجنف للخطا **او اثما** اى ظلما بان تعمد فى
وصيته فزاد على الثلث او خص غنيا مثلا **فاصلح بينهم** اى بين الموصى لهم وهم الوالدان
والاقربون فغير وصيته باجرائها على طريق الشرع **فلا اثم عليه** اى لا وزر على المغير على وجه
الشرع لان تغييره تغيير باطل الى الحق فلا يكون ظلما وقال مجاهد معنى الاية ان الرجل اذا حضر مريضا
وهو يوصى اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية فى غير موضعها فلا حرج على من حضر ان يامره بالعدل
وينهاه عن الحيف فينظر للموصى وللورثة **ان الله غفور** لمن تاب عن الظلم **رحيم** لمن اطاعه فى
امره **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام** اى فرض عليكم شهر رمضان والصوم فى اللغة
الامساك عما تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه النفس
قال ابن مجيد يعنى الامساك عنها يستلزم امساك النفس عما سواها ثم اكد فرضيته وبين انه عبادة
قديمة ليست مخصوصة بنا بل كانت مفروضة على من تقدم علينا ايضا بقوله **كما كتب على الذين
من قبلكم** اى على الانبياء والامم من عهد ادم عليه السلام الى عهدكم وقال جماعة من اهل العلم
اراد بالذين من قبلكم ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما كان يقع فى الحر
الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم فى اسفارهم ويضرهم فى معايشهم فاجتمع راى علمائهم
ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع وزادوا
فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه فجعل لله عليه ان هو برئ من
وجعه ان يزيد فى صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك اخر
فقال اتموه خمسين يوما وقال مجاهد اصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا فيه عشرا قبل
وعشرا بعد والله اعلم **لعلكم تتقون** المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدأ المعاصى او لعلكم تحذرون
المعاصى لعنى الشهوات من الاكل والشرب والجماع او لان الصيام يمنع نفسه عن السوء قال النبى صلى الله عليه
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فانه وجاء اى مخرج من السوء **اياما معدودات** ايا ما نصب بالصيام فى قوله كتب عليكم

Copyright King Saud University

الصيام او تصوموا مقدرا ومعنى معدودات اى قلايل او موقتات بعدد معلوم وهى رمضان قيل
كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلثة ايام من كل شهر واجبا وصوم عاشوراء ثم نسخ بصوم رمضان
قال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان
قبل بدر بشهر وايام فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه الصوم
او على سفر اى او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر والمراد من السفر
سفر القصر واجهده الصوم فى حال مرضه فافطر فعدة اى فعليه قضاء صوم عدد ما افطر
من ايام المرض او السفر من ايام اخر يصومها بدله واخر لا ينصرف للوصف والعدل
التقديرى وعلى الذين لا يطيقونه لكبر او مرض لا يرجى برؤه من اطاق فلان اذا ازال طاقته
والهمزة للسلب اى على الذين لا يقدرون على الصوم فدية هى طعام مسكين نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم ذلك فى اول الامر لما امروا بالصوم
فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه واختلف العلماء
فى تاويل قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية فذهب اكثرهم الى ان الاية منسوخة وذلك ان الصحابة
كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفتدوا خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم
لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال
قتادة هى خاصة فى الشيخ الكبير الذى يقدر ان يصوم ولكن يشق عليه رخص له فى ان يفطر ويفدى
ثم نسخ وقال الحسن هذا فى المريض الذى ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين ان
يصوم وبين ان يفطر ويفدى ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبت الرخصة للذين لا يطيقون
وذهب جماعة الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناه على الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب فعجزوا
عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم قرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها
وفتح الواو وتشديدها اى يكلفونه وتاوله على الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان الصوم والمريض
الذى لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم ان يفطروا ويطعموا مكان كل يوم
مسكينا مدا وهو قول سعيد بن جبير وجعل الاية محكمة وقرى يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه
من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام
يطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه
وعلى هذه القراءة يحتمل الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم
والله اعلم فمن تطوع خيرا فزاد فى الفدية فهو اى فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا
ايها المطيقون صومكم وجهدكم وطاقتكم فى محل الرفع مبتدا خبره خير لكم من الافطار والفدية
وتطوع الخير او منهما معا ومن التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ان ذلك خير لكم فصوموا تلك
الايام ولا تفطروا لان فيه امتثال الفرض وكثرة الثواب شهر رمضان مبتدا خبره الذى انزل او خبر
مبتدا محذوف اى الايام المعدودات شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم

الصيام

الصيام صيام شهر رمضان ورمضان مصدر رمض اذا احترق وانما سمو بذلك اما لارتماضهم
فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القران اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك
ليلة القدر او انزل فيه جملة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل
نجوما فى عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة او انزل فى شانه القران وهو قوله تعالى كتب عليكم
الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست
مضين والانجيل لثلث عشرة والزبور فى ثمان عشرة والقران لاربع وعشرين تتمة فى معرفة
الانزال والتنزيل وكيفية النزول قيل للمحققين فى الانزال قولان الاول ان مجموع القران انزل
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وهو العقل دفعة واحدة والثانى انه انزل من اللوح الى العقل
اى السماء الدنيا دفعة واحدة فى مقدار ما ينزل فى سنة بحسب المصالح فعلى القول الاول يكون الانزال
من العقل الى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة على الاختلاف وعلى الثانى
يكون الانزال من اللوح الى قلبه عليه السلام فى عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة والتنزيل
ظهور القران بحسب الاحتياج بواسطة جبريل عليه السلام على قلب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه
طريقان احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ينخلع عن الصورة البشرية الى الصورة الملكية وياخذ من
جبريل بحسب المصالح وهو الصعب وثانيهما ان الملك كان ينخلع من صورته الى الصورة بشرية حتى ياخذ
الرسول صلى الله عليه وسلم منه ففى التنزيل تدريج دون الانزال واما النزول فاختلفوا فى كيفيته ذلك فبعضهم
قال انه ظهور القران على قلب الرسول عليه السلام من غير انتقال من قولهم انزل على فلان سرور وتنزل
بفلان غم اذا ظهر وقال بعضهم ان الله تعالى يفهم كلامه جبريل فى السماء وهو متعال عن المكان فيتنزل
فيه ثم جاء جبريل من السماء الى الارض وعلم النبى قراءته فلا انتقال فى كلامه اصلا وللمفسرين يجعلون هذه
مقدمة فى اول الكتاب وفى صحيح البخارى ان الحارث بن هشام رضى الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم احيانا ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده
على فينفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فاعى ما يقول فيكلمنى انتهى وفى
وفى انزال القران فى شهر رمضان اشعار بان ذلك سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى
للناس اى هاديا للناس من الضلالة حال من القران بمعنى انزل وهو هداية للناس باعجازه وبينات
حال ايضا منه اى ايات ودلالات واضحات من الهدى مما يهدى الى الحق من الاحكام اى الحلال والحرام
والحدود ومن الفرقان اى مما يفرق بين الحق والباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد
منكم الشهر فليصمه اى فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه ومن كان مريضا او على سفر
فافطر فعدة اى فعليه عدة الايام المعدودة التى افطرها من ايام اخر بعضها بعد ذلك
لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه اى فى حق المقيم المطيق يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض والمرض المبيح للفطر
ما يجهده الصوم يعنى من يخاف من الصوم معه زيادة علة وان لم يجهده الصوم فهو كالصحيح

Copyright King Saud University

هذا عند اكثر العلماء وهو مرضى الشافعي وكان ابن سيرين يفطر في رمضان لوجع اصبعه وبعضهم
لوجع سنه لانه يطلق على ذلك اسم المرض ومنهم من اباحه بالمرض الذي يجوز معه الصلوة قاعدا
والسفر المبيح للفطر ستة عشر فرسخا ويقصر فيه الصلاة وهو مسيرة يومين وهو القول الشافعي
وعليه الشافعي وعند اهل الكوفة مسيرة ثلثة ايام ولياليها واليه ذهب الثوري رحمه الله وفي السفر اما
فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة اهل العلم ومنهم من قال لا يجوز الصوم في السفر ومن صام
فعليه القضاء واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصوم في السفر بل من يجهده الصوم
فالاولى ان يفطر لان النبي صلى الله عليه وسلم راى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم فقال
ليس من البر الصيام والدليل على جواز الصوم في رمضان ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
انه قال كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصايم ومنا المفطر فلا يعيب الصايم
على المفطر ولا المفطر على الصايم واختلفوا في افضل الامرين فقالت طايفة الفطر افضل وذهب قوم
الى ان الصوم افضل وقالت طايفة افضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
ولتكملوا العدة اي شرع لكم ما ذكر من الاحكام واراد بكم ذلك لتحفظوه ولتتموا اعداد ايام الشهر بقضاء افطاركم
بالمرض او بالسفر وقال عطاء ولتكملوا العدة اي عدة ايام الشهر لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم
فاكملوا العدة ثلثين فقوله تعالى ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد وهو الايام المعدودات وقوله تعالى
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء لعذر المرض والسفر اي لتعظموا الله عند اكمال العدة على ما هداكم
ارشدكم لمعالم دينكم لانه علمكم كيفية القضاء ولما رضي لنا من صوم رمضان ولما خصكم به دون
ساير الملل وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو تكبيرات ليلة الفطر وروى الشافعي عن ابن مسيب وعروة
وابي سلمة انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير وشبه ليلة النحر بها الا من كان حاجا فذكره
التلبية ولعلكم تشكرون الله على نعمه وهذه النعمة اي حيث رخص لكم الفطر في المرض والسفر فهو تعليل
لاجل الترخيص والتيسير والحاصل شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء
ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها وسال جماعة من الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزل وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه
منهم وقال السلطان السايل كان اعرابيا أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد
للداعي بالاجابة اي اسمع للاجابة اي وقت يدعوني فليستجيبوا لي اي فليجيبوا الي عبادي بالطاعة
والايمان واجيبهم بالاعطار في جمع مهماتهم وليؤمنوا بي اي وليصدقوا بتوحيدي امر بالثبات
والمداومة لعلهم يرشدون اي راجين اصابة الرشد اي الحق ثم بين الله احكام الصوم فقال أحل
لكم ليلة الصيام الرفث اي الجماع إلى نسائكم قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكني كل ما ذكر
في القران من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما عنى به الجماع قال اهل التفسير
كان في ابتداء الاسلام اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة

او يرقد

او يرقد قبلها فاذا صلى العشاء او رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليلة القابلة ثم ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع اهله بعدما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي
بعد ما صليت العشاء فوجدت رايحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما كنت جديرا بذلك فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزل في عمر واصحابه أحل لكم الاية اي ابيح لكم في ليلة
الصيام الجماع وكل ما يراد من النساء كالغمز والتقبيل وغير ذلك هن لباس لكم وأنتم لباس لهن
اي هن سكن لكم وانتم سكن لهن دليله قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقيل سمي كل واحد من
الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب
الذي يلبسه او هن فراش لكم وانتم لحاف لهن كذا ذكره الربيع بن انس علم الله أنكم كنتم تختانون
أنفسكم اي تظلمون انفسكم بالمجامعة بعد العشاء وتنقيص ثوابها فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم اي تجاوز عنكم ومحا ذنبكم فالآن باشروهن اي حين احل لكم ونسخ عنكم التحريم جامعوهن
وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره لكم واثبته في
اللوح المحفوظ من الولد لا لمجرد قضاء الشهوة فان الولد هو الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح او واطلبوا
منهن ما ابيح لكم وامرتم به وكلوا واشربوا اي ليالي الصيام كلها حتى يتبين يظهر لكم الخيط الأبيض
اي الفجر الصادق من الخيط الأسود هو سواد الليل اي الفجر الكاذب من الفجر الصادق بيان للخيط
الابيض وبيان الاسود محذوف وشبه بياض النهار وسواد الليل بخيطين هما ابيض واسود لامتدادهما
روي عن عدي بن حاتم انه قال اخذت الخيطين فجعلت انظر اليهما فلم يتبين الاسود من الابيض ما لم يسفر
الصبح فاتيت رسول الله فاخبرته بذلك فتبسم وقال انك لعريض القفا انما هو سواد الليل وبياض النهار
فنزل قوله من الفجر فارتفع الاشتباه واعلم ان الفجر فجران كاذب وصادق فالكاذب يطلع اولا مستطيلا
كذنب السرحان يصعد الى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصايم ثم يغيب
فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيرا ينتشر سريعا في الافق فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب
على الصايم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل وصحة صوم من اصبح جنبا ثم
أتموا الصيام إلى الليل بيان لاخر وقت الصوم واخراج الليل عنه ونفي صوم الوصال ودخول
الليل انما يكون بغروب الشمس ولا تباشروهن اي نساءكم وأنتم عاكفون مقيمون بنية الاعتكاف في
المساجد متعلق بعاكفون نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امراته ويعود تلك الايات والاحكام
المذكورة من اول اية الصيام الى هنا حدود الله حدها لعباده ليقفوا عندها فلا تقربوها اي لا
تقربوا الحدود نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى ويتعدى
كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو
ابلغ من قوله فلا تعتدوها في اية اخرى ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك اي
كما بين لكم ما ذكر لكم من الاحكام وبين حدودها يبين الله آياته للناس من امر الصيام في
الصحة والمرض والمباشرة بالنساء والاعتكاف لعلهم كي يتقون يخافون الله فينجوا من العذاب

Copyright @ King Saud University

ولم يكن له بينة

ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نزلت فى ربيعة بن عبدان الحضرمى وامرء القيس الكندى
ادعى ربيعة قطعة ارض على امرء القيس ورفع الحكم الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بان يحلف امرء القيس فهم به فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى ربيعة بن عبدان وهذا دليل على ان حكم
القاضى لا ينفذ باطنا ويويده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون الحن
بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من نار
فصارت الاية عامة لجميع الناس ومعنى الاية لا ياكل بعضكم اموال البعض كاينة بينكم بوجه حرمه الشرع
كالرشوة والغصب والحيلة وتدلوا بها عطف على النهى اى لا تدلوا بها يقال ادلى دلوه اذا ارسله فى
والقاه اى لا تلقوا ولا ترسلوا امرها والحكومة فيها او بالاموال رشوة الى الحكام الى قضاة السوء
او العدول على الاصحابين لتاكلوا بالتحاكم اى بحماية الحكام بارباب الاموال فريقا اى مقدارا من
اموال الناس بالاثم اى بالظلم وشهادة الزور والايمان الكاذبة والحيل فى الربا والاوقاف
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم اقبح وان قضاء الحاكم بالباطل لا يحل حراما
واختلف فى معنى الاية قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال
ويخاصم فيه الى الحاكم وهو يعرف ان الحق عليه وانه اثم بمنعه وقال مجاهد فى هذه الاية معناها
لا تخاصم وانت ظالم وقال الكلبى ان يقيم شهادة الزور وقيل معناه لا تاكلوا بالباطل وتدلوا بها
اى وتسرعوا الى الحكام وقال قتادة لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل
حراما وكان شريح القاضى يقول انى لا اقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكن لا يسعنى الا ان اقضى بما يحضرنى من البينة
وان قضائى لا يحل لك حراما وينبغى لكل حاكم اذا فصل بين الاثنين ان يقول فى اخر حكمه بل فى اول حكمه ما قال
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الحديث وما قال شريح ايضا عسى ان يتوب يسألونك عن
الاهلة نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
ثم يزيد حتى يمتلى نورا ثم يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة كالشمس والمعنى يسئلونك يا محمد
عن سر الاهلة تكون دقيقة كالخيط اولا ثم يمتلى نورا ويزيد جرمها والاهلة جمع هلال وهو الصوت
سمى به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته قل يا محمد فى جوابهم هى اى الاهلة مواقيت معالم
للناس يعلمون بها اوقات معاملاتهم من الزراعة والتجارة وحل ديونهم وصومهم وفطرهم وغير ذلك
والحج عطف على الناس اى ليعلم الناس اوقات الحج والعمرة وليس البر بان تاتوا البيوت من
ظهورها سبب نزوله ان الانصار كانوا اذا احرموا بالحج او العمرة لم يدخلوا دارا من مدر وطين
وحجر او فسطاطا وخيمة من وبر من جانب بابه المعهود بل يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراءه وخلفه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر ولكن البر بر من اتقى المحارم و
الشهوات واتبع امر الله ولا يدخل من ظهر بيته فانه صنيع الجهلة وأتوا البيوت من ابوابها
اى ادخلوها محرمين ومحلين من ابوابها المعهودة واتقوا الله اى واخشوه ولا تعصوه لعلكم
تفلحون اى لكى تنجوا من عقوبته باطاعته واطاعة رسوله وقاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا

لاعلاء

لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم من الكفار قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والممانعين انفسهم عن القتال وعلى هذا يكون منسوخا بقوله عز وجل
وقاتلوا المشركين كافة وقيل هى اول اية نزلت فى القتال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل
من قاتل ويكف عمن كف اى الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان
والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم فى حكم المقاتلة ويويد قولنا
قيل كان ذلك قبل ان امروا الح ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
موضع بقرب مكة فيه بئر اسمها حديبية ثم سمى ذلك الموضع بها للعمرة وصالحوه على ان يرجع من قابل ويعتمر
فيخلوا له مكة ثلثة ايام وعلى ان لا يكون بينهم قتال الى عشر سنين فرجع الى المدينة فخرج من العام المقبل
لقضاء العمرة فى اشهر الحج فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال مع المشركين فى الحرم والاحرام والشهر
الحرام لامكان نقض العهد فنزلت وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا بابتداء القتال
او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله من النساء والشيوخ
والرهبان ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين ما حد لهم اى لا يريد بهم الخير ولا يفعل بالمتجاوزين
من الحلال الى الحرام وهو الابتداء بالظلم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث وجدتموهم وادركتموهم فى
فى الحل والحرم والشهر الحرام ان نقضوا عهدكم واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة فقد فعل ذلك
بمن لم يسلم يوم الفتح جزاء لاخراجهم للمسلمين اولا وكان المشركون يستعظمون القتال فى الحرم ويعيرون
المسلمين به فنزل والفتنة اى الشرك بالله من الكفار اشد اى اعظم عند الله من القتل الذى
يحل بالكفار منكم فى الحرم او من عذاب الاخرة او المعنى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من
الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اى فى الحرم حتى
يقاتلوكم فيه اى حتى يبدؤكم بالقتال فى الحرم اى لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
فان قاتلوكم فى المسجد الحرام فاقتلوهم فى المسجد الحرام فلا تبالوا بقتالهم فيه فانهم الذين هتكوا حرمته
قال مقاتل ابن حيان هذه الاية اى قوله ولا تقاتلوهم اى قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
ناسخة لقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ومنسوخ باية السيف فى براءة اى واقتلوا المشركين كافة فهى اى
اية ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ناسخة فى وقت ومنسوخة فى وقت اخر لمصالح المسلمين فسبحان المنان
ومما يحتاج اليه المفسر معرفة التنزيل والانزال والنزول وقد مرت الاشارة اليه ومعرفة التفسير والتاويل
والناسخ والمنسوخ ومعرفة كون السورة او الاية مدنية او مكية ومعرفة نظم التركيب والترتيب رب زدنى
علما وفهما واهدنى سواء السبيل كذلك اى القتل والاخراج جزاء الكافرين اى يفعل بهم مثل ما فعلوه
فان انتهوا عن الشرك والقتال واسلموا فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف يعنى غفور لمن
تاب عن الذنوب ورحيم لمن اطاعه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى لا توجد فتنة اى شرك وكان
تامة وحتى بمعنى الى ان او كى ويكون الدين العبادة والاسلام لله وحده فلا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام
او القتل فان انتهوا عن الشرك وقتالكم فلا عدوان اى لا ظلم يعنى لا تظلموا الا على الظالمين الذين
لا ينتهون عن الظلم وسمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة يعنى سمى ما يفعل بالكفار عدوانا وظلما وهو فى نفسه حق

وعدل لكون جزاء الظلم جزاءً وفاقا يعنى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم الشهر الحرام بالشهر الحرام يعنى شهر ذى القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم سنة سبع بالشهر الحرام اى ذى القعدة ايضا الذى صددتم ومنعتم فيه عن زيارة البيت سنة ست والحرمات جمع حرمة وانما جمعها لانه اراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام قصاص اى مساواة ومماثلة اى يقتص بمثلها اذا انتهكت وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل هو بغيره يعنى قتالكم ايها المؤمنون فى الشهر الحرام الذى حرم القتال فيه على المؤمنين يكون بقتال الكافرين قصاصا مساويا ومماثلا وهذه تسلية للمؤمنين واكده بقوله والحرمات قصاص بقوله فمن اعتدى عليكم اى تجاوز عن حد الشرع بقتالكم فى الشهر الحرام او الحرم او الاحرام فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم بان تقاتلوا المشركين بمثل ما قاتلوكم سمى صنيع المسلمين بالكفار وهو حق اعتداء لشبهها بالمقابل به فى الصورة وسبب نزول قوله تعالى الشهر الحرام الى اخره هو ان النبى صلى الله عليه وسلم ذهب هو واصحابه عام الحديبية الى مكة للعمرة فصدهم المشركون فى ذى القعدة سنة ست ثم رجع فى العام الثانى مع اصحابه فطافوا بالبيت ونحروا الهدى واقاموا فيها ثلثة ايام فى ذى القعدة ايضا فى سنة سبع فقال تعالى اذا قاتلوكم فى الشهر الحرام بهتك حرمته فافعلوا بهم بهتك حرمة شهركم كما فعلوا بكم بهتك حرمته عليكم ولا تبالوا من كراهة القتال فيه لانه جزاء فعلهم فيكون هذا الشهر مقابلا ومساويا بذلك الشهر واتقوا الله فى الانتصار ولا تعتدوا والحال يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالعون والنصر فيحرسهم ويصلح شأنهم وانفقوا فى سبيل الله اى فى طاعته الجهاد وغيره ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم اى انفسكم وزيادة الباء للتحسين والملاحة الى التهلكة اى الهلاك بالاسراف فى المال وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو مع القدرة او عدم انفاق المال فيه فانه يقوى العدو ويسلطهم على اهلاك انفسكم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت الاية او بالامساك والبخل وحب جمع المال فانه يؤدى الى الهلاك المؤبد او لا تجعلوا التهلكة اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم الى التهلكة واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او بالنفقة فى محاويجكم وغيرها ان الله يحب المحسنين اى يخلف عليكم ويثيبكم فى الاخرة بما انفقتم فى الخير من غير اسراف ولا تقتير وفيما تفعلون من انواع الخير واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامتين مستجمعى المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما الا ان الامر بالاتمام العبادة يفيد وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روى ان رجلا قال لعمر انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب سبب اهلاله لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوى او ان تكون النفقة حلالا ونزل فيما عما لا يستحل فيهما لان المشركين كانوا يقولون فى التلبية لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهذا يشبه قول البعض الذى لا يعرف اصطلاح المحققين

انا هو من وجه وانا غيره من وجه وهو مخالف لاصطلاحهم فانه بمعزل من كلام الصوفية بل المتصوفة فكل حقيقة يخالفها شريعة فهى زندقة كذا قاله شيخنا عبد القادر الجيلانى قدس سره فعلى كل مؤمن لم يعرف اصطلاحهم ان يعبر بدينه الى ظاهر الشرع ولا ينطق بكلامهم ولا يعتقد ويكل امرهم الى الله والى رسوله ووجوب الحج اجماعى على المستطيع والعمرة فرض عند امامنا الشافعى وسنة عند ابى حنيفة والحج ثلثة افراد وهو ان يحج الرجل ثم يعتمر بعد فراغه عنه وهو الافضل عند امامنا الشافعى لانه موافق لحج النبى صلى الله عليه وسلم وتمتع وهو ان يعتمر فى اشهر الحج وبعد الفراغ منها يحرم بالحج من مكة فيحج فى هذا العام ومن تأمل فى احاديث التمتع لا يسعه تركه وقران وهو ان يحرم بحجة وعمرة معا او يحرم بعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يطوف وهو الافضل عند ابى حنيفة رحمه الله وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال والله ان العمرة لقرينة الحج فى كتاب الله قال الله تعالى واتموا الحج والعمرة واختلفوا فى الافضل من هذه الوجوه فذهب الشافعى ومالك الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران وذهب الثورى واصحاب ابى حنيفة الى ان القران افضل وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ان التمتع افضل وذكر الشافعى رحمه الله فى كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز فى لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا يريد انه امر ببنائها وكما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعى رحمه الله الافراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبى صلى الله عليه وسلم وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع واخرها ولفضل حفظ عائشة وقرب ابن عمر من النبى صلى الله عليه وسلم قال الشافعى فى اختلاف الاحاديث الى التمتع وقال ليس شئ من الاختلاف ايسر من هذا وان كان الغلط فيه قبيحا من جهة انه مباح لان الكتاب والسنة وما لا اعلم فيه خلافا يدل على ان التمتع بالعمرة الى الحج وافراد الحج والقران واسع كله وقال من قال انه افرد الحج يشبه ان يكون قد قاله على ما يعرف من اهل العلم الذين ادرك دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدا لا يكون مقيما على الحج الا وقد ابتدأ احرامه بحج قال الشيخ الامام رحمه الله ومما يدل على انه كان متمتعا ان الرواية عن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما متعارضة واما حديث فضل الافراد على التمتع والقران فهو ما روته عائشة رضى الله عنها انها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فاما من اهل بعمرة فحل واما من اهل بالحج او جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر وما رواه جابر رضى الله عنه حيث قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم لا ننوى الا الحج ولا نعرف العمرة وما رواه ابن عمر رضى الله عنهما حيث قال ان النبى صلى الله عليه وسلم افرد الحج واما اركان الحج عندنا فخمسة الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسعى بين الصفا والمروة وحلق الرأس او التقصير وللحج تحللان واسباب التحلل ثلثة رمى جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فاذا وجد شيئان من هذه الاشياء الثلثة حصل التحلل الاول وبالثالث حصل التحلل الثانى وبعد التحلل الاول يستبيح جميع محظورات الاحرام الا النساء وبعد الثالث يستبيح الكل واركان العمرة اربعة الاحرام

Copyright © King Saud University

والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق وتمام العمرة ان تحل في غير اشهر الحج حتى لا يلزمه الهدي
او الصيام وتمام الحج ان يوفي بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا تمتع وقد ذكر
علماء كل مذهب في باب الحج ما يتعلق بمذهبه فليراجع ذلك وشرب الكل من كاس واحدة ولكن المزاج
متنوع **فان احصرتم** اي منعتم عن اتمامهما بعدو عند الشافعي ومالك لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله
في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وبكل منع من عدو او مرض او
غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فقد حل فعليه الحج من قابل
وهو ضعيف جدا مأول بما اذا اشترط الاحلال فيه لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي
وقولي اللهم محلي حيث حبستني **فما استيسر من الهدي** اي فالواجب عليكم ما تيسر وهي
شاة والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي يتيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث
احصر عند اكثر العلماء لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه الله
يبعث به ويجعل بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله عز وجل **ولا تحلقوا رؤسكم**
حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي
يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حراما
واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بكسر الحاء يطلق للمكان
والزمان فعند نا يحل ذبحه بمكان الاحصار فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه
يحصل التحلل **فمن كان منكم مريضا** يحوجه الى الحلق **او به اذى من راسه** كجراحة وقمل
وصداع **ففدية** اي فعليه فدية ان حلق في الاحرام **من** بيان للفدية **صيام** اي ثلثة ايام
او صدقة اي ثلثة اصع تفرق على ستة مساكين من غالب قوت البلد **او نسك** اي ذبح شاة فقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة
اصع واو للتخيير والحق به من حلق لغير عذر لانه اولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب
واللبس والدهن لعذر او غيره **فاذا امنتم** الاحصار بالحيوة بان ذهب او لم يكن او كنتم في حال
سعة وامن **فمن تمتع** وقد ذكرنا ان التمتع هو ان يعتمر في اشهر الحج وبعد الفراغ منها يحرم بالحج من
مكة فيحج في هذا العام **بالعمرة الى الحج** ومعنى الاية من استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بعمل العمرة في
اشهر الحج قبل انتفاعه بتقربه الى الله بعمل الحج ثم بعد الفراغ من العمرة يحرم بالحج من مكة في عامه اي لا العام
القابل **فما استيسر من الهدي** اي ما تيسر عليه من شاة يذبحها بعد الاحرام بالحج والافضل ان
يذبح يوم النحر وذلك بسبب التمتع فهو دم جبران لانه يجبر به النقصان اللازم للتمتع فلا ياكل منه
وقال ابو حنيفة هو دم نسك فهو كالاضحية فيجوز ان ياكل منه ولوجوب هدي التمتع اربع شرايط
احدها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج والثاني ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة والثالث
ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى الميقات لاحرامه والرابع ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام
فمتى وجدت هذه الشرايط فعليه ما استيسر من الهدي وهو دم شاة ويذبحه يوم النحر فلو ذبح قبله

بعد ما احرم

بعد ما احرم بالحج جاز عند بعض اهل العلم كدماء اهل الجبرانات وذهب بعضهم الى انه لا يجوز
قبل يوم النحر كدم الاضحية **فمن لم يجد** اي من لم يجد الهدي **فصيام ثلثة ايام في الحج**
اي في حال احرامه بالحج وقبل التحلل والاحب ان يصوم سادس ذي الحجة وسابعه وثامنه ولا يجوز
صوم يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وعبارات مشايخنا يجب عليه ان يحرم قبل السابع من
ذي الحجة والافضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها اي تلك الثلثة في ايام التشريق
على اصح قولي الشافعي **وسبعة اذا رجعتم** اي وعليه صيام سبعة اذا رجعتم الى اهليكم وبلدكم وهو
احد قولي الشافعي واكثر اهل العلم او نفرتم وفرغتم من اعمال الحج وهو المراد من الرجوع في قوله الثاني
وهو مذهب ابي حنيفة **تلك عشرة كاملة** ذكرها على وجه التاكيد وفايدة الذكر مرة اخرى ان لا يتوهم
متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وقال كاملة لانه اول عدد كامل اذ به
ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او كاملة في الثواب والاجزاء **ذلك** اي الحكم المذكور من وجوب الهدي او الصيام
على من تمتع عندنا او اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده
فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** قال الشافعي
رحمه الله كل من كان وطنه من مكة اقل من مسافة القصر اي اقل من مرحلتين فهو من حاضري المسجد
الحرام وقيل هم اهل الميقات فما دونه وهو قول اصحاب الراي وقيل هم اهل مكة وهو قول مالك وقال
طاوس اهل الحرم وقال ابن جريج اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلتان ودم القران كدم التمتع
والمكي اذا قرن وتمتع فلا هدي عليه **واتقوا الله** خافوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا
في الحج **واعلموا ان الله شديد العقاب** لمن خالفه وارتكب المناهي **الحج اشهر معلومات** اي وقت الحج
اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر ويروى عن
ابن عمر انها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وعليه اهل الكوفة وكل واحد من القولين صحيح
غير مختلف فيه فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسع عبر به عن الايام فان اخر ايامها يوم
عرفة وهو اليوم التاسع وذو الحجة كله عند مالك فانه كره العمرة في بقية ذي الحجة **فمن فرض فيهن**
الحج اي فمن اوجب على نفسه في الاشهر المعلومات الحج بان احرم به فاذا احرم لزمه الحج عندنا وبالاحرام
والتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة فمن احرم بالحج في غير اشهر الحج لا ينعقد احرامه بالحج عندنا
لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها ولو انعقد الحج بغيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة
وعند ابي حنيفة ينعقد **فلا رفث** سيما بحضرة النساء اي فلا جماع او فلا فحش من الكلام قال
صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه **ولا فسوق** ولا معاصي
اي ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات **ولا جدال** ولا خصام ولا مراء
مع الخدم والرفقة **في الحج** في ايامه بان يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه او يقول بعضهم
الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غدا او يقول حجي ابر من حجك ونحو ذلك فان الشرع منهي عنه في كل حال
سيما في الحج كلبس الحرير في الصلوة فانه اقبح والتطريب بقراءة القران القراءة في الاولين بالرفع
والتنوين احبار بمعنى النهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا وبنصبهما بلا تنوين وبنصب جدال نفيا

Copyright © King Saud University

وما تفعلوا من خير كصدقة وطاعة بان تستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق
التقوى ومكان الجدال الوفاق يعلمه الله اى يقبله فيجازيكم به وتزودوا فان خير الزاد التقوى
اى تزودوا للمعاد كم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج
بغير زاد كالكوراخنو الهنود فى زماننا ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا تطعمنا
فاذا قدموا مكة سالوا الناس فيكونون كلا على الناس فقال وتزودوا ما يبلغكم لسفركم وتكفون
به وجوهكم من السوال والنهب قال اهل التفسير الزاد هو الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها
فاجعلوا الطعام زاد الحج والتقوى زاد الاخرة واتقون يا اولى الالباب اى خافوا عقابي فان
قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرا
عن كل شى سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح فى ان تبتغوا اى فى ان تطلبوا فضلا رزقا من ربكم من الله يريد الربح بالتجارة
قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها ايام الحج وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تاثموا ذكرها من التجارة مواسم الحج بعد نزول قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله على
تقدير ان لا يشوبها بشى من التجارة فنزلت ليس عليكم الاية فاذا افضتم دفعتم انفسكم بكثرة ورجعتم
من عرفات اى بعد الوقوف بها وبعد غروب الشمس وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام اى فيقال العرب بالعرفات بالتنوين
وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور
به عليه السلام فى مواضع المناسك فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه وتعارفا
او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى المعرفة وهى من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع
عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مامور بها بقوله ثم افيضوا
كما ياتى فاذكروا الله بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر
الحرام هو جبل فى اخر المزدلفة يقف الان عليه ويسمى الان قزح وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم
وقف به يذكر الله ويدعو حتى اسفر جدا رواه مسلم وروى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعنى
بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما
سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر وسمى بالمزدلفة لان آدم اجتمع فيها مع حوا ودنى منها
وقد تسمى جمعا لذلك ولانه يجمع فيه بين صلاتى المغرب والعشاء وقال اسامة بن زيد رضى الله عنه دفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضا فلم يسبغ الوضوء فقلت
الصلوة يا رسول الله قال الصلاة امامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضا واسبغ الوضوء ثم اقيمت
الصلوة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره فى منزله ثم اقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئا
وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين
ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوى

حتى

حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر
جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان اسامة بن زيد كان
ردف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال
لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة واذكروه كما هداكم اى اذكروه بالتوحيد
والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه والكاف للتعليل وان كنتم من قبله
اى وقد كنتم من قبل الهدى لمن الضالين اى الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى
الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا اى وما كنتم من قبله الا من الضالين كقوله وان نظنك لمن
الكاذبين اى وما نظنك الا من الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين فان الاولى اى الافاضة من عرفة سنة قديمة متوارثة
من زمن ابراهيم عليه السلام والثانية اى الافاضة من المزدلفة طريقة مبتدعة وكل بدعة ضلالة
وقيل المراد بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرى
الناسى بالكسر اى الناسى يريد به ادم من قوله تعالى فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم فى تغيير المناسك ومن انواع الذنوب كلها ان الله غفور
رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم اى اذا قضيتم العبادات الحجية بان
رميتم جمرة العقبة وحلقتم وطفتم واستقررتم بمنى فاذكروا الله كذكركم اباءكم اى فاذكروا
الله بالتكبير والثناء وبالغوا فى ذلك كما كنتم تذكرون اباءكم عند فراغ حجكم بالمفاخر وكانت
العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم
ثم يتفرقون او اشد ذكرا اى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او
كذكر قوم اشد منكم ذكرا لابائكم او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم ثم اشار تعالى الى اختلاف غرض
الناس بالدعاء فى الحج بقوله فمن الناس من يقول وهم المشركون ربنا اتنا فى الدنيا اى اجعل
ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا اى ارزقنا ابلا وبقرا وغنما وعبيدا واماء ومالا ولم يسالوا التوبة
والمغفرة من ربهم فقال تعالى وما له فى الاخرة من خلاق اى من نصيب وحظ لان همه مقصور
على الدنيا ومنهم اى وهم المومنون من يقول ربنا اتنا فى الدنيا حسنة يعنى الصحة والكفاف
وتوفيق الخير اى التوبة والمغفرة والعلم النافع والعمل الصالح وفى الاخرة حسنة يعنى الثواب والرحمة
والجنة قيل الحسنة فى الدنيا المراة الصالحة وفى الاخرة الحوراء وقنا عذاب النار بعدم دخولها
وذلك بعفو الله ومغفرته وقال على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المراة الحسنة وفى الاخرة
الحوراء وعذاب النار المراة السوء وقال الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الجنة وقنا
عذاب النار احفظنا من الشهوات والذنوب المودية الى النار وذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى
قدس سره لهذه الاية معانى كثيرة فى كتابه الغنية شكر الله سعيه اولئك اى طلاب الحسنتين
والداعون بها لهم نصيب ثواب مما كسبوا اى جزاء ما كسبوا وعملوا من الحج والدعاء

Copyright © King Saud University

نصف ٣

من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه
لهم فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار
من ايام الدنيا لحديث بذلك وفى رواية اسرع من لمح البصر وفى رواية يحاسب قدر حلب
شاة او فى لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله بالتكبير عند رمى الجمرات وفى ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين فى ايام معدودات
اى ايام التشريق الثلثة فالتكبير مشروع للحاج وغيره عقيب الصلوات وهو الله اكبر ثلثا متوالية
عند الشافعى واثنين عند اهل الكوفة وتمامه لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد لقوله
عليه السلام كبروا دبر كل صلوة من يوم عرفة الى اخر ايام التشريق فمن تعجل اى استعجل بالنفر
والخروج من منى فى يومين اى فى ثانى ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وعند اهل الكوفة
يجوز الخروج من منى فى اليوم الثانى بعد يوم النحر من ايام التشريق قبل طلوع الفجر فلا اثم عليه
باستعجاله وترك الرمى فى اليوم الثالث منها لانه رخص له ذلك ورخص فى ترك البيتوتة لرعاة
الابل واهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثانى من ايام التشريق واراد ان ينفر فيدع البيتوتة
الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك له واسعة لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن لم
ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى ان يرمى اليوم الثالث ثم ينفر ومن تأخر فى النفر حتى
بات ليلة الثالث ورمى جماره بعد الزوال عندنا وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال
فلا اثم عليه اى لا اثم على من تعجل فنفر فى اليوم الثانى فى تعجيله ومن تأخر حتى ينفر فى اليوم الثالث
فلا اثم عليه فى تأخره وقيل معناه من تعجل فقد ترخص فلا اثم عليه فى اتيان الترخص ومن تأخر
فلا اثم عليه بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفورا له لا ذنب عليه تأخر او تعجل كما روى
من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وهذا قول على وابن مسعود ومعنى نفى الاثم بالتعجيل
والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من أثّم المتعجل ومنهم من أثّم المتأخر
لمن اتقى الله فى حجه شيئا نهاه الله عنه لان المتقى هو الحاج فى الحقيقة او المعنى ذهب اثمه
ان اتقى المناهى فيما بقى من عمره بعد انصرافه من الحج واتقوا الله فى مجامع اموركم ليعتد باعمالكم
فان المعاصى تأكل الحسنات عند الموازنة واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل
الحشر الجمع وضم للتفرق ومن الناس من يعجبك قوله اى يروقك ويعظم فى نفسك
ويسرك كلامه والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه فى الحياة الدنيا
اى ما يقوله فى امور الدنيا واسباب المعاش او يعجبك قوله فى الدنيا فصاحة وحلاوة ولا يعجبك فى الاخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له فى الكلام نزلت حين جاء اخنس بن شريق الثقفى
واسمه ابى وسمى الاخنس لانه خنس بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رجلا حلو الكلام وحلو المنظر وحسنه وفاجر السريرة والعقيدة وكان يأتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيجالسه ويظهر الاسلام ويقول والله انى احبك ثم خرج من عنده فمر بزرع لثقيف
من المسلمين فاحرقه ليلا واهلك مواشيهم واعقر حمرهم لانه كان بينه وبينهم عداوة فاخبر الله
عنه

٣

عنه بقوله ومن الناس الى ان قال ويشهد الله على ما فى قلبه اى يحلف للنبى ويجعل الله
شاهدا على ان ما فى قلبه موافق لكلامه من الاسلام ومحبة النبى والحال هو اى الاخنس فى
حال انه جعل الله شاهدا على ايمانه الد اى شديد الخصام اى الخصومة والعداوة للنبى والمؤمنين
وقيل نزل فى المنافقين كلهم والاخنس من اشدهم واذا تولى اى رجع وانصرف عنك
سعى فى الارض اى مشى فيها ليفسد فيها اى ليعمل المعاصى فى الارض بسفك دماء المسلمين
جهارا ويهلك الحرث اى الزرع بالحرق والنسل اى الدواب بالعقر او كما يفعله ولاة السوء بالقتل
والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد اى
لا يرضى بعمل المعاصى فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اى خف من الله فى
صنيعك السوء اخذته حملته العزة الانفة وحمية الجاهلية بالاثم اى على الاثم الذى يؤمر
باتقائه لجاجا وعنادا فيعمل بهوى نفسه فحسبه كافيه جزاء وعذابا جهنم اى النار وجهنم
علم لدار العقاب ومرادف للنار وقيل معرب قال عبد الله بن مسعود ان من اكبر الكبائر عند الله
ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر بن الخطاب عز المسلمين اتق
الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى ولبئس المهاد اى والله لبئس الفراش والمقر هى
ومن الناس من يشرى يبيع نفسه اى يبذلها فى طاعة الله والجهاد او يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله اى طلبا لرضاه وقيل عند اكثر المفسرين انها نزلت فى
صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد وكان معه نفر من المؤمنين فقتلوهم
فبقى وحده فقال للمشركين انا شيخ كبير لا انفعكم ان كنت معكم ولا اضركم ان كنت عليكم فخلونى وما
انا عليه اى من الاسلام وخذوا مالى فقبلوا منه ما له الا راحلته فتوجه الى المدينة مهاجرا فلما دخلها
لقيه ابو بكر فقال له ربح البيع يا صهيب فقال وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه ففرح بذلك
صهيب والله رءوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب
الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم بفتح السين وكسرها الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون كافة اى فى جميع شرائع
الاسلام اى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا او باطنا والخطاب للمنافقين وقيل نزل حين
استاذن عبد الله بن سلام واصحابه بان يقرءوا التوراة ويعملوا ببعض ما فيها وعلى هذا معناه ادخلوا
فى الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره فالخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت
وحرموا الابل والبانها او فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او فى شعب الاسلام واحكامه كلها اى فلا تخلوا بشئ والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اى طرقه بالتفرق والتفريق اى لا تتبعوا اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك
بعد مجئ الاسلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عن جابر
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله نسمع احاديث من يهود
تعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال عليه السلام امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم

Copyright ... University

لها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي فان زللتم اى ملتم عن الدخول فى الاسلام
وشرايعه من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج الواضحات الشاهدة على ان ما دعاكم اليه محمد حق فاعلموا
ان الله عزيز غالب لا يعجزه شى عن انتقامه منكم حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون اى ما ينتظرون
التاركون الدخول فى الاسلام والمتبعون خطوات الشيطان الا ان يأتيهم الله اى يأتيهم
امره وباسه وعذابه فى الدنيا او يوم القيمة كقوله أو يأتي امر ربك فجاءهم باسنا ويأتيهم الله
بباسه فحذف الاتى به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم اوانيانه عز وجل اللايق بجنابه كما اراده
فى ظلل جمع ظلة وهى ما اظلك من الغمام السحاب الابيض الرقيق وانما يأتيهم العذاب فيه لانه
مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب
فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير قال مجاهد هو غير السحاب ولم يكن الا لبنى اسرايل فى تيههم
قال مقاتل هو كهيئة الضبابة ابيض قال الحسن معناه فى سترة من الغمام فلا ينظر اليه اهل
الارض والملئكة بالرفع عطف على الله اى يأتيهم الله والملئكة فى ظلل من الغمام فانهم الواسطة فى
اتيان امر الله او الاتيان على الحقيقة بباسه وقرى بالجر عطفا على ظلل او الغمام تقديره الا ان
يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وفى الملئكة او من الملئكة قال شيخ الاسلام والفرض والسنة والاولى
فى هذه الاية وفيما شاكلها ان يومن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله تعالى ويعتقد ان الله سبحانه
منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت ايمة السلف وعلماء السنة قال الكلبى هذا من المكتوم
الذى لا يفسر وكان مكحول والزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى والليث
ابن سعد واحمد واسحاق رحمهم الله امروها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة كل
ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لاحد ان يفسره الا الله
ورسوله وبهذا امر شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره وقال الشيخ قدس سره فى قوله تعالى والراسخون
فى العلم هو الذى يقول امنت بما قال الله ولا يفسر المتشابه وقضى الامر اى وجب العذاب وفرغ من
الحساب واتم امر اهلاكهم وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيمة والى الله ترجع
الامور اى انه سبحانه ملك العباد بعض الامور فيرجع اليه الامور كلها فى الاخرة فيجازى
ثم امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان يسال اليهود تبكيتا بقوله سل بنى اسرائيل كم
٢١٠ آتيناهم اى اعطيناهم اى لاباء الحاضرين وسلفهم فكم يحتمل كونها استفهامية وخبرية ومعنى
الاستفهام فيها التقرير وبين الاعطاء بقوله من آية بينة اى معجزة ظاهرة واضحة على
نبوة موسى او محمد عليهما السلام كانفلاق البحر لهم واهلاك عدوهم ونزول المن والسلوى عليهم او شق
القمر نصفين وانطاق الحجر وغيرها من المعجزات والايات التى اتاها فى التورية والانجيل على نبوة محمد عليه
السلام فبدلوها كفرا ومن يبدل نعمة الله اى ومن يغير كتاب الله بالتحريف والتاويل الزايغ او عهد الله
او الايات الدالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه بما جاء به من بعد ما جاءته اى من بعد ما وصلت
اليه وتمكن من معرفة تلك الايات البينات فغيرها كفرا وحسدا فان الله شديد العقاب فيعاقبه
اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة ونزل فى شان المنافقين او المشركين زين للذين كفروا

٣ من اهل مكة كابى جهل واصحابه الحيوة الدنيا اى ما بسط لهم من الاموال التى هى متاع الحيوة الدنيا
اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين
على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شى الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل او الشيطان
بالعرض والمجاز بان زينها فى اعينهم بوساوسه ويسخرون من الذين آمنوا اى يستهزئون
بالفقراء من المومنين لفقرهم كبلال وعمار وصهيب وعبد الله بن مسعود وخباب وامثالهم ومن
للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبتدأ منهم والذين اتقوا الشرك كالفقراء المذكورين فوقهم
يوم القيمة لان الفقراء فى اعلى عليين والكفرة الفجرة فى اسفل سافلين او لانهم فى كرامة وهم
فى مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا فالتقوى هو سبب
الاستعلاء والله يرزق من يشاء فى الدارين بغير حساب اى رزقا واسعا فى الاخرة
او الدنيا بان يملك المسخور منهم اموال الساخرين ورقابهم كان الناس امة واحدة متفقين
على الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر فى فترة
ادريس او نوح عليهما السلام او متفقين على الايمان ثم اختلفوا فامن بعض وكفر بعض فلما
اختلفوا بعث الله النبيين اليهم مبشرين بالثواب لمن يومن ويطيع ومنذرين بالعقاب
لمن يكفر ويعصى وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد
به انه انزل مع كل نبى كتابا بخصته فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون
بكتب من قبلهم وقيل انزل مع كل نبى كتابا بالحق اى الكتاب ملتبسا بالحق والصدق شاهدا به
ليحكم اى الله او النبى المبعوث او كتابه بين الناس فيما اختلفوا فيه اى فى الحق الذى
اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم من امر الدين وما اختلف فيه اى فى الدين او الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اى اعطوا الكتاب المنزل فامن بعض وكفر بعض فعكسوا الامر اى جعلوه سببا
للاختلاف واستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات متعلق باختلف الحجج الظاهرة على صدق
الكتاب والتوحيد بغيا بينهم اى ذلك الاختلاف من حيث الحسد والظلم بين المختلفين بتكذيب
بعضهم بعضا وكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومن حيث حرصهم على الدنيا والانهماك فيها فهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق اى وفق الله المومنين للحق الذى اختلف فيه
من اختلف باذنه اى هداهم الى الحق بارادته وعلمه وامره ولطفه ورحمته حتى ابصروا الحق
بنور التوفيق وفرقوه من الباطل والله يهدى اى يرشد من يشاء هدايته الى صراط مستقيم
اى الى دين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق ولا يضل سالكه ام حسبتم اى ما كانت
ينبغى ان تحسبوا خاطب النبى والمومنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجئ الايات
تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار وقال الفراء
الميم صلة ومعناه احسبتم نزلت فى غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من
الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال الله وبلغت القلوب

Copyright@King Saud University

للخناجر وقيل نزلت في حرب احد وشدة حالهم في ذلك تطييبا لخاطر النبي واصحابه ام
تدخلوا الجنة ولما يأتكم يعني اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة دار كرامتي ولم يأتكم
المحن اصل لما لم زيدت عليها ما مثل الذين خلوا من قبلكم صفة الذين مضوا من قبلكم من
النبيين والامم يعني شبه ما الى من قبلكم من الشدايد متوقع منتظر لكم ايضا فاصبروا كما كانت قايلا
يقول كيف كان مثلهم فقيل استينافا مستهم البأساء والضراء اي اصابتهم الشدة والفقر
والبلاء والامراض وزلزلوا اي حركوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا والمصايب وخوفوا حتى
اي الى غاية يقول اي قال الرسول للاصحاب في ذلك الشدة والذين آمنوا معه استبطاء للنصر
الموعود لهم لا شكا لتناهي الشدة عليهم واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر ويقول بالنصب
والرفع معناه قال متى ياتي نصر الله الذي وعدناه فاجيبوا من قبل الله الا ان نصر الله
قريب اتيانه غير متأخر عنكم وقيل هذا في كل نبي بعث واجهد فيه قال حتى نصر الله فارسل الله
ريحا وجنودا وهزم الكفار بهما يوم الاحزاب وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك يا محمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح
الانصاري كان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فنزلت يسألونك
ماذا ينفقون اي اي شيء ينفقونه او ما الذي ينفقون ويتصدقون من اموالهم قل لهم ما انفقتم
اي ما تصدقتم من خير من مال واجيب ببيان المصرف لانه اهم لان النفقة لا يعتد بها الا ان يقع
موقعها فان اعتداد النفقة باعتباره فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل اي هم اولى به قال اهل التفسير كان هذا قبل فرض الزكوة فنسخت بالزكاة اي باية
الزكوة ويمكن حملها على النفل فلا نسخ حينئذ لان المراد بها البر بان يكون بارا على هؤلاء المذكورين
وقال السلطان وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به وما تفعلوا من خير
من انفاق وغيره فان الله به عليم يعلمه يجازيكم به لا محالة يعني ان تفعلوا خيرا فالله يعلم كنهه
ويوفي ثوابه كتب فرض عليكم القتال اي الجهاد للكفار نزلت حين امر الله بالجهاد وكرهوا
الخروج لمشقته وهو كره لكم اي شاق عليكم مكروه طبعا والجمهور ان الجهاد فرض على الكفاية
اذا قام به البعض سقط عن الباقين الفرض مثل صلاة الجنازة ورد السلام وهذه الكراهة من «من الجماعة»
حيث صرف المال ومشقة النفس وخطر الروح لا انهم كرهوا امر الله وقال عكرمة نسخها قوله
سمعنا واطعنا يعني انهم كرهوه طبعا ثم احبوه فقالوا سمعنا واطعنا وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم لان في الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة
وعسى ان تحبوا شيئا اي القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من فوات الغنيمة
والاجر واعلاء كلمات الله وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم
وانتم لا تعلمون اي والله يعلم ما هو خير لكم في مصالحكم دينا ودنيا وانتم لا تعلمون ما فيه صلاحكم لحكمكم
القعود عن الغزو يسألونك يا محمد كفار مكة والسرية التي بعثتها لترصد عير قريش عن الشهر

الحرام

الحرام اي عن القتال في الشهر المحرم قتال فيه اي عن قتال فيه ابدل من الشهر بدل اشتمال لاشتمال
الشهر على القتال قل يا محمد للسايل عن القتال فيه سواء كان الكفار على القول او السرية على قول
قتال فيه اي في الشهر الحرام كبير اي ذنب كبير وصد اي منع للناس عن سبيل الله
اي عن الاسلام وصد مبتدأ وخبره اكبر الاتي ومع خبره عطف على جملة قتال فيه كبير وكفر به
اي بالله عطف على صد والمسجد الحرام عطف على وصد عن سبيل الله على ارادة المضاف اي وصد
المسجد الحرام اي والقتال فيه صد ومنع للمسلمين عن دخول مكة وزيارة بيت الله ولا يحسن العطف
على سبيل الله ولا على الهاء في به واخراج اهله اي اهل المسجد الحرام وهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
عطف على وصد منه من المسجد اكبر اعظم وزرا عند الله من قتال السرية فيه خطأ
وظنا وتخمينا والفتنة اي اخراج الاهل والشرك بالله اكبر اي افظع من القتل من قتال سرية
رسول الله اعداء الله والمعنى قل يا محمد للمشركين توبيخا لهم افعالكم من الصد والكفر واخراج المسلمين
من مكة اكبر اثما مما فعل بعض المسلمين من قتل الحضرمي والاسر واخذ اموالهم في الشهر الحرام واختلفوا هل
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك الغنيمة ام لا ففي رواية رد النبي صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وفي رواية اخذ ذلك الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام واخذ بدله الاسارى اسارى المسلمين
القصة على ما ذكره محيي السنة والفرض والدين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن
جحش وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر
شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة
ابن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضا وعامر
ابن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكر وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله
ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن
احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تاتينا
منه بخبر فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا
منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم
احد حتى كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما
يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطايف فبيناهم كذلك
مرت عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطايف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان
وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاحلقوا
راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من
جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة
ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي

Copyright © King Saud University

السهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المومنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء واخذ الحرايب وعير بذلك اهل
مكة من بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين
وابى ان ياخذ شيئا من ذلك فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط في
ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي
رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير فعزل منه الخمس فكان اول خمس في الاسلام وقسم الباقي بين اصحاب السرية وكان
اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء اسيرهم فقال بل نقفهم حتى يقدم سعد وعتبة
وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهم فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بير معونة شهيدا رضي الله عنه واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات
بها كافرا لعنه الله واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع
فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب نزول الاية قوله يسالونك عن الشهر الحرام
يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال فيه قتال فيه اي عن قتال فيه قل يا محمد قتال فيه ذنب كبير عظيم
تم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال وصد عن سبيل الله اي صدكم المسلمين عن الاسلام وكفر به اي كفركم
بالله والمسجد الحرام اي بالمسجد الحرام واخراج اهله منه اي اخراج اهل المسجد منه اكبر اعظم وزرا عند الله
والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر من القتل اي من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت
هذه الاية كتب عبد الله بن انيس الى مومني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم
انتم بالكفر واخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعهم المسلمين عن البيت انتهى ما ذكره من القصة
والسبب وفي رواية السلطان الرد والاخذ على الاختلاف وذكر بعد قوله قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير
والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه
خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم ولا
يزالون يقاتلونكم اي الكفار اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين اي هم لا ينفكون عن قتالكم ايها المومنون
حتى كي يردوكم عن دينكم اي كي يصرفوكم عن دين الاسلام الى دين الكفر ان استطاعوا وهو
استبعاد لاستطاعتهم وايذان بانهم لا يردونهم اي ان اقتدروا على ذلك ولكنهم لا يقدرون ثم هدد
المسلمين ليثبتوا على دينهم الاسلام بقوله ومن يرتدد يرجع منكم عن دينه الاسلام فيمت
جزم بالنسق وهو كافر اي مات على كفره وارتداده فاولئك حبطت بطلت اعمالهم
الصالحة اي لا ثواب على حسناتهم قيد الردة بالموت عليها في احباط العمل كما هو مذهب الشافعي وابطلها
ابو حنيفة بنفس الردة وان لم يمت ورجع مسلما في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من

الفوايد

الفوايد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب فعند الشافعي لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله
فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلا وعند ابي حنيفة يعيده ويجدد نكاح زوجته برضاها وقت
الحج واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة ولما قالت السرية ايكون
لنا اجر المجاهدين في سبيل الله نزل ان الذين امنوا بالله والذين هاجروا فارقوا
اوطانهم وجاهدوا اي حاربوا في سبيل الله لاعلاء دين الله اولئك يرجون رحمة الله
اي ينالون الجنة برحمته والله غفور للمومنين ذنوبهم بقتالهم رحيم بهم باجزال
الثواب والاجر يسالونك عن الخمر والميسر اي عن تعاطيهما روي انه نزل بمكة قوله
تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا
في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت
هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام
احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله تعالى فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب
والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي
سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة
رحمه الله نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر مفعل
كالموعد سمي به القمار وهو من اليسر ضد العسر لان الانسان ياخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير
تعب واسم القامر اي اللاعب به الياسر او ماخوذ من اليسار لانه سلب يساره واصل الميسر وصفته
ولعبه في الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزونها عشرة
اجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لتلك القداح الازلام والاقلام ولسبعة من القداح
عليها حظوظ وانصباء واسم قدح من السبعة الفذ ولمن خرج له نصيب واحد والثاني التوام
ولصاحبه نصيبان والرقيب وله ثلثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله
ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة من تلك الاقداح اغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح و
الوغد ثم يجعلون الاقداح في خريطة واسم الخريطة الربابة ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم
يسمى المجيل والمفيض ثم يجلجلها ويخرج قدحا منها باسم رجل منهم فمن خرج له قدح من ذوات
الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح وان خرج له واحد من هذه الثلثة التي لا انصباء
لها لم ياخذ شيئا من لحم الجزور وغرم ثمن الجزور كله وقال بعضهم كان لا ياخذ ولا يغرم ويكون
ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك و
يذمون من لم يفعل ويسمونه البرم وهذا اصل القمار الذي كانت تفعله العرب والمراد من الاية انواع
القمار كلها قال طاوس وعطاء ومجاهد كل شي فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز

Copyright © King Saud University

والكعاب وروى عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج انه من الميسر وفي حديث لابي داود من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وفي اخر لمسلم فكانما غمس يده في لحم خنزير ودمه اي ذلك حرام قل لمن يسالك عن تعاطيهما فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير عظيم لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة والقول الفحش وارتكاب المحظور ومنافع للناس باللذة والفرح في الخمر وكسب المال واصابته من غير تعب وكد في الميسر واثمهما اي عقاب الاثم في تعاطيهما او ما ينشا عنهما من المفاسد اكبر من نفعهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما فالاثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة قال الضحاك وغيره انهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل انهما اكبر من نفعهما وهو ما يحصل من البغضاء والعداوة ويسالونك ماذا ينفقون اي ما قدره قل انفقوا العفو اي الفضل اي انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون اليه وتضيعوا انفسكم وكان التصدق بالفضل في اول الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب الزرع امسك قوت سنته وتصدق بالزايد على ذلك واذا كان صانعا امسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخ باية الزكاة وقيل السايل هو ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق فقال الله لنبيه قل في جوابه انفق ما يتيسر لك بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض الغنايم فقال خذ هاتي صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او مثل ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين قال الزجاج انما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة لان الجماعة معناها القبيل كانه قال كذلك ايها القبيل وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لان خطابه يشتمل على خطاب الامة كقوله يايها النبي اذا طلقتم النساء اي يبين الله لكم الايات من الامر والنهي وفي امر النفقة لعلكم تتفكرون في الدلايل والاحكام فتنتفعون فيما هو صلاحكم في امر الدنيا والاخرة يعني ان الدنيا زايلة فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى لان الاخرة باقية وقال اكثر المفسرين معنى الاية اي هكذا يبين الله لكم الايات في امر الدنيا والاخرة لعلكم تتفكرون وتعتبرون في زوالها وفنايها فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقايها فترغبوا فيها ويسالونك عن اليتامى اي عن مخالطتهم وذلك بعد نزول قوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية فتركوا مخالطتهم وتوقوا فشق ذلك على الصحابة حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتا على حدة وطعاما على حدة فقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد عزلنا عن اليتامى بما انزل الله من الشدة افيصلح لنا ان نخالطهم بالاصلاح فنزل قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم ولاصلاح اموالهم

خير

خير من مجانبتهم وان تخالطوهم اي ان تخلطوا نفقة اليتامى بنفقتكم على وجه الاصلاح فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومن شان الاخ ان يخالط اخاه ويعينه ولا يضره وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله لكلفكم ما يشق عليكم بتحريم المخالطة ولم يجوز لكم مخالطتهم والعنت المشقة ان الله عزيز غالب على ان يعنت عباده حكيم في صنعه يعني لا يكلف عباده فوق طاقتهم ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوا ايها المسلمون الكافرات وهن الوثنيات والمشركات نعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب حتى يؤمن اي يصدقن بالله تعالى ومحمد عليه الصلاة والسلام وقيل الاية منسوخة في حق الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ونزل لما روي انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق اسم امراة وثنية او كتابية وكان يرثد يحبها في الجاهلية فقالت عناق الا تخلو بي فقال مرثد ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة اي ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه خير من مشركة اي من نكاح حرة مشركة ولو اعجبتكم بحسنها وشمايلها ولا تنكحوا المشركين اي لا تزوجوا المشركين نساءكم المؤمنات فلا يجوز تزويج مسلمة لكافر اجماعا حتى يؤمنوا اي يصدقوا بالله ورسوله ويرفضوا شركهم ولعبد مؤمن بالله ورسوله وهو رقيق خير من مشرك حر ولو اعجبكم لماله وجماله وهو تعليل للنهي عن مواصلة المشركين وترغيب في مواصلة المؤمنين يعني نكاح عبد من عباد الله حرا كان او رقيقا خير من تزوج مشرك حر ولو اعجبكم تزويجه وتحبونه اولئك المذكورون من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الى عمل اهلها اي الى الكفر المؤدي الى النار فلا يليق مناكحتهم وموالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو اولياءه المؤمنين على لسان رسله الى الجنة والمغفرة اي الى اعمال الجنة واسباب المغفرة من التوبة والانابة والتقوى فالمؤمنون هم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضايه وقدرته فيجب اجابته بتزويج اوليايه ويبين اياته اوامره ونواهيه في امر التزويج وغيره للناس لعلهم يتذكرون اي يتعظون وينتهون عن المعاصي اي لكي يتذكروا وليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسالونك عن المحيض اي الحيض اي يسالونك عن الوطي في زمان الحيض فالمحيض اسم زمان ونزل في شان رجل من الانصار اسمه ابو الدحداح سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصنع بالنساء اذا حضن انقربهن ام لا وروي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال الانصاري ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسالونك بغير واو ثلاثا ثم ذكر بالواو ثلاثا لان السوالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف العطف قل هو اذى اي الحيض يعني الدم شي قذر نجس يؤذي من يقربه مجامعا فاعتزلوا النساء في المحيض اي اتركوا مجامعتهن ايام

Copyright © King Saud University

حيضهن اما الملامسة والمضاجعة معها فجائز وكان اليهود والمجوس لم يساكنوا الحيض والنصارى كانوا
يجامعوهن ولا يبالون بالحيض فامرنا بالاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى ولا تقربوهن
حتى يطهرن اى لا تقربوهن بالجماع حتى يغتسلن بعد انقطاعه ويدل على وجوب الغسل بعد الانقطاع
صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش يطّهّرن بتشديد الطاء والهاء اى يتطهرن
يعنى يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه التزاما قوله عز وجل فاذا تطهرن فأتوهن بالجماع فانه
يقتضى تاخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رحمه الله ان طهرت لاكثر الحيض جاز
قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم اعنى الفرج ولا تعدوا
الى غيره ان الله يحب التوابين من الذنوب اى يثيبهم ويكرمهم على ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين
عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم اى مواضع حرثكم
وفيه دليل على تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع القبل لا الدبر شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن
من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله عز وجل فأتوهن
من حيث امركم الله انى كيف شئتم من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار اى من جهة شئتم
روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من ناحية دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأتوا حرثكم الاية وقدموا لانفسكم العمل الصالح كالتسمية عند
الجماع او ما يدخر لكم من الثواب او طلب الولد او الدعاء عند الجماع واتقوا الله باجتناب معاصيه
واعلموا انكم ملاقوه اى صائرون اليه بالبعث فيجزيكم باعمالكم فتزودوا واما لا تفتضحوا به وبشر
المؤمنين الذين اتقوه بالجنة امر الله رسوله ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم
ولا تجعلوا الله عرضة اى نصبا للايمان بان تكثروا الحلف به لايمانكم ان تبروا وتتقوا و
تصلحوا بين الناس والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر
ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف
عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق
ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وقوله ان تبروا علة للنهى اى
انهيكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا
متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين فيكره اليمين على ذلك ويسن الحنث ويكفر بخلافها على فعل الخير ونحوه
فهى طاعة وقيل لا تجعلوا الله لايمانكم برزخا او لا تجعلوا الله لايمانكم عرضة لان تبروا واحسن ما قيل فى المعنى
لا تجعلوا الله علة معترضة حاجزة لما حلفتم عليه باليمين بالله على ترك فعل الخيرات من الاحسان لاحد
او صلة الرحم واصلاح ذات البين والعبادة كالصوم والصلوة او غير ذلك من الخيرات فيقولون نحن
حلفنا بالله فنخاف من اليمين به ان نفعله فنحنث فى يميننا والاقوال كلها قريب بعضها ببعض من حيث المعنى
ومحل قوله ان تبروا اى لان لا تحسنوا نصب على انه مفعول له وكذا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اى لان لا تتقوا ولا
تصلحوا

٣

تصلحوا بين الناس اى تتقيد بركاكة ان تبروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمين فراى خيرا
منها فليكفر وليفعل الذى هو خير وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم لابن سمرة كما مر والاية نزلت فى الصديق
لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه وكذبه على عائشة رضى الله عنها او فى عبد الله بن رواحة حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته ولا يدخل عليه فجعل يقول حلفت بالله
ان لا افعل ولا يحل لى الا ان ابر فى يمينى فصارت الاية عامة فى كل من كان يحلف بالله ان لا يجتنب
من العصيان فيعمل ما اشتهت نفسه وان لا يصلح بين الناس اذا وقعت فيهم العداوة والبغضاء فقال
تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعه حلفكم فان حلفتم عليها فلتكفروا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات
من البر والتقوى والاصلاح بين الناس كما مضت على هذا المعنى الاحاديث والله سميع لايمانكم عليم
بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين
ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله بلى والله لمجرد التاكيد
لقوله فلا اثم فيه ولا كفارة ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة
بما لا قصد ولا عزم معه الى اليمين ولكن يؤاخذكم بهما اى بأحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها
قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما
اخطاتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث
لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون ان لا يجامعوهن
وكان الايلاء طلاق الجاهلية تربص انتظار اربعة اشهر واختلف اهل العلم فيه فذهب اكثرهم
الى انه ان حلف ان لا يقرب زوجته ابدا او سمى مدة اكثر من اربعة اشهر يكون موليا فلا يتعرض
له قبل مضى اربعة اشهر وبعد مضيها يوقف ويؤمر بان يرجع الى زوجته او بالطلاق بعد مطالبة المراة
والمراد بالرجوع عما قال بالوطى ان قدر عليه وان لم يقدر فبالقول فان لم يرجع ولم يطلق طلق عليه
السلطان واحدة وذهب الى الوقف بعد مضى المدة عمر وعثمان وعلى وابو الدرداء وابن عمر رضى الله عنهم قال
سليمان ابن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون يوقف المولى واليه
ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال الشافعى ومالك واحمد واسحاق رحمهم الله و
قال بعض اهل العلم اذا مضت اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه
قال سفيان الثورى واصحاب ابى اسماعيل ولو حلف ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل هو حالف
اذا وطئها قبل مضى تلك المدة يجب عليه كفارة اليمين ولو حلف ان لا يطأها اربعة اشهر لا يكون موليا
عند من يقول بالوقف بعد مضى المدة لان بقاء المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالرجوع او الطلاق وقد
مضت وعند من لا يقول بالوقف يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ومدة الايلاء اربعة اشهر فى حق الحر
والعبد جميعا عند الشافعى لانها ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة عند الزوج فيستوى فيه
الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابى حنيفة تتنصف مدة الايلاء بالرق غير ان عند ابى حنيفة
تتنصف برق المراة وعند مالك برق الزوج كما قالا فى الطلاق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى
الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب برجوع ولا طلاق ولذلك قال الشافعى

٩٠

Copyright © King Saud University

رحمه الله لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر وبويت فان فاءو المؤلون اى رجعوا عن اليمين بالحنث
الى الوطى هذا بيان وتفصيل للذين يولون اى فهم بعد الايلاء ان رجعوا عن اليمين فى تلك الاشهر ب
جامعوا نساءكم من قبل ان تمضى المدة فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى
بالايلاء من اضرار المراة ونحوه بالرجوع الذى هو كالتوبة يعنى يغفر للمولين لرجوعهم عن اضرار نساءهم
بالايلاء بين رحمهم بترخيص الكفارة فى ذلك واذا وطى خرج من الايلاء و يجب عليه كفارة اليمين
وان عزموا الطلاق اى حققوه وصمموه بالايقاع اى اوقعوا الطلاق بترك الجماع فى المدة فان الله
سميع لقولهم بالطلاق عليم بعزمهم ونياتهم المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الرجوع او الطلاق
وفى قوله عز وجل وان عزموا دليل على انها لا تطلق بعد مضى المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه
العزم وقال فان الله سميع عليم فدل على انه يقتضى مسموعا والقول هو الذى يسمع والمطلقات اى النساء
التى طلقن وهن مدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر
يتربصن اى لينتظرن بانفسهن عن النكاح فلا يتزوجن وفى ذكر انفسهن تهييج وبعث لهن على
التربص فان نفوس النساء طوامح ونواظر الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة
قروء اى لا يتزوجن وينتظرن مضى ثلثة قروء وثلثة على الظرف او على المفعول به اى يتربصن مضيها
والقرء جمع قرء بفتح القاف وضمها وهو الطهر او الحيض قولان وهذا فى المدخول بهن اما غير المدخول
بهن فلا عدة عليهن لقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وان كان قد دخل بها نظر ان كانت
المراة ممن لم تحض قط او بلغت فى الكبر سن الايسات فعدتها ثلثة اشهر لقوله تعالى واللاى يئسن
من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللائى لم يحضن وان كانت ممن تحيض فعدتها
ثلثة اقراء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وان كانت المراة حاملا فعدتها بوضع الحمل
سواء وقعت الفرقة بينها وبين زوجها بالطلاق او بالموت لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن وان لم تكن حاملا نظر ان وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها ان تعتد باربعة اشهر وعشر
سواء مات الزوج قبل الدخول بها او بعده وسواء كانت المراة ممن تحيض او لا لقوله الله تعالى والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة ان كانت
حاملا بوضع الحمل كالحرة وان كانت حائلا ففى الوفاة عدتها شهران وخمس ليال وفى الطلاق ان كانت
ممن تحيض فعدتها قرآن وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف وقيل شهران كالقرئين فى حق من
تحيض قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينكح العبد امراتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة بحيضتين
فان لم تكن تحيض فشهرين او شهر ونصف ثم ان القرء يطلق للحيض كقوله عليه السلام دعى الصلاة ايام
اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال
من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله ان

٣

تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون
كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
بناؤها وثمرة الخلاف تظهر فى ان المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة تنقضى عدتها على قول من
يجعلها اطهارا وتحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرءا قالت عائشة رضى الله عنها اذا
طعنت المطلقة فى الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها ومن ذهب الى ان الاقراء
هى الحيض يقول لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة وهذا الاختلاف من حيث ان اسم
القرء يقع على الطهر والحيض جميعا يقال اقرأت المراة اذا حاضت واقرأت اذا طهرت فهى مقرئ والترجيح
للطهر على كل حال كما ذكره محى السنة والفرض والدين ولا يحل لهن اى للمطلقات ان يكتمن ما خلق الله
فى ارحامهن من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها
مقبول فى ذلك والمعنى لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله فى رحمها من الحمل والحيض لتبطل حق الزوج من
الرجعة والولد وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع
ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهى حائضة قد طهرت استعجالا للطلاق
ثم عظم فعلهن ذلك بقوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تنبيه على ان المؤمن خائف من
الله لا يجترئ على اخفاء ما امر الله باظهاره من الولد او الحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة
وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق اولى واحرى بردهن الى النكاح والرجعة اليهن اذا كان
الطلاق رجعيا للاية التى تتلوها فى ذلك فى العدة وهى مدة ذلك التربص ان ارادوا اى ان اراد
الزوج والزوجة والولى بالرجعة اصلاحا بينهما وحسن المعاشرة ولم يريد واضرارهن كما كانوا يفعلون
فى الجاهلية كان الرجل يطلق امراته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طلقها فاذا قرب
انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها ولهن اى للنساء على ازواجهن
مثل الذى لهم عليهن على النساء من الحقوق بالمعروف اى بما عرف شرعا يعنى لا يكلفن الرجال ما ليس لهن
ولا يكلفهن الرجال ما ليس لهم فى الشرع او فى عادة الناس من المهر والنفقة والخلق والتزين قال
ابن عباس فى معناه انى احب ان اتزين لامراتى كما تحب امراتى ان تتزين لى وللرجال عليهن درجة
زيادة فى الحق وفضل فيه اى بعد اشتراكهما فى اللذة لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والنفقة
وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن وقيام بمصالحهن او بالعقل
والشهادة والميراث والدية وطلاق المراة بيد الرجل وبالرجعة والله عزيز بالانتقام ممن يعصى امره
حكيم لا يامر الا بما هو صواب وحسن او حكيم بالحكم بالرجعة فى الطلاق الرجعى الطلاق مرتان
اى التطليق الرجعى اثنتان اى الطلاق الذى يملك الرجعة عقيبه مرتان فاذا طلق ثلثا لا تحل الا بعد
نكاح زوج اخر لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان
وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله
الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك اى اذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعلى الزوج ان
يمسكها بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة من غير ضرار والمعروف كل ما يعرف فى الشرع من اداء حقوق

Copyright © King Saud University

النكاح وحسن الصحبة أو تسريح ارسالهن بإحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى
تنقضي عدتها وحسن اليها باداء حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس
عنها وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلثة الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة
الصريح هو لفظ الطلاق وجملة الحكم في التطليق ان الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها
يجوز له مراجعتها بغير رضاها مادامت في العدة وان لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل
الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها ثلثا فلا تحل له
ما لم تنكح زوجا غيره اما العبد اذا كانت تحته امة فطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج
آخر واختلف اهل العلم فيما اذا كان احد الزوجين رقيقا فذهب اكثرهم الى انه يعتبر عدد الطلاق
بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلث طلقات والعبد يملك على زوجته الحرة الا طلقتين قال
عبد الله بن مسعود الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر
العدة حال المرأة وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب واليه
ذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق رحمهم الله وذهب قوم الى ان الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق
فيملك العبد على زوجته الحرة ثلث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين وهو قول سفيان
الثوري وابي حنيفة ولا يحل لكم ايها الحكام والقضاة والاولياء او ايها الازواج على خلاف في ذلك
أن تأخذوا مما آتيتموهن اي اعطيتموهن من المهور وغيرها شيئا اذا طلقتموهن ثم استثنى
الخلع فقال إلا أن يخافا اي يعلم اي يظن الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ألا
يقيما حدود الله يعني ان لا يحفظا اوامر الله ونواهيه المعروفة شرعا في حسن الصحبة والعشرة
اي ان لا يأتيا بما حق لهما من الحقوق اي من مواجب الزوجية وقرأة يخافا على البناء للمفعول وابدال
ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال اي يعلم القاضي والحكام والولي عدم اقامة الحدود الشرعية بين الزوج
والمرأة فتشتري نفسها بالخلع والقرأة يخافا بفتح الياء اي يعلم الزوجان من انفسهما عدم اقامة الحدود
يعني تخاف المرأة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته ان يعتدي عليها فنهى
الله الرجل ان يأخذ من امرأته شيئا مما آتاها الا ان يكون النشوز من قبلها فقالت لا اطيع لك امرا
ولا اطأ لك مضجعا ونحو ذلك فإن خفتم علمتم ايها الحكام والقضاة والاولياء ألا يقيما اي
ان لا يحفظ الزوجان حدود الله المعروفة في اصلاح الزوجية بينهما فلا جناح اي لا حرج ولا اثم
عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به يعني ليس على الزوج اثم في اخذ ما افتدت المرأة به نفسها واختلعت
ولا حرج على المرأة في اعطائه والآية نزلت في جميلة اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس وكانا مؤمنين متحابين اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم
وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والاعطاء اليهم
لانهم الآمرون بالاخذ والاعطاء وقيل انه خطاب الازواج وما بعده يعني فان خفتم خطاب للحكام وهي

يشوش

يشوش النظم الكريم على القرأة المشهورة اقول اورد الامام هذا السؤال على القرأة المشهورة بان
قال فان قيل اذا كان الخطاب في قوله عز وجل ولا يحل لكم ان تأخذوا للازواج لم يطابقه قوله
فان خفتم ان لا يقيما حدود الله ثم اجاب عنه بقوله يجوز ان يكون اول الآية خطابا للازواج
وآخرها خطابا للائمة والحكام وذلك غير عزيز في القرآن تلك حدود الله اي ما حد من الاحكام
المذكورة يعني اوامر الله ونواهيه ومعنى حدود الله ما منع الشرع من المجاوزة عنه فلا تعتدوها
اي لا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله اي يتجاوزها فأولئك هم الظالمون
اي الضارون بانفسهم يعني من تجاوز عن الطلاقين والامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان فقد
ظلم نفسه واستحق العقوبة وقد قال الله فيما قبل الطلاق مرتان فإن طلقها يعني الطلقة الثالثة
فلا تحل له تلك المرأة للزوج من بعد اي بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح اي حتى تزوج
تلك المرأة زوجا غيره اي غير المطلق فيجامعها وعرف الدخول بها بالسنة المجهورة قال صلى
الله عليه وسلم لامرأة رفاعة حين طلقها ثلثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير واتت رسول الله
وقالت يا رسول الله طلقني رفاعة فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل
هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية وان كانت مطلقة لكن قيدتها السنة وتعلق بظاهر
الآية من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة للحديث المذكور والنكاح
بشرط التحليل فاسد عند اكثر العلماء وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم المحلل والمحلل له قوله تعالى فان طلقها تفسير لقوله تعالى او تسريح باحسان ومتعلق بقوله
تعالى الطلاق مرتان اعترض ذكر الخلع بين المتعلق والمتعلق وعن عائشة رضي الله عنها ان
امرأة رفاعة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي
الحديث وفي رواية انها لبثت مدة ما شاء الله ثم رجعت الى النبي عليه السلام فقالت ان زوجي
الآخر قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك في الآخر ثم ادعت
في خلافة ابي بكر فردها ثم اتت الى عمر في خلافته فردها وقال لها لئن رجعت لأرجمنك وظاهر
الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن
الزوائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها
رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد
عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد
لا يدل على فساده فإن طلقها الزوج الثاني باختياره بعد الجماع فلا جناح عليهما اي على
الزوجة المطلقة عن الزوج الثاني وعلى الزوج الاول أن يتراجعا اي يرجع كل واحد منهما
الى صاحبه بنكاح جديد بعد انقضاء العدة إن ظنا اي غلب على ظنهما ورجوا وانما فسر
بغلبة الظن والرجاء دون العلم لان احدا لا يعلم ما هو آت الا الله لان عواقب الامور غيب نظن
ولا تعلم أن يقيما حدود الله اي يكون بينهما الصلاح وحسن المعاشرة والصحبة بان لا يخالفا ما حد الله

Copyright King Saud University

الله وشرعه من حقوق الزوجية وتلك اى الاحكام المذكورة حدود الله شرعها الله لعباده
يبينها يفصلها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم ونزل فيمن طلق امرأته فلما دنت
عدتها من الخروج راجعها ثم طلقها مضارة لها قوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى قاربن انقضاء العدة لا الانقضاء حقيقة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ
ههنا الدنو من الشئ على الاتساع ليصح ان يرتب عليه قوله الآتى فامسكوهن وفى قوله تعالى بعد هذا فبلغن اجلهن
حقيقة انقضاء العدة فامسكوهن اى فراجعوهن واحفظوهن من غير ضرار بمعروف بان يشهد على
رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطئ عندنا او سرحوهن بمعروف اى اتركوهن حتى تنقضى
عدتهن من غير تطويل ولا تمسكوهن ضرارا اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق
يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى الله عن ذلك لتعتدوا
اى لتظلموهن بتطويل الحبس اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس او الالجاء الى الافتداء
بالمال والخلع واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك اى الاضرار فقد ظلم
نفسه اى اضر بنفسه بمخالفة امر الله تعالى وتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا
لان الله قال فامساك بمعروف او تسريح باحسان وكل من خالف امر الشرع فى اى شئ كان فهو متخذ
آيات الله هزوا وكان بعض الناس يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق اى لا تتخذوا
آيات القرآن هزوا بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها فيكون تهديدا عظيما للعصاة من اهل
الصلاة ونحوها فكانه قيل جدوا فى الاخذ بالآيات والعمل بما فيها واذكروا نعمت الله عليكم التى
من جملتها الاسلام والهداية اليه وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم
من الكتاب القرآن والحكمة اى السنة وما فى القرآن من الاحكام والفقه فى الدين والموعظة للعمل
يعظكم الله به اى بما انزل عليكم بان تعملوا به وتشكروا نعمة ربكم واتقوا الله من المخالفة
واعلموا ان الله بكل شئ عليم اى بسركم وجهركم من اعمالكم فيجازيكم به فهو تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن قال عالم قريش محمد بن ادريس الشافعى
رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين انتهى يعنى مراد الامام ببلوغ الاجل فى هذه
الآية انقضاء العدة وفى الآية المذكورة المشارفة على الانقضاء فلا تعضلوهن اى ايها
الاولياء لا تحبسوهن وتمنعوهن من ان ينكحن ازواجهن المطلقين لهن والآية نزلت
فى معقل بن يسار حين منع اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول اعنى ابى الدحداح بالاستيناف
فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى ومنعه معنى
ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه سبب توقفه على اذنهن فالمخاطب بقوله عز وجل فلا تعضلوهن
الاولياء وقيل الازواج الذين يعضلون ويمنعون نساءهم بعد مضى العدة ولا يتركوهن يتزوجن
عدوانا وقسرا وظلما لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم
والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل

الحبس

الحبس والتضييق وتمام الحكاية ان معقل بن يسار قال زوجت اختا لى من رجل فطلقها حتى
اذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك واكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها
لا والله لا تعود اليك ابدا وكان الرجل لا باس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فانزل الله فلا
تعضلوهن الآية فقلت الآن افعل يا رسول الله فزوجتها اياه اذا تراضوا اى الازواج والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لـ لا تعضلوهن بينهم بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة يعنى بما يحسن فى
الدين من نكاح جديد ومهر صالح ذلك اى نهى الاولياء عن العضل يوعظ به اى يؤمر به من
كان منكم يؤمن يصدق بالله واليوم الآخر لانه المنتفع والمتعظ به ثم رجع الى خطاب المؤمنين فقال
ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر من ترك العضل ازكى انفع واصلح وخير لكم واطهر لقلوبكم ولهن
لما يخاف على الزوجين بسبب العلاقة بينهما من الريبة والله يعلم ما فيه لكم من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون ذلك لقصور علمكم فاتبعوا امر الله فيكم او يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون
انتم والوالدات اى المطلقات اللاتى لهن اولاد من ازواجهن او غير المطلقات يرضعن اولادهن صيغته
خبر بمعنى الامر وهو امر استحباب لا امر ايجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد
لقوله تعالى فى سورة الطلاق فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن فان رغبت الام فى الارضاع فهى اولى من
غيرها وقد يكون الامر للوجوب فيختص بما لم يرتضع الصبى الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن
الاستيجار حولين كاملين اى سنتين وذكر الكمال للتاكيد لانه مما يتسامح فيه كقوله تعالى تلك عشرة كاملة
وقد سمى العرب بعض الشهر شهرا كاملا كما قال عز وجل الحج اشهر معلومات وانما هو شهران وبعض
الثالث وكذلك فى قوله عز وجل فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه وانما يتعجل فى يوم وبعض يوم وقد اشرنا
فيما قبل الى هذا المعنى فالحولان مدة الرضاع المثبت للحرمة قال قتادة فرض الله على الوالدين الارضاع
حولين كاملين ثم انزل الله التخفيف لمن اراد ان يتم الرضاعة ولا زيادة عليه نص بان لمن توجه
اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اى يجب عليه وهو الذى يولد له يعنى الاب فان الولد يولد
للوالد وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن على الارضاع اذا كن مطلقات اى اجرة لهن من الطعام واللباس والدراهم واختلف فى استيجار
الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة له او معتدة نكاحه بالمعروف حسب ما يراه
الحاكم ويفى به وسعه وطاقته لا تكلف نفس الا وسعها اى قدر طاقتها فقوله لا تكلف تفسير
لقوله بالمعروف يعنى بقدر الميسرة ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه
وتعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف لا تضار والدة بولدها اى لا يأخذ الاب الولد من الام
ويدفعه لغيرها بعد ان رضيت بارضاعه ولا يضار مولود له بولده بسببه اى بان تلقى الولد الى
ابيه بعد ما الف الولد بامه اى تقول الام للاب خذ له ظئرا ترضعه فلا يجوز ان يفعل كل منهما مثل
ذلك الاضرار الى صاحبه القراءة لا تضار بالرفع معناه نفى اى لا يضار معلوما والقراءة لا تضار بفتح
الراء مجهول لا على الخبر فهى مجزوم حركت لالتقاء الساكنين اى لا تضرر قال السلطان اى لا تكلف

Copyright © King Saud University

كل منهما الاخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد واضافة الولد الى كل منهما فى الموضعين للاستعطاف
والشفقة وعلى الوارث اى على وارث الاب وهو الصبى المخلف من الميت اى على ولى الصبى فى مال الصبى مثل
ذلك اى مقدار الذى كان على الاب للوالدة من الرزق والكسوة اى مؤن المرضعة من مال الصبى اذا مات
الاب وقيل المراد بالوارث الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى
اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقال ابو حنيفة وارثه المحرم منه وهو عطف على قوله وعلى المولود
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض فان ارادا اى الوالدان فصالا فطاما للصغير قبل الحولين
صادرا عن تراض اى عن اتفاق منهما وتشاور بينهما ليظهر مصلحة الصبى فيه يعنى تشاورهما
العلماء ان الفطام لا يضر الولد وانما اعتبر اتفاق الوالدين لما فى الاب من الولاية والام من الشفقة
فلا جناح اى لا حرج ولا اثم عليهما فى الفطام قبل الحولين وان اردتم ايها الاباء ان تسترضعوا
اولادكم اى لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ان ترضعهم او لعذر وعلة بهن
كانقطاع اللبن او ارادة النكاح فلا جناح عليكم فى ذلك واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع
للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى امهاتهم او الى المراضع ما اتيتم القراءة بالقصر اى جئتم
به يعنى الذى سميتم لهن من اجرة الرضاع وشرطتم لهن من ذلك وبالمد اى اعطيتم لهن من الاجرة
بقدر ما ارضعن وقيل اذا سلمتم اجر المراضع اليهن وقرئ اوتيتم اى ما اتاكم الله واقدركم عليه من
الاجرة بالمعروف اى اذا سلمتم بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وفى عبارة اى بالجميل كطيب النفس
من غير ضرار وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل
واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير اى لا يخفى عليه شئ من الاضرار وغيره فيجازيكم به فهو حث وتهديد والذين يتوفون اى
والازواج الذين يموتون وتتوفى اجالهم وارواحهم منكم ويذرون اى يتركون ذلك الازواج ازواجا
نساء يتربصن اى ينتظرن يعنى يعتددن بعدهم بانفسهن عن التزوج بترك الزينة والطيب
والنقلة على فراق ازواجهن اربعة اشهر وعشرا اى هذه المدة الا ان يكن حوامل فعدتهن بوضع
الحمل والامة العير الحامل على النصف من ذلك ثبت بالسنة وكان فى ابتداء الاسلام حولا كاملا فنسخت
باربعة اشهر وعشرا وانما قال عشرا بالتانيث من غير تاء باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام
او لان التاريخ بالليالى لكونها اول الشهور والايام تابعة لها والحكمة فى هذه المدة ان فيها ينفخ الروح
فى الولد وجاءت امراة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتى توفى عنها زوجها
وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال عليه السلام لا ثم قال انما هى اربعة اشهر وعشر وقد كانت
احداكن فى الجاهلية ترمى بالبعرة على راس الحول يعنى كانت المراة اذا توفى عنها زوجها دخلت
بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها لم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة
او طير فتفتض به اى تمسح نفسها بها فقل ما تفتض بشئ الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمى بها ثم تراجع
ما شاءت من طيب وغيره فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء
او الحكام والائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من اختيار الازواج دون العقد فان

العقد الى الولى عندنا وفيما فعلن من التزين للرجال الخطاب زينة لا ينكرها الشرع بالمعروف اى
بالوجه الذى عرف شرعا فى التزين والاحداد واجب على المراة فى عدة الوفات والله بما تعملون خبير
عالم بباطنه كظاهره فيجازيكم عليه اى عالم بالطاعة والتخلف بالمعصية ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
اى لا حرج ولا باس عليكم فى الكلام الذى تعرضونه للمراة المتوفى زوجها اى تلوحونه وتشيرون اليها من
خطبة النساء المتوفى عنهن ازواجها فى العدة اى من طلب نكاحها بالتخاطب فى العدة بان تقولوا من غير تصريح
ارادة النكاح انك لجميلة او انك لتعجبين او انك لموافقة لى ونحو ذلك من الكلام الموهم حتى تحبس
نفسها على المقابل به فهذا هو التعريض او اكننتم اى اخفيتم فى قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا بالتصريح
ولا بالتعريض من قصد نكاحهن علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن
الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ يعنى ستذكرونهن بالخطبة وطلب نكاحها فاباح لكم التعريض شفقة
عليكم لتخلصه علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن
ولكن لا تواعدوهن سرا بالوطى والجماع عبر بالسر عن الوطى لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه
اى لا تقولوا فى العدة انى قادر على الجماع والوطى وقال قوم السر هو الزنا كان الرجل يدخل على المراة
لاجل الزنا بها وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعينى فاذا اوفيت عدتك اظهرت نكاحك هذا
قول الحسن وقتادة وابراهيم وعطاء وقيل معنى السر لا تعقدوا تبينى بنفسك فانى ناكحك وقيل
معناه لا ياخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره قال الشافعى رحمه الله السر هو الجماع وقيل لا تذكروهن
كثرة جماعكم الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف
اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا يعنى ما عرف شرعا من التعريض فلكم ذلك
فقط وانتهوا عما يخالفه وفيه دليل على حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة
وفات كما اشرنا اليه واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم
مبالغة فى النهى عن العقد اى لا تحققوا العزم على عقد عقدة النكاح فى العدة حتى يبلغ الكتاب اجله
اى حتى ينتهى ما فرض الله من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ان يعاقبكم اذا عزمتم على ما لا يجوز واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم اى لا تبعة عليكم من ايجاب مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة
فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا
فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى لم تمسوهن اى لم تجامعوهن وقرا حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء
ومد الميم فى جميع القرآن لان الفعل واقع بين الاثنين او تفرضوا لهن اى ولم تفرضوا لهن فريضة اى صداقا
ومهرا نزلت فى رجل من الانصار تزوج امراة من بنى حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فلما
نزلت الاية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعها ولو بقلنسوتك وقيل لا سبيل للنساء عليكم ان طلقتموهن
قبل الدخول والفرض او لا جناح عليكم فى تطليقهن قبل المسيس فى اى وقت شئتم حائضا كانت المراة او
طاهرا لانه لا سنة ولا بدعة فى طلاقهن قبل الدخول بخلاف المدخول بها لا يجوز تطليقها فى حال الحيض وفى
اخرى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كان

ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية
ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين **ومتعوهن** اي
اعطوهن ما يتمتعن به وهو عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر
ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله تعالى **على الموسع قدره** اي على الغني
منكم ما يطيقه ويليق به **وعلى المقتر** اي الضيق الرزق **قدره** اي بقدر عسره وضيقه ويدل عليه
قوله عليه السلام في الحديث المذكور متعها بقلنسوتك واستفيد منه انه لا نظر الى قدر الزوجة
وقال ابو حنيفة رحمه الله المتعة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها
من ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها
الزوج والحق بها الشافعي رحمه الله في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم
على المفهوم وقال ابن عباس اعلى المتعة خادم واوسطها ثلثة اثواب درع وخمار وازار ودون
ذلك وقاية او شيء من الورق وبه قال الشعبي والزهري وهو مذهب الشافعي رحمهم الله قال اعلاها
على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها اقل ماله ثمن وحسن ثلثون درهما ومتع عبد الرحمن بن عوف
جارية سوداء ومتع الحسن بن علي امراة له بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق
وفي رواية قال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا تجاوز والاية
تدل على انه يعتبر حال الزوج في العسر واليسر ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة برضاها
على غير مهر يصح النكاح وللمراة مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه
مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وان مات احدهما قبل الدخول والفرض
فاختلف اهل العلم في انها هل تستحق المهر ام لا فذهب جماعة الى ان لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن
ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم الى ان
لها المهر لان المهر كالدخول في تقرير المسمى كذلك في ايجاب مهر المثل اذا لم يكن في العقد مسمى وهو
قول اصحاب ابي حنيفة واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود انه سئل عن رجل تزوج امراة
ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها صداق نسائها لا وكس ولا شطط
وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الاشجعي فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع
بنت واشق امراة منا مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود قال الامام الشافعي رحمه الله فان
ثبت حديث بروع بنت واشق فلا حجة في قول احد دون النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يثبت فلا مهر
لها ولها الميراث وكان علي كرم الله وجهه يقول في حديث بروع لا يقبل قول اعرابي من اشجع على
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **متاعا** اي تمتيعا اي متعوهن متاعا على انه مصدر
موكد لفعله **بالمعروف** بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر موكد لفعله
اي حق ذلك حقا **على المحسنين** المطيعين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او
الى المطلقات بالتمتيع وصفهم بالاحسان قبل الفعل باعتبار ما يؤول اليه كقوله عليه السلام من
قتل قتيلا فله سلبه ثم بين حكم المراة التي سمى لها مهرا في الطلاق قبل المس فقال **وان طلقتموهن**

من

٤ **من قبل ان تمسوهن** اي تجامعوهن **وقد فرضتم لهن فريضة** اي سميتم لهن صداقا
فنصف ما فرضتم اي فالواجب على الزوج نصف ما فرض لزوجته من المهر **الا ان يعفون**
اي الا الزوجات المطلقات [redacted] ان يتركنه فلا يأخذن منهم شيئا فاجرهن على عن ازواجهن
الله على احيائهن اليهم **او يعفو الذي بيده عقدة النكاح** اي او يعفو الزوج الذي هو مالك لعقد
النكاح وحله عما يعود اليه بالتشطير فيترك لها الكل اي يسوق المهر اليها كملا فجزاؤه على الله
وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا
الحنفية وقيل معناه ان يترك الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول
قديم للشافعي رحمه الله **وان تعفوا اقرب للتقوى** الخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب
ذكره الزجاج اي عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المراة باسقاط كل المهر خير لها
وان تعفوا مبتدا اي وعفوكم واقرب للتقوى خبره **ولا تنسوا الفضل بينكم** اي افضال بعضكم
على بعض باعطاء تمام الصداق او بترك المراة نصيبها حثهما على الاحسان **ان الله بما تعملون بصير**
اي لا يضيع تفضلكم واحسانكم **حافظوا على الصلوات** الخمس بالاداء لوقتها والمداومة عليها لعل
الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها **والصلوة الوسطى**
هي العصر كما في الحديث رواه الشيخان وافردها بالذكر لفضلها قال صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في
وقتها واجتماع الملئكة وقد ذهب الى هذا اكثر المفسرين من مذهبنا ومذهب ابي حنيفة وقال عمر انه
وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والشافعي ومالك رحمهم الله بانها صلاة الفجر
لان الله تعالى قال وقوموا لله قانتين والقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام
والقنوت ولان الله تعالى خصها في اية اخرى من بين الصلوات فقال وقران الفجر ان قران الفجر
كان مشهودا يعني يشهدها ملائكة الليل وملئكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار
ولانها بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وعلى كل حال اذا صح الحديث فهو مذهب امامنا
وساير الائمة وقال زيد بن ثابت وابو سعيد الخدري واسامة بن زيد انها صلاة الظهر لانها في
اوسط صلوات النهار في الطول وقال قبيصة هي صلاة المغرب وذهب بعض المتاخرين الى انها
صلوة العشاء لانها بين صلاتين لا تقصران وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها
ابهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على اداء جميعها كما اخفى ليلة القدر في شهر رمضان
وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها وكان
بريدة يقول لاصحابه بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر
حبط عمله وكان في مصحف عايشة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلوة العصر
وقوموا لله قانتين وكانت تقول هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم
انها الصلاة التي شغل عنها سليمان عليه السلام حين توارت بالحجاب **وقوموا لله** في
الصلاة **قانتين** اي ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر في القيام وقيل خاشعين مطيعين وقال

Copyright © King Saud University

ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح وبه ندقوله مطيعين ما رواه احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم
قال كل قنوت في القران فهو طاعة وقيل ساكتين لحديث زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلاة حتى
نزلت فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام رواه الشيخان فان خفتم من عدو او سيل او سبع
فرجالا جمع راجل اي مشاة صلوا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين وراكبين كيف امكن
مستقبل القبلة وغيرها ويومي بالركوع والسجود ولو في حال المسايفة هذا عندنا وعند ابي حنيفة
لا يصلي حال المشي والمسايفة مالم يكن الوقوف وعند الكل لا ينقص عدد الركعات وعن ابن عباس
صلاة الخوف ركعة وقال سعيد بن جبير اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا
فقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واذكر الله فتلك صلاتك فهذه صلاة شدة
الخوف وساير الاقسام سياتي بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى فاذا امنتم وزال خوفكم
فاذكروا الله اي صلوا صلاة الامن او اشكروه على الامن كما علمكم اي ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع
وكيفية الصلاة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه والكاف بمعنى المثل وما موصولة او مصدرية
مالم تكونوا تعلمون قبل تعليمه من فرايضها وحقوقها قوله مالم الخ مفعول علمكم والذين يتوفون
منكم يا معشر الرجال ويذرون يتركون ازواجا نساء من بعدهم وصية لازواجهم قراها
بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية
او ليوصوا وصية على انه مفعول مطلق لفعل محذوف فيهما او كتب الله عليهم وصية على انه مفعول به
لكتب او الزم الذين يتوفون وصية على انه مفعول ثان لالزم ومفعوله الاول قوله الذين يتوفون ويؤيد
ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير وصية
الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم
وصية وقرئ متاع بدلها ولتحفظوهن متاعا اي ما يتمتعون به من النفقة والكسوة الى تمام
الحول من موتهم غير اخراج حال من ازواجهم اي غير مخرجات من مسكنهن ومعنى الاية انه
يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى
والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا كما ذكرنا وهو وان
تقدمها في التلاوة اي نقرؤه قبل هذه الاية فهو متاخر في النزول عن هذه الاية وسقطت النفقة
بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان عنده ليس
لها السكنى فان خرجن اي من قبل انفسهن من منزل الازواج قبل الحول من غير اخراج الورثة
فلا جناح عليكم يا اولياء الميت او ايها الايمة والقضاة والحكام فيما فعلن في انفسهن كالتطيب
والتزين للنكاح وترك الاحداد وقطع النفقة عنها من معروف مالم ينكره الشرع وهذا يدل على انه
لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم مما خالف منهم لعزته في ملكه حكيم في صنعه يراعي مصالحهم
يعني عزيز لن ظلم وحكيم في امره وللمطلقات متاع يعطونه بالمعروف بقدر الامكان حقا منصوب
بفعله المقدر على المتقين من عقاب الله وفي الاية اثبات المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها

لواحدة

لواحدة منهن وانما اعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك ان في غيرها حكم غير الممسوسة وفي هذه الاية
بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله
تعالى حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فقال الله
وللمطلقات متاع جعل المتعة لهن بلام التمليك وقال حقا على المتقين يعني المومنين المتقين الشرك
كذلك اي مثل ما سبق من احكام الطلاق والعدة اي كما بين لكم ما ذكر يبين الله لكم اياته
وعد منه سبحانه بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام والشرايع الاسلامية ما يحتاجون اليه
معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر اي الم تعلم يعني تعجب وانتهى
علمك الى خبر الذين خرجوا من ديارهم اي من بلادهم يعني اهل داوردان قرية قبل واسط
وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا انه لا مفر من قضاء
وقدره او يريد قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم او فروا من طاعون وقع بينهم وهم الوف اي اكثر من عشرة الاف على احسن الاقوال
في ذلك حذر اي خوف الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى
فهم ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا
وتهويلا ثم احياهم بعد ثمانية او اكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر الحاء المهملة والقاف وسكون الزاي فعاشوا
دهرا عليهم اثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكفن واستمرت الى الان في اسباطهم رايحة الموتى وقيل
مر حزقيل بن بوري ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بامر بني اسرائيل
كان بعد موسى يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت
عجوزا فسالت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل
وسمي حزقيل ذا الكفل لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على اولئك الموتى وقف
عليهم وتفكر فيهم متعجبا وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فاوحى الله اليه اني قد جعلت
حياتهم اليك فقال حزقيل قوموا باذن الله فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفايدة
القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء
وليعلموا ان الحذر لا يغني من القدر وهو تبكيت لمن يفر من القضاء المحتوم ان الله لذو فضل
على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا او قص عليكم حالهم لتستبصروا ولو شاء الله لتركهم
موتى الى يوم البعث ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي او لا يعتبرون ذلك او
لا يستبصرون على ان المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقيل المراد بالاكثر غير الشاكر هم الكفرة
وقاتلوا في سبيل الله اي لاعلاء دينه لما بين ان الفرار من الموت لا ينفعهم امرهم بالقتال اذ لو جاء
اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب قيل خطاب لهذه الامة بالجهاد واكثر المفسرين على
خطاب للهاربين بعد ما احياهم الله واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم
بما يضمرانه من الاغراض في الجهاد اما لله او للرياء فيجازيكم على ذلك قوله من ذا الذي
يقرض الله من استفهامية مبتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدل له واقراض الله مثل لتقديم

Copyright Sogang University

العمل الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا
حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له اي فيزيد له
جزاءه وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في
معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وقرأ ابن عامر ويعقوب بالنصب
اضعافا كثيرة قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله والآية نزلت في شأن ابي الدحداح حين
سأل النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال يا رسول الله ان لي حديقتين لو تصدقت باحديهما اكان لي مثلها
في الجنة قال نعم فالمعنى من يعطي عباد الله بنية يجازيه الله عليه كيف شاء قال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول يوم القيمة ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال فيقول يا رب كيف اطعمك وانت رب
العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ثم اخبر ان
المتصدق لا يمكنهم الا بتوفيق الله فقال والله يقبض اي يقتر على بعض ويبسط اي يوسع على بعض
حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون في الآخرة
بالبعث فيجازيكم باعمالكم وقال قتادة الهاء راجعة الى التراب كناية عن غير مذكور اي من
التراب خلقهم واليه يعودون الم تر اي قد علمتك ذلك باعلامي حتى حققت معرفته الى
الملأ الجماعة من الرؤساء والاشراف والاعيان يجتمعون للتشاور فيملأون القلوب جلالة
والعيون مهابة من بني اسرائيل من بعد موسى اي من بعد وفاته اي الى قصتهم وخبرهم
اذ قالوا لنبي لهم وكان ملوكهم مطيعين لانبيائهم وهو يوشع او شمعون او شمويل ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال تنتظم به كلمتنا ونرجع الى رأيه
وما سألوا هذا حتى ظهرت فيهم البدع ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان وظهر لهم عدو يقال لهم
البلساثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة وسبوا
كثيرا من اشرافهم وذراريهم قال النبي لهم هل عسيتم استفهام شك اي لعلكم واتوقع منكم عدم
القيام بما امركم به ان كتب فرض عليكم القتال مع ذلك الملك الا تقاتلوا اي لا توفوا بما تقولون
والمعنى هل قاربتم الا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون عن الحرب فادخل هل
للتثبيت والتقرير بان المتوقع كائن لا محالة قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله
اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وقد عرض لنا ما يوجب
القتال وهو الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة غلبوا
على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين قال
محي السنة ظاهر الآية يدل على العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا
ملكا كانوا في ديارهم واوطانهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا مجيبين لنبيهم انما
كنا نزهد في الجهاد اذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذ بلغ ذلك فنطيع ربنا
في الجهاد ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال في سبيل الله تولوا عن
الحرب وجبنوا كما سننبه على تمام القصة الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر وهم

الذين

الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد
وسأل النبي ربه ارسال ملك فاجابه الى ارسال طالوت وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه
روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
فلما عرفهم نبيهم ان طالوت ملكهم قالوا منكرين مع بشارتهم بعدم المخالفة انى كيف له الملك علينا
اي من اين له ذلك ويستاهل التملك ونحن احق بالملك منه وراثة ومكنة لانه ليس من سبط
المملكة ولا النبوة وفينا من هو احق بالملك وهو فقير وكان رجلا دباغا او راعيا او سقاء والواو
في ونحن للحال وعطف عليه قوله ولم يؤت اي لم يعط سعة من المال حتى يستعين به على اقامة
الملك وانما قالوا ذلك لانه كان فقيرا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في
اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق قال النبي لهم ان
الله اصطفاه اختاره للملك والسلطنة عليكم وزاده بسطة بالسين والصاد اي سعة في العلم
والجسم قيل انه كان اعلم بني اسرائيل بالديانات وامور الحرب في وقته وكان اطول من كل انسان برأسه
ومنكبه وانما ذكر هذين الوصفين فيه لان الانسان يكون اعظم في النفوس بالعلم واهيب في القلوب
بالجسم والله يؤتي ملكه من يشاء ابتداء لا اعتراض عليه ولا منازع له في ذلك والله واسع
كثير الفضل والعطاء عليم بمن هو اهل للملك ويليق به من النسب وغيره ولما طلبوا علامة من نبيهم
على كونه ملكا عليهم قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق يريد
به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير في فيه للاتيان اي في مجرد اتيان التابوت اليكم سكون لكم وطمانينة
من الله او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا
قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل لا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه
فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد صلى الله عليهم وسلم
انزله على ادم واستمر اليهم فغلبتهم العمالقة عليه واخذوا وكانوا يستفتحون به على عدوهم
ويقدمونه ويسكنون اليه في القتال ثم رده الله على بني اسرائيل حين شاء وقيل التابوت هو القلب
والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية
اي وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هرون وذلك المتروك رضاض الالواح وعصا موسى ونعلاه
وثيابه وعمامة هرون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم واقحما الآل لتفخيم
شأنهما او ابناؤهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى
فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعد موسى مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار
عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا
بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين

اى ان فى رجوع التابوت اليكم علامة ان الله تعالى قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين يحتمل ان
يكون من تمام كلام النبى وان يكون ابتداء خطاب من الله تعرفوا ذلك واطاعوا لطالوت فجهز
طالوت وخرج بالجنود وهم سبعون الفا فلما فصل اى خرج من بيت المقدس طالوت بالجنود لقتال
العمالقة روى انه عليه السلام قال لهم لا يخرج معى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن
اختاره ثمانون الفا وفى رواية سبعون كما ذكرنا وكان الوقت شديد الحر فسلكوا مفازة وسالوا ان
يجرى الله لهم نهرا قال طالوت بوحى اليه لانه جعله نبيا وقيل اخبره نبيهم وهو اخبر قومه ان
الله مبتليكم بنهر وهو نهر بين الاردن وفلسطين اى معاملكم كمعاملة المختبر بما اقترحتموه ذلك
ليظهر عند طالوت من كان مخلصا فى نيته من غيره ليميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط
عسكرا يدخل الضعف فى العسكر فينهزمون لشومه فقال طالوت فمن شرب منه اى كرع فيه
فليس منى اى فليس من اهل دينى واتباعى على عدوى ومن لم يطعمه اى لم يذقه فانه منى اى من اهل دينى
الا من اغترف غرفة بالفتح والضم بيده فاكتفى بها ولم يزد عليها فانه منى الغرفة بالضم اسم لملا الكف
وبالفتح مصدر لمرة ومحل الا من نصب على الاستثناء من قوله فمن شرب المعنى ان الغرفة مباحة لكم
ولا رخصة فيما زاد على ذلك فشربوا منه اى ما استثنوا فكرعوا وافرطوا فى الشرب كما فهم ما سمعوا
الغرفة الا قليلا منهم لم يكرعوا خوفا من الله واكتفوا بالغرفة والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
وقيل ثلثة الاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه
عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة وقيل ان طالوت لما
راى منهم عدم الامتثال منع الكارعين عن الذهاب معه وامسك معه المخلصين وعلم ذلك بسواد الشفة
فلما جاوزه اى قطع النهر هو اى طالوت والذين امنوا معه اى المومنون ودنوا الى العسكر جالوت
ورأوه قالوا اى بعضهم لبعض من الكارعين لا طاقة لنا اليوم اى لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده
لما راوا كثرتهم وكان مع جالوت مائة الف مقاتل وكان جالوت جبارا من جبابرة العمالقة من اولاد
عمليق بن عاد وكان فى بيضته ثلثمائة رطل من حديد قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اى قال المخلصون منهم الذين يتيقنون لقاء الله ويتوقعون ثوابه او يعلمون انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه وجاوزوا النهر والضمير فى قالوا للكثير المنخزلين عنه
اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة كم خبرية بمعنى
كثيرا من جماعة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بارادته ونصره وحكمه وتيسيره والله مع
الصابرين بالنصر والعون على عدوهم والاثابة اذا اخلصت نيتهم فى طاعة الله ولما برزوا اى
ظهروا اى خرجوا واصطفوا فى فضاء من الارض وظهروا لجالوت وجنوده اى لقتالهم دعوا الله
مخلصين قالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا على القتال وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا على
الجهاد وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ
الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو
المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله اى فكسروهم بنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت

القصة

القصة قيل ان ايشا والد داود كان فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم
وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم اعنى اشمويل انه الذى يقتل جالوت فطلبه
من ابيه امنى ايشا فاجاءه فجاء وقد كلمه فى مجيئه الى الحرب ثلثة احجار وقالت له انك بنا
تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه اى داود الله
الملك فى بنى اسرائيل والحكمة النبوة بعد موت اشمويل وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبل داود
وعلمه مما يشاء كصنعة الدروع ومنطق الطير وكلام النمل ولولا دفع الله الناس مفعول به
بعضهم بدل من الناس وقرانا فع هنا وفى الحج دفاع الله ببعض لفسدت الارض بغلبة المشركين
وقتل المسلمين وتخريب المساجد ولكن الله ذو فضل على العالمين فدفع بعضهم ببعض وهو دليل
على المعتزلة فى مسالة الاصلح تلك اى هذه الايات ايات الله اشارة الى ما اقتص من حديث الالوف
وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت مع كونه صغيرا وفى القصة
ايضا ان اشمويل سال الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل
له ان صاحبكم الذى يكون ملكا يكون طوله طول العصا وانظر القرن الذى فيه دهن القدس فاذا
دخل عليك رجل فنش الدهن اى ترشح من القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به راسه وملكه
عليهم وكان طالوت من اولاد بنيامين بن يعقوب واسمه بالعبرانية شاول بن قيس سمى طالوت
لطوله الى هنا رواه وهب وقال السدى كان سقاء يسقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى
طلبه وقيل كان خربندجا وقال بل ضلت حمر لابى طالوت فارسله وغلاما له فى طلبها فمرا ببيت
اشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا ويدلنا فدخلا عليه
فبينما هما عنده يذكران له شان الحمر اذ نش الدهن القدس الذى فى القرن فقام اشمويل فقاس
طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال
له انت ملك بنى اسرائيل الذى امرنى الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اما علمت ان سبطى
ادنى اسباط بنى اسرائيل وبيتى ادنى بيوت بنى اسرائيل قال بلى قال فباى اية اكون ملكا قال باية انك
ترجع الى بيتك وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال اشمويل لبنى اسرائيل ان الله قد بعث الاية
وكان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب
ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما
السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا اى اسباط بنيامين
عملوا ذنبا عظيما وذلك انهم كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك
والنبوة عنهم وكانوا يسمون سبط الاثم ولهذا انكروا سلطنة طالوت على انفسهم فهذا ميزان لكل
شريف ووضيع قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقكم تولى الملك من تمتا الاية وفى قصة التابوت
ان الله انزل تابوتا على ادم عليه السلام وكان فيه صور الانبياء ثم بعد وفاته كان عند شيث ثم توارث
بعضهم عن بعض الى ان بلغ الى ابراهيم ثم كان عند اسماعيل ثم عند يعقوب الى ان بلغ الى موسى وكان
يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ثم بعده تداولته انبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان

Copyright © King Saud University

الجزء الثالث

ماذكر الله تعالى فيه سكينة من ربكم قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه هي ريح خجوج هفافة لها
ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد الخجوج الريح الشديدة والهفافة البراقة تشبه الهرة
ولها راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة ولها جناحان من زمرد وزبرجد وعينان لهما شعاع
وكانوا اذا اسمعوا صوتها ايقنوا بالنصر قيل كانت السكينة طست من ذهب من الجنة تغسل فيه
قلوب الانبياء وقيل روح من الله تتكلم عند اختلافهم في شئ تخبرهم ببيان ما يريدون
وذكر في القصة بان طالوت زوج بنته لداود ووقع بينهما ما وقع من المخالفة ثم تاب الله على
طالوت ومات شهيدا مع ابنائه في حرب الكفار وبقي الملك والنبوة لسيدنا داود والحكاية طويلة والله
اعلم نتلوها عليك اي نقصها عليك يا محمد بالحق بالصدق والوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل
الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع من احد تلك
الرسل اشارة الى جماعة من الرسل التي ذكرت قصتها في هذه السورة من آدم الى داود او الجماعة المعلومة
عند النبي او الرسل كلهم واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست
لغيره وذلك بلطف الله ومحض كرمه منهم من كلم الله تفصيل لوجه التفضيل وهو موسى
وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة اي الليلة التي قال له وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى وفي الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج اي كلم ربه وراى احد عشرة مرة كما قال شيخي
الامام عبد القادر رحمه الله حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد لان ذلك تجلي الطور
وهذا تجلي العرش وبساط القرب ورفع بعضهم اي محمدا ولم يذكره باسمه تعظيما له وتشريفا لقدره العلي
درجات لانه خص بالرسالة الى الكافة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب
الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر فهو محرز قصبات الفضل على ساير الانبياء والمرسلين
قال شيخنا الامام رحمه الله وما اوتي نبي اية الا واوتي نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تلك الاية
وفضل على غيره بايات مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع على مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه
وكلام البهائم والشهادة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه واظهرها القران الذي عجز اهل
السموات والارض عن الاتيان بمثله قال صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي
من الايات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوان اكون
اكثرهم تابعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
واحلت لي المغانم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى الناس عامة فهو غياث الخلق الى الحق كما قال امام الحرمين روح الله روحه وقال صلى
الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون عليهم السلام واتينا عيسى
ابن مريم البينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وخصه بالتعيين لافراط اليهود
والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره

وايدناه

وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل حين اراد واقتله وبسير معه حيث سار او بالانجيل وقيل
القدس هو الله اضيف اليه تشريفا وقيل معناه احييناه بحياة الله لا من ماء المني ولو شاء الله
هدى الناس جميعا ما اقتتل اي ما اختلف الذين من بعدهم اي من بعد الرسل من الامم وابدل منه قوله
من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات التي نصبت عليها والواضحات لاختلافهم في الدين
وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا في دينهم بعد ذهاب الرسل بمشية الله ثم بين الاختلاف فقال
فمنهم من امن اي ثبت على ايمانه بتوفيق الله التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر اي ارتد
ولم يثبت على الاسلام بمشية الله وتقديره يعني يقول الله اجريت امر رسلي على هذا اي لم يجتمع لاحد منهم
طاعة جميع امته في حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من امن ومنهم من كفر هذا تسلية للنبي
عليه السلام ولو شاء الله ما اقتتلوا اي ما اختلفوا كرره للتاكيد اي لو شئت ان لا يختلفوا لم يختلفوا
اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيتي ولكن الله يفعل ما يريد يعني يوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا
والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن
فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا سال رجل علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السؤال
فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه واثبت الله الارادة لنفسه كما هو مذهب
اهل السنة ثم ارشد عباده الى ما فيه نفعهم بقوله يا ايها الذين امنوا بالله ورسوله انفقوا تصدقوا
ولا تبخلوا مما رزقناكم اي ما اوجبت عليكم انفاقه يعني اخرجوا من ذلك زكاته من قبل ان ياتي يوم
اي يوم الحساب والجزاء يعني من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ
لا بيع فيه اي لا فداء فيه سماه بيعا لان الفداء شراء نفسه يعني لا بيع في ذلك اليوم فتحصلون ما تنفقونه
او تفتدون به من العذاب ولا خلة اي ولا صداقة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به ولا شفاعة
الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها
منونا مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
على الاصل اي البناء والكافرون هم الظالمون اي من يكفر بيوم البعث يظلم نفسه بعذاب النار او الكافرون
بالله وبما فرض عليهم لانهم وضعوا امر الله في غير محله الله لا اله الا هو معناه الله المستحق للعبادة
لا غير تركيبه الله مبتدا ولا مع اسمه وخبره وما ابدل من موضعه في موضع الرفع خبره والنحاة خلاف
في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي اي الدائم البقاء الذي لا سبيل عليه للفناء اي
الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم
اي الابدي في ذاته وصفاته او المبالغ في القيام بتدبير الخلق وحفظه في نشاتهم وانما نزل
حين قال المشركون اصنامنا شركاء الله وهم شفعاؤنا عند الله فوحد الله نفسه بالنفي والاثبات
ليكون ابلغ في ثبوت التوحيد ونفي الشرك قوله لا تاخذه سنة ولا نوم تاكيد للقيوم اي
ليس بغافل عن تدبير الخلق وامورهم لان ما جاز عليه التغير والنوم استحال ان يكون قيوما السنة
فتور يتقدم النوم من النعاس والنوم غشية ثقيلة تقع في القلب وقدم نفي الادنى لتلزم منه نفي الاعلى

Copyright © King Saud University

وانما ذكره تتميما للكلام او نفيا للتغيرات كلها لانه ربما يتوهم ان الادنى لا ياخذه لضعفه وان الاعلى ياخذه
لقوته فجمع بينهما لنفي ذلك وقيل النوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وقيل السنة ثقل في الراس
والنعاس في العين والوسنان بين النايم واليقظان والنوم في القلب وقد اوحى الى موسى عليه السلام
قل لهولاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا **لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ**
وَمَا فِي الْأَرْضِ ملكا وخلقا وعبيدا اي لا شركة لاحد في ملكهما وخلقهما والمراد بما فيهما ما وجد فيهما
داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن فهذا تقرير لقيوميته
واحتجاج على تفرده في الالوهية **مَنْ ذَا الَّذِي** اي ليس لاحد ملكا كان او نبيا انه **يَشْفَعُ** لاحد **إِلَّا بِإِذْنِهِ** (عنده)
سبحانه لذلك الاحد بالشفاعة فيشفع فهذا استفهام انكاري بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه
او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة وفيه
رد لزعم الكفار ان اصنامهم تشفع لهم ثم بين بانه لا يخفى عليه شيء بقوله **يَعْلَمُ** الله **مَا بَيْنَ**
أَيْدِيهِمْ اي ما كان بين ايدي اهل السموات والارض يعني ما تقدم ذلك من امر الدنيا **وَمَا خَلْفَهُمْ** وما يكون
بعدهم من امور الاخرة والضمير في ايديهم وخلفهم لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه
من ذا من الملئكة والانبياء يعني يعلم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس يعني المراد بما بين ايديهم الاخرة لانهم
يقدمون عليها وبما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم كشفه انك مستقبل المستقبل ومستدبر
الماضي او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه **وَلَا يُحِيطُونَ** اي لا يدركون **بِشَيْءٍ** يعني الانبياء
والملئكة وغيرهم **مِنْ عِلْمِهِ** سبحانه اي من جميع معلوماته **إِلَّا بِمَا شَاءَ** ان يدركهم به منها
باخبار الرسل والانبياء وهذا رد لعابدي الملئكة حيث يرجون شفاعتهم لعبادتهم اياهم
ثم بين سعة ملكه بقوله **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ** اي ملأهما كرسيه واحاط بهما قيل
هو العرش نفسه وقيل هو موضوع امام العرش ومعنى الاية اي سعته مثل سعة السموات والارض
وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة
في فلاة ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت
في ترس وفي رواية علي ومقاتل رضي الله عنهما كل قايمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين
السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه اقدامهم تحت الصخرة
التي تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسماية عام ملك على صورة ابي البشر آدم صلى الله عليه وسلم يسال
للادميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور يسال للانعام
الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وليس في بلاد الاسلام من يعبده (اقول)
ما خلا الهند وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسال الرزق للسباع من السنة الى السنة وملك
على صورة سيد الطير وهو النسر يسال الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة
العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب خمسماية عام ولولا
ذلك احترقت حملة العرش وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بالكرسي

علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل للصحيفة العلم كراسة لتضمنها العلم والكراسي العلماء وسمي العلم كرسيا
تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم وقيل كرسيه ملكه وسلطانه والعرب تسمي الملك القديم كرسيا
فعلى الرواية الاولى من ابن عباس ان الكرسي جسم ويعضده الاحاديث المذكورة وعلى هذه الرواية
يعني انه علمه وملكه وسلطانه ذهب السلطان الى ان ذكر الكرسي تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في
الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه وملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك **وَلَا يَئُودُهُ** اي لا يثقله
ولا يشق عليه سبحانه **حِفْظُهُمَا** اي حفظه للحق السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
وَهُوَ الْعَلِيُّ فوق خلقه بالقهر المتعالي عن الانداد والاشباه **الْعَظِيمُ** المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه
او الكبير في عزه وجلاله الذي ليس شيء اعظم منه او العظيم المتصف بالصفات التي تليق به وهذه ايات
جامعات لكمال التوحيد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي المنذر والذي نفس محمد بيده ان لهذه الاية لسانا
وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وقال صلى الله عليه وسلم من قرا حين يصبح اية الكرسي وايتين
من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك حتى يمسي فان قراهما حين يمسي حفظ
في ليلته تلك حتى يصبح وذكر السلطان وذو العيون والمدارك في كتبهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال سيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وقالوا ايضا روي من
قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد
ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وهذه الاية
مشتملة على امهات المسايل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحيوة واجب
الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم لغيره فهو مباين لخلقه في ذاته وصفاته
وافعاله ليس هو متحدا مع خلقه كما زعم من زعم خلافه بل هو الحي القيوم وما سواه مفقود هالك لان
وجود ما سواه ليس من ذاته قال فهو منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك
والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم
لا يحيط به فهم وادراك ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله
ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة قال الشيخ الامام حجة الاسلام
زين الانام كاشف الظلام في كتابه جواهر القران ما نصه **فصل** في اية الكرسي فاقول هل
لك تفكر في اية الكرسي في انه لم تسمى سيدة الايات فان كنت تعجز عن استنباطه بتفكرك فارجع
الى الاقسام التي ذكرناها والمراتب التي رتبناها وقد ذكرنا لك ان معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته
وافعاله هي المقصد الاعلى من علوم القران وساير الاقسام مراد له وهو مراد لنفسه لا لغيره فهو المتبوع
وما عداه التابع وهو السيد الاسم للمتبوع المقدم الذي يتوجه اليه وجوه الاتباع وقلوبهم فيحذون
حذوه ويتحون نحو مقصده واية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات والافعال فقط ليس فيها غيرها

Copyright © King Saud University

وقوله الله اشارة الى الذات وقوله لا اله الا هو اشارة الى توحيد الذات وقوله الحي القيوم اشارة الى
صفة الذات وجلاله فان معنى القيوم هو الذى يقوم بنفسه ويقوم به غيره فلا يتعلق قوامه بشئ
ويتعلق به قوام كل شئ وذلك غاية الجلال والعظمة وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم تنزيه وتقديس
له عما يستحيل عليه من اوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل احد اقسام المعرفة بل هو اوضح اقسامها
وقوله له ما فى السموات وما فى الارض اشارة الى الافعال كلها وان جميعها منه مصدرها واليه مرجعها
وقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه اشارة الى انفراده فى الملك والحكم والامر وان من يملك الشفاعة
فانما يملكها بتشريفه اياه والاذن فيها وهذا نفى الشركة عنه فى الملك والامر وقوله يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء اشارة الى صفة العلم وتفصيل بعض المعلومات
والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره من ذاته وان كان لغيره علم فهو من عطايه وموهبته على قدر ارادته
ومشيئته وقوله وسع كرسيه السموات والارض اشارة الى عظمة ملكه وقدرته وفيه سر لا يحتمل الحال
كشفه فان معرفة الكرسى ومعرفة صفاته واتساعه السموات والارض معرفة غامضة وترتبط بها
علوم كثيرة وقوله ولا يؤده حفظهما اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان
وقوله وهو العلى العظيم اشارة الى اصلين عظيمين فى الصفات وقد شرحناهما فى كتاب المقصد الاسنى
فى معانى اسماء الله الحسنى فاطلبه والآن اذا تاملت جملة هذه المعانى ثم تلوت جميع ايات القران
لم تجد جملة هذه المعانى من التوحيد والتقديس وشرح الصفات مجموعا فى اية واحدة منها فلذلك
كانت سيدة آى القران فان شهد الله ليس فيه الا التوحيد وقل هو الله احد ليس فيه الا التوحيد
والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيها الا الافعال وكمال القدرة والفاتحة فيها رموز الى هذه
الصفات من غير شرح وهى مشروحة فى اية الكرسى والذى يقرب اليها من جميع المعانى اخر الحشر واول
الحديد اذ يشتمل على اسماء وصفات كثيرة ولكنها ايات لا اية واحدة وهذه اية واحدة اذا قابلتها
باحاد تلك الايات وجدتها اجمع للمقاصد فلذلك تستحق السيادة على الآى اذ قال هى سيدة الايات
وكيف لا وفيها الحى القيوم وفيها اسم الله الاعظم وتحته سر ويشهد له ورود الخبر بان الاسم الاعظم
فى اية الكرسى واول ال عمران واعلم ان الفاتحة تتضمن التنبيه على فنون كثيرة ومعان مختلفة فكانت
افضل واية الكرسى تشتمل على المعرفة العظمى التى هى المتبوعة المقصودة التى تتبعها ساير المعارف
فكان اسم السيد بها اليق واما سورة الاخلاص ففيها معرفة الله وتوحيده وتقديسه عن مشاركة
فى الجنس والنوع وهو المراد بنفى الاصل والفرع والكفو ووصفه بالصمد وتفسير ذلك بانه السيد الذى
لا مقصد فى الوجود للحوائج سواه ومهمات القران ثلثة معرفة الله ومعرفة الاخرة ومعرفة الصراط
المستقيم وليس فى سورة الاخلاص الا المعرفة بوحدانية الله وتقديسه كما ذكرنا ففى ثلث المهمات لان
معرفة الاخرة والصراط المستقيم ليس فيه لا اكراه فى الدين اى لا اجبار على الدخول فى الدين الحق
اى الاسلام فهو اخبار من الله بان امر الايمان بعد وضوح الحجة مبنى على الاختيار دون القهر والجبر كقوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين اى الله لم يجر الايمان على الاكراه ولكنه اجراه على الاختيار فالعاقل
متى تبين له الحق بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء

وقيل

وقيل اخبار فى معنى النهى اى لا تكرهوا فى الدين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم انه اما عام
نسخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روى ان انصاريا
كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يا رسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر
فقال لا تكرهوا احدا فى الدين بعد فتح مكة واسلام العرب فخلاهما فالاية مخصوصة باهل الكتاب
لانهم خلصوا انفسهم باداء الجزية فلا تكون منسوخة ثم علل عدم الاكراه فى الدين بقوله قد
تبين الرشد من الغى اى قد ظهر وتميز بالايات البينات ان الايمان رشد والكفر غى يعنى ان الايمان
رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غى يودى الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر اى لم يصدق
بالطاغوت اى بالشيطان او الاصنام او كعب بن الاشرف او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله
ويؤمن اى يصدق بالله اى بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك اى تمسك واعتصم وطلب
الامساك من نفسه بالعروة الوثقى اى بالحلقة المحكمة او الاوثق والاشد من الحبل الوثيق المحكم المامون
الموصل الى الله وهى مستعارة لتمسك الحق من النظر الصحيح والراى القويم لا انفصام لها اى لا انقطاع
لتلك العروة وهى كلمة لا اله الا الله والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة والله
سميع لدعايك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على ايمانهم اى سميع بالاقوال وعليم بالنيات الله
مبتدا خبره ولى الذين امنوا اى الله محب المومنين ومتولى امرهم وناصرهم وحافظهم والمراد بهم
من اراد الله ايمانه وثبت فى علمه انه يومن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات اى الكفر او
من ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المودية الى الكفر الى النور اعنى نور
اليقين او الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اى الذين
صمموا على الكفر متولوا امرهم الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما ككعب بن الاشرف
يخرجونهم من النور الى الظلمات اى والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات
الذى يظهر لهم الى ظلمات الشكوك والشبهات او من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد
الاستعداد والانهماك فى الشهوات وذكر الاخراج اما فى مقابلة يخرجهم من الظلمات او فى كل من
امن بالنبى قبل بعثته من اليهود ثم كفر به واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق
قدرته وارادته به فان قيل كيف قال يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا فى نور قط قيل هم اليهود
كانوا مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما يجدون فى كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المومنين تعظيم لشانهم الم تر
الى الذى حاج ابراهيم فى ربه اى الم ينته علمك الى قصة الملك الذى نازع وجادل وخاصم ابراهيم
اى فى معارضة ربوبية ربه وهو تعجيب من محاجته وتنبيه على حمقه وحماقته ان اتاه الله
الملك اى لان اعطاه الله الملك يعنى ابطره ايتاء الملك واورثه الكبر وحمله على المحاجة وهو حجة
على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة او حاج وقت ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم
ظرف لحاج او بدل من اتاه اذا جعل بمعنى الحين والوقت وقيل بدل من حاج وذلك حين دخل

Copyright King Saud University

اتباع نمرود وجنوده في عيد لهم اليه لاجل الطعام وكان في زمن القحط فسجدوا له ثم دخل عليه ابراهيم
فلم يسجد له فقال له نمرود مالك لاتسجد لى قال لااسجد الا ربي فقال له نمرود من ربك قال ابراهيم
رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ اى يخلق الحيوة والموت في الاجساد قَالَ نمرود أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ
بالعفو عن القتل وبالقتل فدعا نمرود برجلين فقتل احدهما وترك الاخر فجعل ترك القتل احياء
وقرأ نافع انا بالالف اى بمدة اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة ويحذفه اذا كان
بعدها همزة مكسورة نحو ان انا الا نذير قيل كان لابراهيم ان يقول له فاحي من قتلت وامت
ان كنت صادقا ولنمرود ان يقول لابراهيم فليحي ربك من قتلت وامت لكن لما سمع ابراهيم جواب
الاحمق الغبي لم يحاجه فيه وانتقل الى حجة اوضح من ذلك فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ
مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ اى تحير وسكت وصرف الله الخبيث بان يعارض ابراهيم
ان يسال ربه حتى ياتي بها من المغرب اظهارا للحجة عليه اى معجزة لابراهيم او خاف العدو من زيادة
فضاحته لانه لو سال ابراهيم وذلك لاتى الله بها من المغرب جبرا لخليله وَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ برب العالمين
وكان للخبيث حلو لا يظن هو الرب من وجه دون وجه او هو الرب حين الحلول قاتله الله ومن يحذو
حذوه وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية يعني
لا يرشد الله المعاندين الى الحجة والبيان بل يجعلهم مبهوتين متحيرين والاية تدل على اباحة
التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه فانه قال الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه والمحاجة تكون بين
اثنين فدل ان ابراهيم حاجه ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء
عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده
واذا دعوناهم الى ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذلك لا يكون الا بعد المناظرة كذا في شرح
التاويلات أَوْ كَالَّذِي مَرَّ معناه او ارايت مثل الذي مر يعني ما رايت مثله فتعجب منه فحذف
ارايت لدلالة الم تر عليه لان ارايت والم تر كلمة تعجب وقيل انه عطف محمول على المعنى دون
اللفظ تقديره الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقال صاحب الكشف في كشفه الكاف زايدة واو
كالذي مر عطف على قوله الى الذي حاج تقديره الم تر الى الذي حاج او الذي مر عن الحسن ان المار
كان كافرا بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود في سلك واحد والاتيان بكلمة الاستبعاد التي هي انى
يحيي هذه فمعناه الم ينته علمك الى المنكر للبعث واكثر المفسرين انه عزير عليه السلام اراد ان
يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم والاتيان بانى يحيي اعتراف من عزير
بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظام لقدرة المحيي فمعناه الم ينته علمك الى سايل اراد ان
يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرته وتخصيص المثال الثاني بكاف التشبيه لان المنكر للاحياء
والبعث كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل او كالذي مر من كلام
ابراهيم ذكره جوابا لمعارضة نمرود تقديره وان كنت يا نمرود تحيي الموتى فاحي كاحياء الله الذي
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ هي بيت المقدس قيل مر عزير النبي بن شرخياء عليه السلام عليها حين
خربه بخت نصر وقيل المار هو ارميا اى الخضر والقرية هي التي خرج منها الالوف او دير

سابراباذ او سلماباذ او دير هرقل او قرية العنب بقرب بيت المقدس بمرحلتين وَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا اى تلك القرية خالية عن الناس ساقطة حيطانها على سقوفها
بان سقطت السقوف اولا ثم الجدران عليها او الجدران ساقطة مع سقوفها على ان على بمعنى
مع وكل بناء مرتفع عرش يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا اذا سقط وخوى
البيت يخوي خواء ممدودا اذا خلا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اى اهل هذه اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا اعترافا
بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القايل مومنا وانكارا واستبعادا
ان كان القايل كافرا والله اعلم بذلك واني في موضع النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى
كيف فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ اى فالبثه ميتا ماية عام فهو ظرف لاماته باعتبار المعنى اى اماته
البثه ميتا واماته حماره ايضا او اماته الله فلبث ميتا ماية عام فهو ظرف لفعل محذوف وهو لبث
ميتا ثُمَّ بَعَثَهُ اى احياه الله اى بعثه بالاحياء ليريه كيفية ذلك قَالَ الله تعالى له او ملك من
الملكة او نبي على اختلاف في ذلك قال السلطان وساغ ان يكلمه الرب وان كان كافرا لانه امن
بعد البعث او شارف الايمان كَمْ لَبِثْتَ اى كم مكثت هنا قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ
كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد ماية سنة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس
يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قَالَ القايل لعزير اخبره بَلْ
لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ يعني كنت ميتا هذه المدة ثم امره بالنظر ليعتبر فقال فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ
قيل كان طعامه تينا او عنبا وَشَرَابِكَ قيل كان شرابه عصيرا او لبنا قيل اخذه من القرية
الخاوية اى كان معه لَمْ يَتَسَنَّهْ اى لم يتغير بمرور الزمان والسنين وكان الكل على حاله
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء او هاء سكت ان قدرت واوا
وقيل اصله لم يتسنن من الحماء المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما
افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ اى كيف تفرقت عظامه
والطعام والشراب لم يتغير او انظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف
كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده وقيل فنظر الى
الحمار وقد بلي فاحيا حماره بعد رويته فاذا هو قايم ينهق فخر ساجدا فسمع القايل يقول
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ اى فعلنا ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك اية وعبرة للناس روي انه اتى
قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك
وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث
ماية سنة ثم قال القايل وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ اى عظام الحمار او الاموات الذين تعجبت من احيائهم
كَيْفَ نُنْشِرُهَا بالراء المهملة معناه نحييها يقال انشر الله الميت اذا احياه وهو قراءة اهل
الحجاز والبصرة وقرا الباقون بالزاي المعجمة معناه نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه يعني نرفع
العظام من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا
اى نكسو العظام لحما جعل اللحم كاللباس مجازا قال السدي ان الله عز وجل احيا عزيرا ثم قال له

Copyright © King Saud University

انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله تعالى ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل
وجبل ذهبت بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حمارا لا
روح فيه ثم اقبل ملك يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله تعالى **فلما**
تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شي قدير **قال**
اعلم ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اى فلما تبين له
ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به
على طريق التبكيت **واذ قال ابراهيم** اى اذكر وقت قوله **رب ارني** بصرني **كيف تحيي الموتى**
انما سال ابراهيم ربه ذلك ليصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما قال
نمرود انا احيي واميت قال له ابراهيم ان احياء الله برد الروح الى بدنها لا بالعفو عن القتل فقال له نمرود
هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه معاينة ومشاهدة ليطمئن
قلبه على الجواب ان سال عنه مرة اخرى وقيل مر ابراهيم على حمار ميتة بساحل بحيرة الطبرية
ياكل منها دواب البحر ودواب البر والطير وتفرق اجزاؤها فى بطونهم فتعجب ابراهيم من ذلك
وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني
كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى على ذلك فقال الرب سبحانه **اولم**
تؤمن يا ابراهيم بقدرتي على احياء الموتى باعادة التركيب والحيوة قال الله له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس فى الايمان ليجيب بما سال فيعلم السامعون غرضه **قال** ابراهيم **بلى** اى قد صدقت بانك
تحيي الموتى **ولكن** سالتك **ليطمئن** ليسكن **قلبي** بالمشاهدة والمعاينة فيصير علمي بالاستدلال علما باليقين
والمعاينة **قال** الله لابراهيم ان ترد روية ذلك عيانا **فخذ اربعة من الطير** اى طاوسا وديكا
وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى
باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة
النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة فى الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص
الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب **فصرهن**
اليك بضم الصاد اى فاملهن واضممهن اليك او وجههن واجمعهن اليك وقال ابو عبيدة
قطعهن واخلط لحمهن وريشهن وقرا حمزة ويعقوب بكسر الصاد وهما لغتان **ثم اجعل على**
كل جبل منهن جزءا اى بعد ما جمعتهن اليك وعلمت علاماتها حتى لا تلتبس عليك بعد الاحياء
وعودهن اليك ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة جبل على
جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب وقيل كانت سبعة قال
ابن جريج والسدي رحمهما الله تعالى جزاها سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن
عنده **ثم ادعهن** اى قل لهن تعالين باذن الله تعالى **ياتينك سعيا** مصدر فى موضع الحال اى
ياتينك ساعيات مسرعات فى طيرانهن او مشيهن على ارجلهن روي انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها فيمسك روسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك

فجعل

فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج
بعضها ببعض كما فعل بالطيور حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية
العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة فى الدعاء وحسن
الادب فى السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد
ان اماته مائة عام **واعلم ان الله عزيز** لا يمتنع عليه ما يريده **حكيم** اى ذو حكمة بالغة
فى كل ما يفعله ويذره ولما برهن على قدرته على المعاد حث المؤمنين على الانفاق فى سبيل الله جهادا
او غيره ليجازيهم باضعاف نفقاتهم فانه قادر على كل شي فقال **مثل الذين ينفقون اموالهم**
فى سبيل الله كمثل حبة اى مثل نفقات المنفقين فى الجهاد او فى جميع ابواب الخير وطاعة الله
كمثل حبة او مثلهم كمثل زارع حبة وباذرها فى ارض عامرة جيدة على حذف مضاف **انبتت سبع**
سنابل فى كل سنبلة مائة حبة المنبت هو الله حقيقة وحده ولكن الحبة لما كانت سببا اسند
اليها الانبات مجازا كما اسند الى الارض والماء والمعنى انه سبحانه يخرج من ذلك الحبة ساقا يتشعب
منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة فان قيل ما راينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف
ضرب المثل بها قيل ذلك تمثيل لا يقتضي وقوعه او متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب
المثل به وان لم يوجد على سبيل الغرض والتقدير فعلى هذا معناه فى كل سنبلة مائة حبة ان شاء الله ذلك
بل فى كل سنبلة ملء السموات والارض ان جعل الله فيها وقيل هو موجود فى الدخن والذرة و
البر فى الاراضي المغلة وقيل معناه انها ان بذرت انبتت مائة حبة فما حدث من البذر الذي
كان فيها كان مضافا اليها وكذلك اوله الضحاك رحمه الله قال كل سنبلة انبتت مائة حبة
والله يضاعف تلك المضاعفة **لمن يشاء** بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله
تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب وقيل يضاعف على المضاعفة المذكورة لمن يشاء ما بين سبع
الى سبعين الى سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله عز وجل **والله واسع** فضله
وجوده لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة **عليم** بنية المنفق وقدر انفاقه **الذين ينفقون اموالهم**
فى سبيل الله فى طاعة الله قال الكلبي نزلت فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنهما جاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
كانت عندي ثمانية الاف فامسكت منها لنفسي وعيالي اربعة الاف واربعة الاف اقرضتها ربي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت واما عثمان
رضي الله عنه فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت فيهما هذه
الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار فى جيش العسرة فصبها فى حجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر
ابن عفان ما عمل بعد اليوم وقيل نزلت فى عثمان حين اشترى بئر رومة وجعلها سبيلا
على المسلمين **ثم لا يتبعون ما انفقوا منا** بان يقول قد احسنت اليك وجبرت حالك او اعطيتك

Copyright © King Saud University

كذا فيكدر عليه حاله وكانوا يقولون اذا اصنعتم صنيعة فانسوها ولا اذى بان يتطاول عليه
بسبب ما انعم عليه وقيل من الاذى ان يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه
قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك
يثقل عليه فكف سلامك عنه وذكر ثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير
من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا لهم
اجرهم عند ربهم اى ثوابهم مخزون عند ربهم ولا يضيع انفاقهم ولا خوف عليهم في الاخرة
ولا هم يحزنون من فوت ثوابهم عند الله ولعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن
ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف
اى رد جميل او عدة حسنة او دعاء بالخير مبتدأ نكرة موصوفة وعطف عليه قوله ومغفرة
اى تجاوز عن الحاح الفقير اذا الح او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره
ويغفر رده وخبر المبتدأ خير من صدقة يتبعها اذى اى من وتعيير لمن يتصدق عليه بالسؤال
فالمن من العباد تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير والله غني عن انفاق بمن وايذاء
حليم عن معاجلة من يمن ويوذي بالعقوبة ثم بالغ في الوعيد بقوله يا ايها الذين امنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما على المنان وزيادته
على الفقير وزيادة ايذائه وقيل ذهب الاجر فيهما وبقي الوزر في الايذاء دون المن
ثم ضرب مثلا لذلك فقال كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الاخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله تعالى ولا ثواب الاخرة او مماثلين
الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال
بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاقا رئاء وقال الشيخ الامام وهذا للمنافقين لان الكافر معلن كفره
غير مراء فابطال صدقة المؤمن بالمن والاذى كابطال صدقة المشرك بالشرك والمرائي بالرياء
فمثله اى مثل المرائي في انفاقه او المرائي والمشرك معا في انفاقهما كمثل صفوان اى كمثل حجر
املس عليه تراب فاصابه وابل اى مطر شديد عظيم القطر فتركه صلدا اى تركه
وخلاه املس واجرد نقيا من التراب الذي كان عليه يعني مثل المرائي والمشرك في صدقتهما
يوم القيمة كمثل حجر عليه تراب فازاله المطر وبقي املس فكذلك الرياء والشرك يبطل ثواب المنفق
لذلك لا يقدرون على شيء مما كسبوا عملوا اى لا ينتفعون بما فعلوا رياء او شركا ولا يجدون
ثواب صدقاتهم في الاخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لاذهاب
المطر له وانما قال لا يقدرون بضمير الجمع بعد قوله كالذي ينفق بالافراد لانه اراد بالذي ينفق الجنس
او الفريق الذي ينفق والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد ما داموا مختارين الكفر
وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يجتنب عنها
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى طلب رضى الله تعالى
وتثبيتا من انفسهم اى وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قوله هز من

عطفه

من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض
نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ
من اصل انفسهم فمن للابتداء كما في قوله حسدا من عند انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة بضم الراء وفتحها مكان مرتفع
مستو يعني ومثل نفقة هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لوجه الله في الحسن والبهاء والزكاء والنماء
عند الله تعالى كمثل ثمرة بستان في مكان مرتفع وخصها به لان الشجر فيه يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا لا يعلوه الماء ولا يخلو عن شرب قال الفراء اذا كان في البستان نخل فهو جنة
واذا كان فيه كرم فهو فردوس اصابها اى الجنة وابل مطر عظيم القطر فاتت اى اعطت
اكلها بضم الكاف وسكونها ثمرتها ضعفين اى مثلي ما يثمر غيرها يعني حملت تلك
الجنة في سنة واحدة ما يحمل غيرها من الثمرة في سنتين فان لم يصبها وابل اى وان
لم يصب ولم يمطر على تلك الجنة المطر الشديد فطل اى فيصيبها او فالذي يصيبها طل او
فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان
نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت يتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله
ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين
في زلفاهم بالوابل والطل يعني ان صدقة المؤمن المخلص لرضاء ربه تنفعه في الدنيا والاخرة
جلت او قلت كما ان هذه الجنة تعطي ريعها بحصرها اكثر المطر او قل والمدار على خلوص
النية والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة في
ايود للانكار وهذا تاكيد لمنع الرياء وتحقيق الندامة على فاعله فهي متصلة بقوله يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم الاية اى ايحب رجل منكم ان تكون له جنة اى بستان على قول وكرم
على قول الفراء من نخيل جمع نخل واعناب تجري من تحتها الانهار له اى لصاحب البستان
فيها اى في الجنة من كل الثمرات يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها لان النخيل والاعناب
لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر واقتصر على كون الجنة منهما وان كانت محتوية
على سائر الاشجار بشهادة قوله فيها من كل الثمرات تغليبا لهما على غيرها واصابه الكبر اى والحال
انه قد بلغ نهاية السن وله تلك الجنة الموصوفة وله اى والحال ايضا لصاحب تلك الجنة ذرية
ضعفاء اى اولاد صغار لا قدرة لهم على الكسب ومعيشته ومعيشة ذريته من تلك الجنة لا غير فاصابها
اى الجنة اعصار وهو الريح الشديد العاصف التي ترتفع من الارض الى السماء مستديرة كانها عمود
وجمعه اعاصير فيه اى في ذلك الريح نار محرقة فاحترقت تلك الجنة فبقي الرجل واولاده عجزة
متحيرين ليس له ولهم حيلة وقوة على الكسب للمعيشة وهذا تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة
ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف والندامة اذا كان يوم القيمة واشتد
حاجته اليها ووجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره في عالم
الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق

وجعل سعيه هباء منثورا وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فيمن ترون هذه الاية نزلت ايود احدكم ان تكون له جنة قالوا الله اعلم فغضب عمر فقال
قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال عمر ابن اخي قل ولا تحقر
نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس لرجل غني يعمل بطاعة
الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كذلك اي كهذا البيان الذي
بين فيما تقدم من الجهاد والانفاق في سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك يبين
الله لكم الايات اي الدلالات الواضحة في تحقيق التوحيد وتصديق الدين لعلكم تتفكرون
اي تتدبرون فيها فتعتبرون بها فتنتهون عما نهى الله عنه ثم حث المؤمنين بالانفاق من الحلال
الذي يحصل من الكسب بالتجارة والصناعة فقال يا ايها الذين امنوا انفقوا اي زكوا
من طيبات ما كسبتم اي من حلال ما كسبتم وجياده بالتجارة والصناعة وفيه دليل على وجوب
الزكاة من اموال التجارة والكسب اما جيد واما خبيث قال صلى الله عليه وسلم ما اكل احد طعاما
قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وكان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده وقال صلى الله
عليه وسلم لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيقبل منه ولا
ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ
بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث واذا قلت لبعض الظلمة لم لا تخرج الزكاة
يقول مالي حرام ويرضى بان يكون زاده الى النار نبهنا الله من رقدة الغفلة والزكاة واجبة
في مال التجارة عند اكثر اهل العلم فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر اذا كانت
قيمتها عشرين دينارا او مائتي درهم ومما اخرجنا لكم من الارض اي زكوا من طيبات ما اخرجنا
لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف اي من طيبات لتقدم ذكره وهذا امر باخراج العشر من الثمار
والحبوب واتفق اهل العلم على ايجاب العشر في النخل والكرم وفيما يقتات من الحبوب ان كان يسقى
بماء السماء او من نهر يجري الماء اليه من غير مؤنة وان كان يسقى بسانية او نضح ففيه نصف العشر
قال صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف
العشر وقال صلى الله عليه وسلم في زكاة الكرم يخرص كما يخرص النخل ثم يؤدى زكاته زبيبا
كما يؤدى زكاة النخل تمرا واختلف اهل العلم فيما سوى النخل والكروم وفيما سوى ما يقتات من الحبوب
فذهب قوم الى انه لا عشر في شيء منها وهو قول امامنا الشافعي وابن ابي ليلى وقال الزهري ومالك و
الاوزاعي رحمهم الله تجب في الزيتون وقال ابو حنيفة رحمه الله يجب العشر في جميع البقولات
والخضراوات والثمار الا الحشيش والحطب وكل ثمرة اوجبنا فيها الزكاة فانما تجب ببدو الصلاح
ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وكل حب اوجبنا فيه العشر فوقت وجوبه اشتداد الحب
ووقت الاخراج بعد الدياسة والتنقية ولا يجب العشر في شيء منها حتى يبلغ خمسة اوسق عند اكثر
اهل العلم وعند ابي حنيفة تجب في كل قليل وكثير منها واحتج من شرط النصاب بما قال النبي صلى
الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة اوسق من التمر صدقة وليس فيما دون خمسة اواق من الورق صدقة

وليس

وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة وقال صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا ثمر صدقة حتى
يبلغ خمسة اوسق وقال قوم الاية في صدقة التطوع وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس
غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه انسان او طير او بهيمة الا كانت له به صدقة ومن استخرج ذهبا
او فضة من معدن اي مكان خلقه الله فيه موات او ملك له لزمه ربع عشره لملكه اياه ويشترط
فيه النصاب لا الحول وفي الركاز الخمس وله الشيخان يصرف مصرف الزكاة على المشهور ويشترط النصاب
والنقد اي الذهب والفضة على المذهب لا الحول وهو الموجود الجاهلي اي من دفين الجاهلية فان
وجد اسلامي علم مالكه فله والا فلقطة ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون اي لا تقصدوا ولا تخصوا
المال الردي بالانفاق والاخراج عن زكاة اموالكم وبعبارة اخرى ولا تقصدوا الردي من
المال تخصونه بالانفاق قوله تنفقون في محل الحال اي لا تيمموا الخبيث منفقين يعني مقدرين
الانفاق اي حال كونكم منفقين بالاختصاص من خبيث المال ونزلت لما كانت الانصار تخرج
اذا كانت جداد النخل اقناء من التمر والبسر فيعلقونه على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين فكان الرجل يعمد فيدخل قنو الحشف وهو
يظن انه جائز عنه في كثرة ما يوضع الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث اي الردي
وفي رواية كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم
فانزل الله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تأخذون الردي
بدل الجيد والطيب في حقوقكم على الغير لرذالته الا ان تغمضوا فيه اي الا ان تتسامحوا
وتتساهلوا في اخذ الخبيث بدلا عن حقكم الجيد كانكم اغمضتم اعينكم عن رذالته ورضيتم بدون
حقكم وذلك التسامح اما المخافة فوت حقكم ان لم ترضوا بالدون لاعسار من عليه حقكم او لشدة
احتياجكم اليه ولا يوجد غيره فتخافوا ان يذهب الجميع او لشفقتكم على من عليه حقكم وقال محي
السنة والفرض معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه الا وهو يرى انه قد اغمض
له عن حقه وتركه وقال الحسن وقتادة لو وجدتموه يباع في السوق ما اخذتموه بسعر الجيد
قال الشيخ فاذا كيف تؤدون حق الله من الردي وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا
مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا
ان الله غني عن انفاقكم وصدقاتكم وانما يأمركم به لانتفاعكم او غني عن الردي فلا يقبل الا الطيب
حميد بقبوله واثابته او حميد اي محمود في افعاله يعطي الجزيل ويقبل القليل الشيطان يعدكم الفقر
اي يخوفكم بالفقر ويقول لا تنفقوا من مالكم لاحتياجكم اليه يوما ما فان تصدقتم افتقرتم اليه والوعد
في الاصل شايع في الخير والشر قال الله تعالى في الخير وعدكم الله مغانم كثيرة وقال في الشر
وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء اي يأمركم بالبخل ومنع الزكاة وقيل بانواع المعاصي كالزنا
وقول الزور وغير ذلك قال الكلبي كل فحشاء في القران فهي الزنا الا هذا فهو البخل والله يعدكم
بالتصدق واخراج الزكاة مغفرة لذنوبكم منه اي من الله وفضلا اي رزقا خلفا افضل مما
انفقتم وتصدقتم به في الدنيا او في الاخرة اي ومثوبة عليه في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل

Copyright King Saud University

لمن انفق عليم بما تنفقونه فيجازيكم به يؤتي الحكمة اى تحقيق العلم واتقان العمل او العلم النافع
المؤدي الى العمل به الموصل الى رضاء الله او المعرفة بخفايا الشيطان ووساوسه او الاصابة في القول
او النبوة او علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه
وامثاله اى القران والفهم فيه والحمد لله على ذلك وقال الضحاك في مائة وتسع ايات ناسخة
ومنسوخة والف اية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كاهل النهروان
تاولوا آيات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا
الاموال وشهدوا علينا بالضلال فعليكم بعلم القران فانه من علم فيما انزل الله لم يختلف في شيء منه
وقيل هي القران والعلم والفقه او معرفة معاني الاشياء من يشاء من عباده مفعول اول
اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول اى ومن يعطه العلم والعمل به او الورع
ومن في محل الرفع على انه مبتدأ ويؤت الحكمة خبره وقرأ يعقوب يؤت الحكمة بكسر التاء اى من يؤته الله
الحكمة وقرأ الاعمش ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا اى اى خير كثير اذ جمع وحيز
له خير الدارين لمصيره الى السعادة الابدية فالتنكير للتعظيم وما يذكر اى وما يتعظ بما ذكر
من الايات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا
الالباب اى ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى قيل من
اعطي القران ينبغي ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطاه الله خير كثير والدنيا
متاع قليل وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق من نحو زكاة او
صدقة تطوع او في باطل بان يصرف ماله في سبيل الشيطان واوليائه او نذرتم من نذر
بان اوجبتم على انفسكم في طاعة او معصية فان الله يعلمه اى يعلم ويحفظ ويحصي
ويضبط ما انفقتم وما نذرتم على وجه الطاعة او المعصية فيجازيكم عليه وما للظالمين اى
ليس للذين ينفقون اموالهم في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات والزكوات ولا يوفون
بالنذور وعبارة الشيخ وما للظالمين اى الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء او يتصدقون
بالحرام من انصار اى من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم ان تبدوا اى تظهروا وتعلنوا
الصدقات قيل النوافل وقيل المفروضة فنعما هي اى نعمت الخصلة هي يعني فنعم شيئا ابداؤها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون
بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وما في
نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هي قال الشيخ وما في محل الرفع ومحل
في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد واصله
نعم ما فوصلت وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اى وان تعطوها للفقراء مع الاخفاء والستر
فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم من ابدائها وايتائها للاغنياء لعدم حاجتهم وهذا في
التطوع ولمن لم يعرف بالمال وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر افضل
وفي الحديث صدقة السر تطفئ غضب الرب واما صدقة الفرض فالافضل اظهارها ليقتدى به

ولنفي التهمة عنه وايتاؤها للفقراء متعين ولا يجوز للاغنياء كما هو مذكور في كتب الفقه
بشروطها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
ونكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر بالنون ورفع الراء اى نحن نكفر اى
نمحو عنكم من ذنوبكم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء اى والله يكفر او الاخفاء وقرأ
اهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم عطف على محل الفاء التي في قوله تعالى فهو خير لكم لان
موضعها جزم بالجزاء وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات اى الصدقات تمحو وقوله
من سيئاتكم قيل من صلة اى نكفر عنكم جميع ذنوبكم وقيل للتبعيض يعني نكفر الصغاير من الذنوب
او بعض الذنوب بالتصدق في السر والعلانية والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار
او خبير بالتصدق في الحالين فيجازيكم به ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان
تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن
والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء هدايته الى الدخول في الاسلام
وهذا صريح بان الهداية من الله ومشيته وحده وانها تخص بقوم دون قوم اى ليس عليك
التوفيق على الهدى اى خلق الهدى وانما ذلك على الله وحده وسبب نزول الاية المذكورة ان ناسا
من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا
ان ينفقوهم وارادوهم على ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر فقراء
المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام
فنزل ليس عليك هداهم فتمنعهم الصدقة للدخول في الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله يهدي
من اراد به هداية التوفيق اما هدى البيان والدعوة فانه كان على رسول الله فاعطوهم بعد نزول
هذه الاية قال ابو حنيفة يجوز انفاق صدقة الفطر لاهل الذمة ومنعه غيره وما تنفقوا
من خير من مال ونفقة معروفة فلانفسكم اى فثوابه لكم لا لغيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه
ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال تقدير الكلام وما تنفقوا
من خير فلانفسكم حال كونكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او وما تنفقون عطف
على ما قبله اى ليس عليك هداهم وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي اى لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله اى ثوابه لا غيره من اعراض الدنيا وما
تنفقوا من خير فعل شرط تاكيد للشرطية السابقة وهي وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولذلك حذف
النون منهما يوف اليكم اى يعط ثوابه لكم وافرا اضعافا مضاعفة او يعط ما يخلف
المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وما هذه شرط
ويوف مجزوم جزاؤه وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون من ثواب اعمالكم ونفقاتكم شيئا
وهذا في صدقة التطوع اباح الله تعالى ان توضع في اهل الاسلام واهل الذمة واما الصدقة
المفروضة فلا يجوز وضعها الا في المسلمين للفقراء الجار والمجرور متعلق بمحذوف اى اعمدوا او اقصدوا

الفقراء اى اجعلوا ما تنفقون من خير للفقراء فلانفسكم او صدقاتكم للفقراء او هذه الصدقات
للفقراء على انه خبر لمبتدا محذوف اى الصدقات التى سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف
تقديره للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين الذين احصروا فى سبيل
الله اى حبسوا انفسهم على الجهاد كانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة
ولا عشائر بل كانوا فى المسجد يتعلمون القران بالليل ويرضخون النواة اى الفضى بالنهار وكانوا
يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى عليهم
الناس فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسى لا يستطيعون لاشتغالهم بالجهاد ضربا
اى ذهابا وسيرا وسعيا فى الارض للكسب والمعيشة يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين وقرأ الاخرون بكسر السين اغنياء من التعفف من
اجل تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم اغنياء تعرفهم بسيماهم اى
بعلامتهم من التواضع والخشوع ورثاثة الحال واثر الجهد والخطاب للرسول او لكل احد يصلح
لذلك لا يسئلون الناس الحافا اى الحاحا بل لا سؤال اصلا لقناعتهم وتوكلهم على الله و
الالحاف هو ان يلازم المسؤل حتى يعطيه ولو فرض سؤالهم كان عن ضرورة من غير الحاح قال
عطاء معناه اذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء قال
صلى الله عليه وسلم لقبيصة ان المسئلة حرمت الا فى احدى ثلث فى رجل اصابته جائحة فاجتاحت
ماله فيسأل حتى يصيب قواما من عيشه ثم يمسك وفى رجل اصابته حاجة حتى يشهد له ثلثة
نفر من ذوى الحجى من قومه ان المسئلة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك وفى
رجل تحمل بحمالة فيسأل حتى اذا بلغ امسك وما كان غير ذلك فانما ياكله صاحبه سحتا وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم فيجازيه عليه ترغيب فى الانفاق وخصوصا على الموصوفين بما ذكر
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قوله عز وجل سرا وعلانية حالان
تقديره ينفقون مسرين ومعلنين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما
نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت فى ابى بكر
الصديق رضى الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل فى عبد الرحمن بن عوف لما نزلت
للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله بعث بدنانير كثيرة الى اصحاب الصفة وقيل فى ربط
الخيل فى سبيل الله والانفاق عليها فانها تعلف ليلا ونهارا وسرا وعلانية قال صلى الله عليه وسلم
من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله
فى ميزانه يوم القيمة فلهم اجرهم اى من انفق كما ذكرنا فلهم ثواب حاضر واجر ثابت عند
ربهم ولا خوف عليهم مما يستقبل ولا هم يحزنون مما مضى فيه ترغيب على التصدق فى كل الاوقات
على كل الحال قوله عز وجل فلهم الخ خبر الذين ينفقون اموالهم بالليل والفاء للسببية وقيل

للعطف

للعطف والخبر محذوف تقديره ومنهم الذين ينفقون ولذلك جوز الوقف على علانية الذين
يأكلون الربوا اى الاخذون للربا والمعاملون به وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان
الربا شايع فى المطعومات وهو الزيادة فى المعاملة بالنقود والمطعومات فى القدر او الاجل بان
يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او فى العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه
عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا الذهب
بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح الا سواء
بسواء عينا بعين يدا بيد ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير
بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يدا بيد كيف شئتم فجملة مال الربا عند الشافعى رحمه الله ما كان
ثمنا او مطعوما والربا نوعان ربا الفضل وربا النسأ واذا باع مال الربا بجنسه مثل ان باع احد
النقدين بجنسه او باع مطعوما بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعى الربا حتى
لا يجوز الا متساويين فى معيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم والدنانير يشترط المساواة فى الوزن
وان كان مكيلا كالحنطة والشعير فباع بجنسه يشترط المساواة فى الكيل ويشترط التقابض فى
مجلس العقد واذا باع مال الربا بغير جنسه نظر ان باع بما لا يوافقه فى وصف الربا مثل ان باع
مطعوما باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وان باعه بما يوافقه فى الوصف مثل ان
باع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او باع مطعوما بمطعوم اخر من غير جنسه فلا يثبت فيه
ربا الفضل حتى يجوز متفاضلا وجزافا ويثبت فيه ربا النسأ حتى يشترط فيه التقابض فى المجلس
وقول النبى صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الذهب بالذهب الى ان قال سواء بسواء فيه ايجاب المماثلة وتحريم
الفضل عند اتفاق الجنس وقوله عليه السلام عينا بعين فيه تحريم النسأ وقوله عليه السلام
يدا بيد كيف شئتم فيه اطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع ايجاب التقابض فى المجلس هذا
فى ربا المبايعة ومن اقرض شيئا بشرط ان يرد عليه افضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر
منفعة فهو ربا وحاصل المذهب على ما ذكره الامام النواوى رحمه الله انه اذا بيع الطعام بالطعام
ان كانا جنسا اشترط الحلول والمماثلة والتقابض قبل التفرق او جنسين كحنطة وشعير جاز
التفاضل واشترط الحلول والتقابض قبل التفرق والطعام ما قصد للطعم اى للاكل اقتياتا
كالبر والشعير والارز والذرة وما هو قوت وتادم وتفكه كالتمر والزبيب اما التين فادام
وتفكه وما هو للاصلاح والتداوى كالملح وما الحق به كالمصطكى وغيرها من الادوية واما ما لا يقصد
تناوله مما يوكل كالجلود فلا ربا فيه والبلوط ربوى لانه يقصد تناوله ولو نادرا وادقة الاصول
المختلفة الجنس وخلولها وادهانها اجناس كاصولها فيجوز بيع دقيق الحنطة بدقيق الشعير
متفاضلا وخل التمر بخل العنب كذلك ودهن البنفسج بدهن الورد كذلك واللحوم والالبان
اجناس فى الاظهر كاصولها فيجوز بيع لحم البقر بلحم الضان متفاضلا ولبن البقر بلبن الضان
متفاضلا والمماثلة تعتبر فى المكيل كيلا والموزون وزنا والمعتبر فى الكيل والوزن غالب عادة
اهل الحجاز فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جهل يراعى فيه عادة بلد البيع والنقد اى الذهب والفضة

Copyright King Saud University

كطعام بطعام فيما ذكرنا فلو باع طعامًا اى نقدًا بجنسه جزافًا تخمينا وحزرًا لم يصح البيع
وان خرجا سواء للجهل بالمماثلة حال البيع وتعتبر المماثلة فى الثمار والحبوب وقت الجفاف الذى
يحصل به الكمال وقد يعتبر الكمال بالجفاف اى الا فى مسئلة العرايا فلا يباع رطب برطب ولا عنب
بعنب ولا بزبيب للجهل بالمماثلة وقت الجفاف لانه ينقص اذا جف ومالا جفاف له كالقثاء
والعنب الذى لا يتزبب لا يباع بعضه ببعض اصلا كالرطب بالرطب والربوا بالقصر والفه
بدل من واو وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
لَا يَقُومُونَ يوم القيمة اذا بعثوا من قبورهم إِلَّا قياما كَمَا يَقُومُ اى مثل قيام الشخص الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ اى يصرعه الشَّيْطَانُ يعنى الا قياما كقيام المصروع لانه تخبط فى المعاملة فجوزى على
المقابلة والخبط ضرب على غير استواء كخبط العشواء وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع مِنَ الْمَسِّ اى من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا
وهذا ايضا من زعمات العرب ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل قوله
عز وجل من المس متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس والجنون الذى بهم بسبب اكل
الربا الا كما يقوم المصروع المخبل او بيقوم [illegible] او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذَلِكَ
اى ذلك العقاب والعذاب الذى نزل بهم بِأَنَّهُمْ اى بسبب انهم قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا
فى الجواز يعنى انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله
وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع
وفى قول كان الرجل اذا حل اجل ماله طلبه فيقول له المطلوب زدنى فى الاجل وازيدك فى
مالك فيفعلان ذلك فاذا قيل لهما هذا ربوا لا يجوز قالا كلاهما ذلك قالا الزيادة فى اول البيع كالزيادة
فى اخر البيع وقيل قالا الربوا والبيع سواء فى الحل فابطل الله قولهم بقوله وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ
وَحَرَّمَ الرِّبَا وهذا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص يعنى ان النص يبطل القياس
المخالف له فَمَنْ جَاءَهُ بلغه مَوْعِظَةٌ اى وعظ مِنْ رَبِّهِ اى زجر كالنهى عن الربوا فَانْتَهَى
عن اكل الربوا بعد ما سمع النهى فَلَهُ مَا سَلَفَ اى له ما تقدم اخذه على التحريم اى هو ملكه
ولا يسترد منه اى لا يواخذ بما مضى من ذنبه لانه اخذ قبل نزول التحريم وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ
اى يجازيه الله على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم الله فى
شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شئ ولا اعتراض لكم عليه وَمَنْ عَادَ الى تحليل الربوا اذ
الكلام فيه فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لانهم كفروا بالاستحلال وعن
عون بن ابى جحيفة عن ابيه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغى
ولعن اكل الربوا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور وعن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم
لعن اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وعن ابى هريرة رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الربا سبعون بابا اهونها عند الله تعالى كالذى ينكح امه والاحاديث

ذكرها

ذكرها محى السنة والغرض فى تفسيره فرحم الله امرأ بتنبه لوعظ القران واحاديث النبى صلى الله عليه وسلم
قبل ان يتخبط ويصرع على روس الاشهاد يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا اى يذهب الله بركته ويهلك
المال الذى يدخل فيه وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما يمحق الله الربوا يعنى لا يقبل
منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ اى ويزيدها وينميها ويضاعف ثوابها
فى العقبى ويبارك فيما اخرجت منه فى الدنيا وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها
كما يربى احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ كَفَّارٍ اى عظيم الكفر باستحلال الربا أَثِيمٍ متماد فى الاثم باكل الربا قال السلطان معناه
انه تعالى لا يرتضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار اى مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا صدقوا بالله ورسله وبما جاءهم منه ومما جاء منه تحريم الربا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
اى الطاعات وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ اى الصلوات الخمس بمواقيتها واركانها وادابها وَآتَوُا الزَّكَاةَ
اى الصدقة المفروضة لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ اى ثواب اعمالهم من غير نقص وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من آت وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ على فائت وفيه ترغيب لاهل الايمان فى الاعمال الحسنة وتزهيد عن الاعمال السيئة يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ اى اخشوه ولا تعصوه فيما نهاكم عن امر الربوا وغيره وَذَرُوا اى اتركوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا
اى ما بقى من الزيادة بعد اخذكم ما شرطتم على الناس من الربوا فلا تطلبوها يعنى انهم اخذوا ما شرطوا على
الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوها روى انها نزلت فى ثقيف وكان لهم
على بعض من قريش فطالبوهم بالربوا والمال عند المحل إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بقلوبكم فان دليله امتثال ما
امرتم به فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا اى ان لم تتركوا الزيادة ولم تقروا بتحريم الربوا فَأْذَنُوا اى فاعلموا وايقنوا
بسكون الهمزة وفتح الذال من اذن بالشئ اذا علم به ويؤيده قراءة الحسن فايقنوا وقرا حمزة وعاصم
فى رواية ابى عياش فآذنوا بفتح الهمزة الممدودة وكسر الذال من الايذان بمعنى الاعلام اى فاعلموا غيركم
من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تنكير حرب للتعظيم وذلك
يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره اى فاعلموا بنوع حرب
عظيم من عند الله ورسوله او فاعلموا غيركم بذلك فحرب الله النار وحرب رسوله السيف قيل
يقال يوم القيمة لاكل الربوا خذ سلاحك للحرب من الله روى انها لما نزلت هذه الاية قال ثقيف
لا يدى لنا بحرب الله ورسوله اى لا طاقة لنا بذلك ورضوا برؤس اموالهم ثم بين الله تعالى الحكم
بعد التوبة بقوله وَإِنْ تُبْتُمْ اى وان رجعتم عن الارتباء واعتقاد حله فَلَكُمْ رُءُوسُ اى اصول
أَمْوَالِكُمْ التى اربيتم بها لَا تَظْلِمُونَ غيركم اى المديون بطلب الزيادة على راس المال وَلَا تُظْلَمُونَ
بالمطل والنقصان عن راس المال ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد
على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ ولما غلب النبى صلى الله عليه وسلم على اهل مكة وقال
فى خطبته يوم عرفة الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة
وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله
هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله ورضى

Copyright King Saud University

المربوب براس المال فشكى بنو المغيرة العسرة وقالوا اخرونا الى ان ندرك الغلات فارباب الحقوق
ابوا ان يوخروا فانزل الله تعالى وان كان ذو عسرة اى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة وقرئ
ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة يعني ان كان الذي عليه الدين معسرا فقوله ذو عسرة مرفوع لان
كان تامة لا يحتاج الى خبر فنظرة خبر مبتدا محذوف اى فالحكم في المعسر انظار وامهال وتاخير
الى ميسرة اى الى وقت يسر من ادراك ثمار وغيره قرا نافع وحمزة ميسرة بضم السين وقرا الاخرون
بفتحها وان تصدقوا اى وتصدقكم وابراؤكم باسقاط الدين كله عمن اعسر من الغرماء او بالتاخير
والانظار والامهال خير لكم مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه او اكثر ثوابا من الانظار
وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة وفي حديث اخر من انظر معسرا او وضع له نجاه الله من كرب يوم القيمة وفي
حديث مسلم من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله قرا عاصم بتخفيف الصاد
والاخرون بتشديدها ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل او انه خير لكم فاعملوا به
جعل من لا يعمل بعلمه كمن لا يعلم واتقوا يوما ترجعون بالبناء للمفعول تردون وبالبناء للفاعل
تصيرون فيه الى الله معناه اخشوا يوما تردون وتصيرون فيه الى حكم الله وهو يوم
القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه ثم توفى تكمل في ذلك اليوم كل نفس جزاء ما كسبت
اى عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص حسنة او زيادة سيئة قال ابن عباس هذه
اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين اية
من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما او تسع ليال او سبع
ليال وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات ومات يوم الاثنين لليلتين
خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنة احدى عشرة من الهجرة وقال الشعبي عن ابن
عباس ان اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية الربا قيل انما امر بوضعها هنا تاكيدا
للزجر عن الربوا يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اى اذا تعاملتم بالدين يعني اذا داين
بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من
التداين المجازاة والمعاطاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتابة ويكون
اى الدين مرجعا للضمير فاكتبوه الى اجل مسمى اى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد والدياس
وقدوم الحاج ورجوعه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب
قبل محله وفي القرض لا يلزم الاجل عند اكثر اهل العلم فاكتبوه اى اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان
او سلما او قرضا لان الكتابة اوثق وادفع للنزاع وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم
الله الربوا اباح السلف واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي فرض والاكثرون على انه امر استحباب
فان ترك فلا باس كقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الارض وقال قوم كانت كتابة الدين
والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله الاتي فان امن بعضكم بعضا الاية وليكتب كتاب الدين بينكم
بين المتداينين كاتب بالعدل من يكتب بالحق والسوية في كتابه بان لا يزيد في المال والاجل ولا ينقص

اسم كان

منهما وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا
بالشرع ولا ياب اى لا يمتنع كاتب احد من الكتاب من ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة
على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فذهب قوم الى وجوبها اذا طولب وهو قول مجاهد وقال
يجب اذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على الندب والاستحباب وقال الضحاك كانت عزيمة
واجبة على الكاتب والشهود فنسخها قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وقال السلطان وهو
امر للمتداينين الخ كما ذكرنا كما علمه الله اى كما شرعه الله اى مثل ما علمه من كتبة الوثائق
او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها من فضله فلا يبخل بها كقوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك والكاف متعلق بياب او بيكتب [redacted] فليكتب تلك الكتابة المعلمة
امر بها بعد النهي عن الاباء تاكيدا ويجوز ان يتعلق كاف كما علمه الله بهذا الامر فيكون النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل على الكاتب الذي عليه الحق اى الدين يعني ويقول
المديون لكاتب الوثيقة لفلان علي كذا وكذا ومعنى الاملاء ان يقول رجل ويكتب اخر اى
ليملي على الكاتب من عليه الحق للدائن لان قوله حجة على نفسه فيكون بالاملاء على الكاتب اقرار
منه بوجوب الحق والاملال والاملاء واحد وهو الاعتراف والاقرار باللسان ثم خوف المملي اى
المديون او الكاتب بقوله وليتق الله ربه اى وليخش الله المملي او الكاتب في الاملاء والاقرار بما
عليه او في كتابته ولا يبخس منه اى لا ينقص من الحق الذي عليه او في كتابته شيئا اى
من الحق او مما املى عليه ولو كان قليلا فان كان الذي عليه الحق وهو المديون المطلوب
بالدين سفيها اى ناقص العقل مبذرا مفسدا لماله او دينه كما قاله الشافعي او جاهلا بالاملاء
او طفلا صغيرا او ضعيفا اى شيخا كبيرا هرما مختلا عاجزا عن الاملاء او صغيرا لا يعقل او لا يستطيع
ان يمل هو اى لا قدرة له على الاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه اى
ولي المديون اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من والد ووصي وقيم ان كان صبيا او مختل عقل
او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص
بما يتعاطاه القيم او الوكيل وقيل وليه صاحب الدين لانه اعرف بحقه بالعدل اى بالصدق
والسوية والحق والقسط واستشهدوا شهيدين اى واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من
رجالكم اى من اهل ملتكم من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان والكفار وهو قول اكثر اهل العلم
وقال بعضهم تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين اى فان لم يكن
الشاهدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص
عندنا بالاموال وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة وذهب امامنا الشافعي الى ان ما لا يطلع
عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثيابة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامراتين
او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة في العقوبات ممن ترضون
من الشهداء يعني من كان مرضيا في ديانته وامانته اى لعلمكم بعدالتهم قوله ممن ترضون في
محل الرفع صفة رجل وامراتان وشرائط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ

Copyright King Saud University

والعدالة والمروة وانتفاء التهمة فشهادة الكافر مردودة لان المعروفين بالكذب على الناس
لا تجوز شهادتهم فالذى يكذب على الله اولى ان يكون مردود الشهادة ولا قوله للمخبر حتى تكون
له شهادة ومعنى العدالة ان يكون الشاهد مجتنبا للكباير غير مصر على الصغاير ومعنى المروة وهى
ما يتصف النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهى حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان
الرجل يظهر من نفسه فى شىء منها ما يستحيى امثاله من اظهاره فى الاغلب يعلم به قلة مروته وترد شهادته
ومعنى انتفاء التهمة بان يكون بين الاثنين عداوة وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم فى
حق عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وان كان مقبول الشهادة عليهما وعن عايشة
رضى الله عنها ترفعه لا تجوز شهادة خاين ولا خاينة ولا ذى غمز على اخيه ولا ظنين فى ولاء
ولا قرابة ولا التابع مع اهل البيت ثم ان تعدد النساء لاجل **ان تضل** اى تنسى وقرا حمزة
ان تضل بكسر الهمزة فتذكر برفع الراء وقرا الاخرون بفتح الهمزة وفتح الراء **احداهما** اى احدى المرأتين
الشاهدتين الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن **فتذكر احداهما** اى الذاكرة للشهادة
الاخرى اى الناسية للشهادة والمعنى على التفعيل اذا نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى
فتقول الستنا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا يعنى فلتكن المرأتان شاهدتين لارادة ان تنسى احداهما
فتذكر احداهما الاخرى والعلة فى الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزلت منزلته
كقولهم اعددت السلاح ان يجىء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى
ان ضلت وقرا ابن كثير واهل البصرة فتذكر مخففا وقرا الباقون مشددا ثم حث الشهداء على
الشهادة بقوله **ولا ياب** اى لا يمتنع **الشهداء** عن اداء الشهادة او تحملها **اذا ما دعوا** الى
الحاكم ليشهدوا او يتحملوا وما زايدة لتحسين النظم وملاحته قال العلماء وليس فى القران
شىء زايد ولا مكرر الا فى الصورة وذلك لمن لم يتدبر ما قبل المكرر وما بعده وسماهم شهداء قبل
التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكاين والواقع وهو امر ايجاب عند بعضهم وقال بعضهم يجب ان
يتحمل او يشهد اذا لم يكن غيره فان كان فهو مخير وقال بعضهم امر ندب وهو مخير فى جميع الاحوال
والله اعلم ثم حرض على الكتابة بقوله **ولا تسأموا** اى ولا تملوا ولا تتركوا من كثرة مداينتكم من
ان تكتبوه الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك
قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت قال لبيد ❊ ولقد سئمت من الحياة وطولها ❊ وسؤالى
هذا الناس كيف لبيد ❊ وقال ❊ سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ❊ ثمانين حولا لا اباك يسأم
صغيرا او كبيرا اى صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مطولا مشبعا او قليلا او كثيرا
الى اجله اى الى وقت حلول الدين الذى اقر به المديون اى الوقت المعلوم بين الخصمين بالتسمية
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اى ذلكم الكتب يعنى كتب الحق الى اجله المعلوم بين الخصمين **اقسط** اى
اعدل واكثر قسطا **عند الله** لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه **واقوم للشهادة** واثبت
للشهادة واعون على اقامتها لان الكتابة تذكر الشهود وبنى افعل التفضيل اى اقسط واقوم من اقسط
واقام على مذهب سيبويه **وادنى ان لا ترتابوا** اى واقرب فى ان لا تشكوا فى جنس الدين ومقداره

٢

واجله والشهود يعنى ان الكتابة والاستشهاد بالشهود المعدول احفظ لاموالكم ولانتفاء الريب
والشك عن الحاكم والشاهد وصاحب الحق ثم استثنى عن الامر بالكتابة فقال **الا ان تكون تجارة** اى
مبايعة **حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها** والمراد بالتجارة الحاضرة
المبايعة بدين او عين وبادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد فمعناه لا تسأموا عن كتابة
الدين الا ان تتبايعوا يدا بيد يعنى الا ان يكون البيع بيعا حاضرا تتداولها ايديكم بان تقبضوها ولا اجل
فيها فلا باس عليكم ان لا تكتبوا التجارة اى المتجر فيها لبعده عن التنازع والنسيان بخلاف التداين فان
ذلك لا يخلو عن النزاع ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة
تجارة حاضرة ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او رفعها على ان كان تامة اى الا ان تقع تجارة
واشهدوا على التبايع **اذا تبايعتم** مطلقا سواء كانت التجارة حاضرة او مؤجلة لانه احوط وادفع
الى الاختلاف وقيل اراد بالتبايع التجارة الحاضرة على ان الاستشهاد فيها كاف دون الكتابة والاوامر التى
فى هذه الاية للاستحباب عند اكثر الايمة وقيل انها للوجوب وهو قول الضحاك ثم اختلف فى احكامها
ونسخها وقيل الامر فيه الى الامانة قال الله تعالى فان امن بعضكم بعضا الاية **ولا يضار كاتب ولا
شهيد** يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل او للمفعول وقد قرئ بهما لكن بفك الادغام نحو يضارر
فعلى البناء للفاعل اى بكسر الراء الاولى كما هو قراءة عمر نهى الكاتب والشاهد عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان فى الكتبة والشهادة وعلى البناء للمفعول اى بفتح
الراء الاولى كما هو قراءة ابن عباس رضى الله عنهما النهى عن الضرر بهما مثل ان يعجلا عن مهم و
يكلفا الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ولا يعطى الشاهد مؤنة مجيئه حيث
كان والمعنى تفصيلا فى الكاتب والشاهد على البناء للفاعل لا يضار الكاتب فيابى ان يكتب ولا الشهيد
فيابى ان يشهد او لا يضار الكاتب [illegible] فيزيد او ينقص او يحرف فيما املى عليه ولا يضار
الشاهد فيشهد بما لم يستشهد عليه هذا قول طاوس والحسن وقتادة وعلى البناء للمجهول ان يدعو
الكاتب والشاهد وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا ويجد غيرهما فيعين هما
الداعى بقوله ان الله تعالى امركما ان تجيبا ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى الله عن ذلك وامن بطلب
غيرهما **وان تفعلوا** ما نهيتم عنه من الضرار **فانه** اى فان فعلكم الضرار **فسوق بكم** اى معصية
ومأثم وخروج عن طاعة الله لاحق بكم **واتقوا الله** فى مخالفة امره ونهيه او فى الضرار
او فيما امركم من الكتابة والاستشهاد وفيما نهاكم من الاضرار **ويعلمكم الله** احكامه المتضمنة
لمصالحكم اى شرايع دينه قوله ويعلمكم الله فى محل النصب على انه حال مقدرة او فى محل الرفع على انه مستانف
والله بكل شىء عليم اى عالم بنياتكم واعمالكم وغيرها كرر لفظة الله فى الجمل الثلث لاستقلالها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من
الكناية **وان كنتم على سفر** اى مسافرين وتداينتم **ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة**
معنى الاية وان كنتم فى سفر وتداينتم ولم تجدوا كاتبا بالكلية او كاتبا يحسن الكتابة او لا توجد
الصحيفة او الدواة والقلم فاطلبوا المرهون واقبضوه ايها المرتهنون ممن تداينونه ليكون

ما اخذتم وثيقة لكم باموالكم ولما كان السفر مظنة لإعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد
الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مكان التوثيق بالكتابة والاشهاد لا ان
السفر شرط فى تجويز الارتهان كما ظن من ظن لان النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه فى المدينة من يهودى
بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك ولهذا قال فرهان مقبوضة
اى فرهونة مسلمة الى المرتهن للتوثيق قال محى السنة والقرض اى ارهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم
يسلم لا يجبر الراهن على التسليم فاذا اسلم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له ان يسترجعه مادام شئ
من الحق باقيا ويجوز الرهن فى الحضر مع وجود الكاتب وقال مجاهد لا يجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب
لظاهر الاية وقد ذكرنا الدليل على خلاف ما ظنه المجاهد والضحاك ايضا وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن
فى موضع فرهان وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء **فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا**
اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن اخذ المرهون **فَلْيُؤَدِّ** اى فليقض **الَّذِي**
اؤْتُمِنَ اى المديون الامين **أَمَانَتَهُ** اى دينه الذى فى ذمته من غير رهن **وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ** اى ولْيخش
المديون ربه الذى خلقه فسواه فى الخيانة وانكار الحق ويؤد ما عليه من غير حيلة ثم خاطب
الشهود بالتهديد من كتمان الشهادة بقوله عز وجل **وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ** ايها الشهود او المديونون
اذا دعيتم لاقامتها عند الحاكم والشهادة شهادتهم على انفسهم ثم اوعد عليه فقال **وَمَن يَكْتُمْهَا**
فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ اى فاجر قلبه او يأثم قلبه او قلبه يأثم قيل ما اوعد الله على شئ كما يعاده
على كتمان الشهادة لانه قال فانه اثم قلبه واراد باثم القلب مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك
قال ابن عباس رضى الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة وخص
القلب بالذكر لانه محل الشهادة ولانه اذا اثم تبعه غيره فيعاقب معاقبة الاثمين لانه رئيس
الاعضاء والمضغة التى اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فكانه قد تمكن
الاثم فى اصل نفسه وملك اشرف مكان منه لان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح الا ترى
ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب وفى الحديث انما الاعمال بالنيات
اى صحتها عندنا ومحل النية القلب اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك سبحانك
ما ارحمك بعبادك **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ** من بيان الشهادة وكتمانها **عَلِيمٌ** عالم بكم لا يخفى عليه
خافية **لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** اى له خلقا وملكا نزل لتاكيد تهديد عباده
من العصيان **وَإِن تُبْدُوا** اى تظهروا **مَا فِي أَنفُسِكُمْ** اى قلوبكم من السوء والعزم عليه **أَوْ**
تُخْفُوهُ اى او تسروا السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه **يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ** اى
يجازيكم به يوم القيمة معناه كما قال الحسن اثبت الله للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم فليس
لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة فى جوارحه او همه فى قلبه الا يخبره الله به ويحاسبه عليه
ثم يغفر ما يشاء ويعذب ما يشاء ويدل عليه قوله تعالى ان السمع والفؤاد كل اولئك كان عنه
مسئولا وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض وقال قوم لا يدخل الوساوس
وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس فى وسعه ولكن ما اعتقده وعزم عليه

والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم
عليها ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه
بمانع لا باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله اى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا
وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا يعاقب لقوله عليه السلام ان الله عفى عن امتى ما حدثت
به انفسها ما لم تعمل او تتكلم والجمهور على ان الحديث فى الخطرة دون العزم وان المواخذة فى العزم ثابتة
والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة وعن عائشة رضى الله عنها ما هم
العبد بالمعصية من عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن فى الدنيا وفى اكثر التفاسير انه لما نزلت
الاية جزعت الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا انؤاخذ بما حدثت به انفسنا فنزل قوله تعالى امن
الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون
وفى بعضها انها نسخت بهذه الاية والمحققون على ان النسخ يكون فى الاحكام لا فى الاخبار **فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ**
مغفرته **وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ** تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد قرأ بجزم يغفر ويعذب
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف اى فهو يغفر ويعذب وجزمهما الباقون عطفا على
جواب الشرط وقال بعضهم ادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا فى مثله ولان الراء فى الاصل حرف
مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف **وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** منه محاسبتكم
وجزاؤكم او فيقدر على الاحياء والمحاسبة **آمَنَ** صدق **الرَّسُولُ** محمد عليه السلام **بِمَا أُنزِلَ**
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ اى من القران فهذا شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به
وانه عليه السلام جازم فى امره غير شاك فيه **وَالْمُؤْمِنُونَ** عطف على الرسول ليكون المومنون
داخلين فيما امن به الرسول **كُلٌّ آمَنَ** اى كل واحد من الرسول والمومنين صدق **بِاللَّهِ** ايمان
اثبات وتوحيد قال السلطان لا يخلو من ان يعطف المومنون على الرسول فيكون الضمير
الذى ينوب عنه التنوين اى فى كل راجعا الى الرسول والمومنون او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمومنين
وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال **وَمَلَائِكَتِهِ** ايمان توقير وتعظيم **وَكُتُبِهِ** القراءة
بالجمع والافراد بان الكتب من عند الله **وَرُسُلِهِ** اى بانهم صادقون فيما بلغوه عن الله تعالى **لَا نُفَرِّقُ**
اى يقول الرسول والمومنون لا نميز ولا نفرق **بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل
اليهود والنصارى وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق
النفى كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق
والتكذيب **وَقَالُوا سَمِعْنَا** اجبناك **وَأَطَعْنَا** امرك ولما نزلت هذه الاية قال جبريل للنبى عليهما السلام
ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعطه فسأل بتلقين الله فقال **غُفْرَانَكَ** اى اغفر غفرانك
او نسأل ونطلب غفرانك **رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** اى المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث
والجزاء ولما نزلت الاية قبلها شكى المومنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزلت فضلا
منه سبحانه ورحمة **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** اى الا ما يسعه قدرتها وطاقتها شفقة منه

ولطفاً بعباده لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التاويلات وللكوسج
زلقات فاسه حسبه في نفي المحاسبة والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه توسع الله
على المومنين امر دينهم ولم يكلفهم فيه الا ما يستطيعون كما قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر
وما جعل عليكم في الدين من حرج كذا قال ابن عباس وقال ابن عيينة الا وسعها اى الا يسرها
ولم يكلفها دون طاقتها لها ما كسبت اى للنفس ما عملت من الخير لها اجره وثوابه وعليها ما
اكتسبت اى وعلى النفس ما اكتسبت من الشر يعني عليها وزره وعقابه ولا يواخذ احد بذنب
احد ولا عالم يكسبه ولا بما وسوست به نفسه وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان
الاكتساب فيه اعمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف
الخير ولما كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطؤا بعمل شيء من ما نهوا عنه عجلت
لهم العقوبة وحرم عليهم شيء من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب امر الله المومنين ان
يسألوه ترك مواخذهم بذلك فسالوا وقالوا ربنا لا تواخذنا بالعقاب ان نسينا اى ان
تركنا امرا من اوامرك سهوا وغفلة كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اى تركهم او اخطأنا اى تركنا
الصواب او تجاوزنا الحد لا عن عمد كما اخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الامة لقوله
عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان فيجوز الدعاء بالمرفوع عنهم للاعتراف بنعمة الله وفضله
وقيل معنى الخطأ القصد والعمد اى تعمدنا الخطأ كقوله تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا وقال عطا
نسينا جهلنا اخطأنا تعمدنا والاكثرون على ان الخطأ هو الجهل والسهو لان ما كان عمدا من
الذنب غير معفو عنه بل هو في مشيئة الله تعالى والخطأ معفو عنه كما مر في الحديث وقال
السلطان لا تواخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالات او بانفسهما
اذ لا يمتنع المواخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يودي الى الهلاك وان كان
خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة
وفضلا ربنا ولا تحمل علينا اصرا اى امرا يثقل علينا يعني عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اى
يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة او لا تحمل علينا اصرا اى عهدا وميثاقا ثقيلا لا نستطيع القيام به
فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا اى اليهود فلم يقوموا بذلك فعذبتهم
او بني اسرائيل والمراد به ما كلفهم الله به من قتل الانفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة ومن اصابهم ذنب اصبح وذنبه مكتوب على بابه
او ما اصابهم من الشدايد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة اى ما لا قوة لنا به من البلاء
والعقوبة النازلة بمن قبلنا او التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز
التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه او لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق وقيل هو حديث
النفس والوسوسة او الغلمة وقال محمد بن عبد الوهاب هو العشق اى المسخ الى القردة والخنازير
وقيل الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا اى استر
عيوبنا ولا تفضحنا بالمواخذة وارحمنا اى تعطف بنا وتفضل علينا فانا لا ننال العمل الا بحولك

وقوتك

٢٠ وقوتك او ادخلنا جنتك برحمتك وقيل واعف عنا من المسخ واغفر لنا من الخسف وارحمنا من
القذف لان هذه كلها اصابت الامم الماضية انت مولانا سيدنا ومتولي امورنا وحافظنا
ونحن عبيدك نطلب العون منك فانصرنا على القوم الكافرين باقامة الحجة والغلبة في قتالهم
فان من شان المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس انه قال في قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله قد غفرت لكم وفي قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطأنا
قال الله لا اواخذكم وفي قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال الله لا احمل عليكم وفي قوله ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به قال الله لا احملكم وفي قوله واعف عنا الى اخره قال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم
ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال امين وفي الحديث لما نزلت
هذه الاية فقراها النبي صلى الله عليه وسلم قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعن طلحة هو ابن مصرف
عن مرة عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهو في السماء
السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال واعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا
الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وعن
عبد الرحمن بن يزيد عن ابي مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قراهما
في ليلة كفتاه وفي رواية اخرى اجزأتاه عن قيام الليل وعن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل منه ايتين ختم بهما
سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلث ليال فيقربها شيطان وقال صلى الله عليه وسلم السورة التي
تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن اى خيمته او مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة يا رسول الله قال السحرة اى لا تستطيع البطلة ان تحفظها او تقراها
وفي المدارك يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي يذكر فيها
البقرة وقال حجة الاسلام زين الانام كاشف الظلام امام الخاص والعام محمد بن محمد
محمد الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بجواهر القرآن ما نصه وفي سورة البقرة اربع عشرة اية هي
جواهر القرآن قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا الاية وقوله وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى
الى السماء الاية وقوله قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وقوله الم تعلم ان الله على
كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله ولله المشرق
والمغرب الى اخر الايات الثلث وقوله فسيكفيكهم الله الايتين وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل الاية وقوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب الاية وقوله
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم الاية واما درر فهي اربعون من البسملة الى
المفلحون ويا ايها الناس اعبدوا الاية ويا بني اسرائيل الى الخاشعين وثم قست الى تعملون واقيموا الصلاة الاية
وبلى من اسلم الاية واتقوا يوما الاية فاذكروني الى هم المهتدون ويا ايها الناس كلوا الى ما لا تعلمون وليس البر

الى هم المتقون وانقوا الله الى يحب المحسنين ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية واعلموا ان الله يعلم
ما فى انفسكم الاية ومثل الذين ينفقون الى ولا هم يحزنون وقول معروف الى ولا هم يحزنون ويا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا الى ولا يظلمون واتقوا يوما ترجعون الاية ولله ما فى السموات الى اخر السورة واما السبع
المثانى فالسطر الاول عدد من الجواهر والسطر الثانى من الدرر والمراد من الجواهر اقتباس انوار المعرفة فقط
ومن الدرر الاستقامة على سواء الطريق بالعمل فالاول علمى والثانى عملى واصل الايمان العلم والعمل اللهم
علمنى معانى ايات قرانك وارزقنى العمل بها امين سورة آل عمران مدنية وانها مايتان
او الاية بسم الله الرحمن الرحيم الم
الله اللطيف المجيد عالم بمراده بذلك انما فتح الميم فى المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء
حركة الهمزة عليها لتدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف
كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم يحرك فى لام وقرئ
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الله مبتدا
لا اله الا هو خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله فى الوجود الا هو وهو فى موضع الرفع بدل من موضع لا
واسمه الحى القيوم خبر مبتدا محذوف اى هو الحى او بدل من هو والظاهر انه نعت لما قبله كما قاله
الشيخ الامام محى السنة والفرض اى القايم بالقسط والقايم على كل نفس بما كسبت اى الحى الدايم الباقى ابدا
والقيام المتدبر بخلقه بالرزق والاجل وبحفظه وقد ذكرنا بعض ما يتعلق بمعناه فى سيد الاى
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان اسم الله الاعظم فى ثلث سور فى البقرة الله لا اله الا هو
الحى القيوم وفى ال عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم قال الكلبى
والربيع بن انس وغيرهما نزلت هذه الايات فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا وبينهم رؤساؤهم
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قالوا وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية فى جمال قال
كعب يقول من راهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه دعوهم فصلوا الى المشرق وتكلم السيد والعاقب فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا اسلمنا قبلك قال صلى الله عليه وسلم كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما
لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن لله ولد فمن ابوه وتخاصموا جميعا فى
عيسى عليه السلام فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا
بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى عليه السلام ياتى عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم
تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما
علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف يشاء وربنا لا ياكل ولا يشرب وعيسى ياكل ويشرب
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها
ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم
فسكتوا فانزل الله تعالى صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها ومعنى قوله تعالى نزل اى هو

نزل عليك يا محمد الكتاب اى القران نجوما ملتبسا بالحق اى نزله حقا ثابتا بالعدل او بالصدق
فى اخباره او بالحجج القاطعة انه من عند الله وهو فى موضع الحال مصدقا لما بين يديه اى لما
قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وانزل التورية والانجيل جملة على
موسى وعيسى عليهما السلام وانما قال نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل لان القران نزل
منجما ونزل الكتابان جملة كما شرحنا من قبل اى من قبل تنزيل القران ومعنى التورية بالعبرانية
توروتو ومعناه بالعربية الشريعة او النور والضياء ومعنى الانجيل بالسريانية انقليون ومعناه
بالعربية الاكليل والسعة او النور هدى للناس نصب على الحال من التورية والانجيل ولم يثن هدى
لانه مصدر فى معنى اسم الفاعل اى هاديين جميع الناس من امة موسى وعيسى ومن تبعهما وقال
السلطان بعناه على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما فحسب وقال الشيخ
هاد لمن تبعه وانزل الفرقان قال السلطان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق
والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل ساير ما تفرق به بين الحق
والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث
انه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات وذهب
اكثر المفسرين الى ما ذكر ولكن الشيخ الامام محى السنة والفرض فى معنى وانزل الفرقان اى المفرق بين
الحق والباطل ثم قال وقال السدى فى الاية تقديم وتاخير تقديرها وانزل التورية والانجيل والفرقان
هدى للناس ويلزم من هذه العبارة صريحا تفضيل القران على جميع الكتب لكونه معجزا فارقا باقيا
الى اخر الدهر وفى التفسير الكبير ان المراد بالفرقان معجزات تقارن جميع الكتب المنزلة حين النزول
وكانت مميزة بين دعوى الصدق والكذب وهكذا ذكره الواعظ فى تفسيره والله اعلم بمراده بذلك
ان الذين كفروا بايات الله اى بالقران ومعجزات النبى صلى الله عليه وسلم او بالكتب المنزلة
وغيرها من معجزات الانبياء عليهم السلام لهم عذاب شديد بسبب كفرهم نزل فى شان
المشركين من العرب واليهود كما ذكرنا والله عزيز غالب على امره فلا يمنعه شئ من انجاز وعده ووعيده
ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم يعنى هو ذو اقتدار وبطش وهو وعيد
جئ به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة فى اثبات النبوة اى بالتعرض لانزال الكتب
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شئ كائن فى الارض ولا فى
السماء اى شئ كائن فى العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عن العالم بالسماء والارض اذ الحس
لا يتجاوزهما وقدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل
على كونه حيا هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء اى يخلقكم فى صور مختلفة اى يركب
فى اى صورة شاء من اصلابه وذوى ارحامه او غير ذلك على حسب مشيته من ذكر او انثى ابيض او
اسود حسن او قبيح تام او ناقص وهو كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان
فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرى تصوركم اى صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ
لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اى الغالب بالنقمة على الكافر

Copyright King Saud University

والفاعل بالحكمة يصور الخلق كما يشاء بعلمه فهو اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته وهذا رد
على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله او الرب فكانه يقول كيف يكون عيسى
ولدا لله وقد صور في الرحم وهو مركب وحال في مركب وفي معرض الفناء والزوال وفي الحديث
المشهور ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا اي يبعث اليه الملك باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد
قال عليه السلام وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقال صلى الله عليه وسلم يدخل الملك على النطفة
بعد ما يستقر في الرحم باربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول يا رب اشقي او سعيد فيكتبان فيقول اي رب
اذكر او انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص فانظر
الى صنع الملك واعتبر **هو الذي انزل عليك الكتاب** اي القران **منه** اي من الكتاب **ايات محكمات**
اي مبينات مفصلات واضحات الدلالة احكمت عباراتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه فتمنع
الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها **هن ام الكتاب** اي اصل الكتاب المعتمد
عليه في الاحكام يعني تحمل المتشابهات عليها وترد اليها وانما قال هن ام الكتاب والقياس
امهات الكتاب لان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة اي بمنزلها او افرد على تاويل كل واحد
اي كل اية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية اي كل واحد منهما اية **واخر** اي
وايات اخر **متشابهات** صفة لاخر اي ومنه ايات اخر فيها اشتباه واحتمال تحتاج الى تاويل
لا يفهم معانيها كاوايل السور واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم
منه معرفته لان معناه ان القياس يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر من فان قيل
ان الله قد جعل القران كله محكما في قوله الر كتاب احكمت اياته قلنا اراد بذلك ان ايات القران
كلها حق ليس فيها عبث ولا هزل ولا عيب وانها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ فان قيل
وقد جعله كله متشابها في قوله سبحانه الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها قلنا اراد بذلك
انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ وفي الحق والصدق والحسن والسبك اما ههنا
فقد جعل بعضه محكما وبعضه متشابها فان قيل لم لم يجعل كل القران محكما قلنا اراد بذلك ان
يتميز الراسخ الثابت على الحق القايل ان المتشابه من عند ربه لا نعلم معناه من الزايغ المتزلزل فيه
المتعلق بظاهره او بتاويل باطل او ان يظهر فضل العالم الذي يرده بالفهم الثاقب الى المحكم على
الجاهل كما قال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والله اعلم واختلف العلماء فيهما فقال
ابن عباس المحكمات هي الايات الثلث في سورة الانعام يعني قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها
في سورة بني اسرايل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الايات وعنه انه قال المتشابهات
حروف التهجي في اوايل السور وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه من الحلال والحرام وما سوى
ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق ويصدق بعضه بعضا كقوله تعالى وما يضل به

الا الفاسقين

في رواية البخاري الا ذراع

الا الفاسقين ويجعل الرجس على الذين لا يومنون وقيل المحكم الناسخ يعمل به والمتشابه المنسوخ
الذي يومن به ولا يعمل به وعن علي بن طلحة عن ابن عباس انه قال محكمات القران ناسخه
وحلاله وحرامه وحدوده وفرايضه وما يومن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه
ومؤخره وامثاله واقسامه وما يومن به ولا يعمل به وقيل المحكمات ما اوقف الله الخلق
على معناها والمتشابهات ما استاثر الله بعلمه لا سبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن اشراط الساعة
وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا
وقيل المحكم ما لا يحتمل من التاويل غير واحد والمتشابه ما احتمل اوجها وقيل المحكم ما يعرف معناه
وتكون حججه واضحة ودلايله لايحة لا تشتبه والمتشابه هو الذي يدرك بالنظر ولا يعرف العوام
تفصيل الحق فيه من الباطل وقال بعضهم المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه ما لا يستقل
بنفسه الا برده الى غيره وقال ابن عباس في رواية باذان المتشابه حروف التهجي في اوايل السور
وذلك ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراوهما اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فننشدك بالله انزلت عليك قال نعم قال فان
ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص
قال فهذه اكثر هي احدى وستون ومائة سنة فهل غيرها قال الر قال هذه اكثر هي مايتان واحدى
وثلثون سنة فهل غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هي مايتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت
علينا فلا ندري ابكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يومن بهذا فانزل الله هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الخ وقال بعضهم متشابهات اي محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهرة الا بالتفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب
القرايح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات وذكر في بعض
التفاسير مثال المتشابه نحو الرحمن على العرش استوى فقال في معناه الاستواء يكون بمعنى الجلوس
وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شيء وفسر
بعض المشايخ هذه الاية الكريمة اعني هو الاول والاخر والظاهر والباطن بقوله هو الاول الازلي
المغني لينتهي اليه سلسلة الاحتياج في الوجود فضلا عن شيء اخر وهو الاخر الابدي بانه اليه يرجع
الامر كله وهو الظاهر في اثاره الظاهرة بسبب افعاله الصادرة عن صفاته الثابتة لذاته وهو
الباطن في ذاته لا تدركه الابصار ولا يعرف ذاته الا هو والاسلم للمومن ان لا يفسر اصلا ويجعل
قراته تفسيرا لذلك وقال قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس في ذات الله
حمقى اي في معرفة ذاته وقال عليه السلام تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في ذات الله ثم قال
رحمه الله وبعض الناس يتكلمون في ذات الله وصفاته بحيث يتنكف من ذلك الدهريون والطبيعيون
واليونانيون والتكمانيون والحرورية والسبابية والسلام على من اتبع الهدى والخير كل الخير في
الاتباع لا الابتداع اقول الكلمة الجامعة للرد على كل من يخالف الشرع في الظاهر والباطن

قول شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره كل طريقة تخالفها شريعة فهي زندقة والله اعلم
قوله فَاَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ اي عدول عن الحق كاهل البدع وقيل زيغ اي شك فَيَتَّبِعُونَ مَا
تَشَابَهَ مِنْهُ اي من الكتاب فيتعلقون بظاهره او يأولون بتاويل باطل على حسب شهواتهم
والعالم الراسخ يرد تاويله الى الحق اي الى ظاهر الشرع الشريف فيوجر على ذلك والزايغ عن الحق
يتشبث بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول
اهل الحق وعن القاسم بن محمد عن عايشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله اولوا الالباب قالت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم رواه
الشيخان وروى الطبراني في الكبير عن ابي مالك الاشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا اخاف
على امتي الا ثلث خلال وذكر منها ان يفتح لهم الكتاب فياخذه المومن يبتغي تاويله وليس يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب الحديث وقيل
نزل لما خاصموا وفد نجران النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى وقالوا الست انه كلمة الله وروح منه
قال بلى قالوا حسبنا وقيل نزل في المنافقين وقيل في الخوارج وقيل في الحرورية والسبابية
وقيل في جميع المبتدعة وقد اشرنا فيما قبل الى طوايف كثيرة فراجعه ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ اي طلب الشرك
او الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم كما وقع لبعض ضعفة المسلمين ببلاد الجاوة وقد قتل
منهم جماعة لتعلقهم ببعض المتشابهات او طلب ان يفتنوا الناس بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه وَابْتِغَاءَ تَاوِيلِهِ اي طلب ان يأولوه على ما يشتهونه من غير رده الى الحق الظاهر قال
الشيخ اي وطلب تفسيره وعلمه دليله قوله تعالى سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا وَمَا يَعْلَمُ
تَاوِيلَهُ اي تاويل المتشابه الذي يجب ان يحمل عليه اِلَّا اللّٰهُ وحده لا يشاركه فيه احد من خلقه
والباب مسدود على من سواه او لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله قال السلطان
واكثر المفسرين ان من وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت
قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او فسره بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم
يدل على ما هو المراد وفي الاتقان لجلال الدين السيوطي قال الشافعي في مختصر البويطي لا يحل تفسير
المتشابه الا بسنة عن رسول الله عليه السلام او خبر عن اصحابه او اجماع العلماء هذا نصه وَالرَّاسِخُونَ
فِي الْعِلْمِ مبتدأ وخبره قوله تعالى يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ وذكر هذا التصديق ثناء من الله عليهم بالايمان
على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف ومعناه الثابتون المتمكنون في العلم وعضوا بضرس
قاطع قايلون بان المتشابه من عند الله ولا نعلم معناه ونصدقون به ولا ينكرونه وذهب
الجمهور الى ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو الاستيناف لا العطف ويتم الكلام عند قوله
وما يعلم تاويله الا الله وهو قول ابي بن كعب وعايشة وعروة بن الزبير ورواية طاوس عن
ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائي والفرا والاخفش وقالوا
لا يعلم المتشابه الا الله وفي غنية شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره قال الشافعي في المتشابهات امنت

بما قال الله

بما قال الله على مراد الله وقال مالك بن انس فيها امنت بما قال الله على الوجه الذي وعلى
المعنى الذي اراد وقال الشيخ عبد القادر قدس سره قراءتها تفسيرها وايات الصفات تمر
كما جاءت فطوبى لمن سلك سلوكهم ويجوز ان يكون للقران تاويل استاثر الله بعلمه لم
يطلع عليه احدا من خلقه كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدجال ونزول عيسى عليه السلام وظهور المهدي عليه السلام فان قيل فما هذا فما
فايدة انزال المتشابه قلنا فايدته الايمان به لان الخلق متعبدون في المتشابه بالايمان
به وفي المحكم بالايمان به والعمل واعتقاد حقية ما اراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن
الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ومما يصدق ذلك ويويده ويقويه ويعضده قراءة عبد الله
ابن مسعود اِنْ تَاوِيلُهُ اِلَّا عند الله والراسخون في العلم يقولون امنا به ويويده ايضا حرف ابي
ويقول الراسخون في العلم امنا به ومنهم من لا يقف على الا الله ويقول بان الراسخين في العلم يعلمون
المتشابه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين يعني هولاء العالمون بالتاويل يقولون
امنا بالمتشابه او الكتاب قالوا كان ابن عباس يقول في هذه الاية انا من الراسخين في العلم
ومجاهد يقول انا ممن يعلم تاويله قال الشيخ والراسخون اي الداخلون في العلم هم الذين
اتقنوا علمهم لا يدخلهم في معرفتهم شك كما تقول رسخ الايمان في قلب فلان وقيل الراسخون
علماء مومني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم
منهم يعني الدارسين علم التوراة وسئل مالك بن انس رحمه الله عن الراسخين في العلم قال
العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين
الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه و
قال ابن عباس ومجاهد والسدي بقولهم امنا به سماهم الله تعالى راسخين في العلم فرسوخهم
في العلم قولهم امنا به لمتشابه كُلٌّ اي كل واحد من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا
وما لم نعلم مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا اي من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه وَمَا يَذَّكَّرُ اي وما يتعظ
بما انزل من القران الكريم اِلَّا اُولُوا الْاَلْبَابِ اي اصحاب العقول من الناس وهو مدح للراسخين
~~حيث وقفوا على الا الله~~ بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو
تجرد العقل عن غواشي الحس وممن وقف من الراسخين على قوله الا الله وفوض علم المتشابهات الى الله
شيخ الفريقين ومفتي الثقلين قطب الملك والملكوت وغوث الله الاعظم الشيخ عبد القادر الجيلاني
قدس سره ويقول الراسخون ايضا اذا راوا من يتبع المتشابهات رَبَّنَا لَا تُزِغْ اي لا تمل قُلُوبَنَا
عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه ولا يليق بنا كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم
زيغ وشك بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا اي ارشدتنا الى الحق او الايمان بالمحكم والمتشابه اي للعمل بالمحكم والتسليم
للمتشابه وقيل اذ بمعنى ان وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ اي اعطنا من عندك رَحْمَةً تزلفنا اليك
ونفوز بها عندك اي توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ لكل سول
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شي

لا كما ظن الا فزع قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذا شاء ان يقيمه اقامه واذا شاء ان يزيغه ازاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع اخرين
الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب كريشة ملقاة بارض فلاة تقلبها
الرياح ظهرا لبطن ويقول الراسخون ايضا يا ربنا انك جامع الناس اى
تجمعهم بعد الموت ليوم اى لقضاء يوم او فى يوم او لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه
اى لا شك فى وقوع ذلك اليوم وما فيه من الحشر والجزاء وهو يوم القيامة فتجازيهم باعمالهم حسب
ما عملت ان الله لا يخلف الميعاد اى الوعد او موعده بالبعث فيه التفات من الخطاب
ويحتمل ان يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان ان همهم امر الاخرة ولذلك سالوا الثبات
على الهداية لينالوا ثوابها والمعنى ان الالهية تنافى خلف الوعد كحوان الجواد لا يخيب سائله لا ان
الوعد والوعيد واجبان عليه تعالى بل انه سبحانه لا يخلف ما وعد للمومنين بالجنة والثواب فضلا
منه تعالى وللكافرين بالنار والعقاب عدلا منه تعالى ان الذين كفروا عام فى الكفرة وقيل المراد به
وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغنى عنهم اى لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم و
لا اولادهم من الله اى من عذابه او عند الله شيئا من الاغناء فى الدنيا اى اذا نزل بهم فى الدنيا
مصيبة من المصايب ولا فى الاخرة اذا حكم بهم الى عذاب النار او شيئا من رحمته او طاعته على معنى
البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار اى حطب النار وهو بالفتح اسم لما يوقد به
وبالضم مصدر بمعنى اهل وقود النار كداب ال فرعون اى كشان ال فرعون متصل بما قبله اى لن تغنى
عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره
داب هولاء الكفار وعادتهم فى الكفر وتكذيب القران والرسل كعادة قوم فرعون فى تكذيب
موسى واصل الداب الدوام واللزوم والمراد ههنا العادة الدائمة والذين من قبلهم اى وكداب
من مضى من الكفار قبل ال فرعون من الامم المتقدمة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وهذا المعنى
على انه عطف على ال فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
ودابهم وعادتهم مما فعلوا وفعل بهم كانه قيل كيف كان دابهم فقال كذبوا باياتنا اى بكتبنا ودلايلنا
مع رسلنا كما كذبت بها قومك او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم فاخذهم الله بذنوبهم اى
فاهلكهم وعاقبهم بسبب ذنوبهم يقال اخذته بكذا اى جازيته عليه وقيل نظم الاية ان
الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل ال فرعون وكفار
الامم الخالية اخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم كما اشرنا الى هذا المعنى باسلوب اخر
والله شديد العقاب لمن كفر بالايات والرسل قل يا محمد للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم
اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وتحشرون الى جهنم فى الاخرة وقيل قل لليهود فانه
عليه السلام جمع اليهود بعد بدر فى سوق قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش ان
لم يسلموا فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس

فنزلت

فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلايل النبوة والقراءة فى الفعلين بالتاء والياء والمعنى على الياء ان
الامر بان يحكى عليه السلام لهم ما اخبره الله به من وعيدهم بلفظه تعالى وبئس المهاد اى
بئس المهاد والمستقر جهنم او ما مهدوه وفرشوه لانفسهم ثم خاطب قريشا مشيرا الى وقعة بدر
ليعتبروا فيومنوا او الخطاب للمومنين او لليهود فقال قد كان لكم اية اى بيان ووضوح
وعبرة وعلامة دالة على صدق قولى لكم بانكم ستغلبون فى فئتين اى فى فرقتين مرفوع
بانه صفة اية التقتا يوم بدر للقتال صفة للفئتين اى قد حصل لكم عبرة كائنة فى جمعين
جمع المومنين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وجمع الكافرين من اهل مكة اجتمعا للقتال احدهما
فئة تقاتل فى سبيل الله اى فى طاعته وهم النبى واصحابه وكانوا ثلثماية وثلثة عشر رجلا
معهم فرسان وستة ادرع وثمانية سيوف واكثرهم رجالة واخرى كافرة اى فرقة اخرى
كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعماية وخمسين رجلا راسهم عتبة بن ربيع بن عبد الشمس و
فيهم مائة فرس وكان حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يرونهم بالياء على
الغيبة اى كان المسلمون يرون المشركين مثليهم اى مثلى عدد انفسهم اى مثلى المسلمين فان قيل
كيف قال مثليهم وهم كانوا ثلثة امثالهم قيل هذا مثل قول الرجل ومعه درهم انا احتاج الى مثلى هذا
الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلثة دراهم وكانوا اى المشركون نحو الف قللهم الله فى اعين المسلمين
حتى راوهم ستماية وستة وعشرين فى حالة ثم فى حالة اخرى راوهم مثل عدد المسلمين قال ابن مسعود
نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فرايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا
ثم قللهم الله تعالى ايضا فى اعين المسلمين حتى راوهم عددا يسيرا اقل من المسلمين قال
ابن مسعود حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة والمعنى على ترونهم بالتاء الفوقية
كما هو قراءة اهل المدينة ويعقوب يعنى يا معشر اليهود ترون اهل مكة مثلى المسلمين وذلك ان
جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدايرة فراوا المشركين مثلى عدد
المسلمين وراوا النصرة مع ذلك للمسلمين وكان ذلك معجزة واية وقال بعضهم ان الروية راجعة
الى المشركين يعنى يرى المشركون المسلمين مثليهم قللهم الله قبل القتال فى اعين المشركين ليجترئ
المشركون على المسلمين ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثرهم الله فى اعين المشركين ليجبنوا و
قللهم فى اعين المومنين ليجترئوا عليهم فذلك قوله تعالى فى سورة الانفال واذ يريكموهم اذ التقيتم
فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم رأى العين اى روية مكشوفة ظاهرة معاينة لا لبس فيها
كسائر المعاينات وقد نصرهم الله مع قلتهم والله يويد اى يقوى بنصره من يشاء نصرته
كما ايد اهل بدر بتكثيرهم فى عين الاعداء وقيل ارسل الله الى المسلمين الملئكة وهزم المشركين
ان فى ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح لعبرة
اى لعظة وتذكيرا لاولى الابصار اى لذوى البصاير افلا تعتبرون بذلك فتومنون وقيل لمن ابصر
الجمعين زين للناس حب الشهوات اى حسن الله للناس من حيث الابتلاء مرادات النفوس

اى ما تشتهيه النفس وتدعو اليه من المشتهيات وانما سمى المشتهيات بالشهوات مبالغة
وايماء على انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوانها كقوله تعالى احببت حب الخير لقوله تعالى كذلك
زينا لكل امة عملهم والمزين هو الله تعالى عند الجمهور لانه الخالق للافعال والدواعى بدليل قوله
وكذلك زينا لكل امة عملهم وقيل المزين هو الشيطان لقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
ولان الاية فى معرض الذم وذلك على جهة الوسوسة من النساء حال من الشهوات اى حال كونها
من طايفة النساء وبدأ بالنساء لانهن حبايل الشيطان وفتنتهن اشد الفتن ومن طايفة
البنين جمع ابن وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا اريد به الذكور فهم المشتهون
فى الطباع المعدون للدفاع والفتنة بهم ان الرجل يبتلى بسببهم على جمع المال من الحرام والحلال
ويمتنع بسببهم من الجهاد يخاف يتمهم كما قيل اولادنا فتنة ان عاشوا افتنونا وان ماتوا
احزنونا والقناطير اى الاموال الكثيرة المقنطرة المجتمعة كما يقال الوف مؤلفة اى الاموال الكثيرة
المجتمعة بعضها على بعض وقيل مائة الف دينار وقيل ملأ مسك ثور ذهبا او فضة وقيل
الف ومايتا اوقية وقيل الف ومايتا مثقال وقيل اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم
وقيل دية احدكم وقيل مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء
الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وثمانون الفا او سبعون او اربعة الاف مثقال او
ما بين السماء والارض من المال وفيه اقوال كثيرة من الذهب حال من المقنطرة قيل للذهب
ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة وسمى الفضة فضة لانها تنفض وتتفرق والخيل جمع لا واحد
له من لفظه كالقوم والنساء وواحدها فرس وقيل جمع خايل كطير وطاير المسومة اى الحسان
المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها وقيل هى الكي والانعام
اى الزرع قيل كل منها فتنة للناس اما النساء والبنون ففتنة للجميع والذهب والفضة فتنة
للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادى والحرث فتنة لاهل الرساتيق ثم رغب
فى الاخرة وزهد فى الدنيا بقوله عز وجل ذلك اى الذى ذكر من الاشياء السبعة متاع الحيوة
الدنيا اى يتمتع بها فى الدنيا ثم تفنى يشير الى انها اسباب ومتاع تفنى وتزول ولا تبقى فالعاقل
لا يميل الى الفانى والله عنده حسن المآب اى حسن المرجع فى الاخرة لا يزول ولا يفنى
وهو الجنة فينبغى الرغبة فيه دون غيره ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبين للمؤمنين
ان ما وعدهم فى الاخرة افضل مما زين للكافرين فى الدنيا فتنة لهم فقال قل يا محمد
لقومك اؤنبئكم اى اخبركم بخير من ذلكم اى من الذى زين للناس من الشهوات
المذكورة والاستفهام للتقرير للذين اتقوا اى خافوا من الشرك والمعاصى والتزين
بزينة الدنيا الشاغلة عن طاعة الله عز وجل عند ربهم جنات كلام مستانف فيه
دلالة على بيان ما هو خير من ذلك فجنات مبتداء وللذين اتقوا خبره مقدم عليه تجرى
من تحتها الانهار صفة لجنات ويجوز ان يتعلق للذين اتقوا بخير ويرتفع جنات على
هو جنات ويؤيده قراءة من جر جنات بدلا من خير خالدين فيها اى مقيمين فى تلك الجنات

نصف ٣

٣

ابدا وازواج مطهرة من الحيض وغيره مما يستقذر من النساء كالامتخاط واتيان الخلاء هذا من
العيوب الظاهرة ومن الباطنة كالحسد والغضب والنظر الى غير ازواجهن روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها ورضوان من الله اى رضا منه عز وجل
وهو اكبر النعم القراءة بكسر الراء وضمها لغتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى سعيد الخدرى
ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك
فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب واى شىء افضل من ذلك فيقول احل عليكم
رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا والله بصير بالعباد اى عالم باعمالهم فيثيب المحسن
ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه الله تعالى بهذه الاية
على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها
الجنة ونعيمها الذين يقولون صفة للمتقين او للعباد او بدل من الذين قبله او مدح منصوب او
مرفوع وعلى الاخير تقديره اى هم الذين يقولون يا ربنا اننا امنا اى صدقناك وبنبيك
فاغفر لنا ذنوبنا التى كانت فى الشرك وفى الاسلام انجازا لوعدك وقنا اى ادفع عنا
عذاب النار بفضلك الصابرين على الطاعات وعن المعاصى منصوب على المدح اى امدح ويجوز
ان يكون مجرورا صفة للعباد اى الذين صبروا على الطاعات والمصيبات والممتنعين عن المعاصى
والصادقين فى ايمانهم واعمالهم الصالحة اى هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم
فصدقوا فى السر والعلانية والقانتين اى المطيعين لله والمنفقين اى المتصدقين اموالهم فى سبيل
الله والمستغفرين بالاسحار اى المصلين او الطالبين المغفرة وقال الحسن معناه انهم مدوا الصلوة
الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا
فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح لانه وقت اجابة الدعاء
لانه وقت الخلوة وقال لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك اكيس منك ينادى بالاسحار وانت
نايم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث
الليل فيقول انا الملك من ذا الذى يدعونى فاستجيب له من ذا الذى يسالنى فاعطيه من ذا الذى
يستغفرنى فاغفر له والحاصل ان هذه الاية حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان
معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذايل وحبسها
على الفضايل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت
الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان
المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها
وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله اى بانه لا معبود بحق فى الوجود

Copyright King Saud University

الّا هو اى بيّن الله لخلقه وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها واثبت بالحجة القطعية واعلم بصنوعاته الدالة على توحيده انه واحد لا شريك له فى خلقه للاشياء وحكم بذلك اذ لا يقدر احد ان ينشئ شيئا منها قيل نزلت هذه الاية فى نصارى نجران وقال الكلبى قدم حبران من احبار الشام على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شئ فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقنا قال سلا قالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله تعالى فانزل الله هذه الاية فاسلم الرجلان ومعنى شهد الله اى بيّن الله لان الشهادة تبيين ما هو المكتوم وقيل حكم الله وقيل اعلم الله انه لا اله الا هو قال ابن عباس خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد بنفسه لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا ارض ولا برّ ولا بحر فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة اى وشهدت الملايكة بالاقرار بتوحيد الله واولوا العلم اى وشهد الانبياء وجميع علماء المؤمنين او المهاجرون والانصار او مؤمنوا اهل الكتاب اى عبد الله بن سلام واصحابه يعنى شهد ذووا العلم بالايمان والاعتقاد الصحيح بتوحيد الله شبّه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط اى شهد الله سبحانه بوحدانيته حال كونه مقيما للعدل فى تدبير الخلق فى قسمة الارزاق والاجال والاثابة والمعاقبة وفى حكمه وامره عباده بانصاف بعضهم لبعض وبمعاملتهم فيما بينهم على طريق العدل والسوية وانتصابه [illegible] قايما بالقسط على الحال من اسم الله وانما جاز الافرادها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قايما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل فهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير ونظم الاية شهد الله انه لا اله الا هو قايما بالقسط بتدبير عبيده فهو مدبر رازق مجاز بالاعمال لا اله الا هو كرّر المشهود به لتاكيد التوحيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد ~~شهادة اهل بيانه~~ والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه اى لا يعدل عن العدل فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من هو او الصفة لفاعل شهد وشهد الله ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام وهو التوحيد والعدل او شهد الكل ان دين الحق هو دين الاسلام من بين الاديان القراة بفتح انّ على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة والقراة بكسر انّ على الاستيناف قال عليه السلام من قرأ هذه الاية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيمة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة يقول تعالى ان لعبدى عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد

ادخلوا

٣ الكتاب م

ادخلوا عبدى الجنة وبرواية اخرى وقد روى فى فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام وهو التوحيد اى واختلفوا فيه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله او فى ارباب الكتب المتقدمة حين اختلفوا فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى وما اختلف اهل الكتاب فى نبوة نبينا الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى بيان نعته فى كتبهم اى من بعد ما علموا حقيقته وتمكنوا من العلم بها بالايات والحجج اختلفوا فى امر هذا الدين ونبوة محمد عليه السلام وقد اختلف اليهود فى التورية بعد القرن الثالث من وفاة يوشع حتى اهرقوا الدماء ووقع بينهم الشر والفتنة والاختلاف بغيا بينهم اى حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر ومن يكفر بايات الله اى ~~سريع المجازات~~ بحججه ودلايله يعنى بالقرآن ومحمد عليه السلام فان الله سريع الحساب اى سريع المجازات لانه عالم بجميع الاعمال لم يحتج الى التذكر والتفكر او سريع فى محاسبة جميع الخلق لانه يحاسبهم فى اقل من لمحة يظن كل احد منهم انه يحاسب نفسه فقط فهو وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك خاصمك الكفار يا محمد فى الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل لهم اسلمت اى اخلصت وجهى لله نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعا اليه الايات والرسل وانما عبّر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء فى اسلمت اى اسلمت انا واسلم من اتبعنى وجوههم وجاز العطف من غير تاكيد للفصل او مفعول معه وجاء من اتبعنى باثبات الياء وحذفها وصلا وحذفها وقفا ومعنى ومن اتبعنى على دينى اسلم كما اسلمت واثبت نافع وابو عمرو الياء على الاصل وحذفها الاخرون على الخط لانها فى المصحف بغير ياء وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين اى قل يا محمد لليهود والنصارى ولمشركى العرب أأسلمتم كما اسلمت لما اوضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر اى اسلموا فان اسلموا فقد اهتدوا اى ان اخلصوا فى التوحيد فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال واصابوا الرشد فلما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال عليه السلام لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عبدا لله فنزل وان تولوا اى وان اعرضوا عن التوحيد والتصديق بمحمد فانما عليك البلاغ اى التبليغ للرسالة دون الهداية يعنى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد اى باعمالهم من الايمان وعدمه فيجازيهم بها قيل هذه الاية نسخت باية القتال ان الذين يكفرون بايات الله

ع١١

Copyright King Saud University

اى بالقران والمعجزات على نبوة محمد عليه السلام ويقتلون وفى قراة يقاتلون بالالف النبيين
اى يرضون بالقتل الذى فعله اباؤهم نزل زجرا وردعا عن كفار
بنى اسرايل الذين قتلوا الانبياء واتباعهم عنادا وتوبيخا لاهل الكتاب والمشركين الذين
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقاتلونه ثم قال ويقتلون الذين يامرون بالقسط اى بالعدل
من الناس وهم مومنوا بنى اسرايل يامرونهم وكانوا يقتلونهم فاوعد الله لهم النار بقوله
فبشرهم اى اعلمهم وذكر البشارة تهكم بهم بعذاب اليم اى مولم او وجيع دايم والفاء فى
فبشرهم الذى هو الخبر تدل على انهم مستحقون لهذه البشارة لتضمن اسم ان معنى الجزاء قيل
قتلوا ثلثة واربعين نبيا اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من
مومنى بنى اسرايل فامروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعهم اخر النهار من ذلك
اليوم والمعنى بعبارة اخرى ان اهل الكتاب الذين فى عصر نبينا قتل اوائلهم الانبياء ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل نبينا والمومنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة
وهو قوله عز وجل ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات ويقتلون النبيين الاية اولئك الذين حبطت بطلت
اعمالهم اى ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم فلا اعتداد بها لعدم شرطها فى الدنيا و
الاخرة فلهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الاخرة وبطلان العمل فى الدنيا ان
لا يقبل فيبقى له التعب وفى الاخرة ان يجازى عليه وما لهم من ناصرين اى
من ما يغنى عن العذاب اى يدفع عنهم العذاب الم تر اى تنظر الى الذين اوتوا
نصيبا اى اعطوا حظا وافرا من الكتاب اى من علم التوراة او جنس الكتب السماوية ومن
للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير نزل حين دعا النبى اليهود الى الايمان
فامتنعوا منه او حين جاء اهل خيبر الى النبى برجل وامراة زنيا فحكم عليهما بالرجم فقال
اليهود ليس عليهما الرجم فقال النبى عليه السلام بينى وبينكم التوراة فقالوا انصفتنا فجاؤا
بالتوراة فقرأ ابن صوريا لانه كان اعلم اليهود بالتوراة فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها
وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فوضع كفه عنها
ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما
البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص حتى تضع ما فى بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك يدعون الى كتاب الله الداعى هو محمد عليه السلام
وكتاب الله القران او التوراة اى حال كونهم مدعوين الى حكم القران او التوراة ليحكم
بينهم اى جعل القران حاكما حيث كان سببا للحكم او ليحكم النبى ثم يتولى اى ينصرف عن
سماع ذلك الحكم فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عن قبول حكمه والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه
بالصفة ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات اى ذلك التولى والاعراض
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم وطمعهم فى الخروج من النار بعد ايام قلايل وهى اربعين

يوما

يوما على عدد ايام عبادة اباءهم العجل اى سبعة ايام تبا لاعتقادهم الزايغ وطمعهم الفارغ اخر
النفر وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون اى غرهم كذبهم بالعهد على الله بان النار لن تمسهم الا اياما
قلايل او بانا نحن ابناء الله واحباؤه او بان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او بان الله تعالى وعد
يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم اى الا بقدر ما يحل به قسمه ويبر فيه و
الغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شى والافتراء اختلاق الكذب ثم اوعدهم بقوله عز وجل فكيف
اى فكيف حالهم او فكيف يصنعون او يحتالون اذا جمعناهم ليوم اى فى يوم لا ريب
فيه اى لا شك فى ذلك اليوم لمن يعقل الحق وهو يوم القيمة وفى قوله فكيف الى استعظام لما
ينزل بهم فى الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روى ان اول راية ترفع يوم القيمة
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت اى
وفرت واعطيت بالتمام كل نفس من اهل الكتاب وغيرهم جزاء ما كسبت اى الذى
عملته من السيئات والحسنات وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد فى النار لان
توفية ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها فاذا هى بعد الخلاص منها وهم الضمير لكل نفس على
المعنى لانه فى معنى كل انسان اى كل نفس لا يظلمون اى لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم
قوله عز وجل قل اللهم الميم عوض من الياء ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم كدخول
يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وقيل اصله يا الله امنا بالخير اى اقصدنا فخفف بحذف حرف
النداء ومتعلقات الفعل وهمزته نزلت حين سال النبى صلى الله عليه وسلم ربه ان يجعل ملك فارس والروم
فى امته او لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون
هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة
حتى طمع فى ملك فارس والروم او لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون
فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء
فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا فى جوف
بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء
واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل و
يخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق فعلم الله نبيه
ان يدعو بهذا الدعاء فقال قل يا محمد اللهم يا مالك الملك اى يا مالك العباد وما ملكوا يعنى
تملك جنس كل ملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده
تمنع الوصفية وقيل ملك السموات والارض قال الله تعالى فى بعض الكتب انا الله ملك الملوك ومالك
الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وان عصونى جعلتهم
عليهم نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم تؤتى اى تعطى الملك
من تشاء من خلقك اى تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له من الملك قيل ملك النبوة وقيل

من تشاء اى لمحمد عليه السلام واصحابه او ما اتى الله الانبياء عليهم السلام وامر العباد بطاعتهم
وقيل تولى من تشاء اى للعرب او لادم وولده وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ان تنزعه
وتسترده كما نزع من ابى جهل وصناديد قريش او من فارس والروم او من الجبابرة وامر العباد
بخلافهم او من ابليس وجنده فالملك الاول عام والملكان الاخران خاصان بعضان من العام وَتُعِزُّ
مَنْ تَشَاءُ بالملك اى المهاجرين والانصار او محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه حين دخلوا مكة فى عشرة
الاف ظاهرين عليها اى بالايمان والهداية والطاعة والنصر او القناعة والرضى او بملك العافية وقيام
الليل او بالاستغناء عن الكونين بالمكون او بالمعرفة اللهم اهدنا بنورك اليك وَتُذِلُّ مَنْ
تَشَاءُ بنزع الملك منه كفارس وروم او ابا جهل واصحابه حين جرت رؤسهم والقوا فى القليب
او بالكفر والضلالة والمعصية او بالقهر والحرص والطمع بِيَدِكَ بقدرتك الْخَيْرُ ذكر الخير وحده
لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعات
الادب فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه او اكتفى بذكر احد الضدين عن الاخر ثم نبه على ان الشر
ايضا بيدك بقوله إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اى لا يقدر على شئ استقلالا احد غيرك
الا بأقدارك ثم عقب ذلك بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت
فى اخراج احدهما من الاخر وبذكر سعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة
الذل والعز وايتاء الملك ونزعه فقال تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ اى تدخل الليل فى
النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
اى تدخل النهار فى الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من احدهما
زاد فى الاخر وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ اى تخرج الحيوان من النطفة والنطفة ميتة وَتُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ اى وتخرج النطفة وهى ميتة من الحيوان وهو حى يعنى به انشاء الحيوانات
من موادها وامانتها اى انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه او اخراج الفرخ من البيضة
والبيضة من الطير او المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فالمؤمن حى الفؤاد بالتوحيد والكافر
ميت الفؤاد بالشرك او النبات الغض الطرى من الحب اليابس والحب اليابس من النبات الحى
النامى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ اى رزقا واسعا من غير تضييق ولا تقتير لانه المالك ليس فوقه من يحاسبه ويمنعه من العطاء
وعن محمد بن محمد عن ابيه عن جده عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسى والايتين من ال عمران شهد الله الى
قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك معلقات تحت العرش ما بينهن وبين
الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال فقال الله بى حلفت لا يقرأكن
احد من عبادى دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولاسكنته حظيرة القدس
ولانظرت اليه بعينى المكنونة كل يوم سبعين مرة ولاقضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها
المغفرة ولاعذته من كل عدو وحاسد ولانصرته منهم وفيه الحارث بن عمير ضعيف لَا يَتَّخِذِ

المؤمنون

٣

الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ اى لا يجعل احد من المؤمنين احدا من الكافرين احباء
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ يعنى غير المؤمنين اى مكان المؤمنين نهى الله المؤمنين عن موالات الكفار
ومداهنتهم ومباطنتهم سواء لقرابة بينهم او لصداقة قبل الاسلام ونحوها حتى لا يكون حبهم
وبغضهم الا فى الله لان المحبة فى الله والبغض فيه باب عظيم فى الايمان قيل نزل فى بعض الصحابة
كانوا يدخلون على اليهود ويباطنونهم فنهوا عن ذلك فابوا فنزل وقيل نزل فى حاطب رضى الله عنه
وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة وقيل فى المنافقين يعنى عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتولون
اليهود والمشركين فنهى الله المؤمنين عن مثل افعالهم او عن الاستعانة بهم فى الغزو وساير الامور
الدينية وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اى اتخاذهم اولياء فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ اى ليس من ولاية
الله او من دين الله فى شئ يصح ان يسمى ولاية الله او دينه فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان كما قال
الشاعر: تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب : اى ليس الحمق عنك
ببعيد : فليس اخى من ودنى فى راى عينه لكن اخى من ودنى فى الغائب : ثم استثنى فقال
إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً اى تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل
عزة الاسلام ويجرى فى من هو فى بلد ليس قويا فيها كالاسارى مثلا يعنى الا ان تخافوا من جهتهم
ما يجب اتقاؤه بان يكون للكافر عليكم سلطان فتخافونه على انفسكم واموالكم فحينئذ يجوز لكم اظهار
الموالات وابطان المعادات وقرأ يعقوب تقية ومعنى الاية نهى الله المؤمنين عن موالات الكفار و
مداهنتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة بان يكون الكفار ظاهرين غالبين فان
اظهار الموالات حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا او يكون المؤمن فى قوم
كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما
او مالا حراما او يظهر الكفار على عورات المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل وسلامة النية
قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل فله اجر عظيم وانكر
قوم التقية اليوم قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين
وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فليس ينبغى لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال
يحيى البكالى قلت لسعيد بن جبير فى ايام الحجاج ان الحسن كان يقول لكم تقية باللسان والقلب
مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الاسلام تقية انما التقية فى اهل الحرب وقد رد ائمتنا فى وجوب
التقية على الروافض دلائلهم المختلقة وآراءهم المختلفة فلا ينبغى ذكرها واما اتقاء بعض اهل
المذاهب من بعض من اهل السنة والجماعة فى عدم اظهار ما هو حق عنده دون صاحبه من خوف
هيجان الفتنة فالامر غير خفى وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ اى ذاته ان يغضب عليكم ان واليتموهم فلا
تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدايه وهذا وعيد شديد يعنى يخوفكم الله عقوبته
على موالات الكفار وارتكاب المناهى ومخالفة الاوامر يعنى بقول الله عز وجل اياكم ونفسى
يعنى احذروا من سخطى بموالاة اعدائى قيل انما يحذر نفسه من يعرفه بالمكاشفة فاما من لا يعرفه
فخطابه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والاصح ان التحذير للمكاشف وغيره لان ذاته المعظم اى كنهه لا ينكشف

Copyright © King Saud University

لاحد سواء كان نبيا او وليا او غيرهما فالحذر ليس مخصوصا بالمكاشف فالمراد من ذلك ان يحذركم
الله علم ذاته وقدرته لان الاية الاتية وهي قوله قل ان تخفوا الى اخرها بيان لهذه الاية فكانه
قال ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم
المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها
والى الله المصير اى مصيركم ومرجعكم اليه والعذاب معد لديه وهو وعيد اخر بالبعث والجزاء
قل لهم **ان تخفوا ما في صدوركم** اى قلوبكم من مودة الكفار **او تبدوه** اى او تظهروه
موالاة الكفار قولا او فعلا وغيرهما مما مر وان تسروا ما في قلوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التكذيب والحرب والقتال او تظهروه مما مر **يعلمه الله** اى انه يعلم ضمايركم من ولاية
الكفار او غيرها فيحفظه عليكم حتى يجازيكم به **ويعلم** وهو الذى يعلم مرفوع على الاستيناف
لا على العطف على جواب الشرط **ما في السموات وما في الارض** يعني اذا كان لا يخفى
عليه شيء كاين في السموات وفي الارض فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم اليهم بالقلب
وسركم وعلنكم لانه لا يغيب عن علمه شيء فهما عنده سواء **والله على كل شيء قدير** ومنه
تعذيب من والاهم لانه قادر بقدرة ذاتية لا يختص بمقدور دون مقدور والاية بيان لقوله
ويحذركم الله نفسه كما مرت الاشارة اليه **يوم تجد كل نفس** اى من النفوس المكلفة
ما عملت من خير محضرا اى حاضرة **وما عملت من سوء** حاضرة ايضا
تود اى تحب وتتمنى **لو ان بينها وبينه امدا بعيدا** يوم منصوب بتود والضمير
في بينه لليوم اى يوم القيمة اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير
والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا اى مسافة بعيدة ولانها لم تعمل سوء
اصلا او منصوب بفعل مضمر اى اذكر وتكون تود حالا من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء
تجد مقصورا على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان
تكون ما شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كاين واوفق للقراة المشهورة وكشف الاية
بعبارة اوضح من هذا تقديره ونصب يوم باضمار فعل اى اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا لم ينقص منه شيء كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا وما عملت من سوء جعله
خبرا في موضع النصب اى تجد محضرا ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير وجعله بعضهم خبرا
مستانفا دليل هذا التاويل قراة ابن مسعود وما عملت من سوء ودت لو ان بينها وبينه والتقدير
وما عملته من سوء مبتدا وتود او ودت خبره وقال مفتى الثقلين ابو السعود في معنى الاية
يوم تجد كل نفس اى من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا اى عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل
ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر
في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة الشرعية تود عامل في الظرف
والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر او جزاءها محضرة لو ان بينها وبينه اى بين ذلك
اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل او لا بل كانت متمحضة بالخير من

الدلالة على فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم نعوذ بك من ذلك ويجوز ان
يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استيناف مبني على السوال
اى اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير او من شر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا
او كان سايلا قال اذا اذكروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد
مقصور على ما عملت وتود خبر ما عملت من سوء ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت
فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراة والله
اعلم **ويحذركم الله نفسه** كرره للتوكيد والتذكير في التحذير من نفسه كيلا يغفلوا عنه **والله**
رؤف بالعباد اى بليغ الرحمة بهم حيث لم يعجل بعقوبتهم اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم
رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه ونزلت
حين قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فيهم وفي النصارى او في وفد نجران لما
قالوا انما نعبد المسيح حبا لله او في كفار قريش لما قالوا انما نعبد الاصنام الا حبا لله ليقربونا اليه **قل**
لهم يا محمد **ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** يعني ان كنتم تحبون الله بالصدق
فاتبعوني في ديني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم اى اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله
فحب المومنين لله اتباعهم امره وايثارهم طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله المومنين ثناؤه
عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم ورضاؤه منهم **قال** السلطان المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال
ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا
من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على مطاوعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب وكتاب الله يكذبه
وقيل علامة المحبة ان يكون دائم الفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي
ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا ولا يرجوه **قال** الامام القشيري
والمحبة على لسان العلماء هي الارادة فان الارادة لا تتعلق بالقديم اللهم الا ان يحمل على ارادة التقرب
اليه والتعظيم له فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام
فالرحمة خاص من الارادة والمحبة اخص من الرحمة فارادة الله ان يوصل الى العبد الثواب والانعام
والانعام تسمى رحمة وارادته لان يخصه بالقربة والاحوال العلية تسمى محبة وارادته سبحانه
صفة واحدة فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف اسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا
تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق
للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم
وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقى العبد به وحالة مخصوصة يرقيه
اليها كما قال بعضهم ان رحمته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا محبته من الصفات الخبرية
فاطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير فالمحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد واخبر عن

Copyright © King Saud University

محبته للعبد فالحق عز وجل يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق قال الله في
اية اخرى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يات الله بقوم يحبهم ويحبونه
فمن لم يعمل بالشريعة وترك اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع الى الكفر بعد الايمان فهو المسمى
بالمبغوض فاما ما عدى هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشئ والاستيناس
بالشئ وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك واما محبة العبد
لله فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة وقد ذكرنا بعض العلامة وليست محبة العبد له
سبحانه متضمنة ميلا ولا احتظاظا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والاحاطة
وقال شيخنا وامامنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر في كتابه الغنية ما نصه قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك
للشئ يعمي ويصم اى يعميك عن غير محبوبك ويصمك عنه لا شتغالك بمحبوبك فالمحب حتى اراد وما اراد حتى
تجردت ارادته ولما تجردت ارادته حتى قذفت في قلبه جمرة الخشية فاحرقت كلما هنالك قال الله عز وجل
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فان شئت زيادة تقرير وبيان فطالع
كتاب اداب المريدين من غنية شيخنا [illegible] فانه يغنيك ان شاء الله تعالى وكتاب
المحبة من احياء العلوم لحجة الاسلام • وزين الانام • امام اهل السنة والجماعة محمد بن محمد الغزالي
قدس سره **ويغفر لكم ذنوبكم** عطف على يحببكم الله جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة
على طريق الاستعارة او المقابلة **والله غفور رحيم** لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه
ولما نزل قوله قل ان كنتم تحبون الله الاية قال عبد الله بن ابي لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته
كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى ابن مريم فنزل **قل اطيعوا الله و
الرسول** امرهم بالجمع بين طاعة الله ورسوله رغما لهم **فان تولوا** يحتمل المضي والمضارعة يعني
تتولوا اى فان اعرضوا عن طاعتهما **فان الله لا يحب الكافرين** اى لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم
لكفرهم بل يعذبهم ثم لما اوجب الله طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملئكة فقال **ان الله اصطفى ادم** ابا
البشر **ونوحا** شيخ المرسلين **وآل ابراهيم** اى اسماعيل واسحاق واولادهما وقد دخل فيهم
الرسول صلى الله عليه وسلم **وآل عمران** موسى وهارون وهما ابنا عمران بن يصهر بن قاهث
ابن لاوى بن يعقوب وقيل المراد بآل عمران عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اشعاذان
ابن ابي يوز وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة يعني بين عمران الذي هو والد سيدنا موسى
وهارون وبين عمران الذي هو والد مريم وجد عيسى من جهة الام ومن موسى وهارون الى يعقوب
اربعة جدود ومن مريم وابنه عيسى الى يعقوب نحو من ثلثين جدا **على العالمين** اى عالمي زمانهم
والمعنى اختار الله ادم ومن ذكر معه من الانبياء ومن اولادهم بالرسالة والخصايص الروحانية
والجسمانية وارتضى بدينهم وفعلهم لان الانبياء والرسل كلهم من نسلهم قيل اراد بآل ابراهيم
وآل عمران انفسهما كقوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون كما ذكرنا في حكاية
التابوت

٣ التابوت **ذرية** حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح **بعضها من بعض** مبتدا وخبر
في موضع النصب صفة للذرية يعني انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض بالتوالد وقيل
بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع ويسمى الاباء والاولاد ذرية
فالابناء ذرية لانهم ذراهم والاباء ذرية لانهم ذرا الابناء منهم واشتقاقها من ذرا بمعنى خلق
وقيل من الذر لانهم استخرجهم من صلب ادم كالذر **والله سميع عليم** اى سميع باقوال
الناس عليم باعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امرات عمران هي حنة بنت فاقوذا ام مريم جدة عيسى من الام وعمران هو ابن
ماثان وليس بعمران ابي موسى وهارون وذكرنا مدة ما بين العمرانين وكان بنو ماثان رؤس
بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم وقيل عمران هو ابن اشهم **رب اني نذرت لك ما في بطني
محررا** اى يا رب اني اوجبت وجعلت الذي في بطني محررا نذرا مني لك والنذر ما يوجبه
الانسان على نفسه محررا اى عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا اشغله بشئ
من الدنيا **فتقبل مني** ما نذرته **انك انت السميع العليم** بقولي ونيتي وكل ما اخلص
لله فهو محرر يقال حررت العبد اذا اعتقته وخلصته عن الرق ولم يكن احد من الانبياء والعلماء
الا ومن نسله محرر لبيت المقدس يخدمها ويكنسها الى ان يبلغ فيخير في الاقامة او الذهاب
ولم يكن المحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والنفاس وكانت لعمران
ابن يصهر والد موسى وهارون عليهما السلام بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهارون كما كان
لعمران بن ماثان بنت اسمها مريم وهي ام عيسى عليه السلام فظن ان المراد بالعمران في الاية عمران
الذي هو والد موسى وهارون ومريم ويرده ما ذكرنا من مدة ما بين العمرانين ويرده ايضا
كفالة زكريا فانه كان معاصرا لعمران بن ماثان والد مريم وروى ان زكريا والد يحيى وعمران والد
مريم تزوجا اختين وكان اسم احديهما ايشاع بنت فاقوذا ام يحيى تزوجها زكريا والاخرى
اسمها حنة بنت فاقوذا ام مريم تزوجها عمران بن ماثان وكانت الحنة عاقرا مسنا عجوزا
وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت
قلبها الى الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم البتول
فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في
بطنك انثى لا يصلح لذلك فوقعا في هم من ذلك فمات عمران وحنة حاملة بمريم **فلما وضعتها**
اذا هي جارية والهاء في وضعتها راجعة الى النذيرة ولذلك انث الضمير او راجع الى ما في
بطنها لانه كان انثى **قالت** حنة تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا يا
رب اني وضعتها اى الحبلة او النسمة **انثى** معتذرة الى الله عز وجل لان التحرير لم يكن
الا للغلمان كما مر **والله اعلم بما** اى بالشئ الذي **وضعت** بسكون التاء وهو استيناف من الله
تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر ويعقوب وضعت بفتح التاء

Copyright ... University

على انه من كلام حنة ام مريم تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرى
وقرى وضعتِ بكسر التاء على خطاب الله لها **وليس الذكر كالانثى** بيان لقوله والله اعلم اى
وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لان الذكر يقصد للخدمة والانثى لا تصلح لها لضعفها
وعورتها وكونها بين الرجال الذين فى خدمة الكنيسة وما يعتريها من الحيض والنفاس واللام فى
الذكر والانثى للعهد ويجوز ان يكون من قولها يعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون
اللام للجنس **وانى سميتها مريم** معطوف على انى وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
وهى بلغتهم العابدة الخادمة وكانت مريم من اجمل النساء فى وقتها واعفهن وافضلهن وانما ذكرت
تسميتها مريم لربها لان مريم فى لغتهم تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها
مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة كما قلنا وحتى يصدق فيها ظنها الا ترى كيف
اتبعتها طلب الاعاذة لها ولى لدها من الشيطان بقولها **وانى اعيذها** اى امنعها واجيرها
بك اى بحفظك **وذريتها** اى اولادها **من الشيطان** اى من الطريد اللعين **الرجيم** المرمى
بالشهب فى الحديث ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها
رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم ما من بنى ادم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل
صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها وقال صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعن الشيطان
فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب ومعنى الحديث والله
اعلم ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة
هذه الاستعاذة **فتقبلها ربها** اى تقبل الله عز وجل مريم من حنة يعنى رضى بها فى النذر مكان الذكر
الحر **بقبول حسن** اى بوجه حسن تقبل به النذاير وهو اقامة مريم مقام الذكر او تسلمها عقيب
ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة يعنى خص الله مريم هذه الكرامة من بين ساير النذور او معناه
بامر ذى قبول مرضى فسلك بها مسلك السعداء **وانبتها نباتا حسنا** اى سوى خلقها وربّاها
تربية حسنة فكانت تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى السنة قال ابن عطا ما كانت ثمرته مثل
عيسى فذاك احسن النبات روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار وقالت دونكم اى خذوا هذه النذيرة فتنافسوا اى تراغبوا فيها لانها كانت بنت
امامهم وصاحب قربانهم يعنى كان عمران والد مريم يتولى امر القرابين من المتقربين فى البيت الذى
تنزل فيه النار من السماء وقد مر بانه كان من بنى ماثان وهم كانوا رؤساء بنى اسرايل وملوكهم
فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر الاردن فالقوا اقلامهم اى اقداحهم او الاقلام التى بها يكتب التورية فى
النهر وكانت الاقلام من النحاس وشرطوا على ان من ثبت قلمه على الماء ولم ينزل الى قعر النهر فهو
اولى بها فثبت قلم زكريا على وجه الماء ونزل الى الاسفل اقلام الباقين فتكفل بها زكريا وقيل
شرطوا على من نزل قلمه الى اسفل الماء ثم يرتفع الى وجه الماء ويثبت فهو اولى بها فنزل قلم زكريا ثم صعد
على الماء وانحدر اقلام الباقين وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلا الماء وجرت اقلامهم بجرى الماء

وقيل

وقيل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه مركوز فى طين وجرت اقلامهم فى جرية الماء فذهب بها
الماء فاخذها زكريا عليه السلام وكان راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى **وكفلها زكريا**
اى ضمنها الله زكرياء وضمها اليه بالقرعة قرأه حمزة والكسائى وعاصم بتشديد الفاء وقصروا
زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش فيكون زكريا منصوبا على المفعولية والفاعل هو الله اى جعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها وقرأ الاخرون بالتخفيف والمد مرفوعا والمعنى ضمها زكرياء الى نفسه وقام
بامرها ومصالحها وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود ومعناه فى العبرى
دايم الذكر والتسبيح فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى
حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المحراب يعنى غرفة وجعل بابها فى وسطه لا يرقى
اليها الا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم
فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء على ما بين الله بقوله **كلما دخل عليها**
زكريا المحراب قال الاستاد اراد بالمحراب الغرفة التى بنى لها فى المسجد وهو اشرف المجالس ومقدمها
ويقال للمسجد ايضا المحراب قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى عليه بدرج وسمى بالمحراب لانه محل
محاربة الشيطان وقيل كان مساجدهم تسمى المحاريب قيل كان زكريا عليه السلام اذا خرج
من عندها يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها غرفتها وقصرها **وجد عندها رزقا**
اى وجد عندها فاكهة فى غير حينها اى فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس كما اشرنا اليه وهو جواب
كلما وناصبه **قال يا مريم انى لك هذا** اى من اين لك هذا الرزق الذى ياتيك فى غير اوانه
ولا يشتبه ارزاق اهل الدنيا والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء ومن جعل ذلك
معجزة لزكريا يدفعه وياباه اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** اى من محض فضله فلا
تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من
الجنة **ان الله يرزق من يشاء** من جملة كلام مريم او من كلام رب العزة جل جلاله **بغير حساب**
اى بغير تقدير لكثرته وسعته او بغير استحقاق تفضلا به قال السلطان روى ان فاطمة
الزهراء رضى الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم اى قطيعة من اللحم
فرجع النبى عليه السلام بتلك الهدية اليها وقال هلمى اى تعالى يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرايل ثم جمع عليا والحسن والحسين
وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك** اى فى ذلك المكان يعنى حيث كان
قاعدا عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان ايضا والحاصل لما راى
زكريا حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب ان يكون له ولد من ايشاع مثل ولد اختها حنة
فى الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة فى غير اوانه
انتبه على امكان ولادة العاقر وكان اهل بيته قد انقرضوا وقد كان ايس من الولد فدخل المحراب للصلوة
وغلق الابواب **دعا زكريا ربه** اى ناجى ربه **فقال يا رب هب لى** اى ارزقنى **من لدنك**

Copyright King Saud University

اى من عندك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة ذرية طيبة اى ولدا
مباركا نقيا صالحا رضيا كما وهبتها لحنة العجوز العاقر انك سميع الدعاء اى مجيبه
او سامعه فنادته الملئكة اى واحد من جنس الملائكة واشرفهم فان المنادى كان جبريل
عليه السلام وحده ونظيره ينزل الملائكة اى جبريل بالروح يعنى الوحى وهو قائم يصلى
فى المحراب اى فى المسجد وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب
المذبح حتى ياذن لهم فى الدخول فبينا هو قائم يصلى فى المحراب يعنى فى المسجد عند المذبح
والناس ينتظرون ان ياذن لهم فى الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض وهو
جبريل ففزع منه فناداه ان بفتح الهمزة على ايقاع النداء عليه كانه قال فنادته الملائكة بان
الله وبكسر الهمزة على تقدير القول اى فنادته الملئكة فقالت ان الله يبشرك بيحيى اى بولد
اسمه يحيى لان الله احيى به عقر امه او احيى الله قلبه بالايمان او احياه بالطاعة حتى لم يعص
ولم يهم بمعصية او المجالس بوعظه ويحيى اسم اعجمى غير منصرف للتعريف والعجمة كموسى وان كان
عربيا فللتعريف ووزن الفعل مصدقا حال من يحيى اى مؤمنا بكلمة من الله اى بكتاب منه
او مصدقا بعيسى يعنى مؤمنا بعيسى فان يحيى اول من آمن بعيسى قال الحلماء لم سمى عيسى كلمة
لان تكونه بكن لا باب وقيل ان الله قال له كن من غير اب فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها
كان او لانه يهتدى بعيسى كما يهتدى بكلام الله وقيل الكلمة بشارة الله مريم بعيسى بكلامه على
لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء بكلامه فى كتبه انه يخلق نبيا بلا اب
فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد وكان يحيى اكبر من عيسى ستة اشهر وكانا ابنى الخالة ثم قتل يحيى
قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقال ابو عبيدة بكلمة من الله اى بكتاب الله وآياته تقول
العرب انشدنى كلمة فلان اى قصيدته وقال السلطان سمى بذلك لانه وجد بامر تعالى
دون اب فشابه المبدعات التى هى عالم الامر اى لوجوده بالامر الالهى الذى هو كلمة كن والله اعلم بمراده
ثم وصف الله يحيى بقوله وسيدا هو الذى يسود قومه اى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا على
قومه فى انه ما هم بمعصية قط وقال الجنيد السيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون
وقيل هو حسن الخلق او الذى يطيع ربه او الفقيه العالم او السيد فى الدين او فى العلم والعبادة
والورع او الحليم الذى لا يغضبه شئ كما هو من بعض مناقب الشافعى رحمه الله او الكريم على الله
او التقى او الذى لا يحسد او المتبوع او القانع بما قسم الله له او السخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال عليه السلام واى داء ادوأ من البخل
لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا اى مبالغا فى حبس النفس من الشهوات والملاهى روى ان يحيى
عليه السلام مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت او الذى لا يقرب النساء
مع القدرة حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات والمعاصى قال ابن المسيب انه قد تزوج
ليكون اغض لبصره وتفسير الحصور بالعنين او بكونه لا ماء له لا يليق بالمقام لان المقام مقام المدح
والثناء والنبوة يقتضى الكمال ونبيا من الصالحين اى ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء

اوكائنا

او كائنا من جملة الصالحين يعنى من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة ثم قال اى دعا زكريا
عليه السلام عند نداء الملئكة اياه وبشارته له بالاستفهام تعجبا وسرورا من حيث العادة
او استعظاما للقدرة لا تشككا رب انى يكون لى غلام اى يا خالقى كيف يكون لى ابن
قال الكلبى وجماعة قال رب اى يا سيدى قاله لجبريل وقد بلغنى الكبر يعنى قد بلغت الكبر
وشخت او قد نالنى وادركنى واضعفنى كبر السن واثر فى وكان لزكريا تسع وتسعون سنة
ولامرأته ثمان وتسعون او هو ابن ثنتين وتسعين سنة او مائة وعشرين على خلاف فى ذلك وامراتى
عاقر اى عقيم لا تلد العقر القطع اى امراتى ذات عقر من الاولاد قال الله كذلك اى كما قلت
انه بلغك الكبر وامراتك عاقر لا تلد الله يفعل ما يشاء اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل
انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر قيل فى معنى كذلك اى كما انت عليه وزوجك من الكبر
والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد منكما قال الاستاد كذلك الله مبتدأ وخبر ومعناه الله
على مثل هذه الصفة او على مثل هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى بيان لما فى اسم الاشارة
من الابهام او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر من خلق الغلام بينكما كذلك فان قيل لم قال
زكريا بعدما وعده الله بالغلام انى يكون لى غلام اكان شاكا فى وعد الله تعالى او فى قدرته قلت
فى الجواب ان زكريا لما سمع نداء الملك جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعته ليس من
الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحى اليك كما يوحى اليك فى ساير الامور فقال دفعا للوسوسة
او شك فى الكيفية اى ايجعلنى وامراتى شابين ام يرزقنا ولدا على الكبر منا ام يرزقنى من امراة اخرى
فقال له مستفهما لا شاكا والجواب الثانى هو الذى قلنا اولا انه قال ذلك استعظاما للقدرة لا تشككا
فيها قال رب اجعل لى آية اى علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح
مشقة الانتظار قال آيتك اى علامة حمل امراتك يا زكريا الا تكلم الناس ثلثة ايام اى
ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانت صحيح سوى وتسبح وتذكر الله وتعبد لقوله تعالى فى سورة مريم
ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا ومعنى سويا اى سوى الاعضاء واللسان ولهذا قال اكثر المفسرين
وانما حبس وعقل لسانه عن مكالمة الناس خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر الا رمزا اى اشارة بيد او راس وسمى الرمز
كلاما او انه لم يكن من جنسه لانه يؤدى ما يؤدى به الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام وهو
استثناء منقطع وان اراد بالكلام مادل على الضمير فالاستثناء متصل واذكر ربك كثيرا اى فى ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشى
من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل قيل المراد بالتسبيح الصلاة
اى صل اواخر النهار واوائله والابكار من طلوع الفجر الى الضحى واذ قالت الملئكة عطف على
قوله اذ قالت امرأة عمران اى اذكر وقت قول الملئكة اعنى جبريل يا مريم ان الله اصطفاك
اختارك اولا حين تقبلك فى نذر امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما
يستقذر من النساء من الحيض والنفاس ومسيس الرجال او من الافعال القبيحة واصطفاك آخرا

Copyright © King Saud University

على نساء العالمين قيل على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في انها ولدت بلا اب
ولم يكن ذلك لاحد من النساء او بالتحرير في المسجد ولم يحرر انثى قبلها قال او بتبريها
عما قذفتها اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين قال السلطان كلموها
شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا عليه السلام او ارهاصا
لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا
وقيل الجمهور عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير نسائها مريم بنت
عمران وخير نسائها خديجة ورواه وكيع وابو معوية عن هشام بن عروة واشار وكيع الى السماء والارض
وعن ابي موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واسية امراة فرعون يا مريم اقنتي اي اطيلي القيام في الصلوة
لربك اي لله سبحانه خالصا واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة مع ذكر
اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه
على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع
ليسوا بمصلين لان في زمانها كان من يقوم ويسجد ولا يركع فمعناه كوني مع الراكعين لا مع من لا يركع
قيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة دليله قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما واراد
بالسجود الصلوة دليله قوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك اي قصة
حنة وزكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب اي من اخبار الغيب الذي لم تعرفها الا بالوحي
نوحيه اليك اي نوحي ذلك الخبر اليك يا محمد وفيه تعريض لمنكري الوحي ودلالة واضحة على
نبوته حيث اخبر عما غاب عنه وما كنت لديهم اي لم تكن يا محمد حاضرا عند الاحبار و
نفي الحضور عن النبي تهكم بمنكري الوحي اذ يلقون اقلامهم اي سهامهم او الاقلام التي
كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا ليظهر لهم بذلك الالقاء ايهم يكفل مريم
اي ايهم يضم الى نفسه للتربية يعني ما كنت عالما بذلك الخبر قبل هذا الوقت وانما تخبرهم بالوحي
واكده بقوله وما كنت لديهم اي عند الاحبار اذ يختصمون في كفالة مريم وانما عرفته بالوحي
قوله تعالى اذ قالت الملئكة بدل من اذ قالت قبلها اي اذكر وقت قولهم لمريم يا مريم ان الله
يبشرك بكلمة اي يفرحك بولد مخلوق منه في موضع جر صفة لكلمة وفي العرب معناه اي من الله
بامره وهو قوله كن فكان كامر اسمه المسيح واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك كقوله وجعلني
مباركا اين ما كنت والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وقيل سمي المسيح لان
الله تعالى لما مسح ظهر ادم فاستخرج منه ذرات ذرياته واشهدهم على انفسهم بقوله الست بربكم
قالوا بلى وذكر في تفسير عين الحياة انه جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات بالرجوع الى ظهر
ادم عليه السلام وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح

اى الممسوح

اي الممسوح فلما كان روح عيسى ذرية طيبة وكانت محتبسة عند الله ولم ترد الى ظهر ادم
حتى القاها الى مريم بتوليته من غير شوب بظلمات شهوات الابوين ولهذا سمي روح
الله وكان يكتب ويقرأ التوراة والانجيل من غير تعلم انتهى وقيل سمي مسيحا لانه كان
لا يمسح ذا عاهة الا برئ او لانه كان يمسح الارض اي يدوسها بالسياحة ولا يستوطن مكانا
واسمه مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر والمسيح خبره والجملة في موضع جر صفة
كلمة عيسى عطف بيان للمسيح او بدل منه وهو معرب يسوع قيل اشتقاق المسيح من المسح
لانه مسح بالبركة او مسح جبريل بجناحيه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل ابن مريم خبر
مبتدأ محذوف اي وهو ابن مريم او نعت لعيسى وقيل لا يجوز ان يكون نعتا لان اسمه عيسى
فقط وليس اسمه مجموع عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما انه يولد من غير اب فلا
ينسب الا الى امه وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلك الاسماء ~~[illegible]~~
~~[illegible]~~ وانما جمع هذه الثلثة في الاسم لان الاسم علامة على المسمى يعرف
بها وكانه قيل الذي يعرف به هذا ويتميز من سواه مجموع هذه الثلثة قوله وجيها اي ذا جاه
وقدر في الدنيا بالنبوة والطاعة والاخرة بالشفاعة والدرجات العلى ومن المقربين
اي وثابتا من المقربين عند الله برفعه الى السماء وصحبة الملئكة قوله وجيها ومن المقربين
حالان من كلمة لكون كلمة موصوفة والنكرة الموصوفة تقع ذا حال ويكلم الناس في المهد
في حال صغره قبل اوان الكلام كما قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وحكي عن مجاهد انه قال
قالت مريم كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني انسان سبح في بطني وانا
اسمع وكهلا اي ويكلم الناس في حال كبره والمعنى انه يكلم الناس في هاتين الحالتين بكلام الانبياء
من الحكمة والعبرة من غير تفاوت بين حال الطفولية والكهولة التي يكمل فيها العقل ويستنبأ
الانبياء ليكون كلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة وتكلمه مع الناس دليل على حدوثه
لحدوث الاصوات والحروف وقيل انه رفع شابا والمراد من قوله وكهلا اي بعد نزوله
من السماء وذكر احواله المختلفة المتنافية اي من الصبي الى الكهولة اشارة الى انه بمعزل عن
الالوهية فهو رد على النصارى ومن يحذو حذوهم ومن الصالحين اي هو من العباد الصالحين
حال كونه في الجنة مع النبيين وهذه احوال اربع بشر الله بها مريم بانه موصوف بهذه الصفات
قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر اي قالت مريم يا سيدي كيف هذا
الامر ولم يصبني بشر قالت ذلك تعجبا اذ لم يكن جرت العادة بان يولد ولد من غير اب او استفهاما
عن انه بتزوج او غيره قال القايل هو جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها قوله عز وجل كذلك
اي كما قلت لم يمسسك بشر الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا اي اذا احكم واراد خلق امر
وحدوثه فانما يقول له كن فيكون اي فهو يكون ويحدث كما يريد اشارة الى انه تعالى
كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك قال
الفاضل في تفسيره اذا قدر تكوين شيء كونه من غير تاخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن

Copyright King Saud University

سرعة تكون الاشياء بتكوينه وهذا تمثيل لتاثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول
المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة وقال فى المدارك
والحاصل ان المكونات لا يكون الا بتكوينه وتخليقه ولكن اخبر عن ايجاد الشئ بقوله كن من
غير ان كان من الله كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل قول
كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم ومع هذا التعبير كله والله اعلم بمراده
بذلك **ويعلمه** بالياء والنون عطف على ويبشرك او وجيها او كلام مستانف اى ويعلمه
الله **الكتاب** اى الخط فكان احسن الناس كتابة وخطا فى زمانه او جنس كتب الله **والحكمة**
اى العلم والفقه والمعارف او بيان الحلال والحرام او الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان
والتوراة والانجيل وكان يحفظهما عن ظهر القلب وخص الكتابان لفضلهما **ورسولا** اى ويجعله
رسولا او ارسلك رسولا او فى موضع الحال اى وجيها فى الدنيا والاخرة ورسولا **الى بنى اسرائيل**
وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم قيل كان
رسولا فى حال الصبا وقيل انما كان رسولا بعد البلوغ وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف
واخرهم عيسى عليهما السلام ولما نفخ جبريل فى جيب درع مريم حملت وكان من امرها ما ذكر
الله فى سورة مريم فلما بعثه الله الى بنى اسرائيل قال لهم انى رسول الله اليكم **وانى** اى بانى
قد جئتكم باية من ربكم اى بعلامة منه تعالى تدل على صدقى فيما ادعيه من النبوة
وانما قال باية وقد اتى بايات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو صدقه فى الرسالة
او اراد به الجنس ومحل **انى اخلق** بفتح الهمزة نصب بدل من انى قد جئتكم او جر بدل من اية
او رفع على هى انى اخلق **لكم من الطين كهيئة الطير** والمعنى اقدر لكم واصور شيئا
من الطين مثل صورة الطير الهيئة الصورة المهياة يعنى اشكل شكلا واصوره من الطين **فانفخ
فيه** اى فى الطين فالضمير راجع للكاف تقديره فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير **فيكون طيرا
باذن الله** اى فيصير حيا طيارا بامر الله كساير الطيور نبه به على ان احياءه من الله لا منه
وقرا نافع هنا وفى المائدة طائرا بالافراد لا طيرا بالجمع لانه ما صور غير الخفاش وانما خص الخفاش
لانه اعجب الطير واكمله خلقا لان لها ثديا واسنانا وهى تحيض كما تحيض المراة وتطير بلا ريش
وتضحك كالانسان وتلد كما يلد الحيوان ولا تبيض كساير الطيور ولا تبصر فى ضوء النهار ولا فى
ظلمة الليل وانما ترى فى ساعتين بعد غروب الشمس وبعد طلوع الفجر فى ساعة قبل الاسفار قال
وهب وكان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق
من فعل الخالق وليعلم ان الكمال لله تعالى فلما راوا ذلك من عيسى ضحكوا وقالوا هذا سحر **وابرئ**
اى اشفى **الاكمه والابرص** الاكمه الذى ولد اعمى او الممسوح العين والابرص الذى به وضح وانما
خصهما بالذكر للشفاء لانهما مما اعيا الاطباء فى تداويهما وكان الغالب على زمن عيسى الطب فاراهم
المعجزة فى جنس ذلك قال وهب وربما اجتمع على عيسى عليه السلام فى اليوم الواحد خمسون
الفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم يطق مشى اليه عيسى وكان يداويهم بالدعاء على

على شرط الايمان وقد ظهر لمشايخ هذه الامة المحمدية من الكرامات ما يبهر منه العقول سيما منهم سيد
العارفين وقدوة الواصلين الشيخ محى الدين عبد القادر الجيلى قدس سره وفى تاريخ الامام اليافعى اليمنى
رحمه الله تعالى واما كراماته يعنى الشيخ عبد القادر رضى الله عنه فخارجة عن الحصر وقد اخبرنى من ادركت
من اعلام الائمة ان كراماته تواترت او قربت من التواتر ومعلوم بالاتفاق انه لم يظهر ظهور كراماته
لغيره من شيوخ الافاق كرامته وكان سيدى على الهيتى يقول كنت فى ضيافة مع شيخى عبد القادر الجيلى
وكان لصاحب الضيافة ابن اكمه اقعد مجذوم مفلوج وضعه فى صندوق بين يدى الشيخ
عبد القادر فامرنى بفتح الباب ففتحت فاذا فيه ذلك الولد فقال له الشيخ عبد القادر قم
باذن الله معافيا فقام معافيا من جميع ما به من العلل فقام الشيخ من المجلس من كثرة اجتماع الناس
عليه وترك الطعام وايضا من حكايته المشهورة مع العجوزة ووالدها حين اشار لعظام الطير
الماكول لحمه قومى باذن الله الذى يحيى العظام وهى رميم فقام الطير ماشيا وصاح وكان سيدى على
الهيتى يقول فى مجالسه الشيخ عبد القادر يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله وكراماته كثيرة
لا يحملها الدفاتر ولنا كتاب فى مناقبه ومناقب المشايخ سميناه برسالة النور وهذا كله ببركة اتباعه لجده
سيد الاولين والاخرين قوله **واحيى الموتى باذن الله** كرر لفظ باذن الله لدفع وهم الالوهية فان
الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية قال ابن عباس رضى الله عنه قد احيا اربعة انفس عازر
كان صديقا له فدعا الله على قبره وهو ميت منذ ثلثة ايام فقام من القبر وودكه يقطر وبقى زمانا وولد
له والثانى ولد العجوز فمر به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق
الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقى زمانا وولد له والثالث ابنة العاشر فكان
ابوها رجلا ياخذ العشور ماتت له بنت فدعا الله تعالى لها فاحياها وبقيت زمانا وولدها والرابع
سام ابن نوح عليه السلام فذهب عيسى على قبره فدعا باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه
خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان فقال اقد قامت القيمة قال لا ولكن دعوتك باسم الله
الاعظم فقال له عيسى كيف شاب راسك ولم يكن لك شيب فى حياتك فقال شاب راسى حين سمعت صوتا
يقول اجب روح الله فحسبت ان القيامة قد قامت فشاب من هول ذلك ثم قال المسيح قال بشرط ان يعيذنى
الله من سكرات الموت فدعا الله له ففعل قيل كان موته اكثر من اربعة الاف سنة فقال للقوم صدقوه
فانه نبى فامن به بعض وكذبه البعض قايلين بانه سحر وقالوا لعيسى ارنا اية اخرى نعلم بها انك صادق
فقال **وانبئكم بما تاكلون** من انواع الماكل **وما تدخرون** اى وما تخبئون للغد **فى بيوتكم** مما لم اعاينه
فكان يخبر الشخص بما اكل قبل وبما ياكل بعد ويخبر الصبيان وهو فى المكتب بما يصنع اهلهم وبما ياكلون ويشربون
ويقول لهم اخبركم بالمغيبات من احوالكم التى لا تنكرون **ان فى ذلك** اى فيما صنع عيسى **لاية لكم**
اى علامة لنبوة عيسى **ان كنتم مؤمنين** اى مصدقين انه نبى او موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع
بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين **ومصدقا** حال معطوف على قوله باية اى وجئتكم مصدقا **لما بين
يدى** اى ولما قبلى وقبل كتابى **من التوراة** عطف على قد جئتكم يعنى وجئتكم لارخص لكم **بعض الذى
حرم عليكم** فى شرع موسى كالشحوم والثروب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالامعاء ولحوم الابل

Copyright King Saud University

والعمل في السبت ولحوم السمك والطير فاحل لهم عيسى عليه السلام من السمك والطير ما لا صيصية
له وهي شوكة الحايك التي بها يسوي السداء واللحمة وقال ابو عبيدة اراد بالبعض الكل يعني
كل الذي حرم عليكم وقد يذكر البعض ويراد به الكل كقول لبيد ❊ تراك امكنة اذا لم ارضها او
يرتبط بعض النفوس حمامها ❊ يعني كل النفوس وهذا يدل ان شرع عيسى كان ناسخا لشرع موسى
عليهما السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض
وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وقد ذكرنا معناه فيما مضى قوله تعالى وجئتكم
باية من ربكم كرره تاكيدا اي ما جئتكم الا ببرهان بين يجب اتباعي به عليكم او كرر ليبني
عليه قوله تعالى فاتقوا الله فيما امركم ونهاكم واطيعون فيما ادعوكم اليه ولا تخالفوني فيما انصحكم وقيل
معناه جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي لكم ان الله ربي وربكم اي الهي والهكم وراز
قكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر فاعبدوه دونه و
لا تعصوه بالشرك هذا اي التوحيد الذي ادعوكم اليه وامركم به صراط مستقيم طريق لا عوج فيه يوصلكم
الى معرفة الله ودخول الجنة فالاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر اي لما تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس وارادوا قتله قال من انصاري الى الله قيل معناه من
الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى هنا بمعنى مع او في او اللام والظاهر ان معناه
من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه او ضاما اليه قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخاصته
وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا او وزراء يلبسون البيض استنصرهم عيسى لما اراد اليهود قتله وقيل قصارون
يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل كانوا صيادين للسمك وقيل ملاحين وقيل صباغين
والذي مشى عليه اكثر المفسرين هم الاصفياء والاصدقاء الذين يستعين به في نوايبه وكانوا اثني عشر
رجلا ويؤيده ما قال جابر ندب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب
الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير اي ناصري وقال معمر قال قتادة
ان الحواريين كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة الجراح وعثمان
ابن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام
رضي الله عنهم نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله امنا بالله اي صدقنا بتوحيده
واشهد بانا مسلمون اي واشهد لنا يا عيسى بالايمان والاسلام يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم
وعليهم ربنا امنا بما انزلت من الانجيل على عيسى واتبعنا الرسول اي عيسى على دينه فاكتبنا
مع الشاهدين لله بالوحدانية او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
لانهم شهداء على الناس ومكروا اي دبر الكفار من بني اسرائيل في قتل عيسى وهم الذين احس منهم الكفر
من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله اي جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى
السماء والقى شبهه على من اراد قتله حتى قتل فالمكر من المخلوقين الحيلة والخبث والخديعة والمكر

من الله

من الله الجزاء واستدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يعلم ولهذا لا يجوز اسناد المكر الى الله
الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق والله خير الماكرين اي اقواهم تدبيرا في تخليص نبيه
عيسى وقتل من اراد هلاكه قال الشيخ معناه والله اقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
واقواهم مكرا بالقاء الشبه على من اراد قتله روي عن ابن عباس ان عيسى دعا على رهط من اليهود
ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهوذا وهو راس اليهود واميرهم خاف لذلك وفزع
من دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبريل فادخله
خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله الى السماء من تلك الروزنة فامر يهوذا راس اليهود رجلا من
اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل لم ير عيسى فابطا عليهم فظنوا انه
يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم اختلفوا فقال
بعضهم وجهه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فليس هو بعيسى فقتل بعضهم بعضا
لذلك وقيل المقتول هو يهوذا راسهم لانه هو باشر بنفسه ليقتل عيسى ثم نزل اي عيسى على
مريم امه وقال لها لا تبكي فان المقتول رجل اسمه كذا والقي الله عليه شبهي وكانت في موضع اسمه المجدلانية
في جبلها وجمع الله عليه حوارييه في ذلك المكان ببشارة مريم لهم فبثهم في الارض دعاة الى الله
ثم رفع الى السماء وتلك الليلة هي التي يدخن فيها النصارى فلما رفعه الله تعالى كساه الريش والبسه النور
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سمائيا ارضيا
قيل في التواريخ حملت مريم بعيسى وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم في ارض اوري شلم
لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله اليه على راس ثلثين سنة ورفعه
الله من بيت المقدس في شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة فكانت نبوته ثلث سنين وعاشت
امه مريم بعد رفعه ست سنين والله اعلم اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو اذكر قوله الله
يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك او اني عاصمك من ان
يقتلك الكفار ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم او اني قابضك من الدنيا الي من غير موت تخصيصه
اني قابضك الي وافيا تاما لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت مالي اذا اخذته تاما وقيل معناه
اني متوفيك نايما يعني اني منيمك وقابضك الي وانت نايم كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم
وقيل معناه اني مميتك عن الشهوات العايقة عن العروج الى عالم الملكوت وعن ابن عباس رضي
الله عنهما معناه اني مميتك يدل عليه قوله عز وجل قل يتوفاكم ملك الموت فعلى هذا له تاويلان احدهما
ما قال وهب توفى الله عيسى على ثلث ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه وقال محمد بن اسحاق
ان النصارى يزعمون ان الله تعالى توفاه سبع ساعات ثم رفعه الى السماء والاخر ما قاله الضحاك وجماعة
ان في الاية تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من
السماء والله اعلم بمراده بذلك ورافعك الي قال العلماء معناه اني رافعك الى محل كرامتي ومقر ملايكتي يعني
السماء ومطهرك اي مبعدك ومنجيك من الذين كفروا اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم او
قصدهم الردي بك قال النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى خليفة على امتي يدق الصليب

Copyright King Saud University

ويقتل الخنزير ويلبث اربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك امة وانا في اولها
وعيسى في اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها وفي رواية والذي نفسي بيده ليوشكن
ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى
لا يقبله احد وروى الشيخان حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل
الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي حديث مسلم يمكث سبعين سنة وفي
حديث عند الطيالسي اربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه ويدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل
ان المراد مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده وقال صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل
كلها الا الاسلام ويهلك الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل
للحسين بن الفضيل هل تجد نزول عيسى في القران قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وانما معناه
وكهلا بعد نزوله من السماء **وجاعل الذين اتبعوك** من امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم اهل الاسلام الذين
صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد دون من كذبوا عليه من اليهود والنصارى **فوق الذين كفروا**
الى يوم القيمة اى هم يعلونهم بالحجة والسيف في غالب الاوقات يعني المسلمون فوق الذين كفروا
ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع وقيل
المراد بمن اتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم
ولم يتفق لهم ملك ودولة وقال الضحاك يعني الحواريين فوق الذين كفروا وقيل الروم و
قيل النصارى فهم فوق اليهود الى يوم القيمة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى
دايم الى قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لا الاتباع الديني
ثم الي مرجعكم في الاخرة الضمير لعيسى ومن تبعه من المومنين ومن كفر به وغلب المخاطب على الغايبين
فاحكم بينكم اى بين المومنين والكافرين **فيما كنتم فيه تختلفون** من امر الدين وامر عيسى في
الدنيا ثم اخبر عن حكم كل من الفريقين بقوله **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في**
الدنيا بالقتل والسبي واخذ الجزية والذلة **والاخرة** بالنار **وما لهم من ناصرين** اى من
مانع يمنعهم من العذاب **واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم** تفسير للحكم وتفصيل له
القراءة بالياء والنون اى يعطيهم بلا نقص **اجورهم** اى ثواب اعمالهم الخير **والله لا يحب الظالمين**
اى لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل ولا يرضى لهم **ذلك** اى هذا الذي ذكرته لك من الخبر
عن عيسى عليه السلام ومريم والحواريين وذلك مبتدا خبره **نتلوه عليك** اى نخبرك به و
نقصه عليك بتلاوة جبريل عليه السلام وقوله **من الايات** حال من هاء نتلوه او خبر بعد خبر
او خبر مبتدا محذوف ومعنى من الايات اى من دلايل الرسالة يعني من العلامات الدالة على نبوتك لانها
اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وانت امي لا تقرأ ولا تكتب **والذكر الحكيم** اى القران
المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه او الذكر ذي الحكمة وقيل الذكر الحكيم هو اللوح
المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضا ونزل لما قال وفد نجران هل رايت ولدا بلا اب
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اى ان شانه الغريب كشان ادم يعني شبه خلق عيسى كشبه

خلق ادم من الغرابة **خلقه من تراب** تفسير للمثل لا محل له من الاعراب والمعنى خلق الله قالب
ادم من تراب يعني صورة جسدا من طين بلا اب ولا ام شبه حال عيسى بما هو اغرب لان له اما
وذلك افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه وعن بعض العلماء انه اسر ببلاد الروم فقال للنصارى
لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فان ادم اولى لانه لا ابوين له قالوا يحيي الموتى قال فحزقيل
اولى لان عيسى احيى اربعة نفر وحزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس
اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما **ثم** اى بعد خلق قالبه المصور من التراب **قال له** اى لذلك
القالب المصور **كن** بشرا ذا روح **فيكون** فكان بشرا كامل الخلق من غير اب وام فكذلك عيسى
خلقناه من غير اب قيل خلاصة الكلام قلت للتراب كن ادم فكان وقلت للريح كن عيسى فكان
وهي حكاية حال ماضية قال محي السنة ومعنى قوله عز وجل ثم قال له يعني لعيسى كن
فيكون يعني فكان فان قيل ما معنى قوله ثم قال له كن ولا تكوين بعد الخلق قيل معناه خلقه ثم
اخبركم اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة وهو مثل قول الرجل اعطيتك
اليوم درهما ثم اعطيتك امس درهما وقيل معنى قوله ثم قال له كن اى انشاه بشرا كقوله ثم
انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ومعنى قوله فيكون اى فكان لانه حكاية
حال ماضية كما مر وثم لترتيب الخبر على الخبر لا الترتيب المخبر عنه توضيحه ان الاية يقتضي ان يكون
خلق ادم مقدما على كن فاجاب بان الله تعالى اخبر ان خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا
خبرا اخر فقال اني اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق قال السلطان ويجوز ان
يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر **الحق من ربك** خبر مبتدا محذوف اى هو الحق يعني خبر عيسى ومثله كمثل
ادم ثابت فهذا رد صريح لدعوى النصارى حين قالوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا
قال وما اقول قالوا تقول انه عبد ليس له تعلق بالربوبية من وجه اصلا قال اجل هو عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى العذرا البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فنزل
ان مثل عيسى الاية **فلا تكن من الممترين** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة
الثبات والطمانينة لانه معصوم من الامتراء او لكل سامع والظاهر انه نهي له عليه السلام والمراد
غيره اعني الامة **فمن حاجك** اى جادلك من النصارى **فيه** اى في حق عيسى وامه زعما منهم انه
ليس على الشان المحكي او في الحق **من بعد ما جاءك من العلم** اى من البينات الموجبة للعلم في
امر عيسى بانه عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** اى هلموا والمراد المجي بالعزم والراي كما تقول
تعال نفكر في هذه المسئلة **ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم**
اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما
قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم **ثم نبتهل** اى نتضرع في الدعاء
اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة والطرد **فنجعل لعنة الله على**
الكاذبين منا ومنكم في شان عيسى بان نقول اللهم العن الكاذب منا ونبتهل ونجعل معطوفان
على ندع وفي نجعل الاية بيان للابتهال وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه

Copyright © King Saud University

فقالوا حتى ننظر في امرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم لقد عرفتم نبوته وانه ما باهل قوم نبيا الا
هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي
وقال عليه السلام لهم اذا دعوت فأمنوا فابوا ان يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه ابو نعيم
في دلائل النبوة وروى ابو داود انهم صالحوه على الفي حلة النصف في صفر والبقية
في رجب وثلثين درعا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا وثلثين من كل صنف من اصناف السلاح
وروى احمد في مسنده عن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون
مالا ولا اهلا وروى الطبراني مرفوعا لو خرجوا لاحترقوا وفي رواية السلطان
روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب يا عبد المسيح وكان
ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا
دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا
من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفي
حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر
وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته رب زدني علما قوله ابناءنا رد على الخوارج
لجحودهم على قوله تعالى ما كان محمد ابا احد وبنفون الذرية الطاهرة فالمراد بالابناء الحسن والحسين
كما هو ظاهر لكل احد واراد بنسائنا فاطمة الزهراء واراد بانفسنا نفسه الكريم وابن عمه عليا عده
من نفسه وانما ضم الابناء والنساء ومن فدى له بنفسه حين خروجه عليه السلام من مكة يعني
عليا في دعاء المباهلة وان كانت تختص به عليه السلام وبمن يكاذبه لاظهار شرف اهل بيته
ومقدارهم على الله وقدم الابناء والنساء على الانفس كذلك لذلك وايضا لان ذلك آكد في الدلالة
على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك
ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته
لو تمت المباهلة ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا جميعا قال الله تعالى ان هذا
اي ما قص من نبإ عيسى ومريم لهو القصص الحق اي الخبر الصادق انه عبد الله ورسوله
بلا شك فيه واللام في لهو للفصل بين اسم ان وخبرها او مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان
وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب
الى المبتدإ من الخبر ويفيد من الفصل ان ما ذكره في شان عيسى حق دون ما ذكروه وما من اله
الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم يعني ومن
في ما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة الاستغراق قال محي السنة
والعرض ومن صلة تقديره وما اله الا الله اي لا شريك له في الالوهية اي استحقاق المعبودية تأ

لله وحده

لله وحده وان الله لهو العزيز الحكيم اي لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة
ليشاركه في الالوهية او العزيز في الانتقام والحكيم في تدبير الاحكام اي في خلق هذا بلا اب وهذا
من تراب وهذا من الاب والام فان تولوا اي فان اعرضوا عن الايمان وابوا عن الحق ولم يؤمنوا
به فان الله عليم بالمفسدين وعيدهم بالعذاب المذكور في قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون قال الشيخ اراد بالمفسدين الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس
الى عبادة غير الله ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد
افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب اي
اليهود والنصارى نزل حين قال اليهود نحن على دين ابراهيم فانه كان يهوديا وقالت النصارى
نحن على دين ابراهيم وكان نصرانيا وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم كلاهما بريء من ابراهيم لانه كان حنيفا مسلما ونحن على دينه فامر الله نبيه قل
لاهل الكتاب من اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة وهي افراد القديم عن الحدوث سواء
اي مستو امرها بيننا وبينكم اي لا يختلف في تلك الكلمة الرسل والكتب ثم بين الكلمة بقوله الا
نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا
له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
اي ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل من
غير رجوع الى ما شرع الله لان كلا من عزير وعيسى والاحبار بعضنا بشر مثلنا روي انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال
هو ذلك فان تولوا اي ان اعرضوا عن التوحيد فقولوا انتم لهم اشهدوا اي اعلموا ايها اليهود و
النصارى بانا مسلمون لا انتم يعني لزمتكم الحجة فاعترفوا يا اهل الكتاب بانا مسلمون دونكم او
اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى
في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى بقوله
ويكلم الناس في المهد وكهلا ونحوه وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدهم
ويزيل شبهتهم بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى
المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك
طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد
ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى
عليهما السلام وكان ابراهيم عليه السلام قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون ابراهيم على

Copyright © King Saud University

دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون بطلان قولكم فتدعون المحال
ها انتم مبتدا وها حرف تنبيه هؤلاء خبره اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم
وقلة عقلكم انكم حاججتم اى جادلتم جملة فعلية مستانفة مبينة للجملة الاولى فيما لكم به
علم من امر موسى وعيسى لانه ثابت فى كتابكم من التوراة والانجيل اى مما وجدتموه فيهما عنادا
او تدعون وروده فيه على زعمكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اى فلم تجادلون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم عليه السلام وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم
صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرا
نافع وابو عمرو ها انتم بالمد حيث وقع بالمد اقل مدا وقيل بالهمزة من غير الالف بعد الهاء والباقى
بالمد والهمزة والبزى يقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وبان ابراهيم كان على دين
الاسلام وانتم لا تعلمون اى وانتم جاهلون به وقيل فى معنى الاية يا هؤلاء جادلتم فى امر موسى
وعيسى وادعيتم بانا على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به
علم وليس فى كتابكم انه كان يهوديا ولا نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم فى امر محمد عليه السلام
لانهم وجدوا نعته فى كتابهم فجادلوا فيه بالباطل عنادا وحسدا فلم تجادلون فى ابراهيم وليس
فى كتابكم ولا علم لكم به ثم برأ الله ابراهيم مما قالوا فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح لمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة معتدلا الى الله
مسلما منقادا لله تعالى مخلصا فى دينه وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين
انهم على ملة ابراهيم وقيل فى معنى الحنيف الذى يوحد ويحج ويضحى ويختتن ويستقبل الكعبة
وهو اسهل الاديان واحبها الى الله ثم قال ان اولى الناس بابراهيم اى ان احقهم بدينه
واخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب للذين اتبعوه من امته فى زمانه والباء يتعلق
باولى وخبر ان قوله للذين وهذا النبى خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد به محمد صلى
الله عليه وسلم لموافقته له فى اكثر شرعه والذين امنوا صدقوا محمدا عليه السلام من امته وقرى النبى
بالنصب عطفا على الهاء من اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم وقيل وهذا النبى عطف على للذين
وهذا صريح لابعاد اليهود والنصارى منه لعدم اتباعهم له والله ولى المؤمنين اى ناصرهم
ومجيبهم وحافظهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم روى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس
ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن ابى طالب
وناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند
النجاشى من اصحاب محمد عليه السلام ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله
يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رايكم فبعثوا عمرو بن العاصى وعمارة
ابن الوليد مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه
فقالا له

٤

وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين
قدموا عليك لانهم قوم اتاهم رجل وقدح فيه ثم قال ويزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد وقد قتلهم
الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم
وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى
يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن
عليك حزب الله فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى رضى الله عنه
ارضنا نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاصى الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب
الله وما اجابهم به النجاشى فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاصى الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشى ما منعكم ان تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من
اتانى من الافاق قالوا انما نسجد لله الذى خلقك وملكك وانما كانت التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث
الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التى رضيها الله وهى السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشى ان ذلك حق وانه
فى التوراة والانجيل فقال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك
اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابى فمر هذين الرجلين
فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل هذين الرجلين اعبيد
نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشى اعبيد هم ام احرار فقال عمرو بل
احرار كرام فقال النجاشى نجوا من العبودية ثم قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو
لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشى ان كانت قنطارا
فعلى قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشى فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وعلى
دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا اليك قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشى ما هذا الدين الذى
كنتم عليه والدين الذى اتبعتموه اصدقنى قال جعفر اما الدين الذى كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان
كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الدين الذى تحولنا اليه فدين الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل
كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشى يا جعفر لقد تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشى فضرب بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشى انشدكم الله الذى انزل الانجيل على عيسى
هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من امن به
فقد امن بى ومن كفر به فقد كفر بى فقال النجاشى ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه
فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر
اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال النجاشى اقرا على مما يقرا عليكم فقرا عليهم سورة
العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشى واصحابه وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرا
عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشى فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشى ما تقولون فى عيسى
وامه فقرا عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشى نفثة من سواكه قدر ما يقذى

اى يقع فى العين

اى شيئا قليلا كالقذاة الذى يقع فى العين

العين ثم قال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذه ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم
بارضي يقول آمنون من سبكم اوآذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة بعد اليوم على حزب ابراهيم
قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هولاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم
فانكر ذلك المشركون وادعوا في دين ابراهيم ما ليس لهم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي
حملوه اليه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا
فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم
وهو بالمدينة قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين
ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان يعني ارادت وتمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود ان يصرفوكم عن دين
الاسلام الى الكفر وما يضلون الا انفسهم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ
يضاعف بالاضلال عذابهم او وما يضلون الا امثالهم لان المؤمنين لا يطيعونهم فانما اضلالهم عليهم
لا يتخطاهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
يعني بالقران وبيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم او بما نطقت به التوراة والانجيل مما دلت على نبوة محمد عليه السلام
وانتم تشهدون على انفسكم بالهداية بان التوراة حق والانجيل حق ورسالة محمد حق لان نعته مذكور في
التوراة والانجيل او تعلمون ان القران المشتمل على نعت محمد حق لانكم كنتم تخبرون بنعته قبل البعثة يا
اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل اي لم تخلطون الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد او الاسلام
باليهودية والنصرانية يعني الاسلام بالكفر او تلبسون الحق بالتحريف وابراز الباطل في صورته يعني لم تلبسون
التوراة التي انزل الله على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بايديكم وتكتمون الحق اي نبوة
محمد عليه السلام ونعته اي تسترونه حسدا وعنادا وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه بانه حق ثابت
في كتابكم يعني تعلمون ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه حق ∴ لشكر باذكر جهان كيرد شمع
خورشيد از ان نمي ميرد ∴ وقالت طايفة اي جماعة من اهل الكتاب اعني كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاتباعهما من يهود المدينة امنوا اي صدقوا واظهروا الايمان واقروا باللسان
فقط بالذي انزل على الذين امنوا اي على المسلمين من القران والصلاة الى الكعبة وغير ذلك
من احكامه امرا ونهيا من غير اعتقاد وجه النهار اي في اول النهار فقط واكفروا اخره
اي ثم اكفروا اخر النهار بالذي انزل على المسلمين وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون اي لعل المسلمين
يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيشكون ثم يرجعون عن دينهم بهذا المكر والكيد ثم اوصى كعب
ومالك اصحابهما الذين امروهم بالايمان في وجه النهار الخ بقولهما لهم ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا
ولا تقروا ايها اليهود بالقلب واللسان الا لمن تبع دينكم اي الا لمن وافق دينكم
اي الا لاهل دينكم لا لمحمد ومن تبعه بل كونوا معهم الى اخر النهار بالنفاق والمكر فاخبر الله نبيه
محمدا بمكرهم واظهره على سرهم واوحى اليه الاية وامره بان يجيبهم فقال له قل لهم يا محمد ان الهدى
هدى الله اي ان الدين دين الله وهو الاسلام وان التوفيق توفيقه يهدي من يشاء ويضل من يشاء

وضر كيدكم ومكركم وحيلكم لا يتخطاكم فقوله قل ان الهدى هدى الله كلام معترض بين الكلامين
اي بين الوصيتين وما بعده متصل بالكلام الاول في وصيتهما لاصحابهما اي ولا تؤمنوا ايها اليهود الا
لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ايضا ولا تصدقوا ولا تتيقنوا ان يؤتى احد بان يعطي الله لاحد مثل
ما اوتيتم اي مثل ما اعطاكم الله من العلم والحكمة والكتاب والايات من المن والسلوى وفلق البحر
وغيرها من الايات والكرامات ثم انهما اوصيا اصحابهما ايضا واشتهم على الكفر حيث قالا لهم او يحاجوكم
عند ربكم اي لا تصدقوا ولا تتيقنوا ولا تخافوا بان يحاجوكم ويخاصموكم عند الله يوم القيمة احد من
المسلمين لان دينكم احق وحجتكم اقوى واظهر مما عند المسلمين من البرهان والحجج فمن يحاجكم عند الله
فاخبر الله نبيه بان يجيبهم بقوله قل ان الفضل بيد الله اي الهداية والتوفيق وايتاء العلم
والكتاب بيده وحده فمن ابن لكم ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
كثير الفضل عليم بمن هو اهل لذلك يختص برحمته اي بالنبوة او الاسلام والدين الحق من يشاء فيعطيه
ما يناسبه والله ذو الفضل العظيم اي ذو المن الجزيل لمن اختصه بدين الاسلام فهو رد وابطال
لما زعموا بالحجة الواضحة والله اعلم قال السلطان في تفسيره والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا الاية وقيل اثنا عشر رجلا من احبار خيبر
تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد
محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي ولا تقروا عن
تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم اي ثم اسلم فان رجوعهم
ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله اي يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه على المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى
المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطايل
او خبران على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير ا ان يؤتى على الاستفهام للتقريع يويد الوجه
الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطايفة اي ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحض حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به
غير اتباعهم وقال الشيخ في تفسيره المراد بالطايفة اثنا عشر رجلا من احبار خيبر وقرى عرينة
او في شان القبلة لما حولت فقال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا الخ فاطلع الله رسوله على سرهم وانزل
وقالت طايفة الخ فقوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا متصل بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض ولا تؤمنوا
اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اي وافق ملتكم واللام في لمن صلة اي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية
وقوله قل ان الهدى هدى الله هذا خبر من الله بان البيان بيانه ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض
بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخبارا عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعناه ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والايات من المن والسلوى وفلق البحر وغيرها

من الايات والكرامات ولا تومنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم وقيل ان اليهود قالت
لسفلتهم لا تومنوا الا لمن تبع دينكم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم اى لئلا يوتى احد ولا فيه
مضمر اى لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم في العلم ولئلا يحاجوكم عند
ربكم فيقولوا عرفتم ان ديننا حق ولم تتبعوه وهذا معنى قول ابن جريج وقرا الحسن والاعمش ان
يوتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله عز وجل
يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يوتى احد بمعنى الجحد اى ما يوتى احد مثل ما اوتيتم يا امة
محمد صلى الله عليه وسلم او يحاجوكم يعنى الا ان يجادلوكم اليهود بالباطل فيقولون نحن افضل منكم وقوله
عند ربكم اى عند فعل ربكم بكم ذلك فيجوز ان يكون او بمعنى حتى ومعنى الاية ما اعطى احد مثل
ما اعطيتكم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن كثير ان يوتى بالمد
على الاستفهام معناه ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه
ولا تومنون به يعنى يقول الله قل يا محمد لليهود ان الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم
وبعث نبيا حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على
هذه القراة رجوع الى خطاب المومنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شك وجزاء ويوضع
احدهما موضع الاخرى اى وان يحاجوكم يا معشر المومنين عند ربكم فقل يا محمد ان الهدى هدى الله
ونحن عليه ويجوز ان يكون الجميع خطابا للمومنين ويكون نظم الاية ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
يا معشر المومنين ان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله وان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله
ويجوز ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تومنوا من كلام
الله تعالى يثبت به قلوب المومنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول
لا تصدقوا يا معشر المومنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم في دينكم عند ربكم او يقدروا على ذلك قل ان الهدى هدى الله
وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الاية كلها خطاب الله للمومنين
عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا انتهى قال الواحدى وهذه الاية اى وقالت طايفة من
اهل الكتاب الخ من مشكلات القران واصعبه تفسيرا وحلا ولقد تدبرت اقوال اهل
التفسير والمعانى في هذه الاية فلم اجد قولا يطول في الاية من اولها الى اخرها مع بيان المعنى
وصحة النظم يقول الفقير محمود بن محمد وقد زال حزنى بقول الواحدى قوله تعالى ومن اهل
الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك نزلت في اليهود اخبر الله تعالى ان فيهم امانة
وخيانة قال مقاتل نزل في مومنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وكفار اليهود اعنى
كعب بن الاشرف واصحابه يعنى ومن مومنى اهل الكتاب من ان تعطه امانة في حفظ قنطار
اى مال كثير كما ذكرنا من ذهب وفضة يوده اليك من غير جحد ونقص وهو عبد الله بن سلام
استودعه رجل من قريش الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه فمدحه الله بذلك ومنهم
اى ومن مشركى اهل الكتاب من ان تامنه بدينار واحد لا يوده اليك وهو كعب بن الاشرف

او فنحاص

او فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فلم يوده اليه وجحده فذمه الله
وقيل ان المامونين على القنطار اى الكثير من المال طايفة النصارى اذ الغالب فيهم الامانة
والخاينين في الدينار والقليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قايما اى
الا في حال ملازمتك له او مدة دوامك قايما على راسه بان لا تفارقه مبالغا في مطالبته بالتقاضى
والترافع واقامة البينة عليه يعنى متى فارقته لا تكره كما فعل كعب بن الاشرف حين جحد دينار
القرشى ذلك اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يوده اليك بانهم اى بسبب ان اهل
الكتاب الخاينين قالوا يعنى بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى ليس علينا
في شان من ليسوا من اهل الكتاب كالعرب ومن لم يكونوا على ديننا اثم وذم وعتاب وكانوا
يستحلون ظلم من خالفهم والاضرار بهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل
بايع اليهود رجال من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم
وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله تعالى فقال ويقولون على الله الكذب
بادعايهم جواز الخيانة في كتابهم مع من يخالف دينهم وهم يعلمون انهم كاذبون لان
الله تعالى امرهم في التورية باداء الامانات الى اهلها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها موداة الى
البر والفاجر ثم قال الله ردا على اليهود بلى اى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل اى اثم
وعتاب ثم ابتدا بذكر ما هو كاين في التورية ردا لقولهم ليس علينا في الاميين سبيل فقال
من اوفى بعهده اى لكن من اوفى وراعى بعهد الله اوفى او بعهد الله الذى عهد اليه في التورية
من الايمان بمحمد عليه السلام وبالقران واداء الامانة واتقى الله بترك المعاصى والشرك والخيانة
ونقض العهد وجواب من فان الله يحب المتقين عن الغدر والخيانة ونقض العهد
يعنى ومن كان هكذا فالله يحبه فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من اوفى
فالجملة مستانفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير في بعهده يرجع الى الله اى كل
من وفى بعهد الله واتقاه وانما وضع المتقين مقام الضمير للدلالة على ان التقوى يجلب محبة
الله تعالى لصاحبه وللاشعار بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهى ان الذين يشترون اى يستبدلون بعهد الله اى بما عاهدوا عليه
من الايمان بالرسول المصدق لما معهم والوفاء بالامانات والعهود وايمانهم اى وبما حلفوا
به من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه ثمنا قليلا اى متاع الدنيا كما قال الله قل متاع
قليل يعنى عرضا يسيرا من حطام الدنيا كالترويس والرشا والهدايا التى كانت لهم من اتباعهم
اولئك الموصوفون بما ذكر لا خلاق لهم اى لا نصيب لهم في الاخرة اى في نعيمها وخيرها
ولا يكلمهم الله اى بكلام ينفعهم ويسرهم قيد به دفعا لما توهم من التدافع بين هذه الاية
وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين ويمكن الدفع ايضا بانه سبحانه وتعالى يخص اولياءه بكلامه بغير واسطة

Copyright King Saud University

تشريفاً لهم ولا يكلم الكفرة والفساق كذلك وتكون المحاسبة معهم بكلام الملئكة او انه لا يكلمهم
بكلام الرضى والعفو او بان يقال ان نفى تكليمه اياهم كناية عن سخطه وغضبه لان ترك
التكلم لازم للسخط عادةً فاطلق لينتقل منه الى الملزوم واستشهد على كونه كناية عن
غضبه عليهم بقوله **وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** فان من سخط على غيره واستهان
به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره تقاوله ويكثر النظر اليه
فان قلت اى فرق بين استعمال النظر فيمن يجوز عليه النظر بتقليب الحدقة كالانسان
كما قال السيد قدس سره وفيمن لا يجوز بالحدقة بل بان البصر صفة له كالبارى عز وجل كما قال قدس سره ايضا
قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاد نظر
عينيه اليه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمه نظر ثم جاء فى من لا يجوز
عليه النظر مجرداً المعنى اللطف والاحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وفى التفسير
الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم والحق فى هذه المسالة ومثلها
وما شابهها نحو وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ان يومن بظاهره ولا يتعمق فى التاويل ويفوض
علم ذلك الى الله ويستريح **وَلَا يُزَكِّيهِمْ** اى ولا يثنى عليهم كما يثنى على اوليائه كما قال التائبون العابدون
الى اخره **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** على ما فعلوه من المعاصى قيل نزل فى اليهود خاصة لان الايات
السابقة واللاحقة فيهم ومنهم من خصها بغير اليهود ومن قال فى اليهود يقول انها نزلت
فى احبارهم حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد عليه السلام وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على
ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها
به وقيل فى تنازع كان بين اشعث بن قيس ويهودى فى بئر او ارض وتوجه الحلف على
اليهودى فحلف كذبا واخذ مطلوبه قال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر
ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان رواه الشيخان قال صلى الله عليه وسلم
من اقتطع مال مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار قيل يا رسول الله وان شيئا يسيرا
قال وان سواكاً اخرجه الطبرانى والحاكم وصححه قال صلى الله عليه وسلم ان اليمين الكاذبة
تنفق السلعة وتمحق الكسب اخرجه عبد الرزاق قال صلى الله عليه وسلم ان اليمين الفاجرة
تعقم الرحم وتقل العدد وتدع الديار بلاقع اخرجه عبد الرزاق وقال سعيد بن المسيب
ان اليمين الفاجرة من الكبائر ثم تلا ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم الاية اخرجه عبد الرزاق
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا اى ومن اهل الكتاب طائفة يحرفون التوراة ككعب ومالك وحيى لا يقتصرون
على تغيير العهد بمجرد التاويل بل **يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ** اى يعطفون ويفتلون السنتهم
بقراءة التوراة فيميلونها ويصرفونها عن المنزل الحق الى المحرف والمغير بشبه الكتاب ويحتالون
لتبديل المعانى من جهة اشتباه الالفاظ وتشعب التاويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع
ونحو ذلك والليّ الفتل هو الصرف فانهم حرفوا وغيروا وبدلوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته
واية الرجم وغير ذلك **لِتَحْسَبُوهُ** اى لتظنوا المسلمون ان المحرف والمغير **مِنَ الْكِتَابِ** الذى انزل

علي موسى

على موسى تاويلهم ولصنيعهم **وَمَا هُوَ** اى ليس المغير والمحرف والمبدل **مِنَ الْكِتَابِ** الذى
انزل الله على موسى **وَيَقُولُونَ** مع ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتعريض
والتورية **هُوَ** اى المحرف **مِنْ عِندِ اللَّهِ** اى منزل من عند الله **وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ**
فى نفس الامر وفى اعتقادهم ايضا فهو تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع وتقبيح عليهم
قال فخر الائمة فى تفسيره الكبير واعلم ان من الناس من قال انه لا فرق بين قوله لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب وبين قوله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وكرر
هذا الكلام بلفظين مختلفين لاجل التاكيد اما المحققون فقالوا المغايرة حاصلة وذلك لانه
ليس كل ما لم يكن فى الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعى قد يثبت تارة بالكتاب وتارة
بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله تعالى فقوله لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب هذا نفى خاص عطف عليه النفى العام فقال ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله انتهى بحروفه وايضا يجوز ان يكون المراد من الكتاب التوراة ويكون المراد من قولهم
هو من عند الله انه موجود فى كتب ساير الانبياء عليهم السلام مثل شعيا وارميا وذلك لان
القوم كانوا متحيرين فى نسبة هذا التحريف الى الله تعالى ولا يخفى عليك ان النفى المستفاد من قوله
وما هو من عند الله لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد الذى هو تحريف التوراة هنا من الله تعالى
اى من خلق الله تعالى وايجاده لان المراد من قوله وما هو من عند الله هو ان المحرف ليس منزلا
من عند الله وهذا ليس بمناف ان يكون هو من عند الله خلقاً وايجاداً بل المذهب الحق ان
التحريف وان كان فعل المحرف من كسبا لكنه بخلق الله وايجاده فهو بهذا المعنى من الله فلا تكون
الاية حجة علينا فى قولنا فعل العبد من الله تعالى وان افعال العباد جميعا بخلق الله تعالى وايجاده
قال شيخنا وامامنا قدوتنا الشيخ محى الدين عبد القادر الجيلانى قدس سره ومن جوح الله انه
اضاف الينا الافعال وهو الخالق لذلك فاندفع بهذا ما احتج الجبائى والكعبى له على ان فعل
العبد غير مخلوق لله تعالى فقالوا لو كان لى اللسان بالتحريف والكذب خلقا لله تعالى لصدق اليهود
فى قولهم انه من عند الله لانهم اضافوا الى الله ما هو من عند الله والله تعالى نفى عن نفسه ما هو
عنده **وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى بذلك
وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه وقال الضحاك عن ابن عباس ان
الاية اى وان منهم لفريقا الخ نزلت فى اليهود والنصارى ايضا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل
والحقوا بكتاب الله ما ليس منه قوله تعالى **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَ
النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ** تكذيب ورد على عبدة عيسى
عليه السلام وذلك ان نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فالمعنى
ما ينبغى ولا يصح ولا يستقيم لبشر اى لعيسى والكتاب هو الانجيل وقيل ان ابا رافع القرظى
والسيد النجرانى قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان
نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت ويابى هذا القيل قوله تعالى فيما ياتى

Copyright © King Saud University

بعد إذ أنتم مسلمون أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال بلغني أن رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فإنه لا ينبغي
أن يسجد لأحد من دون الله فأنزل الله ما كان لبشر إلى قوله بعد إذ أنتم مسلمون تعلى هذا البشر
هو محمد عليه السلام والكتاب القرآن قال الشيخ والبشر جميع بني آدم لا واحد له من لفظه
كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع والمعنى لا يجوز لا ينبغي لنا أي لأحد من البشر سواء كنا به
القرآن أو التوراة أو الإنجيل أو عزير ذلك أن يأمر والأحد بالسجود لهم أو لا يجتمع النبوة وهذا القول
والحكم الحكمة وهي السنة والفهم للشريعة بأن يحمل ما أمر الله ونهاه عنه قوله ثم يقول بالنصب
عطف على أن يؤتيه الله وبالرفع على الاستئناف ولكن يقول للناس كونوا ربانيين أي كاملين
في العلم والعمل والرباني منسوب إلى الرب أعني البليغ في طاعة ربه وزيادة الألف والنون للمبالغة
كما في اللحياني أي عظيم اللحية والرقباني أي عظيم الرقبة وغلظها وقال علي وابن عباس والحسن
كونوا فقهاء علماء وحكماء علماء أو فقهاء معلمين أو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره أو علماء
حلماء نصحاء لله في خلقه أي العالم يعمل بعلمه والعالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنباء
الأمة ما كان وما يكون قيل الربانيون فوق الأحبار لأن الأحبار العلماء والربانيين الذين
جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس وقال علي كرم الله وجهه الرباني هو الذي يرب علمه
بعمله وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الأمة بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون فالباء متعلقة بكونوا فالمطلوب هو الربانية المسببة عن العلم
والمعنى كونوا ربانيين بسبب كونكم معلمين أو عالمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين أي قارئين
للعلم فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
تعلمون بالتشديد من التعليم أي تعليم الكتاب لغيركم وقرأ الآخرون تعلمون من العلم لأنفسكم
ومعنى تدرسون أي تقرؤون العلم لأنفسكم وتعملون به قيل إذا لم يعمل العالم بعلمه فهو والجاهل سواء
ومن علم ودرسه ولم يعمل به فليس من الله في شيء وإنما ينسب العالم إلى الله بعلمه وعمله وطاعته
لا بالعلم وحده وقرئ تدرسون بالتشديد أي تدرسون غيركم العلم ولا يأمركم أن تتخذوا
الملائكة والنبيين أربابا أي معبودين كاتخاذ اليهود والنصارى عزيرا وعيسى وغيرهم قريش
ونصب ولا يأمركم ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى
النفي في قوله عز وجل ما كان أي ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر
باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا أو يكون لا غير مزيدة على معنى أنه ليس لمن أعطاه الله الرسالة
أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا بل ينهى عنه والاتخاذ أدنى من العبادة ورفع ولا
يأمركم الباقون على الاستئناف أي لا يأمركم الله أن تتخذوا إلخ وتوضيح المعنى في صورة زيادة
لا أي ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد
ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم أن تتخذوا إلخ وفي صورة الزيادة معناه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح

فلما

فلما قالوا أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر إلخ وقالوا قراءة الرفع أقوى لقراءة ابن مسعود ولن
يأمركم فإنه لا يمكن كونه معطوفا على يقول لامتناع دخول أن الناصبة على لن والضمير في لا يأمركم للبشر
وقيل لله وقيل لمحمد وقيل لعيسى أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون إنكار عليهم
على طريق التعجب أي لا يقول هذا يعني لا يقول بعبادة غير الله والسجدة له أي أيأمركم بعبادة الملائكة
والسجدة للأنبياء بعد كونكم مسلمين ومخلصين بالتوحيد لله فإنه لا يجمع النبوة مع هذا الأمر والضمير المستتر
في أيأمركم للبشر أو لله والخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أي للذي أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه هو على ظاهره من أخذ الميثاق لما في الآية
من قوله لتؤمنن به ولتنصرنه وإذا كان هذا حكم الأنبياء جميعا كان الأمم به أولى أي اذكر يا محمد وقت
أخذ الله ميثاق الأنبياء وأممهم وعهدهم في يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم أن يبلغ الأول
الآخر وأن يصدق الآخر يعني أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء مواثيقهم يصدق بعضهم بعضا
وينصر بعضهم بعضا يعني أنه يوصي قومه أن ينصروا ذلك النبي الذي بعث من بعده وهذا قول سعيد بن
جبير والحسن والطاوس وكثرة الروايات تدل على أن هذا الميثاق مختص بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أخرج
ابن جرير عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في
محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره بأخذ العهد على قومه ثم
تلا وإذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال
لم يبعث الله نبيا قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه إن خرج وهو حي وإلا
أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء وهكذا روي عن ابن عباس أيضا فعلى
هذا يكون الميثاق مصدرا مضافا إلى المفعول له والفاعل الآخذ للميثاق هو الله تعالى والمأخوذ منهم هم
النبيون فإذا درجات الأنبياء عليهم السلام أعلى وأشرف من درجات الأمم فإذا دلت الآية على أن
الله تعالى أوجب على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا أحياء فلأن يكون الإيمان بمحمد عليه
الصلاة والسلام واجبا على أممهم كان بطريق الأولى ويمكن أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافة إلى
الفاعل الموثق لا إلى المفعول الموثق عليه فيكون التقدير وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على
أممهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه ويمكن أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو
إسرائيل على حذف المضاف أو أن يراد من لفظ النبيين أهل الكتاب فأطلق لفظ النبيين عليهم تهكما
بهم على زعمهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا النبيون وقال بعضهم
أراد أخذ الله الميثاق على النبيين وأممهم جميعا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الأنبياء عن ذكر
الأمم لأن العهد مع المتبوع عهد على الأتباع وهذا معنى قول ابن عباس قرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام فهي
لام التعليل وما مصدرية ومعناه وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول
مصدق أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو اللام للتعليل وما موصولة والمعنى وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين لأجل الذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ الباقون بفتح اللام وتخفيف الميم فاللام في لما موطئة

Copyright © King Saud University

للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما حينئذ يحتمل ان تكون شرطية ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط معًا ويحتمل ان تكون موصولة والضمير الراجع اليها محذوف والتقدير للذى
اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما بالفتح والتشديد اى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن
ما بزيادة من فلما التقى ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها فى الميم فحذفت احدى
الميمات الثلث استثقالا ومعنى كون اللام موطئة للقسم يعنى كانها وطئت طريق جواب القسم اى سهلت
تفهم الجواب وقيل هى التى تدخل على الشرط بعد تقدم القسم لفظا او تقديرا لتؤذن ان الجواب له
لا للشرط فافهم فانه كثير الوقوع وقرا نافع واهل المدينة اتيناكم على التعظيم وقرا الاخرون بالتاء
لموافقة الخط ولقوله وانا معكم قوله ثم جاءكم معطوف على اتيتكم اى للذى اتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق وهذا العطف على ان ما موصولة من غير حاجة الى العائد لان قوله لما معكم بمعنى له او بتاويل
المصدر ليكون عطف المفرد على المفرد قال الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق على الانبياء فى امر محمد عليه السلام
حين استخرج الذرية من صلب ادم عليه السلام والانبياء فيهم كالمصابيح والسرج أأقررتم بذلك
الميثاق بتصديقه ونصره اذا خرج فالاستفهام لتثبيت الاقرار وأخذتم اى قبلتم على ذلكم الميثاق
إصري اى عهدى وعقدى الذى عقدته عليكم فى شان حبيبي محمد وسمى العهد اصرا لانه مما يؤصر
اى يشد ويعقد لان الاصر هو العهد الثقيل قالوا اى الانبياء أقررنا على ذلك وقبلنا الميثاق قال
الله فاشهدوا اى فليشهد بعضكم ايها الانبياء على بعض بالاقرار او فاشهدوا يا ملائكتى باقرار الانبياء بعضهم
على بعض وأنا معكم من الشاهدين اى وانا على اقراركم على انفسكم من الشاهدين او انا شاهد عليكم
يا معشر الانبياء مع ملائكتى على استشهاد بعضكم بعضا ثم هددهم عن الرجوع من الميثاق بقوله فمن تولى
اى اعرض عن الايمان بهذا الرسول وبالاقرار ونصرته بعد ذلك اى بعد ذلك الاقرار والتوكيد فى
الميثاق فأولئك هم الفاسقون اى المتمردون من الكفرة يعنى الخارجون عن الايمان بالله وطاعته
بنقض العهد والميثاق ولما بين فى هذه الاية ان الايمان بمحمد عليه السلام شرع او جبه الله تعالى على
جميع من مضى من الانبياء والامم ثبت ان كل من كره ذلك فانه يكون طالبا دينا غير دين الله فقال
أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بين الجملتين للانكار والمعنى
فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره اتتولون فغير
دين الله يبغون فقدم المفعول الذى هو غير دين الله لانه المقصود والاهم بالانكار على فعله قرا
ابو جعفر واهل البصرة وحفص عن عاصم يبغون بالياء بلفظ الغيبة لقوله واولئك هم الفاسقون
وقرا الاخرون بالتاء لقوله لما اتيتكم وله اى لله أسلم انقاد واخلص من في السموات
والأرض اى اهلهما طوعا من غير اباء وكرها باباء اى طائعين بالنظر فى الادلة والانصاف من
انفسهم وكارهين بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون
والاشراف على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده او مختارين كالملئكة والمؤمنين ومسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم قال الامام فى تفسيره الكبير رحمه الله الاسلام
هو الاستسلام والانقياد والخضوع اذا عرفت هذا ففي خضوع من فى السموات والارض لله تعالى

ما سوى الله ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فان كل ما سوى الله تعالى
منقاد خاضع لجلال الله تعالى فى طرفى وجوده وعدمه وهو نهاية الخضوع والانقياد وفى هذا
التفسير لطيفة اخرى وهى ان قوله وله اسلم يفيد الحصر اى وله اسلم جميع ما سواه لا لغيره فهذه
الاية تفيد ان واجب الوجود واحد وان كل ما سواه لا يوجد الا بتكوينه ولا يفنى الا بافنائه وهذا
هو الاصح عندى من بقية الاحتمالات انتهى بحروفه وإليه يرجعون قرئ بالياء والتاء اى تصيرون
الى الله فلا يقدرون على الاباء فيجازون على الاعمال قل يا محمد لاهل الكتاب ان لم تؤمنوا
آمنا اى امنت انا والمؤمنون بالله وانبيائه وما أنزل علينا والقران كما هو منزل عليه
منزل على تابعيه بتبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم
عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له وما أنزل على إبراهيم اى الصحف العشرة وإسماعيل
وإسحاق ويعقوب والأسباط اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء وعدى انزل هنا بعلى وفى البقرة بالى
لوجود المعنيين لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى
بالاخر والخطاب فى البقرة لقوله تعالى قولوا امنا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء والى
امتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى وللامة ضمنا فكان اللائق به على لان الكتب منزل عليهم
لا مشاركة للامة فيه الا بواسطة النبى ولهذا السر قال الله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا
وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ ايثار الايتاء
على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى كما ذكر فى
البقرة الايتاء ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايتاء هنا حيث قال لما اتيتكم والنبيون من عطف
العام على الخاص اى وما اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من المعجزات والكتب
لا نفرق بين أحد منهم بالتصديق والتكذيب كما فعلت اليهود والنصارى فانما امنوا
ببعض دون بعض ونحن له اى لله مسلمون اى منقادون او مخلصون فى عبادته يعنى
لا نجعل له شريكا فى عبادة انفسنا ومن يبتغ غير الإسلام دينا نزل فى شان حارث
ابن سويد واصحابه من المرتدين وكانوا عشرة او اثنى عشر رجلا رجعوا عن الاسلام فى المدينة
ولحقوا بمكة كفارا ورجع الى الاسلام واحد منهم وهو حارث بن سويد وحسن اسلامه وقال
ابن عباس والحسن بن ابى الحسن نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا ببعث النبى وامنوا به
فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به وقال النقاش فى تفسيره نزل فى ابن ابيرق اى ومن
يطلب سوى دين الاسلام دينا يعنى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه ذلك
وهو في الآخرة من الخاسرين اى من الذين وقعوا فى الخسران يعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها
واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان الايمان غير الاسلام لكان غير مقبول والجواب
ان قوله تعالى فلن يقبل منه ينفى قبول كل دين يباين الاسلام والايمان وان كان غير الاسلام لكن
دين الايمان دين الاسلام بل هو بحسب الذات وان كان غيره بحسب المفهوم قال الامام فى

Copyright King Saud University

تفسير الكبير اعلم ان ظاهر هذه الاية يدل على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غير الاسلام لوجب ان
لا يكون مقبولا لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الا ان ظاهر قوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا يقتضي كون الايمان مقابلا للاسلام ووجه التوفيق بينهما ان تحمل
الاية الاولى على العرف الشرعي والاية الثانية على الوضع اللغوي انتهى كلام الامام والحاصل ان النزاع
لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان
اريد الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله
تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وكيف لفظه
استفهام ومعناه جحد اي لا يهديهم الله او كيف يهديهم في الاخرة الى الجنة او الثواب مع حبط الاعمال
فهو استبعاد لان يهديهم الله فان المائل عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الهدى
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد مع انها مقبولة باجماع الامة وشهدوا
ان الرسول حق قوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل كانه قال من بعد ان امنوا
وشهدوا وهذا العطف انما يصح بحسب المعنى دون اللفظ لامتناع عطف الفعل على الاسم او الجملة على المفرد
وقيل ان قوله وشهدوا حال من ضمير كفروا باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا وهو على الوجهين دليل على ان
الاقرار باللسان وحده خارج عن حقيقة الايمان ضرورة ان المعطوف يغاير المعطوف عليه والكفر المقيد
بالشهادة بعد الايمان غير الايمان قال السلطان ونظيره فاصدق واكن فانه عطف اكن وهو مجزوم
على فاصدق وهو منصوب بتقدير ان لانه قد يكون مجزوما عند عدم الفاء كانه قيل لولا اخرتني الى
اجل قريب اصدق واكن من الصالحين فهو من قبيل العطف على المحل كما اجاب الخليل لسيبويه حين سأله
عنه يعني قال الخليل لسيبويه واكن مجزوم لا منصوب لان اصدق يكون مجزوما حين لا فاء وهو في
كلامهم شايع وجاءهم البينات اي الشواهد كالقران وساير المعجزات على صدق النبي عليه السلام
قال الامام في التفسير الكبير استعظم الله تعالى كفر هؤلاء المرتدين بعد حصول هذه الخصال
الثلث لان مثل هذا الكفر يكون كالمعاندة والجحود وهذا يدل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل
والله لا يهدي القوم الظالمين الكافرين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع
الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه يعني لا يهديهم ما داموا مختارين الكفر على الاسلام
ومقيمين على ذلك او لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا نعوذ بالله من ذلك اولئك مبتدأ
اشارة الى المذكورين الموصوفين بالصفات الشنيعة جزاؤهم مبتدأ ثان وخبره ان عليهم
لعنة الله اي سخطه وطرده ولعنة الملئكة والناس اجمعين والتقدير ان لعنة الله
استقر وثبت عليهم ولعنة من يعتد بلعنته من خلقه ودلالة مفهومه على عدم استقرار
اللعن على غيرهم لا على عدم جوازه في حق غيرهم فالمراد بالناس المؤمنون ويجوز ان يراد العموم
لان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عن الحق ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها اي في
اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون اي لا يمهلون عليهم ساعة ولا يمهلون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر

رحمة

رحمة ثم استثنى التائبين من الكفر والردة والمعصية بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك
اي الا الذين رجعوا الى الاسلام بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا من اعمالهم ودخلوا في
الصلاح بالتوبة والعمل الصالح ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى دخلوا في الصلاح واعلم ان
الله ذكر الاصلاح بعد التوبة وعطفه عليها ليعلم ان مجرد الندم على ما مضى من الارتداد والعزم
على تركه في الاستقبال غير كاف بل لا بد من تدارك لما اخلوا به من الحقوق فان الله غفور
يقبل توبته رحيم يتفضل عليه بعد التوبة والاصلاح وقيل انها نزلت في الحارث بن سويد
كما ذكرنا وذلك حين ندم على ردته فارسل الى قومه بالمدينة ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا بمحمد
عليه السلام بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد
عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب
المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم اي اذا غرغروا او ماتوا
كفارا او لانهم لا يتوبون ولا يوفقهم الله لذلك او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم
توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه اي لم يعن انه ذكر في هذه الاية
انه لو كفر مرة اخرى بعد التوبة فان تلك التوبة الاولى تصير غير مقبولة وتصير كانها لم تكن
وانما قلنا او لانهم لا يتوبون او لا يتوبون اذا اشرفوا على الهلاك يعني انما حملنا الكلام على غير
ظاهره لئلا يلزم التناقض فان الاولى اثبتت قبول توبة المرتد والثانية عدم قبولها فلا
بد من المصير في الثانية على خلاف الظاهر لئلا يتوهم انه لا يقبل توبتهم وان تابوا واولئك
هم الضالون اي الثابتون على الضلال والواو للحال اي لن تقبل توبتهم في حال كونهم على ضلال
الذي هم ثابتون عليه كاملون فيه لكون توبتهم نفاقا وان اريد بهم اليهود فكذلك ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
اي قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها وذهبا نصب على التمييز والتمييز في قوله ولو افتدى به
قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وادخل الفاء في قوله فلن يقبل من احدهم للايذان
بان الكلام مبني على الشرط والجزاء يعني لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل
الفاء ههنا بخلاف قوله في الاية التي قبلها يعني لن تقبل توبتهم فان عدم قبول التوبة ليس
مسببا عن الكفر والارتداد لان التوبة تقبل عن الكافر والمرتد فلهذا تركت منه وفي هذه الاية
الموت هو سبب امتناع قبول الفدية فان قيل الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا اصلا فكيف معنى
ولو افتدى به قلت معناه انهم اذا ماتوا على الكفر فلو انهم كانوا قد انفقوا في الدنيا اموالا كثيرة
لا تنفع ولا تكون مقبولة او على سبيل الفرض والتقدير ان الكافر يوم القيمة لو قدر على اعز الاشياء
ثم قدر على بذله في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من العذاب والمقصود

Copyright © King Saud University

الجزء الرابع

انهم آيسون من تخليص النفس من العذاب ومعنى قوله ولو افتدى به اى فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملأ الارض ذهبا او معطوف على مقدر تقديره فلن يقبل من احدهم ملأ الارض
ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله
ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ
واحد والواو فى ولو افتدى به لتحقق حكم السابق على تقدير الشرط وعدمه وقيل ان الواو
للحال او لبيان التفصيل بعد الاجمال لان قوله فلن يقبل يحتمل وجوها فنص على نفى القبول بجهة
الفدية اولئك لهم عذاب اليم مبالغة فى التحذير والاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما
يعفى عنه العذاب تكرما وقد نص عليهم بالعذاب وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب
او تخفيفه عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول لاهون اهل النار عذابا
يوم القيمة لو ان لك ما فى الارض من شئ أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون
من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيئا فابيت الا ان تشرك بى قوله لن تنالوا
البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى
والجنة او ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا اى تصدقوا مما تحبون اى من المال او ما يعمه
وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله فمن اراد البر
فلينفق بعض محبوباته ومن اراد البار فلينفق جميع ما يحبه ويقال اذا كنت لا تصل الى البر
الا بانفاق محبوبك فمتى تصل الى البار وانت تؤثر حظوظك نعم ما قال تا جان ندهى بوصل
جانان نرسى وهى فى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرا بعض ما تحبون وفيه اشارة
الى ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه اذ يقول الله والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وعن ابن عباس ان المراد منه الزكاة وقال
مجاهد والكلبى ان هذه الآية نسخت آية الزكاة وقال الحسن كل انفاق يبتغى به المسلم وجه الله
حتى التمرة ينال بها هذا البر قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى
البر وان البر يهدى الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب صديقا
واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال عطاء معناه لن تنالوا شرف الدين
والتقوى حتى تتصدقوا وانتم اصحاء اشحاء واخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن انس قال
كان ابو طلحة اكثر انصارى بالمدينة نخلا وكان احب امواله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة
المسجد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت هذه الآية قال
ابو طلحة يا رسول الله ان الله يقول لن تنالوا البر الآية وان احب اموالى الى بيرحاء بفتح الباء
وكسرها وبفتح الراء وضمها فى المد فيهما والقصر وفى المغرب انها بستان لابى طلحة بالمدينة
مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والآن وراء السور من ناحية سيدنا زكى وبين البضاعة
وقيل بيرحاء اسم قبيلة وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله

حيث

حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وانى ارى
ان تجعلها فى الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة فى اقاربه وبنى
عمه فعلم من هذا ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وايضا لما تصدق
زيد بن حارثة بفرسه فقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم واعطى لاسامة لابنه وقال ابن الخطيب
حمل هذه الآية مخصوصة بايتاء المال على سبيل الندب وقال السلطان ان الآية تعم الانفاق
الواجب والمستحب وههنا لطيفة وهى ان الله تعالى قال فى سورة البقرة ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملئكة والكتاب الآية وقال هنا لن تنالوا البر الآية والمعنى انكم ان فعلتم
ذلك المتقدم كله لا تفوزون بالبر حتى تنفقوا مما تحبون وذلك يدل على ان الانفاق من افضل
الطاعات وما تنفقوا ما شرطية جازمة لتنفقوا ومن فى من شئ لتبيين ما تنفقوا
والمعنى من اى شئ كان الانفاق طيب تحبونه او خبيث تكرهونه وقوله فان الله به عليم
تعليل لجواب الشرط واقع موقعه والمعنى اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل
شئ تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب فى انفاق الجيد
والتحذير من انفاق الردى كل الطعام اى كل المطعومات والمراد اكل المطعومات الطعام اسم
لما يؤكل كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب على نفسه
كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا بالفتح والقصر فنذر ان شفى لم ياكل احب الطعام اليه
وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج بهذا القيل من جوز
للنبى ان يجتهد ولمانع الاجتهاد ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء وان التحريم كان
فى شرع يعقوب عليه السلام كالنذر فى شرعنا لوجوب الوفاء بذلك وهيهنا ترجم ابن
ماجة فى سننه دواء عرق النسا وروى بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول شفاء عرق النسا الية شاة تذاب ثم تجزى ثلثة اجزاء ثم يشرب على الريق فى
كل يوم جزء وفى رواية عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرق النسا يؤخذ
الية كبش عربى لا صغير ولا كبير فيقطع صغارا فتخرج اهالته فيقسم ثلثة قسم فى كل يوم على
الريق قال انس فوصفته لاكثر من مائة فبرؤا باذن الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان
اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على دين ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم
الابل والبانها وانت تاكلها فلست انت على ملة ابراهيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل كان ذلك
حلالا لابراهيم فقالوا كل ما نحرمه كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله تعالى
ردا على اليهود كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان
تنزل التورية يعنى ليس الامر على ما قالوا كذبا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابراهيم بل كان
الكل حلالا له ولبنى اسرائيل وانما حرمها اسرائيل على نفسه قبل نزول التورية يعنى ليست فى التورية
حرمتها بل قال اسرائيل ان عافانى الله من هذه العلة والمرض فانى لا آكله ولا ياكله لى ولد ولم
يكن محرما عليهم فى التورية على ما قال عطية وانما حرم عليهم بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين

Copyright © King Saud University

هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى
ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ظلما عظيما
حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وفي رواية انما حرموه على انفسهم
اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله فقال قل يا محمد لهم فأتوا بالتوراة ليتبين
صدق قولكم فاتلوها ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق
به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه
فلم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وفيه دليل بين على نبوة النبي وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه
فلما بهتوا بسبب افترائهم على الله قال الله فمن افترى على الله الكذب اي اخترعه
على الله وابتدعه بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم يعني بزعمهم
انه كان محرما في ملة ابراهيم ونوح من بعد ذلك اي من بعد اظهار الحجة بان التحريم انما كان
من جهة يعقوب على نفسه لا على عهد ابراهيم ونوح عليهم السلام فاولئك هم الظالمون
اي المفرطون في الظلم والعدوان لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعدما وضح قل صدق الله
في جميع اخباره وفيما اخبر به بان تحريم ما ذكر حادث بعد ابراهيم وفيه تعريض بكذب اليهود
اي ثبت ان الله صادق في قوله كل الطعام كان حلا الاية وانتم الكاذبون يا معشر اليهود فثبتت عليكم
الحجة ولزمتكم اتباع ملة ابراهيم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا لان في
اتباع ملة ابراهيم اتباع نبينا لما فقتهما في اكثر الشرايع والاحكام يعني فاتبعوا ملة الاسلام حنيفا
مخلصا في اسلامه مستقيما في سبيله لان ملة الاسلام التي عليها محمد وامته هي في الاصل ملة ابراهيم
او مثل ملته وامرهم بالاتباع حتى تخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث
اضطرتكم الى التحريم والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله
لابراهيم ومن تبعه قال الامام المقصود من الاية بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم في
الاصول والفروع وما كان من المشركين اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فقد يؤول كان مقدم
في الاعتبار وفيه تعريض بشرك اليهود وكفرهم واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف
والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط ان اول بيت وضع للناس اي
وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله ان اول بيت وضع للناس قال كانت البيوت
قبله ولكنه كان اول بيت وضع لعبادة الله تعالى وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان ومناسبة
هذه الاية لما قبلها هو ان اليهود طعن في نبوة النبي لما حول الى الكعبة وقال ان بيت المقدس افضل
من الكعبة واحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة وهو ارض المحشر وقبلة جميع الانبياء فنزلت ان
اول بيت او لما قال اليهود والنصارى نحن على ملة ابراهيم فبين الله كذبهم في هذه الاية من حيث
ان حج الكعبة كان ملة ابراهيم وهم لا يحجون للذي ببكة خبران اي للبيت الذي ببكة وهي لغة
في مكة قال اكثر المفسرين مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد الحرام لقوله تعالى للذي ببكة قد

على ان البيت مظروف بكة فلو كان بكة اسما للبيت لبطل كون بكة ظرفا وقيل بكة موضع المسجد
ومكة البلد من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها او من بكه اذا دقه اي ضرب عنقه فانها
تبك اعناق الجبابرة اذا ارادوا استهانة البيت كاصحاب الفيل واما اشتقاق مكة فانه من الامتكاك
لانها تمتك الذنوب اي تزيلها كلها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة كما في حديث الصحيحين
وفي حديث انه اول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض زبدة بيضاء فدحيت
الارض من تحته وفي تفسير القفال ان وضع البيت وحرمتها يوم وضع الشمس والقمر وقيل
اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم حي من اليمن ثم العمالقة ثم قريش وقيل
هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت
يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الاية لان المقصود من سوق الاية
تفضيل الكعبة على بيت المقدس دفعا لشبهة اليهود او لان موضع التشريف هو تلك الجهة
المعينة والجهة لا يمكن رفعها الى السماء الا يرى ان الكعبة والعياذ بالله لو نقل احجارها الى محل اخر
لم يكن له شرف بحيث يكون قبلة للناس ويبقى شرف كونها من اجزاء كانت في تلك الجهة ويكون شرف
تلك الجهة باقيا بعد رفع الاحجار والاخشاب والتراب ويجب على كل مسلم ان يصلي الى تلك الجهة
بعينها الآن يقال بان المرفوع كان من اشياء الجنة وبقي شرف الجهة من حيث انها مكان المرفوع
ومحله والله اعلم ثم قالوا في بيان فضيلة البيت على القدس ان باني هذا البيت هو الخليل
او الملائكة وباني بيت المقدس سليمان عليه السلام والمؤسس لمسجد الاقصى يعقوب عليه السلام
روى الواحدي في البسيط عن مجاهد انه خلق الله البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي
رواية خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين بالفي سنة وان قواعده
لفي الارض السابعة السفلى وقيل في كل سماء بيت وفي كل ارض بيت بعضهن مقابل للبعض
وايضا ان الآمر بعمارة البيت هو الله تعالى والمبلغ والمهندس جبريل والتلميذ المعين اسماعيل
عليه السلام فلهذا قيل ليس في العالم بناء اشرف من الكعبة ولا ابرك مباركا كثير الخير والنفع
من الثواب وتكفير الذنوب لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله وحق اول ما افترقت
بعد ما حجبت ومباركا حال من الذي اي ذا بركة او من ضمير وضع هدى للعالمين عطف على
الحال اي سببا لهدايتهم لانه قبلتهم ومتعبدهم يصلون اليها لاجل عبادة الله ويدخلون الجنة
بذلك ولان فيها آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على
مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده
بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى من الذي او من ضمير وضع وقرأ
ابن عباس آية بينة على الواحد اراد به مقام ابراهيم وحده وقرأ الآخرون آيات بينات بالجمع ومن
الاية ان الغيث اذا كان من ناحية الشام مثلا كان الخصب بالشام واذا عم الغيث البيت كان الخصب

في جميع البلدان مقام ابراهيم اي الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند بناء البيت مبتدأ محذوف
خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان للآيات
على ان المراد بالآيات المقام نفسه ووحده لاشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر القدم
في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض يعني خصها الله
بالالانة من بين الصخار وابقائه دون ساير آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة
الاعداء الوف سنة آية مستقلة ومن الآيات قلة ما يجتمع من حصى الجمار فيه فانه منذ الاف سنين
وقد يبلغ من يرمي في كل سنة خمسمائة الف انسان كل واحد منهم سبعين حصاة ثم لا يرى هنالك
الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي ترمى اليه الجمرات مسيلا او مهب
رياح شديدة ولو اخذها السيل لكانت تسد الطرق والوادي ولكن جاء في الآثار من قبلت حجته
رفعت جمراته الى السماء وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من
رفع الحجارة فغاصت فيه ومن لان لله لان له كل شيء وقيل معناه فيه آيات بينات مقام
ابراهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام ابراهيم جميع الحرم ومن
دخله كان آمنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لان معناه ومن
الآيات البينات مقام ابراهيم وامن من دخل البيت او الحرم وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام
حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا اي من النهب والغارة وقال الله تعالى الم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقوله رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من
خوف فكيف يكون بدلا من الآيات التي هي جمع آية قلنا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الاثنان فما فوقهما جماعة وقال صاحب اللباب في تفسيره الثالث عند قوله ولله على الناس
حج البيت انا قد اشرنا ان المقام وان كان مفردا لفظا الا انه يشتمل على آيات كثيرة فكان بمنزلة
الآيات وايضا هذا من باب الطي وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعض الجمع لغرض من المتكلم
نحو قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة رواه
احمد والنسائي وغيرهما ذكر اثنين وهما الطيب والنساء وطوى ذكر الثالث لغرض له عليه
السلام في ذلك وفي المدارك وغيره قوله قرة عيني في الصلاة ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام
لانها ليست من الدنيا وكانه عليه السلام ترك الثالث تنبيها على انه لم يكن من شانه ان يذكر
شيئا من الدنيا فذكر شيئا من الدين ولان في ذكر المقام وامن الداخل غنية عن غيرهما من
الآيات في الدارين منها بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام
من مات في احدى الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وقال صلى الله عليه وسلم من دخل البيت دخل
في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له واخرج ابن المنذر عن عطا قال من مات في الحرم
بعث آمنا يقول الله ومن دخله كان آمنا واخرج البيهقي في الشعب عن سلمان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين استوجب شفاعتي وجاء يوم القيمة من
الآمنين وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

على

على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم
كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم
في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما
وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وقال عليه السلام من زارني محتسبا الى المدينة
كان في جواري يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يصبر مسلم على لاواء المدينة
وشدتها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان
يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها رواه احمد وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة قبة
الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم اهل المدينة
فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم
من آذى اهل المدينة آذاه الله تبارك وتعالى رواه الطبراني وقال صلى الله عليه وسلم من ترك مالا فلاهله
ومن ترك عيالا فلي من قبلي وقال صلى الله عليه وسلم لكل احد عيال واهل المدينة عيالي وفي الصحيحين
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فان من مات بها كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة وفي
رواية فانه من يمت بها اشفع له واشهد له وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه
الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم آتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين
وفي حديث اول من اشفع له من امتي اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطايف واكثر هذه الاحاديث
ذكره السيوطي في تفسير هذه الآية قال الامام لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت
وضع للناس موجودة في جميع الحرم ثم قال ومن دخله كان آمنا وجب ان يكون مراده جميع الحرم
واجمعوا على انه لو قتل احد احدا في الحرم فانه يستوفى القصاص منه في الحرم وانما الخلاف
فيما اذا اوجب القصاص عليه خارج الحرم ثم التجأ الى الحرم كما يلتجي في بلدنا الى المواجهة الشريفة فهل
يستوفى منه في الحرم فقال الشافعي رضي الله عنه يستوفى فيه واحب البقاع الى الله تعالى ما يؤدى
فيه فرايض الله وحدوده ولقوله عز وجل ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون وقال
ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لا يستوفى بل يمنع منه الطعام والشراب
والبيع والشراء والكلام حتى يخرج ثم يستوفى منه القصاص وفي المدارك وكان الرجل في الجاهلية لو
جنى كل جناية ثم التجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب
ما مسسته حتى يخرج وقيل المراد من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان آمنا كما قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقال الضحاك من حج
كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك وقال الحسن وغيره هذا امن من دخله
ضعف حال كانت في الجاهلية اذا دخل احد الحرم امن فلا يعرض له فاما في الاسلام فان
الحرم لا يمنع من حدود الله وهذا قول اكثر المفسرين قال البغوي رحمه الله اخذ ابو حنيفة
رحمه الله بقول ابن عباس رضي الله عنهما وقيل معناه من دخله معظما له متقربا الى الله
تعالى كان آمنا يوم القيمة من العذاب واما من دخل الحرمين ويعمل فيهما ما لا يليق بهما من هتك

Copyright © King Saud University

حرمتهما ثم يتشهد بالاساة على نفسه وعلى الحاضرين ليفرحوا بالمجاورة مع ما هم عليهم من المخالفات
رافعا بذلك صوته اللهم انا جيران بنيك او بيتك فتجاوزعنا وان اسانا فهو صحيح لا بقاع
العوام فى الفتنه لقناعتهم بالمجاورة مع المخالفة وان كان الداعى صادقا فليدع بذلك فى قعر
بيته ويبكى على مخالفته وعنه صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت
منه جهنم مسيرة مايتى عام الظاهر ان يصبر لطاعة اسكنا لا يخفى ولله على الناس حج البيت
بفتح الحاء وبالكسر بمعنى القصد اى استقر لله على الناس فرض حج بيته اى قصده للزيارة على الوجه
المخصوص واحتجوا بهذه الاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام لان ظاهر قوله تعالى ولله
على الناس حج البيت يعم المومن والكافر وعدم الايمان لا يصلح معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهرى
مكلف بالايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام مع ان الايمان بالله الذى هو شرط صحة الايمان بمحمد
عليه السلام غير حاصل فلم يكن عدم الشرط مانعا من كونه مكلفا بالمشروط فكذا ههنا من
استطاع اليه سبيلا اى طريقا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره وهو يويد قول الشافعى رحمه الله انها بالمال ولذلك اوجب
الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله انها بالبدن فيجب على
من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله انها بمجموع الامرين اى بالمال والبدن
والضمير فى اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشئ فهو سبيله وروى انه لما نزل ولله على
الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا فامنت به ملة واحدة اى هم المسلمون وكفرت به خمس ملل اى المشركون من العرب والنصارى
واليهود والمجوس والصابيون قال القرطبى دل الكتاب والسنة على ان الحج على التراخى وهو
قول مالك والشافعى ومحمد بن الحسن ويوسف فى رواية عنه وذهب بعض المتاخرين من المالكية
الى انه على الفور وهو قول داود والصحيح هو الاول لان الله قال فى سورة الحج واذن فى الناس بالحج
ياتوك رجالا وسورة الحج مكية وقال هنا ولله على الناس حج البيت وهذه السورة نزلت عام
احد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة ولم يحج رسول الله عليه الصلاة والسلام الى سنة عشر
واجمع العلماء على ترك الحج تفسيق القادر على الحج اذا اخره عامين ولما قال اهل الملل لا نومن
بذلك ولا نصلى اليه ولا نستقبله نزل قوله تعالى ومن كفر بالله او بما فرضه عليه من الحج
فان الله غنى عن العالمين اى عن من حج وعن من لم يحج اى ان الله غنى عنهم وعن الانس والجن
والانبياء والملئكة وعن طاعتهم ولو شاء لم يخلقهم ولا يجب على الله شئ فهو فعال لما يريد واعلم
ان الله قد اكد امر الحج فى هذه الاية بوجوه منهـا قوله ولله على الناس حج البيت اى انه حق واجب
لله فى رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته وانه اوجب عليهم بصيغة الخبر اى
قال ولله الحج دون حجوا بصيغة الانشاء فان رحمه الله بصيغة الخبر ابلغ واكد من يرحمه الله
بصيغة الانشاء ومنهـا قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنهـا
ذكر الاستغناء وذلك هنا يدل على المقت والغضب والخذلان ومنهـا قوله عن العالمين

دون

دون عنه لما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله
الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على السخط الذى وقع عبارة عنه
فاصل الكلام ومن كفر فان الله ساخط عليه ولهذا التاكيد قال صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه مرض حابس او سلطان جاير او حاجة ظاهرة فليمت على اى
حال شاء يهوديا او نصرانيا وقال سعيد بن جبير ان مات جار لى وله ميسرة ولم يحج لم اصل
عليه قال القفال المراد منه التغليظ اى قارب الكفر وعمل ما يعمله من كفر بالحج قال اهل
الاشارة رحمهم الله فى قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت اى حج البيت فرض على اصحاب
الاحوال وحج رب البيت على ذوى الالباب فرض وقد ينسد الطريق الى البيت ولكن لا ينسد الطريق
الى رب البيت ولا يمنع فقير للمال عن رب المال فشتان بين حج وحج قيل ان رجلا جاء الى
الشبلى فقال له الى اين فقال الى الحج فقال هات غرارتين فاملوهما رحمة والبسهما وجئ بهما لكون
حظنا من الحج نشرهما على من حضر وجئ بهما من زار قال فخرجت من عنده فلما رجعت اليه
قال لى احججت قلت نعم قال ايش عملت قلت اغتسلت واحرمت وصليت ركعتين ولبيت فقال
لى عقدت به الحج قلت نعم قال فسخت بعقدك كل عقد عقدت منذ خلقت مما يضاد هذا
العقد قلت لا قال فما عقدت قال ثم نزعت ثيابك قلت نعم قال تجردت عن كل فعل فعلته قلت
لا قال ما نزعت قال ثم تطهرت قلت نعم قال ازلت عنك كل علة بطهرك قلت لا قال ما تطهرت قال
ثم لبيت قلت نعم قال وجدت جواب التلبية مثلا بمثل قلت لا قال ما لبيت قال ثم دخلت الحرم قلت
نعم قال عهدت بدخولك ترك كل محرم قلت لا قال ما دخلت الحرم قال اشرفت على مكة قلت نعم قال
اشرف عليك من الله حال باشرافك قلت لا قال ما اشرفت على مكة قال دخلت المسجد الحرام قلت
نعم قال دخلت فى قربه من حيث علمته قلت لا قال ما دخلت المسجد الحرام قال رايت الكعبة قلت
نعم قال رايت ما قصدت له قلت لا قال ما رايت الكعبة ووقع بينهما السوال والجواب الى ان تم مناسك
الحج وقال الشبلى لما دخلت على الشيخ الحصرى رحمه الله ببغداد قال لى احاج انت قلت انا تابع القوم
فقال لى اليس فرايض الحج اربع الاحرام والدخول فيه بلفظ التلبية قلت نعم قال التلبية اجابة قلت
بلى قال والاجابة من غير دعوة سوء ادب قلت نعم قال فتحققت الدعوة حتى تجيب ثم الوقوف قلت
نعم قال فاجهد فيه فانه محل المباهات انظر كيف يكون والطواف وهو محل القربة من الحق فيكون
قربك منه بحسن الادب ثم السعى وهو محل الفرار اليه بالتبرى مما سواه فاياك ان تتعلق بعد سعيك
بعلاقة من الدارين وما فيهما قل يا اهل الكتاب اراد به شاس بن قيس المفتان بين الاوس و
الخزرج لم تكفرون بايات الله اى بالقران او باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق
محمد عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان
كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم يومنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد
على ما تعملون اى انه مطلع وشهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله اى لم تمنعون وتصرفون بتغييركم صفة محمد

Copyright King Saud University

صلى الله عليه وسلم عن دين الله الحق والصراط المستقيم المامور بسلوكه وهو الاسلام والحج من امن
اى صدق بالاسلام والحج يريد انا بوافى بنوته تبغونها اى تطلبون السبيل عوجا اى باغين
طالبين لسبيل الله اعوجاجا وميلا عن الحق والاستقامة اى مائلة عن الحق والاستقامة بتلبيسكم
اياها على الناس حتى توهموهم ان فيها اعوجاجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وتغييركم صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها وبان تحرشوا بين المومنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم
وانتم شهداء اى عالمون بان الدين المرضى هو القيم دين الاسلام كما فى كتابكم يعنى وانتم شهداء
ان فى التوراة مكتوب بانعت محمد صلى الله عليه وسلم وان دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام ولما
كان المنكر فى الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان فى هذه
الاية صدهم المومنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال الله تعالى وما الله بغافل
عما تعملون من القاء الفتنة بين المسلمين اى بين الاوس والخزرج لانهم ذكروهم ما بينهم فى الجاهلية
من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله واحتالوا لصدهم عن سبيل الله اى عن الاسلام كما ستسمع
تفصيل حيلهم على المسلمين يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين اخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو
الشيخ عن زيد بن اسلم قال مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا فى الجاهلية عظيم الكفر
شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الاوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وجماعتهم
وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع
ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملأهم بها من قرار فامر فتى شابا
من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم
بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى
تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظى احد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بنى
سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان جذعة
وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة
فخرجوا اليها وانضمت الاوس بعضها على بعض والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التى كانوا
عليها فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من اصحابه
حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ هداكم الله
الى الاسلام واكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم من الكفر والف به بينكم ترجعون
الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم لهم فالقوا السلاح
من ايديهم وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين
قد اطفأ الله عليهم كيد عدو الله شاس وانزل الله فى شان شاس بن قيس وما صنع قل يا اهل

٤

سورة ال عمران

١ اهل الكتاب لم تكفرون الى عما تعملون ونزل فى شان اوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما
من قومهما يا ايها الذين امنوا الى كافرين وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول صلى الله
عليه وسلم بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم الاحقاء بان يخاطبهم
الله عز وجل ويكلمهم وكيف تكفرون استفهام تعجب وتوبيخ وانتم تتلى عليكم ايات الله
وفيكم رسوله استفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع يعنى كيف يوجد منكم الكفر مع وجودهما
الحالتين فانهما داعيتان للايمان صارفتان عن الكفر ومن يعتصم بالله اى من يتمسك بربه فى
مراده لان الاعتصام بالشئ التمسك به لقصد الامتناع به عما يضره وذلك متعذر فى حق الله تعالى
وفسر العلماء هكذا اى ومن يتمسك بدين الله او كتابه او يلتجئ الى الله فى مجامع اموره فقد هدى
الى صراط مستقيم اى فقد حصل له الهدى لا محالة يعنى فقد ارشد الى الدين الحق ووفق
له ثم اكد النهى عن طاعة المشركين واشار فى ضمنه الى معنى الاعتصام فقال يا ايها الذين امنوا
٢ اتقوا الله تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف بعد تشريف والاتقاء فرط الصيانة
حق تقاته اى حق تقواه اى خوفه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب
والاجتناب عن المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال ابن مسعود هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن
توقع المجازاة عليها وقيل هو ان لا تاخذ فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط والعدل ولو على
نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه واكثر المفسرين ان
قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم بيان لقوله فاتقوا الله حق تقاته وليس بناسخ لذلك لان معنى
حق تقاته بان يمتثل جميع ما امره الله ويجتنب عن جميع ما نهى الله عنه ويلزم من النسخ اباحة
بعض المعاصى والتهاون بالطاعة وقال بعض المفسرين نقلا عن ابن عباس فلما نزلت هذه
الاية شق ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله فاتقوا الله ما استطعتم
فنسخت اول هذه الاية اى فاتقوا الله حق تقاته ولم تنسخ اخرها اى قوله ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم وابن المنذر والنحاس فى ناسخه من طريق على
عن ابن عباس رضى الله عنهم فى قوله اتقوا الله حق تقاته قال لم تنسخ ولكن حق تقاته ان
يجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تاخذهم فى الله لومة لائم ويقوموا بالقسط ولو على انفسهم و
اباءهم وابنائهم كما اشرنا فعلى هذا معنى فاتقوا الله حق تقاته ومعنى فاتقوا الله ما استطعتم شئ
واحد لان من اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقاته لان حق تقاته ما يستطاع من التقوى
لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها والوسع دون الطاقة والذى يصدر عن الانسان سهوا او
نسيانا فغير قادح فى رواية ابن مسعود لان التكليف مرفوع عنه واصل تقاة وقية فقلبت الواو
المضمومة تاء كما فى تودة وتخمة ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى ولا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت وقيل وانتم مسلمون اى مومنون او مخلصون مفوضون
امورهم الى الله او المحسنون الظن بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اتقوا الله

Copyright King Saud University

حق تقاته الاية فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرّت على اهل الدنيا معيشتهم
فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ اى تمسكوا بدينه الاسلام
او بكتابه او بجهدكم لقوله صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي عجايبه ولا يخلق
عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم
فلفظ الحبل مستعار لدين الاسلام او للقران لان كل واحد منهما يشبه الحبل في كونه سببا للنجاة عن الردى
والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان يزلق رجله فيه فاذا تمسك بحبل مشدود
الطرفين بجانبي ذلك الطريق امن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة الرب تعالى
طريق مزلق ودواعي الضلال عنها متكثرة زلق رجل كثير من الخلق فيها فمن اعتصم بالقران العظيم
وبقوانين الشرع القويم فقد هدى الى صراط مستقيم وامن من الغوايا المؤدية الى نار الجحيم كما يامن المتمسك
بالحبل من العذاب الاليم واخرج ابن ابي شيبة عن ابن ابي شريح الخزاعي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان هذا القران سبب طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن
تهلكوا بعده ابدا وقال صلى الله عليه وسلم في خطبته اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني
رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله
وخذوا به واهلي اذكركم الله في اهل بيتي فلفظ الاعتصام ايضا مستعار اما للدين او القران
للوثوق بالدين او القران والاعتماد عليه ثم سرت الاستعارة الى المشتق وهو اعتصموا والمعنى
اجتمعوا واتفقوا على الاعتماد والاتباع لما هو بمنزلة الحبل لكم وهذه الاستعارة باعتبار معناها
الاصلي الحقيقي كانت ترشيحا للاستعارة الاولى لكون الاعتصام الحقيقي من ملايمات الحبل المستعار منه
جَمِيعًا اى مجتمعين عليه حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا بامر الله وطاعته ولا تتفرقوا كما افترق
اليهود والنصارى قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرضى لكم ثلثا ويسخط لكم ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولاه امركم ويسخط لكم قيل وقال
واضاعة المال وكثرة السوال وقيل تمسكوا بالجماعة وهو قول ابن مسعود فانه قال ايضا عليكم
بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة
وَلَا تَفَرَّقُوا اى ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اى كاختلاف اليهود
والنصارى او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
من القول والعمل وقال القرطبي رحمه الله ليس في الاية دليل على تحريم الاختلاف في الفروع فان ذلك
ليس باختلاف اذ الاختلاف ما يتعذر معه الايتلاف والجمع واما حكم مسايل الاجتهاد فان الاختلاف فيها
سبب لاستخراج الفرايض ودقايق معاني الشرع وما زالت الصحابة مختلفين في احكام الحوادث وهم مع ذلك
متوافقون وقال عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقال ايضا من اجتهد فاصاب فله
اجران ومن اجتهد واخطا فله اجر واحد رواه الشيخان قال الشيخ واما من شتم الايمة لمسئلة
خالفه فيها فانه حسيبه ومجازيه لجنبته وشتمه لهم لا للمسئلة ثم ذكر الله نعمته التي انعمها
عليهم بتبديل العداوة السابقة الطويلة بالالفة والمحبة بسبب الاسلام واتباع الرسول وانتقاله

٤

سورة آل عمران

من مكة اليهم منة عليهم بقوله وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ اى انعامه عَلَيْكُمْ ايها الانصار اِذْ ١
كُنْتُمْ اَعْدَاءً قبل الاسلام فَاَلَّفَ جمع الله بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بالاسلام تودد فَاَصْبَحْتُمْ اى نصرتم
بِنِعْمَتِهِ اى برحمته اِخْوَانًا في الدين والولاية اى متحابين مجتمعين على الاخوة في الله هذه الاية تدل
على ان الخطاب انما هو مع الاوس والخزرج ووصف القصة مستوعب في التفسير قال بعض المشايخ
واعلم ان كل من كان وجهه الى الدنيا كان معاديا لاكثر الخلق فان الدنيا جيفة وطالبها كلاب ومن
كان وجهه الى خدمة المولى سبحانه وتعالى لم يكن معاديا لاحد لانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء
والقدر وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام وَكُنْتُمْ
يا معشر الانصار عَلٰى شَفَا اى طرف حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ يعني كنتم مشفين قريبين على الوقوع
في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فَاَنْقَذَكُمْ مِنْهَا اى خلصكم الله
بالاسلام ونجاكم بالايمان من ذلك الحفرة او النار او الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب
والجانبة كَذٰلِكَ اى مثل ذلك التبيين الواضح والبلاغ البليغ المبين اى كما بين لكم ما ذكر يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ
اٰيَاتِهِ اى دلايله وايات القران الذي فيه امره ونهيه ووعده ووعيده لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ اى لكي
تنجوا من الضلالة وتعرفوا الحق بهذه النعمة يعني ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه اى لتكونوا على
رجاء الهداية اى لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب ولما كانت الاوامر السابقة لخاصة انفسهم
اردفه باوامر متعلقة بالغير من الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ
اُمَّةٌ يَدْعُوْنَ اِلَى الْخَيْرِ اى الاسلام والايمان وَيَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ اى لتوجد
منكم امة فكان تامة وامة فاعله ويدعون في محل الرفع صفة لامة ومنكم متعلق بتكن ومن تبعيضية
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط
لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها
خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط
بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية وانما قلنا كالعلم بالاحكام لان من لا يعلم ذلك يوشك ان
يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده
الانكار الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية وكان ناقصة اى كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس فعلى هذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل الامة بقدر طاقتهم
والمعنى ولتكونوا كلكم امة يدعون جميع العالم الى الخير فيدعون الكفار الى الاسلام والعصاة الى
الطاعة هذا ما قاله الزجاج وقال البغوي شيخ المفسرين من صلة اى زايدة ليست للتبعيض
كقوله تعالى واجتنبوا الرجس من الاوثان لم يرد اجتناب بعض الاوثان بل اراد فاجتنبوا الاوثان
كلها واللام في ولتكن لام الامر اى تكونوا امة والخير الاسلام او يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او
دنيوي وهذا اشمل وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الخير من عطف الخاص الى العام للايذان
بفضله وقيل هذا محمول على انه يجب على الامراء باليد وعلى العلماء باللسان وعلى العوام بالقلب

Copyright © King Saud University

وقد اجمعوا على ان من راى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لان قبحه معلوم لكل من اهل الاسلام
وقال في جواهر الحسان الناس في الامر بالمعروف وتغيير المنكر على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه
الولاة وحملهم على جادة العلم وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم اليد وفرض ساير
الناس رفعه الى الولاة والحكام بعد النهي عنه قولا قال صلى الله عليه وسلم من راى منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وروى الامام احمد
وغيره انه صلى الله عليه وسلم سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم للرحم وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوتين برجال
يوم القيمة ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بمنازلهم من الله يكونون على
منابر من نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين يحببون الله الى الناس قيل فكيف يحببون الناس
الى الله قال يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله روى
عن بعض اصحابه ان الرجل اذا لم يستطع انكارا على ما راه فليقل ثلث مرات اللهم هذا منكر فاذا قال
ذلك فقد فعل ما عليه وذكر شيخنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره في كتابه الغنية
من شروط الامر ما يغنيك عن كثير من الكتب فراجعه وقيل من شرط الوجوب ان يغلب على ظنه
وقوع المعصية بظهور اماراتها كاعداد آلات شرب الخمر وان يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة
غليظة وان يبتدى بالاسهل فان لم ينتفع فبالاصعب وينهى الصبي والمجنون اذا راهما يضربان غيرهما
وينهى الصبي عن المحرمات حتى لا يتعود وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي
نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم قال
سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يقول يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذاب وعن نعمان بن بشير عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة
فصار بعضهم في اسفلها وبعضهم في اعلاها فكان الذي في اسفلها يمر بالماء على الذي في اعلاها
فتاذوا به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فاتوه فقالوا ما لك قال تاذيتم بي ولا بد لي من
الماء فان اخذوا على يديه انجوه ونجوا انفسهم وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم واولئك
هم المفلحون اي الداعون الآمرون الناهون هم الفايزون المخصوصون بكمال الفلاح والامر بالمعروف
يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام
والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الاخر وقد اطنبنا في هذا الباب لاقتضاء الوقت والله اعلم ولا تكونوا لما امر الله المومنين
بالدعوة الى الخير وغيرها نهاهم عن التشبه باهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما فعلوه من التفرق
والاختلاف في فهم الكتاب والقاء الشبهات في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة لها كالذين

تفرقوا

تفرقوا بالعداوة واختلفوا في التوحيد والتنزيه وانما قال من بعد ما جاءهم البينات
اي الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه ليعلم ان الاجتهاد في موضع الاجتهاد ليس
بمنكر وذكر الفعل اي ما جاءهم للفصل ولكون البينة بمعنى الدليل واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدا وقوله لهم خبره عذاب عظيم مرتفع بالظرف على
الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا والظرف خبره والجملة خبر المبتدا الاول وفيه من التاكيد
والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى واكثر المفسرين ان
الاية نزلت في اليهود والنصارى وقيل في المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم
الحرورية كلاب النار كانوا مومنين فكفروا بعد ايمانهم ثم قرا ولا تكونوا الى اكفرتم بعد ايمانكم وذكر
شيخنا عبد القادر الكيلاني قدس سره ذكر فرق الضالة في كتابه الغنية فراجعه يوم تبيض
وجوه اي وجوه كثيرة وتسود وجوه كثيرة اي وجوه المسلمين في الاول والكافرين في الثاني
على ما هو الظاهر ويوم منصوب بالظرف وهو لهم لانه ظرف للاستقرار او بعظيم او باذكر وبخوف
به المومنون لتحذيرهم عن عاقبة التفرق بعد مجي البينات وترغيبا في الدين على التمسك بالدين اي
اذكروا يوم تبيض وجوه الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف
فيه لان بياض الوجه وصفاء لونه من لوازم السرور والفرح كما ان سواده وغبرته من لوازم الحزن
والكابة فيكتفي بذكر كل واحد منهما عن ملزومه ومعنى ان المومن يستبشر بحسناته وبنعم الله و
الكافر على ضد ذلك قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة
ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك وعن سعيد بن جبير عن ابن
عباس انه قرا هذه الاية قال تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال اذا كان يوم القيمة رفع لكل قوم ما كانوا يعبدون فيسعى كل قوم الى
ما كانوا يعبدون وهو قوله تعالى نوله ما تولى فاذا انتهوا اليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن ويبقى
اهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئا مما رفع لهم فياتيهم الله تعالى فيسجد له من كان يسجد
في الدنيا مطيعا مومنا ويبقى اهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يوذن لهم فيرفعون
رؤسهم ووجوه المومنين مثل الثلج بياضا واذا نظر المنافقون واهل الكتاب الى وجوه المومنين حزنوا
حزنا شديدا فاسودت وجوههم فيقولون ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين فيقول الله
للملئكة انظروا كيف كذبوا على انفسهم فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم
على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين
اشهدهم على انفسهم يعني لما قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وايمانهم هو ذلك الاقرار او تمكنوا من
الايمان بالنظر في الدلايل والايات يعني نزلوا منزلة من امن حقيقة فجعلوا مومنين على طريق تسمية
المشارف للشي باسم ذلك الشي وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروا بقلوبهم

وقال قتادة هم اهل البدع وقال الحارث الاعور سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول
ان الرجل ليخرج من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من
اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ثم نادى
هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة فذوقوا العذاب امر اهانة وتوبيخ بما كنتم تكفرون
اى بسبب كفركم بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم او جزاء لكفركم على ان الباء للمقابلة واما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اى ففي الجنة وهي الثواب المخلد عبر عن الجنة والثواب بالرحمة تنبيها على
ان المومن وان استغرق عمره في طاعة الله عز وجل لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب
تقديم الذين ابيضت على الذين اسودت ولكن قصد ان يكون اول الكلام واخره حلية المومنين وثوابهم
هم فيها خالدون اى لا يظعنون عنها ولا يموتون يعني ان ذلك الاستغراق في الرحمة هو على سبيل
الخلود لا زوال منه ولا انتقال يعني اخرجهم مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها
فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله اى آيات القران الواردة في الوعد والوعيد نتلوها
عليك بالحق اى ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اى لا يشاء الله
ان يظلم عباده فيا خذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن اى انتفى
ارادة الظلم عنه تعالى فضلا عن الظلم اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع
عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض ملكا
وخلقا وعبيدا والى الله ترجع الامور اى اليه تصير احوال العباد في الاخرة خيرا كان
او شرا فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة اى كنتم يا امة محمد خير امة لخيريه
نبيكم دل على خيرتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ على الخيرية كقوله تعالى وكان الله غفورا
رحيما لان كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق
ولا على انقطاع طارئ والاية سيقت للمدح ولا وجه لمدح يختص بما ثبت له فيما مضى ولم يثبت له
في الحال وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين باخبار انبيائهم لهم او حين
او انتم قال عكرمة ومقاتل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي
حذيفة وذلك ان مالك بن الضيف ووهب بن اليهودا اليهوديين قالا لهم افضل منكم وديننا خير
مما تدعوننا اليه فانزل الله وقيل نزل في المهاجرين مع النبي وقيل لاصحاب النبي خاصة الرواة
والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
كنتم خير امة اخرجت للناس تكون لاولنا ولا تكون لاخرنا قال صلى الله عليه وسلم خيركم قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا ادري اذكر النبي عليه السلام بعد قرنه مرتين
او ثلثا وقال ان بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون
ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم الخ قال انكم تتمون سبعين امة انتم خيرها و

اكرمها

سورة آل عمران

واكرمها على الله تعالى اخرجت للناس اى اظهرت لهم قال ابو هريرة رضي الله عنه كنتم خير
الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقيل قوله اخرجت للناس
من صلة اخرجت معناه ما اخرج الله للناس امة خيرا من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
قوم قوله للناس من صلة قوله خير امة اى انتم خير الناس للناس وقال صلى الله عليه وسلم مثل
امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلها حتى ادخلها انا وحرمت على الامم حتى
تدخلها امتي وقال صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامة
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر والمعروف ما عرف حسنه بالشرع والعقل واقتضاء المروة والمنكر لا يكون كذلك
استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم فكانه قيل السبب في كونهم
خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية وخطاب المشافهة وان كان
خاصا بمن شاهد الوحي من المومنين لكن حكمه عام للكل كما اشرنا بانه يعم ساير امته صلى الله عليه وسلم
وتؤمنون بالله اى تثبتون على توحيده وعلى جميع ما يجب الايمان به من رسول وكتاب وبعث
وعقاب وثواب وغير ذلك فمن انكر شيئا منها فهو غير مومن بالله كما كان اهل الكتاب يؤمنون
ببعض ويكفرون ببعض واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كون الامة كلها امرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام في المعروف والمنكر للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم
على خلاف ذلك فان قيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله كانت حاصلة في ساير الامم فكيف
تكون علة الخيرية هذه الامة على ساير الامم قلنا ذهب بعض منهم فيما ذكرت ولكن مواهب الله
امر اخر وهو فعال لما يريد ولا يسال عما يفعل وايضا ان القفال قال ان سبب تفضيل هذه الامة
المحمدية على ساير الامم لان هذه الامة امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر باكد الوجوه وهو القتال لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها القتال لانه القاء
النفس في خطر القتل واعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات
الكفر بالله فلما كان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لاجل ايصال الغير الى اعظم المنافع وهو في
شرعنا اقوى منه في ساير الشرايع فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على ساير الامم وبين
ما ذكرنا ما ذكر ابن عباس في تفسير هذه الاية كنتم خير امة اخرجت للناس تامرونهم ان يشهدوا
ان لا اله الا الله ويقروا بما نزل الله وتقاتلونهم ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب هو انكر
المنكر ولو امن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي يعني لو امنوا بمحمد عليه السلام لكان خيرا لهم
اى لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اثروا دينهم على دين الاسلام للرياسة واستتباع العوام
منهم المومنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام ورهطه من اليهود والنجاشي
ورهطه من النصارى واكثرهم الفاسقون اى المتمردون في الكفر وهذه الجملة اى منهم المومنون
وما بعدها يعني لن يضروكم مع ما عطف عليه واردتان على سبيل الاستطراد لان الكلام في
ان اهل الكتاب لو امنوا لكان خيرا لهم ثم استطرد ان منهم المومنين الى اخر الجملتين لن يضروكم الا

Copyright © King Saud University

اذى اى ضرارا يسيرا كطعن فى دين قال مقاتل ان روس اليهود عمدوا الى من آمن منهم كعبد الله
ابن سلام واصحابه فاذوهم فانزل الله لن يضروكم الا اذى يعنى لا يضركم ايها المؤمنون هولاء
اليهود الا اذى باللسان وعيدا وطعنا وكلمة كفر تتاذون بها وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
اى ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر بل يجعلون ظهورهم يليكم ويهربوا الى ادبارهم ثم لا ينصرون
اى ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى الله اضرارهم سوى ما يكون بقول باطل
وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز و
الخذلان وقرى ثم لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا
بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبنى
قينقاع ويهود خيبر فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى ليسوا كذلك فالجواب انها
مخصوصة باليهود لما روى فى سبب النزول حيث قال مقاتل نزلت فى روس اليهود ضربت عليهم
الذلة اى الزمت على اليهود الهوان اى هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية
يعنى احيط باليهود الذلة من جوانبهم احاطة القبة المضروبة بما فيها وقد سبق تفسيره فى سورة البقرة
اينما ثقفوا اى حيث ما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام الا بحبل من الله اى الا بعهد
من الله بان يسلموا وحبل من الناس اى والا بامان من الناس فيؤدون اليهم الجزية
او بامان مجانا على راى الامام واجتهاده فيامنوا بذلك فالمراد بكلا الحبلين العهد والذمة
والامان فاستعير الحبل للامان يعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة احوالهم الا ان يعتصموا بذمة
الله وعهده وامان المسلمين فيامنوا وباؤا بغضب من الله اى رجعوا بالغضب مستوجبين
له يعنى صاروا احقاء بغضب الله وهو ارادة الانتقام منهم يقال باء فلان بفلان اذا كان حقيقا
بان يقتل به لمساواته وضربت عليهم المسكنة فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على
اهله واليهود فى غالب الامر فقراء مساكين عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء او خوف
الفقر قيام اليسار او يظهرون من انفسهم الفقر كيلا تضاعف عليهم الجزية كما ذكرنا فيما مضى
فى البقرة ذلك اى ما ذكر من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة كائن بانهم اى بسبب
انهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق يعنى بسبب كفرهم بالقران
ومحمد عليه السلام ورضاهم بفعل ابائهم من قتل الانبياء فكانهم قتلوهم والتقييد بغير حق مع
انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم قال الامام رحمه الله واعلم
ان هولاء المتاخرين من اليهود وان لم يصدر قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم
مصوبين لهم فى تلك الاحوال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكان ذلك كانهم فعلوا بانفسهم
فتحقق سبب الذلة والمسكنة بهذا الاعتبار ذلك اى الكفر والقتل او الغضب من الله بما عصوا
امر الله وكانوا يعتدون عن حدود الله تعالى اى يتجاوزون الحلال الى الحرام وان الاصرار على
الصغاير يفضى الى الكباير والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر ليسوا سواء فى القبائح والمساوى
اى ليس جميع اهل الكتاب متساوين متشاركين فى الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب
عليها

عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة استيناف مبين لكيفية
عدم تساويهم والقائمة المستقيمة العادلة الثابتة على الحق كعبد الله بن سلام واصحابه او المسلمين
منهم مطلقا والمذمومة منهم قد ذكرناهم مرارا او ترك المذمومة بناء على ان ذكر احد الضدين
يغنى عن ذكر الضد الاخر روى ابن عباس ومقاتل انه لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه
قالت احبار اليهود ما آمن لمحمد الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين ابائهم لقد كفروا وخسروا
فانزل الله هذه الاية لبيان فضلهم يتلون صفة ثانية لامة والصفة الاولى قائمة اى تالون
آيات الله اى القران آناء الليل اى فى ساعاته يعنى فى تهجدهم بدليل وهم
يسجدون اى يصلون فى جوف الليل لان التلاوة لا يكون فى السجود عبر عن صلوة التهجد بالتلاوة
فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابلغ وابين فى المدح لما فيه من التفصيل لما هو العمدة فى الصلاة
من القراة والسجود والتعبير الصريح عما هو فى نفسه من محاسن الاعمال والطاعات وعما به تميز
صلاتهم عن صلاة اهل الكتاب وفى الحديث ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل الاخير خير
له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما عليهم وقيل المراد صلاة العشاء لان
اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون
الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم رواه الامام احمد و
النساى وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وهذه صفات اخر لامة وصفهم بخصايص
ليست فى اليهود فانهم مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته
مداهنون فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين
اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه
وما يفعلوا بالتاء ايها الامة المحمدية وبالياء اى الامة القائمة كعبد الله بن سلام ورهطه وعلى
تاء الخطاب ايضا للامة القائمة من حيث الالتفات يعنى لما وصفهم باوصاف جليلة اقبل الله
عليهم بتاء الخطاب تانيسا لهم واستعطافا عليهم فخاطبهم بان ما تفعلونه من خير
فلن يكفروه بالتاء والياء كما فى وما تفعلوا يعنى وما تفعلوا من خير لن تحرموا ولن تضيعوا
ولن تنتقصوا ثواب ما تفعلوا جزاءه بل تجازون عليه الجنة بفضل الله ووعده سمى منع الثواب
كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا والله عليم بالمتقين اى بالمؤمنين بشارة واشعار بان
التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائزين عند الله هم اهل التقوى ان الذين كفروا لن
تغنى عنهم اى لن تدفع عنهم اموالهم بالفدية ولا اولادهم بالنصرة والكثرة من
الله اى من عذابه فى الاخرة شيئا اى نفعا ما قاله رد لقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين واولئك اصحاب النار اى ملازموها لانهم اهل النار واهل النار لا يخرجون منها
ولا يفارقونها [redacted] هم فيها خالدون اى دايمون فى النار معذبون
بها ونزل حين انفقوا فى عداوة الله ورسوله ولم يبلغوا مرادهم مثل اى صفة اهل الكفار فى

Copyright King Saud University

ما ينفقون اى ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة او سمعة او المنافقون رياء وخوفا قيل اراد به نفقات ابي سفيان واصحابه ببدر واحد على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او نفقة اليهود على علمائهم او نفقات الكفار وصدقاتهم في هذه الحياة الدنيا ليذكرهم الناس بالجود والسخاء وقصته العجيبة التى تجرى مجرى المثل فى الغرابة كمثل ريح فيها صر اى فيها برد شديد وحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها السموم الحارة التى تقتل او فيها صوت اى صوت لهب النار التى تحرق الزرع والشايع اطلاق الصر للريح الباردة كالصرصر لان الصر فى الاصل مصدر بمعنى البرد نعت به الريح يعنى كمثل ريح فيها ريح صر او فى الاصل نعت وصف به البرد يعنى كمثل ريح فيها برد صر فيكون الصر صفة مشبهة نحو ليل اليل وشعر شاعر وبرد بارد اصابت اى تلك الريح الموصوفة حرث اى زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى ومنع حق الله فيه فاهلكته اى فاحرقته واتلفته عقوبة على كفرهم ولم ينتفعوا به شيئا وانما وصفوا بظلم الانفس لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم تبق لهم فيه منفعة ما لا فى الدنيا ولا فى الاخرة وهو من التشبيه المركب الذى هو تشبيه حال منتزعة من امور بحال مثلها ولا يلزم فيه ان يكون ما يلى الاداة هو المشبه به ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث الذى هو المشبه به ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث اى الزرع فيكون المشبه به اعنى الحرث حينئذ دالا على كلمة التشبيه معنى وما ظلمهم الله بضياع نفقاتهم واهلاك حدثهم واهلاك حدثهم ولكن انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية الموجبتان لضياعها يعنى ما ظلم الله المنفقين باهلاك نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها والضمير فى وما ظلمهم الله للكفار الذين تقدم ضميرهم فى ينفقون وليس هو للقوم ذوى الحرث كما قيل وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اى ولكن انفسهم يظلمونها قال التفتازانى معناه ما نحن ظلمناهم ولكن هم ظلموا انفسهم كما تقول ما انا قلت هذا ولكن غيرى قاله ولما شرح احوال المومنين والكافرين اخذ فى تحذير المومنين عن مخالطة الكافرين والمنافقين ومصادقتهم فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة اى لا تجعلوا لكم صداقة ووليجة وصفوة تطلعونهم على اسراركم فالبطانة هى الوليجة وهو صفى الرجل وخصيصه وصاحب اسراره شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار وهو ما يلى الجسد من الثياب قال صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وهى ما يلبس فوق الشعار من دونكم اى من غير جنسكم المومنين اى من غير اهل ملتكم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رجال من المسلمين يصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنهى الله المومنين عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ثم بين العلة فى النهى عن مباطنتهم فقال لا يالونكم خبالا اى لا يقصرون لكم فى فساد دينكم اى لا يتركون ولا يقصرون جهدهم فى المكر والخديعة والفساد حتى يورثكم الشر والرجوع عن الحق فالالو معناه التقصير والخبال الفساد ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم والعنت شدة الضرر والمشقة وما مصدرية يعنى غير جنسكم يودون لكم ما يشق

عليكم من الضرر والهلاك اى انهم لا يقصرون فى فساد امور دينكم ودنياكم فان عجزوا عن ذلك تمنوا ذلك وتنبيه غير زائل عن قلوبهم بشهادة انه قد بدت البغضاء من افواههم اى ظهرت البغضاء والعداوة من كلامهم بالشتيمة والوقيعة فى المسلمين لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم للمسلمين فيخرج ما يعلمون به من اسرار المسلمين من افواههم ويطلعون على اخوانهم المشركين وما تخفى صدورهم اكبر اى وما تخفى صدورهم من العداوة والغيظ اعظم واكبر مما اظهروا بافواههم لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات اى ايات القران الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المومنين ومعادات الكافرين ان كنتم تعقلون اى ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين من الايات والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل اى ان كل واحدة منها علة مستقلة للنهى عن اتخاذ البطانة ويجوز ان تكون الثلث الاول صفات لبطانة بخلاف الاخيرة يعنى قد بينا فانه كلام مستانف لا يصلح صفة وهو ظاهر ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم مبتداء واولاء خبره اى انتم ايها المومنون اولاء المخطئون فى موالات الاعداء من اهل الكتاب والمنافقين وبيان خطائكم فى موالاتهم انكم تحبونهم لقرابتهم منكم وصداقتهم ولا يحبونكم لمخالفتهم لكم فى الدين وتومنون بالكتاب كله اى بجنس الكتب كله اى بجميع الكتب المنزلة من الله وهم لا يومنون بكتابكم المنزل من الله وفيه توبيخ للمومنين بان المشركين فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم المنافقون قالوا امنا بمحمد انه رسول الله نفاقا وتغريرا واذا خلوا اى اذا كان بعضهم مع بعض عضوا عليكم الانامل يعنى اطراف الاصابع من الغيظ لاجل الحنق عليكم لما يرون من ائتلافكم ومحبتكم بعضكم بعضا بقوة الاسلام وعز اهله فقال الله تعالى قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به قيل على وجه الدعاء عليهم والمراد اللعن والطرد لا على وجه الايجاب والا لماتوا كلهم واستاصلوا من ساعتهم فمعناه اثبتوا على غيظكم الى الممات فتخرجون من الدنيا بغيظكم بالحسرة وقل لهم ان الله عليم بذات الصدور اى بما فى القلوب من العداوة للمومنين فيجازيهم عليهم او قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا ان تمسسكم اى تصبكم ايها المومنون حسنة اى رخاء وخصب ونصرة وغنيمة تسؤهم اى تحزنهم اصابة الحسنة وان تصبكم سيئة كهزيمة وجدب واختلاف بينكم يفرحوا بها وجملة الشرط متصلة بالشرط فيما قبل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون فى عداوتكم الى حد يحسدونكم ما نالكم من خير ونعمة ويفرحوا بما اصابكم من ضر وشدة فلم توالونهم فاجتنبوهم والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم ومشاق الدين وتتقوا الله فى محارمه وموالاتهم لا يضركم كيدهم اى مكرهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب اى المعتاد بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط وقرأ الباقون لا يضركم بضم الضاد وتشديد الراء مرفوعة وضمة الراء للاتباع ضم الضاد وهذا تعليم وارشاد من الله تعالى

Copyright King Saud University

الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قالت الحكماء اذا اردت ان تكبت من
يحسدك فازدد فضلا فى نفسك وانشد الشافعى رحمة الله عليه فى معناه اذا ما شئت
ان ترغم الاعادى ✿ بلا سيف تسل ولا سنان ✿ فزد فى مكرماتك فهى اعدى ✿ على الاعداء
من نوب الزمان ✿ ان الله بما يعملون محيط قرأ العامة بالياء على الغيبة اى ان الله
بما يعملون فى عداوتكم عليم وقرى بالتاء على الخطاب يعنى ان الله عليم محيط مدرك من كل الجهات
بما تعملونه من الصبر والتقوى وغيرهما فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت من اهلك اى
اذكر يا محمد اذ خرجت من اهلك بالمدينة اى من حجرة عايشة رضى الله عنها الى احد ماشيا
من غير ركوب والغدو الخروج اول النهار يقال غدا يغدو اى خرج غدوة والمقصود من ذكر
هذه القصة تقرير قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا فجرى عليهم ما جرى
لعدم الصبر والمخالفة تبوئ المؤمنين اى تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام
اى تبوى للمؤمنين اختلفوا فيه قال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل هو يوم الاحزاب
وقال ساير المفسرين هو يوم احد لان ما بعده الى قريب اخر السورة فى حرب احد والجملة
حال من فاعل غدوت وهى حال مقدرة اى غدوت قاصدا تبوئة المؤمنين لان وقت الغدو ليس
وقتا للتبوئة ويحتمل ان تكون مقارنة لان الزمان متسع المعنى تهيئ لهم الخ والدليل هو قراءته
باللام كما قلنا مقاعد للقتال اى مواقف واماكن ومواطن له من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين
والساقة روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلث
من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابى بن سلول ولم
يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما
خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان
اقاموا قاموا بشر مجلس اذ لا ماء ولا طعام وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء و
الصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين واشار بعضهم الى الخروج فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت فى منامى بقرا مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورايت فى ذباب سيفى
ثلما فاولته هزيمة ورايت كانى ادخلت فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان
تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس لامته فلما راوا ذلك ندموا
فقالوا اصنع يا رسول الله ما شئت فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب من احد اى بطريق فى الجبل يوم السبت النصف من شوال
سنة ثلث من الهجرة ونزل فى عدوة الوادى اى جانب الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد
وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا اى ادفعوا عنا بالنبل لا ياتونا
من وراينا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم
بنياتكم اذ همت بدل من اذ غدوت او متعلق بسميع عليم طايفتان منكم اى بنو سلمة

من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر ان تفشلا اى ان تجبنا وتضعفا
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعماية وخمسين
رجلا ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط وهو حايط عند جبل احد انخزل
ابن ابى فى ثلثماية وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى
وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان
باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ولم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته والظاهر
ان همهما ما كانت عزيمة بل خطورا وحديث نفس منهم لانه اليق بحال الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين وادفق لقوله عز وجل والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة
ويجوز ان يراد والله ناصرهما فمالهما تفشلان وقيل الهم دون العزم وذلك لان اول ما
يمر بقلب الانسان يسمى خاطرا فاذا قوى سمى حديث النفس فاذا قوى سمى هما فاذا قوى سمى
عزما ثم بعده اما قول او فعل فظهر ان المراد ايراد الاية تقريرا لقوله وان تصبروا وتتقوا الخ
وقيل فى انتظام الاية ومناسبتها بما قبلها وجه اخر وهو ان الانكسار الواقع يوم احد انما
حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابى المنافق الذى اتخذه بطانة فتكون تقريرا للنهى عن اتخاذ
المنافق بطانة وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليتوكل المؤمنون على الله وحده
ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر وقال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم
بالذى هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم بما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من
الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة يعنى لما رجعوا الى المدينة منهزمين من المشركين بمشية
الله وقضايه نزل تذكيرا لهم نعمة الله السابقة عليهم فى يوم بدر من الفتح مع كونهم فى
حال قلة وذلك ولقد نصركم الله ببدر وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمى بدرا فسمى به وقيل هو اسم موضع بين مكة والمدينة وعليه الاكثرون وقيل هو اسم لبير هناك
وقيل كانت بدر بيرا لرجل يقال له بدر كما ذكرنا قاله الشعبى وانكروا ذلك عليه وانتم اذلة
لقلة العدد فانهم كانوا ثلثماية وبضعة عشر وكان عددهم مقدار الف مقاتل او تسعماية
وخمسين رجلا من المقاتلة ومعهم ماية فرس والعدة الكاملة والعدد فانهم خرجوا على
النواضح يعتقب النفر منهم على بعير واحد وما كان معهم الا فرس واحد وتسعون بعيرا
وست اذرع وثمانية سيوف وجاء بجمع القلة وهو الاذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا
قليلا والذلة بحسب العادة رثاثة الحال وقلة المال فلا تنافى العزة بالحجة وحسن العاقبة
فى المال كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالاية تقرير لامر التوكل فاتقوا الله
اى فى الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون اى لكى تشكروا ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم
ينعم الله فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول يا محمد للمؤمنين
تقوية لقلوبهم اذ ظرف نصركم فيكون الوعد بالامداد بثلثة الاف من الملئكة وقعا يوم
بدر على ما عليه الجمهور والاية متصلة بما قبلها وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله

Copyright © ... University

عليه السلام لهم الن يكفيكم الخ يوم احد لكن قال مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنايم وخالفوا امر الرسول عليه السلام لم تنزل الملئكة فان قيل انما امد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بالف من الملئكة كما سياتى فى سورة الانفال ان شاء الله حيث قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملئكة وهنا قال بثلثة الاف وخمسة الاف فلا ينا سب يوم بدر والجواب فى عدم مساعدة الملئكة لهم مخالفتهم للرسول وعدم الصبر وروى الواقدى ان الملئكة قد حضرت يوم احد ولكن لم يقاتلوا روى ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك فى صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول عليه السلام انه ملك امد به وقال قتادة هذا الوعد كان يوم بدر وهو قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمومنين الن يكفيكم كذا وكذا فعلى هذا لا اعتراض وقال قتادة ايضا امدهم الله يوم بدر بالف من الملئكة على ما قال فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملئكة ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما قال هنا فى احد بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف من الملئكة كما وعد وليس لاحد ان يقول انهم نزلوا لكنهم ما قاتلوا لانهم وعدوا بالامداد ومجرد الانزال لا يحصل الامداد بل لا بد من الاعانة والاعانة حصلت يوم بدر لا يوم احد وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى الن يكفيكم ان يمدكم ربكم اى الن يكفيكم ان يعينكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين اى حال كونهم نازلين من السماء ودخلت اداة الاستفهام على حرف النفى على سبيل الانكار لانتفاء الكفاية بهذا العدد وقوله من الملئكة بيان لثلثة الاف او صفتها اى كائنين من الملئكة وانما جى بلن دون لا اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم وقوله منزلين حال من الملئكة او صفة لثلثة الاف وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعدهم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو مع نبيكم وتتقوا معصية الله ومخالفة امر نبيكم ويأتوكم اى ويجيئكم المشركون من فورهم اى وجههم وساعتهم ووقتهم هذا اى يأتوكم مسرعين من غير تراخ لغضبهم الذى غضبوه لبدر واصل الفور الغليان فاستعيرت للسرعة والاضطراب والمعنى ان يأتوكم فى الحال يمددكم ربكم اى يعينكم بخمسة الاف من الملئكة فى حال اتيانهم وتاخير يعنى لا يتاخر نزول الملئكة عن اتيانهم اى ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم مسومين بكسر الواو اى معلمين خيولهم بالصوف الابيض وبفتح الواو سوموهم غيرهم او نفوسهم بعمامة صفرا او ثياب بيض اى بعلامة يعرف بها فى الحرب قال السلطان اى معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيماء الشى لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملئكة قد تسومت اى

مرسلين

مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقيل والمعنى بكسر الواو ان الملئكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او انهم ارسلوا اطراف عمايمهم على ظهورهم قال الشيخ السومة العلامة التى يعلم بها الفارس نفسه فى الحرب يعنى من كسر الواو اراد انهم سوموا خيلهم ومن فتحها اراد به انفسهم كما ذكرنا والتسويم الاعلام من السومة وهى العلامة واختلفوا فى تلك العلامة قال عروة بن الزبير كانت الملئكة على خيل بلق عليهم عمايم صفر وقيل عمايم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقيل اعلموا بالعهن فى نواصى الخيل واذنابها وروى ان الزبير بن العوام كان متعمما يوم بدر بعمامة صفرا فنزل جبريل على مثال الزبير بها وما جعله الله اى وما جعل الله امدادكم بالملئكة لشئ من الاشياء الا بشرى لكم اى الا بشارة لكم بالنصر على اعدائكم ولتطمئن قلوبكم به اى بالامداد اى ولتسكن قلوبكم بالامداد فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم كما كانت السكينة لبنى اسرايل كذلك وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذى لا يغالب فى اقضيته واحكامه الحكيم الذى ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة يعنى لا تتكلوا على الملئكة والجند فان النصر من الله وحده فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز والحكم له ليقطع طرفا متعلق بنصركم او بما النصر الا من عند الله اى ليهلك الله جماعة بالاستيصال من الذين كفروا باسر وقتل وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم اى يخزيهم او يهزمهم وتصرعهم لوجوههم او يهلكهم ويلعنهم والكبت شدة الغيظ اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة قال ابو حيان شبه من قتل منهم وتفرق بالشئ المتقطع الذى تفرقت اجزاؤه وانخرم نظامه واو للتنويع دون الترديد لجواز الجمع القطع والكبت فى التنويع بان يقطع طرفا من الكفار اى يهلكهم ويكبت اخرين منهم ولا يجوز ذلك فى الترديد فينقلبوا خائبين اى فينهزموا منقطعى الآمال غير ظافرين بمبتغاهم ونزل لما كسر عبد الله بن قمئة او عتبة بن ابى وقاص وقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ليس لك من الامر شئ بل الامر لله فاصبر ولك خبر ليس ومن الاحوال من شئ لانها صفة مقدمة على شئ وشئ اسم ليس او يتوب عليهم عطف على او يكبتهم او ليقطع طرفا وليس لك من الامر شئ اعتراض بين المعطوف اى او يتوب عليهم والمعطوف عليه اى او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شئ وانما انت حبيب مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل نزل فى اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من القراء فقتلهم عامر بن الطفيل فدعا رسول الله على قاتليهم شهرا باللعن والسنين فنزلت وعن الفراء او بمعنى حتى ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ او ليس لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم والمراد من قولنا ويحتمل ان يكون معطوفا على

Copyright © King Saud University

عن ابي هريرة رض قال قال صلى الله عليه وسلم الربوا سبعون جزءا ايسرها ان ينكح الرجل امه رسول الله وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم ربوا ياكله الرجل وهو يعلم اشد من ستة وثلاثين زنية رواه احمد وعن عبادة ابن الصامت رض قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء رواه مسلم الخ مشكوة

الامر الخ انه ذهب بعضهم الى انّ يتوب ليس منصوبا بالعطف على ليقطع بل باضمار انْ اىْ
اوْ انْ يتوب على انه من قبيل عطف المضارع المنصوب على الاسم المجرور اعنى من الامر او كرفع
اعنى شئ وعلى التقديرين هو عطف الخاص على العام ومعنى الاية على التقدير الاول ان امورهم
كلها لله وليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ كما ذكرنا وعلى التقدير الثانى
ليس لك من امرهم شئ او التوبة او تعذيبهم كما قدمنا وعن ابى عيسى انّ اوْ بمعنى الا ان كقولك لالزمنك
او تعطينى حقى اى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشفى
منهم وقيل همّ ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن **فانهم ظالمون**
اى قد استحقوا التعذيب بظلمهم فهذا تعليل لقوله عز وجل او يعذبهم فالظلم ليس سببا موجبا
بحيث لا تعذيب بدونه ولا مغفرة مع وجوده كما ذهب اليه الكوفيون لانه لا يفيد الا مجرد الاستحقاق
العادى يعنى انه لو اضيف اليه فى مجارى العقول لكان ملايما فلا الطاعة توجب الثواب ولا
المعصية توجب العقاب بل الكل من الله بحكم الهيته وقهره وقدرته وقيل فى الاية تقديم وتاخير
ونظمه هكذا ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
ليس لك من الامر شئ بل الامر فى ذلك كله وليس ذلك اليك ثم بيّن اختصاص ذلك لنفسه بقوله
ولله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا وعبيدا فله الامر كله **يغفر لمن يشاء**
للمؤمنين **ويعذب من يشاء** للكافرين صريح فى نفى وجوب التعذيب يعنى لا يجب عليه تعذيب
العصاة ولا تنعيم اهل الطاعة كما زعم اهل الاعتزال **والله غفور رحيم** لعباده سيما لاهل
واهل طاعته ولما كان اكل الربا واخذه محاربا لله ورسوله فالحقه باهل الحرب من الكفار فى الذكر
فقال **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة** اى لا تزيدوا زيادات
مكررة ولما كان اضعافا جمع قلة والمقصود الكثرة اتبعه بما يدل على ذلك وهو الوصف بقوله
مضاعفة وليس قوله اضعافا مضاعفة لتقييد النهى بالقيد وهو اضعافا مضاعفة ليستدل
بمفهوم القيد على ان الربا بدون هذا القيد جائز بل جاء الكلام بقيد المراعاة ما كانوا عليه من العادة
فى تضعيف الربوا مع توبيخ لهم بصنيعهم ذلك اذ كان الرجل يربى الى اجل فاذا حل قال للمدين
زدنى فى المال حتى ازيدك فى الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشئ الطفيف
مال المديون بالكلية وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعّفة **واتقوا الله** فيما نهيتم عنه من
اكل الربا وعمله **لعلكم تفلحون** تفوزون اى راجين الفلاح فان اتقاء الله واجب على
كل احد والفلاح موقوف على الفلاح وهذا يدل على ان الربا من الكبائر وتقدم الكلام على الربا
فى سورة البقرة **واتقوا النار التى اعدت للكافرين** بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى افعالهم وفيه
تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة او للكافرين بالتخليد وللعصاة
بالتاديب **واطيعوا الله** فى كل ما امركم به ونهاكم عنه **والرسول** الذى يبلغكم اوامره ونواهيه
لعلكم ترحمون راجين رحمته اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل
وعسى من الله للايجاب والتحقيق ولكن فى ذكرهما اشارة الى ان المتقين والمطيعين وان كانوا مجتدين

٢ فى التقوى والطاعة لا ينبغى لهم ان يجزموا بحصول الفلاح والرحمة بل غاية امرهم الرجاء من
فضل الله الكريم لا الجزم بحصول المراد اتكالا بما فعلوا من التقوى والطاعة وذهب اهل السنة
والجماعة رضوان الله عليهم الى انّ الغفران موجود للمذنبين من عصاة المؤمنين وان ماتوا بلا
توبة فى عادتهم انهم لا يسدون باب الغفران والكرم والاحسان وفى الاية رد على المرجئة
فى قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار اصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها
ولكن عاقبة امره **وسارعوا** اى بادروا واقبلوا يعنى لما امروا بتقوى النار امروا بالمبادرة الى اسباب
المغفرة والجنة **الى مغفرة من ربكم** اى الى الاعمال التى توجب المغفرة كالاسلام والتوبة
واداء الفرايض والهجرة والجهاد والتكبيرة الاولى والاخلاص **وجنة عرضها السموات
والارض** اى عرضها كعرضهما كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض وذكر العرض للمبالغة والمراد
وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه يعنى ان سعتها لا
يقاس بالشئ وخص العرض لانه فى العادة ادنى واقل من الطول يقول هذه صفة عرضها فكيف
طولها وقال الزهرى لا يعلم طولها الا الله تعالى اخرج البزار والحاكم وصححه عن ابى هريرة
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارايت وجنة عرضها السموات والارض فاين
النار قال ارايت الليل اذا لبس كل شئ فاين النهار قال حيث شاء الله قال فكذلك حيث
شاء الله وسئل انس بن مالك عن الجنة افى السماء ام فى الارض فقال واى ارض وسماء تسع الجنة
فقيل فاين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش وذكر فى تفسير جواهر الحسان انه ثبت
فى حديث النبى عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كدراهم القيت فى
فلاة من الارض وما الكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد القيت فى فلاة من الارض فهذه
مخلوقات اعظم جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله وفى البخارى
من طريق ابن مسعود ان آخر اهل الجنة دخولا واخر اهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا
فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر مرات
وفى جامع الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف
سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا الحديث فان قيل قال الله تعالى
وفى السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف
يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها السموات والارض
كما اخبر وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين
السبع وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض وما روى
ان الجنة فى السماء او فى السماء السابعة فمعناه انها فى جهتها لا انها فيها او فى بعضها كما يقال
فى الدار بستان وان كان يزيد عليها لان المراد بامر الهيا قيل كل جنة من الجنان عرضها
كعرض السموات والارض لو وصل بعضها ببعض **اعدت للمتقين** اى هيئت لهم وفيه دليل

على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم **الذين ينفقون في السراء والضراء** اى
في العسر واليسر فاول ما ذكر من اخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة وعن يحيى بن سعيد
عن الاعرج عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب
من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من
الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من العالم البخيل هكذا ذكر
في تفسير اللباب والامام البغوى روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة دار الاسخياء
فقوله في السراء والضراء اى في الفقر والغنى اى في كل حال بما يليق بها او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة يعني لا يخلو في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل وكثير كما يقال
السخي ما ملك فان قلت الاية تدل على ان الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين
قلت جاز ان تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال اعدت هذه
المائدة للامير ثم قد يأكلها اتباعه الا ترى انه قال واتقوا النار اعدت للكافرين ثم قد يدخلها
غير الكافر بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه اشد شيء على النفس وادل على الاخلاص ولانه
كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
والكاظمين الغيظ عطف على الذين ينفقون اى المجرعين الغضب في اجوافهم عند امتلاء
نفوسهم به مع القدرة قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه
دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اي الحور شاء وقال صلى الله
عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاء الله امنا وايمانا واخرج عبد بن حميد
والبخاري ومسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الشديد بالصرعة
ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب **والعافين عن الناس** اى المتجاوزين عن الجاني كائنا من
كان والتاركين عقوبة من استحق مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في
امتي قليل الا من عصمهم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت قال الكلبي عن المملوكين
سوء الادب وقال زيد بن اسلم ومقاتل عمن ظلمهم واساء اليهم اخرج ابن جرير
عن الحسن قال يقال يوم القيمة ليقم من كان له على الله اجر فما يقوم الا انسان عفا قال
صلى الله عليه وسلم من سره ان يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط
من حرمه ويصل من قطعه **والله يحب المحسنين** اللام للجنس فيتناول كل محسن من الاحرار
والمماليك ويدخل هؤلاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة الى المذكورين فقط عن الثوري
الاحسان ان تحسن الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة واخرج البيهقي عن علي بن
الحسين ان جارية جعلت تسكب عليه تهيئا للصلوة فسقط الابريق من يدها على وجهه
فشجه فرفع راسه فقالت ان الله يقول والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين
عن الناس قال قد عفى الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة وقال
صلى الله عليه وسلم وجبت محبة الله على من اغضب فحلم قال صلى الله عليه وسلم ان حسن

الخلق

الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه وسلم الخلق السوء يفسد
الايمان كما يفسد الصبر الطعام واخرج البيهقي عن كعب بن مالك ان رجلا من بني
سلمة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام خمس مرات فقال عليه السلام في كل
ذلك حسن الخلق وعن جابر قال قالوا يا رسول الله ما الشوم قال شوم الخلق
وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اخبرني بوصية تصيرة
فالزمها قال لا تغضب يا معاوية بن حيدة ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد
الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات
القائم الليل الصائم النهار اخرجه احمد وابو داود وابن حبان والحاكم وصححه عن عائشة
رضى الله عنها واخرج الطبراني عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوحى
الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مع الابرار
وان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي وان اسقيه من حظيرة قدسي
وان ادنيه من جواري وقال صلى الله عليه وسلم خيار امتي خمسمائة والابدال اربعون
فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون وكلما مات بدل ادخل الله عز وجل من الخمسمائة
مكانه وادخل في الاربعين مكانهم فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون فقالوا يا
رسول الله دلنا على اعمال هؤلاء فقال هؤلاء يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم
ويواسون مما اتاهم الله قال وتصديق ذلك في كتاب الله والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين **والذين اذا فعلوا فاحشة** اى ذنبا قبيحا كالزنا لقوله تعالى
واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة قال عبد الله بن
مسعود قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب
اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا افعل كذا فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقال عطا نزلت في نبهان التمار وكنيته ابو مقبل
اتته امراة حسناء تبتاع منه تمرا فقال ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود فهل لك
فيه قالت نعم فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت اتق الله فتركها وندم فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في انصاري وثقفي اخى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فخرج الثقفي في غزاة واستخلف الانصاري على اهله فدخل
الانصاري يوما الى زوجة الثقفي وقبلها ثم ندم وانصرف فقام على وجهه مدة ثم جاء
الى ابي بكر واحكى له شانه فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار
للمقيم ثم جاء الى عمر فاجابه كذلك ثم جاء الى النبي عليه الصلاة والسلام فاجابه كذلك فانزل
الله عز وجل هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة اى قبيحة خارجة عما اذن الله فيه
او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك وقال بعضهم ظلم النفس ما دون

الزنا من قبلة ونظرة ومعانقة ولمس وقيل الفاحشة ما دون الزنا وظلم النفس
المعصية وقيل الفاحشة الكباير وظلم النفس الصغاير وقيل الفاحشة الكبير في
الفعل وظلم النفس في القول ذكروا الله اي تذكروا وعيده بان الله سايلهم عنه
اي عقابه بان الله يحاسبه على حسب عمله او حقه العظيم بان يطاع ولا يعصى او ليذكروا
الله بلسانه وقلبه عند الذنب ليبعثهم على التوبة فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم
والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة اي فتابوا عن الذنوب لقبحها
نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الاية ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
بمعنى النفي اي لا يغفر الذنوب الا الله وهو معترض بين المعطوف اي قوله ولم يصروا وبين
المعطوف عليه اي قوله فاستغفروا ومن مبتدأ يغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل
من الضمير في يغفر والتقدير ولا احد يغفر الذنوب الا الله وفيه بيان لوصفه تعالى بسعة
الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة وان جلت الذنوب
فان رحمته اجل وكرمه اعظم ولم يصروا على ما فعلوا اي ولم يقيموا على ذنوبهم غير
مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال
من يصروا اي لم يصروا على قبيح فعلهم عالمين بان الاصرار ضار او عالمين بان الله يتوب على
من تاب او بان الذي اتوه معصية او عالمين بان لهم ربا يغفر الذنوب او عالمين بان الله تعالى لا
يتعاظمه العفو وان كثرت وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار اولئك اي الموصوفون
بالصفات المذكورة جزاؤهم اي ثوابهم مغفرة من ربهم بتوبته وجنات برحمته تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها اي لا يخرجون منها ولا يموتون ونعم اجر العاملين اي
ثواب المطيعين ما اعدهم من الجنة والطاعة قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن يذنب
ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له قال المعتزلي هذه الايات بيان
قاطع بان الذين امنوا على ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين
دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال بعض علماء الشافعية ردا عليه
والجاما له بقوله ومن اتبع عقله واطاع ربه علم ان ليس في هذه الايات سوى ان الجنة اعدت
للمتقين والتائبين او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة واما سكوت عن حكم المصرين
او دلالة ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع في ان الجنة ليست معدة لهم ولا جزاء لهم لكن من اين
القاطع انهم لا يدخلون الجنة البتة وانه لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان والرحمة من ارحم الراحمين
وهل القطع بذلك الا مكابرة للعقل ومخاترة للرب على ان الكلام وارد لترهيب اكلة الربا فلا يتم
في الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد بعدم الاصرار لا يلائم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة وهو ان لا يظهر
سوى اختصاص الحكم فائدة اخرى ويمكن الجواب عنه ايضا بان المرتب على الصفات المذكورة كون
المغفرة والجنات جزاء وهما لا ينافي مغفرة المصر الخبر المستغفر لمقتضى الفضل والاحسان فان الله يغفر
الذنوب جميعا الله هو الغفور الرحيم فانه لا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم

ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم
والجملة خبر للذين اذا فعلوا فاحشة اي غير معطوف على ما قبله ان ابتدأت بالذين والجملة مستانفة
مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون وتنكير جنات على الاول اي على ان تكون
جملة اولئك الخبر الذين اذا فعلوا فاحشة يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين
بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل اياتهم بان بين
انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظون على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص
بمكارمه وفصل اية هولاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض
ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه
النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت
من قبلكم سنن اي قد مضت معاملة الله في الامم المكذبة بالهلاك والاستيصال يعني بعد
امهالهم رويدا ثم اخذهم وهذا خطاب للمؤمنين وتسلية لخواطرهم عما وقع لهم يوم احد من
القتل والهزيمة يعني لا يذهب بكم ان غلب الكفار المكذبون عليكم باحد فان العاقبة للمتقين بدليل قوله
تعالى فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل قال
عطاء سنن اي شرايع وقال الكلبي منهاج وقيل وقايع وقيل امم كما قال الشاعر ؛ ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ؛ ولا راوا مثلكم في سالف السنن ؛ اي الامم فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي اخر امر المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم
فلا تحزنوا لغلبتهم فانا امهلهم واستدرجهم حتى يبلغ اجلي الذي اجلت في نصرة النبي واوليايه
وهلاك اعدايه وليس المراد بالسير وجوبا بل المقصود تعرف احوالهم وقد يعتبر من غير سفر فلا معتبرين
مقامات ولا يبعد ان يقال حثهم على السير لان لمشاهدة اثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع ودخلت
الفاء لان المعنى على الشرط يعني ان شككتم فسيروا في الارض التي فيها ديارهم الخربة واثار هلاكهم و
قيسوا على عاقبة امر المكذبين اخر امر اللاحقين بهم لتعتبروا وهذا اي القران بيان للناس كلهم
وعامتهم وهدى اي ارشاد من الضلالة وموعظة للمتقين منهم خاصة ويحتمل ان يكون الاشارة
الى القران او الى جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله
قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وما يتحقق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه
من النظر في سوء عاقبة المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم ولا تهنوا ولا تحزنوا
هذا تسلية لاصحاب النبي عليه السلام على ما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد ولا
يورثنكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في
النار او لانكم اصبتم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة اي يكون
لكم النصر والغلبة والظفر فيكون بشارة لهم بان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان يوجب قوة القلب والثقة بوعد الله

Copyright King Saud University

وقلة المبالات باعدايه او متعلق بالاعلون اى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به
من الغلبه او اذ كنتم مومنين او لانكم مومنين حقا ان يمسسكم اى يصبكم باحد قرح بفتح
القاف وضمها جهد من جرح والم ونحوهما فقد مس القوم اى الكفار قرح
مثله فى يوم بدر والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم
لم يضعفوا ولم يجبنوا ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون
من الله ما لا يرجون وهذا الشرط والجواب ههنا بمعنى المضى دون الاستقبال وقيل كلا المسين
اى الاصابتين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام فانه
قتل من المشركين يوم احد نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوايهم وكثرت فيهم الجراحات
وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم فى اول النهار وقتل من المهاجرين
خمسة وقيل اربعة وهو الظاهر فمن المهاجرين حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم
النبى عليه السلام واخوه من الرضاع • ومصعب بن عمير • وعبد الله بن جحش • وشماس
بن عثمان • وقال انس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى كرم الله وجهه وعليه نيف
وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية حجر فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحها وهى تلتئم
باذن الله كان لم تكن ومن الانصار عمرو بن معاذ بن النعمان • والحارث بن انس
وعمارة بن زياد • وسلمة بن ثابت • وعمرو بن ثابت ابنا وقش • قيل وابوهما قتل ايضا • و
رفاعة بن وقش • وحسيل بن جابر ابو حذيفة وهو اليمان اصابه المسلمون فى المعركة ولا
يدرون • وصيفى بن قيظى • وحباب بن قيظى • وعباد بن سهل بن عتيك • وعبيد بن
التيهان • ويقال عتيك بن التيهان • وحبيب بن زيد • ثلثة عشر نفرا • ويزيد بن حاطب
وابو سفيان بن الحارث بن قيس من بنى ضبيعه • ومالك بن امية • وحنظلة بن ابى عامر
غسيل الملايكة • وانيس بن قتادة • وعمرو بن عوف • وعبد الله بن جبير بن النعمان • وامرؤ
القيس بن مالك بن الاوس • خيثمة ابو سعيد بن خيثمه • وعبد الله بن سلمة • وسبيع بن حاطب
وعمرو بن قيس • وابنه قيس بن عمرو • وثابت بن زيد • وعامر بن مخلد • وابن هبيرة بن
الحارث • وعمرو بن مطرف بن علقمة • واوس بن مالك بن المنذر • وانس بن نضر وهو عم انس
بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم • وقيس بن مخلد • وكيسان • وسليم بن الحارث • ونعمان
بن عبد بن عمرو • وخارجة بن زيد بن ابى زهير • وسعد بن الربيع بن ابى زهير • واوس بن
الارقم بن زيد • ومالك بن سنان ابو ابى سعيد الخدرى • وسعيد بن سويد • وعتبة بن ربيع
بن رافع بن معاوية • وثعلبة بن سعد • وثقف بن فروه • ونوفل بن عبد الله • وعباس بن عبادة
ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر • ومجذر بن زياد • وعباده الحسحاس • ورفاعة بن عمرو
وعبد الله بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام • وابو ايمن مولى عمرو بن الجموح • وسليم بن عمرو بن
حديد • ومولاه عنتره • وسهل بن قيس • وذكوان بن عبد قيس • وعبيد بن المعلى • فجميع من
استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار خمسة وسبعون

رجلا

رجلا على ما قاله ابن اسحاق وقال ابن هشام وممن لم يذكر ابن اسحاق من الشهداء مالك
ابن نميلة • وعبد الله بن جبير بن مالك • ومالك بن اياس • واياس بن عدى • وعمرو بن اياس
رضوان الله عليهم اجمعين وقال الكلبى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم
بعد احد وقال لا يخرج الا من شهد معنا بالامس اشتد ذلك على المسلمين وقد اصابهم من الجراح
ما اصابهم فانزل الله ان يمسسكم قرح الاية وتلك الايام اى الايام الجارية فيما بين الامم
الماضية والاتية كافة لا الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل معهود اخلة فيها
دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس اى نصرفها ونحولها
بينهم نديل اى نعطى الدولة والظفر لهولاء تارة ولهولاء اخرى فيوما لهم ويوما عليهم معناه
اديل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين واديل المشركون
من المسلمين يوم احد حتى جرحوا سبعين وقتلوا خمسا وسبعين والمداولة كالمعاورة يقال داولت
الشى بينهم فتداولوه يعنى يوما الهزيمة ويوما الاخرى ليتعظوا وليعلم الله علم ظهور الذين امنوا
يعنى انما كانت هذه المداولة ليرى الله الذين امنوا منكم فيميز المومن من الكافر او ليعاملكم معاملة
من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التميز اى يميز
الثابتين على غيرهم الايمان من غيرهم كما قال حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى ليظهر الله لكم الذين خلصوا
فى تصديقهم بالله ورسوله من غيرهم قيل معناه نداولها ضروب من التدبير مثلا لينتفع درجات
المومنين بالفرا منهم ويزداد اسباب عقوبة الكافرين باضرار المومنين وايذائهم وليعلم الله المومنين
مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علم قبل الوجود والقصد فى امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه
تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان لان علمه تعالى بالشى من لوازم تحقق
ذلك ولا شك ان عدم اللازم برهان لعدم الملزوم وكل اية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد
تجدد معلومه لان علم الله قديم والتجدد والتغير انما هو فى تعلقه فالعلم قديم والتعلق حادث
ويتخذ منكم شهداء يعنى يتخذ اى وليكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد لاجل
نصر الكفار وحبهم او يتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة من قوله لتكونوا شهداء على
اخرج ابن ابى حاتم عن عكرمة قال لما ابطا على النساء الخبر خرجن يستخبرن فاذا
رجلان مقتولان على دابة او على بعير فقالت امراة من الانصار من هذان قالوا فلان وفلان
اخوها وزوجها او زوجها وابنها فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا حى قالت
فلا ابالى يتخذ الله من عباده الشهداء ونزل القران على ما قالت ويتخذ منكم شهداء والله
لا يحب الظالمين اى لا يحب من ليس من هولاء الثابتين على الايمان والمجاهدين فى سبيله وهم
المنافقون والكافرون بل يعاقبهم وما ينعم به عليهم مكر واستدراج لهم وهو اعتراض بين
بعض التعليل وبعض وليمحص الله اى وليطهر الله الذين امنوا من الذنوب بما يصيبهم
ويمحق اى يهلك الكافرين وهو عطف على يتخذ والمحق نقص الشى قليلا قليلا ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى بل احسبتم يعنى لا تحسبوا دخول الجنة

Copyright ... University

ولا ينبغي لكم ان تحسبوا ذلك من غير جهاد وحقيقة الانكار النفي عن الحسبان وهذه الاية وما
بعدها عتاب لمن وقع منهم الهفوات يوم احد ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
علم ظهور اي ولم يجاهد بعضكم وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية لان من تبعيضية
والفرق بين لما ولم ان في لما معنى توقع الفعل فيما يستقبل فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى
توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين ولم تجاهدوا وانتم صابرون والمعنى على اقوال المفسرين اظننتم
دخول الجنة من قبل ان يصيبكم شدة في دين الله وجهاد في سبيله يعني اتحسبون دخول الجنة
والحال انه ما اجتمع علم الله بالمجاهدين منكم وعلمه بالصابرين منكم في الشدائد كما تقول ما علم الله
في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه او احسبتم دخول الجنة وما جمعتم بين المجاهدة والصبر او احسبتم
ان تدخل الجنة ولما تقع منكم مجاهدة لان كل معلوم تقتضي علما من الله تعالى فاذا انتفى تعلق علمه تعالى
به ينتفي المعلوم لا محالة يعني لا يليق بكم ان تحسبوا دخول الجنة كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم
وصبروا على الم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا مسالكهم وتصبروا صبرهم او احسبتم دخول الجنة
مع عدم الجمع بين متعلقي العلمين اعني الجهاد والصبر على ان الواو في ويعلم للجمع قال ابو البقا والتقدير
احسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين وان يعلم الصابرين وحقيقته ولم تجمعوا بين
الجهاد والصبر لان نفي العلم لنفي المعلوم قال الامام حاصل الكلام ان حب الدنيا لا يجتمع
مع سعادة الاخرة لان سعادة الدنيا لا تحصل الا باشتغال القلب بطلب الدنيا وسعادة
الاخرة لا تحصل الا بفراغ القلب عن كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله تعالى وهذان الامران
مما لا يجتمعان فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد في هذه الاية من اجتماعهما اقول لما كان
علم الله بالشيء كالجهاد والصبر عليه هنا من لوازم تحقق ذلك الشيء جعل عدم العلم كناية
عن عدم تحقق ذلك الشيء فصار معنى لما يعلم الله جهادهم وصبرهم اي لم يجاهدوا ولم يصبروا
حتى يتعلق بذلك العلم لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لان المتعلق
منتف بانتفاء العلم الذي هو المتعلق ونفي العلم من الله محال والله اعلم ولقد كنتم تمنون الموت
اي الحرب فانها من اسباب الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد
على الخروج اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجالا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم كانوا يقولون ليتنا نقتل كما قتل اصحاب بدر ونستشهد وليت لنا يوما كيوم
بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيرا ونلتمس الشهادة والجنة والحياة والرزق فاشهدهم
الله احدا فلم يلبثوا الا ما شاء الله منهم فقال الله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان
تلقوه الضمير للموت او الحرب لدلالة الكلام عليه اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
وتصلوا اليه عيانا فقد رأيتموه وانتم تنظرون يعني فقد رأيتم الموت اي سببه وهو الحرب
باعينكم يوم احد وانتم تنظرون الى النبي عليه السلام ومن قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على
انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او توبيخ لهم على تمني الشهادة فان في تمنيها
تمني

تمني غلبة الكفار وما محمد ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق
الحمد فلا يستحقه الا المستولي على الامر في الكمال واكرم الله صفيه ونبيه باسمين مشتقين من اسمه
جل جلاله محمد واحمد وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه ؞ الم تر ان الله ارسل عبده
ببرهانه والله اعلا وامجد ؞ وشق له من اسمه ليجله ؞ فذو العرش محمود وهذا محمد ؞
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه
والمزمل والمدثر وعبد الله وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي تعرض جماعة لتعداد اسمائه عليه السلام
فمنهم من بلغها تسعة وتسعين وقال ابن دحية اذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقرآن
والسنة بلغت ثلثمائة وبلغها بعض الصوفية الى الف والمراد حينئذ ما يشمل الاوصاف فاذا اشتق
له من كل وصف من اوصافه المختصة به او الغالبة عليه او المشتركة بينه وبين الانبياء بلغت ذلك
العدد بزيادة وسماه جده عبد المطلب بالهام من الله لرؤيا راه ان سلسلة من فضة خرجت
من ظهره لها طرف بالسماء وطرف بالارض وطرف بالمشرق والمغرب يتعلقون بها فعبرت بولد يتبعه اهلها
ويحمده اهل السماء والارض وينبغي تحري التسمية باسمه لخبر ابي نعيم قال الله تعالى وعزتي وجلالي
لا عذبت احدا يسمى باسمك في النار وورد اني اليت على نفسي ان لا ادخل النار من اسمه احمد ولا
محمد وروى الديلمي عن علي ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس
الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومحمد واحمد افضل اسمائه ومعنى احمد اي احمد الحامدين لربه لانه
يفتح له يوم القيمة بمحامد لم يفتح بها على احد قبله فيحمد ربه بها ثم لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه
فنباه وشرفه ولذلك تقدم احمد في قول موسى عليه السلام اللهم اجعلني من امة احمد وقول عيسى
اسمه احمد على محمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل فبان
ذكره قبل ان يذكر بمحمد وورد عن ابي نعيم انه سمي محمدا قبل الخلق بالفي عام وورد عن كعب ان اسم محمد
مكتوب على ساق العرش وفي السموات السبع وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قصب آجام
الجنة وورق طوبى وسدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملئكة الا رسول قد خلت اي
مضت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم
بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم وظهورهم
بين اممهم ابدا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما نزل النبي بالشعب امر الرماة
ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم
وقتل علي رضي الله عنه ابن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم
حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما راوا انهزام الكفار
بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه صاحب ميمنة الكفار فلما راى
تفرق الكفار حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة
الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب
عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد وكان اسدا رابضا

Copyright ... University

حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن عبيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودافع عنه ابو بكر وعلى
رضى الله عنهما ولم يبق مع النبى من المهاجرين الا ستة ابو بكر وعمر وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن
عوف وسعد بن ابي وقاص ومن الانصار سبعة كذا ذكره البغوى وظن ابن ابي قمئة انه قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ شيطانا
ففشا فى الناس خبر قتله فانكفئوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله
حتى اجتمعت اليه طايفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا
وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا وكان من اجتمع على النبى ثلثون صحابيا وكشفوا عن
النبى المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن نضر عم انس
ابن مالك عليه الرحمة والرضوان يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون
بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد
بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **افان مات او قتل انقلبتم على** ... انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت فى فراشه او قتل فى الحرب بعد علمهم بخلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء لتسبب الجملة الشرطية عن الجملة التى قبلها وهى وما
محمد الا رسول قد خلت والهمزة لانكار الجزاء اى لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته يعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل فان موسى عليه
السلام مات ولم ترجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى قتل ولم يرجعوا عن
دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموا من
قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانهم قالوا انه متقدم فى النزول على وقعة احد قال
بعضهم وهذا يختص بالعلماء منهم وذوى البصيرة والفهم الثاقب الا ترى انهم لما سمعوا خبر
قتله فروا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وايراد الموت بكلمة ان مع العلم
به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال
فى ساير الموارد فان كلمة ان فى كلام الله لا يجرى على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع
او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام **ومن ينقلب على عقبيه**
بان يرتد عن دينه **فلن يضر الله شيئا** بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزى الله الشاكرين**
اى الذين لم ينقلبوا على اعقابهم بل شكروا نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس بن النضر واضرابه
واخرج ابن جرير عن على بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال المراد بالشاكرين هنا الثابتين
على دينهم ابا بكر واصحابه وكان على رضى الله عنه يقول ابو بكر امين الشاكرين ومن
احباء الله والمعنى وسيجزى الله بالنصر والغلبة فى الدنيا والثواب والرضوان فى الاخرة
الشاكرين الذين لم ينقلبوا وثبتوا على الاسلام ثم شجعهم بقوله **وما كان لنفس ان تموت**
الا باذن الله اى وما جاز الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشية
الله تعالى

الله تعالى باذنه لملك الموت فى قبض روحه قال الاخفش اللام فى لنفس منقولة
تقديره وما كانت نفس لتموت الا باذن الله اى بقضايه وقدره وقيل بعلمه وقيل بامره
والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضايه لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه والاذن مجاز من المشية لكونها من لوازم الاذن
واما الاذن لملك الموت باخذ الروح فهو مستعمل فى المعنى الحقيقى وفى الاية وعد للرسول
بالحفظ وتاخير الاجل ودليل على ان المقتول ميت باجله وان تغيير الاجال ممتنع ولهذا اكد
هذا المعنى بقوله **كتابا** اى كتبه الله كتابا **موجلا** اى موقتا بوقت معلوم فى علم الله تعالى
لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة قال المفسرون اجل الموت هو الوقت الذى فى علم الله تعالى
ان روح الحى تفارق جسده ومتى قتل العبد علمنا ان ذلك اجله ولا يصح لو لم يقتل لعاش
بدليل قوله تعالى كتابا موجلا وقوله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ولا يستقدمون وقوله
ان اجل الله اذا جاء لا يوخر لكل اجل كتاب خلافا لاهل الاعتزال فانهم يقولون يتقدم
الاجل ويتاخر وان من قتل فانما هلك قبل اجله وكذلك كل ما ذبح من الحيوان كان هلاكه
قبل اجله لانه يجب على القاتل الضمان والدية فهذه الايات تكون ردا عليهم ولما كان
الذابح منهيا عن ذبح شاة الغير بلا امر والقاتل منهيا عن قتل الادمى المعصوم فانما
يؤخذ ويلام بارتكابه ما نهى عنه وعلى المكلف مراعاة ظاهر الامر والنهى دون
اعتبار حقيقة الحكم والمعلوم الا ترى ان المومن يعاقب بارتكاب ساير المعاصى وان
علم الله منه ذلك بسبب ارتكابه ما نهى عنه فهذا مثله **ومن يرد** اى بعمله وقتاله
يوم احد او مطلقا **ثواب الدنيا** اى جزاء عمله اى الغنيمة وهو تعريض للذين شغلتهم
الغنايم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة
ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من وراءهم فهزموهم
نؤته منها اى نعطه من ثوابها ما قسم له منها كقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما
نشاء لمن نريد **ومن يرد ثواب الاخرة** اى اعلاء كلمة الله والدرجة فى الاخرة **نؤته**
منها اى من ثوابها يعنى جزاء عمله ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم
وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ من الجهاد يعنى وسنجزى المومنين
المطيعين كعبد الله بن جبير والذين ثبتوا معه يوم احد ثم وبخ ايضا من ترك الجهاد
يوم احد فقال **وكاين** اصله اى دخلت عليه كاف التشبيه وصارا فى معنى كم التى
للتكثير وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم
رعملى فى لعمرى فصار كيأين ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى
الفا كما ابدل من طائى **من نبى** بيان ومميز لكاين اى وكثير من الانبياء **قاتل** اى
جاهد **معه ربيون كثير** اى جماعة كثيرة بكسر الراء نسبة الى الربة بمعنى الجماعة فربيون
مرفوع بالفاعلية والمعنى كثير من الانبياء قاتل معه جماعات كثيرة او علماء اتقياء او عابدون

Copyright King Saud University

لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه قال الشيخ وهي جمع ربي وهو منسوب الى الرب اي كثير
من الانبياء قاتل معه ربانيون اي علماء اتقياء صلحاء او عابدون لربهم لانفاذ امر الله
ورضى له واعزاز دينه وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قُتِلَ بالبناء للمفعول وقرأ
الباقون قاتل فمن قرأ قاتل فلقوله فما وهنوا ويستحيل وصفهم بان لم يهنوا بعد ما قتلوا
وماتوا ولقول سعيد بن جبير ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال والحرب ولان قاتل اعم فما
وهنوا اي ما عجزوا عن القتال ولم ينكسر جدهم لما اصابهم في سبيل الله من
الشدة وغلبة العدو وقتل الاخوان او قتل نبيهم اخرج ابن المنذر عن ابن عباس
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله قال لقتل انبيائهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين
اي ما ضعفوا في الجهاد عند قتل اخوانهم او نبيهم على قول من قال به وما استكانوا اي
وما خضعوا للعدو ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من
الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله عليه السلام وباعتضاد البعض بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان وبعدم
صبرهم على قتال العدو والله يحب الصابرين على مقاساة الشدايد ومعاناة المكاره
في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم بنصب اللام خبر كان واسمه الا
ان قالوا اي ما كان قول الذين قاتلوا مع انبيائهم من الامم الماضية الا هذا القول
اي ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي الصغاير واسرافنا الكباير في امرنا باضافة
الذنوب والاسراف الى انفسهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين هضما لانفسهم
ومعنى اسرافنا اي تجاوزنا حد العبودية اي ما كان قولهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق
الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدايد والاهوال شي من الاشياء الا طلب العفو والتجاوز
عما فرط منهم فرضا لكونهم ربانيين براء من التفريط وثبت اقدامنا في مواطن الحرب
بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين
قدم طلب الاستغفار على طلب تثبيت الاقدام والنصر ليكون طلبهم ذلك من الله
تعالى عن زكاة وطهارة من الذنوب فيكون اقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة
فآتاهم الله اي فاعطاهم الله بسبب دعائهم ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز
وطيب الذكر وحسن ثواب الآخرة اي الجنة وحسنه التفضيل فوق الاستحقاق وقيد
ثواب الآخرة بالحسن ليدل على فضله والاعتداد به عنده والله يحب المحسنين
في الجهاد والطاعة اي هم محسنون والله يحبهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم اي يرجعوكم الى الشرك بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين
مغبونين في الدنيا والآخرة لعموم لفظ الخاسر قال علي رضي الله عنه نزل قوله تعالى ان
تطيعوا الذين كفروا الخ في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في

في دينهم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم
يردوكم الى دينهم قال ابن الخطيب والاقرب الى الذهن ان يتناول قوله ان تطيعوا
الذين كفروا كل الكفار سواء ابي سفيان وغيره لان لفظ الكافر عام وخصوص السبب لا يمنع
عموم اللفظ اما خسران الدنيا فالانقياد للعدو واظهار الحاجة اليه واما خسران الآخرة
فالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العذاب المخلد بل الله مولاكم اي ناصركم وحافظكم
على دينكم فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره كانه اضراب من قول القايل فليس الكفار انصاركم
حتى تطيعوهم بل الله ناصركم وهو خير الناصرين ان ينصركم الله فلا غالب لكم فاطيعوه دون
الذين كفروا سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي سنقذف الخوف الخ بريد قذف في
قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب مع كثرتهم وقوتهم وشوكتهم
حتى نادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ثم انهم ندموا فقالوا بئس ما
صنعتم انكم لو قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف
الله في قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا اعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له ان لقيت محمدا
فاخبرهم بما قد جمعنا لهم فاخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء
الاسد فانزل الله في ذلك قال بعض العلماء هذا القيل يعني لما رجعوا وكانوا
ببعض الخ اولى بالمقام لان السين في سنلقي تقتضي ذلك قال الشيخ رحمه الله قال
القفال كانه قيل انه ان وقعت لكم هذه الانهزام والواقعة في يوم احد فان الله تعالى
سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى تقهروهم ويظهر دينكم على ساير الاديان
وقد فعل وهذا يدل بان الرعب وقع لهم وهم باحد وهذا انسب باكرام الله لنبيه
في ذلك الحال وعليه المحققون والله اعلم والجمهور على اسكان العين وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب الرعب بضم العين بما اشركوا بالله متعلق بسنلقي دون الرعب وما مصدرية
اي نقذف الرعب بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين
عليهم ما اي الهة وشريكا لم ينزل الله به اي بالالهة سلطانا حجة ودليلا والمعنى
كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم بالله الهة وشريكا لم ينزل الله بان
ذلك الالهة حجة ودليلا وعذرا وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك
لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا فعدم انزال الحجة هنا لعدم تحققها
في نفسها وذا انها لا بان تحقق ولم تنزل كقول الشاعر ٭ لا يفزع الارنب اهوالها ولا ترى
الضب بها ينجحر ٭ اي لا ضب هناك ولا انجحار ولا ارنب ولا خوف وهنا لا الهة ولا برهان اصلا ومأواهم
اي مرجع المشركين النار وبئس مثوى الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول
الله مع اصحابه المدينة قال ناس من اصحابه من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل
ولقد صدقكم الله وعده اي حقق الله وعده اياكم بالنصر والظفر والغلبة بشرط التقوى

Copyright © King Saud University

ودر صحیح حاکم از ابن عباس رضی الله عنه نقل میکند که گفت که خدای تعالی در هیچ موطنی پیغمبر خود را این نصرت نکرد که در حرب احد یعنی رب سخن انکار کردند وابن عباس رضی الله عنه فرمود که بین از کتاب خدای تعالی میگویم که فرمود وعده نصرت من با شما راست اذ تحسونهم اینهنگام که می کشتید کافران را از روی شتاب باذنه بخواست خدای یا حکم با معونة او در اول روز ظفر شما را بود حتی اذا فشلتم الی ۱۲ تفسیر حسینی

والصبر وعدم المخالفة **اذ** اي صدقكم في وقت **تحسونهم** تقتلونهم قتلا كثيرا ذريعا فاشيا
عن ابن عباس حسّه بالقتل اي ابطل حسّه بالقتل **باذنه** اي بامره وتيسيره وتوفيقه وكنتم غالبين
حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رأيكم وملتم الى الغنيمة اي دام لكم الغلبة الى وقت
فشلكم حين خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالسهام والباقون
يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم **وتنازعتم** اي اختلفتم **في الامر**
اي في امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضهم نذهب فقد نصر
اصحابنا فما موقفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم
عبد الله بن جبير في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله عز وجل **وعصيتم**
امر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة **من بعد ما اراكم** الله **ما تحبون** من الظفر
والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم او منعكم النصر فهز منتم
منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة **ومنكم من يريد الآخرة** يعني
الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد ونزلت هذه الآية **ثم** عطف
على ما قبله والجملتان اي منكم من يريد الدنيا الى الآخرة اعتراض بين بين المتعاطفين **صرفكم**
عنهم اي بعد ما ظفرتم على الاعداء ثم خالفتم ردكم الله عن الكفار والقى اليكم الهزيمة
بعد ان اظفركم عليهم يعني ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم فدل انصراف الله المسلمين
عن الكفار على ان افعال العباد طاعة كانت او معصية انما هي بخلق الله تعالى فانه تعالى اضاف الصرف
الى نفسه مع ان الصرف عن العدو فعلهم وانه لكونه فرارا عن الزحف من كبائر المعصية كيف والحال
انهم خالفوا صريح رضى رسول الله وامره **ليبتليكم** على المصائب فيظهر المخلص من غيره ويمتحن
ثباتكم على الايمان عندها وهو متعلق بصرفكم وان مضمرة بعد الكلام **ولقد عفا** الله **عنكم**
ما ارتكبتموه من عصيان امر الرسول عليه السلام لما علم من ندمكم لما فرط منكم من المخالفة وذلك
تفضلا لان التوبة غير مذكورة فدل على انه تعالى قد يعفو عن اصحاب الكبائر على رغم اهل الاعتزال
ثم قال **والله ذو فضل على المؤمنين** بالعفو تفضلا وبالتوبة منه ولان الابتلاء رحمة
كما ان النصر رحمة **اذ تصعدون** متعلق بقوله تعالى ولقد عفا عنكم اي عفا عنكم اذ تصعدون
هاربين الى فوق احد فرارا والرسول يدعوهم في اخراهم الي عباد الله ارجعوا الي عباد الله
ارجعوا وقال ابو حيان قرأ الجمهور تصعدون من اصعد والهمزة فيه للدخول اي دخلتم
في الصعيد كاصبح اذا دخل في الصباح والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال
اصعدنا من مكة الى المدينة فالمعنى اذ تذهبون في الارض ويؤيد ذلك قراءة ابي اذ تصعدون
في الوادي وقرئ تصعدون بفتح التاء والعين من صعد في الجبل اذا ارتقى اليه والجمع بين
القرائتين انهم اولا اصعدوا في الوادي ثم لما ارهقهم العدو صعدوا في الجبل وقال
صاحب الديوان الاصعاد في الارض والتصعيد في الجبل والصعود في السلم **ولا تلوون على احد**

اي العفو

اي لا يقف احد لاحد ولا ينتظره ولا يقيم له وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم
يقال لا يلوي على فلان اي لا يلتفت اليه واصله تلويون فاعل بحذف اللام **والرسول يدعوكم**
وكان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة **في اخريكم** اي في
آخركم ومن ورائكم يعني في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فلم يلتفت احد منكم اليه حتى صعدتم الجبل
الاخرى هي المتأخرة يقال جئت في اخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل
مقدمتهم وجماعتهم الاولى ففي هذا القول مدح له صلى الله عليه وسلم فان ذلك موقف الابطال في
اعقاب الناس فانه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس كما قال سلمة بن الاكوع كنا اذا احمر
البأس اتقيناه برسول الله صلى الله عليه وسلم **فاثابكم** عطف على صرفكم اي فجازاكم الله على عصيانكم
غما متصلا **بغم** اي غما مضاعفا بعد غم كغم القتل والجروح وغلبة المشركين والارجاف
بقتل الرسول وفوت الغنيمة والنصر او فجازاكم الله غما بسبب غم اذ قتموه رسول الله بعصيانكم
ومخالفتكم لامره قال ابو حيان وسمى الغم ثوابا على معنى انه قائم في هذه النازلة مقام الثواب
الذي كان يحصل لولا الفرار فهو نظير قوله تحية بينهم ضرب وجيع وقال الراغب الثواب
يقال في الخير والشر لكن الاكثر المتعارف في الجزاء **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم** اي فعل الله بكم
ذلك لتتمرنوا وتتعودوا على الشدائد والمصائب وتجرع الغموم والنوائب فلا تحزنوا فيما بعد
على نفع فائت وضر لاحق **ولا ما اصابكم** اي ولا على ما يصيبكم من المضار او ما اصابكم من القتل
والهزيمة قال الشيخ اللام في لكيلا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان في عفوه سبحانه
ما يزيل كل هم وحزن وان يتعلق بقوله فاثابكم ولا عند الجمهور باقية على معناها من النفي
يعني غير زائدة فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة لتتمرنوا على تجرع الغموم
الى كما ذكرنا وليصير ذلك زاجرا لهم عن المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وامر رسوله
وعلى قول الحسن جعلكم الله مغمومين يوم احد في مقابلة ما جعلهم الله اي الكفار مغمومين يوم
بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدهم وقيل لا زائدة والمعنى
لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل يجوز
ان يكون الضمير في اثابكم للرسول اي فجعلكم الله اسوة وقدوة في الاغتمام فكما غمكم بما نزل بالرسول
من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه بما نزل بكم من انواع المصائب فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب
غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو **والله خبير بما تعملون**
اي باعمالكم وبما قصدتم بها وهذه الجملة تقتضي تهديدا وخص العمل هنا وان كان خبيرا باقوال
والنيات ايضا تنبيها على اعمالهم من تولية الادبار والمبالغة في الفرار وهي اعمال تخشى عاقبتها
لانهم هربوا الى الجبل والنبي ذهب اليهم يدعوهم حتى وصل الى الصخرة وهم على الجبل فعرفوا النبي
ونزلوا الى الصخرة فاقبل ابو سفيان واصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم
غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فانساهم هذا ما نالهم من قبل فقال رسول الله صلى

Copyright King Saud University

الله عليه وسلم ليس لهم ان يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد فى الارض ثم ندب اصحابه
فرموهم بالحجارة حتى انزلوهم ثم عطف على قوله فاثابكم انزل عليكم يا معشر المسلمين والخطاب
لهم لا للمنافقين من بعد الغم اى الغم المذكور يعنى فاثابكم غما بغم امنة اى الامن نعاسا
بدل من امنة اى نعاسا ذا امنة والمعنى ثم انزل الله الامن على المومنين وازال عنهم الخوف
الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا
فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من
امنة او هو مفعول وامنة حال منه متقدمة عليه نحو رايت راكبا رجلا والاصل عليكم نعاسا ذا
امنة اذ النعاس ليس هو نفس الامن وقد مر الفرق بين النوم والنعاس فى تفسير اية الكرسى
ويجوز ان يكون امنة مفعولا له او حالا من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار
وبررة قال محى العرض والسنة الامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب
الخوف والامنة من بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف ههنا قايما يغشى قرا حمزة والكسائى
تغشى بالتاء ردا الى الامنة وقرا الباقون بالياء ردا الى النعاس والجملة صفة له اى يعلو النعاس
فى صف القتال طائفة منكم والطائفة المؤمنون حقا لانهم اهل اليقين والصدق والوثوق بالله
قال ابن مسعود رضى الله عنه النعاس فى القتال امنة وفى الصلوة من الشيطان لانه فى
القتال لا يكون الا من الوثوق بالله وفى الصلوة لا يكون الا بالغفلة عن عظمة الله وقال
ابن عباس آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يامن والخايف لا ينام وطائفة هم المنافقون
وطائفة مبتدا حذف خبره اى ومن بينكم طائفة نافقة فاجرة فاسقة قد اهمتهم انفسهم
اى اوقعتهم انفسهم فى الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وخلاصها لا هم الدين
ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكانوا يقولون لو كان لنا من الامر شىء يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ويجب ان يظن به وهو ان لا ينصر
محمد مع اخبار النبى بالنصر مع الصبر والتقوى وظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص بالملة
الجاهلية واهلها اى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله حيث ان النبى قد قتل
او لا ينصر فقوله قد اهمتهم صفة اولى لطايفة وقوله يظنون الخ صفة اخرى لها او حال او استيناف
على وجه البيان لما قبله كانه قيل ما بالهم اهمتهم انفسهم فاجيب بانهم يظنون وغير الحق
نصب على المصدر اى غير الظن الحق الخ يقولون لرسول الله واصحابه بدل من يظنون هل لنا
اى ما لنا لفظه استفهام ومعناه نفى اى ليس لنا من الامر اى من امر النصر من شىء مما
وعدنا الله من النصر والغنيمة اصلا يعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق
لنا من الامر شىء او هل يزول قهر المشركين عنا فيكون لنا من الامر شىء وهذا قول ابى حين
اخبر بقتل بنى الخزرج فالاستفهام ليس على حقيقته يعنى للاسترشاد بل للانكار والجحد
والنفى وقال السلطان معناه هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط يعنى
الاستفهام على حقيقته يعنى انهم يقولون لرسول الله ويسالونه سوال المومنين المسترشدين

هل

هل لنا يريدون هل لمعاشر المسلمين نصيب مما امر الله تعالى ووعد من النصر والظفر على الكفار
قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهذه الجملة اعتراض واقع بين الحال وذيها وقرا ابو عمرو
ويعقوب كله بالرفع على الابتداء ولله خبره والجملة خبر ان وقرا الباقون بالنصب فيكون
تاكيدا لاسم ان والاية تدل على ان جميع المخلوقات بخلق الله وقضائه وقدره لانه المنافقين
قالوا لو ان محمدا قبل منا راينا ونصحنا لما وقع فى هذه المحنة فاجابهم الله بان الامر كله لله
كناية عن كونه لخواصه لكونهم بمكان من الله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك
حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين للانكار
والتكذيب اذ لو قالوا ذلك جهارا لما كانوا منافقين بل كانوا كفارا مجاهرين ففيه طباق ومقابلة
بين الاخفاء والابداء والاثبات والنفى يقولون اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض
وهو بدل من يخفون او استيناف وقع جوابا عن سوال نشا مما قبله كانه قيل اى شىء يخفون
فقيل يحدثون انفسهم يقولون لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا اى
ولو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم لغالبون لما غلبنا قط ولما
قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راى ابن
ابى وغيره قل لهم لو كنتم فى بيوتكم اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى
اللوح المحفوظ الى مصارعهم ومحل قتلهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منهم احد فان الله قدر
الامور ودبرها فى سابق قضائه لا معقب لحكمه اى لا يجى عقيب قضائه ما يغيره وليبتلى الله اى فرض
الله عليكم القتال ليمتحن ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل
محذوف كما قدرنا او عطف على علة محذوفة اى لبرز لنفاذ القضاء ولمصالح جمة وللابتلاء او
على قوله لكيلا تحزنوا وقيل عطف على ليبتلى الاولى وانما كررت لطول الكلام وليمحص ما فى قلوبكم
التمحيص التصفية اى ليصفيه ويكشفه ويظهره ويميزه او ليخلصه من الوساوس والشبهات ويطهره
ويقدسه فان قيل قد ذكر الابتلاء فى قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم فلم اعاده قلنا لان الابتلاء
الاول هزيمة المومنين وهذا فى ساير الاحوال والله عليم بذات الصدور من الخير والشر وخفيها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء والامتحان لانه عالم بجميع
المعلومات وانما امتحنهم ليمين المومنين ولتمرينهم وليظهر حال المنافقين ان الذين تولوا اى
انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين يوم التقى الجمعان اى جمع محمد وجمع ابى سفيان فى غزوة
احد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا ثلثة عشر رجلا ستة من المهاجرين
وهم ابو بكر وعمر وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص كما ذكرنا من قبل انما استزلهم
الشيطان اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان لعنه الله طلب منهم الزلل والخطيئة والمخالفة
بوسوسته وتسويله فاطاعوه وتركوا المركز ببعض ما كسبوا اى وذلك الزلل بسبب بعض ذنوب

Copyright © King Saud University

صدرت منهم قبل لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة او المراد انما انهزموا
بسبب ما كسبوا فى ذلك اليوم من الذنوب كالحرص على الغنيمة وعلى الحياة بعد النبى واصحابه
وترك المركز فمنعوا بشوم الذنوب التاييد الالهى وقوة القلب وهذا هو الظاهر وقيل استزلهم
الشيطان بذكر ذنوبهم سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة
من تلك الذنوب والاضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتخليل بكسبهم وعظ وتاديب
ولم يواخذ بجميعها لانه سبحانه عفو يعفوا عن كثير ثم طيب قلوبهم بعد التوبيخ بقوله ولقد
عفا الله عنهم اى تجاوز عنهم لتوبتهم واعتذارهم الى النبى مما وقع لهم من الحيرة ان
الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب وهذا سر قوله عليه السلام
لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم يا ايها الذين امنوا لا
تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين كابى واصحابه وقالوا لاخوانهم فى النسب
او النفاق والمذهب اى فى حقهم ولاجلهم لان اولئك الاخوان كانوا ميتين عند هذا القول
ومعنى اخوتهم فى الجنس او النسب فان بعض المقتولين من المسلمين كانوا من اقارب المنافقين
وانما ذكر فى صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم بحال المومنين وتنفيرا من مماثلتهم اذا
ضربوا فى الارض اى حين سافروا فيها وابعدوا للتجارة وغيرها فماتوا فى سفرهم واذا
هنا بمعنى اذ الموضوع للماضى لان اذا مدخولها المضارع وهو غير مناسب لقوله وقالوا لانه
لا يجوز ان يكون القول الماضى مظروف زمان لم يات بعد وهذا قال السلطان وكان حقه
اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا اى اخوانهم غزى جمع غاز
كعاف وعفى او خرجوا الى الغزو فاصابهم موت او قتل قال الامام الواحدى فى الاية
محذوف تقديره اذا ضربوا فى الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وانما قوبل الضرب فى الارض
بقوله او كانوا غزى باعتبار ان الغزاء قد يكون بدون السفر كما وقع فى احد لو كانوا
اى الاخوان عندنا اى مقيمين بالمدينة ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وذكر اخوانهم
بطريق الغيبة يعنى بلو كانوا عندنا الخ دون لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم يدل على ان
اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك اى ليصير الله قولهم لاخوانهم اذا ضربوا
الخ وظنهم واعتقادهم الفاسد حسرة اى غما وندامة فى قلوبهم اى فى قلوب المنافقين
فان الدنيا او الاخرة فاللام لام العاقبة كما فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا فهو متعلق بقالوا
او متعلق بلا تكونوا ويكون اللام على حقيقة العلية والغرض اى لا تكونوا ايها المومنون كهؤلاء فى النطق
بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك اشارة
الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان
مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيى ويميت الواو للحال اى هو الموثر
وحده فى الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم
والقاعد فالاية رد لقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا والله بما تعملون بصير فيجازيكم على

الاعمال

٢ الاعمال قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بياء الغيبة على انه وعيد للذين كفروا والباقون بالخطاب
مع المومنين على انه تهديد لهم على ان يماثلوهم اى وعد لهم لانهم ما ماثلوهم ولئن اللام
هى الموطئة للقسم محذوف وجوابه قوله لمغفرة وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده
لكونه دالا عليه قتلتم فى سبيل الله اى والله ان قتلتم فى الغزو ولله تعالى او متم
فى سبيل الله مومنين قرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات كخاف يخاف والاول
موت بكسر العين كخوف والباقون بضمها من مات يموت لمغفرة كائنة من الله لذنوبكم بسببه
اللام لام الابتداء وهى مع ما بعدها جواب القسم وهى مرفوعة بالابتداء ومن الله صفة لها
ورحمة من الله اى ونعيم الجنة عطف على المغفرة مبتدا ثان خير خبره ولا تكرار فى ذكر الرحمة
مع المغفرة لانه يرحم ثم يغفر مما تجمعون قرأ حفص بياء الغيبة اى خير مما تجمعه الكفار و
الباقون بتاء الخطاب لجمع المسلمين من الغنائم جريا على قوله ولئن متم او قتلتم والمعنى ان
السفر والغزو ليسا مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع فى سبيل الله فالذى تنالون
من المغفرة والرحمة بالموت او القتل فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة ولئن متم او قتلتم اى والله على اى وجه
اتفق هلاككم فى سبيل الله لالى الله تحشرون اى لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة
تبعثون بعد الموت فيجازيكم بالثواب العظيم لا الى غيره سبحانه فتطلبون فبما رحمة من الله
لنت لهم اى فبرحمة وما صلة وزينة لتاكيد الحصر والجار والمجرور مقدم على
لنت للدلالة على ان لينه عليه السلام للاصحاب بعد الانهزام ما كان الا رحمة من الله ومعنى
لنت لهم سهلت لهم اخلاقك وكثرت تحملك وتلطفت وما عنفتهم وربطت على فزع قلبك
واضطرابه حتى اغتممت لهم بعد ان خالفوك فى امرك والفاء للترتيب على ما دل عليه سياق الكلام
من انهم كانوا مستحقين للعقاب البليغ وان المرجو منه عليه السلام ما هو مقتضى الطبع البشرى
ان يعنف عليهم ويغلظ فى مخاطبتهم ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا سيئ الخلق والملكة
جافيا غليظ القلب اى قاسيه بان لا يرحم ولا يرق للمبتلى قال الراغب الفظ الكريه
الخلق قال ابو حيان الغلظ اصله فى الجرم وهو تكثر اجزائه ثم استعمل فى قلة الانفعال
والاشفاق والرحمة لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما
يختص بك اى تجاوز عن فعلهم بالحد واستغفر لهم فيما لله اتماما للشفقة عليهم اى اطلب المغفرة
منى لذنوبهم يعنى استشفع حتى اشفعك فيهم وشاورهم فى الامر اى فى امر الحرب اذ بحثنا فيه او فيما
يصح ان يشاور فيه بان لم يرد فيه النص لان النص والوحى اذا جاء بطل الراى والمشاورة
ولهذا قرأ ابن عباس رضى الله عنه وشاورهم فى بعض الامر يعنى شاورهم استظهارا برايهم
وتطييبا لقلوبهم قيل سادات العرب اذا لم يشاوروا شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة
اصحابه وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به
بعده وتصير سنة فالمشاورة مقبولة قال عليه السلام ما تشاور قوم قط الا هدوا

لا ترشد أمورهم قال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولما نزل
وشاورهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن الله جعلها
رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا رواه البيهقي في الشعب
بسند حسن وفيه دلالة لجواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة **فاذا عزمت** على امضاء ما
تريد بعد المشورة اي وطنت نفسك على شيء يعني اذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى
ووضوح الراي **فتوكل على الله**. لا على المشورة ولا على اصحابها في امضاء امرك على الارشد
الاصلح فانه لا يعلم الاصلح سوى الله اي ثق بالله وقم بامر الله واستعنه وقال جعفر رضي الله عنه
امر الله رسوله باستقامة الظاهر مع الخلق وتجريد باطنه للحق الا تراه يقول فاذا عزمت فتوكل
على الله قال في العرايس العفو والاستغفار من سامحة الله لهم يعني فاعف عنهم تقصيرهم قلة
عرفانهم اقدارك واستغفر لهم ما يجري في صدورهم من الخطرات التي لا تليق بالمعرفة وما يجري
على صورهم من الحركات التي لا تليق بصحبتك ومجالستك لانك مستغرق في الربوبية وهم يطلبونك
في مقام العبودية وهم في وصف المحبة والارادة وانت في محل التوحيد تشاهد مطالع شموس
الازال واقمار الاباد وقال سادة المشايخ اذا عزمت بعد مشاورة استصواب الاراء المنورة
بنور الالهام فتوكل على الله لا على تلك الاراء فيما يظهر من الامور مما تكرهه وتحبه فانه اعلم
بالاصوب منه لك منك كما قال الله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الاية وقد ذكر شيخنا
عبد القادر الجيلاني قدس سره معاني التوكل في غنية فراجعه **ان الله يحب المتوكلين**
فينصرهم ويهديهم الى الصلاح وهذه الاية تدل على انه ليس التوكل ان يهمل الشخص نفسه
بالكلية والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للتوكل بل التوكل ان يراعي الاسباب الظاهرة
ولكن لا يعول عليها بل يعول على عصمة الحق ويفوض الامر اليه اذ التوكل الاعتماد على الله
مع اظهار العجز والجهد على فتح التاء في عزمت وقرئ بضمها على التكلم اي فاذا عزمت لك
على شيء وعينته لك وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا **ان ينصركم الله**
كما نصركم يوم بدر يعني يعينكم الله ويمنعكم من عدوكم **فلا غالب لكم** اي فلا احد يغلبكم
وان يخذلكم اي يترك نصركم كيوم احد **فمن ذا الذي ينصركم** اي من يمنعكم من عدوكم
من بعده اي من بعد خذلان الله او من بعد الله معناه اذا جاوزتموه فلا ناصر
ولا معين لكم سواه وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه وتحريض على فعل
طاعة يستحق به النصر من الله وتحذير على فعل شيء يستوجب خذلان الله ونظيره ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له **وعلى الله** وحده **فليتوكل المؤمنون**
اي وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي
ذلك **وما كان لنبي ان يغل** اي ما صح لاحد من الانبياء ان يخون في الغنائم فكيف
لمن هو افضل الخلق فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا
اذا اخذه خفية والمراد منه ابراءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روي ان قطيفة

حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها فنزلت او ظن به
الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا
فهو له ولا يقسم الغنائم فنزلت واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلايع
فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعث الطلايع فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع
فنزلت والمعنى على هذا ما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية
وتكون تسمية حرمان بعض الغزاة غلولا ارشادا وتعظيما لجانب الرسول عليه السلام حيث
عد ادنى زلة منه غلولا ان صح ذلك بل ذلك بعيد عن ساحة طهارته وليس تغليظا
وتقبيحا لصورة الامر اي لجعل بعض المستحقين محروما كما هو ديدنة الا ترى في حقه عليه السلام
في كثير من الايات فان عادة الله قد جرت بالتلطف مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول الله
عفا الله عنك لم اذنت لهم بداءة باللطف والحلم وحيث لم يقل ما كان لك ان تغل بالخطاب
بل قال لنبي اي بنبي منكر اعز معين اي ما صح لنبي من الانبياء ان يغل فيكون نفيا للعام فيستفاد
منه ضمنا نفيه عليه السلام فان فيه تعظيما لجانبه فلا يليق لاحد ان يتكلم هذه العبارة الشنيعة
في حقه عليه السلام مع امكان حمل الاية على احسن الوجوه واما قوله تعالى ولئن اشركت او فلا
تكن في مرية فهو من باب التعريض والكناية فلا يكون التقبيح متعلقا به عليه السلام وقيل
معناه ما كان يظن به ذلك ولا يليق به وقيل معناه ان يخون والمراد منه الامة وما كان
ان يخان يعني ان تخونه امته او ما كان لنبي ان يخون وينسب الى الخيانة سبحان من قدس
اسرار نبيه عن دنس الخطرات ووصفه بالامانة لئلا يتهمه احد من الاغلال
على قلبه الطاهر المغسول بيد الملئكة بماء الزمزم والثلج والبرد عند بيان الشريعة والطريقة
بداهية لرؤية شريف ووضيع ولم يخف حق الله عن عباده واعطى علم الحق لاهل الحق
وبين للمحجوبين آية الحق ببرهان الحق ولم يخط خطوة لحظ نفسه فان الغلول هو
الخيانة في الغنيمة وغنيمة الانبياء في الحقيقة ما يجدون من الله كل حين من الواردات
الالهية التي لا يجد ها احد غيرهم ويجب عليهم اظهار هذه الغنيمة وافاضتها الى
قلوب المحتاجين المنكرين لانهم خلقوا لهذه المصلحة قال يحيى العلوي ما كان لنبي ان
يضع اسرار العبد الا عند الامناء من امته وسبحان من نزه انبياءه عن الغلول وصان
خصالهم واحوالهم عنه قبل النبوة وبعده اما خصالهم فان الغال خائن كما قلنا والانبياء
امناء الله على وحيه واما احوالهم لان من حال الغال ان يكون الغالب على امره النفس وهواها
ومغلوب النفس والهوى لا يصلح للنبوة لان النبي صالح ان يكون شفيعا لامته يوم القيمة والشفيع
هو الذي ينجو بنفسه ثم ينجي غيره ثم لنزاهة نبيه عن ذلك قال **ومن يغلل يات بما**
غل يوم القيمة اي يات بالذي غله يحمله على عنقه فكيف العاقب بمجازات الغلول
ينجي غيره من العقوبة وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يغل احدكم شيئا الا جاء به يوم القيمة
يحمله على عنقه رواه الشيخان واخرج الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره ثم قال لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته
بعير له رغاء فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك لا الفين
احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يا رسول الله اغثني الخ الحديث فعلى
هذا يكون المراد بما غل معناه الحقيقي اى يجئ بعين ما غله وعليه اكثر المفسرين وقال بعضهم
اريد بما غل اى بما احتمل من وباله واثمه قال الكلبي يمثل له ذلك الشئ في النار ثم يقال له انزل
فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع في النار ثم كلف ان ينزل اليه فيخرجه
يفعل ذلك به مرارا وقال صلى الله عليه وسلم اذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه وروي
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال
وضربوه وقال صلى الله عليه وسلم في حق مدعم لما جاءه سهم غائر فاصابه فقتله فقال
الناس هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا والله ان الشملة التي اخذ يوم خيبر من المغانم
لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا وقال عليه السلام لمن جاءه بشراك قد غله او شراكين
شراك من نار او شراكان من نار واخرج هناد وابن ابي حاتم عن ابي هريرة ان رجلا قال
له ارأيت قول الله ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة هذا يغل الف درهم والفي درهم يأت بها
ارأيت من يغل مائة بعير ومائتي بعير كيف يصنع بها قال ارأيت من كان ضرسه مثل احد
وفخذه مثل ورقان وساقه مثل بيضا ومجلسه ما بين الربذة الى المدينة الا يحمل مثل هذا
فاما قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة قلنا معناه يأتي به مكتوبا في
ديوانه او يأتي به حاملا اثمه ومعنى فرادى اى منفردين عن الاموال والاهل وعن الشرك اى
الفرار عن الهتهم المعبودة من دون الله وتمام الاية يشهد للكل فان قيل في الصحيحين
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغال يأتي يوم القيمة حاملا عين ما غله على عنقه صامتا كان او
ناطقا قلت فعلى هذا يكون المراد بقوله ولقد جئتمونا فرادى اى عن مال واهل يعترفون
بها وينتصرون والمسروق لا يعتبر به السارق في ذلك الحال ولا ينتصر فهو منفرد عن مال ينفعه
ثم توفى كل نفس ما كسبت اى يعطى جزاء ما كسبت وافيا تاما وكان اللائق بما قبله ان
يقال ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله يأتي بما غل لفظا لكنه جئ بعام يدخل تحته كل كاسب
من الغال وغيره ليكون كالبرهان على المقصود الذي هو ان يوفى الغال جزاء ما كسبه لان
توفية كل نفس جزاء ما كسبت تستلزم توفية الغال جزاء ما غل مع المبالغة في ذلك فانه اذا
كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه واثمه اولى بذلك وكلمة ثم للتفاوت بين
حمله ما غل وبين جزائه او للتراخي الزماني اى بعد حمله ما غله مدة مديدة وجعله منتظرا فيما
بين الناس مفتضحا حاملا ما غله توفى منه كل نفس وهم لا يظلمون اى كل واحد من افراد
الناس المدلول عليهم بكل نفس لا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن
اتبع رضوان الله بان اخذ الحلال من الغنيمة الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف اى
انقى فاتبع بالطاعة رضاء الله اى سعى في تحصيله كالنبي ومن يسير سيرته لم يقل مأواه الجنة رغم

المصير

المصير اشارة الى ان رضوان ليس مما ينظم اليه في نظر العارف مثوبة اخرى بل كان كل ما سواه ٢
فهو مضمحل في جنبه كمن باء اى رجع بسخط اى بشدة ارادة انتقام كائن من الله
تعالى بسبب المعاصي كالغال ومن يدين بدينه والمراد بقوله افمن اتبع الخ نفي الغلول عن سيد الانام
صلى الله عليه وسلم كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون ممن ترقى الى اعلى عليين لكن تردى الى اسفل السافلين
ومأواه اى مقام من غل من الغنيمة جهنم وبئس المصير اى بئس المصير جهنم اى الموضع الذي
صار اليه الناس والفرق بين المصير والمرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى لان في صار
معنى الانتقال من حال الى حال وضعا نحو صار العصير خلا بخلاف رجع فانه ليس في وضعه معنى
الانتقال المذكور فان الرجوع عود الى عين ما كان عليه من الحال الاول هم درجات مبتدأ
وخبر والضمير لمن اتبع رضوان الله ومن باء بسخط يعني هم ذوو درجات اى اصحاب منازل
ورتب في الثواب والعقاب عند الله قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني من اتبع رضوان الله
ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء
بسخط من الله العذاب الاليم والله بصير كما هو عليم بما يعملون اى باعمالهم ودرجاتها صادرة
عنهم فيجازيهم على حسبها من الغلول وعدم الغلول وفسر الاعرج البصير بالعلم وكذلك السميع
اى والله عليم وتبجحه ذي العيوب والمدارك والسلطان فانه يحمل سمعه تعالى وبصره على العلم
بالمسموعات والمبصرات وهذا مخالف لما عليه الجمهور قال السيد الشريف قدس سره في شرح المواقف
تنبيه قد تقدم في مباحث العلم ان طائفة من اهل الاعتزال تزعم ان الادراك اعني السمع
والبصر نفس العلم بمتعلقه الذي هو المدرك وقد ابطلناه بانا اذا علمنا شيئا علما تاما جليا
ثم ابصرناه فانا نجد بالبداهة بين الحالتين فرقا ونعلم بالضرورة ان الحالة الثانية تشتمل
على امر زائد مع حصول العلم فيهما فذلك الزائد هو الابصار فهؤلاء زعموا ان السمع والبصر
نفس العلم بالمسموع والمبصر عند حدوثهما فيكونان حادثين وراجعين الى العلم لا صفتين
زائدتين عليه وفي المحصل اتفق المسلمون على انه تعالى سميع بصير لكنهم اختلفوا في معناه فقالت
الفلاسفة والكعبي وابو الحسين البصري ذلك عبارة عن علمه بالمسموعات والمبصرات وقال الجمهور
منا ومن المعتزلة والكرامية انهما صفتان زائدتان على العلم والقران وكذا الحديث مملوء به بحيث
لا يمكن انكاره ولا تأويله لانه معلوم ضروري بلا اشتباه فيه انتهى وقال المحقق الدواني
في شرحه على العقائد العضدية ان الله سميع بصير للدلائل السمعية وهما صفتان زائدتان على
العلم كسائر الصفات لظواهر الايات والاحاديث وليسا راجعين الى العلم بالمسموعات والمبصرات
كما تقوله الفلاسفة وقال التفتازاني في شرح المقاصد فان قيل لو كان السمع والبصر
قديمين لزم كون المسموع والمبصر كذلك لامتناع السمع بدون المسموع والابصار بدون المبصر
قلنا ممنوع لجواز ان يكون كل منهما صفة قديمة له تعلقات حادثة كالعلم والقدرة انتهى
وقد اطنبنا الكلام في هذا المقام لاقتضاء المقام ذلك لقد من الله على المؤمنين ٤
اى انعم على من آمن مع الرسول من قومه واحسن اليهم ببعثة هذا الرسول وتخصيصهم

Copyright King Saud University

مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها والمنان في صفة الله تعالى المعطى ابتداء من
غير سوال وطلب عوض وقرئ لمن منّ الله على انه خبر مبتداء محذوف والتقدير لمن منّ الله
على المومنين منّه او بعثته ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر فريق الرضوان وفريق
السخط مجملا فصّل احوال المومنين وسلاهم عما اصابهم يوم احد من القتل والجرح بما اتاهم يوم
بدر من الظفر والغنيمة ثم فصّل احوال المنافقين الذين هم اهل السخط **اذ بعث فيهم**
رسولا من انفسهم اى بعث رسولا كاينا من نسبهم اى عربيا ولد اسمعيل كما انهم ولده او من جنسهم
عربيا مثلهم لا ملكا ولا عجميا ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة والعفة والصيانة والمروة مفتخرين به كما قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة عليها الصلاة والسلام من انفسهم بفتح الفاء اى
من اشرفهم لانه عليه السلام من اشرف قبايل العرب وبطونهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل
ومضر ذروة عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة
وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد
حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي محمد بن عبد الله من لا يوزن بفتى من قريش الا رجح به
وهو بعد هذا له نبأ وخطر جليل **يتلو عليهم اياته** صفة اخرى لرسولا اى يتلو
عليهم القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي **ويزكيهم** اى ويطهرهم بالايمان من دنس
الكفر والطغيان ومن سوء العقايد والاعمال او ياخذ منهم الزكوة **ويعلمهم الكتاب** اى القران
والحكمة اى السنة وهو صفة اخرى لرسولا **وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**
ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان انهم كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر
ثم ان الله وقف المومنين على الخطاء في قلقهم للمصيبة التي نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار
فقال **او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها** صفة لمصيبة **قلتم** جواب لما
انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو في ولما عاطفة للجملة التي قبله اى
على ما ذكر من قوله ولقد صدقكم الله وعده الى قوله وان كانوا لفي ضلال مبين لان الكلام متعلق
بقصة احد من غير تخلل اجنبى تقديره ولقد صدقكم الله الخ وقلتم حين اصابتكم الخ او معطوف على
فعل مقدر تقديره افعلتم كذا من الفشل والتنازع ولما اصابتكم باحد الخ او اقلتم حين اصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر
سبعين من اين اصابنا هذا القتل والهزيمة وقد وعدنا النصر ونحن مسلمون ورسول الله فينا
قل في جوابهم **هو من عند انفسكم** اى انتم السبب فيما اصابكم يعني بما اقترفته
انفسكم من مخالفة امر الرسول بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة
او بسبب اختياركم الفداء يوم بدر وذلك حين جاء جبريل عليه السلام الى النبي فقال يا محمد ان الله

فذكره

٢

قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين امرين اما
ان يقدّموا فتضرب اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان تقتل منهم عدّتهم فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا ناخذ
فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدّتهم فليس في ذلك ما نكره فقتل منهم
يوم احد سبعون رجلا عدد اسارى اهل بدر رواه علي والحديث حسن اخرجه ابن ابي شيبة
والترمذي وغيرهما **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على النصر ومنعه وعلى
ان يصيب بكم ويصيب منكم وقد جازاكم بمخالفتكم والايات من جملة معجزاته عليه السلام **وما اصابكم**
يوم التقى الجمعان اى جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد **فباذن الله** اى فليس من عند
انفسكم استقلالا بل ذلك كاين بقضاء الله وحكمه هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما اى بعلمه
وقضايه وتخليته الكفار وسمي التخلية اذنا لانها من لوازم الاذن فان الاذن في الشيء تخلى
بين المأذون ومراده ولا يمنعه منه **وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا** معطوفة على معنى
قوله فباذن الله والمعنى ما اصابكم فهو كاين ليتميز المومنون والمنافقون فيظهر ايمان هولاء وكفر
هولاء **وقيل لهم** عطف على نافقوا داخل في الصلة اى قيل للذين نافقوا كابن ابي واصحابه
حين فقدوا عن الحرب وانقطعوا عن احد او كلام مبتدأ **تعالوا** اى لا تخذلوا ولا تنقطعوا
عنا **قاتلوا في سبيل الله** اعداءه لوجه الله لا لحظ انفسكم ولدفع البلاء عن اهليكم
او ادفعوا عن الانفس والاموال الكفار عنا بتكثير سوادكم ان لم تقاتلوا لوجه الله فهو تقسيم
للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال **قالوا** في الجواب
لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعني لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا اى شيئا ولو يسيرا من امر الحرب
لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء فكذبهم الله بقوله **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان**
والمعنى كانوا كاتمين للنفاق فكانوا في الظاهر ابعد من الكفر عند من ينظر الى ظاهرهم فلما ظهر منهم
ما كانوا يكتمونه صاروا اقرب للكفر لانهم لما انخزلوا وانقطعوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا
بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر او هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمومنين او يقربهم الى الكفر ويبعد على قربهم
الى الايمان وهذا المعنى اظهر لانهم لما اظهروا من استهزايهم بالمعنى فعلا وقولا وكانوا قبل ذلك
اقرب الى الايمان في الظاهر وهذا هو معنى قولنا انهم قبل ذلك اليوم كانوا كاتمين الخ كما ذكرنا **يقولون**
اى قايلين **بافواههم ما ليس في قلوبهم** اى يظهرون خلاف ما يضمرون لا يوافق قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد لصدور القول منهم ولنفي المجاز وتحقيق لقولهم **والله**
اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم
تعلمونه مجملا بامارات **الذين قالوا** المراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه **لاخوانهم** اى لاجلهم
يريد من قتل يوم احد من اخوان المنافقين في النسب لا في الدين او من جنسهم في النفاق فيندرج

فيهم بعض الشهداء الذين مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ
وخبره قل فادرؤا بحذف العايد تقديره قل لهم الخ او نعت للذين نافقوا او بدل منه او مجرور
بانه بدل من ضمير افواههم **وقعدوا** حال من ضمير قالوا بتقدير قد اى قالوا وقد قعدوا عن
القتال بالانخزال فلا يرد الاعتراض بان عبد الله بن ابي قد خرج من المدينة يوم احد فكيف
يكون مرادا بالذين قالوا وقعدوا **لو اطاعونا** اى فيما امرناهم به ووافقونا **ما قتلوا** كما لم نقتل
وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا **قل** لهم يا محمد تبكيتا واظهارا لكذبهم
فادرؤا اى ادفعوا **عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين** اى ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى
بكم وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا والمعنى ان القعود غير مغن فان
الحذر لا يغني عن القدر وايضا ان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود
للنجاة قد يكون الامر بالعكس فنعلم بالضرورة ان كلما يجري في العالم بقضاء الله وقدره فلا فرق في
التحرز بين الموت والقتل وان كان يوهم عند من لا بصيرة له بان التحرز عن القتل ممكن دون الموت
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا اى لا يظنن النبي بان الذين قتلوا في طاعة الله
امواتا **بل احياء** اى بل احسبهم احياء مقربين **عند ربهم** اى ذوو زلفى منه بمعنى القرب
شرفا ورتبة والغرض الاعلام بحياتهم ترغيبا في الجهاد ومعنى عند ربهم اى ارواحهم في حواصل طير
خضر تسرح في الجنة حيث شاءت يعني انهم يتنعمون كالاحياء عندربهم **يرزقون** من الجنة
مثل ما يرزق ساير الاحياء من المآكل والمشارب وهو تاكيد لكونهم احياء اخرج الحاكم و
صححه عن ابن عباس قال نزلت قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا الخ في حمزة واصحابه
وهم قتلى احد استشهد منهم سبعون رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب
ابن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار وقيل نزلت في
شهداء بدر كانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقيل ان اولياء الشهداء
كانوا اذا اصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في نعمة واباونا وابناونا واخواننا
في القبور فانزل الله تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم اى لا تظنن الذين قتلوا الخ واخرج
ابو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم
وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا وفي لفظ من يبلغ اخواننا انا احياء
في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله انا ابلغهم عنكم فانزل الله
هذه الايات ولا تحسبن الذين قتلوا الاية وفي رواية مسروق عن عبد الله عن هذه الاية
فقال عبد الله اما انا قد سالنا عن ذلك فقال ان ارواحهم كطير خضر ويروى في جوف طير

خضر

خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى قناديل معلقة بالعرش فبيناهم كذلك اذ طلع
عليهم ربك اطلاعة فقال سلوني ما شئتم قالوا يا رب كيف نسالك ونحن نسرح في الجنة حيث
شئنا فلما راوا ان لا يتركوا من ان يسالوا فقالوا نسالك ان ترد ارواحنا الى اجسادنا في الدنيا نقتل
في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان لا يسالوا الا هذا تركوا يقول الكاتب محمد تابعه ربه اني رايت
في مبشرة روح القدس الطاهر المطهر على تمثال طير اخضر في جوانب قبته الخضراء ولا يمكن الاحاطة
بذكر اوصافه سوى ان وجهه الكريم كوجه الانسان صلى الله عليه وسلم والحكاية طويلة وقرى بالياء
على الاسناد الى ضميره عليه السلام او الى ضمير من يحسب اى لا يحسبن حاسب وقيل الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبن الذين
قتلوا انفسهم امواتا وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين وقرئ احياء بالنصب على
بل احسبهم احياء بلفظ الامر **فرحين** حال من ضمير يرزقون **بما آتاهم الله من فضله**
وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتنعم بنعيم الجنة **ويستبشرون**
عطف على فرحين اى يسرون بالبشارة ويفرحون قال السدي يرى الشهيد بكتاب فيه
من يقدم عليه من اخوانه واهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا فيستبشرحين
يقدمون عليه كما يستبشر اهل الغايب بقدومه في الدنيا **بالذين لم يلحقوا بهم** اى باخوانهم
المومنين المجاهدين الذين لم يقتلوا معهم فيلحقوا بهم **من خلفهم** اى بالذين قد بقوا بعدهم
وخلفهم زمانا او رتبة يعني لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم او بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم **الا
خوف عليهم ولا هم يحزنون** اى بان لا بدل اشتمال من الذين مبين لكون استبشارهم وفرحهم
بحال اخوانهم لا بذواتهم والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من
المومنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة ويكونون احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور
وحزن فوات محبوب وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث وترغيب للباقين
بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء ورفعتهم عند الله و
اصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمومنين
بالفوز في المآب قال السلطان والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر
مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويويد ذلك قوله
تعالى ال فرعون النار يعرضون عليها الاية والاحاديث بان ارواح الشهداء في اجواف طير خضر
الخ ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة لا بعد الموت في الحال في القبر
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر وبالايمان ومن تامل في الامور الواردة على
الانسان وجد احوال النفس متضادة لاحوال البدن وجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر
كما ان البدن يضعف وقت النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح
واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت الى مطالعة العالم العلوي زادت سرورا
وابتهاجا وفرحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية وذهب

Copyright © King Saud University

اكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحياة جسدانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد باجسادهم
الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع الكرامات والسعادات اليها ومنهم من قال
يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها واخرج ابو الشيخ بن حبان في كتاب
الوصايا عن قيس بن قبيصة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يوص لم يؤذن له في
الكلام مع الموتى قيل يا رسول الله وهل يتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون وقال الشيخ تقي الدين
السبكي حيوة الانبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام
في قبره فانه صلى الله عليه وسلم اخبر انه راه في قبره يصلي فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك
الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات اجسام فانه صلى الله عليه وسلم ذكر في
حديث المعراج انه راه في السماء الرابعة وانه راى ادم عليه السلام في السماء الدنيا وراى ابراهيم
عليه السلام وقال له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد
الانبياء عليهم السلام بعد ما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فهم احياء عند ربهم كالشهداء
وقد راى نبينا عليه السلام جماعة منهم وامهم في الصلاة واخبر وخبره صدق **يستبشرون**
كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم وفي تقديم الاستبشار بحال اخوانهم الى موجب الصدق في الاخوة الدينية
وهو ان يكون صلاح حال اخيه اهم عنده من صلاح نفسه **بنعمة من الله وفضل** اي
يسرون بالنعم الله عليهم من الجنة وبما تفضل عليهم من زيادة الكرامة فيها او متعلق بمحذوف
وقع صفة لنعمة تقديره بنعمة كائنة منه تعالى ثوابا لاعمالهم وبزيادة عظيمة عليه فالنعمة
الجزاء والفضل التضعيف الحاصل لهم بمحض التفضل والاحسان ونظيره من حيث المعنى قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة **وان الله لا يضيع اجر المؤمنين** وان بالفتح عطف على فضل
او نعمة او هما وبالكسر على الاستيناف اي ثواب اعمالهم الحسنة وعلى ان الجملة اعتراض دال على
ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة **الذين**
صفة للمؤمنين **استجابوا لله وللرسول من بعد ما اصابهم القرح** او نصب على المدح
او مبتدا خبره **للذين احسنوا** باتيان جميع المامورات **منهم واتقوا اجر عظيم**
بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين اي الاحسان والتقوى مدحهم بهما والتعليل
بان استحقاقهم الاجر العظيم لاتصافهم بهذين الوصفين وليس المراد بذكرهما تقييد الحكم بهما
لان التقييد يفيد ان المستحق للاجر العظيم من المستجيبين من يتصف بالاحسان والتقوى
لا غيره والحال ان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي في سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان
واصحابه لما انصرفوا من احد فلما بلغوا الروحاء ندموا وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب
اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم بئس ما صنعتم ارجعوا فاستاصلوهم
فهموا بالرجوع فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين للخروج في طلب ابي سفيان
وقال لا اريد ان يخرج الآن معي الا من كان معي في القتال فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من

الم القرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن
معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر
وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن
مسعود وحذيفة بن اليمان وابو عبيدة بن جراح رضي الله عنهم في سبعين رجلا حتى بلغوا
حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال قال التفتازاني ليست هي بدر الصغرى
لان ذلك عقيب وقعة احد وبدر الصغرى بعد سنة روي انه من كان فيهم من يحمل صاحبه
على عنقه ساعة ثم كان يحمل المحمول ساعة اخرى وذلك لكثرة الجراحات فيهم فتحاملوا على
على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا ورجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانت اي حمراء الاسد تعد غزوة فنزلت الاية هذا قول اكثر المفسرين
قال الامام ومعنى الاية هكذا ان الله لا يضيع اجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد
ما اصابهم اي نالهم الجرح تم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجابته الى الغزو واتقوا معصيته اجر عظيم وكانت عائشة رضي الله عنها تقول
لعبد الله بن الزبير ابن اختي والله ان اباك وجدك تعني ابا بكر والزبير لمن الذين قال الله تعالى
الذين استجابوا لله والرسول **الذين قال لهم الناس** بدل من الذين استجابوا او صفة
للمؤمنين وهذه الاية نزلت في غزوة بدر الصغرى **ان الناس قد جمعوا لكم** روي ان ابا سفيان
نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل فقال عليه السلام ان شاء
الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران وهي مسيرة يوم من مكة
فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن المسعود الاشجعي وقد قدم من السفر معتمرا
فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي ان لا اخرج اليها فالحق بالمدينة
فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتريدون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم الا الشريد فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم
يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدر الصغرى
واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين
غانمين ولم يكن قتال ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم
لتاكلوا السويق فالناس الاول نعيم واطلق عليه الناس لانه من جنسه فهو من العام الذي اريد
به الخاص او الجمع الذي اريد به الواحد او سمي بذلك لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
وضار واله اتباع في الاذاعة يثبطون تثبطه والناس الثاني ابو سفيان واصحابه **فاخشوهم**
فخافوهم ولا تاتوهم ولا تخرجوا اليهم **فزادهم** اي المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
او القول او نعيم **هم** اي الرسول عليه السلام ومن ثبت قلبه للخروج معه **ايمانا** اي تصديقا
بالله ويقينا وقوة والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ما تكلم به نعيم ولم يضعفوا بل ثبت بهم يقينهم بالله
وازدادوا ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل واضح على ان الايمان

Copyright @ King Saud University

يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص
قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان
جعل الطاعة من جملة الايمان وان لم تجعل منها ولم يجعل التصديق قابلا للزيادة والنقصان
فيحمل النصوص والاثار الدالة على انه يزيد وينقص على ان ذلك بحسب المتعلق اعني ما يؤمن
به وقالوا حسبنا الله اي محسبنا وكافينا الله امرهم من احسبه اذا كفاه قال صلى الله
عليه وسلم اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال صلى الله عليه وسلم حسبي
الله ونعم الوكيل امان كل خائف ونعم الوكيل اي ونعم الموكول اليه هو يعني المفوض اليه
الامر هو فانقلبوا اي فرجعوا من بدر الصغرى بنعمة من الله اي بعافية وثبات على الايمان
وزيادة فيه وفضل اي ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء اي لم يلقوا ما يسوءهم من جراحة وكيد عدو وهو حال من الضمير في انقلبوا
اي رجعوا منعمين بريئين من سوء واتبعوا في كل ما اتوا به من قول وفعل رضوان الله
الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم الى وجه العدو على اثر تثبيطه وهو
معطوف على انقلبوا والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان
والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة والشجاعة على العدو وبالحفظ
عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفي قوله تعالى
فانقلبوا الى اخره تحسير وندامة للمتخلف وتخطئة رأيه حيث فوت نفسه ما فازوا به انما
ذلكم اي القائل لكم ان الناس الخ اعني نعيما او ابا سفيان وهو مبتدأ والخطاب للمؤمنين الشيطان
خبره اي حكم الله على المثبط بانه هو الشيطان على التشبيه البليغ وقوله يخوف اولياءه
اي يخوفكم باوليائه كذا في قراءة ابي بن كعب يعني يخوف المؤمنين بالكافرين او يعظم اولياءه
في صدورهم ليخافوهم قال السلطان اي اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام
فهو جملة مستانفة مبينة لتثبيطه من حمل نعيم على المثبط او صفته والجملة خبره ويجوز ان يكون
الاشارة الى قول المثبط على تقدير مضاف اي وانما ذلكم القول قول الشيطان يعني ابليس فالتجوز
في الاضافة حيث اضيف قول نعيم الى ابليس والضمير في يخوف للشيطان او لمقدر اي اولياء الشيطان
فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني او للاولياء اي من اوليائه وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع
رسولي ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بوعدي فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على
خوف الناس والخطاب بان كنتم للقاعدين عن الخروج مع رسول الله ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اي يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن
الاسلام قال الضحاك هم كفار قريش نهى الله المؤمنين عن خوف اولياء الشيطان وامرهم بخوفه
نهى رسوله عن الحزن لمسارعة من سارع في الكفر والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا
عليك الا ترى الى قوله عز وجل انهم لن يضروا الله شيئا اي انهم لن يضروا اولياء
الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر اي لن يضروه شيئا

من الضرر

من الضرر وانما اضاف الضرر الى نفسه تشريفا لاوليائه يريد الله الا يجعل لهم حظا
في الاخرة اي نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي
ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من
رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد بهم ان يكون لهم حظ في الاخرة وهذا تنصيص
ورد على المعتزلة المبتدعة بان الخير والشر بارادة الله تعالى ولهم عذاب عظيم في النار لا يقادر قدره
مع الحرمان من الثواب يعني يريد الله حرمانهم من الثواب معد لهم عذاب عظيم ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوا الكفر بالايمان اي اخذوا الكفر بدلا من الايمان رغبة فيما اخذوه
واعراضا عما تركوه لن يضروا الله شيئا وانما يضرون انفسهم كما ذكرنا انفا تفسيره ولهم
عذاب اليم مولم وهذا تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين المتخلفين عن النبي اي من ارتد من الاعراب
او قوم من اليهود او تكرير وتاكيد للاية التي قبله بناء على ان هذه الاية مساوية لما قبلها لفظا في
لن يضروا الله ومعنى في الباقي اذ معنى يسارعون في الكفر مساو لمعنى اشتروا الكفر بالايمان ولا
يحسبن الذين كفروا انما نملي الاملاء الامهال في تطويل الاعمار وتاخير الاجال لهم خير لانفسهم
عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الاية قرأ الجمهور غير حمزة بياء الغيبة وهو بتاء الخطاب في
هذا وفيما بعده فمن قرأ بالياء فالذين في محل الرفع على الفاعلية تقديره ولا يحسبن الكفار ان
املاءنا خير لانفسهم اذا كان ما في انما مصدرية او لا يحسبن الكفار انما نمليه لهم خير لانفسهم
اذا كان ما موصولة وان بما في حيزها سادة مسد مفعولي لا يحسبن وفتح ابن عامر وعاصم وحمزة
سين لا يحسبن في جميع القران ومن قرأ بالتاء وهو الانسب لمقام التسلية لان الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي ولا تحسبن يا محمد حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم فالذين مفعول لا تحسبن
وانما نملي لهم بدل من الذين او مفعول ثان للفعل اما بحذف المضاف من المفعول الاول كما قررنا
او من المفعول الثاني تقديره ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم
انما نملي لهم اي نمهلهم ونؤخر في اجالهم ليزدادوا اثما بكثرة المعاصي وهذا مكر واستدراج
وما في انما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة بخلاف الاولى فحقها الانفصال عن ان ولكنها
وقعت متصلة في مصحف الامام فاتبع فانه امام المصاحف في الصحة فيجب اتباع جميع المصاحف
له وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها اي لبيان علة نهي السابق كانه قيل ما بالهم لا يحسبون
الاملاء لهم خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما واللام في ليزدادوا لام ارادة عند اهل السنة
لانه تعالى فاعل الخير والشر مريد لهما ولا يزيد الخير ولا ينقص ذلك الا الله وليست بلام علة لان
افعاله تعالى غير معللة بالاغراض فالاية حجة لنا على المعتزلة المبتدعة في مسئلتي الاصلح وارادة المعاصي
ولهم عذاب مهين ذو اهانة في الاخرة اي في الحال ليزدادوا اثما معد لهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه التفات من الغيبة الى الخطاب لان مقتضى
الظاهر ان يقال على ما هم عليه وهذا الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم ومنافقكم حتى يميز اي يفصل الخبيث المنافق من الطيب

Copyright © King Saud University

من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن
لها الا الخُلّص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر النبي به بواطنكم
ويستدل به على عقايدكم وبعبارة اخرى ماكان الله مريدًا لان يترككم يا معشر المومنين على
ما انتم عليه من التباس المنافق بالمؤمن والمومن بالمنافق حتى يميز المنافق من المؤمن
فيميز الله تعالى المومنين من المنافقين حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا حمزة وفي رواية والكسائي ايضا هنا وفي الانفال يميّز بالتشديد والباقون بالتخفيف
قال الراغب الميز والتمييز الفصل بين المتشابهات قال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عُرضت على امتي في صورها كما عرضت على ادم عليه السلام واُعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ
ذلك المنافقين فقالوا استهزاءً زعم محمد انه يعلم من يومن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن
معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ما بال اقوام طعنوا في علمي والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا
انبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر
رضي الله عنه فقال يا رسول الله رضينا بالله ربًا وبالاسلام دينًا وبالقران اماما وبك
نبيًا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون هل انتم منتهون
ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الاية قال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك
فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا
بمن يومن بك ومن لا يومن فانزل الله هذه الاية وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ
وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ اى لم يكن الله ليوتي احدكم فيطلع على ما في
القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات
او ينصب له ما يدل عليها فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه وفي المدارك الاية
حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين
للنص حيث اثبتوا علم الغيب لغير الرسل وان اثبتوا النبوة صاروا مخالفين لنص اخر وهو قوله
تعالى وخاتم النبيين واعلم يا صفيي ان الله تعالى ما اجتبى احدًا من رسله لاطلاع الغيب
اجتباء سيد المرسلين اجتباه ليلة اسرى به بجسده الشريف من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
ثم عرج به الى السموات ثم فثم فثم حتى بلغ مقام قاب قوسين او ادنى فاطلعه على الانبياء
والملئكة والجنان والنيران وجميع تصرفات الملكوت ثم شرفه بكشف حجاب وجهه ورويته
عيانًا برؤية عين الراس جل جلاله وهذا الاطلاع مختص به لم يحصل لاحد من الانبياء في الدنيا
بارك الله فيما وجد واختص وجعل قلب حبيبه مظهرًا لجميع صفاته وتخلقه بها وصفات الله
غيب ثم اظهر الله في قلبه بطريق الالهام فاخبره للامة ثم ظهر كما اخبر من الغيوب التي لا يعلمها
الا الله ومن علمه الله ذلك ثم اطلع حبيبه بانزال الوحي كما هو لساير الانبياء وهو عليه السلام
افضلهم كتابًا وامة واطلع حبيبه على غير الظاهر اعني بما اخبر الله عن امر الاخرة ولا يطلع عليها
الامي

الامي بلغ مقام اليقين وعلى غيب الباطن كغيب المقدورات المكتومة عن قلوب الاغيار وعلى
غيب الغيب كستر الصفات في الافعال وعلى سر الغيب اعني نور الذات في الصفة وهو مقام
المحبين واما غيب السر فهو غيبة القدم التي لا يطلع عليها اسرار الخليفة ابدًا ومن اراد
زيادة توضيح فليراجع عين الحياة للطامة الكبرى قدس سره وقال الشيخ في قوله تعالى ولكن
الله يجتبي الخ مثل محمد وعيسى وموسى وابراهيم وادم صلوات الله عليهم اجمعين وذلك
مشروح في قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدًا الا من ارتضى من رسول فَآمِنُوا
بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وهذا امر بابتداء الايمان في حق المنافقين واليهود ومن يحذو حذوهم و
بالدوام في حق المومنين اى امنوا بالله بصفة الاخلاص او بان تعلموا الله سبحانه وتعالى وحده
مطلعًا على الغيب وبرسله بان تعلموهم عبادًا مختارين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون
الا ما اوحى اليهم وتعميم الامر بالايمان بالرسل دون رسوله مع ان سوق نظم الكريم للايمان
بمحمد عليه السلام لان الايمان به هو الايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء
بصحة نبوته عليه السلام وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا اى وان تصدقوا حق التصديق والايمان
ايها المنافقون الكفار وتتقوا المعاصي وان تدوموا على الايمان والتقوى ايها المومنون فَلَكُمْ
أَجْرٌ عَظِيمٌ لا يقادر قدره بمقابلة ذلك الايمان والتقوى وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا
آتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ القراآت فيه ما سبق فمن قرا بالياء فليقدر ما
يناسبه وبالتاء كذلك يعني لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرًا لهم او لا يحسبن البخلاء
بخلهم هو خيرًا لهم بَلْ هُوَ اى البخل شَرٌّ لَهُمْ لاستجلاب العقاب عليهم سَيُطَوَّقُونَ
مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بيان لكون البخل شرًا لهم يعني سيلزمون وبال ما بخلوا به
الزام الطوق اى سيجعل ما لهم الذي منعوه عن الحق طوقًا في اعناقهم كما جاء في الحديث ما
من رجل لا يودي زكوة ماله الا جعله الله له شجاعًا في عنقه يوم القيمة ومناسبة هذه الاية
لما قبلها انه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الاموال في الجهاد وغيره بين الوعيد الشديد
لمن يبخل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الاية نزلت في مانعي الزكوة وفي حكم
الزكاة ساير المصارف الواجبة كالانفاق على من وجب عليه نفقتهم وعلى المضطر وفي
الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وقيل نزل في من كتم صفات
النبي في التوراة قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرج
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم
يود زكوته مثل له شجاعًا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة فياخذ بلهزمتيه يعني
بشدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الاية ولا تحسبن الاية وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ اى يرثهما بعد فناء اهلهما يعني وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا
ينفقونه او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة
والعقوبة اى وله ما فيهما مما شانه ان يتوارثه اهلهما من مال وغيره كالملك والاحوال

Copyright © King Saud University

التى تنتقل من واحد الى آخر ولا يعد فى الشرع مالا ولعل فى اهل السماء ايضا مثل ذلك قال
القرطبى اخبر الله تعالى ببقايه ودوام ملكه وانه فى الابد كهو فى الازل غنى عن العالمين
فيرث الارض بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فتبقى الاملاك والاموال لا مالك لها الا
الله فجرى هذا مجرى الوراثة فى الحى وليس بميراث فى الحقيقة لان الميراث فى الحقيقة
هو الذى يرث شيئا لم يكن ملكه من قبل والله سبحانه مالك السموات والارض وما فيهما
وكانت الاموال عارية عند اربابها قال الشيخ يعنى انه الباقى الدايم بعد فناء خلقه و
زوال املاكهم فيموتون ويرثهم دليله قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها **والله بما
تعملون** من المنع والاعطاء **خبير** فيجازيكم **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن اغنياء** قاله اليهود اخرج ابن ابى حاتم وابن
مردوية والضياء المقدسى فى المختارة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما
قالت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم حين انزل الله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
فقالوا يا محمد افقير ربك يسال عباده القرض فانزل الله وروى انه عليه السلام
كتب مع ابى بكر الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله فقير حين سئل القرض
فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت تصديقا لقول الصديق عليه السلام والمعنى انه لم يخف عليه خافية
وانه اعد لهم العقاب واراد بالذين فنحاص ومن رضى بمقالته فيصح الجمع ولا يخفى ان الله
سميع لجميع المسموعات فمعنى تخصيص هذا القول بالذكر انه اعد لهم عقابا يناسبه على طريق
الكناية فان اخبار الله تعالى فى مقام التهديد بانه سمع قولهم ذلك لازم لارادة وعيدهم
وتخويفهم لانهم اثبتوا لانفسهم صفات الربوبية وهو الغنى ولله صفة العبودية وهى الفقر
عكسوا الحال لقوله والله الغنى وانتم الفقراء والنفس اذا تكاملت بالهوى تدعى الربوبية بكل الوجوه
كفرعون حيث قال انا ربكم الاعلى او ببعض الوجوه كقول بعض المغرورين انا هو من وجه وهو انا
من وجه فهذه الكلمات وامثالها من ايحاء الشيطان اليهم قال الله تعالى ان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم **سنكتب ما قالوا** اى سنكتب فى صحايف الحفظة ما قالوا من الافك والفرية
على الله فنجازيهم او سنحفظه فى علمنا او سنامر بكتب ما قالوا فى صحايف اعمالهم ليجازوا عليه
والسين للتاكيد اى لن يفوتنا ابدا تدوينه لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن
والرسول عليه السلام ولذلك نظمه مع قتل الانبياء حيث عطف عليه قوله عز وجل **وقتلهم
الانبياء** ايذانا بان ذلك القول وقتل الانبياء فى العظم اخوان وتنبيها على ان قولهم ذلك ليس
باول جريمة ارتكبوها بل قتلوا انبياءهم قبل هذا القول لانهم رضوا بفعل اسلافهم واختار
الفعلين لتاكيد الوعيد يعنى اخبر الله عن الوعيد فى الماضى بثبوته وفى المستقبل باثباته فكانه
قال لقد كتبنا ما قالوا **بغير حق** اى بلا جرم وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم
بالرفع

بالرفع **ويقول** بالنون والياء اى يقول الله لهم على لسان الملئكة **ذوقوا عذاب الحريق** اى النار
وهو بمعنى المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص **ذلك** اى ذلك العذاب **بما قدمت ايديكم** من قتل
الانبياء وقولهم هذا وساير معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر الاعمال بهن **وان الله
ليس بظلام للعبيد** اى وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم وذنب فهو عطف على ما
قدمت اى ذلك العذاب بما كسبتم من المعاصى وبان الله ليس بظلام وسببيته للعذاب من حيث
ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسىء وصيغة المبالغة لا لنفى اصل
الفعل لكن جىء بها فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة فهى لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم لقوله ولا يظلم
ربك احدا وقال علام الغيوب اى قابلها بالجمع وقال عالم الغيب او اذا انتفى الظلم الكثير ينتفى القليل
ضرورة او ليس بذى ظلم او اراد تاكيد النفى اى لليس بظلام ليس بظلام وفى ذلك
وجوه كثيرة **الذين** نعت للذين قالوا ان الله فقير **قالوا** لمحمد عليه السلام وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيى وفنحاص ووهب بن يهوذا **ان الله عهد الينا** اى امرنا فى التورية
واوصانا **الا نؤمن** اى الا نصدق **لرسول** اى لمدعى الرسالة وان جاء بمعجزات قاهرة **حتى
ياتينا بقربان** اى بهذه المعجزة المعينة وهو اسم لكل ما يتقرب به الى الله وصار فى التعارف اسما للنسيكة
التى هى الذبيحة **تاكله النار** صفة لقربان اى تحيله الى طبعها بالاحراق وكانت القرابين والغنائم لا تحل
لبنى اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة وضعوها فى وسط بيت مكشوف السقف فيقوم
النبى فى البيت ويناجى ربه فى دنوها وبنو اسرائيل يقفون حول البيت خارجه فتنزل نار بيضاء فتاكل
ذلك القربان وتلك الغنيمة وتحرقها فيكون ذلك علامة القبول وان لم يقبل بقى على حاله وقال
السدى ان الله امر بنى اسرائيل من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار
حتى ياتيكم المسيح ومحمد عليهما السلام فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان وقولهم عهد الينا
واوصانا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير
المعجزات سواء قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم **قل** يا محمد لهم توبيخا **قد جاءكم** يا معشر اليهود
رسل من قبلى بالبينات بالمعجزات سوى القربان **وبالذى قلتم** اى بالقربان يعنى قد جاء اسلافكم
الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم **فلم قتلتموهم** كزكرياء ويحيى وشعياء وساير من قتلوا
من الانبياء عليهم السلام اى ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذى اتوا به ولم
قتلتموهم **ان كنتم صادقين** فى انا ما قتلنا الا الكذابين وانا انما كذبنا محمدا لعدم اتيانه بهذه المعجزة
المعينة ثم شرع فى تسلية حبيبه من تكذيب قومه واليهود فقال **فان كذبوك** بعد بطلان عذرهم
فقد كذب رسل من قبلك من عذر فى التكذيب لانهم **جاءوا بالبينات** اى بالمعجزات الواضحات
صفة لرسل يعنى فان كذبك اليهود فلا تحزن فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك **والزبر** وهو الكتاب
المقصور على الحكم والزواجر والمواعظ **والكتاب المنير** اى بالشرايع والاحكام المضى فالزبور
كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير الكتاب الهادى كالتورية والانجيل وقيل بعلم من عطف
الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وان كتبها لم تكن معجزة لهم والاعجاز

من خواص المقربين كل نفس ذائقة الموت اى هى النفس تخرج وتنفك عن البدن باد فى شئ من الموت
فكنى بالذوق عن القلة يعنى كلكم تموتون ولا تبقون فى الدنيا فهذه الجملة تسلية للنبى والمومنين يقول الله
لا يحزنك تكذيبهم اياك والمومنين فرجع الخلق الى فاجازيهم على التكذيب واجازيك والمومنين على
الصبر فالاية وعد ووعيد للمصدق والمكذب وفى الاية دليل على ان النفس غير البدن وانها
لا تموت بموته لانه تعالى جعلها ذائقة والذائق لا بد ان يبقى حال الذوق والمعنى ذائقة موت
البدن روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملئكة
مات اهل الارض فلما نزل كل نفس الاية قالت الملئكة متنا قال امام البغوى رحمه الله روى فى حديث
لما خلق الله ادم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها فوعدها ان يردها ما اخذ منها فما من احد
الا يدفن فى التربة التى خلق منها قرء الجمهور برفع ذائقة من غير تنوين وجر الموت بالاضافة اليه
وقرى ذائقة بالتنوين والموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقول الشاعر ولا ذاكر الله الا قليلا
ولا توفون اجور اعمالكم من الطاعة والمعصية بمجرد الموت وانما توفون اجوركم اى انما تعطون
جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما كاملا وافيا يوم القيمة اى يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية
يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران رواه الطبرانى وغيره فمن زحزح اى بعد عن النار التى هى
مجمع الآفات والشرور وادخل الجنة الجامعة للذات والسرور فقد فاز اى ظفر بالنجاة و
غاية الفوز قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يومن بالله واليوم الاخر وياتى الى الناس ما يحب ان يوتى اليه رواه مسلم وما
الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها والعيش فيها الا متاع الغرور اى الباطل او الشيطان
يتمتع به قليلا ثم يفنى شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المشترى ويغر حتى يشتريه ثم يتبين
له فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة فهى
متاع بلاغ والغرور المصدر او جمع غار وعن الحسن هى كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل
لها وقال الشيخ متاع الغرور اى منفعة ومتعة كالفاس والقدر والقصعة يزول ولا يبقى
فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم لتبلون اى والله لتختبرن يعنى ليعاملنكم
معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة فى اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبها من الافات وانفسكم بالجهاد والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب قيل نزلت هذه الاية فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفنحاص بن عازوراء وقد سبق
وقيل نزلت فى كعب بن الاشرف امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فخرج اليه جماعة وجاؤا براسه وكان
كعب ممن يهجو النبى عليه السلام ويسب المسلمين ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اى من قبل ايتائكم القران وهم اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا اى من العرب اذى كثيرا
اى طعنا فى دينكم وسبا لكم ولنبيكم واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم الله بذلك قبل وقوعها ليوطنوا
انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يعسر عليهم نزولها ومما سمع منهم عزير بن

والمسيح ابن الله وثالث ثلثة وان الله عهد الينا ان لا نومن الاية وان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك
وان تصبروا على الشدة والاذى وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك اى الصبر والتقوى من عزم
الامور اى من معزومات الامور التى يجب عليكم فعلها وتحملها بالعزم عليها فانها من اخلاق الانبياء
والاولياء يعنى من الامور التى يجب على العبد عزمها فالفاعل هو العبد او الله يعنى مما عزم الله عليه
اى امر به ثم اشار الى ان اذى اهل الكتاب اعظم من اذى المشركين لانهم يغيرون ما فى كتابهم ويقدمون
كتمانه فضلا عن التغير بقوله واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذ الله ميثاق اى العهد الذين
اوتوا الكتاب بالوحى فى كتب انبيائهم يعنى به علماء اليهود والنصارى ذكر وابعنوان ايتاء الكتاب
مبالغة فى تقبيح حالهم لتبيننه اى الكتاب ولتظهرنه ولا تسترنه واللام جواب القسم الذى
ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين تقديره استحلفتم لتبيننّ الكتاب فى قراءة الياء لانهم غيب ولا
تكتمونه ولا تسترونه بالياء والتاء فى الفعلين والواو للحال اى استحلفتم بانكم لا تكتمون الكتاب
عن الناس او لتبيننه غير كاتمين فنبذوه اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد
والقوة وراء ظهورهم اى خلفهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والاية دليل على انه يجب على العلماء ان يبينوا
الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض دنيوى من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم او جر
منفعة او دفع اذية او لبخل بالعلم قال صلى الله عليه وسلم من سئل فكتمه الجمه الله بلجام من نار رو
عن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا لا بعد ان اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به ثمنا
قليلا اى واخذوا بدل الكتاب الذى امروا ببيانه عرضا يسيرا من حطام الدنيا وذلك بكتمان
نعت النبى عليه وبعض احكام الله فبئس ما يشترون اى فبئس ما يختارون لانفسهم هذا الشراء
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا اى بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من
الوفاء بالميثاق فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قرا الكوفيون بتاء الخطاب وفتح الباء فى
كل من الفعلين فالخطاب للرسول ومن ضم جعل الخطاب له وللمومنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد لتحسبن الاولى ومعنى الاية لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا
من التدليس والتلبيس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق و
الاخبار بالصدق بمفازة اى بنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه ولهم عذاب اليم بكفرهم
وتدليسهم روى انه عليه السلام سال اليهود عن شئ مما فى التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه
واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم راوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بنفاقهم و
يستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة قال حاتم الاصم رحمه الله حذر
الله بهذه الاية سلوك طريق المرائين والمتقربين والمتزهدين والمتوسمين بسيماء الصالحين وهم
من ذلك خوال ولله ملك السموات والارض يصرفها كيف شاء اى فهو مالكهم اى خزائن
المطر والرزق والنبات وغيرها فمن قنع بالملك فانه مالك الملك ومن ظفر بالمالك فلا يفوته الملك
والله على كل شئ قدير من الدنيا والاخرة فيقدر على عقابهم ولنجاة المومنين ان فى

Copyright © King Saud University

خلق السموات والارض ابتداء من غير سبب اى فى انشائهما على ما هما عليه فى ذواتهما وصفاتهما
وما بينهما من العجايب من الامور التى تتحير فى فهم اجلايها العقول واختلاف الليل والنهار بالمجى
والذهاب والزيادة والنقصان او فى اختلا فهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان
البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد
البعيدة منه ولياليها واما فى نفسها فان كرية الارض تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن
ليلا وفى مقابلها نهارا وفى بعضها صباحا وفى بعضها ظهرا وعصرا وغير ذلك لايات لاولى
الالباب اى لدلايل واضحة على وجود الصانع ووحدته وبكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة
الخالصة عن شوايب الحس والوهم المتجردين عن العلايق النفسانية المتخلصين عن العوايق الظلمانية
المراقبين فى اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين فى بدايع صنايع الملك الخلاق المتفحصين عن حقيقة
سر الحق فى كل موجود فان كل ما سواه وغيره مراءة لمشاهدة جماله والة لملاحظة صفات كماله فان
كل ما ظهر فى مظاهر الابداع وحضر فى محاضر التكوين والاختراع سبيل سوى الى عالم التوحيد ودليل
قوى على الصانع المجيد فتامل فى هذه الاطوار والاسرار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار واعلم ان الله ذكر
فى سورة البقرة ثمانية انواع من الدلايل حيث ذكر الفلك والمطر وبث الدواب فى الارض وتصريف الرياح
والسحاب واقتصر فى هذه السورة على ثلثة انواع منها وترك الخمسة الباقية لان الدلايل على كثرتها غاية
الكثرة منحصرة فى ثلثة انواع اما سماوية او ارضية او مركبة منهما كاختلاف الليل والنهار فانه يحصل
باسباب سماوية وارضية ولان مناط الاستدلال هو التغير وهذه الاية متعرضة لجميع انواعه
فانه اما ان يكون فى ذات الشى ونفسه كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها
او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها واعلم ان العقل له ظاهر وله لب ففى اول الامر
يكون عقلا وفى حال كماله وخفايه امره يكون لبا واذا صار لبا يرى ان العرض المحدث فى الجواهر
يدل على حدوث الجواهر لان جوهرا لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها
يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث اخر وتسلسل الى ما لا يتناهى وحسن صنعه
يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته وحكى ان فى بنى اسرايل من اذا عبد
ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت امه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك
قال ما اذكر قالت لعلك نظرت الى السماء مرة فلم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذلك
قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم
يتاملها وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر
الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات الاية وعن عبد الله بن عباس انه رقد عند النبى
صلى الله عليه وسلم فراه استيقظ فتسوك ثم توضا وهو يقول ان فى خلق السموات حتى ختم السورة
ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف ونام حتى نفخ ثم فعل ذلك
ثلث مرات بست ركعات فى كل ذلك يستاك ثم يتوضا ثم يقرا هولاء الايات ثم اوتر بثلث ركعات
ثم اتاه المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى لسانى نورا

واجعل

٣

واجعل من خلفى نورا ومن امامى نورا واجعل من فوقى نورا ومن تحتى نورا اللهم اعطنى نورا
رواه كريب عن ابن عباس وزاد اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن
يمينى نورا وعن يسارى نورا اخرج ابن المنذر وابن ابى حاتم والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال اتت قريش اليهود فقالوا بما جاءكم به موسى من الايات قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين
واتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم قالوا كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى فاتوا النبى
صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع لنا ربك ان يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه فنزلت ان فى خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب فليتفكروا فيها قلت من كان
له عقل سليم ولب مستقيم يعلم بادنى تامل بان هذه الايات من اعظم المعجزات والدلالات على
رسالة النبى وصدقه فى كلها يقول ثم بعد دلايل الالهية ذكر وظايف العبودية وهى ان تكون
باللسان وبالاركان وبالجنان مع الرحمن فقال فى وصف اولى الالباب الذين يذكرون الله
باللسان والقلب قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين
وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين
صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء كذا اخرجه البخارى عن
عمران بن الحصين فهو حجة للشافعى فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
على هيئة استقبال الميت فى اللحد وقال صاحب العيون وعند ابى حنيفة يستلقى على ظهره ان عجز
عن القعود فاذا وجد خفة قعد هذا فى ترتيب صلاة المريض العاجز وعن ابن عباس يصلون كلهم
حسب الطاقة ويتفكرون فى خلق السموات والارض وما ابدع فيهما استدلالا به على قدرة صانعهما
واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود
من الخلق لان القلب هو افضل ما فى الانسان وموارد العرفان والايمان وعنه عليه السلام بينما
رجل مستلق على فراشه اذا رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله لكن
بشرط ان لا يتغول فيه وبان لا يذكر دلايل اهل الزيغ بل يذكر دليل مذهبه ويرد على اهل البدع
ولا يذكر ادلتهم اصلا حتى لا يقع فى سمع المستبدين والله الهادى قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه
لا تفكروا فى الله ولكن تفكروا فى ما خلق وقال صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الاء الله ولا تفكروا فى
الله وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر كما ذكرنا انفا قال ابن المعون الفكرة تذهب الغفلة
وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا
استنارت بمثل التفكر والسبب فى عدم التفكر فى ذات الله هو ان الاستدلال بالخلق على الخالق
لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة لانه لا مثل للخالق وايضا فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات
على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها من كل الوجوه على غناه عن العالمين
فالتفكر فى الاء الله وخلقه ممكن وفى ذات قدس صمديته لا يمكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات

Copyright © King Saud University

على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لابد من تصورها وتصور ذاته المقدس محال
لان تصور الشئ عبارة عن حصول صورته فى النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة
بها والمحيط بالواجب شئ الا انه بكل شئ محيط وقد احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا لكن
البصير اذا تفكر فى مخلوقاته ولاسيما فى السموات والارض مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم و
البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف ان لها ربا وصانعا فان دلايل التوحيد محصورة
فى الدلايل الافاقية والانفسية ولكن الاولى اجل واعظم كما قال الله تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس واما قول من قال ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله فهو محب لا يقع نظره على
الموتى فمراقبته فاذا صحى رأى الخلق وكان قبل الصحو كانه يرى الخالق وفى الحديث اعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولكل مقام رجال ربنا ما خلقت هذا اى هذا الخلق الذى نراه على
ارادة القول اى يتفكرون قايلين ذلك باطلا اى عبثا وهزؤا بل نراه دليلا على كمال قدرتك يعنى
ما خلقت هذا الذى نفكر نا فى خلقه من نفس السموات والارض وما فيهما من العجايب باطلا ضايعا
من غير حكمة بل خلقته بحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك فقوله
هذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى
المخلوق سبحانك اى ننزهك من العبث وخلق الباطل الذى لا حكمة فيه وهو اعتراض فقنا عذاب
النار اى اذا نزهناك وصدقنا رسولك بان لك جنة ونارا فاحفظنا بتوفيق طاعتك من
عذاب النار فالفاء دخلت لمعنى الجزاء اى فقنا للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضى الاخلال
وفايدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار للخلود كالكفار وللتاديب كالعصاة من المسلمين فقد اخزيته
اهنته وقيل اهلكته وقيل فضحته لقوله تعالى ولا تخزون فى ضيفى فان قيل قد قال الله تعالى يوم لا
يخزى الله النبى والذين امنوا معه ومن اهل الايمان من يدخل النار وقد قال انك من تدخل
النار فقد اخزيته فكيف الجمع بينهما قال انس وقتادة معناه انك من تخلد فى النار فقد
اخزيته وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها وقد روى انس عن النبى صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى يدخل قوما النار ثم يخرجون منها اى بالشفاعة او العفو لا بالنصرة لان النصرة
دفع بقهر والشفاعة دفع بطريق المنة والتضرع وما للظالمين من انصار اى وما للمدخلين
النار انصار يمنعونهم من عذاب الله ولا يلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة كما ذكرنا الحيلة فان كان
الظالم هو الكافر فلا ناصر ولا شفيع وان كان الظالم بغير شرك فالشفاعة والعفو من الغفور الرحيم
ربنا اننا سمعنا مناديا وهو محمد او القران ينادى اى يدعو الناس للايمان اى الى الايمان
الذى هو اس الحكمة واوقع الفعل على المسمع اى المنادى وحذف المسموع اى النداء لدلالة وصفه
وهو لفظ ينادى على المسموع وفيه مبالغة ليس فى ايقاعه على نفس المسموع لان ذلك بمنزلة تكرير
ايقاع الفعل على المنادى وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول

عليه السلام

عليه السلام على ما قاله ابن مسعود وابن عباس واكثر الناس وقال القرظى المنادى هو القران
قال الفقير النبى ينادى امته بالقران الى الايمان قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك وقال وداعيا
الى الله باذنه وقال وادعو الى الله ان امنوا بربكم اى بان امنوا وصدقوا بربكم فامنا اى
فامتثلنا المنادى وصدقناه قال المفتى ولا مناسبة لمن قال قال الشيخ فيه دليل بطلان الاستثناء
فى الايمان لانه لا يخطر هذا النزاع فى هذا المقام ببال عاقل فضلا عن فاضل وللنزاع مقام اخر يظهر
حين النزع قال التفتازانى معنى ان امنوا بلفظ الماضى حصول الايمان فى الماضى ومعنى ان تؤمنوا
حصوله فى المستقبل ومعنى ان امنوا طلبه ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اى كبايرنا فانها ذات تبعة و
مؤاخذة وكفر اى غط وامح عنا سيئاتنا اى صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة
عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار اى اقبض ارواحنا فى جملة الابرار اى الانبياء والصالحين المتمسكين
بالسنة يعنى مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم مستاهلين للاجتماع معهم وفيه
تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر كارباب
جمع رب وقيل جمع بار كاصحاب جمع صاحب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اى
على السنة رسلك من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وان كان وعد الله تعالى لا يخلف سؤال
ان يجعلهم من مستحقيه لانهم ما تيقنوا استحقاقهم له وقيل ما وعدتنا على تصديق رسلك
من الثواب او ما وعدتنا منزلا على رسلك ولا تخزنا اى لا تعذبنا ولا تفضحنا ولا تهنا يوم
القيمة اى بان تعصمنا ذلك اليوم عما يقتضى الخزى كانه قيل اللهم وفقنا للطاعات واذا وفقتنا
فاعصمنا عما يبطلها ويوقعنا فى الخزى انك لا تخلف الميعاد الوعد بالبعث بعد الموت
والجزاء اى باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه امر
فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد قيل وكيف ذلك قال لان الله
حكى عنهم فى هذه الايات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر الله عن اجابة دعائهم بقوله فاستجاب لهم
اى اجاب الى طلبتهم ربهم دعاءهم واخبرهم وعده انى اى بانى لا اضيع اى لا اهمل عمل
عامل اى ثوابه منكم صفة عامل من ذكر او انثى بيان للعامل على ان المراد به الشخص
العامل لعموم الشخص الذكر والانثى اخرج الطبرانى الترمذى عن ام سلمة قالت يا رسول الله لا اسمع
الله ذكر النساء فى الهجرة بشئ فانزل الله فاستجاب لهم الى اخر الاية واخرج ابن مردويه عن ام سلمة
قالت اخر اية نزلت هذه الاية اى فاستجاب لهم ربهم الى اخرها بعضكم من بعض جملة
معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال فان كون الذكر من الانثى والانثى
من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما فى الخلق والسيرة او لاتفاقهما فى الدين
والعمل قال الامام بعضكم شبه بعض والمعنى انه لا تفاوت فى الثواب بين الذكر والانثى اذا استويا
فى الطاعة وهذا يدل على ان الفضل فى باب الدين انما هو بالاعمال لا بسائر صفات العاملين لان كونهم
ذكرا او انثى او من نسب خسيس او شريف لا تاثير له فى هذا الباب انتهى فالذين هاجروا من مكة الى
اخر الاية تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين

ثلثة ارباع ع ١٣

Copyright © King Saud University

هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين اى فارين الى الله بدينهم الى حيث يأمنون عليه هجرة
الاصحاب وفى المدارك فالهجرة كاينة فى اخر الزمان كما كانت فى اول الاسلام ولكن قول السيوطى
رحمه الله اى الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقول محى الفرض والسنة وهم المهاجرون الذين
اخرجهم المشركون من مكة ولا هجرة بعد الفتح يضيق عليه مدركه وفى العيون ايضا هاجروا من مكة
واخرجوا من ديارهم اى مومنوا اهل مكة واوذوا فى سبيلى اى عذبوا فى طاعتى ودينى
بالضرب والشتم ونهب الاموال وهم المهاجرون الذين اخرجهم الكفار من مكة وقاتلوا الكفار
وغزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلوا قرا ابن كثير وابن عامر بالتشديد قال الحسن
يعنى انهم قطعوا فى المعركة والجهاد يعنى استشهدوا فى القتال وقرا الاخرون بالتخفيف وقرا
اكثر القراء وقاتلوا وقتلوا اى قاتلوا العدو ثم قتلوا واستشهدوا فى المعركة وقرا حمزة والكسائى
وقتلوا وقاتلوا ببناء فعل الاول للمفعول مشددا او مخففا والثانى للفاعل ولهذه القراة معنيان
احدهما وقاتل من بقى منهم وقتلوا اى قتل بعضهم يقول العرب قتلنا بنى فلان وانما قتلوا بعضهم
لا كلهم والمعنى الاخر وقتلوا وقد قاتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم اى والله لامحون
واسترها لهم بالمغفرة ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار اشارة الى
ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير لم ثوابا مصدر موكد
لما قبله بمعنى اثابة او تثويبا لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم يعنى اثيبنهم لذلك
اثابة من عند الله تفضلا منه والله عنده حسن الثواب اى حسن الجزاء على
الطاعة قادر عليه اى يختص به ولا يقدر غيره روى ان طايفة من المومنين قالوا ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد
اى لا يخدعنك ضرب الكفار وسيرهم وتصرفهم فى البلاد للتجارات وانواع المكاسب فان
تقلبهم وتصرفهم فيها متاع قليل اى منفعة يسيرة تفنى بادنى مدة لقوله عليه السلام
ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم ثم ماواهم
اى مستقرهم ومصيرهم الذى ياوون اليه جهنم وبئس المهاد اى وبئس الفراش
والقرار هى فلا تنفعهم تجارتهم واموالهم لمن كان قرارهم جهنم فقوله لا يغرنك الخطاب
وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد غيره لانه عليه السلام لم يغتر بذلك ابدا ولان سيد
القوم قد يخاطب بشيء ويراد به اتباعه لان خطابه عليه السلام يقوم مقام خطاب الامة
جميعا فكانه قيل لا يغرنكم ونظيره فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين هذا فى النبى وفى
الامر اهدنا الصراط المستقيم ويا ايها الذين امنوا امنوا ثم استدرك واضرب عن ماوى المومنين وما اعد لهم
فى الاخرة من الثواب والكرامة بقوله عز وجل لكن الذين اتقوا عن الشرك والمعصية
وعبدوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها اى لا يموتون
ولا يخرجون منها نزلا اى ثوابا وجزاء يعنى رزقا وعطاء من عند الله صفة للنزل
للجمهور على ضم الزاء والمراد به ما يقام للنازل عند نزوله من القرى وفيه تنبيه ان ما بعده اعظم

كرامة

كرامة حيث قال وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الكفار من
لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله اى يصدق به وعن مجاهد
نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران وثلثين من حبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فاسلموا واخرج ابن جرير عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اخرجوا
فصلوا على اخ لكم فصلى بنا فكبر اربع تكبيرات فقال هذا النجاشى اصحمة نعاه جبريل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط
ولا هو على دينه فانزل الله وان من اهل الكتاب وانما دخلت اللام على اسم ان مع ان النحاة منعوا
دخول لام الابتداء عليه كراهة توالى حرفى التاكيد للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم
من القران وما انزل اليهم الى اهل الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقران فى الذكر مع ان
الامر بالعكس لتعظيم القران وكونه مهيمنا على الكتابين ومعيارا لهما وايضا فان ايمانهم بهما انما يعتبر
بتبعية ايمانهم بالقران اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منهما انما يعتبر من حيث ثبوته
بالقران والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم خاشعين لله اى خاضعين
متواضعين له حال من فاعل يومن لان من يومن فى معنى الجمع لا يشترون بايات الله ثمنا
قليلا يعنى لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكلة كفعل غيرهم
من روساء اليهود اولئك الموصوفون بالصفات المذكورة لهم اجرهم عند ربهم
اى ما يختص بهم من الاجر والثواب وهو ما وعدوه فى قوله عز وجل اولئك يوتون اجرهم
مرتين والمراد بالعندية ما هو معلوم عند الله من كثرة الجزاء ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال ومقادير الاجور ومراتب الاستحقاق واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد
ان اجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء فانه يحاسب
الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة
الدارين فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا اى على دينكم فلا تدعوه لشدة ولا رخاء قاله
الحسن او على طاعة الله قاله قتادة او على امر الله قاله الضحاك ومقاتل بن سليمان او على فرايض
الله قاله مقاتل بن حيان او على الجهاد فى سبيل الله قاله زيد بن اسلم او على البلاء والشدايد قاله
الكلبى قيل ان الشيطان يتعوذ من الصابرين كما يتعوذ المومن من الشيطان قال الجنيد قدس سره الصبر
حبس النفس على المكروه بنفى الجزع وقد ذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى غوث الله الاعظم معانى
الصبر فى غنيته ما يغنيك فراجعه ترنج والمعنى الجامع لذلك اصبروا على مشاق الطاعات وما
يصيبكم من الشدايد والمصايب وعن المعاصى قلت فاندرج فى الصبر مشقة النظر والاستدلال
فى التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومشقة اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز من
المنهيات ومشقة تحمل شدايد الدنيا وافاتها ومحنها وفقها هذا فى الصبر واما ما يتعلق بالمشاركة
مع الخلق فامر فيه بالمصابرة بقوله وصابروا اى الكفار فى الجهاد يعنى غالبوا اعداء الله فى الصبر
على شدايد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا فى القتال واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة

Copyright © King Saud University

النفس والهوى لقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واما ذكر واصابروا
بعد الامر بالصبر مطلقا لشدة المصابرة قيل خير الدنيا والاخرة في صبر ساعة ومن الكلمات التي تحث
بها شيخنا عبد القادر قدس سره واتباعه واهل مجلسه يا غلام الشجاعة صبر ساعة قلت ويندرج في
المصابرة تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة والسيف واللسان واما ما يتعلق بالانسان من تكلف اقسام
الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر فيه
بالمرابطة بقوله **ورابطوا** اي شدوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين مستعدين للغزو
قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وانفسكم على الطاعة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة رواه مسلم واخرج الشافعي ومالك واحمد
والترمذي والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنهم اجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم
بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط واخرج البخاري وغيره
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما
عليها واخرج احمد ومسلم والترمذي وغيرهم عن سلمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه واخرج الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رابط يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع
خنادق كل خندق كسبع سموات وسبع ارضين وفي البيضاوي وعنه عليه الصلاة والسلام من
رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن
صلاته الا لحاجة قال صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان له اجر صيام شهر
مقيم ومن مات مرابطا اجرى له مثل ذلك الاجر واجرى عليه الرزق وامن من الفتان وفي
معالم التنزيل في معنى ورابطوا يعني المشركين وقال ابو عبيدة اي داوموا واثبتوا والربط الشد
واصل الرباط ان يربط هولاء خيولهم وهولاء خيولهم ثم قيل ذلك لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه
وان لم يكن له مركب وقال اهل الاشارة اصبروا على مجاهدة النفوس بنفيها عن هواها وامرها
بطاعة سيدها ومولاها اي اصبروا ايها المشتاقون في ركوب عظائم الالام المحبة والشوق على
قلوبكم بتذكيركم بلوغ وصالي فاذا اشتدت الامور عليكم بالصبر في بلائي صابروا على مراقبة القلوب
مع الله بالتسليم والرضاء بالاحكام الازلية عند البلاء والابتلاء او اصبروا بمشاهدتي وصابروا
بوصلتي في طلبكم حقائق معرفتي او اصبروا باسراركم وصابروا باسراري ولا تكشفوها عند الاغيار
ورابطوا بمرابطة الارواح الى الوصل بالله بالانقطاع عن غير الله **واتقوا الله** في جميع احوالكم
وامور كم في مخالفة امر الله ونهيه **لعلكم تفلحون** تفوزون بالجنة وتنجون من النار الفلاح
البقاء مع المحبوب بعد الخلاص من المكروه اي لكي تظفروا برويتي وقربتي في دار كرامتي قال صلى الله عليه وسلم
من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله قيل زاد العقل هو التقوى من القبائح ولعل لتغليب الحال لئلا

يتكلوا

يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء
ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء لان الفلاح
الامن مما يخاف والوصول الى ما يرام قلت اتقوا الله اي اجتنبوا الترهات والشطحات فلا تنسب
ما هو للحق الى ما هو للخلق وبالعكس لعلكم تفلحون تبلغون مواقف اهل الصدق فانه محل الفلاح
مثلا لا تقل هو انا من وجه وانا هو من وجه وامثال هذه الجرأت والانبساط رجال ولدعواهم
شهود وليس كل جيلاني عبد القادر قال السلطان فاتقوا الله بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح
او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة
النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة
والطريقة والحقيقة واعلم ان كل سورة تناسب اولها واخرها فهذه السورة افتتحت بذكر انزال
القران والتورية والانجيل من قبل وختمت بذلك في قوله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
وما انزل اليهم قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة ال عمران فانهما ياتيان يوم القيمة
كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما ذكره السيوطي
في جامع الصغير قوله عليه السلام الزهراوين اي النيرين لكثرة ما فيهما من احكام انوار الشريعة
والاسماء الالهية قوله ياتيان اي ثوابهما قوله غمامتان اي سحابتان يظللان قارئهما عن حر
الوقوف وكرب ذلك اليوم قوله او غيايتان تثنية غياية وهي ما ظل الانسان فوقه واراد
به ما له صفاء وضوء اذ الغياية ضوء شعاع الشمس قوله او فرقان اي او كانهما فرقان
بكسر فسكون اي قطعتان وجماعتان قوله من طير اي طائفتان منها قوله صواف اي باسطات
اجنحتها متصلا بعضها ببعض وليست او للشك بل للتنويع وتقسيم القارئين فالاول لمن يقرؤهما
ولا يفهم المعنى والثاني للجامع بين التلاوة ودراية المعنى لمن ضم اليهما التعليم والارشاد قوله تحاجان
عن اصحابهما اي يدفعان عنه الجحيم او الزبانية او بالدلالة على سعيه في الدين ورسوخه في اليقين
واما درر هذه السورة وجواهرها فراجع في الجواهر اسم كتاب لحجة الاسلام **سورة النساء**
مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية قال القرطبي هذه السورة مدنية الا اية
منها وهي قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فانها نزلت بمكة عام الفتح في
عثمان بن ابي طلحة وقيل انها مدنية كلها والصحيح هو الاول فان في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله
عنها انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلاف بين العلماء
ان النبي صلى الله عليه وسلم انما بنى بعائشة بالمدينة واما من قال يا ايها الناس مكي حيث وقع فليس بكلي
بل بطريق الاغلب لان البقرة مدني وفيها يا ايها الناس في موضعين وانما سميت بسورة النساء
لان ما نزل منها في احكامهن اكثر مما نزل في غيرها والمناسبة بين هذه السورة وال عمران من حيث
ان ال عمران ختمت بالامر بالتقوى وافتتحت هذه السورة به وهذه السورة كالشرح لبقية مجملات
سورة البقرة في ايات عديدة كاية اليتامى والوصية والمواريث والانكحة ونكاح الامة والصداق
والخلع والقتال وفي هذه السورة من المناسبة بسورة الفاتحة في تفسير الذين انعمت عليهم في قوله

Copyright © King Saud University

فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس نداء عام وخطاب يشمل بني آدم باسرهم وقيل يا اهل مكة اتقوا ربكم اى خافوه
او اتقوه فى مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق ثم وصف ربوبيته بقوله الذى خلقكم من
نفس واحدة يعنى فرعكم من اصل واحد وهو من نفس ادم ابيكم وقال واحدة على تانيث لفظ النفس
وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء بالمد من
ضلع من اضلاعه اليسرى او عطف على محذوف هو صفة نفس واحدة تقديره من نفس واحدة خلقها
وانشاها من تراب وخلق منها زوجها وهو اى خلق منها زوجها تقرير لخلقهم من نفس واحدة
وعن ابن عباس رضى الله عنه وغيره خلق الله ادم وحشا فى الجنة وحده ثم نام فانتزع الله
احد اضلاعه القصيرى من شماله فخلق منه حواء ويعضده الحديث الصحيح فى قوله صلى الله عليه وسلم
ان المراة خلقت من ضلع اعوج الحديث واخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عمر قال
خلقت حواء من خلق ادم الايسر وخلقت امراة ابليس من خلفه الايسر وسميت حواء
لانها خلقت من حى قال صلى الله عليه وسلم عند نزول الاية خلقت المراة من الرجل
فهمها فى الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه فى التراب اى الزراعة والعمارة وبث
منهما اى نشر وفرق واظهر من تلك النفس اعنى ادم والزوج المخلوقة منها اعنى حواء
رجالا اى بنينا كثيرا ونساء اى بنات كثيرة ولم يصف النساء بالكثرة لدلالة كثرة الرجال
على كثرتهن لامتناع مشاركة رجلين فى امراة مع جواز اشتراك امراتين فى رجل واحد قال
السلطان واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكون اكثر اى
من الرجال قلت لانهن بمنزلة المزارع المهياة لتحصيل الغلة فحقهن ان يكون اكثر من الزارع
ولم يونث كثيرا لان الرجال بمعنى العدد او حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة
لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب
طاعة معطيها وقدم الرجال لفضلهم وقرى وخالق وبات على حذف مبتداء اى هو خالق
وباث ثم امر بتقواه ثانيا للتاكيد وليحافظوا عليه ولا يغفلوا عنه فقال واتقوا الله الذى
تساءلون به اى تقسمون بالله فى حاجاتكم او يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله وبالرحم
وانشدك بالله وبالرحم ان تقضى حاجتى مثلا على سبيل الاستعطاف وقرى تساءلون بالتشديد
والتخفيف واصله تتساءلون فادغمت الثانية فى السين وقرا عاصم وحمزة والكسائى بطرح
التاء والارحام قرا العامة بالنصب على انه معطوف على اسم الله اى واتقوا الارحام ان تصلوها
ولا تقطعوها او عطف على محل الجار والمجرور فى به لان محله النصب كقولك مررت بزيد
وعمروا وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور قال السلطان وهو ضعيف لانه كبعض
الكلمة وذهب البصريون الى امتناع العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار وهنا ترك الجار
اى ما قال وبالارحام وقال بعض المفسرين هذه القراة ثابتة بالتواتر فلا اعتماد على ما ذهب

اليه البصريون بزعمهم وقد طعن الزجاج فى قراءة الجر لانها تقتضى جواز الحلف بالارحام وقد
نهى النبى صلى الله عليه وسلم القسم بالارحام لانه قال لا تحلفوا بابائكم واجاب بعضهم عن
الحديث بان المراد بالحلف بها على سبيل التعظيم واما على سبيل الاستعطاف فلا باس به وهذا
جاء فى الحديث افلح وابيه ان صدق ذكره صاحب اللباب فيه وقيل الواو فى الارحام للقسم لا
للعطف ورد بان قسم السؤال يكون بالواو واجاب بانه ليس بقسم سؤال بل قسم اخبار و
استيناف كانه قيل والارحام انه عز وجل مطلع على ما تفعلون وقرى على انه مبتدا محذوف
الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه عز وجل على ان صلة الارحام
بمكان منه عز وجل حيث قرن الارحام باسمه العظيم الاعظم وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش
تقول اللهم صلنى وصلة الله ومن قطعنى قطعه الله هكذا فى الصحيحين برواية عائشة رضى الله عنها
قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى
فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته رواه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ان الله
كان عليكم رقيبا اى حافظا مطلعا عالما اى باسراركم حفيظا لاعمالكم مطلعا ناظرا اليها يسالكم
عنها ويجازيكم بها قال صلى الله عليه وسلم ما من عمل حسنة اسرع ثوابا من صلة الرحم وما من عمل سيئة
اسرع عقوبة من البغى ونزل فى يتيم طلب من وليه ماله فمنعه واتوا خطاب للاولياء والاوصياء
اى اعطوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا لقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم وهو تعليم شرعية
لا لغة اى سلموا اليهم اموالهم واليتامى جمع يتيم وهو الذى لا اب له من اليتم وهو الانفراد والعرف
خصصه بمن لم يبلغ وورود فى الاية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا
على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان انس منهم الرشد ولذلك
امر بامتحانهم او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال واتوهم اذا بلغوا لان المراد باليتامى هنا الكبار
البالغون لان الولاة وقيم الايتام انما يومرون بدفع اموالهم اليهم بعد البلوغ فاللفظ مجاز باعتبار
ما كان ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اى لا تستبدلوا الخبيث الحرام من اموال اليتامى بالحلال الطيب
من اموالكم قال السعيد بن المسيب والنخعى والزهرى والسدى فربما كان احدهم ياخذ الشاة السمينة
من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدراهم الجيد ويجعل مكانه الزايف ويقول
درهم بدرهم وشاة بشاة فنهوا عن ذلك وقيل كان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان
وياخذ الاكبر الميراث فنصيبه طيب وهذا الذى ياخذه خبيث وقال مجاهد لا تعجل الرزق
الحرام قبل ان ياتيك الحلال او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى يعنى اختطافه
واقتطاعه بالامر الطيب الذى هو حفظ اموالهم ولكن قيل فى قولهم ولا تاخذوا الرفيع من
اموالهم وتقطعوا الخسيس مكانها هذا تبديل لان الباء دخلت على الماخوذ وليس بتبدل
الذى يقتضى دخول الباء على المتروك كقوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم اى لا تاكلوا اموالهم مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهو
فيما زاد على قدر اجره لقوله فلياكل بالمعروف نهى الله تعالى فى الاية الاولى عن اكل مال اليتيم وحرمه

Copyright ... University

مخلوطة بغير على ان يكون المراد بالخبيث مال اليتيم ثم نهى عن ضم اموالهم الى اموال انفسهم
وفى كلتا الكلامين اشارة الى التجنب عن اموالهم انه اى الاكل من اموالهم كان حوبا
اى ذنبا كبيرا عظيما وقرئ حوبا بفتح الحاء قال مقاتل والكلبى نزلت قوله ولا تاكلوا اموالهم الى فى
رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه فترافعا
الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه
هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا كيف بقى الوزر يا رسول الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر
على والده وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى يقال للاناث يتامى كما يقال للذكور وهى
جمع يتيمة ويتيم اختلفوا فى تاويلها قال بعضهم معناه وان خفتم يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن
اذا نكحتموهن وتزوجتم بهن فانكحوا اى فتزوجوا ما طاب اى من حل لكم غير اليتامى من الغرائب
والاجانب لعدم تسلطكم على اموال الاباعد من النساء التى حل لكم نكاحهن يعنى دون المحرمات
التى ذكرت فى قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الاية سئل عائشة رضى الله عنها عن قوله تعالى وان خفتم
ان لا تقسطوا فى اليتامى قالت هى اليتيمة فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد ان يتزوجها
بادنى من سنة نسائها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا ويعدلوا لهن فى اكمال الصداق وامروا بنكاح
من سواهن من النساء اللاتى تحل لهم لان من النساء ما حرم لهم كاللاتى فى اية التحريم قال فى معنى
الاية ايضا ان خفتم ان لا تعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ
كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر
على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا
بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو
غير متحرج ولا تائب لانه يجب ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا
من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر
من الازواج والثمانى فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية
اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنا فباشروا
ما يدفع عنكم داعية الزنا فانكحوا ما حل لكم واستعملت كلمة ما فى النساء مع اختصاصها او غلبتها فى غير
ذوى العقول لان هذه التفرقة انما هى اذا اريدت الذات واما اذا اريدت الوصف كما تقول فى الاستفهام
ما زيد اى افاضل ام كريم فهو بكلمة ما دون من بحكم الوضع على ما ذكره صاحب المفتاح والبيضاوى
وغيرهما وان انكره البعض وههنا المراد الصفة اى فانكحوا الموصوفة باى صفة اردتم من البكر والثيب
والشابة والجميلة والنسيبة واضداد ذلك الى غير ذلك من الاوصاف وقيل اجراء لهن مجرى غير العقلاء
لنقصان عقلهن وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى ان خفتم ان تجوروا وتظلموا ثم رخص
فى نكاح اربع نسوة وبين لهم العدد لانهم كانوا يتزوجون ما شاءوا من غير عدد فقال مثنى وثلاث

ورباع

ورباع ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة يعنى فانكحوا اثنتين اثنتين وثلثا
ثلثا واربعا اربعا ولا تزيدوا وعلى ذلك فان قلت الذى اطلق للناكح فى الجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع
فما معنى التكرير فى مثنى وثلث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع
ما اراد من العدد الذى اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذه الدراهم وهى الف درهم درهمين
درهمين الخ كما قررنا ولو افردت لم يكن له معنى وبجئ بالواو ليدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جئ
باو مكانها لذهب معنى التجويز قولك وليس من شان البليغ ان يعبر فى العدة عن التسعة او تسعة
عشر باثنين وثلثة واربعة ومثنى وثلاث ورباع فمن قال اعط زيدا اثنين وثلثة
واربعة وهو يريد تسعة او اعط زيدا مثنى وثلاث ورباع وهو يريد تسعة عشر
كان ذلك اخيا كلام فالمراد من الاية الاذن لكل ناكح الخ كما ذكرنا يعنى فانكحوا الطيبات لكم معدودة
هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا على اختلاف الاحوال لان الاربع انما يحل نكاحهن
اذا لم يتقدمها ثلاث وكذلك الثلاث اذا لم يتقدمها اثنان يعنى ابيح لكم ما حل هذا العدد دون ما عداه
ولنرجع الى الاعراب اتفق النحويون على ان فى مثنى وثلاث ورباع عدلا محققا وذلك انها يقسم
امر ذى اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه فى غير العدد مكرر على الاطراد فى كلام العرب
نحو قرات الكتاب جزءا جزءا وجاءنى القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة فكان القياس فى باب
العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلث
غير مكرر لفظا ومعناه مكرر حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا الثلثة ثلثة فعند سيبويه منع
صرف مثل هذا للعدل والوصف الاصلى فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه
وقيل انها منعت من الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وتحقق
العدلين انها اخرجت عن اوزانها الاصلية الى اوزان اخر وعن تكررها الى التوحد فان ذلك ايضا
تغيير للصيغة نظرا الى المجموع قال التفتازانى وما ذكر من القول انها منعت من الصرف لما فيها من العدلين
الخ عائد الى ما ذهب اليه ابن السراج ان فيها عدلين لفظيا ومعنويا لان مثنى معدول عن لفظ
اثنين وعن معناه اعنى الاثنين مرة واحدة الى معنى اثنين اثنين ومحلهن النصب على الحال من ما طاب
لكم لا من النساء اذ لا معنى له وانما المعنى تقييد نكاح ما طاب بكونها معدودات هذا العدد ومفصلا
هذا التفصيل نعم لو جعلت من بيانية لا تبعيضية لم يبعد جعلها حالا من النساء لكن الظاهر هو
التبعيضية لان منهن من لا تحل فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل
فيما فوقها وفى اليتامى فواحدة اى فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع بالكلية حتى الاثنينية فـ
يستفاد من السوق ان الافضل تكثير الازواج الى الاربعة عند عدم الخوف ولهذا اختاره رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف تقديره فتكفيكم واحدة او مبتدا والخبر
مقدر اى كافية او خبر والمبتدا مقدره اى فحسبكم واحدة او فالمقنع واحدة او اقتصروا على
ما ملكت ايمانكم اى ان خفتم ان لا تعدلوا فى عشرة واحدة من الحرائر فما ملكت ايمانكم اى

Copyright ... University

متى ملكتم بالشراء او غيره من السراري لانها اخف مونة من الحرائر يعني فلا عليكم ان اكثرتم من السراري
او قللتم عدلتم بينهن في القسم او لم تعدلوا عزلتم عنهن او لم تعزلوا فسوى الله بين الواحدة من
الازواج والعدد الكثير من السراري لخفة مونتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي اختيار
نكاح الاربع فقط او الواحدة او التسري **ادنى الا تعولوا** اي اقرب من ان لا تميلوا وان لا تجوروا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وظلم وقال مجاهد اراد ان لا تضلوا وقال الفراء
معناه ان لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم واعلم ان معنى تعولوا بالواو اي تميلوا وتجوروا ومعنى تعيلوا
بالياء اي لا تكثر عيالكم وحكي ان الشافعي رضي الله عنه انه فسر ما هو بمعنى الميل بما هو بكثرة العيال
ويؤيده لو صح منه ذلك قراءة طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا بالياء او عبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن
على الكناية لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم فانه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم
فاراد الامام رحمه الله بذلك المعنى الكناية لا المطابقي قال ابو حاتم كان الشافعي رحمه الله اعلم بلسان
العرب منا وهي لغة حمير وكم من عايب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم قال السلطان ولعل المراد
بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز
العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع **وآتوا النساء صدقاتهن** اي اعطوا
النساء مهورهن والقراءة المشهورة بفتح الصاد وضم الدال وقرئ بضم الصاد واسكان الدال جمع
صدقة كغرفة وزنا وقرئ بضمهما على التوحيد اي صدقتهن **نحلة** قال ابن عباس وقتادة
وابن جريج اي فريضة من الله لانها مما فرضه الله تعالى اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة
منه تعالى والخطاب للازواج وقيل الخطاب للاولياء كانوا ياخذون مهور البنات ولا يعطونهن
منه شيئا اي اعطوهن ديانة وشرعا وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه
عليهن والمعنى ان الله تعالى جعل الصداق نحلة للنساء فامر الازواج باعطاء مهور النساء بطيبة نفس
يعني من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة فيها لان ما يوخذ بالمخاصمة لا يقال له نحلة اخرج ابن ابي شيبة عن
زيد بن اسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من نكح امراة وهو يريد ان يذهب بمهرها فهو عند الله زان
يوم القيمة وقال الحضرمي كان اولياء النساء يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا مهر بينهما فنهوا
عن ذلك وامروا بتسمية المهر في العقد **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** يعني
ان وهبن لكم ايها الازواج من الصداق عن طيب نفس من غير اكراه ولا خديعة وشوم خلق
وخوف ضرب ونفسا تميز لبيان الجنس **فكلوه هنيئا** لا اثم فيه **مريئا** لا اذى فيه كذا فسرها النبي
عليه السلام او طيبا محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الاخرة او سايغا طيبا او خذوه وانفقوه حلالا
بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سايغا لا تنغيص فيه او هما وصفان مصدر
اي فكلوه اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة في
الاباحة وازالة التبعة وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ويجوز للزوجة ابراء ذمة زوجها عن مهرها
قبل القبض لان الله لم يفرق بين كونه قبل القبض او بعد القبض وليس المراد نفس الاكل بل المراد منه حل التصرف

مطلقا

مطلقا اي سواء كان المهر عينا او دينا ولهذا فسر السلطان بقوله فخذوه وانفقوه كما ذكرنا وانما ذكر
الاكل لانه معظم المقصود من المال وعن علي رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم شيئا فليسال امراته
ثلثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا مريئا وشفاء
ومباركا **ولا تؤتوا** اي لا تعطوا ايها الاولياء **السفهاء** اي المبذرين الذين لا رشد لهم كالمجانين
واليتامى الغير البالغين **اموالكم** اي اموالهم التي محفوظة عندكم في تصرفكم كيلا يضيعوها وذهب
اكثر المفسرين على ان الخطاب للاولياء خاصة وهو الملايم للايات السابقة اي وآتوا اليتامى اموالهم
واللاحقة وقيل الخطاب عام لكل احد ان يعمد الى ما اعطاه الله فيعطي امراته واولاده وان كانوا
اصحاب رشد ثم ينظر الى ما في ايديهم **التي جعل الله لكم قياما** اي صيرها الله لكم قواما
ومعاشا يعني سبب القيام ابدانكم وبقائها ولانتظام دينكم كالحج والجهاد وغير ذلك من انواع الخيرات
وقياما مصدر قام اي يقوم بها معاشكم وصلاحكم فلا تضيعوها في غير وجهها وسمي ما به القيام قياما
للمبالغة وقرئ قيما جمع قيمة اي ما يقوم به الامتعة وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
اي من الفقر الذي يهلك دينه ولان اترك مالا مباحا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى
الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وقيل اكتسبوا المال فانكم
في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه فاحفظوا اموالكم من السفهاء لا من الفقراء واهل
الديانة واختلفوا في السفهاء فقيل هم النساء ازواجا او بنات او امهات وقيل الاولاد قال الزهري
يقول الله لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده وقيل النساء والصبيان
قال الحسن هي امراتك السفيهة وابنك السفيه قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الاية اي لا تعمد الى
مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك
ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلح وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم قال
الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما
على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق
عليه حتى يبلغ **وارزقوهم فيها واكسوهم** اي اجعلوا اموالهم مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها
وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه او اطعموهم منها واكسوهم لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته وانما قال
فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا فالرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد اجر
موقتا محدود **وقولوا لهم قولا معروفا** اي كلموهم كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعدوهم
وعدا جميلا باعطائهم اموالهم اذا رشدوا يعني بان تقولوا لهم اذا اصلحتم ورشدتم سلمنا اليكم
اموالكم هذا اذا كان الخطاب للاولياء وهو الظاهر وان كان لكل احد فهو ان يقال مثلا ان غنمت
في غزاتي او ربحت في تجارتي جعلت لكم حظا والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن يعني كل ما
سكنت اليه النفس لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر **وابتلوا
اليتامى** اي اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن
التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد حسب ما يليق بحال كل احد فولد التاجر يختبر بالبيع والشراء

اي الصبي

Copyright King Saud University

بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشرا منه وما فيهما من المفاسد والمصالح فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله
ويمتحن البنات بالغزل والقطن وتدبير البيت ثم الولي بعد ذلك يتم العقد ان اراد وهذا عند الشافعي
رضي الله عنه فان تصرف الصبي العاقل المميز لا يجوز عنده سواء اذن له الولي بذلك او لم يأذن
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يجوز تصرفه باذن الولي ﴿حتى اذا بلغوا النكاح﴾ اي حتى اذا
بلغوا حد البلوغ بان يحتلم لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا وبلوغ النكاح كناية
عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو المقصود به وهو التوالد ومناط الاحكام بخروج المني
اي سواء بالاحتلام او بالجماع او غيرهما كالنظر فاذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من
الرجال او النساء يحكم ببلوغه او يستكمل خمسة عشر سنة لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة
عشر سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود رواه البيهقي ولما روى مسلم عن ابن عمر رضي
الله عنهما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني و
عرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمسة عشر سنة فاجازني وهذان يشتركان بين الغلام والجارية
ولها امارتان اخريان الحيض والحبل ولاطفال الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على
العانة وقال ابو حنيفة رحمه الله بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام بكمال ثماني
عشرة سنة ﴿فان آنستم﴾ اي ابصرتم ﴿منهم رشدا﴾ اي صلاحا في دينهم ومالهم فالصلاح في الدين
هو ان يكون مجتنبا للفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا
والتبذير هو ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية ولا يحسن التصرف
فيغبن في البيوع فاذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله دام عليه الحجر ولا يدفع اليه
ماله ولا ينفذ تصرفه وعند بعضهم اذا كان مصلحا لماله زال الحجر عنه وان كان مفسدا في دينه
واذا كان مفسدا لماله لا يدفع المال اليه حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة غير ان تصرفه يكون نافذا
قبله والقرآن حجة لمن استدام الحجر عليه لان الله تعالى نفى الرشد عن فرعون في قوله وما امر فرعون
برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ولانه قال حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا ﴿فادفعوا
اليهم اموالهم﴾ من غير تاخير عن حد البلوغ لانه امر بدفع المال اليهم بعد البلوغ وايناس الرشد
والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد
فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن فاذا بلغ واونس منه الرشد زال عنه
الحجر ودفع اليه المال رجلا كان او امرأة تزوج او لم يتزوج وعند مالك رحمه الله انه اذا كانت
امرأة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج واذا تزوجت دفع المال اليها ولكن لا ينفذ تصرفها الا باذن
الزوج ما لم تكبر وتجرب فاذا بلغ الصبي رشيدا وزال الحجر عنه ثم عاد سفيها نظر ان عاد مبذرا
لماله حجر عليه وان عاد مفسدا لدينه فعلى وجهين احدهما يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه
اذا بلغ بهذه الصفة والثاني لا يعاد عليه الحجر لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة
لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن
عروة عن ابيه انه قال ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي رضي الله عنه

لآتين

لآتين عثمان فلاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الى الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في
بيعك فاتى علي عثمان رضي الله عنهما وقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر
على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه ونظم
الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه
لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم الرشد ﴿ولا تأكلوها﴾ يا معشر الاولياء ﴿اسرافا﴾ اي مسرفين بغير حق
﴿وبدارا﴾ اي مسارعين ومبادرين الى انفاقها مخافة وحذرا من ﴿ان يكبروا﴾ اي ان يبلغوا
رشدا فيلزمكم تسليمها اليهم وهما مصدران منصوبان وقعا موقع الحال اي مسرفين ومبادرين
كبرهم او مفعول لاجله اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم نقل عن ابن عباس انه قال كان الاولياء
يغتنمون اكل مال اليتيم لئلا يكبر فينتزع المال منهم يقال كبر بكسر الباء اي في السن وكبر بضم
الباء في القدر والعظم والمتعدى بعلى بمعنى المشقة يقال كبر على اي شق ثم بين ما يحل للاولياء
من اموالهم فقال ﴿ومن كان غنيا فليستعفف﴾ اي فليمتنع من اكل مال اليتيم فلا يرزأه قليلا ولا كثيرا
والعفة الامتناع مما لا يحل وفي الانوار وليس للولي اخذ اجرة او نفقة من مال اليتيم ان غني
وان افتقر وانقطع بالولاية عن الكسب اخذ قدر النفقة باذن القاضي ولا ضمان ان قدر الحاصل
ان كان ولي اليتيم غنيا فليقنع بما رزقه الله تعالى اشفاقا عليه وطلبا للاجرة الاخرة ﴿ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف﴾ اي ومن كان محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فليأكل بالمعروف
قال السيوطي اي بقدر اجرة عمله قال السلطان اي بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال
له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال
مما كنت ضاربا منه ولدك رواه ابو داود والنسائي وغيرهما وفي رواية اخرى ان رجلا قال يا رسول الله
اني فقير لا شيء لي وعندي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل واختلفوا في
انه هل يلزم الولي القضاء فذهب قوم الى انه يقضي اذا ايسر وهو المراد من قوله فليأكل بالمعروف
والمعروف القرض اي يستقرض مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد
وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة اليتيم اذا استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال الشعبي لا يأكل الا ان يضطر اليه
كما يضطر الى الميتة ثم اختلف في ان الوصي او القيم اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه هل
هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق
الا بالبينة لانه تعالى نص على الاستشهاد فقال ﴿فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم﴾
بانهم قبضوها وظاهر الامر للوجوب ولانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة
كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب ثم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة
البينة على ذلك وتنفيره الناس عن عدم قبول الولاية والوصاية ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ اي محاسبا فلا

فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم او كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض وفيه تهديد
للولي واليتيم ان يتصادقوا ولا يتكاذبوا وقال ابن عباس مجازيا للمحسن والمسيء ونزل رداً لما كان
الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار للرجال اي الاولاد والاقرباء نصيب اي حظ مما
ترك الوالدان والاقربون يعني للذكور من اولاد الميت حظ مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث
وللنساء اي للاناث نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اي من المال
المتروك او كثر من ذلك المال جعله الله نصيبا حظا مفروضا اي فريضة من الله مقطوعا
بتسليمه اليهم ونزلت الاية في وفاة اوس بن ثابت الانصاري وخلف زوجته ام كحة
وثلث بنات وابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة فزوى ابنا عمه المال ومنع الزوجة
والبنات على سنة الجاهلية فنزل للرجال الى مفروضا ثم نزل يوصيكم الله في اولادكم للذكر الخ
فاعطى النبي عليه السلام للمراة الثمن وللبنات الثلثين والباقي لابني العم احتج بعض اصحاب ابي حنيفة
بهذه الاية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد البنات لان الكل من
الاقربين واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر والمراد
بالاقارب هنا اقرب الناس الى الميت وما ذاك الا الوالدان والاولاد واذا حضر القسمة اي قسمة
التركة بين الورثة اولوا القربى اي ذو القرابة ممن لا يرث بل يحزن لموت الميت واليتامى
والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة او فاعطوهم شيئا من
من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبالغين من الورثة وقيل امر وجوب
ثم اختلف في نسخه وقيل امر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل نسخ الوجوب باية الميراث والضمير في منه
لما ترك او ما دل عليه القسمة واما اذا كانت الورثة صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول
الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم وان يكبروا فسيعرفون
حقكم وقولوا لهم اي قولوا لها الاولياء لليتامى والمساكين قولا معروفا وهو ان يدعو
لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وان كانت الورثة صغارا فقد قلنا كيف يدعوهم الاولياء
وليخش اي ليخف على اليتامى الذين اي الاوصياء لو تركوا اي لو قاربوا ان يتركوا من خلفهم
اي من بعد موتهم ذرية اولادا ضعافا صغارا خافوا عليهم الضياع فهذا امر للاوصياء بان يخشوا
الله ويتقوا في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم لو تركوا
اولادهم صغارا وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة
او الامر لمن حضر المريض عند الايصاء روي عن ابن عباس انه قال كان المريض يحضره من يحثه على
الوصية ويقول له قدم لنفسك خيرا فان ورثتك لا يغنون عنك من الله شيئا فيوصي بجميع ماله
ويترك ورثته عالة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم ان يحثوه على الوصية بثلث ماله ان كان
فيهم لا ويترك الباقي للورثة او الامر للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم
او الامر للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية وعلى التقادير مفعول ليخش محذوف بقرينة

قوله

قوله فليتقوا الله ولو تجاوا به اعني به خافوا عليهم جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب
كافلهم وكاسبهم جعل الله تعالى اخر ما دعاهم به الى حفظ مال اليتيم ان ينبههم على حال
انفسهم وذريتهم وذلك من اقوى البواعث في هذا المقصود على الاحتياط وفي ترتيب الامر بالخشية
على خوف من شارف ان يموت ويترك خلفه ذرية ضعافا فالاشارة الى المقصود من الامر والى
العلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده كما اشرنا وتهديد للمخالف
بحال اولاده فليتقوا الله في امر اليتامى وليأتوا اليهم ما يحبون ان يفعل بذريتهم من بعدهم
كما ذكرنا وليقولوا لمن قرب الزهوق قولا سديدا اي صوابا بان يامروه ان يتصدق
بدون ثلث ماله ويدع الباقي لورثته ويذكره التوبة وكلمة الشهادة ولا يتركهم عالة قال
ابو حيان ترتيب هذه الاوامر احسن ترتيب حيث بدأ اولا بالخشية التي محلها القلب وهي
الاحتراز من الشيء وهي الحاملة على التقوى ثم بالتقوى وهي مسببة عن الخشية اذ هي جعل
المرء نفسه في وقاية مما يخشاه ثم بالقول السديد وهو ما يظهر من الفعل الناشئ عن التقوى
الناشئة عن الخشية ولا يراد القول السديد فقط بل المعنى على الفعل والقول السديدين وانما
اقتصر على القول لسهولته على الانسان ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اي ظالمين
او على وجه الظلم يعني حراما بغير حق انما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي
ياكلون ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله تعالى
قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما الاية فان قيل الاكل انما يكون في البطن فما فائدة قوله ياكلون في بطونهم فالجواب
ان المراد به التاكيد والمبالغة كقوله تعالى يقولون بالسنتهم وقد ذكر الله الاكل والمراد منه كل
نوع من انواع الاتلاف ولكن الاكل هو المعظم وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا واي نار
قرئ بالبناء للفاعل والمفعول ثم لما اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب
فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي يامركم ويعهد اليكم في اولادكم اي في شان ميراثهم
وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص
على حظه لان القصد الى بيان فضله فله ضعف المال ولاختيه النصف وان كان معه واحدة
فلها الثلث وله الثلثان وان انفرد حاز المال كله فان كن نساء فقط اي الاولاد والتانيث
باعتبار الخبر اعني نساء خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين اي نساء زائدات على اثنتين وفوق
صلة فلهن ثلثا ما ترك الميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت
وان كانت اي البنت المولودة واحدة اي امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت قرأ نافع بالرفع على
ان كان تامة والباقون بالنصب على كونها ناقصة فلها النصف ولما لم يكن حكم البنتين مذكورا
صريحا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض

Copyright King Saud University

البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لا يوجد المشروط بالوحدة وعن اكثر الصحابة
وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالاية فيلزم ان
يكون للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد
آخر انثى وهو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين
دالا على ان حكم الانثيين حكم الذكر حالة اجتماعه معهما وحكم الذكر حيازة الثلثين فكذا حكم
الانثيين لتحصل المماثلة في الحظ وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين وقد فرض لهما
الثلثان بقوله في اخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى هذا قياس جلي
وقيل في الاية تقديم وتاخير اي فان كن نساء اثنتين فما فوقهما تمهيد في معرفة بعض
احكام علم الفرايض اعلم ان الوراثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة وكانوا يورثون الرجال
دون النساء والصبيان فابطل الله ذلك بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب الاية وكانت الوراثة ايضا في الجاهلية وابتداء الاسلام بالمحالفة قال الله تعالى والذين
عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ثم صارت الوراثة بالهجرة قال الله تعالى والذين امنوا ولم
يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فنسخ ذلك كله وصارت الوراثة باحدى الامور
الثلثة بالنسب او النكاح او الولاء فالمعني بالنسب ان القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله والمعني بالنكاح ان احد الزوجين يرث
صاحبه وبالولاء ان المعتق وعصابته يرثون المعتق فنذكر بعون الله نبذة في بيان من يرث
من الاقارب وكيفية توريث الورثة فنقول اذا مات ميت وله مال يبدا بتجهيزه ثم بقضاء ديونه
ثم بانفاذ وصاياه فما فضل يقسم بين الورثة ثم الورثة على ثلثة اقسام منهم من يرث بالفرض
ومنهم من يرث بالتعصيب ومنهم من يرث بهما جميعا فمن يرث بالنكاح لا يرث بالتعصيب
ومن يرث بالولاء لا يرث بالفرض اما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والاخوات
والامهات والجدات واولاد الام ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وبني الاخوة و
الاعمام وبنيهم ومنهم من يرث بهما جميعا كالاب يرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد وان كان
للميت ابن يرث الاب بالفرض السدس وان كان للميت بنت يرث الاب السدس بالفرض وياخذ
الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب وكذلك الجد ايضا وصاحب التعصيب من ياخذ جميع
المال عند الانفراد وياخذ ما فضل عن اصحاب الفرايض وجملة الورثة سبعة عشر عشرة من
الرجال وسبعة من النساء ففي الرجال الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد ابو الاب
وان علا والاخ سواء كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل
والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا والزوج ومولى العتاق ومن النساء البنت
وبنت الابن وان سفلت والام والجدة ام الام او ام الاب والاخت سواء كانت لاب وام او لاب
او لام والزوجة ومولاة العتاق وستة من هولاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالتعيين الابوان والولدان
والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة والاسباب التي توجب حرمان الميراث اربعة اختلاف

الدين

الدين والرق والقتل وعمي الموت يعني باختلاف الدين لان الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث
الكافر لما روى الشافعي عن ابن عيينة عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن اسامة
ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم واما الكفار يرث بعضهم
من بعض مع اختلاف مللهم لان الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
وذهب بعض اهل العلم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي من النصراني
ولا النصراني من المجوسي واليه ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحاق لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يتوارث
اهل ملتين شتى وتاوله الاخرون على الاسلام مع الكفر فاما الكفر فكله ملة واحدة فيورث بعضهم
من بعض لا يكون اثبات التوارث في اهل ملتين شتى والرقيق لا يرث احدا ولا يرثه احد لانه لا ملك له
ولا فرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وام الولد والقتل يمنع الميراث عمدا كان او خطاء لما روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القاتل لا يرث ونعني بعمي الموت ان المتوارثين اذا عمي
موتهما بان غرقا في ماء او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا يورث احدهما من الاخر بل
ميراث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته واما المرتد فماله في بيت المال
للمسلمين سواء اكتسب في الاسلام ام لا لا يرثه اقاربه المسلمون واما الانبياء عليهم السلام لا يورثون
ثم السهام المحدودة في الفرايض ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف
فرض ثلثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او للابن عند عدم ولد الصلب
وفرض الاخت الواحدة للاب والام او للاب اذا لم يكن له ولد لاب وام والربع فرض الزوج اذا كان للميتة
ولد وفرض الزوجة اذا لم يكن للميت ولد والثمن فرض الزوجة اذا كان للميت ولد والثلثان فرض
البنتين للصلب فصاعدا او للابن عند عدم الصلب وفرض الاختين للاب والام او للاب فصاعدا والثلث
فرض ثلثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسالتين احديهما زوج
وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين
فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسالة صاحب
فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة واما السدس ففرض سبعة فرض الاب اذا كان
للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او اثنان من الاخوة وفرض الجد اذا كان للميت ولد
مع الاخوة اذا كان في المسالة صاحب فرض وكان السدس خيرا من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة
والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن اذا كان للميت ابنة
واحدة للصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات اذا كان للميت اخت واحدة لاب وام تكملة الثلثين
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو لاولى
رجل ذكر وفي الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب نوعان حجب نقصان وحجب
حرمان فحجب النقصان هو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة
من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا يحجب
الام من الثلث الى السدس وحجب الحرمان هو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة

Copyright ... University

للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام يسقطون بثلاثة
بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق رحمهم الله واولاد الاب يسقطون
بهولاء الثلثة بالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب
وهو قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعايشة رضي الله عنهم
وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة رحمهم الله واقرب العصبات يسقط الابعد من
العصوبة فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد ابو الاب وان علا فان كان مع الجد احد
من الاخوة او الاخوات للاب والام او للاب دون الام يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب
والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة
فالذي هو لاب وام اولى ثم العم للاب والام ثم العم للاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم
الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث
للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن
والاخ للاب والام والاخ للاب حتى لو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما
للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث
ومن فوقه اذا لم ياخذ من الثلثين شيئا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء
لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن وان سفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ
الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون عصبة مع البنت حتى لو مات عن بنت واخت كان النصف
للبنت والباقي للاخت ولو مات عن بنتين فللبنتين الثلثان والباقي للاخت والدليل عليه ما اخبرنا
عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف نا محمد بن اسماعيل نا ادم نا شعبة
نا ابو قيس قال سمعت هزيل بن شرحبيل يقول سئل ابو موسى عن بنت وبنت ابن واخت فقال
للبنت النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسيتابعني فسال ابن مسعود واخبر بقول
ابي موسى فقال لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين اقضي فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم للبنت
النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فاتينا ابا موسى فاخبرناه بقول ابن مسعود
فقال لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم ولنرجع الى ما نحن بصدده من تفسير الاية واعلم ان جميع
ما ذكرنا من قوله تعالى يوصيكم الله الى هنا انما هو في حال انفراد الاولاد اما حالة اجتماعهم بالابوين
فذلك قوله تعالى **ولابويه** اي ولابوي الميت **لكل واحد منهما** بدل من ابويه بتكرير العامل
وفايدة البدل انه لو قيل ولابويه **السدس** لكان ظاهره اشتراكهما في السدس ولو قيل ولابويه
السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما لا على السوية مع ان السدسين يقسم بينهما بالتسوية
والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما **مما ترك ان كان له** اي
للميت **ولد** او ولد ابن ذكرا او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي
الفروض ايضا بالعصوبة **فان لم يكن له** اي للميت **ولد** لا ذكرا ولا انثى **وورثه** اي

للميت **ابواه** فقط او مع زوج **فلامه الثلث** مما ترك والباقي وهو الثلثان للاب فكانه قال
فلهما مما ترك اثلاثا وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب
الام علم ان الباقي للاب قرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد الكسرة وقرا
الاخرون بالضم على الاصل وعلى ما ذكرنا بان للام الثلث والباقي للاب ينبغي ان يكون فرض الام
فيما اذا خلف الميت زوجا وابوين او زوجة وابوين ثلث ما بقي من فرض احد الزوجين وقد
ذهب اليه جمهور الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فانه
يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع **وان كان
له** اي للميت **اخوة** اي اثنان فصاعدا ذكورا او اناثا **فلامه السدس** والباقي يكون للاب
ان كان معها اب فالاخوة لا ميراث لهم مع الاب ولكنهم يحجبون الام من الثلث الى السدس وقال ابن عباس
لا يحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلثة وقد تفرد به وقال لان الله قال فان كان
له اخوة فلامه السدس ولا يقال للاثنين اخوة فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لان الجمع ضم شيء الى شيء
وهو موجود في الاثنين كما قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما ولم يقل قلباكما كما ذكر القلب بلفظ الجمع واضافه الى
اثنين **من بعد** تنفيذ **وصية** ان كانت **يوصي بها** بالبناء للفاعل والمفعول **او** قضاء **دين**
ان كان فقوله من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من
بعد تنفيذ وصية ان كانت او دين ان كان لا بما يليه وحده وانما قال باو التي للاباحة والتسوية بين
ما يوصى به والدين في وجوب الاخراج والاداء قبل القسمة دون الواو التي لا تفيد غير وجوب تقديم
ما اوصى به والدين اذا وجبا جميعا دون ما اذا وجد احدهما اذ ربما يكون وجوب التقديم ان الاجتماع
فلا يتحقق عند الانفراد للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين او منفردين
وقدم الوصية على الدين وان كانت مؤخرة عنه شرعا لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة
قد يغفل عنها ويتهاونون بها فاكد بالتقديم للاهتمام به **اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا** يعني اباؤكم وابناؤكم الذين يرثون اموالكم من بعد موتكم لا تدرون ولا تعلمون
ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب له انفع فيكون الابن انفع ومنكم من يظن ان
الابن انفع فيكون الاب انفع وانا العالم بمن هو انفع لكم منكم وقد دبرت امركم على ما فيه المصلحة
فاتبعوه لاني جعلت التفاوت في السهام بحسب تفاوت المنافع وانتم لا تدرون تفاوتها وفرضت الفرايض
على وجه الحكمة والمصلحة وانتم لا تعلمون فتخرقوا في ما وصيت لكم ولا تقصدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض
وقال ابن عباس رضي الله عنه اطوعكم لله عز وجل من الاباء والابناء ارفعكم درجة يوم القيمة والله
يشفع المومنين بعضهم في بعض فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة رفع اليه ولده وان كان الولد ارفع
درجة يوم القيمة رفع اليه والده لتقر بذلك اعينهم قوله اباؤكم الى قوله نفعا جملة اعتراضية موكدة للوصية
واخراجها لا محل لها من الاعراب وقوله ايهم اقرب نفعا في محل النصب بتدرون **فريضة من الله**
مصدر موكد اي فرض الله الميراث فريضة او مصدر يوصيكم لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم فلا تغيروه
ان الله كان عليما بمصالح خلقه ومراتبهم **حكيما** اي بنصب الاحكام فيما قضى ودبر وحكم

Copyright King Saud University

يزل متصفا بذلك ولكم اى للرجال نصف ما ترك ازواجكم اى نساءكم ان لم يكن لهن
ولد منكم او من غيركم فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى مما تركت ازواجكم
والمعنى ان لم يكن لهن ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا
كان او انثى منكم او من غيركم وان كان لهن ولد فارث الخ فيكون كل واحد من هذه الاولاد حاجبا
للزوج من النصف الى الربع كما قال الله تعالى فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين
بها او دين اى اخذ النصف او الربع من بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصية ولهن اى الزوجات
تعدد ذن ام لا الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد منهن
او من غيرهن فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل
بحق الزوج ضعف ما للمراة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا فى الجهة والقرب
ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن
وقولنا الا اولاد الام اى فانهم حيث لم يفضل المعتق على المعتقة اذا مات المعتق ولم يخلف
صاحب فرض بل استوعب كل واحد منهما حق العصبة وههنا مسئلة ذهب الشافعى واحمد رحمهما الله
الى انه يجوز للرجل غسل زوجته لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فسماها زوجة بعد الموت وقال
ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز لانها ليست زوجته لانه لا يحل له وطيها بعد الموت واجيب بانها لو لم تكن
زوجته لكان قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجته مع انه لا يحل له وطيها
لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين فى اصول الفقه كيف
لا وقد علم فى صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطى كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان
و عند اشتغالها بالصلوات المفروضة والحج المفروض وان كان اى الميت رجل يورث
اى يورث منه صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فى يورث وعلى كل
واحد من هذين الاحتمالين يكون الرجل عبارة عن الميت وتكون الكلالة اسما للميت الذى لم
يخلف ولدا ولا والدا وهذا قول جمهور اهل اللغة وقول على وابن مسعود رضى الله عنهما وذهب
اكثر الصحابة رضى الله عنهم الى ان الكلالة اسم لمن عدا الوالدين والولد من الورثة ويؤيد هذا
القول بان الاية نزلت فى جابر رضى الله عنه روى عنه انه قال مرضت مرضا اشرفت منه
على الموت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انى رجل لا يرثنى الا كلالة وليس
له يومئذ ولد ولا احد من الوالدين ويورث من باب الافعال والكلالة تنطلق على معان ثلثة
اعنى على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من
جهة الولد والوالد والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء فاستعير
للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة ثم وصف بها المورث
والوارث وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال الكلالة ما خلا الولد
والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد
اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابى وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابى وقاص

سورة النساء

وله اخ واخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر فى اخر السورة
من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث
ولم يزدادوا على الثلث شيئا انه يعنى بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد
من ساير الاخوة الاخياف اى لام والاعيان اى الاخوة لاب وام واولاد العلات اى الاخوة لاب
او امراة عطف اى او امراة تورث كلالة وله اى لواحد من الرجل او المراة وقيل ولم يرجل
والنفى بحكمه عن حكم المراة الوارثة لدلالة العطف على تشاركهما فى الحكم اخ او اخت اى من الام
ويدل عليه قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام كما ذكرنا انفا ويدل عليه ايضا
ما ذكر فى اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر
ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما من الاخ وللاخت السدس
من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول واما على الاحتمال الثانى فالضمير عائد
الى الرجل والى واحد من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد
من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى فان كانوا اى الاخوة والاخوات
من الام اكثر من ذلك اى من واحد زائدا على الواحد فهم شركاء فى الثلث لانهم
يستحقون بقرابة الام وهى لا ترث اكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الانثى لان الادلاء
بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت
الابن فخص فيه بالاجماع قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته الا ان الاية التى انزل الله
فى اول سورة النساء من شان الفرايض انزلها فى الولد والوالد والاية الثانية فى الزوج
والزوجة والاخوة من الام والاية التى ختم بها سورة النساء فى الاخوة والاخوات من الاب والام
والاية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
من بعد وصية يوصى بها او دين انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول
الاولاد والوالدان والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة غير مضار حال من
ضمير يوصى اى يوصى الميت حال كونه غير مدخل الضرر على الورثة بان يوصى باكثر من الثلث قال
الحسن هو ان يوصى بدين ليس عليه يعنى لقصد الاضرار بهم دون القربة وروى عن عكرمة
عن ابن عباس ان الاضرار فى الوصية من الكباير ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابى هريرة
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف فى وصيته
ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم
له بخير عمله فيدخل الجنة وصية من الله اى يوصيكم الله بذلك وصية كائنة من الله فلا تغيروها
فوصية مصدر موكد ليوصيكم كقوله عز وجل فريضة من الله والله عليم حليم اى عليم
بالمضار وغيره وحليم لا يعاجل بعقوبته تلك اى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا
والمواريث حدود الله اى شرايعه التى حدها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ومن
يطع الله ورسوله فى جميع الاوامر والنواهى التى من جملتها ما فصل من امر الميراث واظهار الاحكام

Copyright King Saud University

الجليل المهابة يدخله قرأ نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء والضمير لله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها حال من مفعول يدخله وهي مقدرة لان الخلود بعد الدخول
وكذلك خالدين وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جرتا على غير من هما له
وصيغة الجمع بالنظر الى الجمعية من حيث المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا
وذلك اى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر من وصف الخلود الفوز العظيم الذى
لا فوز وراءه ومن يعص الله ورسوله قال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله و
يتعد حدوده اى ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده
استحلالا يدخله نارا عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق وله اى لمن
يعص الله عذاب مهين اى وله مع العذاب الحريق الجسماني عذاب مبهم لا يعرف كنهه وهو
العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه وفسر الضحاك المعصية هنا بالشرك والكلبي التعدي
بالاستحلال كما ذكر انفا فعلى هذا ليس في هذه الاية ما يدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم
في النار كما زعمت المعتزلة المتبدلة والخوارج لانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذى تعدى
الحدود كلها كما يفهم من ظاهر الجمع واما المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد
التوحيد ووجه في الضماير في الايتين لفظ من وفي خالدين معناها كما اشرنا واللاتي
يأتين الفاحشة اى الزنا ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما امر بالاحسان الى النساء بذكر
ايتاء صدقاتهن وتوريثهن امر بتطهيرهن من اثم الزنا وهو في الحقيقة احسان اليهن اذ هو
من مصالح دينهن واخرتهن والمعنى واللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اى من ازواجكم
فاستشهدوا عليهن الخطاب للحكام اربعة منكم اى من رجال المسلمين يعني فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن جعل الله تعالى ما ثبت به الزنا شهادة اربعة من
رجال المسلمين تغليظا على المدعي وسترا على العباد فان شهدوا فامسكوهن اى فاحبسوهن
في البيوت اى وامنعوهن من مخالطة الناس اى واجعلوا البيوت عليهن سجنا حتى يتوفاهن
الموت اى يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت وفي ذكر الموت تهويل للموت وابرازه
في صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد
اى في حق البكر بالجلد والتغريب في غير المحصن وفي حق الثيب بالجلد والرجم ويحتمل ان يكون المراد
به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض
للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني ولهذا قيل الحكمة في حبس الزواني ان يمتن
ان المرأة انما تقع في الزنا غالبا بسبب خروجها وبروزها للرجال فاذا حبست في البيت فقد
تخلصت عن السبب الذى ارتكب الزنا بسببه فلا تقدر على الزنا بل تستمر على العفة او الى
ان يجعل الله لهن سبيلا اى طريقا الى الخروج منها كتعيين الحد المخلص عن الحبس او
النكاح المغني عن السفاح امروا بالحبس في اول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها
عاما ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني فقد جعل الله لهن

سبيلا

سبيلا رواه مسلم قال محيي السنة والفرض ثم نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند اكثر اهل العلم وذهب
الى انه يجمع بين الجلد والرجم روي عن علي رضي الله عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة
ثم رجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة العلماء على ان الثيب
لا يجلد مع الرجم لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وعند ابي حنيفة التغريب
ايضا منسوخ في حق البكر واكثر اهل العلم على انه ثابت وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب فان قيل الحد جلد وتغريب في حق البكر ورجم
بالحجارة في حق الثيب وهذا بعيد لان السبيل والخلاص عليها لا لها فان الرجم اغلظ من الحبس قلت الرجم يخلصها
من الحبس في الدنيا ومن نار جهنم في الاخرة فصار السبيل لها لا عليها واللذان يأتيانها منكم يعني
الرجل والمرأة والهاء راجعة الى الفاحشة قرأ ابن كثير بتشديد النون والاخرون بالتخفيف وصف الزاني
والزانية بما وصف به الذكران تغليبا للذكر على الانثى قيل والظاهر من لفظ منكم تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات
هنا ومن لفظ ومن نسائكم فيما سبق فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد قال عطاء وقتادة يعني
عيروهما باللسان اما خفت الله اما استحييت من الله حين زنيت قال ابن عباس سبوهما واشتموهما قال ابن عباس
هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان قيل قد ذكر الحبس في الاية الاولى وذكر في هذه الاية
الايذاء فكيف وجه الجمع بينهما قيل الاية الاولى نزلت في النساء وهذه في الرجال وهو قول مجاهد وقيل الاية
الاولى في الثيب وهذه في البكر فان تابا من الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فاعرضوا عنهما
اى فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا مبالغا في قبول
التوبة رحيما فلا يعذب على من تاب عليه وهذا كله كان قبل نزول الحدود فنسخ بالجلد والرجم
فالجلد في القرآن قال الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والرجم في السنة
وقال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب
التلاوة قال السيوطي رحمه الله الاذى والحبس منسوخان بالحد ان اريد بالفاحشة الزنا وكذا ان اريد
بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وان كان محصنا بل يجلد ويغرب وارادة اللواط
اظهر بدليل تثنية الضمير وقيل الاية الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية في سورة النور في
الزناة وجملة حد الزنا ان الزاني اذا كان محصنا وهو الذى اجتمع فيه اربعة اوصاف العقل والبلوغ
والحرية والاصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان او ذميا وهو المراد من الثيب المذكور في الحديث وذهب
بعضهم الى ان الاسلام من شرائط الاحصان ولا يرجم الذمي وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين
زنيا وكانا قد احصنا وان كان الزاني غير محصن بان لم يجتمع فيه هذه الاوصاف الاربع نظر ان كان غير بالغ
او كان مجنونا لا حد عليه وان كان حرا بالغا عاقلا غير انه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب
عام الى مسافة يقصر فيها الصلاة وان كان عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان ان قلنا يغرب فكم يغرب
فيه قولان اصحهما نصف سنة كما يجلد خمسين على نصف الحر انما التوبة على الله اى التي كتب على
نفسه قبولها بفضله وكرمه لا وجوبا يستحق بتركه الذم قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله فيكون على
عند اى عند الله وقيل من الله قال السلطان يعني ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه

Copyright © King Saud University

من تاب عليه اذا قبل توبته وليس المراد بها الوجوب اذ لا يجب على شيء لكنه تاكيد للوعد اى انه يكون لا محالة
كالواجب الذى لا يترك **للذين يعملون السوء بجهالة** قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراوه ان كل شيء عصى به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطأ قال شيخنا عبد القادر رحمه الله فى كتابه جلاء الخاطر
الجاهل هو الذى لا يعرف الله حتى يطلب حوائجه منه وقال الزجاج يعنى بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية قال الكلبى لم يجهل انه ذنب لكن يجهل عقوبته قال ابن عباس يريد ان ذنب المؤمن جهل منه ف
لذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته **ثم يتوبون من قريب** اى الذى يتوب قبل
ان يحبط السوء حسناته فيحبطها او الذى يتوب فى صحته قبل مرض موته او قبل الموت او قبل معاينة ملك
الموت عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اى ما لم يتردد
روحه فى حلقه وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والظاهر من زمان قريب
اى قبل حضور الموت لقوله حتى اذا حضر احدهم الموت اعنى الغرغرة فبقى ما وراء الغرغرة فى حين القبول وعن ابن عباس
قبل ان ينزل سلطان الموت وعن ابراهيم النخعى ما لم يوخذ بكظمه وهو مجرى النفس ومن تبعيضية اى يتوب
فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت بحيث يصير معرفته بالله
ضروريا كما لاهل الاخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق فى يده زمام الاختيار وافضى الامر الى حد
الالجاء والاجبار وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك
يا رب لا ابرح اغوى عبادك ما دامت ارواحهم فى اجسادهم فقال الرب تعالى وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى
لا ازال اغفر لهم ما استغفرونى **فاولئك يتوب الله عليهم** اى يقبل توبتهم هذا وعد بالوفاء
بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله **وكان الله عليما** فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة **حكيما**
فى صنعه بخلقه فالحكيم لا يعاقب التائب ثم اوضح معنى القريب بقوله **وليست التوبة للذين يعملون
السيئات** اى ليس قبول التوبة للذين يعملون المعاصى والذنوب **حتى اذا حضر احدهم الموت
قال انى تبت الآن** ويصر على ما هو عليه الى حضور الموت ووقع فى النزع ويقول حينئذ انى
تبت الآن وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار و
التحاشى عن تسميته توبة لان ذلك حالة السوق حين تساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من
عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا قال الامام البغوى فى تفسيره وكذلك
لم ينفع ايمان فرعون لفرعون حين ادركه الغرق **ولا الذين يموتون وهم كفار** عطف على الموصول
الذى قبله اى ليس قبول التوبة لمن سوّف الى حضور الموت من الفسقة والكفار ولا لمن مات على الكفر
وانما ذكر من مات على الكفر مع انهم لا توبة لهم اصلا وراسا مبالغة فى نفى التوبة وعدم الاعتداد فى تلك
الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء يعنى سوّى الله بين من سوّف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر لان حضرة الموت اول احوال الاخرة
فكما ان الميت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوّف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد
منهما اوان التكليف والاختيار ورايت بعض اعوان فرعون عدو الله معدا اوراقا يمدح فيه فرعون
ويؤول فيها القرآن وينسبها كذبا وافتراء الى بعض علماء الكرام والله المستعان قال سعيد بن جبير

نزلت

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

نزلت الآية الاولى يعنى انما التوبة على الله فى المؤمنين والوسطى يعنى وليست التوبة فى المنافقين
لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم والاخيرة يعنى ولا الذين يموتون وهم كفار فى الكافرين يعنى
لا توبة لمشرك ولا لمنافق اذا تابا عند حضور الموت وهو المنظر الى ملك الموت ولا لمن مات كافرا بلا
توبة لان التوبة لا تقبل فى الآخرة انتهى ما قاله السعيد **اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما** اى
الموصوفين باحد الوصفين التوبة فى وقت الاحتضار والموت على الكفر هيأنا لهم عذابا موءلما تاكيد لعدم
قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهى
العُدّة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء** اى ذواتهن وانفسهن كالاموال **كرها** بالفتح قراءة العامة اى كارهات لذلك
وقرا حمزة والكسائى بالضم اى مكرهات ونزلت الآية نهيا عما كانوا عليه فى الجاهلية وفى اوائل الاسلام
من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء كان الرجل اذا مات وله قريب القى ثوبه
على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول الذى اصدقها الميت وان
شاء زوجها غيره من الاجانب واخذ صداقها لنفسه وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها
فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث على زعمكم كاخذ المواريث فتزوجوهن
كارهات لذلك او مكرهات عليه **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** والمعنى لا يحل لكم
يا معشر ورثة الازواج ان تمنعوهن من التزويج لتاخذوا بما آتيتموهن من المهر فهو عطف على ان ترثوا
ولا لتاكيد نفى الحل اى ولا ان تمنعوهن من التزويج فالخطاب فى ان ترثوا ولا تعضلوا لورثة الازواج
لا للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه
وبقى بعضه وقيل الخطاب مع الازواج كان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته ومطلوبه حبسها
مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها او تختلع بمهرها او يرثوا منهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب
الازواج ونهاهم عن العضل قال ابن عباس هذا فى الرجل تكون له المراة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر
فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك ثم قال **الا ان يأتين
بفاحشة مبينة** كالزنا والنشوز وسوء العشرة يعنى ان المراة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان
يسالها الخلع نقل عن ابن مسعود وغيره ان المراد بالفاحشة هى الزنا والنشوز فاذا زنت امراة
تحت رجل او نشزت عليه حل له ان يسالها الخلع وان يضارها ويسيء معاشرتها لتفتدى منه بالمهر
قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم بفتح الياء اسم مفعول فى جميع القرآن اى بينها من يدعيها واوضحها والباقون
بكسرها اسم فاعل من بيّن بمعنى تبيّن وظهر والوجه لكسر الياء حقيقة لان الفاحشة لا تبيّن شيئا ومن
بيّن المتعدى ومفعوله محذوف اى الا ان ياتين بفاحشة مبينة حال مرتكبها والمستثنى منه اما عام
عام الظرف تقديره لا تعضلوهن فى وقت من الاوقات الا وقت اتيانهن بفاحشة واما عام
العلل اى لا تعضلوهن لعلة من العلل الا لاتيانهن بفاحشة **وعاشروهن بالمعروف** اى بالانصاف
والعدل فى الفعل والقول الجميل الحسن والمبيت والنفقة قال ابن عباس رضى الله عنهما صحبوهن بما
يجب لها عليك من الحق **فان كرهتموهن** اى صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن

Copyright King Saud University

ما يوجب الكراهة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وا صبر
على معاشرتهن وسوء خلقهن او قبح صورتهن **فعسى ان تكرهوا شيئا** بهوا نفسك وطبعك
ويجعل الله فيه اى فى ذلك الشيء او فى الكره **خيرا كثيرا** اى ثوابا جزيلا والفة ومحبة او
ولدا صالحا او يعطفه الله عليها كيف شاء وعسى فى الاصل علة للجزاء اقيمت مقامه كانه
قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه
وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتكم شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وكان الرجل اذا راى امراة
فاعجبته بهت التى تحته ورماها بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها فنزل فى نهى ذلك
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اى ان اردتم ايها الرجال تطليق امراة وتزوج اخرى
وقد آتيتم اعطيتم **احديهن** اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج جنس الزوجات
قنطارا اى مالا كثيرا عظيما فى صداقها كما مر فى آل عمران وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات
فلو كانت مكرمة فى الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله ما اصدق امراة اكثر من اثنى
عشرة اوقية فقالت امراة اتتبع قولك ام قول الله وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر رضى الله عنه
كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعوننى اقول مثل هذا فلا تنكرونه حتى ترد على امراة ليست من اعلم
النساء ثم قال لهن تزوجوا على ما شئتم فانظر الى تواضع الخليفة للحق مع امراة مع وفور علمه رضى الله عنه
وارضاه **فلا تاخذوا منه** اى من القنطار **شيئا** اذ لم يكن من قبل المراة نشوز ولا فاحشة
كما هو الظاهر اى شيئا قليلا فضلا عن الكثير ثم قال تشنيعا للاخذ **اتاخذونه** اى شيئا منه **بهتانا**
اى ظلما **واثما مبينا** اى بينا استفهام انكار وتوبيخ وهما مصدران واقعان موقع الحال من
فاعل تاخذونه اى اتاخذونه باهتين واثمين ويحتمل نصبهما على العلة يعنى لبهتانكم وظلمكم اياهن واثمكم كما
فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم الكذب والبهتان الكذب الذى
يبهت المكذوب عليه اى يحيره فى ما رماه به وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم
وكيف تاخذونه اى باى وجه تاخذون المهر **وقد افضى بعضكم الى بعض** والحال قد وصل
بعضكم الى بعض بالجماع المقرر للمهر واكد بالافضاء للجماع ولكن الله حيى يكنى واصل الافضاء الوصول
الى الشيء من غير واسطة **واخذن منكم ميثاقا غليظا** عهدا وثيقا قال الحسن والضحاك وابن
سيرين وقتادة الميثاق الغليظ هو قول الولى عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال
من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقال الشعبى وعكرمة هو الميثاق الغليظ ما روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
رواه مسلم والميثاق هو العهد الوثيق والغليظ المبالغة فى العهد وهو حق الصحبة والممازجة **ولا
تنكحوا ما نكح اباؤكم** اى ولا تنكحوا التى نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة
اى وصف كون المراة منكوحة الاب لا خصوصية ذات المراة حتى يجب ان يعبر عنها بمن وقيل ما مصدرية
على ارادة المفعول من المصدر اى لا تنكحوا منكوحة ابائكم **من النساء** بيان ما نكح على الوجهين وقوله

من النساء يفيد التخصيص بعد التعميم قال ابن عباس رضى الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية
يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك واسم الاباء ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها
نصا واجماعا وههنا مسالة خلافية قال ابو حنيفة رحمه الله يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية ابيه
لان النكاح عنده عبارة عن الوطى ودليله قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل
بمجرد العقد وقال الشافعى رحمه الله لا يحرم عليه ذلك للايات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله
تعالى وانكحوا الايامى وكقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وكقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وكقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى ولا شك ان الوطى من حيث هو وطى ليس سنة له والا لزم
ان يكون الوطى بالسفاح سنة له وكقوله عليه السلام ولدت من نكاح لا من سفاح ولان
من حلف ان اولاد الزنا ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث ولو كان الوطى نكاحا لحنث سلمنا ان الوطى
يسمى به مع اجماع المفسرين ممن يعتبر كلامه على ان سبب نزول الاية هو العقد لا الوطى **الا ما قد
سلف** اى الا نكاحا قد وقع منكم قبل نزول اية التحريم فانه معفو عنه او المعنى ولا تنكحوا حلايل
ابائكم الا ما قد سلف اى من ماتت منهن ان امكنكم ان تنكحوه ولا يمكن نكاح الميتة فالغرض المبالغة
فى تحريم نكاح ازواج الاباء وانسداد الطريق الى اباحته كما تعلق بالمحال فى التابيد فى نحو قوله
تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط فالاستثناء اما من المعنى اللازم للنهى كما قلنا الا نكاحا قد وقع
منكم الخ او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كما قلنا او المعنى ولا تنكحوا حلايل الخ وقيل الاستثناء
منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه لا انه مقرر لانه عليه السلام ما اقر احدا
على نكاح امراة ابيه وان كان واقعا فيما مضى من زمان الجاهلية لما روى براء ابن عازب قال
مر بى خالى ابو بردة بن نيار ومعه لواء قلت اين تذهب قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى رجل تزوج امراة ابيه من بعده آتيه براسه واخذ ماله **انه** اى لانه علة للنهى اى ان
نكاح ما قد سلف **كان فاحشة** قبيحا عند الله ما رخص فيه لامة من الامم **ومقتا** اى سببا لمقت
من الله وهو اشد البغض وممقوتة عند ذوى المروات ايضا ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه
المقتى **وساء سبيلا** اى بئس طريقا ذلك اى بئس سبيل من يراه ويفعله واعلم ان مراتب القبح ثلثة
القبح العقلى والشرعى والعادى فقوله فاحشة اشارة الى العقلى ومقتا اشارة الى الشرعى وساء سبيلا
الى العادى ومن اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية فى القبح ولما ذكر فى اول السورة نكاح ما طاب
اى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الاباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب
وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال **حرمت عليكم امهاتكم** اى نكاح اصولكم وتخصيصهن لانه
استهانة واستهانة الاصول قبيحة وشملت الجدات من قبل الاب او الام وليس المراد تحريم ذواتهن
بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله
حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده فى النكاح والام حقيقة هى الوالدة وفى معناها كل امراة
رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك يعنى الامهات تعم من ولدتك او ولدت من
ولدك وان علت وعندنا اذا تزوج رجل بامه ودخل بها يلزمه الحد لان وجود هذا النكاح وعدمه

Copyright © King Saud University

بنا بنتٍ واحدةٍ لكونه محرمًا قطعًا في حكم الشرع فيكون وطيها زنًا محضًا ثم اعلم ان حرمة الامهات
كانت ثابتة في جميع الاديان واما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحًا في زمان ادم عليه
السلام فذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى تزوج
بها ابناء ادم وبعث الغلمان حتى تزوج ببنات ادم ويرد عليه ان هذا النسل حينئذ لا يكون
محض اولاد ادم وذلك باطل بالاجماع **وبناتكم** اي فروعكم لانهن كالاصل في الجزئية وهي تتناول
من ولدها او ولدت من ولدها وان سفلت **واخواتكم** لانهن بعض اجزاء الاصل فنكاحهن هتك
بعض اجزاء الاصول وهي تتناول الاخوات من الاوجه الثلثة اي من الاب والام ومن الاب وحده
او من الام وحده وكذلك الباقيات **وعماتكم** لانهن فروع اصل الاب فنكاحهن هتك بعض اجزاء
الاب والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرًا ولدك يعني اخوات ابائكم واجدادكم **وخالاتكم** لانهن
فروع اصل الام والخالة كل انثى ولدها كل انثى ولدتك يعني اخوات امهاتكم وجداتكم قريبًا او بعيدًا
وبنات الاخ لانهن فروع فرع الاصل وجزء الجزء جزء فنكاحهن هتك بعض اجزاء الاصل ويدخل
في بنات الاخ وابن الاخت بنات اولادهم **وبنات الاخت** كحكم بنات الاخ فيما قلنا ثم شرع في السبب
فقال **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
امًا للرضيع والمراضعة اختًا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد وُلد له
من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته
وكل من وُلد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه وكل من وَلدها من غيره فهم
اخوته واخواته لامه وحاصل الكلام ان امر الرضاعة على قياس النسب باعتبار المرضعة و
والد الطفل الذي در عليه اللبن قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رواه الشيخان
وهو حكم كلي جار على عمومه قال السلطان بيض الله وجهه واستثناء اخت ابن الرجل وام اخته
من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب انتهى وقد الحق
باخت ابن الرجل وام اخته ام النافلة وجدة الولد فان كلا منهما يحرم من النسب لان ام النافلة
زوجة الابن وجدة الولد ام للزوجة ولا تحرمان من الرضاع كمن ارضعت ولد ولدك
واذا تحققت هذا فلا حاجة الى استثناء هذه الصور لان ما هو جهة الحرمة في النسب غير موجود
ههنا مثلا اخت الابن انما تحرم من جهة كونها بنتًا لك او ربيبة واية جهة من هاتين لو تحققت
في الرضاع لكانت محرمة وتوضيحه ان اخت الابن اذا كانت بنتًا تكون لها جهتان جهة الاختية
وجهة البنتية لك ولا شك في تغايرهما والحديث المذكور دل على الحرمة من جهة البنتية لا من جهة
الاختية للابن وكذلك اذا كانت ربيبة كانت لها جهتان متغايرتان الاختية للابن وكونها ربيبة
وجهة الحرمة منهما ليست الا كونها ربيبة على ان لها جهة الحرمة بسبب المصاهرة لا بسبب النسب و
كذلك الباقي فليتدبر ثم لا يخفى انه تعالى ذكر من الرضاع قسمين وان كان المحرم منه ايضا سبعًا
تنبيهًا على الباقي فالامهات يستدل على قرابة الاولاد والاخوات يستدل بها على قرابة العمات
والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت واخر الرضاع عن النسب لكونه دونه واختلفوا في مقدار الرضاع

قال مالك وابو حنيفة قليله وكثيره يحرم لاطلاق الاية وقيده بالثلاث وما فوقه احمد واسحاق
ابن راهويه لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها لا تحرم المصة من الرضاع ولا المصتان
وذهب الشافعي الى خمس رضعات متفرقات لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات تحرمن ثم نسخت بخمس فصار الحكم خمس رضعات
معلومات يحرمن فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك واختلفوا ايضا في مدة الرضاع
فعند الشافعي شفعه الله فينا واماتنا الله والذرية على مذهبه انما تثبت حرمة الرضاع بشرطين
احدهما ان تكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
والثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات وعند ابي حنيفة نفعنا الله به مدة الرضاع ثلثون
شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا **وامهات نسائكم** وجملته ان كل من عقد النكاح على
امراة يحرم على الناكح امهات المنكوحة وجداتها وان علين من الرضاع والنسب ذكر اولا المحرمات
النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة
الزواج وهن محرمات بمجرد العقد **وربائبكم** جمع ربيبة وهي بنت امراة الرجل من غيره ومعناها مربوبة
سمي بها بنت الزوجة من غيره لانه يربها كما يرب ولده في غالب الامر **اللاتي في حجوركم** اي في تربيتكم
واحتضانكم وحفظكم قوله واللاتي في حجوركم صفة لربائبكم موافقة للغالب فلا مفهوم لها ولذا
لم يذكر له مفهوم كما ذكر مفهوم قوله اللاتي دخلتم بهن بقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن الاية
والحجور جمع حجر بفتح الحاء المهملة وكسرها وكونها في حجره عبارة عن تربيتها كما قلنا ففائدة قوله
في حجوركم تقوية العلة وتكميلها للتحريم والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم
او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة
واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعل كونها في الحجر شرطا للتحريم
وفي المدارك قال داود اذا لم تكن في حجره لا تحرم **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** اي
جامعتموهن ويحرم عليه ايضا بنات المنكوحة وبنات اولادها وان سفلن من الرضاع والنسب
بعد الدخول بالمنكوحة حتى لو طلق المنكوحة قبل الدخول بها او ماتت جاز له ان ينكح ابنتها ولا يجوز
له ان ينكح امها اي ام البنت التي طلقها قبل الدخول بها لان الله تعالى قد اطلق تحريم الامهات **فان لم
تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** وقال في تحريم الربائب فان لم تكونوا دخلتم
بهن اي بالامهات اصلا بما قبل فلا جناح عليكم في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن او متن وقلنا ان
امهات نسائكم يحرمن عليكم بمجرد العقد **وحلائل ابنائكم** اي زوجات ابنائكم **الذين من اصلابكم**
اي من ظهوركم والمعنى يحرم على الرجل ازواج ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من الرضاع والنسب بنفس العقد
وانما قال من اصلابكم ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي صلى الله عليه وسلم
تزوج امراة زيد بن حارثة وكان زيد قد تبناه الرسول صلى الله عليه وسلم سميت الزوجة حليلة
لكونها حلالا للزوج او لحلولها مع الزوج حيث كان **وان تجمعوا بين الاختين** في موضع
الرفع عطفا على المحرمات والتقدير حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم والجمع بين الاختين يعني لا يجوز لكم

الجزء الخامس

ان يجمع بين الاختين فى النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب او بالرضاع فاذا نكح امراة ثم طلقها بايناً جاز له نكاح اختها وكذلك لو ملك اختين بملك يمين لايجوز ان يجمع بينهما فى الوطى فاذا وطى احدهما لم يحل له وطى الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه وكذلك لايجوز ان يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها لقوله صلى الله عليه وسلم لايجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها صلى الله عليه وسلم والحاصل لو عقد على الاختين معاً فنكاحهما باطل وعلى الترتيب بطل الثانى واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احداهما ويشترى الاخرى فقد اختلفت الصحابة ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله عنهما حرمتهما اى الاختين اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله تعا وان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل وقول على اظهر لان اية التحريم مسوقة له بخلاف اية التحليل لان سوقها لايجاب العدل بين الازواج ولطريق الخلاص اذا خيف ان لايقام العدل ولان اية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولان اية التحريم مدنية واية التحليل مكية ولقوله عليه السلام مااجتمع الحلال والحلال الاغلبه الحرام اذ لاخوف فى الاجتناب عن الحلال ولا امن فى الاشتغال بالحرام فينبغى الاجتناب بحكم دع مايريبك الى مالايريبك الا ما قد سلف اى لكن ما مضى فى الجاهلية فى نكاحكم بعض ماذكر فهو معفو عنه لانهم كانوا يفعلونه قبل الاسلام قال بعض العلماء ان اهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امراة الاب ونكاح الاختين فلهذا قال فيهما الا ما قد سلف والدليل على الغفران قوله تعا ان الله كان ولم يزل غفوراً لما قد سلف منكم قبل النهى رحيماً بكم فى ذلك قال عطاء والسدى يعنى ما قد سلف اى الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وراحيل ام يوسف عليه السلام وكانتا اختين ان الله كان غفوراً رحيما لمن تاب من ذنوبه واطاع الامر به فى الاسلام والمحصنات قر الجمهور بفتح الصاد سواء كانت معرفة باللام ام نكرة والكسائى بكسرها فى الجميع الا فى هذه الاية فانه وافق الجمهور من النساء ذوات الازواج حرائر او اماء ليلا يختلط الماء ويضيع النسب اسند الاحصان الى غير النساء وهو الازواج او الاولياء فان الزوج يحصن امراته اى يعفها والولى يحصنها بالتزويج ايضاً والمعنى وحرمت عليكم المحصنات اى المزوجات اللاتى هن محرمات على كل احد الا على ازواجهن ولذلك عطفن على المحرمات فى الاية التى قبلها قال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه نزلت فى نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى عن ذوات الازواج فقال الا ما ملكت ايمانكم يعنى بالسبى ولهن ازواج كفار فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبراء لان بالسبى يرتفع النكاح بينها وبين زوجها لقول ابى سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله ❊ وذات حليل انكحتها رماحنا ❊ حلال لمن يبنى بها لم تطلق ❊ وقال بعضهم لو سبى الزوجان معا لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى كتاب الله عليكم مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه اى كتب الله عليكم كتاباً فى تحريم هؤلاء

فالزموه ولاتغيروه وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرايض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم قرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفاً على حرمت عليكم والباقون على البناء للفاعل عطفاً على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله كانه قيل كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم اى ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالحديث ما فى معنى المذكورات كساير محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها كما اشرنا الى ذلك ان تبتغوا ان تطلبوا النساء باموالكم اى بصداق او ثمن محصنين اى متزوجين غير مسافحين اى غير زانين والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تطلبوا النساء باموالكم يعنى بالصرف فى مهورهن واثمانهن فى حال كونكم محصنين مصلحين غير مسافحين مفسدين فان الاحصان العفة فانها تحصين النفس عن اللوم والعقاب لئلا تضيعوا اموالكم التى جعل الله لكم قياماً فيما لايحل لكم فتخسروا دنياكم واخرتكم واعلم ان تبتغوا اما مفعول له والمعنى كما ذكرنا يعنى به احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء ويجوز ان لايقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلاً من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال وحينئذ لايبقى تقدير المفعول ضميراً يعود اليه ليصلح بدل الاشتمال مثل اعجبنى زيد حسنه وسمى الزنا سفاحاً لانه لاغرض للزانى الا سفح المنى اى صبه احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية بان المهر لايجوز الا بالمال دون المنافع لان الله قال ان تبتغوا باموالكم والمال عنده لاينقص من عشرة دراهم والدرهم والدرهمان لايسمى اموالاً وقال الشافعى يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة للجمع بالجمع فيقتضى توزيع الفرد على الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالاً والقليل والكثير فى هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى امراة فى نكاح كف دقيق او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة رحمه الله لو تزوج بها على تعليم سورة من القرءان لم يكن ذلك مهراً ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا للمنافع ولو تزوج امراة على خدمته سنة فان كان حراً فلها مهر مثلها وان كان عبداً فلها خدمته سنة وقال الشافعى رحمه الله الاية تدل على ان الابتغاء بالمال جايز وليس فيها ان الابتغاء بغيره غير جايز وايضاً قد خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا يدل على نفى ما سواه ومما يدل صريحاً على جواز جعل المنفعة صداقاً قوله تعا فى قصة شعيب على ان تاجرنى ثمانى حجج والاصل فى شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وما رواه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال رجلاً خطب الواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم لما لم يجد الرجل الذى اراد التزوج بها شيئاً قال صلى الله عليه وسلم هل معك شىء من القرءان قال نعم سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرءان فما استمتعتم به منهن قال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح يعنى فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد فما عبارة النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهى اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها فآتوهن اجورهن اى اعطوهن مهورهن التى فرضتم لهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع فريضة

حال من الاجور يعني مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد لعامله المحذوف
اي فرض الله ذلك فريضة لهن عليكم وقال بعض العلماء هذا في نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى
مدة فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان ذلك
مباحا في ابتداء الاسلام ثم نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الاهلية
والى هذا ذهب عامة اهل العلم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة وروى سالم عن عبد الله
ابن عمر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال ما بال اقوام رجال
ينكحون في هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد احدا ينكحها الا رجمته بالحجارة
وقال هذه المتعة ينسخها النكاح والطلاق والعدة والميراث وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اني
كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن
شيء فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا قال الربيع ابن سليمان سمعت الشافعي رحمه الله
يقول لا اعلم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة قلت يعني كرر فيها النسخ وبقي
حرمتها الى يوم القيمة **ولا جناح عليكم** اي لا اثم عليكم **فيما تراضيتم** انتم وهن **به من**
بعد الفريضة اي من بعد المفروضة للزوجة فمن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح المؤبد دون
المتعة قال المراد بقوله فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الابراء عن المهر والافتداء والاعتياض عن
السلطان يعني فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق
ومن حمل على نكاح المتعة قبل النسخ اراد ان لا جناح على الزوجين اذا عقد الى اجل معلوم بمال فاذا
تم فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجرة وان لم يتراضيا فارقها قال البيضاوي
في منهاج الوصول اتفق التابعون على حرمة بيع ام الولد وعلى حرمة المتعة وما نقل عن ابن عباس
في تجويزها قيل انه رجع عنه وقيل ان الاية نزلت في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة
ثم نسخت كما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقال علي رضي الله عنه لابن عباس انك رجل تائه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة فرجع ابن عباس عنه وتاب وفي قوله قال والله ما بهذا افتيت
ولا هذا اردت **ان الله كان عليما** بالاشياء قبل خلقها او بمصالحها **حكيما** فيما شرع من الاحكام
من عقد النكاح الذي به حفظت الانساب **ومن لم يستطع منكم طولا** اي غنى وسعة وقدرة
ونيلا واعتلاء وفضلا وزيادة واصل الطول الفضل والزيادة يعني من لم يجد منكم سعة من المال
ان ينكح المحصنات المؤمنات بان يتعلى ويرتفع ويتال به الى نكاح المحصنات او من لم يستطع
منكم ان يعتلي نكاح المحصنات يعني الحرائر لا المملوكات والمحصنات بفتح الصاد وهي التي حصنهن
غيرهن من زوج او ولي وبالكسر احصنهن بالحرية عن الرقية والابتذال والعضو والنقصان
ومنكم حال من فاعل يستطع وطولا مفعول لم يستطع وقوله ان ينكح المحصنات مفعول صريح لطولا
فان اعمال المصدر المنون شايع هذا اذا لم تقدر حرف الجر كما قلنا يعني او لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح
المحصنات

المحصنات واما اذا قدرنا كما قلنا الى نكاح المحصنات فالجار والمجرور في محل النصب صفة لطولا اي
موصلا اليه او كائنا له او قادرا عليه **فمن ما ملكت ايمانكم** اي فلينكح امة من النوع الذي
ملكته ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية
نفسه **من فتياتكم المؤمنات** يعني الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي في تحريم نكاح
الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا كما ستقف على الدليل
وقوله من فتياتكم حال من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما والمؤمنات صفة لفتياتكم وهي جمع
فتاة واصله الحديث السن ثم كني بها عن المملوك تقول العرب للامة الفتاة وللعبد فتى عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي رواه البخاري وقال الامام الشافعي
رحمه الله ان الله شرط في نكاح الاماء ثلث شرائط اثنتان في الناكح الاول فقد طول الحرة وهو عبارة
عما يجعل صداقا لحرة فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف
مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثاني خشية العنت كما يجي في اخر الاية والثالث
في المنكوحة وهو ان تكون الامة مسلمة ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات
فالقيد الاول مستفاد من قوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم
المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان
الولد تابع للام في الحرية والرق وحينئذ يتعلق الولد رقيقا للكافر الا ان هذا القيد الغاه الاكثر
لان الولد اذا رق للكافر بيع عليه في الحال واما فائدة القيد الثاني فهي الحذر من اجتماع النقصان
الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي رحمهما الله واما ابو حنيفة
عليه السلام فانه يقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على
الوطي ويقول المراد ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له
نكاحها ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فحمل التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب فقياسا على
جواز الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر ايضا بالمؤمنات واجيب بالفرق وهو اجتماع
ولا شك في ان الاية دالة على الحذر من نكاح الاماء وان الاقدام عليه للعجز الا ضرورة وذلك لاتباع
الولد الام في الرق ولان الامة ممتهنة مبتذلة ولما للمولى عليها من حق الاستخدام فلا تخلص
لخدمة الزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك وعلى قول من لا يرى ذلك
فقد يسافر المولى الثاني بها او بولدها وذلك من اعظم المضار ولان مهرها ملك لمولاها فلا تقدر على هبة
مهرها من زوجها ولا على ابرائه **والله اعلم بايمانكم** جملة معترضة مناسبة لذكر المؤمنات وغلب
فيها خطاب الذكور ومعنى هذه الجملة هو انكم اكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل
ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه وقد كانت العرب تستنكف من
نكاح الاماء وتستهجنه ويؤيد التانيس قوله عز وجل **بعضكم من بعض** اي انتم وارقاءكم
متناسبون نسبكم من ادم عليه السلام ودينكم الاسلام فلا تفتخروا بالانساب والاحساب

Copyright ... University

فان اكرمكم عند الله اتقاكم **فانكحوهن باذن اهلهن** اى الاماء اى مواليهن وانما
عبر عن الموالى بالاهل لان مولى القوم منهم قال صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت واطلاق الاذن
يتناول المباشرة والتوكيل واعتبار اذنهن مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن حتى يحتج به الحنفية قال بعضهم ان هذه الاية ترد على الشافعى فانه يقول لا عبارة للمراة
فى النكاح فاذا ملكت المراة جارية وكلت من يزوجها والله تعالى شرط اذن اهلهن مطلقا فقد
ترك الظاهر والجواب فى الرد عليه هو ان المراد بالاذن الرضا ولا بد منه ويمكن ان يجاب عنه بوجه
اخر وهو ان يقال ان الاهل وان تناول الذكور والاناث لكنه عام والادلة الدالة على ان المراة
لا تنكح نفسها فاذا كانت مسلوبة فى حق نفسها ففى حق مملوكتها اولى ولا يخفى ان لفظ القران مقتصر
على الامة واما العبد فقد ثبت ان لا ينكح الا باذن سيده بالحديث روى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا تزوج
العبد بغير اذن سيده فهو عاهر **وآتوهن** اى اعطوا الاماء **اجورهن** اى مهورهن باذن اهلهن فان
تسليمها اليهن تسليم الى الموالى لانهن وما فى ايديهن مال مواليهن او فآتوا مواليهن بحذف المضاف للعلم بان
المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رحمه الله المهر للامة ذهابا الى ظاهر الاية
بالمعروف بغير تأخير وضرار ونقصان **محصنات** حال من مفعول فانكحوهن اى فانكحوا الاماء باذن
مواليهن حال كونهن عفائف **غير مسافحات** اى حال كونهن عفائف غير مجاهرات بالزنا **ولا
متخذات اخدان** اى ولا متخذات احباب واخلاء واصدقاء يزنون بهن فى السر فنهى الله تعالى عن
نكاح الفريقين وكان الزنا فى الجاهلية منقسما الى هذين القسمين والمحصنات قسيم لكل واحد منهما يعنى
كان اهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفى يقولون اما ما ظهر منه فهو لوم وعار
واما ما خفى فلا باس بذلك فانزل الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال
الحسن المسافحة هى ان كل من دعاها تبعته وذات الخدن ان تختص بواحد لا ترى الاعمه وفى العرب
كانت تحرم الاولى وتجوز الثانية فنهى الله عن الاثنين **فاذا احصن** قرا حمزة والكسائى وابو بكر
بفتح الالف والصاد على البناء للفاعل اى حفظن فروجهن بعد تزوج وقال مسعود اسلمن وقرا الباقون
احصن بضم الالف وكسر الصاد اى حفظن فروجهن بالتزوج وفائدة هذا الشرط نفى ما يتوهم من تفاوت
الاماء قبل التزوج وبعده كما فى الحراير وبهذا سقط الاستدلال بالاية على انه لا حد على المملوك قبل التزوج
والفاء فى قوله **فان اتين بفاحشة** اى بالزنا فاء جواب اذا والفاء فى قوله **فعليهن نصف
ما على المحصنات** يعنى بها الحراير الابكار اللاتى احصنهن الحرية عن الرقية اذا زنين فاء جواب
ان والشرط الثانى وجوابه مترتب على وجود الشرط الاول **من العذاب** اى من الحد يعنى يجلد الرقيق
خمسين جلدة وقوله نصفه يدل على ان عذاب العبد الجلد لا الرجم لان الرجم لا يتنصف فلا رجم
على العبد بحال وهل يغرب فيه قولان فان قلنا يغرب كم يغرب يغرب نصف سنة على القول الاصح ولا
فرق فى حد المملوك بين من تزوج او لم يتزوج عند اكثر اهل العلم وذهب بعضهم الى انه لا حد على من
لم يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
المحصنات قال البغوى روى ذلك عن ابن عباس قال ابن عطية ان الصحابة كان مقررا عندهم ان الامة

اذا لم تكن متزوجة فحدها نصف حد الحرة وهو خمسون جلدة ولم يعرفوا حد الامة اذا كانت
متزوجة فسالوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية ولما ذكر ان حد الامة نصف
حد الحرة علم منه ان حد العبد نصف حد الحر لاشتراكهما فى الرقية ثم ذكر شرطا اخر لجواز نكاح الاماء
فقال **ذلك** اى نكاح الاماء **لمن خشى العنت منكم** اى لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى
الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش
القبايح وقيل المراد بالعنت الحد وقال بعض المفسرين اى الشبق الشديد اى غلبة الشهوة فى حق النساء
قد يؤدى الى اختناق الرحم واما فى حق الرجال فقد يؤدى الى اوجاع الوركين والظهر **وان تصبروا
خير لكم** مبتدا وخبر اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم من نكاحهن لما بينا من
المفاسد الحاصلة فى هذا النكاح قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه **والله
غفور** لمن لم يصبر **رحيم** بان رخص له بالتوسعة فى ذلك يعنى انه وان حصل ما يقتضى المنع من هذا
النكاح الا انه تعالى اباحه لاحتياجكم اليه فذلك من باب المغفرة والرحمة **يريد الله ليبين لكم**
اصله يريد الله ان يبين لكم شرايع دينكم ومصالح امركم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين
لما فيها من معناها كما فى جئتك لاكرامك او زيدت كما فى لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد
الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من الحلال والحرام فى من مصالحكم وافاضل اعمالكم **ويهديكم سنن
الذين من قبلكم** اى يريد الله ان يرشدكم شرايع من كان قبلكم ومناهجهم من الانبياء والصالحين لتسلكوا مسالكهم فى دينهم وتقتدوا بهم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت
محرمة على من كانت قبلكم وقيل يهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام **ويتوب
عليكم** ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف او يتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم وليس
الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته تعالى فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة
حصلت لهم هذه التوبة **والله عليم** مبالغ فى العلم بالاشياء التى من جملتها ما شرع لكم من الاحكام
حكيم مراع فى جميع افعاله الحكمة والمصلحة فيما دبره لكم **والله يريد ان يتوب عليكم**
اى ان وقع منكم تقصير فى امر دينه كرر التوبة لتاكيد ارادة الحق التوبة منكم ولتقابل ما يريد منكم
اهل الشهوات من المفاسد وايضا لمناسبة البناء اى ليبنى عليه **ويريد الذين يتبعون الشهوات**
يعنى الفجرة يريدون منكم ايها المؤمنون **ان تميلوا** عن الحق **ميلا** بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات وتكونوا زناة فجرة فسقة كفرة مثلهم **عظيما** موصلا الى الكفر واختلفوا فى
الموصوفين باتباع الشهوات قال السدى هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم يحلون
نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق فتزنوا
كما يزنون وقيل هم جميع اهل الباطل او عظيما بالنسبة الى من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها
ثم يعاقب عليه بالاستحلال فتصير كافرا **يريد الله ان يخفف عنكم** اى ان يسهل عليكم احكام
الشرع فلذلك وضع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح
الامة توسعة لكم من فضله **وخلق الانسان ضعيفا** اى لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق

الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت
عليه الشمس أو غربت أولهن يريد الله ليبين لكم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم والثالثة
يريد الله أن يخفف عنكم والرابعة إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه والخامسة إن الله
لا يظلم مثقال ذرة والسادسة ومن يعمل سوءا والسابعة إن الله لا يغفر أن يشرك به والثامنة
والذين آمنوا بالله ورسله الآية هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة وابن جرير والبيهقي في
الشعب عن ابن عباس **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** أي بالحرام
في الشرع فإن الباطل اسم جامع لكل ما لا يحل كالربا والغصب والسرقة والخيانة نهى الله بهذه
الآية عن جميع المكاسب الباطلة ثم قال **إلا أن تكون تجارة** قرأ الكوفيون تجارةً بالنصب على خبر
كان أي إلا أن تكون الأموال تجارة وقرأ الآخرون بالرفع أي إلا أن تقع تجارة صادرة **عن
تراض منكم** أي بطيبة نفس كل واحد منكم فلكم أن تأكلوها وقيل هو أن يخير كل واحد من المتبايعين
صاحبه بعد البيع فيلزم البيع وإلا فلهما الخيار ما لم يتفرقا والاستثناء منقطع والمعنى ولكن كون تجارة
عن تراض غير منهي عنه أو اقصدوا كون تجارة عن تراض وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة
عن تراضي المتعاقدين وخص التجارة بالذكر من بين الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير كالأكل
بطريق الهبة والوصية والإرث وأخذ الصدقات والمهور وأروش الجنايات لأن أكثر أسباب
الرزق يتعلق بالتجارة وقال أبو حنيفة عليه السلام خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات
المحضة لأن التراضي المذكور في الآية متحصل وقال الشافعي رحمه الله لا شك أن هذا التراضي يقتضي
الحل لأن الله ما قيد التراضي بالتفرق عن مكان العقد ولكن أنا نثبت هذا العقد للمتبايعين الخيار
في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وفي العيون والتراضي
الافتراق عن مجلس البيع بتمامه متراضيين عند الشافعي عليه السلام أو رضى المتعاقدين
مما تعاقدا عليه وقت الإيجاب والقبول عند أبي حنيفة وفي المدارك والآية تدل على جواز البيع الموقوف
إذا وجدت الإجازة لوجود الرضى قال ابن علي في جريدته هذا رضاء سوقي لا قبل فهو كبناء بيت
على شوق وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم التاجر
الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق تحت
ظل العرش يوم القيامة أخرجه الأصفهاني في الترغيب وأخرج الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق
وقال صلى الله عليه وسلم اعلم أن عون الله مع صالحي التجار وقال صلى الله عليه وسلم إن أطيب الكسب
كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا اشتروا
لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا وأخرجه الأصبهاني
عن معاذ بن جبل ثم ذكر عقيب النهي عن أكل الأموال بينهم بالباطل والحرام قوله **ولا تقتلوا أنفسكم** أي
لا تقتلوا من كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة والتعبير عنهم بالأنفس للمبالغة في
الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل أو لا تهلكوا أنفسكم بتعريضها للعقاب

باقتراف ما يفضي إليه كأكل المحرمات والزنا وغير ذلك فإنه القتل الحقيقي للنفس كما يشعر به
إيراده عقيب النهي عن أكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق كأنه قال لا تقتلوا أنفسكم بأكل
المال بالباطل أو لا يقتل الرجل نفسه بالبخع كما يفعله جهلة الهند حين ما يعرضه غم أو خوف
أو مرض شديد يرى قتل نفسه أسهل عليه وفي هذا المعنى قال أبو عبيدة أي لا تهلكوها كما قال
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه حرمت
عليه الجنة وجمع الله تعالى في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيق النفس من حيث إن المال
سبب قوام النفس استبقاء لهم مقدار ما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار
إليه بقوله **إن الله كان بكم رحيما** أي أمر ما أمر ونهى ما نهى لفرط رحمته عليكم معناه
أنه كان بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه **ومن يفعل ذلك** إشارة
إلى القتل أو إلى ما سبق ذكره من المحرمات **عدوانا وظلما** العدوان مجاوزة الحد والظلم وضع
الشيء في غير موضعه ومن يفعل ما نهى الله عنه إفراطا في التجاوز عن الحق وإتيانا بما لا يستحقه أو من يتعدى
على الغير ويظلم نفسه بتعريضها للعقاب **فسوف نصليه نارا** أي ندخله في الآخرة نارا يصلى
فيها أي يحرق فيها قرأ الجمهور بضم النون من أصلاه بمعنى أدخله وقرئ بتشديد اللام من صلّى وبفتح
النون من صلاه يصليه وقرئ يُصليه بضم الياء والضمير لله أو لذلك في قوله ومن يفعل ذلك أي
أو الضمير لما أشير بلفظ ذلك إليه لأنه سبب للصلي وتنكير نارا للتهويل والتعظيم **وكان ذلك
على الله يسيرا** أي هينا سهلا يعني وكان إصلاء من يفعل القتل أو المحرمات النار غير عسير
على الله ولا صارف له عن الإصلاء وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي غيره لبيان استحقاقه
دخول النار مع وعد الله بمغفرته ثم لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر ذكر الوعد على اجتناب
الكبائر فقال **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** أي كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها
وقرئ كبير على إرادة الجنس **نكفر عنكم سيئاتكم** أي نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم والكبيرة
ما ورد عليها وعيد كالشرك والقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هي إلى السبعمائة أقرب
منها إلى سبع قال السلطان واختلفوا في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه
حدا أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع الإشراك
بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار عن الزحف وعقوق
الوالدين وقيل أراد به ههنا أنواع الشرك لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك وقال بعض الأئمة إن معاصي الله تعالى كلها عندنا كبائر وعند المعتزلة صغر الذنوب وكبرها بالإضافة
إلى ما فوقها وما تحتها فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها
الأمران فمن عرض له أمران منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما
ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر وقيل هذا مما يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال
ألا ترى أنه عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا أن

يواخذه عليها قال الغزالي روح الله روحه ولا يليق انكار الفرق بين الصغاير والكباير وقد
عرفا من مدارك الشرع قالوا في جوابه القايلين بذلك ما انكروا نص القران لان الله يقول وكل
صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
فجعلها رتبا ثلثة وسمى بعض المعاصي فسقا دون بعض فالكباير هي الفسوق واكبرها الكفر والصغاير
العصيان وقال ايضا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال والذين يجتنبون كباير الاثم
والفواحش الا اللمم وهذه الايات صريح في انقسام الذنوب الى كباير وصغاير ولكن غلب عليهم الهيبة والخشية
ففروا من تسمية معصية الله صغيرة نظرا الى عظمة الله تعالى وشدة عقابه واجلاله عز وجل ومثل هذا
الفرق لا يخفى على عامي فكيف يخفى على هولاء الايمة وهم الذين شيدوا منار الاسلام كابي اسحاق الاسفرايني
والقاضي ابي بكر الباقلاني وامام الحرمين ذكره في الارشاد وابن القشيري في المرشد بل حكاه ابن فورك عن
الاشاعرة واختاره في تفسيره فقال معاصي الله كلها عندنا كباير ولم ينظر الجمهور الى ان لهم لا انهم عرفوا
مرادهم ومقاصدهم ولم يقدحوا فيهم وقسموا الذنوب الى الصغاير والكباير وذكروا لذلك دلايل من الكتاب
والسنة اما الكتاب فقد ذكرنا واما السنة فاخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ابي حاتم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هي يا رسول الله
قال الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق والسحر واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي من الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المومنات وقد ذكرنا ما روي عن ابن عباس ايضا قد اشرنا من قبل عن انه
ليس في هذا عقوق الوالدين وعن ابن مسعود الكباير كل ما نهى الله عنه من اول سورة النساء الى قوله
تجتنبوا وعنه ايضا الكباير ثلاثا الاشراك بالله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وزاد في
رواية عنه والقنوط من رحمة الله قبل اليأس من روح الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم الكباير الاشراك
بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله واليمين الغموس عن عبد الرحمن عن ابي بكرة عن ابيه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكباير قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وجلس وكان متكيا فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت عن
عمرو بن شرحبيل عن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال
ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قال ثم اي قال ان تزني حليلة جارك فانزل الله تصديق
قول النبي صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من الكباير ان يسب الرجل والديه قالوا وكيف يسب
الرجل والديه قال يساب الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وعن سعيد بن جبير
انه قال ان رجلا سال ابن عباس عن الكباير اسبع هي قال هي الى السبعماية اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وقال وكل شي عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر فان الله لا يخلد
في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وقال علي
ابن ابي طلحة هي كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقال الحسين بن الفضل هي ما سماه
في القران كبيرا او عظيما نحو قوله انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطأ كبيرا ان الشرك لظلم عظيم ان
كيدكن

كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال سفيان الثوري الكباير
ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغاير ما كان بينك وبين الله لان الله تعالى كريم يغفر الذنوب
واحتج بما قال صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة محمد ان الله تعالى قد عفا
عنكم جميعا المومنين والمومنات تواهبوا المظالم بينكم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكباير
ذنوب اهل البدع والسيات ذنوب اهل السنة وقيل الكباير ذنوب العمد والسيات الخطأ والنسيان
وما اكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الامة وقيل الكباير ذنوب المستحلين مثل ذنب ابليس
والصغاير ذنوب المستغفرين مثل ما فرط من ادم عليه السلام وقال السدي في الكباير ما نهى الله عنه من
الذنوب الكباير والسيات مقدماتها وتوابعها وهي ما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة
والقبلة واسبابها قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج او
يكذب به وقيل الكباير ما يستصغره العباد والصغاير ما يستعظمونه فيخافون مواقعته وعن غيلان عن انس
انه قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الموبقات وقيل الكباير الشرك وما يودي اليه وما دون الشرك فهو من السيات قال الله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الهي نادى ذنبي بعفوك فاغفر لي وروي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان
مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكباير واخرج النسائي والبيهقي وغيرهما عن ابي هريرة وابي سعيد رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات
الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويودي الزكوة ويجتنب الكباير السبع الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يوم القيمة حتى انها لتصطفق ثم تلا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم **وندخلكم مدخلا**
كريما اي حسنا وهو الجنة وما وعد من الثواب وادخالا مع الكرامة قرا نافع بفتح الميم والباقون
بضمها وكلاهما بمعنى المكان والمصدر ثم لما نهى الله تعالى بما سبق من الايات عن اكل الاموال بالباطل وعن
قتل النفوس بغير حق بتمني مال الغير وجاهه نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض
من الجاه والمال بقوله **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** لان ذلك
التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق
او قبض فيه فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد اخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك
الشي له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى لنفسه مثل ما لغيره فالغبطة مرخص فيها والحسد
منهي عنه قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من
الميراث فلو كنا رجالا غزونا مثل ما غزوا واخذنا من الميراث مثل ما اخذوا فنزلت هذه الاية وقيل لما
جعل الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء نحن احوج الى الزيادة من الرجال
لانا ضعفاء وهم اقويا واقدر على المعاش منا فانزل الله ولا تتمنوا الاية وقال قتادة والسدي لما نزل
قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الاخرة فيكون
اجرنا على الضعف من اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال تعالى **للرجال نصيب مما اكتسبوا**

Copyright King Saud University

اى بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره من الاعمال الصالحة **وللنساء نصيب مما اكتسبن** من طاعة
ازواجهن وحفظ فروجهن او معناه ان الرجال والنساء فى الاجر فى الاخرة سواء وذلك ان
الحسنة تكون بعشر امثالها يستوى فيها الرجال والنساء وان فضل الرجال فى الدنيا على النساء
والحاصل لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل
بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمنى **واسئلوا الله من فضله** عطف
على النهى وما بينهما اعتراض اى لا تتمنوا ما للناس واسالوا الله مثله من خزاينه التى لا تنفد وهو يدل
ان المنهى هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقيل هو سوال التوفيق
على العبادة قال سفيان بن عيينة لم يامر بالمسالة الا ليعطى قال صلى الله سلوا الله من فضله فانه يحب
ان يسئل وافضل العبادة انتظار الفرج وقال عليه السلام من لم يسئل الله يغضب عليه وفى الحديث
ان الله ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا اعطى عبدى حتى يسالنى وقيل اتت امراة الى النبى صلى
الله عليه وسلم فقالت رب الرجال والنساء واحد وانت الرسول الينا واليهم وابونا ادم وامنا حواء
فما السبب فى ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الاية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا
فقال النبى عليه السلام ان للحامل منكن اجر الصايم القايم فاذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من
الاجر فاذا ارضعت كان لها بكل مصة اجر احيا نفس وقد ذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى قدس سره فى كتابه
الغنية ما للنساء من الثواب الجزيل فراجعه **ان الله كان** ولم يزل **بكل شئ عليما** فهو
عليم بمحل الفضل وبما يكون صلاحا للسايلين ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات
يعنى هو يعلم بما يستحقه كل انسان فيفضل عليهم عن علم وتبيان وذلك على حسب مراتب استعداداتهم
الفايضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الالهية **ولكل** من الرجال والنساء اذا ماتوا او لكل مال
وتركة **جعلنا موالى** اى جعلنا ورثة وعصبة **مما ترك** فى تركته يلونها ويحرزونها كانه
قيل من هؤلاء الورثة فقيل هم **الوالدان والاقربون** وقوله مما ترك صفة مبينة لكل وفيه فصل بين الصفة
والموصوف بجملة جعلنا موالى وجاز ذلك لكون الفاصل ليس باجنبى عن الموصوف لان جعلنا عامل
فى لكل وفى ترك ضمير راجع الى كل يعنى جعلنا لكل ميت ورثاء وعصبة يرثون مما ترك الميت وكذلك
الورثاء هم الوالدان والاقربون او فى الكلام تقديم وتاخير اى ولكل شئ مما ترك الوالدان والاقربون
جعلنا موالى ورثة ويمكن ان يكون جعلنا موالى صفة لكل بالمحذوف والعايد محذوف وكذا المبتدأ
تقديره ولكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان والاقربون والوالدان وان دخلا فى الاقربين
الا انهما افردا بالذكر لشرفهما وزيادة الاهتمام بشانهما والاقربون تشمل الاولاد ايضا ولا احتاج الى
التصريح بالاولاد لظهور امرهم والمراد من الموالى هنا الورثة فقط وان كانت شاملة على المعتق
والمعتق لاتصال ولاية مولاه فى انعامه عليه والحليف لان المحالف يلى امره بعقد اليمين وابن العم لانه
يليه بالنصرة والولى لانه يليه بالنصرة قال الله تعالى الله ولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم **و
الذين عاقدت** اى احكمت عهودهم **ايمانكم فاتوهم نصيبهم** اى الحلفاء الذين عاقدتموهم
وعاهدتموهم واحكمت ذلك بينكم فى الجاهلية وفى ابتداء الاسلام على النصرة والارث فاتوهم اى اعطوهم

حظهم

سورة النساء

حظهم من الميراث وهو السدس قرا اهل الكوفة عقدت بلا الف اى عقدت عهودهم ايمانكم وقرا
الاخرون عاقدت ايمانكم والمعاقدة المعاهدة والمحالفة والايمان جمع يمين من اليد والقسم وذهب
اكثر المفسرين بان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وبقوله
يوصيكم الله وذلك ان الرجل كان فى الجاهلية يعاقد غيره وياخذ بيده عند المحالفة على الوفاء والتمسك
بالعهد ويقول حين المعاقدة لصاحبه دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك
وسلمى سلمك وترثنى وارثك وتطلب بى واطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف
وكان ذلك ثابتا فى الاسلام فنسخ الله ذلك بقوله واولوا الارحام الاية كما ذكرنا انفا وقال ابراهيم ومجاهد
اراد بقوله فاتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث لهم فعلى هذا الاية غير منسوخة لقوله تعالى
اوفوا بالعقود وقيل اراد به الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا يعنى لما بين ميراث الوالدين ذكر معهم
ميراث الزوج والزوجة وعند ابى حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا
صح وعند الشافعى لا يصح وماله لبيت المال وفى المدارك بيانه اذا اسلم رجل او امراة لا وارث لها وليس
بعربى ولا معتق فيقول لاخر واليتك على ان تعقلنى اذا جنيت وترثنى اذا مت ويقول الاخر قبلت انعقد
ذلك ويرث الاعلى من الاسفل انتهى وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوى
عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق
ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار
لبيت المال ثم دفعه النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلام لفقره وحكى الاقطع ان هذه الموالاة لا تصح عند ابى حنيفة
ايضا الا بين العرب دون العجم لرخاوة امورهم ثم ان نسبة المعاقدة والعقد الى الايمان مجاز سواء اريد بالايمان
الجارحة او القسم وقيل فى اعراب الموصول انه مبتدأ والخبر فاتوهم نصيبهم ودخلت الفاء فى الخبر لتضمن الذين
معنى الشرط او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون
وقوله فاتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى **ان الله كان على كل شئ**
من الاشياء التى من جملتها الايتاء والمنع **شهيدا** مطلعا رقيبا فهو تهديد على منع نصيبهم او وعد على
اعطاء نصيبهم **الرجال قوامون على النساء** اى يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية يعنى
مسلطون على تاديبهن بالامر والنهى فعلى المراة ان تطيع زوجها فى طاعة الله قال صلى الله عليه وسلم لو كنت امر
احدا ان يسجد لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما عظم الله حقه عليها وعلل وجه الحكمة فى تفضيل
الرجال على النساء بامرين وهبى وكسبى فاشار الى الوهبى بقوله **بما فضل الله بعضهم** اى الرجال
على بعض اى النساء يعنى فضل الله الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد
والعبادات كالجمعة والجماعات وان الرجل ينكح اربعا ولا يحل للمراة الا زوج واحد والطلاق بيد الزوج لا اليها
وبالميراث وبالدية وبالنبوة واشار الى الكسبى بقوله **وبما انفقوا من اموالهم** فى نكاحهن كالمهر
والنفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد
بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افرشته كريمتى فلطمها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت الاية فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله والذى اراد الله

Copyright ... University

خبر ويرتفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم الله النساء
قسمين فبين الاول بقوله **فالصالحات** من النساء **قانتات** مطيعات لله قايمات بحقوق ازواجهن
حافظات للغيب اى حافظات لفروجهن في غيبة الازواج ولاسرارهم يعنى حافظات لمواجب الغيب
اى يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا
الاية وظاهر الاية اخبار والمراد امر فعلم منه ان المرأة لا تكون صالحة الا مطيعة لله ولزوجها حال حضوره
وحافظة لحق الزوج حال غيبته فالصالحات جمع محلى باللام فيحمل على الاستغراق فيدل على ان كل امرأة
صالحة لا بد ان تكون مطيعة لله تعالى دايما ولزوجها كذلك حافظة **بما حفظ الله** وقرا العامة
بالرفع اى بما حفظهن الله بايصاء الازواج بالقيام بحقوقهن بقوله وعاشروهن بالمعروف باداء
المهر والنفقة وقرا ابو جعفر حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة لا مصدرية والمعنى حافظات بالامر
الذي حفظ حق الله او طاعته وذلك الحق هو التعفف والشفقة على الرجال وقيل بما وعد الله لهن
الثواب العظيم على حفظ الغيب وايعادهن بالعذاب الشديد على خيانتهن لازواجهن فما مصدرية
اى بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك ثم بين الثاني بقوله **واللاتي تخافون نشوزهن** اى
عصيانهن وترفعهن اى كبرهن عن مطاوعة الازواج والنشز الموضع العالي المرتفع **فعظوهن**
اى خوفوهن عقوبة الله والضرب **واهجروهن** اى باعدوهن ان لم يرجعن عن النشوز بالوعظ
والزجر **في المضاجع** في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن اى يعتزل عنها الى فراش اخر قال ابن عباس رضي الله عنهما الهجرة في المضاجع
هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها **واضربوهن** يعنى ضربا غير مبرح اى لا يجرحها ولا يكسر لها عظما
ويجتنب الوجه قال عطا ضربا بالسواك امر بوعظهن اولا ثم بهجرهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع
فيهن الوعظ والهجران قال صلى الله عليه وسلم في حق المرأة ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت **فان اطعنكم** بترك النشوز **فلا تبغوا** اى لا تطلبوا
عليهن سبيلا اى طريقا الى ضربهن ظلما وعدوانا وتوبيخا وايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض
واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنوب كمن لا ذنب له يعنى لا تجنوا عليهن
الذنوب وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن **ان الله كان** ولم يزل
عليا كبيرا اى اعلى عليكم واقدر قدرة منكم عليكم على من تحت ايديكم واكبر واعظم حكما عليكم منكم عليهن
فاحذروه ان يعاقبكم ان ظلمتموهن او انه على علو شانه وسلطانه وجلاله وكبريائه يتجاوز عن
سيئاتكم ويتوب عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر عن ان يظلم احدا او ينقص
حقه او انه سبحانه متعاليا من ان يكلف العباد ما لا يطيقونه وذهب بعضهم الى ظاهر الاية وقال
اذا ظهر منها النشوز جمع بين هذه الافعال وحمل الخوف في قوله واللاتي تخافون نشوزهن على العلم
اى واللاتي تعلمون نشوزهن كقوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا اى من علم ومنهم من حمل الخوف

على الخشية لا على حقيقة العلم كقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة وقال هذه الافعال على ترتيب الجرايم
كما اشرنا اليه يعنى فان خاف نشوزها بان ظهرت اماراته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها
فان ابت الا النشوز هجرها فان اصرت على ذلك ضربها ثم خاطب الحكام اى الامام والولاة بقوله
وان خفتم اى علمتم وتيقنتم **شقاق** اى خلاف **بينهما** اى بين المرأة وزوجها **فابعثوا** اليهما
برضاهما **حكما من اهله وحكما من اهلها** وجملة الامر انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق
واشتبه حالهما فلم يفعل الرجل الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تادية الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل
قولا وفعلا بعث الامام رجلا وسطا عدلا حرا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله اليه ورجلا من اهلها
اليها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من
الاجانب جاز ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في اختلاع فيجتهدان
ويامران الظالم بالرجوع عن ظلمه او يفرقان ان رأياه وقيل الخطاب للازواج والزوجات دون الحكام
واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان نصب الحكمين لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر لا يليان
الحكمان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين ورضاهما وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه
ان يريدا اى الحكمان **اصلاحا يوفق الله بينهما** يعنى بين الزوجين ومعناه ان قصدا الاصلاح
بين الزوج والمرأة اوقع الله بحسن سعيهما وبيمن قصدهما الموافقة بين الزوجين وقيل ضمير يريدا
وبينهما للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل الضميران
للزوجين اى ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على من
اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه **ان الله كان عليما خبيرا** بكل شيء بالظواهر والبواطن
فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** اى وحدوه
واطيعوه ولا تشركوا به شيئا اى صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا قيل العبودية اربعة
الوفاء بالعهود والرضاء بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه
انه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله
ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا اتدري يا معاذ ما حق الناس على الله
اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الناس على الله تعالى ان لا يعذبهم قال قلت يا
رسول الله الا ابشر الناس قال دعهم يعملوا **وبالوالدين احسانا** اى واحسنوا بهما احسانا ببر
ولين جانب بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الحاجة **وبذي القربى** اى وبصاحب القرابة
اى بكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما **واليتامى والمساكين والجار ذي القربى** اى الجار
الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ ذا القربى بالنصب
على الاختصاص يعنى اخص ذا القربى من الجار تعظيما لحفظه قال صلى الله عليه وسلم في حق اليتيم انا وكافل
اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة وفرج بينهما شيئا وقال صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم لم يمسحه
الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة
كهاتين وفرق بين اصبعيه وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما

احدى قال الى اقربهما منك قال صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه
طلق واذا طبخت مرقة فاكثر ماءها واغرف لجيرانك منها وقال صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل
يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه والجار الجنب اى البعيد عنك في الجوار او النسب
يعني البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق
واحد وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب يعني الرفيق في السفر فانه صحبك وحصل بجنبك
وقيل الزوجة او الصاحب في كل امر حسن كتعلم علم وصناعة وتصرف او القاعد بجنبك في مجلس او مسجد
رجا نفعك وابن السبيل اى المسافر او الضيف وعليه الاكثرون قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او
ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلثة ايام
فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل ان يثوي عنده حتى يحرجه وما ملكت ايمانكم اى
العبيد والاماء اى احسنوا اليهم وكان صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل
يتكلم ولا يفيض بها لسانه ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يأنف عن اقاربه
وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا اى يتفاخر عليهم بغير الحق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة سيء الملكة وقال الشيخ الفخور صيغة مبالغة وهو من يعد مناقب نفسه ومحاسنه كبرا وتطاولا
وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردين وقد اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان مختالا او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين
او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل والبخل في كلام العرب
منع السائل من فضل ما لديه وفي الشرع منع الواجب نزلت في يهود بخلوا بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها
او في كتمان العلم او في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم
الفقر ولا تدرون ما يكون قرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء وقرأ الاخرون بضم الباء وسكون
الخاء وهما لغتان كالرشد والرشد اى يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به
مقتا للسخاء قيل البخل ان يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح ان لا يأكل ولا يؤكل والسخاء ان يأكل ويؤكل
والجود ان يؤكل ولا يأكل ويكتمون اى يخفون ما آتاهم الله من فضله اى ما انعم الله عليهم
به من الغنى بالمال او العلم وقيل يبخل بالصدقة وفي الحديث اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى
نعمته على عبده واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اى ذا اهانة وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا
بان من كان هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة
بالبخل والاخفاء وقد قلنا بان الاية نزلت في اليهود وقال السدي نزلت في المنافقين وقيل في مشركي مكة
المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس

عطف على الذين

الذين يبخلون والكافرين نزل في المنافقين او المنفقين على عداوة النبي عليه السلام قوله رئاء
الناس مفعول له اى الذين ينفقون اجهارا للفخار وليقال ما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وانما
شارك المرائي في الانفاق للبخلاء والكفرة لمشاركتهم اياهم في الاتصاف بامر قبيح او مبتدأ خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان والمعنى المراؤون في الانفاق قرينهم الشيطان ولا يؤمنون
بالله اى لا يصدقون به ولا باليوم الاخر كالمنافقين وكفار مكة كانوا يبطنون الكفر
ويظهرون الاسلام مرائيا بذلك فقرينهم الشيطان الذي حملهم على ذلك العمل يقرن بهم في النار
ومن يكن الشيطان له قرينا صاحبا وخليلا يعمل بامره كهؤلاء المذكورين فهم معه في النار
بالسلسلة فساء قرينا اى فبئس صاحبا الشيطان حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر والمراد
بالشيطان ابليس واعوانه الداخلة في باطن الانسان والخارجة عن الانسان ثم استفهم للتوبيخ
والتجهيل بقوله وماذا عليهم اى اي وبال واثم وتبعة تحيق بهم في الايمان بالله والانفاق
في سبيل الله لو آمنوا بالله واليوم الاخر مكان الشرك والنفاق وانفقوا مما رزقهم
الله من الاموال مكان البخل في غير رياء يعني لا يضرهم ذلك بل ينفعهم في الدنيا والاخرة والمراد
بماذا عليهم الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في الايمان بالله واليوم الاخر وهذا كما يقال
للعاق ما ضرك لو كنت بارا وقد علم الله لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ وكان الله بهم عليما
بانهم لم يؤمنوا فيجازيهم بما عملوا من الرياء وعدم الايمان فالاية وعيد لهم ان الله لا يظلم
احدا مثقال اى ثقل ووزن ذرة اى اصغر نملة بان ينقصها من حسناته او يزيدها في
سيئاته وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة
وقيل جزء من اجزاء الهباء الظاهر في شعاع الشمس في الكوة ذرة ولا يكون لها وزن وفي ذكر المثقال
اشارة الى ان الظلم وان صغر قدره عظم جزاؤه ونظم الاية ماذا عليهم لو آمنوا بالله وانفقوا
فان الله لا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله وزن نملة الحمر الصغيرة وهذا مثل ضربه الله تعالى
يريد انه سبحانه لا يظلم شيئا كما قال في اية اخرى ان الله لا يظلم الناس شيئا وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخرة وقال واما الكافر و
المنافق فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا وان
تك حسنة اى وان يكن مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكون المثقال مضافا الى
مؤنث وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال وقرأ ابن كثير ونافع حسنة على كان التامة
اى وان توجد حسنة وقرأ الباقون بالنصب على معنى وان تك زنة الذرة حسنة من مؤمن يضاعفها
اى يجعلها اضعافا كثيرة يعني يضاعف ثوابها من عشر الى اكثر من سبعمائة وقرأ ابن كثير وكلاهما بمعنى
ويؤت من لدنه اى ويعط صاحبها من عنده مع المضاعفة من غير استحقاق على سبيل
التفضل زائدا على ما وعد من المضاعفة في مقابلة العمل اجرا عظيما اى عطاء جزيلا وانما سماه
اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه لا يثبت الا بثباته قال ابو هريرة رضي الله عنه اذا قال الله
اجرا عظيما فمن يقدر قدره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب

الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة ثم وبخ اليهود وساير الكفار على ترك الايمان والعمل بالسيئات
بقوله فكيف اى فكيف حال هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم وكيف يصنعون اذا جئنا
من كل امة بشهيد يعنى كيف وقت مجيئنا من كل امة من امم الانبياء بشهيد يشهد عليهم
بعملهم القبيح وفساد عقايدهم وهو نبيهم وجئنا بك اى واحضرناك يا محمد على
هولاء شهيدا اى تشهد على صدق هولاء الشهداء يعنى الانبياء لعلمك على عقايدهم واستجماع شرعك
مجامع قواعدهم قال البغوى نبينا يشهد على من رآه وعلى من لم يره وعن عبد الله بن مسعود انه قال
قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على قلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال نعم فقرأت
سورة النساء حتى اذا انتهيت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء
شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان وقيل هولاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن
حالهم وقيل اشارة الى المومنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفى
المدارك على هولاء اى على امتك شاهدا يعنى على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق
وفى العيون على هولاء اى على امتك الذين كذبوك تشهد بعملهم وقال الواعظ يشهد نبينا على ايمان
من آمن من المومنين من امته عليه السلام وفى بعض التفاسير قيل فى معنى الاية ان الرسل يشهدون
يوم القيمة على اممهم بتبليغ الرسالة اليهم من ربهم حين يسالهم الله هل بلغكم الرسل فيقول الامم ما
بلغونا رسالة ربنا فيقول الرسل قد بلغنا ولنا شهود فيقول الله ومن شهودكم فيقولوا امة محمد
فاوتى بامة محمد فيشهدون انهم قد بلغوا الرسالة اليهم فيقول الامم ان فيهم سراقا وفساقا
لا تقبل شهادتهم فيجاء بالنبى عليه السلام على هولاء يعنى على امته شهيدا يشهد بالتصديق لهم وبزكيهم
فيقول الكافرون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون
فقال الله تعالى مخبرا عن حالهم يومئذ اى يوم مجى الانبياء بالشهادة على الامم وهو يوم يقوم الناس فيه لقبورهم
ويرون شدة الهول والامر عليهم يود يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول اى لم يقروا
برسالته لو تسوى بهم الارض يعنى ان تسوى عليهم الارض فهو بيان لحالهم اى يود الذين
جمعوا بين الكفر بالله وعصيان امر الرسول او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كما تسوى بالموتى اى يودون انهم لم يبعثوا او انهم لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء او تصير البهايم ترابا
فيودون حالها لعظم هول ذلك اليوم قرأ اهل المدينة وابن عامر لو تسوى على معنى تتسوى فادغمت
التاء الثانية فى السين وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء الفعل كقوله لا تكلم
نفس الا باذنه وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول اى لو سويت بهم الارض وصاروا هم
والارض شيئا واحدا ولا يكتمون الله حديثا اى ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
ولان ما عملوه لا يخفى على الله فهو كلام مستانف وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض و
الحال انهم لا يستترون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم
اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقال عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعته
فى التورية

فى التورية قال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس انى اجد فى القرآن اشياء تختلف على
قال هات ما اختلف عليك قال قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون وقال ولا يكتمون الله حديثا وقال قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال
ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال ائنكم لتكفرون
بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله طائعين فذكر فى هذه الاية خلق الارض قبل خلق السماء وقال
وكان الله غفورا رحيما وعزيزا حكيما فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى جوابه
اما قوله فلا انساب بينهم فى النفخة الاولى وقال ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض
فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم فى النفخة الاخرة اقبل بعضهم على بعض يتساءلون
واما قوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص
ذنوبهم فقال المشركون تعالوا فلنقل ما كنا مشركين فيختم على افواههم فتنطق ايديهم فعند ذلك عرفوا
ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض واما قوله
ام السماء بناها فخلق الارض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن فى يومين
آخرين ثم دحا الارض ودحيها ان اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما فى
يومين آخرين فقال خلق الارض فى يومين فخلقت الارض وما فيها فى اربعة ايام وخلقت السموات
فى يومين واما قوله وكان الله غفورا رحيما اى لم يزل كذلك ولا يزول فلا يختلف عليك القرآن فان كله
من عند الله تعالى وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون
ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله فاعترفوا بذنوبهم
وفى موطن يتساءلون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله
ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة اى لا تصلوا وانتم سكارى
من الشراب حتى تعلموا ما تقولون اى تعرفون بان تصحوا والمعنى لا تقوموا الى الصلوة وانتم
سكارى من نحو خمر او نوم او سكر الهوى ومحبة الدنيا حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم
روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع مادبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى سكروا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ
اعبد ما تعبدون فنزلت فكانوا بعد نزول هذه الاية يجتنبون السكر اوقات الصلوة حتى نزل
تحريم الخمر وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان
الصلاة وانما المراد النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بفتح السين
وسكرى بفتح السين وسكون الكاف على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على
انها صفة للجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان الجملة فى موضع النصب على الحال كانه
قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا اى لا تصلوا فى هذين الحالتين والجنب الذى اصابته الجنابة بايلاج
او انزال ويستوى فى الجنب المذكر والمونث والواحد والجمع لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو
الاجناب الا عابرى سبيل اى طريق يعنى مسافرين حتى تغتسلوا من الجنابة

فلكم ان تصلوا فقوله الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا
الصلوة جنبا في جميع الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء ويتيمم ويشهد لكون هذا
الشرط معتبرا ايراد اية التيمم عقيب هذا الحكم واشتراط صحة التيمم بعدم وجدان الماء او صفة
لقوله جنبا ومعناه لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اى جنبا مقيمين غير مسافرين
ويعد ورين وفي الاية دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث لانه طهارة ضرورية ومن حيث انه
جاء بالغاية له بقوله حتى تغتسلوا ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين
فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الحسن والشافعي ومالك مطلقا لان بعض الانصار
كانت ابوابهم في المسجد لعدم الممر لهم الا في المسجد ولو كان في ذلك اثم لفتحوا لهم ابوابا في
غير المسجد ولا مانع لذلك وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء او الطريق وقال بعضهم
يتيمم للمرور في المسجد وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي
نفسه عما يجب تطهيرها عنه **وان كنتم مرضى** جمع مريض واراد به مرضا يضره
امساس الماء مثل الجدري ونحوه او مرضا يمنعه عن الوصول الى الماء فان كان على موضع طهارته
جراحة يخاف من استعمال الماء فيه التلف او زيادة المرض فانه يصلي بالتيمم وان كان الماء موجودا
وان كان بعض اعضاء طهارته صحيحا والبعض جريحا غسل الصحيح منها ويتيمم عن الجريح والدليل
على ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه حيث قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه
في راسه واحتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر
على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم اخبرناه بذلك فقال قتلوه قتلهم الله
الا سالوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السوال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب شك
الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل ساير جسده ولم يجوز اصحاب الراي الجمع بين
التيمم والغسل وقالوا ان كان اكثر اعضايه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا
اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بينهما **او على سفر** اى مسافرين وانتم جنب
او محدثون اراد انه اذا كان في سفر طويلا كان او قصيرا وعدم الماء فانه يصلي بالتيمم ولا اعادة
عليه لما روى ابو ذر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم
يجد الماء عشر سنين فان وجد الماء فليمسه بشرته اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر لكنه عدم
الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا بان كان في قرية انقطع ماءها فانه يصلي بالتيمم ثم يعيد اذا
قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وعند ابي حنيفة يوخر الصلاة حتى
يجد الماء **او جاء احد منكم من الغايط** اى او يجي احد منكم من الخلاء يريد المجي من الخلاء
كناية عن الحدث ومعناه او احدث احد منكم بخروج الخارج من احد السبيلين والغايط اسم للموضع
المطمئن من الارض وكانت عادة العرب اتيان الغايط للحدث **او لامستم النساء** اى او ماسستم
بشرتهن ببشرتكم من غير حايل وبه استدل ابن مسعود وابن عمر والزهري والاوزاعي والشافعي رحمهم
الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل معناه او جامعتموهن فلا ينقض بالمس واليه ذهب ابو حنيفة

رحمه الله وقرا حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة وعلى
كل حال اذا اصابكم المرض او السفر او الحدث او الجنابة **فلم تجدوا ماء** تطهرون به للصلاة بعد
الطلب والتفتيش اما لبعده او لاسباب او العجز عن الوصول اليه في صحته وان كنتم جنبا مرضى او على
سفر او محدثين جئتم من الخلاء او لامستم النساء فلم تتمكنوا من استعمال الماء **فتيمموا** اى اقصدوا
بعد دخول الوقت **صعيدا** ترابا **طيبا** طاهرا نظيفا فاضربوا به ضربتين للوجه واليدين
وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الصعيد يختص بما يقع عليه اسم التراب الخالص مما يتعلق باليد
منه غبار لان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت تربتها لنا طهورا وجوز بعضهم التيمم بالزرنيخ والجص
والنورة وغيرها من طبقات الارض حتى قالوا لو ضرب بيده على صخرة صلدة
لا غبار عليها او على تراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه صح تيممه وقال اصحابنا
لا بد من ان يعلق باليد شي من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من
بعضه ومسح بعض الصعيد لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه وجعل من لابتداء الغاية تعسف
اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واما من قال ان الصعيد هو وجه الارض لما روى عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا قلنا هذا مجمل وحديث حذيفة
يعني وجعلت تربتها لنا طهورا في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضي على المجمل
وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ونحوها وقالوا الصعيد ما تصاعد
عن وجه الارض واعلم ان القصد الى التراب شرط لصحة التيمم عندنا لان الله تعالى قال فتيمموا
والتيمم القصد حتى لو وقف في مهب الريح واصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح **فامسحوا بوجوهكم
وايديكم** يعني مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف واليد اسم العضو الى المنكب وما روي
انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا
وايديكم الى المرافق وكيفية المسح عندنا ان يمسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين
يضرب كفيه على التراب فيمسح جميع وجهه ولا يجب ايصال التراب الى ما تحت الشعور ثم يضرب
ضربة اخرى فيمسح يديه الى المرفقين لرواية الاعرج عن ابن الصمة انه قال مررت على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع
يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي السلام ففيه دليل على وجوب مسح اليدين
الى المرفقين كما يجب غسلهما الى المرفقين في الوضوء ودليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق باليدين غبار
لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لكان لا يحته
وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين لما روي عن عمار انه قال تيممنا الى المناكب
وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم كما روي انه قال اجنبت فتمعكت فسال
النبي صلى الله عليه وسلم وامره بالوجه والكفين انتهى اليه وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه
والكفين واتفقوا على انه يجوز له ان يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل الفريضة
وبعدها وان يقرا القران ان كان جنبا **ان الله كان عفوا** بالترخيص **غفورا**

Copyright King Saud University

للتعصب فلذلك يسّر الامر عليكم ورخّص لكم **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا** اى الم تنظر الى الذين اعطوا اذا كان من روية البصر واذا كان من روية القلب فمعناه الم ينته علمك الى الذين اعطوا وعدّى بالى لتضمن معنى الانتهاء **نَصِيبًا** اى حظا يسيرا **مِنَ الْكِتَابِ** اى من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يعنى يهود المدينة لانه نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا بلسانهما وعاباه **يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ** يختارون الكفر والبقاء على اليهودية على الهدى او يستبدلونها به بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل وقيل معناه ياخذون الرشى ويحرفون التوراة **وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا** انتم ايها المؤمنون **السَّبِيلَ** اى سبيل الحق لتكونوا مثلهم فى الضلالة فلا تصاحبوهم ولا تجالسوهم **وَاللَّهُ أَعْلَمُ** منكم **بِأَعْدَائِكُمْ** فاحذروهم ولا تستشيروهم فى اموركم ولا تقبلوا نصحهم بعد ان اخبركم بصنيعهم معكم وارادتهم بكم **وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا** اى يلى امركم فى النفع يعنى كفى الله محبا وحافظا لكم **وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا** اى مانعا لكم من كيدهم ويكفيكم مكرهم ومحبنا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء يذكر مع فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى باتصال الاضافى ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز او على الحال **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا** قيل متصل بقوله الم ترالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وبيان له او مستانف معناه من الذين هادوا من **يُحَرِّفُونَ** اى يغيرون **الْكَلِمَ** الذى انزل الله فى التوراة من نعت محمد عليه السلام نحو اسمر ربعة حرّفه بادم طوال مكانه وغيّر اية الرجم وجعل الحدّ بدله **عَنْ مَوَاضِعِهِ** التى وضعه الله فيها وذلك بازالة الكلم عن مواضعها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه ثم ذكر هنا عن مواضعه وسياتى ان شاء الله فى سورة المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على بيّنا من ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه يعنى حك الحق ووضع الباطل مكانه ومعنى من بعد مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان قال ابن عباس رضى الله عنه كانت اليهود ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه **وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا** قولك **وَعَصَيْنَا** امرك الذى امرتنا قيل اسروا به **وَاسْمَعْ** اى قولنا **غَيْرَ مُسْمَعٍ** حال من المخاطب بمعنى الدعاء عليه اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم يعنى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به لا حالا وعلى التقديرين الاولين حال ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبّه وانما قال نفاقا قال الابناسى فى تفسيره فى معنى واسمع

غير مسمع اى اسمع منا ولا نسمع منك غير مسمع اى غير مقبول منك وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون فى انفسهم لا سمعت وكانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ايضا **وَرَاعِنَا** اى انظرنا وارقبنا نكلمك اى نفهمك كلامك نعلى هذا هى كلمة توقير واكرام وتعظيم ويحتمل الشتم والاهانة باللسان العبرى او السريانى لانهم كانوا يتسابون بها لان معناها بلسانهم الرعونة وهى الحماقة فكانوا يكلمون النبى عليه السلام بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون بذلك التوقير والتعظيم كما هو عادة اهل النفاق والكفر وقيل كانوا يشبعون عين راعنا فتاتى لهم اخوان القردة والخنازير اخر الدهر **لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ** اى فتلا بها وصرفا وتحويلا وتقليبا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا للتشابه لما يتسابون به موضع انظرنا ووضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا **وَطَعْنًا فِي الدِّينِ** الاسلام اى استهزاء به وسخرية او هو قولهم لو كان نبيا لاخبر بما نعتقد قوله فيه **وَلَوْ أَنَّهُمْ** اى اليهود **قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** بدل قولهم وعصينا **وَاسْمَعْ** فقط ولم يلحقوا به غير مسمع **وَانْظُرْنَا** اى انظر الينا بدل راعنا يعنى ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه على وجه السخرية **لَكَانَ** قولهم ذلك **خَيْرًا لَهُمْ** عند الله مما قالوا على وجه النفاق **وَأَقْوَمَ** اى واسدّ واعدل واصوب مما قالوه من الطعن والتحريف **وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ** اى ولكن قالوا ما قالوا لان الله خذلهم وابعدهم بسبب كفرهم عن رحمته وهدايته **فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** اى الا نفر قليل منهم كعبد الله بن سلام ومن اسلم معه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يكون ضعف ايمانهم وقلة تصديقهم لكونه بمجرد السنتهم لا فائدة فيه مع عدم التوبة او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون ثم اوعدهم بالعقوبة الشديدة لعدم ايمانهم بالقران العزيز بقوله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** اى اعطوا التوراة **آمِنُوا** اى صدقوا **بِمَا نَزَّلْنَا** من القران **مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ** من التوراة **مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ** اى من قبل ان نمحو ونقلع ونزيل **وُجُوهًا** اى ما هو كائن فى الوجوه كالعين والانف والشم والحاجب وساير الجبين والنقوش **فَنَرُدَّهَا** اى فنجعل ونرد تلك الوجوه **عَلَى أَدْبَارِهَا** اى على هيئة الاقفاء والمحدودة لوحا واحدا كخف البعير وقرص المسرجين او نحولها ونكسها الى ورائها فى الدنيا قبل يوم القيمة او فى الاخرة **أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ** اى او نخزى اصحاب الوجوه بالمسخ كالقردة والخنازير كما اخزينا بذلك اصحاب السبت او نمسخها مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عليه السلام فالضمير لاصحاب الوجوه على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء فان قيل قد اوعدهم الله بالطمس ان لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قلنا الوعيد كان معلقا بشرط ان لا يؤمن كلهم وقد امن بعضهم فان ابن سلام عليه السلام لما سمع الاية قافلا من الشام اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتى اهله ويده على وجهه فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى فى قفائى وقيل او الى اهلى قبل يطمس الله وجهى وكذلك كعب الاحبار لما سمع هذه الاية اسلم فى زمن عمر رضى الله عنهما فقال يا رب امنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيد هذه الاية لانه حمل الوعيد على تغيير الصورة

في الدنيا فهو بعد مترقب في اليهود قبل قيام الساعة وان كان المراد بالطمس تبديل احوال رؤساهم
فقد كان يعني اجلاء بني نضير الى اذرعات واريحا من الشام وان كان المراد بالطمس تغيير احوالهم
فالهوان والحقارة والوساخة لازم لهم لا يفارقهم اصلا وقيل في معنى قوله من قبل ان نطمس وجوها
اي بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها
عن الهداية الى الضلالة وقيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها
الصغار والذلة والادبار كما قلنا بان ذلك لازم لهم وكان امر الله اي قضاؤه بايقاع شيء من
الوعيد والوعد مفعولا كائنا نافذا لا محالة فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله لا
يغفر ان يشرك به اي الاشراك به ان مات عليه ويغفر ما دون ذلك اي ما سوى ذلك اي ما عدا
الشرك من الذنوب وان كانت كبيرة مع عدم التوبة على حسب ما تفضل بالوعد الشريف والحاصل ان
الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه بمن لم يتب اي لا يغفر لمن يشرك وهو
مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال صلى الله عليه وسلم من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم
تضره خطيئته وتقييده بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق
من يشاء قال علي كرم الله وجهه ما في القران اية احب الي من هذه الاية وحمل المعتزلة على التائب
لان الكفر مغفور عنه بالتوبة كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه
اولى ان يغفر بالتوبة والاية سيقت لبيان التفرقة بينهما قال السلطان وقوله لمن يشاء اي تفضلا
عليه واحسانا واول المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من
لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد
بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل
التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب
شرك وان صاحبه خالد في النار قال الكلبي نزلت الاية في وحشي بن حرب واصحابه وذلك
انه لما قتل حمزة كان قد جعل له سيده على قتله ان يعتقه فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على
صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله انا قد ندمنا على صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام
الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايات وقد دعونا مع الله الها
اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤوهما كتبوا اليه عليه السلام
ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل قوله
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقبل ذلك منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني
فلحق وحشي بالشام فكان بها الى ان مات كذا ذكره محيي السنة في تفسيره وقال مطرف بن
شخير قال ابن عمر كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل

النار

النار حتى نزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادات
وحكي عن علي رضي الله عنه انه قال ان هذه الاية ارجى اية في القران وقد ذكرنا في رواية
اخرى من قريب بانه احب اية اليه ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي
فقد كذب كذبا عظيما وذنبا كبيرا استحق به عذابا اليما يعني ارتكب امرا يستحقر دونه الاثام
والافتراء كما يطلق على القول ويطلق على الفعل ايضا وكذلك الاختلاق ونزل فيمن زكى نفسه
من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل
على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل
كفر عنا بالنهار فنزل الم تر الى الذين يزكون انفسهم يخاطب الله رسوله على وجه التعجيب
اي الم تنظر الى الذين يطهرون نفوسهم عن الذنوب بالسنتهم وفي معناهم من زكى نفسه
واثنى عليها وليس الامر بتزكيتهم نفوسهم بل الله يزكي من يشاء اي يطهره ويبرئه
من الذنوب ويصلحه باكرام الهداية ونور الاسلام يهدي الله لنوره من يشاء لانه هو العالم بمن
هو اهل التزكية ولا يظلمون اي لا ينقصون بالذنب في الدنيا او العقاب في الاخرة على تزكيتهم
انفسهم بغير حق فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به
المثل في الحقارة والقطمير اسم للقشرة التي على النواة والنقير اسم للنقطة التي تكون على ظهرها وقيل
الفتيل من الفتل وهو ما يحصل بين الاصبعين من الوسخ والضمير في لا يظلمون ان كان راجعا الى الذين
يزكون انفسهم بغير حق فالمعنى كما ذكرنا وان كان راجعا الى معنى من يشاء في قوله بل الله يزكي
من يشاء فالمعنى لا ينقص الذين يثابون على زكائهم من الجزاء والثواب والجامع بين المعنيين اي
الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكية انفسهم حق جزائهم او من يشاء يعني والذين يزكيهم
الله بقوله بل الله يزكي من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من حسناتهم وثوابهم قدر فتيل
قال ابو السعود رحمه الله في معنى ولا يظلمون يعني يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون
في ذلك العقاب فتيلا وقال عبد الله بن مسعود رحمه الله في معنى التزكية هو تزكية بعضهم
لبعض يعني ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فياتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا
ولا نفعا فيقول والله انك لذيت وذيت فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرأ الم
تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي ثم قال الله لحبيبه انظر يا محمد كيف يفترون
على الله الكذب اي كيف يختلقون على الله الكذب في تغيير كتابه او في زعمهم انهم ابناء الله
واولياء عنده وكفى به اي بزعمهم هذا وبالافتراء والكذب اثما مبينا اي اثما ظاهرا
من بين اثامهم وساير سيئاتهم يعني لا يخفى كونه ماثما من بين اثامهم الم تر اي انظر يا محمد
الى الذين اوتوا اي اعطوا نصيبا اي حظا من الكتاب اي من التوراة يؤمنون
اي يصدقون عنادا او حسدا في الاسلام بالجبت وهو في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد
من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت اسم

Copyright ... University

لكل باطل من معبود او غيره او الجبت السحر والطاغوت الشيطان او الجبت الاوثان والطاغوت شياطين
الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنه فيغتر به الناس فهو كمن يرهب الناس على حب فرعون في
زماننا او الجبت الكاهن والطاغوت الساحر او الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن
او الجبت بلسان الحبشة شيطان وقال الضحاك الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن اشرف
ودليله قوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الاية قال صلى الله عليه وسلم العيافة والطرق
والطيرة من الجبت وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان والاية نزلت في يهود
كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله تعالى مما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة
رسول الله فقالوا انتم يا معشر اليهود اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم
فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا وآمنوا بالهتهم ثم قال كعب لاهل مكة يجيء منكم ثلاثون
ومنا ثلاثون فلنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم
قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا
نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ولاة البيت ننحر للحجيج الكوماء
ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن
اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث
وهو يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما
عليه محمد عليه الصلاة والسلام فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفيهم يعني لابي سفيان واصحابه هؤلاء اي انتم
يا ابا سفيان واصحابك اهدى اي اقوم وارشد واصوب واصلح من الذين آمنوا اي من
الذين صدقوا بوحدانية الله وهم محمد واصحابه سبيلا اي دينا وطريقا اولئك الذين
لعنهم الله طردهم من رحمته وابعدهم من نظره ومن يلعن الله فلن تجد له
نصيرا مانعا من عذابه بشفاعة او غيرها اي نصيرا يعتد بنصره ثم وصف الله اليهود بالبخل
والحسد وهما من شر الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال ام لهم نصيب
من الملك اي ليس لليهود حظ ونصيب من الملك فام منقطعة والهمزة لانكار ان
يكون لهم نصيب في الملك ومحمد لما زعمت اليهود من ان ملك النبوة والرسالة سيصير اليهم
في الدنيا او حكم في ملك الله فاذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم على زعمهم شيء من الملك فاذا اي
حين تمليكهم ذلك لا يعطون احدا من سائر الناس او النبي واتباعه نقيرا اي مقدار نقير وهي
النقطة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهذا هو الاغراق في بيان شح اليهود فانهم
بخلوا بالنقير وهم ملوك فما بالك وظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين وهو مثل في القلة كالفتيل
ولم يعمل اذا في لا يؤتون لاجل فاء العطف والنون فيها اصل وليس بتنوين ولذا يكتب بصورة النون
ام يحسدون الناس فيما ذكرنا اي بل يحسد اليهود رسول الله واصحابه او العرب او الناس

جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كما لهم وبخهم وانكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله
من فضله من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز او جعل النبي الموعود منهم او لكثرة النساء
يعني على ما احل الله له من النساء وقالوا ما له هم الا النكاح وقالوا لو كان نبيا لاشتغل عن النساء
فقد آتينا آل ابراهيم اراد بآل ابراهيم موسى وداود وسليمان الذين هم اسلاف محمد
وابناء عمه الكتاب المنزل عليهم من السماء اي التوراة والحكمة اي النبوة او العلم او الفقه
وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فكان ليوسف ملك مصر
ولداود وسليمان ما لا يخفى ومن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان
بكثرة النساء فانه كان لسليمان عليه السلام الف امراة مهرية بالنكاح الشرعي وسبعمائة سرية
وكان لداود مائة امراة او الا واحدة ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة فلما
قال لهم ذلك سكتوا وقال الواعظ اراد بآل ابراهيم اولاده يعني موسى وداود وعيسى عليهم السلام
واراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور واراد بالحكمة علم الحلال والحرام وفي التيسير اراد بآل
ابراهيم محمدا عليه السلام وبالكتاب القران وبالحكمة الشرائع وبالملك العظيم دوام شريعته
الى يوم القيمة او تابيد ملكه فمنهم اي من اليهود من آمن به اي بمحمد كابن سلام واصحابه
او بما ذكر من حديث آل ابراهيم او بابراهيم نفسه قال السدي الهاء في قوله آمن به وصد عنه راجعة
الى ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام زرع ذات سنة وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكى
زرع ابراهيم فاحتاج الناس اليه فكان يقول من آمن بي اعطيته فمن آمن منهم اعطاه ومن لم يؤمن
منعه ومنهم من صد عنه اعرض عنه اي عن محمد عليه السلام بانكار نبوته مع العلم ككعب
بن الاشرف ومن تابعه او عن ما ذكر من حديث آل ابراهيم او عن ابراهيم عليه السلام وقيل معناه فمن
آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر به ولم يكن في ذلك توهين امر ابراهيم وكذا لا يوهن كفر
هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا اي كفى للصادين نارا مسعرة يعذبون بها يعني ان لم يعجلوا
بالعقوبة في الدنيا فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم هدد المعرضين اولا بقوله وكفى ثم ثنى بقوله
ان الذين كفروا باياتنا اي بمحمد والقران سوف نصليهم اي سوف ندخلهم نارا في
الاخرة يحترقون فيها كلما نضجت احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها اي
اعدنا تلك الجلود بعينها غير محترقة على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا فالتبديل والتغيير
من شكل الى شكل ومن هيئة الى اخرى لتغاير تلك الهيئتين لا التغاير الاصلي عند اهل الحق لان
الله تعالى لو امر باحراق الجلود العاصية وخلق جلودا غيرها وعذبها كان هذا تعذيبا لمن لم
يعص والعدل مناف لذلك خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضج غير نضج وبان يزال عن
الجلد العاصي اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه
ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وقيل يخلق مكان ذلك الجلد جلدا آخر
والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان ولم يزل

عزيزا اي غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه ما يريده بالمجرمين حكيما يعاقب على وفق حكمته ما يفعل
بالمشركين قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وقال عمر بن
الخطاب عليه السلام تبدل في ساعة واحدة مائة مرة وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم
سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا قال صلى الله عليه وسلم ما بين
منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وقال صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب
الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام وقال السدي يبدل الجلد جلدا غيره من لحم
الكافر ويعيد الجلد لحما ثم يخرج من اللحم جلدا آخر فالتبدل كاين في الصفة لا في الذات وهو كما تقول
الرجل صغت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني من الاول الا ان الصياغة والصفة تبدلت كما
اشار بقيل هذا الى التمثيل بالخاتم والقرط وكمن يترك اخاه صحيحا ثم بعد مدة يراه مريضا دنفا فيقول
انا غير الذي عهدت وهو عين الاول الا ان صفته تغيرت وقيل يعذب الشخص في الجلد لا الجلد بدليل
قوله ليذوقوا العذاب ولم يقل لتذوق وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم فتكون
زيادة عذاب عليهم فكلما احترق جلد بدلهم الله جلدا غيره كما قال سرابيلهم من قطران
فالسرابيل تؤلمهم وهي لا تالم فانواع العذاب على حسب شدة الكفر ولهذا اشار شيخنا عبد القادر
قدس سره في غنيته بان فرعون موسى اشد عذابا من ابي جهل فوقه بدرجة لان فرعون
زاد عليه بدعوى الربوبية لعنهما الله وقد ذكر الشيخ قدس سره احوال اهل النار واحوال اهل الجنة في
غنيته مفصلا فراجعه اللهم اني اعوذ بك من ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم ثم انه
تعالى قدم ذكر الكفار ووعيدهم ثم ذكر المومنين بما لهم من النعيم بعده لان الكلام في الكفار وذكر
المومنين بالعرض فقال والذين آمنوا اي صدقوا محمدا والقرآن وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة
التي امرهم الله بها سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا اي مقيمين فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون حال من مفعول ندخلهم
لهم فيها ازواج مطهرة من الحيض والنفاس ومن العيوب الظاهرة والباطنة وندخلهم
ظلا ظليلا يعني فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس والظليل مشتقة من لفظ الظل
لتاكيد معناه كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ومعنى ظليلا بعبارة اخرى
كنينا لا تنسخه الشمس ولا يجحجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة وهو اشارة الى النعيم
الدائمة ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات اي ما ائتمن عليه من الحقوق الى اهلها والخطاب
يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن
الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت
وصلى فيه ركعتين فلما خرج ساله العباس المفتاح لنفسه واراد ان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله
هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يرد المفتاح الى عثمان بن طلحة ويعتذر
قال

قال فبعد ذلك علي فقال هاك خالدة تالدة فقال له عثمان اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال له
علي رضي الله عنه لقد انزل الله في شانك آية وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله قال فكان المفتاح معه الى ان مات فلما مات دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح
والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له
وفي المدارك لما اسلم عثمان هبط جبريل عليه الصلاة والسلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة
في اولاد عثمان ابدا وعبارة السلطان ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا والى الآن المفتاح بيدهم
وناهيك باهل بيت فنزل فيهم الوحي بانهم اهل الامانات والديانات الى يوم القيمة والآية وان نزلت على
سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع ولهذا قلنا الخطاب يعم المكلفين والامانات ثم خاطب جميع الحكام
من الولاة والقضاة بالعدل فقال واذا حكمتم اي ويامركم الله اذا قضيتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم قوله
ان تحكموا عطف على ان تؤدوا ومعناه يامركم بتادية الامانات وبالحكم بالعدل والحق او بالبينة على المدعي
واليمين على من انكر ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به اعني تادية الامانات والحكم
بالعدل فما على هذا نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم او نعم الشيء الذي يعظكم به فما موصولة مرفوعة
المحل صلتها ما بعدها والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به باداء الامانات
والعدل في الحكم كما ذكرنا آنفا ان الله كان سميعا بصيرا اي باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات
ولما امر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم بقوله يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله اي فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعوا الرسول كذلك واولي اي اصحاب الامر منكم
اي اطيعوا امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية
امر الله الناس بطاعة الامراء والحكام والولاة بعد ما امر الامراء بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعة
الامراء والقضاة ما داموا على الحق وقيل اراد باولي الامر علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم لانهم هم الذين يعلمون الناس معالم دينهم وقال
علي كرم الله وجهه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك كان حقا
على الرعية ان يسمعوا له ويطيعوا قال صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله
ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني قال صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة
على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن عبادة
بن الصامت انه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط
والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقوم او نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اسمع واطع ولو لعبد حبشي كان راسه زبيبة وعن سليم
بن عامر قال سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول اتقوا الله
وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم وقال
عكرمة اراد باولي الامر ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله

Copyright King Saud University

صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال عطاء هم المهاجرون
والانصار والتابعون لهم باحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وعن الحسن عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في
الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح ودلت الاية والاحاديث على ان
طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم كقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق اللهم اجرنا من النار والدخول ومن مخالفة السلطان ويحكى ان مسلمة بن عبد الملك
ابن مروان قال لابي حازم الستم امرتم بطاعتنا بقوله واولي الامر منكم فقال ابو حازم اليس قد نزعت
عنكم اذا خالفتم الحق بقوله **وان تنازعتم** اى ان اختلفتم انتم وامراء الحرب يعني اولي الامر منكم **في**
شيء من امور الدين والشرايع **فردوه** اى فراجعوا في ذلك الشيء **الى الله** اى الى كتابه **والرسول**
بالسؤال عنه مدة حياته والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب
الرد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى السنة المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل
والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان
الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس والحاصل ان الرد
الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما وان لم يوجد فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله والرسول ان
تقول لما لا تعلم الله ورسوله اعلم **ان كنتم تؤمنون** اى تصدقون **بالله واليوم الاخر**
اى بالبعث بعد الموت فان الايمان يوجب ذلك **ذلك** اى الرد الى الكتاب والسنة **خير** لكم عاجلا
من التنازع والدعوى والخصومة **واحسن تاويلا** اى الرد اجمل واحسن من تاويلكم بلا رد واجمل عاقبة
ومرجعا ومالا لكم **الم تر** اى انظر يا محمد **الى الذين يزعمون** اى يدعون **انهم امنوا**
بما انزل اليك اى القران **وما انزل من قبلك** اى بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت هو كعب او كاهن اى لمن تجاوز في الطغيان والفساد وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا واسمه بشر خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق
وقال نتحاكم الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل
فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت الم تر الى الذين الخ وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفي معنى الكعب كل من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او
تشبيها بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال **وقد**
امروا ان يكفروا به اى بالطاغوت ولا يوالوه وهو يذكر ويؤنث **ويريد الشيطان** اى كعب بن الاشرف
او حقيقة الشيطان **ان يضلهم** عن الحق والهدى **ضلالا بعيدا** مستمرا الى الموت فلا يهتدون
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم **واذا قيل لهم**

اى للمنافقين **تعالوا** بفتح اللام اصله تعاليوا امر للمنافقين اى جيئوا وقرئ تعالوا بضم اللام على
انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير **الى ما انزل الله** اى الى ما امره في كتابه من
الحكم **والى الرسول** اى والى ما امره رسوله ليحكم بينكم **رايت المنافقين يصدون** يعرضون **عنك** الى
غيرك **صدودا** اعراضا وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه
غير محسوس والسد محسوس ثم اخبر عن عاقبتهم وحالهم بقوله **فكيف** اى فكيف يصنعون وكيف
يكون حالهم **اذا اصابتهم مصيبة** اى عقوبة كقتل عمر رضي الله عنه بشر المنافق او النقمة والغضب من الله
بما قدمت ايديهم اى بسبب عملهم القبيح من الكفر والمعاصي ومن التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
يعني ايقدرون على الاعراض والفرار من المصيبة اذا اصابت لا وقيل هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين
في الدنيا والاخرة كما اشرنا انفا بالنقمة والغضب وتم الكلام ههنا ثم عاد الكلام الى ما سبق مخبرا عن
فعلهم فقال **ثم جاؤك** اى يجيئونك اصحاب المنافق واولياؤه لطلب دية المقتول يعتذرون
اليك فهو عطف على اذا اصابتهم او على يصدون وما بينهما اعتراض **يحلفون بالله** حال من جاؤك **ان**
اردنا اى ما اردنا وما قصدنا بالتحاكم الى غيرك **الا احسانا** اى الا اصلاحا وطلبا للحق **وتوفيقا**
اى وتاليفا بين الخصمين لا اساءة ومخالفة لك يعني ما اردنا بما فعلنا الا الفصل بالوجه الاحسن التوفيق
بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا
ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه ثم اشار الى كذبهم بقوله سبحانه **اولئك الذين يعلم**
الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب اي في قبول
عذرهم بل دمه مهدر **فاعرض عنهم** اى لا تعاقبهم على صنيعهم ومخالفتهم لمصلحة في استبقائهم
او اعرض عن قبول معذرتهم **وعظهم** اى خوفهم بلسانك عن النفاق والمكر والكذب وازجرهم من
ذلك بذكر عقاب الله في الاخرة **وقل لهم في انفسهم** اى في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية
على النفاق يعني في حقها وشانها او خاليا بهم فان النصح في السر انجع **قولا بليغا** اى يبلغ منهم
كل مبلغ يعني يؤثر فيهم ويعتمدون به وذلك بان يخوفهم بالله وقيل توعدهم بالقتل ان لم يتوبوا
من نفاقهم او تقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلناكم لانه يبلغ في قلوبهم كل مبلغ
وقيل هو منسوخ باية القتال والبلاغة ان يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه قوله في انفسهم متعلق
بقل لهم وتعليقه ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم
الموصوف وفيه نظر لان ذلك اذا لم يكن معمولها ظرفا وههنا ظرف فجاز اعمالها فيما قبلها نص عليه صاحب
الكتاب **وما ارسلنا من رسول** في امم من الامم **الا ليطاع** اى لكي يطاع فيما يامر به ويحكم ولا
يعصى ويخالف فهو بارسلنا متعلق **باذن الله** اى بسبب اذنه ورضايه في طاعة الرسول وامره المبعوث
اليهم بان يطيعوه يعني بسبب ان امر الله المبعوث اليهم ان يطيعوه لان طاعة الرسول طاعة
الله لانها وجبت بامره ومعصيته معصية الله وقيل معناه بتيسير الله او بتوفيقه في طاعته
وبطاعته يطاع الله وكان عمر رضي الله عنه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكم الرسول وان
اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسل لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه

Copyright © King Saud University

ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته الواجبة القبول ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل
وقيل الا ليطاع كلام تام كاف باذن الله اى بعلم الله وقضايه يعنى ان وقوع طاعته تكون
باذن الله **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** بالنفاق اى التحاكم الى الطاغوت **جاؤك** تايبين من
النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق وهو خبر ان واذ متعلق به **فاستغفروا الله** بالتوبة
والاخلاص من مخالفتهم **واستغفر لهم الرسول** اى واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار
التايب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كباير الذنوب **لوجدوا الله**
اى لعلموه **توابا رحيما** اى قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه قيل جاء اعرابى بعد دفنه صلى الله عليه وسلم
فرمى بنفسه على قبره وحثى من ترابه على راسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل عليك ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقد ظلمت نفسى وجئتك استغفر الله ذنبى فاستغفر لى من ربى فنودى
من قبره قد غفر لك وحكى ايضا ان اعرابيا جاء الى قبر رسول الله عليه السلام فقال الهى امرتنا باعتاق
العبيد على راس قبر الاحباب وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقنى على راس قبر حبيبك فنودى اعتقناك
هلا سالت من على وجه الارض من العبيد حتى نعتقهم لتعلم ان هذا الحبيب عزيز علينا الهى
الكاتب عبدك جيران حبيبك يطلب به منك عفوك **فلا وربك** اى فوربك كقوله تعالى فوربك
لنسالنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم وقد تزاد لا فى الاثبات ايضا نحو لا اقسم بهذا البلد والتقدير
فلا اى ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون وهذا كقولهم لا وابيه لا يؤمنون **حتى يحكموك**
اى يجعلوك حكما ويرضون بحكمك يا محمد **فيما شجر بينهم** اى فيما اختلف بينهم واختلط من امورهم
ومنه الشجر لتداخل اغصانه واصل التشاجر الاختلاط والتنازع **ثم لا يجدوا فى انفسهم** اى فى قلوبهم
حرجا مما قضيت اى ضيقا مما حكمت به بينهم او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره
حتى يلوح له الامر **ويسلموا تسليما** اى وينقادوا لحكمك انقيادا ظاهرا وباطنا من غير معارضة والمعنى
لا يكونون مومنين حتى يرضوا بحكمك وقضايك بينهم قال مجاهد والشعبى نزلت فى بشر المنافق واليهودى اللذين
اختصما الى عمر رضى الله عنه وقيل نزلت فى الزبير ورجل من الانصار وكان ممن شهد بدرا حين اختصما
الى رسول الله فى مسيل الماء من الحرة فقال النبى عليه السلام يا زبير اسق به نخلتك ثم ارسل الماء الى جارك
فغضب الانصارى فقال يا رسول الله لان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ثم قال اسق واحبس حتى
يبلغ الجدر فاستوعب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان عليه السلام قبل ذلك اشار
على الزبير براى سعة له وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه
فى صريح الحكم وروى ان الانصارى الذى خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن ابى بلتعة فلما خرجا من عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم مرا على المقداد فقال لمن القضا فقال الانصارى قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن
له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضيه
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى عليه السلام فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا

انفسكم نفعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس
رضى الله عنه اما والله ان الله ليعلم منى الصدق لو امرنى محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسى لفعلت
فنزل فى شان ثابت بن قيس بانه صادق فى قوله وفى توبيخ من نفر من حكم النبى وقضايه بقوله
ولو انا كتبنا عليهم اى لو امرنا واوجبنا وفرضنا وفى المدارك عليهم اى على المنافقين
يعنى لو وقع كتابتنا عليهم **ان** حرف تفسير **اقتلوا انفسكم** اى تعرضوا بها للقتل بالجهاد اى
اقتلوها كما قتل بنو اسرايل **او اخرجوا من دياركم** بالهجرة كما امرنا بنى اسرايل بالخروج من مصر او من التيه
حين استتيبوا من عبادة العجل **ما فعلوه** اى المكتوب عليهم او القتل او الخروج **الا قليل منهم**
اى الا اناس قليل وهم المخلصون فثابت بن قيس من القليل الذى استثنى الله تعالى وقال الحسن ومقاتل
لما نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
وهم القليل والله لو امرنا لفعلنا فالحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان
من امتى لرجالا الايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى قرا ابن عامر واهل الشام الا قليلا منهم
بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا كما بينا منهم وقيل فيه اضمار تقديره الا ان يكون قليلا منهم وقرا
الباقون قليل بالرفع على البدل من واو فعلوه تقديره الا نفر قليل او ناس قليل فعلوه كما ذكرنا قريبا
ولما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم
بقوله الا قليل منهم ثم زاد فى توبيخهم بقوله **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من اتباع رسول
الله والانقياد لحكمه والرضا بما يقضى بينهم طوعا ورغبة **لكان خيرا لهم** فى عاجلهم واجلهم
واشد تثبيتا اى لكان اقوى تحقيقا وتصديقا لايمانهم وابعد عن الاضطراب فيه لان نحو
ذلك اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التميز قوله فلا وربك
الى تثبيتا فى شان اليهودى والمنافق وقد اشرنا الى ذلك من قبل **واذا** جواب سوال مقدر
كانه قيل ماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل ولو تثبتوا اذا **لاتيناهم** اى لاعطيناهم لان اذا
جواب وجزاء **من لدنا** اى من عندنا **اجرا عظيما** وهو الجنة فى الاخرة او ثوابا وافرا
كبيرا لا ينقطع اعنى ايضا الجنة **ولهديناهم صراطا مستقيما** اى ولوفقناهم وثبتناهم لازدياد
الخيرات فى الدنيا على الدين الحق وهو الاسلام قال السلطان يعنى يصلون بسلوكه جناب القدس
ويفتح عليهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **ومن يطع الله والرسول**
مزيد ترغيب فى الجد والطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلايق واعظمهم قدرا اى من يطع الله
فى اداء الفرايض والرسول فى السنن **فاولئك** المطيعون **مع الذين انعم الله عليهم من**
النبيين اى لا تفوتهم روية الانبياء ومجالستهم لا انهم يرفعون الى درجة الانبياء ومقامهم
والصديقين هم افضل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم او كافاضل صحابة الانبياء والصديق المبالغ فى
صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذين يصدق قوله بفعله **والشهداء** الذين استشهدوا
يوم احد وبدر وقيل هم الذين قتلوا فى الجهاد فى سبيل الله مطلقا وقال عكرمة النبيون ههنا
محمد صلى الله عليه وسلم والصديق ابو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم **والصالحين**

Copyright King Saud University

سائر الصحابة او من صلحت احوالهم وحسنت اعمالهم من المسلمين بالاخلاص ومن لحبهم لا يفوت
مجالستهم في الجنة اماتنا الله والاخوان على محبتهم **وحسن اولئك رفيقا** اي وما احسن اولئك
الموصوفين بهذه الصفات رفقاء في الجنة بان يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم
وان كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة لغيرهم ورفيقا منصوب على التميز او الحال وفيه
معنى التعجب وهو مفرد بمعنى الجمع كالطفل والصديق والخليط والدبر كقوله عز وجل يخرجكم طفلا
اي اطفالا ويولون الدبر اي الادبار وعن انس ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق
بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وعن انس بن مالك قال قال رجل يا رسول الله متى الساعة
قال وما اعددت لها قال فلم يذكر كثيرا الا انه يحب الله ورسوله قال فانت مع من احببت
ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر والثواب ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى
فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم وهو مبتدأ وخبره **الفضل من الله** او الفضل صفته
لذلك ومن الله خبره او الفضل خبر لذلك كما اشرنا ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة والمعنى
انما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل عليهم لا انهم نالوه
بطاعتهم وسعيهم والاية تدل على ان ما يفعل الله بعباده فهو محض فضل بخلاف ما يقوله المعتزلة
والاية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه
فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير
لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت وحشة شديدة
حتى القاك ثم اذكر الاخرة فاخاف الا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة دخلت
في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت ومن يطع الله والرسول
الاية وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة يا رسول الله وانت
في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فنزل الاية وقد اجاد في معنى الاية من قال قسمهم الله اي الذين
انعم عليهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم
الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين
صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج
العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص والرغبة
على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم
في طاعته واموالهم في مرضاته واجاد ايضا بقوله ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون
بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون
اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون
كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة
وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكونوا بامارات واقناعات تطمئن
اليها نفوسهم وهم الصالحون المطيعون **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه او بمقادير

الفضل واستحقاق اهله فثقوا بما اخبركم به ولا ينبئك مثل خبير وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا وبشروا ولا تعسروا واعلموا انه لا ينجو احد منكم بعمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ومن لطفه بنا قال
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم من اعدائكم اي تيقظوا واستعدوا لهم واحذروا واحترزوا
منهم يعني خذوا اعدتكم والتكم من السلاح والحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والمثل والمثل
والشبه والشبه وقيل الحذر عبارة عما هو سبب للحذر كالسلاح وضبط الرجل امره والاخذ فيه
بالثقة **فانفروا ثبات** اي فاخرجوا الى الجهاد مع الاعداء جماعات متفرقة سرية بعد سرية
فالثبات الجماعات واحدة ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه **او
انفروا جميعا** اي انهضوا الى قتالهم مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي
اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات قال الشيخ اي مجتمعين مع نبيكم
لان الجمع بدون الشمع لا يتم والعقد بلا واسطة لا ينتظم او انفروا ثباتا اذا لم يعم النفير وانفروا
جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا **وان منكم لمن ليبطئن** اي وان منكم لمن اقسم بالله
ليتاخرن وليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي المنافق واصحابه رجع عن
الجهاد مع اتباعه يوم احد والاية نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان
في الجنسية والنسب واظهار الاسلام باللسان لا في حقيقة الايمان والدين واللام في لمن للابتداء
مثل اللام في ان الله لغفور ومن موصولة وفي ليبطئن جواب قسم محذوف كما قدرنا والقسم مع
الجواب صلة من والراجع الى من الضمير المستكن في ليبطئن وبطأ بمعنى ابطأ اي تاخر وهو لازم
ويقال ما بطأ بك فيتعدى بالباء وفي الحديث من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه **فان اصابتكم
مصيبة** اي قتل وهزيمة **قال** المبطئ اي المنافق **قد انعم الله علي** بالقعود او الرجوع
اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في تلك الغزاة فيصيبني مثل ما اصابهم **ولئن** لام
قسم **اصابكم فضل من الله** اي فتح وغنيمة **ليقولن** هذا المنافق نادما متلهفا متحسرا
على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة اكد الفعل تنبيها على فرط تحسرهم مما قلنا **كان** مخففة من
المثقلة ~~لا طلبا للمثوبة اكد الفعل~~ واسمها محذوف اي كانه **لم تكن** قرا ابن كثير وحفص ويعقوب
تكن بالتاء والباقون بالياء **بينكم وبينه مودة** اي معرفة وصداقة وهي اعتراض بين الفعل
وهو ليقولن وبين مفعوله وهو **يا ليتني كنت معهم** في تلك الغزاة **فافوز** بالنصب لانه جواب
التمني **فوزا عظيما** اي فاخذ حظا وافرا من الغنيمة وقيل كان لم يكن بينكم وبينه مودة متصل
بقوله فان اصابتكم مصيبة تقديره فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا كان لم يكن له بردة السلطان بقوله وقيل انه متصل بالجملة الاولى اعني فان اصابتكم
الخ وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى **فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا** يجوز ان يكون امرا للمؤمنين بالقتال لوجه الله خاصة
والمعنى ان تاخر هؤلاء المنافقون عن القتال والجهاد لوجه الله فليقاتل في سبيل الله المسلمون المخلصون

الذين باذلوا انفسهم في طلب الاخرة وبايعوا الحياة الدنيا العاجلة واخذوا الاخرة الاجلة بدلها
ويجوز ان يكون امرا للمنافقين بالقتال لوجه الله اي ليقاتل في طاعة الله الذين يشترون
الحياة الدنيا العاجلة ويختارونها بدل الاخرة الاجلة فهو من باب الحث والترغيب على ترك ما حكي
عنهم من المخالفة وتغيير ما بهم من النفاق ويامرهم على ان يخلصوا الايمان بالله ورسوله وان
يجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والحاصل ان نزلت في المنافقين فمعنى يشرون يعني الذين يختارون
الدنيا على الاخرة ومعناه آمنوا ثم قاتلوا وان نزلت في المومنين المخلصين فمعناه فليقاتل في سبيل
الله الذين يشرون اي يبيعون الحياة الدنيا وعيشها بالاخرة ويختارون الاخرة **ومن يقاتل**
في سبيل الله اي في طاعته **فيقتل** يعني يستشهد على يد المشركين **او يغلب** اي يظفر بعدوه
الكافر **فسوف نوتيه** اي نعطيه **اجرا عظيما** في الجنة والحاصل ان الله وعد المقاتل في سبيله
في كلا الوجهين ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر على اجتهاده اعزازا لدين الله **وما لكم** مبتدا
وخبر اي اي شيء حصل لكم غير مقاتلين فهو استفهام توبيخ يعني لا مانع لكم من القتال **لا تقاتلون**
في سبيل الله والجملة في محل النصب على الحالية والعامل فيها الاستقرار كما تقول ما لك قائما
ثم عطف على اسم الله **والمستضعفين** اي لم لا تقاتلون في سبيل الذين استضعفهم الكفار بالتعذيب
والاسر وهو تخليصهم عن ايدي المشركين وصونهم عنهم **من الرجال والنساء والولدان** بيان
للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان مع ان الصبيان لم يبلغوا حدا ان يستذلوا او يمتحنوا مبالغة في
الحث على قتال المشركين وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الى الصبيان ولان
دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع
البلية وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء وهو جمع وليد قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت
انا وامي منهم **الذين يقولون** اي داعين يا **ربنا** يعني ان المستضعفين يقولون يا ربنا
اخرجنا من هذه القرية يعني مكة **الظالم** اي الكافر **اهلها** اي اهل القرية بكفرهم وصدهم
المسلمين من الهجرة يعني القرية التي صفتها ان اهلها مشركون ظالمون وانما خفض الظالم لانه
نعت للاهل فلما اعاد الاهل على القرية صار كان الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه
فالظالم وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وانما ذكر
لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو قيل الظالمة اهلها لجاز ايضا لا
لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويونث **واجعل لنا من لدنك** اي عندك **وليا**
مصلحا يتولى امرنا ويستنقذنا من اعدائنا **واجعل لنا من لدنك نصيرا** ينصرنا عليهم فاستجاب
الله دعوة المستضعفين بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي من المستضعفين
خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه عليه السلام فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن
اسيد رضي الله عنه فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها ثم مدح الله المقاتلين في سبيله وذم
المقاتلين في سبيل الطاغوت بقوله **الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله** اي في طاعته واعزاز
الدين

الدين يعني دينا يصلون به الى الله وقال عليه السلام في بعضهم مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت
الصايم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله تعالى الى اهله بما يرجعه من غنيمة واجر
او يتوفاه فيدخله الجنة وقال عليه السلام ايضا تكفل الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرجه من بيته الا
الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال
من اجر او غنيمة **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** اي فيما يبلغ بهم الى الشيطان يعني
في طاعة الشيطان **فقاتلوا** ايها المومنون **اولياء الشيطان** اي حزبه وجنوده وهم الكفار
ولما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله **ان كيد**
الشيطان اي مكره وخدعه بالمومنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين **كان ضعيفا** واهيا لا يقاوم
كيد الله بالكافرين كما فعل يوم بدر لما راى الملائكة خاف ان تاخذه فهرب وخذلهم **الم تر**
انظر يا محمد **الى الذين قيل لهم كفوا** اي امنعوا **ايديكم** عن قتال مشركي مكة فاني لم اومركم به
قال الكلبي الاية نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون
الجمحي وسعد بن ابي وقاص المكي وجماعة يلقون من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون
يا رسول الله ايذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني
لم اومر بقتالهم **واقيموا الصلوة** اي اتموها **وآتوا الزكوة** اي اعطوها اذا وجبت عليكم ثم لما هاجروا
الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم من حيث الطبع لا من حيث عدم الرضا
بامر الله قال الله فيهم **فلما كتب** اي فرض **عليهم القتال** بعد ذهابهم الى المدينة **اذا** للمفاجاة جواب
لما **فريق منهم** اي من الذين قيل لهم كفوا ايديكم **يخشون** اي يخافون **الناس** اي الكفار يعني مشركي
مكة ان يقتلوهم **كخشية الله** اي كخوفهم من عذاب الله يعني فريق منهم يخافون من الكفار كما يخافون الله
ان ينزل عليهم باسه من غير فرق بين الخشيتين **او اشد خشية** او اشد خوفا من الكفار من
اهل خشية الله لله اي مشبهين باهل خشية الله فاو بمعنى الواو وقيل بمعنى الواو للتخيير ومعناه ان
قلت خشيتهم للناس كخشية الله فانت صادق في ذلك وان قلت انها اشد واكبر واعظم من خشيتهم
الله ايضا صادق لانه حصل لهم مثلها وزيادة ومحل قوله كخشية الله النصب على الحال من الضمير في
يخشون ومحل او اشد خشية نصب عطف على محل الكاف في كخشية الله كما قلنا اي مشبهين باهل
خشية الله **وقالوا** جزعا من القتل باللسان او في ضماير هم فحكى الله عنهم وهو عطف على قيل
لهم اي والذين قالوا **ربنا لم كتبت علينا القتال** اي لم فرضت علينا الجهاد **لولا** اي هلا
اخرتنا اي امهلتنا **الى اجل قريب** يعني الموت يعني هلا تركتنا حتى نموت على فرشنا باجالنا
من غير قتال قال محي الفرض والسنة واختلفوا في هولاء الذين قالوا ذلك قيل قاله قوم من المنافقين
لان قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمومنين وقيل قاله جماعة من المومنين لم يكونوا راسخين في العلم
قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا عن ذلك واهل الايمان يتفاضلون في الايمان وقيل هم قوم
كانوا مومنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد وقال بعض المفسرين كان
سوالهم على وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض على حكم الله بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السوال بل اجيبوا

Copyright King Saud University

بقوله قل متاع الدنيا قليل اى ما يتمتع به فيها او الاستمتاع بها قليل آيل الى الفناء والزوال
والآخرة خير اى وثواب الآخرة اعنى الجنة خير كثير دائم وافضل لمن اتقى من الشرك
ومعصية الرسول او لمن اتقى عقاب الله بترك معصيته ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون ادنى
شئ من ثوابكم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه او لا تنقصون من آجالكم المقدرة قرأ ابن كثير وابو جعفر
وحمزة والكسائى بالياء والباقون بالتاء قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا كما يجعل احدكم
اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم اخبر ان الحذر لا ينجى من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم
الموت اى ينزل بكم الموت نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا نزه الله عليهم بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت وما زائدة لتوكيد معنى الشرط فى اين وقرئ بالرفع
على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون
ولو كنتم فى بروج اى فى قصور وحصون وقلاع مشيدة اى مرتفعة مطولة فلا تخشوا القتال
خوف الموت قال قتادة معناه فى قصور محصنة قال عكرمة فى قصور مجصصة والمشيد المجصص
وان تصبهم حسنة نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه قال الله تعالى
وان تصبهم يعنى اليهود حسنة اى سعة ورخص فى السعر وخصب يقولوا هذه من عند الله
لنا نسبوها الى الله وان تصبهم سيئة اى جدب وبلاء وغلاء فى الاسعار كما حصل لهم عند
قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة يقولوا هذه من عندك اضافوها اليك والحسنة والسيئة
كما تستعمل فى الطاعة والمعصية تستعمل فى النعمة والبلية فكذبهم الله بقوله قل كل من عند الله
اى من قبله يبسط ويقبض حسب ارادته وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة
القتل والهزيمة يوم احد فمعنى من عندك على هذا اى انت الذى حملتنا عليه يا محمد فهو من قول المنافقين
ثم عيرهم بالجهل والغباوة فقال فما لهؤلاء القوم يعنى المنافقين واليهود لا يكادون اى
لا يقاربون يفقهون حديثا ان يفهموا قولا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه فعلموا ان الكل من الله وحده او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله عز وجل ما اصابك ايها الانسان خطابا عاما
وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السلام والمراد غيره نظيره قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم من حسنة اى من نعمة وخير واحسان فمن الله تفضلا منه وامتنانا
فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال
عليه السلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة
اى من بلية ومصيبة وامر تكرهه فمن نفسك اى فمن عندك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى
اى فبما كسبت يداك يعنى بذنوبك وهو لا ينافى قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا
غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من
مسلم تصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله

الكثير ولا يثبتان كما ترى لا حجة فيهما لنا فى قوله تعالى قل كل من عند الله حتى نستدل به على مذهبنا
من ان جميع ما سوى الله بايجاده وارادته ولا للمعتزلة فى قوله تعالى وما اصابك من سيئة فمن نفسك
حتى يستدلوا باسناد السيئة الى العبد على مذهبهم من ان القبائح لا يسند اليه تعالى لا خلقا ولا ارادة
ولا امرا ولا ترغيبا فيها ولا نصا بها حاصله تعلق القدرية بظاهر هذه الاية وقالوا نفى الله تعالى
السيئة عن نفسه ونسبها الى العبد فقال وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم فيها
لانه ليس المراد حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصى بل المراد منها ما يصيبهم من
النعم والمحن وذلك انه ليس من فعلهم بدليل انه نسبها الى غيرهم ولم ينسبها اليهم فقال ما
اصابك ولا يقال فى الطاعة والمعصية اصابنى انما يقال اصبتها ويقال فى النعم والمحن اصابنى
بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان
تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر حسنات الكسب والعمل وسيئاته نسبها
اليهم ووعد عليها الثواب والعقاب فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل معنى الاية ما اصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن
الله اى من فضل الله وما اصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم احد فمن نفسك اى بذنب
نفسك وشومها من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله
وبين قوله فمن نفسك قيل قوله كل من عند الله اى الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله
وقوله فمن نفسك اى ما اصابك من سيئة من الله بذنب نفسك وعقوبة كما قال الله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس انه قرأ وما
اصابك من سيئة فمن نفسك وانا كتبتها عليك وقال بعضهم هذه الاية متصلة بما قبلها والقول فيه
مضمر تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله ثم اشار الى الاعراض عن اليهود والمنافقين
بقوله وارسلناك يا محمد للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق للناس بارسلناك وقصد
بها التعميم ان علق بها اى برسولا تقديره وارسلناك رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصب رسولا على المصدر اى ارسلناك للناس ارسالا يعنى ارسلناك ذا رسالة
ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم ليتبعوك ويطيعوك فلا تنظر الى مقالهم وفعلهم وليس اليك الحسنة
والسيئة لانك رسول لا مقتدر حتى نسبوا اليك الشدة وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات
او شاهدا يشهد على اقوالهم وافعالهم او كفى بالله شهيدا ان الحسنة والسيئة كلها من الله
من يطع الرسول اى امره فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ والآمر هو الله لانه لا يدعوهم
الا بامره سبحانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى
فقد احب الله فقال بعض المنافقين او اليهود ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى ابن مريم وفى رواية قال بعض المنافقين الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه فنزلت من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى اى اعرض عن

Copyright © King Saud University

طاعته فقد خرج عن طاعة الله **ومن تولى** عن الطاعة **فاعرض** يا محمد عنه **فما ارسلناك**
عليهم حفيظا اي حافظا لاعمالهم بل ارسلناك نذيرا والينا امرهم فنجازيهم يعني ما ارسلناك
رقيبا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم انما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وهو حال من الكاف قيل نسخ الله هذه الاية باية السيف وامر بقتال من خالف الله ورسوله
ويقولون المنافقون اذا امرتهم بامر **طاعة** يعني يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انا امنا بك فمرنا فامرك طاعة قال النحويون اي امرنا وشاننا ان نطيعك او منا طاعة
على انه خبر مبتدا محذوف **فاذا برزوا** اي خرجوا **من عندك بيت طايفة منهم**
من المنافقين **غير الذي تقول** اي زورت ودبرت واضمرت خلاف ما قلت للطايفة او
وما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر
بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر قال قتادة والكلبي بيت اي غير
وبدل الذي عهد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون التبييت بمعنى التبديل وقال ابو عبيدة
والقتيبي معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما اعطوك نهارا وكلما قدر بليل فهو تبييت وقال
ابو الحسن الاخفش تقول العرب للشيء اذا قدر قد بيت يشبهونه بتقدير بيوت الشعر وقرا
ابو عمرو وحمزة بيت طايفة بادغام التاء في الطاء لقربهما في المخرج **والله يكتب** اي يثبت
ويحفظ او يامر بكتابة **ما يبيتون** اي يزورون ويبدلون ويغيرون ويقدرون
وعن ابن عباس ما يسرون من النفاق يعني يثبت ذلك المبيت في صحايف اعمالهم ويجازيهم
عليها او يثبت ما يبيتون في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم **فاعرض عنهم** يا محمد
او لا تحدث نفسك بالانتقام منهم او لا تخبر لاحد باسماء المنافقين **وتوكل على الله**
اي ثق بالله في الامور كلها سيما في شان المخالفين **وكفى بالله وكيلا** اي كافيا لمن
توكل عليه يعني يكفيك كيدهم وشرهم وينتقم لك منهم اي اتخذ ربك وكيلا وكفى به
وكيلا وناصرا ومعينا ومفوضا اليه ثم نسخ باية السيف ولما زعم الكافرون والمنافقون
بان القران من كلام البشر وانه سحر ونفوا معجزات النبي عليه السلام نزلت **افلا يتدبرون
القران** اي افلا يتاملون في معانيه ومبانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في عواقب
الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتامل وقيل التفكر تصرف القلب بالنظر في
الدلايل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القران لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله
عليه وسلم والامام المعصوم وفي الاية دليل على جواز القياس وصحته وان من العلم ما يدرك بالنص
وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما لقوله افلا يتدبرون القران
ولقوله الاتي لعلمه الذين يستنبطونه منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما افلا يتدبرون القران
يتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي
وان احدا من الخلق لا يقدر عليه وان كان قريب الفهم ولكن لغور معانيه قال العلماء ان الله احتج
بالقران والتدبر فيه على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة اوجه احدها انه

الذي

الذي عجز الخلايق عن الاتيان بمثله في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله نبيه
صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفون من مكرهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن
احوال الاولين واخبارهم وما ياتي في المستقبل من امور الغيبة التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته
عن الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى **ولو كان من عند غير الله** وكل ما
سواه فهو غيره ومباينه وهذا ينادي على ضلالة القايل بالاتحاد فلا يغرنه الايات المتشابهات
التي لا يعلم تاويلها الا الله وحده والمعنى لو كان سحرا ومن كلام البشر كما هو في زعم الكفار **لوجدوا
فيه** اي في القران **اختلافا كثيرا** قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا او تباينا في معانيه
ونظمه الكريم او من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم او من حيث مطابقة بعض اخبار
المستقبلة للواقع دون البعض او من حيث موافقة العقل لبعض احكامه دون بعض او من حيث
البلاغة والفصاحة يعني لو كان من عند مخلوق لكان على قياس كلام المخلوق بعضه فصيح بليغ
حسن وبعضه نزل ركيك فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة
ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من حيث الكذب والصدق في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان كما قلنا
او من حيث مطابقة بعض اخباره الى اخره فلما كان القران ليس فيه تناقض واختلاف علم انه
من عند قادر على ما لا يقدر عليه عالم بما لا يعلمه سواه واما تعلق الملحدة بايات يدعون فيها اختلافا
من نحو قوله عز وجل فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله عز وجل فوربك لنسالنهم
اجمعين وقوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فلها محامل ظاهرة وليس في ذلك اختلاف
اصلا اذ السوال يكون في مكان دون مكان يعني ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسالون في موطن
دون موطن وقال قتادة قد كانت مسالة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون ولا يسال عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسال للتوبيخ وان الجان اسم جنس يقع على الذكر
والانثى والصغير فيجوز ان ينقلب العصا حية دقيقة صفراء ثم تتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا
فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مالها ولان العصي كانت في عظم الثعبان وسرعة
الجان وقد تقصى اهل الحق عن الاجوبة ولعل ذكر الاختلاف ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما
من الاحكام اي من احكام الايات الناسخة والمنسوخة ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في
الحكمة والمصلحة لان كل حكم مختص بزمان غير زمان الحكم الاخر **واذا جاءهم** اي الى المنافقين
على ما عليه اكثر المفسرين حسبما تقدم ذكرهم او الى ضعفة المسلمين من حيث الراي والتدبير يعني الذين
لا خبرة لهم باحوال الحرب وغيره كما قيل **امر** اي خبر **من الامن** اي مما يوجب الامن كالفتح
والغنيمة **او الخوف** اي مما يوجب الخوف كالقتل والهزيمة **اذاعوا** اي اشاعوا وافشوا
به اي بذلك الامر وكانت اذاعتهم مفسدة سواء كانت من المنافقين او الضعفة لانه
اذا علم الخصم الامن والفتح والغنيمة يسعى في حفظ نفسه وماله ويتحصن من المسلمين واذا
علم الخوف والقتل يسعى في القتال والمحاربة فيتاذى بذلك النبي والمومنون واصل هذا وبيانه

Copyright © King Saud University

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غُلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يتحدث به رسول الله او يخبرهم النبي بذلك بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة فيضعفون به قلوب المؤمنين فنزلت الاية والباء مزيدة ويجوز ان يكون اذاع بمعنى ذاع فالباء للتعدية وكذا اذا كان اذاع متضمنا معنى التحدث **وَلَوْ رَدُّوهُ** اي لو رد المذيعون الخبر الذي تحدثوا به يعني لو عرضوا ذلك الخبر قبل الافشاء **إِلَى الرَّسُولِ** اي راي الرسول صلى الله عليه وسلم مستكشفين لمعناه وما ينبغي له عليه السلام من الراي والتدبير حتى يكون هو عليه السلام الذي يخبر المذيعين بذلك ويحدثهم به ويظهره لهم لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رايه وتدبيره **وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ** اي اولي الفقه في الدين يعني ذوي العقول والراي والبصر والرشد بالامور **مِنْهُمْ** وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وقيل هم امراء السرايا والبعوث لانهم يخبرون للمذيعين بعد الرجوع معاينة قال علي بن الخازن في لبابه وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال واولي الامر منهم **لَعَلِمَهُ** اي لعلم تدبير ما اخبروا به على اي وجه وكيفية يظهرونه ويذكرونه **الَّذِينَ** فاعل علم **يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** اي يستخرجون تدبيره وهم المذيعون الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم وقيل وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع ويفشى وفي اللباب ومعنى الاية ولو ان هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم علم بما ينبغي ان يذاع او يكتم والاستنباط في اللغة الاستخراج يقال استنبط الفقيه اذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده واصله من النَّبَط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول حفرها واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بذهنه من المعاني والتدابير فيما يقصد فالموصول فاعل علم كما مضى واظهاره في موضع الاضمار للاشارة الى ان اللائق بهم ان يستنبطوا علمه من الرسول واولي الامر وكلمة من في منهم ابتدائية متعلقة بقوله يستنبطونه **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ** اي ايها المؤمنون بارسال الرسول وانزال الكتاب واظهار كيد الشيطان والمنافقين **لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ** كلكم بالكفر والضلال **إِلَّا قَلِيلًا** اي الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح وعلم من لدنه اهتدى بهما الى الحق والصواب وعصمة عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما قال الشيخ اما زيد بن نفيل فهو من موحدي الجاهلية لم يسجد لصنم ولم ياكل ذبيحة المشركين روي انه عليه السلام قال ثناء عليه يحشر يوم القيمة امة واحدة قال بعضهم والتمثيل بورقة بن نوفل سهو لانه ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن به واخبره بانهم يخرجونه من مكة ويعادونه وتمنى ان يدركه ذلك اليوم رواه البخاري او الا اتباعا قليلا على المذكور يعني لو وقع منكم الاتباع التام بجميع افراده ووجوهه الا قليلا منه فانه لا يقع لاباء العقول الراجحة عنه فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان قيل هو اي الاستثناء راجع الى ما قبله معناه اذاعوا به الا قليلا لم يفشه وعني بالقليل المؤمنين وهذا قول الكلبي

واختيار الفراء وقال لان علم السرايا اذا ظهر علمه المستنبط وغيره والاذاعة قد تكون في بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ثم قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان كلام تام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القران يقول لولا ذلك لاتبعتم الشيطان الا قليلا هم قوم اهتدوا قبل مجي الرسول ونزول القران كزيد وورقة كما ذكرنا وقيل معناه ولولا فضل الله عليكم ايها الرسول والمؤمنون لاتبعتم الشيطان بالاصغاء الى المبطئين في ترك القتال الا قليلا وهو الرسول واولوا الامر وهذا انسب بالمقام وفيه احماد حال الاقوياء وتحريك حمية الضعفاء ولما ذكر قوله فيما مضى وان منكم لمن ليبطئن يعني لما ذكر تثبط المنافقين عن المنافقين واظهارهم الطاعة والانقياد واضمارهم خلافها قال عز وجل **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** الفاء جواب محذوف اي ان تثبطوا وتاخروا عن القتال وتركوك وحدك فقاتل وقيل عاطفة على جملة قوله فيما مضى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا او على جملة ما ذكرنا من قوله فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الشيخ نزلت حين واعد النبي صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله قوله فقاتل في سبيل الله **لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ** يعني لا تترك جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك فان الله قد وعدك النصر وعاتبهم على ترك القتال فالفاء في فقاتل في سبيل الله جواب لقوله عز وجل فيما ذكر يعني ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل الى اخره وقرئ لا تُكلِّفُ بالجزم ولا نُكلِّفُ بالنون وكسر اللام اي لا نكلفك الا فعل نفسك لان التكليف بالافعال لا بالانفس والذوات يعني تقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد لانه لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا لم يلتفت على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده لقوله عز وجل **وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ** اذ ما عليك في شانهم الا التحريض وهو الحث على الجهاد والرغبة في الثواب فان قلت لا تجب مقاتلة المؤمن الا مع اثنين واما لو زاد العدد فلا تجب فكيف ايجاب المقاتلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه منفردا على الاطلاق قلت كانه من خصائصه او لانه كان على ثقة من النصر والظفر به والحفظ لقوله تعالى والله يعصمك من الناس ولقوله **عَسَى اللَّهُ** ان يعجزهم بك كما اعجزهم ب **أَنْ يَكُفَّ** اي يمنع من التاثير **بَأْسَ** اي شدة وحرب **الَّذِينَ كَفَرُوا** وعسى من الله الكريم كالواجب فان اطماع الكريم آكد اعتمادا من الجبان اللئيم كانه قال ان الله سيكف باس الذين كفروا وقد فعل بابي سفيان وجيشه بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا **وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا** من قريش ومن كل ذي باس لان باسهم ليس من انفسهم يعني اشد صولة واعظم سلطانا **وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا** اي عقوبة وتعذيبا منهم لان عذاب الله دائم وعذاب غيره لا يدوم فهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه وهذا كالالتزام للاول ثم لما امر الله تعالى رسوله عليه السلام بان يحرض المؤمنين على القتال وهو طاعة حسنة بين ان **مَنْ يَشْفَعْ** بين الناس **شَفَاعَةً حَسَنَةً** موافقة للشرع يعني راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا **يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ** اي ثواب واجر

منها اى بسببها والغرض منه انه عليه السلام يحثّ بالتحريض على الجهاد اجرا عظيما اذ الشفاعة
حقيقة هى الحسنة لانها اما لدفع مضرة عن الغير او جلب منفعة للغير فالتحريض على القتال لجلب
المنفعة للغير او لدفع المضرة عنه وان من يصير شفيعا لمؤمن لم تكن له اهبة للجهاد الى مؤمن
اخر ليعينه على الجهاد يستحق ايضا ثوابا جزيلا والشفاعة من الشفع لان الشافع يضم نفسه
الى ذى الحاجة وقال بعض المفسرين ومن الشفاعة الدعاء لمسلم لانه فى معنى الشفاعة الى الله تعالى
قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك رواه
مسلم وغيره **ومن يشفع شفاعة سيئة** اى مخالفا للشرع **يكن له** اى للشافع **كفل
منها** اى نصيب من وزرها مساو لها فى القدر فان الكفل هو المثل من الكفالة وهى القيام بثقل على
العزيم اثره لان جزاء السيئة سيئة مثلها بخلاف الحسنة فان الاجر فيها مضاعف وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشفاعة الحسنة هى الاصلاح بين الناس وحسن القول
بينهم ينال به الثواب والخير والشفاعة السيئة هى الفساد بين الناس والمشى بالنميمة
والغيبة والقول السيئ ينال به الشر وعن ابى موسى انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا جاءه
رجل يسال او طالب حاجة اقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه
ما شاء وعن الحسن قال من يشفع شفاعة حسنة كان له اجرها وان لم يشفع لان الله يقول
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ولم يقل يشفّع **وكان الله على كل شئ
مقيتا** اى مقتدرا مجازيا من اقات على الشئ اذا اقتدر قال الشاعر ٭ وذى ضغن كففت الضغن
عنه ٭ وكنت على اساءته مقيتا ٭ اى مقتدرا او شهيدا وحافظا واشتقاقه من القوت فانه
يقوى البدن ويحفظه **واذا حييتم بتحية** الجمهور على ان المراد بالتحية السلام اى اذا اسلم
عليكم بان قال السلام عليكم ودعى ببلامة حياتكم وصفاتكم التى بها كمال الحياة وهذا وجه
ربط الاية بما قبلها فان الدعاء كما قيل نوع من الشفاعة والتحية فى ديننا فى الدارين بالسلام لقوله
عز وجل فسلموا على انفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول
عند اللقاء حياك الله اى اطال الله حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام بالسلام والتحية تفعلة
من حيّا يحيّى تحية وهى فى الاصل البقاء والملك ومنه التحيات لله ثم استعملت فى السلام مجازا
والمعنى اذا اسلم عليكم مسلم **فحيوا** اى المحيى يعنى المسلم **باحسن منها** اى فاجيبوه بتحية
احسن مما سلم بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على قوله السلام
عليكم وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما وهى النهاية لانتظام الكلمات الثلث جميع فنون
المطالب التى هى السلامة من المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها **او ردوها** اى او اجيبوها
بمثلها او باحسن منها افضل واجمل وروى الامام احمد وغيره عن سلمان الفارسى ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله ثم اتى اخر فقال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء ثالث فقال السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك
لم تترك

لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله لانه فى التعبير عليك السلام ورحمة الله وبركاته وروى
ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس
السلام انتهى الى البركة وروى عن عمران بن حصين ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام
فرده عليه وقال عشرة ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه وقال عشرون ثم جاء اخر
فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه وقال ثلثون واعلم ان السلام سنة ورده
فريضة وهو فرض على الكفاية وكذا السلام سنة على الكفاية وتشميت العاطس ايضا سنة
على الكفاية فاذا سلم واحد من جماعة كان كافيا فى السنة واذا سلم واحد على جماعة فرد واحد
منهم سقط الفرض عن جميعهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما ان رجلا سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى الاسلام خير اى اى خصال الاسلام خير فقال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من
عرفت ومن لم تعرف رواه مسلم والبخارى وقال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى
تحابوا الا ادلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم رواه مسلم وقال عليه السلام يا ايها
الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام
اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن ابى امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشى السلام
اخرجه ابن ماجة قال العلماء يستحب لمن يبتدى بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فياتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
فياتى بواو العطف فى قوله وعليكم قال نور الدين على بن الخازن فى تفسيره ويستحب للمسلم ان يرفع
صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد على الفور فان اخره ثم رد لم يكن يعد
جوابا وكان اثما بترك الرد ومما اتفق ان سلطان الاسلام الغازى مراد خان فاتح دار السلام رحمه الله
رحمة واسعة لما دخل قريتنا بقرب منا فارقين المشهور بديلكان خرجنا اليه للدعاء له فلما قرب الينا
سلم علينا ثلث مرات من بعيد بحيث لا نسمع صوته لكثرة الجيش والعسكر والدهشة فرفع صوته بالسلام
فى الرابع فرددنا عليه ثم قال انى سلمت عليكم ثلث مرات فيا له من حلم وادب اللهم ادخله مع اسلافه دار
دار السلام بالسلام ولو كان غيره من الامراء والكبراء لكان ينتهرنا ويعاقبنا فنزه هذا الواقعة لا يأثم
المسلم عليه للعذر الواضح ويكتب ثواب المسلم بتمامه وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشى والماشى
على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال صلى الله عليه وسلم يجزى عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزى عن
الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود قال صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام
اخرجه ابو داود وعن انس انه عليه السلام كان اذا مر بصبيان فسلم عليهم هكذا فى الصحيحين واما السلام
على النساء فان كن جمعا جالسات فى موضع او مسجد فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن
الفتنة لما روى عن اسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا اخرجه
ابو داود وفى رواية الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من اصحابه قعود فالوى
بيده بالتسليم قال الترمذى حديث حسن واذا مر على امرأة منفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها
ولو سلم فلا ترد هى عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد

عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهم على بعض ويكره السلام على من يتغوط او يجامع لان رجلا مر ورسول الله يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم ويكره على من في الحمام قيل ان لم يكن عليهم ازار والا فلا يكره ويكره التسليم على النايم والناعس والمصلي والمؤذن والتالي في حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالتسليم في حال الخطبة لان الجلوس مأمورون بالانصات للخطبة ويكره ان يبتدى المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هولاء هكذا ذكره ابن الخازن وفي المدارك عن ابي يوسف لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وكان سيدنا الحبيب النسيب سيدي عبد الله بن محمد العطاس نفعنا الله به اذا مر بمن يشرب الدخان اي التتن لا يسلم عليه في حال شربه واذا راى في طريقه بعض من يشتغل بامور الدنيا من اهل الدولة يتحول الى ناحية اخرى وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة كذا ذكره ابو السعود في تفسيره واخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المومنان فسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا كان احبهما الى الله احسنهما بشرا لصاحبه ونزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشر اخرجه البيهقي وعن الحسن ان من الصدقة ان تسلم على الناس وانت منطلق الوجه وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبدين متحابين في الله عز وجل يستقبل احدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يفترقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تاخر رواه ابن السني وقد ذكرنا هذا الحديث في كتابي في المكفرات وفي كتابي في الصلاة على النبي عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما وفي رواية اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا غفر الله عز وجل لهما وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب اي العوض او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي رحمه الله روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال في تاويل الاية اذا اهدي لكم هدية فكافوا بافضل منها او بمثلها او ردوها فسر التحية بالهدية والعطية واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثاب فلا رجوع فيها وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي لان هذا الامر محمول على الندب بدليل انه لو اثيب بما هو اقل منه سقطت عنه الرد اجماعا مع ان ظاهر الاية يقتضي ان يثاب بالاحسن وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده وقيل فحيوا باحسن منها اذا كان الذي سلم مسلما او ردوها اي ردوا مثلها اذا لم يكن مسلما قال عليه السلام لا غرار في تسليم اي لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اذا سلم عليكم احدهم فانما يقول السام عليك فقل وعليك وعنه عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم ما قلتم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وفي تفسير ابي السعود وعن الحسن انه يجوز ان يقول وعليك السلام دون الزيادة **ان الله كان على كل شي حسيبا** اي على كل شي من رد السلام بمثله او باحسن منه حسيبا محاسبا مجازيا وقال مجاهد حفيظا وقال ابو عبيدة كافيا يقال حسبي هذا اي كفاني والحاصل هو محاسبكم على كل شي من التحية وغيرها ويعطيكم الجزاء حسب الحقوق

والزيادات

والزيادات اذ يقتضيه كمال جوده لكمال ذاته وصفاته اذ **الله لا اله الا هو** مبتدا وخبر او الله مبتدا ولا اله الا هو اعتراض والخبر **ليجمعنكم الى يوم القيمة** اي ليحشرنكم وليسوقنكم ولينضمن لكم اليه والمعنى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة والقيام والقيمة كالطوال والطوالة قال ادخل التاء فيه للمبالغة وهي قيام الناس من القبور او للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين وترك للذين شكوا في البعث لدفع الشك عنهم بقوله **لا ريب فيه** اي في يوم القيمة او في جمعكم فيه فهو حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن حينه حينئذ يرجع الى الجمع وقال الشيخ هذه اللام لام القسم تقديره والله ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور الى يوم القيمة وسميت القيمة قيامة لان الناس يقومون من قبورهم اليها قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا وهو قريب للمعنى الاول **ومن** اي لا احد **اصدق من الله حديثا** اي قولا ووعدا لانه عبارة [illegible] كلامه الازلي الذي لا دخل للكذب فيه لانه نقص والخبر وان دلت الدلايل على صدقه فكذبه ممكن ليس بمحال اذ لم ينظر اليها ثم عاد الى حكاية حال المنافقين فقال **فما لكم** مبتدا وخبر والاستفهام للانكار **في المنافقين فئتين** اي اي شي كان لكم يعني ما لكم تفترقون في امر المنافقين فرقتين وكان حقكم الاجماع على نفاقهم اي ما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وقد ظهرت دلايل ذلك وذلك انها نزلت في الذين رجعوا او تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم تكلموا بالاسلام وقيل نزلت في قوم من العرب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واسلموا واصابوا وباء المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج الى الصحراء فاذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المسلمون فيهم فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم بقوله **والله اركسهم** اي الله ردهم الى حكم الكفرة كما كانوا او نكسهم بان صيرهم للنار او بددهم واصل الركس رد الشي مقلوبا **بما كسبوا** اي باعمالهم غير الزاكية من اظهار الارتداد والكفر والمعاصي واللحوق بالمشركين بعد ما كانوا على النفاق **اتريدون ان تهدوا من اضل الله** اي ان تجعلوه من المهتدين وتعدوهم من جملتهم اي ان ترشدوا من اضل الله او تقولون ان هولاء مهتدون وقد اضلهم الله يعني خلق الضلال فيه اي اتريدون ان تسموهم مهتدين وقد اظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين **ومن يضلل الله** عن الهدى والحق والايمان **فلن تجد له سبيلا** اي طريقا اليه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة للعالمين فاذا لم يقدر هو فغيره بطريق الاولى **ودوا** اي تمنى اولئك الذين رجعوا عن الدين **لو تكفرون كما كفروا** اي كفرا مثل كفرهم **فتكونون سواء** في الكفر اي فتكونون معهم سواء في الكفر والضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز قال ابو يحيى وتنزل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كقوله ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك وقال ابو ابراهيم الشامي ولو كلمة تمن واعلم بنصب فتكونوا لانه عطف لا جواب وهو كقوله ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم اي تمنى هولاء ان تكفروا انتم فتستووا في الكفر المبيح للقتل والسبي **فلا تتخذوا منهم اولياء** قال ابو الخير الفاجر جواب

محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهى عن ان تتخذ واحد من المخاطبين وليًّا واحدًا
منهم اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا تتولوهم ما داموا على الكفر الموجب للمعادات وقال
الجلال المحلى والمعنى فلا تتولوهم وان اظهروا الايمان حتى يهاجروا فى سبيل الله هجرة صحيحة كائنة
لله ورسوله لا لاغراض الدنيا قال الشيخ والمعنى حتى يسلموا ويومنوا ويهاجروا فى سبيل الله ويحققوا
ايمانهم بالهجرة الخالصة لوجه الله تعالى ورسوله لا لاغراض الدنيا فعند ذلك تعود والى سبب الموالاة
لانهم يصيرون اولياء الله فتصلح موالاتكم اياهم ومعنى سبيل الله ما امر بسلوكه وقال شمس الافاق
ودليل اضمار الايمان والاسلام قوله فى سبيل الله وذاك لا يكون الا بالاسلام الصحيح وهذا لانه ذكر كفرهم
بقوله كما كفروا فلا يزول ذلك الا بالاسلام وبعد الاسلام شرط الهجرة ايضا وكانت فرضا يومئذ وفى
تفسير الخازن وهذه هجرة اخرى والهجرة على ثلثة اوجه الاول هجرة المومنين فى اول الاسلام من
مكة الى المدينة الثانية هجرة المنافقين وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله مخلصين
صابرين محتسبين كما حكى الله تعالى عنهم فى هذه الاية منع المومنين عن موالاة المنافقين حتى يهاجروا فى
سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المومنين ما نهى الله عنه فان تولوا اى فان اعرضوا عن الايمان الظاهر
بالهجرة الصحيحة المستقيمة او عن اظهار الايمان واقاموا على ما هم عليه من الكفر واختاروا ذلك فخذوهم
اى اسروهم ايها المومنون اولئك الكفرة اذا قدرتم عليه ومنه الاسير اخيذ واقتلوهم حيث وجدتموهم
اى فى الحل والحرم فان حكمهم حكم ساير المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى
جانبوهم مجانبة كلية ولا تتولوهم ولا تقبلوا منهم ولاية ولا تستنصروا بهم على عدوكم ابدا فلهم اعدى اعدائكم
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من ضمير المفعول فى قوله فخذوهم
واقتلوهم دون الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومن قال ان يصلون بمعنى ينتسبون
فالمعنى الا الذين ينتسبون ويلتجئون ويدخلون بالحلف والامان الى قوم بينكم وبينهم ميثاق وعهد
وهم قوم هلال بن عويمر الاسلمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى
عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه
فلهم الجوار مثل ما لهلال وقال بعضهم والقول بان يصلون بمعنى ينتسبون ليس بسديد لان اكثر اهل مكة
انسباء رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يثبت لهم امان ومن قال ان يصلون بمعنى يتصلون
وينتهون ويلتجئون فالمعنى الا الذين يتصلون ويلتجئون الى قوم من اهل عهدكم بعهد وامان اى قصد
حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وتعذر الوصول اليه فالتجؤا الى قوم معهم للمسلمين عهد فامنوهم فانفعوا
امانهم ولا تقتلوهم وقيل اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة وقيل القوم هم الخزاعة
وخلاصة المعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم وميثاقكم فهم ايضا داخلون فى عهدكم
قال شيخنا ولا وقف على قوله نصيرا لان الذين استثناء من ضمير المفعول فى اقتلوهم وميثاق مرتفع بالظرف
لانه وقع صفة او مبتدأ والجملة فى موضع جر صفة لقوم او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين
عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين
والاخر من اتى المومنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين

او الى قوم

او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول الاظهر هو لما سياتى من قوله تعالى فان اعتزلوكم الى اخره
فانه صريح فى ان كفهم عن القتال احد سببى استحقاقهم لنفى التعرض عنهم وفى التيسير وجاؤا ماض
بمعنى المستقبل لانه عطف على يصلون وهو كقوله تعالى اتى امر الله اى ياتى يعنى والا الذين يجيئون مستامنين
منكم وقرى جاؤكم بغير او العاطفة على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت
صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرى حصرة صدورهم نصبا وقرى حصرة بالجر على انه صفة لقوم
وقرى حاصرات صدورهم بالالف بعد الحاء والراء وقرى حصرات صدورهم بالف بعد الراء وقرى حصيرة
صدورهم على المبتدأ والخبر ومحلها نصب على الحالية وقيل حصرت صدورهم صفة لموصوف محذوف
هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين ومعنى حصرت ضاقت وانقبضت اى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون
قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم كانوا اقارب لبنى مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا
قريشا ان لا يقاتلوهم وفى التيسير والمعنى وضيق صدورهم عن قتالهم للمومنين بالقاء الله الرعب فى قلوبهم وضيق صدورهم
عن قتالهم لقومهم انهم على دينهم فكانوا لا يصلحون لحزب الاموال وقال ابو يحيى والمعنى وضيق صدورهم
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم او
ان يقاتلوا قومهم او لان يقاتلوا قومهم او كراهة ان يقاتلوا قومهم وقال صاحب اللباب والمعنى ضاقت صدورهم
عن قتالكم للعهد الذى بينكم وبينهم او يقاتلوا قومهم يعنى من امن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم
ولا يقاتلوا قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم كذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو
بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله
حكمهم فى حقن الدم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجأ الى معاهد او ترك
القتال فانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله
جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم فى هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك
لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام او القتل وفى التيسير وقوله
حصرت صدورهم فى معنى الحال كما يقال جاءنى فلان ذهب عقله اى ذاهبا عقله وقال سيبويه والمبرد
لا يجوز الحال بالماضى لان الحال اسم والماضى بعيد عن شبه الاسم بخلاف المستقبل لكنه على طريق الدعاء
كقوله لعنوا وقتلوا ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل للاستثناء
الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم فى سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع
عدم تحققهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم بعد القبض
وتقوية قلوبهم بعد الضعف ونزع الرعب وازالته عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب
لو على التكرير والابدال من الاولى وفى التيسير وقوله فلقاتلوكم عطف على لسلطهم وتكرار اللام للتاكيد ولو قال
فقاتلوكم لاستقام ايضا وقرا مجاهد فلقتلوكم بالتخفيف من القتل وقرا الحسن فلقتّلوكم بالتشديد للتكثير وقال
المحلى والمعنى ولو شاء الله تسليطهم عليكم لسلطهم عليكم بان يقوى قلوبهم فلقاتلوكم ولكنه لم يشاءه فالقى
فى قلوبهم الرعب فان اعتزلوكم اى فان لم يتعرضوا لقتالكم وقوله فلم يقاتلوكم تفسير للاعتزال عند بعضهم

اي فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله تعالى قال ابو احمد كان هذا الاعتزال وترك القتال
في يوم فتح مكة وذلك ان سراقة بن مالك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلغني انك تريد ان تبعث
الى قومي جيشا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تريد قال اريد ان توادعهم فان اسلم قومهم دخلوا معهم
والا لم يخشن صدور قومهم عليهم فقال اصنع وذهب معه خالد فوادعهم ان اسلم قومهم دخلوا
معهم ومن وصل اليهم من الناس كانوا على مثل عهدهم وفيهم نزلت الا الذين يصلون الى قوم بينكم الاية **والقوا**
اليكم السلم اي الصلح والانقياد والاستسلام اي انقادوا واستسلموا وقرئ السلم بسكون اللام **فما جعل**
الله لكم عليهم سبيلا اي فما اذن الله لكم عليهم طريقا في اخذهم واسرهم وقتلهم فان مكافتهم عن
قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم عليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم
لهم وفي اللباب وقال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهي قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و
قال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملناه على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل **ستجدون**
آخرين قال ابن عباس والكلبي معناه ستجدون قوما اخرين من المنافقين وهم اسد وغطفان كانوا حاضري
المدينة وكانوا تكلموا بكلمة الاسلام رياء ونفاقا وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه اذا امنت بقول
امنت بهذا العقرب واذا لقوا اصحاب رسول الله قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي
رواية عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا منافقين وذلك لانهم اذا اتوا المدينة اظهروا الاسلام
ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا وقال السدي نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم
بخبر المشركين وياتي المشركين بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ليامنهم جميعا فامر الله تعالى نبيه بطرده وان يتركه يدخل
عليه فيفعل **يريدون ان يامنوكم** اي يريدون باظهار الايمان لكم ان يامنوكم بالنفاق فلا تتعرضوا لهم **ويامنوا**
قومهم بالوفاق اي باظهار الكفر لهم فلا تتعرضوا قال الحسن معناه اذا لقوا المؤمنين قالوا امنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم ليامنوا قتل الفريقين اياهم **كلما ردوا الى الفتنة** اي كلما دعوا الى الشرك والكفر
او الى قتال المسلمين **اركسوا فيها** اي قلبوا فيها ونكسوا على رؤوسهم قبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل
عدو شرير والركس قلب الشيء على راسه قال الشيخ معناه عادوا اليها واجابوا اليها والفتنة الشرك قال الله
والفتنة اشد من القتل والاركاس الرد الى الحالة الاولى والفاعلون للاركاس قومهم بالدعوة ويجب
ان يكون معنى اركسوا فيها اي وقعوا فيها من غير ان يكون لهم موقع كما يقال عجب وقال بعضهم الفتنة ههنا
هي قتالهم المؤمنين ونصرهم الكافرين **فان لم يعتزلوكم** اي فان لم يتركوا قتالكم ولم يكفوا عن التعرض
لمحاربتكم بوجه ما **ولم يلقوا اليكم السلم** بالانقياد لكم وطلب الصلح بل نبذوا العهد والميثاق
وانما زدنا لم لانه عطف على لم يعتزلوا **ولم يكفوا ايديهم** ولم يمسكوا عن قتالكم ومحاربتكم
وهو عطف على لم يعتزلوا ايضا **فخذوهم** اي اسروهم **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي حيث وجدتموهم
وادركتموهم وتمكنتم من قتلهم سواء في ذلك الحل والحرم والاشهر الحرم فان مجرد الكف لا يوجب نفي
التعرض **واولئكم** يعني اهل هذه الصفة الردية **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** اي حجة نيرة واضحة
في الايقاع بهم قتلا والتعرض لهم سببا لظهور عداوتهم ووضوح نفاقهم وانكشاف حالهم في الكفر
والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في اخذهم وسبيهم وقتلهم

واولا

واولا في قوله اولئكم اسم اشارة الى الجمع وكم خطاب جمع وهي في محل الاضافة وعند بعضهم اولئكم
كلمة واحدة مبنية مع الكاف وكلها في موضع الرفع بالابتداء ولذلك لا تزايل الكاف ولا تتصل بالهاء
فلا يقال اولائه واولائهم ولا بالياء والنون فلا يقال اولائي واولائنا ويجوز فيه الافراد والجمع
في الخطاب قال الله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم وقال ذلكم يوعظ به وقال ذلكم ازكى لكم
واطهر وقال لا يستوي منكم من انفق ثم قال اولئك اعظم درجة وقال ههنا اولئكم ثم اشار
الى من قتل مؤمنا خطأ من غير تعمد بان يقصد شيئا فيصيب غيره او ان يرمي شخصا معتقدا انه
كافر فاذا هو مسلم بقوله **وما كان لمؤمن** اي وما صح له ولا استقام ولا لاق ولا ناسب بحاله
وشانه اي وما كان له البتة او وما كان له سبب جواز قتله **ان يقتل مؤمنا** بغير حق فان الايمان
زاجر عن ذلك **الا خطأ** اي الا مخطئا في قتله من غير قصد قال الشيخ بعد قوله الا خطأ اي فانه على
عرضته وذلك لانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية ونصب قوله
خطأ على الحال اي ما كان له في حكم الله ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على انه مفعول له
اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده او على انه صفة لمصدر محذوف اي الا قتلا خطأ
وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان للمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي قال الكواشي
وغيره والاستثناء منقطع كقوله الا اللمم اي لكن ان يقع خطأ وكقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والخطأ ما
لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير مكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا
وهي تخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم
من اطامها والاطم الحصن الحصين فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وابي جهل ابني هشام
وهما اخوا عياش بن ابي ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجا في
طلبه وخرج معهم حارث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالا انزل فان
امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك الله علينا ان لا نكرهك
على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكرا له جزع امه واوثقا له بالعهد بالله نزل اليهم من حصنه فاخرجوه
من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهما مائة جلدة ثم قدموا به الى امه فلما اتاها قالت والله
لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا
بلسانه دون قلبه فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد
تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا
قتلتك ثم ان عياشا هاجر الى المدينة ثانيا على ما كان عليه من الايمان واسلم الحارث بن زيد بعد وهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر
قباء ان لقي الحارث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه قد كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني

لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ **ومن قتل مؤمنا خطأ**
فتحرير رقبة مؤمنة وخطأ صفة لمصدر محذوف اى ومن قتل قتلا خطأ قوله فتحرير مبتدأ
وخبره محذوف اى فعليه تحرير رقبة وهما خبر من ومؤمنة صفة لرقبة قال الشيخ والمعنى فعلى من
قتل مؤمنا خطأ تحرير رقبة او فواجبه تحرير رقبة اى اعتاق رقبة لان التحرير الاعتاق ومعنى الحر والعتيق
الكريم لان الكرم فى الاحرار واللؤم فى العبيد ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه وهو الخد ومنه
ايضا عتاق الطير وعتاق الخيل لكرائمها قال الكواشى والرقبة والنسمة كناية عن تمام بدن الانسان
والهاء للتانيث اللفظية لا للتانيث ذات الرقبة عطاء تجزى كل رقبة كانت على حكم الاسلام وعليه
عامة العلماء وعن ابن عباس والحسن انه لا يجزى الا رقبة قد صامت وصلت ولا تجزى الصغيرة
قالوا وفائدة ذلك انه لما اخرج نفسا مؤمنة بالقتل عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل بالاعتاق
نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها لان الرقيق كالميت اذ الرق اثر
من آثار الكفر والكفر موت حكما قال الله او من كان ميتا فاحييناه ولكون الرقيق ملحقا بالاموات
منع من تصرف الاحرار اذ لا حكم للرقيق فى نفسه انتهى وفى التيسير والمعنى فعليه اعتاق رقبة مسلمة
ذكرا او انثى كفارة لذلك حقا لله تعالى وقال الامام ابو منصور الماتريدى اختلف فى معنى اشتراط الايمان
قيل لانه اتلف نفسا خلقها الله لعبادته فاوجب فى مكانها نفسا مؤمنة ليتعبد الله على ما عبده
تلك لكن لو كان التاويل هذا لكان يجب فى العمد ما يجب فى الخطأ لوجود ذلك لكن اوجب لا لذلك بل
اوجب التحرير تغليظا وتشديدا عليه بما اتلف نفسا لم يؤذن له فى ذلك كيلا يقدم على مثله ولله عز وجل
ان يوجب على من شاء ما شاء لما شاء من غير ان يقال لم وكيف والثانى انه تعالى اوجب عليه التحرير دون
القصاص لانه عز وجل ابقى للقاتل نفسا مؤمنة لم يجب عليها القصاص فاوجب عليها مثلها رقبة
مؤمنة انتهى قال ابو الخير والرقبة هى النسمة عبر بالرقبة عنها كما عبر عنها بالراس فى قولهم فلان يملك
كذا راسا من الرقيق والمؤمنة هى المحكومة باسلامها وان كانت صغيرة انتهى **ودية مسلمة الى اهله**
اى وعلى عاقلة القاتل وعصبته دية كاملة مؤداة الى ورثة المقتول واوليائه الذين يرثون منه بدل
قتل النفس كسائر المواريث واما اعتاق الرقبة ففى مال القاتل والهاء فى دية عوض عن الواو المحذوفة
اذ اصلها ودية كعدة وقد وداه يديه دية اى ادى ديته فالدية اسم للمال واسم للمصدر
ايضا **الا ان يصدقوا** واصله الا ان يتصدقوا فادغمت التاء فى الصاد قال الكواشى وقرئ بها والمعنى الا ان
يتركوا ويعفو اولياء المقتول وورثته القاتل والعاقلة عن الدية وهو كقوله وان تصدقوا خير لكم
فى آية الربا وهو الابراء والعفو عن اصل المال وكذا كقوله فمن تصدق به فهو كفارة له اى عفا عن ذلك
وسمى العفو عن الدية صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة
والاستثناء اما متصل او منقطع وان يصدقوا اما متعلق بعليه او بمسلمة اى يجب الدية عليه او يسلمها
الى اهله فى جميع الاوقات الا وقت تصدقهم عليه فهو فى محل النصب على الظرفية والا حال تصدقهم عليه اى الا
كونهم متصدقين عليه فهو فى محل النصب على انه حال من الاهل او القاتل **فان كان من قوم عدو**
لكم وهو مؤمن ~~فتحرير رقبة مؤمنة~~ اى فان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين للمسلمين لا عهد

بين المسلمين

بين المسلمين والكفار او كان المؤمن المقتول فى تضاعيف الكفار كالمسلم التاجر فى دار الحرب فرمى المسلم ٣
فقتل مؤمنا بين اهل الحرب ولم يعلم ايمانه **فتحرير رقبة مؤمنة** فعلى قاتله الكفارة ولا تسلم
الدية لاهله الكفار اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم كفار محاربون وايضا انه اسقط حق نفسه باختلاطه
باهل الحرب ثم ضحيته بوجه اخر وهو اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من
لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وحمل صاحب التيسير من الحنفية الاية على رجل حربى اسلم
فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم فلا قصاص فيه ولا دية وفيه الكفارة لا غير والحمل الصحيح هو
الذى ذكرنا اذ كان الحارث ابن زيد المذكور قريبا من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة
دون الدية لانه لم يكن بين قوم حارث وبين المسلمين عهد وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما فى دار
الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة
ولا دية لاهله **وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة**
قال البيضاوى والمعنى ان كان المقتول من قوم كفرة معاهدين او من اهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب
الكفارة والدية ولعله اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم انتهى قال المحلى والمعنى ان كان المقتول
من قوم بينكم وبينهم عهد كاهل الذمة فتسلم ديته الى اهله وهى ثلث دية المؤمن ان كان يهوديا او نصرانيا
وثلثا عشرها ان كان مجوسيا انتهى وقال عمر النسفى فى تيسيره الاية تدل ان دية الذمى كدية المسلم انتهى
قال شيخنا والاية المفسرة لهذه الاية تدل على عدم الاستواء وهى قوله تعالى لا يستوى اصحاب النار واصحاب
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون اقول وسياتى احاديث عدم المساواة قريبا **فمن لم يجد** رقبة
مؤمنة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به الى تحصيلها من الثمن **فصيام شهرين متتابعين** اى فالواجب
عليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة ولم يذكر الله تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه اخذ
الشافعى فى اصح قوليه **توبة** نصب على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك للتوبة من تاب الله عليه اذا
قبل توبته وفى اللباب معناه جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ انتهى وفى التيسير وقوله توبة من الله
اى تخفيفا منه كما قال علم ان لن تحصوه فتاب عليكم واصل التوبة الرجوع فالمذنب يتوب الى الله اى يرجع
اليه بالندامة والتوبة من الله اعادته الى الحالة الاولى والتخفيف عليه كذلك وقيل ان الكفارة توبة للعبد
وهى مشروعة من الله على العبد انتهى قال شيخنا وما ذكره صاحب التيسير بالقيل احسن مما ذكره بغير قيل ويجوز
ان يكون نصبها على المصدرية لتوكيد فعل محذوف اى تاب الله عليكم توبة قال ابو يحيى وتوبة منصوب
على المصدرية اى تاب الله عليكم توبة اى قبولا من الله ورحمة منه **ومن الله** متعلق بمحذوف صفة
لتوبة اى كائنة من الله ويجوز ان يكون توبة حالا من الضمير المجرور فى عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام
شهرين ذا توبة **وكان الله عليما** بجميع الاشياء التى خلقها ومن جملتها حال قاتل الخطأ **حكيما**
فيما حكم لقاتل الخطأ وامر فى شانه من الدية والكفارة ودبر لجميع خلقه وكافة بريته او عليما بالقاتل
انه عامد او مخطئ وعالم بتكفيره انه ينوى به التوبة او الاضرار وحكيما فى شرع هذه الاحكام
فصل فى احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل
قال الشافعى القرشى المطلبى الهاشمى القتل على ثلثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ اما العمد المحض فهو

Copyright © King Saud University

يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية حالة مغلظة
في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصى خفيفة
او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين
واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيئا اخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه ويجب فيه
دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور القتل الخطأ ايضا ان يقصد رمي مشرك
او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين او شعارهم
فالصورة الاولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد المسئلة الثانية في حكم الديات ودية حر
المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فيجب قيمتها من الدراهم او الدنانير في قول وفي قول بدل مقدر وهو
الف دينار او اثنا عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار او ثمانية الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب
يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر رضي الله عنه فقام خطيبا فقال الا ان الابل قد
غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثني عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتي بقرة
وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية
اخرجه ابو داود فذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم
وهو قول عروة ابن الزبير والحسن البصري وبه قال الشافعي ومالك وذهب قوم الى انها مائة من الابل او
الف دينار او عشرة الاف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب ابي حنيفة ودية المراة نصف دية الذكر
الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة
درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الامام الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد
مثل دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روى عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه
النسائي ومن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان
النصف ثم رفع في زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم و
الدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها
اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روى عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان
شاؤا اخذوا الدية وهي ثلثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صالحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد
العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا ان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون
ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية اخرى قال الا ان كل قتيل خطأ العمد او شبه العمد قتيل السوط
والعصا مائة من الابل منها اربعون في بطونها اولادها اخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع

خمس

3

خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة
وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب ابي حنيفة واما دية الخطأ فمخففة وهي
اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت
لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار
والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن
ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب ابي حنيفة والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات
من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضاء
والاطراف فحكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضاء المراة على النصف من دية اعضاء الرجل والله اعلم المسئلة
الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مؤمنة ويجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا
رجلا او امراة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان
واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته
من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها
فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب
عليه استئناف شهرين وهو قول النخعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وهو ان يبني وهو
قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا
ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله عز وجل على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز
عن الصوم هل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام
كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة
من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقاتل الخطأ والله اعلم ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه قال البيضاوي وذلك لما فيه من التهديد العظيم
قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه
والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن ونحوه وهو عندنا
اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما
قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله
ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم
عذابهم انتهى قوله متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات
قوله فجزاؤه مبتدا اي فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته وخبره جهنم وهما خبر من وخالدا فيها حال مقدرة
يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل
من ضمير جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لو انه صفة ولا يخفى ان ما يقدر الحال
او للعطف عليه حقه اي العطف عليه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة
بينة وظاهر ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار

Copyright © King Saud University

عن وقوعه كما ستقف عليه قال استادی وانما قال البيضاوي او المراد بالخلود المكث الطويل لانه
ذكر هنا التخليد دون التابيد وفي كل موضع ذكر الخلود مع الابد فهو للتابيد والمتعمد وهو ان يقصد
قتل مومن بما يقتل غالبا عالما بايمانه وقتله لذلك وهو كفر او قتله مستحلا لقتله وهو كفر ايضا
قال بعضهم وهذا ما قيل من يستحله اي مؤول بان هذا جزاؤه ان جازاه وفي المدارك وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال هي جزاؤه ان جازاه وفيه رد على المعتزلة بخروج قاتل المؤمن من الايمان وان لم
يستحل ذلك يخالف قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى قال الكواشي ومذهب الكثير
قبول توبة قاتل المؤمن عمدا لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن ولقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ويحملون الاية على من قتل مؤمنا
مستحلا لقتله وعن ابن عباس ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبوله وانه يخلد في النار وعنه ايضا
انه ان لم يكن قتل احدا وسأل عن قتل مومن ليقتله يقال له في الجواب ان الله لا يغفر لك ان فعلت
ذلك لئلا يقدم على القتل بل ينزجر عنه وان كان قد قتل مؤمنا وسال عن وعيد ذلك فيقال له في
الجواب ان الله يغفر لك لئلا ييأس من رحمة الله ويقنط عنها انتهى قلت والذي صح في معنى هذه الاية
كما في اللباب والكتب المعتبرة انها نزلت في من اسلم ثم قتل مومنا وارتد بعد ذلك وقتل وهو متعلق باستار
الكعبة وذلك لما روى ابو رزق انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني وكان اسلم هو واخوه هشام
فهاجر هشام الى المدينة فقتله بنو النجار خطا فجاء اخوه مقيس فوجد اخاه هشاما قتيلا في
بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
بني فهر وهو زهير بن عياض وكان من اصحاب بدر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم
ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ادفعوا اليه
ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته
فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له
كيف تقبل دية اخيك فيكون مسبة عليك اقتل الفهري الذي معك فيكون نفسا بنفس وتكون
الدية فضلا فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى
مكة كافرا وقال في ذلك ابياتا شعر ؞ قتلت به فهرا وحملت عقله ؞ سراة بني النجار ارباب
فارع ؞ وادركت ثاري واضطجعت موسدا ؞ وكنت الى الاوثان اول راجع ؞ فنزلت فيه
ومن يقتل مومنا وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها وهو
متعلق باستار الكعبة واختلف العلماء في حكم هذه الاية هل هي منسوخة او هي على ظاهرها ناسخة
لغيرها من ايات المغفرة وهل لمن قتل مومنا متعمدا توبة ام لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت
لابن عباس هل لمن قتل مومنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية
نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل
المومن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها شيء وفي رواية اخرى قال ابن عباس

نزلت

نزلت هذه الاية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني
عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله الى اخر الاية زاد في رواية
فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين وروى عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الاية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن
عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد
قال سمعت زيد بن ثابت يقول نزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الا بالحق
بستة اشهر اخرجه ابو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية له بثمانية اشهر وقال زيد بن
ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة
اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة والمراد بالغليظة هذه الاية التي في سورة النساء وباللينة اية الفرقان
وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال
بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النساء والمتقدم
لا ينسخ المتاخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في سورة النساء ايضا وهو قوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث
ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الاية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور
في الاية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخل النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يبقى بينهما
تعارض وذلك بان يحمل مطلق اية النساء على تقييد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من
تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة والزجر عن القتل فهو
كما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال لك
توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة
ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى
وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فما روى عن جابر بن عبد الله انه قال جاء اعرابي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل
الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم ق عن عبادة بن الصامت انه قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا
تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية لا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه
بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك
فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك

فصل

وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب علماء السنة
بان الاية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن ضبابة فتكون الاية على هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا
لقتله ومن استحل قتل مؤمن كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل

مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن اجزايه فعل اخرجه ابو داود
وقيل ان الخلود لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام
خوالد وذلك لطول مكثها لا للدوام بقايها واذ ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله
خالدين فيها ابدًا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا
كان معنى خلود المذكور في الاية ان يعذب قاتل المومن عمدًا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها
بفضله ورحمته وكرمه فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل
ان قاتل المومن عمدًا عدوانًا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان
الكفر اعظم من القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل اولى ولنذكر كلام استادي فيما نحن
بصدده وان كان فيه نوع تكرار مع ما مر من العبارات ولكن لكل عبارة حلاوة فنقول قال الاستادي
رحمه الله ولما ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد
وقد تايدت بما روى من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون
عند الله من قتل مومن وقوله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلًا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه
وقوله صلى الله عليه وسلم من اعان على قتل مومن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من
رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسك الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المومن عمدًا في النار
ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو رأى عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في
مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما اشتهرت حكايته ومرت في التفاسير قصته فان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص القاطعة
الناطقة بان عصاة المومنين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس انه لا توبة لقاتل المومن
عمدًا وكذا ما روى عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا اسئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة
الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابى الله ان يجعل لقاتل المومن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس ان رجلًا ساله الفاتل
المومن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا وهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت
كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت كيلا ييأس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة
ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروى
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه به قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله
وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان يجازه
بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال امام المفسرين علي بن احمد الشافعي الشهير بالواحدي والاصل في ذلك
ان الله عز وجل يجوز له ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له
ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور

لانه

لانه اخبار منه عز وجل بان جزاؤه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء
سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارًا بانه عز وجل يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله
عز وجل ويعفو عن كثير وقال امامنا القشيري كما يحرم قتل غيرك عليك يحرم قتل نفسك عليك
ومن اتبع هواه سعى في دم نفسه ومن لم ينصح مريدًا بحسن وعظه لم يغنه همه فقد سعى في دم
نفسه فهو ماخوذ بحاله وتحقيق بان يكون عقوبته الابدية ان لا يسمع بما ضر به على المريدين
من احواله ولقد قال الله تعالى يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما قال ابو يحيى في معنى قوله
وغضب الله عليه اي انتقم منه لاجل كفره وقتله المومن متعمدا وهو عطف على مقدر يدل عليه
الشرطية ولانه واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاؤه ذلك
قوله ولعنه اي وطرده من رحمته وابعده من فضله وقد ظهر ذلك فان النبي امر بقتله يوم فتح
مكة فقتله وهو متعلق باستار الكعبة وقيل وغضب الله لقتله بعد اخذ الدية ولعنه بقتله
غير قاتل اخيه وقيل وغضب الله عليه ولعنه معطوفان على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى
المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظايره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه ويلعنه
واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره لاجترايه على الله ورسوله يا ايها الذين امنوا
لما بين حكم القتل بقسميه وانما يتصور صدوره عن المومن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير
عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم وذهبتم
في طريق الله للغزو والجهاد مع الكفار ولما كان في اذا معنى الشرط صدر قوله فتبينوا بالفاء
اي فاطلبوا بيان الامر وثباته في كل ما تاتون وتذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وتامل وفكر وروية
قال الشيخ معناه اذا سرتم في طريق الغزو فتبينوا في قتل من تقتلونه قراءة الجمهور فتبينوا وقرا حمزة
والكساي فتثبتوا بالثاء المثلثة هنا وفي الحجرات من التثبت والمعنى على القراتين اي تعرفوا حال من
تقتلون وتثبتوا في قتله ولا تقدموا عليه من غير تامل قال ابن عباس نزلت الاية في رجل من بني مرة
ابن عوف يقال له مرداس بن نهيك العبسي من بني تيم بن مرة وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه
غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة
الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم لثقته بايمانه واسلامه فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين
فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة
ابن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدًا شديدًا وقد كان سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة
يا رسول الله استغفر لي فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن الا اسلمت يومئذ يعني وددت ان هذه الحادثة
وقعت لي في الجاهلية لا في الاسلام ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وفي

Copyright ... University

رواية امره برد ماله وتحرير رقبة مؤمنة وروى ابو ظبيان عن اسامة انه قال قلت يا رسول الله انما
قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس
قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم
فقالوا انما يسلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا اي فقفوا
وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدموا عليه **ولا تقولوا لمن
القى اليكم السلام** هنا نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتبيين لمادة مهمة من المواد
التي يجب فيها التبيين قراءة الجمهور السلام بالالف وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بكسر السين
وسكون اللام بغير الف فالاول بمعنى تحية السلام والثاني بمعنى الانقياد والاستسلام والخضوع
والمعنى ولا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية السلام او لمن القى اليكم الاستسلام والانقياد **لست
مؤمنا** اي لست من اهل الايمان وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا او تقية لحفظ مالك ونفسك بل اقبلوا
منه ولا تقتلوه اذا رأيتم على اسلام شخص امارة ظاهرة من نحو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم ولست مؤمنا في محل النصب بالقول وقرئ مؤمَنا بفتح الميم الثانية اسم مفعول من آمنته
اي مبذولا لك الامان وقال محمد بن اسحق نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم الخ في محلم بن جثامة كان
خارجا في غزاة فمر به عامر بن الاضبط الاشعري على قعود له فحياه وكانت بينهما احنة وبغض في
الجاهلية فقتل محلم عامرا واخذ ماله فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل العامر فدعا النبي صلى
الله عليه وسلم على محلم وقال في دعائه اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة فما استكمل سبعا من الايام حتى مات محلم
ودفن فلفظته الارض حتى اضجع بين الجرين واحكموا بالحجارة والطين فلفظته الارض ثانيا ثم
دفنوه ثالثا واحكم في البناء بالحجارة كثيرة فلفظته الارض ثالثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارض
لتقبل من هو شر منه ولكن الله تعالى اراد ان يريكم العبرة فنزلت يا ايها الذين امنوا الآية وقيل
نزلت الآية في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس
بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا
فقال صلى الله عليه وسلم افلا شققت عن قلبه وقوله **تبتغون عرض الحياة الدنيا** حال من فاعل
لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني والتثبت لكن على ان يكون النهي راجعا الى
القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا لست مؤمنا
حال كونكم طالبين لماله الذي هو منافع ومتاع وحطام وزخارف سريع الزوال والنفاد
قال الشيخ العرض المال سمي به لسرعة فنائه وروي عن عصام المزني انه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا او سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه
ابو داود والنسائي وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي او النصراني انا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه
يدعي ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى
يتبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الله

الى العرب

٢١

الى العرب خاصة لا انه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف ان محمدا رسول الله الى كافة الخلق وان الذي
كان عليه من التهود والتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله **فعند الله مغانم كثيرة**
تعليل للنهي عن ابتغاء عرض الدنيا ومتاعها مع ما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله
وغنمه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم مغانم الله عن ارتكاب ما ارتكبتموها من قتله
وقتل امثاله لماله ومتاعه الدنياوية وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن وقال
ابو القاسم معناه فعند الله غنائم كثيرة من رزقه تغنموها يغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام
ويتعوذ به وقال عمر النسفي معناه تطلبون متاع الدنيا وعند الله اجر عظيمة وقيل عند الله غنائم
كثيرة فاطلبوها من حيث اذن لكم واباح لكم وقوله تعالى **كذلك كنتم من قبل** تعليل للنهي عن
القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما
فيه من مراعاة المقارنة بين تعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآخرة وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي
التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في **فمن الله عليكم**
للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادئ اسلامكم لا يظهر منكم
للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها
دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم قال ابن الخير والمعنى كنتم اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم
بكلمتي الشهادة فحصنت لكم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم لالسنتكم انتهى وقيل قال اسامة
ابن زيد ان كان هذا مسلما فلم اقام بين الكفار فقال الله تعالى انكم كنتم تفعلون كذلك وقيل كذلك
كنتم كفارا من قبل هذا وقال ابن عباس معناه كذلك كنتم من قبل كفارا فتقاتلون عرض الدنيا وفي الكشاف
والمعنى كما كان هذا الذي القى اليكم السلام فقلتم لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان
يعز الله دينه وكنتم تستخفون انتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على
نفسه منه وقال ابو عيسى فمن الله عليكم بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله محمد رسول
الله او فمن الله عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقال سعيد بن جبير كذلك كنتم تخفون
ايمانكم من قومكم بمكة فمن الله عليكم بالهجرة حتى اظهرتم الايمان قال استادي وقد اظهر في زمننا هذا
من يأمر باخفاء التوحيد والمنع عن الجهر به وينسبون من يذكر جهارا الى النفاق ومرادهم كتم ذكر
الله ويجعلون كلمة النفاق والمرائية محنة لانفسهم والله حسيبهم والفاء في قوله تعالى **فتبينوا**
فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما
فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير توقف على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذي تقتضيه
جزالة التنزيل ويستلزمه فخامة شأنه الجليل قال البيضاوي والمعنى وافعلوا بالداخلين في الاسلام
كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر
اهون عند الله من قتل امرئ مسلم انتهى وفي الارشاد وعن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في
الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على

Copyright © King Saud University

مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمنّ الله عليكم بالاستقامة والاشتهار فى الايمان والتقدم فيه وان
صرتم فيه اعلاما فعليكم ان تفعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام
فى الكافة ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام الى اخره فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان
التخصيص الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة
واظهار ان ترتبه عليه فى حقهم يقتضى ترتبه عليه فى حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم
ولا يخفى ان ذلك انما يتاتى بتفسير منة الله تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم
واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم موجب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه
وحيث لم يعتقد ذلك بل فرع بما فسره به لم يبق فى النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم
على ما ذكر فى اين له ان يقول تحصنت دماؤكم واموالكم حتى يتاتى البيان وارتكاب تقديره بناء
على اقتضاء ما ذكر فى تفسير المنة اياه بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكر بصدد التفسير وان
كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليهم فى حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته فى حقه
بناء على ثبوته فى حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بامر له دخل فى وجوب
اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه فى سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا
الى اخره وحمل الكلام على معنى انكم فى اول الامر كنتم مثله فى قصور الرتبة فى الاسلام فمن الله عليكم
وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فاستقصروا حالته نظرا الى حالتكم هذه بل اعتبروها نظرا الى
حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه
فان الاية الكريمة فى شان مرداس بن نهيك كما هو مشهور بين المفسرين قوله فتبينوا فى القراءة
كالاولى وتكريره تاكيد لتعظيم الامر بالتبين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم والحاصل ان فى
تكريره تاكيد زجر على الاقدام والتعجيل على القتل بغير تحقيق **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**
اى عالما به وبالغرض منه فلا تقدموا على القتل ولا تتهاونوا وا حتاطوا فى ذلك فالجزاء على حسب
العمل ان خيرا فخير وان شرا فشر والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف قراءة الجمهور بكسر ان
وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ** عن الحرب
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** اى غير
اولى عاهة من عمى وزمن وغيرهما والاية فى بيان تفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت
درجات مساعيهم فى الجهاد بعدما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليانف القاعد عنه
ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة فى ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم
فى القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم وغير بالرفع صفة للقاعدين لجريانه مجرى النكرة لانه
لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائى غير بالنصب على الحال
من القاعدين او استثناء منهم وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه خ عن زيد
ابن ثابت رضى الله عنه انه قال املى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها على فقال والله يا رسول الله

لو استطع

لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله وفخذه على فخذى فثقلت
حتى خفت ان ترض فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر ف عن البراء
ابن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها
وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر وفى رواية
اخرى انه قال لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله وخلف
النبى صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوى القاعدون
من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير الجزرى
الكردى فى كتابه جامع الاصول واضافها الى البخارى ومسلم ولم اجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى
وفى هذه الاية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين
يعنى لا يعدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من المؤمنين **وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ** متعلق
بالمجاهدين **وَأَنْفُسِهِمْ** عطف على باموالهم يعنى غير اولى الزمانة والضعف فى البدن والبصر فانهم
يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد م عن جابر انه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا
معكم حبسهم المرض خ عن انس انه قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما
خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس رضى الله
عنهما انه قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها ونظير هذه الاية
قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ففى هذه تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضى
وفى التيسير ثم استثناء اولى الضرر من القاعدين ليس لالحاقهم فى الدرجة والثواب فان العذر
لاسقاط الجرح والتكليف لا غير لكن معناه انه تحريض على الجهاد والاستثناء لبيان انهم غير
مرادين بالتحريض لا انهم كالمجاهدين فى الاثابة والتفضيل قال الله تعالى ليس على الاعمى حرج الاية
انتهى قال الكواشى والوقف الكافى على قوله وانفسهم لان ما بعده جملة موضحة لنفى التساوى بين القاعد
والمجاهد كانه قيل ما لهم لا يستوون فقيل **فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ**
قال الكواشى اى على القاعدين عذرا **دَرَجَةً** لان المجاهد مباشر مع نية والقاعد له نية ولا مباشرة
وقال المحلى على القاعدين لضرر عذر درجة من حيث الفضيلة لاستوائهما وزيادة المجاهد بالمباشرة
قال ابو الخير وجملة فضل الله المجاهدين موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد
السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع
موقع المرة منه اى فضلهم تفضيلة كضربه سوطا اى ضربة وقيل نصبه على التمييز وقيل على الحالية
من المجاهدين اى ذوى درجة وتنوينها للتفخيم قال صاحب الارشاد قوله فضل الله استيناف مسوق
لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبنى
على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الى اخره واما تقدير ما لهم لا يستوون
فما لا يليق بجعل الاستيناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذى حق

Copyright © King Saud University

ان يكون مقصوداً بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما
فقصارى امره ان يكون توطية لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للجهد فتقيد كون الجهاد في سبيل
الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني **وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ** وكلاً مفعول
اول لقوله وعد الله ومفعوله الثاني الحسنى وانما قدم عليه لافادة القصر تاكيداً للوعد اى كل واحد
من فريقي القاعدين والمجاهدين وعد الله الجنة بايمانهم وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين
بدرجة وفي اللباب وقال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى
الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولى الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا
الجهاد فنزلوا عن المجاهدين بدرجة وفي التيسير وعد الله الجنة كل المؤمنين المجاهدين والقاعدين
بعذر والقاعدين بغير عذر وهذا لان الجهاد فرض كفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقين
وفي الارشاد وكلا وعد الله الحسنى اى مثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله وارسلناك
للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جئ به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين
على الاخر من حرمان المفضول **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ** مطلقاً اولى الضرر او غير عذر قال
الاستاذ وهذا عطف على قوله فضل الله الى اخره واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر القيود التي تركت
على سبيل التدريج وقوله **أَجْرًا عَظِيمًا** مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجرهم اجراً وايثار ما هو مصدر
من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجراً لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء اى اعطاهم
زيادة على القاعدين اجرا عظيما قيل هو منصوب بنزع الخافض اى فضلهم باجر عظيم وقوله **دَرَجَاتٍ**
بدل من اجراً بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله **مِّنْهُ** متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة
على فخامتها وجلالة قدرها اى درجة كائنة منه عز وجل ويجوز ان يكون انتصاب درجات على
المصدرية كما في قولك ضربه اسواطاً اى ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات قال ابو يحيى في قوله درجات
منه هو تفسير للاجر العظيم والدرجات هي المنازل بعضها فوق بعض من الكرامة وقال قتادة كان يقال
للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات
هن سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله
ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس
الجواد المضمر سبعين خريفاً وقال السدي هي سبعمائة درجة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها
سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة
في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله خ
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلوة
واتى الزكوة وصام رمضان وحج كان حقاً على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه
التي ولد فيها فقالوا او لا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها للمجاهدين في سبيل الله ما بين
الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة
وفوقه

٣

وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الاية الاولى درجة
واحدة وذكر في هذه الاية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فلتفضيل
المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان يكون
الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات الثانية درجات الجنة ومنازلها كما في قوله
عز وجل **وَمَغْفِرَةً** بدل من اجراً بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اى مغفرة لما يفرط
منهم اى من الذنوب التي لا يكفرها ساير الحسنات التي يأتي بها القاعدون ايضاً حتى تعد من
خصايصهم وقوله عز وجل **وَرَحْمَةً** بدل الكل من اجراً مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما
باضمار فعلهما اى غفر لهم مغفرة لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ورحمهم رحمة ورافة قال ابو يحيى ولعل
تكرير التفضيل بطريق العطف المبني عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وتارة بدرجات مع اتحاد
المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف
الذاتي تمهيداً لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا
نجينا هوداً والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل المجاهدين على
القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها ولا يبلغ غايتها وحيث كان تحقق هذا البون
البعيد بينهما موهماً لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير
بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف
بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى
واعطاهم عاجلاً في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل
الثاني ما انعم به في الاخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير
الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الاخرة
درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني بالجنة توضيحاً لحالهما
ومسارعة الى تسلية المفضول والله اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولى الضرر
واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي
اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلدلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد خلفتم في المدينة اقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت
جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر وغيره وقد روي عنه بعبارة
اخرى ان في المدينة اقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم
بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر
قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون
الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل
من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية انتهى ما افاده ابو يحيى وما وقع
من التكرار في العبارات المذكورة صحيح لا ضير فيه لبعده عن الحشو المخل بالكلام كما يفهم الاذكياء

Copyright King Saud University

وأما البقر فله القمر وقال ابو الحسن الكوفي وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من
جاهد نفسه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقيل في قوله
لا يستوى القاعدون الاية استثنى القاعد بعذر والحقه بالمجاهد في الثواب لتحسره على ما فات
وعلى ذلك يحمل قول النبي الجمعة حج المساكين وقوله الصلوة قربان كل تقي وقال الامام القشيري
جمع الله اولياءه في الكرامات حيث قال وكلا وعد الله الحسنى لكنه غاير بينهم في الدرجات فرب غني
وغيره اغنى منه ومن كبير وغيره اكبر منه هذه الكواكب منيرة ولكن القمر فوقها واذا طلعت الشمس بهرت
جميعها بنورها ثم ذكر تذييلا لتقرير ما مر من وعد المغفرة والرحمة بقوله وكان الله غفورا
لما عسى يفرط من عباده المومنين من الذنوب والمعاصي رحيما بهم يتفضل عليهم بما وعدهم
من المغفرة والرحمة عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل ايما
عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما اصاب من اجر
وغنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي فصل اعلم ان الجهاد عندنا ينقسم الى
فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المومنين وبلادهم فيجب على
كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن
انفسهم وعن اهلهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق
من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب
منهم المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق
الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين
في بلادهم فعلى الامام ان يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او بسراياه حتى لا يبطل
الجهاد لمطلق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد
المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق
القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم بمراده واسرار كتابه ان الذين توفاهم
الملئكة ظالمي انفسهم وهذه الاية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس ٤١
ابن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا
معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الاية ان الذين توفاهم الملئكة يعني ملك الموت واعوانه
وهم ستة ثلثة منهم يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ
الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع كما يسمى جبريل وحده بذلك في قوله فنادته الملئكة
وهو قائم وفي معنى التوفي هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول
الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ومعنى ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل
بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر
اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين
وقيل ظالمين انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت
الملئكة

٣ الملئكة وجوههم وادبارهم قال الفرا محمد بن يزيد في قوله توفيهم هو فعل مضارع واصله تتوفاهم
سقطت احدى التائين تخفيفا فهو على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورها وبعضهم
قراة من قرا توفاهم مجهولا على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملئكة انفسهم فيتوفونها اى
يمكنهم من استيفائها فيستوفونها وقال بعضهم هو فعل ماض ويؤيده قراة من قرا توفتهم
قال ابو يحيى وتنصب ظالمي انفسهم على الحالية من ضمير المفعول في توفاهم فانه وان كان
مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ
كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اى محلين الصيد وبالغا
الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل حال كونهم ظالمين انفسهم اى انفسهم المقبوضين وسقطت النون
للاضافة وظلمهم انفسهم هو تركهم الهجرة والمقام في دار الشرك ثم الردة والعياذ بالله قالوا اى
قال الملئكة للمتوفين ببدر وكانوا اربعين او خمسين وقصتهم تقدمت عند قوله فما لكم في المنافقين
فئتين والحاصل ان الملئكة قالوا للمتوفين وسالوا منهم فيم كنتم ذلك تقريرا لهم بتقصيرهم في
اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم وتعريضا بذلك فيم كنتم اى
في اى شيء كنتم من امور دينكم حتى شغلكم عن الهجرة والجهاد او في اى الفريقين كنتم في فريق المسلمين
او المشركين فاعتذروا بالضعف والعجز عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم انهم
قالوا كنا مستضعفين في الارض اى عاجزين عن الهجرة من ارض مكة وعن القيام بموجب الدين
بين اهل مكة اى كان اهل مكة يقهروننا فاخرجونا معهم لقتال المسلمين كارهين فتركنا الهجرة
واظهار الدين واعلاء كلمته لذلك قالوا اى قال الملئكة ابطالا لتعللهم وتبكيتا وتوبيخا
وتقريعا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها قال النسفي والمعنى ان الملئكة قالوا
لهم الم تكن ارض المدينة امنة واسعة الرزق فتهاجروا اليها وهذا استفهام بمعنى الاثبات وهو رد
عليهم عذرهم ثم هذا الخطاب والجواب في حال سكرات الموت وان كان لا يجري بين المحتضر وساير
البشر فانه جاير بينه وبين الملئكة لانه لهيبتهم شغل عن غيرهم فيجوز شغله بهم وقال الامام
ابو منصور رحمه الله يقولون لهم هنا في الاخرة ويجوز ان يكون في القبر فقد ذكر هذا بعد التوفي
ودل ذلك على سوال القبر وقال الامام القشيري رحمه الله الاشارة منه الى ان من ادركه الاجل وهو
في اسر نفسه وفي رق شهواته لم يبق له عذر حيث لم يهاجر الى محل قربته ليتخلص من هوى نفسه
اذ لا حجاب بينك وبين هذا الحديث الا هواك فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا قال الكلبي
هم اسلموا بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة
ابن ربيعة وابو قيس الفاكه بن المغيرة وعمرو بن امية بن سفيان بن امية بن عبد شمس والعلا بن امية
ابن خلف ثم انهم اقاموا بمكة ولم يهاجروا الى المدينة وخرجوا مع المشركين الى قتال بدر فلما راوا
قلة المومنين شكوا في نبوة النبي فقالوا غر هولاء دينهم فلما قتل هولاء ببدر قال لهم الملئكة فيم كنتم الى
اخره انتهى وقال البيضاوي والمعنى قال لهم الملئكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة انتهى قال استادي وارضاه في هذه الاية

هي ارض المدينة كبيت الله والمعنى ان الله اكذبهم في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم حيث قال
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وفي الارشاد قال الملٰئكة ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله
من هاجر الى المدينة والى الحبشة وانما جعل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملٰئكة
تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم
الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا
لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة
قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة
واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملٰئكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك
منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون
جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين
ثم رد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة انتهى وفي المدارك نصب
فتهاجروا على جواب الاستفهام انتهى وفي تفسير احمد الكواشي وتلخيص الحي كنتم قادرين على
الخروج الى بعض البلاد فلم تخرجوا **فاولٰئك مأواهم جهنم** اي فاولٰئك الذين حكيت احوالهم
الفظيعة ونعوتهم القبيحة منزلهم في الاخرة النار لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار فاولٰئك
مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر اولٰئك وهذه الجملة خبر لان الذين والفاء في قوله فاولٰئك لتضمن اسم
ان معنى الشرط وذلك لان الذين من الابهام المشابه بالشرط وقوله قالوا فيم كنتم حال من الملٰئكة باضمار قد
عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه
مستنتجة منه ومما في حيزه **وساءت مصيرا** اي بئس المصير مصيرهم الى جهنم وفي الاية دليل على
وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه كما يجب قال احمد الكواشي في تفسيره وفي
الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام وقال الامام القشيري الشافعي صاحب الرسالة من هاجر
في الله مما سوى الله وصح قصده الى الله تعالى وجد نفحة في عقوة الكرم ومقيلا في ذرى القبول
وسعة في كنف القرب والمهاجر في الحقيقة من هجر نفسه وهواه ولا يصح ذلك الا بانسلاخه من
جميع مراداته ومن قصده ثم ادركه الاجل قبل وصوله فلا ينزل الا بساحات وصله ولا يكون محط رحله
الا اوطان قربه انتهى اللهم انت حسبي تخلص هجرتي من دياري الى جوار نبيك وطيبته فلا تخرجني
من مدينته الا لزيارة بيتك والرجوع اليها والموت بها والدفن بالبقيع ولا تجعلني كمن اشتهر لجوار بيت
الله ثم الموت اشرف البلاد من زمخشر ونحوه من ديار الرفض وفي الارشاد وقال المفسرون كل هجرة في غرض
ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله ورسوله ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفهم
فقال الله عز وجل **الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان** الذين **لا يستطيعون** اي لا يقدرون
على **حيلة** من وجدان اسباب الهجرة الى المدينة اما لضعف قوة في البدن او لعدم من الزاد في النفقة
والركب

٣
والمركب **ولا يهتدون سبيلا** اي لا يعرفون طريقا الى ارض الهجرة ولا يجدون من يهديهم قال عمرو بن عطا
المديني ولما نزل الوعيد السابق قال المسلمون هلك اخواننا الذين بمكة فنزل قوله الا المستضعفين
الى اخره قال ابو ايوب والاستثناء على قول عمرو منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة
اليه ومن في قوله من الرجال الى اخره متعلقه محذوف وقع حالا من المستضعفين اي حال كونهم كائنين
منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك فظاهر وان اريد بهم الصبيان والاطفال فللمبالغة في امر الهجرة
وايهام انها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب
عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم واولياءهم يجب
عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
اي للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل كلها نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف
التعريف في الظاهر فليس للتعريف في الحقيقة اذ لا توقيت فيه اذ ليس تعريفه لشيء بعينه وخصوصه فهو
كقوله ❁ ولقد امر على اللئيم يسبني ❁ ويجوز ان يكون حالا عن المستضعفين او عن الضمير المستكن فيه
فاولٰئك عسى الله ان يعفو عنهم واسم الاشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات
العجز اي عسى الله ان يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله
تعالى اذا اطمع عبدا اوصله اليه قال الواحدي اخلاق الكريم اذا اطمع انجز وفي الارشاد وجيء بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها
عليه ذنبا يجب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا **وكان الله عفوا غفورا** لعباده قبل
ان يخلقهم وهذا تذييل مقرر لما قبله قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلوة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف وقال ابن عباس رضي الله عنهما ايضا لما نزلت هذه الاية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مسلمي مكة فلما سمعها رجل من بني ليث من المجذوح وكان شيخا كبيرا وبه مرض يقال له جندب بن ضمرة
او جندع بن ضمرة قال لبنيه اخرجوني واحملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق
واجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة فحمله بنوه على سرير
متوجها الى المدينة فمات بالتنعيم فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك
ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى
المدينة ولحق بنا لاتم الله اجره وثوابه وضحك المشركون من مقالته ومبايعته وقالوا ما ادرك ما طلب
فاعلم الله انه لا يخيب من التمس رضاه فانزل فيه **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في
الارض مراغما كثيرا** قال الزجاج يعني مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا لان المهاجر لقومه
والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم
انفه اذا لصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه

Copyright ... University

كناية عن حصول الذل له ويقال له راغمت فلانا يعني هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه ويقوي ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج عن بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفرا المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى الى بلد غير داني المحل بعيد المراغم والمضطرب فعلى هذا يكون معنى الاية يجد منها يذهب اليه اذا راى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة في معنى المراغم قال ابو يحيى والمعنى عند المحققين ان المهاجر يجد في الارض متحولا من الرغام وهو التراب او يجد طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وفيه ترغيب في المهاجرة وتانيس لها وقال ابن عباس معناه يجد متحولا يتحول اليه من ارض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه اي يجد مكانا يتحول اليه على رغم انف اعدايه وقيل المراغم والمهاجرة واحد يقال راغمت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لان المهاجر يراغم قومه ويرغمهم وقال السدي معناه يجد مبتغى معيشة وقال المبرد يجد مضطربا متحولا من الكفر الى الايمان واصله من الرغام وهو التراب اي يجد تربة غير تربته وقال ابو عبيدة والقتبي في قوله مراغما اي مهاجرا وهذا هو الحق فان المراغم موضع المراغمة وهي المهاجرة على رغم من كان فيهم وقرى مرغما قوله **وسعة** اي اتساع رزق وقيل توسيعا من تضييق الكفار عليه وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها اول والحمد لله على زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليه في كل حين والسعة في الرزق والرغد في العيش والرضى بلأواء المدينة من جهة اخرى **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله** اي الى حيث امر الله ورسوله ومهاجرا حال من الضمير في يخرج **ثم يدركه الموت** في الطريق قبل بلوغ مهاجره كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي وفي الارشاد معناه ثم يدركه الموت قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة ويدركه بالجزم عطف على من يخرج اي على فعل الشرط وقرى ثم يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي ثم هو يدركه وقيل هذا الرفع هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله ⁂ من عنزي سبني لم اضربه ⁂ وصدر البيت ⁂ عجبت والدهر كثير عجبه ⁂ وقرى ثم يدركه بالنصب كما في قوله ⁂ والحق بالحجاز فاستريحا ⁂ اي فان استريحا **فقد وقع اجره على الله** الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى فقد ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب هذا ما افاده البيضاوي وقال استاذي رحمه الله والمعنى فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وختم قوله **وكان الله غفورا رحيما** اي ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا **واذا ضربتم في الارض** اي اذا سافرتم في الارض **فليس عليكم جناح** اي ليس عليكم اثم ولا حرج **ان تقصروا من الصلوة** اي بتنصيف ركعاتها بان تردوا ذوات الاربع منها الى اثنين كالظهر والعصر والعشاء ولا يعتبر البطؤ والاسراع في جواز القصر فلو سار مسيرة ثلثة ايام في يوم قصر وان سار مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر والقصر عندنا رخصة فيجوز الاتمام والقصر ولكن القصر افضل من الاتمام واما عند ابي حنيفة فالقصر عزيمة فلا يجوز الاتمام والاكمال ودليلهم حديث

ابن عباس

٤٢

ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين ودليلهم ايضا قول عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ودليلهم ايضا قول النبي صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته رواه النسائي وابن ماجة فظاهر الامر للوجوب ودليلهم ايضا قول عايشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر رواه الشيخان والجواب ان حديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز وكذا قول عمر وعايشة ظاهرها يخالف الاية اذ ظاهر الاية التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل فان صحت الرواية عنهما فقول عمر مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء وقول عايشة لا ينفي جواز الزيادة في قولها فان المفهوم من الاية انه يجوز للمسافران يقصر الرباعية على ركعتين وان يزيد عليها ويمكن تاويل قول عايشة بانه اقرت الصلوة في الاجزاء في السفر واجزت الزيادة في الحضر وقال السلطان بعد قوله والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه ليطيب به انفسهم واما الامر فهو للاباحة لا للوجوب لما مر وذهب جابر الى ان ركعتي المسافر ليستا بقصر انما القصر ان يصلي ركعة واحدة في الخوف وهو قول عطا وطاوس والحسن ومجاهد وجعلوا شرط الخوف المذكور في الاية باقيا وذهب اكثر اهل العلم الى ان الاقتصار على ركعة واحدة لا يجوز خايفا كان او آمنا واختلفوا في حد ما يجوز فيه القصر وكان جابر بن زيد يقصر بعرفة فعنده السفر القصير والطويل سواء في القصر وعند الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في اربعة برد وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحاق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي قال مسيرة ليلتين قاصدتين وقال في محل آخر ستة واربعين ميلا بالهاشمي والحاصل اقل سفر يقصر فيه ان يكون طوله ستة عشر فرسخا بالهاشمي ذهابا لا ايابا كل فرسخ ثلثة اميال كل ميل اربعة الاف خطوة كل خطوة ثلثة اقدام ويعتبر تحديدا فلو نقص شيء لم يقصر والمسافة في البحر كالمسافة في البر وان قطعها في ساعة وقال سفيان الثوري واصحاب ابي حنيفة مسيرة ثلثة ايام واما ما تعلق به ابو السعود في تفسيره من ذكر الدلايل والاعتذار فهو محذور وقال شيخنا لو كان يفهم مراد القاضي ما كان يحوم حول الحمى وقرى تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة بتبعيض من عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش **ان خفتم** من اتمامها **ان يفتنكم** اي ان يقاتلكم وينالكم بمكروه **الذين كفروا** بيان للواقع اذ ذاك فلا مفهوم له وجواب ان خفتم محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة وهذا الشرط خارج مخرج الغالب في ذلك الوقت اذ غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لا يعتبر في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وفي قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقد تظاهرت السنن على جواز القصر ايضا في حال الامن روى الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة لا يخاف الا رب العالمين يصلي ركعتين الى مكة وروى مسلم عن يعلى بن امية سالت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما لنا نقصر

Copyright ... University

وقد امن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق
الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقال الامام ان الكلام قد تم عند قوله ان تقصروا من الصلوة وقوله
ان خفتم كلام مستأنف وجوابه محذوف وتقديره فاحتاطوا وتأهبوا وان المراد به القصر من شروطها
واركانها حالة اشتداد الخوف بترك الركوع والسجود والنزول عن الدابة واستقبال القبلة ونحو ذلك
لا من عدد الركعات وذلك القصر مشروط بالخوف انتهى وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم
على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم فان استمرار الاشتغال
بالصلوة مظنة لاقتدارهم وان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اي ظاهر العداوة فتحرزوا
عنهم اينما كنتم ولا تغفلوا من خدعهم ثم بين لهم صلوة الخوف بالخطاب للنبي عليه السلام فقال
واذا كنت يا محمد حاضرا فيهم اي في الخائفين فاقمت لهم الصلوة اي فاردت ان تقيم
للمؤمنين الصلوة وهذا جرى على عادة القران في الخطاب فلا مفهوم له تعلق بمفهومه من خص صلوة
الخوف بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل جماعته وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها
لتقتدي بك الائمة بعدك وانهم نواب عنك فيكون حضورهم كحضورك كانه قيل واذا كنت انت فيهم
ومن يقوم مقامك فاقمت لهم الصلاة فلتقم اي فلتقف طائفة منهم معك وتتأخر طائفة
يعني فاجعلهم الامام طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو
تحرسهم فاذا صلى بمن معه ركعة قام وثبت قائما حتى اتموا صلاتهم وذهبوا الى وجاه العدو ثم
اتت الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية وثبت جالسا حتى اتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم
وهذه رواية سهل بن ابي حثمة بان النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك بذات الرقاع واليه ذهب الشافعي ومالك
واحمد واسحاق رحمهم الله وعند اهل الكوفة اذا قام الامام الى الركعة الثانية تذهب الطائفة الاولى في
خلال الصلاة الى وجاه العدو وتاتي الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون
بل يذهبون وجاه العدو وتعود الطائفة الاولى فتتم صلاتها ثم تعود الثانية فتتم صلاتها قال محيي
السنة ان رواية سهل اشد موافقة لظاهر القران واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو وذكر
لذلك دليلا مبينا وليأخذوا اي الطائفة التي قامت معك يصلون اسلحتهم معهم حزما وقيل الضمير
للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم وان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان
للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والجنبية ويحتمل ان يكون امرا
للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط فاذا سجدوا يعني المصلين السجدة المعلومة اي
اذا صلوا فليكونوا اي غير المصلين اي الطائفة الاخرى من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم
ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا وهم الذين كانوا
في وجه العدو لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك وظاهر الاية يدل على ان الامام يصلي مرتين
بكل طائفة ركعتين قال البغوي ولو صلى الامام اربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز ذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم صلى بذات الرقاع بطائفة ركعتين فتأخروا ثم صلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكانت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس

صلاة

صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى بهم ركعتين
ثم سلم وليأخذوا حذرهم اي تحرزهم وتيقظهم واسلحتهم معهم الى ان تقضوا الصلوة وقد نقل صلى
الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان قال السلطان جعل الله الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه
وبين الاسلحة في وجوب الاخذ قال الشيخ وفي ضم الحذر الى الاسلحة رحمة للخائف في الصلاة بان يجعل بعض
فكره في غير الصلاة ونظيره قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان يعني جعل الايمان كالمحسوس كما جعل الحذر
قلت وهذا من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه الحذر الذي هو المعاني بآلة محسوسة يستعملها الغازي
وجعل اثبات الاخذ له دليلا على هذا التشبيه المضمر في النفس فيكون استعارة تخييلية ود الذين
كفروا اي يتمنى الكفار لو تغفلون اي لو وجدوكم غافلين اذا قمتم الى الصلاة عن اسلحتكم و
امتعتكم يعني تمنوا ان ينالوا منكم غفلة وغرة في صلاتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة اي فيشدون
عليكم شدة واحدة فيقتلونكم وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح والمراد بالامتعة هنا
ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
من السقم في المزاج او من الجراحة في البدن ولم يقل مرضى لعدم دلالته على العموم وهو المراد ان
تضعوا اي ان تزيلوا عنكم اسلحتكم رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض لان السلاح يثقل حمله
في هاتين الحالتين وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب ثم امرهم مع ذلك باخذ الحذر
فقال وخذوا حذركم اي وراقبوا العدو كيلا يهجم عليكم العدو غفلة قال النيسابوري وكما ان الاية دلت
على وجوب الحذر عن العدو كذلك تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان
الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قال الكلبي عن ابي
صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا وهم لا يرون من العدو احدا فوضع الناس
اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وكان قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي فجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من
الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله الا وهو قائم على راسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد
من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث
بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها
بين كتفيه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن
قال لا احد قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا
اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه قال غورث والله لانت خير
مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فآمن
بعضهم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرأ هذه الاية
قلت هذا من نظائر ما وقع للخليل حين الرمي الى النار بل اعظم لكون هذا اقرب الى الهلاك قال سعيد
ابن جبير عن ابن عباس في هذه الاية كان عبد الرحمن بن عوف جريحا ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا اي ذا اهانة يهانون فيه فهو وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم

لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا
فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله **فاذا قضيتم الصلوة** اى اذا اديتم وفرغتم
من الصلوة **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** اى فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال
او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما محاربين بالسيوف ومقارعين
بالرماح وقعودا جاثين على الركب مرامين بالسهام وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فالشافعى اوجب
الصلوة على الخايف بكل حال وابو حنيفة يبطلها بحال القتال فاذا اتى قضاها وعبارة الامام فاذا
قضيتم الصلوة اى فرغتم من صلوة الخوف فاذكروا الله اى صلوا لله قياما فى حال الصحة وقعودا فى
حال المرض وعلى جنوبكم عند الجرح والزمانة وقيل فاذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على
كل حال وعن عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه **فاذا اطمانتم**
اى سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم **فاقيموا الصلوة** اى ادوها بحقوقها يعنى تعدلوا واحفظوا
اركانها وشرايطها واتوا بها تامة اى اتموها اربعا **ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا** اى
مكتوبا يعنى مفروضا **موقوتا** اى محدد الاوقات فلا يخرج عنه تفصيله فرضا محدودا لا يجوز اخراجها عن
اوقاتها على اى حال كنتم خوف او امن وهذا تعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن ودليل ظاهر على ان
المراد بالذكر الصلوة فانها واجبة الاداء على المحارب فى حال المسايفة والمشى والاضطراب فى المعركة اذا
حضر وقتها فاذا اطمان فعليه القضاء فى احق قول امامنا محمد بن ادريس ابن عم الرسول وفى قوله الاخير
انه لا قضاء واما عند ابى حنيفة فهو معذور فى تركها الى ان يطمئن ثم يقضيها كما ذكرنا وقيل معناه
فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتاييد فى كافة
احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعايه والالتجاء
اليه وانما قال على المؤمنين لان الكلام فى اداء الصلوة والايمان شرط لصحته وان لم يكن شرط وجوبها
ونزل لما بعث النبى طايفة فى طلب ابى سفيان واصحابه لما رجعوا من احد فشكوا الجراحات **ولا تهنوا**
اى ولا تضعفوا ولا تتوانوا ولا تكسلوا **فى ابتغاء القوم** اى فى طلب الكفار بالقتال اى ابى سفيان
واصحابه وقوله **ان تكونوا تالمون** اى تتوجعون من الم الجراح **فانهم يالمون** اى يجدون الم الجراح
تعليل للنهى وتشجيع لهم **كما تالمون** اى كما تتوجعون من الجراح اى ليس ما تقاسونه من الالام
مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك مع ان جهادهم للشيطان ومالهم
النار فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى بالصبر منهم حيث **وترجون** انتم **من الله** من اظهار دينكم على ساير
الاديان ومن الثواب فى الاخرة على سعيكم **ما لا يرجون** اى ما لا يخطر ببالهم مما ترجون انتم من امور الدين
وان كان لهم رجاء فى محاربتهم معنا لكن رجاؤهم طمع بناؤه على الباطل وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف
اى تخافون من الله ما لا يخافون وقرى ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون
قوله فانهم يالمون علة النهى عن الوهن لاجله **وكان الله عليما** باحوالكم واعمالكم وضمايركم لانه
احاط بكل شى علما **حكيما** فى كل شى وفيما دبر وامر ونهى **انا انزلنا اليك الكتاب** اى القران **بالحق**
متعلق بانزل اى بالامر والنهى والفصل **لتحكم بين الناس** والاية نزلت فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق

درعا

درعا من جار له قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها
عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم
فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد
له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل
عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودى وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرى اليهودى
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك اعتمادا على شهادتهم فنزلت رواه الترمذى وفى
رواية فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظر الوحى فنزلت واطلعه الله على حقيقة الحال وفى
العيون ان طعمة بن ابيرق كان منافقا شاعرا يهجو اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم **بما اراك الله**
اى بما عرفك واوحى اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل وفى بعض التفاسير
بما الهمك الله بالنظر فى الاصول المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى حقه عليه السلام **ولا تكن
للخائنين** اى لاجلهم والذب عنهم **خصيما** للبرآء اى معينا ودافعا عنه اى لا تخاصم اليهود لاجل طعمة
وعشيرته بنى ظفر **واستغفر الله** مما هممت به قال مقاتل من جدالك عن طعمة او استغفر الله لما طرا
على قلبك اعتمادا على شهادتهم اولا ولكن الذين يذبون عن طعمة ويشهدون كذبا واعلم ان النهى
عن الشئ لا يقتضى حصول المنهى عنه وكفى شاهدا على براءته عليه السلام قوله تعالى ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا نفى الله عن نبيه قرب الركون الذى هو الميل اليسير فضلا عن وقوع
الميل لانه ثبت فى رواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه عليه السلام ان يدفع التهمة عن طعمة ويلحق
السرقة باليهودى توقف وانتظر الوحى كما ذكرنا او لعل القوم شهدوا بسرقة اليهودى وبراءة طعمة
ولم يظهر للرسول عليه السلام ما يوجب القدح فى شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودى فاطلعه
الله على حقيقة الحال وامره بالاستغفار لا ولئك الذين يدعون براءة طعمة **ان الله كان
غفورا رحيما** اى مبالغا فى الرحمة والمغفرة لمن يستغفره او يستغفر له الرسول **ولا تجادل** اعتمادا
على غفران الله ورحمته **عن الذين يختانون انفسهم** اى يخونونها ويظلمونها بالخيانة
والسرقة وانواع المعاصى والمراد بالموصول طعمة وامثاله او هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه
فانهم اثموا وخانوا بالشهادة الكاذبة **ان الله لا يحب من كان خوانا** اى مبالغا مفرطا فى
الخيانة مصرا عليها **اثيما** منهمكا فيه وانما ذكر بلفظى المبالغة لانه تعالى علم من طعمة انه مفرط فى
الخيانة وركوب الاثم مجبول على الخيانة مايل بالطبع الى الاثام والمعاصى يباشرها متى تمكن منها حتى
كان مباشرتها سببا لموته وهلاكه مرتدا كما روى انه عليه السلام حكم عليه بالقطع فهرب الى مكة مرتدا
ونقب حايطا بمكة ليسرق متاع اهله فسقط الحايط عليه فقتله قال البغوى والاستغفار فى حق الانبياء
بعد النبوة على احد الوجوه الثلثة اما الذنب تقدم قبل النبوة قلت والحاصل ان الانبياء معصومون
قبل النبوة وبعدها او لذنب امته وقرابته او لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار والاستغفار
يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع **يستخفون من الناس** يريد بنى ظفر اى يستترون منهم حياء
وخوفا من ضررهم وهم لا يعلمون بواطنهم **ولا يستخفون من الله** اى ولا يستحيون منه وهو

احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم اى لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبح ويؤاخذ عليه وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ماهم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم انهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة اى لا يستترون من الله لانه ليس لهم استخفاء منه فانه الذى ثمرته الخوف والحياء من الله سبحانه قال عليه السلام انا اعرفكم بالله واخوفكم منه بين ان زيادة الخوف من زيادة العرفان قال محمد بن الفضل من لم يكن اعظم شئ فى قلبه ربه كان جاهلا ومبعدا عنه اذ يبيتون اى يدبرونه ويزورونه ويقولون ليلا ما لا يرضى من القول اى من رمى البرئ بالخيانة وتبرئة الخاين والحلف الكاذب وشهادة الزور وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى عليه السلام فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع من اليهودى لانه كافر فلم يرض الله ذلك منهم وفضحهم عند نبيه واصحابه وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عن علمه شئ من اعمالهم الظاهرة والباطنة ثم يقول لقوم طعمة ها انتم يا هؤلاء اى يا قبيلة طعمة ها للتنبيه فى انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر فهو تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع وقيل تقريع لبعض المؤمنين حيث ساعد طعمة وقومه بدفع الحد عنه جادلتم عنهم اى خاصمتم عن طعمة وفى قراءة ابى عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله وسلمنا لكم ذلك فى الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا وصلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يعنى عن طعمة وامثاله يوم القيمة اذا اخذه الله بعذابه وعقابه اى ايكون هناك من يستر عليه او يدفع عنه فضاحته ام من يكون عليهم وكيلا اى يتولى امره ويذب عنه او حافظا ومحاميا له من باس الله تعالى وانتقامه اى لا احد يفعل ذلك ثم لما ذكر الوعيد اتبعه بالدعوة الى التوبة فقال ومن يعمل سوءا اى من يعمل قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة او السوء السرقة والظلم رمى البرئ ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه حث ومزيد ترغيب للمذنبين على التوبة والاستغفار ويدخل فيهم طعمة وقومه دخولا اوليا فان قلت حق العبد لا يسقط بالاستغفار قلت المراد من الاستغفار ههنا التوبة بشرايطها ومنها استحلال حق الغير او الاداء روى ابو سفيان عن ابن مسعود انه قال من قرأ هاتين الايتين من سورة النساء ثم استغفر غفر له وعن على رضى الله عنه قال حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر الله الا غفر له ثم تلا هذه الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ومن يكسب اثما اى ذنبا من الذنوب فانما يكسبه على نفسه اى فلا يتعداه وباله الى غيره كقوله وان اسأتم فلها فليحترز عن تعريض النفس للعقاب والعذاب عاجلا واجلا قال محى السنة المراد بالاثم قول طعمة بالباطل انه ما سرقه انما سرقه اليهودى والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصفه تعالى بالكسب وكان الله ولم يزل عليما بسارق

الدرع حكيما حيث حكم بالقطع على السارق او حكيما لا يؤاخذ احدا بذنب غيره ومن يكسب خطيئة اى صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما اى ذنبا كبيرا او ما كان من عمد ثم يرم به اى يقذف بما جنى وينسبه بريئا عما رماه به كما رمى طعمة زيدا اليهودى وضمير به للاثم وقيل لاحد الامرين المذكورين ومن يرمى البرئ بالخطيئة يكون باهتا لقوله فقد احتمل اى تحمل بهتانا وهو الكذب يرمى به الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهو له واثما مبينا اى ذنبا بينا لانه بكسب الاثم اثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الامرين وروى مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرأيت ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ولولا فضل الله عليك بالرسالة والوحى باعلام ما همت عليه ورحمته اى ولولا عصمته والطافه لهمت اى اضمرت طائفة منهم اى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة ان يضلوك اى بان يخطئوك فى الحكم مع علمهم بالحال ولكنه الاثر والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان المنفى انما هو تأثيره فقط ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب فى انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اى لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اى لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وبال مكرهم وتلبيسهم عليهم من غير ان يصيبك منه شئ والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من زائدة للاحاطة شئ اى وما يضرونك شيئا من الضرر فهو عطف على وما يضلون يعنى ان الله عصمك وما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وقال القفال وما يضرونك فى المستقبل فوعده تعالى ادامة العصمة لما يريد الناس من ايقاعه فى الباطل ولذا ذكره بصيغة المضارع وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القران الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة او ما فى القران من الاحكام وعلمك ما لم تكن تعلم اى علمك بالوحى من خفيات الامور وضماير القلوب وقيل من علم الغيب اى علمك ما لا يمكنك علمه بالكسب والنظر كاحوال المعاد وما لا يعلم بذلك الا الله وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من الرسالة والمعرفة وقد خصك بالحظ الاوفى وقد اتيناك من لدنا علما وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لا خير فى كثير من نجواهم اى من نجوى قوم طعمة وقال مجاهد الاية عامة فى حق جميع الناس والنجوى هو السرار فى التدبير وقيل النجوى ما ينفرد بتدبيره القوم سرا كان او علانية فمعنى الاية لا خير فى كثير مما يدبرونه بينهم ويقولونه اى من تناجى الناس او من المتناجين الا من امر بصدقة الزكاة او معروف على حذف مضاف اى الا نجوى من امر بصدقة فالنجوى ما يكون متصلا فهو بدل من كثير او من نجواهم او منصوب على الانقطاع اى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره ويندرج فى المعروف القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما فسر به فيكون ذكر المعروف من قبيل عطف العام على الخاص حاصله الا من امر بطاعة الله وما يعرفه الشرع واعمال البر كلها

Copyright © King Saud University

معروف لان المعقول تعرفها وفي المدارك او المراد بالصدقة الزكوة والمعروف التطوع او اصلاح
بين الناس اى لدفع العداوة والبغضاء من بينهم فهو عطف على او معروف وان كان داخلا
فيه وانما ذكر هذا الخاص لشرفه من بين افراد العام واخرج البيهقي عن ابي ايوب الانصاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال
تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا واخرج البيهقي عن النواس بن سمعان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب لا يصلح الا في ثلث الحرب فانها خدعة والرجل يرضي
امرأته لترضى عنه او اصلاح بين الناس وعن ام الدرداء عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قال قلنا بلى يا رسول الله قال
صلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم ليس بالكذاب من اصلح بين الناس
فقال خيرا او نمى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر لله والسر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر هو ان اعمال الخير المتعدي
الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله تعالى الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد
اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اى هذه الاشياء التي ذكرناها
يعني الصدقة والمعروف والاصلاح ابتغاء مرضات الله اى طلب رضاه وقيد الفعل بان
يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من
اجرا فسوف نؤتيه اى يؤتيه الله في الاخرة بنون العظمة على الالتفات وقرا ابو عمرو وحمزة
بالياء ومعناهما واحد اجرا عظيما اى يقصر عنه الوصف ووصف الاجر بالعظم تنبيها
على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا ومن يشاقق الرسول اى ومن يخالف
الرسول فيما جاء به من الحق والاية نزلت في طعمة بن ابيرق وذلك انه لما ظهرت عليه السرقة
خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة فهرب الى مكة وارتد عن الدين كما ذكرنا من بعد
ما تبين له الهدى اى من بعد التوحيد والحدود يعني من بعد ما ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع طريقا غير سبيل المؤمنين اى غير طريقهم الذي هم عليه
من الدين من اعتقاد وعمل بان يكفر نوله ما تولى اى نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا
يعني نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره في الدنيا وقال بعضهم هذه
منسوخة باية السيف لا سيما في حق المرتد ونصله اى ندخله في الاخرة جهنم ليحترق فيها
وساءت مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع يعني اتباع غير سبيل المؤمنين
وروي ان طعمة اخرجوه من مكة لكثرة فساده فخرج مع تجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا
منزلا فسرق بعض متاعهم فهرب فطلبوه واخذوه فرموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك
الحجارة وقيل هرب الى جدة فاخذوه ورموه في البحر وقيل كان يعبد صنما لبني سليم الى ان مات
في حرة فانزل الله في طعمة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك

لمن يشاء

لمن يشاء وقد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد او لقصة طعمة وقد مر بانه مات كافرا
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه
وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر
فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اى ذهب عن
طريق الحق وحرم الخير كله فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة
وانما ختم الاية الاولى بقوله فقد افترى اثما عظيما لانها كانت متصلة بقصة اهل الكتاب
ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله سبحانه وهنا ختم بقوله فقد ضل ضلالا
بعيدا لان هذا نزلت في شأن قوم مشركين غير اهل الكتاب ولا علم عندهم فناسب وصفهم
بالضلال والبعد ثم انه تعالى بين كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال ان يدعون اى ما يعبدون
من دونه اى من دون الله يعني غيره الا اناثا جمع انثى هي اللات والعزى ومناة ونحوها
كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن
بنات الله او كانوا يزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة بنات الله وايرادها بهذا
الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم فانهم يعبدون ما ينفعل ولا يفعل ومن حق
المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل والاية نزلت في كفار مكة وقد جاء الدعاء بمعنى العبادة كقوله عز وجل
وقال ربكم ادعوني اى اعبدوني بدليل قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاية تنادي
على من يفتري على الله بالاتخاذ مع خلقه وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث ووثنا
بالتخفيف والتثقيل وكلاهما جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وكان
في جوف كل واحدة من الاصنام شيطان يتراءى للسدنة والكهنة يكلمهم ويضلهم بذلك فلذلك
قال وان يدعون اى وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادة الاصنام
وامرهم بذلك فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا اى خارجا عن الطاعة عاريا
عن الخير ومنه الامرد لانه لا شعر على وجهه وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها والمارد والمريد
الذي لا يتعلق بخير لعنه الله اى ابعده عن رحمته صفة ثانية للشيطان وقال اى قال
الشيطان حين لعنه الله حيث لم يسجد لادم لاتخذن اى لاجعلن من عبادك وهم
يتبعون خطواته نصيبا اى حظا مفروضا معلوما وقوله وقال لاتخذن عطف على الجملة المتقدمة
صفة اخرى للشيطان يعني ما يعبدون الا شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وبين هذا القول
الشنيع الصادر عنه عند اللعن اى للاتخاذ الدال على فرط عداوته للناس والمفروض المقطوع
اى نصيبا قدر لي فاطيع فيه ابليس فهو مفروضه وفي بعض التفاسير من كل الف واحد لله تعالى
وسائرهم لابليس وفي بعضهم من كل الف واحد لله وتسعمائة وتسع وتسعون لابليس وفي العيون
من كل الف واحد في الجنة وسائرهم في النار وهو المعنى المفروض للشيطان ويعني الجميع واحد فان قيل
العقل والنقل يدلان على ان حزب الله اقل عددا من حزب الشيطان اما النقل فقوله تعالى فاتبعوه

الا قليلا منهم وحكى عن الشيطان قوله لاحتنكن ذريته الا قليلا وقوله لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين ولا شك ان المخلصين قليلون واما الحمل فهو ان الفساق والكفار كلهم
حزب ابليس ولفظ النصيب انما يتناول القسم الاقل فالجواب ان هذا التفاوت انما يحصل في
نوع البشر اما اذا ضممت زمرة الملئكة مع غاية كثرتهم الى المومنين كانت الغلبة للمومنين وان كانوا
قليلين في العدد الا ان منصبهم عظيم عند الله والكفار والفساق وان كانوا اكثر في العدد فهو
كالعدم فلهذا وقع اسم النصيب على قوم ابليس ولاضلنهم يعني عن الحق وعن الهدى اراد به التزيين
والا فليس اليه من الاضلال شيء يعني ازين لعبادك بان في عبادة الاصنام عبادة الله لانها مظاهره
فما يعبد فيها غيره لكن يجعل الخالق والمخلوق شيئا واحدا من غير مباينة بينهما وقالت المعتزلة في
قوله ولاضلنهم دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني
ان اهل السنة يقولون الاضلال عبارة عن خلق الكفر والضلال ونحن نقول ليس كذلك لان
الشيطان بالاتفاق لا يقدر على خلق الكفر والضلال واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة
على ان كلامه في هذه المسالة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر وهو هذا القول مع قوله لاغوينهم
واخرى الى الجبر المحض كقوله رب اغويتني وتارة يظهر التردد فيه حيث قال ربنا هؤلاء الذين اغوينا
هم كما غوينا يعني انه قال هؤلاء الكفار نحن اغويناهم فمن الذي اغوانا عن الدين فلا بد من انتهاء الكل
بالاخرة الى الله تعالى خلقكم وما تعملون ولامنينهم اي بنيل الاجر منك على عبادة الاصنام او بانكار
البعث والجزاء او بانه يحصل لهم احسن وجوه الجزاء او بطول بقائهم في الدنيا وبلوغ الامال
ليوثروها على الاخرة وبالحث على المعاصي وتسويف التوبة يعني القي في قلوبهم ما يتمنون من الاهواء
الباطلة ولامرنهم على خلاف امرك اضلالا لهم بانه امرك وايقاعا لهم في امنية الثواب عليه
فليبتكن اي فليشقن اذان الانعام اي لاحملنهم على ان يشقوا اذان الانعام وقد فعل ذلك
بالبحاير والسوايب ليحرموها ما احللتها جمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع اذان البحاير كانوا
يشقون اذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء بخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع
بها ويسمونها بحيرة ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
وسعيد بن المسيب والضحاك معنى خلق الله اي دين الله ونظيره قوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي
لدين الله يريد به تغيير ما وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقال عكرمة وجماعة
من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الاذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوزه
بعضهم يعني الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة وانما قلنا رخصوا لان عموم اللفظ يمنع
الخصاء مطلقا واما في بني ادم فمحظور عندنا وكذلك عند ابي حنيفة وفي بعض التفاسير وعند ابي
حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل
تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق الانعام للركوب والاكل فحرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار
لمنفعة العباد فعبدوها من دون الله وقال السلطان يندرج فيه ما قيل من فقء عين الفحل وكانت
العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها ومن خصاء العبيد والوشم والوشر و

اللواط

اللواط والسحق وغير ذلك مما يطول بيانه وفي الحديث لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات
وذلك لان المراة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا
او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا اي ربا يتولاه ويطيعه من دون الله اي غيره
يعني اجابه الى ما دعاه اليه فقد خسر خسرانا مبينا في الدارين اذ اضيع راس ماله وبدل
مكانه من الجنة بمكان من النار يعدهم اي يوسوسهم بالوعد الكاذب ان لا جنة ولا نار
ولا بعث ولا حشر ويمنيهم ما لا ينالون كطول العمر ونيل الدنيا وما يعدهم الشيطان بذلك
الا غرورا اي الا باطلا وهو ان يرى شيئا يظهر خلافه كاظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا
الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مبتدا اشير به الى اولياء الشيطان
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران ماواهم مبتدا ثان جهنم خبر
للثاني والجملة خبر للاول وانما قال ماواهم جهنم لان الغرور عبارة عن الحالة التي يتخيل ظاهرها
ويحصل الندم عند انكشاف الحال فيها والاستغراق في طيبات الدنيا وفي معاصي الله وان كان
في الحال لذيذا الا ان عاقبته جهنم وسخط الله وهذا معنى الغرور وان شئت معرفتها بالتمام
والكمال فطالع رسالة الغرور للامام الغزالي رحمه الله ولا يجدون عنها محيصا اي مفرا ومعدلا
ومهربا عنها والذين امنوا وعملوا الصالحات ولم يتبعوا الشيطان في الامر بالكفر وقوله والذين
مبتداء خبره سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت الغرف والمساكن خالدين فيها
ابدا اي لا ينتهي عمرهم فيها ولا يتغير حالهم الحسنة من النعم بالمستلذات باطمينان القلوب
وعد الله حقا اي وعدهم الله هذا كله وعدا صدقا لا خلف فيه اي وعده وعدا وحق ذلك
حقا مصدران الاول موكد لنفسه والثاني موكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا اي
فيه استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه والقيل مصدر كالقول والقال قال ابن السكيت
القال والقيل اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وهو توكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة
مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم وشهواتكم ايها المسلمون ولا بمجرد
اماني اهل الكتاب وشهواتهم الباطلة وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم
عن السدي قال التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقالت اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا
قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان
هودا وقالت النصارى مثل ذلك فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم
وقد امرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسمعيل واسحاق ولن يدخل
الجنة الا من كان على ديننا فرد الله عليهم قولهم فقال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا
يجز به ثم فضل الله المومنين عليهم فقال ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله الاية وعن الحسن ليس
الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا ولو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل واخرج عبد

Copyright © King Saud University

حميد وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال قالت اليهود والنصارى لا يدخل الجنة غيرنا وقالت قريش لا نبعث فانزل الله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب فعلى هذا يكون الخطاب للمشركين وهذا هو الانسب لما تقدم من قوله تعالى ان يدعون الا اناثا **من يعمل سوءا يجز به** عاجلا واجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما تصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك رواه احمد وابن حبان وغيرهما قال ابن عباس وسعيد ابن جبير وجماعة الاية عامة في حق كل عامل الى يوم القيمة وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية شق على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء فقال منه ما يكون في الدنيا فمن عمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما ما كان جزاء في الاخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر لما شق عليه الاية اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب واما الاخرون فيجمع ذلك عليهم حتى يجزون به يوم القيمة فان قيل كيف قال من يعمل سوءا يجز به والتائب المقبول التوبة غير مجزي بعمله وكذلك من عمل سيئة ثم اتبعها حسنة لانها مذهبة لها وماحية بنص القران قلنا المراد من يعمل سوءا ويموت مصرا عليه الثاني ان المؤمن يجازى في الدنيا بما يصيبه فيها من المرض وانواع المصايب والمحن كما جاء في الحديث والكافر يجازى في الاخرة **ولا يجد له من دون الله** اي من غيره **وليا** يحفظه **ولا نصيرا** يمنعه منه وهذا وعيد للكفار ولانه قال بعده **ومن يعمل شيئا من الصالحات** اي بعضها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها قال ابن عباس اراد بالصالحات الفرايض وعن مسروق قال لما نزلت ليس بامانيكم الاية قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت ومن يعمل من الصالحات الى قوله حنيفا فتحلى عليهم **من ذكر او انثى** في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كاينة من ذكر او انثى ومن للابتداء **وهو مؤمن** حال شرط اقتران العمل الصالح بحال الايمان تنبيها على انه لا اعتداد بالعمل في استدعاء الثواب المذكور ما لم يقترن به **فاولئك** اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد باعتبار لفظه **يدخلون الجنة** قرا ابن عمرو وابن كثير وابو بكر عن عاصم هنا وفي مريم واول غافر بضم الياء وفتح الخاء مبنيا للمفعول والباقون بفتح الياء وضم الخاء مبنيا للفاعل **ولا يظلمون نقيرا** بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب ثم اشار الى ما عليه اهل الاسلام من الاعتقاد والعمل ردا لمن ادعى بانهم مثل المسلمين في العمل بقوله **ومن احسن** اي احكم **دينا ممن اسلم وجهه لله** اي لا احد احسن ممن انقاد واخلص عمله لله وحده او بذل وجهه لله في السجود الذي هو اقصى الخضوع او اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وقيل فوض امره لله وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية **وهو محسن** موحد آت بالحسنات تارك للسيئات **واتبع** عطف على اسلم اي ومن احسن دينا ممن اتبع **ملة ابراهيم** اي دين ابراهيم الموافق لدين الاسلام المتفق على صحته **حنيفا** اي مايلا عن ساير الاديان الى دين الاسلام او مسلما مخلصا وهو حال

من فاعل اتبع او من ابراهيم او الملة قال ابن عباس ومن دين ابراهيم الصلوة الى الكعبة والطواف بها ومناسك الحج وانما خص ابراهيم بذلك لانه كان مقبولا عند الامم الا جمع وقيل لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث على ملة ابراهيم وزيد له اشياء فاكثر شرعنا تشبه شرعه مع زيادة على شرعه كما هو ظاهر وكان عليه السلام مخلصا بريئا مما سوى الله تعالى كما هو ظاهر وكان عليه السلام قال اني بريء مما تشركون ولهذا امرنا باتباعه لقرب شرعنا الشرعه لا انه ليس لنا شرع سوى شرعه واتباعه وفي التبصرة قد نسخ شرعنا بعض شرعه **واتخذ الله ابراهيم خليلا** اي اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وبعبارة اخرى اي اتخذ صفيا والخلة صفاوة المودة وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة اعتراض جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر اخرج البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس كان ابراهيم ابا ضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل اليه فقال الخليل لو كان ابراهيم يريد لنفسه احملنا ذلك له فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم عليه السلام فمروا ببطحاء فقالوا لو انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملئوا تلك الغراير رملا ثم اتوا ابراهيم عليه السلام فاعلموه وسارة نايمة فاغتم ابراهيم عليه السلام لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى الغراير ففتحتها فاذا هو اجود حوارى يكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا قالت من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله فسماه الله خليلا وفي رواية فمن يومئذ اتخذه الله خليلا وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن ابا بكر اخي وصاحبي ولقد اتخذ الله صاحبكم خليلا واخرج الترمذي وابن مردويه عن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم واذا بعضهم يقول ان الله اتخذ من خلقه خليلا فابراهيم خليله وقال الاخر ماذا باعجب من ان كلم الله موسى تكليما وقال الاخر فعيسى روح الله وكلمته وقال الاخر ادم اصطفاه الله فخرج اليهم وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليمه وعيسى روحه وكلمته وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا واني حبيب الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتحها الله ويدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين يوم القيمة ولا فخر قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة الصداقة وسمي خليلا لان الله احبه واصطفاه

Copyright King Saud University

وقيل هي من الخَلة وهي الحاجة سمي خليلًا اي فقيرًا الى الله لانه لم يجعل فقره وفاقته الا الى الله تعالى
والاول اصح لان قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا يقتضي الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين
قال الشيخ والمحبة اصفى لانها من حبة القلب والحبيب افضل لان المحبة لب الخلة وعن جعفر بن محمد قال
اظهر الله اسم الخلة لابراهيم لان الخليل ظاهر في المعنى واخفى اسم المحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم لتمام حاله
اذ لا يحب الحبيب اظهار حال حبيبه بل يحب اخفاءه وستره لئلا يطلع عليه سواه ولا يدخل احد فيما
بينهما ولذا قال لنبيه وحبيبه وصفيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم لما اظهر له حال المحبة قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله اي ليس الطريق الى محبة الله تعالى الا باتباع حبيبه ولا يتوسل الى الحبيب بشيء
احسن من متابعة حبيبه وطلب رضاه انتهى فطوبى لمن لم يسلك الا اتباع الحبيب اماتنا الله والاحباب
على اتباع شرعه ودينه وملته وحشرنا الله تحت لوائه **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا
وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء فلم يتخذ ابراهيم خليلا ومحمدا حبيبا لاحتياجه اليهما كخلة الانسان
ومحبته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل انما اتخذه خليلا وحبيبا لمحض الفضل والكرم اذ كل من في السموات
والارض الا آتي الرحمن عبدا وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض
وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال **وكان الله بكل شيء محيطا** احاطة علم وقدرة
وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها يعني له ان يتصرف فيهما بما يشاء لكنه راعى مصالح
اهل كل عصر الا انه بكل شيء محيط اي علما وقدرة كما ذكرنا **ويستفتونك في النساء** اي يستخبرونك
ويطلبون منك الفتوى عاد الى ما كان مبنى السورة عليه من احكام النساء بعدما استطرد من احكام
الجهاد والمنافقين والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلا بد من تقدير
مضاف اي يستفتونك في حكم النساء وميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد
القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت **قل** لهم يا محمد **الله يفتيكم فيهن**
اي قل الله يبين لكم حكمه فيهن على لساني والافتاء تبيين المبهم **وما يتلى عليكم في الكتاب**
اي وما يتلى عليكم في القرآن من اية الميراث يفتيكم ايضا فيهن وبعبارة اخرى اي قل يا محمد الله يفتيكم
فيهن وما يتلى عليكم وهو الله يفتيكم فيما يتلى عليكم حاصله ان الله يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن
وهو قوله وآتوا اليتامى اموالهم وقوله **في يتامى النساء** اي ما يتلى عليكم في شانهن اي في ميراث
اليتامى منهن وهذا اضافة الشيء الى نفسه لانه اراد باليتامى هن النساء **اللاتي لا تؤتونهن**
اي لا تعطونهن **ما كتب لهن** اي ما فرض لهن من الميراث فانهم كانوا لا يورثون النساء او من صداقهن
وترغبون ان تنكحوهن اي ترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن او لا تؤتونهن
حقهن من الميراث لانهم كانوا لا يورثون النساء وترغبون ان تنكحوهن اي عن نكاحهن لدمامتهن
اما الاعراب فقوله وما يتلى عطف على اسم الله او على الضمير الراجع الى الله المستكن في يفتيكم فيكون الافتاء
مسندا الى الله والى ما تلي من الكتاب فيما سبق من قوله يوصيكم الله الاية والفعل الواحد ينسب الى
فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه وفي الكتاب متعلق بيتلى او

بحذف وفي اي يتلى كاينا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد
بالكتاب اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل
في الحقوق المبينة في الكتاب من عظايم الامور التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى
حينئذ متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على
القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
لانه عطف على الضمير المجرور بلا اعادة الجار ومعنى لان الفتيا في حكم النساء وميراثهن فلو
عطف ما يتلى على الضمير المجرور يكون داخلا في الفتيا وهذا فاسد لان المراد انه تعالى يفتي فيما سئلوه
من المسايل لا انه يفتي في حكم ما يتلى وقوله في يتامى النساء متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى
الاخير بدل من فيهن والاضافة بمعنى من اي من يتامى النساء لانها اضافة الشيء الى جنسه وقلنا قبلا
الى نفسه وقرئ بيامى بياء على انه ايامى فقلبت همزته ياء والواو في قوله وترغبون يحتمل الحال
والعطف استدل بعضهم بهذه الاية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ولا حجة لهم فيها
لاحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن باذنهن اذا بلغن اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها
جريان العقد في صغرها ويدل على صحة قولنا ان قدامة بن مظعون زوج ابنة اخيه عثمان
ابن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغب امها في المال فجاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قدامة انا عمها ووصي ابيها فقال النبي عليه السلام انها صغيرة ولا تزوج
الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمر **والمستضعفين من الولدان** عطف على يتامى النساء اي
يتلى في حقهم اي في باب اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يعني يفتيكم في المستضعفين من
الولدان وهم الصغار اي اعطوهم حقوقهم لانهم كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط اي يامركم ان تقوموا لليتامى اي يتامى النساء حاصله يفتيكم او ما يتلى عليكم في ان تقوموا
اي بالعدل في مهورهن وميراثهن فهو عطف ايضا على يتامى النساء اي ويفتيكم الله وما يتلى في ان تقوموا
هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما وان جعلته بدلا فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن
اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا كما قدرنا وهو خطاب للائمة
في ان ينظروا اليهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة والعدل في شانهم **وما تفعلوا
من خير** شرط وجوابه **فان الله كان به عليما** فيجازيكم عليه فيكون وعدا لمن
آثر الخير في ذلك **وان امراة** فاعل فعل يفسره الظاهر **خافت من بعلها** اي توقعت
منه لما ظهر لها من المخايل القولية والفعلية **نشوزا** اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة في القول والفعل او فيهما
او اعراضا عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن او دمامة او سوء خلق او ملال
او غير ذلك **فلا جناح عليهما** اي على الزوجين حينئذ **ان يصلحا بينهما صلحا** يعني في
القسمة والنفقة بان يقول الزوج لها انك قد دخلت في السن واني اريد ان اتزوج امراة
شابة جميلة او اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت كانت هي المحسنة والخير على ذلك

Copyright King Saud University

وان لم ترض حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان فان امسكها ووفاها حقها مع كراهته فهو المحسن والاية نزلت في عمرة ويقال في خويلة بنت محمد بن مسلمة وفي زوجها سعد بن ربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امراة شابة وآثرها عليها وجفا ابنة محمد بن مسلمة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه وقيل في غير ذلك قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر يصالحا بتشديد الصاد بعدها الف يتصالحا فابدلت التاء صادًا وادغمت للتخفيف والباقون يُصلحا من باب الافعال وقرئ يَصَّلِحا من اصَّلح بمعنى اصطلح **والصلح خير** يعني اقامتها معه بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسمة والنفقة او تهب له شيئا تستميله به خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة كما يروى ان سودة كانت امراة كبيرة فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفارقها فقالت لا تطلقني وانما بي ان ابعث في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة فامسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة وهو اعتراض وكذا قوله **واحضرت الانفس الشح** ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فكانت بحيث لا تنفك عنه فلا تكاد المراة تسمح بحقوقها والرجل يسمح ويجود بحسن المعاشرة مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها فتحدث بينهما بسبب ذلك منازعة فالصلح خير والشح البخل مع حرص فهو اخص من البخل وحقيقته الحرص على منع الخير **وان تحسنوا** في العشرة وتصلحوا فيها بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة **وتتقوا** النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان والخصومة **خبيرا** اي عليما به فيجازيكم عليه **ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء** اي محال ان تقدروا على العدل والتسوية بين النساء وميل القلب لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها **ولو حرصتم** اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك **فلا تميلوا كل الميل** اي فلا تميلوا الى التي تحبونها كل الميل في القسمة والنفقة اي لا تتبعوا اهواءكم انعالكم **فتذروها** اي التي ملتم عنها **كالمعلقة** التي ليست ذات بعل ولا مطلقة اخرج ابن ابي شيبة واحمد وابو داود والترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان فمال الى احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه ساقط وفي رواية وشقه مائل وفي رواية واحد شقيه مائل **وان تصلحوا** بالعدل في القسم يعني ما كنتم تفسدون من امورهن **وتتقوا** في المستقبل الجور **فان الله كان غفورا** كثير الغفران يتجاوز عما سلف مما كان في قلبكم من الميل **رحيما** اي يرحمكم فلا يعاقبكم على ما مضى منكم من المخالفة **وان يتفرقا** وان يفارق كل واحد من الزوجين صاحبه بالطلاق **يغن الله كلا** اي كل واحد من الزوجين **من سعته** اي من غناه ورزقه يعني يغني المراة بزوج اخر والزوج بامراة اخرى وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه **وكان الله واسعا** فضله وطريق رزقه

يكون

يكون بالزوج وتارة بدونه **حكيما** مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه فربما كانت الفرقة احسن عاقبة لهما وجملة حكم الاية ان الرجل اذا كان تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم فقد عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لانه يدور على النشاط وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة يبيت عند الحرة ليلتين وعند الامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات عنده يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال على التوالي ان كانت بكرا وان كانت ثيبا فثلث ليال ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات بحال **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا والمتملكون عبيده رقا وهذا تنبيه على سعة فضله وكمال قدرته والحاصل حكمه نافذ على اهلهما يجب عليهم طاعته فيجب على الزوج التسوية بين نسائه الى اخره كما ذكرنا **ولقد وصينا** اي امرنا **الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** اي امرنا اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم في كتابهم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص **واياكم** يا اهل القران في كتابكم عطف على الذين **ان اتقوا الله** اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله وخافوا عقابه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه التوصية قديمة ما زال الله يوصي الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده **و** قلنا لهم ولكم **ان تكفروا** بما اوصاكم به **فان لله ما في السموات وما في الارض** اي فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم اشار الى عدم الحاجة الى الخلق بقوله **وكان الله** ولم يزل **غنيا** عن الخلق جميعا وعبادتهم **حميدا** اي محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فوصيته بالتقوى لمحض الفضل لا للحاجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل فان لله ملئكة في السموات والارض هم اطوع له منكم واعبد **ولله ما في السموات وما في الارض** كرره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات يدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود بمحض الجود لانه لو شاء ما اوجدهم من محض العدم وبانواع الخصايص والكمالات على كونه حميدا في ذاته سواء اوجد الخلق ام لا فهو محمود بالذات سواء امنوا به او كفروا **وكفى بالله وكيلا** ربا فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره وعن ابن عباس يعني شهيدا ان فيهما عبيدا طائعين له اي شهيدا بانهما وما فيهما له ملكا وخلقا قال السلطان وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فان الله تكفل بكفايتهما وما بينهما تقرير لكونه تعالى يغني كل واحد من الزوجين عن الاخر ببدل او سعة وقيل وكيلا اي دافعا ومجيرا وحفيظا قال محيي السنة فان قيل اي فائدة في تكرير قوله ولله ما في السموات وما في الارض قيل لكل واحد منها وجه اما الاول فمعناه ولله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته واما الثاني فيقول فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا اي هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون واما الثالث يقول ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي له الملك فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره كما فسرنا بذلك ثم هدد

عدله عن وصيته بالتقوى والطاعة فقال ان يشأ يذهبكم يا ايها الناس اى يفنكم
و يهلكم ويستأصلكم بالمرة ويجد بكم يعني الكفار او الناس اجمع او العاصي منهم ويأت باخرين
اى بغيركم خيرا منكم واطوع او يوجد انسا اخرين غيركم مكانكم او خلقا اخرين غير الانس ومفعول يشأ
محذوف لكونه مضمون الجزاء اى ان يشأ افناءكم وايجاد اخرين يذهبكم الى اخره يعني ان ابقاءكم
على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم من جميع الوجوه لعدم تعلق مشيته المبنية
على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه واحتياجه اليكم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك
اى على اعدامكم وايجاد اخرين غيركم قديرا اى قادرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه
وقدرته وتهديد لكل من بيده حكم من الولاة وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب
ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا اى تحصيل الدنيا كالمجاهد
يجاهد للغنيمة والعالم يعلم للدنيا يعني من يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد به وجه الله عز وجل
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اى تحصيلهما فلم يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه
اخسهما والمعنى ان اراد ثوابهما فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله
في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله ومن يرد حرث
الاخرة نزد له الاية وقال محي السنة معناه من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد به
وجه الله عز وجل اتاه الله من عرض الدنيا او دفع عنه فيها ما اراد الله وليس له في الاخرة من ثواب
ومن اراد بعمله ثواب الاخرة اتاه الله من الدنيا ما احب وجزاه الجنة في الاخرة وكان الله سميعا
للاقوال وباحاديث نفوسكم بصيرا بالافعال الدالة على مطالبهم فيجزيهم على حسب اغراضهم ومطالبهم
وهو وعد ووعيد ثم امر الناس بالعدل ونهاهم عن الجور بقوله يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بالقسط اى كونوا مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته يعني بالغوا في العدل في جميع الاحوال
مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد وقال ابن عباس كونوا قوالين بالعدل شهداء لله في الشهادة
بالحق لوجه الله على من كانت يعني ولو على انفسكم اى ولو كانت الشهادة على انفسكم بان
تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
اى ولو كانت على والديكم فاقيموها عليهم ولا تحابوا غنيا لغناه ورضاه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله
ان يكن اى المشهود عليه او المشهود له غنيا يبتغى في العرف والعادة رضاه ويتقى عداوته
وسخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب
الشرط محذوف لدلالة قوله فالله اولى بهما عليه تقديره فقد تمتنعوا عن الشهادة طلبا
لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر فلو لم تكن
الشهادة عليهما اولهما صلاحا لما شرعها ومعنى كونه تعالى اولى بجنسيهما كونه اولى بجميع الاغنياء والفقراء
ويدل عليه انه قرئ فالله اولى بهم ولا يجوز رجاع الضمير في بهما الى ما ذكر والا لوجب ان يوحد كال

الحسن معناه ان الله اعلم بها منكم اى بمصالحهما فلا تتبعوا الهوى في شهادتكم ارادة ان تعدلوا
بان تميلوا عن الحق الى الباطل من العدول او كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل فحاصله اتركوا متابعة
الهوى حتى تتصفوا بالعدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين
فقد حصل له الاخر وان تلووا اى وان تحرفوا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل هذا على
معنى قراءة العامة يعني بلام ساكنة وواوين بعدها اولاهما مضمومة وان تلوا اى اقامة الشهادة
على قراءة ابن عامر وحمزة يعني تلوا بلام مضمومة وواو ساكنة او تعرضوا عن اداء الشهادة
فتكتموها او لا تقيموها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا
هذه الاية متصلة بقوله كونوا قوامين بالقسط لان الانسان لا يكون قائما بالقسط والعدل الا اذا كان
راسخا في الايمان بالاشياء المذكورة في هذه الاية قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت هذه
الاية في عبد الله بن سلام واصحابه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك
وبموسى والتورية وبعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا
بالله ورسوله محمد والقران وبكل كتاب قبله فانزل الله يا ايها الذين امنوا يعني بمحمد والقران
وبموسى والتورية امنوا صدقوا ودوموا على الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القران والكتاب الذي انزل من قبل اى من
قبل القران من التورية والانجيل والزبور وساير الكتب لان المراد بالكتاب الثاني الجنس فالمعنى
امنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان ببعض كلا ايمان وقيل الخطاب مع المنافقين والمعنى
يا ايها الذين امنوا باللسان امنوا بالقلب ويؤيده قوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
وقيل الخطاب مع الذين قالوا امنوا وجه النهار واكفروا اخره والتقدير يا ايها الذين امنوا وجه
النهار امنوا اخره وقيل الخطاب للمسلمين والتقدير يا ايها الذين امنوا امنوا بالله اى اثبتوا على
الايمان بذلك ودوموا عليه او ازدادوا في ذلك طمانينة ويقينا وقيل يا ايها الذين امنوا على سبيل التقليد
امنوا على سبيل الاستدلال وقيل يا ايها الذين امنوا بالاستدلال الجملية امنوا بحسب الدليل التفصيلية
قرأ نافع والكوفيون نزل وانزل على بناء الفاعل وهو الله وابن كثير وابن عامر وابو عمرو على بنائهما
للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير الكتاب وانما قال في القران نزل وفيما قبله انزل لان القران
نزل نجما مفرقا في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه و
رسله واليوم الاخر اى ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق
المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه لان الكفر ببعضه كفر بكله كما اشرنا ان الذين امنوا بموسى
وهم اليهود ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بموسى بعد عوده اليهم ثم كفروا
بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام او ازداد قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا
على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ما اقاموا عليه ولا ليهديهم
سبيلا اى طريقا الى الحق اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان لانهم اهل
الطبع والختم مستهزئون بالدين والرسل لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم

Copyright ... University

فان اكثر العلماء ذهبوا الى انه تقبل توبة المرتد وان تكرر منه الارتداد فالتقدير لم يكن الله ليغفر لهم
ما قاموا على ذلك كما اشرنا واستدل الامام احمد به على ان من تكرر ارتداده لا تقبل توبته وروي عن
علي كرم الله وجهه انه لا تقبل توبته بل يجب ان يقتل لقوله لم يكن الله ليغفر لهم وخبر كان في امثال
ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم **بشر** اي اخبر يا محمد **المنافقين بان لهم**
عذابا اليما وهذا القول يدل على ان الاية نزلت في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر
مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان
انذر تهكما به والبشارة كل شيء يتغير به بشرة الوجه سارا كان او غير سار وقال الزجاج معناه
اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب كما يقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف اي السيف والضرب
بدل لك من التحية ثم وصف المنافقين فقال **الذين** بدل او نعت للمنافقين **يتخذون الكافرين اولياء**
اي يتخذون اليهود انصارا وبطانة **من دون المؤمنين** حال من فاعل يتخذون اي يتخذون
الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد
فتولوا الكفرة **ايبتغون عندهم العزة** انكار لرأيهم وابطال له يعني لا يجدون عندهم العزة
والنصرة والقوة والمعونة والغلبة على محمد صلى الله عليه وسلم **فان العزة** اي القدرة والقوة والغلبة **لله**
جميعا كما له القوة كذلك في الدنيا والآخرة اي فان اختصاص جميع افرادها في جنابه عز وجل
بحيث لا يتعزز الا من اعزه الله ولا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة والظهور بقوله
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي ببطلان التعزز بغيره تعالى واستحالة الانتفاع به ان ينصركم
الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم **وقد نزل** قرا عاصم ويعقوب على بناء
الفاعل اي وقد نزل الله **عليكم** الخطاب للمسلمين وقيل للمنافقين كانه قيل تتخذون وهم اولياء وقد
نزل عليكم **في الكتاب** اي في القرآن يعني به ما انزل الله في سورة الانعام واذا رايت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقرا الجمهور نزل على البناء للمفعول
والقائم مقام فاعله **ان** المخففة من المثقلة مع ما بعدها واسمها ضمير الشان اي انه **اذا سمعتم**
آيات الله اي القرآن وهذا على طريقة قولهم سمعت فلانا يقول فالمسموع هنا استهزاؤهم
وكفرهم بآيات الله تعالى لا الآيات والجملة الشرطية خبر ان وقوله **يكفر بها ويستهزأ**
بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله **فلا تقعدوا معهم** اي مع
المستهزئين فكان اليهود يستهزؤن بالقرآن وهم يسمعون فلذلك نهاهم عن القعود معهم **حتى يخوضوا**
اي ياخذوا ويشرعوا **في حديث** اي في كلام **غيره** اي غير الكفر والاستهزاء بالقرآن الذي هو
جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه المؤمن هازئا معاندا غير مرجو عنه الايمان ويؤيده الغاية
فان حتى غاية النهي وهذا تذكار لما نزل بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون الى آخره كما
اشرنا اليه بيان ذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم وهم بمكة فيستهزؤن
به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل
المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة قال ابن عباس دخل في هذه الاية

٧ كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيمة **انكم اذا مثلهم** في الاثم ان قعدتم معهم وهم
يخوضون ويستهزؤن وراضيتم به فانتم كفار مثلهم وان خاضوا في حديث غيره فلا باس
بالقعود معهم مع الكراهية وقال الحسن لا يجوز القعود معهم وان خاضوا في حديث غيره لقوله
واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والاكثرون على القول الاول
وآية الانعام مكية وهذه مدنية والمتاخر اولى وفي المدارك ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان
خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية قلت والمدار على النية والرضا وعدمه
وفي تفسير جامع الاسرار قال العلماء هذا يدل على من رضي بالكفر فهو كافر اذا كان مع استحسان له
او عدم استقباح بخلاف الرضا بكفر العدو مع استقباحه قصدا الى زيادة عذابه كما قال الله تعالى
حكاية عن موسى واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فليس رضي بالكفر بل دعاء
على العدو باقبح الاشياء مع استقباحه ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر ذلك
كان في الاثم بمنزلة المباشر بهذه الاية وان لم يرض وحضر خوفا وتقية فلا اخرج ابن جرير وابن
المنذر عن ابي وائل قال ان الرجل ليتكلم في المجلس بالكلمة من الكذب او الغيبة ليضحك به جلساءه
فيسخط الله عليهم جميعا فذكروا ذلك لابراهيم النخعي فقال صدق ابو وائل او ليس ذلك في كتاب الله
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ثم هدد الخائضين المستهزئين بالنفاق
بقوله **ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء
٨ ان ما تواعلى كفرهم ونفاقهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل
وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني
كقوله مثل ما انكم تنطقون ثم اخبر عن المنافقين بقوله **الذين** بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
والكافرين او منصوب او مرفوع على الذم او مبتدا وخبره فان كان لكم فيما بعد **يتربصون بكم** اي ينتظرون
وقوع امر بكم من الدوائر والدواهي او ينتظرون لكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق **فان كان**
لكم فتح من الله اي ظفر بالكفار وغلبة عليهم **قالوا الم نكن معكم** في الجهاد والقتال
شاركونا في الغنيمة كما شاركنا في القتال **وان كان للكافرين نصيب** من الظفر على المسلمين وسمى
ظفر المسلمين فتحا تعظيما للمؤمنين ولفتح ابواب السماء بالرحمة حين الظفر وسمى ظفر الكافرين نصيبا
لانه حظ دنيوي ينقضي ولا يبقى منه الا اللوم في الدنيا والعقوبة في الاخرى **قالوا** اي المنافقون
للكافرين **الم نستحوذ عليكم** اي الم نغلبكم ونستول عليكم ونتمكن من قتلكم حين كان الظفر
للمسلمين وكنا قادرين على قتلكم وقد ابقينا عليكم او الم نطلعكم على سرهم ونخبركم عن حالهم بالارسال
اليكم اخبارهم واستخدم ثم لهم بمرحمة منا لكم والاستحواذ الغلبة والاستيلاء وجاء الفعل على الاصل من
ابي زيد قياس مطرد يقال استحاب واستحوب **ونمنعكم من المؤمنين** اي الم نحفظكم
عنهم صولتهم وبطشهم بكم بان اخذلنا المسلمين بتخييل ما ضعفت به قلوبهم بان حيلنا لهم
شوكتكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوايب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم قال
الله تعالى **فالله يحكم بينكم** ايها المؤمنون والمنافقون **يوم القيمة** بان يدخل المؤمنين الجنة

والمنافقين النار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اذا قامت القيمة او في
الدنيا والمراد بالسبيل الحجة اى السيادة والسلطنة والولاية واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر
المسلم وعلى ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه بدار الحرب لم يملكه وعلى ان المسلم لا يقتل بالذمى
واحتجت الحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفى ان يكون للمرتد سبيل على المؤمن
اذا عاد الى الاسلام قبل مضى العدة قال يثيع الحضرمى كنت عند على رضى الله عنه فقال له رجل يا امير المؤمنين
ارايت قول الله تعالى ولن يجعل الله الخ كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا احيانا فقال على ذلك
يوم القيامة وقال عكرمة عن ابن عباس اى حجة وقيل ظهورا على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال
الشيخ معنى سبيلا اى طريقا بالاستيصال وقال السدى سبيلا فى الدنيا ان المنافقين يخادعون الله
وهو خادعهم اى يعاملونه معاملة المخادع وهو مجازيهم على خداعهم وذلك انهم يعطون نورا
يوم القيمة كما يعطى المؤمنين فيمضى المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين فذلك قوله وهو خادعهم
وقد فسرنا مرة اخرى فى اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلاة اى المنافقين قاموا كسالى
اى متثاقلين كالمكره على الفعل لا يريدون بها وجه الله فان راهم احد صلوا والا انصرفوا ولم يصلوا
قرا كسالى بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤن الناس اى يقصدون بهم اعمالهم ليحسبوهم
مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم من الرؤية او للمقابلة فان المرائى يرى من
يرائه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا وهو فى العلانية لوجوه الناس دون
السر اذ المرائى لا يفعل الا بحضرة من يرائه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان وهو قليل
بالاضافة الى الذكر وقيل المراد بالذكر اى لا يذكرونه فى الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم قال
ابن عباس والحسن ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقال قتادة انما قل ذكر المنافقين
لان الله تعالى لم يقبله وكل ما قبله الله فهو كثير مذبذبين بين ذلك اى مترددين متحيرين
يردهم الشيطان بين الايمان والكفر بتسويلاته فهو حال من واو يراؤن اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
والذبذبة جعل الشئ مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال اى مذبذبين قلوبهم او
دينهم وقرئ بالدال المهملة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريق لا منسوبين الى هؤلاء
اى ليسوا مؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين ولا منسوبين الى هؤلاء اى وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم
ما يؤخذ من الكفار او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ولذلك قيل هم اخبث طريقة من الكفار لان
الله تعالى ذم الكافرين فى اول سورة البقرة فى ايتين وذم المنافقين فى تسع عشرة اية لانهم عدلوا عن
الكفر الى ما هو اخبث من الكفر لانهم ضموا الى كفرهم الاستهزاء والسخرية بالمسلمين ولهذا مقامهم الدرك
الاسفل من النار كما ياتى قريبا قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى
هذه مرة والى هذه مرة ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق
والصواب لعدم استعداده للهداية والتوفيق ونظيره قوله عز وجل ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور ثم لما ذم المنافقين على الذبذبة نهى المؤمنين عن موالات الكفار ظاهرا وباطنا فقال
يا ايها الذين امنوا بلسانهم وقلوبهم بالاخلاص التام لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
للمؤمنين

المؤمنين فانه من صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم ثم اكد النهى بقوله اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم لاجل موالات المنافقين سلطانا مبينا اى حجة ظاهرة على النفاق
لتعذيبكم فى الاخرة لان موالات الكفار تشهد على النفاق فيكون حجة بينة على التعذيب ثم بين
مستقر المنافقين فى الاخرة فقال ان المنافقين فى الدرك فهو الطبقة التى فى قعر جهنم الاسفل
من النار قرا الكوفيون بخلاف عن عاصم الدرك بسكون الراء والباقون بفتحها وسميت طبقات
النار دركات لان بعضها متداركة لبعض اى متتابعة وقال الضحاك الدرج اذا كان بعضها فوق بعض
والدرك اذا كان بعضها اسفل من بعض قال ابن مسعود الدرك الاسفل من النار توابيت من حديد
مقفلة فى النار وقال ابو هريرة الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وفى
جامع الاسرار فان قيل قال الله فى صفة المنافقين انهم فى الدرك الاسفل من النار وقال فى حق ال فرعون
ادخلوا ال فرعون اشد العذاب فايهما اشد عذابا المنافقون ام ال فرعون قلنا يحتمل ان
اشد العذاب انما يكون فى الدرك الاسفل وقد اجتمع فيه الفريقان وفى عنية شيخنا ذكر ان فرعون
تحت ابى جهل بن هشام وانما كان المنافقون اشد عذابا من الكفار لانهم مثلهم فى الكفر وضموا اليه نوعا اخر
من الكفر وهو الاستهزاء بالاسلام والخداع باهله وايضا لانهم يظهرون الاسلام ليتمكنوا من الاطلاع
على اسرار المؤمنين ثم يخبرون الكفار بذلك فتتضاعف المحنة واما قوله عليه السلام ثلاث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن
خان رواه مسلم ونحوه فمن باب التشبيه البليغ والتغليظ مبالغة فى الزجر اى فهو كالمنافق ولن تجد
لهم نصيرا مانعا من العذاب اى ناصرا يخرجهم منه ثم استثنى التائبين من النفاق بقوله الا الذين تابوا
من النفاق وامنوا وهذا استثناء من المنافقين او من ضميرهم فى الخبر واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم و
اعمالهم واحوالهم فى حال النفاق واعتصموا بالله اى وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم من
الريا لله اى جعلوه خالصا لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه اراد بالاخلاص الاخلاص بالقلب لان
النفاق كفر القلب فزواله باخلاص القلب قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا
رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن المحارم فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم فى الدارين فيما
يؤتونه قال الفراء يعنى من المؤمنين حاصل المعنى اولئك مع المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر منهم نفاق
اصلا منذ امنوا والا فهم ايضا مؤمنون اى معهم فى الدرجات العاليات من الجنة وقد بين الله ذلك بقوله
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقدر قدره فيساهمونهم فيه ثم استفهم تقريرا
انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم نعمه وامنتم به وفيه تقديم
وتاخير اى ان امنتم وشكرتم لان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ومعناه انه لا يعذب المؤمن الشاكر
فان تعذيبه عباده لا يزيد فى ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه والشكر ضد
الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها قال السلطان ومعناه ايتشفى به غيظا او يدفع ضررا
او يجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه
كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر

الجزء السادس

لان الناظر يدرك النعمة ويشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به **وكان الله**
شاكرا اى مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل فان الشكر هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف
الثواب بمقابلته فعلم ان الشكر من العبد الطاعة ومن الله تعالى الثواب عليها **عليما** بحق شكركم
وايمانكم او مبالغا فى العلم بجميع المعلومات التى من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفى اجوركم
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول القبيح ولا غير الجهر ولكن الجهر افحش **الا من ظلم**
اى الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم
ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله
فلا حرج عليه لقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل روى ان رجلا ضاف قوما
فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت قال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فهو على البادى ما لم
يعتد المظلوم وقال مجاهد هذا فى الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان
يشكو ذلك ويذكر ما صنع به وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغى للضيف
فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم قرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن اسلم
الا من ظلم بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وقيل معناه لا يحب الله
الجهر بالسوء لكن يجهره من ظلم والقراءة الاولى هى المعروفة **وكان الله سميعا** لدعاء المظلوم ولكلامه
عليما بعقاب الظالم **ان تبدوا خيرا** اى ان تظهروا طاعة وخيرا من اعمال البر مكان جهر السوء
مخصوصا احسانا الى المسىء **او تخفوه** اى تفعلوا الخير سرا خصوصا الاحسان الى المسىء **او تعفوا**
عن سوء اى عن ظلم مع ما سوغ وجوز لكم من مواخذه للمسىء والتنصيص على العفو مع اندراجه فى
ابداء الخير واخفائه لما انه المقصود وذكرهما توطئة وتمهيد له ولذلك رتب عليه قوله **فان**
الله كان ولم يزل **عفوا** اى يكثر العفو عن الاثام والعصاة **قديرا** اى مع كمال قدرته على
الانتقام فانتم اولى بالعفو فعليكم ان تقتدوا بسنته وهو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص
له فى الانتصار والانتقام حملا على مكارم الاخلاق ثم لما ذكر قبائح المنافقين شرع فى ذكر قبائح الكفار
المجاهرين اى اليهود فقال **ان الذين يكفرون بالله** المنعم فضلا عن الاعتراف بنعمه
ورسله الذين هم اعظم وجوه نعمه فذكر له [illegible] بالله توطئة لرسله بدليل قوله **ويريدون ان يفرقوا**
بين الله ورسله اى بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله والمراد بالتوطئة بيان ان الكفر بالرسل
كفر بالله فالتفريق خطأ ظاهر اذ لا واسطة بين الكفر والايمان **ويقولون نؤمن ببعض** من الرسل
ونكفر ببعض منهم معناه نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من
نبى من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقيقة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمن كفر بواحد منهم فقد كفر
بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب بقولهم ذلك **ويريدون ان يتخذوا بين ذلك** اى بين الكفر
والايمان **سبيلا** اى طريقا يسلكونه ويذهبون اليه يعنى دينا بين اليهودية والاسلام ومع انه لا واسطة
بين الكفر والايمان اذ الحق لا يختلف فماذا بعد الحق الا الضلال وشبهتهم انهم كانوا يزعمون ان تصديق

الكل افراط وتكذيب الكل تفريط وخير الامور اوسطها وهو انما يتصور حيث يكون وسط وطرفان
وههنا لما تساوقا فى المعجزة والدعوة الى الحق والقيام بالخيرات فى انفسهم كان الكفر بواحد كفرا بالكل
بل كفرا بالله تعالى اذ يلزم عليه ان يعتقد فيه انه صدق الكاذب بخلق المعجزات واظهارها على يديه
اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة الشنيعة **هم الكافرون** الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا **حقا** اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا ثابتا محققا فهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله اى
حق ذلك حقا او صفة لمصدر الكافرين كما قلنا هم الذين الخ **واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** اى ذا
اهانة وهو عذاب النار ولما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال **والذين امنوا بالله**
ورسله اى كلهم **ولم يفرقوا بين احد منهم** اى من الرسل وهم المسلمون يقولون لا نفرق بين
احد من رسله وكان الكفرة يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون باخرين وانما دخل بين على احد لانه عام
فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما من حيث انه وقع فى سياق النفى **اولئك** المنعوتون
بالنعوت الجليلة المذكورة **سوف نؤتيهم اجورهم** بايمانهم بالله وكتبه ورسله قرأ حفص عن
عاصم يؤتيهم بالياء وقرأ الباقون بالنون **وكان الله غفورا** لاوليائه لما فرط منهم **رحيما**
باهل طاعته بتضعيف حسناتهم والاية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد مرتكب الكبيرة لانه
تعالى اخبر ان من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين احد منهم يؤتيه اجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله
ورسله ولم يفرق بين احد منهم فيدخل تحت الوعد **يسألك** يا محمد **اهل الكتاب** الاية وذلك
ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا
فاتنا بكتاب جملة من السماء كما اتى به موسى فانزل الله تعالى يسألك اهل الكتاب **ان تنزل عليهم**
كتابا من السماء قرأ الجمهور بالتشديد وبالتخفيف مكى وابو عمرو ارادوا بالكتاب كتابا محررا
بخط سماوى على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حتى ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول
الله وكان هذا السؤال منهم تحكما واقتراحا لا سؤال انقياد واسترشاد والله تعالى لا ينزل الايات
على اقتراح العباد قال الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن
والمقصود من الاية بيان ما جبلوا عليه من التعنت **فقد سألوا موسى اكبر من ذلك**
جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اعظم منك ويحتمل ان يكون
الفاء عاطفة على جملة محذوفة تقديره لا تبال يا محمد بسؤالهم فانه عادتهم فقد سألوا موسى اعظم
من ذلك وهذا السؤال وان كان من اباءهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين عنهم تابعين
لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم
فقالوا يعنى السبعين الذين خرج بهم موسى الى الجبل **ارنا الله جهرة** عيانا كما يرى بعضنا
بعضا وجهرة منصوب على انه حال من الفاعل اى ارنا نره جهرة او مجاهرين معاينين له **فاخذتهم**
الصاعقة اى الموت عقابا لهم او نار جاءت من السماء فاهلكتهم **بظلمهم** اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها فلا تدل على ان الرؤية غير جائزة للمؤمنين فى الاخرة
ولا على ان سؤالها لا للتعنت بل لطلب تبين الحق منكر وباطل لانها ممكنة كانزال القرآن جملة ولو كان

Copyright King Saud University

ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فإنه
قال رب أرني أنظر إليك وما أخذته الصاعقة بل أطمعه الله تعالى وقيده بالممكن ولا يتعلق
بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت مع أن قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وغيره من
الآيات والأحاديث فدلائل دالة على وقوع الرؤية في الآخرة **ثم اتخذوا** أي إلها **العجل** يعني
اتخذوه إلها **من بعد ما جاءتهم البينات** أي المعجزات التي أظهرها لفرعون عدو الله من
العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغير ذلك لا التوراة لأنها لم تنزل قبل اتخاذهم العجل **فعفونا**
عن ذلك بعد توبتهم والمراد بالعفو عن عبدة العجل أنه تعالى لم يستأصلهم بجمعهم حين عبدوا
العجل بل أمرهم بالتوبة فتابوا عنها فهذا استدعاء إلى التوبة لخلف عبدة العجل معناه أن أولئك الذين
أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم حتى نعفو عنكم **وآتينا موسى سلطانا مبينا** أي تسلطا
ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم العجل فأطاعوه وسلموا أنفسهم
للقتل فقتل من قتل تائبا مغفورا ثم وقع العفو عن الباقين منهم وقال محيي السنة هي الآيات
التسع **ورفعنا فوقهم الطور** أي قلعنا الجبل فوقهم كأنه ظلة **بميثاقهم** أي بسبب ميثاقهم
ليعطوه على ما روي أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها
أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ورفعنا فوقهم الطور قال جبل كانوا في أصله فرفعه الله
فجعله فوقهم كأنه ظلة فقال لتأخذن أمري أو لأرمينكم به فقالوا نأخذه فأمسكه الله عنهم
أو ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي أنهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وأقلعوا
عن النقض وهو الأنسب بما سيأتي من قوله عز وجل وأخذنا منهم ميثاقا غليظا **وقلنا لهم** على
لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم **ادخلوا الباب** قال قتادة كنا نحدث أنه باب
من أبواب بيت المقدس وقيل هو باب أريحا **سجدا** أي منحنين خاضعين متطامنين عند الدخول
رؤسكم وأصلابكم **وقلنا** على لسان داود **لهم لا تعدوا** أي لا تظلموا باصطياد
الحيتان يعني لا تتجاوزوا أخذ السمك **في** يوم **السبت** ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل
الجبل عليهم فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام وقرأ
أهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين وقرأ نافع برواية ورش لا تعدوا إذ أصله لا تعتدوا فأدغمت
التاء في الدال وقرأ الباقون بسكون العين وتخفيف الدال من عدا يعدو كغزا يغزو **وأخذنا**
منهم على هذه الأحكام **ميثاقا غليظا** أي عهدا مؤكدا غاية التأكيد وهو قولهم سمعنا و
أطعنا فنقضوه **فبما نقضهم ميثاقهم** الفاء فصيحة والباء سببية متعلقة بمحذوف
وما مزيدة لتأكيد مضمون الكلام والتقدير فخالفوا عهدهم المؤكد ونقضوه ففعلنا بهم ما فعلنا
من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم وروي أنهم اعتدوا
في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل تعلق بما يأتي قريبا أعني حرمنا
عليهم طيبات أحلت لهم فيكون التحريم بسبب النقض وبسبب ما عطف على النقض من قوله
وكفرهم وقتلهم وقولهم قلوبنا غلف فبظلم من الذين فيلزم أن يكون التحريم بسبب الكل ولا يخفى

أن قولهم

أن قولهم إنا قتلنا المسيح وقولهم على مريم بهتانا متأخر عن التحريم وفيه بعد يعني في تعلق الباء بحرمنا
بعد لأنه لا يمكن ذلك إلا إذا جعل فبظلم من الذين هادوا بدلا عن قوله فبما نقضهم وفيه بعد لطول
الفصل ولإبدال الجار والمجرور مع الفاء ولا يجوز أن تكون الباء متعلقة بمحذوف دل عليه قوله بل طبع الله أي
لا يؤمنون لأن بل رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور السابق
أعني نقضهم فلا يعمل في جاره الذي هو الباء في فبما نقضهم **وكفرهم بآيات الله** أي بالقرآن أو بما في كتابهم **و**
قتلهم الأنبياء كزكريا ويحيى وغيرهما **بغير حق** أي بغير سبب يستحقون القتل مع علمهم أنه بغير حق **وقولهم**
قلوبنا غلف أي وبقولهم قلوبنا ذات غلاف فلا نفقه حديثك وقرآنك أي في أكنة مما تدعونا إليه وهي جمع
أغلف يعني هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد من الذكر والوعظ أو هو تخفيف
غلف جمع غلاف أي هي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي
يعنون أن قلوبنا بحيث لا يصل إليها حديث إلا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته أيضا **بل طبع**
الله عليها بكفرهم أي بل ختم الله على قلوبهم وخذلها بسبب كفرهم ومنعها التوفيق والألطاف للتدبر
في الآيات والتذكر بالمواعظ فصارت كالمطبوع عليها لا أنها مغلوفة بالخلقة لا يقبل الذكر والإيمان فهي
رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف وهو كلام معترض جيء به على وجه الاستطراد مسارعة إلى رد زعمهم الفاسد
فلا يؤمنون إلا قليلا من كذب الرسل لأن من طبع على قلبه وختم لأن من طبع الله على قلبه وختمه لا
يؤمن أبدا وأراد بالقليل عبد الله بن سلام وأضرابه أو إلا إيمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه **وبكفرهم**
بعيسى عليه السلام معطوف على بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع
هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذانا بتكرر كفرهم فإنهم كفروا بموسى
ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام **وقولهم** أي قول اليهود **على مريم** البتول العذراء **بهتانا**
عظيما يعني نسبتها إلى الزنا وقذفها بيوسف بن ماثان خادم بيت المقدس فإنكار اليهود قدرة الله
على خلق الولد من غير أب وكذا إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام كفر ونسبتهم مريم إلى الزنا بهتان عظيم
لأنه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دل على براءتها من كل سوء وعيب فلهذا وصف الله
تعالى طعن اليهود فيها بأنه بهتان عظيم ووصف طعن المنافقين في الصديقة الحنيفة بنت الصديق
رضي الله عنها بأنه بهتان عظيم حيث قال سبحانك هذا بهتان عظيم فدل ذلك على أن الطاعنين في عائشة بمنزلة
اليهود الذين يطعنون في مريم قاتلهم الله فأنى يؤفكون وقد ذكر شيخنا مشابهتهم باليهود في كتابه الغنية
فراجعه **وقولهم** أي قول اليهود **إنا قتلنا المسيح** سمي مسيحا لأن جبريل عليه السلام مسحه
بالبركة فهو ممسوح أو لأنه يمسح المريض والأكمه والأبرص فيبرأ فسمي مسيحا بمعنى الماسح **عيسى ابن مريم**
رسول الله وصفوه بالرسالة تهكما واستهزاء كقول فرعون لعنه الله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون
ويحتمل أن يكون استئنافا من الله بمدحه أو وصفا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح رفعا لقدره وعيسى بدل
من المسيح أو عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز أن يكون صفة أيضا وجوز في تركيب رسول الله هذه الأوجه
الثلاثة ثم أكذبهم الله في دعواهم بقوله **وما قتلوه وما صلبوه** تخصيص بعد تعميم أو نفي لما ظنوا من
أنهم قتلوه ثم صلبوه **ولكن شبه لهم** روي أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فقال

اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقي عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان
رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطابوس
وزير ملك اليهود بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ
وصلب وقيل غير ذلك وقد مضى من قصته في سورة آل عمران وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم
كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه
قيل ولكن شبه لهم من قتلوه **ان الذين اختلفوا فيه** اي في شان عيسى عليه السلام فانه
لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقيل المختلفون هم اليهود فانهم لما قتلوا الشخص المشبه به نظروا
الى بدنه وقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين
هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلثة النسطورية
والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته
ومن هذا الامة من ذهب الى مذهبهم يقول ان الرب من وجه دون وجه يدعي اللاهوتية والناسوتية
ووحدة الوجود بهذا الوجه طهر الله العباد والبلاد منهم وهو قريب من قول الحكماء ان القتل والموت
يرد على الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين ساير المطلوبين ان نفسه كانت
قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم يعظم تالمها بسبب القتل وتخريب البدن
وقالت الملكانية القتل وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل
والصلب وقعا للمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين قال الكلبي اختلافهم فيه هو ان اليهود
قالوا نحن قتلناه وقالت طايفة من النصارى نحن قتلناه وقالت طايفة منهم ما قتله هولاء
ولا هولاء بل رفعه الله تعالى الى السماء ونحن ننظر اليه قلت وهم الذين سمعوا من عيسى بان الله يرفعني
الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت وهذا قول النسطورية ايضا بهذه العبارة وقال
بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا لانه
قيل ان الله تعالى القى شبه وجه عيسى على وجه سطيانوس ولم يلق على جسده **لفي شك منه**
اي لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك اكده بقوله **ما لهم به** اي بقتل عيسى **من علم** اي من حقيقة انه قتل **الا اتباع الظن**
استثناء منقطع لان الظن ليس من جنس العلم ولكنهم يتبعون الظن في قتله ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء لان الظن من جنس مطلق
الاعتقاد فان قيل ان اتباع الظن مذموم والقياس من اتباع الظن وقد ذم الله الكفار في سورة الانعام
كما سياتي ان شاء الله بقوله ان يتبعون الا الظن وقال ان الظن لا يغني من الحق شيئا والجواب لا نسلم ان العمل بالقياس
من اتباع الظن فان الدليل القاطع لما دل على العمل بالقياس كان الحكم المستفاد من القياس معلوما لا مظنونا
وما قتلوه يعني عيسى **يقينا** اي قتلا يقينا او ما علموا امر قتل عيسى على وجه التيقن به فيقينا حال مؤكدة

لنفي القتل فهو تهكم بهم **بل رفعه الله اليه** وفي المدارك الى حيث لا حكم فيه لغير الله او الى السماء
وفي جامع الاسرار رفعه الله الى السماء التي هي محل كرامة الله تعالى فيكون هذا ردا وانكارا لقتله واثباتا
لرفعه واحتجت المشبهة به في اثبات الجهة وحديث المعراج ينادي عليهم بالانكار قال الله تعالى ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية وكانت الهجرة في ذلك الوقت الى المدينة والى الله ترجع
الامور واليه ترجعون واليه تحشرون واليه يرجع الامر كله وقال ابراهيم اني ذاهب الى ربي **وكان
الله عزيزا** لا يغلب فيما يريده يعني في الانتقام من اليهود وغيرهم ممن يخالف امره **حكيما**
فيما دبر لعيسى من رفعه الى السماء وفي جميع صنعه ومن حكمته انه سلط على اليهود ططيوس بن
اسبيسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة **وان ما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
به** اي بعيسى **قبل موته** اي قبل موت اهل الكتاب اي قبل زهوق روحه يعني حين يعاين ملك
الموت فلا ينفعه ايمانه او قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة فيؤمن به اهل الكتاب في ذلك الزمان
كما ورد في حديث توضيح المعنى والله ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف والضمير في به لعيسى
وقبل موته لاحد المقدر لا لعيسى على الراجح لانه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في
معنى الجمع روي عن ابن عباس انه قال لا يموت كتابي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته فقال له
عكرمة افرايت ان خر من بيت او احترق او اكله سبع قال لا يموت حتى يحرك بالايمان بعيسى شفتيه
وروي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى
يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك ان ينزل
فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله
احد ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم
يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه رواه الحاكم وصححه موقوفا وابو داود وابن حبان مرفوعا
واخرج البخاري في تاريخه عن عبد الله بن سلام قال يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحبيه فيكون قبره رابعا واخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته قال اذا نزل عيسى فقتل الدجال لم يبق يهودي في الارض الا امن به فذلك حين لا ينفعهم
ايمانهم وذهب قوم الى ان الهاء في قوله قبل موته كناية عن عيسى معناه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
بعيسى قبل موته وذلك قبل نزوله من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد الا امن به حتى تكون الملة واحدة
ملة الاسلام وروي عن عكرمة ان الهاء في قوله ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت
كتابي حتى يؤمن بمحمد عليه السلام قال في جواهر الحسان وبعد نزول عيسى عليه السلام ترجع الاديان
كلها واحدا يرجعون الى دين محمد عليه السلام اذ عيسى واحد من امته وعلى شريعته واماما منا
كما ورد في الحديث الصحيح انتهى اخرج احمد والبخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم منكم قال الشيخ وكان عيسى نبيا الى مبعث محمد صلى الله عليه

Copyright © King Saud University

فلما رفع الى رتبة فلا يلزم عزله ولكن لا يبعد ان يصير بعد نزوله تابعا لمحمد عليه الصلاة والسلام
كما اشار عليه السلام الى مضمون هذا المعنى بقوله ولو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي فلا يحتاج
الى ما ذهب اليه المتكلمون بان نزوله ينبغي ان يكون عند ارتفاع التكاليف او بحيث لا يعرف انه عيسى ويوم
القيمة يكون اى عيسى عليهم اى على اهل الكتاب شهيدا اى فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى
النصارى بانهم دعوه وسموه ابن الله فبظلم معطوف على قوله تعالى فبما نقضهم ومتعلق بقوله
حرمنا بعد اى بظلم عظيم اعنى عبادة العجل وقد مر بان الله قبل توبتهم من الذين هادوا اى
من اليهود وفى بعض التفاسير ولعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه
بعد ما هادوا اى تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة بقتل النفوس كما ذكرنا قال محى
السنة وظلمهم ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بايات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا
قتلنا المسيح حرمنا عليهم على اليهود طيبات احلت لهم من المطاعم وغيرها وتلك الطيبات
المحرمة هي التي ذكر فى سورة الانعام فى قوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية وحرم
عليهم الالبان قال الامام وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم الله عليهم بعض ما ذكرنا وما فى سورة
الانعام وهذا اعنى وبصدهم اى بمنعهم وصرفهم الناس عن سبيل الله عن دينه صدا
كثيرا اى ناسا كثيرا فان قلت ولا صد عن سبيل الله قلنا ابتداء التحريم كان بظلم منهم لقوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل واستمراره من الظلم الحادث فالمراد هنا استمرار التحريم الا يرى الى قوله
تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم فى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فى التوراة وكان الربا محرما فى ساير الشرايع كما هو محرم علينا
وفيه دليل على ان النهى يفيد التحريم عند عدم الصارف وخص لاخذ وان كان المعطى ايضا
اثما لكونه اعظم جرما منه واكلهم اموال الناس بالباطل اى بالرشوة وساير الوجوه المحرمة
فهذا من عطف العام على الخاص واعتدنا عطف على حرمنا للكافرين منهم اى المصرين على
الكفر دون من تاب وامن عذابا اليما اى مولما اى سيذوقونه فى الاخرة كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة
التحريم لكن الراسخون فى العلم منهم المبالغون اى لكن الثابتون فى العلم المتقنون
المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد بالراسخين عبد الله بن سلام واصحابه
فقوله لكن استدراك من قوله اعتدنا للحيثيات لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا واجلا و
المؤمنون منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون خبر الراسخون اى يصدقون بما انزل اليك
يعنى القران وما انزل من قبلك يعنى ساير الكتب المنزلة والمقيمين الصلوة منصوب على
المدح لبيان فضل الصلوة ان جعل يؤمنون الخبر اى للراسخين كاولئك او معطوف على ما انزل
اليك والمراد بهم الانبياء حينئذ اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ والمقيمون بالرفع عطفا على الراسخون
او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم قال محى السنة اختلفوا فى وجه
قوله والمقيمين الصلوة فحكى عن عائشة رضى الله عنها وابان بن عثمان انه غلط من الكاتب ينبغى ان يكتب
والمقيمون وكذلك قوله فى سورة المائدة ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله ان هذان

لساحران قالوا ذلك خطأ من الكاتب وقال عثمان رضى الله عنه ان فى المصحف لحنا وستقيمه
العرب بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة
واهل العلم على انه صحيح واختلفوا فيه قيل هو نصب على المدح او بتقدير اعنى المقيمين الصلوة وهم
المؤتون الزكوة وقيل موضعه خفض ومعناه لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلوة
وقيل يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الوجوه
المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر عطف على والمؤتون قال الشيخ والمراد بالكل اى
بالمعطوفين والمعطوف عليهم مؤمنوا اهل الكتاب وصفوا بكونهم راسخين وبكونهم مؤمنين
لجميع الكتب المنزلة على الانبياء وبكونهم عاملين بما فيها من الشرايع والاحكام اولئك الموصوفون
بما عدد من الصفات الجميلة سنؤتيهم اجرا عظيما هو الجنة على جمعهم بين الايمان الصالح
والعمل الصالح وقرئ سيؤتيهم بالياء للجمهور وحمزة بالياء انا اوحينا اليك جواب لاهل
الكتاب عن اقتراحهم ان تنزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى كساير
الانبياء يعنى لم يتوقف نبوتهم على تنزيل كتاب دفعة فانت مثلهم ويكفى فى اثبات النبوة ظهور
نوع من المعجزات وبدأ بذكر نوح عليه السلام بقوله كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
اى بعد نوح كهود وشعيب وصالح وغيرهم اى اوحينا اليك ليحاء مثل ايحائنا الى نوح لانه ابو البشر
مثل ادم واول نبى شرع الله تعالى على لسانه الشرايع والاحكام واول نبى عذبت امته لردهم
دعوته يعنى اهلك الله اهل الارض بدعائه وكان اطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته فى
نفسه لانه عمر الف سنة فلم ينقص له سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر احد
على اذى قومه ما صبر على طول عمره وقيل سبب نزول هذه الاية قول بعض احبار اليهود ما انزل
الله على بشر من شىء فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم واوحينا الى ابرهيم اى واوحينا اليك
كما اوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق وهما ابنا ابراهيم ويعقوب وهو ابن اسحاق والاسباط
وهم اولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر سبطا فاثنا انبياءهم بالوحى لان يثبتوا على التوحيد ويدعوا الناس
اليه وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان اى اوحينا اليهم كذلك خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين
عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبياء
ومشاهيرهم كذا فى جامع الاسرار واتينا داود زبورا اى صحفا مكتوبة اذا كان بضم الزاى نفتح
الزاى اسم لكتاب داود عليه السلام قال القرطبى الزبور كتاب داود وكان مائة وخمسين سورة ليس
فيها حكم ولا حلال ولا حرام وانما هى المواعظ والتحميد والثناء على الله وكان حسن الصوت وكان يبرز
الى البرية فيقوم الحلماء خلفه ويجتمع اليه الجن والانس والدواب والطيور لحسن صوته وكان متواضعا
ياكل من عمل يده وكان يضع الدروع واعلم انه تعالى ذكر فى هذه الاية اثنى عشر نبيا ولم يذكر موسى معهم لان
اليهود قالوا ان كنت يا محمد نبيا فاتنا بكتاب من السماء دفعة واحدة كما اوتى موسى بالتوراة دفعة
واحدة فاجاب عن هذه الشبهة بان هؤلاء الانبياء كانوا انبياء ورسلا مع ان واحدا منهم لم يات
بكتاب مثل التوراة دفعة واحدة واذا كان المقصود من تعديد هؤلاء الانبياء هذا المعنى لم يجز ذكر موسى

Copyright © King Saud University

معهم عن ابي بردة ابن ابي موسى عن ابيه انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة
وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود قلت اما والله يا رسول الله لو علمت
انك تسمع لحبرته تحبيرا قال وكان عمر رضي الله عنه اذا رآه قال ذكرنا يا ابا موسى فيقرأ عنده
ورسلا قيل منصوب على الاشتغال لوجود شرائطه اي وقصصنا رسلا والمعنى على حذف المضاف
اي قصصنا اخبارهم فيكون قد قصصناهم عليك لا محل له لانه مفسر لذلك العامل المضمر فتكون
الجملة معطوفة على قوله وآتينا داود زبورا والذي عليه اهل التحقيق ان يكون نصبه باضمار فعل
اي وارسلنا رسلا وذلك ان الآية نزلت رادة على اليهود في انكارهم ارسال الرسل وانزال الوحي يدل عليه
اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا انه منصوب بما يفسره
قوله قد قصصناهم عليك اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم
على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه
كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله من قبل متعلق بقصصنا اي من قصصنا من قبل هذه السورة
او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع
الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا كما قلنا فان فيه تحقيقا
للمماثلة بين شأنه عليه السلام وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء في مطلق الايحاء ثم في ايتاء
الكتاب ثم في الارسال فان قوله انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتى كأنه قيل انا اوحينا اليك
ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا
داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم
قال الشيخ وربما يحصل لهم بالالهام بلا مطالعة من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال
فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه
بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور
ذلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في
ضمن قوله تعالى انا اوحينا ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول
يقتضي تقديره في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا كذا ذكره ابو السعود واجاد وذكر الشيخ الامام
جلال المحلي قدس سره في سورة غافر روي انه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة
آلاف من سائر الناس وذكر في جامع الاسرار وفي المدارك ايضا سئل ابو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا فقال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر اول الرسل آدم وآخرهم
نبيكم محمد واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم والآية تدل على ان معرفة الانبياء
كل واحد لو كان شرطا لنص علينا كل ذلك ثم عطف على انا اوحينا اليك قوله وكلم الله موسى بلا واسطة
يعني كما كلمنا موسى من وراء حجاب كلمناك مواجهة تكليما والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي
خص موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة جملة قادحا
في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا منجما عند الحاجة مع ان ظهور ان نزولها كذلك بحكم مقتضية

لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا
بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعدما التبأ واتى وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا عليه السلام بان اعطاه
مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله وسلم عليهم والجمهور على رفع الجلالة وتكليما مصدر موكد لرفع
المجاز قال الفراء العرب تسمي ما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر
فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام وهذا يدل على بطلان قول من يقول خلق الله لنفسه
كلاما في شجرة سمعه بل هو الكلام الحقيقي يكون به المتكلم متكلما رسلا مبشرين ومنذرين نصب
على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة
بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار اعني ارسلنا رسلا واللام في لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل تتعلق بارسلنا وقيل بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام
الحجة لئلا يكون لهم معذرة فيعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل
ونخزى بايقاظه ايانا من سنة الغفلة وتنبيهه لنا لما وجب الانتباه له وتعليمه ايانا ما لا يعرف
الا بالسمع كالعبادات والشرائع اعني في حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها مما يعرف
بالعقل وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه تعالى حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء
كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنه تعالى بمقتضى كرمه ورحمته بمنزلة الحجة القاطعة التي
لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل
لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح
نفسه ووعد الجنة وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب وحجة اسم كان
وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال
على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز ان يتعلق على الله
بحجة وان كان المعنى عليه لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وبعد الرسل متعلق بحجة اي بعد ارسالهم
وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن
قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل
نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد اي يثبت نبوتك بما انزل اليك من القرآن
المعجز الدال على نبوتك استدراك من مفهوم الكلام السابق وكانه لما تعنتوا وتمردوا عليه بسؤال
كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون بصدقك في دعوى
الرسالة لكن الله يشهد لك انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بان ما انزله اليك من كلام الله المعجز
قال ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم
فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه ذات يوم جماعة من اليهود فقال لهم والله انكم لتعلمون اني رسول
الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله لكن الله يشهد بما انزل اليك ان محمدا وكذبوك انزله
اي القرآن بعلمه الذي لا يعلمه غيره او انزله اليك وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك
مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه اثبت لنفسه

Copyright King Saud University

العلم أو أنزله ملتبساً بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو أنزله ملتبساً
محفوظاً من الشياطين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والملائكة يشهدون اى يشهدون
لك بالنبوة بما شهد الله علموا ذلك باخبار الله تعالى روى الدارمي مرفوعاً ان تعالى قرأ طه ويس قبل
خلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآة قالوا طوبى لامة نزل عليها هذا وطوبى
لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بها وذكر شهادة الملائكة مع كفاية شهادة رب العالمين
تشريفاً لهم او ليقابل بشهادتهم تكذيب الكفار اياه وكانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكأنه
قيل يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله العالمين يصدقك وملائكة السموات يصدقونك
على ذلك فلا تلتفت الى تكذيب اخس الناس واخسرهم وكفى بالله شهيداً اى كفى شهادة الله لك
ان لم يشهد غيره ثم قال ان الذين كفروا بالله اى بما انزل الله وشهد به او بكل ما يجب الايمان به
والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا اى منعوا الناس عن سبيل الله اى عن دين الاسلام
بكتمان محمد وصفاته قد ضلوا ضلالاً بعيداً عن الحق والرشد لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال
ولان المضل يكون اغرق فى الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا بالله وظلموا محمداً بانكار
نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم والمراد بالفروع ما تتفرع صحته على الايمان كالصلاة والصوم
وغيرهما فان الكفار مخاطبون بفروع الايمان عندنا فيعذبون بتركها لقوله تعالى ما سلككم فى سقر
قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الاية خلافاً للحنفية قيل وانما قال وظلموا مع ان
ظلمهم بكفرهم تأكيداً لم يكن الله ليغفر لهم ان ماتوا على الكفر والظلم ولا ليهديهم طريقاً اى
دين الاسلام او طريقاً من الطرق الا طريق جهنم المؤدى اليه خالدين فيها ابداً يجرى حكمه
السابق ووعده المحتوم على ان من مات على الكفر فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة لان الدلالة
الى الطريق ليس فى حال الخلود بل فى حال تقدير الخلود وكان ذلك اى جعلهم خالدين فى جهنم على
الله يسيراً لاستحالة ان يتعذر عليه شىء من مراداته انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون
والايتان فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر يا ايها الناس اى يا جميع الناس
او يا اهل مكة قد جاءكم الرسول يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق اى بالقرآن او الاسلام من ربكم
اى جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائناً من عنده تعالى فهو تكرير للشهادة وتقرير لحقيته
المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق خيراً لكم
اى يكن الايمان خيراً لكم او اقصدوا او ائتوا امراً خيراً لكم مما انتم فيه من الكفر او آمنوا ايماناً خيراً لكم
وان تكفروا به فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم وطاعتكم وثنائكم له فهو محمود بالذات
فان لله ما فى السموات والارض ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يضره كفركم فمن هذا شأنه فهو قادر
على تعذيبكم بكفركم لا محالة وكان الله لم يزل عليماً باحوالهم او بمن يؤمن ومن يكفر او مبالغاً فى العلم
فهو عالم باحوال الكل اى بجميع خلقه فيدخل فى ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولاً اولياً حكيماً فيما دبر لهم
او لا يسوى بين المؤمن والكافر فى الجزاء يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم اى لا تتجاوزوا الحد

بزيادة ونقصان ولا تنتقصوا فيه ما لا يعقل الخطاب للفريقين يعنى اليهود والنصارى غلت
اليهود فى حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ابن كذا قاتلهم الله والنصارى رفعه حتى اتخذوه
الهاً او ابناً له قالت اليعقوبية والملكانية هو الله وقالت النسطورية ابن الله وقالت المرقوسية
ثالث ثلاثة علمهم ذلك رجل من اليهود يقال له بولس ذكره البغوى فى سورة التوبة فراجعه وقد
ذكروا فى نبينا بعض من لا خلاق له ما لا يليق بمنصبه فغلوه حتى تجاوزوا فى ذلك الملل كلها وغاية
الامر انه صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله وخير خليقته جملة وتفصيلاً وقيل الخطاب للنصارى خاصة
فانه اوفق لقوله عز وجل ولا تقولوا على الله الا الحق اى الا القول الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة
والولد والحلول والاتحاد قال شيخنا وسئل ابن حجر عن القول بوحدة المطلقة يعنى بكون الخالق
والخلق شيئاً واحداً من غير تمييز فقال هو خارج عن طريق العقل والشرع وانه باطل وضلال وسئل
عن الاتحاد فقال هو لفظ مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذى هو اخ للحلول وهو كفر واول من قال
به النصارى الا انهم خصوه بعيسى او به وبامه ولم يعدوه الى احد وخصوه باتحاد الكلمة دون
اتحاد الذات وما احسن قول سيدى على وفا يظنوا بى حلولاً واتحاداً وقلبى من سوى التوحيد
خالى وعلمك ان الامر امرى هو المعنى المسمى باتحادى انما المسيح وقدم معنى المسيح عيسى ابن
مريم لا ابن الله ولا الهاً معه ولا ثالث ثلاثة بل هو ابن مريم العذراء البتول بنت عمران رسول الله
اى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها فالرسول خبر المبتدأ وهو المسيح وعيسى عطف بيان
للمسيح او بدل منه وكلمته عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بالكلام قال النجم
يعنى ان وجوده فى بطن امه كان بكلمة الله تعالى وهو قوله كن فكان بشراً من غير اب فمثله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقيل معنى كلمته اى حجته وقال ايضاً قيل لعيسى كلمة الله
وكلمة منه لانه وجد بكلمته اعنى كن وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة فتسميته بالكلمة
تسمية للشىء باسم سببه فالذى لا يرضى بان يكون هو عين واحد من خلقه فكيف يرضى بان
يكون عين جميع خلقه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً واما مراد محققى الصوفية من الاتحاد
هو تسليم الامر كله لله وترك الارادة معه والاختيار والجرى على مواقع اقداره من غير اعتراض و
ترك نسبة شىء ما الى غيره كذا قال ابن حجر الهيتمى فهو باين عن جميع خلقه قائم بنفسه قيوم لغيره فهو
الباقى بالذات والاستقلال وحده وما سواه هالك باق بابقاء الله لان وجودهم ليس من ذواتهم
استقلالاً وان شئت توضيح هذا فراجع مشكاة الانوار لحجة الاسلام فتدبره ولا تبال بتحريف المحرفين
وكلماتهم الزائغة الملفقة من كل كلمة كلمة انما الله اله واحد وكل شىء هالك نبهنا الله من نوم
الغفلة وانما غرهم بهذه المفسدات ليقال فيهم ان فلاناً يتكلم فى الحقايق ويفتح على نفسه الباب
فهو فلان وقته وعنده من العلوم لا يفهمها الا اهلها وقد قالوا فيهم ان فلاناً كذا وكذا وحسبى
والله الحسيب القاها الى مريم اى قدرها واوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل فى درع مريم
قال محيى السنة والفرض معناه القاها الى مريم اى اعلمها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك بقوله
تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم كما يقال القيت اليك كلمة حسنة اى اعلمتك فهو

عزوجل القاها الى حال وقد معه مقدرة اى والحال ان الله اوصلها اليها او اخرجها بالكلمة من غير اب
ولا نطفة وفى العيون ان جبريل عليه السلام نفخ فى جيب درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها
فتحرك عيسى فى بطنها **وروح منه** عطف على رسول الله اى بتكوينه وتخليقه كقوله وسخر لكم ما فى
السموات وما فى الارض جميعا منه قال السلطان اى ذو روح منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة
وقيل سمى روحا لانه كان يحيى الاموات او القلوب قال محيى الفرض والسنة قيل هو روح كسائر الارواح الا ان
الله سبحانه اضافه الى نفسه تشريفا وقيل الروح هى النفخ الذى نفخ جبريل عليه السلام فى درع مريم فحملت باذن
الله سميت النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح واضافه الى نفسه لانه كان بامره وقيل وروح منه
اى ورحمة منه وكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به وقيل الروح الوحى اوحى الى مريم
بالبشارة والى جبريل بالنفخ والى عيسى ان كن فكان كما قال تعالى ينزل الملئكة بالروح من امره يعنى بالوحى
وقيل اراد بالروح جبريل عليه السلام معناه وكلمته القاها الى مريم والقاها اليها ايضا روح منه بامره
وهو جبريل كما قال تعالى تنزل الملئكة والروح فيها يعنى جبريل وقال فارسلنا اليها روحنا يعنى
جبريل عليه السلام وعن عبادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان
الجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل انتهى قال الشيخ وحاصل المعنى وسمى عيسى روحا
لانه ذو روح وجسد كغيره واضيف الى الله تشريفا له او ذو روح صدر منه تعالى بلا توسط الاب
والنطفة ومن لابتداء الغاية مجازا والمقصود انه لا نسبة ولا اتصال ولا خلط بين الله تعالى وعيسى
الا انه رسوله لان عيسى مركب ومتصف بسمات الحدوث والله تعالى منزه عن ذلك وانما هو ابن مريم
وجزء منها وليست من تبعيضية كما زعمه النصارى وبعض الزنادقة لاستحالة التجزى على الله
وهو يقول فى سورة الزخرف وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين والاية ينادى
بكفر من يجعل بعض خلقه جزءا منه فكيف بمن يجعل الخالق عين خلقه كله وجعلوا الملئكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم وهم يسألون وحكى ان بعض النصارى اى
غلام الرشيد وكان طبيبا حاذقا ناظر بعض اكابر المسلمين اعنى به على بن حسين الواقدى
المروزى وقال ان فى كتابكم ما يشهد بان عيسى جزء من الله واستشهد بقوله تعالى وروح منه يعنى
بان من فى منه تبعيضية فعارضه المسلم بقوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه
فقال اذا يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عنده وعندكم
بالاتفاق فانقطع كلام النصرانى واسلم وتقديم لفظ الرسول يسد باب تاويل النصارى والفرق
الضالة حاصله وتقديم كونه [redacted] عليه السلام رسول الله فى الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى
وروحا منه فى الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين ما اريد بما يحتمله وسد
باب التاويل الزايغ **فآمنوا بالله** اى خصوه بالالوهية **ورسله** اجمعين اى ان عيسى من رسل الله
فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها **ولا تقولوا ثلثة** اى لا تقولوا الالهة ثلثة الله و
المسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله او ان الله ثلثة اقانيم

ثم يقولون الله ثلثة اقانيم اى مركب من ثلثة اصول الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب
الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة **انتهوا** عن التثليث وعن كل ما لا يليق بعلى الاقدس **خيرا
لكم** اى يكن الانتهاء عن هذه القول الشنيع واتوا بما هو خير لكم اعنى التوحيد **انما الله اله واحد**
اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما وهو مباين عن خلقه بجميع كمالاته فالله مبتدأ واله خبر
وواحد نعت اى منفرد فى الوهيته **سبحانه ان يكون له ولد** اى انزهه تنزيها من هذه النقيصة
لان الولد يشارك الوالد ولو من وجه وليس كمثله شىء **له ما فى السموات وما فى الارض** ملكا وخلقا
فلا يجانسه شىء من ذلك فيتخذ منه صاحبة او ولدا فالمملوك والمخلوق لا يتصور كونهما ولدا وزوجة
ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا فهو مباين لهم بجميع كمالاته فكيف يكون بعض
ملكه وخلقه جزءا منه **وكفى بالله وكيلا** اى شهيدا على ذلك او حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما
ومن عجز عن كفاية امر يحتاج الى ولد يعينه فهو تنبيه على غناه عن الصاحبة والولد فان
الحاجة الى الولد ليكون وكيلا لابيه ليس الا والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن
عمن يخلفه اى يعينه لانه الغنى المطلق بالذات لا يتطرق اليه الفناء والحاجة ثم لما قال وفد
نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال واى شىء اقول قالوا تقول انه عبد الله
ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى نزلت **لن يستنكف المسيح** اى لن يانف
ولن يترفع ولن يتعظم ولا ينقبض ولا يتكبر عيسى انفا وحمية بان يتنحى عن نفسه ما يوجب
الذلة **بان يكون عبدا لله** فان عبوديته شرف يتباهى به او لا يرى ان اول مقالة قالها
للناس انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وهذا رد على النصارى **ولا الملئكة المقربون**
وهذا رد على من يعبدهم من العرب وغيرهم وهو عطف على المسيح والمقربون هم الكروبيون الذين
هم حول العرش قال الشيخ كجبريل وميكائيل ومن فى رتبتهم قال محيى السنة والفرض ولا الملئكة
المقربون وهم حملة العرش لا يانفون ان يكونوا عبيدا لله وتثبت المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك
على البشر بهذه الاية لان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملئكة ولا يرتقى الا الى الاعلى اذ لا يقال لا يستنكف
فلان من كذا ولا عبده وانما يقال فلان لا يستنكف من كذا ولا سيده ولا حجة لهم فيه لانه لم يقل ذلك
رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على الذين يقولون ان الملئكة الهة كما رد على النصارى
فانهم يقولون بالوهية عيسى فقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله والحاصل ان خواص البشر
وهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام افضل من خواص الملئكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل
ونحوهم وخواص الملئكة افضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر افضل من عوام
الملئكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك انهم قهروا نوازع الهوى فى ذات الله مع انهم جبلوا
عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملئكة فى العصمة وتفضلوا عليهم فى قهر البواعث النفسانية
والدواعى الجسدانية فكانت طاعتهم اشق لكونها مع الصوارف والموانع بخلاف طاعة الملئكة
لانهم جبلوا عليها فكانت اركى ثوابا بالحديث **ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر** اى يترفع
عنها ويطلب الكبرياء والاستنكاف اخص من الاستكبار لانه تكبر مع الانفة ولذلك عطف عليه

وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق **فسيحشرهم اليه جميعا** في الاخرة
فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ويثيب غير المستنكفين على طاعتهم والضمير يعني هم راجع الى
المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملئكة والتقدير فيحشرهم وغيرهم
ثم قال في شان الموحدين **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات** اي الطاعات التي بينهم وبين ربهم
فيوفيهم اجورهم اي يتم ثواب اعمالهم من غير ان ينقص منها شيئا **ويزيدهم من فضله**
اي من رزقه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال تاكيدا في شان
المستنكفين عن عبادته **واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما** اي مولما
هو عذاب النار او وجيعا دايما **ولا يجدون لهم من دون الله وليا** اي قريبا يلي امورهم ويدبر
مصالحهم **ولا نصيرا** ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه **يا ايها الناس قد جاءكم** اي
وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار **برهان** اي حجة قاطعة روي عن ابن
عباس انه النبي صلى الله عليه وسلم وعليه اكثر المفسرين عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه
وقيل عني به المعجزات التي اظهرها وقيل هو الدين الحق الذي اتي به وقيل هو القران **من ربكم** عليكم
لتكميلكم **وانزلنا اليكم نورا مبينا** وهو القران يستضاء به في ظلمات الحيرة يسمى نورا لوقوع نور
الايمان في القلب لانه بين بنفسه منور لغيره مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى
عن غيره مبين لغيره الامور المذكورة هاد للخلق يخرجهم من الظلمات الى النور والحاصل جاءكم
دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة **فاما الذين امنوا** هذا تفصيل لقوله يا ايها
الناس **بالله واعتصموا به** اي عصموا بالله او بالقران انفسهم مما يهلكها من اتباع الهوى والشيطان
فسيدخلهم في رحمة منه اي في ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق
واجب **وفضل** اي واحسان زايد عليهم وروي عن ابن عباس انه قال اراد بالرحمة الجنة وبالفضل
ما يتفضل به عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وثواب رحمة وفضل
تفضي **ويهديهم** اي يرشدهم **اليه** اي الى الله او الى الفضل او الى صراطه **صراطا مستقيما** اي طريقا مستويا
لا اعوجاج فيه وهو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة **يستفتونك** اي يستخبرونك
في الكلالة حذفت لدلالة الجواب روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة اي ليس لي ولد ولا والد وفي رواية انما يرثني كلالة وفي رواية ان لي كلالة من الورثة
فما لهم من الميراث منها او فكيف اصنع في مالي فنزلت قال اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة ايتين احديهما
في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه ولهذا سميت اية الصيف وقد
اشرنا فيما مر الى هذه المعنى وفي الصحيحين اخر اية نزلت في الاحكام خاتمة اية الكلالة واخر سورة
نزلت كاملة براءة **قل** في جواب السايل **الله يفتيكم في الكلالة** وقد ذكرنا معنى الكلالة وحكم
الاية في اول هذه السورة وفي هذه الاية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وللاب دون الام
ان امرؤ هلك اي مات **ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك** من مال الاخ ثم بين
ميراث الاخ من اختها بان ماتت الاخت وبقي الاخ بقوله **وهو يرثها** يعني اذا ماتت الاخت فجميع

ميراثها للاخ لانه يستغرق مالها **ان لم يكن لها** اي للاخت **ولد** ابن فان كان ولدها انثى فللاخ ما
فضل عن فرض البنات ولنرجع الى تفصيل الاية معنى واعرابا فقوله ان امرؤ ارتفع بفعل يفسره الظاهر
وهو هلك وقوله ليس له ولد صفة له اي امرؤ غير ذي ولد وقيل حال من المستكن في هلك لا من
امرؤ لانه نكرة غير مخصوصة قوله وله اخت عطف على قوله ليس له ولد او حال والمراد بالاخت
من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة حاصل الكلام
ان ظاهر الاية مطلق ولا بد فيه من تقييدات ثلثة الاول ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه
هو الذي يسقط الاخت واما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود ان
النبي صلى الله عليه وسلم قضى في بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس
والباقي للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت بالعصوبة الثاني
ان ظاهر الاية يقتضي انه اذا لم يكن للميت ولد فان الاخت تاخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق
بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا والد لان الاخت لا ترث مع الوالد بالاجماع الثالث قوله وله
اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر حكمهما في اول
السورة قوله وهو يرثها اي واخوها يرثها ويستغرق مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه
بعدها كما اشرنا قوله ان لم يكن لها ولد اي ابن كما قلنا لان ابن الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان
هنا في الاخ من الابوين او من الابوين كما اشرنا اما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا المراد
ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا مسقط للاخ لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها
فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ **فان كانتا** اي الاختان **اثنتين** فصاعدا لانها نزلت
في جابر وقد مات عن اخوات **فلهما الثلثان مما ترك** الاخ وفايدة الاخبار بالتثنية التنبيه على
ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وان كانوا** اي الورثة **اخوة** واخوات **رجالا**
ونساء اي ذكورا واناثا **فللذكر** منهم **مثل حظ الانثيين** اصله وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر **يبين الله لكم** حكم الكلالة او احكامه وشرايعه التي من جملتها حكمها **ان تضلوا**
اي يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا في امر توريث الكلالة وغيره او يبين لكم ضلالكم
الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتطلبوا خلافه وضده وقيل لئلا تضلوا
وهو قول الكوفيين **والله بكل شيء عليم** ومنه الميراث والمعنى علمه في غاية الكمال فالذي شرعه من
الاحكام ناش عن حكمة بالغة وان دقت على بعض الافهام فهو العالم بمصالح العباد والبلاد في الحيا
والممات ويعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده ونزلت بداية الكلالة على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم واخر ما نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله تعالى ثم
عاش عليه السلام بعدها احدا وعشرين يوما انا لله وانا اليه راجعون **سورة المائدة**
مدنية نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى
الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا ايها الناس ان سورة المائدة من اخر
القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها **وهي مائة وعشرون او ثنتان او ثلاث وعشرون اية**

Copyright © King Saud University

فان قلت لم حض النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القران بقوله فاحلوا حلالها الى كل
سور القران يجب ان يحل حلالها وان يحرم حرامها قلت هو كذلك وانما حض النبي صلى الله عليه وسلم
هذه السورة لزيادة الاعتناء بها وهي كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة الاشهر وان كان لا يجوز
الظلم في شئ من جميع شهور السنة وانما افرد الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما
حض النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم ينزل في غيرها من سور القران وهي
قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا
بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا
قمتم الى الصلوة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
الوفاء هو القيام بمقتضى العهد واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله بوفائها فقال ابن جريج هذا
خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شان
محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم الله بالوفاء بالعقود قال ابن عباس رضي
الله عنهما هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القران فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت
في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك
هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا
بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم
وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقدة اليمين وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة
البيع وعقدة الشركة زاد بعضهم وعقدة الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندي بالصواب ما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها
فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا هذا القول اولى بالصواب لان الله
تعالى اتبعه بالبيان والتفصيل عما احل لعباده وحرم عليهم بقوله عز وجل احلت لكم بهيمة
الانعام وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة كل حي لا يميز وقيل اسم لكل ذي اربع من الحيوان
لكن خص في التعارف لما عدا السباع والضواري والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا
يدخل فيها الحافر في قول جميع اهل اللغة قال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم
والمعز وهي الازواج الثمانية من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
فعلى هذا يكون اضافة البهيمة الى الانعام على وجه التاكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها
كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام
وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل وما يحرم من البهائم فلهذا قال تعالى احلت لكم
بهيمة الانعام وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت

او نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليله وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجة
وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها
الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوا ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن ابن عمر رضي الله
عنهما في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا اكله
قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه
ان بقرة نحرت فوجدت في بطنها جنين فاخذ ابن عباس رضي الله عنهما بذنب الجنين وقال هذا
من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم
خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا
بعد ذكاة الام وقوله الا ما يتلى عليكم يعني في القران تحريمه واراد به قوله تعالى الاتي قريبا اي
حرمت عليكم الميتة والدم الخ قال السلطان اي الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة
او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي اي غير مبيحين الصيد وانتم حرم يعني احلت لكم الانعام
كلها لئلا يضيق عليكم والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم محرمون
في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه اي احلت لكم الانعام كلها الا ما كان
وحشيا فانه صيد لا يحل لكم في حال الاحرام بدليل قوله وانتم حرم والحرم جمع حرام وهو المحرم
والصيد يحتمل المصدر والمفعول ان الله يحكم ما يريد يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من
من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرايضه
مما فيه مصلحة لعباده يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة
وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج واعماله من الطواف والاحرام والسعي
والحلق والنحر ومن مرامي الجمار والمطاف والمسعى فانها علامات الحاج ودلايل النسك وهي من مدركة
بالمشاعر اي الحواس والاضافة للتشريف والمعنى لا تقطعوا اعمال من يحج بيت الله ويوافق مواقف
الحج باقامة ما شرع في كل موقف وقيل دين الله كقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرايضه
اي لا تقطعوا شيئا من فرايضه التي حدها لعباده واوجبها عليهم ولا الشهر الحرام اي لا تحلوا
بالقتال فيه او النسئ وهو تاخير حرمة شهر الى شهر اخر لاغراضهم الفاسدة والشهر الحرام هو
الاربعة المعروفة ولا يخفى ان حرمة القتال في الشهر الحرام منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث ثقفتموهم ولا الهدي اي لا تحلوا الهدي اي ما اهدي الى الكعبة من ناقة او بقرة او شاة
وهو جمع هدية بتسكين الدال ولا القلايد اي ولا تحلوا ذوات القلايد من الهدي وعطفها
على الهدي مبالغة في التوصية بها بان لا يتعرض لها لان ذوات القلايد اشرف الهدي فهو من قبيل
عطف جبريل عليه السلام على الملكة كانه قيل وذوات القلايد خصوصا او لا تحلوا القلايد انفسها
فضلا عن البدن المقلدة والقلايد جمع قلادة وهي ما قلد به من نعل وقشر شجر او غيرها ليعلم
به انه هدي فلا يتعرض له ولا امين البيت الحرام اي ولا تحلوا مقاتلة قوم قاصدين زيارة

بيت الحرام وهم الحجاج والعمار والبيت نصب على المفعول به لآمين **يبتغون** حال من الضمير في آمين
ولا يجوز ان يكون هذه الجملة صفة لآمين لان اسم الفاعل متى وصف بطل عمله على الصحيح **فضلا** رزقا
من ربهم بالتجارة **ورضوانا** منه والمعنى تفضيلا اي يطلبون فضول الاموال بالتجارة ورضوان الله
عنهم والعفو عن الجنايات اي يقصدون البيت لاصلاح اسباب المعاش والمعاد فان كان هذا في
حق الآمين المؤمنين فابتغاء رضوان الله منهم ظاهر وان كان في حق الكفار فمعناه انهم يزعمون اذ لا رضوان
في الواقع للكفار وقيل هو رضوان الله عنهم بتاخير العذاب عنهم وان لا يعاجلهم كما عاجل المكذبين
من الماضين ولعل كانت الحكمة في عدم التعرض لما ذكرنا اقامة مصالح اهل مكة وقوام عيشهم بحمل
الناس اليهم كل شيء يحتاجون اليه قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر
الحرام والهدي والقلائد وكان هذا امرا قديما ومعنى تجديد الخطاب بذلك ما روي في شان نزول
هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت عام القضية في حطيم واسمه شريح بن ضبيعة
ابن شرحبيل وذلك انه اتى المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال الى ما تدعو الناس فقال
الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة فقال حسن حسبي الا ان لي اصحابا
لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم ثم خرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه
كافر وخرج بقفاء غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فتبعوه فلم يدركوه
فلما كان عام القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي
فقال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الحطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية ولهذا قال ابن عباس ومجاهد الشعائر
هي مناسك الحج كما اشرنا وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله
عز وجل عن ذلك وقال ابو عبيدة شعائر الله هي الهدايا وهي ههنا ان يطعن في صفحة سنام
البعير بحديدة حتى يسيل الدم وهو سنة في الهدايا اذا كانت من الابل روى البخاري عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم بيدي ثم قلدها واشعرها
واهداها فما حرم عليه شيء كان احل له وقاس الشافعي رضي الله عنه البقر على الابل في الاشعار
واما الغنم فلا تشعر بالجرح لانها لا تحمل الجرح لضعفها وعند ابي حنيفة لا يشعر الهدي وقال
الامام وهذه الآية الى ههنا منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يؤمن كافر بالهدي والقلائد وقرئ
تبتغون على خطاب المؤمنين وقيل استيناف على حذف الاستفهام وقيل حال من ضمير لا تحلوا **واذا
حللتم** من الاحرام **فاصطادوا** امر اباحة يعني اباح للحلال اخذ الصيد وظاهر الامر
للوجوب فهو ههنا للاباحة لان المانع من حل الاصطياد هو الاحرام فاذا زال الاحرام وجب ان
المنع ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ
بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ واحللتم يقال حل المحرم واحل

ولا يجرمنكم

ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم ولا يكسبنكم يقال فلان جريمة اهله اي كاسبهم وقيل لا يدعونكم وفاعل يجرمنكم
قوله عز وجل **شنآن قوم** اي شدة بغضهم وعداوتهم وهم كفار مكة قرأ ابن عامر واسماعيل
عن نافع وعاصم في رواية ابي بكر بسكون النون والباقون بفتحها وهما لغتان وهو مصدر بمعنى شدة
البغض والعداوة اضيف الى المفعول او الفاعل وقيل بالفتح مصدر وبالسكون نعت اي بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر **ان صدوكم عن المسجد الحرام** قرأ ابو عمرو وابن كثير بكسر الهمزة على انه شرط معترض
اغنى عن جوابه لا يجرمنكم والصدود بكسرها شرطا مستقبلا اي ان يصدوكم في المستقبل مثل ما مضى
في عام الحديبية والباقون بفتحها اي لاجل صدهم اياكم عن المسجد الحرام عام الحديبية وقد قال بعض
المفسرين نزلت هذه الآية عام الفتح سنة ثمان والصد كان عام الحديبية سنة ست فالمعنى على
تقدير الاستقبال ان يقع منهم صد فيما يستقبل مثل ما مضى منهم في عام الحديبية **ان تعتدوا** اي فلا
تعتدوا عليهم بالقتل والانتقام يعني لا تجاوزوا الحد في المكافات بالقتل واخذ الاموال وهو ثاني مفعولي
يجرمنكم والاول كم قال الامام والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء والتجاوز في حكم الله لانهم صدوكم
وبعبارة اخرى لا يحملنكم ولا يكسبنكم بغض قوم بان صدوكم الاعتداء او على الاعتداء ومن قرأ يجرمنكم
بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين **وتعاونوا** امر معطوف
على النهي قبله اي ليعن بعضكم بعضا اي تناصروا **على البر** متابعة الامر اي فعل ما امرتم به كالعفو
والتقوى اي مجانبة النهي وفي الحديث الصحيح والله في عون العبد ما دام في عون اخيه **ولا تعاونوا
على الاثم** اي على المعاصي والكفر او على ما يورث المعصية والكفر **والعدوان** اي الظلم والتجاوز عن
الحق في حدود الله للتشفي والانتقام **واتقوا الله** في مجامع اموركم يعني خافوا عقابه بان تطيعوه ولا
تخالفوه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك
في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس وقيل البر الاسلام والتقوى السنة والعدوان البدعة
ان الله شديد العقاب حقيق بان يتقى لانه شديد عقابه وانتقامه واخرج البخاري في تاريخه
والطبراني والبيهقي في شعب الايمان عن اوس بن شرحبيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام واخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله حتى ينزع **حرمت
عليكم الميتة** وهذا بيان وتفصيل لما ذكرنا من قوله عز وجل الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير
تذكية وكان اهل الجاهلية ياكلون الميتة وما عطف عليها **والدم** اي الدم المسفوح لقوله تعالى او دما
مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها **ولحم الخنزير** اي كل اجزائه وتخصيص
اللحم بالذكر لما انه معظم المقصود وقد قال الله تعالى في سورة اخرى فانه رجس والكناية ترجع الى الخنزير
فدل على ان كله نجس العين **وما اهل لغير الله به** اي ما ذكر على ذبحه غير اسم الله يعني رفع
الصوت لغير الله كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه **والمنخنقة** هي التي تخنق فتموت قال ابن عباس
كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها او انخنقت بالشبكة او بغيرها **والموقوذة**
اي المضروبة بنحو خشب او حجر حتى يموت من وقذته اذا ضربته ومنها ما رمي بالبندق فمات

والمتردية

Copyright

والمتردية اى التي تردت من علو او في بئر فماتت فيدخل فيها ما اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على
الارض فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم انه زهق روحه بالتردي او بالسهم والنطيحة اى التي
نطحتها اخرى فماتت بسببه ولا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فافرد
بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة للنقل لانها صفات الشاة بناء على
على اغلب ما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما اثبت النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء
كقوله كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف غير مذكور تقول مررت بامراة قتيل فلان
فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه واما عبارة الامام وهاؤه للتانيث
تدخل على الفعيل اذا كان بمعنى الفاعل فاذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمؤنث نحو عين كحيل
وكف خضيب فاذا حذفت الاسم وافردت الصفة ادخلوا الهاء فقالوا رأينا خضيبة وكحيلة وهاهنا
ادخلوا الهاء لانه لم يتقدمها الاسم فلو سقط الهاء لم يدر انها صفة مؤنث ام مذكر ومثله الذبيحة و
النسيكة واكيلة السبع وقرئ المنطوحة وما اكل السبع اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح
الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل والسبع اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان ويفترس
الحيوان كالاسد وما دونه فان قيل ما اكله السبع عدم ونفذ اكله فكيف يحسن فيه التحريم حتى
حتى قال وما اكل السبع قلنا معناه ما اكل منه السبع بمعنى الباقي بعد اكله كما اشرنا ابتداء فلا تغفل الا ما
ذكيتم اى الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة
في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وسئل عن الشعبي عن رجل انتهى الى شاة وقد خرج من عامتها
الا ان عضوا يتحرك فذبحها ايؤكل قال نعم قال لو انتهيت الى مجروح خرج من عامة جسده الروح فقتلته
خطأ اعليك ديته وقال علي رضي الله عنه اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها فهي
ذكية قال البغوي وذكوته قوله عز وجل الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشياء واصل التذكية
الاتمام يقال ذكيت النار اذا اتممت اشعالها والمراد هاهنا تمام فري الاوداج وانهار الدم قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر واقل الذكاة في الحيوان المقدور
عليه قطع المرئ والحلقوم وكماله ان يقطع الودجين معهما ويجوز بكل محدد يجرح من حديد او قصب
او زجاج او حجر الا السن والظفر لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح بهما وانما يحل ما ذكيته بعد ان جرحه السبع
او اكل شيئا منه اذا ادركته والحياة فيه مستقرة فذبحته اما ما صار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في
حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة اذا ادركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح
فذبحتها تكون حلالا لانه وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول
البيت نحو من ثلثماية يعبدونها ويذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وليست هي باصنام انما الاصنام
هي الصور المنقوشة وقيل هي الاصنام المنصوبة وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
في موضع الرفع بالعطف على الميتة والاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام اى وحرم
عليكم طلبكم القسمة والحكم بالازلام جمع زلم بضم الزاي وفتحها وهو قدح صغير لا ريش عليه ولا نصل وقال
بعضهم ان الازلام كانت ثلثة مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل اى لا اسم

لا كتابة

لا كتابة عليه كانوا يجعلونها في وعاء فاذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا مهما اخرجوا
واحدا منها فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اعادوا العمل
قال محيي السنة وكانت ازلامهم سبعة قداح مستوية في خريطة تكون عند سادن البيت مكتوب
على واحد نعم وعلى واحد لا وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل
وواحد غفل ليس عليه شيء فكانوا اذا ارادوا امرا في سفر او نكاح او ختان او غيره او تدارؤوا في نسب
او اختلفوا في تحمل عقل جاؤوا الى هبل وكان اعظم اصنام قريش بمكة وجاؤوا بمائة درهم فاعطوها صاحب
القداح حتى يجيل القداح ويقولون يا الهنا انا اردنا كذا وكذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم يفعلوا
ذلك حولا ثم عادوا الى القداح ثانية واذا اجالوا على نسب فاذا خرج منكم كان وسيطا منهم وان خرج من
غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف واذا اختلفوا في عقل
فمن خرج عليه قدح العقل حمله وان خرج الغفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهى الله تعالى عن
ذلك وحرمه انتهى وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة المعهودة وهي عشرة اقداح الفذ
ثم التوأم ثم الرقيب ثم الحلس ثم النافس ثم المسبل ثم المعلى وهذه الاقداح السبعة لها انصباء من جزور ينحرونها
ويقسمونها على العادة المعلومة بينهم والثلثة الاخرى لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد وكان اهل
الجاهلية يجتمعون عشرة انفس ويشترون جزورا ويجعلون لحمه ثمانية وعشرين جزءا ويجعلون
لكل واحد من صاحب الازلام السبعة نصيبا معلوما للفذ سهم وللتوأم والرقيب ثلثة اسهم
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة ويجعلون الازلام في خريطة ويضعونها على يد رجل ثم
يجعلها ذلك الرجل ان يحركها فيخرج باسم كل رجل قدحا منها ومن خرج له قدح من ذوات الانصباء
يقسم الى الفقراء ولا ياكلون منها شيئا ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم يعني
اللئيم وقال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج بطلوع نجم كذا وفي
شرح التاويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يامر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان تفعل اولئك
ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على احكام الله تعالى فجعل الله في النجوم معاني وعلامات يدرك
بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة في ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله تعالى ويشهد عليه ومن المكذبين
على الله من يقول انا مؤثر بوجه دون وجه ذلكم فسق اى خروج عن الطاعة اشارة الى الاستقسام بالازلام
وكونه فسقا انما هو من جهة كونه توسلا في طلب علم الغيب الى غير الله كاستعلام الخير والشر من الكهنة
والمنجمين وفي حكمها من يقول انا عبد لله من وجه دون وجه حيث يزعمون ان في النجوم وما لها
من المواضع والبروج والاحوال والاتصالات طريقا الى علم الغيب ودلالة على الخير والشر والكهنة
يدعون اخبار الجن او بعض ما يظهر لهم من الصور والخيالات وافتراء على الله ان اريد به نحو
الله وجهالة وشركا ان اريد به الصنم او اشارة الى تناول ما حرم عليهم هذا واما حال من يدعي
كونه عبدا من وجه دون وجه فلجهله نسبة التاثير الى نفسه وما مجرد استعلام الغيب واعتقاد
ان اليه طريقا ولو من قبل علام الغيوب الذي يطلع عليه بعض العباد فليس بحرام والا لزم ان يكون
الاخبار ببعض المغيبات المعلوم للانبياء والاولياء باعلام الله تعالى باطلا وليس كذلك وقيل ليست

الفرعة التي قال بها الشافعي رحمه الله تعالى منه لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اراد سفرا اقرع بين نسائه وهو حق شرعي فيقاس عليه وقال الشيخ في تفسيره في تفسيره عن
سعيد بن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها وقال مجاهد هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون
بها وقال الشعبي وغيره الازلام للعرب والكعاب للعجم وقال سفيان بن وكيع هي الشطرنج وروينا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد من الطرق الضرب بالحصى
وقال صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم او تطير طيرة تردّه عن سفره لم ينظر الى الدرجات
العلى من الجنة يوم القيمة **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما المراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة
الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم على
ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها وبركت فهو ظرف ليئس ومعناه الآن وهذا
كما تقول انا اليوم قد كبرت تريد الآن **يئس الذين كفروا من دينكم** اي يئسوا من ابطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في عود الاسلام الى دينهم فلما قوي الاسلام
ايسوا او من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى كان قد وعد باعلاء هذا الدين على كل الاديان بقوله ليظهره
على الدين كله فحقق ذلك النصر وازال الخوف **فلا تخشوهم** ان يظهروا عليكم بعد اظهار الدين وزوال
الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين **واخشون** بغير ياء في الوصل والوقف اي اخلصوا
لي الخشية **اليوم** ظرف لقوله **اكملت** اي اتممت يقال كمل الشيء بالحركات الثلث للميم اي تم **لكم**
دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها بان كفيتكم خوف عدوكم واظهرتكم عليهم كما تقول الملوك
اليوم كمل لنا الملك اي كفينا من كنا نخافه او اكملت ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تحليل الحلال وتحريم الحرام
والتوقيف على شرايع الاسلام وقوانين القياس قال ابن عباس رضي الله عنهما لم ينزل بعد هذه الاية حلال
ولا حرام ولا شيء من الفرايض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام قالوا ولما
نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال كنا في زيادة من ديننا واما
اذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال صدقت وعاش بعدها صلى الله عليه وسلم احدا وثمانين يوما وتوفي
يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة او يوم الثاني
عشر من ربيع الاول روى البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجل من اليهود يا امير المؤمنين
اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم
اكملت لكم دينكم الاية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو قايم بعرفة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك اليوم خمسة
اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد هذه الملل في يوم قبله ولا بعده
ولا يلزم من قوله اليوم اكملت لكم دينكم بان كان قبل ذلك اليوم ناقصا لان المراد ازالة الخوف عنهم او اكملت
لكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وايضا المراد بكمال الدين انه تعالى بين حكم
جميع الوقايع بعضها بالنص وبعضها بان طريق الحكم فيها بالقياس وحاصل الكلام لا دليل لنفاة القياس
بهذه الاية لان الكمال الدين هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظايره منها بواسطة

قياسها

قياسها عليه **واتممت عليكم نعمتي** بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الكفر
قال ابن عباس كان اتمام النعمة عليهم ان دخلوا مكة امنين مطمئنين ولم يخالطهم احد من المشركين وقيل
باتمام نزول الوحي حيث انتهى التنزيل وسد باب نسخ الحكم وقيل اتممت عليكم اي انجزت لكم وعدي
بقولي ولاتم نعمتي **ورضيت لكم الاسلام دينا** اي اخترت لكم الاسلام من بين الاديان واذنتكم بانه
هو الدين المرضي عند الله وحده ويؤيده قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وعن جابر بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه
الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه قوله **فمن اضطر** متصل بذكر المحرمات وما بينهما
من قوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر واحتاج الى تناول شيء من هذه
المحرمات كالميتة والدم الى اخره **في مخمصة** اي في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص
البطن اذا كان طاويا خاويا **غير** حال **متجانف لاثم** اي غير مايل الى اثم اي غير متجاوز سد الرمق بغير ما
له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوز حد الرخصة كقوله تعالى غير باغ ولا عاد قال قتادة غير متعرض
لمعصية في مقصده وقال مجاهد غير مايل الى اثم وهو ان ياكل فوق الشبع واستدل الشافعي رضي الله عنه
على ان العاصي بسفره لا يتناوله وحد الاضطرار ان يخاف الهلاك على نفسه او ما يقرب منه **فان الله**
غفور لما تناوله ضرورة **رحيم** بعباده حيث احل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم الى اكله قال السيوطي
رحمه الله اي بخلاف المايل للاثم اي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلا فلا يحل له الاكل وعن واقد الليثي
ان رجلا قال يا رسول الله انا نكون بالارض فتصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال ما لم تصطبحوا
او تغتبقوا او تحتفئوا بها بقلا فشانكم بها **يسئلونك** يا محمد **ماذا احل لهم** من الطعام وفي السؤال معنى
القول فلذا وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية
لما قالوه لان يسئلونك بلفظ الغيبة كقولك اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن لجاز ايضا لان
كلا الوجهين شايع ذايع في امثاله وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل
لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم منها فقال **قل**
احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته يعني الطيبات ما ليس بخبيث من المطاعم وهو كل ما لم يات
تحريمه في كتاب او سنة او اجماع او قياس **وما علمتم** عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد
ما علمتم على حذف المضاف والعايد او تجعل ما موصولة او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا قال ابو حيان
وهذا اظهر لانه لا اضمار فيه **من الجوارح** جمع جارحة والهاء للمبالغة والجرح الكسب ومنه قوله تعالى ويعلم
ما جرحتم بالنهار اي من كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع كالكلب والفهد والنمر ومن سباع
الطير كالبازي والصقر والشاهين والعقاب فكل ما قبل التعليم منها يكون صيده حلالا قال سعيد بن
جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد
الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الاية وقيل سبب نزولها

Copyright King Saud University

ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب قالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت
بقتلها فنزلت هذه الآية فلما نزلت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلب التي ينتفع بها ونهى
عن امساك ما لا ينتفع به منها وقال ايما قوم اتخذوا كلبا ليس بكلب حرث او صيد او ماشية فانه
ينقص من اجورهم كل يوم قيراط وفي رواية قيراطان **مكلبين** حال من فاعل علمتم اي معلمين اياها
الصيد اي اغراءكم اياها على الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها واشتقت هذه الحال من لفظ الكلب
الذي هو الحيوان المعروف وان كانت الجوارح يندرج فيها غيره حتى سباع الطيور تغليبا له لان الصيد اكثر
ما يكون به عند العرب ولان التاديب يكون اكثر فيه او اشتقت من الكلب والكلب يطلق على سبع ايضا
لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد والحديث رواه بمعناه الحاكم وصحح اسناده
فان قلت فما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في
علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب **تعلمونهن** اي تؤدبونهن اداب اخذ الصيد حال ثانية او استئناف
قال الشيخ وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقبل اهله علما واجرهم دراية
واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ من غير متقن قد ضيع
ايامه وعض عند لقاء الاحبار اناملة **مما علمكم الله** اي من العلم الذي علمكم الله او كما علمكم الله لان من
بمعنى الكاف قاله السدي يعني مما الهمكم الله من كيفية التعليم ولطائف الحيل وطرق التاديب فان العلم بها
الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه اي مما علمكم ان تعلموه وهو شرط في حل صيد الجارح
من الاسترسال بارساله والانزجار بزجره وعدم الاكل منه وهذا اوجه لان شرط المكلب ان يكون فقيها
في باب الصيد **فكلوا مما امسكن عليكم** اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه
فمن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة
حذف عائدها والمراد ان الجارحة المعلمة اذا خرجت بارسال صاحبها فاخذت الصيد وقتلته كان حلالا
والتعليم هو ان يوجد منها ثلاثة اشياء اذا اشليت استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت
الصيد امسكت ولم تاكل فاذا وجد ذلك منها مرارا واقلها ثلاث مرات كانت معلمة يحل قتلها اذا خرجت
بارسال صاحبها روى البخاري عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ارسلت كلبك وسميت فامسك
وقتل فكل وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه واذا خالطها كلاب لم يذكر اسم الله عليها فامسك وقتل
فلا تاكل فانك لا تدري ايها قتل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل
وان وقع في الماء فلا تاكل واختلفوا فيما اذا اخذت الصيد واكلت منه شيئا فذهب اكثر اهل العلم الى
تحريمه وروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب
ابي حنيفة وهو اصح قولي الشافعي لقوله عليه السلام وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم
في اكله وروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك عن ابي ثعلبة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذ صيدا او المعلم
اذا جرح بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فلا يكون حلالا الا ان يدركه صاحبه حيا فيذبحه فيكون حلالا روى
البخاري عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا نبي الله انا بارض قوم اهل كتاب افناكل في آنيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي

وبكلبي

وبكلبي الذي يعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من آنية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا
فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك غير المعلم
فادركت ذكاته فكل **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما
امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته قال البغوي ففيه بيان ان ذكر الله على الذبيحة شرط حالة
ما يذبح وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة او السهم روى البخاري وغيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
ضحى بكبشين املحين اقرنين يطأ على صفاحهما ويذبحهما بيده ويقول بسم الله والله اكبر **واتقوا الله**
اي واحذروا مخالفة امره في محرماته **ان الله سريع الحساب** فيؤاخذكم بما جل ودق **اليوم احل
لكم الطيبات** اراد باليوم اي الآن وبالطيبات المستلذات المذكورة وكرره تاكيدا للمنة **وطعام
الذين اوتوا الكتاب** مبتدأ خبره **حل لكم** اي ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم وقيل اراد بطعامهم
الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه الى الذكاة وقيل اراد به جميع المطعومات لعموم اللفظ للجميع وانتفاء المخصص
والموصول يعم اليهود والنصارى فاخذ بعمومه ابو حنيفة واستثنى الشافعي رحمه الله متنصرة كتغلب
وتنوخ وبهرام وجذام ولخم وعاملة لما روى ابن جرير عن علي كرم الله وجهه انه استثنى المتنصرة
وقال لا تاكلوا ذبائحهم فانهم ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في
ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم
ولا آكلي ذبائحهم رواه الامام مالك رضي الله عنه **وطعامكم حل لهم** اي لا جناح عليكم ان تطعموهم من
طعامكم وان كانوا كافرين وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم فان قيل
كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون
خطاب الحل مع المسلمين وقيل لانه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلال لكم ان
تطعموهم حرام عليكم ان تزوجوهم **والمحصنات** هذا راجع الى الاول منقطع عن قوله وطعامكم حل لهم
من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بالمحصنات
الحرائر العفائف عن الزنا واليه ذهب الشافعي فلم يجوز نكاح الامة لواجد طول الحرة لكن تخصيصهن
بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف
منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة خلافا للشافعي لقوله تعالى **والمحصنات** اي الحرائر
العفائف حل لكم ان تنكحوهن **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي
الله عنهما لا يحل نكاح الحربيات فالحرة ان كانت اسرائيلية فذاك والا فلا يجوز نكاحها الا اذا علم بدخول
آبائها في ذلك الدين قبل النسخ **اذا آتيتموهن اجورهن** اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد
وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرف عاملها احل المقدر وقيل شرطية
حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم **محصنين** اي حال كونكم اعفاء بالنكاح يعني
متزوجين وهو حال من فاعل آتيتموهن وكذا قوله **غير مسافحين** اي غير مجاهرين ومعلنين بالزنا بهن
وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين **ولا متخذي اخدان** اي ولا مسرين بالزنا بهن يعني
لا تكونوا زانين سرا والخدن الصديق على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطف على مسافحين وزيدت لا لتاكيد

النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار الاوجه الثلثة قال الشعبي الزنا ضربان
السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا في السر والله تعالى حرمهما في هذه الاية
واباح التمتع بالمرأة بجهة الاحصان وهو التزوج فان اهل الجاهلية كانوا يعيرون من يزني في العلانية
ولا يعيرون من يزني سرا فحرمهما الله تعالى ردا عليهم **ومن يكفر** اي ومن يجحد **بالايمان** اي بشرايع الاسلام
وتكاليفه وما احل الله وحرم والمراد بالكفر به انكاره والامتناع عنه يعني ومن يرتد عن الايمان قال ابن
عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الايمان وهو الله **فقد حبط عمله** الصالح الذي عمله قبل ذلك فلا
يعتد به ولا يثاب عليه ان مات على الكفر لقوله تعالى فيمت وهو كافر **وهو في الاخرة من الخاسرين**
اي من هلاكهم ولم يخرجه العمل السابق **يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة** اي اذا اردتم القيام
الى الصلاة وانتم محدثون كقوله فاذا قرأت القران فاستعذ بالله اي اذا اردت القراءة وظاهر هذه الاية
يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام الى الصلوة لكن اعلمنا بيان السنة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم
ان المراد من الاية اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة احدكم اذا احدث
حتى يتوضأ حديث صحيح وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد وانه صلى
الله عليه وسلم صلى يوم الفتح الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال عمر صنعت شيئا لم تكن صنعته فقال عمدا
فعلته يا عمر رواه مسلم وابو داود والترمذي وذكر الشيخ تجديده بوضوء واحد قوله ومسح على خفيه
فعلى ما قرره الجمهور ظهر ضعف قول من قال بوجوب الوضوء على كل قايم الى الصلوة وان لم يكن محدثا
بظاهر الاية قال زيد بن احمد معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقال بعضهم هو امر على طريق الندب
ندب من قام الى الصلاة ان يجددها طهارة وان كان على طهر روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات وروي عن عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك لكل
صلاة وقال بعضهم هذا اعلام من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة
دون غيرها من الاعمال فاذن له ان يفعل بعد الحدث ما بدا له من الافعال غير الصلاة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرجع من الغايط فاتي بطعام فقال الا تتوضأ فقال لم اصل
فاتوضأ وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهذا القول ضعيف لقوله عليه السلام المايدة من اخر القران نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها كما مر وعليه اطباق الجمهور **فاغسلوا وجوهكم** اي امروا الماء عليه
ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وحد الوجه ما بين منبت الشعر الى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين
عرضا يجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والشارب
والعذار والعنفقة وان كانت كثيفة واما العارض واللحية فان كانا كثيفين لا ترى البشرة من تحتهما لا يجب
غسل باطنهما في الوضوء بل يجب غسل ظاهرهما وهل يجب امرار الماء على ما استرسل من اللحية عن الذقن فيه
قولان احدهما لا يجب وبه قال ابو حنيفة لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في جواز المسح
كذلك عن حد الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الله
تعالى امر بغسل الوجه والوجه ما يقع به المواجهة من هذا العضو يقال في اللغة بقل وجه فلان وخرج وجهه

اذا انبتت لحيته **وايديكم الى المرافق** اي معها كما بينته السنة وهي جمع مرفق بالكسر والفتح مفصل
الذراع والعضد والجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله ويزدكم
قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها عنه فلا دلالة لها
عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القران من اوله الى اخره وقوله تعالى فنظرة
الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك
في الاية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية
تقتضي خروجها والا لم تكن غاية لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وامسحوا برؤسكم اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الراس فقال مالك واحمد يجب مسح جميع الراس
كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم وقال ابو حنيفة يجب مسح ربع الراس وعند الشافعي يجب قدر ما ينطلق عليه
اسم المسح واحتج من اجاز مسح بعض الراس بما روى الشافعي قال انا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن
علية عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته
وعلى عمامته وخفيه فاجاز بعض اهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث وبه قال الاوزاعي واحمد واسحق
ولم يجوز اكثر اهل العلم المسح على العمامة بدلا عن مسح الراس وقالوا في حديث المغيرة ان فرض المسح سقط عنه بمسح
الناصية وفيه دليل على ان مسح جميع الراس غير واجب ومما يؤيد ما ذهب اليه الشافعي بانه لو قال مسحت
بالمنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بكله ولو قال مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في صدقه مسح اليد
ببعض من اجزائه فقوله وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد ببعض من اجزاء الراس وذلك الجزء غير
مقدر في الاية فان قدرناه بمقدار معين لم يتعين في ذلك المقدار الا بدليل غير الاية فيلزم صيرورة الاية
مجملة وهو خلاف الاصل وعلى ما قلناه تكون الاية مبينة فهو اولى وقال السيوطي رحمه الله الباء للالصاق اي
الصقوا المسح بها من غير اسالة الماء وهو اسم جنس فيكفي اقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعره وعليه الشافعي
قلت معنى المسح الاصابة على ما ذكره الامام وقيل الباء زايدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجه كون الباء للتبعيض ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل
والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا
وجوهكم فيقتضي الاستيعاب لان حرف الزايد يقتضي تاكيد ما دخل عليه فيفيد تاكيد مسح الراس وقال
السلطان فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عليه السلام
مسح ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط نفعنا الله بهم جميعا في العيون والشافعي
يوجب ما يطلق عليه اسم المسح كشعرة واحدة بخلاف حلق الراس في الحج فانه لا يجزي عنده اقل من ثلث شعرات
لان الامر هنا مطلق المسح والامر هناك حلق شعر الراس واقل الجمع ثلثة عنده انتهى **وارجلكم** نصبه نافع
وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة
وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر
كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب للنحاة
باب في ذلك وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح

Copyright © King Saud University

وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب لا على افضليته وقرئ بالرفع على ارجلكم مغسولة ومن
الاحاديث في غسل الرجلين ما روى البخاري عن ابن عمر قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر سافرناه
فادركنا وقد ارهقتنا العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار
وروى البخاري وغيره عن حمران قال عثمان توضأ فافرغ على يديه ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلثا ثم يديه
كذلك ثم مسح براسه ثم غسل رجله اليمنى ثلثا ثم اليسرى ثلثا ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي
هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وقال بعضهم ارجلكم
وارجلكم المسح على الخفين لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد منه انه
لم يكن بينهما حائل ويقال قبل فلان راس الامير ويده وان كانت العمامة على راسه ويده في كمه روى البخاري
عن عروة بن المغيرة عن ابيه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر فقال امعك ماء فقلت نعم فنزل
عن راحلته حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه
جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه
ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما واخرج سعيد بن منصور عن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين واخرج ابن ابي شيبة عن الحكم قال مضت السنة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمين بغسل القدمين وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين
من غير خف واخرج سعيد بن منصور وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن منذر وابن ابي حاتم
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قراها وارجلكم بالنصب يقول رجعت الى الغسل واخرج سعيد بن منصور وابن
المنذر وابن ابي حاتم عن علي كرم الله وجهه قرأ وارجلكم وقال عاد الى الغسل واخرج عبد بن حميد
قال كانوا يقرؤون وامسحوا برؤوسكم وارجلكم بالخفض وكانوا يغسلون قال التفتازاني في قراءة النصب اوجب الغسل
لانه لا مجال للعطف على محل الجار والمجرور مع الالباس فوجب حمل قراءة الجر على الغسل بطريق المشاكلة او الجر
على الجوار اذ العطف بالجوار لا يوجب الاشتراك في الحكم لانتفاء الالباس بضرب الغاية مع ان الغسل اقرب الى
الاحتياط لما في الغسل من المسح اذ لا اسالة بدون الاصابة وانما حمل الجر على الجوار لان قراءة النصب دالة على
وجوب الغسل فقراءة الجر يجب ان تطابق تلك القراءة واما قوله عز وجل **الى الكعبين** وهما العظمان الناتئان
عند مفصل الساق والقدم في كل رجل كعبان فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين وحاصل المعنى فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتاخير فان قيل اكثر المفسرين
على ان الامر في قوله تعالى فاغسلوا للايجاب واطبق العلماء على ان وجوب الوضوء مستفاد من هذه الاية وهذه
السورة مدنية فكيف توضأ وا قبل نزول هذه الاية في مكة قلنا الوضوء فرض على امة محمد صلى الله عليه وسلم مع الصلوة
ليلة الاسراء وهو من الشرائع القديمة كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والذي من خصايصنا اما الكيفية المخصوصة
او الغرة والتحجيل وموجبه الحدث مع ارادة الصلوة ونحوها **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي فاغتسلوا
بالغوا في تطهير البدن وفي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل
من الجنابة بدأ بغسل يديه ثم توضأ كما توضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه

ثلث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله والجنابة سببان الاول نزول المني والثاني التقاء
الختانين فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها وباطلاق قوله فاطهروا علم انه امر بتحصيل
الطهارة في كل البدن والا خصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تقديم
الوضوء على الغسل خلافا لابي داود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحاق فانه اوجب البداية باعلى
البدن وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك **وان كنتم** جنبا **مرضى** مرضا يضره معه استعمال الماء
او جنبا راكبين **على** ظهر **سفر** او محدثين مرضى او مسافرين **او** بان **جاء احد منكم من
الغائط** يعني رجع من مكان البراز محدثا بخروج الخارج من احد السبيلين او من ثقبة تحت المعدة
مع سد المعتاد **او لامستم النساء** اي او لمستموهن او لمسنكم فانه اقيم مقام خروج الخارج لانه
سببه **فلم تجدوا ماء** في السفر بعد طلبه وفي معناه تعذر استعماله بعذر في السفر او مرض او برد في
الحضر **فتيمموا** اي اقصدوا **صعيدا طيبا** اي ترابا طاهرا **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** اي
بايصال شيء **منه** اي من الصعيد اليهما تذليلا للعضوين الشريفين وتذليل الراس افراط وتذليل
الرجل تفريط وقد سبق تفسيرها في سورة النساء ولعل ذكرها مرة اخرى ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة
ومسح اليدين مع المرفقين بضربتين والباء للالصاق وثبتت السنة ان المراد استيعاب العضوين بالمسح
وانما رخص الله لكم في التيمم لانه **ما يريد الله** اي لا يقصد الله الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم
ليجعل عليكم من حرج اي من ضيق في تحصيل الماء ولا ان يتركم في الحدث مانعا من الصلوة يعني ما يريد
الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم **ولكن يريد ليطهركم** اي لينظفكم بازالة الحدث
الذي هو النجاسة الحكمية والجنابة او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم حكما بالتراب
اي بالتذلل به فانه لما رفع التكبر فكانما رفع الحدث فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل
اللام زايد والمعنى عليه ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم وهو
ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة **وليتم نعمته عليكم** اي نعمة الاسلام بالترخيص لكم بالتيمم يعني
وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه
عليكم بعزايمه **لعلكم تشكرون** الله ونعمته فيثيبكم على ذلك قال كعب القرظي تمام النعمة تكفير الخطايا
بالوضوء كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه روى
عالم قريش محمد بن ادريس الشافعي عن حمران ان عثمان توضأ بالمقاعد ثلثا ثلثا ثم قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ وضوئي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه وقال صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الصلوة الاخرى حتى يصليها
وقال عليه الصلاة والسلام ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع
منكم ان يطيل غرته فليفعل والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود
وان آلتهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان
الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم

Copyright ... University

في نكره وميثاقه اي عهده الذي عهده اليكم الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر
والمنشط والمكره وقبلتم اذ قلتم للنبي حين بايعتموه سمعنا واطعنا اذ ظرف لواثقكم به او لمحذوف
وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به
تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة
او في بيعة الرضوان وقيل انه اشارة الى قوله للذرية الست بربكم قالوا بلى واتقوا الله في ميثاقه ان تنقضوه
وفي نسيان نعمه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات
اعمالكم يعني هو عليم بسرائر الصدور من الخير والشرور وهو وعد ووعيد يا ايها الذين امنوا هذا شروع
في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله اي
قائمين في كل حق يلزمكم الله من الامتثال لجميع ما امره الله به والاجتناب عن جميع ما نهى الله عنه معظمين
لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان يعني كونوا قوامين بالعدل
في الدين بالصدق امرهم بالصدق في افعالهم واقوالهم ولا يجرمنكم عدي يجرمنكم بعلى لتضمنه معنى الحمل
اي لا يحملنكم شنان قوم اي بغض قوم من الكفار على ان لا تعدلوا اي على ترك العدل فيهم يعني
لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم لعداوتهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يجوز كمثلة
وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم ثم قال اعدلوا في اوليائكم واعدائكم هو
اي العدل اقرب للتقوى اي الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم
عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين الذين هم اولياء
الله واحباؤه واتقوا الله اي خافوا غضبه وسطوته ان الله خبير بما تعملون من الخير والشر فهو وعد
ووعيد ولذا ذكر بعدها اية الوعد وهو قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات وعد يتعدى
الى مفعولين فالاول الذين امنوا والثاني محذوف اي وعدا حسنا استغنى عنه بالجملة وهي قوله لهم
مغفرة واجر عظيم هو الجنة واما اية الوعيد وهو قوله والذين كفروا بالله وكذبوا باياتنا
اي بمحمد والقران وماتوا بلا توبة اولئك اصحاب الجحيم اي ملازمون لها لا ينفكون عنها يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روى مسلم ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان
قاموا الى صلوة الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر
فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عليه الصلوة والسلام
اتى بني النضير ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها فامسك الله يده فنزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج رواه البيهقي وقيل نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال
من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل عليه السلام من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اذ هم قوم ظرف لنعمة الله اي اذكروا نعمة الله في وقت همهم

ولا يجوز ان يكون اذ منصوبا باذكروا والتاني زمانيهما فان اذ للمضي واذكروا مستقبل ان يبسطوا
اي بان يمدوا ويبطشوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه
لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم اي منعها ان تمد اليكم وعصمكم مما ارادوا بكم من المضرة
واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته باداء شكرها او في كل ما تاتون وما تذرون
وعلى الله اي على الله تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه الكافي
لايصال الخير ودفع الشر ثم لما خاطب المؤمنين بذكر نعمته وميثاقه اردفه ذكر ميثاق بني اسرائيل و
نقضهم اياه ثم لعنهم بذلك تحذيرا لهذه الامة من مثل ما فعلوه وفعل بهم فقال ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل بما يذكر بعد وبعثنا اي اقمنا فيه النفات عن الغيبة للجري على سنن الكبرياء منهم
اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد بوثقه عليهم والنقيب
فعيل بمعنى فاعل اي شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء
بما امروا به قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله اختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل رجلا يكون
نقيبا لهم وحاكما فيهم وكفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون
واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا من ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم
اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ
من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما قرب
الى ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة
وقوة شديدة وشوكة عظيمة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا
ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف عليه السلام وفي تفسير البغوي فلما سار بنو اسرائيل
حتى قربوا من اريحا من ارض الشام وهي الارض المقدسة وكانت لها الف قرية في كل قرية الف بستان
بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن
عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب
منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم ياكله ويروى ان الماء طبق ما على
الارض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلاثة الاف سنة وما تين حتى اهلكه الله على يد موسى عليه
السلام وذلك انه جاء بصخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم
فبعث الله الهدهد فنقر الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فاقبل موسى عليه السلام وهو مصروع
فقتله وكانت ام عنق احدى بنات ادم وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقي عوج النقباء وعلى
راسه حزمة حطب اخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء
الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته
لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك وروي انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم
بين يديه فقال الملك ارجعوا فاخبروهم بما رايتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة انفس بينهم في
خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبتها خمسة انفس فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون احوالهم وقال

Copy... University

بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اخبروا موسى وهارون
عليهما السلام فيريان رأيهما واخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا العهد وجعل كل واحد
منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا رجلان انتهى ما ذكره البغوي رحمه الله وقال الله
لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه
من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعيد اني معكم كيف شاء سبحانه وقال المفسرون
اي بالعلم والقدرة والنصرة اي اني معكم بالنصرة فلا يغلبنكم وان بلغوا من العظمة والقوة ما بلغوا الى
توكلتم على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الشيخ وتقف على اني معكم ثم ابتدا الكلام بما بعده لا تبدأ لك
بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو لئن اقمتم يا معشر بني اسرائيل الصلوة الجامعة عبادة
الظاهر والباطن من جميع اجزاء الانسان وآتيتم الزكوة المطهرة من دنس البخل وكانت الصلوة
والزكوة فريضتين عليهم وآمنتم برسلي اي من غير تفريق بين احد منهم وعزرتموهم اي وقرتموهم
ونصرتموهم وقويتموهم واصل العزر الذب والمنع والتعزير المشروع في حق الجنايات هو منعهم عن المعاودة
بالتاديب وتعزير الانبياء نصرتهم بمنع الاعداء عنهم واقرضتم الله قرضا حسنا اي بالانفاق
في سبيله بلا منة قيل هو اخراج الزكاة وقيل النفقة على الاهل والظاهر هو الاحسان الى كل محتاج في اي
وقت وقع من غير كراهة في القلب وامتنان على الفقير بل بطلب رضاء الله وبطيب نفسه لاكفرن
عنكم سيئاتكم اي لامحون عنكم ذنوبكم جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط
وجملة هذا القسم المشروط وجوابه مفسرة لذلك الميثاق المقدم ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة لتقدم التخلية
على التحلية فمن كفر برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر
على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك اي الميثاق والشرط المؤكد بالقسم المعلق
به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر وتحل تغيير
الاسلوب حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال في
اسقاط من كفر عن رتبة الخطاب فقد ضل سواء السبيل اي اخطا طريق الحق وسواء كل شيء
وسطه فان قيل من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل ايضا ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان
الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فلذلك خصه الله تعالى بالذكر فبما مزيدة لتفخيم الامر
يعني فبشيء عظيم صدر منهم من نقضهم ميثاقهم المؤكد الموعود عليه النصر والمغفرة والاجر
لعناهم اي طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية ومن اثر اللعنة ايقاعهم في التيه
ويدل على لعننا اياهم انا جعلنا قلوبهم قاسية اي يابسة لا تلين لقبول الايمان والجهاد
ولا تتاثر ولا تنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى
ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش من الذهب والفضة
فيه يبس وصلابة والخالص منها فيه لين وقرئ قسية باتباع القاف للسين وبقيت تلك القساوة
واللعنة في ذريتهم لذلك يحرفون الكلم اي كلم الله في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وغيره في ذلك

يحرف الفاظه او معانيه عن مواضعه التي وضعه الله عليها بمقتضى كمال الحكمة والجملة استئنافية
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان تكون الجملة حالا
من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيها ونسوا حظا اي وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا
وافيا مما ذكروا به اي امروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة
وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوا التوراة فزالت بشومه اشياء
منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا
هذه الاية ولا تزال يا محمد تطلع اي تقف وتظهر على خائنة اي على خيانة منهم
فهي بمعنى المصدر كالعافية او صفة لمؤنث اي فرقة خائنة او لمذكر اي قوم خائن فالتاء للمبالغة
كراوية في قولهم رجل راوية للشعر والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم مع الانبياء
والرسل لا تزال ترى ذلك منهم يعني بهم يهود بني النضير منهم الخبث وهو كعب بن الاشرف حين اتاهم
النبي صلى الله عليه وسلم في دية المسلمين فهموا بقتله وقتل من معه الا قليلا منهم اي من اسلم ولم
ينقضوا العهد ولم يخونوا كعبد الله بن سلام وامثاله والاستثناء من الضمير في منهم وقيل الاستثناء من قوله
وجعلنا قلوبهم فاعف عنهم واصفح اي تجاوز عن عقوبتهم واتركهم ان تابوا وآمنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث
عليه رجاء لايمانهم على طريقة قوله تعالى فقولا له قولا لينا وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن
احسان فضلا عن العفو عن غيره وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه فاذا عفوت فانت محسن
واذا كنت محسنا فقد احبك الله وقال ابو مسلم المراد بهؤلاء المحسنين هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله
وفيه بعد ثم نزل في النصارى خاصة وقيل فيهما فاكتفي بذكر احدهما ومن في قوله ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا وهو الايمان بالله والرسول وافعال الخير يتعلق باخذنا اي واخذنا من
النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم او اخذ ناس من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل
الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما قال قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى
لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى عليه السلام نحن انصار الله
ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشياطين حيث اختلفوا وخالفوا الحق الذين
قالوا عيسى ابن الله والذين قالوا ان الله هو المسيح والذين قالوا ان الله ثالث ثلثة فنسوا حظا مما
ذكروا به اي مما امروا به في الانجيل من الايمان وغيره ونقضوا الميثاق فاغرينا اي اوقعنا والصقنا
والزمنا من غري بالشيء اذا لصق به ولزمه بينهم اي بين النصارى اي الفرق الثلثة المذكورة
فان كل فرقة منها تكفر صاحبه او بينهم وبين اليهود العداوة والبغضاء الى يوم القيمة بتفرقهم
واختلاف اهوائهم بالجدال في الدين وقد سبق ذكرهم في قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء الخ ثم توعدهم فقال وسوف ينبئهم الله اي في الآخرة بما كانوا يصنعون في الدنيا بالجزاء
بالعذاب الشديد ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد عليه السلام فقال يا اهل الكتاب
وحد الكتاب لانه للجنس واراد به اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين

لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اى من التوراة والانجيل مثل نعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم
وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام باحمد وهذا من الاعجاز لباهرة لانه عليه السلام لم يقرأ كتابا
وقد اخبرهم باسرار كتابهم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر دينى او يعفو
عن كثير منكم لا يواخذه بجرمه والفائدة فى الاخبار انهم اذا علموا كون الرسول عالما بكل ما يخفونه يصير
ذلك داعيا الى ترك الاخفاء لئلا يفتضحوا قد جاءكم من الله نور اى محمد لانه يهتدى
به كما سمى سراجا ولم يذكر اسمه ليعلم ان الرسل يعرفون بالايات والمعجزات دون الاسامى او تشريفا له
عليه السلام شبهه بالنور لانه به يتميز الهدى عن الضلال والحق عن الباطل او اراد به القران فانه
الكاشف لظلمات الشك والشرك والضلال والمظهر لما كان خافيا على الناس او لانه ظاهر الاعجاز وكتاب
مبين اى قران بين ظاهر لما فيه بيان ما خفى على الناس من الحق البين والعطف لتنزيل المغايرة
بالعنوان منزلة المغايرة بالذات يهدى به الله وحد الضمير لان المراد بالنور والكتاب هو
القران او لان النبى والقران فى الحكم كشئ واحد اى من حيث ان المقصود بهما اظهار الحق وتبيينه والدعوة
اليه ولانهما سببا هداية ورشد او لان من اتبع احدهما لا بد ان يكون متبعا للاخر فقوله مبين ويهدى به الله
صفتان للكتاب من اتبع رضوانه اى من اتبع رضاء الله بالايمان منهم يعنى من امن منهم فمن مفعول
اول ليهدى ومفعوله الثانى سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب او سبل الجنة وانما جمع مع ان
دين الاسلام طريق واحد ولذلك قال وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لان اصل الدين
واحد ولكن طرق الطاعات متفننة وكل طريق يفضى بسالكه الى الجنة بوعد الله على تلك الطاعة لان
سالكيه متعددون فجمعه لاجتماع السالكين فان قيل كيف قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى
به الله من اتبع رضوانه مع ان العبد ما لم يهده الله اولا لا يتبع رضوانه فيلزم الدور قلنا فيه اضمار تقديره يهدى
به الله من علم انه يريد ان يتبع رضوانه كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اى والذين ارادوا
المجاهدة لنهدينهم سبل مجاهدتنا والجامع بين الحقيقة والشريعة يفهم ما قلنا كما افادنا السيد قدس سره
ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اى من انواع
الكفر والضلالات الى النور اى الى الايمان والاسلام باذنه متعلق بقوله ويخرجهم اى يخرجهم بارادته
وتوفيقه وعنايته وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم اى دين الاسلام لانه اقرب طرق الى الله
وموصل اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وقيل المعنى ويثبتهم على الدين الحق
القيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهم اليعقوبية من النصارى لانهم
القائلون بالاتحاد لانه فيه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير المسيح كما فى قولهم الكرم هو
التقوى وكقوله عليه السلام فان الله هو الدهر اى الجالب للحوادث لا غير الجالب بخلاف زيد هو المنطلق
فانه معناه لا غير زيد وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا
واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لحمقهم
وهذا القائلين بالاتحاد فى فرد من افراد العالم فما حال القائلين باتحاد العالم اجمع ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا قل اى تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد فمن يملك من الله شيئا اى ان كان

سورة المائدة

الامر كما تزعمون فمن الذى يقدر ان يدفع ويمنع من قدرة الله وارادته وقضائه شيئا ان اراد
الله ان يهلك المسيح ابن مريم المدعى الها بزعمكم وامه ومن فى الارض جميعا
احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان
كذلك بمعزل عن الالوهية وعطف من فى الارض على المسيح وامه ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت
بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه
شواهد الحدثية انى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما وجد لم يعد نقص
الى الصمدية ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات
والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا او اشتراكا
يخلق ما يشاء اى يخلق اى شئ يشاء ان يخلق تارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض
والاخرى من اصل كخلق ما بينهما وينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق ادم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما
كخلق ساير الناس ويخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط
مخلوق اخر كخلق الطير على يد عيسى معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
فيجب ان ينسب كل اليه تعالى لانه الخالق الحقيقى والموثر بالذات لا الى من اجرى ذلك على يديه
والله على كل شئ قدير اى قادر وما سواه مفهوم مقدر بفعول شاءه وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه جمع حبيب بمعنى المحبوب اخرج ابن اسحاق وابن
جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم
نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله فيهم
فان قيل لم نر ولم نسمع ان قوما من اليهود والنصارى قالوا نحن ابن الله فكيف اخبر الله تعالى عنهم
بذلك قلنا المراد نحن ابناء الله اى خاصته المختارون بمزيد القرب ويقربون عنده قرب الاولاد من
والديهم بقرينة واحباؤه فيكون تشبيها بليغا وقيل فيه اضمار تقديره نحن ابناء انبياء الله ورسله
وقيل اراد به اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو ابن الزبير الخبيبون ثم بكتهم
بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم
فى الاخرة وذلك باقراركم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وهى مدة عبادتكم العجل فى غيبة موسى عليه
السلام لميقات ربه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وخسف الارض كما فعل الله بقارون
وان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب حبيبه وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله
لا يلقى الله حبيبه فى النار ثم رد الله عليهم دعوتهم بقوله بل انتم بشر ممن خلق اى من
جملة من خلقه الله كسائر بنى ادم مجزيون بالاحسان والاساءة من غير مزية لكم عليهم ومن خلق صفة
لبشر يغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر فضلا وهو من امن بالله ورسله ويعذب من يشاء
عدلا وهم من كفر ولا اعتراض فى فعله سبحانه لخلقه ولله ملك السموات والارض وما بينهما

من الموجودات لا ينسب اليه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمخلوقية والمقهورية تحت ملكوته فانه
على ما يشاء قدير يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء
ما زعموا **واليه المصير** فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه حكمته فلا يملك النفع والضر هناك احد
الا هو ثم خاطب الجنس بعد بيان حال كل فريق بقوله **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا** محمد صلى
الله عليه وسلم **يبين لكم** الدين وشرائعه وحذف لظهوره او ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او يبذل
لكم البيان فى كل ما تحتاجون اليه من امور الدين والجملة فى موقع الحال اى جاءكم رسولنا مبينا لكم **على
فترة من الرسل** اى على انقطاع متعلق بجاءكم او حال اخرى قال ابن عباس اى على حين فتور من الارسال و
انقطاع من الوحى وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة او خمسمائة وستون سنة
روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان مدة الفترة كانت ستمائة سنة ولا نبى بين عيسى ومحمد عليهما
السلام لقوله عليه السلام انا اولى الناس بابن مريم فلا نبى بينى وبينه وقال معمر والكلبى خمسمائة واربعون
سنة وعن الكلبى بين موسى وعيسى الف وسبعمائة والف نبى كلهم على شريعة موسى وبين عيسى ومحمد
صلوات الله عليهما اربعة ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى بانباء الوحدة وذكر
محى الفرض والسنة فى تفسير معنى الفترة بقوله وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى من غير انقطاع
الى عيسى ولم يكن بعد عيسى سوى رسولنا صلى الله عليه وسلم والمقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست
اثار الوحى وكان لهم ان يقولوا فى اعتذارهم فى ترك العبادات الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك و لكنا
ما عرفنا كيف نعبدك فمن الله عليهم بازاحة هذه العلة فقال **ان** لا **تقولوا** اذا عذبتم **ما
جاءنا من بشير** يبشرنا بالجنة للمطيعين وزيادة من فى الفاعل لفائدة المبالغة فى نفى المجيء والتنوين
للتقليل اى حذرا ان تقولوا ذلك وتعتذروا به **ولا نذير** ينذر بالنار للجاحدين **فقد جاءكم
بشير ونذير** متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم البشير والنذير فلا عذر لكم اذن **والله
على كل شيء قدير** فيقدر على الارسال تترى كما بين موسى وعيسى عليهما السلام وعلى الارسال على الفترة
كما بعث نبينا عليه السلام وعلى المغفرة والعذاب كيف شاء **واذ قال موسى** عطف على قوله ولقد اخذ
الله ميثاق بنى اسرائيل المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة اعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوتك **لقومه
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء** فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث
فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء ولذا ذكرها بلفظ الجمع **وجعلكم ملوكا** اى وجعل منكم
او لكم ملوكا اى اصحاب خدم وحشم وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم كان بنو
اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا وقال ابن عباس الرجل اذا لم يدخل فى بيته
احد الا باذنه فهو ملك وقال ضحاك من كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك او لانه ملكهم بعد
ملكهم وبعد الجبابرة ملكهم او لان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل
عيسى بن مريم او لانهم كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا لانه جعلهم مالكين
لانفسهم وامورهم بالخصيصة جعل فيكم الانبياء وبهم قوام الدين وجعل فيكم الملوك وبهم قوام الدنيا اى هيأ الله
لكم اسباب معاشكم ومعادكم فاشكروا الله **واتاكم** من النبوة والخير المخصوص **ما لم يؤت احدا**

من العالمين من فلق البحر والايات التسع وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى فى التيه ونحوها مما اتاهم
وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم ثم ان موسى امر قومه بالجهاد بعد ما ذكرهم من تعداد نعم الله عليهم فقال
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة اى الارض المطهرة اعنى بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت
قرار الانبياء او مسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله او ايليا وبيت المقدس او اريحا او دمشق و
فلسطين وبعض الاردن قال كعب الاحبار وجدت فى كتاب المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه
من عباده واخرج ابن عساكر عن معاذ بن جبل هى ما بين العريش الى الفرات واخرج عبد الرزاق وعبد بن
حميد عن قتادة انه قال هى الشام كلها **التى كتب الله لكم** اى قسمها وهيأها لكم او خط فى اللوح المحفوظ
انها تكون لكم مسكنا ولكن ان امنتم واطعتم لامر الله لقوله بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم قال ابن عباس كانت
هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم **ولا ترتدوا على ادباركم** اى لا تنهزموا من خوف
الجبابرة والاعداء او لا ترجعوا من الدين الصحيح الى الشك فى نبوة موسى واخباره بهذه النصرة او لا ترجعوا
عن الارض التى امرتم بدخولها الى التى خرجتم عنها لما روى انهم لما سمعوا حال الجبابرة من النقباء بكوا وقالوا
ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا فى دينكم بالعصيان والمخالفة وعدم الوثوق
بالله **فتنقلبوا خاسرين** فى سعيكم ثواب الدارين وفى تنقلبوا وجهان اظهرهما انه مجزوم عطفا على فعل
النهى والثانى انه منصوب باضمار ان بعد الفاء فى جواب النهى **قالوا** استيناف مبنى على سؤال نشا من سياق
الكلام كانه قيل ماذا قالوا فى مقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك **يا موسى
ان فيها قوما جبارين** اى متغلبين لا نتاتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره
وهو الذى يجبر الناس على ما يريده وكانوا من بقايا عاد طوالا ذوى قوة **وانا لن ندخلها** بالقتال
حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها **فان يخرجوا منها** بلا قتال
فانا داخلون اى الارض المقدسة حينئذ **قال** لهم **رجلان** مما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهموا
بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون عليهما السلام ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما
اللذان وفيا بما قال لهم موسى عليه السلام احدهما يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فتى موسى والاخر
كالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهوذا وكان من النقباء كما ذكرنا
وهما **من الذين يخافون** اى يخافون الله ولا يخافون غيره وذلك بان **انعم الله عليهما** بالعصمة
والتوفيق والثبات على الحق فكتما ما اطلعا عليه من حال الجبابرة الا عن موسى بخلاف بقية النقباء
فافشوا حال الجبابرة وشوكتهم فجبنوا عن الحرب وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل كانا
رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اى هما من الجبابرة الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ يخافون بضم الياء اى المخوفون وعلى
المعنى الاول يكون يخافون بضم الياء من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكير ويخوفهم
الوعيد اى قالا مخاطبين لهم ومشجعين اياهم **ادخلوا عليهم الباب** اى ادخلوا على الجبارين من باب
قريتهم غفلة يعنى باغتوهم وزاحموهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار والخروج فانهم اجساد
بلا قلوب **فاذا دخلتموه** اى باب بلدهم وهم فيه **فانكم غالبون** من غير حاجة الى القتال

Copyright King Saud University

فالاذلك تيقنا بنصر الله وانجاز وعده اولانكم اذا هجمتم عليهم في المضايق فانهم لايقدرون فيها على الكر
والفر لعظم اجسامهم فلا تخشوهم **وعلى الله** تعالى خاصة **فتوكلوا** في الامور كلها **ان
كنتم مؤمنين** اى مقرين بوجود الاله العزيز القدير ومصدقين لوعده اذ الايمان بالله ورسوله
يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلايق وترك التملق للخلايق وان شئت تفصيل التوكل فراجع كتاب
شيخنا عبد القادر فكلكه المسمى بالغنية **قالوا** اى قالوا غير مبالين بقول الرجلين ونصيحتهما
يا موسى انا لن ندخلها اى ارض الجبارين فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم نفوا دخولهم
على التاكيد والتابيد في المستقبل **ابدا** تعليق لنفي المؤكد بالدهر المتطاول **ما داموا فيها** بيان للابد
ويحتمل ان يكون بدلا من ابدا بدل البعض ثم انهم لجهلهم وقسوة قلوبهم بجبادة العجل واستخفافهم
بموسى عليه السلام قالوا له **فاذهب انت وربك فقاتلا** هم **انا ههنا قاعدون** عن
القتال قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك
وقيل قصد واذهابهما حقيقة كما قالوا ارنا الله جهرة ولا يخفى عليك اذا قابلت مقالة بني اسرايل
بمقالة الانصار رضوان الله عليهم يوم بدر لما استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال قريش على
ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود انه قال لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون
انا صاحبه احب الي مما عدل به اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال والله
يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ولو خضت بحر الخضناه معك ولو
تسنمت جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا الى برك الغماد لتابعناك فلما سمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
تابعوه على ذلك قال فرايت وجه رسول الله يشرق لذلك كانه قطعة قمر وسر بذلك ظهر لك ما
فضلت به من كونك من خير الامم **قال** موسى عليه السلام لما راى من بني اسرايل من العناد على
طريقة الشكوى والحزن والبث الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل
النصر **رب اني لا املك** لنصرة دينك **الا نفسي و** الا **اخي** يعني لا املك الا اخي مع ملكي
لنفسي دون غيرنا فهو منصوب عطف على نفسي او على اسم ان وخبره محذوف اى وان اخي لا يملك الا نفسه
او مرفوع عطف على الضمير المستكن في لا املك وقيل معناه لا يطيعني الا نفسي واخي ولم يذكر الرجلين
المذكورين لعدم الوثوق بهما كل الوثوق لما راى من اطباق الاكثرين على التمرد او تقليلا لهن وافقه
او لكون المراد بالاخ من يواخيه في الدين وعلى هذا يدخل الرجلان **فافرق** اى فافصل **بيننا**
يريد نفسه واخاه **وبين القوم الفاسقين** اى الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك
بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم وقيل بالتبعيد بيننا
وبينهم وتخليصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين **قال** الله تعالى له **فانها** اى
فان الارض المقدسة **محرمة عليهم** اى لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم قال
النسخ وانما اراد تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع **اربعين سنة** ان جعل ظرفا
لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون بين قوله محرمة وبين قوله كتب الله لكم مخالفة اذ المراد

بجزئها

بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم
ممن بقي بعدها ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرايل الى اريحا
ففتحها ولم يمت في التيه والتيه بين فلسطين وايلة قالوا للاجماع العلماء على انه هو الذي قتل
عوج بن عنق حين توجه الى مقاتلة الجبارين قال في كشف البيان انما فتح الله اريحا لموسى عليه
السلام وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقي من بني اسرايل وقتل الجبارين الذي كانوا بها
ثم دخلها موسى ببني اسرايل فاقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله لا يعلم احد من الخلايق بقبره انتهى
وان جعل ظرفا لقوله **يتيهون في الارض** اى يسيرون في البرية متحيرين لا يرون طريقا يكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة
اولادهم قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكانت طول البرية تسعين فرسخا وقدرناها في ستة فراسخ او تسعة
في ثلثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثنى عشر فرسخا روى انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا
امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء
لهم وينزل عليهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه ولا يطول شعورهم ولا يبلى ثيابهم
ولا يتوسخ واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله والصحيح ان موسى وهارون
كان معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لبني اسرايل وانهما ماتا فيه
مات هارون اولا ثم مات موسى بعده بسنة وقيل بثلاث سنين ثم دخل يوشع اريحا بعد وفات موسى بثلثة
اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع وعن همام بن منبه قال حدثنا ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها فرجع
الملك الى الله فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وقد فقا عيني قال فرد الله اليه عينه وقال
ارجع الى عبدي فقل الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة
فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالان من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة
رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر ذكره
البغوي في تفسيره او جعلها كناية لغي موته وموت اخيه ولاجعه وعن مقاتل لما دعا موسى عليه السلام على بني
اسرايل فاخبره الله بانهم يتيهون قالوا له لم دعوت علينا وندم على ما عمل برقة القرابة اوحى الله
اليه **فلا تاس** اى فلا تحزن **على القوم الفاسقين** فانهم احقاء بالعذاب لفسقهم وذكر
السيوطي رحمه الله ان يوشع نبئ بعد الاربعين وامر بقتال الجبابرة وذلك بعد وفات موسى وهارون
عليهما السلام في التيه وسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى
فرغ من قتالهم وروى احمد في مسنده حديث ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالي الى
بيت المقدس ثم اخبر الله عن سيرة الصالح والطالح بقوله **واتل** يا محمد **عليهم** اى على قومك
نبا ابني ادم اى خبر ابني ادم اى ابناء ادم عليه السلام من صلبه يعني هابيل وقابيل **بالحق** اى تلاوة
ملتبسة بالحق اى الواقع في كتب الاولين من غير نظر فيها ولا سماع من اهلها او تلاوة نبا ملتبسا
بالصدق او اتل عليهم وانت محق صادق و**اذ قربا** نصب بالنبا اى قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت

Copyright ... University

قربانا الى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ولم يثن لانه مصدر في الاصل اولان التقدير اذ قرب
كل واحد منهما قربانا بدليل قوله فتقبل من احدهما اى قربانه وهو هابيل ولم يتقبل من الآخر
وهو قابيل وكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما وآخرهم المغيث
وتوامته المغيثة ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين
الفا قال بعضهم تغشى آدم حواء بعد هبوطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامته وروت جماعة من المفسرين
منهم ابن مسعود رضي الله عنه ان سبب هذا التقريب ان حوا كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فكان الذكر
يتزوج انثى البطن الثاني ولا تحل له اخته اى توامته فولدت مع قابيل اختا جميلة ومع هابيل اختا اسمها
لبوذا ليست كذلك فلما اراد آدم عليه السلام ان يزوجها من هابيل قال قابيل ان الله لم يامرني ان انكح
اخت اقليما بهابيل قال قابيل انا احق باختي فنهاه آدم وقال لا تحل لك فلم يقبل فاتفقوا على التقريب
فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته ووجب ان ياخذ اخت قابيل فحينئذ غضب قابيل واضمر الحسد
في نفسه الى ان حج آدم قال اى قابيل لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك
قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين وتقديره قال لم تقتلني وليس لي ذنب قال لان الله قبل قربانك
ولم يقبل قرباني فقال انما يتقبل الله من المتقين فلو كنت منهم لتقبل منك وقال الحسن والضحاك ابنا آدم
اللذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل كانت بينهما خصومة ولم تكن
القرابين الا في بني اسرائيل لقوله تعالى في آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
الآية والصحيح ان المراد بابني آدم لصلبه لان القاتل جهل بما يصنع بالمقتول حتى تعلم من الغراب ولو كان من
بني اسرائيل لما خفي عليه هذا الامر وفي قوله انما يتقبل الله من المتقين اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه
من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وعن
عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال اني اسمع الله يقول انما يتقبل
الله من المتقين لئن لام قسم بسطت اى مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط اى ما انا
بماد جواب القسم يدي اليك لاقتلك فتح نافع وابو عمرو وحفص الياء واسكنها الباقون والمعنى
والله لئن باشرت قتلي حتما اى عدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات
ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى من قابيل وابطش منه
ولكن تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت او
تحريا لما هو الافضل حيث اخرج احمد والحاكم عن خالد بن عرفطة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد
انه سيكون بعدي احداث وفتن واختلاف فان استطعت ان تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل
واخرج عبد الرزاق وابن جرير عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني آدم ضربا مثلا لهذه
الامة فخذوا بالخير منهما وقوله تعالى اني اريد ان تبوء اى ان تحمل او ترجع باثمي اى باثم قتلي اذا قتلتني
واثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد وكلاهما منصوبان على الحالية اى ترجع
ملتبسا بالاثمين حاملا لهما وانما اراد ذلك لكفره برده حكم الله تعالى انكارا وجحودا او لكونه ظالما وجزاء الظلم
جائز ان يراد من الله تعالى فيحسن من العبد ايضا تعليل آخر لامتناعه عن المقاتلة فتكون من اصحاب النار

لكفرك بانكار ما شرع الله تعالى لعباده وذلك جزاء الظالمين عند الله يحتمل ان يكون من قول هابيل
لاخيه وهو الظاهر ويحتمل ان يكون اخبارا من الله لمحمد عليه الصلاة والسلام فطوعت اى زينت
له نفسه قتل اخيه يعني فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت
على انه فاعل بمعنى تفعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى القتل فطاوعته ولم تمتنع عليه وله لزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله بعد التطويع التام وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة
فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله قال ابن جريج فتمثل له ابليس واخذ طيرا فوضع راسه على
حجر ثم شدخ راسه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين قيل وهو مستسلم
وقيل اغتاله وهو في النوم فشدخ راسه فقتله فاصبح اى فصار قابيل من الخاسرين دينا ودنيا اما
دينا فحيث استحق السخط والدية وكفر واما دنيا اذ لم يظفر بما قتله لاجله وحمله على ظهره سبعة ايام دائرا
به ماذا يفعل به روى الشيخان عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلما
الا كان على ابن آدم الاول منه كفل لانه اول من سن القتل واختلف في موضع قتله قال ابن عباس
جبل ثور وقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة وقيل بقاسيون جبل بدمشق فبعث الله غرابا
يبحث اى ينبش التراب بمنقاره في الارض ليريه الله او الغراب اى ليعلمه كيف يواري اى يستر
سوءة اخيه اى جسده للميت فانه مما يستقبح ان يرى روي انه لما قتله تركه بالعراء ولم يدر
ما يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على
ظهره فاروح وعكفت عليه الطير تنتظر ان يرمي به فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا بين يديه
فقتل احدهما صاحبه ثم حفر برجله ومنقاره حتى مكن في الارض ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر
اليه والضمير في ليريه لله او للغراب كما فسرنا بذلك وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي
ليري قال استيناف كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى كلمة جزع و
تحسر عند وقوع الداهية العظيمة والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك
والويل والويلة الهلكة اعجزت عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي
استفهام بمعنى التعجب وهذا تحسر منه على ما فاته من مقدار هذا العلم الذي وقف عليه الغراب وقوله
اواري بنصب الياء عطف على اكون وليس جواب الاستفهام كما فهمه البعض اذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت وقرئ بسكون الياء على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف فاصبح اى صار
من النادمين لا يقال هذا القول يدل على ان قابيل كان تائبا لقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة لان ندمه
على ما عليه المفسرون لم يكن على قتل اخيه بل على حمله على عنقه مدة وعدم اهتدائه الى الدفن وتلمذه
للغراب او على فقد اخيه وكونه مطرودا بين الناس واسوداد وجهه وعدم نفعه بما فعله لاجله وتبرئ
منه وتمكنه بعد ذلك مائة سنة لا يضحك او كان الندم في شريعتهم ليس بتوبة فان الاولين كانوا
يعاقبون على جناياتهم بعد الندم كما عرف في الذين عبدوا العجل ونحوهم كما قال الله تعالى ولما سقط في
ايديهم ومع ذلك عوقبوا بقتل انفسهم وقال في التيسير انما جعل الندم توبة في هذه الامة خاصة او
نقول التوبة تؤثر في حقوق الله تعالى لا في حقوق العباد والقتل من حقوق العباد فلا تؤثر فيه التوبة

Copyright King Saud University

قال علي بن الحسين وكل به ملكان يطلعان مع الشمس اذا طلعت ويغربان به مع الشمس اذا غربت وينضحانه
بالماء الحار مع حر الشمس حتى تقوم الساعة وقال مجاهد عقدت احدى رجلي قابيل الى فخذها وساقها
وعلقت من يومئذ الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث ما دارت عليه حظيرة من نار وفي الشتاء
حظيرة من ثلج واتخذ اولاد قابيل الات اللهو وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا
والفواحش حتى اغرقهم الله بالطوفان ايام نوح عليه السلام وبقي نسل شيث وقيل ان ياجوج وماجوج
من نسله واخبرنا ابو القاسم بن حبيب اسنده الى مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لما قتل قابيل هابيل وادم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت
الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل وفي بعض الروايات
ان الطيور والوحوش كانت تألف اولاد ادم فلما وقع هذا نفرت واستوحشت وهاجت ريح و
اظلمت لها الدنيا وكان ادم في مناسك الحج فقال لجبريل ما هذا فقال هذا من شؤم قتل ابنك قابيل اخاه
هابيل فحزن لذلك ادم وبكى ولم يضحك مائة عام فاتى على راس المائة فقيل له حياك الله وبياك
اي اضحكك وبشر بغلام فعند ذلك ضحك ولما مضى من عمره مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس
سنين ولدت له حواء شيث وتفسيره هبة الله اي خلف من هابيل وانزل الله عليه خمسين صحيفة
وصار وصي ادم وولي عهده واخرج ابن جرير عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لما قتل ابن
ادم اخاه بكى ادم فقال كلاما مضمونه هكذا ∴ تغيرت البلاد ومن عليها ∴ فلون الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ∴ وقل بشاشة الوجه المليح ∴ وزيد عليه هذه الابيات في اكثر الروايات
قتل قابيل هابيلا اخاه ∴ فواحزنا مضى الوجه المليح ∴ ومالي لا اجود بسكب دمع ∴ وهابيل تضمنه
الضريح ∴ وجاورنا سهلة وهابيل ∴ هابيلها وقابيلها النصيح ∴ لقتل ابن النبي بغير جرم ∴ فقلبي
عند قتلته جريح ∴ ارى طول الحياة على غما ∴ فانا من حياتي مستريح ∴ وجاورنا عدو ليس يفنى
لعين ما يموت فنستريح ∴ وقالت حواء كلاما في جواب ادم مضمونه هذا ∴ اهابيل قد قتلا جميعا
وصار الحي بالميت الذبيح ∴ وجاء بشرة قد كان منه ∴ على خوف فجاء بها يصيح ∴ وفي بعض الروايات
انها قالت ∴ دع الشكوى فقد هلكا جميعا ∴ بهلك ليس بالثمن الربيح ∴ وما يغني البكاء عن البواكي
اذا ما المرء غيب في الضريح ∴ فبك النفس منك ودع هواها ∴ فلست مخلدا بعد الذبيح ∴ وقال
ابليس لعنه الله شامتا به في جواب ادم عليه السلام ∴ تنح عن البلاد وساكنيها ∴ فبي في الارض
ضاق بك الفسيح ∴ وكنت بها وزوجك في رخاء ∴ وقلبك من اذى الدنيا مريح ∴ فما انفكت مكايدتي
ومكري ∴ الى ان فاتك الثمن الربيح ∴ فلولا رحمة الجبار اضحى ∴ بكفك من جنان الخلد ريح ∴ وروى عن
عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من قال ان ادم قال الشعر فقد كذب على
الله ورسوله ورمى ادم بالماثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء عليهم السلام كلهم في النهي عن الشعر
سواء قال الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له لكن لما قتل هابيل رثاه ادم مرثيته وهو اول شهيد في الارض
قال ادم لشيث يا بني انك وصيي فاحفظ هذا الكلام ليتوارث فحرص الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل
الى يعرب بن قحطان وهو اول من تكلم بالعربية كان يعرف والسريانية ايضا واول من خط بالقلم بالعربية

فكان

وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر
والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وما زاد فيه ولا نقص وفي تفسير الكحل انه كذب بحت وقد صح
ان الانبياء مخصوصون عن الشعر مع ان ذلك الشعر من غاية الركاكة بحيث لا يليق بالاحاد فضلا
عن الافراد وخصوصا من علمه الله الاسماء كلها حتى صار علمه حجة على الملئكة انتهى وكلامهم
حق والله اعلم فمن ادعى ان العصمة عن الشعر من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم فعليه البيان
وفي تفسير محيي السنة والوسيط ان المطلب بن عبد الله بن حنطب قال لما قتل ابن ادم اخاه رجفت
الارض بما عليها سبعة ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله عز وجل اين اخوك
هابيل قال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك
قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله تعالى على الارض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا انتهى
من اجل ذلك قرا ابو جعفر من اجل بكسر النون موصولا وقرا العامة بجزم النون اي بسبب ذلك القتل
وبعلته يعني من جزاء ذلك القاتل وجنايته يقال اجل يا جل اجلا اذا جنى مثل اخذ ياخذ اخذا يعني من اجل
الذي فعل قابيل وهو قتله اخاه على سبيل العدوان مؤديا الى الخسران الدارين كتبنا على بني اسرائيل قيل
خصهم بالذكر وان اشترك الكل في ذلك لان التورية اول كتاب نزل فيه الاحكام يعني قضينا عليهم انواع التشديدات
والعقوبات اي شرعنا القصاص في حق القاتل فان قيل حكم القصاص ثابت في جميع الامم فما فائدة تخصيصه بني
اسرائيل فالجواب ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان تشديد المذكور في الاية
وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت الا على بني اسرائيل والغرض بيان قسوة قلوبهم
واقدامهم على قتل الانبياء والرسل فيكون في كتبنا تسلية لرسولنا صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي عزموا فيها
على قتله وهو قوله تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم انه من قتل نفسا بغير نفس اي انشاء
ان من قتل نفسا بغير قتل نفس يوجب القصاص او بغير فساد في الارض وذلك الفساد كالشرك وقطع الطريق
وكل فساد يوجب القتل فكانما قتل الناس جميعا في الذنب اي من حيث انه هتك حرمة الدماء
وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم
وعن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل القاتل الناس جميعا لم يزد على ذلك
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياة النفس بعفو او منع عن
القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة بان انجاها من غرق او حرق او هدم او من ظالم او غير ذلك فكانما
فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود انه جعل قتل الواحد كقتل الجميع ترغيبا عن القتل لان المتعرض لقتل النفس
اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فيمتنع عن قتلها وجعل احياء النفس واختلفوا
في تاويلها فقال الامام اقرب ما قيل في تاويلها ان المراد من قتل نفسا واحدة بغير حق كان جميع الناس خصومه
في الدنيا ان لم يكن له ولي وفي الاخرة مطلقا لانهم من اب وام واحد قال انتهى واخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله
عنهما في الاية قال من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا من حيث ابطال المنفعة على الكل لان نفعهما
عامة للكل ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل المراد من هو قابيل فان عليه
من الاثم بمنزلة اثم الكل لانه اول من سن القتل فكل قتل يوجد بعده يلحقه شيء من وزره لعلة المتسبب لقوله

Copyright ... University

صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها قال الامام بعد نقله هذا القول وهذا
حسن في المعنى ولكن اللفظ لا يساعد عليه وهو قوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل لان هذا المعنى اذا اريد
به تابيل لا تختص كتابته ببني اسرائيل وقيل من قتل نفسا يجب عليه القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل
الناس جميعا وقيل من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصليها لو قتل الناس جميعا قال قتادة عظم
الله جزاء قتل النفس وعظم وزره معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما قتل الناس جميعا في الاثم لانهم
لا يسلمون منه ومن احياها وتورع عن قتل النفس فكانما احيا الناس جميعا في الثواب لسلامتهم منه قال سليمان
ابن علي قلت للحسن يا ابا سعيد هي لنا كما كانت لبني اسرائيل قال اي والذي لا اله غيره ما كان دماء بني اسرائيل اكرم
على الله من دمائنا ولقد جاءتهم اي بني اسرائيل رسلنا بالبينات اي بالايات والمعجزات الظاهرات الواضحات
في بيان الحلال والحرام والظلم والعدل هذه جملة مستقلة غير معطوفة اكدت بالتاكيد القسمي وحرف التحقيق
لكمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الى اخره للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على
تناهيهم في العتو والمكابرة ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم
من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحات تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
بسبب فحذف لمسرفون بالقتل ولا يبالون به ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميز المشار اليه وانتظامه
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظيم الشان وثم
للتراخي في الرتبة والاستبعاد وهذا الظرف متعلق بقوله لمسرفون الذي هو خبران وكذا الظرف المتقدم ولا
يقدح فيه توسط اللام بينه وبينها لان دخولها على الخبر على خلاف الاصل اذ الاصل دخولها على المبتدا وانما منع
منه دخول ان فكانها في حيزها الاصلي حكما في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم المبالاة به ثم لما ذكر
عقوبة من قتل نفسا بغير نفس الاية ذكر بعده عقوبة من يسعى بالفساد في الارض فقال انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله اي انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او يحاربون اولياءهما وهم
المسلمون كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة فجعل محاربتهم محاربتهما تعظيما لهم ونظيره قوله
ان الذين يؤذون الله ورسوله واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كان
في مصر قال المفسرون لا يجوز حمل الاية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض و
لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد والنفي ولان حده يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها ويسعون
في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين او على العلة اي للفساد او على المصدر الخاص لان الفساد نوع من
السعي فان معنى يسعون ههنا يفسدون فالتقدير يفسدون في الارض بسعيهم فسادا اخرج الشيخان عن انس ان
نفرا من عكل قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا فاجتووا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتوا ابل
الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها فقتلوا راعيها واستاقوها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم فجيء بهم فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا فانزل انما جزاء الاية فرفع
السمل فكانت الاية ناسخة لتلك السنة وعندنا ما قال الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقران كان الناسخ لتلك
السنة سنة اخرى ونزل هذا القران مطابقا للسنة الناسخة ووقف الامر على هذه الحدود واخرج مسلم
عن انس قال انما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعين اولئك لانهم سملوا اعين الرعاء وقال الضحاك نزلت في قوم

كاهل

من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل
وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون
اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بلا قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة
من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي جزاؤهم ان يقتلهم الامام قصاصا
من غير صلب ان انفردوا بالقتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال لان
بقاءه مصلوبا في ممر الطريق اشهر وازجر للفقهاء خلاف ذهب الشافعي الى انه ان قتل عمدا او
اخذ ايضا يقتل ويكفن ويصلى عليه ثم يصلب ويترك ثلاثة ايام ثم ينزل سال صديده اولا ولا
يصلب مكشوف العورة وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده وهو اولى ذلك وذهب ابو حنيفة
الى انه يصلب حيا ثم يمزق بطنه برمح حتى يموت او يترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا
ثم ان انزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك حتى تهرى فلا غسل ولا صلاة او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف فتقطع ايديهم اليمنى لاخذهم المال وارجلهم اليسرى لاخافة الطريق ان
اخذوا المال ولم يقتلوا والتشديد في هذه الثلاثة للتكثير لان القتل الحد العدوان يوجب القتل فتغلظ
ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فتغلظ في حقه بقطع الرجل
من خلاف او ينفوا من الارض اي ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان
اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس اخرج الشافعي في الام وعبد الرزاق والفريابي وابن
ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهم اجمعين
في قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية قال اذا خرج المحارب فاخذ المال ولم يقتل قطع من
خلاف واذا خرج فقتل ولم ياخذ المال قتل واذا خرج واخذ المال وقتل قتل وصلب واذا خرج فاخاف
السبيل ولم ياخذ المال ولم يقتل نفي ثم اختلف العلماء في لفظة او فقال ابن عباس في رواية والحسن
وسعيد بن مسيب ومجاهد والنخعي انها للتخيير والمعنى ان الامام مخير في المحاربين وقال ابن عباس في
رواية عطاء او ههنا ليست للتخيير بل لبيان الاحكام وترتيبها وهو قول قتادة والاوزاعي والشافعي
واحمد واصحاب ابي حنيفة ذلك اشارة الى الجزاء المتقدم من القتل والصلب وما عطف عليهما وهو مبتدا
لهم خزي مبتدا وخبر في الدنيا صفة للخزي والجملة خبر لذلك والخزي الدنيوي الفضيحة والهوان
ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قطع الطريق او من شركهم
واسلموا من قبل ان تقدروا عليهم اي قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تباعة
عليهم فيما اصابوا في حال الكفر من دم او مال اما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل
ان يظفر بهم الامام يسقط عنه كل عقوبة وجبت عليه حقا لله تعالى ولا يسقط ما كان من حقوق العباد
فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي
القتيل ان شاء عفى عنه وان شاء استوفاه وان كان قد اخذ المال سقط عنه القطع وان كان قد جمع
بينهما يسقط تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه وقال بعضهم اذا جاء
تائبا قبل القدرة لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرد الى صاحبه

Copyright ... University

روى عن علي كرم الله وجهه في حارثة ابن زيد كان خرج محاربا فسفك الدماء واخذ الاموال ثم جاء
تائبا قبل ان يقدر عليه فلم يجعل علي عليه تبعة اما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها
وقيل كل عقوبة تجب حقا لله تعالى من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط
بالتوبة بكل حال والاكثرون على انها لا تسقط وقال السلطان هذا استثناء مخصوص بما هو حق الله
ويدل عليه قوله عز وجل فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط
بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط
الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل
القدرة وبعدها انتهى ما قاله ثم حذرهم من ارتكاب المعاصي وحثهم في العمل الصالح فقال يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله فلا تؤذوا عباد الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما يقربكم اليه من طاعته
يعني ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الخيرات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب
اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة ثم لما امر بالتقوى وبكل فعل ينبغي وكل واحد منهما شاق ثقيل على
النفس اردف ذلك التكليف بقوله وجاهدوا في سبيله اي بمحاربة اعداء الله واعلاء دينه وخص
الجهاد بالذكر وان كان داخلا في معنى الوسيلة تشريفا له لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز
بكرامته ثم قال تهديدا للكفار ليؤمنوا فقال ان الذين كفروا لو ثبت ان لهم اي ان يكون
للكفار ما في الارض من صنوف الاموال وهو اسم ان ولهم خبرها قدم على الاسم جميعا تاكيد لما
ومثله معه اي لو ثبت ايضا ان لهم مثل ما في الارض جميعا معه وهو عطف على اسم ان وهو ما في الارض
ليفتدوا به اي ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة اي من العذاب الواقع يومئذ
واللام في ليفتدوا متعلق بالاستقرار المقدر والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى ما
الموصولة والى مثله ايضا وتوحيده وان تقدمه شيئان لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا
بذلك واشير به الى شيئين كما في قوله تعالى عوان بين ذلك اي بين البكر والفارض او لان الواو في ومثله معه
بمعنى مع وقيل الضمير في به راجع الى ما الموصولة والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف قوله ومن عذاب
متعلق بالافتداء كما ان الباء في به كانت متعلقة به اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية
لخلاص انفسهم من عذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم اي لم يتقبل منهم ذلك الفداء وهو جواب لو ولو بما
في حيز خبر ان والجملة تمثيل وتصوير للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه وليس المعنى على
انهم لو زادوا على المذكور تقبل منهم بل اريد كلام يفهم منه دوام العذاب ولزومه على طريق الكناية وهذا
قبل يجوز ان يكون تمثيلا لحالهم في عدم التفصي عن العذاب بحال من يكون له امثال ذلك ما في الارض
ويريد بها الخلاص من العذاب ولا يجد اليه سبيلا ولهم عذاب اليم هذا تصريح بالمقصود من عدم
قبول فديتهم وكذلك قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار قراءة العامة بفتح الياء لقوله
عز وجل وما هم بخارجين منها وقرئ ان يخرجوا بضم الياء وفتح الراء من الاخراج لقوله قالوا ربنا اخرجنا
منها وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة قوله يريدون له وجهان احدهما انهم يقصدون
ويطلبون المخرج منها كما قال الله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي ان الملائكة يردونهم اليها

بمقامع

بمقامع من حديد والثاني يتمنون ذلك بقلوبهم كما قال الله اخبارا عنهم ربنا اخرجنا منها روى انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به
مما رايت فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك سئلت ان لا تشرك بالله شيئا فابيت الا الشرك رواه
البخاري ولهم عذاب مقيم اي دائم لا يفارقهم يرد لما يقوله بعض الناس من انهم يحتادون فلا
يحسون بالالم فعلى ما ذكرنا من الاقوال ولا معنى لمن يقول ان المراد بقوله عز وجل اعيدوا فيها ان العود
لا يكون الا بعد تمام الخروج لانه مناف ومناقض لدوام العذاب ثم بين حكم السرقة بقوله والسارق
والسارقة ال فيهما موصولة مبتدأ اي الذي سرق والتي سرقت ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو
فاقطعوا ايديهما اي يمين كل واحد منهما من الكوع وثبتت السنة ان الذي يقطع فيه مال يخرج عن
الحرز ومقداره ربع دينار فصاعدا وهو قوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا رواه الشيخان وبهذا
اخذ الشافعي واحمد وعند ابي حنيفة عشرة دراهم وعند مالك ثلثة دراهم وانه ان عاد قطعت رجله اليسرى
من مفصل القدم ثم يده اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر هذا على ما ذكره الجلال السيوطي والمشهور من
اقوال البصريين ان السارق مبتدأ محذوف الخبر اي حكم السارق ثابت فيما يتلى عليكم ويكون قوله فاقطعوا
ايديهما بيانا لذلك الحكم المقدر والكلام على ما ذهب عليه البصريون جملتان الاولى خبرية والثاني امرية والكل
على ما ذكرنا اولا وهو مذهب المبرد بان ال موصولة مبتدأ وقوله فاقطعوا خبره جملة واحدة وهي الجملة الامرية
اي والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا فيكون الامر في الحقيقة جزاء للشرط المقدر اي ان سرق احد فاقطعوا
يده وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل وقراءة الجمهور بالرفع
وهو الاولى لان هذه الاية ليس من باب ما اضمر عامله في امثال السارق والسارقة وقد استقصى السلطان
الكلام في معنى قوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا في شرح المصابيح فراجعه والمراد بالايدي
الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما والقطع عند الخوارج من المنكب والجمهور على انه من الرسغ كما ذكرنا
لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه من الكوع جزاء اي فاقطعوا للجزاء او مجازيهما جزاء بما
كسبا متعلق بجزاء او بفاقطعوا اي بسبب كسبهما او بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقيل
جزاء نكالا اي عقوبة وترك العاطف لان المعنى ان القطع الذي للجزاء لقصد النكال والمنع عن
المعاودة من الله اي نكالا كائنا منه تعالى وقدم السارق لانه اكثر ما تكون السرقة في الرجال وقطع
العضو الجاني من السارق دون الزاني محافظة على العورة او ابقاء على النسل وقال القرطبي رحمه الله
بدأ الله بالسارق في هذه الاية قبل السارقة وفي الزنا بدأ بالزانية والحكمة في ذلك ان يقال لما كان حب
المال على الرجال اغلب وشهوة الاستمتاع على النساء اغلب بدأ بهما في الموضعين والله عزيز غالب على امره
لا يعارض في حكمه حكيم في كل ما شرع من الزواجر للحكم الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة فمن تاب
من السراق من بعد ظلمه اي من بعد سرقته واصلح العمل بالتفصي عن التبعات والعزم على ان
لا يعود اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة
عند الاكثرين لانه جزاء على الجناية لقوله تعالى جزاء بما كسبا نكالا من الله فلا بد من التوبة بعد القطع ولذلك
قال الله فمن تاب من بعد ظلمه ان الله غفور رحيم اي غفور للذنوب رحيم بقبول التوبة هذا اذا كان

Copyright King Saud University

بينه وبين الله واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم خلافا لاهل الكوفة فلا غرم عليه عندهم وبالاتفاق ان كان المسروق قائما عنده تسترد وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق العبد فلا يمنع احدهما الاخر كاسترداد العين الم تعلم استفهام تقرير والخطاب مع النبي والمراد به الجميع اى كل مخاطب صالح للخطاب والمعنى قد علمت ان الله له ملك السموات والارض اى يحكم فى اهلهما ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه لان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما يعذب من يشاء تعذيبه لمن مات على الكفر او اصر على الذنب ويغفر لمن يشاء من تاب عن الكفر ولم يصر على الصغاير وقدم هنا التعذيب على المغفرة لتقدم السرقة على التوبة وقيل لتهويل شان السرقة وتغليظها والله على كل شىء قدير ومنه التعذيب والمغفرة يا ايها الرسول خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف لا يحزنك قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى الذين يسارعون فى الكفر والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين الذين يقعون فى الكفر سريعا يعنى فى اظهارهم الكفر اذا وجدوا منه فرصة فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب اى اوقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر وقوعهم فيه وذلك لموالاتهم للمشركين ولاظهار اثارهم كيدهم للاسلام وفى العيون نزل فى شان ابى لبابة حين حاصر النبى عليه السلام بنى قريظة فاشار اليهم ابو لبابة وكان حليفا لهم انكم ان نزلتم عن حصونكم قتلكم فلا تنزلوا فسلى خاطر نبيه بقوله من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون من للتبيين اى بيان للمسارعين فى الكفر والباء متعلقة بقالوا لا بامنا وقوله ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا وبه يتم بيان المسارعين فى الكفر وتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا اى من اليهود قوم سماعون وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول اى كون الضمير للفريقين يوقف على الذين هادوا واللام فى قوله للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول فان السماع قد يستعمل ويراد منه القبول نحو سمع الله لمن حمده اى قبل منه حمده فتكون اللام بمعنى من والمعنى اليهود قوم قابلون لما يفتريه احبارهم من الكذب على الله ورسوله او للعلة والمفعول محذوف اى هم قوم سماعون كلامك ليكذبوا عليك بان يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير وذلك انهم كانوا يسمعون من الرسول عليه السلام ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا منه سماعون لقوم اى لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك لم ياتوك اى لم يحضروا ذلك القوم الاخر مجلسك وتباعدوا عنك تكبرا او افراطا فى البغضاء وهو صفة للقوم والمعنى على الوجهين اى هم مصغون لقوم اخرين قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم يعنى انهم جواسيس مسترقين الكلام لينقلوه لقوم اخرين كما اشرنا ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا للقوم الاخرين يحرفون الكلم الذى فى التوراة كاية الرجم وتغيير صفات النبى من بعد مواضعه التى وضعه الله عليها والمعنى يزيلون الكلم ويميلونه ويبدلونه ويغيرونه بعد ان وضعه الله من الصحة فى بيان الحلال والحرام فى مواضعها

اما لفظا باهماله واسقاطه كاية الرجم وضعوا موضعها الجلد والتحميم وهو تسويد الوجه بالفحم واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استيناف لا محل لها من الاعراب او فى موضع الرفع خبر لمرفوع اى هم يحرفون ويجرى فى اعراب قوله يقولون الا خمس الوجوه المذكورة فى اعراب قوله يحرفون اى هم يقولون لمن ارسلوهم اليك ان اوتيتم هذا اى هذا المحرف فخذوه يعنى ان افتاكم محمد عليه السلام بالجلد والتحميم فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد عليه السلام بخلافه فاحذروا اى فاحذروا قبول ما افتاكم به قال المفسرون روى ان رجلا وامراة من اشراف خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حد الزنا فى التوراة الرجم فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فارسلوا قوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسالوه عن حكمه فى الزانيين اذا احصنا وقال لهم ان امركم بالجلد فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا فلما سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك نزل جبريل بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران عليه السلام فى التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال وانت اعلم اليهود قالوا كذلك يرضون قال اتجعلونه بينى وبينكم قالوا نعم فقال عليه السلام انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق ال فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخل فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذى انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله عز وجل قال كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل اخر فى اسوة الناس فاراد ذلك الملك رجمه فقام عنه قومه فقالوا والله لا نرجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم انه قد انشدنى بالتوراة ولولا خشية التوراة ان تهلكنى لما اخبرته به فامر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب المسجد وقال اللهم انى اول من احيى امرك اذ اماتوه فانزل الله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ثم سال ابن صوريا عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فاجابه بما هو المطابق للتوراة فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى العربى الذى بشر به المرسلون وفى بعض الروايات فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجم فابوا قبوله وقالوا ليس عندنا الا ان نسود وجوههما فانزل الله قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بالتوراة فوضع القارى يده على اية الرجم قال عبد الله بن سلام مره يرفع يده فرفعها فوجدوا اية الرجم قال عبد الله بن عمر فامر برجمهما عند باب المسجد وانا ممن رجمهما ومن يرد الله فتنته من مفعول مقدم وهو شرطية اى كفره

Copyright King Saud University

وضلالته قال الضحاك هلاكه وقال قتادة عذابه او فضيحته فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا
وعدم التصريح بكونهم كذلك للاستغناء بظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له اى فلن تستطيع
له من الله شيئا فى دفعها اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما فى اسم الاشارة
من البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفساد وهو مبتدا خبره الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم من رجس الكفر وخبث الضلالة والفضاحة لحلمه منهم باختيارهم الكفر والضلالة ولو اراد تطهيره
لكان وهو كما ترى رد على فساد قول المعتزلة فانهم ذهبوا الى ان الله تعالى اراد اسلام الكافر وتطهيره
عن الشرك لكنه لم يقع يعنى يقولون ان الله يريد الايمان ولا يريد الكفر والجملة استينافية مبينة لكون
ارادته تعالى لفتنتهم متوطنة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء
لهم فى الدنيا خزى اى للمنافقين فضيحة وهتك سترهم باظهار نفاقهم ولليهود هوان بالجزية
وفضاحة ايضا بظهور كذبهم فى كتمان نص الله تعالى فى ايجاب الرجم وخزى مبتدا ولهم خبره وفى الدنيا متعلق
بما تعلق به الخبر اى الاستقرار المقدر وكذا الحال فى قوله ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى
النار وضمير لهم فى الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل والجملتان استينافيتان مبنى على
سوال نشأ من تفصيل احوالهم وافعالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فالهم من العقوبة فقيل لهم فى
الدنيا الى اخره سماعون للكذب خبر اخر للمبتدا المقدر اى هم سماعون للكذب كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما
بعده من قوله تعالى اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوق البركة وهو
ايضا خبر اخر للمقدر اى هم اكالون للسحت وارد على طريق الذم وفى الحديث كل لحم نبت من سحت
فالنار اولى به وقرئ السحت بفتح السين على لفظ المصدر واما حديث كسب الحجام سحت فالمراد انه سحت
المروة لا الدين والمراد به هنا الرشوة التى كان ياخذها المحرفون على تحريفهم وساير احكامهم الرايعة
وهى التى تسحت اى تزيل الدين والمروة قال الحسن يعنى فى معنى السحت كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة
جعلها فى كمه فيريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل وقال اى
الحسن انما ذلك فى الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا فاما ان يعطى الرجل الوالى يخاف
ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا باس وقال ابن مسعود السحت الرشوة فى كل شىء من يشفع شفاعة يرد
بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدى له فقبل فهو سحت وقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون قال ابو حنيفة رحمه الله اذا ارتشى الحاكم انعزل فى الوقت وان لم يعزل ويبطل
كل حكم حكم به بعد ذلك قلت هذا لا يجوز ان يختلف فيه لان اخذ الرشوة فسق والفاسق لا يجوز حكمه اخرج
الترمذى وقال حسن صحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى
والمرتشى والطبرانى بسند رجاله ثقات الراشى والمرتشى فى النار واخرج الحاكم عن ابى هريرة قال لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى فى الحكم والرايش الذى يسعى بينهما واخرج الحاكم من ولى عشرة فحكم
بينهم بالحق او بما كرهوا جئ به مغلولة يداه فان عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه وان حكم بغير
ما انزل الله وارتشى وحابا فيه شدت يساره الى يمينه ثم رمى الى جهنم فلم يبلغ قعرها خمسماية عام
قال ابن حجر فى الزواجر من اعطى قاضيا او حاكما رشوة او اهدى اليه هدية فان كان ليحكم له بباطل او ليتوصل

بها الى نيل ما يستحقه او الى اذية مسلم فسق الراشى والمهدى بالاعطاء والمرتشى والمهدى اليه بالاخذ
والرايش بالسعى وان لم يقع منه حكم بعد ذلك او ليحكم له بحق او لدفع ظلم عنه او لينال ما يستحقه
فسق الاخذ ولم يأثم المعطى لاضطراره الى التوصل لحقه باى طريق كان واما الرايش هنا فالذى
يظهر ان يقال فيه انه ان كان من جهة الاخذ فسق لما تقرر ان الاخذ يفسق مطلقا فمعينه كذلك
وان كان من جهة المعطى فان كان حكمنا بفسقه فسق رسوله والا فلا ثم رايت بعضهم ذكر نحو ذلك فى الرايش
فقال هو تابع للراشى فى قصده ان قصد خيرا لم تلحقه اللعنة والا لحقته ولا فرق فى الرشوة للمقتضى لاخذها
الفسق بين قليل المال وكثيره قال الشافعى رحمه الله واذا اخذ القاضى رشوة على قضايه فقضاؤه مردود
وان كان بحق والرشوة مردودة واذا اعطى القاضى على القضاء رشوة فولايته باطلة وقضاؤه مردود
وليس من الرشوة بذل مال لمن يتكلم مع السلطان فى امر جايز فيقابل باجرة عند ذى السلطان ان لم يكن
المتكلم مرصدا لمثلها بحيث يجب عليه فان هذا جعل المجايزة انتهى فان جاؤك اى السماعون للكذب
يعنى كتابيان من اهل الحرب لتحكم بينهم فيما شجر من الخصومات فاحكم بينهم اى ان شئت فاحكم بينهم
لانهم اتخذوك حكما او اعرض عنهم لانهم يسارعون الى الكفر بحكمك ولا يقبلونه فهذا تخيير لرسول
الله اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض وهذا التخيير ثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه
كتابيان من اهل الحرب واما اهل الذمة اذا ترافعوا فيجب الحكم لالتزامهم احكامنا والتزامنا دفع الظلم
عنهم والاية ليست فى اهل الذمة ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان من اهل الحرب الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهذا
اى التخيير فى اهل الكتاب من الحرب ووجوب الحكم فى اهل الذمة هو قول الشافعى رحمه الله وسوا فى الحرب
اذا كان المترافعان او احدهما ذميا وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وفى المعالم اختلف العلماء فى الحكم فى اهل
الكتاب اذا تحاكموا الينا قال اكثر العلماء الحاكم بالخيار استدلالا بهذه الاية وقيل يرد الى دينهم الان ياتوا راغبين
فى حكم الله وهو قول ابى حنيفة رحمه الله انتهى قال البغوى واختلف المفسرون فى حكم الاية اليوم هل للحاكم الخيار
فى الحكم من اهل الذمة اذا تحاكموا الينا فقال اكثر اهل العلم هو حكم ثابت وليس فى سورة المائدة منسوخ وحكام
المسلمين بالخيار فى الحكم بين اهل الكتاب ان شاؤا حكموا وان شاؤا لم يحكموا وان حكموا حكموا بالاسلام
وهو قول النخعى والشعبى وعطاء وقتادة وقال قوم يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بينهم والاية منسوخة
نسخها قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله وهو قول مجاهد وعكرمة وروى ذلك عن ابن عباس
وقال لم تنسخ من المائدة الا ايتان قوله لا تحلوا شعاير الله نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها وان احكم بينهم بما انزل الله فاما اذا تحاكم
الينا مسلم وذمى فيجب الحكم بينهما لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة انتهى وان
تعرض عنهم فلن يضروك شيئا اى بان يعادوك ويغتابوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فيما ذكرنا اى ان اخترت الحكم على الاعراض فاحكم بينهم بالقسط اى بالعدل
الذى امر الله به ان الله يحب المقسطين اى العادلين فى الحكم بينهم ويعظم شانهم ويحفظهم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون عند الله على منابر من نور فى نمق الرحمن ظللا على برف
وهذا التخيير فى اهل الحرب واما اهل الذمة فيجب الحكم بينهم لالتزامهم احكامنا كما اشرنا من قبل وكيف يحكمونك

وعندهم التوراة وهذا تعجيب من تحكيمهم واستبعاد للنبي اى كيف يجعلونك الحاكم بينهم في حد
الزنا في المحصن ويرضون بحكمك يعني كيف يجعلونك حكما بينهم كما بنين على صفة عجيبة لانهم لا يؤمنون بك وبكتابك
وهذا الحكم الذي هو مطلوبهم ومقصودهم منصوص عليه ومقطوع به في الكتاب الذي هو عندهم اعني التوراة
الذي يدعون الايمان به وكيف وعندهم حالان مترادفان فيها حكم الله اى الرجم وهو حال من ضمير التوراة
المستكن في الظرف فانها مبتدأ ولا يجوز ان يقع الحال منه وقيل انها مرفوع بالظرف وتانيثها مع انها اسم اعجمي وتاء
التانيث انما يكون في العربي لكونها نظيرة المونث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون اى يعرضون عن حكمك
بالرجم الموافق لكتابهم من بعد ذلك اى من بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب و
الاستبعاد لان التحكيم مع الوجود عندهم ما فيه الحكم الحق المغني عن التحكيم وان كان محلا للتعجب والاستبعاد
لكن مع الاعراض عن ذلك اعجب وايراد ثم للتراخي في الرتبة وإذا لم ينقادوا لحكم التوراة ولا لحكمك
المطابق له علم انه وما اولئك بالمؤمنين اى بمصدقين بالتوراة ولا بك ولا بكتابك انا انزلنا
التوراة كلام مستانف لبيان علو شان التوراة ووجوب مراعات احكامها تقريرا لكفرهم وقوله فيها
هدى ونور حال من التوراة فان فيها من الشرايع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق
الذي لا محيد عنه ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات
الجهل نور يحكم بها النبيون من لدن موسى الى عيسى عليهما السلام وبينهما الف نبي واربعة الاف نبي واكثر
من ذلك على اختلاف الروايات وقيل المراد بهم موسى عليه السلام ومن بعده حتى نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وبه استدل من قال ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ الذين اسلموا اى انقادوا
لحكم الله في التوراة وهو صفة اجريت للنبيين على سبيل المدح لهم والتنويه والتعظيم للمسلمين والتعريض
لليهود بانهم غير مسلمين لعدم انقيادهم بدين الانبياء عليهم السلام يعني ان الانبياء عليهم السلام مع
علو شانهم ومقامهم منقادون لحكم التوراة وهؤلاء اليهود يعرضون عنه ويحرفونه وقال البغوي
رحمه الله معناه اسلموا وانقادوا لامر الله كما اخبر عن ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين وكما قال وله اسلم من في السموات والارض فاراد بهم النبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام يحكمون
بما في التوراة وقيل اسلموا لحكم التوراة وحكموا بها فان من النبيين من لم يومر بحكم التوراة منهم عيسى بن مريم عليه السلام
قال الله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن والسدي اراد به محمدا صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم
ذكر بلفظ الجمع كما قال تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا انتهى قوله جل اجلاله للذين هادوا متعلق بانزلنا
او بيحكم اى يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم فاللام لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من
ان يكون لهم او عليهم كانه قيل انزلنا التوراة الى حوزة لاجل الذين ومنهم من فسر هادوا بتابوا اى تابوا
من الكفر قال البغوي فيه تقديم وتاخير تقديره فيها هدى ونور للذين هادوا ثم يحكم بها النبيون الذين
اسلموا والربانيون وقيل هو على موضعه ومعناه يحكم النبيون الذين اسلموا على الذين هادوا كما قال وان اساتم
فلها اى فعليها واولئك لهم اللعنة اى عليهم اللعنة وقيل فيه حذف كانه قال الذين هادوا وعلى الذين هادوا
فحذف احدهما اختصارا ومنهم من قال اى يحكمون بما في التوراة لهم وعليهم ولذلك حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم بالرجم بحكم التوراة ولم يختص بذلك الحكم بالانبياء بل يحكم به الربانيون اى الاولياء

1

سورة المائدة

وهم العلماء الزهاد وهو عطف على النبيون اى ويحكم الزهاد العالمون بربهم والاحبار جمع حبر بالفتح
والكسر اى العالم الكبير ومنهم من فسر الربانيون بالعلماء مطلقا والاحبار بالفقهاء والظاهر زهادهم
وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم ومنهم من قال اراد بالاول المجتهدين المتكرهم بعد الانبياء والثاني
كاحاد العلماء وهذا منقول عن الفراء والكسائي والجبيعية بما استحفظوا من كتاب الله اى بسبب
امر انبيائهم اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين توضيح المعنى
اى بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سالوهم ان يحفظوها من التبديل والتغيير
على الاطلاق ولا ريب في ذلك منهم استخلاف ونيابة لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي
ابهامها ثم بيانها بقوله من كتاب الله من التفخيم ذاتا واضافة ومن وجوب رعاية لفظها ومعناه
ما لا يخفى والباء الداخلة على ما متعلقة بيحكم وهي سببية والمعنى ويحكم الربانيون والاحبار كالانبياء
بما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به الانبياء وسالوهم ان يحفظوه ويجوز ان يعود الضمير
في استحفظوا على النبيين والربانيين والاحبار وحذف الفاعل المنوب عنه البارى تعالى اى بما
استحفظهم الله يعني بما كلفهم الله حفظه اى بما استودعوا من كتاب الله وقال الشيخ اى بسبب الذي
طلبهم الانبياء بحفظه من التبديل والتغيير والضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا
والاستحفاظ من الله اى كلفهم الله حفظه او للربانيين والاحبار والاستحفاظ من الانبياء
وكانوا اى العلماء بكتاب الله عليه اى على ما في الكتاب من الاحكام كالرجم وغيره شهداء
اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه او شهداء يبينون
ما يخفى من الكتاب فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم الى قوله هم الكافرون
على ما قيل بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم بطريق الدلالة دون العبارة ولما كان
مدار اجترائهم على تحريف التوراة وتغييرها خشية ذي سلطان ورغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا
عن كل واحد منهما صريحا فنهاهم عن التحريف للخشية بقوله فلا تخشوا الناس كائنا من كان واخشون
في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف التعرض لها بسوء لان الامر كله بيدي قال السلطان يعني يحكم
ان تخشوا غير الله عز وجل في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبيرة وجبارة
الجلال فلا تخشوا الناس ايها اليهود في اظهار ما عندكم من نعت محمد والرجم وغيرهما واخشون
في كتمانه ثم نهاهم عن التغيير لرغبة بقوله ولا تشتروا باياتي اى ولا تستبدلوا باحكامي التي
انزلتها بان تخرجوها من التوراة او تتركوا العمل بها وتاخذوا بدلها ثمنا قليلا وهو الرشوة
والجاه وساير الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنكم ونظيره
نظير هذا في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما
انزل الله اى مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون اى بما انزل الله لاستهانتهم
وتمردهم بان تحكموا بغيره وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا له فقد كفر وظلم وفسق لانه خاطب
بها الذين جحدوا اية الرجم ولم يقبلوها وقال ابن عباس في التوراة اية الرجم على الزاني فاما من اقر بها ولم يحكم
به فانه ظالم وفاسق ويؤيده رواية الوالبي عن ابن عباس واحتجت الخوارج بالاية على ان كل من عصى الله

Copyright King Saud University

فهو كافر لان الاية فيهم وللمفسرين في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود لان هذه الايات الثلثة
يعني هذه وايتان بعدها يعني فاولئك هم الظالمون فاولئك هم الفاسقون نزلت في اليهود لا في اهل الاسلام
والثاني ان المراد بالكفر هنا كفران النعمة والثالث انه فعل فعلا مثل فعل الكافر والرابع من اتى بضد جميع احكام
الله فهو كافر والجواب الذي عليه الاعتماد هو ان معنى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
انما يكفرون بالاستهانة به والانكار لهم ولذلك وصفهم الله بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون
لكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان تكون الصفات الثلث
موزعة على الطوايف بان يكون كل واحدة من الصفات لطايفة مخصوصة هذه في المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وقال عكرمة معناه من لم يحكم بما انزل الله
جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن هذه
الاية واللتان بعدها فقال انها تقع على جميع ما انزل الله فهو كافر ظالم فاسق فاما من حكم بما انزل الله من
التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما انزل الله من الشرايع لم يستوجب حكم هذه الايات وقال العلماء هذا
اذا رد نص حكم الله عيانا عمدا فاما من خفي عليه او اخطأ في تاويله فلا قوله **وكتبنا** عطف على
انزلنا التورية اي انزلناها وفرضنا **عليهم** اي على اليهود **فيها** اي في التورية ان حكم الزاني
المحصن الرجم فغيروه وبدلوه وبينا ايضا في التورية **ان النفس بالنفس** اي ان النفس تقتل بالنفس
فغيروا هذا الحكم فتفضلوا بني النضير على بني قريظة وخصصوا ايجاب القود ببني قريظة دون
بني النضير وقيل كان في بني النضير شرف وكانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فتحاكموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الاية سواء فهذا وجه النظم الكريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت **والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن و**
السن بالسن يعني نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به والعين بالعين تفقأ بها والانف بالانف يجدع
به والاذن بالاذن تقطع بها وقال ابن عباس رضي الله عنهما اخبر الله تعالى بحكمه في التورية وهو ان النفس بالنفس
الى اخره فما لهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفقأون بالعين العينين وبالاذن بالاذنين وخفف نافع
في جميع القران وثقلها الاخرون والسن بالسن تقلع بها وساير الجوارح قياس عليها في القصاص وقوله
جل جلاله **والجروح قصاص** اي ذات قصاص فهذا تعميم بعد التخصيص لانه ذكر العين والانف والاذن
والسن ثم قال والجروح قصاص اي فيما يمكن ان يقتص مثل الشفتين والذكر والانثيين والاليتين والقدمين
واليدين وغيرها فاما ما لا يمكن القصاص فيه من رض لحم او كسر عظم او جرح يخاف منه التلف ففيه
ارش وحكومة لانه لا يمكن الوقوف على نهايته وهذا الحكم وان كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ايضا استدل
ابو حنيفة رحمه الله بقوله عز وجل ان النفس بالنفس على ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد بناء على
ان الله تعالى حكى لنا شرع من قبلنا على انه شرعنا وخالفه الشافعي لما روى البخاري عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر وحكي الاجماع على عدم قتل الحر بالعبد
وباقي الاحاديث والاثار قد ذكر في تفسير قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
فراجعه قرأ الكسائي والعين وما بعدها وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو جعفر والجروح بالرفع فقط

وقرأ الاخرون كلها بالنصب كالنفس قوله جل جلاله **فمن تصدق** اي من اصحاب الحق **به** اي بالقصاص
المتعلق بالنفس او بالعين او بما بعدها يعني من عفى عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه
فهو اي التصدق **كفارة له** اي للمتصدق يكفر الله تعالى به ذنوبه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته امه وقيل الضمير له راجع لقوله تعالى من عفى واصلح
فاجره على الله وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق حاصلة له لا ينقص
منها شيء وقال صلى الله عليه وسلم من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه **ومن لم يحكم**
بما انزل الله في القصاص وغيره **فاولئك هم الظالمون** بالامتناع عن ما حكم الله به ثم شرع في بيان
الانجيل اثر بيان احكام التورية فقال **وقفينا على اثارهم** عطف على انزلنا التورية قال ابن عباس اتبعنا
على اثار الانبياء يعني بعثنا من بعد النبيين الذين اسلموا وانقادوا لله يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه كانك جعلته
في قفاه **بعيسى ابن مريم** لا ابن غيرها فعيسى مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء والمفعول الاول محذوف
لان الظرف الذي هو على اثارهم ساد مسده لانه اذا قفى به على اثارهم فقد قفى به اياهم فيكون اياهم
مفعولا اولا وهذا قال السلطان اي واتبعناهم على اثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير
للنبيين واما على تفسير ابن عباس فعيسى مفعول به لقفينا ولا يقتضي مفعولا ثانيا فتكون الباء زايدة **مصدقا**
هو حال من عيسى **لما بين يديه** اي لما قبله **من التورية** حال من ما اي مقرا بان التورية كتاب منزل
من عند الله وانه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الانجيل **وآتيناه الانجيل** عطف
على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فالانجيل كالتورية بشرى ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم **فيه** اي ثابت
في الانجيل **هدى** عن الضلالة **ونور** اي فيه بيان لاحكام الله ويجوز ان يكون فيه وحده حالا من الانجيل
وهدى فاعل الظرف ويجوز ان يكون فيه خبرا مقدما وهدى مبتدأ مؤخر والجملة حال **ومصدقا** حال من الانجيل
على محل فيه هدى باعتبار ان يكون فيه وحده حالا اي الانجيل ويجوز ايضا ان يكون مصدقا حالا من الانجيل
باعتبار الثاني اي باعتبار كون الجملة حالا اي الانجيل ومصدقا عطف على محله على القول المرجوح **لما**
بين يديه اي للكتاب الذي نزل قبله **من التورية** بيان لما تخصيص الكلام وجعلنا الانجيل موافقا
لما تقدمه في التورية في اصل التوحيد والطاعة وبعض الشرايع وقوله عز وجل **وهدى** اي هاديا الى الحق مرشدا اليه
وموعظة اي واعظا معطوفان على قوله مصدقا ويجوز نصب هدى وموعظة على المفعول له عطفا على
محذوف كانه قيل واتيناه الانجيل المصلح شيء والهدى والموعظة وعلى هذا احتيج الى تقدير المعطوف
عليه تقديره والهدى والموعظة والحكم بما انزل الله اتيناه الانجيل وتخصيص كونه هدى وموعظة **للمتقين**
اي بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه **وليحكم** بسكون اللام والميم امر مستانف لالزام الحكم
اي وقلنا ليحكم وقرأ حمزة بكسر اللام ونصب الميم اي لكي يحكم **اهل الانجيل** اي عيسى وعلماء امته **بما انزل**
الله فيه اي في الانجيل لا بما في التورية وان تساويا في الهدى ولكنه لم يبق هدى بعد النسخ قال مقاتل امر الله
تعالى الربانيين والاحبار ان يحكموا بما في التورية وامر القسيسين والرهبان ان يحكموا بما في الانجيل فكفروا وقالوا
عزير ابن الله وعيسى ابن الله فاتلهم الله وبتلاهم اخذ الدهر وهذه الاية والاية الاتي قريبا اعني
لكل جعلنا منكم شرعة تدلان على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثه

عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع قيل ان عيسى كان متعبدا باحكام التوراة لان الانجيل مواعظ
والاحكام فيه قليلة قال الشيخ وحملها على معنى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام
التوراة خلاف الظاهر وقرئ وان يحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته
بان قم كانه قيل واتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل ومن لم يحكم بما انزل الله من
في الانجيل وفي القرآن وكان حكمهم العفو عن الجاني فاولئك هم الفاسقون اى العاصون امر الله الخارجون
عن حكم الله وطاعته او عن الايمان ان كانوا مستهينين به قال الشيخ والظالم المطلق والفاسق
المطلق هو الكافر فلم في الايات الثلث بالجحود فيكون كافرا ظالما فاسقا كما مر ثم اشار الى ان الانجيل
وان نسخ التوراة فهو منسوخ بكتابك كالتوراة في بعض الاحكام التي لم تنسخ في الانجيل فقال وانزلنا
اليك يا محمد الكتاب القرآن بالحق اى بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطاء يعني بالحكم
الثابت الذي لا ينسخ بكتاب بعده الى يوم القيمة او ملابسا ببيان الحق مصدقا حال من الكتاب لما بين
يديه اى لما قبله وتقدمه من الكتاب اى من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس
ومهيمنا عليه اى شاهدا ورقيبا على ساير الكتب يحفظها من التغيير ويشهد له بالصحة والثبات
وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله او الحفاظ في كل عصر
قال حسان رضي الله عنه ۞ ان الكتاب المهيمن لنبينا ۞ والحق يعرفه ذووا الالباب ۞ بر ين شاهد
ومصدقا فاحكم اى اذا كان حكمه ثابتا الى يوم القيمة ولم يبق احكام الكتابين مصالحا في هذا العصر
فاحكم بينهم اى بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليك بما انزل الله اى بما في القرآن ولا تتبع اهواءهم عما
جاءك من الحق اى لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع اهواءهم نهى ان يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا
على قولهم وضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدى بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اراءهم
واهواءهم وما يشتهونهم وان كان ذلك مشروعا بشريعتهم لعله النسخ لكل التنوين عوض عن المضاف اليه
المحذوف وهذا يحتمل ان يكون لفظة امة ويراد بهم جميع الناس من المسلمين واليهود والنصارى ويحتمل
ان يكون الانبياء عليهم السلام لتقدم ذكرهم اى لكل نبي جعلنا منكم ايها الامم او الانبياء شرعة
اى شريعة يعني دينا وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ
بفتح الشين ومنهاجا قال ابن عباس والحسن ومجاهد اى سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق
الواضح في الدين تمشون عليه وكلما شرعت فيه فهو شرعة وشريعة ومنه شرايع الاسلام لشروع اهله
فاراد بهذا ان الشرايع مختلفة ولكل اهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للامم الثلثة امة موسى وامة
عيسى وامة محمد صلوات الله وسلامه عليهم للتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة
والدين واحد وهو التوحيد واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة كما ذكرنا انفا
فان قيل قد وردت ايات تدل على عدم التباين في طريقة الانبياء كقوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا وقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده
وايات دلت على التباين هذه الاية فالجواب الاول تنصرف الى اصول الديانات والثانية تنصرف
الى الفروع والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعنا لا من حيث انها احكام

شرع من قبلنا ولو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم امة واحدة اى جماعة متفقة
على ملة واحدة ودين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل وفيه دليل على ان الكل بمشية
الله تعالى ولكن جعلكم فرقا لانه اراد ليبلوكم اى ليختبركم فيما آتاكم من الشرايع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن فيتبين المطيع من العاصي والموافق من المنافق فاستبقوا الخيرات
اى فابتدروها وتسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفات والمراد بالخيرات كل ما امر الله ورسوله
به الى الله لا الى غيره من خلقه مرجعكم هذه الجملة استيناف في معنى التعليل لاستيناف
الخيرات وفيها الوعد للمبادرين والوعيد للمقصرين اى اليه يرجعون جميعا فاعملوا بالفرايض
والسنن ولا تتبعوا الاهواء والبدع فينبئكم اى يخبركم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم معطوف على بالحق اى انزلنا اليك الكتاب
بالحق وبان احكم او على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم بينهم بما انزل الله اعاد الله تعالى ذكر الامر بالحكم بعد ذكره في الاولى وهي قوله فاحكم
بينهم بما انزل الله اما للتاكيد فيهم واما لان الحكمين في هذه الاية والاية الاولى حكمان امر الله تعالى
بهما جميعا لما اخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلايل عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال كعب بن اسد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه
فاتوه وقالوا يا محمد انك قد عرفت انا احبار يهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا
يهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن
بك ونصدقك فابى ذلك وانزل الله وان احكم بينهم بما انزل الله الى قوله لقوم يوقنون ولا تتبع
اهواءهم في الحكم واحذرهم مخافة ان يفتنوك اى ان يضلوك ويصرفوك عن بعض
ما انزل الله اليك في كتابك وكتابهم في الحكم لاجلهم عن خصمايهم على خلاف المنزل وفايدة
الحذر قطع اطماع القوم فان تولوا عن الايمان لتوليك عن فتنتهم او اعرضوا عن الحكم بما انزل الله
اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم اى يعذبهم في الدنيا بالاهلاك الكلي ببعض
ذنوبهم وهو ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله او لاهلاك دينهم بتحريف كتابهم او بذنب توليهم عن حكم الله
وارادة خلافه ويجزيهم في الاخرة على جميعها بالخلود في النار وان كثيرا من الناس اعني اليهود قاله
البغوي لفاسقون اى خارجون عن حكم الله مصرون على المخالفة كتفضيلهم بني النضير على بني قريظة
في باب القتل وهو لاء في طلب الحكم منك من حيث التلبيس والخداع شانهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
ويتولون عن حكمك افحكم الجاهلية يبغون منك كانهم يرونه احسن الاحكام ومن احسن اى لا احد
من الله حكما وان خالف اهواء المحكوم عليه لكنه احسن لقوم يوقنون ينظرون بنظر اليقين الى العواقب
ثم نزل نهيا عن موالاة اعداء الدين قوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
اى فلا تعتمدوهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض وكلهم اعداء
للمؤمنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة فان اليهود والنصارى وان كانت البغضاء غريزة
بينهم لكنهم متحدين في الكفر ولهذا جعل بعضهم اولياء بعض مع ما بينهم من العداوة وقال بعض المفسرين

والضمير في بعضهم يعود على اليهود والنصارى على سبيل الاجمال والقرينة تعين ان بعض اليهود اولياء بعض
وان بعض النصارى اولياء بعض اذ هما متباغضان وهذا التقدير لا يحتاج الى تقدير محذوف كما قيل
ليصح به المعنى وهو بعض اليهود اولياء بعض وبعض النصارى اولياء بعض قيل الاية نزلت في عبادة بن الصامت
رضي الله عنه وفي عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي موالي من يهود كثير
عددهم شديد شوكتهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي
اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية يهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن ابي يا ابا الحباب ما
بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت فانزل الله يا ايها الذين الخ وفي رواية
قال صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال اذا اقبل فانزل
الله يا ايها الذين امنوا الخ ونزل في عبادة انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا وقيل نزلت في ابي لبابة رضي الله عنه
وذلك حين غدر بنو قريظة العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم الى ابي سفيان بن حرب
يدعونه وقريشا ليدخلوهم حصونهم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ابا لبابة بن المنذر اليهم ان يستنزلهم
من حصونهم فلما اطاعوا له بالنزول اشار الى حلقه الذبح الذبح وقيل نزلت في وقعة احد فان بعض الناس
من المسلمين فيها خاف ان يظهر عليهم الكفار فاراد ان يعاشرهم ويواليهم ليأمن منهم فقال تعالى يا ايها الذين
امنوا الخ والظاهر هو رواية الاول **ومن يتولهم منكم** اي يوافقهم ويعينهم **فانه منهم** اي من جملتهم
وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد انه كافر مثلهم قال السلطان اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم هذا
للتشديد في وجوب مجانبتهم او لان الموالي لهم كان منافقا مثلهم كما روى ابو داود وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا بريء من كل مسلم مع مشرك فقيل لم يا رسول الله قال لا تتراءى ناراهما قال عمر رضي الله عنه لابي موسى الاشعري
رضي الله عنه لا تكرموهم اذ اهانهم الله تعالى ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله
ان الله لا يهدي القوم الظالمين لانهم ظلموا انفسهم بموالات الكفار او بموالات اعداء المؤمنين ثم خاطب
نبيه او كل من يصلح لذلك بقوله **فترى الذين في قلوبهم مرض** اي نفاق وضعف اعتقاد
يعني عبد الله بن ابي واصحابه الذين يوالون اليهود **يسارعون فيهم** اي تراهم مسارعين في موالاتهم ومعاونتهم
على المسلمين والجملة حال من الموصول ومفعول ثان والروية بصرية وقيل قلبية **يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة** اي ويعتذرون عن موالاتهم بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر
وحادثة ومصيبة يدورها الدهر علينا من جدب او غلبة ويكون الدولة للكفار ولا يتم امر محمد عليه
السلام فلا يميرونا ولا يقرضونا قال الله تعالى ردا لزعمهم **فعسى الله** الفاء علة لمحذوف والتقدير لا تبال يا
احباب الله بما قالوا ولا تحزن به فان عسى منه تعالى وعد محتوم لان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك
باكرم الاكرمين **ان يأتي بالفتح** اي بالنصر للمؤمنين على اهل الكتاب وان يأتي في محل النصب خبر عسى
على رأي الاخفش او على انه مفعول به على رأي سيبويه واراد بالفتح فتح مكة او خيبر او فدك يعني فتح
جميع قرى اليهود وقيل اراد به القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين **او امر
من عنده** اي يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وافتضاحهم واراد به فعلا لا يكون للناس
فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم من الكفار او اراد به امر يقطع اصل اليهود من القتل والاجلاء

وهتك

وهتك الستر والسر **فيصبحوا** اي هؤلاء المنافقون وهو عطف على ان يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان
لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك لانها تجعل الجملتين كجملة واحدة نحو زيد يبكي
فيضحك خالد ولو كان العاطف غير الفاء لم يجز ذلك **على ما اسروا في انفسهم** من النفاق **نادمين**
خبر فيصبحوا اي فيصبحوا نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول عليه السلام فضلا عما اظهروه
مما اشعر على نفاقهم **ويقول الذين امنوا** بعضهم لبعض بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه جملة مستأنفة
سبقت جوابا لسؤال مقدر ويقول بدون واو قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى
ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الخبر
او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به هذا ما ذهب اليه
بعض المفسرين ويحتمل ان يقال ان قوله تعالى ويقول عطف على قوله فيصبحوا بلا تكلف وهذا انسب بحسب
المعنى كانه قيل يوجب اتيان الله بالفتح او امر من عنده امرين ندم المنافقين على ما اسروا في انفسهم
وشماتة المؤمنين بقولهم هذا وكمال سرورهم بما كانوا عليه فالمعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض مشيرين
الى المنافقين **اهؤلاء الذين اقسموا** اي احلفوا **بالله** وانما يقولون هذا القول تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله
عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا اليهم بالمعاضدة والنصرة
كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله **جهد ايمانهم** اي باغلاظ ايمانهم نصب على
الحال على تقدير اقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك جاز
كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا **انهم لمعكم** في الدين ومعاضدكم على الكفار وهذه الجملة
لا محل لها من الاعراب فانها تفسير وحكاية لمعنى القسم لا لالفاظهم اذ لو كانت حكاية لالفاظهم
لقيل انا معكم **حبطت اعمالهم** اي ضاعت اعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا ايمانا وعقيدة وهذا من
من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم او دعاء عليهم بذلك كقوله قتل الانسان
ما اكفره **فاصبحوا** اي صاروا **خاسرين** في الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة **يا ايها الذين
امنوا من يرتد** بالفك والادغام بمعنى يرجع **منكم عن دينه** يعني من يرجع منكم عن دين الاسلام
الى ما كان عليه من الكفر والضلالة وهذه الاية من المغيبات التي اخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من
من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود
العنسي اسمه عبهلة بن كعب تنبأ باليمن واستولى على بلاده فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل
ومن معه من المسلمين وامرهم ان يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض والقيام الى حربه فقتله
فيروز الديلمي رضي الله عنه على فراشه قال ابن عمر فاتى الخبر النبي صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي
قتل فيها فقال عليه السلام قتل الاسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن هو قال فيروز فاز فيروز
فبشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بهلاكه نصارى وامسوا بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد
واتى خبر قتله المدينة في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك

فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر الصديق بجند المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة رضي الله عنهما وكان يقول
قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وفي عهد
ابي بكر رضي الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة
زوجة مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد
وكفى الله المسلمين امرهم ونصر دينه على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه قالت عائشة رضي الله عنها
توفي النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي ما لو نزل بالجبال الراسيات
لهاصها قال انس بن مالك كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا اهل القبلة فتقلد
ابو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء
ثم حمدناه في الانتهاء قال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود افضل من ابي
بكر رضي الله عنه وارضاه وحشرنا الله في زمرته تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد عمر رضي الله
عنه غسان قوم جبلة ابن الايهم تنصر وصار الى الشام **فسوف يأتي الله** اي مكان من ارتد **بقوم**
غيرهم ومحل **يحبهم** جر صفة قوم **ويحبونه** اي الله يعني يرضى بفعلهم ويثيبهم احسن الثواب ويرضون
بربوبيته ويطيعونه ولا يعصونه قال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر و
اصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وقيل هم اهل اليمن لما روى الطبراني والحاكم وصححه
انه صلى الله عليه وسلم اشار الى الاشعرة يعني ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لما روى
الترمذي انه صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال
لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله ابناء فارس وقيل الذين جاهدوا في ايام عمر رضي الله عنه
يوم القادسية احياء من اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من
افناء الناس اي من انواع شتى لم يعلم ممن هم وقالت الرافضة الاية نزلت في علي كرم الله وجهه لما روي
انه صلى الله عليه وسلم دفع الراية الى علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقدم محبته لانها الاصل والموجبة لمحبة العبد ومعنى المحبة
بعبارة اخرى توفيق الله عبده للايمان والطاعة وغفران ذنوبه ومحبة العبد اياه امتثاله لجميع ما امر
الله به واجتنابه عن جميع ما نهى الله عنه وللناس في ذلك متفاوت وتتفاوت بفوته الحصر **اذلة**
صفة لقوم ايضا اي عاطفين ارقاء رحماء **على المؤمنين** على وجه التذلل والتواضع يعني خافضين
لهم جناح الذل وهي جمع ذليل من الذل بضم الذال ضد العز لا جمع ذلول فان جمعه ذلل **اعزة على
الكافرين** اي اشداء متغلبين على الكفار من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال تخصيصه كما في قوله
عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم **يجاهدون في سبيل الله** صفة اخرى لقوم والمعنى يجاهدون
في اعلاء دينه مستمرين على الجهاد زمانا بعد زمان او حال من الضمير المستكن في اعزة اي يعزون مجاهدين

ولا يخافون لومة لائم اي ملامة الناس فيما يعملون من الطاعات يعني ليسوا كالمنافقين الذين
يخافون الكفار ويخشون ملامة اوليائهم وهو عطف على يجاهدون يعني انهم الجامعون بين المجاهدة في
سبيل الله والتصلب في دينه واللومة المرة من اللوم قال الامام الرازي هذه الاية ادل الدلائل على فساد
مذهب الامامية لان الذين اتفقوا على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة علي لكانوا كلهم
مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد حصل الجزم بعدم النص
وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وان نقوم
او نقول الحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم **ذلك** اي ما ذكرنا من الاوصاف الحميدة **فضل الله** اي لطفه
واحسانه لانهم مستقلون في الاتصاف بها وهذا يدل على ان طاعات العبد مخلوقة لله **يؤتيه من
يشاء** اي يعطيه من يعلمه انه اهل له باختياره طاعته واجتنابه معصيته **والله واسع**
اي يسع فضله لمن يريده **عليم** بمن هو اهله قال الامام ابو منصور في هذه الاية دليل على اثبات
امامة ابي بكر رضي الله عنه لان الله تعالى مدح المجاهدين معه بامره فثبت ان الائتمار بامره طاعة و
انه مفترض الامر وفي ثبوت خلافته ثبوت خلافة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قال وفيها دليل على
ان عليا كرم الله وجهه لم تكن له الخلافة حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا احتمال ان يرى الحق
لنفسه في زمن ابي بكر ثم يترك طلبه وفيه تضييع حق الله تعالى عليه مع قوله يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم انتهى ما ذكره الامام ابو منصور **انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا**
اي محبكم او المتصرف في اموركم لما نهى عن موالات الكفرة بقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
وكذا النهي بالجمل المذكورة ذكر عقيبه من هو اولى بها بطريق الحصر ولم يجمع الولي وان كان المذكور
جماعة تنبيها على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم الله بالجمع ورسوله والذين
امنوا لم يكن في الكلام دلالة على التفاوت بينهم بالاصالة والتبع مع انه لازم لما روى مسلم ان خطيبا
قام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ومن يعص الله ورسوله بئس خطيب القوم انت واخرج ابن
مردويه من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اتى عبد الله بن سلام ورهط
معه من اهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وسلم عند الظهر فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا قاصية
لا نجد احدا يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد وان قومنا لما راونا قد صدقنا الله ورسوله
وتركنا دينهم اظهروا العداوة واقسموا ان لا يخالطونا ولا يؤاكلونا فشق ذلك علينا فبينما هم يشكون
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزلت انما وليكم الله الاية فقالوا رضينا بالله تعالى وبرسوله وبالمؤمنين
اولياء ونودي بالصلوة صلوة الظهر وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد والناس يصلون بين راكع
وساجد وقائم وقاعد فاذا مسكين يسال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطاك احد شيئا
قال نعم قال من قال ذاك الرجل القائم قال على اي حال اعطاكه قال وهو راكع قال وذلك علي بن ابي طالب
فكبر رسول الله عند ذلك وهو يقول ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون واخرج
ابن مردويه عن ابن عباس في قوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا قال نزلت في الذين امنوا وعلى

ابن ابي طالب كرم الله وجهه او لهم الذين مرفوع على انه بدل من الموصول الاول او على المدح اي هم الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة او منصوب على المدح بمعنى اعني الذين فالغرض تميز المؤمن المخلص عمن
يدعي الايمان نفاقا او عمن امن اخلاصا لكن مع تقصير في العمل وعدم مواظبة عليه وهم راكعون حال
من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى
في امتثال اوامره واجتناب معاصيه وقيل هو حال مخصوصة بفاعل الفعل الثاني والركوع ركوع الصلوة والمراد
بالموصولين شخص واحد وهو علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه
كان واسعا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب
الناس في مثل فعله كرم الله وجهه وللاشارة الى عظم شانه وفيه دلالة على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة فاستدلت الشيعة بهذه الاية على ان الامام بعد الرسول صلى الله
عليه وسلم هو علي رضي الله عنه قالوا لان الولي هو الاولى للتصرف في امور الامة وفي جامع الاصول عن
ابي ذر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان اخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
الى قوله واشركه في امري فانزلت قرانا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم انا محمد نبيك
فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ازري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد اقرأ انما وليكم الاية واجيب بالمنع من ان المراد بالولي
هنا ليس بمعنى المتصرف بل المراد به المحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وما بعدها هو بهذا المعنى
فكذا الولاية المامور بها والاية القبلية هي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
بعضهم اولياء بعض فان الحصر انما يكون باثبات ما نفي عن الغير وولاية اليهود والنصارى المنهي
عن اتخاذها ليست التصرف والامامة بل النصرة والمحبة والاية البعدية هي قوله الاتي انفا ومن
يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون ومما يدل على المحبة ايضا قوله تعالى
ومن يتولهم منكم فانه منهم لظهور ان ذلك تولي محبة ونصرة لا امامة وايضا اطلاق لفظ الجمع على
الواحد لاجل التعظيم مجاز يحتاج الى القرينة الصارفة بخلاف الحقيقة ثم ان علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه كان اعرف لتفسير القران الكريم من هذه الفرقة فلو كانت الاية دالة على امامته لاحتج
بها كما احتج بما ينقلون عنه انه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وحضر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله
ولو لم يكن ابو بكر على الحق لنازعه هو وعباس كما نازع معاوية لان تركها مع امكانها مخل بالعصمة
اذ هو معصية كبيرة توجب ابطال العصمة والشيعة توجبها في الامام وتجعلها شرطا لصحة امامة
الامام لا يقال لا يمكن منازعتهما له لانا نقول علي في غاية الشجاعة والتصلب في الامور الدينية وعامة
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا طالبين للحق بحيث لا يخفى على احد ممن ترك التعصب واتبع
الحق انهم بريئون عن الميل فلو كان على امامة علي رضي الله عنه نص جلي كما ادعته الرافضة
لاظهروه قطعا ولا امكنهم المنازعة جزما وكيف لا وابو بكر رضي الله عنه شيخ ضعيف لا مال له ولا رجال
ولا شوكة فكيف يتصور امتناع المنازعة معه فلما وقع الاجماع على امامة ابي بكر رضي الله عنه عرفنا
انه حق قال التفتازاني في شرح المقاصد وفي ارسال ابي بكر وعمر ابا عبيدة الجراح الى علي رضوان الله عليهم

اجمعين

اجمعين رسالة لطيفة رواها الثقات باسناد صحيح فمما روي انه لما بويع لابي بكر رضي الله عنه وتخلف
علي والزبير والمقداد وسلمان وابو ذر ارسل ابو بكر من الغد الى علي فاتاه مع اصحابه فقال ما خلفك
يا علي عن امر الناس فقال عظيم المصيبة ورايتكم استغنيتم برايكم فاعتذر اليه ابو بكر ثم اشرف على
الناس فقال هذا علي بن ابي طالب ولا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار في امره الا فانتم بالخيار جميعا في
بيعتكم اياي فان رايتم لها غيري فانا اول من يبايعه فقال علي لا نرى لها احدا غيرك فبايعه
هو وسائر المتخلفين وتم الاجماع على امامته وعلى اهليته لذلك مع انها من الظهور بحيث لا يحتاج
الى البيان انتهى فعلم ان المراد بالذين امنوا المخلص جميعا فان بعضهم يجب ان يكون محبا للبعض
كما قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا اي ومن يتولهم ويتخذهم اولياء اوثر الاظهار موضع الاضمار لما من نكتة بيان اصالته
تعالى في الولاية والمحبة كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون
والحزب الجماعة التي فيها غلظة وشدة فهو جماعة خاصة فان قيل كيف قال فان حزب
الله هم الغالبون وكم مرة غلب حزب الله تعالى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده الى يومنا هذا قلنا
المراد هي الغلبة بالحجة والبرهان وبالدولة والصولة ايضا لانه وان صار مغلوبا في بعض الاحيان فعاقبة
الغلبة وحزب الله والانصار دينه هم الرسول والمؤمنون غالبون بالحجة والقهر ابدا والعاقبة لهم
كيف ما كان ثم اخبر الله عن صفة الاعداء بانهم لا يصلحون للولاية بقوله يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان
يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم يعني اليهود لبيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية
ضلالتهم والكفار اولياء اي المشركين قرأ اهل البصرة والكسائي والكفار بخفض الراء يعني ومن
الكفار وقرأ الاخرون بالنصب اي لا تتخذوا الكفار اولياء وبين الله ان المستهزئين صنفان اهل
كتاب وكفار عبدة اوثان واسم الكفر وان كان يطلق على الفريقين كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين وقوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين الا ان الغالب اطلاق الكافر
على غير اهل الكتاب لتضاعف كفرهم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رفاعة بن زيد وسويد
بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله يا ايها الذين الاية
واتقوا الله بترك المناهي على الاطلاق فيندرج فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين
حقا لان الايمان الحقيقي يقتضي الاتقاء عن موالات اعداء الدين وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده
ثم لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا ذكر بعض ما اتخذوه هزوا فقال واذا ناديتم
اي دعوتم الى الصلوة التي هي اقرب القربات واكملها بالاذان اتخذوها اي الصلوة او المناداة
هزوا ولعبا روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل من اتخذه مؤذنا فقال عليك بالعبد الاسود
يعني بلالا لانه جهير الصوت ومشهور في الملائكة واحب المؤذنين الى الله كذا في العيون قال
الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد

Copyright King Saud University

قاموا الى الصلوة وصلوا الصلوة على طريق الاستهزاء وضحكوا فانزل الله هذه الاية وقال السدى نزلت
فى رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب
فدخل خادمه او جاريته ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فتطايرت منها شرارة فاحرقت البيت
واهله قال بعض المفسرين فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام قلت ولو قيل ان اصل الاذان
بالمنام والتقرير بنص الكتاب كان اصوب يعنى ان ثبوت الاذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص
هذه الاية ايضا وقال بعضهم ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع به فيما مضى من الامم فان كنت تدعى النبوة فقد خالفت فيما احدثت
الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح
من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الاية ونزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
الاية **ذلك** اى الاتخاذ **بانهم** اى بسبب انهم **قوم لا يعقلون** ما فى الصلوة من المنافع لانها
التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ومعراج العبد ومحل مناجاة الرب او لا يميزون
ان فى اللعب والهزء من السفه والجهل ونزل لما قال اليهود للنبى بمن تؤمن من الرسل فقال
بالله وما انزل الينا الاية فلما ذكر عيسى قالوا لا نعلم دينا شرا من دينكم **قل يا اهل الكتاب** العالمين
بالنقايص والكمالات التى يستحق الاستهزاء على تحققها وفقدها **هل تنقمون** بكسر القاف
منا اى هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ
تنقمون بفتح القاف **الا ان آمنا بالله** اى سوى ايماننا به وهو راس الكمالات كلها
وما انزل الينا وهو اصل الاعتقادات والاعمال والاخلاق والمقامات **وما انزل من قبل**
اى قبل القرآن كالتوراة والانجيل وغيرهما من الكتب المنزلة وليس هذا مما يوجب الانكار والعيب
والعار **وان اكثركم فاسقون** اى متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن
مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وبعضهم اسلم كعبد الله بن سلام واصحابه وهو منصوب
معطوف على ان آمنا اى وما تنكرون الا ايماننا وفسقكم وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة
اى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا فى الايمان وانتم خارجون منه او مجرور معطوف على ما
اى وما تنكرون الا ايماننا بالله وبما انزل الينا وبان اكثركم لفاسقون وجوز بعضهم ان تكون الواو بمعنى مع
اى وما تنكرون الا ايماننا مع فسقكم لانكم اقمتم على دينكم ولم تسلموا مع علمكم انكم على الباطل حبا للاموال
والرياسة وقيل انه معطوف على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم
وفسقكم او مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال
يمنعكم عن الانصاف ثم قال الله **قل** يا محمد **هل انبئكم** اى اخبركم **بشر من** اهل **ذلك** الذى
ذكرتم يعنى قولهم لم نر اهل دين اقل حظا ونصيبا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم يعنى
من اهل ذلك المنقوم **مثوبة** اى جزاء ثابتا ونصبها على التمييز عن بشر **عند الله** فان قلت المثوبة
مختصة بالثواب والاحسان والجزء دون الاساءة والعقوبة فكيف هنا وقعت بمعنى الاساءة قلت وضعت
هنا موضع عقوبة فهو على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فالمنقوم

الايمان

الايمان والمنقوم منهم المؤمنون والمعنى هل اخبركم بشر من المؤمنين على زعمكم هو **من لعنه الله**
اى من ابعده من رحمته او المعنى هل انبئكم بشر من الايمان هو دين من لعنه الله يعنى دين اليهود
وانما قدرنا هنا التقدير لان الايمان المشار اليه غير مطابق لقوله من لعنه الله **وغضب عليه**
وجعل منهم القردة والخنازير قال السلطان بدل يعنى من لعنه الله بدله من بشر على حذف
مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف
اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى
بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار
اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبابهم قردة و
مشايخهم خنازير انتهى وكان المسلمون يعيرون اليهود بعد نزول الاية ويقولون يا اخوة القردة
والخنازير فينكسون رؤسهم بما فضحهم الله تعالى على لسان رسوله كذا رواه ابن عباس رضى الله عنهما
وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه
وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت والمراد بالطاغوت هنا العجل وقيل
احبارهم وكل من اطاع احدا فى معصية الله فقد عبده وفى عبد الطاغوت اربع وعشرون قراءة
ثنتان فى السبع الاولى ان عبد فعل ماض مبنى للفاعل وفيه ضمير يعود على من والطاغوت مفعول به
له وهى قراءة جمهور السبعة غير حمزة والثانية عبد بضم الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت على انه
نعت ومعناه على هذه القراءة انه بلغ الغاية فى عبادة الشيطان فيكون عطفا على القردة واما القراءات
الشاذة فقرئ عبدوا الطاغوت بواو الجمع مراعاة لمعنى من وقرئ بفتح العين والدال وسكون الباء
ونصب التاء اى وعبد الطاغوت قيل انه اريد وعبدا الطاغوت فحذف التنوين من عبدا لالتقاء
الساكنين نحو لا ذاكر الله الا قليلا وقيل انه اريد وعبد بفتح الباء على انه فعل ماض كقراءة الجمهور الا انه
سكن العين تخفيفا كسلف فى سلف وقرئ بهذه القراءة الا انه جر الطاغوت وهى واضحة وقرئ
وعبد الطاغوت مبنيا للمفعول والطاغوت رفعا فيكون عطفا على صلة من وقرئ بهذه ايضا الا
انه زيد فى الفعل تاء التانيث اى وعبدت الطاغوت والطاغوت يذكر ويؤنث نحو والذين اجتنبوا
الطاغوت ان يعبدوها وضعف هذين القراءتين اذ ليس فى عبد الطاغوت وعبدت الطاغوت
ضمير يعود الى من لعنه الله وذكر فى توجيه القراءتين بان العايد محذوف تقديره وعبد الطاغوت
فيهم او بينهم وقرئ وعبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وفتح الدال ورفع الطاغوت ومعناه كما
ذكره السلطان من انه صار معبودا من دون الله كامر اى صار اميرا فيكون العايد محذوفا اى فيهم
او بينهم وقرئ وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وجر الطاغوت قال ثعلب هو جمع عابد
كشارف وشرف وقرئ وعبد الطاغوت بضم العين وتشديد الباء مفتوحة وفتح الدال وجر الطاغوت
وهو جمع عابد كخالص فى جمع خالص وقرئ وعبد الطاغوت بضم العين وفتح الباء والدال وجر
الطاغوت فهو بناء مبالغة كحطم ولبد وقرئ وعبد الطاغوت بضم العين وتشديد الباء
مفتوحة وفتح الدال ونصب الطاغوت فهو جمع عابد كضرب فى جمع ضارب وحذف التنوين فى عبدا لالتقاء

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

Copyright King Saud University

وقرئ وعابد الطاغوت بنصب عابد وجر الطاغوت وقرئ وعُبّاد الطاغوت بضم العين
وتشديد الباء بعدها الف ونصب الدال وجر الطاغوت وهي جمع عابد كضُرّاب في ضاربة وقرئ
وعباد الطاغوت بكسر العين وبعد الباء المخففة الف ونصب الدال وجر الطاغوت جمع عابد
كقائم وقيام وصائم وصيام وراجع في البواقي الى المطولات اولئك الممسوخون الملعونون شر مكانا
اي منزلة عند الله جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم لان التمييز في المعنى فاعل واثبات
الشرارة لمكان الشيء كناية عن اثباته له وقيل معنى مكانا منصرفا اي منقلبا وهو جهنم واضل عطف على شر
مقرر له اي اكثر ضلالا عن سواء السبيل اي عن وسط طريق الحق في الدنيا والمراد مكان هؤلاء شر
واضل من مكان المؤمنين في الدنيا كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ثم اخبر
عن حال منافقي اهل الكتاب او في عامة المنافقين بقوله واذا جاؤكم قالوا آمنا اي اذا
جاؤكم ذريتهم او نسلهم لان اولئك المجعول منهم القردة والخنازير لم يجيئوا اليه صلى الله عليه وسلم
فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المؤمنين وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك متلبسين بالكفر ولم يؤمنوا كما دخلوا ولم يؤثر
فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا
يعني دخلوا كافرين وخرجوا كافرين والله اعلم من الرسول وغيره بما كانوا يكتمون من الكفر
وغيره يجازيهم على شرهم وضلالهم وفيه وعيد لهم وترى خطاب للنبي عليه السلام او لكل احد
من يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم اي من المنافقين واليهود يسارعون اي يتقدمون
سريعا في الاثم اي في الحرام وقيل في الكذب او في الكفر والمعاصي حال من كثير وقيل مفعول ثان والرؤية
قلبية والاول انسب لحالهم وظهور نفاقهم اي الظلم ومجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم
والعدوان ما يتعدى الى غيرهم او الاثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها واكلهم السحت
اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة وكانوا ياخذون الرشوة في الاحكام كذا يب زماننا القريب العهد بالايام
لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه يعني بتزودهم السحت من الدنيا للآخرة لولا اي هلا
تحضيض لعلمائهم في ضمنه توبيخ لهم فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض
والتوبيخ الضمني يفهم من مقام الذم وقد مر في السورة معنى السحت والربانيين والاحبار ينهاهم
اي اهل الظلم والاثم الربانيون اي علماؤهم الزاهدون والاحبار العلماء بالشرائع والاحكام عن
قولهم الاثم الكذب والمنكر واكلهم السحت الرشى يعني لم يمنع سفهاءهم عن حكمهم الباطل واكلهم
الحرام ورضوا بفعلهم السوء ولم ينكروا عليهم لبئس ما كانوا يصنعون حيث لا ينهونهم عن قولهم
الاثم واكلهم السحت يعني متمكنون من ترك الانكار على سفهائهم تمكن الصانع من صنعته ولان ترك الحسنة
اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ
الذم ويروى ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم
وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي
وواكلوهم وشاربوهم واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما في

القرآن آية اشد توبيخا من هذه الآية واخرج ابن مبارك وغيره عن ضحاك قال ما في القرآن آية اخوف
عندي من هذه الآية واخرج احمد وابو داود وابن ماجة عن جرير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم
يكون بين اظهرهم من يعمل بالمعاصي هم اعز منه وامنع لم يغيروا الا اصابهم الله منه بعذاب وعن النعمان
ابن بشير قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الفاسق في القوم مثل قوم ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل رجل
منهم نصيب فاخذ رجل منهم فاسا فجعل ينقر في موضعه فقال له اصحابه اي شيء تصنع تريد ان تغرق
وتغرقنا قال هو مكاني اصنع فيه ما شئت فان اخذوا على يديه نجا ونجوا وان تركوه غرق وغرقوا
وقالت اليهود لعنهم الله تعالى يد الله مغلولة قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة ان الله كان قد
بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه
كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة لم يريدوا به
انها مغلولة الى عنقه لانهم اهل كتاب عارفين باستحالة ذلك في حقه تعالى ولكنهم ارادوا انها مقبوضة
محبوسة ممسكة عن الرزق فنسبوه الى البخل فان الجهل المعلن لما قال هذه المقالة فنحاص فلم ينهه الآخرون ورضوا
بقوله فاشركهم الله فيها فغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود لعدم امكان الحقيقة هنا ومنه قوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط
حتى انه يستعمل في ملك يعطي ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا
ما ابسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط الياس كفيه في صدري فجعل للياس الذي هو
من المعاني كفان ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تاويل امثال هذه الآية واما فيما يكون نحو يد زيد مغلولة
فيحتمل الكناية والمجاز ونظيره من المجازات التي لا يتصور فيها المعنى الحقيقي قوله جاد الحمى بسط اليدين
بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ومن المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل ارادوا
به انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقال الحسن معناه يد الله
مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما يبر قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل والاول اولى لقوله
ينفق كيف يشاء غلت ايديهم اي امسكت ايديهم عن الخيرات وقال الزجاج اجابهم الله انا الجواد
وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة الممسكة وقيل هو من الغل في النار يوم القيمة لقوله تعالى اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل ولعنوا اي ابعدوا وعذبوا بما قالوا بسبب قولهم ذلك فمن لعنهم انهم
مسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا بما سمعت وفي الآخرة بالنار ثم ارد
الله عنهم بردا فوقهم مبينا انه في غاية الكرم ليس بخيل ومن جوده خلق الخلق فقال بل وسع رحمته
كل شيء بل يداه مبسوطتان قال البغوي رحمه الله ويد الله صفة من صفاته جل وعز كالسمع
والبصر والوجه قال جل ذكره لما خلقت بيدي وقال صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين والله اعلم بصفاته
فعلى العباد فيها الايمان والتسليم قال ائمة السلف من اهل السنة في هذه الصفات امروها كما جاءت
بلا كيف وقال شيخنا عبد القادر الجيلاني وكذلك في امثال هذه الصفات تفسيرها قراءتها فقط فهو عطف
على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس الامر كما زعموا بل هو في غاية الجود ونهاية السخاء وايثار
تثنية اليد فلان اقصى ما تنتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بانفسهم بكلتا يديهم

وقيل التثنية للتنبيه على منح الدنيا والاخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام **ينفق كيف**
يشاء اى ينفق كائنا على اى حال يشاء يعنى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب
مشيته ومقتضى حكمته لا تعاقب سعة وضيق فى ذات يد وهو جملة مستانفة وارادة لتاكيد كالجزء
ثم بين حسد اليهود او النصارى بقوله **وليزيدن كثيرا منهم** اى من علمائهم ورؤسائهم وفاعل يزيدن
قوله **ما انزل اليك من ربك** اى يزيدهم القران **طغيانا** اى تماديا فى المعصية **وكفرا** اى جحودا بالقران
لانه كلما نزل شىء منه كفروا به فيزيد جحودهم لحسدهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم
لما ان بعضهم ليس كذلك كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله منهم صفة لكثيرا ومن ربك متعلق بانزل كما ان
اليك كذلك ثم انه تعالى لما بالغ فى وصفهم بالتمرد والعناد لاجل الحسد وحب الجاه والمال بين انه تعالى فرق
شملهم وحرم عليهم سعادات الدنيا ايضا فقال **والقينا بينهم العداوة والبغضاء** يعنى اليهود والنصارى
قاله الحسن ومجاهد وقيل بين طوائف اليهود ومن اختص هذا اراد بان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية
وبعضهم مرجئة وكذلك بين فرق النصارى كالملكانية والنسطورية واليعقوبية فان قيل هذا المعنى حاصل
بين فرق النصارى فكيف يمكن جعله عيبا فى اليهود والنصارى فالجواب ان هذه البدع انما حدثت بعد عصر
الصحابة كما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ستفترق امتى ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى
النار الا واحدة قيل ومن هم قال الذين هم على ما انا عليه واصحابى رواه الترمذى واما فى ذلك الزمان فلم يكن شىء
من ذلك فلا جرم جعل ذلك عيبا فى اليهود على ان اختلاف هذه الامة رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم اختلاف
امتى رحمة لانه اختلاف فى الفروع والجزئيات بخلاف اختلاف اليهود والنصارى فانه ليس كذلك **الى**
يوم القيمة متعلق بالقينا او بالبغضاء اى ان التباغض بينهم الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق
اقوالهم والعداوة عمل وحرب والبغضاء لا تتجاوز النفوس والحاصل لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد **كلما**
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله هذا استعارة بليغة يعنى كلما ارادوا حرب النبى واثارة شر عليه والمكر
به وباصحابه ردهم الله عليه بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم وكلما ارادوا حرب احد غلبوا
فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا
فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين عن قتادة لا تلقى يهوديا ببلدة الا وجدته من اذل
الناس قلت الا بعصر فان اليهود بركب وحواليه جماعة من المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا **ويسعون**
فى الارض فسادا اى ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من كتبهم واراد بالارض جنس الارض
او الارض المعهود ومعنى فسادا اى لاجل الفساد فى الارض وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن
وهتك المحارم ودعوة الناس على عبادة غير الله **والله لا يحب المفسدين** اى لا يرضى بعملهم الفساد ولذلك
لا يجازيهم الا شرا ويعاقبهم بانواع الهوان والحقارة **ولو ان اهل الكتاب** اى اليهود والنصارى **امنوا** يعنى
لو انهم مع ما صدر منهم من فنون الجنايات قولا وفعلا صدقوا بالله وبمحمد والقران وما انزل من قبل **واتقوا**
الكفر وقرنوا ايمانهم بالتقوى الذى هو طريق السعداء او ما عددنا من معاصيهم التى من جملتها مخالفة كتابهم
لكفرنا عنهم سيئاتهم اى لمحونا عنهم ذنوبهم التى اقترفوها وان كانت فى غاية العظم ونهاية الكثرة
ولادخلناهم مع ذلك **جنات النعيم** اى ولجعلناهم من المسلمين فى الاخرة من الداخلين فيها **ولو انهم اقاموا**

التوراة والانجيل اى لو اقاموا احكامهما واذاعوا حدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما انزل اليهم من ربهم اى ساير كتب الله المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان
بها كالمنزل اليهم وعبارة البغوى يعنى القران وقيل كتب انبياء بنى اسرائيل انتهى قلت لان القران المجيد
مصدق لكتبهم فانه من حيث انهم مكلفون بالايمان به كانه منزل اليهم وايراده بهذا العنوان
للتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بنى اسرائيل فان بعضهم كانوا يقولون انه نبى لكن
الى العرب **لاكلوا** اى رزقا **من فوقهم** اى من بركات السماء كالمطر ونحو ذلك **ومن تحت ارجلهم** اى من
بركات الارض قال الفراء اراد به التوسعة يعنى يوسع عليهم الرزق ويفيض عليهم من كل جهة او يكثر
لهم ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون منها ما هو من رؤس الشجر و
يلتقطون ما تناثر على وجه الارض نبه بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور
الفيض ولو انهم اسعوا الى الخير لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين ثم فصل حال اهل الكتاب بقوله
منهم امة مقتصدة اى طائفة عادلة مؤمنة غير مقصرة فى الدين كعبد الله بن سلام واصحابه
من اليهود والنجاشى واصحابه من النصارى وقيل ثمانية واربعون من النصارى وقيل مقتصدة
اى متوسطة فى عداوته صلى الله عليه وسلم **وكثير منهم** يعنى كعب بن اشرف واصحابه وغيرهم **ساء**
ما يعملون اى بئس شيئا عملهم يعنى تقول فى حقهم هذا القول اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما
اسوء عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة قال ابن عباس عملوا
بالقبيح مع التكذيب بالنبى عليه السلام فما نكرة تمييز او موصولة فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف
يا ايها الرسول بلغ اى اظهر **ما انزل اليك من ربك** اى بلغ الى الخلق جميع ما انزل اليك واى شىء
انزل اليك بان لا يتوقف عن شىء مخافة احد بان ينالك مكروه منه ومراقبا فى تبليغه احدا وذلك
ان رسالته عليه السلام تضمنت الطعن على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان عليه يلقى منهم
عنتا وربما خافهم احيانا قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس **وان لم تفعل** اى وان لم تبلغ جميع
ما انزل اليك ولم تظهر كما امرتك **فما بلغت رسالته** اى فلم تؤد اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم
تؤد منها شيئا اصلا قرا نافع وابن عامر وعاصم فى رواية ابى بكر رسالاته جمعا والباقون رسالته مفردا
ووجه الجمع انه صلى الله عليه وسلم بعث بانواع شتى من الرسالات كاصول التوحيد والاحكام على اختلاف
انواعها واما الافراد فواضح لان القران رسالة واحدة او لان اسم الجنس المضاف يعم جميع ذلك وقد قال
بعض الرسل ابلغكم رسالات ربى وبعضهم قال رسالة ربى اعتبارا للمعنيين فان قلت اذا كان معنى قوله ان
لم تفعل يعنى وان لم تبلغ اتحد الشرط والجزاء فان فى قوة فان لم تفعل لم تفعل اى فان لم تبلغ لم تبلغ فلنا
توجيهه ما قال ابن الحاجب ويمكن اذا اتحد الشرط والجزاء كان المراد بالجزاء المبالغة كانه قيل وان لم تبلغ
جميعه فقد ارتكبت امرا عظيما فكانك ما اديت شيئا من رسالته لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك
بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او ان لم تبلغ ادنى شىء فانت كمن لم يبلغ شيئا منها
لان اداء بعضها ليس اولى من اداء البعض الاخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كمن لم يؤمن بكلها او ان لم تبلغ
فلك ما يوجبه كتمان الوحى كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب وبعضد مما رواه اسحاق بن

Copyright King Saud University

راهويه في مسنده من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثني الله برسالة فضقت بها ذرعا فاوحى
الى ان لم تؤد رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد
وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه وايضا في بعض التفاسير قالت
الملحدة فانهم الله هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تاكله فانك ما اكلته قلنا
هذا امر بتبليغ الرسالة في المستقبل اى بلغ ما انزل اليك من ربك في المستقبل وان لم تفعل اى وان لم تبلغ الرسالة
في المستقبل فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا او بلغ ما انزل اليك من ربك الان ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فانك
فان لم تبلغ كنت كمن لم تبلغ اصلا او بلغ ذلك غير خايف احدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة
اصلا انتهى روى عن مسروق قال قالت عايشة رضى الله عنها من حدثك ان محمدا عليه السلام كتم شيئا مما
انزل الله فقد كذب وهو يقول يا ايها الرسول الاية وروى عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعا
وعلم من ان من الناس من يكذبه فنزلت يا ايها الرسول وفي نزولها اقوال كثيرة فراجع المطولات ثم ان
الله شجع نبيه على الجهاد بقوله **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض
الاعادي وازاحة لمعاذيره عليه السلام وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الاية فقال انصرفوا
عني فقد عصمني الله رواه الحاكم وفي رواية فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس فان قلت اين
ضمان العصمة فقد شج راسه يوم احد وكسرت رباعيته قلنا المراد انه يعصمه من القتل كما اشرنا
بعصمة روحه وقيل نزلت بعد يوم احد لان سورة المايدة من اخر القرآن نزولا واراد بالناس الكفار ولذلك
قال الله تعالى **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** اى لا يمكنهم مما يريدون بك لان التمكن لازم للهدى
ولما اراد الاعرابي قتله عليه السلام سقط السيف من يده كما في الحكاية المشهورة وروى ان الحارس له
كان سعد وحذيفة ثم قال الله تعالى تعليما لنبيه كيف يبلغ رسالته الى اليهود والنصارى وادعوا انهم على
ملة ابراهيم **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ** اى على دين يعتد به حتى يصح ان يسمى شيئا لانه باطل
فلا ثواب لاعمالهم **حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ** اى حتى تعملوا بما فيهما من الاحكام والامور التي من
جملتها دلايل رسالة الرسول عليه السلام فان اقامتهما انما تكون بهذا واما مراعاة احكامهما المنسوخة
فليست من اقامتهما بل هي تعطيل لهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها فاذن اقامتهما
بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله **وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**
اى وحتى تعملوا بما في القرآن مع الايمان به وبمحمد والاذعان لحكمه فان اقامة الايات لا بد من ذلك والمراد اقامة
اصولها وما لم ينسخ من فروعها ثم اكد ضلالتهم بقوله **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ**
رَبِّكَ من القرآن قوله كثيرا مفعول الاول ليزيدن وهم عبارة عن علمائهم ورؤسائهم وفاعل يزيدن
ما في ما انزل ومفعوله الثاني **طُغْيَانًا وَكُفْرًا** اى تماديا في المعصية وجحودا بالقرآن فعليك التبليغ وان لم
ينفعهم ذلك **فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** اى لا تحزن على المكذبين بك وبالقرآن يعني التحزن
عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** كلام مستانف مسوق للترغيب في المذكور
في الايمان والعمل الصالح اى الذين بالسنتهم فقط وهم المنافقون **وَالَّذِينَ هَادُوا** اى دخلوا في اليهودية
والصابئون

وَالصَّابِئُونَ قال جلال المحلي في سورة الحج هم طايفة من اليهود وتبعه السيوطي في هذه السورة
ونص المحلي في شرحه على المنهاج بان الصابئين طايفة من النصارى وهكذا في شرح المنهج ثم قال
في شرحه على المنهاج ما نصه وقد نقل ان الصابئين فرقتان فرقة توافق النصارى في اصول الدين
واخرى تخالفهم وتعبد الكواكب السبعة وتضيف الاثار اليها وتنفي الصانع المختار وقد افتى الاصطخري
بقتلهم لما استفتى القاهر الفقهاء فيهم والمعنى هنا كما ذكر في جامع الاسرار وعليه ميل اكثر المفسرين الخارجين
عن الاديان كلها **وَالنَّصَارَى** اى الطايفة المعهودة وقد ذكرنا في سورة البقرة بانا بينا اعراب هذه الاية
فاقول وينبغي هنا بحث نحوي وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا قال الكوفيون انه معطوف على
محل الذين لانهم لا يشترطون في صحة هذا العطف مضي الخبر فان ان عندهم لا يعمل في الاسم فقط والخبر مرفوع
بالابتداء كما كان قبل دخول ان عليه فلا يلزم اجتماع عاملين على اعراب واحد وذهب البصريون الى عدم
جواز ذلك مطلقا فان العطف على محل ان واسمها عندهم مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله
كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عاملان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء
وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه والنية التاخير عما في حيز ان ليسلم عن الفصل بين ان وخبره بالاجنبي
وليعلم ان الخبر ماذا والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وهو
كالاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وخروجهم عن الاديان كلها يتاب عليهم
ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون النصارى معطوفا على قوله
والصابئون ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
والراي مختلف ولا يجوز عطفه على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا
مع انه ليس كذلك وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو وقال البغوي وكان حقه والصابئين وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه
ارتفاعه وقال سيبويه فيه تقديم وتاخير تقديره ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من
امن بالله الى اخر الاية والصابئون كذلك انتهى **مَنْ آمَنَ** منهم **بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا**
ومن امن في محل الرفع بالابتداء وخبره **فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط
والجملة خبر ان والراجع محذوف اى من امن منهم كما قدرنا او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه
وخبر ان هو قوله فلا خوف عليهم اى حين يخاف الكفار والعقاب ولا يحزنون حين يحزن المقصرون على
تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما وقرئ نافع والصابيون
بقلب الهمزة ياء وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا ومن صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا ثم بين حال اليهود واعاد ذكر اخذ الميثاق ليبين
عليه ساير قبايحه ليعلم ان نقض الميثاق منهم كان من وجوه شتى فقال **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي**
إِسْرَائِيلَ على الايمان بالله ورسله وساير الشرايع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة **وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ**
اى ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليبينوا لهم امر دينهم وليذكروهم مراعاة حق الميثاق ويطلعوهم
على ما ياتون ويذرون في دينهم **كُلَّمَا جَاءَهُمْ** منهم **رَسُولٌ** منهم جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع

محذوف اى رسول منهم كما قدرنا بما لا تهوى انفسهم اى بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من الشرايع
ومشاق التكاليف وجواب الشرط محذوف دل عليه فريقا منهم كذبوا عيسى ومحمد عليهما الصلوة
والسلام وفريقا منهم يقتلون كزكريا ويحيى كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وحاربوه وقوله
فريقا كذبوا جواب مستانف لقايل يقول كيف فعلوا برسلهم وكيف حاربوهم وقال يقتلون بلفظ
المضارع على حكاية حال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شانهم وانتصب فريقا
وفريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل انه جواب الشرط وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى
والقتل مختص باليهود وحسبوا ظنوا الا تكون فتنة اى حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وفتنة
فى الدنيا والاخرة بقتل الانبياء وتكذيبهم قرا حمزة والكسائى وابو عمرو تكون برفع النون اى على ان ان
فى ان لا هى المخففة من المثقلة على معنى انه لا تكون ونصبها الاخرون كما لو لم يكن قبله لا فان قيل كيف
دخل حسبوا على ان التى للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته وتمكنه فى صدورهم منزلة العلم وان
سواء كانت ناصبة او مشبهة بما فى حيزها سادة مسد مفعوليه والحاصل انه متى وقعت ان بعد علم
وجب ان تكون المخففة واذا وقعت بعد ما ليس بعلم وجب ان تكون ناصبة وان وقعت بعد فعل يحتمل
اليقين والشك جاز فيها الرفع والنصب باعتبارين فان جعلناه يقينا جعلناها المخففة ورفعنا ما بعدها
وان جعلناه شكا جعلناها الناصبة ونصبنا ما بعدها والاية الكريمة من هذا الباب فعموا عطف على حسبوا
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اى امنوا مكر الله فتمادوا فى الطغيان وفنون الغى والفساد وعموا عن
الدين والحق فلم يبصروه بعدما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن
استماع الحق يعنى عموا وصموا بعد موسى حين عبدوا العجل او غير ذلك من المخالفات كقتلهم شعيا وحبسهم
ارميا ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم حين تابوا عن عبادة العجل او غير ذلك
ورفع الله عنهم العذاب والبلاء بعث عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا مرة اخرى كثير منهم بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم العين والصاد فيهما على ان الله عماهم وصممهم اى رماهم بالعمى والصمم
وكثير منهم بدل من الضمير اى الواو وهو بدل البعض من الكل او هو خبر مبتدا محذوف اى اولئك كثير منهم اى
العمى والصم كثير منهم او فاعل والواو علامة الجمع والله بصير بما يعملون اى بما عملوا من تكذيبهم
الرسل وقتلهم الانبياء فيجازيهم على ذلك ثم بين حال النصارى بعدما فصل قبايح اليهود بقوله لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم يعنى اتخذ لاهوته بناسوت عيسى كما هو داب بعض
الهنود يقولون انا هو الله من وجه دون وجه قيل هذا قول الملكانية او اليعقوبية لانهم يقولون ان مريم
ولدت الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم حكى الله عن المسيح فقال وقال المسيح مخاطبا لهم يا بنى اسرائيل
اعبدوا الله ربى وربكم اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم ولم يفرق المسيح بين نفسه وغيره
انه من يشرك بالله فى عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة
التى هى دار الموحدين اى يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم وماويه اى مقره ومصيره النار
اى نار جهنم المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى ليس للمشركين مانع ودافع يدفع عنهم العذاب
وهو من كلام الله او من كلام عيسى فان قيل كيف قال وما للظالمين من انصار مع بعض الظالمين وهم العصاة

من المؤمنين يشفع فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيمة فيكون ناصرا لهم قلنا المراد بالظالمين المشركون
يعلم ذلك من اول الاية ووسطها ثم بين حال الفريق الاخر من النصارى بقوله لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة او ثالث ثلثة الهة وهو حكاية عما قاله النسطورية
والملكانية منهم القايلون بالاقانيم الثلثة وما سبق يعنى ان الله هو المسيح قول اليعقوبية بالاتحاد
قال الشيخ ولا اشكال انه تعالى قال فى الاية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال فى
الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه
هو الله لان الله تعالى ربما تجلى فى بعض الازمنة فى شخص فتجلى فى ذلك الوقت فى شخص عيسى فلهذا كان يظهر
من شخص عيسى افعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم ذهب الى الهية ثلاث الله ومريم والمسيح وانه
ولد الله من مريم جل الله وقال محى السنة والمرضى القايل بان الله ثالث ثلثة هم المرقوسية وفيه
اضمار معناه ثالث ثلثة الهة لانهم قالوا الالهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكل واحد من هولاء اله فهم ثلثة
الهة يبين هذا قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ومن قال ان الله تعالى ثالث
ثلثة ولم يرد به الالهية لم يكفر فان الله يقول ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم
لابى بكر رضى الله عنه ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى ثم قال ردا عليهم وما من اله الا اله واحد
اى وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدئ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق يعنى ما اله قط فى الوجود الا اله موصوف
بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له والمراد بالاستغراق استغراق الجنس لتاكيد النفى فى
الباب ليس فى الدنيا مقالة اشد فسادا واظهر بطلانا من مقالة النصارى ثم هددهم بقوله
وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يتوبوا ولم يوحدوا ليمسن اى ليصيبن الذين كفروا
منهم عذاب اليم خص الذين كفروا منهم لعلمه ان بعضهم يومنون ومن فى منهم ان كانت للتبعيض
فالمعنى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر عذاب اليم وان كانت للتبيين فالمعنى وليمسن الذين كفروا من النصارى
وانما وضع موضع الضمير الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر افلا يتوبون الى الله من النصرانية
ويستغفرونه عن كفرهم وقولهم الاثم يعنى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد وحرف العطف مقدم على الهمزة
تقديرا اى ايثبتون على كفرهم فلا يتوبون بالانتهاء عن اباطيلهم والاستفهام للتعجب من حالهم واصرارهم
على الكفر يعنى كيف لا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم يغفر لهم ولغيرهم ويمنحهم من فضله
ان تابوا ثم اشار الى بطلان التمسك بالهيتهما فقال ما المسيح المعلوم حدوثه من كونه ابن مريم بالخوارق
الظاهرة على يديه الا رسول قد خلت اى مضت من قبله الرسل اتوا بالخوارق القاهرة
وامه بخوارقها صديقة لانها صدقت بكلمات ربها ولم تستدل بخوارقهما الهيتهما عرض بانهما
كانا ياكلان الطعام عن احتياجهما اليه توضيح الاية بعبارة اخرى ما المسيح ابن مريم الا رسول اى ما هو الا رسول
كالرسل قبله وهذا كقوله عز وجل وما محمد الا رسول خصه الله بايات كما خصهم فان احيى الله الموتى على يديه
فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد

Copyright King Saud University

خلق آدم من تراب وأم وهو أغرب وأما أمه فهي كسائر النساء اللاتي تلازمن الصدق كخديجة زوج
المصطفى عليه السلام وفاطمة البتول بنته وعائشة الصديقة ويوحانا بنت لاوي وآسية وغير ذلك
وتخصيص الطعام لأن النصارى لا يقدرون على إنكار بنوته أولا أفصح لهما من الكمال يعني الرسالة
ولزوم الصدق ودل على أنه لا يوجب لهما الالوهية لأن كثيرا من الناس من يشاركهما في مثله ولا حصر
لما وقع من الكرامات والخوارق لأعيان هذه الأمة المحمدية قال الإمام اليافعي وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني
يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ثم نبه على نقصهما عن رتبة الربوبية وذكر ما ينافي ذلك ونقيض
أن يكونا من أعداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الأدلة الظاهرة فقال
انظر كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على توحيد الله تعالى وبطلان أقوالهم الزائغة
بالتعدد والهية عيسى وأمه ثم انظر أنى يؤفكون أي كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وتكرير الأمر
بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لتفاوت ما بين العجبين أي أن بياننا للآيات عجب وإعراضهم عنها أعجب
قل أمر لنبينا صلى الله عليه وسلم بإلزامهم وتبكيتهم إثر تعجيبه من أحوالهم أتعبدون المسيح وأمه مع أنهما عندكم
من جملة من هو من دون الله أي من غيره والهية للأدنى وهو ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
يعني عيسى عليه السلام وهو وإن ملك ذلك بتمليك الله إياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وإنما قال ما نظرا إلى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا
وتنبيها على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وفي جامع
الأسرار والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وإيثار ما لكون الكلام في مقام الكبرياء بتبعيده عن مقام الالوهية
رأسا ببيان انتظامه في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلا فهو عليه السلام لا يملك شيئا من ذاته انتهى
وإنما قدم الضر لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي
أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدون فيجازي على ذلك إن خيرا فخير وإن شرا
فشر أو تعبدون العاجز وتذرون القادر على أن عدم ضره ونفعه كناية عن عجزه كما أن السمع والعلم كناية
عن القدرة ثم نهى اليهود والنصارى وقيل النصارى فقط عن الغلو الباطل لأن الغلو في الدين نوعان غلو
حق وهو التفتيش عن أباعد معاني الحق والتفحص عن حقائقه بالاجتهاد في تحصيل البراهين ليظهر الحق
كما يفعله [illegible] وغلو باطل وهو أن يتجاوز عن الحق بالإعراض عن الحجة الواضحة الدالة على الحق ويتعلق بالآيات المتشابهة
ويفسرها على مراده كما يفعله أهل الأهواء وينسب ناسوته إلى اللاهوت بوجه دون وجه كما مر مرارا فقال
قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم أي لا تجاوزوا عن الحد غير الحق أي إلى غير الحق أو غلوا غير الحق
أي باطلا لأن الغلو يكون حقا وباطلا فغلو النصارى رفع عيسى عليه السلام فوق قدره باستحقاق الالوهية
وغلو اليهود وضعه عليه السلام عن استحقاق النبوة ولا تتبعوا أهواء قوم وهم أسلاف اليهود
والنصارى قد ضلوا عن الهدى من قبل أي من قبل نزول القرآن ومبعث النبي في شريعتهم الأهواء
جمع هوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس والمراد هنا المذهب التي تدعو إليه الشهوة بلا حجة وأضلوا
كثيرا ممن تابعهم من أصحابهم وضلوا ثانيا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل أي
عن الطريق المستقيم وهو الإسلام فإن قيل ما فائدة قوله وضلوا بعد قوله قد ضلوا من قبل قلنا المراد بالضلال

الاول

الاول ضلالهم عن التوراة والانجيل وبالضلال الثاني ضلالهم عن القرآن وقيل الاول إشارة إلى
ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني ضلالهم عما جاء به الشرع ثم لما خاطبهم بهذا الخطاب وصف أسلافهم
بقوله لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم في الانجيل قال أكثر المفسرين يعني أهل
أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة وأصحاب
المائدة لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا
خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي وعن الأصم أن داود وعيسى عليهما السلام
بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكذب به ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ وهو
مبتدأ وقوله بما عصوا أي بعصيانهم على الله وكانوا يعتدون أي وبكونهم معتدين ما حرم الله عليهم
يعني متجاوزين الحد ظلما في دينهم خروج ثم فسر الاعتداء والعصيان بقوله كانوا لا يتناهون أي لا ينهى
بعضهم بعضا عن منكر فعلوه أي عن قبيح فعلوه ومعنى وصف المنكر بفعلوه ولا نهي بعد الفعل
أنهم كانوا لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله أو
المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم من رضي عمل قوم فهو منهم ثم عجب من سوء فعلهم
مؤكدا لذلك بالقسم توبيخا لهم بقوله لبئس ما كانوا يفعلون أي لبئس شيئا فعلوه من عدم انتهائهم عن
المنكر وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل
منهم الخطيئة نهاه الناهي تعذيرا فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس
فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة والخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن
على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم ثم قال في
عتاب أهل الكتاب وحسادهم ترى كثيرا منهم أي من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأضرابه حين خرجوا
إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية يتولون الذين كفروا حال من كثيرا
لكونه موصوفا أي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وقيل الرؤية قلبية وعلى هذا
فيحتمل أن يراد بأهل الكتاب المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يراد به أسلافهم لبئس ما قدمت
لهم أنفسهم أي لبئس شيئا قدموه لأنفسهم ليردوا عليه يوم القيامة أن سخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف أي موجب سخط الله والخلود في العذاب أو علة الذم و
المخصوص محذوف أي لبئس شيئا موالاة الكفار لأنه كسبهم السخط والخلود ثم قال توبيخا لهم على اتخاذهم الكفرة
أولياء ولو كانوا يؤمنون حقيقة بالله والنبي أي نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا عليه
السلام وما أنزل إليه من التوراة إن كان نبيهم أو القرآن إن كان نبينا ما اتخذوهم أولياء
أي ما اتخذوا الكفار أولياء لأن موالاة المشركين تدل على نفاقهم ولكن كثيرا منهم فاسقون أي خارجون
عن دينهم أو متمردون في كفرهم ونفاقهم وتعجبا تحزنا ولو كان هؤلاء اليهود والنصارى يؤمنون بالنبي

Copyright King Saud University

الى انبيائهم ونبينا ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا
دين لهم اصلا اذ الدين يمنع عن موالاة المشركين ثم اخبر عن صعوبة اجابة اليهود الى الحق وعن سهولة ميل النصارى
الى الاسلام بقوله عز وجل **لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين**
اشركوا يعني مشركي مكة وذلك لشدة شكيمتهم وصعوبة اجابتهم الى الحق وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع
الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم فالجملة مستانفة
مسوقة لتقرير ما قبلها الذي بالتاكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما للرسول صلى
الله عليه وسلم او لكل احد صالح له والوجدان متعد الى مفعولين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه
وعداوة نصب على التمييز وللذين متعلق بها قويت باللام لما كانت فرعا في العمل على الفعل كما تعلق بالمودة فيما
بعد وظاهر الاية يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين ولهذا قدمهم على المشركين في الحداثة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله **ولتجدن اقربهم** اى اقرب الناس **مودة للذين امنوا**
الذين قالوا انا نصارى فان السلطان لين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم
بالعلم والعمل لان منهم قسيسين الخ قال ابن عباس وسعيد وابن جبير وعطاء والسدي المراد به النجاشي وقومه
الذين قدموا من الحبشة على الرسول صلى الله عليه وسلم وامنوا به ولم يرد جميع النصارى لانهم في عداوتهم للمسلمين
كاليهود في قتلهم واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم واحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الاية فيمن
اسلم منهم وقال الاخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق كان فان قدروا
على القتل فذلك والا فبنهب المال والسرقة او بنوع من المكر والكيد والحيلة واما النصارى فليس مذهبهم ذلك بل
الايذاء في دينهم حرام فهذا وجه التفاوت بالعداوة والمودة قال اهل التفسير ائتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين
عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء
منهم ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر
بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه
حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم
قيصر وكسرى فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت
سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابي امية وعثمان بن مظعون
وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة
الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه
الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين
اثنان وثمانون رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا
الى النجاشي وامرائه ليردهم اليهم فعصمهم الله وذكرت القصة مرة اخرى فلما انصرفوا خائبين اقام المسلمون
هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وذلك في سنة ست
من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ليزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان

وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها فبعث اليه من عنده من المسلمين فارسل الى
ام حبيبة جارية له يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فاعطتها
اوضاحا لها سرورا بذلك فاذنت لخالد بن سعيد بن العاص حتى انكحها على صداق اربعمائة دينار
وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فانفذ اليها النجاشي اربعمائة دينار على يد
الجارية المذكورة فلما جاءتها بها اعطتها خمسين دينارا فردتها وقالت امرني الملك ان لا اخذ
منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وامنت به
وحاجتي منك ان تقرئيه مني السلام قالت وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من
عود وعنبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها ولا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى
قدم النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه وكان يسائلني عن النجاشي فقرات عليه من ابرهة السلام فرد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان
مودة يعني بتزوج ام حبيبة ولما جاء ابا سفيان خبر تزويج ام حبيبة قال ذاك الفحل لا يقرع انفه وبعث
النجاشي بعد قدوم جعفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ارهى بن اصحمة بن ابجر في ستين رجلا من
الحبشة وكتب اليه يا رسول الله اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت
ابن عمك يعني جعفرا واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ارهى وان شئت ان اتيك بنفسي فعلت
والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة في اثر جعفر واصحابه فغرقوا في وسط البحر ووصل جعفر واصحابه
الى رسول الله في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرا
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكوا حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا
بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الاية ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا
نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا اصحاب الصوامع وقال مقاتل والكلبي كانوا
اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلا اربعون من
اهل نجران من بني الحارث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية رومية من اهل الشام وقال
قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا من اهل الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم صدقوه وامنوا به فاثنى الله عليهم ثم علل سهولة ميلهم وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله **ذلك**
اى قرب المودة مبتدا **بان منهم قسيسين** خبره اى علماء **ورهبانا** اى عبادا وهو جمع قسيس كصديق
صيغة مبالغة قال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم والرهبان جمع راهب كركب وركبان من الرهب
وهو الخوف **وانهم لا يستكبرون** عن قبول الحق اذا فهموه ويتواضعون ولا يتكبرون عن الايمان وفيه دليل
على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر لان هذه الخصال
تجره الى الاسلام قال الشيخ بعبارة اخرى وفيه دليل على ان العلم انفع شيء واهدى الى الخير وان كان علم القسيسين
وكذا علم الاخرة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني **واذا سمعوا** عطف على لا يستكبرون
اى ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وبسبب انهم اذا سمعوا **ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض**

الجزء السابع

Copyright King Saud University

من الدمع اى تسيل من الدمع او تمتلى بالدمع وقد وقع البكاء مرتين مرة حين قرأ جعفر على النجاشى واهل
مجلسه من سورة مريم وطه وحين قرأ النبى صلى الله عليه وسلم سورة يس على الذين وفدوا عليه وهم سبعون رجلا
مع جعفر ابن ابى طالب فهذه الشرطية مبينة لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم
عنه ومن فى قوله مما عرفوا لابتداء الغاية وهى متعلقة بتفيض على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة
الحق اى من اجله وسببه ومن فى من الحق لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا او للتبعيض على انهم عرفوا
بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القران واحاطوا بما فيه من المعانى والبيان يقولون
حال من ضمير الفاعل فى عرفوا ربنا امنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين اى من
الذين شهدوا بان القران حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وقالوا ذلك
لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك وفى القران لتكونوا شهداء على الناس ومالنا لا نؤمن بالله
اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله وما جاءنا من الحق اى وبما جاءنا من الحق يعنى محمدا او القران
العظيم ونطمع حال من ضمير الفاعل فى نؤمن والتقدير ونحن نطمع ان يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين
اى الانبياء والمؤمنين الاعراب فما الاستفهامية فى محل الرفع بالابتداء ولنا خبره ولا نؤمن حال من الضمير فى لنا
ومن الحق حال من فاعل جاءنا وقيل ان قوله نطمع عطف على نؤمن يعنى مالنا لا نجمع بين الايمان والطمع بالدخول
فى الاسلام لان الكافر ما له ان يطمع فى صحبة الصالحين وقيل نطمع معطوف على لا نؤمن اى نخلى النفى على معنى
ومالنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور ولما عيرهم اليهود وقالوا لم امنتم فاجابهم بقولهم ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله اى اعطاهم الله بما قالوا اى بما تكلموا به عن اعتقاد
وهو قولهم ربنا امنا وتصديقهم لذلك جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين اى الموحدين المؤمنين الذين احسنوا النظر بالقلب والعمل بالجوارح او الذين اعتادوا الاحسان
فى الامور وانما الحج قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالاخلاص بدليل قوله من قبل ترى اعينهم تفيض من
الدمع مما عرفوا من الحق فدل على ان الاخلاص والمعرفة بالقلب من القول يكون وفى المدارك وفيه دليل على ان
الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية فى الايمان بمجرد القول بقوله بما قالوا لكن
الثناء بفيض فى السباق وبالاحسان فى السياق يدفع ذلك وانى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس
من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم امنا بالله لعدم التصديق بالقلب
قال اهل المعرفة الموجود منهم ثلثة اشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضاء بالقضاء ومن لم يكن
فيه هذه الثلثة فليس بصادق فى دعواه والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اى
الملازمون لها غير الاسلوب دلالة على سعة رحمته وسبقها والتكذيب بالايات وان كان داخلا فى الكفر
لانه ضرب منه الا انه صرح به فى مقابلة كلام المصدقين بما جاء من الحق جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها
انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وكانه
لما تضمن ما قبله مدح بعض النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهى
عن الافراط فى ذلك ليعلم انه لا يلزم علينا اتباع طريقهم قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما

يوما فوصف القيمة وبالغ فى الانذار والتحذير فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة فى بيت
عثمان بن مظعون منهم ابو بكر وعلى وابن مسعود وابو ذر الغفارى وسلمان الفارسى فاتفقوا على
ان لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم
فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لم امركم ان تكونوا
قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم و
رهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكاة وصوموا
رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم
فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله يا ايها الذين امنوا الخ فقد روى عن عكرمة عن ابن
عباس رضى الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله انى اصبت من اللحم فانتشرت فاخذتنى شهوة فحرمت
اللحم فنزلت الاية وقيل المعنى لا تحرموها على غيركم بالفتوى وقيل المعنى لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين
ونظيره قوله تعالى يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الاية وقال بعض الكملاء اراد بالرهبانية الرهبانية
المفرطة بحيث يقع الضعف فى القلب والدماغ والانثيين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل
الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وفى تبصرة الرحمن فى معنى لا تحرموا اى مقتضى ايمانكم
ان لا تغيروا شيئا من احكام دينكم وان كان مغيرا لما تقدم من الاديان ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين حدوده اى لا تتجاوزوا الحلال والحرام فان الله لا يحب المتعدى من الحلال الى
الحرام وبالعكس يعنى لا تعتدوا عما حد الله بجعل الحلال حراما ولا تعتدوا حدوده ما احل الله لكم الى ما حرم
عليكم كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما وقيل لا تسرفوا فى تناول الطيبات و
كلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله قال عبد الله
ابن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فاما قوله حلالا فمفعول كلوا ومما حال منه
وانما قيد الرزق بالحلال ليوذن بان الرزق قد لا يكون حلالا يعنى لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة فان الرزق شرعا اعطاء الله تعالى الحيوان ما ينتفع به وهذا يشمل الحلال والحرام
فالتقييد بقوله حلالا لا يخرج الحرام فيكون ردا على المعتزلة فانهم لا يسمون الحرام رزقا وقد اشرنا فى
اول سورة البقرة فى قوله ومما رزقناهم ينفقون الى هذا المعنى مختصرا واتقوا الله تاكيد للوصية بما
امر الله به وزاده تاكيدا بقوله الذى انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فيما امر به ونهى
عنه لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وجه المناسبة بين هذه الاية والتى قبلها هو ما تقدم من
ان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين حرموا على انفسهم المطاعم والملاذ واختاروا
الرهبانية وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله عن ذلك قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا فانزل
الله هذه الاية الى قوله ولكن يؤاخذكم الاية واللغو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله

Copyright King Saud University

وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله وقيل اللغو هو الحلف على ما يظن انه كذلك وليس كما يظن واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله وفي ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه وقد تقدم نظير
هذه الاية في سورة البقرة ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان اي وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية
وربط القلب والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به قرا حمزة
والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف دون الالف بعد العين وابن ذكوان عن
ابن عامر عاقدتم من باب المفاعلة والباقون عقدتم بتشديد القاف قال الواحدي يقال عقد فلان
اليمين والعهد والحبل عقدا اذا وكده واحكمه ومثل ذلك ايضا عقد بالتشديد اذا وكده وعاقد
بالالف فكفارته اي كفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره احد هذه الامور وتسمى بالواجب
المخير هنا ولكن ذهب العلماء على ان العتق افضل ثم الكسوة ثم الاطعام وبدا الله تعالى عباده بالاطعام
لانه اعم وجودا والمقصود منه التنبيه على انه تعالى راعى التسهيل والتخفيف في التكاليف او تعالى الايجاب على
طبق الهمم والتخيير لينال المكلف بالاختيار الاعلى مزيد الاجر ويترقى في سعيه من الحضيض الى العالي واستدل
بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير رواه مسلم خلافا للحنفية فعندهم لا يجوز قبل الحنث لا بالمال
ولا بالصوم اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع والقدر واختلفوا
في قدر هذا الطعام فعندنا يطعم الناكث كل مسكين مد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث من غالب قوت
البلد وكذلك في جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وبه قال سعيد
ابن المسيب والقاسم وسليمان بن يسار وعطا وحسن وقال اهل العراق عليه مدان لكل مسكين وهو نصف
صاع يروى ذلك عن عمر وعلي وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع
وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم ولو غداهم وعشاهم لا يجوز عندنا وجوزه ابو
حنيفة ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه ولا يجوز عندنا الدراهم ولا الدنانير ولا الخبز ولا الدقيق بل يجب
اخراج الحب اليهم وجوز ابو حنيفة ذلك ولو صرف الكل الى مسكين واحد لا يجوز وجوز ابو حنيفة ان
ان يصرف طعام عشرة مساكين الى مسكين واحد في عشرة ايام ولا يجوز ان يصرف الا الى مسلم حر
محتاج فان صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجوز وجوز ابو حنيفة صرفه الى اهل الذمة واتفقوا على
ان صرف الزكوة الى اهل الذمة لا يجوز ومحل قوله من اوسط النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره
ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع
ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام اي فكفارته اطعام عشرة
مساكين او كسوتهم والحاصل كل من لزمته كفارة يمين فهو فيها مخير ان شاء اطعم عشرة مساكين وان شاء
كساهم وان شاء اعتق رقبة فان اختار الكسوة فاختلفوا في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين
ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او سراويل او عمامة او كساء او نحوها وهو قول ابن
عباس والحسن ومجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وابو حنيفة وقال مالك يجب عليه لكل انسان ما يجوز

فيه

فيه الصلوة فيكسو الرجال ثوبا والنساء ثوبين درعا وخمارا وقال سعيد بن المسيب لكل مسكين ثوبان
قرا الجمهور كسوتهم بكسر الكاف وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة وقرئ كاسوتهم بكاف الجر
الداخلة على اسوة والكاف في محل الرفع بالعطف على اطعام اي فكفارته اطعام عشرة مساكين او مثل
اسوة اهليكم قال الفخر الرازي فكانه اي مثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط هنا او تحرير رقبة عطف
على اطعام اي اعتاق انسان ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاثة مطلقا وتخيير المكلف في التعيين
فاذا اختار العتق يجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذا جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار
رمضان واجاز ابو حنيفة اعتاق الرقبة الكافرة في جميعها الا كفارة القتل لان الله تعالى قيد الرقبة فيها
بالايمان قلنا المطلق يحمل على المقيد يعني ان الرقبة في هذه الاية مطلقة وفي كفارة القتل مقيدة فيحمل المطلق
على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة في موضع فقال واشهدوا ذوي عدل منكم واطلق في موضع
اخر فقال واستشهدوا شهيدين من رجالكم ثم العدالة شرط في جميعها حملا المطلق على المقيد كذلك هذا
ولا يجوز اعتاق المدبر بالاتفاق عن الكفارة ويشترط ان يكون سليم الرق حتى لو اعتق عن كفارته مكاتبا او ام
ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة يعتق ولكن لا يجوز عن الكفارة
وجوز اصحاب ابي حنيفة المكاتب اذا لم يكن ادى شيئا من النجوم وعتق القريب عن الكفارة ويشترط ان يكون
الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضررا بينا حتى لا يجوز مقطوع احدى اليدين او احدى الرجلين ولا الاعمى
ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب لا تضر بالعمل ضررا
بينا وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز حتى جوز مقطوع احدى اليدين ولم يجوز مقطوع
الاذنين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام اي فكفارته صيام ثلثة ايام ان شاء تابع
وان شاء فرق والتتابع افضل وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشاذ
ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم تثبت سنة ذلك اي المذكور من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة والصيام
اذا لم يجد واحدا من الثلاثة كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي اذا حلفتم وحنثتم فان الكفارة للحنث لا بعد
الحنث واحفظوا ايمانكم عن النكث او لا تحلفوا بان تضنوا وتبخلوا بها ولا تبتذلوها لكل امر او بان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم والحاصل ان المراد حفظ اليمين عن الحنث
اذا لم يكن يمينه على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ترك مندوب او فعل مكروه فالافضل ان يحنث
ويكفر لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها عن مسالة
وكلت اليها ~~وان اوتيتها عن مسالة وكلت اليها~~ وان اوتيتها عن غير مسالة اعنت عليها واذا حلفت
على يمين فرايت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله
لكم اياته اي احكام شرعه واعلامه من الامر والنهي لعلكم تشكرون نعمته عليكم فيما يعلمكم ويسهل
عليكم المخرج منه يعني لعلكم تشكرون رب هذه النعمة العظيمة حيث جعل لكم مخرجا من ايمانكم بالكفارة
ولما كان الاقدام على الايمان ونكثها ومخالفة الشريعة بتسويل الشيطان ووسوسته بين طريقة
يحترز المؤمنون على الشروع فيها فقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر اي تناولها والميسر
اي القمار والانصاب اي الاصنام التي نصب للعبادة اذ كانت جمع نصب بفتح النون والصاد او هي حجارة

Copyright King Saud University

يصبّ عليها الدماء اذا كانت جمع نصب بفتح النون والصاد والازلام وهى القداح التى مرت تفسيرها قبل
ووجه اتصاله بما قبله انه تعالى قال لا تحرموا طيبات الى قوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ثم كان من
الامور المستطابة للجمهور فى ذلك الزمان الخمر والميسر فبين الله تعالى انهما غير داخلين فى المحللات بل فى المحرمات
وقد تقدم بيان الخمر والميسر فى سورة البقرة وبيان الانصاب والازلام فى اول هذه السورة رجس اى نجس خبيث
مستقذرة يعاف عنه العقول السليمة وهو خبر عن هذه الاشياء المتقدمة فان قيل كيف اخبر عن جمع
بمفرد قيل فى الجواب انه على حذف مضاف اى انما شان الخمر وعمل هذه الاشياء رجس ولا حاجة الى حذف
المضاف بل الحكم على هذه الاربعة انفسها انها رجس ابلغ من تقدير المضاف كقوله تعالى انما المشركون نجس وقيل
فى الجواب وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف محذوف كانه قيل انما تعاطى الخمر والميسر
رجس من عمل الشيطان لانه يحمل عليه وكانه عمله فاجتنبوه اى امتنعوا الرجس او عمله الشيطان او المذكور
لعلكم تفلحون اى لكى تفلحوا بالاجتناب عنه فى الاخرة اكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما
وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان تنبيها على
ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله من الفلاح ثم قرر ذلك بان بين
ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء فى الخمر والميسر اى فى تناولهما ويصدكم عن ذكر الله اى عن طاعته وعن الصلوة
خصوصا فانها وجه دينكم وانتم لهيتم عن اقامتها اذا كنتم سكارى لزوال عقلكم عن ادائها المعنى ان
الشيطان يريدان يهلككم ويخرجكم عن دينكم بالخمر والميسر فهل انتم منتهون عن تناولهما ام انتم
ثابتون على ما كنتم عليه كان لم توعظوا لغاية الغفلة فلما سمعوا الصحابة قالوا انتهينا يا ربنا
وانما خص الخمر والميسر بالذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان لان الاية نزلت
لنهى المومنين عن الخمر والميسر وهم ليسوا متعاطين الانصاب والازلام فذكرهما للدلالة على ان الخمر والميسر
مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر كعابد الوثن رواه ابن حبان قال ويشبه ان
يكون فيمن استحلها والرواية التى ذكرنا يعنى شارب الخمر كعابد الوثن هى رواية البزار وروى ابو داود عن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فى الخمر عشرة بائعها وشاربها وساقيها وشاربها وعاصرها ومعتصرها
وحاملها والمحمولة له واكل ثمنها والمشترى له وخص الصلوة من الذكر بالافراد مع انها مندرجة فيه
للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده واخرج احمد بسند
صحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه اتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لعن الخمر
وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها
واخرج الحاكم وصححه اربع حق على الله ان لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر واكل الربا
واكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه واخرج الطبرانى ثلثة لا يدخلون الجنة ابدا الديوث و
الرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله اما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال الذى لا يبالى
من دخل على اهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التى تتشبه بالرجال واخرج الحاكم وصححه اجتنبوا
الخمر فانها مفتاح كل شر واخرج الطبرانى وابن خزيمة وحبان فى صحيحيهما والبيهقى ثلثة لا يقبل الله

هم

لهم صلاة ولا يصعد لهم الى السماء حسنة العبد الابق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى ايديهم والمرأة
الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو واخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه من شرب
الخمر لم تقبل له صلوة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلوة اربعين صباحا فان
تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قيل
لابن عمر رضى الله عنه وما نهر الخبال قال نهر من صديد اهل النار واخرج احمد عن اسماء بسند حسن واحمد والبزار و
الطبرانى عن ابى ذر بسند حسن ايضا من شرب الخمر لم يرض الله عنه اربعين ليلة فان مات مات كافرا وان
تاب تاب الله عليه فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال قال صديد
اهل النار وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر ولم يسكر اعرض الله عنه اربعين ليلة ومن شرب
الخمر وسكر لم يقبل الله له صرفا ولا عدلا اربعين ليلة فان مات فيها مات كعابد الوثن وكان حقا على الله ان
يسقيه من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال قال عصارة اهل النار القيح والدم قال البخارى
وقال ابن عمر لا تسلموا على شربة الخمر قلت ورايت جماعة من اهل الصلاح لا يسلمون على من يشرب التتن فى حال
الشرب وقال صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم وان شارب
الخمر يجيء يوم القيمة مسودا وجهه مدلعا لسانه على صدره يسيل لعابه يقذره كل من رآه قال ابن حجر رحمه الله
فى الزواجر ولا يصح التداوى بالخمر وعن ام سلمة رضى الله عنها قالت اشتكت بنت لى فنبذت لها فى
كوز فقالت فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلى فقال ما هذا يا ام سلمة فذكرت له انى اداوى
به ابنتى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء امتى فيما حرم عليها وقال ابو موسى رضى الله عنه
يا رسول الله افتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن وهو من العسل نبيذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة
والشعير حتى يشتد قال وكان رسول الله قد اعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام
رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام قال ابن حجر فى الزواجر واعلم ان الحشيشة
المعروفة حرام كالخمر يحد اكلها اى على قول قال به جماعة من العلماء كما يحد شارب الخمر وهى اخبث من
الخمر من وجه انها تفسد العقل والمزاج اى افسادا عجيبا حتى تصير فى متعاطيها تخنث قبيح ودياثة
عجيبة وغير ذلك من المفاسد فلا يصير له من المروة شى البتة وتشاهد من احواله خنوثة الطبع وفساده
وانقلابه الى اشد من طبع النساء من الدياثة على زوجته واهله فضلا عن الاجانب ما يقضى منه
العجب العجاب وكذا متعاطى البنج والافيون انتهى ثم قال فيه الميسر والقمار باى نوع كان واخرج الديلمى اذا
مررتم بهولاء الذين يلعبون بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه اى وما شابه ذلك من كل
لهو محرم فلا تسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلا تردوا عليهم واخرج احمد وابو يعلى والبيهقى وغيرهم
انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم
يصلى اى فلا تقبل له صلاة كما صرحت به فى رواية اخرى ثم قال الخامسة والاربعون بعد الاربعمائة اللعب
بالشطرنج عند من قال بتحريمه وهم اكثر العلماء وكذا عند من قال بحله اذا اقترن به قمار او اخراج صلاة
عن وقتها او سباب او نحوها اخرج ابو بكر الاثرم فى جامعه بسنده عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها

Copyright King Saud University

نصيب وفسر صاحب الشاه بلاعب الشطرنج لانه يقول شاه وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال اشد
الناس عذابا يوم القيمة صاحب الشاه يعني الشطرنج قال علي كرم الله وجهه الشطرنج ميسر الاعاجم
ومر على قوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لان يمس احدكم جمرا حتى
يطفى خير من ان يمسها قال الحاكم بلغنا عن ابن عباس انه ولى مالا ليتيم فوجدها في تركة والد
اليتيم فاحرقها ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز احراقها لكونها مال يتيم وفي فتاوى النووي رحمه الله
الشطرنج حرام عند اكثر العلماء وكذا عندنا ان فوتت به صلاة عن وقتها او لعب به على عوض فان انتفى
ذلك كره عند الشافعي رحمه الله وحرم عند غيره وقال الامام الرافعي في الشامل ان اللعب بها كهو بالنرد
ثم اعاد الله الحث على الاتيان بالاطاعة بصيغة الامر وقال **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**
فيما امر به ونهيا عنه من اقامة الصلوة وشرب الخمر ولعب القمار **وَاحْذَرُوا** عن عقابه بترك الامر
والنهي يعني كونوا حذرين خاشعين فانه الداعي الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ**
اي اعرضتم عن طاعة الله وطاعة رسوله وعن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر
فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ
بالايات فقط وقد فعل ذلك وانما ضررتم بالتولي انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى
شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم ومات قبله **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ**
فِيمَا طَعِمُوا اي اكلوا مما لم يحرم عليهم يعني لا اثم عليهم لانهم اكلوا من القمار وشربوا الخمر قبل التحريم **إِذَا**
مَا اتَّقَوْا اي لا يأثمون وقت اتقائهم المحرم او الشرك **وَآمَنُوا** اي اذا ثبتوا على الايمان بالله **وَعَمِلُوا**
الصَّالِحَاتِ اي اتى بالاعمال الصالحة بعد الايمان **ثُمَّ اتَّقَوْا** عما حرم عليهم بنزول هذه الاية كالخمر والميسر بعد
التحريم **وَآمَنُوا** اي ازدادوا ايمانا بتحريمه **ثُمَّ اتَّقَوْا** اي ثم استمروا وثبتوا على الاتقاء عن جميع
المعاصي مطلقا **وَأَحْسَنُوا** الى الناس يعني وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها واتقوا بالاحسان
وكل محسن متق قالوا الاول عن الشرك والثاني عن المحرمات والثالث عن الشبهات وذكر الاحسان في المرتبة
الثالثة للاشارة الى ان كثرة مزاولة التقوى والعمل الصالح تنتهي الى الاحسان وهو ان تعبد الله كانك
تراه الحديث فثم للتراخي لان الاتقاء عما حرم بنزول هذه الاية متراخ عن الاتقاء الواقع قبله وكذا
الثبات على الاتقاء عن جميع المعاصي مطلقا متراخ عن اصل الاتقاء ويحتمل ان يكون المراد بكلمة ثم التراخي
في الرتبة لان الثبات على الشيء فوق احداثه كما قيل ؞ لكل الى جانب العلى حركات ؞ ولكن عزيز في
الرجال ثبات ؞ والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا يأثمون فيما طعموا اذا ما اتقوا المحرمات
لانهم شربوها حين كانت محللة ولهذا قيل كان سبب نزول الاية ان الصحابة لما نزل تحريم الخمر قالوا يا رسول
الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر فنزلت واشكل في هذا المقام ان نفي
الجناح على المباح لا يتقيد بما ذكر ودفع بان المراد مدح هؤلاء وثناء عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان
والتقوى والاحسان للترغيب فيها والحث عليها لا تقييد نفي الجناح بما ذكر ويحتمل ان يكون هذا التكرار
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين
الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلاة
والسلام

والسلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلثة المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي
ان تترك المحرمات توقيا من العذاب والشبهات تحرزا عن الوقوع وبعض المباحات تحفظا للنفس عن
الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وعلى كل واحد من هذه الاحتمالات يكون التكرير للتأسيس لا للتاكيد
وقيل انه للتاكيد **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** الى الناس فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا
ومن صار محسنا صار محبوبا ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى
كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم نزل **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**
آمَنُوا بالله ورسوله **لَيَبْلُوَنَّكُمُ** اي ليختبرنكم **اللَّهُ** معاملة المختبر وفائدة البلوى اظهار المطيع من العاصي
والا لا حاجة الى البلوى **بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ** اي بشيء قليل من الصيد حالة الاحرام والوصف بالقليل ايذان
بان من لم يثبت عند القليل لم يثبت فيما هو اشد منه ومن في من الصيد للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد على المحرم
بل ابتلاهم بصيد البر خاصة وهو حرام عليه بخلاف صيد البحر **تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ** اي تاخذه وتصله يعني
الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد **وَرِمَاحُكُمْ** يعني الكبار من الصيد لتطعنوه وامتحن
الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم بصيد البر كما امتحن امة موسى عليه السلام بصيد البحر وانما ابتلينا
لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ اي ليتميز عند هذه الامة المحمدية من علم الله انه يخاف من عقابه
مع غيبته لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره
او تعلق المعلوم او ليستمر علمه تعالى وهو موجود كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله قيل
بِالْغَيْبِ اي ليعلم اولياء الله واظهار اسم الجليل لتربية المهابة واذا جعل الله تعالى هذا الاجتناب
من الصيد حال الاحرام مميزا بين الخائف وغيره **فَمَنِ اعْتَدَىٰ** اي ظلم واخذ الصيد **بَعْدَ ذَٰلِكَ**
التحريم او الابتلاء والتمييز **فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** اي فالوعيد لاحق به فان من لا يملك قلبه ولا يراعي حكم الله
فيه فكيف يراعيه فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه او له عذاب اليم في الدنيا بالتعزير والكفارة
وفي الاخرة بالتعذيب في نار جهنم ان مات بغير توبة قال ابن عباس يسلب ثيابه ويوسع بطنه
وظهره جلدا **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون
بالحج او العمرة وهو جمع حرام كردح في جمع رداح ولعل ذكر القتل دون الذبح والذكاة ليعم حكم المنهي ازهاق
الروح باي طريق كان ولو قيد بالذبح والذكوة لكان المنهي عنه ازهاق الروح بطريق مخصوص اي الذبح
ولانه قلما يمكن من ذبحه قال الشافعي رحمه الله المراد بالصيد هنا البري المتوحش المأكول اللحم
اما الاول فلقوله تعالى بعد ذلك واحل لكم صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبي وان صار مستأنسا
ويخرج الانسي وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه مأكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر
ما دمتم حرما فيعلم منه انه مما يحل اكله في غير الاحرام ولانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم
خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور والحق بالاجماع الحية
بها وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ وقالت الحنفية
المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم ثم اختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبيحة فيلحق
مذبوح المحرم بالميتة اولا فتكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ذهب الى الاول الحنفية

Copy of King Saud University

والى الثاني الشافعية والآية نزلت في عمرة الحديبية في رجل يقال له ابو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله **ومن قتله منكم متعمدا** اي ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكر المتعمد ليس لتقييد وجوب الجزاء فانه ان قتله ناسيا او مخطئا وجب الجزاء ايضا بل قيده بذلك لان الواقعة التي كانت سبب نزول الآية كانت عمدا كما ذكرنا وقال الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالوجوب في الخطاء وقال محيي السنة وقد اختلفوا في هذا العمد فقال قوم هو العمد لقتل الصيد مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله لانه اعظم من ان يكون له كفارة وهذا قول مجاهد والحسن وقال آخرون هو ان يتعمد المحرم قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فعليه الكفارة واختلفوا فيما لو قتله خطأ فذهب اكثر الفقهاء الى ان العمد والخطاء سواء في لزوم الكفارة وقال كما ذكرنا على المتعمد بالكتاب وعلى المخطئ بالسنة وقال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطاء بل يختص بالعمد **فجزاء مثل ما قتل من النعم** قرأ الكوفيون فجزاء مرفوعا منونا على انه مبتدأ حذف خبره اي فعليه جزاء او خبر مبتدأ محذوف اي فالواجب جزاء وقوله مثل على التقديرين صفة لجزاء والمعنى فعليه جزاء مماثل للمقتول من النعم والجملة جواب الشرط وفي محل الرفع على الخبرية وعلى هذا التقدير لا يجوز ان يتعلق من النعم بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول او اقحام مثل لانه لا يجب جزاء المقتول لا جزاء مثله فالجزاء على هذا على حقيقة المصدرية واما على قراءة الاولى فهو بمعنى المجزي وانكر بعض النحويين هذه القراءة وقالوا ان ذلك يكون من اضافة الشيء الى نفسه وهي غير مفيدة وليس كذلك لان الجزاء ههنا مصدر وهو غير المثل وانما هو فعل المجازي ومثل ههنا اما مقحم كما ذكرنا او بمعنى ذات الشيء والمعنى فعليه جزاء ذات ما قتل وعلى هذا حمل محمد بن جرير قوله تعالى ليس كمثله شيء اي ليس كذاته شيء وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبها على معنى فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مماثل ما قتل وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي احتجاجا بقوله تعالى من النعم فانه تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم ثم قال هديا بالغ الكعبة ومعلوم ان قيمة المقتول ليس هديا يبلغ الكعبة وباعتبار القيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي تخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهدي به الى الحرام وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر وصاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه **يحكم به ذوا عدل منكم** هذه الجملة صفة جزاء بعد وصفه بقوله مثل ما قتل اي فعليه جزاء يحكم به عدلان فقيهان فينظران الى اشبه الاشياء بالمقتول فيحكمان به وممن ذهب الى ايجاب المثل من النعم عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم حكموا في بلدان مختلفة وازمان شتى بالمثل من النعم فحكم حاكمهم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوي بقرة وفي الضبع بكبش وهو لا يساوي كبشا فدل على انهم نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة وفي الحمام شاة وهو كل ما عب وهدر من الطير كالفواخت والقمري والدبسي وروي عن عمر وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم انهم قضوا في حمام مكة بشاة وقضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الضبع

بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة **هديا بالغ الكعبة** اي يهدي تلك الكفارة الى الكعبة فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم وهو حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه في الحرم لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غاية القرب والتلاصق ولكن لما كان المقصود من بلوغ الهدي الحرم تعظيم الكعبة ذكر الكعبة تنبيها على ذلك فان دفع مثل الصيد المقتول الى فقراء الكعبة حيا لم يجز ويجب عليه ان يتصدق بالمذبوح في الحرم لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة يذبح في الحرم ويتصدق به حيث شاء لانها لما وصلت الكعبة فقد خرجت عن العهدة وقال في اللباب وفي الدر المصون فالمعنى يحكمان به هديا بالغا الى الكعبة فيذبح هناك وهذا يؤيد قول من اوجب المثل من طريق الخلقة لانه تعالى لم يقل يحكمان به شيئا يشترى به شيء وانما قال يحكمان به هديا وهذا صريح في انهما يحكمان بالهدي لا غير انتهى **او كفارة** عطف على جزاء ان رفعته وان نصبت الجزاء فخبر محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة **طعام مساكين** قرأ نافع وابن عامر باضافة كفارة الى ما بعدها والجمهور بتنوينها ورفع ما بعدها اما قراءة الجماعة ففي رفع طعام على احد ثلاثة اوجه احدها انه بدل من كفارة اذ هي من جنسه الثاني انه بيان لها الثالث انه خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام واما قراءة نافع وابن عامر فوجهها ان الكفارة لما تنوعت الى تكفير بالطعام وتكفير بالجزاء المماثل وتكفير بالصيام حسن اضافتها لاحد انواعها تبيينا لذلك فتكون من اضافة العام الى الخاص كقولهم علم الفقه وشجر الاراك فتكون الاضافة بمعنى اللام قال الشيخ عبد الرحمن الجامي في شرحه للكافية واعلم انه يلزم فيما هو بمعنى اللام ان يصح التصريح بها بل تكفي افادة الاختصاص الذي هو مدلول اللام فقولك يوم الاحد وعلم الفقه وشجر الاراك بمعنى اللام ولا يصح اظهار اللام فيه انتهى وقيل هذه الاضافة تكون لادنى ملابسة وقيل الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة واورد عليه صاحب اللباب والدر المصون ان شرط الاضافة بمعنى من ان يضاف جزء الى الكل بشرط صدق اسم الكل على الجزء نحو خاتم فضة وكفارة طعام مساكين ليس كذلك بل هي اضافة كل الى جزء وقال ابو حيان اما ما ذكره الجمهور فليس من هذا الباب فان خاتم فضة من باب اضافة الشيء الى جنسه والطعام ليس جنسا للكفارة بل الكفارة جنس والطعام نوع لها انتهى والمعنى عندنا ما قال الشافعي رحمه الله او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا **او عدل** عطف على فجزاء **ذلك** اشارة الى الطعام **صياما** تمييز للعدل والمعنى او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما قال الفراء العدل بكسر العين المثل من جنسه وبالفتح المثل من غير جنسه واراد به انه في جزاء الصيد مخير بين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق به على مساكين الحرم وبين ان يقوم المثل دراهم ويشتري بالدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم او يصوم عن كل مد من الطعام يوما وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه لمساكين وقال مالك ان لم يخرج المثل يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى طعام فيتصدق به وان شاء صام

Copyright © King Saud University

عن طعام كل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب
والاية حجة لمن ذهب الى التخيير ليذوق وبال امره اى جوزى الجانى بما ذكر ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبته لهتكه حرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى وانما سمى الله تعالى التكفير بالجزاء
المماثل او بالطعام او بالصيام وبالا لانه خير الجانى بين ثلثة اشياء الثانى منها توجب تنقيص المال وهو
ثقيل على الطبع وكذا الجزاء بالمثل والاطعام والثالث يوجب ايلام البدن وهو الصوم وذلك ايضا ثقيل
على الطبع حتى يحترز عن قتل الصيد فى الحرم وفى حال الاحرام فقوله ليذوق متعلق بفعل محذوف يدل عليه
الكلام كانه قيل جوزى بذلك ليذوق او عليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبال الثقل فى المكروه ومنه
الطعام الوبيل وقيل متعلق بالجزاء وقيل بالاستقرار المقدر قبل فى له فجزاء اذ التقدير فعليه جزاء ليذوق
وقيل بصيام اى صومه ليذوق وقيل بطعام اى طعام ليذوق عفا الله اى تجاوز الله عما سلف
اى عما مضى من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم او فى هذه المرة ومن عاد الى قتل الصيد بعد
النهى عنه وهو محرم فينتقم الله منه اى يعذبه فى الاخرة وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو
ينتقم الله منه لعائد الى المنهى عنه فى الاخرة وانما قدرنا المبتدأ لان الفاء الجزائية لا تدخل المضارع
واذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد عليه الجزاء عند عامة العلماء وقال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا
متعمدا يسأل عنه هل قتلت قبلها شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه فانه اعظم من ان يكفى بالجزاء
ولكن يملأ صدره وظهره ضربا وجيعا فيقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا
حكم عليه وقال السلطان وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح والله عزيز
بالزام الاحكام ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر والمراد بالبحر جميع
المياه وبالصيد ما صيد منه وجميع ما يصطاد من البحر ثلاثة اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال
والضفادع وجميع انواعها حرام واختلفوا فيما سوى هذين فقال ابو حنيفة انه حرام وقال الاكثرون
ان صيده مما لا يعيش الا فى الماء حلال لعموم هذه الاية ولقوله صلى الله عليه وسلم فى البحر هو الطهور ماؤه
والحل ميتته رواه ابو داود والترمذى وغيرهما وصححوه وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره فى البر
وطعامه قال ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ان الصيد ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما رمى به البحر
او نضب عنه الماء من غير معالجة متاعا لكم مفعول له للاحلال اى احل لكم طعامه وصيده تمتيعا
للمقيمين وحاضرى البحر ومن هو بقرب منكم يأكلونه لحما طريا وللسيارة اى وللمسافرين منكم تتزودونه
قديدا وحرم عليكم صيد البر اى ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ما
صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله صلى الله عليه وسلم لحم الصيد حلال لكم ما لم
تصطادوه او يصد لكم رواه الحاكم وصححه ما دمتم حرما اى حرم عليكم صيد البر مدة دوامكم محرمين
فيبقى ما سوى ذلك على الحل الاصلى وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله فى الاصطياد فى الحرم
او فى الاحرام الذى اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه او لسائر
الاحكام واتقوا الله فى مخالفتها وهذا الكلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد فى الحرم
والاحرام

والاحرام فقال جعل الله الكعبة اى صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه وتربيعه والعرب
يسمى كل بيت مربع كعبة قال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقيل سميت كعبة لارتفاعها من
الارض البيت الحرام وسمى البيت الحرام لان الله حرمه وعظم حرمته قال النبى عليه السلام ان الله حرم
مكة يوم خلق السموات والارض وهو عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح اذ الكعبة اوضح او مفعول
ثان وحينئذ يكون قوله قياما للناس منصوبا على انه حال واما على طريق الاول يكون مفعولا ثانيا
وقيام الشئ وقوامه بانه صلاح الشئ واستقامته وكون كل البيت المعظم اذ به يحصل ارتفاع شانهم
اما اهل مكة فبكثرة المنافع فانه تعالى قد جعله بحيث يجبى اليه ثمرات كل شئ وبدفع المضار وقد صيره
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ويحصل لهم الجاه والرياسة وتوفر الدواعى والرغبات وذلك
بدعاء ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام واما غيرهم فباتمام امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع
منافعهم الدينية والدنيوية وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على زنة فعل كشبع اعل عينه كما اعلت
فى فعله والشهر الحرام اراد به الاشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب اراد انه
جعل الاشهر الحرم قياما للناس يأمنون فيه القتال ويتمكنون من السفر فيها وقيل اراد بالشهر الحرام
الذى يؤدى فيه الحج فقط وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وهو ما بعده عطف على الكعبة وجعل
الشهر الحرام والهدى ما يهدى الى مكة ايضا قياما لهم والقلائد اى ذوات القلائد من الهدى قيام لهم
خصوصا افردها بالذكر لانها اشرف واكثر ثوابا اذ الحج معها اظهر بها ذلك اشارة الى جعل الكعبة
قياما خاصة والى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره ومحل ذلك النصب بفعل مقدر
يدل عليه السياق وهو اللام بعده اى شرع الله لكم ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض فان تشريع هذه الشرايع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل
وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها من اوضح الدلايل لحكمة الشارع وعدم خروج شئ من علمه
المحيط فان قيل اى اتصال لهذا الكلام بما قبله قيل اراد ان الله عز وجل جعل الكعبة قياما للناس
لانه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما فى السموات وما فى الارض وقال الزجاج قد سبق فى هذه السورة الاخبار
عن الغيوب والكشف عن الاسرار مثل قوله سماعون للكذب لقوم اخرين ومثل اخبار تحريفهم
الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض راجع اليه وان الله بكل
شئ عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق ويجوز ان يراد بما فى السموات والارض الاعيان
الموجودة فيهما وبكل شئ عليم الامور المتعلقة بتلك الموجودات من الاحوال والعوارض التى من قبيل
المعانى اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه ولمن اصر عليه وان الله
غفور رحيم لمن حافظ عليها او اقلع عنه بعد تعاطيه ما على الرسول الا البلاغ
تشديد فى ايجاب القيام بما امر به وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ
بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة ولا عذر لكم من بعد فى التفريط والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم من تصديق وتكذيب فيؤاخذكم بذلك نقيرا
وقطميرا ثم لما رغب فى الطاعة والتنزه عن المعصية بقوله اعلموا ان الله شديد العقاب الى اخره

بنوع اخر من الترغيب فى الطاعة وترك المعصية فقال **قل لا يستوى الخبيث والطيب** اى لا يستوى المشرك والمؤمن او الحلال والحرام قال الاستاذ الصناعة ومتبوع الجماعة سلطان المفسرين هذا حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال يعنى فيعاقب على الخبيث ويثيب على الطيب وان قل الطيب وكثر الخبيث وذلك قوله **ولو اعجبك كثرة الخبيث** فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير يعنى اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى والخطاب لكل معتبر ولذلك قال **فاتقوا الله يا اولى الالباب** اى العقول الخالصة والمعنى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر واثروا الطيب وان قل **لعلكم تفلحون** راجين ان تبلغوا الفلاح والاطماع من الله تحقيق وقال القشيرى قدس سره الخبيث ما اكتسبه العبد حالة الغفلة عن الحق والطيب ما اكتسبه على شهود الحق قال ويقال الخبيث ما لم يخرج منه حق الله تعالى والطيب ما اخرج منه حقه قال ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك والطيب ما قدمته بامر ربك روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين والمعنى فاتقوا الله يا اولى الالباب ولا تتعرضوا للحجاج ولو كانوا مشركين ونزل لما اكثروا سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم **يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء** روى البخارى عن ابن عباس ان قوما كانوا يسألونه عليه السلام استهزاء فيقول الرجل من ابى ويقول الاخر اذا ضلت ناقته اين ناقتى فنزلت روى الترمذى انه لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك افى كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت وفى رواية فقال لو قلت كل عام لوجب عليكم ولو وجب عليكم ثم تركتموه لضللتم ثم قال اتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتركونى ما تركتكم فاذا حدثتكم فخذوا عنى فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم وقال القفال رحمه الله ان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله عليه السلام اشياء من الغيب ومن المعجزات باشارة اليهود كما قال ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل فنهوا عن ذلك وهو السؤال عن امور لا حاجة لهم بها وعن اقتراح ايات بعد وقوع الكفاية بمعجزات ظهرت لهم من غير سؤال وعن ابى هريرة وانس بن مالك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسألة فقام على المنبر فقال سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء فى مقامى هذا الا حدثتكم فاشفق اصحابه ان يكون حدث امر فبكوا فقام عبد الله بن حذافة السهمى وكان يطعن فى نسبه يعنى يدعى الى غير ابيه فقال من ابى فقال النبى عليه السلام ابوك حذافة فدعاه لابيه فقام اليه عمر فقبل رجله وقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا وبالقران اماما فاعف عنا عفى الله عنك فلم يزل به حتى رضى فيومئذ قال الولد للفراش وللعاهر الحجر وانزل عليه قد سألها قوم من قبلكم وقال يومئذ ايضا ما رايت فى الخير والشر كاليوم قط انه صورت فى الجنة والنار حتى رايتهما وراء الحائط وفى رواية قام رجل فقال اين ابائى فقال فى النار

سورة المائدة

فقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله ثم قال يا رسول الله انا قريب العهد بالجاهلية والشرك والله اعلم من اباؤنا فسكن غضبه ونزلت الاية واما اعلال اشياء فهى لا تنصرف لاجل همزة التانيث فى اخرها كحمراء لان اصلها عند الخليل وسيبويه شيئاء بهمزتين بينهما الف الاولى لام الفعل كالفاء من طرفاء فاستثقل اجتماع همزتين وان وجدت الالف فلا حاجز لها لسكونها ولانها من جنس الهمزة فجعلوا اللام وهى الهمزة الاولى قبل الفاء وهى الشين فصارت اشياء على لفعاء واصلها عند الاخفش افعلاء لان المفرد عنده شىء كهين ثم خفف فقيل شىء كهين ثم جمع فقيل اشياء على وزن افعلاء كهين واهوناء ثم حذفت الهمزة التى هى لام الكلمة فوزنها الان عنده افعاء ومن غيره على وزن افعال جمع لشىء من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه لانه لو كان كذلك لانصرف كاسماء والصحيح ان اشياء اسم مفرد يدل على الجمع وليس بجمع كقصباء وطرفاء وعبارة السلطان واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشىء على ان اصله شىء كهين او شيىء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه كما اشرنا اليه تيسيرا فى التيسير ولم تصرف اشياء وان صرفت احياء واكفاء واسماء لان اصله اشياء على وزن افعلاء وقيل كان اصل الواحد شيىء على وزن فعيل وجمعه افعلاء كالنصيب والانصباء ثم حذفت الهمزة تخفيفا وبقيت غير منصرفة لاجلها فاما الاحياء ونحوها فهى افعال وهى منصرفة وكذا اعلالها توضيحا ولا ابالى وفى المدارك قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف وهى فعلاء من لفظ شىء وهمزتها الثانية للتانيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء انتهى وقدم الان مثل هذا ايضا ولا ابالى والله اعلم بمراده **ان تبد لكم تسؤكم** اى ان تظهر لكم تغمكم ويحزنكم كما ظهر لذلك السائل ان اباه فى النار وفى ظهور الايات المقترحة ايضا ما يسوؤهم فانهم لو خالفوا بعد ذلك اهلكوا كما قال فى اخر هذه السورة فمن يكفر بعد منكم الاية وعلى هذا التفسير يكون قوله ما على الرسول الا البلاغ اى ليس عليه ايراد الايات على جهة الاقتراح وقوله تعالى **وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم** اى وان تسألوا عن نزول القران بها وفيها اشكال وصعوبة تبد لكم اى تظهر لكم وهذا اطلاق للسؤال عند الانزال لحل الاشكال وتوبيخ لهم على السؤال فيما لا حاجة لهم اليه فى الحال وقيل فيه تقديم وتاخير وتقديره وان تسألوا عن الاشياء وهى مبهمة تبد لكم حين ينزل القران اى يظهر ذلك لكم فى القران المنزل فيه بعد ذلك وفى المدارك والجملة الشرطية والمعطوفة عليها صفة لاشياء اى وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى وهو ما دام الرسول عليه السلام بين اظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسؤكم اى تغمكم وتشق عليكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا انفسكم لغضب الله تعالى بالتفريط فيها وفى جامع الاسرار والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهاتين الشرطين كالمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه وهذه العبارة ماخوذة من

Copyright King Saud University

البيضاوي بعينه وقال السيوطي والمعنى اذا سألتم عن اشياء في زمنه ينزل القران بابدائها ومتى ابداها
ساءتكم فلا تسألوا فان قيل ما ذكر من كراهية السؤال والنهي عنه يعارضه قوله تعالى فاسألوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون قلت هذا الذي امر الله به عباده هو ما تقرر وثبت وجوبه مما يجب عليهم
العمل به والذي نهى عنه هو ما لم يتعبد الله به عباده ولم يذكره في كتابه وذكر ابو السعود العمادي
في معنى الاية في تفسيره بقوله وجملة الكلام ان مدلول نظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال
عن الاشياء التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدو كما عند
السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون
واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنه بطريق الاخبار بها فالتخلق ممتنع في الصورتين معا ومنشأ
توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بعرضية الوجود
من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة
هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا ابداء المكروه **عفا الله عنها**
اي عن مسألتكم السابقة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام فلا تعودوا وقال السلطان وهي صفة اخرى
لاشياء اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها **والله غفور رحيم** اي لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط
منكم ويعفو عن كثير ولا يعاقبكم الا بعد الانذار وروى ابو ثعلبة الخشني عن النبي عليه انه قال ان الله
تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا
عن اشياء من غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها **قد سألها** الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا
ولذلك لم يعد بعن ويكون في موقع المصدر لا المفعول به بالواسطة كما في قوله تعالى لا تسألوا عن اشياء لتلزم
التعدية بعن فيحمل على الحذف والايصال ولا يبعد الواسطة كما في سألته درهما بمعنى طلبته منه لانهم لم يسألوا
وانما سألوا عنها عن حالها او لاشياء بحذف الجار **قوم** كقوم صالح وقوم طالوت وقوم عيسى
من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم لان ظرف الزمان لا يقع خبرا ولا صفة ولا حالا عن
الجثة **ثم اصبحوا بها** اي صاروا بسبب المسئلة يعني بتركهم العمل بها **كافرين** فاهلكوا كما عرف في
بني اسرائيل حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا وفي التيسير اي سألوا ايات الاقتراح كقوم صالح سألوا الناقة
ثم كفروا بها وعقروها وقوم طالوت قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فلما كتب
عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقوم عيسى سألوا المائدة فقال لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ثم
كفروا بها وقيل اي سألوا فلما اخبروا بما كرهوا وكذبوا الرسل وقيل سألوا البيان فلما بين لهم لم يعملوا به اي كانوا
شددوا على انفسهم كاصحاب البقرة فلما شدد عليهم تركوا وفي ارشاد العقل السليم معناه سألوا هذه
المسألة لكن لا بعينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة
في التحذير ثم شرع في الرد والابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية **ما جعل** ما وضع **الله** وما حرم
الله من الاشياء التي ذكرها او ما انزل الله ولا شرع في امور الدين ولا امر بذلك **من بحيرة ولا**
سائبة ولا وصيلة ولا حام والبحيرة الناقة التي تشق اذنها يقال بحرت اذن الناقة ابحرها بحرا
اي شققتها شقا واسعا ومنه البحر وهي اسم لا صفة ولذلك دخلت فيها الهاء كما في النطيحة والذبيحة

والنسيكة

والنسيكة وكانت الناقة اذا نتجت خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا
ركوبها وذبحها ولم يطرد عن ماء ولم يمنع عن مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها وقيل كانوا
يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن ونقل القرطبي عن امام المحدثين يعني الشافعي قدس سره انه
قال اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اناثا بحرت اذنها فحرمت عندهم وقال مقاتل ان كان ولدها
الخامس ذكرا ذبحوه للالهة وكان لحمه للرجال لا للنساء وان كانت انثى شقوا اذنها ولا يجز لها
وبر ولبنها للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك في لحمها الرجال والنساء ومن في من
بحيرة لتأكيد النفي على العموم اذ لو قال ما جعل الله بحيرة وقع عند السامع انه ما جعل بحيرة واحدة
بل جعل بحائر فنفى بكلمة من كل بحيرة والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت من قولهم ساب الماء
اي جرى على وجهه والسائبة الحية كذلك كان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكذلك
كان من كثر ماله سيب واحدة منها شكرا وكانت لا ينتفع بشيء منها ولا تمنع عن ماء ومرعى الى ان
تموت فيشترك في اكلها الرجال والنساء والوصيلة فعيلة بمعنى فاعلة هي الانثى من الغنم قال قتادة
هي في البطن السابع وقال السدي الشاة اذا ولدت ثلثة ابطن او خمسة وكان اخر ذلك جديا
ذبحوه واهدوه للالهة وان كانت عناقا استحيوها وان كان جديا وعناقا استحيوهما جميعا وقالوا
انها وصلت اخاها وقيل هي الناقة تبكر فتلد انثى ثم تثني بولادة انثى اخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها
لالهتهم ويقولون قد وصلت انثى بانثى ليس بينهما ذكر والحامي اسم فاعل من حمى يحمي اي منع قال ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهما هو الفحل يولد من صلبه عشرة ابطن فيقولون قد حمى ظهره فيتركونه كالسائبة
فيما تقدم يعني لم يزم ولم يركب ولم يمنع من ماء ولا مرعى فالمذكورات حرموا اهل الجاهلية على انفسهم
وقد نهى الله عن ذلك بقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقيل اول من فعل كل ذلك عمرو بن لحي
وقال مقاتل هو عمرو بن ربيعة بن لحي بن قمعة بن خندف الخزاعي وروى زيد بن اسلم عن النبي صلى
صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم اول من سيب السوائب واول من غير دين ابراهيم عليه السلام قالوا
من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحي لقد رأيته يجر قصبه في النار يؤذي ريحه اهل النار واني
لاعلم من بحر البحائر قالوا من هو يا رسول الله قال رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع اذانهما
وحرم البانهما ثم شرب البانهما بعد فلقد رأيته وهما يعضانه بافواههما ويخبطانه باخفافهما
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته الى الله كانوا يزعمون
انه شرع ابراهيم روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن
لحي في النار يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام
كما مر قيل هذا قال ابن عباس يريد الله بقوله الذين كفروا عمرو بن لحي واعوانه يفترون على الله
هذه الاكاذيب ويقولون الله امرنا بها **واكثرهم لا يعقلون** ان ذلك افتراء لانهم قلدوهم
فيه اباءهم وفي اكثرهم اشارة الى ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة
وتقليد الاباء ان يعترفوا به **واذا قيل لهم** اي اذا قيل للاتباع اتركوا تقليد القدماء من الاباء

Copyright King Saud University

والاجداد المفترين على الله الكذب تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني هلموا الى
حكم الله تعالى ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة قال البغوي تعالوا الى ما انزل الله الى حكم اي
في تحليل الحرث والانعام وبيان الشرايع والاحكام قالوا لافراط جهلهم وانهماكهم في التقليد لا حاجة
بنا الى كتاب الله ولا الى رسوله بل حسبنا من الدين ما وجدنا عليه اباءنا اي كافينا ذلك حسبنا مبتدأ
والخبر ما وجدنا وما بمعنى الذي اولو كان اباؤهم الواو للحال قد دخلت عليها همزة الاستفهام
الانكاري وتقديره احسبهم التقليد ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الى الحق والمعنى
ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد لما بين اصرارهم على ما مضى
عليه قدماؤهم ولم ينفعهم الانعاظ قال يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم الجار والمجرور
من اسماء الافعال بمعنى الزموا صلاحها وهدايتها وحفظها مما يضركم ولذلك نصب انفسكم وقرى
بالرفع على الابتداء والخبر عليكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تزر وازرة وزر
اخرى او لا يضركم ضلال اخرين اذا كنتم مهتدين فان قيل ظاهر الاية يوهم ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الاية لا تدل الا على ان المطيع لربه غير مؤاخذ بذنب
العاصي اذا كان من المهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المطيع المنكر حسب طاقته ولهذا خطب ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فقال انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا راوا المنكر فلم ينكروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال من راى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وروى الترمذي عن ابي ثعلبة قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ائتمروا
بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي
راي برايه فعليك بخاصة نفسك فان من ورائكم اياما الصبر فيهن كالقبض على الجمر للعامل فيهن
مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال ابن المبارك وزاد غيره قال يا رسول الله اجر خمسين
منهم قال اجر خمسين منكم ونقول الاية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر على نفسه وعرضه وماله وقيل معنى قوله انفسكم اهل دينكم كما قال الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
اي اهل دينكم وقيل المراد به اخر الزمان عند فساد الناس وتعذر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو
زماننا هذا وقيل هذه الاية تتصل بما قبلها اي اذا دعوتهم الى حكم الله فلم يجيبوا وقلدوا اباءهم
لم يضركم اذا اهتديتم انتم وفي سبب نزول هذه الاية وجوه احدها روى الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبل من اهل الكتاب الجزية طعن المنافقون في ذلك وقالوا عجبا
من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله صلى الله عليه وسلم وزعم انه رخص لهم
ان يقاتلهم حتى يعطوا الجزية فنزلت وثانيها ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار في كفرهم
وضلالهم فقيل لهم عليكم انفسكم الاية وثالثها انه كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباءك فنزلت
تسلية له بان ضلال ابائه لا يضره قرا الجمهور لا يضركم بضم الراء المشددة على انه كلام مرفوع مستانف
سيق للاخبار بذلك ويؤيده ان قرى لا يضيركم بضم الراء من ضار يضير ضيرا او مجزوم اما على انه

جواب الامر

جواب الامر في عليكم واما على انه نهي مستانف غير متعلق بالامر قبله لكنه ضمت الراء الضمة الضاد المنتقلة
اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرا لا يضركم بفتح الراء وقراءة من قرا لا يضركم بكسر الضاد من ضاره
يضيره وبضم الضاد من ضاره يضوره وكلاهما لغتان بمعنى ضره يضره الى الله مرجعكم اي الى حكمه
ومحل رجوعكم يوم القيمة لا الى احد سواه جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فيجزي
من ضل ومن اهتدى كلا على وفق حاله فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال
فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره ثم لما امر الله تعالى بحفظ النفس
امر بحفظ المال فقال يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم قال في الدر المصون هذه الاية وما بعدها
من اشكل القران حكما واعرابا وتفسيرا ولم تزل العلماء يستشكلونها ويكعون عنها وانا استعين
بالله تعالى بوسيلة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في توجيه اعرابها واشتقاق مفرداتها وتصريف
كلماتها وقراءاتها ومعرفة تاليفها ومعانيها فنسال الله في تهذيبها وبالله الحول والقوة قرا الجمهور
شهادة بينكم برفعها مضافة لبينكم فتحتمل وجوها احدها انها مرفوعة بالابتداء وخبرها
اثنان ولا بد على هذا الوجه من حذف مضاف اما من الاول واما من الثاني فتقديره من
الاول ذوا شهادة بينكم اثنان وتقديره من الثاني شهادة بينكم شهادة اثنين والثاني ان اثنان
مرتفع بالمصدر الذي هو شهادة برفع الفاعل بفعله والتقدير فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان
ولفظ اذا على هذين الوجهين ظرف لشهادة اي ليشهد في وقت حضور الموت اي سببه
الثالث ان شهادة مبتدأ وخبره اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت
اماراته اي وقوع الشهادة في وقت حضور الموت الرابع ان شهادة مبتدأ وخبرها حين
الوصية واذا على هذا منصوب بالشهادة ولا يجوز ان ينتصب بالوصية وان كان المعنى عليه
ويحتمل ان يكون بدلا من اذا وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرفا لحضر
وقوله اثنان على الوجه الثالث والرابع يرتفعان اما على الفاعلية اي يشهد اثنان يدل عليه لفظ
شهادة واما على خبر مبتدأ محذوف مدلول عليه بشهادة ايضا اي الشاهدان اثنان وقرى شهادة
بالنصب والتنوين فتكون منصوبة بفعل مضمر يدل عليه السياق واثنان مرفوع بذلك الفعل والتقدير
ليقم شهادة بينكم اثنان ذهب الى هذا ابن جني وتبعه الزمخشري وبينكم في قراءة من نون شهادة
نصب على الظرف وهي واضحة وفي قراءة الجمهور في باب الاتساع في الظروف اي بجعل الظرف كانه مفعول
للفعل المقدر او المصدر وقال ابو علي الجرجاني قوله تعالى شهادة بينكم اي ما بينكم وما بينكم كناية عن التنازع
والتشاجر ثم اضاف الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم في التنازع الواقع فيما بين
القوم والعرب يضيف الشيء الى الشيء اذا كان منه بسبب كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي مقامه بين
يدي ربه والعرب يحذف كثيرا ذكرنا وقوله ذوا صفة اثنان اي صاحبا عدل وكذلك قوله منكم
صفة ايضا لاثنان والمراد بقوله منكم من قرابتكم وعشيرتكم وقوله او اخران عطف على اثنان وقوله
من غيركم صفة لاخران اي من المسلمين الاجانب فكلمة او للتخيير وقيل منكم اي من اهل دينكم ومن
غيركم من اهل الذمة فعلى هذا يكون منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا وكان جائزا

Copyright King Saud University

في ابتداء الاسلام لقلة المسلمين ثم اعترض بين اخران وصفته بقوله ان انتم ضربتم في
الارض اي سافرتم فيها وانتم فاعل فعل محذوف يفسره قوله ضربتم فاصابتكم مصيبة الموت عطف
على الشرط اي قاربتم الاجل وظهرت اسبابه وشدائده تحبسونهما اي تقفونهما عند المنبر
تصبرونهما للحلف في هذه الجملة وجهان احدهما انها في محل رفع صفة لاخران وعلى هذا فالجملة
الشرطية وما عطف عليها جوابها المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم معترضة بين
الصفة وموصوفها فان قوله تحبسونهما صفة لقوله اخران وافاد الاعتراض ان العدول الى اخرين
من غير القرابة او من غير الملة على ما قيل انما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه وثانيهما
انها لا محل لها من الاعراب لاستينافها كانه قيل بعد اشتراط العدالة في الشاهدين فكيف نعمل ان
ارتبنا فيهما وهذا الوجه اوفق للصناعة لانه لا يلزم في الاول الفصل بكلام طويل بين الصفة وموصوفها
قال ابو حيان في قوله ان انتم ضربتم الخ التفات من الغيبة الى الخطاب اذ لو جرى على لفظ اذا حضر احدكم
الموت لكان التركيب ان هو ضرب في الارض فاصابته وانما جاء الالتفات جمعا لان احدكم معناه اذا
حضر كل واحد منكم وفيه نظر لان الخطاب جار على اسلوب الخطاب الاول من قوله يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم الخ والخطاب في تحبسونهما لولاة الامور لا لمن خوطب باصابته الموت لانه يتعذر
ذلك فيه من بعد متعلق بتحبسونهما الصلوة التي تعظمونها وهي صلوة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل بعد اي صلاة كانت لان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر فيقسمان اي يحلفان بالله ان ارتبتم اي ان ارتاب الوارث منكم وجواب الشرط
محذوف تقديره ان ارتبتم في صدقهما وامانتهما واتهمتموهما فحلفوهما ويقولان لا نشتري به
اي بالله او الضمير للقسم ثمنا اي عوضا قوله ان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب
والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عوضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا للطمع ولو كان المقسم
له والمشهود له ذا قربى اي قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري اكدوا به ليدل على معنى
ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولا نكتم شهادة الله التي اعلمنا ها
وامرنا باقامتها والاضافة للتعظيم انا اذا اي اذا شهدنا بالزور او ان كتمنا شهادة
الله لمن الاثمين اي لمعدودين من المستقرين في الاثم والجمهور على رفع نكتم على ان لا نافية
والجملة تحتمل وجهين احدهما وهو الظاهر كونها نسقا على جواب القسم فتكون ايضا مقسما عليها
والثاني انه اخبار من انفسهم بانهم لا يكتمون الشهادة ويؤيده ما قرئ ولا نكتم على النهي
وهذه القراءة جاءت على القليل من حيث ان دخول لا الناهية على فعل المتكلم قليل ومنه اذا
ما خرجنا من دمشق فلا نعد بها ابدا ما دام فيها الجراضم والجمهور على شهادة الله
بالاضافة وهي مفعول بها واضيفت الى الله تعالى لانه هو الامر بها وبحفظها وقرئ شهادة الله
بتنوين شهادة ونصبها ونصب الجلالة وهي واضحة وقرأ الشعبي وغيره شهادة بالهاء والوقف
عليها ثم يبتدئ الله بقطع همزة الوصل ومد الهمزة على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام

منه وروي عنه بغير المد ايضا لقولهم الله لا افعلن فان عثر مبني للمفعول والقائم مقام فاعله
الجار بعده اي فان اطلع بعد حلفهما على انهما اي الشاهدين او الوصيين استحقا اثما اي
فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين بسبب خيانتهما على الورثة فآخران اي
فشاهدان اخران من اولياء الميت وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما في توجه اليمين عليهما
ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو قوله من الذين استحق عليهم
الوصية وهم الورثة يعني من الذين جني عليهم وهم الورثة لان الفاء الجزائية ازالت كون الخبر
اجنبيا وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان والمفعول محذوف والمعنى من الورثة
الذين استحق عليهم الاوليان اي الاحقان بالميت والاقربان اليه من بينهم بالشهادة ان
يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهو خبر محذوف اي هما الاوليان
او خبر اخران او مبتدأ خبره اخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر
عن عاصم الاولين على انه جمع اول مقابل اخر ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم
احق بها وهو مجرور بالياء على انه صفة الذين في الذين استحق او بدل منه وقرئ الاولين على
التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان اي يحلفان على
خيانة الشاهدين بالله ويقولان لشهادتنا اي يميننا احق اي اصدق من شهادتهما
اي من يمينهما واولى بان تقبل لانا مسلمون وهما كافران خائنان وما اعتدينا اي وما تجاوزنا الحق
في اليمين ويقولان انا اذا لمن الظالمين اي ان حلفنا بالكذب لكنا من الواضعين الباطل
موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي له ان
يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما
بان كان في سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ
في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ
بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه
بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان
تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روى الترمذي ان تميما الداري وعدي
ابن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاصي وكان
مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به
واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن
لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام
عمرو بن العاصي والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا فدفع الاناء اليهما ولعل تخصيص العدد

Copyright © King Saud University

فيها الخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم وهو رد اليمين الى الورثة بعد تغيير الدعوى وقيل رده
تحليف الشاهدين ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اى اقرب الى اتيان الشهداء بالشها
على ما ينبغى من غير تغيير وخيانة فيها وقيل اقرب الى اتيان الاوصياء بالشهادة على ما ينبغى
الى الحق او يخافوا اى واقرب الى ان يخافوا ويحذروا من ان ترد ايمان اى ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة بزيادة افتضاح
وانما جمع الضمير مع ان الكلام فى اثنين من الشهود والاوصياء لانه حكم يعم الشهود كلهم و
اتقوا الله من الايمان الكاذبة والخيانة فى الامانة واسمعوا المواعظ سماع قبول والله لا يهدى القوم
الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى لا يهديهم
الى الحجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له اى لا يهديهم الى طريق الجنة
يومئذ كما يفعل بغيرهم وقيل بدل من مفعول واتقوا الله بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله
يوم جمعهم او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او جمعه او منصوب
باضمار اذكر وقيل ذكر من اول السورة الى ههنا الاعمال وذكر ههنا يوم جزاء الاعمال فيقول الله
لهم توبيخا لمكذبيهم ماذا اجبتم اى اى اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول
او اجابة رد قالوا لا علم لنا وقال ابن عباس انما قالوا لا علم لانك تعلم ما اظهروا وما اضمروا
ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم اقوى من علمنا اى بهذا المعنى نفوا العلم عن انفسهم لان
علمهم عند الله كلا علم ولهذا قالوا انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم وما لا نعلم وفيه
التشكى عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة
وقيل هذا عند اول البعث ثم يشهدون بتبليغ الرسالة بعد ذلك وقيل هذا عند فزع جهنم فلا
يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل عند ذلك الا قال نفسى نفسى فعند ذلك قالوا لا علم لنا وهذا الجواب
وان ذهب اليه جمع كثير فهو ضعيف عندى لان الله تعالى قال فى صفة اهل الثواب لا يحزنهم الفزع الاكبر
وقال وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة بل انه تعالى قال ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يكون حال الانبياء
والرسل اقل من ذلك ومعلوم انهم لو خافوا لكانوا اقل منزلة من منزلة هولاء الذين اخبر الله عنهم انهم
لا يخافون البتة والتخصيص ببعض الاماكن تخصيص للايات بلا مخصص وفى التيسير وقيل يجوز ذلك
فى اول الوهلة لان طبع الانسان على انه اذا راى امرا مخوفا دهش وعلى ذلك خر موسى عليه السلام صعقا
حين دك الجبل ويوم القيمة يجاء بجهنم ولها زفير وتغيظ فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا بركبتيه فلا
يلحقهم دهشة ثم تزول فيجيبون بما علموا اى يشهدون على ما شاهدوا وقرء علام بالنصب على ان
الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او
النداء وقرء ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله نصب باضمار اذكر او بدل من
يوم يجمع وانما ذكر القول بلفظ الماضى دلالة على قرب القيمة حتى كانها قد قامت ووقعت كما يقال
الجيش قد اتى اذا قرب اتيانهم ومحل يا عيسى مضموم على انه مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف بابن

مضاف الى علم وهو المختار للتحقيق ابن مريم اذكر نعمتى عليك اراد الجمع وحدت لانه
مضاف يصلح للجنس وانما قال وعلى والدتك لان النعمة على الولد نعمة على ابويه او المراد بالنعمة على الوالدة
الاصطفاء على نساء العالمين بان وهبتك لها بسوال عن اجابتهم وتعديدها اظهر عليهم من
الايات فكذبتهم طايفة وسموهم وغلا اخرون فاتخذوهم الهة اذ ايدتك بروح القدس وهو ظرف
لنعمتى او بدل منها او حال منها اى قويتك بجبريل عليه السلام او باسم الاعظم وهو الكلام الذى
يحيى به الموتى او بجعل روحك طاهرة من العلايق الظلمانية بحيث يعلم انه ليس بواسطة البشر فيشهد ببراءتك
وبراءة امك ومن ذلك التايد قويت نفسك الناطقة ويويد الكلام قوله تكلم الناس فى المهد
اعجازا وكهلا اى فى ضعف الاحوال وقواها بكلام واحد لا تفاوت فيه والمعنى الحاق حاله فى الطفولية
بحال الكهولية فى كمال العقل والتكلم بالمعجزة وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل الكهولة وقد
تكلمت فى المهد ببراءة امك حيث قلت انى عبد الله اتانى الكتاب الاية والكهولة تكون بعد ثلثين سنة
قال السيوطى قوله وكهلا يفيد نزوله قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق فى ال عمران انتهى كلامه وفى
التيسير وكهلا اى بعد ثلثين سنة حين اوحى اليك بالرسالة قال البغوى مكث روحه تكلم الناس فى المهد صبيا
وكهلا نبيا قال ابن عباس ارسله وهو ابن ثلثين سنة فمكث فى رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله اليه والله اعلم
بذلك واذ علمتك الكتاب اى واذكر نعمتى اذ علمتك الخط وكان يخط بغير تعلم او جنس الكتب او ظاهر
العلم الذى يكتب والحكمة النظرية والعملية او باطن العلم الذى لا يكتب بل يختص به اهله والتورية والانجيل
للحكم بهما بين الناس او للاحاطة بالاسرار الالهية بعد الاحاطة بالعلوم المتداولة قال الشيخ الحكمة العلم
والفهم وفى بعض التفاسير قيل الكتاب والحكمة هما التورية والانجيل وفى كل اسم معنا اخر لشئ واحد
وقيل الكتاب كتب الاولين قبل التورية والانجيل واذ تخلق من الطين اى تقدر وتصور من الطين
صورة كهيئة الطير اى هيئة مثل هيئة الطير يعنى على صورته باذنى يعنى بتسهيلى او باجازتى
لك ذلك التصوير فتنفخ فيها والضمير راجع للكاف فى كهيئة الطير اى هيئة مثل هيئة الطير ولا يرجع الى
لفظ الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلق عيسى ولا من نفخه بشئ وكذا الضمير فى فتكون طيرا
باذنى اى بارادتى وتاثيرى وتخليقى كما قال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اى بتخليق الله
موتها يعنى تكون طيرا حيا تطير باذنى بحصول الروح من نفختك فيها فيما يظهر للناس وقرء نافع
ويعقوب طايرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر وتبرئ اى تصحح وتشفى الاكمه عطف على اذ تخلق و
الابرص وهو مع كونه دون الاحياء باذنى ثم اشار الى تاثيره فى اعادة المعدوم فقال واذ
تخرج الموتى من القبور احياء باذنى فهذا مما فعل الله به من جنس المنافع ثم قال ههنا باذنى
اربع مرات عقيب اربع جمل وفى ال عمران باذن الله مرتين لان هناك موضع اخبار فناسب الايجاز
وههنا مقام تذكير بالنعمة والامتنان فناسب الاطناب وقوله باذنى حال اما من الفاعل او من المفعول
وقيل اخرج سام بن نوح عليه السلام ورجلين وامراة وجارية ثم اشار الى ما دفع عنه من المضار
فقال واذ كففت اى منعت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود عن قتلك حين هموا به للاذى
منكيل اذ جئتهم اى اذ اتيتهم بالبينات بالعلامات والمعجزات الدالة على نبوتك واذ ظرف لكففت

Copyright © King Saud University

فقال الذين كفروا منهم اى الذين مضوا على كفرهم ان هذا اى ما هذا الذى جيت به الا
سحر مبين اى ظاهر لا يلتبس بالمعجزات فهذه كلها نعم لازمة لا يتعدى منه ثم اشار الى النعم المتعدية
فقال واذ اوحيت اى واذكر نعمتى عليك بالتكميل حين اوحيت بطريق الالهام الى الحواريين الخواص
او الاصفياء او اراد بالوحى الامر يعنى امرتهم على السنة رسلى ان اى بان امنوا بى
وبرسولى يعنى عيسى عليه السلام فلما بلغهم الرسالة قالوا امنا بالله وبرسوله واشهد
يا عيسى باننا مسلمون اى منقادون لكل ما تدعونا اليه ومخلصون من اسلم وجهه
لله اى اخلص دينه له اذ قال الحواريون منصوب باذكر او ظرف لقالوا يا عيسى نصب
على اتباع حركته حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو ابن مريم هل يستطيع ربك اى تجيب دعوتك قرا
الجمهور بياء الغيبة ربك اذا دعوته وهو مرفوع والكسائى بتاء الخطاب لعيسى عليه السلام
ربك بالنصب على التعظيم وبقراءة الكسائى قرات عائشة رضى الله عنها وكانت تقول الحواريون اعرف
بالله من ان يقولوا هل يستطيع ربك كانها رضى الله عنها نزهتهم عن هذه المقالة الشنيعة ان
تنسب اليهم وبقراءة الكسائى قرا على ومعاذ وابن عباس رضى الله عنهم وحينئذ فقد اختلفوا
فى هذه القراءة هل تحتاج الى حذف مضاف ام لا فالجمهور المعربين يقدرون المضاف اى هل تستطيع
سوال ربك اى هل تساله ذلك من غير صارف يصرفك عن سواله واختار ابو عبيدة هذه القراءة قال
لان القراءة الاخرى تشبه ان يكون الحواريون شاكين وهذا لا توهم ذلك وقال ابن الانبارى لا يجوز لاحد
ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا فى قدرة الله تعالى وبهذا يظهر ان قول الزمخشرى المعتزلى انهم ليسوا مومنين
ليس بجيد قال ابن عطية ولا خلاف احفظه انهم كانوا مومنين واما قراءة الجمهور فلا تدل على ان عمته
لان الناس اجابوا عن ذلك باجوبة منها ان معناه هل يسهل ربك ان تساله كقولك لاخر هل تستطيع
ان تقوم معى وانت تعرف استطاعته لذلك ومنها ان المعنى هل يفعل ذلك وهل يقع منه اجابة لذلك ومنه
ما قيل لعبد بن زيد هل تستطيع ان ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا اى هل تحب ذلك وقيل
ومنها المراد بالرب لانه كان يربيه ويربيه ويعينه ومنها ان الاستفهام عن الفعل لا عن القدرة كما يقول
الفقير للغنى القادر هل تقدر ان تطعمنى شيئا وهذه تسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة ومنها
المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب ان ينزل فى قراءة الجمهور فى محل النصب
على انه مفعول به اى الانزال واما على قراءة الكسائى فقالوا هو فى محل النصب على المفعولية بالسوال المقدر اى
هل تستطيع انت ان تسال الانزال علينا مائدة مفعول ينزل وهى الخوان عليه طعام فان لم يكن عليه
طعام فليست بمائدة قال ابو بكر الانبارى سميت مائدة لانها عطاء من قول العرب ماد فلان فلانا اذا احسن
اليه واعطاه قال الزجاج وهى فاعلة على الاصل وقال ابو عبيدة هى فاعلة بمعنى مفعولة مشتق من مادة
بمعنى اعطاه من السماء التى يتوهم فيها انها ليست محل الكون والفساد ويجوز ان يتعلق بالفعل قبله
وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمائدة كاينة من السماء اى نازلة منها قال لهم عيسى اتقوا الله
اى احذروا ان يكون سوالكم سوال شك وريب او اتقوا ان توقفوا ايمانكم على رويتها او اتقوا الله فى اقتراح
المعجزات بعد الايات يعنى اتقوا الله ان تسالوه شيئا لم تساله الامم قبلها فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان

ان كنتم مومنين اى اذ كنتم مومنين اى كاملى الايمان اذ الايمان يوجب التقوى وان مقتضى الايمان
التقوى وقيل اتقوا الله من امثال هذه السوال ان كنتم مومنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعا
الايمان وقالوا الحكمة فى هذا الجواب من عيسى عليه السلام لهم كى يقولوا ما يدل على اخلاصهم وتصديقهم
وان سوالهم لم يكن عن ارتياب فلا يقع عند السامعين انهم شاكون او ممتحنون وذلك قوله تعالى قالوا
امنا لكنا نريد سوالها من اجل ان ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا والجد قطعا اخر فقد
روى انهم سالوها فى مخافة على غير ماء ولا طعام وقيل ان ناكل اكل تبرك لا اكل حاجة فنستيقن قدرته
فهو تمهيد عند ربنا لما دعاهم الى السوال وهو ان يمتنعوا بالاكل منها ويكونوا مخصوصين بهذه
النعمة وتطمئن قلوبنا اى تسكن وتزداد يقينا كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبى يعنى تطمئن قلوبنا بانضمام
علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته فلا يعتريها شبهة اصلا ونعلم ان مخففة اى انك قد
صدقتنا اى نعلم صدقك فى دعوى الرسالة عيانا كما علمناه استدلالا وقيل هم صدقك فى ان الله يجيب
دعوتنا وقيل ان عيسى بن مريم عليه السلام امرهم ان يصوموا ثلاثين يوما فاذا افطروا لا يسالون
من الله شيئا الا اعطاهم ففعلوا وسالوه المائدة وقالوا ونعلم بالعيان والمشاهدة ان قد صدقتنا
فى قولك اذا صمنا ثلثين يوما لا نسال الله شيئا الا اعطاه ايانا ونكون عليها من الشاهدين
اى على المائدة ونزولها شاهدين على الجاحدين من بنى اسرايل بوقوع العلم بالمشاهدة ولما كان السوال
لزيادة العلم واليقين لا للتعنت والشك ورأى عيسى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك قال عيسى بن مريم
نسبه الى امه ليدل على تزييفه لله وافتقاره الى الله اللهم ربنا يا الله المطلوب لكل مهمة الجامع
للكمالات الذى ربانا بها اصله يا الله فحذف ياء وعوض منه الميم وربنا نداء ثان انزل علينا
بمقتضى تلك الجمعية والتربية مائدة من السماء التى ما تكون من نعيم الجنة تكون لنا يوم نزولها عيدا نعظمه
ونشرفه وفى تكون ضمير يعود على مائدة هو اسمه وخبره عيدا ولنا حال من عيدا والجملة فى محل النصب
صفة لمائدة والعيد مشتق من العود لانه يعود كل سنة قاله ثعلب وقال ابن الانبارى النحويون يقولون
يوم العيد لانه يعود بالفرح والسرور فهو يوم سرور للناس كلهم قلت الا ترى ان المسجونين فى ذلك اليوم لا
يطالبون ولا يعاقبون وكل احد له سرور لاولنا واخرنا متعلق بمحذوف لانه صفة لعيدا او بدل
من لنا باعادة العامل كانه قيل عيدا لنا لاولنا واخرنا قال ابن عباس رضى الله عنهما ياكل منها اخر الناس
كما ياكل اولهم ويحتمل ان يكون معناه نتخذ اليوم الذى انزلت فيه عيدا لاولنا لاهل زماننا واخرنا لمن
يجى بعدنا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقرئ لاولنا واخرانا بمعنى
الامة او الطايفة واية منك عطف على عيدا ومنك صفة لها اى اية كاينة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتى او صدق وعدك وتصديقك اياى وارزقنا اى المائدة او الشكر عليها او النعم الاخروية الموعودة
وانت خير الرازقين يعنى اعطنا ما سالناك وانت خير المعطين تاتى بالنوال قبل السوال والاستحقاق
لانك خالق الرزاق وتعطيه بلا عوض قال الله مستجيبا له انى منزلها عليكم قرا نافع وابن عامر
وعاصم منزلها بالتشديد والباقون منزلها من باب الافعال فقيل ان انزل ونزل بمعنى وقيل التشديد
للتكثير فانها نزلت مرات متعددة وعد الله الانزال وشرط عليهم شرطا بقوله فمن يكفر بى او برسولى

Copyright © King Saud University

بعد اى بعد نزول المائدة وبعد متعلق بيكفر وبنى لقطعه عن الاضافة اذ الاصل بعد الانزال منكم
ايها المنعوت بها متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل يكفر فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا يعنى انه اسم
مصدر بمعنى المصدر كالسلام بمعنى التسليم ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر
او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر اى لا اعذب به احدا من العالمين هذا وعيد بالعذاب
بابلغ ما يكون ثم قيل اراد به عالمى زمانهم كما فى قوله وانى فضلتكم على العالمين وقيل اراد به كل العالم فانه
مسخهم خنازير ولم يمسخ قوما كذلك قبلهم ولا بعدهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى
من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند
راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث لان له رائحة كريهة واذا
خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون وهو راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام
الاخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم
من فضله فقال يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت
ثم قال عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم
اربعين يوما غبا يجتمع عليه الفقراء والاغنياء والصغار والكبار وكانت تنزل ضحى فياكلون حتى
اذا فاء الفيء ثم تطير وهم ينظرون فى ظلها ولم ياكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ
ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة
وهى قوله فمن يكفر بعد فانى اعذبه الاية استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وهذا القول غير مرضى
لقوله تعالى انى منزلها عليكم فلا خلف فى وعده فان قلت لو نزلت لبقيت الى اخر الدهر لقوله
عيدا لاولنا واخرنا وبه تمسك القائل عن الحسن قلت كان ذلك مشروطا بعدم كفرانهم وضيانتهم روى
عمار بن ياسر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نزلت خبزا ولحما وذلك انهم سالوا عيسى الطعام
ياكلون منه ولا ينفد فقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تدخروا وتخونوا وتخبأوا وترفعوا فان فعلتم ذلك
عذبتكم قال فما جاءت نوبتهم حتى خانوا وخبأوا ورفعوا وقال اسحاق بن عبد الله بن ابى طلحة
ان بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل ابدا فرفعت المائدة ومسخ هؤلاء البعض قردة وخنازير قال
السلطان عن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة
غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقايق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان
حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسال
لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف
له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا قال البغوى فى تفسيره عن عبد الله

ابن عمرو ان اشد الناس عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وال فرعون وعن
عمار ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكم فصاموا فلما
فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المائدة فاقبلت الملئكة بمائدة
يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم
قال كعب الاحبار نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملئكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم
وعن ابن عباس انه انزل على المائدة كل شئ الا الخبز واللحم وقال قتادة كان عليها ثمار الجنة وقال عطية
العوفى نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شئ وقال الكلبى كان عليها خبز بر وبقل وقال وهب انزل
الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان قوم ياكلون ثم يخرجون ويجئ اخرون فياكلون حتى اكلوا باجمعهم
وفضل وعن الكلبى ومقاتل انزل الله خبزا وسمكا وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف
ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن
اراد الله به خيرا ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبى
ولا امراة فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وفى
التيسير روى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه انه قال لما سال الحواريون عيسى عليه السلام ان يسال
الله ان ينزل لهم مائدة فقام عيسى بن مريم والقى الصوف عنه ولبس جبة من شعر ولحافا من شعر ثم
وضع يمينه على شماله وصف بين قدميه والزق كعب احدى قدميه مع الاخرى وسوى الابهام
وطاطا راسه خاشعا لله وارسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو
ويتضرع الى ربه ثم قال ربنا انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها والاخرى
تحتها منقضة فى الهواء والناس ينظرون اليها وعيسى عليه السلام يبكى ويقول الهى اجعلها رحمة
ولا تجعلها عذابا الهى كم اسالك من العجايب فتعطينى الهى اعوذ بك ان يكون نزولها غضبا ورجزا
واسالك ان تجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها مثلة وفتنة فما زال يدعو ويتضرع حتى استقرت
بين يدى عيسى عليه السلام والناس حوله يجدون طيب ريحها لم يجدوا قط ريحا اطيب منها
فخر عيسى ساجدا وسجد الحواريون معه وبلغ ذلك اليهود فاقبلوا مغمومين مكروبين ونظروا
الى امر عجب فاذا سفرة مغطاة بمنديل فرفع عيسى راسه واستوى قاعدا فقال لينظر من كان
خيرنا واحسننا عملا لربه واوثقنا بنفسه فليكشف عن هذه الاية حتى ننظر اليها ونحمد ربنا
عليها وناكل منها فقال الحواريون فانت اولى بذلك واحقنا يا روح الله وكلمته فقام عيسى وتوضا
وضوءا حسنا وصلى صلاة حسنة وبكى بكاء طويلا ثم اقبل حتى جلس عند السفرة ثم قال بسم الله
خير الرازقين وكشف المنديل فاذا سمكة مشوية ليس لها فلوس ولا فيها شوكة يسيل السمن منها
سيلانا وقد وضع حولها من الوان البقول الا الكراث وخل عند راسها وملح عند ذنبها
وخمسة ارغفة على كل رغيف زيتون وخمس رمانات وتمرات فقال شمعون وهو راس الحواريين
يا روح الله وكلمته امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة فقال عيسى عليه السلام ما اخوفنى
عليكم ان تعاقبوا فقال شمعون لا واله بنى اسرايل ما اردت بما سالتك عنه سوءا فقال عيسى نزلت

Copyright King Saud University

وما عليها من السماء شيء وليس شي منها من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة وهو ما ابتدعه الله تعالى
بالقدرة الغالبة فقال كن فكان فكلوا مما سألتم واذكروا اسم الله واحمدوا الهكم واشكروه يزدكم
فانه القادر على ما يشاء فقال الحواريون يا روح الله كن انت اول من ياكل منها ثم ناكل نحن فقال عيسى
معاذ الله بل ياكل منها الذى سالها وطلبها ففرق الحواريون ان يكون نزولها سخطة وفيها مثلة فلم
ياكلوا منها فدعا عيسى اهل الفاقة والزمانة من العميان والمجذومين والمجذلين والمجانين ونحو هولاء من
انواع اهل البلا يا من الناس فقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واية من ربكم وليكن مهنأها لكم
وبلاؤها لغيركم فاكلوا فصدر عن تلك السمكة والطعام الف وثلثماية من بين رجل وامراة شباعا من بين
فقير جايع وذى فاقة وعيب فنظر عيسى الى السفرة فاذا هى كهيئتها حين نزلت من السماء ثم رفعت السفرة
الى السماء وهم ينظرون اليها ساعة وينظرون الى ظلها حتى توارت فاستغنى كل فقير اكل منها يومئذ حتى
مات وبرئ كل مبتلى فلم يزل صحيحا غنيا حتى مات وندم الحواريون وساير الناس ندامة شابت حواجبهم
واشفار عينيهم فكانت اذا نزلت بعد ذلك اقبلوا اليها من كل مكان يسعون يزاحم بعضهم بعضا الاغنياء
والفقراء والرجال والصغار والكبار وكل صحيح ومريض يركب بعضهم بعضا فلما راى ذلك عيسى جعلها نوبة
بينهم كانت بعد تنزل غبا اى تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود ترعى يوما وترد يوما فلبثوا بذلك اربعين
يوما تنزل ضحى فلا تزال موضوعة يوكل منها فاذا فاء الفيء ارتفعت صاعدة فى السماء ينظرون اليها والى ظلها
فى الارض حتى تتوارى عنهم ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مايدتى ورزقى لليتامى والزمنى
والفقراء دون الاغنياء من الناس فتعاظم ذلك عند الاغنياء واذاعوا القبيح وارتابوا وشككوا الناس فيها حتى
وقعت الفتنة فى قلوب المرتابين وحتى قال قايلهم يا روح الله وكلمته ان المايدة لحق انها تنزل من عنده تعالى
فقال عيسى عليه السلام ويلكم هلكتم العذاب نازل الا ان يعفو الله ويرحم فاوحى الله تعالى الى عيسى انى
آخذهم بشرطى الذى شرطت عليهم وانى معذب منهم من كفر بعد نزولها عليهم بعذاب لا اعذبه
احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم قلت ولهذا وجه اخر فنذكر فى موضعه ان شاء الله تعالى فاخبرهم بنزول العذاب عليهم فمسخ
الله تعالى منهم ثلاثة وثلثين رجلا وفى رواية ثلثماية وثلثة وثلثين رجلا خنازير انتهى ما فى التيسير
والله اعلم بذلك كله وقال القشيرى قدس سره طلبوا المايدة ليسكن قلوبهم وكل يطلب على قدر حالته
حالته فمنهم من كان سكونه فى وجدان الطعام يجدها ومنهم من كان سكونه فى فايدة من الموارد يردها
ومنهم ومنهم وعزيز من يجد الغنى عن برهان يتامله او بيان يتطلبه وقال شتان بين امة طلب
نبيهم لهم سكونا بانزال المايدة وبين قوم بداهم بانزال السكينة عليهم من غير سؤال
احد فى حقهم وقال لما وعدهم الانزال حذرهم بالعذاب ليعلم العالمون ان المراد اذا حصل فالخطر اشد
والحال من الآفة اقرب وكلما كانت الرتبة اعلى كانت الآفة اخفى قال بعض مشايخنا سال المايدة من السماء
لا من لما يحصل فيها من الروحانية والجسمانية والملكوتية غير ممزوجة بعناصر الدهر الذى يتولد منه
عصيان الله تعالى والاشارة الى مايدة الاسرار والحقايق التى ينزلها من سماء العناية والتوفيق عليها
اطعمة الهداية لاهل الحق وارباب الصدق يزجون بها اوايل انفاسهم واواخرها فان ارباب الحقيقة يراقبون
الانفاس

الانفاس اولها واخرها لتصعد بتوفيق الله معه ولتهوى بجنايته كذلك ففى صعود النفس معه يكون
عيدا لاهل العرفان وفى هويته معه كذلك ثم اشار الى انهم كما هلكوا بالتفريط فى شكر تلك النعمة هلكوا اشد
منها فى الافراط فى حقه حتى استحق اللوم من جهتهم فقال توبيخا وتبكيتا وتقريعا لتلك الكفرة الفجرة واذ
قال الله يا عيسى ابن مريم اى اذكر اذ يقول الله لعيسى فى القيمة توبيخا لقومه اشار بتسميته الى نفى
الالهية وبامه فنمامه الى نفى ولديته اختلفوا فى ان هذا القول متى يكون فقال السدى قال الله تعالى هذا
القول لعيسى حين رفعه الى السماء لان حرف اذ يكون للماضى وقال ساير المفسرين انما يقول الله له هذا القول
يوم القيمة بدليل قوله تعالى من قبل يوم يجمع الله الرسل وقال بعد هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
واذ ههنا بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعنى اذا فزعوا والقيمة وان لم تكن بعد ولكنها
كالكاينة لانها اتية لا محالة أانت ايها المرسل لدعوة الناس الى التوحيد قلت للناس بلغت عن
ذلك اللام فيه للتبليغ فقط اتخذونى وامى الهين لانما يكونان من دون الله قال ابو السعود الاتخاذ
اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ
ومحله النصب على انه حال من فاعله اى متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اى كاينين من
دونه تعالى وايا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشتراكهما به سبحانه والحاصل ومعنى دون اما المغايرة فيكون
فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور فى المرتبة فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله تعالى وكانه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله تعالى فى قوله اتخذونى وامى من دون الله
مريم توبيخ عظيم بانك قلت مع كونك مولودا وامك والدة ان يتخذوكما الهين مع ان الاله لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد فان قيل فما وجه هذا السوال مع علم الله عز وجل ان عيسى لم يقله قيل هذا السوال
عنه لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة كما يقول القايل للاخر افعلت كذا وكذا فيما يعلم انه لم يفعله اعلاما
واستعظاما لا استخبارا واستفهاما وايضا اراد الله عز وجل ان يقر عيسى على نفسه بالعبودية فيسمع قومه
ويظهر كذبهم عليه انه امرهم بذلك قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت
من اصل كل شعرة عين من دم قلت هذا حال من لم يذنب قط فكيف حال من غرق فى بحر الذنوب اذا خوطب
بالعتاب علام الغيوب ثم يقول مجيبا لله عز وجل تبرية لنفسه عن امره اياهم بذلك قال سبحانك
اى انزهك تنزيهك الكامل يعنى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريكا ما يكون لى اى ما يصح
منى بعد اذ بعثتنى لهداية الخلق ان اقول فى حق نفسى ما ليس لى بحق اى للحق ولا
ينبغى ولا يصح ان اقوله يعنى ما استقر فى قلوب العقلاء عدم استحقاقى له مما يضلهم وقد قلت فى المهد
انى عبد الله فكيف اقول بخلافه فى الكبر ان كنت قلته هذه الشرطية وان كانت ماضية اللفظ
فهى مستقبلة فى المعنى والتقدير ان تصح دعواى لما ذكر وقدره الفارسى ان اكن الان قلته
فيما مضى لان الشرط والجزاء لا يقعان الا فى المستقبل فقد علمته اى فقد تبين وظهر علمك به
قبل ان اقول فكيف ارسلت للهداية من علمته والحاصل انى لا احتاج الى الاعتذار لانك تعلم انى لم اقله
ولو قلته علمته لانك تعلم ما فى نفسى اى تعلم ما اخفيه كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما فى نفسك

Copyright King Saud University

بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك واتى بقوله ما في نفسك على جهة المقابلة
والمشاكلة وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته وهي هنا قوله ما في نفسي وقيل المراد بالنفس الذات
وقال ابن عباس رضي الله عنهما تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقال المبرد اي تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم
وتعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي اي لا اطلع على معنى خطابك هذا وقيل نفس الشيء ذاته وهويته وقيل تعلم ما في
حقيقتي ولا اعلم ما في نفسك حتى ما يتعلق بنفسي من علمك بخفايا احوالي وتعلم ما في سري ولا اعلم ما في سرك وقال
ابو روق تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في الآخرة وقيل تعلم ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك والمعنى كله متقارب
بعضه لبعض **انك انت علام الغيوب** تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه لافادته الحصر اي اثبات
علم الغيب لله تعالى ونفيه عمن سواه فالاثبات تقرير لتعلم ما في نفسي لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيب
والنفي تقرير لا اعلم ما في نفسك لانه غيب وغير الله لا يعلم الغيب لان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه
علم احد قال الشيخ علي بن بري تعلم ما غاب عني من صفات نفسي وضمايرها كمن لو كانت في ما كنت مرسلي فدل
ارسالك علي اني **ما قلت لهم الا ما امرتني به** اي ما امرتهم الا بما امرتني به ثم فسر ما امر به فقال
ان اعبدوا الله ربي وربكم اي وحدوه واطيعوه ولكن كلما خبر الله عنه بقوله وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم وقال في سورة الزخرف ان الله هو ربي وربكم ونحوه في سورة مريم فان معناه اي
وضع القول موضع الامر نزولا على قضية الادب الحسن ليلا يجعل نفسه وربه امرين معا لما شاع عيسى عن ان
يجعل نفسه في سلك الرب في الكون امرا وان اعبدوا الله بيان للضمير في به او بدل منه ولا يجوز ابدا له
من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ثم قال عيسى عليه السلام لا يتوجه علي ما احدثوا
بعدي لاني انما **كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** اي كنت رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان مدة كوني فيهم **فلما** رفعتني الى السماء فصرت كانك **توفيتني** اي
قبضتني بذلك الرفع قال الشيخ معناه فلما اخذتني من الارض بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك الي
والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها **كنت انت الرقيب عليهم** اي الناظر والمراقب والحفيظ لاحوالهم واعمالهم فتمنع من القول به من اردت
عصمته بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات **وانت على كل شيء شهيد**
اي مطلع على قولي وفعلي وقولهم وفعلهم **ان تعذبهم** من اقام على الكفر من الناس **فانهم عبادك**
اي ان تعذبهم بما شهدت منهم من اتخاذهم اياي وامي الهين فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على
المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك قال الزجاج
علم عيسى عليه السلام ان منهم من آمن ومنهم من اقام على الكفر فقال في جملتهم ان تعذبهم اي ان تعذب
من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وانت العادل في ذلك
فانهم كفروا بعد وجوب الحجة عليهم **وان تغفر لهم** اي لمن اقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك **فانك انت
العزيز** اي انت عزيز غالب على امرك لا يمتنع عليك ما تريد وانت **الحكيم** في صنعك لا تثيب المؤمن ولا
تعاقب الكافر الا عن حكمة وصواب قال البغوي ويدخل في حكمته وسعة رحمته ومغفرته الكفار لكنه اخبر انه لا يغفر
لهم وهو لا يخلف خبره وهذه الآية في قراءة الناس ومصاحفهم العزيز الحكيم وفي مصحف ابن مسعود وقرأ به جماعة
الغفور

الغفور الرحيم وقد عيبت بعض من لا يفهم كلام العرب بهذه وقال انما كان المناسب ما في مصحف ابن مسعود
وخفي عليه ان المعنى متعلق بالشرطين وان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى
حكم الله تعالى والمقام مقام هذا لا ذاك ويوضح هذا ما قاله ابو بكر ابن الانباري فانه نقل هذه القراءة الى
من بعض الطاعنين ثم قال ومعنى نقل الى ما قاله هذا الطاعن ضعيف معناه فانه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط
الثاني ولا يكون له بالشرط الاول تعلق وهو على ما انزل الله وعلى ما اجمع على قراءته المسلمون معروف
بالشرطين كليهما اولهما وآخرهما اذ تلخيصه ان تعذبهم فانت العزيز الحكيم وان تغفر لهم فانت العزيز
الحكيم في الامرين كليهما من التعذيب والغفران فكان العزيز الحكيم اليق بهذا المكان لعمومه وانه يجمع الشرطين
ولم يصلح الغفور الرحيم ان يحتمل من العموم ما احتمله العزيز الحكيم وكلامه فيه ثقة وذلك انه لا يريد بقوله
انه معروف بالشرطين الى آخره انه جواب لهما صناعة لان ذلك فاسد من حيث الصناعة العربية فان
الاول قد اخذ جوابه وهو فانهم عبادك وهو جواب مطابق اذ معناه ان تعذبهم فانك تعذب عبادك الذين
استحقوا العذاب بكفرهم ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه فان العبد قابل لتصرف سيده وخالقه
ومالكه المطلق كيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانما يريد بذلك انه متعلق بالشرطين جميعا
من جهة المعنى وقد اكثر الناس في الكلام على هذه الآية مما لا يحتمله هذا الموضع وانما تعرضت لبعضها لتعلقه
بالقراءة الشاذة والرسم الشاذ فان قلت ان انما تستعمل في المشكوك فكيف استعملها عيسى عليه السلام
فيما تحقق الجزم به اي بعدمه قلت ان التعذيب والغفران ممكن في نفسه بغير وجود احدهما
نظرا الى الخارج فالعفو عن الكافر في الآخرة جائز عقلا وانما امتنع لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اجيب ايضا بانه تعالى لما قال لعيسى عليه الصلاة والسلام أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله علم ان قوما من النصارى حكوا هذا الكلام عنه والحاكي
هذا الكفر لا يكون كافرا بل مذنبا بكذبه في هذه الحكاية وغفران الذنب جائز فلهذا طلب المغفرة وايضا
بان المعنى ان تعذبهم باقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم بالايمان وهذا يستقيم على قول السدي ان
هذا السؤال كان عند رفعه الى السماء قبل يوم القيامة لان قبول الايمان في القيامة لا ينفع وايضا بان هذا الترديد
في فريقين منهم معناه ان تعذب من كفر منهم وان تغفر لمن آمن منهم وهذا موافق لقول الزجاج واقرب
الى القبول وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك
الآية فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاسأله ما يبكيك
فاتاه جبريل فسأله فاخبره النبي بما قال فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في
امتك ولا نسوءك **قال الله** مخبرا عن كلامه لعيسى بالسؤال الذي تقدم ذكره **هذا** اي هذا
الكلام الذي بيني وبين عيسى واقع **يوم ينفع الصادقين صدقهم** قرأ الجمهور يوم بالرفع من
غير تنوين ونافع بالنصب من غير تنوين اما قراءة الجمهور فواضحة على المبتدأ والخبر والجملة في محل
النصب بالقول واما قراءة نافع ففيها وجهان احدهما ان هذا مبتدأ ويوم خبره كالقراءة الاولى
وانما بني الظرف لاضافته الى الجملة الفعلية وان كانت معربة وهذا مذهب الكوفيين واستدلوا

Copyright King Saud University

عليه بهذه القراة واما البصريون فلا يجيزون البناء الا اذا صدرت الجملة المضاف اليها بفعل ماض وخرجوا
هذه القراة على ان يوم منصوب على الظرف وهو متعلق في الحقيقة بخبر المبتدا اى هذا واقع
في يوم ينفع فيستوى هذا مع تخريج القراة الاولى وثانيهما ان يوم بالنصب ظرف لقال وخبر هذا
محذوف والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ماكان حال التكليف من الصدق المستمر بهم
في الدنيا والاخرة كصدق عيسى وغيره من الانبياء والمومنين كما في قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا
بالله ورسوله الى قوله اوليك هم الصادقون ومن وصية شيخنا عبد القادر الجيلاني مكرك الصدق
ثم بين ثواب الصادقين فقال **لهم جنات** اى من غرس صدقهم **تجرى من تحتها**
الانهار اى كما جرى لهم من صدقهم انهار المعارف والاعمال الصادقة والخصص لهم ذلك بيوم دون
يوم بل يكونون **خالدين فيها ابدا** واعلم انه تعالى اينما ذكر الثواب قال خالدين فيها ابدا وانما
ذكر عقاب الفساق من اهل الايمان فيذكر لفظ الخلود ولم يذكر لفظ التابيد وانما ذكر التابيد لاهل
الثواب لانهم **رضى الله عنهم** لصدقهم وطاعتهم وسعيهم المشكور **ورضوا عنه** تحقيقا
لصدقهم فلا يسخطون لقضائه يعني ورضوا عنه بالمغفرة ودخول الجنة والفوز بالرضوان **ذلك**
الثواب المذكور **الفوز العظيم** بيان للنفع الذي لا يناله اهل التكذيب ثم قال لعظم الكبريائه
وعظمته **لله ملك السموات والارض وما فيهن** اى خزاين المطر والنبات والرزق وغيرها
وعيسى وامه من جملة ذلك فهما مملوكان له فكيف يكونان الهين **وهو على كل شيء**
قدير وهو سبحانه قادر عليهما فهما مقدوران له فكيف يكونان ربين فهو تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعواهم في المسيح وامه ولم قال وما فيهن ولم يقل ومن فيهن لتغليب غير العقلاء على العقلاء رعى
التيسير وروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المايدة
شفع له عيسى عليه السلام واعطى مثل اجر حوارى عيسى عليه السلام وكتب له بكل اية قراها
مثل ثواب عمار بيت المقدس نسال الله ان ينفعنا لمرضاته ويجعلنا من الفايزين لحسنا تراه على كل شيء
قدير ❁ تم المايدة ولله الحمد وهذا شروع **في سورة الانعام** سميت بها لان اكثر احكامها
وجهالات المشركين فيها وفي التقرب بها الى اصنامهم مذكورة فيها وقد اشتملت على اكثر حججها الا انهم ويتم
ظهورها بها **وهى مكية الا ست ايات** نزلت بالمدينة يعنى قوله تعالى وما قدروا الله حق
قدره الى اخر ثلاث ايات وقوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر ثلاث ايات فهذه الست الايات
مدنيات ونزلت سايرها جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك يشيعونها قد سدوا ما بين
الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتقديس والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله العظيم وخر
ساجدا ثم دعى الكتاب فكتبوها من ليلتهم وعدد اياتها مائة وستون وخمس ايات في الكوفي وست
في البصري روى عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا سورة الانعام صلى عليه السبعون
الف ملك بعدد كل اية من الانعام يوما وليلة وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا من
سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمة

ويترك

ويترك ملك من السماء السابعة ومعه ارزبة فاذا اراد الشيطان ان يوسوس له او يوحى في
قلبه شيئا ضربه بها ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيمة قال الرب تعالى امش
في ظلى يوم لا ظل الا ظلى وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت
عبدى وانا ربك وانتظام هذه السورة بسورة المايدة ان تلك السورة في رد مقالات اهل الكتاب وهذه
السورة في ~~بيان التوحيد وبها تتم~~ رد مقالات المشركين وان تلك السورة في بيان الاحكام وهذه السورة
في بيان التوحيد وبها تتم العبادة وربط هذه السورة باخر المايدة انه لما قال لله ملك السموات
والارض لم ذكر هذه السورة المشتملة على دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وابطال مذهب المبطلين
والملحدين اثباتا له فقال **بسم الله الرحمن الرحيم**
الحمد لله اى جميع المحامد بما حمد به نفسه او خلقه او حمد به الخلق ربهم او بعضهم مخصوص
به سبحانه وهو الوصف بالجميل ثابت له سبحانه وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به او الثناء
به او هما احتمالات افيدها الثالث قاله المحلى في سورة الكهف ولفظ الحمد مفرد محلى باللام يفيد
ان هذه الماهية لله وذلك يمنع من ثبوت الحمد لغيره قال المحقق اعلم ان المحمود والمشكور في الحقيقة
هو الله لان صدور الاحسان من العبد يتوقف على حصول داعية الاحسان في قلب العبد وحصول
تلك الداعية في القلب ليس من العبد والا لا افتقر في حصولها الى داعية اخرى ولزم التسلسل بل
حصولها ليس الا بتوفيق الله تعالى والهامه فتلك الداعية عند حصولها يجب الفعل وعند زوالها يمتنع
الفعل فالمحسن في الحقيقة ليس الا الله فيكون المستحق لكل حمد في الحقيقة هو الله وقد فهمني هذه
الدقيقة واللطيفة سيدى عبد الله لطف الله به في الدارين وهذه المسالة طويلة الذيل فلنرجع الى
ما نحن بصدده قال مقاتل قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ربك فقال الذى خلق السموات والارض
فكذبوه فانزل الله عز وجل ردا عليهم وتصديقا لنبيه الحمد لله **الذى خلق السموات والارض**
قال السلطان اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون
حجة على الذين هم بربهم يشركون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبايعها مختلفة بالذات
متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وخلقها بغير عمد من تحتها
ولا علاقة من فوقها ولا سلسلة من جوانبها قال المفسرون خلقها في يومين الاحد والاثنين والارض
كذلك يعني في يومين الثلاثا والاربعا **وجعل** اى انشا وخلق **الظلمات والنور** اى كل ظلمة
ونور وجمع الظلمة دون النور لكثرة اسبابها وهذا من دلايل وحدانيته عز وجل وقدمت الظلمات
في الذكر لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم
الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل قال الشيخ ايضا وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام
الحاملة لها لانه ما من اجناس الاجرام الا وله ظل فظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد
وهو النار ولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد هكذا روى
ابن عباس رضي الله عنهما وقال الواقدى كلما في القران من الظلمات والنور هو الكفر والايمان الا في هذه
الاية فانه يريد به الليل والنهار وروى عن الضحاك انه قال هذه الاية نزلت تكذيبا للمجوس في قولهم الله

Copyright King Saud University

خالق النور والشيطان خالق الظلمات تباً لهم وفى التيسير انه رد على الوثنية فى اضافة خلق النور الى يزدان
وخلق الظلمات الى اهرمن وعلى ذلك خلق كل خير وشر واعلم ان جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى
احدث وانشا والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين كانشاء شئ او تصيير شئ
شيئا او نقله من مكان الى مكان وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما ولذلك عبر عن احداث
النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية بل الظلمات من الاجرام المتكاثفة
والنور من النار وفى التيسير وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
خلق خلقه فى ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور يومئذ فقد اهتدى ومن اخطاه ضل
وقال ابن عباس خلق الله الظلمة قبل النور وقال قتادة خلق الله السموات قبل الارض والظلمة قبل النور و
الجنة قبل النار قالوا خلق الله السموات اولا لانها اشرف من الارض وخلق الظلمة اولا لانها مثال للشك
والحيرة ثم يجليها البيان والبرهان وفى بعض التفاسير جعل الظلمات والنور لانه خلقهما كان قبل خلق
السموات والارض قال وهب بن منبه اول ما خلق الله مكانا مظلما ثم جعل جوهرة فاضاء ذلك
المكان ثم نظر الى الجوهرة نظر الهيبة فذابت فصارت ماء وقيل انما جمع الظلمات ووحد النور لانه مصدر
كالطول والعرض فيستوى فيه الواحد والجمع انتهى ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ وثم عطف على قوله
الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة على العباد ثم الذين كفروا مع قيام الدلائل
والبرهان على وحدانيته يسوون الاوثان فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء
اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمدوا عليها ولا يكفروا او عطف على قوله خلق على انه خلق ما لا يقدر
عليه احد سواه ثم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدلهم بعد هذا البيان والباء
على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اى يسوونها به وفى التيسير وكلمة ثم كلمة تعجب يقول الرجل لاخر انى فعلت بك كذا وكذا ثم تجفونى اى من العجب
هذا ونظيره فى القران ثم انتم تمترون ثم يطمع ان ازيد كلا ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعنى الاية ثم المشركون
مع اقرارهم بان الله خلقهما يعدلون بربهم سواه اى يسوون به الاوثان قاله قطرب يقال عدل الكافر بربه
عدلا وعدولا اذا سوى به غيره فعبده والعدل التسوية عدل الشئ بالشئ اذا سواه به وقال النضر
ابن شميل بربهم يعدلون اى عن ربهم يميلون وينحرفون وهو كقوله يشرب بها عباد الله اى منها انتهى وقال الربيع بن
انس من اول السورة الى قوله يعدلون فى التوراة ستمائة اية هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ اى هو الله الذى
خلق السموات والارض والظلمات والنور خلقكم من ادم وادم من تراب وخلط ترابه بالماء فصار طينا ثم صار
حماء مسنونا ثم صلصالا ثم بشرا سويا وقال القشيرى قدس سره انبت القوالب من الطين واودعها عجائب
السر واظهر عليها ما لم يظهر على مخلوق فالعبرة بالوصل لا بالاصل الاصل تربة والوصل قربة والاصل
نطفة وقطرة والوصل تحفة ونظرة ومن فى من طين لابتداء الغاية اى ابتداء خلق اصلكم يعنى ادم منه
قال السدى بعث الله تعالى جبريل الى الارض لياتيه بطائفة منها فقالت الارض انى اعوذ بالله منك
ان تنقص منى فرجع ولم ياخذ فقال يا رب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت

فعاذت

فعاذت منه بالله فقال فانا اعوذ بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه الارض فخلط احمر
واسود وابيضا فلذلك اختلفت الوان بنى ادم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت
اخلاقهم فقال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من
اخلق من هذا الطين بيديك ثُمَّ اى بعد ما تم خلقكم قَضَىٰ أَجَلًا اى حكم وقدر لكم يا بنى ادم مدة
تموتون عند انتهائها وهو اجل الموت ووقته الذى كتب فى جباهكم هذا هو اجل الاول ثم اشار الى
اجل الثانى بقوله وَأَجَلٌ اى مدة مُسَمًّى اى معين عِنْدَهُ اى مثبت عند الخالق لا يعلمه غيره ولا يقبل
التغيير اصلا وهو اجل القيمة ومنتهاها واجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره وقيل الاول ما بين الخلق
والموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها كما يقال
اجل الدين سنة وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول اجال الماضين من الخلق والثانى اجال
الباقين منهم واجال من لم يات بعد وقيل هما واحد ثُمَّ اى بعد هذا البيان أَنْتُمْ ايها الكفار تَمْتَرُونَ
اى تشكون فى البعث بعد علمكم انه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر فالاية
الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث قال القشيرى قدس سره جعل الله تعالى للامتحان اجلا
وللامتنان اجلا فاجل الامتحان فى الدنيا واجل الامتنان فى العقبى قال ويقال ضرب للطلب اجلا
وهو وقت المهلة ثم عقبه باجل بعده وهو وقت الوصلة فالمهلة لها مدى ومنتهى والوصلة لا مدى
لها ولا منتهى وَهُوَ الضمير لله اللَّهُ مبتدأ وخبر فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ اى هو الههما والظرف
متعلق باسم الله يعنى بالمعنى الوصفى الذى ضمنه لفظ الله والمعنى وهو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله
تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او هو المعروف بالالهية والمتوحد بالالهية فيهما او هو الذى
يقال له الله لا يشركه فى هذا الاسم غيره سبحانه او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هى الخبر
والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد
فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما وقوله يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ
بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلة المصدر لا يتقدم عليه قيل هو مقدم فى التقدير اى
هو الذى يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض قال مقاتل يعلم سر اعمالكم وجهرها وقيل يعلم ما يسرون
من القول وما يجهرون به وهو كقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال محمد بن جرير معناه وهو
الله فى السموات ويعلم سركم وجهركم فى الارض وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ اى ما تعملون من خير وشر قال
بعضهم قيل اى يعلم سركم اى ما تضمرون فى القلوب وجهركم ما تنطقون به ويعلم ما تكسبون من الفعال
التى تعمل بالجوارح يعلم ذلك كله يحصيه ويحاسبكم به ويجزيكم عليه قال تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله قال وقيل يعلم سركم اى ما خلق فى اعضائكم من الاسرار كالسمع فى الاذن والبصر
فى العين والشم فى الانف والنطق فى اللسان وجهركم اى ظواهر هذه الاعضاء والبشر لا يعرفون
هذه الاسرار حقايقها وعبارة السلطان لعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال
الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح اقول الكسب اخص من الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضى الى
اجتلاب نفع او اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب لانه سبحانه منزه عن جلب نفع

Copyright © King Saud University

اودفع ضرر وافراد الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير ولكونه اهم حسن لا يلزم منه عطف الشئ
على نفسه والمراد انه عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب او عقاب وما تأتيهم من
آية من آيات ربهم اى وما يظهر قط لاهل مكة من آيات كالقران وانشقاق القمر وغيره لكن من
الادلة التى يجب فيها النظر والاعتبار الا كانوا عنها معرضين اى تاركين للنظر لا يلتفتون
اليه لقلة خوفهم وتدبرهم فى العواقب ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفى واستغراقه وتعميمه والثانية
للتبعيض وهكذا فسر السلطان غنى تفسيرنا بقوله اى ما يظهر لهم قط دليل من الادلة او معجزة من المعجزات
او آية من آيات القران انتهى قال ابن عباس من آية هى انشقاق القمر وكان بمكة الا كانوا عنها معرضين
اى مكذبين ولذلك ذكر التكذيب فيما بعده وهو قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قال ابن عباس
رضى الله عنهما اى بالقران وبمحمد عليه السلام وقال مقاتل فقد كذبوا اى ابو جهل والوليد وامية بن خلف
وبعض خص الحق بالقران على معنى انهم لما اعرضوا عن القران الذى تحدوا به فعجزوا عنه وكذبوا به وهو اعظم
الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن والانباء جمع نبأ
وهو ما يعظم وقعه من الاخبار فى عواقب الامور اى سيظهر لهم وبال استهزائهم عند نزول
العذاب بهم فى الدنيا كيوم بدر او فى الاخرة او عند ظهور الاسلام وغلبته ثم انه تعالى لما ذكر قبائحهم
اتبعه بما يجرى مجرى الموعظة وعظهم بالقرون الماضية فقال الم يروا اى للمكذبين فى اسفارهم الى
الشام وغيرها كم خبرية بمعنى كثير اهلكنا من قبلهم اى من قبل اهل مكة من اهل قرن اى من امة
من الامم الماضية كعاد وثمود وغيرهما واختلفوا فى الرؤية وفى كم وقرن والظاهر ان كم يجوز ان تكون
استفهامية وخبرية وعلى كلا التقديرين فهى معلقة للرؤية عن العمل لان الخبرية تجرى مجرى
الاستفهامية فى ذلك ولذلك اعطيت احكامها من وجوب التصدير وغيره والرؤية هنا علمية ويضعف
كونها بصرية فان كانت علمية فكم وما فى حيزها سادة مسد المفعولين وان كانت بصرية فمسد
واحد وكم يجوز ان تكون عبارة عن الاشخاص فتكون مفعولا بها ناصبها اهلكنا ومن بتبيين
لابهامها اى كثيرا من القرون اهلكناها وان تكون عبارة عن المصدر فتنتصب انتصابه باهلكنا
اى اهلاكا ومن قرن على هذا صفة لمفعول اهلكنا اى اهلكنا قوما او فوجا من القرون لان قرنا يراد
به الجمع ومن تبعيضية والاولى لابتداء الغاية والقرن القوم المقترنون فى زمان من الدهر المفترقون
بعد ذلك بالموت وذلك الزمان قد اختلفوا فيه فالاكثر على انه مائة لما روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازنى انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة وقيل فى الاغلب ستون سنة وقيل
سبعون وقيل ثمانون وقيل القرن الزمان نفسه فالآية على حذف المضاف تقديره من اهل قرن
وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم قلت المدة او كثرت سموا بذلك لاقترانهم به
مكناهم فى الارض اى اثبتناهم فيها ممكنين اباهم واعطيناهم فيها كناية عن طول اعمارهم كما ان
تأليه كناية عن بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ من مكن له اى جعل له مكانا وهما
متقاربان وهكذا جمع بينهما فى الآية فكانه قيل اعطيناهم اى عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الاجسام والسعة
فى الاموال ما لم نعط لكم يا اهل مكة ما يقرب منه والالتفات للتنبيه والتمييز بينهم وبين المحكى عنهم وارسلنا

السماء عليهم اى المطر او السحاب اى المظلة فان مبدأ المطر منها فان المطر ينزل من الفلك الى السحاب
ومن السحاب الى الارض والمراد بارسال السحاب على هذين التقديرين ارسال مطره مدرارا اى متتابعا
كثيرا عند الحاجة فهو حال من السماء وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم اى من تحت بساتينهم ومساكنهم
فعاشوا فى الخصب والرخاء بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى بسبب تكذيبهم الانبياء
وبكفرانهم نعم الله ولم يغن ذلك عنهم شيئا ولم يدفع العذاب وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين
اى واحدثنا وخلقنا بعدهم قوما آخرين بدلا منهم فليحذر هؤلاء ان ينالهم مثل ما نال اولئك اذا فعلوا فعلهم
والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود واصحاب مدين ويبنى آخرين مكانهم يعمر بهم بلاده
قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا اى مكتوبا فى قرطاس اى فى ورق او رق ولا يقال قرطاس
الا اذا كان مكتوبا والا فهو طرس وكاغذ فلمسوه ابلغ من عاينوه بايديهم اى فمسوه وتخصيص
اللمس لان التزوير والحيل لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولان اللمس يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدى مع ان اللمس لا يكون الا باليد لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص عن الشئ اى
للبحث عنه كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا تعنتا نجد قوله فلمسوه بايديهم للتجيل عليهم
بالكفر والعناد ان اى ليس هذا المعظم بهذه الوجوه الدالة على انه لا يكون الا من الله الا سحر
مبين لنفسه لا يحتاج الى بيان معناه انه لا ينفع معهم شئ لما سبق من علمه وهذا دليل على عنادهم
ونهاية خبثهم وتمردهم وفسادهم قال الكلبى فى معنى الآية اى ولو نزلنا عليك كتابا اى القران فى صحيفة
اى مكتوبا فى بياض فلمسوه بايديهم اى مسوه ولم يقل عاينوه بابصارهم لان ذلك ثابت مقتضى الانزال
وهو مكتوب معاين واراد به المعنيين اى عاينوه بابصارهم ومسوه بايديهم لقالوا ما هذا الا سحر ظاهر نزلت
فى النضر بن الحارث وعبد الله بن امية المخزومى ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب
من عند الله جملة ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فنزلت ولو نزلنا
الآية وفيها قطع طمعه عليه السلام عن ايمانهم وهو فى قوم علم الله منهم انهم لا يؤمنون كما قال ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة ونظير هذا الاقتراح قوله تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا لولا اى هلا
انزل عليه اى على محمد صلى الله عليه وسلم ملك يشهد له بالرسالة فقال الله ولو انزلنا ملكا كما اقترحوا ثم
لم يؤمنوا لقضى الامر اى لوجب العذاب وفرغ من الامر وهذا سنة الله فى الكفار انهم متى اقترحوا
آية فانزلت ثم لم يؤمنوا بها استؤصلوا بالعذاب ثم لا ينظرون اى لا يؤجلون ولا يمهلون لتوبة او معذرة
وقال قتادة يعجل لهم العذاب ولم يؤخر طرفة عين ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار
والمهلة جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ثم انهم
كانوا يطعنون فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة اخرى وهى انه بشر مثلهم ويقولون ان الرسل اذا
كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم اكثر وقدرتهم اشد فمهابتهم اعظم فاجاب الله عن
مقترحهم بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى لا نفع لهم فيما سألوا لانا لو جعلنا الرسول ملكا
لا انسانا لجعلنا ذلك الملك المرسل فى صورة رجل كما مثل جبريل فى صورة دحية ولو انزلنا على صورة الملك
لم يعاينوه على العادة التى اجراها للناس لان البشر لا يطيق رؤية الملك فى صورته واذ لم يعاينوه لم ينتفعوا

Copy ... King ... University

بكلامه ولقالوا لا ندري انه صوت ملك او غيره ولو انزلنا الملك وجعلناه رجلا للبسنا اى لشبهنا
عليهم ما اى مثل ما يلبسون على انفسهم بان يقولوا ما هذا الا بشر مثلكم لانهم كانوا تارة يقولون لو لا
انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملئكة وفى التيسير ولوقع الالتباس
ههنا كما يقع فى ارسال البشر واللبس والتلبيس تخليط الامر واضافته اليه على معنى انهم لا ينكرون
فى محمد انه بشر وينكرون انه رسول ولو انزل ملك فى صورة رجل لانكروا رسالته وانكروا كونه ملكا
وكان ذلك بانزالنا فيكون اللبس منا حينئذ قال الامام ابو منصور رحمه الله ولا يجوز اضافة
اللبس الى الله تعالى ابتداء ويجوز على وجه المجازاة كما فى الاستهزاء والمكر والخدع قال السلطان
وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرى لبسنا بلام واحد وللبّسنا بالتشديد للمبالغة والتكثير وعن
ابن عباس قال هم اهل الكتاب فرقوا دينهم وحرفوا الكلم عن مواضعه فلبس الله عليهم ما يلبسون ثم قال
فى تسلية رسوله على ما يرى من قومه ولقد استهزئ برسل من قبلك قرأ حمزة وعاصم وابو بكر بكسر الدال
والباقون بالضم على الاتباع فحاق اى احاط من الجوانب كلها او نزل او حل بالذين اى بالمستهزئين
الذين سخروا منهم متعلق بسخروا والضمير للرسل يعنى باولئك الرسل عليهم السلام قال السدى ان
تسخروا منا فانا نسخر منكم والباء فى بالذين متعلقة بحاق وما فى ما كانوا به يستهزءون
فاعل حاق والمعنى فاحاق الشيء الذى كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا وعذبوا من اجل الاستهزاء
به نعلى هذا ما موصولة واما مصدرية اى فنزل بهم وبال استهزائهم به وتقديم الجار والمجرور على
الفعل لرعاية الفواصل قال مقاتل فدار بهم وكانوا يستهزءون بوعيد العذاب فنزل بهم وقال الزجاج اى نزل
بهم مكروه من جهة نعلهم وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ثم امر الله رسوله بان يقول لهم قل سيروا
فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة اى اخر امر المكذبين قال ابن عباس رضى الله عنهما اى سافروا فاعتبروا
بخراب بلادهم وزوال سلطانهم بتكذيبهم انبياءهم كقوله تعالى وانهما لبامام مبين وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون ويحتمل هذا السير بالعقول والفكر ويحتمل السير بالاقدام فان قيل
ما الفرق بين فانظروا بالفاء وبين ثم انظروا بثم ولم يجئ فى القران العطف فى مثل هذا الموضع الا بالفاء
فلم عدل هنا عنه واتى بثم قال الزمخشرى والبيضاوى والمدارك فى الفرق انه جعل النظر مسببا عن
السير فى فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما فى ثم انظروا فقالوا
معناه اباحة السير فى الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر فى اثار الهالكين وقالوا
نبه على الاجابة والاباحة بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قال بعض مشايخ بلادنا ولا يخفى ان ما ذكروهم
من الفرق اولا مناقض لانهم جعلوا النظر متسببا عن السير فكان السير سببا للنظر ثم قالوا فكانه قيل
سيروا لاجل النظر فجعلوا السير معلولا بالنظر والنظر سبب له فتناقضا ودعوى ان الفاء سببية
لا دليل عليها وانما معناه التعقيب فقط واما زنا ماعز فرجم نفهم السببية من قرينة غيرها ولئن سلم
افادتها السببية فلم كان السير هنا سير اباحة وفى غيره سير ايجاب فتامل قال بعضهم اراهم ايات سمعية
فلم ينفعهم ذلك فامرهم بالنظر فى الايات الحسية وقال الامام القشيرى قل سيروا ببنوك دون الارض

واستبعدوا الطول منها والعرض ثم انظروا هل انفلت من حكمنا احد وهل وجد من امرنا ملتحد قل
لمن ما فى السموات والارض قل لله اى قل يا محمد للمكذبين المستهزئين لمن ملك ما فى السموات وما فى
الارض فان اجابوك فذاك والا فقل انت لله عقيب سؤالهم ليكون ابلغ فى التاويل واكد فى الحجة
وهو سؤال توبيخ وتبكيت وكانوا مقرين بان الله هو الخالق والمالك فليس لهم ان يجعلوا مع
الله من خلقه وملكه شريكا وكذا اذا كان ذلك كله له فهو قادر على ان يعاجلهم بالعذاب واتصال
هذا بالاول من هذين الوجهين وقوله قل لله اى ان لم يقولوا هم انه لله فقل انت انه لله لا جواب
غيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اشار الى
استعطافه للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخباره بانه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة ويقبل الانابة
والتوبة فقال كتب على نفسه الرحمة اصل كتب اوجب والزم ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره فان
العبد لا يجب له على الله شيء لكن سبيله سبيل ما ذكر بكلمة على من قوله على الله رزقها علينا نصر
المومنين والمراد به انه وعد ذلك وعدا موكدا وهو منجزه لا محالة وقال الحسن حكم على نفسه بالرحمة
للتوابين ان يدخلهم الجنة فانما يدخلونها برحمته لا باستحقاقهم وقال بعضهم كتب على نفسه الرحمة
ان جعل لهم الجمع يوم القيمة وفيه اثابة المطيعين وتعذيب العاصين داع فى الدنيا الى التوبة وترك
المعصية وفعل الطاعة وهو من الرحمة وقيل ومن رحمته تاخير العذاب عنهم الى يوم القيمة وهذا من
رحمته فى حق هذه الامة فان الامم الماضية عذبوا لما كذبوا وقوله تعالى ليجمعنكم هذا جواب قسم
محذوف وقع موقعه كتب الى يوم القيمة لا ريب فيه اى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين
او محشورين الى يوم القيمة لا شك فى ذلك اليوم او الجمع فيجازيكم على شرككم وساير معاصيكم وان امهلكم
من جنب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية او تكون الى بمعنى اللام اى ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه او تكون بمعنى فى اى ليجمعنكم فى يوم القيمة الذين خسروا انفسهم
منصوب على الذم اى اريد الذين خسروا انفسهم باختيار الكفر على الايمان او مرفوع على الذم اعنى الذين
الخ او هم الذين او هو مبتدا والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون الخسران ذهاب راس المال اى من
فاتته نفسه وهلكت فى الحقيقة فهو الذى لا يؤمن وقال القشيرى قل لمن ما فى السموات والارض سايلهم
هل فى الديار ديار ۞ وهل للكون بعد الحق مقدار ۞ فان تقوا عن جواب يشفى ۞ فقل الله فى
الربوبية يكفى ۞ وقال فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اى اخبر وحكم واراد كما علم ۞ فمن تعلق
بحاجته علمه ۞ سبق بدرجاته حكمه ۞ ومن علمه فى ازاله انه يشقى ۞ نقدر شقاوته فى البلا يبقى
وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب فى كتاب وفى
نسخة كتب كتابا فهو عنده فوق العرش رحمتى سبقت غضبى وفى رواية ان رحمتى سبقت غضبى وعنه
ايضا فى رواية اخرى انه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى
غلبت غضبى وفى رواية عنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله مائة رحمة واحدة بين الجن والانس
والهوام والبهايم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تتعاطف الوحش على اولادها واخر تسعا
وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم على النبى صلى الله

Copyright © King Saud University

عليهم سبي فاذا امراة من السبي قد تحلب ثديها تسعى اذ وجدت صبيا في السبي فاخذته فالصقته
ببطنها وارضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم اترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر
ان لا تطرحه قلنا لا فقال لله ارحم بعباده من هذه بولدها فتوكله مدركه في تعلق بنجاته علم
سبق بدرجاته حكمة تشير الى معاني هذه الاحاديث كما لا يخفى على من له مسكة وفطنة قوله تعالى
وَلَهُ عطف على لله **مَا سَكَنَ** اى حل **فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** اى في كل شي فهو ربه وخالقه ومالكه
قال ابن عباس رضي الله عنهما اى وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقال ابو روق ان من
الخلق ما يستقر نهارا وينتشر ليلا ومنها ما يستقر ليلا وينتشر نهارا وقيل اراد به سكون الاشياء
بقدرته وعظمته وقيل معناه وله ما سكن وتحرك لكن اكتفى بذكر احدهما لعلم المخاطب به اختصارا
كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد وقيل سكن اى تمكن وهو كل متحرك وساكن اجرى مجرى
بكل الاشياء انه خالق كل زمان ومكان وله ما يحوي به الامكنة والازمنة **وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** اى
يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولا يخفى عليه شي مما يشتمل عليه الملوان قال البغوي فكذلك هو سميع
لاصواتهم العليم باسرارهم انتهى ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قاله البيضاوي
فكذلك ويؤيد كلامه ما نقل عن الكلبي ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد انا قد
علمنا انه ما حملك على هذا الذي تدعونا اليه الا الحاجة فنحن نجمع لك من اموالنا ما يغنيك حتى تكون من اغنانا
فنزلت قوله اوله ما سكن في الليل والنهار اى ما استقر في الليل والنهار من خلق وقال السميع لمقالة قريش
العليم من حيث بن فهم وقال القشيري كلها اى الحادثات لله ملكا وبالله ظهورا ومن الله والى الله
رجوعا وهو السميع لانين المشتاقين العليم بحنين الواجدين وقال بعض مشايخ الصوفية في معنى قوله
وله ما سكن الى اخره واجاد يعني له عز وعلا من سكن في ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية ومن سكن
نهار الروحانية الى المواهب الربانية كانوا ملكا له يظهر عليهم اثار صفات قهره ولطفه فالمعنى فانهم
يؤمنون ولكن يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ويظهر لهم في ذلك
ان الله هو السميع اى كان سميعا لما يسمعون من الانبياء والاولياء ويطعنون فيهم ويكذبونهم
العليم بما كانوا يضمرون ولا يظهرون من حيث عقابهم فجازاهم به وهو السميع لتاوه من سكن
اليه العليم بتعلق من اشتاق اليه فاشير في هذه الاية الى قلوب المنقبضين بصولة العظمة في قلوب
المنبسطين ببسط نور جمال المشاهدة سكنت قلوب اهل القبض في الليالي بنعت الاذابة في سرادق
كبريائه والسكون في مقام التواضع عند بروز سطوات عزة ذاته حيث تخلصت عن
ازدحام اهل الغفلة وسكنت قلوب اهل البسط برؤية انوار جماله في مناظر اياته في النهار
ولطائف صنع صفاته حيث تخلصت من رؤية اعلام عظمته وكبريائه اى له هذه القلوب العاشقة
والافئدة المتحيرة لا لغيره من الحدثان خصها لنفسه والنظر الى مشاهدته فعلى هذا يكون معنى
قوله وهو السميع العليم يسمع انينها من شوقه ويعلم ضمائرها المحزونة بداء شوق جماله ولهذا قيل
اختص الحق بقلوب العارفين لسكونها اليه **قُلْ** بطريق الانكار على نفسك امحاضا للنصح اى
للمشركين **أَغَيْرَ اللَّهِ** الذي له الكمالات بالذات **أَتَّخِذُ وَلِيًّا** ناصرا ومعبودا مع انه لا كمال له في ذاته

وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما ادخل همزة الاستفهام على مفعول اتخذ لا عليه لان الانكار
في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان احق بالتقديم وحاصل المعنى قل يا محمد للمشركين ايجوز
ان يظن اني اتخذ غير الله متولي لي بالحفظ والكفاية والنصرة كما فعلتم انتم فاتخذتم من دون الله
اولياء فيحتمل انهم دعوه الى موافقتهم على الشرك فقال لهم ذلك ويحتمل انه تلطف في الجواب استدعاء
لهم الى الاجابة واراد به اتتخذون انتم غير الله وليا وقوله تعالى **فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** بالجر صفة
الله فانه بمعنى الماضي فلذلك قرئ فطر والمعنى اى مبدع السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها
وقرئ بالنصب والرفع على المدح **وَهُوَ يُطْعِمُ** على بناء الفاعل **وَلَا يُطْعَمُ** على بناء المفعول اى هو يرزق
غيره ولا يرزقه احد وهو كقوله تعالى لا نسألك رزقا نحن نرزقك وما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون اى المنافع كلها ~~كقوله تعالى لا نسألك~~ من عنده ولا يجوز الانتفاع من الغير وقرئ
ولا يطعم بفتح الياء والعين وقرئ بعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية فان قيل الكلام مع عبدة الاصنام والصنم
لا يطعم كما لا يطعم فتناصح ذلك بالنظر الى اطلاق غير الله فان منه من يطعم كالمسيح من معبود
الكفرة فغلب او ورد على طريقتهم في اطعام الاصنام وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقيل هو على ظاهره اى هو الذي يغذي الخلق وهو غني بذاته عن شي منزه عن الوصف بالطعم
فهو غني والخلق فقراء اليه قال الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله الاية وقال القشيري فكما
له وصف الكرم فلذلك يطعم وحق القدم فلذلك لا يطعم وقوله تعالى **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** لله من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام لامر الله لان النبي عليه
السلام سابق امته في الدين قال بعض علماء بلادنا معناه اول من اسلم وجهه لله مخلصا له
من الامة لان الرسول عليه السلام امام امته في الاسلام واول داع الى الله فلا يمكن تقدم غيره
عليه كقوله تعالى بذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول
المؤمنين وقيل لي قل يا محمد **وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** والمعنى امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك
فكيف اتخذ غير الله وليا **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي** بعبادة غيره **عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**
قال ابن عباس رضي الله عنهما اى قل يا محمد لاهل مكة اني اعلم ان عصيت فعبدت غيره عذاب يوم القيمة
ووصفه بالعظيم لانه فيه الامور العظام والحاصل هذا مبالغة في قطع اطماع الكفرة عنه عليه
السلام وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول وجواب
الشرط محذوف دل عليه الجملة والتقدير ان عصيت ربي استحققت العذاب الاليم **مَنْ يُصْرَفْ
عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ** اى اراد له الخير ونجاه وانعم عليه قرأ الكسائي وعاصم في رواية
ابي بكر يصرف بفتح الياء اى من يصرف الله عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله وقرأ الباقون
بضم الياء على بناء ما لم يسم فاعله اى من يصرف عنه عذاب يوم القيمة فقد ذكر العذاب في
الاية الاولى وقوله فقد رحمه اى رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة من العذاب في ذلك اليوم

Copyright © King Saud University

للرسل والاولياء وانما هو اقوالهم فقالهم غير اصل أئنكم لتشهدون ان مع الله الهة
اخرى هذا الى اخر هذه الاية متصلة بما قبله وقوله تعالى واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ
هذا معترض وهذا الاستفهام اى ائنكم الخ استفهام تقريرهم مع انكار واستبعاد وتوبيخ وتبكيت
قل لاهل مكة ردا عليهم لا اشهد شهادتكم بان مع الله الهة اخرى يعنى انى برئ مما تشركون
وكرر قل توكيدا انما هو اله واحد يعنى لا يشارك فى الهيته ولا فى صفات كماله احد حاصله
قل اشهد ان لا اله الا الله وما فى انما كافة لانه يمنع من العمل وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفته
او بمعنى الذى فى محل النصب بان وهو مبتدأ واله خبره والجملة صلة الذى وواحد خبره وهذا
الوجه اوقع وانني برئ مما تشركون بالله او بعبده من الاصنام امرا وثانيا بان يخبرهم بانه لا
يوافقهم فى الشهادة ويلزم من ذلك افراد الله تعالى بالالوهية فامره ثانيا ثم امره ثالثا بان
يخبرهم بالتبرى من اشراكهم وهو التاكيد لما قبله الذين اتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم
لقد سألنا اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر اخرج عن تعيين الشهيد مسارعة
الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك انك رسول الله والمراد بالموصول اليهود
والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان
بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم بانه رسول الله بذكر حليته
ونعته فى التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحيث لا يشكون فى ذلك اصلا قال الحسن وقتادة
والزجاج يعرفون محمدا اى ان اهل الكتاب الذين يرجع اليهم هؤلاء المشركون فى السؤال يعرفون ان محمدا
رسول حق كما يعرفون اولادهم لذكره فى كتابهم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال
عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام رضى الله عنه ان الله تعالى انزل على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة
فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى لانى
لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى وقال بعضهم ويجوز ان يكون معنى الذين
اتيناهم الكتاب اى القران وقد امروا ان ياتوا بمثله فعجزوا عنه فلزمتهم الحجة وثبتت لهم به المعرفة والامر
اوقع فى النفس الذين خسروا انفسهم يجوز ان يكون نعتا لقوله الذين اتيناهم الكتاب ويجوز ان يكون مبتدأ
وخبره قوله فهم لا يؤمنون قال بعضهم فى توضيحه الذين خسروا انفسهم اى من اهل الكتاب والمشركين
الجاحدين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها والعقل السليم واعرضوا عن البينات
الموجبة للايمان فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان وبيان الخسران ان الله تعالى
جعل لكل ادمى منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيمة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار
ولاهل النار منازل اهل الجنة فى النار ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لشبه
الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين خسروا الخ وقيل انه نعت للموصول الاول كما اشرنا
وقيل النصب على الذم فقوله فهم لا يؤمنون على الوجه الاخير عطف على جملة الذين اتيناهم الكتاب
الخ ومن اظلم اى اكفر استفهام يتضمن معنى النفى اى لا احد اظلم لنفسه والظلم وضع الشئ فى غير
موضعه واشنع الظلم اتخاذ المخلوق معبودا ممن افترى اى اختلق على الله كذبا اى زورا بنسبة

الشريك اليه فيصفه بما لا يليق لجناب قدسه وبصف النبى الموعود فى الكتابين بخلاف اوصافه فانه
افتراء على الله او يقول الملئكة بنات الله وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان
كذبوا بالقران وبمحمد وبساير المعجزات وسموها سحرا انه اى الامر والشان لا يفلح الظالمون اى
لا يفوز المشركون وقيل المشركون واهل الكتاب ما داموا على ظلمهم واذكر يوم نحشرهم اى نبعثهم جميعا
اى العابدين والمعبودين يعنى يوم القيمة قرا يعقوب يحشرهم ههنا وفى سبا بالياء ووافق حفص فى
سبا وقرا الجمهور بالنون ثم نقول للذين اشركوا مع الله غيره توبيخا لهم اين شركاؤكم اى الهتكم
التى جعلتموها شركاء لله الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء او تزعمون انها تشفع لكم عند ربكم
المعنى على ما قاله الشيخ يعنى انه لا يفلح الظالمون ايام الدنيا ويوم نحشرهم وقيل ولينقوا يوم نحشرهم اى
نبعثهم ونجمعهم كافة ثم نقول للمشركين اين من اشركتموهم بالله من الهتكم رجاء نفعهم اياكم عند الله واضافة
شركاء اليهم لانهم هم الذين جعلوها شركاء وزعموا انهم شركاء لان ايديهم نحتوها وقال فى اية اخرى
اين شركاى فاضافهم الى نفسه لانهم جعلوها شركاء لله وهذا كما قال فى الاجل فى قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر
وقال فاذا جاء اجلهم اضاف الاجل الى نفسه فى اية اخرى لانه هو الجاعل واضافه اليهم فى اية اخرى لانهم
هم المجعول لهم وقوله الذين كنتم تزعمون اى تقولون وقال القشيرى فذكرهم جمعهم يوم الحشر والنشر لكنه يفرقهم
فى الحكم والامر فالبعث يجمعهم لكن الحكم يفرقهم قال الله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا قرا حمزة والكسائى ويعقوب يكن بياء التذكير وفتنتهم بالنصب وهو خبر كان واسمه
قوله الا ان قالوا لان ان مع الفعل مصدر وتقديره الا قولهم بالرفع وقرا نافع وعاصم فى رواية
ابى بكر وابو عمرو تكن بتاء التانيث وفتنتهم بالنصب وعلى هذا تقديره الا مقالتهم برفع التاء فتكون اسما وفتنتهم
خبرا وقرا ابن كثير فى رواية قنبل وحفص عن عاصم يكن بياء التذكير وفتنتهم بالرفع وهو اسم يكن
والتذكير لتقدم الفعل عليه ولان تانيث الفتنة غير حقيقى ولانها مصدر بمعنى الفتن او الافتتان كما اشرنا
ومعنى قوله تعالى فتنتهم اى جوابهم او قولهم او معذرتهم او كفرهم بين يدى الله تخصيصه ثم لم تكن عاقبة
كفرهم الذى لزموه اياهم مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرى عنه بقولهم والله
ربنا الخ قال الزجاج فى قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوبه ثم تصيبه
فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا كذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما راوا
العذاب تبرؤوا منها يقول الله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان قالوا يعنى الا قولهم وجحودهم
بين يدى ربهم على رءوس الخلائق والله ربنا ما كنا مشركين بك شيئا وانما عبدنا الاصنام ليقربونا
اليك قال الحسن هذا فى المنافقين كانوا يكذبون فى الدنيا ويروج كذبهم فيظنون فى الاخرة انه
يروج كذبهم فيقولون ذلك قرا حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء المضاف اى يا ربنا وقرا
الباقون ربنا بالخفض نعتا لقوله تعالى والله وقال مجاهد ومقاتل هذا قول جميع المشركين اذا جمع
الله الخلائق وراى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة الرسول للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا
نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فاذا قال الله تعالى لهم اين شركاى الذين كنتم تزعمون
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم فتشهد عليهم ايديهم وارجلهم بالكفر

Copyright © King Saud University

قال السلطان يكذبون ويحلفون على عدم صدور الشرك منهم مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة
كما يقولون ربنا اخرجنا وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله تعالى
انظر يا محمد كيف كذبوا مع علام الغيوب بعد كشف الغطاء عنه بحضرة من لا يخفى عليه خافية فزادوا
به مزيدا على انفسهم بنفي الشرك لان نفيهم ذلك تاكيد لافترائهم فى الدنيا ونظير ذلك يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وضل اى غاب وتلاشى وذهب وزال عنهم ما كانوا يفترون على الله
من الشركاء والاصنام وذلك انهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرها فبطل كله فى ذلك اليوم قال
القشيري رحمه الله هذا الذى اخبر عنهم غاية التمرد حيث جحدوا على ذلك واقسموا ولو كان
لهم علم بالله لتحققوا بانه يعلم سرهم ونجواهم فلا يخفى عليه شيء من اولهم واخرهم لكن الجهل
الغالب عليهم استنطقهم بما رجع بالفضيحة عليهم ومنهم من يستمع اليك اى ومن هؤلاء الطائفة
من يستمع اليك حين تتلو القران كالمظهر للقبول والانقياد وهو مصر على الجحود والعناد وجعلنا
على بواطن قلوبهم اكنة ان يفقهوه اى كراهة ان يفقهوا ما يسمعونه من القران ومعنى اكنة
اى اغطية جمع كنان وهو الغطاء اى ما يستر الشيء وقد كن الشيء اى صانه واكنه اى غطاه وقوله تعالى
وفى اذانهم وقرا اى جعلنا فى اسماعهم ثقلا كانما عن سماعه وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم
بشئون النبى صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم وتحدد الوقر لانه مصدر
وهو حجة على المعتزلة فى الاصلح لان جعل المذكور لا يؤدى الى الاجبار بل هو عقوبة لهم على اختيارهم
الكفر وعلى اصرارهم عليه ويدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا
بها اى كل اية اقترحوها من الايات المقترحة وغيرها وهو فى قوم علم الله منهم الاختيار للكفر
على الاباء اى يبحثون الشبه فيها ويقولون لعلها سحر ولعلها اساطير الاولين وذلك لانهم مخلوقون
على النار مختوم على قلوبهم او لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم قال الشيخ ولا بد من تخصيص الاية
بغير الملجئة دفعا للمخالفة بينه وبين قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم اية من السماء فظلت اعناقهم لها
خاضعين وقوله تعالى حتى اذا جاءوك يجادلونك اى يحاجونك يعنى بلغ تكذيبهم الايات
الى انهم جاءوك يخاصمونك وحتى هذه هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة هى قوله اذا جاءوك وجوابه
اذا هو قوله يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاءوك ان اى ما هذا اى القران
الا اساطير الاولين اى اكاذيب كالاضاحيك والاعاجيب قال ابن عباس رضى الله عنهما اى
احاديث الاولين التى كانوا يسطرونها اى يكتبونها وقال ابو عبيدة واحدها اسطارة وهى
الترهات وقال الاخفش قيل واحدها اسطارة كالاضبارة وقيل اسطورة كالاضحوكة قال
وهو عندى جمع لا واحد لها كالعباديد والابابيل وقال الزجاج هو جمع جمع سطر واسطار واساطير
وقال الكلبى سمع اليه ابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة
ابنا ربيعة وامية وابى ابنا خلف والحارث بن عامر استمعوا الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا للنضر بن الحارث ماذا يقول محمد قال والذى جعل الكعبة بيته ما يقول الا انى اراه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان كثير الحديث عن القرون

وقال

وقال ابو سفيان انى لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمعون
اليك اى الى حديثك وقال محمد بن اسحاق كل ما فى القران من ذكر الاساطير فهو من قول النضر بن الحارث
كان يسافر الى العجم فيحفظ حديث رستم واسفنديار ويعارض به القران وقوله تعالى وهم
ينهون عنه اى هؤلاء الكفار ينهون الناس عن اتباع النبى عليه الصلاة والسلام وعن
الاستماع منه القران يعنى لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون
الناس عن اجتماعه واستماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به وضميرهم راجع للمذكورين وعنه
للقران او النبى قوله وينأون عنه اى يتباعدون بانفسهم عنه عليه السلام او القران اظهارا لغاية
نفورهم عنهما وتاكيدا لنهيهم عنهما وقيل ضمير عنه مختص بالنبى وهم لابى طالب ولعل جمعيته باعتبار
استتباعه لاتباعه ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ابى طالب كان ينهى
ان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عما جاء به وروى ان قريشا لما همت بقتل النبى عليه
السلام وقالوا لابى طالب خذ شابا من اصحابنا وجيها وادفع الينا محمدا فقال فجابهم ما انصفتمونى
ادفع اليكم ولدى لتقتلوه واربى ولدكم ثم قال للنبى اعلمت ان قريشا همت بقتلك قال نعم وقال
ومن انباك به وهذا امر خفى قال انبانى به ربى قال الله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فقال
ابو طالب نعم الرب ربك يا محمد فاوصيك به وروى ان النبى عليه السلام دعاه الى الايمان فقال لولا
ان تعيرنى قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت ثم خرج ابو طالب وقال
للملأ وهم مجتمعون يا قوم ان محمدا ابن اخى وولدى ومن هم به فانا ازهق روحه فقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاء يحرضه على الايمان فقال ابو طالب وذلك ابياتا ؞ ودعوتنى وزعمت انك
ناصحى ؞ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ؞ وعرضت دينا لا محالة انه ؞ من خير اديان البرية
دينا ؞ لولا الغضاضة او حذارى سبة ؞ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ؞ والله لن يصلوا
اليك بجمعهم ؞ حتى اوسد فى التراب دفينا ؞ فاصدع بامرك ما عليك غضاضة
وابشر بذاك وقر منه عيونا ؞ فنزلت فيه هذه الاية واعلم ان القول الاول يعنى ضميرهم للمذكورين
وعنه للقران اشبه لوجهين احدهما ان جميع الايات المتقدمة فى ذم طريقتهم فكذلك ينبغى
ان يكون قوله وهم ينهون عنه محمولا على امر مذموم ولو حملناه على ان ابا طالب كان ينهى
عن اذائه لما حصل هذا النظم وثانيهما قوله تعالى بعد ذلك وان يهلكون الا انفسهم يعنى به ما
تقدم ذكره ولا يليق ذلك بالنهى عن اذيته لان ذلك حسن يوجب المدح لا الهلاك وقوله تعالى
وان ما يهلكون بالنأى عنه عليه السلام الا انفسهم لان ضرره عليهم وان نافية
وانفسهم مفعوله وهو استثناء مفرغ وما يشعرون بان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم وما ينتفعون
بعلمهم ثم لما بين انهم يهلكون انفسهم شرح كيفية ذلك الهلاك فقال ولو ترى يا محمد اذ
وقفوا اى عرضوا على النار او حبسوا على الصراط وجواب لو محذوف اى ولو تراهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها ويطلعون عليها او يدخلونها يعرفون مقدار عذابها
لرايت امرا شنيعا وقرى على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا وقوله تعالى فقالوا يا ليتنا

Copyright ... University

نرد اى الى الدنيا تمنوا رجوعهم ليؤمنوا وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بايات
ربنا ونكون من المؤمنين اعلم ان القراء قد اتفقوا على رفع نرد لكونه داخلا فى التمنى لا محالة
وقرا نافع وابو عمرو وابن كثير والكسائى برفع الفعلين وذكر لهذه القراءة ثلثة اوجه الاول ان التمنى
قد تم عند قوله يا ليتنا نرد واما قوله ولا نكذب الى اخره فانه خبر مبتدا محذوف والجملة مستانفة
لا تعلق لها بما قبلها وليست بداخلة فى حيز التمنى على انه تعالى حكى عنهم امرين فتكون هذه
الجملة مع ما عطف عليه فى محل النصب على انها مقول القول والتقدير فقالوا يا ليتنا نرد وقالوا
نحن لا نكذب ونكون من المؤمنين على كل حال كقولهم دعنى ولا اعود اى وانا لا اعود على كل حال
تركتنى اولم تتركنى والثانى انه يكون كل واحد من الفعلين معطوفا على نرد وداخلا فى التمنى الثالث
ان تكون الواو واو الحال عن فاعل نرد والتقدير يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين
فيدخل المجموع تحت حكم التمنى واورد على هذين الوجهين ان المتمنى لا يكون كاذبا وقد قال الله
وانهم لكاذبون واجيب بان هذا تمن قد تضمن معنى الوعد فان قولهم يا ليتنا نرد يتضمن
الوعد بانا لو رددنا الى الدنيا لامنا وما كذبنا فالتكذيب راجع الى الخبر الضمنى فجاز ان يتعلق
به التكذيب وقرا بنصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد واو العطف الواقعة
بعد التمنى اجراء لها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب ثم
رد الله عليهم تمنيهم حيث قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب ونكون من المؤمنين بقوله بل للاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى بدا ظهر لهم ما كانوا يخفون يكتمون من الناس
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين من قبل فى الدنيا من قبايحهم وفضايحهم فى صحفهم فيكون
اضرابا عما ينبئ عنه التمنى من الوعد بتصديق الايات والايمان بها اى انهم ما تمنوا العود الى
الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل ذلك التمنى لاجل خوفهم
من العذاب الذى شاهدوه وعاينوه الذى كانوا يخفونه فى الدنيا كما قال
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وقيل بدا للاتباع ما اخفى الرؤساء منهم من صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن حقيقة البعث يوم القيمة بدليل قوله وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
وقيل ان هذا نزلت فى المنافقين كانوا يسرون الكفر فيظهر الله تعالى نفاقهم على رؤس الاشهاد
يوم القيمة وفى ذلك اقوال كثيرة والاولى حمل الاية على الكل لانه يوم تبلى السراير وحصل ما فى الصدور
والضماير فلا جرم يظهر الفضايح والقبايح وتنكشف الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا
سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ولو ردوا الى الدنيا فى حالة التكليف فرضا بعد الوقوف والظهور
لعادوا لما نهوا عنه لرجعوا الى ما نهوا عنه من الشرك والمعاصى وانهم لكاذبون فى قولهم ونكون
من المؤمنين يعنى فيما وعدوا من انفسهم فى ضمن التمنى فان قيل كيف العود بعد مشاهدة الاحوال وبعد
معرفة الله تعالى قلنا المراد تركيب جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم
سالوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك وغلبت عليهم شقوتهم لعنادهم وسوء فعالهم
الا ترى ان ابليس لعنه الله قد عاين ما عاين من ايات الله تعالى ثم عاند وكفر فابى واستكبر وكان

فى الخازن

من الكافرين وقال القشيرى رحمه الله بل بدا لهم غدا بهتك الاستار وتظهر الاسرار فكم من متجلل
بثوب تقواه حكم له معارفه انه زاهد فى دنياه راغب فى عقباه محب لمولاه مفارق
لهواه تكشف الامر عن خلاف ما توهموه وافتضح عندهم بخبر ما ظنوه وكم من متهتك
ستر ما اظهر عليه ظن الكل انه خليع العذار متوشح الاسرار ظهر لذوى البصاير طهارته
وبرز من خفا السر حقيقته وقوله تعالى وقالوا منكروا البعث عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
اى على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ان ما هى اى الحيوة الا حياتنا الدنيا الاولة وما
نحن بمبعوثين اى بعد ما فارقنا هذه الحيوة كانه لم يروا ما راوا من الاحوال والاهوال ولو ترى
الذين لو ردوا بعد ما وقفوا على النار لقالوا انه رؤيا باطلة اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه
كالذى مر فى نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسوال كما يوقف العبد الجانى
بين يدى سيده للعقاب لاستحالة حمله على حقيقته وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزايه او عرفوه
حق التعريف كما قال الله وقفوهم انهم مسئولون وكما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين وجواب لو مضمر
اى لرايت امرا عظيما ثم كان لسايل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قال اليس
هذا الذى عاينتم وشاهدتم من حديث البعث والجزاء وما يتبعهما بالحق اى بالكاين الموجود وهذا
تعيير لهم على التكذيب للبعث ولقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق قالوا بلى وربنا
انه لحق اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال ابن عباس هذا فى موقف وقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين فى موقف اخر وللقيامة مواقف ففى موقف يعرفون وفى موقف ينكرون ثم كانه سئل ماذا قيل
لهم بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اى بسبب كفركم فى الدنيا
وبه وذلك ليعلم ان الاقرار فى غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى
هذا العالم الجسمانى الكثيف واعطى الالات الجسمانية والقوة العاقلة لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق
الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد فى تحصيل
اللذات الفانية الى ان ينقضى اجله فقد ضيع راس المال ولا ربح وذلك قوله تعالى قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اى خسروا انفسهم بتكذيبهم المصير الى الله تعالى اى بالبعث بعد الموت اذ فاتهم
النعيم واستوجبوا العذاب المقيم قال السلطان وغيره ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة
بغتة اى حتى اذا اتتهم القيامة فجاة وسميت القيمة ساعة لسرعة الحساب فيها قال الله تعالى وهو اسرع
كانه قيل وما هى الا ساعة حتى يحصل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وحتى غاية لكذبوا بلقاء الله
لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له قالوا جواب اذا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اى يا ندامتنا على
على ما قصرنا فى حقها اى فى حق القيامة من الاستعداد لها بالايمان بها وتقديم الاعمال الصالحة لاجلها
ونداء الحسرة مجاز لا يتاتى منها الاقبال فكانه قال ان كان لك وقت فهذا اوانك فاحضرى والتفريط
التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله وهم يحملون اوزارهم اثامهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار
الاثام وثقلها خص الظهر لان المعهود حمل الاثقال على الظهور كما عهد الكسب بالايدى والحمل مجاز
عن لزوم العذاب على وجه لا يفارقهم وقال السدى وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن

Copyright King Saud University

شيء صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طالما
ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا واما الكافر فيستقبله
اقبح شيء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتني
في الدنيا فانا اليوم اركبك فهو معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ونظير الحمل على الظهر ما ذكر
من جعله في العنق قال الله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وما روي ياتي احدكم بالشاة
في عنقه وقوله عليه السلام من غصب شبرا من ارض طوقه الى سبع ارضين يوم القيمة وروى
المقبري عن ابي هريرة في حديث يرفعه قال اذا كان يوم القيمة بعث الله مع كل امرئ مؤمن عمله وبعث
مع الكافر عمله فلا يرى المؤمن شيئا يروعه ولا شيئا يفزعه ويخافه الا قال له ابشر بالذي يسرك فانك
لست بالذي يراد بهذا ولا يرى الكافر شيئا يفزعه ويروعه ويخافه الا قال له عمله ابشر يا عدو الله
بالذي يسوءك فوالله انك لانت الذي تراد بهذا الا ساء ما يزرون وقال ابن عباس رضي الله عنهما
معناه بئس الحمل حملوا قال السلطان يعني بئس شيئا يزرونه وزرهم ثم رغب في الحياة الباقية
وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور لا بقاء لها فاما
الطاعات فيها وما يعين عليها فمن امور الاخرة جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا واللعب ترك
ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد الى الهزل وهو ما يشغل الانسان عما يعنيه والمعنى على حذف
المضاف اي ما اعمال الحيوة الدنيا والاشتغال فيها من حيث هي هي الا لعب ولهو لانها لا تعقب منفعة
كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة تلخيصه اي وما الحياة الدنيا التي تدعوهم الناس الى التمتع فيها
وقلة الحياة غيرها في قصر مدتها وسرعة انقضائها في جنب حيوة الاخرة الا كلعب الصبيان
ولهو الفرسان قال الامام رحمه الله اي الحياة الدنيا للدنيا خاصة لعب ولهو وهو كالعبث
المذكور في قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا يقول لو لم يكن هذه الحيوة لدار اخرى يرجى بها الثواب
ويخشى بها العقاب لم يكن فيها حكمة بل كانت لهوا ولعبا وكذلك خلق البشر لو لم يكن للبعث والجزاء
على العمل كان عبثا وللدار مبتدا الاخرة اي الجنة والعمل لها صفتها قراءة الجمهور بلامين الاولى
لام الابتداء والثانية للتعريف وقرا ابن عامر بلام واحدة وهي لام الابتداء وبجر الاخرة
بالاضافة وفي هذه القراءة تاويلان احدهما قول البصريين وهو انه من باب حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه والتقدير ولدار الساعة الاخرة او ولدار الحيوة الاخرة والثاني وهو قول الكوفيين
انه اذا اختلف لفظ الموصوف وصفته جاز اضافتها اليها قال الفراء هي اضافة الشيء الى نفسه
كقولك يوم الخميس وحق اليقين ومسجد الجامع وربيع الاول وانما يجوز عند اختلاف اللفظين وخبر
المبتدا على القراءتين خير اي اتم لذة من الحيوة الدنيا للذين يتقون الشرك وذلك لدوامها وخلوص
منافعها ولذاتها ومعنى الاية ان نعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا لانه لا يزول ولا يحول ولا ينقص ولا
يتنغص وخص به المتقين لانهم هم المنتفعون به والصائرون اليه تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين
فهو لعب ولهو افلا تعقلون ان الاخرة افضل من الدنيا او اي الامرين خير فيؤمنوا او فلا يعقلون
ان الامر كما ذكر فتزهدوا في الدنيا قرا ابن عامر ونافع وحفص عن عاصم بالتاء خطابا لمن كان بحضرته

صلى الله

صلى الله عليه وسلم في زمانه او تغليبا للحاضرين على الغائبين والباقون بياء الغيبة وفي التيسير
افلا يعقل المشركون هذا فيعملون به وهي كلمة استبطاء ولما قال ابو جهل لعنه الله ما نكذبك يا محمد وانك
عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به نزل قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون وقد هنا للتكثير
والمراد به كثرة العلم والمبالغة فيه يعني في متعلقات العلم لان الكثرة في علمه تعالى ممتنعة كقول الشاعر
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير وكسرت بعد العلم لمكان اللام الابتداء في خبرها وهو قوله
ليحزنك والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم ان
هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك كقول قريش له عليه السلام انك ساحر كذاب مجنون شاعر وقرئ
ليحزنك من احزنه المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك حقيقة وانما يكذبون
الله لان تكذيب الرسول تكذيب المرسل ولهذا قال ولكن الظالمين بايات الله القرآن يجحدون اي ينكرونها
او يكذبونها يقول انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا صدقك فيما مضى وانما يكذبون وحيي و
يجحدون اياتي كما قال يجحدوها واستيقنتها انفسهم او لما كان النبي صلى الله عليه وسلم عند الله عز وجل
في غاية القدر ورفعة المحل جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا له عز وجل ولاياته على طريقة
قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال
قربه اليه عز وجل وقال ابو يزيد المدني لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل فصافحه فلقيه
بعض شياطينه فقال له رايتك تصافحه فقال والله اني لاعلم انه لصادق ولكنا متى كنا تبعا
لبني عبد مناف فنزلت الاية وقال السدي لما كان يوم بدر التقى الاخنس بن شريق وابو جهل
فقال الاخنس يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامي
غيري وغيرك فقال له ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقال مقاتل نزلت في الحارث
ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا به مع
اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا وقال للنبي انا لنعلم ان الذي تقوله لحق
وانه لا يمنعنا ان نتبع الهدى معك الا المخافة من ان يتخطفنا الناس من ارضنا فنزلت الاية
وقال الحسن رحمه الله فانهم لا يكذبونك بان الله ليس بخالقهم ولا برازقهم ولكن المشركين بدين
الاسلام يجحدون وقيل انما يكذبونك بالسنتهم لا بقلوبهم وفي تفسير مالك بن سليمان فانهم لا يكذبونك
يعني المؤمنين ولكن الظالمين اي الكافرين بايات الله يجحدون وهو نظير قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وقال القشيري فكذلك قد نعلم ما قالوا فيك وانما قالوا ذلك بسببنا و
لاجلنا ولقد كنت عظيم الجاه فيهم قبل ان اوقعنا عليك هذا الرقم وكانوا يسمونك محمدا الامين
وانما اصابك لاجلنا فغير ضائع لك وهذا عندنا وحالك فيك كما قيل شعر اشاعوا لنا في الحي اشنع
قصة وكانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا قرا نافع والكسائي لا يكذبونك مخففا من اكذب والباقون
مثقلا من كذب واختلف الناس في ذلك فقيل هما بمعنى واحد وقيل بينهما فرق قال الكسائي العرب تقول
كذبت الرجل بالتشديد اذا نسبت الكذب اليه واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما جاء به دون ان

Copyright King Saud University

بنسبة اليه ويقولون اكذبت الرجل اذا وجدته كاذبا كاحمدته اذا وجدته محمودا فمعنى لا يكذبونك بالتخفيف لا ينسبون الكذب اليك ولا يجدونك كاذبا وهو واضح واما التشديد فيكون خبرا محضا عن عدم تكذيبهم ولقد كذبت رسل من قبلك فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس لنفي تكذيبه مطلقا وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكن اهانوني وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير والله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اى فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك من المكروه وما مصدرية واوذوا عطف على كذبوا وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف حتى اتاهم نصرنا اى عذبناهم يعني كان غاية صبرهم نصر الله اياهم وفيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله اى لا مغير لمواعيده في القران انه سينصرك والذين امنوا معك كما نصر الانبياء قبلك كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وكقوله لاغلبن انا ورسلي ولقد جاءك من نبإ المرسلين ما تسكن به قلبك اى جاءك من بعض خبرهم وقصصهم في القران كيف انجينا المرسلين ودمرنا قومهم وان شرطية كان كبر اى شق وعظم عليك اعراضهم عنك وعن الاسلام لحرصك عليهم واعراضهم فاعل كبر وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان فان استطعت ان شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من الايات البينات وعدم عدهم اياها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي ان تطلب وتتخذ نفقا اى سربا ومنفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم اية يؤمنوا بها وكانوا اذا سألوه اية احب صلى الله عليه وسلم ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم كما اشرنا في الارض صفة لنفقا وهذه الصفة لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض وقال ابو عمرو نحبه نفقا معناه غارا او سلما اى درجا ومصعدا في السماء فتصعد به الى السماء تتنزل منها باية وهو صفة لسلما فتاتيهم منها باية مما اقترحوا فافعل والمعنى انك لا تستطيع ذلك بغير امر ربك فاصبر حتى يحكم الله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى لجعلهم بحيث يختارون الهدى بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا ولكن لما علم الله في علمه الازلي انهم يختارون الكفر لم يشأ ان يجمعهم على الهدى لعدم صرف اختيارهم الى جانبه مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية اليه لانه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين قال البيضاوي اى بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انتهى قال السيوطي بذلك انتهى قال البغوي اى بهذا الحرف وهو قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وان من يكفر لسابق علم الله فيه انتهى قال الواعظ صورة الخطاب مع النبي عليه السلام والمعنى مع امته انتهى قال صاحب بحر الاسرار اى لا تكونن من الذين يجهلون ذلك نهى الله رسوله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من ارادة الحرص الشديد على اسلامهم

وتليل

والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا في ايمانهم مرتبا اياه على عدم تعلق مشيئته سبحانه بهدايتهم والمعنى اذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم فلا تكونن بارادة الحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من كذا انتهى وقال ابو السعود والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار انتهى وفي تبصير الرحمن اى بما يقتضيه الصفات الالهية بل بما يقتضيه عموم الملكة انتهى وقال عبد الله بن احمد بن محمود النسفي في مداركه من الذين يجهلون ذلك انتهى وفي التيسير معناه بان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وقيل من الجاهلين ان بعضهم يؤمن دون بعض قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي عليه السلام يحرص على ان يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وهذا وقوله من الممترين يجوز خطابه صلى الله عليه وسلم به عرف انه وان كان معصوما ولكن العصمة لا تزيل المحنة على ما عرف انتهى قال الامام فان قيل كيف قال لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تكونن من الجاهلين فخاطبه بهذا الخطاب وقال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين فخاطبه بهذا مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم اعظم رتبة واعلى منزلة منه قلنا لان نوحا كان معذورا في حمله لانه تمسك بوعد الله تعالى في انجاء اهله وظن ان ابنه من اهله ومحمد صلى الله عليه وسلم ما كان معذورا لانه كبر عليه كفرهم مع علمه ان كفرهم وايمانهم بمشيئة الله تعالى وانهم لا يهتدون الا ان يهديهم الله تعالى انتهى قال الفقير ابو عمر محمد بن محمد ابن علي القادري وفي هذه الكلمة تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم لان المقصود بتعيده عز وجل رسوله عن قرب حاله عليه السلام بحال الجاهلين فان النهي لا يقتضي ان ذاته عليه السلام على مثل هذه الحالة كقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ولكنه يفيد تاكيد الامتناع عن الجزع والاضطراب والحزن والاسف على من لم يشأ الله ايمانه وفيه ايضا تربية وتاديب له عليه السلام كما قال عليه السلام ادبني ربي فاحسن تاديبي بيان ذلك انه عز وجل خاطب حبيبه بذلك لئلا يبالغ في الشفقة على غير اهلها لانه صلى الله عليه وسلم لما خوطب بقوله عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الاية بالغ عليه السلام في اللين والشفقة وحرص على ايمان القوم وكبر عليه اعراضهم حتى قيل واغلظ عليهم وقيل فلعلك باخع نفسك على اثارهم الاية وقيل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقيل وان كان كبر عليك اعراضهم الاية ويحتمل ان يكون المعنى فلا تكونن من الجاهلين بمعارفك ومحاسنك فتفكر من انت واين بلغت واين تبلغ انت الحبيب انت القريب انت الذي خلقتك لاجلي وخلقت ما سواك لاجلك بشهادة لولاك لما خلقت الافلاك فلا يكبر عليك اعراضهم عند تذكر نعماء الله تعالى على انه ينزل عليهم البلاء والعذاب بمقابلة اعراضهم عنك او لا تكونن من الذين لا يعلمون الحكمة فينا جعلنا بعضهم قابلي نور الهداية والايمان وبعضهم غير قابليه للطف والقهر وفي هذا اثبات ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بهذه الحكمة وفيه اشارة اخرى الى خطاب ازلي خاطب النبي في الازل فقال فلا تكونن من الجاهلين في الدنيا فان كل ما خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم هو امر التكوين وكذلك النهي هو نفي الامتناع عن الكينونة ثم وصف له عليه السلام

المستبعدين لقبول الهداية فقال إنما يستجيب الذين يسمعون اى انما يستجيب دعاءك الذين يستجيبون
دعاءك للايمان والقبول والانقياد فاما من الف الشرك وتمادى فى الطغيان فلا وقيل يسمعون
اى ينتفعون بالسماع يعنى سماع تفهم واعتبار والموتى اى كفار مكة شبههم بهم فى عدم السماع
يبعثهم الله فى الاخرة ثم اليه يرجعون للجزاء توضيحه انما يجيب دعوتك الى الايمان ويقبل ذلك
منك الذين يسمعون ما تلقى اليهم سماع فهم وتدبر وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء
الذين تحرص على ايمانهم لكونهم مختوما على قلوبهم فى حكم الموتى الذين لا يسمعون ولا قدرة لك
على احياء الموتى بغير امرى ونظيره كقوله انك لا تسمع الموتى ان الله يسمع من يشاء وما انت
بمسمع من فى القبور واستعار الموتى للجهال لان العلم حياة القلب فالذين لا يسمعون انما لا يسمعون
لان قلوبهم موتى بالجهل والموتى يبعثهم الله اى فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان لان ذلك يوم الجزاء
والوقوف بين يدى الله لا يوم الكسب وانت لا تقدر على اعلامهم وقالوا لولا نزل عليه
آية من ربه اى قال كفار مكة هلا نزل عليه اية كما نقترحها من جعل الصفا ذهبا وتوسيع
ارض مكة وتفجير الانهار خلالها ونتق الجبل اى رفعه على رؤسهم وفلق البحر والناقة والعصا واليد
البيضاء ونحو ذلك قل لهم يا محمد ان الله قادر على ان ينزل آية كما اقترحوا
وتعاندوا وطلبوا معجزة ملجئة او مقترحة وان الله لا ينزل الاية الملجئة لان المقصود من انزالها
طلب الايمان النافع ولا ينفع معها وذلك كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلو جاءهم الحجارة او الغرق او العذاب فلا لهم النجاة والخلاص
حتى يؤمنوا او لو آمنوا لما ينفعهم الايمان وقد انزل الله على نبيه ايات باهرات اعظمها القران وتسبيح
الحصى وانشقاق القمر واحياء الشاة للكلام معه ونبع الماء من بين اصابعه وتسليم الاحجار ونحو
عليه ونحو ذلك وقد افرد العلماء بالتاليف ومعجزاته اعظم من معجزات الانبياء ولكن اكثرهم لا يعلمون
بان الله قادر على انزالها او ان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره
قال القفال رحمه الله اى لا علم لهم بوجه تخصيص كل نبى بمعجزة وان موسى عليه السلام خرج
فى زمن السحرة فاتى بمعجزة من جنس ذلك وعرفوا ان ما اتى به ليس مما يدخل فى وسع البشر وعيسى
عليه السلام خرج فى زمن الاطباء فاتى بمعجزة من جنس ذلك وعرفوا ان ما اتى به ليس فى وسعهم ذلك
فلزمتهم به الحجة ومحمد صلى الله عليه وسلم خرج فى زمن البلغاء والفصحاء فاتى بالقران وعجزوا عن
معارضته ولزمتهم الحجة ولو اتى بجنس ما كان من المعجزات لسائر الانبياء لكان لاهل عصره ان
يقولوا ليس هذا من جنس عملنا فلا نقدر على معارضتك ولعجزنا ان يعارضك وقال بعضهم ولكن اكثرهم
لا يعلمون انه اذا انزلت الاقتراحية ولم يؤمنوا استؤصلوا ومحمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة فلا يستأصل
فى زمانه ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله لا ينزل الاية الا عند الحاجة بهم اليها ولا حاجة
اليها فقد نزلت الايات العقلية والسمعية والحسية اى القران والاخبار عن الكائنات وتكثير الطعام
والشراب وقيل لا يعلمون اى لا يطلبون بذلك للعلم بل للتعنت وقرأ ابن كثير ينزل والمعنى واحد ثم بين
الله تعالى ان انزال الاية المقترحة لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك لكنه بما يؤذن ان الا كار فضله فى احسانه

ولطفه

ولطفه وامتنانه واصلة الى جميع الحيوانات فضلا عن الانسان فان الحيوان اما ان يكون بحيث
يدب او يكون بحيث يطير فقال وما من زائدة دابة اى حيوان فى الارض صفة دابة اى تمشى
على وجهها وانما خص من الدواب ما فى الارض بالذكر دون ما فى السماء او فى الماء لان رعاية مصالح
الادون تستلزم رعاية مصالح الاشرف ويمكن ان يقال ان الماء ايضا من جملة الارض لانها كرة واحدة
ولا من طائر يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناحين لنفى المجاز لان غير الطائر قد يقال فيه طار
اذا اسرع فى المشى وللتاكيد كقوله تعالى الهين اثنين قال علماء البلاغة انما وصف الدابة بكونها فى الارض
والطائر بكونه يطير بجناحيه ليعلم انهما جاريان على عمومهما اذ بينهما خواص الجنسين المتعارفين
لقوله بعده الا امم امثالكم فى تقدير خلقها ورزقها واحوالها يعنى ليس شئ من هذين الجنسين
الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها وانما جمع الخبر الامم مع كون المبتدا وهو الدابة
مفردا حملا على المعنى لان قوله من دابة ولا طائر دال على الاستغراق الجنسى مغن من ان يقال وما من دواب
وطيور فكانه قيل وما من جنس دابة قط فى جميع الارضين السبع ولا من جنس طائر قط فى جو السماء الا
امم امثالكم قال الفراء كل صنف من البهائم امة قال مجاهد اصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد
ان كل جنس من الحيوان امة كالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها مثل بنى آدم
يعرفون باسمائهم قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود
بهيم ووجه المناسبة بين البشر والدابة والطاير نقل الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
يعرفوننى ويوحدوننى ويسبحوننى كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وقال
ابو هريرة رضى الله عنه اى يحشر يوم القيمة كما تحشرون انتم ثم يقتص للبهائم بعضها من بعض ثم
يقال لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا قال وقيل الا امم امثالكم اى يفقه بعضها
من بعض قال وقيل امثالكم فى معرفة ما يؤتى وما يتقى وقيل امثالكم اى مسخرة لكم وليس يكون منهم ما يكون
منكم من العناد وتكذيب الرسل والخروج عليهم ما فرطنا اى ما تركنا فى الكتاب فى القران او فى
اللوح المحفوظ من زائدة للتحسين وللاستغراق شئ اى فلم نكتبه توضيح الاية يقال فرط الشئ اى
ضيعه وتركه ويقال فرط فى الشئ اى اهمل ما ينبغى ان يكون فيه واغفله فقوله فى الكتاب اى القران
على الاول ظرف لغو ومن شئ متعلق لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق كما اشرنا اى ما تركنا فى القران
شيئا من الاشياء المهمة التى من جملتها بيان ان الله تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغى مجملا او
مفصلا وعلى الثانى مفعول للفعل ومن شئ فى موضع المصدر اى ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من
التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره واياما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل فى الكتاب
اى اللوح المحفوظ فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة فى اللوح غير مقصورة على
هذا القدر المجمل فان اللوح المحفوظ مشتمل على جميع ما يجرى فى العالم مفصلا قال صلى الله عليه وسلم جف
القلم بما هو كائن الى يوم القيمة ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض
كما روى انه ياخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها وذكر الضمير تغليبا للعقلاء
على غيرهم وفى بعض التفاسير فى معنى يحشرون اى يبعثون للحساب والجزاء وهم بنو آدم ولذلك جمع

Copyright King Saud University

بالواو والنون وقيل الحشر لكل الامم كما اشرنا لكن قال ابن عباس حشر الحيوانات موتها وقال عامة الصحابة
والتابعين منهم ابو ذر وابو هريرة والحسن حشرها بعثها يوم القيمة للقصاص بين الجماء والقرناء
قال صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وغيره
والدليل على ان الحشر هو البعث دون الموت قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملئكة ونظيره كقوله
تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم ولما ذكر من خلايقه واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي
على عظمته قال والذين كذبوا باياتنا الموصول مبتدا خبره ما بعده اى ما فرطنا في الكتاب من
شيء من الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والمكذبون بهذه الدلايل والمنكرون لهذه العجايب
صم اى لا يسمعون مثل هذه الايات الدالات على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا يتاثر
به نفوسهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات ويقترحون غيرها وبكم لا ينطق
بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها في الظلمات خبر ثالث اى خابطون في ظلمات الكفر او في
ظلمات الجهل وظلمة التقليد فتكون عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي او حال من المستكن في الخبر كانه
قيل انهم غافلون عن هذه الدلايل حال كونهم مستقرين في الظلمات او صفة لبكم اى بكم كاينين
في الظلمات اى باب الفهم والتفهيم لايات الله منسد عليهم من يشا الله يضلله اى من يشاء الله
اضلاله اى بان يخلق فيه الضلال يضلله اى يخلقه فيه فيموت على الكفر لكن لا ابتداء بطريق الجبر
من غير ان يكون دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وهو دليل واضح لنا على
المعتزلة المبدلة ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اى طريق دين الاسلام بان يرشده الى الهدى
ويحمله عليه فيموت على الاسلام قال القشيري والذين فاتتهم العناية الازلية سد الحرمان
اسماعهم وغشى الخذلان ابصارهم والارادة لا تعارض والمشية لا تزاحم والحق سبحانه غالب
قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين
ومعناه قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعدلون بربهم اخبروني عنكم وعما ترون عليه انفسكم
يعني هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم ان اتاكم عذاب الله قبل الموت كما اتى من قبلكم وقيل هو ما
اتاهم يوم بدر واحد والاحزاب او اتتكم القيمة وهولها بغتة الى غير الله من اصنامكم و تلتجئون في
صرف العذاب عنكم يعني تخصون الهتكم بالدعوة ليخلصكم مما نزل بكم فيما هو عادتكم اذا اصابتكم ضر وبلية
ام تدعون الله دونها وتقرون انه خالقكم ورازقكم ان كنتم صادقين بان الاصنام الهة فادعوها
تخلصكم وهذا تبكيت لهم وقوله قل ارايتكم هذه كلمة استفهام وعند البصريين يجري التوحيد والجمع و
التذكير والتانيث والتثنية على الكاف وما بعدها والتاء على حالة واحدة مفردة مفتوحة نحو
ارايتك ارايتكما ارايتكم ارايتك بفتح التاء وكسر الكاف ارايتكن وعند الكوفيين يجري في التاء ايضا
فيقال ارايتماكما وارايتموكم وارايتك بكسرهما وارايتن كن بنونين مشددتين وعلى الطريقة الثالثة
التاء رفع لانه فاعل والكاف نصب لانه مفعول وعلى الطريقة الاولى الكاف كالتاء رفع على انه فاعل
قال السلطان استفهام تعجيب وكم حرف خطاب اكد به الضمير لتاكيد الاسناد لا محل له من
الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت

الى ثلثة مفاعيل ولزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم
تنفعكم اذ تدعونها وقوله بل اياه تدعون اى بل الله تدعون في الشدايد لا غيره يعني بل تخصونه
بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع كقوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وتقديم المفعول
لافادة التخصيص فيكشف عطف على تدعون اى فيكشف اثر دعايكم ما تدعون اليه اى ما تدعون
الى كشفه يعني يكشفه عنكم من الضر ونحوه ان شاء اى ان شاء ان يكشف عنكم كشفه تفضلا اذ لا
اكراه عليه تعالى الله وتنسون ما تشركون عطف على قوله بل اياه تدعون اى وتتركون ما كنتم تشركون
بالله فما معنى عبادتكم الاصنام بعد هذا وهي لا تفرج عنكم الشدايد ولا تجيب دعواتكم بالمقاصد
وقال القشيري فمكنكم ان ترددتم بنفوسكم واطلتم الفكرة بقلوبكم لم تجدوا من دونه احدا ولا عن حكمه
ملتجا فتعودون اليه في استكشاف الضر واستعطاف البر كما قيل الى بابي تعود وان تناءت دياري
بعد معرفة الرجال • وكما قيل قد تركناك والذين تريد فعسى ان تملهم وتعود • فاذا جربت الكل وذقت
الحلو والمر • تقضي بك الضر الى بابه • فاذا رجعت بنعت الانكسار • وشواهد الاضطراب فانه يفعل
ما يليق به • ان شاء اتاح اليسر • وازال العسر • وان شاء ضاعف الضر وادام المر • فله الخلق والامر
ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك رسلا فكذبوهم ومن زايدة للتحسين فاخذناهم اى فكفروا
وكذبوا رسلهم فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء اى بالافات كالمرض ونقصان الانفس
والاموال وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اى لكي يتذللون ويتوبون على ذنوبهم
في كشفها ولعل كلمة ترج ومعناه كان الانبياء يترجون منهم التضرع والتذلل لكنهم لم يبالوا بذلك فلولا
اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في وقت مجيء الباس مع قيام ما يدعوهم الى التضرع كانه
قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع
الا عنادهم وقسوة قلوبهم كما قال الله ولكن قست قلوبهم اى غلظت فلم تكن للاتعاظ بسبب
اصرارهم على سوء اختيارهم وقيل ما جفت العيون الا بقسوة القلوب ولا قسوة القلوب الا بكثرة الذنوب
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اى حسن اليهم اعمالهم السوء فاصروا عليها فلم يتوبوا عنها
يعني لم يكن لهم مانع عن التضرع الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما
نسوا اى تركوا ما ذكروا به اى ما وعظوا وخوفوا به من الباساء والضراء فلم يتعظوا ولم
يتضرعوا وقد انتحوا فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم والمراد بكل شيء
التكثير دون التعميم كما في قوله تعالى واوتيت اى بلقيس من كل شيء والفتح المذكور معبر عن تيسير مطالبهم
الدنيوية اى امتحناهم وابتليناهم بالضراء والسراء والشدة والرخاء مخاشنة وملاطفة الزاما للحجة
وازاحة للعلة او مكرا بهم ويجوز ان تكون التوسعة عليهم مكرا واستدراجا لما روى في مسند احمد بن
حنبل عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على
معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الاية فالتوسعة
في بعض الاحيان قهر خفي في صورة اللطف كما ان الاخذ بالبلاء في بعض الاحيان لطف خفي في صورة
البلاء وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد للتكثير في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف

Copyright King Saud University

والبأساء بالتخفيف حتى اذا فرحوا بما اوتوا اى اعجبوا وبطروا واشروا بما اوتوا من النعم ولم
يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه قال البغوى هذا فرح بطر مثل فرح
قارون بما اصاب من الدنيا اخذناهم بالعذاب بغتة اى اهلكناهم فجأة وهو اشد الاهلاك
اذ لم يتقدم شعور به فتوطن على لقائه فاذاهم مبلسون اى متحيرون آيسون من كل خير واصل
الابلاس الاطراق حزنا لما اصابه او ندما لما فاته وقيل هو انقطاع الحجة وقيل الحيرة عند حلول البلية
وقيل تغير اللون وقيل الانقياد للهلاك وفى الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اى اهلكوا جميعا اى من اولهم واخرهم بحيث لم يسبق منهم احد لان دابر من
قولهم دبره يدبره اى اتى بعده فاذا قطع الجائى بعدهم فقد اهلكوا كلهم واستاصلوا والحمد لله
رب العالمين على اهلاكهم ونصر الرسل فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض
من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها وقيل حمد نفسه بنفسه اذ نصر اولياءه
وقهر اعداءه وقيل بل امر محمدا عليه السلام بان يحمد الله على ذلك وقال الحسن اذا سمعت بموت
ظالم فاحمد الله بهذه الاية وقيل اى الله محمود على كل حال بما كرر المواعظ والاذكار ولم ينزل بهم البوار
الا بعد الاعذار والانذار وقيل احمد الله على اهلاك من لم يحمد الله قال محى الفرض والسنة حمد الله
نفسه على ان قطع دابرهم لانه نعمة على الرسل فذكر الحمد تعليما لهم ولمن آمن بهم ان يحمدوا الله على كفايته
شر الظالمين وليحمد محمد واصحابه ربهم اذا اهلكنا المكذبين اللهم لك الحمد كما انت اهله وصل على محمد كما انت اهله
وافعل بنا ما انت اهله ثم ذكر ما دل على قدرته وتوحيده بقوله قل يا محمد للمشركين من اهل مكة امر الله
نبيه بتكرير التبكيت والالزام عليهم ارأيتم اى اخبرونى ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اى ان
اصمكم الله واعماكم وختم على قلوبكم اى طبع وسد قلوبكم فلم يصل اليها فهم اى فلا يعرفون
شيئا من اله غير الله يأتيكم به اى بما اخذ منكم تخصيصه اخبرونى ان سلب الله حواسكم
من يأتيكم به غيره سبحانه فان الله هو الذى يأتيكم به ان شاء فالاستفهام بمعنى النفى اى فلا اله
سوى الله يأتى بالماخوذ وانما قلنا بالماخوذ لدلالة الفعل عليه او اراد بارجاع الضمير الى المذكور او
بكل واحد مما ذكر وقيل اى بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة يعنى افرد ضميره مع كونه راجعا
الى جميع المذكورات لتنزيله منزلة اسم الاشارة فى مبتدأ واله خبره وغير الله صفة لاله ويأتيكم
به صفة اخرى انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون اى انظر واعجب يا محمد كيف
نبين ونكرر لهم الشواهد على بطلان الشرك وحقية الاسلام ثم هم يعرضون عنها اى عن تدبرها
وقبولها فلا يؤمنون بها وثم عطف على نصرف داخل فى حكمه وهو العمدة فى التعجب قل ارأيتكم
اى قل يا محمد اخبرونى ان اتاكم عذاب الله بغتة اى فجأة من حيث لا تعلمون او جهرة اى
معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس رضى الله عنهما ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم
الظالمون اى المشركون وقرئ يهلك بفتح الياء ثم ذكر وظايف منصب الرسالة بقوله عز وجل وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين قال الكلبى معناه الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار
ليس اليهم الا هذا وليس بايديهم انزال الآيات التى تقترحونها فمن آمن بالله ورسله واصلح ما يجب

صلاحه

سورة الانعام

اصلاحه على ما شرع لهم من الاعمال والاخلاق فلا خوف عليهم من العذاب حين يخاف اهل النار ولا هم
يحزنون بفوت الثواب اذا حزن من فات عليه الثواب فى الاخرة والذين كذبوا عطف على من آمن
بآياتنا المصرفة فلم يؤمنوا بها ولم يصلحوا اعمالهم واخلاقهم قال بعض مشايخ بلادنا قوله بآياتنا اشارة
الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار انما هو آياته تعالى فمن آمن به فقد آمن بآيات الله
تعالى ومن كذب به فقد كذب بآيات الله فقيه من الترغيب فى الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى يمسهم
العذاب اى يصيبهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه حى يفعل بهم ما يريد من الالام وههنا استعارة بالكناية
فاسند اليه المس واستغنى بتعريفه عن التوصيف بالشدة بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم وخروجهم
عن الطاعة واستمرارهم على الكفر قيل انه تعالى علل عذاب الكفار بكونهم فاسقين فاقتضى ان يكون كل
فاسق كذلك والجواب ان هذا مخصوص بالذين كفروا وكذبوا بآيات الله فمن لم يكن مكذبا بآيات الله لا يلحقه
هذا الوعيد ولما اقترح المشركون على رسول الله من الآيات ما ليس فى مقدور البشر كقولهم لولا انزل اليه
قل لا اقول لكم عندى خزائن الله اى خزائن رزقه فاعطيكم ما تريدون جمع خزينة وخزانة
وهو ما يخزن اى يحرز بحيث لا تناله الايدى او خزائن الله مقدوراته اى لا املك ان افعل كل ما اريد
مما تقترحون على من الآيات او آتيكم بكنوز الاموال فافجر لكم الانهار فى الجنان كما قلتم لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ولا اقول لكم انى اعلم الغيب فاخبركم بكل ما
تسألون عنه ما لم يعلمنيه الله عز وجل او اعلم الامر الذى اذا جئتكم به آمنتم واعلم عواقب الامور فاخبركم
بما غاب مما مضى وما سيكون او لا اقول لكم انى ملك اى قوى ما لم يقو عليه البشر فاقهركم على ما اريد
منكم بقوتى وانما انا عبد مربوب بشر مثلكم ان اى ما اتبع الا ما يوحى الى ربى فابلغكم وقيل اى لا انزل نفسى
فوق ما انزلنيه الله فلا اقول عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولى قوة الملك بل انا رسول من له الخزائن
ولا اعلم الغيب ولى قوة الملك بل انا رسول من له الخزائن وله علم الغيب وله الملائكة وساير الخلق وقيل
معنى هذه الثلثة يرجع الى شئ واحد وهو التبرى عن العلم بالوقت الذى يأتيهم فيه العذاب الذى انذروا به
يقول ليست عندى خزائن الله اى ما خزنه الله من العذاب الاليم فى الغيب اكم يطلعنى الله على ما خزنه
من هذا ولست اعلم الغيب بنفسى فاخبركم به ولست ملكا فاشاهد ما يشاهد الملك اذا انزل العذاب
من السماء ما اتبع العلم الا ما يأتينى به الوحى ولم يأتنى به الوحى بوقت عذابكم وهذا كله جواب قولهم متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين وقال الامام ويحتمل ان يكون معناه لا اقول شيئا من هذه ولو قلت عندى
خزائن الله وانا اعلم الغيب ولى قوة الملك كان ذلك اشد لاتباعكم لى وطاعتكم منا لكنى اقول انا بشر مثلكم يوحى
الى ما اتبع الا الوحى لتعلموا انى صادق فى قولى محق فى دعواى وتعلقت المعتزلة بظاهر الاية فى تفضيل الملك على
البشر وليس لهم به متعلق لما قلنا انه اراد به قوة الملك فى البطش واختصاصه بمشاهدة ما فى السماء دون
الفضل والقدر فانه صلى الله عليه خير خلق الله كلهم ثم ضرب الله مثل الكافر والمؤمن فقال قل اى يا محمد لهم
هل يستوى الاعمى اى الكافر والبصير المؤمن لا افلا تتفكرون فى ذلك فتؤمنوا وقيل مثل الجاهل
بالقرآن والعالم به قال القشيرى فى قوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله لا اتخطى خطى ولا اتعدى
حدى ولا اثبت شيئا من ذات نفسى وما اتبع الا امر ربى وقال مجاهد اراد بالاعمى الضال وبالبصير المهتدى

Copyright King Saud University

افلا تتفكرون انهما لا يستويان او انى لا ادعى ما لا يليق فان الملكة وان لم يذق طعاما ولا شرابا ولكن نبيه
الرسالة اعلى وافضل من جهة اخرى فان الله امرهم بالسجود لادم ثم لما وصف الرسل بكونهم مبشرين
ومنذرين امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال وانذر اى خوف به اى بما
يوحى اليك وهو القران الذين يخافون وهم المومنون العاصون ان يحشروا اى يبعثوا ويجمعوا الى
ربهم الى حكمه وقضايه فلا يلزم منه مكان ولا جهة وفى التيسير اى خوف بالقران فقد سبق ذكره ما فرطنا
فى الكتاب من شئ الذين يخافون وهم المومنون لان الكفار المقترحين ليسوا بقابلين انذارك فاصرف الان
ادامة الانذار الى المومنين الذين يخافون البعث والحساب والجزاء قال بعضهم اراد بالخايفين المومنين
المفرطين فى العمل والكافرين المجوزين للحشر او المترددين فيه فان الانذار يوثر فيهم دون الجازمين باستحالته
فان من لا يعتقده لا ينفع فى انذار ومشركوا العرب منهم من يعتقد الحشر ومنهم دهرية يقولون ما يهلكنا الا الدهر ليس
لهم من دونه غيرهم ولى اى قريب ينصرهم وينفعهم ولا شفيع يشفع لهم غير الله وانما نفى الشفاعة
لغيره مع ان الانبياء والاولياء يشفعون لانهم لا يشفعون الا باذن الله لا استقلالا فهو من الله فى الحقيقة
وهذا مثل ما يقول هو الذاكر والمذكور والشاكر والمشكور لان الذكر والشكر لا يكونان الا بتوفيقه وعنايته
والجملة فى موضع الحال من فاعل يحشروا اى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه
الحال لان الحشر مطلقا ليس بمخوف وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة فان كان الضمير للكفار فالكلام ظاهر
لان الكافرين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع وان كان للمومنين فلا ينافى ايضا مذهب اهل السنة فى
اثبات الشفاعة للمومنين لان شفاعة الرسل والملايكة لهم انما تكون باذن الله تعالى كما اشرنا فصح انه
ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع لعلهم يتقون لكى يتقوا ويدخلون فى زمرة اهل التقوى باقلاعهم عما هم
فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما لكى يخافوا فى الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصى قالت المعتزلة فيه دلالة
على انه تعالى اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيب بان الترجى راجع الى العباد ثم لما امر الله تعالى نبيه
بانذار غير المتقين لينتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش فقال ولا
تطرد اى لا تبعد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه قال مقاتل نزلت
فى الموالى عمار وبلال وصهيب وخباب وسالم ومهجع وسعيد بن مالك وسلمان الفارسى وعامر
وابن مسعود ونحوهم وذلك ان ابا جهل واصحابه قالوا انظروا الى هولاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا
وخدمنا ارذالة الناس واوباش كل حى فذكروا ذلك لابى طالب فقال ابو طالب لرسول الله ذلك
وقال لو طردت هولاء عنك لعل سراة قومك يتبعونك فانزل الله هذه الاية وقال السدى جاء الاقرع
ابن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله مع بلال وصهيب وخباب وناس من ضعفاء
المسلمين فحقروهم فخلوا به فقالوا انا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف العرب به فان وفود العرب
تاتيك فنستحيى ان ترانا مع هولاء الاعبد فاذا نحن جيناك فاطردهم عنك فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم
قال نعم قالوا فاكتب لنا بذلك كتابا فدعا عليا ليكتب ونحن قعود فى ناحية فنزل جبريل عليه السلام بقوله
تعالى ولا تطرد الذين الاية ثم ذكر الاقرع وعيينة فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض وقال حبيب بن نفير ان
قريشا اتوا رسول الله فقالوا ان كنت ارسلت الينا فاطرد هولاء السقاط عنك فنكون من اصحابك فركن

سورة الانعام

اليهم فانزل الله وان كادوا ليفتنونك الاية وانزل ولا تطرد الذين الاية قال الكلبى قال لهم رسول الله هات
الله عن طرد هولاء فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا
وول ظهرك اليهم فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الى قوله فرطا وفى رواية
لما قال الاقرع وعيينة مقالتهم يعنى نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرفه العرب لنا قال النبى صلى الله عليه وسلم
نعم طمعا فى ايمانهم وروى ان عمر قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا وقالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكتب لنا بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى فنزلت ولا تطرد الذين الاية وقعد جبريل
بين الفقراء ترى تبرزهم فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده واعتذر عمر عن مقالته ثم
دعا الضعفاء فاتوا اليه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا بعد ذلك نقعد معه فاذا
اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنوا منه حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها
قمنا عنه وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر مع قوم من امتى معكم المحيا
ومعكم الممات قال ابن عباس رضى الله عنهما معنى قوله يدعون ربهم اى يعبدونه واراد بالغداة صلاة
الصبح وبالعشى صلاة العصر ويروى عنه ايضا ان المراد منه الصلوات الخمس وذلك ان ناسا من الفقراء كانوا
مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اهل الاشراف اذا صلينا فاخر هولاء فيصلوا خلفنا فنزلت الاية وقال مجاهد
صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما اسرع الناس
الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال او فى هذا هو انما ذلك
فى الصلوة التى انصرفنا عنها الان وقال ابراهيم النخعى يعنى يذكرون ربهم وقيل المراد منه حقيقة الدعاء ومعنى
يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك
الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم انتهى وقال بعضهم فى معنى يريدون وجهه
اى يطلبون بدعائهم وذكرهم وصلاتهم وعبادتهم رضاه وقال بعضهم فى معناه فالوجه يعبر به عن ذات
الشئ وحقيقته وفى التبصرة يريدون وجهه اى رويته لا الفوز بالجنة ولا الهرب من النار والاولى والاليق
ان يفوض امر معرفة الوجه واليد والاصابع والصعود والهبوط والمشى والهرولة واشباه هذا الى الله وعلى مراده
ولكن تفسير الوجه كما قال البغوى فى تفسيره يريدون الله بطاعتهم اوقعوا بعد من وهم المتحيرون لان اسم الله
ووجهه عز سلطانه عن اشارة التشبيه والتعطيل مندرج تحته جميع الصفات من السمع والبصر والكلام
ويتعلق بجميع الصفات كذلك واراد بالوجه ذاته وصفاته الا ترى الى قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه
اى الا نفسه اى ذاته وصفاته وقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فاذا كان كذلك كانت
الصحابة رضوان الله عليهم يريدون الله بجميع ذاته وصفاته وكمالاته بوصف المحبة والشوق وقد خصهم
الله بارادته عما سواهم كما قال الله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وقال الله تعالى يريدون وجهه
ولكل احد يريد شيئا وهم لا يريدون عن الله تعالى الا ذاته كما قيل ؞ ولكل له سؤل ودين ومذهب ؞ وضمير
سؤلى ودينى رضاكم ؞ قال الشيخ مدكله وكما انه احب الانبياء والرسل احب الاولياء والاصفياء محبة
بلا علة وكما انه سبحانه وتعالى وتقدس خص نبينا صلى الله عليه وسلم بالروية والرسالة وفضله على جميع

خلقه بغير علة اصحابه وجميع الخلائق من الجن والانس والملك خص اصحابه الكرام بشرف الولاية بغير سبب
من جهته ولا جهد من جهده وصحة ذلك قوله تعالى **ما عليك من حسابهم من** زايدة **شيء وما من
حسابك عليهم من شيء** كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم
فشهد الله تعالى لهم بالاخلاص وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم ما عليك لخ اي لا يلزمك اعتبار بواطنهم
واخلاصهم بعد اتسامهم بسيرة المتقين وصلاح ظواهرهم انما ذلك على الله او عليهم اخلصوا ام لم
يخلصوا لا عليك وحالهم في ذلك كحالك بالنسبة اليهم سواء لا يتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تادية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة تخصيصه لا تكلف امرهم ولا
يكلفون امرك والكلام وان كان مسوقا لبيان حسابهم الا انه اردفه بحسابه ليستوي في معنى قوله تعالى
ولا تزر لخ ومن الثانية زايدة لتوكيد معنى الاستغراق والاولى ابتدائية والجار والمجرور حال من شيء قدم عليه
لكونه نكرة وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تواخذ بحسابهم ولاهم
بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المومنين طمعا في ايمانهم **فتطردهم فتكون من الظالمين** ومعنى فتطردهم
اي تبعدهم وهو جواب النفي بالفاء وهو قوله ما عليك وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي بالفاء وهو قوله
ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي ان فعلت ذلك كنت وضعت التقريب والتبعيد غير موضعهما اي ولا تطردهم
فتدخل في زمرة الظالمين فحاشاك من الطرد لانك معصوم وقال الامام يجوز ان لا يكونوا من اهل الحكمة
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من وضع الحكمة في غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها من اهلها فقد ظلمهم
وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذهب عامة اهل التاويل الى ان النبي همّ بطرد هولاء فعاتبه الله في ذلك و
لكنه بعيد يجيء بنسبون النبي عليه السلام الى قبح فعل ولو حسنه ويحتمل ان يكون النبي عليه السلام بقرب
الاعداء وبعد الاولياء ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعو الناس الى الايمان به والتوحيد
والا تباع له فاذا دخلوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم هذا العرى مدفوع في عقل كل عاقل ولكن يجوز ان يكون
طلب ذلك منه اولئك فاما ان يهم هو بذلك فلا ويجوز ان يكون هذا من الله ابتداء تاديب وتعليم له
في صحبة اصحابه ومعاملتهم واخبار عن عظيم قدر الصحابة عنده عليه السلام وان كان معصوما لان
العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهي وقال القشيري رحمه الله هذا وصية للنبي عليه السلام في باب الفقراء
والمستضعفين وذلك لما قصر لهم لسان المعارضة واستدفاع ما عرض لهم من اخلاء الرسول مجلسه
عنهم سكتوا متضرعين بقلوبهم بين يدي الله عز سلطانه داعين له حسن الابتهال فتولى الحق سبحانه
وتعالى خصومتهم فقال ولا تطرد الذين الى اخره لا تنظر يا محمد الى خرقتهم على ظواهرهم وانظر الى حرقتهم
في سرايرهم كانوا مستورين فشهرهم الله ولولا انه سبحانه وتعالى قال يريدون وجهه فشهد لهم بالارادة
والا فمن كان يتجاسر ان يقول ان مخلوقا يريد الحق سبحانه وتعالى وقد تكلموا في الارادة فاكثروا وتحقيقها
احتياج يحصل في القلب يسلب القرار عن العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا
ولا يجد من دون وصوله اليه سكونا ولا قرارا ولم يبخع كما قال قايلهم شعر ثم قطعت الليل في مهمه
لا اسدا اخشى ولا ذيبا ∴ يغلبني شوق فاطوي السرى ∴ ولم يزل ذو الشوق مغلوبا ∴ وقد الله
دعوتهم بالغداة والعشي لانها من اعمال الظاهرة وهي موقتة وادام ارادتهم فاستغرقت جميع اوقاتهم

لانها

لانها من الاحوال الباطنة وهي مويدة اضحى الا سؤل لهم من دنياهم ولا مطلوب لهم من عقباهم لا هم
لهم سوى حديث مولاهم واحسن من هذا ما قال شيخنا وامامنا وقدوتنا الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره
في غنيته اما الارادة فترك العادة وتحقيقها نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وتركما سواه فاذا ترك
العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا والاخرى فتجردت حسينئذ ارادته فالارادة مقدمة كل امر ثم يحققها
القصد ثم الفعل فهي بداية طريق كل سالك واسم اول منزلة كل قاصد قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام
ولا تطرد الذين يدعون الاية فنهى نبيه عليه السلام عن طردهم وابعادهم وقال في اية اخرى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية فامره بالصبر معهم وملازمتهم وتصبير النفس في صحبتهم
ووصفهم بانهم يريدون وجهه ثم قال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا فبان بذلك ان
حقيقة الارادة ارادة وجه الله فحسب دون زينة الدنيا والاخرة ثم قال فاما المريد هو من كانت
فيه هذه الجملة واتصف بهذه الصفة فهو ابدا مقبل على الله عز وجل وطاعته مولى عن غيره واجابته
يسمع من ربه فيعمل بما في الكتاب والسنة ويصم عما سوى ذلك ويبصر بنور الله عز وجل فلا يرى
الا فعله فيه وفي غيره من ساير الخلائق ويعمى عن غيره فلا يرى فاعلا في الحقيقة غيره عز وجل بل يرى
آلة وسببا مسخرا مدبرا مرادا مسخرا قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي ويصم اي يعميك عن
غير محبوبك ويصمك عنه لاشتغالك بمحبوبك فاحب حتى اراد وما اراد حتى تجردت ارادته وما
تجردت ارادته حتى توقدت في قلبه جمرة الخشية فاحرقت كل ما هنالك قال الله عز وجل ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة كما قيل انها لوعة تهون كل روعة ونور
غلبة واكله فاقة وكلامه ضرورة ينصح نفسه ابدا فلا يجيبها الى محبوبها ولذاتها وينصح عباد الله
وياتس بالخلوة مع الله ويصبر عن معاصي الله ويرضى بقضاء الله ويختار امر الله ويستحيي
من نظر الله ويبذل مجهوده في محاب الله ويتعرض ابدا لكل سبب يوصله الى الله ويقنع بالخمول والاخفاء
فلا يختار جهده عباد الله ويتحبب الى ربه بكثرة النوافل مخلصا لله حتى يصل الى الله عز وجل فيحصل في زمرة
احباب الله ومراديه فحينئذ يسمى مراد الله فتحط عنه اثقال سالكي طريق الله ويغمس في رحمة الله
ورافته ولطفه فيبنى له بيت في جوار الله ويخلع عليه انواع الخلع وهي المعرفة بالله والانس به
والسكون والطمانينة اليه وينطق بحكمة الله واسرار الله بعد الاذن الصريح بل الجزم من الله عز وجل في
يلقب بالقاب يتميز بها بين احباب الله فيدخل في خواص الله ويسمى باسماء لا يعلمها الا الله ويطلع
على اسرار تخصه فلا يبوح بها عند غير الله فيسمع من الله ويبصر بالله وينطق بالله ويبطش بقوة
الله ويسعى في طاعة الله ويسكن الى الله وينام مع طاعة الله وذكر الله في كلاءة الله وحرز
الله فيكون من امناء الله وشهدائه واوتاد ارضه وشحنة عباده وبلاده واحبائه واخلائه
قال النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى لا يزال العبد المومن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفواده فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش
فهذا عبد حمد عقله العقل الاكبر وسكنت حركاته الشهوانية لقبضة الحق عز وجل فصار قلبه خزانة
الله فهذا مراد الله ان اردت ان تعرف يا عبد الله انتهى **وكذلك** اي ومثل ذلك الفتن العظيم وهو

اختلاف احوال الناس في امور الدنيا كالفقر والغنى والرياسة والدناءة يعني كما فتنا وابتلينا رؤساء
قريش في مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو منبع انهار الحيوة الابدية المشتملة على جواهر
الحكم يتموج بها على كل احد كذلك فتنا بعضهم اي ابتلينا الاغنياء ببعض بالفقراء والشريف
بالوضيع بان قدمناه بالسبق الى الايمان قال الشيخ وذلك ان الشريف اذا نظر الى الوضيع قد سبقه بالايمان
امتنع من الاسلام بسببه وكان فتنة له ثم بين الفتنة بقوله ليقولوا اي الاغنياء والرؤساء
أهؤلاء الفقراء والضعفاء من الله عليهم بشرف الايمان تخصيصا لهم من بيننا
اي طايفة الشرفاء والرؤساء ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وذلك ان المشركين
لقصور نظرهم عن حطام الدنيا كانوا يستبعدون وينكرون ان يكون الفقراء ممنونا عليهم
بالتوفيق دونهم ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه فقال عز وجل انما مننا عليهم بنعمة الايمان لانا
علمنا انهم يعرفون قدر هذه النعمة فيشكرونها حق شكرها والرؤساء والشرفاء لا يعرفون قدرها فلا يشكرونها
أليس الله باعلم بالشاكرين له فيعطيهم النعمة ويمنعها غيرهم والاستفهام للانكار بنفيه للاثبات وهي
بلى هو الله اعلم بالشاكرين اي بمن شكر الاسلام اذا هداه الله وقد اقتضت حكمته بان يكون الشاكر منعما
عليه بالاسلام والكافر مخذولا في النيران ومعنى الشاكرين المطيعين لله وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال جلست في نفر من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم يستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا اذ جاء
رسول الله فقام علينا فلما قام رسول الله سكت القارئ فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي
جعل من امتي من امرني ان اصبر نفسي معهم قال ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا
وبرزت وجوههم له قال فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف احدا منهم غيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف
يوم وذلك مقدار خمسماية سنة واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا قال عكرمة نزلت في الذين
نهى الله نبيه عليه السلام عن طردهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال
الحمد لله الذي جعل من امتي من امرني ربي ان ابداهم بالسلام واذا منصوب بجوابه اي فقل سلام
عليكم وقت مجيئهم اليك اي واذا اتاك المؤمنون بالقران وساير الايات من العرب والعجم والرؤساء
والاتباع فابدأ بتحية الاسلام وكلمة السلام وقل سلام عليكم وهو الدعاء بالسلامة عن الافات كلها
في الدين والنفس والمال وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه اي ذاته وحقيقته التي ليس مثله شيء الرحمة اي
قضى ووعدكم ربكم بالرحمة والاحسان ووعدا موكدا على سبيل الفضل والكرم لا الايجاب وقيل ان قوما
جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنهما لما جاء يسلم كان يستحيي من الدخول على النبي عليه السلام
بما جنى في حق عمه فامر الله نبيه ان ابتداه بالسلام تسكينا لقلبه وقال عطاء نزلت في ابي بكر وعمر
وعثمان وعلي وبلال وسالم وابي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر
والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد والله اعلم بسبب النزول قيل وههنا اشكال وهو ان الناس اتفقوا
على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحد من ايات هذه السورة

ان سبب نزول هذه الاية الامر الفلاني بعينه بل الاقرب ان يحمل هذه الاية على عمومها فكل من امن بالله
دخل تحت هذا التشريف واجاب النيسابوري عن هذا الاشكال حيث قال قلت لا استبعاد ان تنزل
السورة دفعة واحدة ويبين النبي للصحابة كل اية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقايق التنزيل
واعلم بدقايق التاويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب مزاولة الامر والنهي انه اي الشان بدل من
الرحمة من عمل منكم سوءا بجهالة منه حيث ارتكبه يعني من عمل ذنبا وهو جاهل بما يتعلق به من
المضرة والمفسدة او جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة وقال بعضهم اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة
ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضي الله عنه فيما اشار اليه صلحا في سلامتهم كما مر قريبا فتكون
جهالة في موضع الحال من فاعل عمل لانه رضي الله عنه ما كان يعلم ما يترتب على اشارته من المضرة فلما ظهر
اعتذر او المراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من
اهل السفه والجهل لا من اهل العلم والحكمة قال مقاتل لا يعلم حلالا من حرام فمن جهالته ركب
الامر قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي انه بكسر الهمزة على الاستيناف او اضمار القول وقرا عاصم وابن
عامر بالفتح ترجمة عن الرحمة اي كتب انه وقرا نافع انه بالنصب ثم تاب من بعده اي بعد العمل والسوء
واصلح عمله بالتدارك والعزم على ان لا يعود الى السوء فانه فتحها من فتح ان غير نافع على اضمار خبر اي فله
غفرانه او اضمار مبتدا اي فامره انه غفور له رحيم بالمومنين قال الشيخ وقد اجمع القراء على كسر
ان الجزاء في قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكذلك الكاف نعت لمصدر محذوف
والاشارة بذلك الى التفصيل السابق تقديره نفصل تفصيلا مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات
اي نبين الايات القرانية في صفة المطيعين والمجرمين والتايبين قال بعضهم وكذلك نبين الايات ونميز
البعض بالبعض ومخاطبتك مخاطبة الرؤساء والفقراء ولتستبين سبيل المجرمين فتجتنب منهم قرا
نافع بتاء الخطاب ونصب سبيل لانه مفعول به اي ولتستوضح يا محمد صلى الله عليه وسلم طريق المجرمين
فتعامل كلا بما يليق فصلنا ذلك التفصيل وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء
الفوقانية من استبان بمعنى تبين لمجيئه متعديا ولازما وبرفع سبيل على انه فاعله والسبيل مؤنث
على لغة اهل الحجاز فالمعنى لتتبين سبيلهم وقرا الباقون بالياء التحتانية وضم اللام جعل السبيل فاعلا
وذكر على لغة بني تميم فالمعنى ليتضح لك سبيل المجرمين فان قيل كيف ذكر سبيل المجرمين ولم يذكر سبيل
المطيعين وكلاهما محتاج الى بيانه قلنا لانه اذا ظهر سبيل المجرمين ظهر سبيل المطيعين ايضا اذ
السبيل سبيلان لا غير فيكون سبيلهم مرادا تقديرا وانما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه
كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد قل اني نهيت اي نهاني الله قبل النبوة بالنور الفطري
وبما ركب فيّ من العقل السالم من معارضة الوهم وبعدها بالايات الزاجرة من عبادة غيره ان
اعبد الذين تدعون اي تعبدون من دون الله اي عبادة ما تعبدون من دون الله او
ما تدعونها الهة اي تسمونها قال بعض المشركين لرسول الله استلم بعض الهتنا حتى نومن بالهك فقال
الله تعالى قل يا محمد اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي الاصنام والملكة والشياطين
والجن قل يا محمد لا اتبع اهواءكم في عبادة من هو غير الله وفي طرد الذين يدعون ربهم

Copyright King Saud University

وفي كل شيء قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين الى طريق الحق
في شيء ما دمت اتبعكم وفيه غاية التنفير عن طريقهم ثم لما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب
اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي اي على بصيرة وبيان فاصل بين الحق والباطل من معرفة
ربي وانه لا معبود سواه وهو النبوة ونزول الوحي وقال بعضهم اي اني على حجة تجزان ما يعبدون لا يعبد في
اتباعا للهوى انفسهم وهو يعبد الله اتباعا للحجة والعقل وما يتبع بالهوى يجوز ان يتركه صاحبه ويتبع
غيره لما يهوى نفسه هذا بعد الاول واما ما يتبع بالحجة والعقل والسمع لا يجوز له يترك اتباعه ويتبع
غيره وقد كذبتم تعليلا لا بائكم به اي بما جئت به او بربي حيث اشركتم به غيره ثم اعقب الجملة
بما دل على انهم احقاء بان يعاقبوا بالعذاب المستأصل فقال ما اي ليس عندي ما تستعجلون
به اي العذاب الذي تستعجلون في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم قال الكلبي
نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم
وقيل المراد به القيامة لقوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ان الحكم الا لله اي ليس الحكم والقضاء
في تعجيل العذاب وتأخيره وفي كل شيء الا الله وحده يقض الحق اي كل ما قضى به فهو الحق لا اعتراض
لاحد عليه بحكم المالكية يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ
وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وانتصاب الحق على انه صفة مصدر محذوف اي يقض القضاء الحق
او على انه مفعول به من قولهم قضى الدرع صنعها اي يصنع الحق ويدبره واصل القضاء الفصل
بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه
قرأ نافع وابن كثير وعاصم يقص بصاد مهملة مشددة مرفوعة من قص اثره اذا تبعه اي يتبع الحق
والحكمة فيما يحكم به ويقدره او يخبر بالحق ولا خلف في وعده ووعيده والباقون بضاد معجمة مخففة
مكسورة وهو خير الفاصلين اي الحاكمين والقاضين بين الحق والباطل فيما يجري بين عباده لانه
لا يخفى عليه الحق والباطل فالقضاء المبين اذ الفصل هو القضاء قل يا محمد لهم لو ان عندي
اي في قدرتي ومكنتي وبيدي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد في قوله
يستعجلونك بالعذاب ومتى هذا الوعد يعني بان يكون امره مفوضا الي من جهته لقضي الامر
بيني وبينكم اي لاتم الامر بيني وبينكم بتعجيل ذلك لكم غضبا لربي حيث كذبتم به وفي بنائه قضي
للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الحقيقي الذي هو الله تعالى وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب
ما لا يخفى والله اعلم بالظالمين حتى يعاقبهم يعني والله اعلم بحال الظالمين وبان بعضهم مستحق
للامهال بطريق الاستدراج لتشتد بهم العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي بتعجيل العذاب افوض
امري الى الله فسبحان من حكم على خلقهم وعنده تعالى مفاتح الغيب اي خزائنه او الطرق الموصلة الى
علمه لا يعلمها الا هو مفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح وهو الاقليد الذي يفتح به وقوله مالك
جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزانة التي فيها المال تفتح وتغلق ويتصل هذه الآية بالاية الاولى اي ليس
عندي علم وقت العذاب الذي تستعجلونه وعند الله مفاتح الغيب اي خزائن الرزق والعذاب
يعني عند الله الاشياء التي يفتح بها المتعلق من الامور التي تحجب علمها عن الخلق وقيل هو العالم بكل
شي

شي من مبدئه الى منتهاه لا يعلمها الا هو اي لا يعلم الاشياء على حقائقها جملة وتفصيلا الا هو قال
عطاء وعنده مفاتح الغيب ما غاب عنكم من الثواب والعقاب والاجال والاحوال والشقاوة والسعادة
وخواتيم اعمال العباد وما يصير اليه امري وامركم وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية كما رواه البخاري
جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق
والاقفال ومن علم مفتاحها وكيفية فتحها توصل اليها والمعنى انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل
اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن قيل عنده مفاتح الغيب
وعندك مفاتح الغيب فمن امن بغيبه اسبل الله الستر على عيبه وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب
خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقيل هو ما لم يكن بعد انه يكون ام لا يكون وما يكون كيف يكون
وما لا يكون ان لم يكن كيف يكون قال الشيخ تلخيصه ان الله هو المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها ولا يعلم
الطرق الموصلة اليها الا هو ويأتي بتعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت
به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها لان الغيب شامل للاشياء التي لم توجد في
الخارج فاذا علم في الازل ما لم توجد ثبت علمه بالاشياء قبل وقوعها و لا يختص علمه سبحانه في ذلك بل
يعلم ما اخرج واحدث من خزائنه فافاضه على ما في البر والبحر اي يعلم ما فيهما من الموجودات
مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وكثرة افرادها قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى
والامصار وقيل البر المعروف والبحر المعروف وهو عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن
اختصاص العلم بالمغيبات والعباد يعلمون ان ما في البحر ماء وحيتان وفي البر رملا وحصى واشجارا
واوراقا ونحوها من حيث الجملة والله يعلم مقاديرها وظواهرها وبواطنها وما اودع فيها ولا يختص
علمه سبحانه في الكليات والجزئيات التي لا تتغير بل وما للنفي تسقط من زائدة لاستغراق الجنس
ورقة الا يعلمها هذا بيان لتعلق علمه تعالى باحوال المشاهدات بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال
السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكره عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها
خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من شجرة في بر ولا بحر الا موكل بها ملك يكتب ما يسقط من ورقها وقال كعب
وكل بها ملكان يكتب احدهما ما يسقط منها ويكتب الاخر ما يطلع وقال ابو بكر بن عبد شي ما يسقط من ورقة
الا يعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان سقطت على الارض وفي التاويلات قال بعض الحكماء ما من ورقة الا وتقدير
ثلثة اشياء بالهواء والارض والماء ولو اجتمع حكماء العالم لم يدركوا ان الورقة والنبات كم مقدار يأخذ
من الهواء وما يأخذ من الارض وما يأخذ من الماء ولم يدركوا المعنى الذي به الجمع والتربية والله تعالى يعلم
ذلك كله وكيف لا يعلم وبه اخذ ما اخذ وبه اجمع وتضمن وتربى والمعنى ما تسقط ورقة في حال من
الاحوال الا في حال كونه عالما بها يعني يعلم عددها واحوالها قبل السقوط وبعدها ثم بالغ في احاطة علمه
سبحانه باحوال الجزئيات فقال ولا حبة عطف على ورقة اي ولا تسقط حبة من الحبات المحرقة
في ظلمات الارض اي في بطون الارض وقيل تحت الصخرة في اسفل الارضين قال سعيد بن جبير

ما من حبة الا مكتوب عليها هذا رزق فلان **ولا رطب ولا يابس** معطوفان عليها اى الا يعلمها
وهذا للتعميم قال ابن عباس المراد بالرطب الماء وباليابس البادية وفى نسخة وباليابس البرى يعنى
التراب وقيل المراد بهما ما ينبت وما لا ينبت وقيل ولا حى ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شى
وقيل الرطب لسان المؤمن واليابس لسان الكافر **الا فى كتاب مبين** بدل من الاستثناء الاول بدل
الكل على ان كتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرى
المعطوفات الثلثة بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا فى كتاب مبين قال محى الفرض
والسنة يعنى ان الكل فى اللوح المحفوظ وقال الشيخ هو لوح القدر قال ابو منصور اى هو محفوظ كله عند
الله ويحتمل ان يكون معناه فى كتاب اى فى تقدير وحكم وقيل هو ما يكتب ليلة القدر او ليلة البراة
من النسخ ويدفع الى الملئكة قال الحسن انما ذكر اثبات هذه الاشياء فى اللوح المحفوظ ليعلم ابن ادم
ان عمله اولى بالاحصاء لانه للحساب والجزاء ونظير قوله وعنده مفاتح الغيب قوله ان الله عالم
غيب السموات والارض وكذا قوله له مقاليد السموات والارض ومن عنده مفاتح فله الخزاين لى
الملك والعلم والتصرف قال الشيخ وقوله الا فى كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى
الا فى كتاب مبين واحد وهو علم الله او اللوح وانما ذكر كثرة الوجوه والاقاويل وامكان يتوهم التكرار
فى العبارات ليفهم من هو مثلى والله اعلم بالضماير والمنيات فقوله **وهو الذى يتوفاكم بالليل**
اى يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل قال بعضهم اى الذى ينيمكم وهو كقوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتوفى فى اللغة هو قبض الشئ على تمامه قال السلطان اى ينيمكم ويرقدكم فى
وقت النوم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتميز فان
اصله قبض الشى بتمامه وانما عبر عن وقت النوم بالليل وعن وقت الكسب بالنهار لانهما معظما
اوقاتهما او خصهما بالذكر جريا على ما هو العادة **ويعلم ما جرحتم بالنهار** اى ويعلم ما كسبتم بالنهار
من الاثام وغيرها وجوارح الصيد كواسبها وما علمتم من الجوارح من ذلك والاجتراح الاكتساب
قال الله ام حسب الذين اجترحوا السيئات والجوارح الاعضاء للفاكواسب وليس فى تخصيص الجرح
بالنهار انه سبحانه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا انه لا يتوفانا بالنهار وانما قيد بذلك لانه زمان
حركة الانسان غالبا والليل زمان نومه غالبا كما قلنا على ما هو العادة كذلك ان تخصيص الشى
فى حال بالذكر لا يدل على سقوط ذلك فى حالة اخرى **ثم يبعثكم فيه** اى يوقظكم من منامكم فى
النهار اطلق البعث ترشيحا للتوفى **ليقضى** على البناء للمفعول **اجل** مفعول ما لم يسم فاعله **مسمى**
صفته واللام فى ليقضى متعلقة بما قبلها من مجموع الفعلين اى يتوفاكم ثم يبعثكم لاجل ان يبلغ
المتيقظ اخر اجله المسمى المعين لكل فرد فرد لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين
لتخصيصه ليتم مدة الحيوة اى استيفاء العمر على التمام قال السلطان ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى
له فى الدنيا **ثم اليه مرجعكم** اى رجوعكم بالبعث بعد الموت يعنى فى الاخرة لا الى غيره من العبيد **ثم**
ينبئكم بما كنتم تعملون اى يخبركم بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الايام والليالى
وقيل الخطاب فى الاية مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون الاثام بالنهار

وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل ليقضى
الاجل ثم ينبئكم بما تعملون فى ليلكم ونهاركم بالجزاء والظاهر ان الاية عامة لكل من نام واستيقظ مؤمنا
كان او كافرا ولمن اخر جزاء العمل لكنه لكل بعموم اللفظ ولهذا قال فى التيسير هذا وعد ووعيد **وهو**
القاهر مستعليا لانه **فوق عباده** ولا قهر للدون اى هو المتصرف فى امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك لا كالاصنام التى اتخذتموها الهة وهى لا تضر ولا تنفع
قال بعضهم ليس المراد الفوقية بالجهة تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا بل المراد الفوقية من حيث القدرة
فانه قهار للممكنات المعدومة بالايجاد والتكوين وللممكنات الموجودة بالافساد والافناء وقهار
لكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والليل بالنهار والنهار بالليل وقهار للعناصر التى
تالف البدن منها فانها مع كونها متنازعة متباعدة بالطبع والخاصية وقد الف الملك القهار بينها
بان خلع عنها كيفياتها المتضادة واودع فيها كيفية واحدة متوسطة بين تلك الكيفيات الصرفة
وقهار للروح والبدن حيث جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة الكاملة وجعل كل واحد منهما مستكملا
بصاحبه منتفعا بالاخر فان الروح يصون البدن عن العفونة والفساد والبدن يصير الة
للروح فى تحصيل السعادات الابدية والمعارف الالهية مع ما بينهما من كمال المباعدة من حيث الكثافة
واللطافة واذا تاملت فيما ذكرنا علمت ان ما سوى الله مقهورة تحت قدرة الله ومسخرة بتسخير الله كما قال
القاهر فوق عباده **ويرسل** عطف على وهو القاهر **عليكم** ايها المكلفون **حفظة** اى ملئكة كراما
كاتبين يكتبون اعمالكم واقوالكم فيحفظونها عليكم قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون والفائدة فى جعل الملئكة موكلين على المكلفين ان المكلف اذا علم ان الملئكة موكلون به
ويكتبون عليه اعماله فى صحيفته تعرض على رؤس الاشهاد فى مواقف القيمة كان ذلك ازجر له
عن القبايح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه
من خدمه المتطلعين عليه هذا وقيل يحتمل ان يكون الكتابة لفائدة وزن تلك الصحايف يوم القيمة
لان وزن الاعمال غير ممكن واما وزن الصحايف فممكن واختلف الاثار فى عدد الحفظة روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والاخر عن يساره فاذا
تكلم الانسان بحسنة كتبها من عن يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره
لعله يتوب منها فان لم يتب كتب عليه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين
الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد
حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه تسع ساعات
لعله يسبح او يستغفر قال الامام ذكر ارسال الحفظة بعد قوله وهو القاهر ليعلم ان ارسالهم لم يكن لحاجته
عز وجل الى ذلك لان المحتاج لا يكون قاهرا بل للحكمة وهى امتحان الحفظة بما امرهم به ولله ان يمتحن
عباده بما شاء **حتى اذا جاء احدكم الموت** اى وقته وامارته وحتى لغاية حفظ الاعمال
اى ذلك داب الحفظة مع المكلف مدة الحياة الى ان ياتيه الممات **توفته** اى استوفت روحه
رسلنا اى الملئكة الموكلون بقبض الارواح باذننا وتفويضنا يعنى اعوان ملك الموت يقبضونه

فيدفعونه الى ملك الموت فيقبض روحه كما قال الله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وقيل الاعوان يتوفونه
بامر ملك الموت فكان ملك الموت توفاه لانهم لا يصدرون عن امره وقيل اراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر
الواحد بلفظ الجمع تعظيما له قال ابن عباس رضي الله عنهما اعوان ملك الموت سبعة من ملئكة الرحمة
وسبعة من ملئكة العذاب فاذا قبض ملك الموت نفسا مومنة دفعها الى ملئكة الرحمة واذا قبض نفسا
كافرة دفعها الى ملئكة العذاب وجاء في الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة
فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت الارواح يدعو الارواح فتجيب له قرا الجمهور توفته ماضيا
بتاء التانيث لتانيث الجمع وقرا حمزة توفاه بالف ممالة من غير تاء التانيث **وهم لا يفرطون** الجمهور
على التشديد ومعناه وهم لا يقصرون فيما يومرون به من قبض الارواح طرفة عين وقرئ بالتخفيف
من افرط بمعنى لا يجاوزون الحد فيما امروا به وقيل التفريط التواني والتاخر عن الحد والافراط
مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت
لبيان اعتنائهم بما امروا به **ثم ردوا** عطف على توفته والضمير لكل العباد المدلول عليه بقوله احدكم
الموت **الى الله مولاهم الحق** اي العدل والمعنى ثم رد المتوفون برد الملئكة وقيل برد الله بالبعث
والحشر مولاهم الذي يلي امورهم على الاطلاق اي مالكهم الحق يعني الى حكمه وجزائه في موقف الحساب
لا الموالي الدنيا المتغلبين ولذ جعل هذا في حق الكفار فقوله مولاهم الحق هنا مع قوله في موضع اخر
وان الكافرين لا مولى لهم يكون تخصيص المعنى ان المولى ههنا هو المالك والسيد وهناك المعين والناصر
والمولى والحق صفتان لله وقرئ بالنصب على المدح **الا له الحكم** اي له القضاء النافذ فيهم يومئذ
صورة ومعنى لا حكم فيه لغيره بوجه من الوجوه وصدره بحرف التنبيه ايقاظا للسامع **وهو اسرع
الحاسبين** اي يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن
شان قال السيوطي في تفسيره اي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك
لانه لا يكون فيه حاجة الى فكرة وروية وعقد يد قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد في
يوم واحد قال كما يرزقهم في الدنيا في يوم واحد فذاك القشيري فلما ردهم الى نفسه وما غابوا
عن قبضته لحظة ولا خرجوا من مشيته خطرة ولا لفظة والرد الى من رباك خير من البقاء
مع من اذاك **قل من ينجيكم** هذا نوع اخر من الدلالة على كمال القدرة الالهية وكمال الرحمة والفضل
والاحسان والاستفهام للتقرير والتوبيخ قرا الجمهور بالتشديد ويعقوب بالتخفيف والمعنى واحد
اي قل يا محمد لاهل مكة من يخلصكم **من ظلمات البر** كخوف العدو والحريق واضلال الطريق
استعيرت الظلمة للشدة يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب **والبحر** كخوف الغرق
والعدو والضلال وسكون الريح وغير ذلك من الشدائد فلولا انه سبحانه المنجي فلم **تدعونه** حال
من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له كانوا اذا سافروا في البر والبحر فضلوا
الطريق او خافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فينجيهم فذلك قوله تدعونه **تضرعا وخفية** اي علانية
وسرا يعني تدعونه اعلانا متذللين تحقيقا للعبودية واسرارا مخلصين تحقيقا له وتحلفون له
الشكر موكدا بالقسم اذ تقولون **لئن انجيتنا** يا رب **من هذه** يعني تدعونه قائلين لئن خلصتنا

من هذه

من هذه الشدائد والظلمات **لنكونن من الشاكرين** وهو معرفة النعمة مع القيام بحقها اي لنكونن
من المومنين الموحدين شكرا لله على نعمه بطاعته قرا الكوفيون انجانا بلفظ الغيبة مراعاة لقوله تدعونه
والباقون بالخطاب حكاية لخطابهم حالة الدعاء **قل الله ينجيكم منها** اي من تلك الظلمات والشدائد
يعني سلهم يا محمد من ينجيكم منها فاذا اقروا بذلك فقل هو كما قلتم الله ينجيكم من تلك الظلمات
تهتدوا والطريق وهو ينجيكم منها **ومن كل كرب** اي ومن كل غم بعد تلك الشدائد والظلمات
او قبلها والكرب غاية الغم الذي ياخذ بالنفس وقرا اهل الكوفة وابو جعفر ينجيكم بالتشديد مثل قل
من ينجيكم وقرا الاخرون هنا بالتخفيف **ثم انتم** بعد النجاة **تشركون** بالله اي لا تخلصون حين
تخلصون ولا تشكرون بل تشركون يعني تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد حيث قلتم لئن انجيتنا الى
اخره يريد انهم يقرون ان الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيكم ثم تشركون معه الاصنام
التي قد علموا انها لا تضر ولا تنفع وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله
فكانه لم يعبده **قل** يا محمد للمومنين وقيل للمشركين بعد النجاة الموعود عنها بالشكر انما اشركتم لامنكم من
الشدائد لكن لا وجه للامان منها لاستمرار منشاء الخوف وهو القدرة الالهية على انواع الشدائد من
الجهات كلها اذ **هو القادر على ان يبعث عليكم** سيما اذا ابدلتم وجحدتم الشكر بعد النجاة بالشرك
عذابا اعظم من تلك الشدة **من فوقكم** قال الحسن وقتادة نزلت الاية في اهل الايمان وقال قوم
في المشركين كما اشرنا قوله عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم
شعيب وقوم لوط واصحاب الفيل وقوم نوح يعني الله الذي قدر على انجائكم هو قادر على اهلاككم
بانواع العذاب من فوقكم **او من تحت ارجلكم** يعني الخسف والرجفة كما فعل بقارون وفرعون
وبقوم شعيب وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم
العبيد السفلة وقال الضحاك من فوقكم اي من قبل كباركم او من تحت ارجلكم اي من اسفل منكم وقيل هما
حبس المطر والنبات **او يلبسكم** عطف على يبعث **شيعا** اي فرقا وجماعة ومعنى يلبسكم اي يخلط
امركم خلط شقاق ونفاق وخلاف لا وفاق واجتماع فيجعلكم مختلفي الاراء متحزبين على اهواء شتى
ينشب القتال بينكم قال الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
وشيعا نصب على الحال وهي جمع شيعة وهي من يتقوى بهم الانسان لتخصيصه او يخلطكم فرقا يثبت
فيكم الاهواء المختلفة **ويذيق** يطعم عطف على يبعث والاذاقة استعارة **بعضكم باس بعض** اي
يقاتل بعضكم بعضا بالسيوف المختلفة وقرئ بنون العظمة قيل الاول للبعض الاول الكفار وبالاخر المومنين
ففيه وعد ووعيد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ
بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
باس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي
عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني
جبريل عليه السلام ان فناء امتي بالسيف وفي رواية اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد
بني معاوية ركعتين فناجى ربه طويلا ثم قال سالت ربي ثلثا سالته ان لا يهلك امتي بالطاعون فاعطانيه

Copyright King Saud University

وسالته ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وفي رواية
دعا النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد فسال الله ثلثا فاعطاه اثنتين ومنعه واحدة ساله ان لا يسلط
على امته عدوا من غيرهم فيظهر عليهم فاعطاه ذلك وساله ان لا يهلكهم بالسنين فاعطاه ذلك
وساله ان لا يجعل باس بعضهم على بعض فمنعه ذلك والاية حجة على المعتزلة في خلق افعال العباد
وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بين يدي الساعة لهرجا
قلنا وما الهرج قال القتل والكذب ثلاث مرات فقلنا يا رسول الله اكثر من قتلنا الكفار فوالله انا
لنقتل في العام الواحد كذا وكذا قال ليس بقتلكم الكفار ولكن تقتل بينكم يا معشر اهل الاسلام حتى يقتل
الرجل جاره ويقتل صاحبه واخاه واباه فقلنا يا رسول الله ومعنا عقولنا وفينا كتاب ربنا قال
تذهب عقول اكثر اهل ذلك الزمان حتى يروا انهم على شيء وليسوا على شيء **انظر كيف نصرف**
الايات بالوعد والوعيد **لعلهم يفقهون** يعلمون ان ما هم عليه باطل اي كيف نورد عليهم
المختلفة من بيان الحق واجابة الدعاء والانجاء من الظلمات وتصريف الليل والنهار والامر والنهي والوعد
والوعيد من اول السورة الى ههنا ليستنبط هؤلاء المشركون منها بطلان قولهم وتناقض مذاهبهم
وقال القشيري قدس سره ويذيق بعضكم باس بعض لا طعم اذوى من طعم الانسان ان نشت في الولاية
والمحبة وان نشت في العداوة والبغضة فمن مني بالعصبية مع اشكاله تنغص عيشه في الدنيا
ومن مني بمحبة امثاله تكدر عليه حاله مع المولى ومن صانه الله عن الخلق فهو المحفوظ المعافى
وكذب به بالقران وقيل بالعذاب وقيل بتصريف الايات **قومك** قريش **وهو الحق** اي والحال
انه الكتاب الصادق الكاين الثابت الذي لا شك ولا ريب في وقوع كل ما نطق به **قل لهم لست**
عليكم بوكيل اي لست بحافظ اعمالكم حتى اجازيكم عليها بل الله يجزيكم بها قاله الحسن وقيل لست
عليكم بمسلط امنعكم جبرا ان تكفروا بل انما انا منذر والي الدعوة والتبليغ وهذا قبل الامر بالقتال ولهذا
قال ابن عباس رضي الله عنهما نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل لست عليكم بوكيل
املك نصرفكم على ما اريد وانقلكم عن اهوائكم كالتكذيب وغيره من المفاسد وانما انا منذر وقد
خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما هو في الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين **لكل نبا** اي لكل
خبر يخبره الله تعالى **مستقر** اي وقت استقرار ووقوع يحصل فيه من غير خلف ولا تاخير ومنه
عذابكم **وسوف تعلمون** عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة يعني حقيقة خبر ما كذبتم به وهي كلمة
وعيد فقيل انهم علموا ذلك يوم بدر ويجوز ان يكون بعض وعيدهم يتحقق في الاخرة او يتحقق كله في
وقيل اي لكل وعد ووعيد من الله وقوع واستقرار وسوف تعلمون اذا نزل وهو كقوله ولتعلمن نباه
بعد حين وقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله وقال الحسن اي لكل عمل جزاء فمن عمل خيرا جوزي به الجنة ومن
عمل سوءا جوزي به النار وسوف تعلمون يا اهل مكة وقال بعضهم يحتمل ان يكون هذا صلة قوله قل لست
بوكيل لكن لكل نبا مستقر اي لم اسلط على قتالكم الآن ولكل نبا مستقر فيه اغنم اموالكم واسبي
ذراريكم اذا ورد الامر بالقتال **واذا رايت** الخطاب للنبي ويريد به الامة كما سياتي قريبا **الذين يخوضون**
في اياتنا اي في القران بالتكذيب والاستهزاء والطعن فيه **فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث**

غيره مما يحل قال الحسن وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير هو خوض تكذيب واستهزاء
قلت يعني بهما القران والنبي كما قال ابن عباس امر الله رسوله اذا رايت المشركين يكذبون بالقران ويكـ
ـيستهزؤن بذلك فاترك مجالستهم حتى يخوضوا في حديث غيره اي حتى يكون خوضهم في غير القران
فحينئذ يجوز مجالستهم **واما ينسينك الشيطان** ان شرط وما زايدة ادغم النون فيه والنون
للتاكيد ومعناه وان ينسك الشيطان بوسوسته بعد النهي عن القعود معهم فقعدت معهم **فلا**
تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكرك ما امرت به من ترك مجالسة الخائضين **مع القوم الظالمين**
اي مع المشركين فقم اذا ذكرت قرا ابن عامر ينسينك بفتح النون وتشديد السين وقرا الباقون
ينسينك بسكون النون وتخفيف السين من انساه كقوله وما انسانيه الا الشيطان وانساه الشيطان
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي رواية
قال المسلمون فانا نخاف الاثم حين نتركهم ونقوم عليهم وهم يخوضون ولا ننهاهم فانزل الله تعالى
وما على الذين يتقون اي وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم
من حسابهم من شيء اي شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم واستهزائهم **ولكن ذكرى**
اي ولكن على المتقين ان يذكروهم تذكيرا ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة
والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى النصب على المصدر اي ولكن يذكرونهم
ذكرى اي تذكيرا والرفع على انه مبتدا حذف خبره تقديره ولكن عليهم ذكرى او عليك ذكرى
فذكرى مبتدا وعليك خبره قال الشيخ ولما كان قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا خطابا
لرسول الله والمراد به امته رد الكلام اليهم فقيل وما على الذين يتقون الكفر والمعاصي من حساب الكفار
الخائضين شيء لكن عليهم ان يعظوهم وعظا بحسب الامكان وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال لما قدم النبي عليه السلام المدينة جعل المنافقون اذا راوا المسلمين جلوسا اتوهم فجلسوا
معهم ثم استهزؤا برسول الله وبالقران واذوهم فنزل عليهم بالمدينة وقد نزل عليكم في الكتاب
اي بمكة ان اذا سمعتم ايات الله اي القران يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان رضيتم بخوضهم اشارة الى هذه الاية وقوله **لعلهم يتقون**
اي لعل الخائضين يجتنبون الخوض اذا وعظتموهم حياء او كراهة لمساءتهم يعني فرخص لهم مجالستهم
للوعظ لعلهم يمنعهم الوعظ عن الخوض او كراهة المؤمنين اياهم من الخوض في الاستهزاء وقيل يجوز
ان يكون الضمير في لعلهم للمتقين اي لعل المتقين يثبتون ويستمرون على تقواهم اذ الهوا المشركين عن
ذلك المنكر وقيل هذه الاية تتصل بقوله وهو اسرع الحاسبين وما على المتقين حساب وانما ذكرهم الله
الحساب ليتقوا المعاصي **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا** يتصل بقوله ولكن ذكرى
وتبين ان التذكير والوعظ يجب ان يكون بالقران وهو كقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله
وذر اي اترك محاجة هؤلاء بايراد الحجج عليهم لانها انما تنفع لمن تدبر وتفكر وطلب الحق بدلائله
وهؤلاء الخائضون اتخذوا دينهم عبثا لا يقصدون به طلب الحق ولا يطلبون دلائله ولا يفكرون في معاده

Copyright King Saud University

والجزاء والحساب وقال الشيخ ويحتمل التقديم والتاخير اى وذر الذين اتخذوا اللهو واللعب لهم دينا حتى
لا يفارقوا ذلك كما لبثت الذى يتخذ للابد ويحتمل اتخذوا دينهم ما هويته انفسهم ودعتهم
اليه الشياطين ومن فعل ذلك فهو عابث لاعب وانما اضاف اليهم الدين ولم يكن للمشركين دين
لانهم اتخذوا الدين الحق شيئا من جنس اللعب واللهو وهو عبادة الاصنام او لانهم اتخذوا دين
الاسلام الذى هو دينهم الذى كلفوا به لعبا ولهوا حيث يسخرون به وقيل اراد بالدين العيد الذى
يعاد اليه كل حين محمود بالوجه الذى شرعه الله كعيد المسلمين فان عيدهم بالصلوة والصدقة
والتكبير او بالوجه الذى اعتادوه من اللعب واللهو كاعياد الكفرة من المشركين وغيرهم تخصيص
المعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ولذا قيل يجوز ان يكون تحذيرا وتهديدا لهم كقوله
تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وكقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن
حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم نسخه باية السيف **وغرتهم الحيوة الدنيا** اى لذاتها
حتى انكروا البعث يعنى او همتهم الشياطين وخيلت لهم ان ما اعطوا فيها من رياسة على الضعفة و
وسع لهم فيها من الرزق واطيل لهم فى البسطة انما هو لكرامتهم على الله قال الشيخ يعنى فلا تتعرض لهم و
قبل الامر بالقتال كما اشرنا **وذكر به** اى عظ بالقرآن وبين لذات الدنيا لمن اراد الميل اليها والحاقها بانه
سبب **ان تبسل** اى تسلم الى الهلاك **نفس بما كسبت** هذا الغرور من انكار الاخرة فصارت **ليس لها**
من دون الله اى غير الله **ولى** ناصر يقربها منه **ولا شفيع** يمنع عنها العذاب توضيحه عظ بالقرآن
ان تبسل نفس بما كسبت يعنى مخافة ان تمنع من النجاة وتسلم الى الهلكة والعذاب بسبب كسبها وترهن
بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع لان المسلم اليه وهو الهلاك يمنع المسلم وهو التخلص والخروج منه و اسد
باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه بقوته وهذا بسل عليك
اى حرام قال الاستاد وعظ بالقرآن ان تبسل اى ان لا تبسل اى لا تسلم نفسك للهلاك بما كسبت قاله
مجاهد وعكرمة والسدى وقال ابن عباس ان تبسل اى تهلك وقال قتادة معناه ان تحبس وقال الضحاك
تحرق وقال ابن زيد تؤخذ ومعناه ذكرهم ليؤمنوا ان لا تهلك نفس بما كسبت وقال الاخفش تبسل تجازى
وقيل تفضح وقال الفراء ترتهن والبسل نعت لكل تشديد ينفى ويترك **وان تعدل كل عدل** اى
وان تفد تلك النفس المغرورة بالحياة الدنيا لخلاصها من عذاب الله كل فداء اى كل نوع من انواع الفدا
لا يؤخذ منها اى لا يقبل من تلك النفس والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء اى انه
مصدر مؤكد **اولئك** اى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وهو اسم الاشارة مبتدا وخبره **الذين**
ابسلوا اى اهلكوا واسلموا الى العذاب **بما كسبوا** اى بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة
بيانه مرة اخرى يعنى اولئك الخائضون الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ان هلكوا واسلموا للهلكة
وحبسوا وفضحوا بما كسبوا من الشرك والخوض فى الباطل والمعاصى **لهم** خبر ثان لاولئك **شراب من**
حميم يعنى اولئك المبسلون ثابت لهم شراب من ماء حار شديد السخونة يتجرجر فى بطونهم يعنى
يصهر به ما فى بطونهم ويقطع امعاؤهم جزاء على الاشربة المحرمة **وعذاب اليم** وجيع مولم
يعنى نار تشتعل بابدانهم **بما كانوا يكفرون** اى بسبب كفرهم وفى التيسير قيل لهم شراب من حميم بما

شربوا من الشهوات وعذاب اليم بما تناولوا من الشهوات قال الكلبى ونزلت فى عبد الرحمن
بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما وقد دعا اباه الى عبادة الاوثان قبل اسلامه قوله تعالى **قل**
يا محمد نيابة عن صديقك لما بينهما من الاتصال والاتحاد ما لا يخفى **اندعو** اى انعبد **من**
دون الله الضار النافع **ما** اى اصناما **لا ينفعنا** اى لا يقدرون على نفعنا ان دعوناهم
وعبدناهم **ولا يضرنا** ان تركناهم وعصيناهم يعنى انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع
الكمالات الالهية التى من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر عليهما وادنى مراتب المعبودية القدرة
على ذلك **ونرد** عطف على ندعو داخل فى الانكار والنفى **على اعقابنا** اى نرد راجعين الى الشرك وهو
حال من ضمير نرد **بعد اذ هدانا الله** فانقذنا منه ورزقنا الاسلام يعنى فلا يكون ذلك الرد على
الاعقاب **كالذى استهوته** اى لا يكون مثلنا كمثل الذى استغوته واضلته واستمالته عن
الطريق الواضح **الشياطين** الكاف فى محل النصب على انه حال من فاعل نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين
بالضال الذى ذهبت به مردة الجن والغيلان **فى الارض** اى فى المفازة البعيدة والمهالك او على
انه نعت لمصدر محذوف اى انرد ردا مثل رد الذى استهوته **حيران** اى متحيرا ضالا عن
الطريق المستقيم لا يدرى الى اين يذهب كالسكران **له** اى لهذا المستهوى **اصحاب** رفقة صفة
لحيران **يدعونه الى الهدى** صفة لاصحاب يعنى لهذا الرجل المستهوى اصحاب مشفقون به
يريدون له الخير يدعونه ~~يعنى لهذا الرجل المستهوى~~ الى الصراط المستقيم وقال السلطان اى الى ان
يهدوه الطريق المستقيم او يهدونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى مبالغة قرا حمزة استهويه
بتاء التانيث وحمزة استهواه بالف ممالة اى ويقولون للمستهوى ليهدوه الطريق **ائتنا** اى دع طريق
الضلالة وعد الينا هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن يدعوا الى الالهة ولمن يدعو الى الله تعالى كمثل رجل فى
رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعوه اصحابه من اهل الرفقة هلم الى الطريق ويدعوه الغول فيبقى
حيران لا يدرى اين يذهب فان اجاب الغول انطلق به الى الهلكة وان اجاب من يدعوه الى الطريق اهتدى
قل ان هدى الله الذى هدانا اليه وهو الاسلام **هو الهدى** وحده وما عداه ضلال كقوله
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وتكرير الامر بقل للاعتنا
بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان
اختصاص الهدى بهدى الله تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده **وامرنا** اى وقل امرنا
لانه عطف على ان هدى الله واللام فى **لنسلم لرب العالمين** لتعليل الامر المحكى وتعيين ما اريد
به من الاوامر الثلاثة اى الاسلام واقامة الصلاة والتقوى يعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل
الاسلام لا لغرض اخر وقيل اللام زائدة على حذف الباء وقيل هى بمعنى الباء اى امرنا بان نسلم **وان**
اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم على الوجوه الثلثة اى امرنا بذلك لنسلم ولنقيم الصلوة
وللتقوى قال الشيخ اى تذللوا له سبحانه بالعبادة واتقوه فلا تخالفوا امره ونهيه بالمعصية ثم اعلم
انه تعالى لما بين او لان الهدى النافع هو هدى الله اردف ذلك الكلام الكلى بذكر اشرف اقسامه
على الترتيب وهو الاسلام الذى هو رئيس الطاعات الروحانية والصلاة التى هى رئيسة الطاعا

Copyright ... University

الجسمانية والتقوى التي هي رئيسة باب التروك والاحتراز عن كل ما لا ينبغي ثم بين منافع هذه
الاعمال ونتيجتها فقال **وهو الذي اليه تحشرون** يوم القيمة للحساب والجزاء يعني ان منافع هذه
الاعمال انما تظهر حين تجمعون في الموقف للحساب ثم انه تعالى لما بين في الايات المتقدمة فساد طريق
عبادة الاصنام ذكر بعدها ما يدل على انه سبحانه مباين عن خلقه ولا معبود الا هو فقال **وهو
الذي خلق السموات والارض** وما بينهما وما فوقهما وما تحتهما واياتهما **بالحق** اي قائما بالحق
والحكمة او للحق ولم يخلقها باطلا وقيل لمنافع العباد او اظهارا للحق لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته
فالباء بمعنى اللام او محقا او ملتبسا بالحق او خلقا ملتبسا به **واذكر يوم يقول** للمحشورين او للشيء
كن فيكون قيل راجع الى خلق السموات والارض والخلق بمعنى القضاء والتقدير كل شيء قضاه قال له
كن فيكون وقيل يرجع الى يوم القيمة يدل على سرعة امر البعث والساعة كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا
فيموتون وقوموا فيقومون **قوله الحق** اي الصدق الواقع لا محالة يريد ان ما وعده كاين **وله
الملك** كما قال والامر يومئذ لله والامر لله في كل وقت وحين ولكن لا امر في ذلك اليوم لاحد مع امر الله
قال الشيخ قوله مبتداء والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم
الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى قوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك
الشيء اي فيوجد ذلك الشيء فيكون برهانا على قوله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق لدخول
كينونتهما تحت هذا العموم وفي قوله يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه
بالحق وقوله الحق مبتداء او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون قال الاستاد
قوله ويوم يقول كن فيكون متصل بقوله وان اقيموا الصلوة واتقوه يوم وهذا ابتداء واضمر فيه واحذروا
يوم يقول لذلك اليوم كن فيكون اي يكونه سريعا وعلى هذا تم هذا ثم قوله تعالى قوله الحق مبتداء وخبر
وقوله وله الملك كذلك وهما كلامان تامان مطلقان وقيل هذا متصل بالاول ويوم يقول كن فيكون اي يوم
يكون قوله الحق اي قوله الصدق ويقع حكمه الفصل وله الملك يومئذ كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
انتهى **يوم ينفخ في الصور** فيه وجوه احدها انه بدل من يوم يقول فيكون حكمه حكم ذلك
والثاني انه ظرف لتحشرون اي اليه تحشرون في يوم ينفخ في الصور والثالث انه منصوب بنفس الملك
اي وله الملك في ذلك اليوم ثم اختلفوا في معنى الصور فقال جماعة ومنهم ابو عبيدة والحسن الصور هو الصور
جمع صورة وهذا ليس جمعا صناعيا وانما هو اسم جنس اذ يفرق بينه وبين واحده بتاء التانيث والمعنى
ينفخ الارواح في الصور وهو قول غير صحيح وقال جماعة الصور هو القرن قال مجاهد كهيئة البوق
وايدوا ذلك وصححوه بما ورد في الاحاديث الصحيحة قال عبد الله بن عمرو بن العاص جاء اعرابي الى النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب
الصور قد التقم الصور واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يومر بالنفخة فقالوا يا رسول الله وما تامرنا
قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وجاء في حديث انه قرن استدارته كاستدارة السموات والارض فيه
ثقب بعدد انفاس جميع الخلائق انسها وجنها ودوابها فتنفخ النفخة الاولى فيصعق من في السموات
ومن في الارض ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وعن الكلبي لا ادري معنى الصور قال السيوطي في

معنى

٧

سورة الانعام

يعني يوم ينفخ في الصور القرن النفخة الثانية من اسرافيل لا ملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله **عالم
الغيب والشهادة** يعني يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شيء وهو
خبر مبتدا محذوف اي هو عالم الغيب والشهادة او رفع على المدح **وهو الحكيم** اي المصيب في
اقواله وافعاله من الاماتة والاحياء والايجاد والافناء وغير ذلك **الخبير** ببواطن الاشياء واحوالها
كظواهرها بلا فرق قوله عالم الغيب متصل بقوله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ثم اخبر عن ضلال
الجهال فقال **واذ قال ابرهيم لابيه ازر** قال محيي السنة قرأ يعقوب ازر بالرفع يعني يا ازر
والقراءة المعروفة بالنصب وهو اسم اعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض قال محمد بن اسحق والضحاك والكلبي
ان ازر اسم ابي ابراهيم وهو تارخ ايضا مثل اسرائيل ويعقوب وكان من كوثاربة من سواد الكوفة وقال
مقاتل بن حيان وغيره ازر لقب لابي ابراهيم واسمه تارخ وقال سليمان التيمي هو سب وعيب ومعناه
في كلامهم المعوج وقيل معناه الشيخ الهرم بالفارسية وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم فعلى
هذا يكون في محل النصب تقديره اتتخذ ازر الها انتهى بحروفه وقال السلطان ازر عطف بيان لابيه
وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وازر وصف
ومعناه الشيخ او المعوج ولعله منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر
والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزومه عبادته او
اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد ازر
ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه ان قرئ اازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر
وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انتهى بحروفه وقال بعضهم اي
اذكر لهؤلاء المعاندين لك قصة ابرهيم وهو ابو العرب وهم اولى الناس بالاقتداء به لانهم
ذريته وبه مفاخرهم اذ قال ابراهيم لابيه ازر منكرا عليه ومتعجبا منه قال وهب هو ابراهيم
ابن تارخ بن ناحور بن اشرع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح
وفي التوراة شاروع مكان اشرع انتهى وفي التبصرة اذ قال ابراهيم الذي يزعمون انهم على دينه ويفتخرون
به لابيه منكرا عليه وهم ينكرون انكارك على ابائك ولا ينكرون عليه الملقب ازر ومعناه المعوج
او المخطي واسمه تارح انتهى وفي المدارك ازر هو اسم ابي ابراهيم او لقبه لانه لا خلاف بين
النسابين ان اسم ابيه تارح وهو عطف بيان لابيه ووزنه فاعل وقال السيوطي في تفسير يعني
الجلالين ازر هو لقبه واسمه تارخ وفي العقل السليم واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي عليه السلام معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا لما قيل لفساد المعنى اي واذكر بعدما
انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من
شؤونه تعالى وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه ازر على عبادة الاصنام
فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة لان المبالغة في ايجاب ذكرها انتهى وفي تفسير المواعظ ازر ابوه ثم قال وفي كتب التواريخ
اسمه تارح ولقبه ازر ومعناه الشيخ الفاني انتهى ترجمته ثم اني رايت في تفسير الاستاد ما يشفي به

ثلثة ارباع

العليل فقال فيه واذ قال ابراهيم اذ منصوب بفعل محذوف وهو معطوف على قل اندعوا من دون الله
اى واذكر للكفار بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله
وقت قول ابراهيم الذى هو رسول يعترف بفضله جميع الطوايف والملل والمشركون كانوا معترفين بفضله
بانهم من اولاده فلهذا السبب ذكر الله تعالى حاله فى معرض الاحتجاج والسبب فى خصوص هذه المرتبة لابراهيم
على نبينا وعليه السلام انه سلم قلبه للعرفان بقوله اسلمت لرب العالمين ولسانه للبرهان لمناظرته
مع نمرود وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع
فى الوقت من الحوادث مع انها المقصودة للمبالغة فى ايجاب ذكرها قوله لابيه آزر بالرفع ليعقوب اى
يا آزر والباقون بالنصب على انه جر بالفتحة لانه عطف بيان لابيه فظاهر الاية يدل على ان اسم والد
ابراهيم عليه السلام آزر وعندهم من قال ان اسمه تارح بالحاء المهملة قال الزجاج لا خلاف بين النسابين
ان اسمه تارح فمن الملاحدة من طعن فى هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع المفسرين النسابين
لا عبرة به لان ذلك ينتهى الى قول الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب وغيرهما ولان اجماع النسابين
لا عبرة به فى مقابلة صريح القران ولو سلم ان اسمه كان تارح فهو لا يمنع ان يسمى بآزر ايضا لانه يسمى
شخص واحد باسمين مختلفين كاسرايل ويعقوب فيحتمل ان يكون اسمه الاصلى آزر وكان تارح لقبا
له فاشتهر هذا اللقب وخفى الاسم فالله تعالى ذكره باسمه الاصلى ويحتمل ان يكون بالعكس ويجوز ان يكون
آزر اسما له بل يكون لفظا دالا على صفة الذم كالمخطئ والضال والمعوج فيكون منصوبا على الذم او على انه
نعت لابيه وكلهم قالهما الزجاج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنة كآدم والاقرب انه علم اعجمى على وزن
فاعل كغابر وشالخ لانه هو الظاهر واعتبار معنى الوصفية لا دليل عليه يعتد به وقيل انه بمعنى الشيخ
الهرم بلغة وهذا عند من يجوز اشتمال القران على الفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم
صنم ويجوز ان يلقب به للزومه عبادته واريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر وقال بعض المفسرين ان والد ابراهيم كان تارح وكان
آزر عما له وكم عم يكون العم منه وكم خال عن الخيرات خالى قال فى القاموس آزر اسم عم ابراهيم
واما ابوه فانه تارح انتهى قال الجلال السيوطى الامام المجتهد فى رسالة الدرج المنيفة فى الاباء الشريفة
روينا بالاسانيد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر ابا ابراهيم انما هو
ابراهيم بن تارح ووقفت على اثر فى تفسير صرح فيه بانه عمه ولا يخفى ان العم قد يطلق عليه اسم
الاب الا يرى ان يعقوب لما قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم
واسماعيل واسحاق الها واحدا سموا اسماعيل بكونه ابا ليعقوب مع انه كان عما له وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ردوا على ابى العباس نسماه ابا مع انه كان عمه قال فى اللباب ويحتمل ان يكون آزر كان والدا
وقد يقال له الاب قال الله تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية
ابراهيم مع ان ابراهيم كان جد عيسى من قبل الام وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق الحسن ان ابنى هذا
فثبت بهذه الوجوه ان آزر ما كان والدا ابراهيم انتهى ما ذكره الاستاد رحمه الله ان ابراهيم احتج
على فساد اعتقاد عبدة الاصنام لقوله منكرا على آزر وقومه **أتتخذ أصناما آلهة** تعبدها دون الله

استفهام

استفهام توبيخ يعنى تعبد صورا مصنوعة كصور لعب الصبيان المسماة باسماء الملوك والوزراء والمشايخ
يعنى اتجعل الاصنام معبودة لك تعتقدها الهة اتى بصيغة الجمع مبالغة فى تجهيله حيث لم يرض باله اخر
من دون الله وليس هذا القول منه بطريق الهزل بل **إنى أراك وقومك** باتخاذ الاصنام الهة **فى ضلال**
عن الحق **مبين** بين لان ما لا يسمع ولا يبصر بينه وبين الالوهية بون بعيد **وكذلك نرى إبراهيم**
ملكوت ملك **السموات والأرض** ليستدل به على وحدانيتنا قيل اى كما اريناه ضلال آزر وقومه
حتى قال انى اراك وقومك فى ضلال مبين اريناه ملكوت السموات والارض ونرى مستقبل بمعنى الماضى
كانى قيل له واذ تقول للذى انعم الله عليه اى واذ قلت وقيل اى وكما اريناك يا محمد ملكوت السموات
والارض والايات كذلك ارينا ابراهيم وملكوت بمعنى الملك وهو السلطان والتدبير وملكوتنا فى
السموات والارض قال ابن عباس رضى الله عنهما عرج بابراهيم الى السماء فراى عبدا على فاحشة فدعا
عليه فاهلكه ثم راى عبدا اخر على فاحشة فدعا الله فقال الله يا ابراهيم اكفف دعوتك عن عبادى
فان عبدى بين خلال ثلاث اما ان اخرج منه ذرية طيبة او يتوب فاغفر له او النار من ورائه وما
علمت ان من اسمائى الحليم وقال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره
الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن قال الضحاك
اقيم على صخرة وفتحت له السموات فنظر الى ملك الله فى السموات حتى نظر الى مكانه فى الجنة وفتحت له الارض
حتى نظر الى اسفل الارضين فذلك قوله تعالى واتيناه اجره فى الدنيا اى اراه مكانه فى الجنة وقال قتادة
اراه الله تعالى ملكوت السموات والارض ملكوت السموات الشمس والقمر والكواكب وملكوت الارض الاشجار
والبحار وقيل نظر فى المصنوعات فراى ما فيها من الدلالة على الله والشهادة له بالحكمة والتعالى عن الاضداد
والانداد وابطال ان يعدل به شىء سواه وقال الاستاد فى تفسيره فى قوله ونرى ابراهيم الى اخره اى
نرى ابراهيم اراءة كاينة مثل تلك الاراءة وهذه الاراءة من رؤية البصر لكنه استعيرت للمعرفة ونظر
البصيرة يعنى كما وفقنا للاطلاع على ضلال قومه شرحنا صدره بالمعارف لان الملكوت بمعنى السلطنة
والربوبية والالهية ليستا مما يبصر اى عرفناه وابصرناه قوله وكذلك اى مثل ذلك التبصير من قبح
عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نبصر ابراهيم ملكوت السموات والارض اى ربوبيته وملكوتيته
لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى تبصيرا اخر ادنى منه
والملكوت مصدر على فعلوت بمعنى الملك وبنى على هذه الزنة للمبالغة كالرهبوت من الرهبة والجبروت
ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر وقال الراغب الملكوت مختص بملك الله لا يستعمل فى غيره تعالى
وهذا هو الاظهر وقال ابو حيان ومن كلامهم ملكوت اليمن وملكوت العراق فعلى هذا للتخصيص
وقيل ملكوتهما عجايبهما وبدايعهما يعنى كشف له عن السموات والارض حتى راى العرش واسفل الارضين
ونظر الى مكانه فى الجنة ثم انه وان كان يقتضى هذه الرؤية ان يكون بصرية لكن المراد اطلاعه
على حقايق السموات والارض والعرش واسفل الارضين كما هى وقرا الجمهور نرى بنون العظمة وترى
ترى بالتاء ورفع الملكوت باسناد الفعل اليه اى تبصره عليه السلام دلايل الربوبية انتهى ما ذكره
الاستاد **وليكون من الموقنين** عطف على المعنى معناه نريه ملكوت السموات والارض ليستدل بها

على وحدانية الله تعالى وليكون من الموقنين اى ليكون من زمرة الراسخين فى الايقان البالغين درجة
عين اليقين من معرفة الله تعالى واليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب التامل
ولهذا المعنى لا يوصف علم الله تعالى بكونه يقينا لان علمه غير مسبوق بالشبهة وغير مستفاد من الفكر والتامل
قال الامام ثم ليس هذا دلالة الشك فى الابتداء او الجهل بالجلال لكن لبيان ايتاء العلم له ابتداء بهذه الدلائل كقوله
رفع السموات بغير عمد ترونها ليس هذا رفعا عن وضع وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ليس هذا اخراجا
عن ادخال وقوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون ليس هذا تركا بعد شروع بل هذا كله اثبات ابتداء
فكذلك ههنا **فلما جن عليه الليل** اى اظلم عطف على قوله واذ قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى
ابراهيم الى قوله ليكون من الموقنين جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه **رأى كوكبا** اى
الزهرة والمشترى وكان آزر وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم
على الخطأ فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان
شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها وان لها محدثا احدثها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها
ومسيرها وسائر احوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه **قال** ابراهيم **هذا ربى** اى قال
لهم هذا ربى فى زعمكم او المراد هذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفى عن حروف الاستفهام
بنغمة الصوت تقديره أهذا والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكى قوله
كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم نكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة
فلما افل اى غاب ذلك الكوكب **قال لا احب الآفلين** اى لا احب عبادة الارباب المتغيرين
من حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام **فلما رأى القمر بازغا** يقال بزغ الربيع جاء اوله
اى مبتديا فى الطلوع اثر غروب ذلك الكوكب **قال هذا ربى** على الاسلوب السابق يعنى قال ربى
موافقة للخصم والتنزل معه ليقطعه بالحجة لا معتقدا له فان النبى كيف يقول للقمر هذا ربى **فلما افل**
كانه غاب عن نظره او لم يكن حين رآه فى ابتداء الطلوع بل كان فى وراء الجبل ثم طلع منه او فى جانب آخر
لا يراه او كان الجبل فى ناحية الغرب والا فلا احتمال الآن يطلع القمر بعد افول الكواكب ثم يغرب قبل طلوع
الشمس **قال لئن لم يهدنى ربى** اى يثبتنى على الهدى **لاكونن من القوم الضالين** استعجز نفسه
واظهر ان هدايته من الله تعالى وانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر
ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ
وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به اظهر لانه انتقال مع اختفاء واحتجاب **فلما رأى**
الشمس بازغة اى مبتديا فى الطلوع **قال** على النهج السابق **هذا ربى** ذكر اسم الاشارة لتذكير
الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث ولهذا قالوا فى صفات الله علام ولم يقولوا علامة وان
الثانى ابلغ تباعدا عن علامة التانيث **هذا** اى الشمس **اكبر** من الكوكب والقمر جرما ونورا فكان
اولى بالالوهية فى زعمكم كبرها استدلالا واظهارا لشبهة الخصم **فلما افلت** الشمس كافول الكوكب
والقمر وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا **قال** مخاطبا للكل **يا قوم انى برئ مما تشركون** من الاجرام
المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بوقت وتخصص او من اشراككم وقيل هذا
كان

كان نظره واستدلالا لله فى نفسه فحكاه الله تعالى والاول اظهر لقوله يا قوم انى برئ مما تشركون والمراد
بالاول قوله هذا ربى على سبيل التسليم للخصم صورة لا على سبيل الاخبار عن معتقده لان قوله عليه السلام
لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين يدل على انه عليه السلام كان عارفا بان له ربا يستحق العبادة
ومنه الهداية وان قومه على الضلال ويشعر بان محاجته كانت مع منكر مبالغ فى الانكار حيث احتيج
الى القسم فان اللام فى قوله لئن لم يهدنى موطئة للقسم وفى لاكونن جواب القسم ومما يدل على انه عليه السلام
كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة بالدليل انه تعالى اخبر عنه انه قال لابيه قبل هذه الواقعة اتتخذ اصناما
آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين ومما يدل عليه ايضا انه تعالى قال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين اى ليكون بسبب تلك الادلة من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل
والفاء تقتضى التعقيب فدلت على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم من الموقنين العارفين
بربه ويدل عليه ايضا انه تعالى لما ذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على
نفسه ويدل عليه ايضا انه دعا آزر الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالرفق حيث قال لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ويدل عليه ايضا قوله تعالى فى صفته اذ جاء ربه بقلب سليم وقال ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين وقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته فثبت بما قررنا من الادلة
ان المقصود مما حكاه الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام هو الزام القوم وارشادهم الى الحق وانه عليه السلام
كان كاملا مكملا ومن كان منصبه فى الدين كذلك وعلمه بالله كذلك كيف يليق به ان يعتقد الهية الكواكب
فالانبياء والمرسل عليهم السلام بريئون عن مثل هذا قبل النبوة وبعدها واعلم ان العلماء ذكروا فى منشاء
غلط من يعبد الكواكب وجوها كثيرة الاول ان الناس رأوا تغيرات احوال هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات
احوال الكواكب فان قرب الشمس وبعدها من سمت الراس يحدث الفصول الاربعة وبسبب تلك الفصول تحدث
الاحوال المختلفة فى هذا العالم والذين رصدوا احوال سائر الكواكب زعموا ان ما وقع من السعادات والنحوسات
فى هذا العالم منوط بالاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما اعتقدوا ذلك بالغوا فى تعظيمها وعبدوها
فيا ليت شعرى للقايل بتاثير كل شئ من وجه دون وجه كيف يكون مع عابد الكواكب والاصنام فى درجة واحدة
او من جعل لله وخلقه شيئا واحدا كيف يثبت لنفسه التوحيد اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ومن الضلالة
بعد الهداية ثم ان عبدة الكواكب فريقان منهم من يقول انه تعالى خلق هذه الكواكب هى المدبرات لهذا العالم بالاذن
قالوا فيجب علينا ان نعبدها ثم ان هذه الكواكب تعبد الله وتطيعه فهؤلاء اثبتوا الوسايط بين الله الكريم وبين احوال
هذا العالم ثانيا ومنهم قوم غلاة ينكرون الصانع ويقولون هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة الوجود
لذواتها ويمتنع عليها العدم والفناء وهى المدبرات لاحوال هذا العالم الاسفل وهؤلاء الدهرية [illegible]
فكل واحد من الفريقين اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها ثم لما رأوا ان هذه الكواكب قد تغيب عن الابصار فى
اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوبة الى الشمس وهى الياقوت والالماس واتخذوا صنم
القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها والوجه الثانى منشأ غلط
عبدة الاصنام ما ذكر من ان اهل الصين والهند كانوا يثبتون الاله والملائكة الا انهم كانوا يعتقدون
انه تعالى جسم ذو صورة كاحسن ما يكون من الصور والملائكة ايضا ذو صور حسنة الا انهم كلهم محتجبون

Copyright King Saud University

عنا بالسموات فلاجرم اتخذوا تماثيل حسنة الرواة والهياكل نبقة المنظر فيتخذون صورة في غاية الحسن
ويقولون انها هيكل الالهة وصورا اخرى دون الصورة الاولى ويجعلونها على صور الملئكة ثم يواظبون على عبادتها
قاصدين بتلك العبادة التزلفي من الله تعالى من الملئكة والوجه الثالث ان القوم يعتقدون ان الله فوض
تدبير كل قسم من اقسام العالم الى روح سماوي بعينه فيقولون مدبر البحار ملك ومدبر الجبال ملك اخر ومدبر
الغيوم والامطار ملك ومدبر الارزاق ملك ومدبر الحروب والمقاتلات ملك اخر فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا لكل
واحد من اولئك صنما مخصوصا وهيكلا معينا ويطلبون من كل صنم ما يليق بذلك الروح الفلكي من الاثار
والتدبيرات وذكر وجوه اخرى في منشا غلطهم كلها باطل والحق ان الله تعالى واحد لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قاتلهم الله انى يؤفكون
ولنرجع الى ما ذكر المفسرون في احوال سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال الامام ونحن
نتبرأ الى الله ان نجعله رجلا بالغا جرى عليه القلم والتكليف وهو عند الله بمكان كان بهذه الغفلة حتى يتوهم
ذلك في نجم او قمر او شمس مع ما يرى فيها الظهور بعد انه لم يكن والافول بعد الطلوع ثم اثار التسخير والعجز
ثم نبوته ذلك مع ما قال الله في حقه اذ جاء ربه بقلب سليم الى اخر ما ذكر من دلايل كماله وها نذكر ما قال ابن
عباس من قصته وهي انه عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح وكان
جبارا وله كهان يخبرونه بما يكون في الارض فقالوا له انه يولد في هذه السنة غلام يفسد الهة الارض
ويدعو الناس الى غير دينهم ويكون هلاك ملكك على يديه وقيل انهم وجدوا في كتب الانبياء وقيل قالت
المنجمة ذلك وقيل ان نمرود راى ذلك في المنام فقالوا له ذلك وقال الامر في هذا ان يعزل الرجال عن النساء
وتنظر كل حبلى في مملكتي فاذا ولدت غلاما قتل واذا ولدت جارية تركت الى ان تمضي هذه السنة التي فلم
نجد نعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا طهرت امراة حيل بينها وبين زوجها الى ان
تحيض فرجع آزر الى امرأته فوجدها قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت فقال الكهان ان
الغلام الذي اخبرناك به قد حملته امه الليلة قال نمرود كل امراة قد استبان حملها فخلوا سبيلها واحبسوا
اللواتي لم يستبن حملهن وكل من ولدت غلاما فاقتلوه فلما دنت ولادة ابراهيم واخذها الطلق خرجت
هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء
ورجعت واخبرت زوجها بانها ولدت وانه في موضع كذا فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له
سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه فاذا
وقطنته حتى شب فاذا رجعت من عنده نص ابهامه وقال ابو روق كلما دخلت ام ابراهيم عليه
وجدته يمص اصابعه فقالت ذات يوم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع
لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وفي حديث السدي لما عظم بطنها وخشيت عليه
انطلق بها آزر الى ارض بين الكوفة والبصرة فانزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها فولدت
ابراهيم في ذلك السرب وشب وكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وفي حديث محمد بن محمد بن اسحاق
لما بلغ ابراهيم خمسة عشر شهرا قال لامه اخرجيني انظر فاخرجته عشاء وذكر حديث روية الكوكب
والقمر والشمس وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لامه ذات يوم من ربي قالت انا قال فمن ربك

قالت

قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فاخبرته بذلك فاتاه ابوه
فقال له ابنه من ربي قال امك قال فمن ربها قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه
لطمة وقال له اسكت فلما جن الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا فقال هذا ربي
قال ابل وخيل وغنم فقال في نفسه ما لهذه بد من ان يكون لها رب وخالق وطلع المشتري وكان تلك الليلة
اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فلم يمكث ان سقط الكوكب فلما افل قال لا احب الافلين يقول
لا احب ربا يغيب ثم طلع القمر فراه اعظم واضوء من الكوكب فقال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين واصبح وطلعت الشمس فراها اعظم واضوء من القمر قال هذا ربي هذا اكبر
فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون وجهي الى اسلم لرب العالمين فاسلم وكان لا يرى شيئا الا قال
ما لهذا بد من ان يكون له رب واخذ في طعن الهتهم وجعل ابوه يزينها له فلا يزداد لها الا بغضا ومنها
بعدا وقال الامام روي في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجع في السرب ولم يكن نظر الى شيء من
خلق السماء فنظر من باب السرب في اول الليل فراى الزهرة بضوءها وتلالؤها وكان في علمه ان له
ربا وانه يرى فلم ير اضوء منها ولا انور فقال هذا ربي فلما افل علم ان الرب دائم لا يزول فقال لا احب
هذا اي ليس هذا برب لان الرب لا يقهر وسلطانه لا يزول قال محيي السنة في قوله هذا ربي فاجراهم
بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله واتاه رشده فلم يضره
ذلك في حال الاستدلال وايضا كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وانكر الاخرون هذا
القول وقالوا لا يجوز ان يكون لله رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود
سواه بريء فكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده من قبل واخبر عنه فقال اذ جاء ربه بقلب
سليم اقول وقد سمعت ما ذكرنا لكما لانه عليه السلام من الدلايل على عصمته في صغره وكبره ثم لما تبرا ابراهيم عليه السلام
عن الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به توجه الى موجدها
ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت اي قصدت بوجهي ويوجه قلبي وروحي
وطاعتي وعبادتي يعني اخلصت ديني وسلمت نفسي للذي اي لرضاء من فطر السموات والارض
اي خلقهما جميعا مبتدئا خلقهما بالخصيصة جعلت ديني دين الله فليس لي ذات ووجه اتصل به الا دين
ربي ووجهي فتح ياء وجهي نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والباقون اسكنوها حنيفا حال من فاعل
وجهت اي مايلا عن الاديان الباطلة والعقايد الزايغة كلها وما انا من المشركين بالله شيئا من خلقه
وقال القشيري قدس سره اني وجهت وجهي اي افردت قصدي لله وطهرت عقدي من غير الله وحفظت
عهدي في الله بالله وخلصت وجدي بالله فانا لله وبالله بل محو في الله فالله الله وحاجه
قومه اي خاصمه ابراهيم قومه في التوحيد وجادلوه وخوفوه بالهتهم ان تصيبه بسوء ان تركها يعني زعموا
في مخالفته في امر التوحيد ونفي الشركاء كما قال مشركوا العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل الالهة الها واحدا ان
هذا لشيء عجاب او بان قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قال استيناف وقع جوابا
عن سوال نشا من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام حين حاجه قومه قال منكرا لما
اجتروا عليه اتحاجوني اي اتجادلونني في الله اي في توحيده بالباطل قرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون

Copyright © King Saud University

والباقون بتشديدها وقد هدان ربي الى وحدانيته ومن هداه الله لا يضره مخلوق بل يكون
غالبا فلست اخاف الهتكم التي تشركونها بالله لانها لا تضر ولا تنفع وهذه الجملة حال من فاعل اتحاجوني
او مفعوله ولا اخاف ما تشركون به اي بالله من الاصنام ان تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء يعني
لا اخاف معبودكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا اي في حال مشيئة ربي
شيئا ان يصيبني من جهتها بضر فيكون لانه القادر على ان يجعل في معبودكم شيئا اذ ضرر الاصنام وسع
ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي
مكروه من جهتها حاصله فلا يصيب عبثا شيء من ضر او نفع الا بحكمه يعني انه عليم بما كان وبما يكون وما
هو كائن فلا يفعل الا الخير والصلاح والحكمة افلا تتذكرون اي افلا تتعظون بهذه الحجج القاطعة ان الله انه
لا اله غيره وانه الضار النافع وانه تولى اصلاح شاني بذلك وهو تقرير وتوبيخ ولا محل لهذه الجملة من الاعراب
لاستينافها اي اليس لكم تذكر وتامل وتفكر في احوال اصنامكم فتعلمون انها جماد لا تستحق العبادة ثم
تعجب من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تاثير له قال ابن عباس رضي الله عنهما خاصمه قومه
وخوفوه باصنامهم فقال وكيف اخاف من ضرر ما اشركتم بالله اي من ضرر اصنامكم ولا ياتي منها ضرر
ولا نفع اي ما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ومعنى
كيف هنا للاستبعاد ولا تخافون انتم يا عابد الاحجار من الله انكم اشركتم بالله اي بالمعبود الذي
بيده الضر والنفع لا انا ما اصناما ما لم ينزل به اي باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا
اي باشراك الله يعني بالاصنام عليكم سلطانا اي حجة وبرهانا وعذرا لكم في كتاب الله باشراك
اصنامكم بالله وهذا على طريقة التهكم فان اقامة الحجة والبرهان في كتاب الله على الشرك ممتنع والتي
بكلمة ما في قوله ما اشركتم وفي قوله ما لم ينزل لانهم غير عقلاء اذ هي جمادات واحجار واخشاب كانوا
ينحتونها ويعبدونها واما قول السيوطي في الجلالين بعد قوله سلطانا اي حجة وبرهانا وهو القادر
على كل شيء يفهم منه عدم الامتناع تامل وكذلك قال البغوي بعد قوله تعالى سلطانا اي حجة وبرهانا وهو
القاهر القادر على كل شيء وفي المدارك بعد قوله سلطانا اي حجة اذ الاشراك لا يكون عليه حجة وفي
غاية الاماني بعد قوله سلطانا اي دليلا قاطعا لا يجئ بمخالفته فان حسن الاشياء وقبحها منه تعالى
وفي التبصرة بعد قوله سلطانا اي حجة مع انه انما يتصور جعل المملوك شريكا للمالك بجعله اياه شريكه فاين كان
لهذا المملوك الضعيف تاثير بالضر لمن انكر توحيده فاي الفريقين اي فريقي الموحدين او المشركين وانما لم
يقل فاينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه احق بالامن من العذاب ان كنتم تعلمون من
اي ما يحق ان يخاف منه او ان كنتم من اولي العلم او ان كنتم تعلمون شيئا وجواب الشرط محذوف فاخبروني
بحقية الامن وهو نحن فاتبعوني وقال بعض علماء بلادنا لا يحتاج الى القول بالاحتراز عن تزكية نفسه لانه
قال نبينا صلى الله عليه وسلم للمشركين وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا النوع من الكلام يسمى كلاما
للمنصف قوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
استيناف من ابراهيم عليه السلام او من الله بالجواب عما استفهم من قوله عز وجل اي الفريقين
احق بالامن اي الفريق الاحق بالامن الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يخلطوا تصديقهم بالشرك بالله

يفعله

كما يفعله الفريق المشركون اولئك المصدقون لهم الامن من عذاب الله وهم مهتدون الى الحق خاصة
لا المشركون واختلف العلماء في الجواب بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا الخ فمن كان قال ابن زيد وابن اسحاق
هو من الله على فصل القضاء بذلك بين ابراهيم وبين قومه وقال ابن جريج هذا جواب قوم ابراهيم لما سالهم
فاي الفريقين احق بالامن فقالوا الذين امنوا ولم يلبسوا الخ فقضوا به على انفسهم فقالوا الذين امنوا الخ وقال
الزجاج هو جواب ابراهيم كما يسال العالم ويجيب بنفسه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما نزلت
هذه الاية قالوا يا رسول الله واينا لم يظلم فقال صلى الله عليه وسلم انما هو كقوله ان الشرك لظلم عظيم وروي
انه عليه السلام سئل عن هذه الاية فلم يجبهم حتى جاء رجل فاسلم فلم يلبث قليلا حتى جاهد فاستشهد
فقال عليه السلام هذا منهم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يفسره بالشرك وعن عمر رضي الله عنه
انه كان يفسره بالذنب والظلم يقع على ذلك كله فعلى تفسير الصديق رضي الله عنه معناه اولئك لهم
الامن من العذاب المؤبد وعلى تفسير الفاروق معناه اولئك لهم الامن من العذاب المؤقت وقال الحسن
والكلبي اولئك لهم الامن في الاخرة وهم مهتدون في الدنيا وقال ابو روق اولئك لهم الامن من العذاب وهم
مهتدون الى الجنة وفسر الظلم بالشرك في حديث الصحيحين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من
قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني في الله الى قوله وهم مهتدون
وتلك مبتدأ حجتنا خبر تلك اتيناها ابراهيم على قومه اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها ووفقنا
للوقوف عليها قوله على قومه متعلق بحجتنا وقيل باتيناها وقال مجاهد والحجة هي قوله الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وقيل اراد بتلك حجتنا الذي حاج به نمرود حين قال انا احيي واميت على
ما سبق في سورة البقرة او حاج به قومه حين كسر اصنامهم فيجوز ان يكون اسم الحجة شاملا لهذا كله نرفع
درجات من نشاء اي نرفع مراتب من نشاء من عبادنا فنؤتيه النبوة والملك والامامة في الدين والعلم
والحكمة قرا الكوفيون ويعقوب درجات بالتنوين وهي مفعول نرفع ومن مفعول ثان ههنا وقرا الباقون
بغير تنوين على الاضافة وافراد المفعول به وهو درجات وفي الاية نقض قول المعتزلة في الاصلح ان ربك حكيم
في صنعه وافعاله اي في رفع من يشاء وخفضه عليم بحال من يرفعه ويخفضه حاصل المعنى انه
سبحانه يضع الاشياء مواضع استحقاقها ومن الحكمة ارسال الرسل وتخصيص النبيين بالرسالة وتاييد
الرسل بالمعجزات وهو اعلم حيث يجعل رسالاته وفي وضع الرب مضافا الى ضمير الرسول عليه السلام
موضع نون العظمة في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ووهبنا له عطف على قوله وتلك حجتنا او على اتيناها اي رزقنا لابراهيم جزاء
على نصرة الدين ومحاجة المشركين اسحاق ولدا من صلبه من حرة عجوزة ويعقوب نافلة فانه ولد
اسحاق عليهما السلام عد نعمة لان الذرية الصالحة من النعم الجزيلة خصوصا اذا كانوا ائمة في
الدين فكيف وهم انبياء فان قيل لم لم يذكر اسماعيل عليه السلام مع اخيه اسحاق مع انه هو الاكبر بل
اخر ذكره بمراتب كما ياتي قريبا فالجواب ان المقصود بالذكر هنا انبياء بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحاق
واما اسماعيل عليه السلام فانه لم يخرج من صلبه نبي الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يناسب المقام ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم لانه تعالى امره ان يحتج على العرب في نفي الشرك بان ابراهيم لما ترك الشرك واصر على

Copyright King Saud University

التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدنيا بان آتاه اولادا كانوا انبياء وملوكا فاذا كان المحتج
بهذه الحجة محمد صلى الله عليه وسلم امتنع ان يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسماعيل
عليه السلام مع اخيه اسحاق وقيل الجواب هو ان اسحاق وهب له من حرة واسماعيل من امة او
اسحاق وهب له من عجوز عقيم فكان المنة فيه اظهر **كلا** منهما **هدينا** للحق ووفقنا وارشدنا لذلك
وكلا مفعول هدينا **ونوحا هدينا** اى وهدينا وارشدنا نوحا للحق **من قبل** اى من قبل ابراهيم عدّ الله
تعالى هدايته نعمة على ابراهيم عليهما السلام لانه ابوه وشرف الوالد يسري الى الولد **ومن ذريته** الضمير
لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل الضمير لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم
فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها والمذكورون في الاية الثالثة
عطف على نوحا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم
وان كان منهم من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا عليه السلام ابن اخي ابراهيم والعرب
تجعل العم ابا وقال بعض المفسرين الضمير لابراهيم والمذكورون من الانبياء كلهم من ذريته تغليبا
وانما قال تغليبا ليدخل فيه لوطا ويونس لما ذكرنا انهما ليسا من ذريته ثم علل وقال لعل هذا هو الراجح
لان سوق الكلام له بانه لما قرر حجة التوحيد وذبّ عنها اكرمه الله تعالى برفع الدرجات وجعل مشاهير
الانبياء من ذريته وقال محي السنة ومن ذريته اى من ذرية نوح ولم يرد من ذرية ابراهيم لانه ذكر في جملتهم
يونس ولوطا لم يكونا من ذرية ابراهيم وهكذا في الوسيط والكواشي وفي الجلالين وغير ذلك وقال الامام لان
نوحا اقرب المذكورين يذكر ما قالوه وقال ومن قال ان الضمير لابراهيم يقدر ومن ذرية ابراهيم داود
وسليمان هدينا لان ابراهيم هو المقصود بالذكر وذكر نوح لتعظيم ابراهيم ولذلك ختم بيونس ولوط وجعلهما
معطوفين على نوحا هدينا لا على داود ويكون عطف جملة على جملة قال بعضهم قال الفراء الضمير راجع لنوح لانه
نسق عليه ذكر يونس ولوط وليسا من ذرية ابراهيم بل هما من ذرية نوح عليه السلام ثم قال ودلت
الايات ان من نال درجة او فضيلة فانما نال بفضل الله ومنته ثم ذكر عيسى فيهم دليل على ان النسب
يثبت من قبل الام لانه جعل من ذرية نوح وهو لا يتصل الا بالام وحكى ان يحيى بن يعمر كان ينازع
الحجاج في ان العلويين اولاد النبي عليه السلام وكان الحجاج ينفي ذلك ويقول هم اولاد علي كرم الله وجهه
لا غير حتى احضره مقيدا في يوم مظالم وقال لتاتيني بحجة ظاهرة على ذلك والا لاقتلنك فقرأ يحيى هذه
الاية وقال ان عيسى ما كان له اب ومع ذلك جعله من ذرية نوح بسبب امه وكذلك احتج بقوله
تعالى ندع ابناءنا وابناءكم انه دعا يومئذ الحسن والحسين فكانا من ابنائه فاطلقه والله اعلم
بالضمير والضماير **داود** بن ايشا **وسليمان** يعني ابنه والمعنى وهدينا من ذريته داود وسليمان وكذلك
ما عطف عليهما **وايوب** هو ابن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم **ويوسف**
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم على محمد وعليهم الصلاة والسلام **وموسى** بن عمران بن يصهر
ابن فاهث بن لاوي بن يعقوب **وهارون** وهو اخو موسى اكبر منه بسنة **وكذلك** اى كما جزينا ابراهيم
على توحيده في منازعته لقومه برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم **نجزي المحسنين** على احسانهم
والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزاءهم لجزاء ابراهيم مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان

لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان جزاء الانبياء بكثرة الاولاد مما اختص به ابراهيم عليه السلام و
بعضهم وكذلك اى كما جزينا هؤلاء الانبياء نجزي المحسنين على اعمالهم وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان
بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقيل المراد بجزي المحسنين اعطاء
الذرية الطيبة المهدية وقيل بالذكر والشرف والثناء الحسن وقيل بالثواب والدرجات في الاخرة وليس
على ذكرهم في ترتيب ازمانهم **وزكريا** هو ابن آذن بن برخيا **ويحيى** هو ابن زكريا **وعيسى** وهو ابن مريم
بنت عمران قال البيضاوي وفي ذكره دليل على ان الذرية يتناول اولاد البنت **والياس** اختلفوا فيه قال
ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره في ولد نوح
وادريس جد نوح او جد ابي نوح وهو الياس بن يس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران **كل**
ممن ذكر **من الصالحين** اى من الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي **واسمعيل** ابن
ابراهيم عليهما السلام **واليسع** هو ابن الاخطوب بن العجوز وقيل هو يوشع بن نون وقرأ الجمهور بلام واحدة
وفتح الياء بعدها وقرأ حمزة والكسائي والليسع بلام مشددة وياء ساكنة بعدها وعلى القراءتين علم اعجمي
ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله ❊ رايت الوليد بن اليزيد مباركا ❊ شديدا باعباء
الخلافة كاهله ❊ وقال بعضهم اللام زائدة **ويونس** بن متى وفي التبصرة الذي قال النبي عليه السلام
في حقه من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب او قال وقد ذكر العلماء لتوجيه الحديث معاني كثيرة فتامل
وقد قلنا انه من ذرية نوح وفي جامع الاسرار انه ايضا من ذرية ابراهيم لما ذكر في جامع الاصول انه كان
من الاسباط في زمن شعيا عليه السلام ارسله الله تعالى الى اهل نينوى من بلد الموصل **ولوطا** وهو ابن
هاران بن آخي ابراهيم فيكون خارجا من الذرية لان المراد بها حقيقة الاولاد ولكن لما كان ابن اخيه و
به وهاجر معه الى الشام امكن ان يجعل من الذرية على سبيل التغليب فعلم بما ذكرنا من قول ابن عباس
رضي الله عنهما وغيره ان هؤلاء الانبياء منسوبون الى ذرية ابراهيم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر اولا اربعة
من الانبياء ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر من الانبياء فان قيل رعاية الترتيب واجبة والترتيب اما ان يعتبر
بحسب الفضل والدرجة واما ان يعتبر بحسب الزمان والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر ههنا
فما السبب فيه اجيب بان العلماء استدلوا على ان الواو لا توجب الترتيب بهذه الاية وعلى ان رعايته
غير واجبة **وكلا فضلنا على العالمين** بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق وفي
الجامع اى كلا من الانبياء فضلناهم على كل من سواهم من العالمين واستدل بعضهم بهذا على ان الانبياء
افضل من الملئكة وذلك لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فتدخل فيه الملئكة ثم ان الكلام في
ان بعض الانبياء افضل من بعض كلام اخر لا تعلق له بهذا بل بين في ضمن الايات الاخر قوله وقد
من شيخي وكذلك بان نبينا عليه السلام افضل الخلق جملة وتفصيلا وهو كذلك وقال محي السنة اى على
عالمي زمانهم **ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم** عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا
هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا قال السيوطي ومن للتبعيض
لان بعضهم لم يكن له ولد كيحيى وعيسى وبعضهم في ولده كافر وقال البغوي من فيه للتبعيض لان
اباء بعضهم كانوا مشركين قال ابو السعود ومن اباءهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتداء

والمفعول محذوف اى وهدينا من ابايهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن
تبعيضية اى وفضلنا بعض ابايهم عطف على فضلنا او هدينا يعنى اصطفينا الانبياء **واجتبيناهم**
المذكورين **وهديناهم الى صراط مستقيم** وهو الدين الحق تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا
اليه والمعنى اخترناهم وارشدناهم الى صراط مستقيم قال الشيخ ذكر فى فريق انهم محسنون وفى فريق
انهم صالحون وفى فريق فضلناهم على العالمين وفى فريق الاجتباء والهداية وهذا ليس على تخصيص كل فريق
بما ذكر من الوصف ولكنه على الجمع انهم كذلك ثم هذا التفضيل يحتمل انه بالنبوة ويحتمل انهم كانوا مفضلين
على العالمين بالاحسان والصلاح لو لم يكن رسالة ولا نبوة قال وقوله من ابايهم هم من تقدمهم وذرياتهم
من تاخر عنهم واخوانهم من تغاير منهم قيل وذرياتهم محمد صلى الله عليه وقيل المومنون بعدهم والاجتباء
يكون بالرسالة وهو خاص لهم ويكون بالتوحيد والاسلام وهو يعم الانبياء والمومنين ويحتمل انه برفع
الدرجات والفضايل **ذلك** اى الدين الذى هدوا اليه **هدى الله يهدى به من يشاء من**
عباده يعنى ذلك التفضيل والاجتباء والهداية الى الطريق المستقيم هو هدى الله قال الشيخ ومعناه
ما ذكر فى قوله كلا هدينا وفى قوله وهديناهم هو هدى الله وله ان يهدى به من يشاء من عباده قال
الاستاد وفيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا
ولو اشركوا اى لو اشرك هولاء الانبياء فرضا مع فضلهم وعلو درجاتهم وشانهم **لحبط عنهم**
ما كانوا يعملون اى لكانوا كغيرهم فى ابطال اعمالهم بسقوط ثوابها فان الله غنى عن العالمين
كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك وهذا امر فرضى ولذلك اثر لو الدالة على استحالة وقوع الشرط
والحاصل هذا انباء عن الحكم فيهم لو اشركوا لانهم يشركون لان الله تعالى عصمهم واختارهم لرسالته ذكر هذا
ليعلموا ان الحكم واحد فيمن اشرك بالله غيره وضيعا كان او شريفا وكذا قال فى حق الملئكة ومن يقل
منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقوله لحبط عنهم ما كانوا يعملون اى من الحسنات والخيرات
وقال امامنا القشيرى بين الله لولا تخصيصه اياهم بالتعريف وتفضيله لهم على من سواهم بغاية
التشريف لم يكن لهم استحقاق ذلك ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اى لولا حفظنا اياهم وشاهدوا
من دوننا شيئا او نسبوا شيئا من الحوادث الى غير قدرتنا لتلاشى ما اسلفوه من عرفانهم واحسانهم
فان الله لا يغفر الشرك بحال وان كان يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ما يشاء من عصيانهم **اولئك**
اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر
من الهداية وغيرها من الصفات الجليلة الثابتة لهم وما فى اسم الاشارة للبعد للايذان من
علو طبقتهم ورفعة منزلتهم فى الفضل والشرف وهو مبتدا وقوله **الذين اتيناهم الكتاب**
اى الكتب المنزلة عليهم خبره والمراد بالكتاب جنسه المتحقق فى ضمن اى فرد كان من افراد الكتب
السماوية والمراد بايتايهم التفهيم التام بما فيه من الحقايق والدقايق والتمكين من الاحاطة بروائحه
اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم
كتاب معين **والحكم** اى الحكمة والفقه والقضاء على الناس على ما يقتضيه الحق او فهم الكتاب
والنبوة والرسالة قال الاستاد اى اتيناهم الكتب من الصحف والتورية والانجيل والزبور وفصل

لانه

لانه جنس لما وحينا اليهم وجعلناهم الحكام على الامم وارسلناهم بالنبوة **فان يكفر** اى يجحد
بها اى بالوحدانية بان يجعل له شريكا ولمن وجه دون وجه او بالكتاب والحكم والنبوة
او بالايات القرانية او بالنبوة الجامعة لها **هؤلاء** اى كفار قريش فانهم بسبب كفرهم بمحمد صلى
الله عليه وسلم وبما انزل اليه وهو القران العظيم الشان كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار و
المجرور على الفاعل للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر **فقد وكلنا** اى امرنا بمراعاتها وارصدنا
لها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها **قوما** فخاما **ليسوا بها** بذلك الثلثة **بكافرين** اى بجاحدين
بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففى ايفاء بنفيهم بها مندوحة عن ايمان هولاء والذين ليسوا بها كافرين
هم الانصار واهل المدينة او الانبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم ههنا او الملئكة اى فان يكفر بها اهل الارض
فقد وكلنا بها اهل السماء او اصحاب النبى مطلقا او كل مومن من بنى ادم او الفرس فان كلا من هولاء
الطوايف موفقون للايمان بالانبياء والكتب المنزلة عليهم **اولئك** اى الانبياء المتقدم ذكرهم **الذين**
هدى الله الى الحق والطريق المستقيم **فبهداهم اقتده** اى بسننهم وسيرتهم وطريقتهم اتبع ولا تقتد
بغيرهم اى فاختص هداهم بالاقتداء يعنى اجعل اقتداءك مقصورا على هداهم وهذا معنى تقديم المعمول
قرا حمزة والكسائى فبهداهم اقتد بحذف الهاء فى الوصل واثباتها ساكنة فى الوقف وابن عامر بكسر الهاء
على انها ضمير راجع الى الاقتداء الذى هو مصدر اقتد والباقون بسكونها واتفق الكل على السكون فى
الوقف قال الاستاد والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون
الفروع المختلفة والشرايع المنسوخة فانها بعد النسخ لا تبقى هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسى
بهم جميعا فلا دليل فى الاية على انه عليه السلام كان متعبدا بشرع من قبله وموافقته عليه السلام
على هذا الوجه لا يدل على ان يكون منصبه عليه السلام اقل من منصبهم بل احتج العلماء طاب ثراهم
بعين هذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء لان خصال الكمال وصفات الشرف
كانت متفرقة فى الانبياء كالشكر فى داود وسليمان والصبر فى ايوب والحلم فى يوسف والمعجزات
الباهرة فى موسى وهارون والزهد فى زكريا ويحيى وعيسى والصدق فى اسماعيل والتضرع فى يونس
ولما امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجميع ما فى الانبياء من الصفات الحميدة امتنع ان يقال انه قصر
فى تحصيلها فثبت انه عليه السلام حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من خصال الخير
ما كان فيهم متفرقا باسرهم وينادى على ما قلنا وانك لعلى خلق ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال
انه افضلهم بكليتهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وعلينا معهم يا ارحم الراحمين قال
القشيرى فكانه يعنى اولئك الذين طهر الله عن الحجب اسرارهم ورفع على الكافة اقدارهم فاقتف
يا محمد هداهم المختار فان من سلك آثارهم المغتار وقال الاستاد الهدى اسم لما يهتدى به وليس بهم
الافعال لا يقال لتارك الصلوة او الصوم او الزكوة ضال وقد دل هذا على ان الانبياء كانوا على دين
واحد والدين لا يحتمل النسخ والتغيير قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واما الشرايع
فهى مختلفة تحتمل النسخ وقيل معناه ان الانبياء كانوا صابرين صالحين خاشعين عابدين
زاهدين محسنين كما ذكروا فى ايات ونحوها وقيل المراد به ما بعدها اى لم يكونوا يسالون الاجر

Copyright King Saud University

من الامم على التبليغ فكن كذلك وذلك قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او على
القران فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا اي اجرة من جهتكم كما لم يسأله
من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما امر الرسول عليه السلام بالاقتداء بهم
فيه وكان الانبياء عليهم السلام قال في قصة هود يا قوم لا اسألكم عليه اجرا الاية وقال في
قصة صالح لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الله وقال في قصة نوح وما اسألكم عليه من اجر
وقال في قصة شعيب وما اسألكم عليه من اجر فكذلك في حق نبينا في هذه السورة وفي سورة حم عسق
وقال في سورة الطور ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون واخذ بعض الاية بظاهر الاية على عدم
جواز الاجرة على تعليم القران والعلم ورواية الحديث وعلى الامامة والاذان ان هو اي ما القران
او التبليغ او الغرض منهما الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكيرا لهم وفيه دليل على انه عليه السلام
كان مبعوثا الى جميع العالمين قال ابن عباس اراد بالعالمين الجن والانس وقال بعضهم اراد بذلك كل من يعقل
من الثقلين وما قدروا الله حق قدره منصوب على المصدرية اي ما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل جميعا وفي ضمن
ذلك نفي نبيهم وكتابه والوحي وبعثة الرسل من عظائم رحمته وجلائل نعمته او ما عرفوا حق معرفته في السخط
على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار
انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله عز وجل قل في الرد على اليهود من انزل الكتاب الذي
جاء به موسى نورا بكشف الحقائق بالدلائل وهدى للناس اي يرفع اللبس والشبهات
عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى وما قدروا الله الخ اي ما عظموا الله حق تعظيمه وقال ايضا
قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله الاية
وقيل معناه ما وصفوه حق صفته وقدرته وعظمته وهذه المعاني كلها صحيحة ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها
من الايات انه لما ذكر رؤساء الانبياء وانقيادهم في الملة واصل الدين وبين شان القران العظيم وانه
نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك
ببيان عميهم عنها وكفرهم بها على وجه سرى الى الكفر بجميع الكتب الالهية وقال سعيد بن جبير
جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التوراة
على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب فقال ما انزل الله على بشر الاية فلما رجع الى قومه قالوا له ويلك
ما هذا الذي بلغنا عنك اليس الله انزل التوراة على موسى قال انه اغضبني فلذلك قلت ما قلت قالوا
كلما غضبت قلت بغير حق وتركت دينك فاخذوا الرياسة والحبرية عنه وجعلوها الى كعب بن الاشرف
فنزلت هذه الاية وما قدروا الله حق قدره فان قيل قد اتفق اكثر المفسرين على ان هذه السورة مكية
وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرة اليهود مع الرسول كانت مدنية فكيف يمكن حمل هذه الاية على تلك
المناظرة وايضا لما نزلت السورة دفعة واحدة كيف يمكن ان يقال هذه الاية المعينة انما نزلت في الواقعة الفلانية
اجاب عنه الامام بان القائلين بان سبب نزول هذه الاية هو مناظرة هذا اليهودي قالوا السورة كلها مكية

نزلت دفعة واحدة الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة الا ان الامام ابا الليث
صاحب التيسير روى ان هذه السورة كلها مكية وكان مالك بن الصيف يخرج مع نفر الى مكة
ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وقد كان من احبار اليهود ورؤسائهم فوقعت المناظرة
في مكة على ما روي بان قد مر قريبا نحو هذه السؤال والجواب وفي التيسير قال مجاهد الاية في مشركي قريش
وفيه ايضا في معنى قل من انزل الكتاب الخ اي قل يا محمد للمشركين هذا الكلام فانهم وان كانوا لا يؤمنون
بموسى والتوراة فانهم يرجعون الى اهل الكتاب في كثير من امورهم ويصدقونهم فيها وقد مر قريبا ان
القائلين هم اليهود بدليل نقض كلامهم الخ وبدليل قراءة الجمهور تجعلونه اي كتاب الذي جاء به موسى
قراطيس اي تكتبونه في دفاتر مقطعة واوراق متفرقة بحسب اغراضكم الفاسدة تبدونها
اي تظهرون تلك القراطيس ما تحبون ابداءها وتخفون من الحاجة كثيرا مما فيها كنعت النبي واية
الرجم بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على ادقالوا وما قدروا وقوله عز وجل وعلمتم
ما لم تعلموا انتم من امر دينكم ودنياكم ولا اباؤكم الاكثرون على ان هذا الخطاب لليهود يعني وعلمتم
ايها اليهود زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم على محمد صلى
الله عليه وسلم في القران من المعارف والحكم التي خص القران بها ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وان كان المراد بها المشركين فالامر ظاهر لانهم ما علموا ولا اباؤهم قال الحسن
معناه وجعل لهم علم ما جاء به محمد عليه السلام فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هو خطاب
للمسلمين من هذه الامة قل الله اي انزله الله او الله انزله امر الله نبيه بان يجيب عن اليهود
اشعارا بان الجواب متعين لا جواب غيره وتنبيها على انهم بهتوا لا يقدرون على الجواب وفي التيسير
يعني اذا قلت لهم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فلم يجيبوا فقل انت الله انزله وقيل هو الله وقيل
اي الله الحكم بيننا ثم امر الله رسوله بترك من كفر واعرض فقال ثم اي بعد ذكرك ذرهم اي اتركهم
في خوضهم اي في اباطيلهم التي يخوضون فيه فلا باس عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون
اي لاعبين يعني دعهم وما هم فيه من التخليط والتكذيب بالكتب على غير معرفة فانهم انما يلعبون فسيأتيهم
الجزاء على خوضهم ولعبهم وهي كلمة وعيد وقيل هو امر بالكف عن القتال الى ان يامر به ولهذا قال بعضهم
الاية منسوخة باية القتال قال الاستاذ وهو بعيد لان قوله ثم ذرهم الخ مذكور لاجل التهديد وذلك
لا ينافي حصول المقاتلة فلم تكن اية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الاية فلا نسخ فيها وقوله يلعبون
حال من هم في ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم
ولذرهم وهذا اي القران كتاب التنوين للتفخيم ويؤكده انزلناه فان اسناد الفعل الى نون العظمة
مما يدل على التعظيم فهذا تحقيق لنزول القران بعد انزال التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم القبيحة الشنيعة
مبارك اي كثير الخير والفوائد وجليل المنافع مصدق الذي بين يديه يعني التوراة والانجيل والكتب التي
قبله فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع
التي لا تنسخ ولتنذر قرأ الجمهور بتاء الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابو بكر عن عاصم بالياء الغيبة
والضمير للقران وهو الظاهر وهو عطف على معنى ما قبله اي انزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به

Copyright © King Saud University

أم القرى أي أهل أم القرى يعني مكة سميت بذلك لأنها قبلة أهل الدنيا ولأن من أصول عبادات أهل الدنيا الحج وهو إنما يكون فيها فلهذا السبب يجتمع الخلق إليها كما يجتمع إلى الأم قال ابن عباس رضي الله عنهما سميت بذلك لأن الأرضين دحيت من تحتها فهو أصل الأرض كلها كالأم فإنها أصل النسل وقيل لأنها أعظم القرى شأنا وقيل لأنها مكان أول بيت وضع للناس وفي المدارك لأنها سرة الأرض ومن حولها أي أهل الشرق والغرب والمعنى لتنذر من حول أم القرى والذين يؤمنون أي يصدقون بالآخرة أي بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به أي بالنبي والقرآن وهم أي المؤمنون بهما من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم على صلاتهم يحافظون خوفا من عقاب الله توضيح المعنى أن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يقلقه ويحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين ومن أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بادعاء النبوة فلم يكن نبيا لما بين كونه القرآن كتابا نازلا من عند الله وبين شرفه ورفعته ذكر عقيبه ما يدل على وعيد من ادعى النبوة والرسالة كذبا وافتراء قال قتادة نزلت في مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة وفي أسود العنسي صاحب صنعاء كانا يدعيان النبوة والرسالة من عند الله كذبا وافتراء واختلق عليه أحكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه والمعنى هو أظلم من كل ظالم أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء كعبد الله بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي فلما نزل قد أفلح المؤمنون أملاه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله أحسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الإنسان وتقلبه في أطواره فقال الرسول صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ثم رجع إليه قبل فتح مكة إذ نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وفتح أكثر بلاد العرب على يديه في زمن عثمان وقال الكوسج كان يكتب في موضع عليم حكيم عزيز حكيم وفي موضع سميع عليم غفور رحيم قال الأستاذ وهذا القول باطل ولا يجوز روايته لأنه تابع بعض المؤرخين كابن الجوزي إذ لو وقع منه لتنبه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال بعض المفسرين أو قال أوحي إلي نزلت في مسيلمة الكذاب وكان يقول محمد رسول الله رسول قريش وأنا رسول بني حنيفة روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا نائم إذ أتيت من خزائن فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحي إلي أن أنفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفي رواية عن قتادة أيضا أنه نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة وزعم أن الله أوحى إليه وكان قد أرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهما أتشهدان أن مسيلمة نبي قالا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ومن قال أي ومن أظلم ممن قال سأنزل مثل ما أنزل الله الذي أعجز كلامه كل منطيق بليغ كنضر بن الحارث وغيره من المستهزئين بالقرآن والطاعنين طعنا فالعاجنا

عجنا فالخابزات خبزا فاللاقمات لقما كأنه يعارض القرآن وأين نسج الخز من نسج داود ولو ترى يا محمد والجواب محذوف أي لرأيت أمرا عظيما إذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى الظالمين المذكورين في أول هذه الآية أو المذكورين من اليهود من قبل فتكون اللام للعهد ويجوز أن يكون اللام للجنس فيشملهما في غمرات الموت أي في سكراته وشدائده جمع غمرة وهي معظم الشيء من غمره الماء إذا غشيه وغطاه والملائكة باسطوا أيديهم إليهم بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملح يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير إمهال وتنفيس أو باسطوها بالعذاب قائلين أخرجوا أنفسكم أي أخرجوا أرواحكم كرها لأن نفس المؤمن تنبسط للقاء ربه فإن قيل لم قالوا أخرجوا والحال لا قدرة لهم على ذلك قلنا قال ذلك على جهة الإهانة وإدخال الرعب عليهم أو أخرجوا أنفسكم من هذه الشدائد والعذاب وخلصوها من أيدينا إن كان ما زعمتم حقا في الدنيا والمعنى أخرجوا أنفسكم إلينا لنقبضها اليوم يريد به وقت الإماتة أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون أي تجزون الهوان والذل يريد به العذاب المتضمن لشدة وإهانة وإضافة العذاب إلى الهون لأصالة الهون وتمكنه في العذاب وذلك أنه ليس كل عذاب يكون فيه هون لأنه قد يكون على سبيل الزجر والتأديب بما كنتم تقولون على الله غير الحق من أن له شريكا وصاحبة وولدا ومن دعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون أي فلا تتأملون فيها بتفهم ولا تؤمنون بها حمية ويقال لهم إذا بعثوا يعني يقول الله للكفار يوم القيمة ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى أي منفردين عن المال والأولاد والمعين والطواغيت التي عبدتموها وعن جميع ما آثرتموه من الدنيا وهو جمع فريد كأسير وأسارى أو فرد كسكران وسكرى والألف للتأنيث وقرئ فرادا بالتنوين كرخال وفرادى كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم أول مرة بدل من فرادى أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال ثانية جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في فرادى أي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة بهما غرلا أو صفة مصدر محذوف جئتمونا أي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم أي خلفتم ما خولناكم أي الذي أعطيناكم من الأموال والأولاد فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم أي خلف ظهوركم في الدنيا يعني ما قدمتم منه شيئا اليوم تستندا إليه للحاجة فلم ينفعكم ولم تحتملوا منه ويقال لهم توبيخا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء أي في استحقاق عبادتكم لله في ربوبيتكم واستحقاق عبوديتكم وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده لقد تقطع بينكم قرأ الجمهور بينكم برفع النون أي لقد تقطع وتفرق وصلكم وتشتت جمعكم وذلك مثل قوله تعالى وتقطعت بهم الأسباب أي الوصلات وقرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون أي تقطع ما بينكم من الوصل أو تقطع الأمر بينكم يعني تقطع الود بينكم أو السبب بينكم والبين من الأضداد يكون وصلا وفصلا وضل أي غاب وضاع عنكم ما كنتم تزعمون أن الأصنام شفعاؤكم وأن لا بعث ولا جزاء ثم لما قرر التوحيد وأردفه بتقرير أمر النبوة وتكلم في بعض تفاريع هذا الأصل عاد إلى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وعلمه

تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من جميع المباحث النقلية والعقلية معرفة الله تعالى بذاته وصفاته
وأفعاله وقال إن الله فالق الحب والنوى أي أن الله الذي أنتم أيها المشركون غير معترفين
به هو الله الذي فلق الحب أي شق الحب في الأرض فأخرج منه النبات والزرع وفلق النوى أي شق
النوى فأخرج منه الغراس والأشجار قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها
ورقاً أخضر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة وقال مقاتل إن الله فالق الحب أي خالق البر
والشعير والذرة والحبوب كلها والنوى يعني كل ثمرة لها نوى كالخوخ والنبق والمشمش والسفرجل والإجاص
وغير ذلك والحب جمع حبة وهو اسم لجميع البزور والحبوب وفي الفلق دليل على أنه فعل صانع واحد لأنه
لو كان فعل عدد لكان إذا أراد هذا شقه منعه الآخر وفيه دليل على أنه على تدبير خرج لا جزافاً حيث
اتفق ذلك كله في كل عام على وجه واحد وقوله تعالى يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات
ليطابق فالق الحب والنوى من الميت أي مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي
أي هو مخرج ما لا ينمو من الحيوان والنبات مما ينمو ذكره بلفظ اسم الفاعل حملاً على فالق الحب فإن قوله يخرج
الحي واقع موقع البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما يخرج الحي من الميت أي الإنسان من النطفة وقال الحسن
أي المؤمن من الكافر وقيل الطائع من العاصي وقيل الطير من البيضة وقيل السنبلة من الحبة والشجرة من النواة
وقوله ومخرج الميت من الحي أي وهو مخرج الميت من الحي أي النطفة من الإنسان والبيضة من الطير والكافر
من المؤمن والعاصي من الطائع والحبة من السنبلة والنواة من الشجرة ومخرج متصل بقوله فالق الحب ووقع
بينهما يخرج لأنه فعل دائم والاسم المأخوذ من الفعل يدل عليه فيتجانسا ذلكم الله أي ذلكم المحيي والمميت
هو الله الذي يحق له العبادة والربوبية لا الأصنام فأنى تؤفكون أي فإلى أين تصرفون عنه وعن
توليه إلى غيره بعد وضوح الأمر بما ذكرنا ثم لما استدل على قدرة الصانع بأحوال النبات والحيوان استدل
عليها بالأحوال الفلكية فقال فالق الإصباح أي هو شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه أو عن بياض
النهار ونوره أو شاق ظلمة الصبح وهو الغبش الذي يلي الصبح والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل
في الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالقَ بالنصب على المدح قال الضحاك خالق النهار وله الإصباح
مصدر الإقبال والإدبار وهو الإضاءة وأراد به الصبح وهو أول ما يبدو من النهار يريد مبدأ الصبح
ومفتحه وجاعل الليل سكناً أي هو جعل الليل مسكوناً فيه لخلقه يعني ليستريح فيه من تعب
النهار في أمر المعاش لقوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه أي عن كد المعيشة إلى نوم الغفلة
أو عن وحشة الخلق إلى الأنس بالحق قرأ الكوفيون جعل الليل فعلاً ماضياً اتباعاً للمصحف ولأن اسم الفاعل
الذي بمعنى المضي فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل ليوافقهما معنى ولمناسبة ما بعده من قوله
جعل لكم النجوم وأنشأكم من نفس واحدة وأنزل من السماء والباقون بصيغة اسم الفاعل والليل منصوب بجعل
عند الكوفيين بمقتضى قراءتهم ومجرور عند غيرهم وسكناً مفعول ثان لجعل عند الكوفيين أو على أنه حال عن
الليل وكذا ينتصب سكناً بجاعل على قراءة الجمهور إذا قصد به الجعل المستمر في الأزمنة المتجددة حسب تجددها
لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي إلى اثنين يعمل في الثاني وإن كان بمعنى الماضي لأنه
لما أضيف إلى المفعول الأول تعين نصبه للثاني لتعذر الإضافة بعد ذلك وفي تفسير الشيخ قرأ حمزة والكسائي

وعاصم

وعاصم وجعل وهو فعل والليل نصب لأنه مفعول وسكناً وهو مفعول ثان وقرأ الباقون وجاعل
الليل سكناً وهو صفة كقوله فالق الإصباح والليل مضاف إليه وسكناً مفعول لا بالفعل الذي دل
عليه قوله وجاعل لا به والشمس والقمر حسباناً أي وجعل الشمس والقمر يجريان في الفلك بحساب معلوم
لا تختلف على مرور الزمان أو منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما والحسبان جمع حساب
كالشهبان جمع شهاب وقيل أي بحساب ما يحتاج إليه العباد في معايشهم ومعاملاتهم أما الشمس فللثمار
والحرث والنسل وفي ذلك قوام العالم وأما القمر فلآجال الديون ومواقيت الأشياء كما قال في الأهلة هي
مواقيت للناس وقال وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
فإنه تعالى قدر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم دورتها في سنة ودورة القمر في شهر والحاصل أنه
سبحانه وتعالى خلقهما لنفع العباد قرأ الجمهور الشمس والقمر بالنصب وقرئ بالنصب واضحة على قراءة الكوفيين وحسباناً
كسكناً فيما ذكرنا ثم إنهما على قراءة الباقين وأن جاعل بمعنى الماضي فلا بد من إضمار فعل ينصبهما أي وجعل
الشمس وإن قلنا إنه ليس بمعنى الماضي يكون نصبهما بالعطف على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر وقرئنا بالرفع
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان حسباناً ذلك أي ذلك التسيير البديع بالحساب المعلوم
تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما لعباده وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والأنفع
من التداوير الممكنة لهما ثم شرع في بيان نعمته في الكواكب إثر بيان نعمته في النيرين فقال وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر يعني أن الله خلق النجوم وأنشأها و
أبدعها لثلاثة أشياء الأول وهو أن راكب البحر والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصدهم
مع بعد ما بين السماء والأرض من المسافة والثاني أنها زينة السماء كما قال الله تعالى ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح والثالث أنها رمي للشياطين كما قال الله تعالى وجعلناها رجوماً وإضافة الظلمات
إلى البر والبحر دون الليل فيهما للملابسة فإن الحاجة إلى الاهتداء بها إنما يتحقق عند ذلك أو في مشتبهات
الطرق وإنما سمي المشتبهات بالظلمات على طريقة الاستعارة وهو إفراد لبعض منافع النجوم بالذكر
بعدما أجمل المنافع بقوله لكم قد فصلنا الآيات أي بينا الدلالات على وحدانيتنا وقدرتنا
فصلاً فصلاً لقوم يعلمون أي يتدبرون فإنهم المنتفعون بها ثم ذكر نعمة أخرى دالة على
عظم قدرته ولطيف صنعه فقال وهو الذي أنشأكم أي خلقكم مع كثرتكم من نفس واحدة
هو آدم فمستقر ومستودع وفي التبصرة أي فمنكم من يستقر مدة مديدة ومنكم من يستودع في أقرب
مدة كأنه مستودع يعني لا يستبعد اختلاف مدة المكث في القبر فكأنه كاختلاف مدة الحياة الدنيوية
قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر القاف والباقون بفتحها وأما مستودع فاتفق القراء جميعاً على فتح الدال
فالمعنى على قراءة المستقر بفتح القاف أي فلكم استقرار في الأصلاب الآباء أو فوق الأرض أو استيداع
في أرحام الأمهات حتى يولد أو تحت الأرض حتى يبعث أو موضع استقرار واستيداع والمعنى على قراءة المستقر
بكسر القاف يكون المستقر اسم فاعل يراد به الأشخاص والمستودع اسم مفعول حتى يكون عبارة عن
الأشخاص ليضاف فيكون الخبر المحذوف حينئذ منكم لا لكم والتقدير فمنكم قار ومنكم مستودع لأن
الاستقرار منا دون الاستيداع قال ابن عباس لسعيد بن جبير هل تزوجت قال لا قال أما إنه ما كان من مستودع

في ظهرك فسيخرجه الله تعالى قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون اى يفهمون ذكر مع ذكر النجوم
يعلمون لان امر النجوم ظاهر ومع ذكر تخليق بنى ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من
السماء ماء هذا تذكير لنعمة اخرى على عبيده اى انزل من السحاب او من جهة العلو فان ما علاك
سماء ماء خاصا وهو المطر فاخرجنا فيه التفات عن الغيبة الى الاخبار عن نفسه جمعا بخطاب
الملوك وهو متعارف اهل اللسان به بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء اى نبت كل صنف
من الاشياء التى من شأنها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة فى الكم والكيف والخواص
والآثار اختلافا متفاوتا فى مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله عز وجل تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه اى من النبات او من الماء خضرا اى شيئا
اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحب المتشعب يعنى كان رطبا اخضر اول
ما نبت من القمح والشعير ونحوهما فان كان ذلك الاخضر من الحب نخرج منه اى من ذلك الخضر حبا
متراكبا اى حبات كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض لالتفافها كما هو ظاهر فى سنابل الحنطة
ونحوها والحب جمع حبة وانما لم يقل متراكبة لظاهر اللفظ الذى هو للواحد فى الوضع ثم شرع فى تفصيل
حال الشجر الذى يحصل من النوى اثر بيان حال الحب فقال ومن النخل خبر مقدم وقوله من طلعها
بدل منها وكرر من مع النخل والطلع لان الاولى تقدمت موضعها فاعيدت فى موضعها والطلع هو
اول ما يخرج من ثمر النخل فى الكمام قنوان اى عراجين مبتدأ قدم عليه الخبر كانه قيل وحاصله
من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو من النخل بمنزلة العنقود من الكرم ويسمى العذق قال الاستاد
ويجوز ان يكون تقدير الكلام واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اى قنوان نخرجه من النخل وقرئ بضم القاف
كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول
وقد شاهدنا ببلدتنا اعنى المدينة المنورة من النخل ما يكون اعذاقه على الارض او قريبة بعضها من بعض
لقوة الشجر بكثرة حملها وانما اقتصر على الدانية ولم يعطف عليها ما يقابلها اى ومنها قنوان بعيدة لدلالة
الدانية على البعيدة وزيادة النعمة فى القريبة وجنات بكسر التاء وهو نصب على قراءة الجمهور عطفا على
نبات كل شيء اى واخرجنا بالماء جنات اى بساتين من اعناب اى من نبات اعناب على حذف
المضاف لان الجنات لا تكون من العنب نفسه بل من النبات والاشجار وقرئ بالرفع على الابتداء اى
ولكم جنات او ثمة جنات ولا يجوز عطف وجنات على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل ولفساد المعنى
اى وحاصلة او مخرجة من طلع النخل قنوان وجنات من اعناب والزيتون والرمان بالنصب
عطفا على جنات على قراءة النصب لا على اعناب او عطفا على قوله نبات كل شيء او حبا متراكبا
قال السلطان عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم اى لكونهما
اشرف الثمار عندهم مشتبها وغير متشابه قال قتادة معناه مشتبها ورقهما مختلفا ثمرهما لان ورق
الزيتون يشبه ورق الرمان وفى المدارك وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه فى القدر واللون
والطعم

والطعم قال السلطان حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة
والقدر واللون والطعم قال الاستاد ويحتمل ان يريد يتشابه فى الطعم ويتباين فى المنظر وهذه الاحوال
موجودة بالاعتبار فى انواع الثمار يقال اشتبه وتشابه بمعنى اى الافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا و
قال الطبرى جائز ان يتشابه فى الثمر ويتباين فى الطعم وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهة لانه اراد به
جنس الثمر كله او اراد به المذكور وخص الرمان والزيتون بالذكر من بين ساير الاشجار لقرب منابتها
من القوم المخاطبين وقال الزجاج هما شجرتان تزعم العرب ان ورقهما يشتمل على الغصن من اوله
الى آخره والبركة فى ورق اشتماله على عوده كله انظروا الى ثمره اذا اثمر اى انظروا يا مخاطبين
الى ثمر كل واحد من ذلك نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره اى اول ما يبدو وكيف هو يعنى
كيف يخرجه ضعيفا لا لون فيه ولا طعم يعتد به قرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة
كخشبة وخشب او جمع ثمار ككتاب وكتب والباقون بفتحتين وهو اسم جنس مفرده ثمرة كشجر وشجرة
وبقر وبقرة وجزر وجزرة وينعه اى وانظروا ايضا الى حال نضجه اذا ادرك كيف يصير الى كماله
اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتجر
وتاجر ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اى ان فى ما امروا بالنظر اليه دلالات على ان لها صانعا
عليما حكيما حيا قادرا وعلى تتابع نعمه على عباده وعلى البعث بعد الموت بما ترون من اعادة
النبات بعد التلاشى وعلى وجوب الشكر له وبطلان اشراك غيره به وخص المؤمنين بها لانهم
المنتفعون بها فى الايمان كما قال هدى للمتقين بخلاف الكافرين وقال القشيرى دلك به تجانس
اجزاء الارض وتوافقت اقطار الكون وتباين النبات فى الطعم واللون فذلك لكل مخلوق بلسان
فصيح وبيان صريح ان الله لا يستقل بنفسه وانه موجود بايجاد ربه وجعلوا لله شركاء الجن
اى جعل المشركون الجن شركاء سموهم الذين قالوا يزدان واهرمن وقيل هو رد على بنى مليح
قالوا ان الله صاهر الجن فولدت له الملائكة وهم بناته بناتهم وعبارة السلطان وجعل المشركون
لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وهو قريب من معنى الاول
وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين اى جعلوا الشياطين شركاء لله لانهم اطاعوهم
كما يطاع لله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان
خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله وشركاء والجن ليس بمفعول
بل بدل من شركاء او مفعولاه شركاء الجن شركاء مفعول ثان والجن الاول قدم استعظاما
متعلق لشركاء او حال منه انتهى وفى تفسير الاستاد قال الكلبى عن ابن عباس نزلت فى الزنادقة اثبتوا الشركة
لابليس فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع
والحيات والعقارب وهذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وابليس من الجنة قال فى التفسير
الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان
الكتاب الذى زعم زردشت انه نزل عليه من عند الله سمى بالزند والمنسوب اليه زندى
ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما فى هذا العالم من الخيرات

Copyright King Saud University

فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا وقرئ الجن
بالنصب وقرئ بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وقرئ بالجر على الاضافة التي للتبيين وقد
خلقهم اي وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن فكيف يكون شركاءه وليس من يخلق كمن لا
يخلق وقرئ خلقهم بفتح اللام وقرئ وخلقهم بسكون اللام عطفا على الجن اي وجعلوا الجن وما
يخلقونه من الاصنام شركاء له او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه سبحانه وتعالى
وخرقوا له اي اختلقوا وافتروا على الله بنين وبنات اي بنسبة البنين والبنات اليه سبحانه
بغير علم اي جهلا فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
الملئكة بنات الله وقرأ اهل المدينة وخرقوا بتشديد الراء على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف ثم نزه
الله نفسه عن مقالتهم الشنيعة فقال سبحانه اي تنزيها له وتعالى عما يصفون والمعنى
انزه الموصوف عما وصفوه وتعالى عن تلك الاوصاف بان له شريكا او ولدا وهو بديع السموات
والارض اي مبدعهما من غير مثال سبق وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع
سمواته وارضه من غير سبق مثال يعني هو مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة وفاعل
على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة وقوله بديع مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف او على انه مبتدا
وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد لان الولد انما يحتاج اليه للاعتضاد به
او للخدمة منه او للاستيناس منه او لبقاء الذكر به بعد الموت والله تعالى يتعالى ويتعاظم عن ذلك
كله علوا كبيرا يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك سبحان الله تسبيح الجلال
من له التسبيحات ولم تكن له صاحبة اي كيف يكون له الولد ولم يكن له زوجة يكون منها الولد ولان
الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا ولان الصاحبة لا تكون
الا كفوا ولم يكن له كفوا احد وقرئ بالياء للفصل بين تكون وصاحبة بله او لان الاسم ضمير الله
او ضمير الشان وخلق كل شيء اي خلق الاشياء كلها بتخليقه وفي ملكه وحكمه فلا كفو له
من خلقه ولا حاجة له الى غيره وهو بكل شيء من الواجبات والممتنعات والجايزات عليم
اي مبالغ في العلم ازلا وابدا ولا يخفى عليه خافية لانه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من صفات الالوهية وما في ذلكم من معنى البعد
للايذان بعلو شان المشار اليه وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلك الموصوف
بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة وهو ربكم لا شريك له في ذاته وصفاته وافعاله
خالق كل شيء مما كان ومما سيكون ومما كاين وانما اعاد وصف الخالقية لانه من اجلى البراهين
على التوحيد ولذلك اكثر الله تعالى ايراده في القران فاعبدوه اي فاطيعوه ووحدوه فان من
جمع فيه هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وهو على كل شيء وكيل اي بالحفظ
له والتدبير فيه يعني هو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها وتوسلوا بعبادته الى انجاح
مآربكم لا تدركه الابصار اي لا تحيط به حاسة النظر لان الاحاطة تكون بالمحدود والله

يتعاظم

يتعاظم عن ذلك او لا تدركه اصلا ابصار من سبق ذكرهم من اهل الشرك والضلال والابصار جمع
بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع
الروية حيث قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الروية بدليل قول القائل ادركته ببصري وما
رايته متناقضان وقالوا معنى قوله لا تدركه الابصار اي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال
وهو باطل اذ ليس الادراك مطلق الروية كما زعموا بل الادراك غير الروية لان الادراك هو الوقوف على
كنه الشيء والاحاطة به والروية المعاينة وقد تكون الروية بلا ادراك قال الله في قصة موسى فلما تراءى
الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وقال لا تخاف دركا ولا تخشى فنفى الادراك مع اثبات الروية
فالله تعالى يجوز ان يرى من غير ادراك واحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به قال الله تعالى ولا يحيطون به
علما فنفى الاحاطة مع ثبوت العلم قال سعيد بن المسيب في معنى لا تدركه الابصار اي لا تحيط به الابصار
وقال عطا كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن عباس ومقاتل معناه لا تدركه الابصار
في الدنيا وهو يرى في الاخرة ويدل على ابطال قول المعتزلة ايضا بان النفي في الاية ليس عاما في
الاوقات كلها بل مخصوص ببعض الحالات يعني لا تدركه الابصار في الدنيا بل تدركه من غير احاطة
اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الاخرة ويدل ايضا على ابطال قولهم بان النفي في الاية ليس
عاما في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه فيفيد انه يدركه بعض الابصار اعني ابصار المؤمنين
دون الكافرين والحاصل ان كل شيء له جهة يرى في الجهة كالخلق ومن لا جهة له سبحانه وهو الله يرى
في غير جهة يعني هو يري نفسه ايانا بقدرته على الوجه الذي يشاؤه ويريده كما اعلم ذاته ايانا
على الوجه الذي شاءه واراده ولو شاء ان يري ذاته ايانا في الدنيا لفعل ذلك ولا مانع ولكن خص بذلك
حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم واستدلت الاشاعرة على جواز الروية بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى حكاية
عن موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
وجه الاستدلال به ان سوال موسى عليه السلام الروية يدل على امكانها لان العاقل فضلا عن النبي
لا يطلب المحال ولا يمكن لاحد ان ينسبه الى الجهل باستحالة الروية لكونه من مشاهير اولي العزم وهم محمد ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى وكان شيخنا يقول وادم والله اعلم وعن وجه الاستدلال ايضا على جواز
الروية انه سبحانه وتعالى علق الروية على استقرار الجبل وهو امر ممكن في نفسه والمعلق على الممكن ممكن واما
العقل فهو انا نرى الاعراض كالالوان والاضواء والحركة والسكون والاجتماع والافتراق وغير ذلك
كالطول والعرض في الجسم فلا بد من علة مشتركة تكون بين الواجب والجواهر والاعراض وهي السبب
الاول للروية وذلك السبب المشترك هو الوجود لانه مشترك بين الواجب والممكنات لاطلاقه عليهما بخلاف
الحدوث والامكان لا يطلقان على الواجب اذ الحدوث والامكان وان كانا عبارة عن الوجود لكن مع اعتبار
عدم سابق عليهما فيجوز رويته تعالى عقلا هذا وتثبت وقوع رويته تعالى في الاخرة بالكتاب والسنة
اما الكتاب فكقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وكقوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو
ذلك من الايات الدالة على اللقاء وكقوله تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على
النزل لا يليق في حق الكريم فلا بد على الفردوس بطريق الدوام لا يكون الا اللقاء وكقوله تعالى كلا انهم عن

ربهم

ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين فان الله ذكر الحجاب تحقيرا لشان الكفار فلزم منه كون المؤمنين مبرئين عن الحجاب فوجب ان لا يكونوا محجوبين عن ربهم بل رائين له تعالى وكقوله وفيها ما تشتهي الانفس ولا شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله تعالى على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان وكقوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فيمن قرا بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور الذي ذكره الشيخان انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رويته والمراد تشبيه الروية بالروية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي كذا في جامع الاسرار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا هكذا ذكره البغوي في تفسيره **وهو يدرك الابصار** اي لا يخفى عليه شيء ولا يفوته بل يحيط علمه بها يعني هو للطف ادراكه للمدركات مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع على ماهيتها عليم بعوارضها وذاتياتها فان قيل كيف خص الابصار بادراكه سبحانه لها ولم يقل هو يدرك كل شيء مع انه ابلغ في التمدح قلنا لوجهين احدهما مراعاة المقابلة اللفظية فانه نوع من البلاغة الثاني ان هذه الصفة يعني ادراك الابصار خاصة بي ايته وبين الابصار انه يدركها يعني الاحاطة بها وهي لا تدركه فاما غيره مما يدرك الابصار فهي تدركه ايضا فلهذا خصها بالذكر **وهو اللطيف الخبير** وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهي رقة القوام والذات فان ذلك من صفات الاجسام بل المراد لطف صنعه في تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في الانعام والرحمة لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية قال السلطان يدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار يعني فانها لا تدرك نفسها والله يدركها قال ابن عباس اللطيف باوليائه الخبير بهم او اللطيف الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر في الاشياء والخبير العالم بالعباد واعمال العباد وقيل اللطيف العالم بخفيات الاشياء والخبير العليم بظواهر الاشياء وقيل اللطيف العالم بدقائق الامور ومشكلاتها وقال بعضهم الخبير بظواهر الاشياء وخفياتها واللطيف الذي اعطى فوق الكفاية وكلف دون الطاقة وقيل اللطيف المحسن المتفضل بالرفق باللطيف فوق كل لطيف الطف بي في اموري كلها ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قل يا محمد **قد جاءكم بصائر من ربكم** اي حجج ظاهرات التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل قد جاءكم من جهة مالككم ومربيكم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم ما هو كالبصائر للقلوب من الوحي الناطق بالحق والصواب وقد جاءكم بصائر كائنة من ربكم **فمن ابصر** عرفها وابصرها فامن **فلنفسه** ابصر لا لغيره لان ثواب ابصاره له ونفعها مخصوص بنفسه يعني فمن تدبرها منصفا لا معاندا ولا متعصبا ابصر الرشد وكان نفعه له **ومن عمي** عن الحق والحجج وضل **فعليها** اي تضرر ذلك على نفسه قال الكلبي قد جاءكم بصائر من ربكم اي القران فمن ابصر صدق القران وامن بمحمد فلنفسه عمل واحرز الثواب ومن عمي فلم يصدق فعلى نفسه جنى العذاب **وما انا عليكم بحفيظ** اي قل يا محمد وما انا عليكم في هذه الحالة برقيب احفظكم على قوله بل انما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول فيكون تقول لقول حضر كما اشرنا بتر لنا قل يا محمد الخ ونسخته اية القتال وقال القشيري فكذلك اوضح السبيل والاح الدليل وازاح العلل

الحلل وانار السبل ولكن قيل في معناه شعر وما انتفاع اخي الدنيا بمقلته اذا استوت عنده الانوار والظلم **وكذلك نصرف الايات** اي وكما صرفنا وبينا واوضحنا الايات السابقة الدالة على الوحدانية نصرف ونبين سائر الايات ليعتبروا **وليقولوا** الكفار رفعا قبة للامر **درست** اي قرات على غيرك وتعلمت منهم ثم جئت تقرا علينا تزعم انه من عند الله هذا على قراة درست من غير الف وجواب ليقولوا محذوف اي وليقولوا درست نصرفها ونبينها ودارست بالالف معناه وكذلك نبين سائر الايات لئلا يقولوا الكفار يعني حتى لا يقولوا لك الكفار دارست اهل الكتاب وذاكرتهم اي قرات على اهل الكتاب وقراوا عليك والحاصل ان اللام في ليقولوا اصلها للعلة والغرض ثم استعير ذلك للعاقبة وهي اللام التي تدخل على ما يترتب على شيء وليس مقصودا قرا ابن كثير وابو عمرو دارست بالالف وفتح تاء الخطاب والمعنى كما ذكرنا والباقون درست بغير الف وبفتح التاء والدرس القراة والتعلم يعني قرات على يسار وجبر كانا عبدين لقريش من سبي الروم كان قريش يقولون له عليه السلام انك تعلم منهما ثم تزعم انه من عند الله واستثني من الباقين ابن عامر ويعقوب فانهما قرا درست بفتح السين وسكون التاء من الدروس وهو البلى والمحاء الاثر اي الايات التي تقرا وتتلوها علينا اخبار قديمة قد درست وانمحت وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء وفتح السين وسكون التاء مبالغة في درست اي اشتد دروسها وعفاؤها وقرئ درست على البناء للمفعول بمعنى قرئت اي قرا عند غيره او بمعنى عفيت وانمحت وقرئ دارست بالالف وفتح السين وسكون التاء بمعنى درست وانمحت الاثر او بمعنى دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ درسن بفتح الراء وسكون السين وبعدها نون اي عفون او درس اي محمد وقد ارسات اي قديمات وذات درس كقوله في عيشة راضية وفي التبيين واختلاف القراات لاختلاف اقوال الكفرة في رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من قال انما يعلمه بشر فهو تاويل درست ومنهم من قال ان هذا الا اساطير الاولين وهذا تاويل درست بسكون التاء ومنهم من قال ان هذا الا افك مفترى وهذا تاويل درست بفتح التاء وقوله **ولنبينه** عطف على ليقولوا واللام للعلة والغرض والضمير للقران او للايات لانها في معنى القران او للمصدر وقال الشيخ واللام في ليقولوا لام العاقبة والصيرورة اي لتصير عاقبة امرهم الى ان يقولوا درست وهو كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صار عاقبة امرهم الى العداوة واما اللام في لنبينه فللتعليل اي فكذلك الايات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول لتصريف الايات كما حصل التبيين فشبه به **لقوم يعلمون** الحق من الباطل متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لانهم المنتفعون به قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد واما المعاندون فيقولون هذا شيء اخذته من الكتاب ثم لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الايات عقب ذلك بامره صلى الله عليه وسلم بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم فقال **اتبع ما اوحي اليك من ربك** اي القران يعني دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد ولا تتبع اهواءهم قال ابن عباس حين دعا المشركون رسول الله الى ملة ابائه فانزل الله اتبع الى اخره **لا اله الا هو** فاياه فارج واياه فخف اعتراض بين الامرين اعني اتبع واعرض او حال عن ربك **واعرض عن المشركين** اي فلا تجادلهم ولا تعاقبهم الى ان يرد الامر بالقتال ومن جعله

منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم **ولو شاء الله** توحيدهم وعدم اشراكهم
ما اشركوا وهذا دليل على انه لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى
انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض
مؤكد للاعراض عن المشركين وكذا قوله **وما جعلناك عليهم حفيظا** اى رقيبا مهيمنا من
قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وتاخذهم باجرامهم وكذا قوله **وما انت عليهم بوكيل** يعنى
تقوم باموره او مسيطر على اكراههم على الاسلام وليس عليك الآن الا التبليغ الى ان تؤمر بقتالهم قال عطا
وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم منى اى لم تبعث لحفظ المشركين عن العذاب انما بعثت مبلغا وما انت
عليهم بوكيل ثم ذكر تحقيق قوله واعرض عن المشركين بقوله **ولا تسبوا الذين يدعون** اى يعبدون
من دون الله اى ولا تذكروا الهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح بان تقولوا تبا لكم ولما تعبدون
من دون الله او تقولوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **فيسبوا الله عدوا بغير علم** اى فيسب
المشركون الله ظلما واعتداء وتجاوزا عن الحق الى الباطل غير عالمين بالله تعالى وبما يجب ان يذكر من الكمالات
قرا الجمهور عَدْوًا بفتح العين وسكون الدال وتخفيف الواو وقرا يعقوب عُدُوًّا بضم العين والدال وتشديد
الواو ويقال عدا فلان عَدْوًا وعُدُوًّا وعَداءً وعُدوانا قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله تعالى ان يسبوا
اوثانهم وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم
قوم جهلة وقال السدى لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنامرنه
ان ينهى ابن اخيه عن الهتنا فانا نستحيى ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات
قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو
ابن العاصي والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا
والهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فقال هؤلاء قومك يقولون نريد
ان تدعنا والهتنا وندعك والهك وقد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اعطيتكم
هذا فهل انتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم فقال ابو جهل نعم وابيك وعشرة امثالها
فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان القوم قد فزعوا منها قال يا عم
ما انا بالذى اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدى فقالوا لتكفن عن شتمك الهتنا او لنشتمنك ونشتم
من يامرك به فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين الاية فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تسبوا
الهتهم فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقة النهى عن سب
الله تعالى لانه سبب لذلك وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر
شر مثاله سب الاصنام وبغضها من الطاعة وقد نهى الله تعالى عنه لكونه مؤديا الى معصية عظيمة وهى
شتم الله وشتم رسوله وفتح باب السفاهة نعلم منه ان ما كان طاعة فى نفسه انه اذا ادى الى منكر يكون
منكرا فان قيل الكفار كانوا مقرين بوجود الله ويزعمون انهم انما يعبدون الاصنام طمعا فى شفاعتهم عند الله
تعالى كما قالوا وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يعقل اقدامهم على شتم الله وسبه والجواب انه ربما كان بعضهم
فيه

قايلا بالدهر ونفى الصانع فما كان يبالى بهذا النوع من السفاهة وايضا المشركون لانكارهم النبوة كان
من جملتهم من كان يعتقد ان شيطانا يحمله على ادعاء النبوة والرسالة ويامره بها فلو سمع من احد تعييب
الاصنام والطعن فيها لحمله ذلك السماع على سب من امره بانكار عبادة الاصنام وتعييبها فيرجع ذلك
السب الى سب الله عز وجل **كذلك زينا لكل امة** من امم الكفار **عملهم** اى كما زينا لهؤلاء عبادة الاوثان
وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة قبلهم عملهم قال الاستاذ زينا لكل امة عملهم
من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا فالتزيين مثل تزيين المشركين سب الله
وعبادة الاوثان ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفار لان الكلام فيهم قال بعضهم فى معنى الاية يعنى
كما زينا لهؤلاء المشركين عبودهم وجحودهم طبعا باختيارهم ذلك واصرارهم على ذلك طوعا زينا لكل امة
قبلهم عملهم والمعتزلة يحملون هذا على معنى اخر قالوا معناه زينا لهم الايمان والطاعة بالامر والوعد لكنهم
تركوا واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الكفر والمعصية وقالوا ان الله ذكر تزيينه فى جانب الايمان فقال ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وذكر تزيين المعاصى من الشيطان
فقال وزين لهم سوء اعمالهم فلا يجوز ان يزين الله ما يزين الشيطان وقال الامام التزيين على القسمين
تزيين فى العقول وهو تزيين من طريق الايات والبراهين وذلك لا يحتمل فى الكفر والضلال ان يكون من جهة الله تعالى
وتزيين فى الطباع والشهوات ويجوز ان يكون ذلك للكافر فى الكفر والمعصية من الله تعالى وليس اضافة ذلك اليه
باكثر من اضافة الاغواء والاضلال اليه فقد ثبت ذلك قلت والحاصل قوله عز وجل كذلك زينا الخ هو كقوله افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الاصلح **ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** اى ثم يكون الى جزاء الله مصيرهم يوم القيمة فيخبرهم بما عملوا و
يجزيهم عليه ثم لما طلبت قريش منه صلى الله عليه وسلم نزول الملئكة واحياء الموتى وحلفوا انهم يؤمنون
عند ذلك وكان المؤمنون يحبون ذلك ليؤمن المشركون نزلت **واقسموا** كفار مكة **بالله جهد ايمانهم**
اى حلف هؤلاء المشركون بالله مجتهدين فى الحلف مظهرين للوفاء به والداعى لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم
على الرسول عليه السلام فى طلب الايات واستحقار ما رأوا منها **لئن جاءتهم اية** من مقترحاتهم **ليؤمنن
بها** اى ليصدقن بها وليشهدن لك بالنبوة ولندعن عبادة الاصنام قال محمد بن كعب القرظى والكلبى قالت
قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت معه عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان
يحيى الموتى فاتنا من الايات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا
ذهبا او ابعث لنا بعض موتانا حتى نساله عنك احق ما تقول ام باطل او ارنا الملئكة يشهدون لك فقال لهم
فان فعلت بعض ما تقولون تصدقوننى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعك اجمعون وسال المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله ان يجعل الصفا
ذهبا فجاء جبريل عليه السلام فقال له ما شئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان
تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله واقسموا الخ **قل** لهم
يا محمد **انما الايات عند الله** اى هى من عنده تجيء وهو ياتى بها لا انا وانما انا نذير وليس شئ منها بقدرتى
وارادتى **وما يشعركم** اى وما يدريكم بايمانهم استفهام انكار اى انتم لا تدرون ذلك **انها** اى الايات

المقترحة إذا جاءت لا يؤمنون لما سبق في علمي كان المؤمنون يتمنون مجيء الاية المقترحة لعلها تكون
سببا لايمانهم فرد الله عليهم بانكم لا تدرون عدم ايمانهم اذا جاءت تلك الايات فلذلك تمنيتم فالنفي
انما توجه الى ما هو الواقع لا الى ما ادعاهم وقال بعضهم معناه انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون وانتم تظنون
ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون
على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي بهم من انهم لا يؤمنون وفيه تنبيه على انه انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا
جاءت لا يؤمنون قال الشيخ انكر السبب اعني العلم والدراية بايمانهم واريد نفي المسبب وهو الايمان اي
ربما انكار لظهار الحرص على ايمانهم يعني انتم لا تدرون هذه المسألة فلذلك تطمعون في ايمانهم والمعاني
كلها قريبة بعضها الى بعض قرأ العامة انها بفتح الهمزة وابن كثير وابو عمرو بكسرها فاما قراءة الكسر فواضحة لان معناها
استيناف اخبار بعدم ايمان من طبع على قلبه ولو جاءهم كل اية كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم وقيل الخطاب للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة
لا تؤمنون بالتاء واما قراءة الفتح فقد فسروها بوجوه اظهرها انها بمعنى لعل اذ روي لعلها حكى الخليل ائت السوق
انك تشتري اللحم اي لعلك والثاني ان تكون لا زائدة نحو قوله تعالى وما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد والثالث
ان في الكلام حذف معطوف والتقدير وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون او يؤمنون فحذف او يؤمنون لعلم
السامع به والرابع ان لا غير زائدة وليس في الكلام حذف وليس ان بمعنى لعل اذ هذا كله خروج عن الظاهر لغير
ضرورة بل حمل الكلام على الظاهر اولى وهو واضح شايع ونعني بالشايع انكم لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر
السبب مبالغة في نفي المسبب كما اشرنا في الاولى وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فيكون انكارا
لهم على حلفهم بانهم يؤمنون عند مجيئها اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم
حينئذ مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الايات فلا يؤمنون بها وفي استعمال اذا موقع ان مع المستقبل
لانه ما جاءهم مقترحهم مبالغة في عدم ايمانهم كانه تحقق مجيء الاية وعلم عدم ايمانهم ونقلب افئدتهم
اي نحول قلوبهم عن الحق فلا يفقهونه تمثيل لحالهم بحال الظرف المقلوب الذي لا يمسك شيئا وابصارهم
عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها فهو عطف على لا يؤمنون والمعنى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم
عن الحق فلا يفقهونه الخ كما لم يؤمنوا به اول مرة اي وهم لا يؤمنون بالمقترحات كما لم يؤمنوا بالايات
التي انزل الله قبل الاقتراح قال ابن عباس يعني نحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالايات التي سألوا ما
امنوا بها كما لم يؤمنوا بما قبلها من الايات من انشقاق القمر وغيره كما لم يؤمنوا به اول يعني معجزات موسى وغيره
من الانبياء عليهم السلام لقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وفي الاية محذوف تقديره فلا يؤمنون
كما لم يؤمنوا اول مرة وقال علي بن ابي طلحة المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم
وابصارهم عن الايمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونذرهم
عطف على لا يؤمنون اي وندعهم في طغيانهم اي في ضلالهم يعمهون اي يترددون متحيرين يعني
متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين قال عطا نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون وقيل معناه وما يشعركم
انا نذرهم في طغيانهم يتحيرون وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد
الى الافئدة ثم شرع في تفصيل ما اجمله في قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا اليهم

الملائكة

الجزء الثامن

الملائكة اي لو ارسلنا الى هؤلاء المقترحين كل الملائكة فرأوهم عيانا وشهدوا لك بالرسالة وان كانوا
سألوا ملكا واحدا بقولهم لولا انزل عليه ملك وكلمهم الموتى اي ولو احيينا اليهم كل الاموات باحيائنا
باحيائنا اياهم فشهدوا لك بالنبوة وان كانوا سألوا منك احياء اثنين من موتاهم قصي بن كلاب
وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين فيهم صدوقين بينهم وشهدوا لك بانك رسول الله وحشرنا اي
جمعنا عليهم كل شيء قبلا اي وبعثنا على المقترحين كل حيوان من الفيل الى البعوض اي افنينا
القيمة وشهدوا لك بالرسالة او صاروا لك كفلاء وضمناء على ما تدعيه من التبشير والانذار ما
كانوا ليؤمنوا اي لم يؤمنوا برؤية هذه الايات لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله
ايمانهم فيؤمنوا حينئذ قرأ نافع وابن عامر قبلا هنا وفي الكهف بكسر القاف وفتح الباء والكوفيون هنا
وفي الكهف بضمهما وابو عمرو وابن كثير بضمهما هنا وكسر القاف وفتح الباء في الكهف فاما قراءة نافع وابن عامر
ففيها وجهان احدهما انه بمعنى مقابلة اي معاينة وانتصابه على هذا على الحال فهو مصدر في موضع
الحال كما اشرنا وثانيهما انه بمعنى ناحية وجهة وانتصابه حينئذ على الظرف واما قراءة الباقين ففي
هذه الاية ففيها اوجه احدها ان يكون قبلا جمع قبيل بمعنى كفيل والثاني ان يكون جمع قبيل لكنه بمعنى جماعة
جماعة او صنفا صنفا والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء فوجا فوجا ونوعا نوعا من ساير المخلوقات والثالث
ان يكون قبلا بمعنى قبلا كالقراءة الاولى في احد وجهيها وهو المواجهة اي مواجهة ومعاينة ومنه اتيتك
قبلا لا دبرا اي اتيتك من قبل وجهك قال الله تعالى ان كان قميصه قد من قبل وعلى الوجوه المذكورة نصبه على
الحال من كل وان كان نكرة لعمومه واضافته الا في احد وجهيه فانه ينتصب على الظرفية كما قدمنا والا
في قوله الا ان يشاء الله مفرغ من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حالة من الاحوال الا حالة مشيئة الله
ايمانهم وقيل الاستثناء منقطع وهو حجة ظاهرة على بطلان قول المعتزلة وقال الامام ودل هذا على
ان الاية وان عظمت فانها لا تضطر الى الايمان فلا اية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه ويكون معنى قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها
خاضعين اي ان شاء الله ان يخضعوا لا ان الاية تضطرهم وتلجئهم الى ذلك ودل انهم انما لم يؤمنوا
لان الله تعالى لم يشأ ولو شاء لامنوا ومن علم الله منهم اختيار الكفر والاصرار عليه شاء له ذلك ومن
علم منه اختيار الايمان شاء له ذلك ولكن اكثرهم يجهلون ولم يقل كلهم وان كانت جهالة
الكفر تعمهم لان المراد والله اعلم ولكن اكثرهم يجهلون انه لو اتاهم كل اية يقترحونها ما امنوا
اخرى اي يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله اغلظ ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ثم ذكر في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
قوله وكذلك الخ اي وكما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل ظاهر على ان عداوة
الكفرة بفعل الله تعالى ولان تلك العداوة معصية وكفر فلزم ان يكون خالق الخير والشر والايمان والكفر هو
الله تعالى لا العبد فتكون الاية حجة لنا على المعتزلة شياطين الانس والجن اي مردة الفريقين وهو
منصوب على انه بدل من عدوا او على انه المفعول الاول لجعلنا وعدوا مفعول ثان له ولكل نبي متعلق بجعل

او حال منه توضيح المعنى اى وكما جعلنا لك يا محمد اعداء من المشركين مجتمعين على عداوتك يسالونك
الايات المقترحة ويصورون عند صحابهم انك عاجز عن الاتيان بها فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا
قال عكرمة والضحاك والسدى والكلبي معناه شياطين الانس التى مع الانس وشياطين الجن التى مع الجن
وليس للانس شياطين وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا منهم الى الجن
وكلا الفريقين اعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولاوليائه وهم يلتقون فى كل حين فيقول شياطين الانس
لشياطين الجن اضللت صاحبي فاضل صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك
وحى بعضهم الى بعض قال قتادة ومجاهد والحسن ان من الانس شياطين كما ان من الجن شياطين والشيطان
العاتى المتمرد من كل شى قالوا ان الشياطين اذا اعياه المومن وعجز عن اغوايه ذهب الى متمرد من الانس وهو
شيطان الانس فاغواه بالمومن ليفتنه يدل عليه ما روى عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
تعوذت بالله من شياطين الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم من شر شياطين
الجن وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد على من شياطين الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله ذهب
عنى شيطان الجن وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى وفى المدارك قال عليه السلام قرناء السوء شر
من شياطين الجن **يوحى** يوسوس **بعضهم الى بعض** الوحى الكلام الخفى والقول السريع الذى يلقى
سرا والمراد به هنا وسوسة الشياطين اى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى
بعض وبعض الانس الى بعض **زخرف القول** وهو قول مموه مزين بالباطل لا معنى تحته **غرورا** حال
اى غارين او مفعول له اى ليغروهم وليخادعوهم **ولو شاء ربك ما فعلوه** اى لو شاء ربك ايمانهم
ما فعلوا ذلك يعنى ما فعلوا معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء وحده
او الزخرف او الغرور كذلك وفى الاية دلالة على ان الشرور بمشية الله تعالى فيكون حجة ظاهرة على
المعتزلة قال الامام البغوى ما فعلوه اى ما القوه من الوسوسة فى القلوب **فذرهم وما يفترون**
اى اذا عرفت ان ذلك بمشية الله ومشيته تابعة لحكمته فاتركهم وكفرهم هذا قبل الامر بالقتال
يعنى فذرهم وما يفترون عليك وعلى الله فان الله يجزيهم وينصرك ويخزيهم قال القشيرى فلما
كان المحل اعلى كانت البلايا اوفى والمطالبات اقوى ولما كانت رتبة الانبياء اشرف كانت العلاق
معهم اشد واصعب **ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة** والمعنى اى
يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل الى زخرف القول قلوب الذين لا يصدقون
بالبعث وهو عطف على غرورا لكون اللام لعلة الايحاء او متعلق بمحذوف يدل عليه المقام اى فعلنا ذلك
من معادات الانبياء وايحاء الزخارف جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فى الجعل قالوا اللام
فى قوله لتصغى وما عطف عليه للعاقبة او لام القسم كسرت لما لم يوكد الفعل بالنون او لام الامر
وضعفه اظهر لانه لم يجزم الفعل **وليرضوه** عطف على ولتصغى اى وليختار الكفار معاداة الانبياء
وايحاء الزخارف لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم **وليقترفوا** عطف على ما قبله اى وليكتسبوا
الكفار ذلك المعادات والايحاء **ما هم مقترفون** اى ما يريدون ان يقترفوا قال الزجاج اى ليعملوا من
الذنوب ما هم عاملون ولما قال اهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك قاضيا من احبار اليهود
او من

او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما فى كتابهم من امرك نزلت قوله تعالى **افغير الله ابتغى
حكما** اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وقد حكم
الله بنبوتى وخصنى بمثل هذا الكتاب المفصل الكامل البالغ الى حد الاعجاز وغير مفعول ابتغى
وحكما حال منه ويحتمل عكسه ونظيره قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقيل
معناه قل لاهل مكة اغير الله ابتغى ربا اعبده **وهو الذى انزل اليكم الكتاب** اى القران المعجز
مفصلا اى مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وقيل مفصلا اى مبينا مفرقا
فى عشرين سنة سورة سورة وخمسا خمسا وعشرا عشرا وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره
مغن عن ساير الايات كاف فى امر الدين فاى حاجة بعد ذلك الى الحكم فان قيل لم قال اليكم دون اليك
مع ان الله قال وانزلنا اليك الكتاب قلنا لما كان انزاله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه الى الخلق
ويهديهم به كان فى الحقيقة منزلا اليهم لكن بواسطة النبى عليه السلام فصح اضافة الانزال اليه
واليهم **والذين اتيناهم الكتاب** يعنى علماء اليهود والنصارى الذين اتيناهم التورية والانجيل
وقيل هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وقال عطاء هم رؤس اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والذين
اتيناهم مبتدا وخبره قوله عز وجل **يعلمون انه منزل من ربك بالحق** تاكيد لدلالة الاعجاز على ان القران
ملتبس بالحق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه صلى الله عليه وسلم
لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف الله جميع اهل الكتاب بالعلم لان اكثرهم يعلمون
نزول القران من الله ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل قرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بتشديد
الزاي مبالغة لانه نزل نجوما والباقون بتخفيفها لانه نزل مرة واحدة الى البيت العزة **فلا تكونن من
الممترين** اى لا تكن من الشاكين فى ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم
وكفرهم به فيكون من باب التهييج اى ترغيبه وتحريضه عليه السلام على ثباته على تقوية الدين
وتاييده كقوله ولا تكونن من المشركين لا من باب كفه ومنعه عليه السلام عن الشك والامتراء فانه عليه
السلام ليس ممن يمترى فى شى من علم اهل الكتاب بانزال القران من ربه بعد ان اخبر الله تعالى بانه
يعلمون انه منزل من ربهم والخطاب له عليه السلام والمراد امته لانه الواسطة والمترجم عن احوالهم او المراد
بالخطاب كل احد على معنى لا يليق باحد الامتراء فى ذلك لان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا يخفى على احد
بانه تنزيل من رب العالمين وقيل لا تكونن من الشاكين انهم قد غيروا ما فى كتبهم **وتمت كلمات ربك**
والمراد بكلماته جميع ما تكلم به من امره ونهيه ووعده ووعيده والمراد بتمامها بلوغها الغاية فى كونها
كافية فى بيان ما يحتاج اليه المكلفون الى يوم القيمة علما وعملا والمعنى من حيث السبك بلغت الغاية
اخباره واحكامه ومواعيده فى كونها كافية فى بيان ما يحتاج اليه المكلف **صدقا** فى الوعد والوعيد
اى فى الاخبار والمواعيد **وعدلا** فى الامر والنهى اى فى الاقضية والاحكام قرا اهل الكوفة ويعقوب كلمة ربك
على التوحيد لان كلام الله واحد لا يتعدد وقرا الباقون كلمات ربك بالجمع على التفخيم والتعظيم
ولان كلماته تعالى متنوعة بالنسبة الى الامر والنهى والوعد والوعيد فقوله صدقا وعدلا يحتمل التمييز
والحال والمفعول له وقد اجمع على الجمع فى قوله **لا مبدل لكلماته** قال ابن عباس رضى الله عنهما اى

Copyright King Saud University

لا رادّ لقضائه ولا مغيّر لحكمه ولا خلف لوعده والحاصل لا احد يبدّل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا
احد يقدر ان يحرّفها بالزيادة والنقص كما فعل بالتوراة على ان المراد بالكلمات القران فيكون ضمانا لها
من الله تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون ويحتمل ان يكون تمت بمعنى استقرّت اى استقرت ودامت
الكلمات الى يوم القيمة اذ لا نبيّ ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدّل احكامها وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم ثم لما اجاب عن شبهة الكفار بيّن ان عند ظهور الحجة والبرهان
لا ينبغى لعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من فى الارض اى الكفار لانهم
الاكثرون او الجهال او اتباع الهوى وقيل ارض مكة يضلوك عن سبيل الله اى عن الطريق الموصل
اليه فان الضالّ فى غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون اى ما يتبعون اهل الضلال الا
الظن وهو ظنهم ان اباءهم على الحق فهم يقلدونهم وعلى اثارهم مهتدون او جعلهم الهتهم وآلهة
الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم قال السيوطى اى الا الظن فى مجادلتهم لك فى امر الميتة اذ
قالوا ما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم ويؤيده ما قال عكرمة لما نزل تحريم الميتة كتب مجوس فارس
الى مشركى قريش ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله وما ذبح الله بسكين من ذهب يعنون
به ما اماته الله من غير ذبح فلا ياكلونه واما ما ذبحوه فياكلونه فكتب بذلك المشركون الى اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فوقع فى انفس ناس من المسلمين من ذلك بشئ فنزلت الاية وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم الشياطين اهل فارس واولياؤهم قريش وكانت العرب لا تاكل ما مات حتف
انفه وانما حملهم المجوس على المحاجة به تظاهر الا انهم كلهم مشركون وان هم اى وما هم الا
يخرصون اى يكذبون على الله فيما ينسبونه من تحليل الميتة وتحريم البحائر وما ينسبون اليه كاتخاذ
الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه او يقدّرون انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمراد انك بعد ما عرفت
ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تلتفت اليهم بل فوّض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان
المهتدى من هو والضال من هو فيجازى كل احد بما يليق بعمله ومن موصولة او موصوفة فى محل
النصب بفعل يدل عليه اعلم والمعنى ان ربك هو اعلم من كل احد يعلم من يضل عن سبيله دل عليه
اعلم اى يعلم من يضل عن سبيله لا باعلم لانه افعل التفضيل ولا ينصب ذلك الظاهر فى مثل ذلك وهذا
عدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان اكثر ما يستعمل افعل من يستعمل مع الماضى نحو زيد
افضل من حج واعتمر من هذا الركب فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة وانما قلت فى مثل
ذلك احترازا عن مثل قولهم ما رايت رجلا احسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد فان احسن قد رفع
الكحل لكونه بمعنى حسن فانه بمعنى قولك ما رايت رجلا حسن فى عينه الكحل مثل حسنه فى عين زيد فانه
يعمل فى الظاهر اذا كان بحسب اللفظ جاريا على شئ وهو فى المعنى صفة لامر اخر متعلق بذلك بحيث
يكون ذلك الامر مفضلا باعتبار ذلك الشئ ومفضلا على نفسه باعتبار غيره فان احسن فى المثال
المذكور جار على رجل وهو فى المعنى صفة للكحل المتعلق به والكحل مفضل باعتبار الرجل ومفضل على
نفسه باعتبار غير الرجل وهو عين زيد وجوّز بعضهم ان تكون من استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل

يضل والجملة معلّق عنها الفعل المقدر وقرئ من يُضل بضم الياء وكسر الضاد اى من يضله الله
تعالى فتكون من منصوبة بالفعل المقدر اى يعلم او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين
من قوله تعالى من يضلل الله والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه والمعنى ان انتهيتم عن اتباع المضلين
وكنتم بايات الله مؤمنين فكلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه ولا تاكلوا الميتة فانها لم تذبح على اسم الله يعنى
اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر على ذبحه اسم الله لا ما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه
ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بالايات تقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ما حرّمه
فان قيل الاية نزلت فى المؤمنين على ما عليه الاكثرون فكيف علّق الكون من المؤمنين باكل الذبيحة
المسمى عليها والكون من المؤمنين حاصل وان لم يوكل من الذبيحة اصلا قلنا المراد اعتقاد الحل لا نفس
الاكل فان بعض كل من يعتقد حل الميتة من العرب كان يعتقد حرمة الذبيحة وقال ابو منصور رحمه
الله صرف اهل التاويل الاية الى اهل الكفر بقصة المجوس وكفار مكة التى ذكرناها ولا اشبه ان تصرف الى
اهل الاسلام لانه ذكر فى اخر الاية ان كنتم باياته مؤمنين ويكون هذا فى حق قوم امتنعوا عن
الطيبات كما ذكرنا فى قوله ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم فنهوا عن ذلك بتلك الاية وامروا باكلها
فى هذه الاية اى علم الله تعالى ان قوما من المتقشفة والمتزهدة يحرمون ذلك على انفسهم فنهاهم عن
ذلك وان حملت الاية على المشركين فمعنى قوله ان كنتم باياته مؤمنين لما تعلمون ان الامر والخلق له وقد
بيّن من الايات ما يعلمون به ذلك وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اى واى غرض لكم
فى ان تتحرجوا عن اكل ما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما يمنعكم عنه وقد فصّل لكم ما
حرّم عليكم مما لم يحرّم فى حال الاختيار فى سورة المائدة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح
على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق فالذى ذكر فى المائدة من المحرمات تفصيل لما ذكر فى هذه
الاية مجملا اعنى ما حرّم عليكم وهذا ما ذهب اليه اكثر المفسرين وقال بعضهم تفصيل هذا المجمل اعنى
ما حرّم عليكم ذكره فى هذه السورة كما ياتى قريبا بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرّما على طاعم
يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهلّ لغير الله به
قال الاستاذ ومن فصل ما حرّم عليكم بما فى هذه السورة دون ما فى المائدة للاشكال المشهور وهو ان
سورة الانعام مكية وسورة المائدة من اخر ما انزل الله تعالى بالمدينة وقوله فصّل يقتضى ان يكون
التفصيل سابقا على هذه الحكاية والمدنى متاخر عن المكى فكيف يصح ان يخبر عن ما سياتى بلفظ
الماضى والجواب ان التفصيل سابق فى علم الله وفى اللوح المحفوظ هذا مع ان الاجمال كالنتيجة وهى تذكر
فى اول الدليل واخره وقال الامام الاولى ان يقال المراد بالتفصيل المحكى عنه بلفظ الماضى ما ذكر بعد هذه
الاية بقوله قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الاية وهى وان كانت مذكورة بعد هذه الا
بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد خصوصا ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة
باجماع المفسرين فيكون التفصيل متقدما بالنسبة الى زمان تبليغ جبريل عليه السلام هذه الاية

Copyright King Saud University

تامل قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ببناء فصّل وحرّم للمفعول ونافع وحفص عن عاصم ببنائهما
للفاعل يعني اخبار ان الله تعالى ذلك وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ببناء الاول للفاعل وبناء
الثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال لكم في حال الضرورة وهي
شدة المجاعة الى اكله بحيث يخاف على هلاك النفس وفي غاية الاماني فانه يحل تناوله ايضا رخصة
مع قيام المحرم ابقاء للمهجة الموجب وذلك بقدر الضرورة وما يسد به الرمق وان كثيرا ليضلون
بتحليل الحرام وتحريم الحلال باهوائهم اي بما تهواه انفسهم من تحليل الميتة وغيرها بغير علم اي المجوس
يحتجون بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما اماته الله وهذا حكم بالهوى من غير مستند الى دليل يفيد
العلم والحكم في التحليل والتحريم لمالك الاعيان وهو الله فالحلال ما احله والحرام ما حرمه ان ربك هو
اعلم بالمعتدين اي المتجاوزين حدود الله من الحلال الى الحرام فيجازيهم عليه قرأ الكوفيون ليضلون
بضم الياء والباقون بالفتح وذروا ظاهر الاثم وباطنه اصل كل الاثم الشرك وظاهره تكذيب اللسان
وباطنه جحود القلب والسورة في معاجة اهل الشرك وقال بعضهم معناه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح
وبالقلب وقال السدي ظاهر الاثم الزنا في الحوانيت مع المتخذات بها وباطنه الزنا في الصديقة سرا والتخصيص
دعوى كل ما يوجب الاثم مما يؤتى به جهارا وما يفعل سرا سواء بين العبد والعبد او العبد والرب ان
الذين يكسبون الاثم ظاهرا او باطنا سيجزون يوم القيمة بما كانوا يقترفون اي يكتسبون في
الدنيا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها
من المنخنقة وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف اهل
العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليه فذهب قوم الى تحريمها سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا
وهو قول ابن سيرين والشعبي وداود واحتجوا بظاهر هذه الاية وذهب قوم الى تحليلها سواء ترك التسمية
عامدا او ناسيا وهو قول ابن عباس والشافعي ومالك واحمد وذهب قوم الى انه ان ترك التسمية عامدا
لا تحل وان تركها ناسيا تحل حكى الخرقي من اصحاب احمد ان هذا مذهبه وهو قول اصحاب ابي حنيفة
ومن اباحها قال المراد من الاية الميتات او ما ذبح على اسم غير الله بدليل انه قال تعالى وانه لفسق في ذكر
اسم غير الله تعالى فان الواو في وانه في موقع الحال ولا يستقيم عطفه على الانشاء وهو ولا تاكلوا
العطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن ولا يستقيم ايضا عطفه على الصلة وقد بين الله الفسق بقوله
ما اهل لغير الله به في اخر هذه السورة حيث قال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير
الله به واحتج من اباحها بما اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انبا احمد بن عبد الله النعيمي انبا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا ابو خالد الاحمر قال سمعت هشام بن عروة يحدث
عن ابيه عن عائشة قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك ياتونا بلحمان لا ندري
يذكرون اسم الله عليها ام لا فقال اذكروا انتم اسم الله وكلوا ولو كانت التسمية شرطا للاباحة كان الشك
في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح واحتج ايضا من اباحها بقوله صلى الله عليه وسلم
ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه رواه عبد بن حميد عن راشد بن سعد مرسلا واحتج ايضا
من اباحها بما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن متروك التسمية فقال كلوه فان تسمية الله في قلب

كل مؤمن

كل مؤمن من شئ او لم يسم والضمير في وانه لما في مما لم يذكر الخ والمعنى ان ما لم يذكر اسم الله عليه فسق
وقلنا اراد بالفسق ما اهل به لغير الله ويجوز ان يكون الضمير في وانه للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا فالاحاديث
والمعاني الصحيحة حجة لمن يبيحه ومن الحجة قوله عز وجل وان الشياطين ليوحون اي ليوسوسون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم في تحليل الميتة لان المجادلة هي قولهم لم لا تاكلون ما قتله الله
وتاكلون ما قتلتم انتم وذلك انما يصح في الميتة فيدخل بقوله وانه لفسق ما اهل لغير الله به وبقوله
وان الشياطين ليوحون الميتة فيتحقق ما قاله الشافعي من ان هذا النهي مخصوص بما ذبح على اسم النصب
او ما يتحتف انفه وان اطعتموهم اي الكفار في استحلال ما حرمه الله او تحريم ما احله الله انكم
لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك قال الزجاج وفيه دليل
على ان كل من احل شيئا مما حرمه الله تعالى او حرم شيئا مما احله الله تعالى فهو مشرك فعلى قول الزجاج لا ينبغي
للمتقي تناوله المتروك لاختلاف العلماء فيه ولسفك دماء المسلمين عليه ولتنفر طباع السليم عنه ولما فيه
من اليبس من جهة الطب والريح الخبيث واحراق المال لما لا نفع فيه شرعا سوى للهوى والهوس
كما قاله شيخنا في حاشيته على المنهاج وانما حسن حذف الفاء من انكم لان الشرط بلفظ الماضي ثم انه تعالى
بعدما ذكر ان المشركين يجادلون المومنين ضرب الله مثلا للفريقين فبين ان المومن المهتدي بمنزلة
من كان ميتا فاحياه الله واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات
اي في ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة منغمس فيها ولا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام فقال
او من كان ميتا بالكفر قرأ نافع ميتا وكذا لحم اخيه ميتا والارض الميتة بالتشديد في الكل
وقرأ الاخرون بالتخفيف فاحييناه اي فهديناه بالايمان وجعلنا له نورا اسلاما اي يقينا
بالله وهو نور الحجج والايات يمشي به في الناس حيث اراد من غير تعب ولا نكد يحصل به
مطالبه من يتامل به في الاشياء مستضيئا فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل فيخلصه فيتبصر
به الحق من الباطل حيث كان وهو الايمان كمن مثله اي كمن صفته الغرق في بحر الظلمات
لا يهتدي الى مقصد بل يخابط فيها ليس بخارج منها ابدا لا بالارشاد ولا بابصار الصراط
المستقيم يعني لا يفارقها ولا يتخلص منها بحال فلا يستويان فقوله او بادخال همزة الانكار على واو
العطف فبقيت مفتوحة ومن بمعنى الذي مرفوعة المحل مبتدأ وكمن خبره ومثله في الظلمات
جملة اسمية ونعت صلة للموصول وليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله
للفصل بينه وبين الحال بالخبر كذلك اي كما زين للمومن الايمان زين للكافرين ما كانوا
يعملون من الكفر والمعاصي والظاهر ان الاية عامة لكل من هداه الله ولكل من اضله الله وقيل
نزلت في رجلين باعيانهما قال ابن عباس رضي الله عنه يريد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
وابا جهل لعنه الله وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو
راجع من الصيد وبيده قوس وكان يومئذ لم يومن بعد فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل فضرب
راسه بقوسه وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا
فقال حمزة وانتم اسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وحده

لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الاية وعن مقاتل انها نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم
وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بني عبد مناف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
والله لانؤمن به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه وحي نزلت وعن عكرمة انها في عمار بن ياسر رضي الله
عنه وابي جهل وعن الضحاك انها في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابي جهل فانهما كانا يؤذيان رسول الله
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهما واستجيب له في عمر رضي الله عنه فان قيل كيف الهم الله فاعل التزيين
فقال وكذلك زين بالبناء للمفعول وقال في اية اخرى وزين لهم الشيطان اعمالهم وقال في اية اخرى
زينا لهم فمن هو مزين الاعمال للكفار في الحقيقة قلنا التزيين من الشيطان بالاغواء والاضلال والوسوسة
وايراد الشبه ومن الله تعالى بخلق جميع ذلك فصحت الاضافتان وقيل الحياة انواع حياة بالروح قال الله تعالى
وكنتم امواتا فاحياكم وحياة الارض بالمطر قال الله تعالى فاحيا به الارض بعد موتها وحياة بالايمان
كما في هذه الاية وحياة بالطاعة كما في قوله اذا دعاكم لما يحييكم وقال القشيري قدس سره اهل الغفلة اذا انتبهوا
الذكر فقد صاروا احياء بعد الممات وارباب الذكر اذا اعتراهم نسيان فقد ماتوا بعد الحياة والذي هو في
انوار القرب وروح الاستبصار لايدانيه من هو في اسر الظلمات ولا يساويه من هو رهين الافات
وكما جعلنا بمكة اكابر وعظماء مجرميها وفساقها ليمكروا وليتجبروا فيها **كذلك جعلنا في كل**
قرية اى كذلك جعلنا وصيرنا في كل قرية **اكابر مجرميها ليمكروا فيها** اى اكابر مجرميها وعظماءها
للمكر فيها وذلك سنة الله تعالى انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم كما قال في قصة نوح انؤمن
لك واتبعك الارذلون وانما خص الاكابر والعظماء الفساق بالمكر لانهم اقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وذلك انهم اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم يقولون لكل من يقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب **وما يمكرون الا بانفسهم**
اى وما يرجع ضرر مكرهم وحيلهم الا عليهم واللام في ليمكروا للعلة والغرض لا للعاقبة كما زعم
المعتزلة ويقولون معناه وما جعلهم الله اكابر ليمكروا ولكن وجد منهم العاقبة كذلك وهو كقوله
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم ما التقطوه لذلك لكن صار في العاقبة كذلك وقال
الشيخ في الجواب لا يخلو هذا اما ان يقال انه تعالى خلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم انهم لا يكونون
لما خلقهم وذلك ليس بفعل حكيم ان يعمل عملا يعلم انه لا يكون او يقال خلقهم لذلك وهو لا يعلم انهم
يكونون كذلك وهو جهل بالعواقب والله تعالى يتعالى عن ذلك علوا كبيرا والحق انه تعالى خلقهم ليكونوا على ما علم
انهم يكونون كذلك ويختارون ذلك **وما يشعرون** اى وما يعلمون ان ضرر ذلك واقع بهم ثم انه تعالى
حكى قول ابي جهل واضرابه حيث قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف الخ وقول وليد بن المغيرة لو كانت
النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فقال **واذا جاءتهم** اكابر اهل مكة
اية اى معجزة قاهرة وحجة على صدق النبي **قالوا لن نؤمن** اى لن نصدق لذلك **حتى**
نؤتى اى يعطينا الله لناس الوحي والمعجزات **مثل ما اوتي رسل الله** من الرسالة ويوحى الينا الخ
وكبر سنا وهو غاية سفه ان يقال لرجل امين فيقول لا اؤمن حتى يجعلني الله نبيا وقال الضحاك سال
كل واحد من القوم ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر الله تعالى عنهم بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا

منشرة ثم اعلم الله تعالى انه اعلم بمن يصلح للرسالة فقال **الله اعلم حيث يجعل رسالاته** اى ليس
اعطاء الرسالة بالشهوات وانما هو تخصيص الله بها من راه اهلا لها وهؤلاء الكفار محرومون
عن صفات الحمد متعرون قرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته بالافراد والباقون رسالاته
بالجمع قال السلطان قوله الله اعلم الاية هذا استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال
انما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها
وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها **سيصيب الذين اجرموا** من اكابرها وعظمائها وصناديد
بقولهم لن نؤمن الخ **صغار** اى ذل وهوان وحقارة **عند الله** اى من عند الله وقال البعض
والعندية ههنا مجاز عن حشرهم يوم القيمة او مجاز عن حكمه وقضائه بذلك اى ناشيا من قبله
في الدنيا وفيه دلالة على ان المجرم يستحق الذل والهوان وان الرسل انما فازوا بتلك العزة والكرامة
لعصمتهم عن الجرائم **وعذاب شديد** وهو عذاب النار او القتل والاسر **بما كانوا يمكرون** اى بسبب
مكرهم او جزاء على مكرهم **فمن يرد الله ان يهديه** مسبب عن الكلام السابق اى اذا تبين ان
النبوة ليست الا فضلا منه تعالى فمن يرد الله ان يعرفه طريق الحق ويرشده لذلك ويوفقه
للايمان **يشرح صدره للاسلام** اى يوسع وينور قلبه للاسلام وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سئل عنه عند نزول هذه الايات قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا انزل النور في
القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت **ومن يرد** الله **ان يضله** اى يخذله ويثبت
له صفة الضلالة **يجعل صدره ضيقا حرجا** بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان قرا
ابن كثير ضيقا بسكون الياء والباقون بتشديد الياء وقرا نافع وابو بكر عن عاصم حرجا بكسر الراء
اى شديد الضيق والباقون بفتحها وصفا للضيق اى ضيقا ذا حرج او حارجا او عين حرج
روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قراها يوما بفتح الراء فقراها له بعض الصحابة بكسر الراء فقال
ابغوني رجلا من كنانة وليكن راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاء قال له يا فتى ما الحرجة عندكم
قال الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه
شيء من الخير **كانما يصعد** قراءة الجمهور بتشديد الصاد والعين **في السماء** اى كان هذا الضيق
الصدر متى حاول الايمان وفكر فيه يجد صعوبته عليه والعياذ بالله كصعوبة الصعود في السماء
اى كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد
قرئ به وقرا ابن كثير يصعد بفتح الياء وسكون الصاد وابو بكر عن عاصم يصاعد بتشديد الصاد
وبعدها الف بمعنى يتصاعد اى يتعاطى الصعود ويتكلفه وهذا الاضلال والخذلان في حق من
علم الله منه اختيار الضلال والاية دامغة المعتزلة في انكارهم الهداية والاضلال من الله تعالى
وقال القشيري قدس سره من شرح الله صدره للاسلام فايته وعلامته ان لا يتحرك في باطنه

عزّ في لمنان عز التقدير لان الاسلام يقتضي تسليم الكل لله ومن استثقل شيئا من التكليف او نفى
لكراهة شيء فهو غير مستسلم لحكمه ويقال نور في البداية هو نور العقل ونور في الوسايط هو نور العلم
ونور في النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل مع البرهان وصاحب العلم مع البيان وصاحب
المعرفة في حكم العيان ويقال من وجد انوار الغيب ظهر له خفايا الامور ولم يشكل عليه شيء عند ظهور
النور قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ويقال اول اية لانوار الغيب في
العبد تنبيهه على نقايص قدره ومساوي عيبه ثم تشاغله عن شهود نفسه بما يلوح له من شهود
ربه ثم غلبات الانوار على سره حتى لا يشهد الا ربه فكان يشهد كالنظر في قرص الشمس يستهلك
انوار بصره في شعاع الشمس فكذلك يستهلك انوار البصيرة في حقايق الشهود وفيه جمود العبد بالكلية وبقاء
الاحدية بنعت السرمدية وقوله تعالى **كذلك** اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق بتسليط
الشيطان عليه في الدنيا **يجعل الله الرجس** اي العذاب او اللعن والغضب قال الله تعالى قد وقع عليكم
من ربكم رجس وغضب **على الذين لا يؤمنون** بالله ورسوله وتخصيصه اي يجعل العذاب والخذلان
عليهم في الاخرة كالخاتمة على الختم قال الشيخ ومعناه كما جعل عليهم الضيق والحرج في الدنيا يجعل عليهم
العذاب في الاخرة قال ابن عباس الرجس ما لا خير فيه وقال عطا الرجس العذاب مثل الرجز اللهم اني
اتضرع اليك بسوابغ فضلك وسوابق افضالك وابتهل لجنابك الاقدس ان تشرح صدري
وتقذف النور في قلبي انك انت الوهاب وادعوك بما دعى به حبيبك صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل في
قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وامامي نورا وفوقي نورا
تحيي بنورها رغبتي الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل
وهذا اي هذا الذي بيّنا في كلامنا او هذا الذي انت عليه من الشرايع والدين **صراط ربك** اي طريق
ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه **مستقيما** لا عوج فيه او عادلا مطردا او هو حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل في الحال معنى الاشارة قال ابن عباس اراد بالصراط المستقيم الاسلام
وقال ابن مسعود هو القران **قد فصّلنا الايات لقوم يذّكّرون** اي قد وضحناها وبيّناها
لمن يتعظ ويتذكر العهد الذي اخذ عليهم في عالم الميثاق او في الكتب السماوية على لسان الانبياء
فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال
العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون **لهم** اي لاهل الصراط المستقيم
والمتذكرين **دار السلام** اي السلامة من المكاره وهي الجنة او السلام اسمه جل وعز اضاف الجنة الى
نفسه تعظيما لها واختير من اسمايه تعالى للتلميح معنى السلامة فيه **عند ربهم** اي في نزله وضيافته
كما تقول نحن اليوم عند فلان اي في كرامته وضيافته وهو اشارة الى مقام القرب كما قال واسجد واقترب
وقال الشيخ اي مضمونة عند ربهم حتى يوصل اليهم **وهو وليّهم** اي مولاهم ومحبهم وقيل ناصرهم
بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم الصالحة او متولي امورهم بجزاء اعمالهم فيتولى ايصاله اليهم
ويقال قيمة الدار بالجار قال قايلهم **شعر** اني لاحسد جاركم لجواركم ۞ طوبى لمن اضحى لدارك جارا
يا ليت جارك باعني من داره ۞ شبرا لاعطيه بشبر دارا ۞ اللهم انا جيران بيتك فصرنا لا داخله

فارحمنا به مع جمع احبابنا فانك بعبادك رؤف رحيم وانت قلت في حق نبينا في كتابك المهيمن
لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم **ويوم نحشرهم**
جميعا اي اذكر او نقول والضمير المستتر في نحشر لله وهم لمن يحشر من الثقلين قرأ الجمهور بالنون وقرأ
حفص بياء الغيبة باسناد الفعل الى ضمير الرب في قوله عند ربهم اي نقول يوم نحشرهم ونجمعهم للجزاء
جميعا **يا معشر الجن** يريد الشياطين منهم لما ذكرنا في قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم
قد استكثرتم من الانس اي من اغوايهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وانما قدرنا المضاف اي من اغوايهم لان الجن لا يقدرون على
الاستكثار من نفس الانس لان القادر على ايجاد الجسم واحيائه وتكميله بالعقل وساير القوى ليس
الا الله فوجب ان يكون المعنى قد اضللتم ايها الشياطين خلقا كثيرا من الانس وكثر اتباعكم حيث
اتبعوكم في الدنيا وحشروا معكم في العقبى وهذا الكلام تبكيت للجن وتوبيخهم على اضلال الانس واغوايهم
ويتضمن تبكيت الانس على اتباعهم الجن والقبول عنهم فلما بكت كل واحد من الفريقين حكى جواب الانس
التابعين للجن بقوله **وقال اولياؤهم** اي اولياء الشياطين **من الانس** الذين اطاعوهم **ربنا**
استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الجن بالانس والانس بالجن فاما انتفاع الانس بالجن بان
دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وانتفاع الجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل
استمتاع الانس بالجن على زعمهم في الجاهلية اذا نزل مسافر منهم في مفازة يقول اعوذ بسيد هذا
الوادي من سفهاء قومه فيبيت امنا في جواره وانتفاع الجن سرورهم بهذا القول الدال على احتياج الانس
اليهم وتلك مرتبة جليلة عند الجن وشرف ظاهر وقيل انتفاع الانس بالجن اخذ السحر والكهانة والاباطيل
والقول منهم فان قلت كيف خاطب الجن واجاب الانس دون الجن وما وجه ذلك قلت خطاب الجن
كان لتقريع الانس وتوبيخه لكونه مع شرفه وعلو شانه يصير تابعا لذلك الشرير الخسيس الخبيث
فلم يستحق الخطاب فانه نوع تكريم فكان الجواب من الانس لكونهم مجرمين محتاجين الى نوع اعتذار
وان كان لا يجدي بطائل وقيل معناه تعاون بعضنا ببعض في المعصية والمخالفة هؤلاء بالدعاء
وهؤلاء بالاجابة وقيل استمتاع الجن بالانس ان عظمنا طاعتهم وارادت انما منا علف دوابهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني القيامة والبعث لانهم كانوا ينكرون ذلك فاقروا به حينئذ
وهذا القول منهم اعتراف على انفسهم بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث
وتحسر وندامة على حالهم وقال الماتريدي اراد بالاجل الموت **قال** الله تعالى لهم على لسان ملئكته
النار مثواكم اي ماواكم ومنزلكم يعني هذا الاعتذار لا يغني شيئا فان النار مقركم ومقامكم او ذات
اقامتكم **خالدين فيها** اي حال كونكم دايمين فيها **الا ما شاء الله** اي الا الاوقات التي تنقلون
من النار الى الزمهرير او الايام البرزخ وهو ما بين الموت والبعث او بعد البعث الى استقرار فريق
في الجنة وفريق في النار وقال عطا الا ما شاء الله من سبق في علمه انه يؤمن كما في قوله واخرين منهم
لما يلحقوا بهم فمنهم من امن قبل الفتح كجبير بن وهب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وجبير بن
مطعم وجماعة اخرى ومنهم من امن بعد الفتح كعكرمة بن عمرو بن الحارث بن هشام وحكيم بن حزام

Copyright King Saud University

وسهيل بن عمرو ونضر بن الحطاب وهبار بن الاسود وغيرذلك وقال الحسن الاماشاء الله من كونهم
فى الدنيا بغير عذاب ان ربك حكيم فى افعاله وصنعه بما يفعل باوليائه واعدائه عليم باعمال
الثقلين واحوالهم اى بالمطيعين والعاصين يجزى كلا على وفق عمله وكذلك اى مثل ما فعلنا من تمكين
الجن من اغواء الانس نولى بعض الظالمين بعضا اى نجعل بعض الظالمين اوليا على بعض
يتحيرونهم ويغوونهم او نجعل بعضهم يتولى بعضا وهذا يدل على ان الرعية اذا كانوا ظالمين
فالله يسلط عليهم ظالما مثلهم روى عن ابن عباس ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم
خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وروى مالك بن دينار قال جاء فى بعض كتب الله
انا الله لا اله الا انا مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى
جعلتهم عليه نقمة ولا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى اعطفهم عليكم او نجعل بعضهم
اولياء بعض وقرناءهم فى القيمة كما كانوا فى الدنيا وفى الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى الحجة سبيل
يوم القيمة وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس يقال لهم يوم يحشرون الم
ياتكم فى الدنيا رسل منكم اى ما عذركم فى الكفر وقد اتاكم رسل منكم اى من الانس خاصة لكن لما
جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك الخطاب ونظيره يخرج منهما اى من العذب والملح اللؤلؤ والمرجان
والمرجان يخرج من الملح دون العذب ونظيره ايضا قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو فى سماء واحدة
وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم
لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وبهذا قال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن ثم قرا ولوا الى
قومهم منذرين فهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا وليس للجن رسل وسئل الضحاك فى ان
الجن هل رسل اليهم منهم فقال بلى الم تسمع الله يقول الم ياتكم رسل منكم يعنى بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن
واستدل ايضا بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير والجواب قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى
اليهم قال الكلبى كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الجن والانس جميعا وقال ابو العباس المبرد
منكم اى من اهل الارض والانس والجن من اهل الارض بخلاف الملئكة لانهم من اهل السماء فقوله تعالى منكم متعلق
بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم وقوله تعالى يقصون عليكم اياتى صفة اخرى لرسل
ومعناه يقرؤن عليكم كتبى فى الامر بالايمان والطاعة والنهى عن الكفر والمعصية وينذرونكم اى يخوفونكم
لقاء يومكم هذا اى يوم الحشر الذى قد عاينوا فيه ما اعد لهم من انواع العقوبات الهائلة فكانه قيل
ماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا فى الجواب شهدنا على انفسنا بانهم قد بلغوا بالحجج
والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب قال الكلبى وهذه الشهادة حين شهدت
عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى حكاية عنهم فاعترفنا وقال قالوا بلى جاءنا نذير فكذبنا
وقال قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ثم ذمهم الله بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا
اى واغتروا فى الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذى بشرت
به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذى انذرهم اياه فلم يؤمنوا منهم الصا

بقوله

بقوله وشهدوا فى الاخرة على انفسهم انهم كانوا فى الدنيا كافرين بالايات والنذر التى اتى
بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكى الله تعالى
عنهم بقوله عز وجل وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير وفى استشهادهم على انفسهم من
تحسرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم واهلها غافلون اى ذلك الارسال الى الجن والانس لاجل ان ربك ليس من صفته
ان يهلك القرى بظلم منها واهل تلك القرى غافلون بان لم ينبهوا برسول وكتاب يعنى لم يكن ليهلكهم من قبل
ان ياتيهم رسول فينهاهم اى لا لكان رجعوا والا اتاهم العذاب قوله ذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر ذلك
وان مصدرية تقديره والامر ذلك لانتفاء كون ربك الى اخره او مخففة من المثقلة فالتقدير الامر ذلك لان
الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل من
المكلفين اى العاملين درجات جزاء ومراتب مما عملوا من اعمالهم او من اجلها او من اجلها وعلى
حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر وما الله بغافل عما تعملون
فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وفى التيسير وما ربك بغافل عن اعمالهم التى
يعملونها من المعصية ولكن يوخر تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
انما يوخرهم الاية او المعنى انه سبحانه على علم باعمالهم خلقهم لا عن جهل لما ان ضرر اعمالهم يرجع
اليهم لا اليه وقال القشيرى فكذلك فى معنى قوله ولكل درجات مما عملوا المحسن فى روح الثواب متنعم
والمجرم فى نوح العقاب متالم قال ابو يوسف ومحمد ان الجن لهم ثواب بالطاعات فانه تقدم ذكر
الجن والانس ثم قال ولكل اى من الفريقين وقال ابو حنيفة رحمه الله الكلام فى اكثر هذه الايات وكذلك
فى الاية التى قبل هذه الاية فى حشر كافر الانس ومؤمنيهم فالظاهر انه فيهم والاصل ان الثواب لا يستحق
بالعمل بل هو محض فضل الله فلا نشهد به الا لمن سبق له الوعد ولا نتيقن بذلك فى حق الجن انتهى
قلت من تامل فى قوله تعالى وحور مقصورات فى الخيام لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يفهم ان المؤمن
منهم يدخل الجنة قرا العامة يعملون بالغيبة ردا على قوله ولكل درجات وقرا ابن عامر تعملون بتاء
المخاطبة على تغليب الخطاب على الغيبة او ردا على قوله يا معشر الجن والانس او مراعاة للاية الاتى بعد
هذا يعنى ان يشا يذهبكم الاية وربك الغنى المطلق عن العالمين وعبادتهم يعنى لا يحتاج الى طاعة
المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين يعنى لا ينتفع بطاعتهم ولا يتضرر بمعصيتهم فانما
لهم وعليهم ذو الرحمة البالغة عليهم والتجاوز عنهم لانه يترحم بمحض فضله على المكلفين من الثقلين
بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة تكميلا لهم وبمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على انه ارسل الرسل وشرع
الاحكام لا لنفعه بل لترحمه على خلقه وفى التيسير ذو الرحمة يعنى فلا يعاجل بالعقوبة وقال القشيرى
رحمه الله الغنى يشير الى عزه وذو الرحمة يشير الى لطفه اظهر بقوله الغنى عن جلاله وبقوله ذو الرحمة
عن افضاله فبجلاله يكاشفهم فيفنيهم وبافضاله يلاطفهم فيحييهم وسماع غناه يوجب محوهم
وسماع رحمته يوجب صحوهم فهم فى سماع هذه الاية بين فناء وبقاء واصطلام واكرام وتذويب
وتقريب واجتياح وارتياح قال البغوى الغنى عن خلقه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليائه واهل طاعته

Copyright King Saud University

وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز ومن اعتقد بانه سبحانه محتاج لجنيك بوجه دون وجه فقد كفر
اما انه غني في صفاته وافعاله عن كل ما سواه فلوجوب وجوده وان ما سواه ممكن لذاته مفتقر
في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كلما دخل في الوجود
من الخيرات والدرجات والكرامات والسعادات من الروحانيات والجسمانيات لا من غيره بايجاده
وابداعه وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وغيرها وهذا كله الرحمة
الكاملة والرافة الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاده تعالى ذلك فيهم
ومع ذلك فتمكين الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ثم انه لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان
ان يظن ان للرحمة سعة مخصوصا ومكانا معينا فبين ان ذكر الغني والرحمة تاسيس وتقرير لما بعده وهو قوله
ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة وانما ابقاكم رحمة لتتداركوا ما فرط منكم ان يشا يذهبكم ايها العصاة
من اهل مكة وغيرها بالاهلاك ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون
الا على طريق البدل من فائت ما يشاء من الخلق المطيع لامره قال بعضهم يعني يجعل فيها من يخلفكم من غيركم
من الناس او من غيرهم فانه قال ما يشا ولم يقل من يشا فلا يختص بالعقلا وقيل ما ههنا بمعنى من والمراد به
ويات بقوم هو اطوع منكم قال عطاهم الانصار والتابعون باحسان تخصيصه انه قادر على وضع الرحمة
في هذا الخلق وقادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن
العالمين اتم واكمل كما انشاكم من ذرية قوم اخرين جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ونسلا قوم
كانوا قبلكم وفي المدارك اي من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح وقيل من
نسله كما يقال اعطيتك من دينار ثوبا اي انشاكم بدلا منهم حاصله اذهب قوما اخرين وابقاكم في اماكنهم
رحمة لكم لان من قدر على تصوير النطفة المشابهة الاجزاء هذه الصور المخصوصة قدر على تصويرها بصورة
اخرى مخالفة لها ثم ذكر حال المعاد فقال ان ما توعدون اي الذي توعدون من البعث والحشر والعذاب
او العذاب والثواب في الدنيا والاخرة او ظهور هذا الدين على الدين كله لآت اي لكائن لا محالة كقولك
انما توعدون لواقع وانما اثر لآت على لواقع لبيان كمال سرعة وقوعه بصورة طالب راغب لا يفوته
هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما انتم يا اهل مكة بمعجزين اي لستم بخارجين عن قدرتنا وحكمنا
يعني ما انتم بفائتين عذابنا اي يدرككم حيث كنتم فهو رد لقولهم من مات فقد فات قال الاستاذ اي ما انتم
بفائتين طالبكم من اعجزه الشيء اذا فاته ماخوذ من عجز الشيء وهو مؤخره ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بتهديد منكري البعث فقال قل يا محمد لهم يا قوم اعملوا على مكانتكم حالتكم قرا العامة بالافراد
هنا وفي جميع القران وابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في الجميع فمن افرد فللارادة الجنس ومن جمع فليطابق
ما بعدها فان المخاطبين جماعة وقد اضيفت اليهم وقد علم ان لكل واحد مكانا واختلف في ميم
مكان ومكانة وقيل هي اصلية وهما من مكن يمكن وقيل هما من الكون فالميم زائدة فيكون المعنى على الاول
اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وقدرتكم وقوتكم وامكانكم فستعرفون عاقبة عملكم الفاسد وعلى
الثاني اعملوا على جهتكم وطريقتكم وحالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امرته يثبت على حاله على مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه لا تتحرف عنه وصيغة الامر ومعناه التهديد اني عامل على حالتي وجهتي

سورة الانعام

اي اثبت على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام وهو على طريق قوله اعملوا ما شئتم مبالغة
في الوعيد وتوضيحه قد انذرتكم ونصحت لكم وانتم مقيمون على تكذيبي فاثبتوا على ما انتم عليه من الكفر
والضلال والمعاصي فاني ثابت على الايمان والطاعة وعلى مصابرتكم وايذائكم لي فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار قرا الجمهور بتاء التانيث لان فاعله مؤنث لفظية اي فسوف تعلمون من تكون له العاقبة
المحمودة في دار السلام والاخرة لنحن ام انتم او عاقبة دار الدنيا في النصر والظفر ووراثة الارض وقرا حمزة
والكسائي بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي ومن موصولة مفعول تعلمون او استفهامية في محل الرفع على الابتداء
وتكون خبرها والجملة قائمة مقام المفعولين لتعلمون اي فستعلمون اينا يكون له العاقبة المحمودة التي لها هذه
الدار وهي الدنيا ومن اذا كانت موصولة يكون العلم بمعنى المعرفة اي فسوف تعرفون الذي له عاقبة الدار وهي
العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمون موضع الكافرين لانه
اعم واكثر فائدة لاشتماله الكافر وغيره وقال بعضهم وانتم الظالمون الكافرون فلا تسعدون ولا تفلحون
ثم حكى الله من جهالات الكفرة وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفير العقلاء عن الالتفات
الى اقوالهم فقال وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرا اي مما خلق من الحرث اي من الزرع و
الانعام اي من المواشي نصيبا يصرفونه الى الضيفان والمساكين ولشركائهم واصنامهم نصيبا يصرفونه
الى سدنتها وخادميها بدليل قوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم اي مما يجب ان يصرف في ابواب البر
وهذا لشركائنا التي تقربنا الى الله زلفى فلا بد ان نصرف بعضا اليها لكونها وسيلة الى المعبود فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قال الاستاد فهو كلام
الجهلة الكفرة كانوا يميزون بين الله وبين ما سواه وبعض الناس لا يميز بينهما ويجعل كلاهما شيئا واحدا اعوذ
بالله من غضب الله ولنرجع الى المراد فمعنى لا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى
الضيفان والتصدق على المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه على سدنتها وخدمتها روي انهم
كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم
وينفقون على خدمة الاصنام ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى واحسن بدلوه بما
لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى واطيب تركوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم
فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم نسبوه على الله بان جعلوه وفي قوله بزعمهم ايضا
تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به قرا الكسائي في الموضعين بضم الزاي والباقون بفتحها
والفتح لغة الحجاز وهي افصح وفتحها فيه الكسر كالود ساء ما يحكمون اي بئس حكمهم هذا فيما
فعلوا من ايثار الهتهم على الله وعملهم بما لم يشرع لهم وقيل ما بمعنى الذي والتقدير وساء الذي يحكمون
حكمهم فيكون حكمهم مبتدا وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك اي مثل ذلك التزيين
المذكور في وجعلوا لله مما ذرا الخ يعني تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله وبين الالهة زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم بالرفع فاعل زين قال مجاهد شركاؤهم اي شياطينهم
والمعنى شياطينهم زينوا وحسنوا للمشركين واد البنات اي دفن البنات حية خيفة العيلة
سميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم في معصية الله واضيف الشركاء الى المشركين لانهم

اتخذوها وقال الكلبي شركاؤهم سدنة الهتهم لا الاصنام المجاهد لان السدنة هم الذين يزينون للكفار
قتل الاولاد فكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله
ثم افداه بمائة من الابل قرأ العامة زين مبنيا للفاعل وقتل نصب على انه مفعول زين واولادهم خفض
بالاضافة وشركاؤهم رفع على الفاعلية وهي قراءة واضحة المعنى والتركيب وقرأ ابن عامر زين مبنيا
للمفعول قتل رفعا على ما لم يسم فاعله اولادهم نصبا على المفعول بالمصدر شركائهم خفضا على اضافة
المصدر وهو قتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهذه القراءة صحيحة متواترة لا يصح ان يطعن فيها لان قراءة
النبي ولان ابن عامر اعلى القراء السبعة سندا ولا يقدح الفصل بين المضاف والمضاف اليه لانه واقع
في كلام الفصحاء ومن طعن في هذه القراءة المتواترة لكونها تخالف القواعد العربية فقد زلت قدمه لان
العربية وساير العلوم تثبت بالقران لا القران بالعربية وقال ابن الانباري هذه قراءة صحيحة واذا كانت
العرب قد فصلت بين المضاف والمضاف اليه بالجملة في قولهم هو غلام ان شاء الله اخيك يريدون
غلام اخيك فان يفصل بالمفرد اولى وقال ابن مالك في شرح الكافية اضافة المصدر الى الفاعل مفصولا بينهما
بمفعول المصدر جائزة في الاختيار اذ لا محذور فيها مع ان الفاعل كجزء من عامله فلا يضر فصله وقال الرضي
ولا يضاف موصوف الى صفته وقد جاء الفصل بالمفعول في السعة اذا كان المضاف مصدرا والمضاف اليه
فاعلا كقراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم وقرئ زين بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم
باضمار فعل دل عليه فكانه قيل من زينه فقال زينه شركاؤهم **ليردوهم** اي ليهلكوهم بالاغواء اي التزيين
قتل الولد **وليلبسوا عليهم دينهم** وفي التبصرة بدين ابراهيم في ذبح اسماعيل او وليخلطوا عليهم
ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجبوا عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان
التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة **ولو شاء الله ما فعلوه** اي لو شاء الله عدم
اهلاكهم ما فعل المشركون ما زين لهم والشركاء التزيين دلت الاية على ان ما فعله المشركون والشركاء فهو بمشية
الله وهي دافعة المعتزلة **فذرهم وما يفترون** اي اذا كان ما فعلوه بمشية الله تعالى فدعهم وافتراءهم
او ما يفترون من مخترعاتهم وينسبونه الى الله ويزعمون انه شرعه فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما
املي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم ثم شرع في نوع اخر من انواع كفرهم بقوله **وقالوا**
كفار قريش **هذه** اشارة الى ما جعلوه لالهتهم والتانيث للخبر **انعام وحرث** للاوثان **حجر** اي
حرام قرأ الجمهور حجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم بمعنى المحجور والممنوع كالذبح والطحن يستوي فيه الواحد
والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر وقرئ حجر بالضم والسكون وحرج اي مضيق وفي النهر
حجر اي وقف وهذه الانعام والحرث هي التي ذكرت قبل هذا في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام
نصيبا وقد فسرناهما وقال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقد مضى ذكره فانهم كانوا
اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا **لا يطعمها الا من نشاء** يعنون خدم الاوثان من
الرجال دون النساء **بزعمهم** اي قالوا هذه المقالة ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة فان الزعم قول
بالظن يشوبه الكذب **وانعام** اي هذه انعام **حرمت ظهورها** يعني البحاير والسوايب والحوامي كانوا
لا يركبونها بل يسيبونها ومعنى الحامي ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه

ولا يمنع من مرعى ولا ماء وقد مر معناه **وانعام** اي هذه انعام **لا يذكرون اسم الله عليها** اي
يذبحونها باسم الاصنام لا باسم الله وقال ابو وائل لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت
العادة بذكر اسم على فعل الخير عبر بذكر الله على فعل الخير والمعنى انهم قسموا اموالهم الى هذه الاقسام الثلثة
ونسبوا ذلك الى الله **افتراء عليه** اي كذبا على الله انه امرهم بذلك **سيجزيهم بما كانوا يفترون**
اي سيجزيهم بتقدير الافتراء او بسببه وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وانما زاد لفظ كانوا للدلالة
على ان ذلك الافتراء عادة مستمرة منهم فيظهر بذلك استحقاقهم العذاب **وقالوا ما في بطون
هذه الانعام** المحرمة **خالصة لذكورنا** هذا نوع اخر من اباطيلهم يعني قالوا ما في بطون البحاير
والسوايب حلال ومباح لذكورنا فيننا ولو متها قراءة العامة خالصة بالرفع والتنوين وليست
التاء للتانيث بل للنقل من الوصفية الى الاسمية ويقال في الاسم خالص وخالصة قال الشاعر كنت امينى
وكنت خالصتي وليس كل امرئ بمؤتمن والخالص الذي لا شوب فيه ويجوز للتانيث بناء على ان ما
عبارة عن الاجنة وتنبيه الى التذكير قوله ومحرم بعبارة اخرى وقيل الهاء للمبالغة كما يقال راوية
للشعر وعلامة ونسابة وقرأ سفيان بن الحسين خالصة بالنصب والتنوين على انها مصدر كالعافية
والعاقبة اي خلوصا لذكورنا وقرأ ابن عباس خلوصة لذكورنا برفع الصاد وهاء الاضافة اي الخالص
منه لذكورنا وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه خالص لذكورنا على التذكير لانه نعت لما في بطون
وكذا بعده ومحرم ومعناه وقالوا ما في بطون البحاير ونحوها من الالبان او الاجنة مباح لذكورنا والتذكير
في قوله **ومحرم على ازواجنا** اي جنس ازواجنا اي النساء مع انه معطوف على خالصة وهما
عبارتان عن شيء واحد وهو ما في البطون باعتبار اللفظ وهذا الحكم منهم ان ولد حيا وهو الظاهر
المعتاد **وان يكن** ما في البطون **ميتة** بالرفع والنصب مع تانيث الفعل وتذكيره اي ان ولدت
~~وهو الظاهر المعتاد~~ ما في البطون ميتة **فهم** اي الذكور والاناث **فيه** ما في البطون **شركاء** يأكلون
منه جميعا **سيجزيهم** الله **وصفهم** يعني سيجزي الله تعالى جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل
من قوله وتصف السنتهم الكذب وقال الاستاذ اي بوصفهم اي على وصفهم بالكذب على الله يعني
جزاء وصفهم ونسبتهم الى الله ما هو بريء عنه واصل الكشف والاظهار تقول وصفت زيدا اذا اظهرت
ما فيه من كان او ذما **انه حكيم** في ذلك الجزاء **عليم** باستحقاقهم وروت عمرة عن عائشة
رضي الله عنها قالت يعمل احدهم الى ماله فيجعله للذكور من ولده دون الاناث فتحي المراة الغريبة فتنحج
في ماله وجعلت ابنته تمتد عيناها الى مال ابيها ما فعلوه الا كما اخبر الله عنهم خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا وقال القشيري قد سن اجرعن اشياء ابتدعوها على ما ارادوا فامر شرعها على الوجه
الذي اعتادوا ثم اضافوا ذلك الى الحق بغير دليل ولا من جهة اذن ورسول والاشارة فيه ان من تخاطى
في زيادة شيء في الدين او نقصان شيء من شرع المسلمين فهو مضاه لهم في البطلان ومنخرط في سلكهم
في الطغيان **قد خسر** اي خاب وهلك **الذين قتلوا اولادهم** يريد بهم العرب الذين
كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر نزلت في ربيعة ومضر وبعض العرب من غيرهم كانوا يدفنون
البنات احياء مخافة السبي والفقر وكانوا بنو كنانة لا يفعلون ذلك وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا

Copyright King Saud University

بالتشديد للتكثير والباقون بالتخفيف سفها بغير علم اى لخفة عقلهم وجهلهم بان الله
رازق اولادهم لا هم ارزاقهم ويجوز نصب سفها على الحال اى ذوى سفه او المصدر على غير لفظ عامله
لان هذا القتل سفه قال الامام فان قيل ما فائدة قوله سفها بغير علم والسفه لا يكون الا كذلك قلنا مع
قوله بغير علم اى بغير حجة وقيل بغير علم بمقدار قبحه ومقدار العقوبة فيه وعلى الوجوه لا يكون مستفادا من
الاول ومن السفه قتل النفوس المحرمة خصوصا وهو ولدك وبعض منك ومن لم يذنب اليك ولا الى
غيرك ولا جنى جناية وفيه قسوة قلب وقلة رحمة وقطيعة رحم واساءة الى برئ وجرأة على وحرموا
ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها افتراء على الله حيث قالوا ان الله امرهم بها وهو
مفعول له قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب اى ما كان فى شانهم الاهتداء او
ما صاروا مهتدين بارسال الرسل او ضلوا فى القتل والتحريم وما كانوا مهتدين فى امر من الامور يعنى
بعد ما ضلوا لم يهتدوا مرة اخرى فان من الناس من يضل ثم يهتدى بعد ضلاله ثم انه تعالى لما ذكر
شرح احوال الاشقياء وتهجين طريقتهم شرع فى بيان كمال قدرته وتوحيده تهديدا للعصاة وتثبيتا
للمطيعين على ملازمة طاعته فقال وهو الذى انشأ خلق وابتدع جنات اى بساتين من
الكرم معروشات اى مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات اى متروكات وملقيات على وجه الارض
لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وعرش البيت
سقفه وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت بغير غرس الناس فى البرارى
والجبال وفسر السيوطى قدس سره فى تكملته جنات معروشات بساتين مبسوطات على الارض كالبطيخ وغير
معروشات بان ارتفعت على ساق كالنخل قال الاستاد والعرش فى اللغة الرفع وسمى السرير عرشا لارتفاعه وقيل
خاوية على عروشها اى اعاليها والنخل والزرع مختلفا اكله عطف على جنات والمراد بالزرع ههنا
جميع الحبوب التى يقتات والمعنى انشأهما مختلفا حبه وثمره الذى يؤكل فى اللون والطعم والحجم
والرائحة يعنى منها الحلو والحامض والجيد والردى وقوله مختلفا حال مقدرة لان النخل والزرع وقت انشائهما
لا اكل فيهما حتى يكون مختلفا والضمير فى اكله للنخل والزرع داخل فى حكمه لان الزرع معطوف عليه
او لكل واحد منهما او لهما باعتبار ما ذكر والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه اى يتشابه
بعض افرادهما فى الهيئة والكيفية وفى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها او ورقهما دون ثمرهما وقيل
متشابها فى اللون وغير متشابه فى الطعم او متشابها فى المنظر وغير متشابه فى الطعم مثل الرمانتين لونهما
واحد وطعمهما مختلف كلوا من ثمره اى من ثمر ما ذكر والامر للاباحة يعنى استبيحوا من ثمر كل واحد مما
ذكر ولا تحرموه كتحريم المشركين قرأ حمزة والكسائى بضمتين والباقون بفتحتين اذا اثمر اى وقت النضج
وظهور ثمره فان قيل ما فائدة قوله اذا اثمر قلنا فائدته نفى توهم توقف الاباحة على الادراك
والنضج بدلالته على الاباحة من اول اخراج الثمر وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله
تعالى وآتوا حقه اى زكاته يوم حصاده اى جداده قرأ ابن عامر واهل البصرة وعاصم حصاده
بفتح الحاء وقرأ الآخرون بكسرها ومعناهما واحد كالصرام والصرام والجزاز والجزاز والجداد والجداد
واختلفوا فى هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب

انها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر فلا حجة فى تعميم العشر وقال على بن الحسين وعطاء
ومجاهد والحكم هو حق فى المال بتصدق يوم الحصاد سوى الزكاة المفروضة امر باتيانه لان الآية
مكية وفرض الزكاة بالمدينة قال ابراهيم هو الضغث اى يعطى منه ضغثا وقال الربيع هو لقاط السنبل و
قال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه الضيف ومن مر به وقال يزيد بن الاصم كان
اهل المدينة اذا صرموا يجيئون بالعذق فيعلقونه فى جانب المسجد فيجئ المسكين فيضربه بعصاه فيسقط
منه فيأخذه وقال مجاهد اذا حصدت وحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دسته وذريته فاطرح
لهم منه واذا عرفت كيله فاعزل زكاته وقال سعيد كان هذا حقا يؤمر باتيانه فى ابتداء الاسلام فصار
منسوخا بايجاب العشر قال مقسم عن ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة فى القرآن وفائدة الامر باتيانها يوم
الحصاد مع ان الحب يوم الحصاد فى السنبل ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر وقت الاداء وليعلم بان الوجوب
بالادراك لا بالتنقية ولا تسرفوا فى التصدق باعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شئ لقوله تعالى ولا تبسطها
كل البسط فان من اعطى كل ماله الى الفقراء ولم يوصل الى عياله شيئا فهو مسرف مجاوز حد الاعطاء لانه
قد جاء فى الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول روى ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة انه لا يحب
المسرفين المتجاوزين ما حدتهم اى لا يرضى فعلهم وقال الزهرى لا تسرفوا اى لا تنفقوا فى المعصية وقال
عبد الرحمن بن زيد هو امر للسلاطين اى لا تأخذوا فوق حقكم وقال مقاتل وعطية العوفى اى ولا
تشركوا الاوثان فى الحرث والانعام وقال القشيرى قدس سره ولا تسرفوا الآية كل ما انفقته فى حظ نفسك
فهو اسراف وان كانت سمسمة وما انفقت فى سبيله فليس باسراف ولو اربى على الآلاف وقال سعيد بن المسيب
معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا لا تتجاوزوا الحد فى البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة
وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله وقال لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل انفقه فى طاعة الله
لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا فى معصية الله كان مسرفا وفى الامالى ناقلا عن مجاهد اى لا تصرفه
فى المعصية اذ لا سرف فى الانفاق فى وجوه البر لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال
اياس بن معاوية ما جاوزت به امر الله فهو سرف واسراف وقوله كلوا الى انه لا يحب المسرفين اعتراض ومن
الانعام عطف على جنات اى وانشأ من الانعام حمولة وفرشا والحمولة الصالحة لحمل الاثقال
كالابل والفرش الصغار والغنم سميت فرشا لانها كالفرش للارض لدنوها منها وقيل الفرش ما يفرش
ويسقط للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره كلوا مما رزقكم الله اى كلوا
واستبيحوا اكل هذه الانعام وهى الابل والبقر والغنم قال الاستاد ما فى عبارة عما ذكر من حمولة وفرشا
ومن تبعيضية اى كلوا ما احل لكم منه يعنى بعض ما رزقكم الله هو حلال لكم فالآية لا تدل على ان كل رزق
ماكول شرعا فلا يلزم منه ان لا يكون الحرام رزقا لانه ليس بماكول ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اى طرائقه ووساوسه وتسويلاته فى التحليل والتحريم من عند انفسكم كفعل اهل الجاهلية فى تحريم الحرث
والانعام انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة وقيل اى مظهر العداوة فانه عدو على انفسكم واذيا لكم
ثم بين الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج نصبها على البدل من الحمولة والفرش والمعنى انشأ
من الانعام ثمانية اصناف او نصبها على انها مفعول كلوا يعنى كلوا مما رزقكم الله ثمانية اصناف

قوله ولا تتبعوا خطوات معترض والمراد بالازواج الثمانية الانواع الاربعة من الضأن اثنين بدل
من ثمانية ازواج منصوب بناصبه اى انشأ الضأن زوجين الكبش اى الذكر والنعجة اى الانثى
وقرئ اثنان على الابتداء خبره من الضان والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين على وزن
فعيل او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة من الضأن وهو لغة فيه ومن المعز اثنين عطف
مثله شريك له فى حكمه اى وانشأ من المعز زوجين التيس وهو الذكر من هذا النوع والعنز وهى
الانثى من هذا النوع قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بفتح العين والباقون باسكانها وهو جمع
ماعز كصاحب وصحب وقرئ المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل لقوله فرشا ولعل تقديمها
فى التفصيل مع تاخر اصلها فى الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذى هو معظم ما يتعلق
به الحل والحرمة قل يا محمد تبكيتا لمن حرم ذكور الانعام تارة واناثها اخرى ونسب ذلك الى
الله واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين الهمزة الاستفهامية للانكار والمراد بالذكرين
ذكر الضان وذكر المعز حرم الله عليكم ام الانثيين ام حرم الله عليكم الانثيين منهما ونصب
الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا
كان او انثى فان الارحام لا تشتمل ولا تجتمع ولا تحوى ولا تنضم الا على ذكر او انثى يعنى ام حرم الاجنة
التى اشتملت عليها ارحام الانثيين دون الاخص الذكور والاناث فان كان حرم الذكور فيجب ان
يكون كل ذكر حراما فان كان حرم الاناث فيجب ان يكون كل انثى حراما وان حرم الجنين فيجب ان يكون
كل جنين حراما وهم لا يقولون ذلك فتناقضت مقالاتهم وظهرت محالاتهم تحقيق الحق انكار
ان يحرم الله من جنسى الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوع ذكورها واناثها وما تحمل الاناث وذلك انهم
كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها طورا واولادها كيف ما كانت ذكورا واناثا او مختلطة
تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم والزمهم بقوله نبئونى بعلم اى اخبرونى
بحجة وامر معلوم من جهة الله يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين
فى دعوى التحريم بان الله حرم ذلك اجمعوا على مد الذكرين لان هذه الهمزة همزة استفهام دخلت
على همزة الوصل لتفرق بين الاستفهام والخبر وقد توضح المعنى بعبارة اخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمشركين انكم حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل فمن اين حكم التحريم امن قبل الذكر ام من قبل
الانثى فلم يجب صلى الله عليه وسلم لانهم لو قالوا بسبب الذكورة لحرم جميع الذكور او بسبب الانوثة
لحرم جميع الاناث او بسبب اشتمال الرحم لحرم الكل لان الرحم تشتمل على الكل فتكون ردا عليهم
فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة كالحامى واناثها تارة كالبحيرة والسائبة واولادها
كيف كانت زاعمين ان الله حرمها ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضان اثنين
اى وانشأ من الابل اثنين وهما الجمل والناقة ومن البقر اثنين اى الثور والبقرة قل انكارا
لهم فى امر هذين النوعين كالنوعين الاولين آلذكرين منهما حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين الكلام هنا اى فى البقر والابل كالكلام المتقدم فى
الضان والمعز ام اى بل كنتم شهداء حاضرين شاهدين عندهم اذ وصاكم الله بهذا

اى حين وصاكم بهذا التحريم فاعتمدتم ذلك ليس الامر كذلك بل انتم كاذبون فى ذلك كلكم ظالمون فى امركم
فمن اى لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك الافتراء اى عمرو بن لحى الموسس لذلك فانه اول من غير دين اسماعيل وبحر البحاير
وسيب السوايب ليضل الناس متعلق بافترى اى عمل عمل القاصد اضلالهم من اجل دعائهم
الى ما فيه الضلال له وان لم يقصد الاضلال ولذلك قال بغير علم اى افترى عليه تعالى جاهلا
بصدور التحريم عنه تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الكاملين فى الظلم المختوم
على قلوبهم اى الذين فى علمه تعالى انهم يختمون على الكفر ثم بين ان التحريم والتحليل يكون من الوحى
والتنزيل وذلك حين سال مالك بن عوف النصرى الجشمى وكنيته ابو الاحوص عن النبى صلى الله عليه وسلم
ما هذه التى حرمها اباؤنا من البحيرة والسايبة والوصيلة والحامى فنزل قوله قل لا اجد فيما اوحى
الى محرما وهذا اشارة بان مناط الحل والحرمة هو الوحى وانه صلى الله عليه وسلم قد تتبع جميع ما اوحى
اليه وتفحص عن المحرمات لم يجد غيرها فصل وفيه مبالغة فى بيان انحصارها فى ذلك ومحرما صفة
لمحذوف اى لا اجد ريثما تفحصت ما اوحى الى طعاما من المطاعم التى حرموها على طاعم اى اى
طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير والمعنى
على آكل ياكله الا ان يكون ميتة مات حتف انفه اى الا ان يكون الشئ المحرم ميتة قرا
الجمهور يكون بياء الغيبة ونصب ميتة وقرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرا ابن
عامر بالتاء ورفع ميتة اى الا ان يقع ميتة على ان كان هى التامة او دما مسفوحا اى مصبوبا
او سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الحيوان وهى احياء وما يخرج من الاوداج عند الذبح
ولا يدخل فيه الكبد والطحال لانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما ولا ما اختلط باللحم والعروق
لانه غير سائل قال عمران بن جدير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها
حمرة الدم فقال لا باس به انما نهى عن الدم المسفوح قال ابراهيم لا باس بالدم فى عرق او مخ
الا المسفوح الذى تعمد ذلك قال عكرمة لولا هذه الاية لاتبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود او
لحم خنزير فانه رجس اى فان الخنزير او لحمه نجس حرام خبيث والهاء راجع الى الخنزير او لدلالته
على انه نجس العين او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمة
الخنزير اى او مسفوحا به وهو المذبوح لاجل الصنم كما قال تعالى اهل لغير الله به اى رفع الصوت
على ذبحه باسم غير الله فهو منصوب المحل صفة لفسقا وانما سمى ذلك فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز
ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون فى قوله الا ان يكون ميتة والمستكن فى
يكون وذهب بعض اهل العلم الى ان التحريم مقصور على هذه الاشياء الاربعة يروى ذلك عن عائشة
وابن عباس قالوا ويدخل فى الميتة المنخنقة والموقوذة وما ذكر فى اول سورة المائدة واكثر العلماء
على ان التحريم لا يختص بهذه الاشياء فالمحرم بنص الكتاب ما ذكر ههنا وذلك معنى قوله قل لا اجد فيما
اوحى الى محرما وقد حرمت السنة اشياء يجب القول بها منها ما روى عن ابن عباس انه قال نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير ومنها ما روى عن ابى هريرة

Copyright King Saud University

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكل كل ذي ناب من السباع حرام والاصل عند الشافعي
رحمه الله ان ما لم يرد فيه نص بتحريم او تحليل فان كان مما امر الشرع بقتله كما قال خمس فواسق يقتلن
في الحل والحرم او نهى عن قتله كما روي انه نهى عن قتل النحلة والنملة فهو حرام وما سوى ذلك فالمرجع
فيه الى الاغلب من عادات العرب فما ياكله الاغلب منهم فهو حلال وما لا ياكله الاغلب منهم فهو حرام
لان الله تعالى خاطبهم بقوله قل احل لكم الطيبات فثبت ان ما استطابوه فهو حلال فمن اضطر
اي فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك المحرمات غير باغ اي غير متعد على مضطر آخر مثله
ولا عاد على قدر الضرورة اي ولا متجاوز قدر سد الرمق فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة
والرحمة لا يواخذه بذلك وليس التقييد بغير باغ لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها
بل للتحذير من حرام آخر وهو اخذ حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله
فحرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حق المضطر الآخر وذكر حال الثانية اعني ولا عاد
لتحقق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث
انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه
والاية محكمة غير منسوخة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه الى وقت الوحي بهذه الايات محرما غير هذه
الاربعة وذلك لا ينافي ورود التحريم في ايات اخر كالخمر والربا وغيرهما فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب
بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غير الاربعة الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا اي على اليهود خاصة
لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر وهو ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم
والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط وقال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب
وحكاه عن بعض المفسرين وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم في قوله تعالى فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال ما يخالفه من
فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة
على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وقيل قوله تعالى حرمنا تكذيب لهم في قولهم ان الله
لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرائيل على نفسه ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما اي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم نحرم من البقر والغنم
الا شحومهما وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما من الشحم اي الا ما علقت بظهورهما
وجنوبهما من داخل بطونهما فانه باق على اباحته او الحوايا وهي المباعر اي مكان البعر يعني الامعاء
واحدها حاوية او حاوياء او حوية اي ولا ما حملته الامعاء من الشحم فانه باق على اباحته او ما
اختلط بعظم اي ما اتصل به كالالية وما في القوائم والرؤوس والعيون والاذان والمخ فانه باق على
اباحته وعن جابر بن عبد الله انه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة ان
الله صلى الله عليه حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة
فانه يطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم شحومهما اجملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه
ذلك اي ذلك التحريم او الجزاء المذكور وهو مفعول ثان لقوله جزيناهم والتقدير جزيناهم ذلك
وعاقبناهم ببغيهم اي بسبب ظلمهم من قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل وهو نظير قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة
على الامم فرد الله ذلك عليهم واكذبهم بقوله وانا لصادقون في الاخبار والوعد والوعيد وليس بنا
حاجة الى معرفة دقائق شرايعهم لانه تلك شريعة قد نسخت ولكن بنا ان نعرف ان ذلك التحريم
كان ببغيهم وبطل بذلك دعواهم نحن ابناء الله واحباؤه فان الاب والحبيب لا يحرم الحلال على
الابن والحبيب بادنى ظلم ودلت الاية على صدق رسالة النبي عليه السلام فانه اخبر عما كانوا يخفونه
ولم يكن ذلك ظاهرا عند احد من غيرهم فدل انه بالله علم ذلك بوحي منه اليه وقوله تعالى
فان كذبوك فيما اوحيت اليك من ان تحريم المحرمات المذكورة خاصة بهم او فيما جئت به مطلقا
فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بسعة رحمته وامهاله
فانه يمهل ولا يهمل وفي طي ذلك مكرا واستدراجا ولا يرد باسه عن القوم المجرمين
اي لا يرد عذابه مع سعة رحمته عن القوم الكاملين في الاجرام يعني ان عذابه وان تاخر فاذا
جاء لا يمكن رده عن المجرمين او معناه ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد على
المجرمين وقيل ذكر قوله فقل ربكم ذو رحمة واسعة بعد قوله فان كذبوك دعاء لهم الى ترك
التكذيب وبيان لهم انهم اذا تركوه رحمهم قاله الحسن قال امامنا القشيري قدس سره فان كذبوك فقل
ربكم ذو رحمة واسعة اي بالمصدقين ولا يرد باسه عن المكذبين وفيه بيان تخصيص الاولياء
بالكرامة والرحمة وتخصيص الاعداء بالطرد واللعنة فالصورة الانسانية جامعة لهم والقسمة
الازلية فاصلة بينهم سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار عن
المستقبل ووقوع مخبره حسبما اخبر به كما يحكيه قوله عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما
عبدنا من دونه من شيء دليل على كونه من عند الله يعني هذا اخبار ما سوف يقولونه حاصله لما لزمتهم
الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا لو شاء الله
ان لا نشرك ما اشركنا نحن ولا اباؤنا من قبل ولا حرمنا من شيء من البحائر والسوايب
وغيرها ولكن شاء فهذا عذرنا والحاصل ارادوا ان يجعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة لهم
على سبب اقامتهم على الكفر وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله
فلولا انه رضي بما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك وبعبارة اخرى يعني لو
شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا اراد بذلك
انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبايح بارادة الله اياها منهم
حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل
ما كذبوك في قولك ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل عطف اباق

على الضمير في اشركنا من غير تأخير لاجل الفصل بلا حتى غاية لامتداد التكذيب ذاقوا باسنا
اى عذابنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم ففى هذا ايماء بانه سينزل عليهم ما انزل على اولئك
ان لم يؤمنوا قل هل عندكم من علم بان الله راض بشرككم اى ليس عندكم بذلك امر وحجة
معلومة يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه اى تظهروه لنا وهذه المجاراة للخصم ليرى ما
للتبكيت والاكونية العلم والحجة عندهم معلوم الانتفاء وذلك حصر حالهم واعتقادهم في الظن بقوله
ان تتبعون الا الظن اى ما تتبعون في ذلك الا الظن الذى لا يجدى في مقابلة القاطع
وان انتم الا تخرصون اى وما انتم الا تكذبون على الله في ذلك الظن وفي التيسير ظنهم
وهمهم ان مشية الله عذر لهم وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذكره حيث
يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل ان لم يكن لكم حجة فلله الحجة البالغة اى التامة على خلقه
بالكتاب والرسل والبيان اى لله البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات باوامره
ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيته وارادته فلو شاء مشية الرضا لهدايتكم لهداكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل شاء هداية قوم صارفين هممهم الى سلوك
طريق الحق بمشيته ورضاه وضلال آخرين صرفوا اختيارهم على خلاف ذلك بمشيته دون رضاه
والاية دامغة المعتزلة المبطلين لانها تدل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه قل هلم
اى هاتوا واحضروا يقال للواحد والاثنين والجمع هلم وهو اسم فعل غير متصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث
ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصريين ها لمّ من لمّ اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام
فانه الاصل وعند الكوفيين هل أمّ فخففت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل
لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في هذه ولازما كقوله هلم الينا شهداءكم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا الذى حرمتموه على انفسكم قيل اراد بالشهداء الاصنام فانهم كانوا يسمونها
شهداء بدليل قوله تعالى وادعوا شهداءكم قال الاستاد اراد بالشهداء قدوتهم في الشرك امر الله رسوله
عليه السلام باستدعاء احضار الشهداء من الكفار ليلزمهم الحجة ويظهر انه لا شاهد لهم على تحريم
ما حرموه وانما لم يقل شهداء يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس يشهدون لهم بالتحريم
وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولذلك
قيد الشهداء بالاضافة اليكم ووصفهم بما يقتضى المعهدية وقال فان شهدوا كاذبين
فلا تشهد معهم اى لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم وبين لهم فساده فان
تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة قال الاستاد ولا يتصور منه الشهادة ولكن هذا
مبالغة في النفى كما قال ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وقيل هلم شهداءكم
ولا يجدون من يشهد لهم بذلك الا انفسهم فان شهدوا لانفسهم او بعضهم لبعض فلا تصدق
شهادتهم ولا تصغ اليها ولا تقبلها ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا اى لا تتبع
المبنية على الاهواء والهوس هذا تعميم بعد التخصيص لان تلك الشهادة من جملة الهوى واتباع المظهر
موضع المضمر للدلالة على انه من كذب بايات الله فهو متبع الهوى لا غير اذ لو اتبع الدليل والحجة لم يكذب

الا مصدقا بايات موحدا لله والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان هم المشركون بالله
وهم بربهم يعدلون اى وهم يسوون الاصنام بربهم ويجعلون له عديلا وشريكا قال
القشيرى اشار الى ان ما تجرد عن برهان يصححه وبيان يوضحه فغير مقبول من قايله ولا
عذر لقايله ثم لما بين فساد ما قال الكفار في باب تحريم الحرث اتبعه البيان الشافى في هذا الباب
فقال قل يا محمد للذين حرموا الحرث والانعام تعالوا امر من التعالى وهو من الخاص الذى صار
عاما لان اصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه فاتسع فيه بالتعميم اتل اى
اقرأ ما حرم ربكم عليكم قال الاستاد معناه قل للمشركين احضروا اقرأ عليكم ما حرم ربكم
عليكم اى الايات المشتملة على التحريم فهى المحرمة دون ما تحرمون بهواكم وهذه الاية والايتان
بعدها ايات محكمات كانت احكامها ثابتة في كل الامم لم تنسخ ولا تنسخ وهو جوامع اصول
الدين ومعالى الاخلاق وفيها مصالح الدارين ان مفسرة لفعل التلاوة لا تشركوا به شيئا
ولا للنهى قال الزجاج ويجوز ان لا تشركوا به شيئا من الاشراك وقيل يقع عليه حرم ويحذف
لا وتقديره حرم عليكم ان تشركوا به شيئا كما في قوله يبين الله لكم ان تضلوا وبالوالدين
احسانا وانما ذكره في المحرمات لان ايجاب الاحسان تحريم لترك الاحسان فهو معطوف على المحرم
معنى لا لفظا ولا تقتلوا اولادكم بالوأد من اجل املاق اى فقر وخشية فسر الفقر بالخشية
لان القران يفسر بعضه بعضا وقد وقع في موضع اخر خشية املاق وما احسن ما قيل ان
المخاطب بكل منهما صنف وليس المخاطب فيهما واحدا فالمخاطب بقوله من املاق المبتلى بالفقر
وبقوله خشية املاق من لا فقر له لكنه يخشى الفقر ولهذا قدم رزقهم هنا فقال نحن نرزقكم
واياهم اى رزقكم ورزقهم منا لا منكم فلا يحملكم على قتلهم وقدم رزق اولادهم في مقام الخشية
فقال نرزقهم واياكم فهذا تعليل للنهى ازاحة للعذر في ترك المنهى عنه ولا تقربوا الفواحش
اى كباير الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش وهو مثل قوله ظاهر الاثم
وباطنه قال الشيخ اى اجتنبوا القبايح كلها ظاهرها وباطنها فان الله مطلع على جميعها وقيل المراد
بالفواحش الزنا كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الا انه جمع هنا بصيغة الجمع قصد الى
النهى عن انواعها كان ناعلانية في الحوانيت كما هو داب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو
عادة اشرافهم وقيل الظاهر ما بينك وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الله او الظاهر بالجوارح
والباطن بالقلب وتعليق النهى بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعى اليها واما لان قربانها
داع الى مباشرتها وقد مر معناه في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه ثم افرد من جملة الفواحش قتل
النفس لعظمه فقال ولا تقتلوا النفس التى حرم الله اى حرم قتلها بان عصمها بالاسلام
او بالعهد فيخرج منها الحربى الا بالحق اى الا بامر الشرع كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ومن
ذلك ما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل نفس بغير حق وعن مسروق عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ يشهد ان
لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق

بالجماعة ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا من التكاليف الخمسة وهو مبتدا وقوله وصاكم به
اى امركم ربكم بحفظه امرا موكدا خبره والجملة استيناف جئ به تجديدا للعهد وتاكيدا للحجة
المحافظة على ما كلفوا به ولما كان الامور المنهى عنها مما تقتضى بداهة العقل بقبحها فصلت الاية
الشريفة بقوله لعلكم تعقلون هذه الاشياء اى لكى ترشدوا فان كمال العقل هو الرشد فالشرك
وعقوق الوالدين وقتل الاولاد للفقر منشاؤه الجهل اما فى الشرك من استهانة المنعم بالايجاد واما فى
الاساءة الى الوالدين من مقابلة الاحسان بالاساءة وقربان الفواحش من متابعة الهوى والقتل من
متابعة الغضب وكلها اضداد العقل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالخصلة التى هى احسن
من غيرها وهى ما يفعل بماله بما فيه صلاحه كحفظه وتثميره وخص مال اليتيم بعدم القربان الا بالاحسن
مع ان البالغ مثله لان طمع الطامعين فى مال اليتيم اكثر لعجزه وقلة الحافظين له والناصرين فالعاهد
والخصلة الاحسن هو التجارة فى ماله والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده
اى حتى يصير بالغا فانه غاية من حيث المعنى فان المعنى احفظوا ماله حتى يصير بالغا رشيدا
فحينئذ سلموه اليه كما فى قوله تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولو جعلناه غاية
للفظ لكان التقدير لا تقربوه حتى يبلغ فاقربوه وليس ذلك مرادا والاشد جمع شدة كنعمة وانعم
او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا اى اتموا الكيل والميزان
بالقسط يعنى اتموا الكيل فى المكيلات والوزن فى الموزونات اذا اديتم ما عليكم منها والقسط العدل
والتسوية فان قيل ايفاؤهما هو عين القسط فما فايدة التكرير فالجواب ان الله تعالى امر المعطى
بايفاء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب زيادة وفى النقص
والزيادة وعيد قوله تعالى ويل للمطففين الاية لا نكلف نفسا الا وسعها اى طاقتها فلا يواخذها
بتقصير يقع فى الكيل والوزن من غير تقصد مع الاجتهاد فى مراعاة العدل لان الوقوف على حد السواء
فيهما عسر جدا قال الشيخ معناه لم نكلف المعطى اكثر مما وجب عليه ولم نكلف صاحب الحق الرضا باقل
من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل نامر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه قال [illegible]
فان اخطا فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مواخذة عليه كما ورد فى حديث واذا قلتم
فاعدلوا اى واذا قلتم قولا فى حكومة او شهادة او غيرهما فاصدقوا فيها ولو كان المقول له
او المقول عليه ذا قربى اى ذا قرابة منكم وانما خص العدل بالقول دون الفعل ليعلم وجوب العدل
فى الفعل بالطريق الاولى كما قال الله تعالى ولا تقل لهما اف ولم يقل ولا تشتمهما ولا تضربهما قلنا وبعهد
الله اوفوا يعنى بما عاهدكم الله عليه من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع كقوله ان الله
يامر بالعدل والاحسان او بعهد الله يوم الميثاق وفى الامر والنهى والنذر واليمين ذلكم اشارة
الى ما فصل من التكاليف الخمسة المذكورة وصاكم به اى امركم به امرا موكدا لعلكم تذكرون
اى تتعظون به قرا حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بتشديدها
وختمت هذه الاية بالتذكر لان الاربعة قبلها خفية تحتاج الى اعمال فكر ونظر حتى يقف متعاطيها
على العدل فناسبها التذكر وهذا بخلاف الخمسة الاشياء فانها ظاهرة يجب تعقلها وتفهمها فلذلك

ختمت

ختمت بالتعقل قال ابن عباس رضى الله عنهما من عمل بهذه الايات المحكمات الغير المنسوخات دخل الجنة
ومن تركهن دخل النار وان هذا اى هذا الذى وصاكم به فى هاتين الايتين وقيل اشارة الى
جميع ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة صراطى اى طريقى
ودينى مستقيما اى مستويا قويما فاتبعوه اى اسلكوه ولا تزيغوا عنه قرا حمزة والكسائى وان بالكسر
على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف على انها مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان
والباقون بالفتح مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرى
وهذا صراطى بدونه ان وهذا صراط ربك وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل اى الطرق المختلفة
التى عدا هذا الطريق المستقيم الذى هو دين الاسلام مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل الباطلة
كالمجوسية وعبادة الاوثان او البدع والشهوات فتفرق بكم اى فتفرقكم وتزيلكم وتميلكم وتشتت
بكم عن سبيله اى عن طريق الله ودينه الذى ارتضى وبه اوصى وهو اتباع الوحى ذلكم اى الاتباع
الذى ذكرت وصاكم به لعلكم تتقون اى لتكونوا على رجاء اصابة التقوى من المحارم
والمهالك والضلال والتطرق عن الحق روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستقيما
ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال
هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الاية ثم يصير كل واحد من اثنى
عشر طريقا ستة طرق فيكون اثنين وسبعين ثم اتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم
به وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم الترقى
من تلك الوصية انا اتينا موسى الكتاب وعبارة الاسناد هكذا يعنى فان قيل لم قال ثم اتينا وحرف ثم
للتعقيب وايتينا موسى الكتاب كان قبل مجى القران قبل بعثه ثم اخبركم انا اتينا موسى الكتاب فدخل ثم لتاخير الخبر
لا لتاخير النزول وقال البعض اى ثم اتل عليهم هذا وهو هنا لترتيب الاخبار لا الوجود اى ثم نخبركم انا اتينا
موسى كما اتيناك يا محمد وهو ما تتلو عليهم وقيل هذا يتصل بقصة الانبياء يعنى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
وكذا كذا ثم اتينا موسى الكتاب تماما للنعمة على الذى احسن اختلفوا فيه قيل تماما على المحسنين
من قوم موسى فيكون الذى بمعنى من اى اتماما للنعمة والكرامة على من احسن بالقيام بالكتاب وكان
فيهم محسن ومسئ يدل عليه قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا وقال ابو عبيدة معناه على كل من احسن
اى اتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين يعنى اظهرنا فضله عليهم والمحسنون هم الانبياء والمومنون
وقيل الذى احسن هو موسى والذى بمعنى ما اى على ما احسن موسى تقديره اتيناه الكتاب يعنى التوراة
اتماما للنعمة عليه لاحسانه فى الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم
اى اتيناه الكتاب زيادة على ذلك وقيل معناه تماما منى على احسانى الى موسى عليه السلام وقرى برفع
احسن على انه خبر مبتدا محذوف والذى وصف للدين او للوجه اى على الدين الذى هو احسن او على
الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وهو عطف على تماما اى وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين يعنى من الشرايع والاحكام قال الاسناد ففيه دلالة على انه لا اجتهاد
فى شريعة موسى عليه لانه فرغ الاجمال فى بعض الامور الدينية وهدى ورحمة هذا فى صفة التوراة يعنى

Copyright King Saud University

هدى باقامة الدليل ورفع الشبه ورحمة بافاضة الفوايد الكشفية لعلهم اى لعل بنى اسرايل بلقاء
ربهم يومنون قال ابن عباس كى يومنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب يعنى بلقاء ثوابه
وعقابه يوم الجزاء وهذا اى القران كتاب عظيم الشان عطف على اتينا موسى الكتاب داخل فى حيز ثم
وانما لم يذكر على اسلوب اتينا ولم يقل وانزلنا اليك الكتاب اظهارا لشرفه ومزيد تنبه ولذا جعل الفاء
صلة ثم لعلهم بلقاء ربهم يومنون وههنا لعلكم ترحمون انزلناه اسنده الى نفسه بنون العظمة اظهارا
لزيادة شرفه مبارك اى كثير النفع انما فرق بينه وبين قرينه بانزلناه لان الانتفاع به بعد نزوله
فاتبعوه يا اهل مكة بالعمل بما فيه واتقوا مخالفة الكتاب او اتقوا الكفر لعلكم ترحمون بواسطة
اتباعه وهو العمل بما فيه علق الرحمة بكلمة الترجى لان حصولها بالختم على الايمان وفيه خطر وقوله
ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا يا اهل مكة يوم القيمة او لئلا تقولوا كما قال يبين الله لكم ان تضلوا اى لئلا تضلوا
وقرى بياء الغيبة فيكون حينئذ التفاتا من خطاب فاتبعوه واتقوا الى الغايب فجعلهم الله غايبين
عند مكانة اقوالهم الردية قال الكسائى معناه ان تقولوا يا اهل مكة انما انزل الكتاب اى التورية والانجيل
على طايفتين اليهود والنصارى من قبلنا وصح الحصر فى التورية والانجيل لان الزبور لم يشتمل على الاحكام وانما
الصحف فليست من جنس الكتاب فى عرف العرب ودل هذا على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب اذ لو كانوا
كذلك كانوا ثلث طوايف وان كنا وان هى المخففة من المثقلة واسمها محذوف اى وانا او وانه قد كنا
عن دراستهم اى عن قراءة الطايفتين الكتاب لغافلين اى لا ندرى ما هى ولا علم لنا بشئ من ذلك لانه
لم يكن على لغتنا فلم نقدر على قراءته تخصيصه انزلنا عليكم القران يا اهل مكة حتى لا تقولوا فى عذركم انه قد
انزل الكتاب على من قبلنا لسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته او حتى لا تقولوا فى عذركم
لو انا انزل علينا الكتاب اى بشئ من الكتب لكنا اهدى منهم لجودة اذهاننا
وثقابة افهامنا يعنى لكنا ارشد واطوع من اليهود والنصارى وانما جمع لفظ منهم وهما طايفتان
لانهما جمعان فقد جاءكم بينة من ربكم الفاء جواب شرط محذوف مقدر اى ان صدقتم
فيما تقولون لو انا انزلنا الخ فقد جاءكم حجة واضحة بلغتكم تعرفونها لا تقع الشبهة فيها وهى القران
وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهدى بيان ورحمة نعمة لمن تامل فيه وعمل واتبع سبيله وفى التيسير هما
صفتان للقران او للنبى عليه السلام فمن اظلم اى لا احد اظلم ممن كذب بايات الله يعنى لا احد
اظلم لنفسه او لا احدا وضع للشئ غير موضعه ممن كذب بالقران وقيل بحجج الله بعد ان عرف صحتها
او تمكن من معرفتها وصدف اى اعرض بنفسه او صد ومنع الناس عنها عن ذلك البينة فضل
واضل سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا اى يعرضون او يصدون الناس عنها
سوء العذاب اى اشده اى العذاب السئ الشديد الموصوف بنهاية النكاية فهو من اضافة الصفة
الى الموصوف بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم الناس هل ينظرون اى ما ينتظرون
اهل مكة او مطلق المكذبين بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران يعنى ما ينتظرون فى ترك الايمان
بعد ما اقناهم الوحدانية وثبوت الرسالة وابطلنا ما يعتقدون من الضلالة الا ان تاتيهم
الملائكة اى ملايكة الموت او العذاب قرا حمزة والكسائى بالياء والباقون بالتاء وهم وان لم يكونوا

منتظرين لمجى الملئكة ولكنهم فى حكم المنتظرين او ياتى ربك بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه فى موقف
القيمة او امر ربك بالعذاب كما صرح فى اية اخرى او ياتى امر ربك اى باقامة القيامة فانها تقوم بامره
وقد قال الله اتى امر الله فلا تستعجلوه اى القيمة او ياتى ايات يوم القيمة كلها والهلاك الكلى ولذلك
قابله بقوله او ياتى بعض ايات ربك هى طلوع الشمس من مغربها روى مسلم عن حذيفة بن اسيد
الغفارى قال اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قلنا نذكر
الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من
مغربها ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا
بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى المحشر والحاصل ينتظرون ارتفاع الغيب
باحد هذه الاشياء ووقوع العيان ولا قبول للايمان الا بالغيب يوم ياتى بعض ايات ربك يعنى
الايات الكبرى من الايات المذكورة انفا لا بعض اشراط الساعة مطلقا اى بعض كان روينا عن احمد
ابن حنبل ومسلم والترمذى وابن ماجة عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا
خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة وقيل المراد بها الايات
المذكورة كلها الا بعض اشراط الساعة مطلقا لان الايمان نافع بعد ظهورها كيف ونزول عيسى عليه السلام
لدعوة الخلق الى دين الحق بعد خروج الدجال انتهى لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر لزهوق الروح
اذ صار الامر عيانا والايمان برهانى قال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا
طلعت وراها الناس امنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع الاية وقال عليه السلام يد الله يبسطان لمسى
الليل ليتوب بالنهار ولمسى النهار ليتوب بالليل حتى تطلع من مغربها قال عليه السلام تاب قبل ان
تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال عليه السلام ان الله عز وجل جعل بالمغرب بابا مسيرة
عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله عز وجل يوم ياتى بعض
الاية لم تكن امنت من قبل اى من قبل اتيان بعض الايات يعنى لا ينفعهم الايمان عند ظهور الاية
التى تضطرهم الى الايمان والجملة صفة لنفسا وايمانها فاعل لا ينفع وهو عامل فيهما فلا ضير بالفصل لذلك
او نفسا لم تكن كسبت فى ايمانها خيرا اى طاعة وقيل اخلاصا قال البغوى يريد لا يقبل ايمان كافر ولا
توبة فاسق وفى الامالى عطف على امنت استدل به على عدم نفع الايمان المجرد عن العمل وذلك ان
او ياتى لعموم النفى كقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اى واحدا منهما ولنفى العموم وذلك اذا تقدم عطف النفى
على النفى ثم جيء باو والاية من قبيل الثانى لتعذر الاولى لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب الخير والطاعة
فى الايمان بالضرورة فالمعنى انتفاء الايمان وانتفاء كسب الخير فيه سيان والجواب انه من قبيل
اللف التقديرى اى لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه فوافق
ساير الايات والحديث او هو من قبيل القلب اى لم تكن كسبت خيرا او امنت من قبل وفايدة هذا القلب
التنبيه بتقديم الايمان على انه الاصل الذى نيط به النجاة انتهى قال الاستاد ومعنى الاية انه لا ينفع
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وقد استدل به اهل
الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بشئ لان المعنى هكذا يعنى لا ينفع الايمان

Copyright ... University

حينئذ نفسا لم تصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما
كان حسب ما ينطق به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وقال ابن الحاجب في الامالي الايمان قبل
مجي الايات نافع وان لم يكن عمل صالح غيره ومعنى الاية لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها وهو العمل الصالح لم تكن
امنت قبل ولم يعمل العمل الصالح قبل فاختصر للعلم به وقال بعضهم معناه اى كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس
من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق ايضا او توبته وتقدير لا ينفع ايمان من لم يومن ولا توبة من لم يتب قبل
مجي بعض الايات قلت وهذا عبارة جيدة يقبله العقل السليم **قل انتظروا** يا اهل مكة اتيان احد
الثلثة المذكورة انفا **فانا منتظرون** له فحينئذ لنا النيل ولكم الويل ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم
ان الذين فرقوا دينهم اى بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام
افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة قرا حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وتركوا دينهم والباقون بالتشديد
من التفرقة والتشتت وهي التجزية والتبدد وهذا اوفق لقوله تعالى **وكانوا شيعا** جمع شيعة وهي
الفرقة المتابعة بعضها بعضا اى فرقا يشيع ويتبع كل فرقة اماما وقد شايعه اى تابعه وشيعه
اى اتبعه وقال قتادة هم اليهود وقال مقاتل والسدي هم اليهود والنصارى تركوا دينهم وكانوا
فرقا قال الله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقال وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون الملئكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا واحزابا في الضلالة وعن مجاهد انهم من هذه الامة
وهم اهل البدع والشهوات **لست منهم في شيء** اى من السوال والبحث عنهم ومن تفرقهم
او من عقابهم او انت بريء منهم ومن دينهم لانك متمسك بالحجج والبراهين وهم متمسكون بتقليد الاباء
والاهوية الباطلة وقيل لست من قتالهم في شيء يعني لا تتعرض لقتالهم لانك غير مامور بهم وهو منسوخ باية
السيف وهذا على قول من يقول المراد من الاية اليهود والنصارى ومن قال المراد بالاية اهل الاهواء والبدع
قال المراد من قوله لست منهم في شيء اي انت منهم بريء وهم منك براء يقول العرب ان فعلت كذا فلست
مني ولست منك اى كل واحد منا بريء عن صاحبه **انما امرهم الى الله** يتولى جزاءهم ويكافيهم
ثم ان شاء عاجلهم بالعقوبة وان شاء اخرها الى الاخرة وان شاء وفقهم للرجوع عنها فعفى عنهم
ثم ينبئهم يخبرهم في الاخرة **بما كانوا يفعلون** فيعاقبهم ويجازيهم على ذلك وهذا كما تقول
لمن جنى عليك مهلا ساجزيك بما فعلت **من جاء بالحسنة** بلا اله الا الله او كل خصلة حسنة
فله عشر امثالها اى له جزاء عشر حسنات امثالها فضلا من الله قال عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اذ الحسنة لغير المصدق اى لغير المومن
وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد الله من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وبسبعماية وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشرة الكثرة لا الحصر في العدد الخاص

1

سورة الانعام

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها
تكتب بعشر امثالها الى سبعماية ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى وروي عن
ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب الى شبرا تقربت منه
ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض
خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة قال ابن عمر الاية في غير الصدقات من الحسنات فاما الصدقات
يضاعف سبعماية ضعف **ومن جاء بالسيئة** اى بالخصلة السيئة كائنا من كان من العاملين
فلا يجزى الا مثلها يعني جزاءه اى واحدة بواحدة بحكم الوعد لا باقتضاء العدل كما توهمه المعتزلة
اذ لا حق للخلق على الخالق **وهم لا يظلمون** بنقص الثواب وزيادة العقاب وهذا الكلام جار على
المتعارف والا فالظلم من المالك الحقيقي مستحيل وان زاد او نقص قال سفيان الثوري لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زدني فنزل قوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية فقال رب
زدني فنزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة الاية فقال رب زدني
فنزل قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال الامام القشيري حسنة النفس توفير الخدمة
وحسنة القلب حفظ الحرمة وحسنة الروح مراعاة اداب الخدمة **قل انني هداني ربي
الى صراط مستقيم** موصل الى الحق اى لما بين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا امر نبيه ان يقول لاولئك
المتفرقين دينهم ارشدني الله الى الدين المستقيم بالوحي بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي
دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا لقوله ويهديك صراطا مستقيما او مفعول
فعل مضمر دل عليه الملفوظ او منصوب على الاختصاص **قيما** قائما مستقيما بكل اعتقاد صحيح
واحكام اتم فائدة واكثر ثمرة من احكام الذين فرقوا دينهم قرا اهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف وفتح
الياء على انه مصدر بمعنى القيام وصف به الدين مبالغة وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله
كالقيام وقرا الاخرون بفتح القاف وكسر الياء مشددة ومعناهما واحد وهو القويم المستقيم وانتصابه على
معنى هداني ربي دينا قيما لا عوج فيه **ملة ابراهيم** عطف بيان لدينا لما في الاضافة زيادة التوضيح وقيل
بدل لدينا واعلم ان ما شرعه الله على لسان الرسل يسمى دينا واسلاما باعتبار الانقياد لمن شرعه وملة باعتبار الاملاء
عليه لان الملة من امللت الكتاب اى املته وما شرعه الله لعباده يسمى ملة من حيث انه يدعو ويملي ويكتب
ويتدارس بين من اتبعه ويجمع عليه من المومنين وشرعا وشريعة باعتبار وصول المتمسكين به الى نيل رحمته
حنيفا حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة **وما كان من المشركين** رد على المشركين الذين
يزعمون انهم على ملته وهو اعتراض مقرر لنزاهة ابراهيم عليه السلام مما عليه المتفرقون لدينه من عقيدة
وعمل والمعنى ما كان منهم في امر من امور دينهم اصولا وفروعا صرح بنفي الشرك عنه ردا على الذين يدعون
انهم على ملته من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله
ولما طعن كفار مكة فيه عليه السلام بقولهم انك يا محمد تصلي الى الكعبة وتطوف بها وتذبح لها الهدايا فقبلها
لا تفعل باصنامنا فرد الله عليهم وامر نبيه بان يقول في جوابهم **قل** يا محمد **ان صلاتي** الى جهة الكعبة

ونسكي اي طوافي وذبحي للهدايا وعبادتي كلها وافرد الصلاة لشرفها لانها عماد الدين ومحياي
ومماتي اي ما يقارن حياتي من الطاعات كالصوم والصلوة وغير ذلك وما يقارب مماتي من الخيرات
المضافة الى الممات كالصدقة الجارية والعلم النافع والولد الصالح على ما نطق به الحديث او نفس
حياتي ومماتي وقرا ورش عن نافع باسكان الياء في الوصل لان زيادة المد تقوم مقام الحركة لله خاصة
لا للكعبة كما يزعم عابد الاوثان واهل الكتابين رب العالمين لا شريك له سبحانه فلا اطاعة ولا
عبادة الا له وحده وبذلك اي بلا شريك له امرت او بذلك القول او الاخلاص امرني ربي وانا اول
المسلمين قال قتادة وانا اول المسلمين من هذه الامة قال بعضهم اي اولهم اسلاما من حيث الزمان
لان اسلام كل نبي مقدم على اسلام امته او رتبة لان احدا لا يلحقه عليه السلام في كمال الاسلام وقال بعضهم
اي وانا اول المنقادين لامر من اهل هذا الزمان قال القشيري رحمه الله من علم انه لله لم يبق نصيب لغير
الله فاستسلم لحكم الله ولم يعترض على تقدير الله ولم يعارض باختياره اختيار الله ولم يعرض عن
اعتناق امره قل اغير الله ابغي ربا انكار لان اتخذ ربا سواه يعني لا يجوز في العقل السليم ان اطلب
لي مدبرا او سيدا والها غير الله فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة
الهتهم وفي التبصرة فان زعموا انك تعبد الكعبة بالصلوة والطواف والذبح وتستر بهذه العبادة فقل اجيبهم
اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء حال في موقع العلة مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب
مثلي لا يصلح للربوبية بوجه من الوجوه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان الوليد بن المغيرة يقول
اتبعوا سبيلي احمل اوزاركم فقال الله تعالى ولا تكسب كل نفس ذنبا الا عليها يعني والحال ان جناية
كل نفس لا تتخطاها فلا ينفعني في ابتغاء رب غير الله ما انتم عليه من ذلك والحاصل لا تكون جناية نفس من
النفوس الا عليها فلا فائدة لقولكم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم قال الاستاد ويحتمل ان يكون معناه لا يعمل
عمل نفس الا على وجه يكون عليها لو تركت واختيارها لكن الله تعالى يوفقها ويعصمها وهو كقوله وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وكيف يتصور صدور الاثم عن شخص وقراره على شخص
اخر ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل يوم تحمل كل نفس حاملة حمل نفس اخرى اي لا يؤاخذ احد
بذنب غيره ثم الى ربكم مرجعكم اي تنقلبون بين يديه يوم القيمة للجزاء وهذا اشارة الى تشديد الوعيد
فينبئكم اي يخبركم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون يبين الله الرشد من الغي والحق من المبطل
قال الاستاد اراد بالاختلاف في الاديان التي فرقتموها واذا كان الامر بدا وعودا راجعا الى حكم الله
وحده فلا عذر في ابتغاء رب سواه وهو الذي جعلكم خلائف الارض جمع خليفة قال الكلبي اي
وهو الذي جعلكم يا امة محمد خلائف الامم الماضية في الارض يعني اهلك القرون السالفة واورثكم الارض
بامة محمد صلى الله عليه وسلم من بعدهم فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وكل من جاء بعد
من مضى فهو خليفته لانه يخلفه قال الاستاد الخلافة هي النيابة عن الغير والحلول محله اي جعلكم خلفاء
الامم السالفة لقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض لننظر كيف تعملون على ان الخطاب بعام اي تخلف
بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله في ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب لخواص الامة الذين هم خلفاء الله
في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق

ورفع

ورفع بعضكم فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة في الشرف والعلم والعقل والجاه والمال والرزق
والخلقة وكل شيء ليبلوكم فيما اتاكم مما ذكر كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والعالم
بالجاهل والغني بالفقير والحر بالعبد قال الاستاد ليختبركم فيما رزقكم يعني بين الغني والفقير والشريف والوضيع
والحر والعبد ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب بحاصله اعطاكم ذلك ليظهر المطيع منكم والعاصي
وليعاملكم مثل معاملة المختبر ان ربك سريع العقاب لاعدائه ولمن كفر نعمته وانما كان عقابه
سريعا لانه لا يحتاج الى استعمال الالات ولا يتوقف على استعمال الالات ولا يتوقف على استحصال الادوات قال
البغوي لان ما هو ات فهو سريع قريب قيل هو الهلاك قال السلطان لان ما هو ات قريب او لانه يسرع
اذا اراده قال الشيخ لان وقوعه متعلق بارادته لا غير وانما قدم العقاب لان الكلام مع المشركين وانه
لغفور رحيم لاوليائه المؤمنين وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة
وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب
بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها قال عطاء سريع العقاب لاعدائه غفور
لاوليائه رحيم بهم او غفور لمن تاب عن متابعة النفس والهوى ومخالفة الحق والهدى وامن وعمل
صالحا للخلافة رحيم بمن رحمه ووفقه لرضاته • سورة الاعراف مكية روي ذلك عن ابن
عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انها مكية الا خمس ايات اولها واسألهم عن القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات
في سورة الاعراف مدنية اولها واسألهم عن القرية الى قوله واذ اخذ ربك وهي مائتان وست
ايات او خمس ايات على خلاف في ذلك بسم الله الرحمن الرحيم
المص قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم
الله به وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من اسماء القران وقال الحسن هو اسم
للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح
اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة
استاثر الله بعلمها وهي سر الله في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحوي معاني دل
الله بها خلقه على مراده وهذه الحروف اما مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب واما
اسم للسورة او القران فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به
وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر
المشاهد وقوله تعالى كتاب خبر مبتدا محذوف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مرادا به السورة
او القران كتاب الخ هذا على الوجه الاول اي كون الحروف مسرودا وعلى الوجه الثاني اي كون الحروف
اسما للسورة او القران فهو خبر بعد خبر وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدا اي المسمى بالمص كتاب انزل
اليك صفة الجملة صفة لكتاب مشرفة له وبني انزل اليه بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا
بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه والمعنى هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران
فلا يكن في صدرك حرج منه اي فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس و الفاء

Copyright King Saud University

للعطف ويحتمل الجواب ايضا اى اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه او هذا كتاب انزلناه
اليك فلا يكن بعدما انزله حرج فى صدرك واللام فى **لتنذر به** متعلق بانزل اى انزل اليك لا نذرك
به او متعلق بالنهى لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار
لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه والمعنى انزلنا اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك ما نذاره
وذكرى للمؤمنين معناه ولتذكر وتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب
انزلناه اليك وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن فى شك منه لان
الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قال مجاهد معنى حرج اى شك فالخطاب
للرسول عليه السلام والمراد به الامة وقال ابو العالية حرج اى ضيق معناه لا يضيق صدرك بالابلاغ
وتادية ما ارسلت به كما اشرنا انفا وذكرى فى محل النصب باضمار فعلها اى لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى
اسم بمعنى التذكير والرفع بالعطف على كتاب وهو ذكرى للمؤمنين او بانه خبر مبتدأ محذوف او الجر بالعطف
على محل لتنذر اى للانذار وللذكرى وخص الذكرى بالمؤمنين لانهم المنتفعون به واطلق الانذار لعمومه
الفريقين والتحقيق فى الاطلاق والتخصيص ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة
فى بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوى ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم
القدس فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف والثانى لم تحتج الا الى تذكره وتنبيهه فثبت انه تعالى
انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا فى حق بعض الناس وذكرى فى بعض اخرثم لما امر الله
نبيه بالتبليغ والانذار امر الامة بمتابعته وقبول ما انزله اليه فقال **اتبعوا ما انزل اليكم**
من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والمعنى قل يا محمد لقومك اتبعوا يا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم
القران الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا ويجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج
اتبعوا القران وما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وتلخيص المعنى ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار فى قوله لتنذر به فكان
معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك
وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب
للكفار اى اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى **ولا تتبعوا من دونه**
اى من دون ربكم **اولياء** تطيعونهم فى معصية الله تعالى يعنى لا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر
والشرك اولياء فتتبعوهم والمعنى ولا تتولوا من دون ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحق شياطين
الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة **قليلا ما تذكرون**
والمعنى ما يتعظون الا قليلا وقال السلطان اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله
وتتبعون غيره فعلى هذا يكون قليلا صفة مصدر محذوف او حين محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة قرا
حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بتاء واحدة وتخفيف الذال وابن عامر بياء تحتانية بعدها

تاء وتخفيف الذال والباقون بتاء وتشديد الذال ثم ذكر ما فى ترك المتابعة من الوعيد فقال **وكم**
من قرية اهلكناها اى كثير من اهل القرى اهلكنا اهلها اى اردنا اهلاكها اهلها ففيه حذف
وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها بالخذلان **فجاءها باسنا** اى عذابنا فان قلت
مجى الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية
حكمنا باهلاك اهلها فجاءها باسنا وقال الفراء ان الهلاك والباس قد يقعان معا كما يقال اعطيتنى فاحسنت
الى فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتنى فاحسنت
الى او احسنت الى فاعطيتنى فيكون احدهما بدلا من الاخر **بياتا** اى بايتين كقوم لوط يعنى فجاءها عذابنا
ليلا قبل ان يصبحوا **او هم قائلون** عطف عليه اى قايلين نصف النهار كقوم شعيب والقيلولة
هى نوم نصف النهار او للاستراحة فيه او استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها باسنا
غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نائمون على فرشهم او نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك
وقت الغفلة ومقصود الاية انهم جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم
على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة
فان عذاب الله اذا نزل دفعة واحدة **فما كان دعواهم** اى قولهم ودعاؤهم ربهم وتضرعهم
واستغاثتهم اليه او ما كانوا يدعونه من دينهم وفى التبصرة اى ما كان حجتهم التى يدعون التمسك بها
لدفعه يعنى ما كان دعاء اهل القرية التى جاءهم باسنا والدعوى بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه
تقول العرب اللهم اشركنا فى صالح دعوى المسلمين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم **اذ جاءهم باسنا**
اى عذابنا وراوا امارته **الا ان قالوا انا كنا ظالمين** اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا
عليه وبطلانه تحسرا عليه يعنى انهم لم يقدروا على رد العذاب ودفعه عنهم وكان حاصل امرهم الاقرار
بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف **فلنسألن الذين ارسل اليهم** اى فلنسألن المرسل اليهم
وهم الامم ماذا عملتم فيما جاءتكم به الرسل لقوله تعالى ماذا اجبتم المرسلين الفاء فصيحة **ولنسألن**
المرسلين لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم يعنى ولنسألن الرسل الذين ارسلتهم الى الامم
هل بلغتم رسالاتى واديتم الى الامم ما امرتم بتاديته اليهم ام قصرتم فى ذلك والمنفى فى قوله تعالى
لا يسال عن ذنوبهم المجرمون وفى قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان السوال عن الذنب
لا مطلق السوال قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى هذه الاية يسال الله الناس عما اجابوا المرسلين
ويسال المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيمة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال
السدى يسال الامم عما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسال الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر
عنهم بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم فى قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السوال مع اعترافهم على انفسهم
بذلك قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير و
المقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار لا الاستخبار والتقرير لقوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ
فان قلت فما الفائدة فى سوال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم
قلت اذا كان يوم القيمة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكان مسئلة الرسل

على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه
من الامم فتكون هذه المسألة كالتقريع والتوبيخ للكفار وايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك
خزيهم وهوانهم وغمهم ويتضاعف الرغم الله تعالى للرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات
التقصير **فلنقصن عليهم بعلم** يعنى فلنخبرن الرسل حين يقولون لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
علام الغيوب ومن ارسلوا اليهم بعلم يقين بما عملوا في الدنيا اى لنقصن على الفريقين حال كوننا ملتبسين
بعلم كامل شامل لظواهرهم وبواطنهم قال ابن عباس ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق **وما كنا غائبين** عن الامم وعن الرسل وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما
اجابوا وفائدة السؤال مع العلم التوبيخ للكفار ودخول السرور على الانبياء بالتبليغ **والوزن** مبتداء اى القضاء
او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء **يومئذ** ظرفه **الحق** خبره اى والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم
هو الحق الثابت الواجب الوقوع او الحق صفته والخبر يومئذ اى الوزن العدل كائن يومئذ وفي كيفية الميزان
قولان الاول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد
خيرها وشرها على ما ذهب اليه جمهور المفسرين وكيف يوزن فيه اعمال العباد وجهان احدهما ان المومن تصور
اعماله بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن
يعود الى الصحف التي تكون فيها اعمال العباد مكتوبة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يوزن
يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى برجل يوم القيمة
الى الميزان ويوتى له بتسع وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة
الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فتوضع في الاخرى
فترجح قيل يجب ان يحمل هذا على انه ياتي بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية
ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من ساير الاعمال
لان معرفة الله تعالى اشرف العقايد والاعمال والقول الثاني ان المراد من الميزان العدل لان العدل في الاخذ
والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل وفي اللباب قال ابن الجوزي جاء
في الحديث ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملأ كفته
حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وقال حذيفة جبريل عليه السلام صاحب
الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب
ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم تكن له حسنة اخذ من سيئات
المظلوم فترد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قيل الله عز وجل يعلم مقادير
اعمال العباد فالحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها
امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير
وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد
في اللوح المحفوظ ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني ادم من غير حاجة النسيان عليه سبحانه وتعالى ونقل
البغوي عن بعضهم انه توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجه
في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد لا يزن عند الله
جناح بعوضة اى مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه وفي اللباب والصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال
توزن او نفس الاعمال تجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك **فمن ثقلت موازينه** اى حسناته او ما
يوزن به حسناته جمع ميزان او ورد عليه على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان العرب
قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على
الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هي جمع موزون يعني رجحت اعماله
الحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر واعتبار **فاولئك هم المفلحون** اى الذين ثقلت موازينهم
هم الفائزون بثواب الله وجزائه **ومن خفت موازينه** بالسيئات يعني موازين اعماله وهم الكفار
بدليل قوله تعالى **فاولئك الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله
وكرامته **بما كانوا باياتنا يظلمون** يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا يجحدون الله ودلائل توحيده يجحدون
ولا يقرون بها روى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق
لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا واولئك مبتدأ
والذين خسروا خبره وبما كانوا متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون قيل في الاية دلالة
على ان الذين تكون حسناته وسيئاته متعادلين متساويين غير موجود واجيب بان هذا في من
ثقلت موازينه لان الحسنات تتضاعف كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فمجرد الايمان يدخل
المومن فيه فاذا ضم الى ايمانه بعض الاعمال يدخل فيه بطريق الاولى ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب
الاجل رغب الخلايق في قبول دعوة الانبياء بطريق اخر فقال **ولقد مكناكم في الارض** اى جعلنا لكم
ايها الناس في الارض مكانا تسكنونه او جعلناكم متمكنين متصرفين فيها كيف شئتم يعني اقدرناكم على
التصرف فيها بالسكنى والزرع **وجعلنا لكم فيها معايش** اى انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم
فيها اسبابا تعيشون بها وهي جمع معيشة وهي ما يعاش به يعني به قوام الحياة من المطاعم والمشارب
وغيرها وما يتوصل الشخص به الى ذلك وبالجملة اريد بها وجوه المنافع التي تحصل بتخليق الله تعالى
ابتداء كالاثمار او بواسطة كالاسباب وقرأة العامة معايش بالياء لا بالهمز لانها اصلية لكونها من العيش
وعن ابن عامر ونافع في بعض الروايات الهمز تشبيها بصحايف واستبعده النحويون البصريون لانه لا يهمز
عندهم الا ما كان حرف المد زايدا نحو صحايف ومداين واما معايش فالياء فيها اصلية كما ذكرنا
وانت خبير بان ابن عامر ونافع قرا على جماعة من الصحابة الذين قروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا
اعتبار باستبعادهم ثم بين الله تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي
فقال تعالى **قليلا ما تشكرون** يعني فيما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وما مزيدة لتاكيد القلة وفي الاية
دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر

على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ثم انه
تعالى لما ذكر كثرة نعمه على العباد اتبعه بذكر انه خلق اباءنا وجعله مسجود الملئكة الكرام والانعام على
الاب يجري مجرى الانعام على الابن فقال **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** قال السلطان اى خلقنا
اباءكم ادم طينا غير مصور يعني حكمنا بخلقه ثم صورناه اى صورناه من طين وانما خاطبه بصيغة
الجمع وهو واحد تعظيما له ولانه اصل الجميع والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة نزل خلق
وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لانه اصل الكل كما تقدم او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم اى بان خلقنا ادم
ثم صورناه او بان خلقنا اباكم ادم ثم صورناه وانتم في ظهره او لقد قدرناكم ايها المخاطبون في علمنا ثم
صورناكم في ظهر ادم **ثم** نخبركم ان **قلنا للملئكة اسجدوا لادم** وفي اللباب ولقد خلقناكم ايها
الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم في ارحام النساء صورا مخلوقة
ثم اخبرناكم انا قلنا للملئكة اسجدوا لادم وعلى هذا كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر
على المخبر وقال ابن عباس خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا السجود كان على سبيل التحية والتعظيم
لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود له هو الله وانما كان ادم كالقبلة للساجدين
وقيل بل كان السجود لادم لكون ذلك بامر الله تعالى وقال الشيخ الامر بسجود الملئكة كان قبل خلق بني ادم فما وجه قوله
ثم قلنا وثم للتعقيب والتراخي قيل على قول من يصرف الخلق والتصوير الى ادم وحده يستقيم الكلام
اما على قول من يصرفه الى الذرية فعنه اجوبة احدها ان ثم بمعنى الواو اي وقلنا للملئكة فلا يكون للترتيب
والتعقيب وقيل اراد ثم اخبركم انا قلنا للملئكة اسجدوا كما اشرنا وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره ولقد خلقناكم
يعني ادم ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم ثم صورناكم قوله تعالى **فسجدوا** يعني الملئكة بعد الامر من غير تلعثم **الا**
ابليس قال السيوطي هو ابو الجن كان بين الملئكة **لم يكن من الساجدين** اي لم يكن ممن سجد لادم
ولم يدخل في زمرتهم وفي اللباب وظاهر الاية يدل على ان ابليس كان من الملئكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان
الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملئكة لانه خلق من نار والملئكة من نور وانما استثناه من الملئكة لانه كان
مامورا بالسجود لادم مع الملئكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا استثناه منهم
قال الله لابليس **ما** اي اي شيء **منعك ان** زايدة بدليل ما منعك **تسجد اذ** حين **امرتك** بالسجود
يعني قال الله لابليس اي شيء منعك من السجود اذ امرتك به فعلى هذا التاويل تكون كلمة لا في قوله ان لا تسجد صلة
زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي
والفراء والزجاج والاكثرين وحكى الواحدي عن احمد بن يحيى ان لا في هذه الاية ليست زايدة ولا توكيدا لان
معنى قوله ما منعك ان لا تسجد اي من قال لك لا تسجد لادم فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول
حكاه ابو بكر عن الفراء وقال الطبري والصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود
فاحوجك ان لا تسجد لادم فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الامام فخر الدين
الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة
الله تعالى عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها فان قلت لم ساله عن المانع من السجود

وهو

وهو اعلم به قلت للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وافتخاره باصله وحسده لادم ولذلك لم يتب
منه قال الاستاذ وظاهر الاية يقتضي انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك
فان المقصود طلب ما منعه من السجود اي اي شيء منعك من السجود كما فسرناها هكذا **قال** ابليس مجيبا
عما ساله عنه **انا خير منه** يعني منعني عن السجود علو رتبتي ومنزلتي اذ انا خير منه وهذا جواب
من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان جواب لفظ ما منعك ان يقول منعني كذا استانف الابليس به
ليعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر يعني لا ينبغي ان يكون مثلي مامورا بالسجود لمثل ادم
كانه قال انا خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يومر به انكر اللعين
امر الحق لوروده على خلاف مقتضى عقله وقياسه وهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح
العقليين اولا وهو بعينه مذهب المعتزلة فيهما فلما نظر الخبيث الى ظاهر علو عنصره قال الاثبات
قوله انا خير منه **خلقتني من نار** ومركزها الى فلك القمر فوق الهواء والماء والتراب **وخلقته**
من طين ممزوج من تراب وماء ومركزهما دون مركز النار والنار خير من الطين وانور قال الاستاد
وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه فضلا وذلك لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار
على الطين الذي خلق منه ادم فجهل عدو الله ابليس وجه الحق واخطا طريق الصواب لان من المعلوم
ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وتفريق الاشياء وهذا الذي حمل الخبيث
ابليس مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم عليه السلام
والاستخفاف بامر فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والصبر
والحلم والحياء والتثبت وجمع الاشياء وان الطين سبب الحياة فان حياة النبات والاشجار بها مع الماء
وهذا كان الداعي لادم عليه السلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى
التوبة من خطيئته ومسالته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان اول من
قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس واصل هذا القياس
الذي قاسه ابليس لما راى ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتني من نار و
خلقته من طين ولم يدر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة
الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر
القرشي فان الله تعالى خص صفيه ادم عليه السلام باشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه
من روحه واسجد له ملئكته وعلمه اسماء كل شيء واورثه الاجتباء والتوبة والهداية الى غير ذلك من
ما خص الله به ادم عليه السلام للعناية التي سبقت له في القدم واورث ابليس كثرة اللعنة والطرد للشقاوة
التي سبقت له في القدم **قال فاهبط منها** من الجنة او السموات قال ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا في عدن
لا في جنة الخلد وقيل من الرتبة المنيفة والمنزلة الرفيعة فانه كان من زمرة الملئكة المعززين وان الخروج
من زمرتهم هبوط واي هبوط وقيل من الهيئة والصورة كان عليها لانه كان مشرق اللون فعاد
مظلمه قال شيخنا غوث الله الاعظم الشيخ محي عبد القادر الجيلاني في كتابه فتوح الغيب ما نصه رايت ابليس اللعين
وانا في جمع كثير فهممت بقتله فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي ان جرى القدر بالشر فلا اقدر اغيره الى الخير

Copyright King Saud University

وانقله اليه وان جرى بالخير فلا اقدر لغيره وانقله الى الشر واى شئ بيدى ورايت صورته على صورة الخنا في
لين الكلام مسنون الوجه فيه طاقات شعر في ذقنه حقير الصوت عديم الخلق وكانه تبسم في وجهي تبسم تخجل
وجرى ذلك في ليلة الاحد ثاني عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وان بجابته انتهى ومما يتعجب منه ان بعض الناس
يستشهد باشعار الكفرة لاثبات قراءة ولغة ولا يستشهد باقوال الصادقين المذنبين لو انزعت كراماتهم الكاملين في
العلوم ولنرجع الى ما نحن فيه واعلم ان الهبوط هو الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف
قوله تعالى فما يكون لك ان تتكبر وتعصى فيها اى فما يصح ولا يستقيم ولا يليق بشانك ان تستكبر
في الجنة عن امري وطاعتي لانه لا ينبغى ان يسكن في الجنة او في السماء متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما
غير الجنة والسماء قد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون في الارض وفيه تنبيه على
ان التكبر لا يليق باهل الجنة لانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه قال النبي صلى الله عليه وسلم من
تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله رواه البيهقي والتكبر في وصف المخلوق اظهار الكبر بالتكلف بلا اعتداد
من الحال وفي وصف الخالق اظهاره على وجه الكمال فلهذا صار ذما في الاول ومدحا في الثاني فاخرج انك
من الصاغرين اى انك من الاذلاء المهانين والصغار الذلة والمهانة يعني اخرج من الجنة لانك ممن
اهانه الله به لتكبره قال ابليس طالبا لاستيفاء حظه من الدنيا آيسا من نعيم الآخرة انظرني اى
امهلني لا تمتني الى يوم يبعثون اى الى ان يخرج الناس من قبورهم وهو النفخة الاخيرة قال
ابن عباس رضي الله عنهما اراد اللعين ان لا يذوق الموت اذ لا موت بعدها فابى الله تعالى عليه قال انك
من المنظرين اى الى النفخة الاولى فتموت مع من يموت ودليل اباء الله قوله في سورة الحجر انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم اى في علم الله وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم فان قلت ما وجه قوله انك
من المنظرين وليس احد ينظر ويوخر ويمهل سواه قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون الى
ذلك الوقت باجالهم فهو منهم فان قيل كيف اجيب ابليس الى الانظار ليفسد احوال عباد الله تعالى ويغويهم قلنا
لما في ذلك من ابتلاء العباد ولما في مخالفته من عظيم الثواب ونظير ذلك ما خلق الله تعالى في الدنيا من انواع الزخارف
واصناف الملاذ والملاهي وما ركبه الله في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده وقيل اراد اللعين بالانظار
تعجيل اخر عقوبتي الى يوم الجزاء ولا تواخذني قبل يوم القيمة لا ان يبقيه حيا الى النفخة الثانية بان لا يميته اصلا
فعلى هذا الاحتمال اجابه الله تعالى الى ما ساله حيث اخر عقوبته الى يوم البعث ثم قال اللعين لارادة الانتقام
من ذرية ادم الذي صار سببا لهلاكه فبما اغويتني قال الاسناد والباء سببية وما مصدرية اى بعد
ما امهلتني لاجتهدن في اغوائهم واضلالهم حسب طاقتي ومقدرتي بسبب اغوائك اياى اى بسبب انفعالك
الغي والباطل في قلبي وعقيدتي بواسطتهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم كما قال ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء فالهمزة للصيرورة وهذا النص اما من جهة التسمية او من جهة حمله اياه على الغي
فالاسناد على التقديرين حقيقي او من جهة انه تعالى كلفه بما غوى بسببه فالاسناد مجازي والباء متعلقة
بفعل القسم المحذوف لا بتعدية فان اللام تصد عنه لان لها صدر الكلام كهمزة الاستفهام وقيل الباء
للقسم ولا تعدية جوابه كما في قوله فبعزتك وما مصدرية اى اقسم بقدرتك ونفاذ سلطانك في بالاغواء
والاضلال لافعلن كذا وقال الشيخ معناه فباى شئ اضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية ثم الكلام عند قوله

اغويتني

اغويتني ثم ابتدأ فقال لاقعدن لهم لبني آدم صراطك المستقيم اى على الطريق الموصل اليك
يعني لاجلسن على صراط القويم وهو طريق الاسلام او الطريق الموصل الى الجنة وذلك بان اوسوس
اليهم وازين الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعنى يمنعهم
من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول اولى لانه يعم جميع المفاسد ومعنى الاية لاصدن بني ادم عن
عبادتك وطاعتك ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني وانتصب صراطك على الظرف اى في صراطك كقوله
كما عسل الطريق الثعلب وقيل على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن
عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه
فقعد له في طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء ابيك فعصاه واسلم وقعد له بطريق
الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه وهاجر وقعد له
بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه وجاهد قال
فمن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته دابته
كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه النسائي وقوله اخبارا عن ابليس ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم يعني من قبل
الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم
وعن شمائلهم اشهي لهم المعاصي وانما جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم منتقلون اليها وصائرون
اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
اخرى عنه من بين ايديهم اى من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاقول لا بعث ولا جنة
ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذه
الرواية لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غائبة عنه فهي خلفه
وقال الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاثبطهم
عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة
اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم
اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطاهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم
اليها اتاك يا ابن ادم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك ولم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله وقال
مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون وعنه
انهم يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون يعني انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون
وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من اعمارهم
فلا يتوبون عما سلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن
خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور نالوه قال شقيق البلخي ما من صباح الا وياتيني الشيطان
من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله
غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادى في الفقر فا

Copyright © King Saud University

وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها واما من قبل يمينى فيأتيني من الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين
واما من قبل شمالى فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر الجهات
الاربع انما اريد بها التاكيد والمبالغة فى القاء الوسوسة فى قلب ابن ادم وانه لا يقصر فى ذلك ومعنى
الاية على هذا القول ثم لاتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقيل شبه حال وسوسته
لبنى ادم باتيان العدو من الجهات الاربع وقال حكماء الاسلام ان فى البدن قوى اربعا هى الموجبة لفوت
السعادات الروحانية احدها القوة الخيالية تجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم
من الدماغ واليه الاشارة بقوله تعالى من بين ايديهم وثانيها القوة الوهمية التى تحكم فى غير المحسوسات
بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها الباطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة
ومحلها الكبد التى عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذى هو الشق الايسر فالشياطين
الخارجة مالم تستعن بشئ من هذه القوى الاربع لم تقدر على القاء الوسوسة قوله تعالى **ولا تجد اكثرهم شاكرين**
يعنى ولا تجد يا رب اكثر بنى ادم شاكرين لك على نعمتك التى انعمت بها عليهم لقوله وقليل من عبادى الشكور
وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين اى مؤمنين مطيعين لك فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك
حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
وقيل انه كان عارفا على المبالغة فى تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بنى ادم الى ذلك فقال
هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوبا فى اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع اى علم
بمراده **قال** الله تعالى فى جوابه اذا كان هذا عزمك يا ابليس **اخرج منها** اى من الجنة فانه لا ينبغى
ان يسكن فيها العصاة **مذؤما** بالهمزة من ذأمته اذا ذممته اى اخرج منها معيبا اشد العيب
اى بذم اضلال الخلائق مع ذم ضلالك وقرى مذوما كمسولا بمعنى عابه **مدحورا** يعنى مطرودا
مبعودا من الرحمة قال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبى ملوما مقصيا من
الجنة ومن كل خير **لمن تبعك منهم** بفتح اللام لانها موطئة لقسم محذوف ومن شرط مبتدا وقوله
لاملان جهنم منكم اجمعين جواب القسم ساد مسد جواب الشرط والجملة خبر المبتدأ تقديره والله لمن
تبعك من بنى ادم لاملان وقرى لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك له هذا الوعيد
والحاصل اقسم الله ان من تبع ابليس من بنى ادم واطاعه ان يملأ جهنم منه وممن كفر من بنى ادم
وابليس وذريته ومن تبعه منهم ثم اخبر الله تعالى عن كلامه لادم فى الجنة فقال **ويا ادم** اى وقلنا
يا ادم عطف على قلنا للملئكة اسجدوا لادم لا على ما بعد قلنا لفساد المعنى اذ يصير المعنى هكذا اى قلنا للملئكة
يا ادم **اسكن انت** وانت تاكيد للضمير فى اسكن ليعطف عليه وزوجك **وزوجك الجنة** اى اثبت انت
ولتثبت حوا فى جنة الخلد وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة **فكلا من حيث
شئتما** اى فكلا من ثمار الجنة وفواكهها من اى مكان شئتما فان قلت قال فى سورة البقرة وكلا بالواو
وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق قال الامام فخر الدين الرازى ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على
سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففى سورة
البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع وتوجيه الخطاب اليهما للتعميم التشريف والايذان بتساويهما فى مباشرة

المأمور

المأمور به فان حواء مثله فى الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها ولتعلق النهى بهما صريحا فى قوله
ولا تقربا هذه الشجرة اى بالاكل منها وهى الحنطة وقرى هذى وهو الاصل لتصغيره ذيا ومذكر هذى
وهو ذا على ذيا والهاء بدل من الياء وتقدم الكلام فى الشجرة فى سورة البقرة **فتكونا من الظالمين**
اى فتصيرا من الذين ضروا على انفسهم فتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب **فوسوس
لهما الشيطان** اى فعل الوسوسة وتكلم بكلام خفى مكررا اى فوسوس اليهما يعنى القاها اليهما
قال الاستاد الوسوسة حديث يلقيه الشيطان فى قلب الانسان فان قلت كيف وسوس اليهما وادم وحوا
فى الجنة وابليس قد اخرج منها قلت ذكر الامام فخر الدين والدين فى الجواب عن هذا السوال عن الحسن انه
قال كان ابليس يوسوس فى الارض الى الجنة بالقوة القوية التى جعلها الله له وقال ابو مسلم الاصبهانى بل كان
ادم وابليس فى الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذى يقوله بعض الناس من ان ابليس
دخل فى جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال الاخرون ان ادم وحوا ربما
قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الاخر فحصلت الوسوسة
هناك فان قلت ان ادم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله قلت
يحتمل ان يقال ان ابليس لقى ادم مرارا كثيرة ورغبه فى اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد
ومنها قوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس فى
ادم حتى اكل من الشجرة **ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما** اى ليظهر لهما ما غطى وستر
من عوراتهما وقوله ما ورى ماخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوءة
فرج الرجل سمى بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفى الاية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات
وفى جامع الاسرار وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
فى الطباع وكانا لا يريان ذلك من انفسهما ولا احدهما من الاخر وفى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها
ما رايت منه ولا راى منى واللام فى قوله ليبدى لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة
ظهور عورتهما وانما كان يحملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما والجمهور
على قراءة الهمزة سوآتهما بالجمع من غير نقل ولا ادغام وقرى سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها
الى الواو وقرى سواتهما مشددا بقلب الهمزة واوا وادغام الواو فى الواو **وقال** اى وقال
ابليس لادم وحوا **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** يعنى عن الاكل من هذه الشجرة **الا ان
تكونا** اى الا كراهة ان تكونا **ملكين** فى حصول الملكات المفطرة والاستغناء عن الاطعمة
والاشربة اذ لا احتمال لقلب الحقائق وانما اتت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملئكة من الكمالات
المذكورات فلا دلالة فيه على فضل الملك على النبى مطلقا وقرى ملكين بكسر اللام **او تكونا من
الخالدين** يعنى انما نهاكما عن هذه الشجرة لئلا تكونا ملكين من الملئكة تعلمان الخير والشر او تكونا من
الذين لا يموتون وانما اطمع ابليس لادم بهذا لانه علم ان الملئكة لهم المنزلة والقرب من العرش
فاستشرف لذلك ادم واحبه او انه يعيش مع الملئكة لطول اعمارهم او يكون من الخالدين الذين لا يموتون
ابدا قال الاستاد فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الملك افضل من الانبياء لان ادم عليه السلام طلب ان

يكون من الملئكة وهذا يدل على فضلهم عليه قلت ليس فى ظاهر الاية ما يدل على ذلك لان ادم عليه السلام
لما طلب ان يكون من الملئكة كان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة ادم عليه
السلام فطلب ان يكون من الملئكة او من الخالدين وعلى تقدير ان يكون هذه الواقعة وقعت فى زمان النبوة
بعد ان شرف بها ادم انما طلب ان يكون من الملئكة لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلتحق بهم فى
الفضل لانه طلب اما ان يكون من الملئكة لطول اعمارهم او من الخالدين الباقين الذين لا يموتون ابدا
وقوله تعالى **وقاسمهما** اى واقسم وحلف لهما بالله وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد واخرج قسم
ابليس على زنة المفاعلة لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكانها من اثنين **انى لكما لمن
الناصحين** قال قتادة حلف بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وانا اعلم
منكما فاتبعانى ارشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له **فدليهما** اى حطهما ونزلهما
عن منزلتهما الى الاكل من الشجرة **بغرور** اى بما غرهما به من القسم بالله فانهما ظنا ان احدا لا يحلف
بالله كاذبا قيل ان الله تعالى قال لادم ما اجرأك على ان عصيتنى قال رب ان اللعين حلف سبعين يمينا
انه لمن الناصحين وما ظننت ان احدا من خلقك يحلف باسمك كاذبا وهو اول من كذب من خلق الله
واخدع به ادم وفى مثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وانشد
نفطويه فى معناه ❊ ان الكريم اذا تشاء خدعته ❊ وترى اللئيم مجربا لا يخدع ❊ والغرور اظهار
النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون
الا من علو الى سفل والحاصل ان ابليس غر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا **فلما ذاقا الشجرة** اى اكلا منها لان الذوق يدل على الاكل اليسير يعنى فلما وجدا طعمها اخذ
فى الاكل منها **بدت لهما سوآتهما** يعنى ظهرت عوراتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ازدردا
يعنى قبل ان يبتلعا اخذتهما العقوبة وهى ان بدت وظهرت لهما سوآتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى
ابصر كل واحد ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك كما ذكرنا وقال وهب كان لباسهما من
النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما وقال قتادة كان
لباس ادم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع فى الذنب كشط عنه وبدت سوآته **وطفقا** اى اخذا واقبلا
وجعلا **يخصفان** اى يرقعان ويلصقان ويلزقان ورقة بعد ورقة **عليهما** اى على عوراتهما
ليستترا بها **من ورق الجنة** وهو ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما
ويخصفان من خصف بتشديد الصاد ويخصفان واصله يختصفان روى عن ابى بن كعب
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير
شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سوآته وكان لا يراها احد فى الجنة فانطلق هاربا فى
الجنة فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسلينى قالت لست بمرسلتك فناداه
ربه يا ادم امنى تفر قال لا يا رب ولكنى استحييتك ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى من طريقين
موقوفا ومرفوعا قوله تعالى **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة** يعنى ان الله تعالى نادى
ادم وحواء وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة فيه دليل على ان النهى يفيد تحريم المنهى عنه

ان لم يصرف عنه صارف وانما ذكر اسم الاشارة الموضوع للقريب اولا والبعيد ثانيا لان ادم وحواء
بعد وقوع ما وقع واطلاعهما على تغرير ابليس فراهما الشجرة فكانت الشجرة حين العتاب
بعيدة عنهما **واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين** اى الم اعلمكما ان الشيطان قد بين
عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا وفى المدارك هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطاء وروى
انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما
ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا بكد يمين وعرق
جبين فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وذرى وطحن وعجن وخبز
قال ابن عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التى نهيتك قال حواء امرتنى قال فانى قد اعطيتها
ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال
محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتنى حواء قال لحواء لم اطعمتيه قالت امرتنى
الحية قال للحية لم امرتيها قال امرنى ابليس قال اما انت يا حواء فكما ادميت الشجرة تدمين كل شهر
واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ راسك من لقيك واما انت يا
ابليس فلعون مدحور يعنى مطرودا عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم اما خلقتك بيدى اما نفخت
فيك من روحى اما اسجدت لك ملائكتى اما اسكنتك جنتى فى جوارى **قالا** معتذرين **ربنا
ظلمنا انفسنا** بمعصيتنا وهذا خبر من الله عز وجل عن ادم عليه السلام وحواء واعترافهما على
انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة امرك
وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التى نهيتنا عن اكلها **وان لم
تغفر لنا** يعنى وان انت يا ربنا لم تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعنى وتتفضل علينا برحمتك **لنكونن
من الخاسرين** يعنى من الهالكين قال قتادة قال ادم رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا
ادخلك الجنة واما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال
الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هى الكلمات التى تلقاها ادم من ربه عز وجل قال السلطان فى قوله
لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغاير يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة
عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من
السيئات واستحقار العظيم من الحسنات **فصل** وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء
عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبياء عليهم السلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله
عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت
منهم على سبيل التاويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصى غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم
ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل
ذنوبا وهى حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين يعنى انهم يرونها بالنسبة
الى احوالهم كالسيئات وهى حسنات لغيرهم قوله تعالى **قال اهبطوا** الخطاب لادم وحواء وذريتهما

لهما ولابليس لكن الامر له تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر الله عما قال لهم تفرقا قال الامام فخر الدين
والدنيا الرازي ان الذى تقدم ذكره هو ادم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هؤلاء
الثلثة وقال الطبري قال الله تعالى لادم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعنى من السماء الى الارض فكذلك
السدى اهبطوا يعنى الى الارض ادم وحواء وابليس والحية وقوله **بعضكم لبعض عدو** يعنى ان
العداوة ثابتة بين ادم وابليس والحية وذريته كل واحد من ادم وابليس والجملة حالية من فاعل
اهبطوا اى متعادين ونزلت الجملة منزلة المفرد لهذا حسن ترك الواو هذا ما قاله اكثر المفسرين **ولكم فى
الارض مستقر** استقرار او موضع قرار تستقرون فيه قال ابن عباس ومعناه مستقرا لقبوركم
ومتاع اى تمتع وانتفاع **الى حين** اى الى ان ينقضى فيه آجالكم اى الى انقطاع الدنيا يعنى الى يوم القيمة
ومعنى الاية ان الله عز وجل اخبر ادم وحواء وابليس وحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم
لبعض عدو وان لهم فى الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء اجالهم ثم يستقرون
فى قبورهم الى انقطاع الدنيا **قال فيها تحيون** يعنى قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده
فيها تحيون يعنى فى الارض تعيشون ايام حياتكم **وفيها تموتون** يعنى فى الارض يكون وفاتكم وموضع
قبوركم **ومنها تخرجون** اى ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب والجزاء يوم القيمة كقوله
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى **يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى
سوآتكم** اعلم ان وجه اتصال هذه الاية بما قبله هو ان الله عز وجل لما امر ادم عليه السلام وحواء
بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا
فكان مما انزل عليهم اللباس الذى يحتاج اليه فى الدين والدنيا فاما منفعته فى الدين فانه ستر العورة
وسترها شرط فى صحة الصلاة واما منفعته فى الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده
بان انزل عليهم لباسا يوارى سوآتهم فقال تعالى يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى
سوآتكم يعنى لباسا تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا يعنى لم ذكر بعلى
قلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها ان انزل بمعنى خلق ورزق وعليكم بمعنى لكم خلقنا لكم او رزقناكم
لباسا الوجه الثانى ان الله تعالى انزل المطر من السماء وهو سبب انبات اللباس فكانه انزله عليهم
والمعنى خلقنا اللباس لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها الوجه الثالث ان جميع بركات
الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال الله وانزلنا الحديد وانزل لكم من الانعام اى قضى لكم
او قسم لكم وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح قال امامنا البغوى قدس سره وسبب
نزول هذه الاية انهم كانوا فى الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله
فيها كان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة قال قتادة وكانت المراة تطوف وتضع يدها على
فرجها وتقول ⁂ اليوم يبدو بعضه او كله ⁂ وما بدا منه فلا احله ⁂ فامر الله عز وجل بالستر
فقال يا بنى ادم قد انزلنا عليكم الاية يعنى فلا تطوفوا عراة **وريشا** الريش للطاير معروف وهو
لباسه وزينته كالثياب التى يتجمل بها الانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا
عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال الله تعالى لتركبوها وزينة
وقال

وقال ولكم فيها جمال وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال قرا الجمهور وريشا وقرا عاصم وابو عمرو
فى رواية عنهما ورياشا قال الجوهرى الريش والرياش اللباس الفاخر وقيل الريش والرياش المال
والخصب والجمال والمعاش وقيل هو اللباس الحسن **ولباس التقوى** قرا نافع وابن عامر والكسائى
بالنصب عطفا على ريشا والباقون بالرفع على الابتداء وخبره **ذلك خير** اى اللباس الذى انزلنا عليكم
لستر عوراتكم خير من الطواف عريانا او خبر خبره وذلك صفة لباس التقوى يعنى ان ستر العورة فى الطواف
هو لباس التقوى وذلك خير هذا على قول من حمل اللباس على نفس الملبوس وحقيقته واما من حمله على المجاز فقيل
لباس التقوى العمل الصالح والطاعة كذا نقل عن ابن عباس واستدل عليه بقول الشاعر ⁂ اذا المرء لم يلبس
ثيابا من التقى ⁂ تقلب عريانا وان كان كاسيا ⁂ وخير خصال المرء طاعة ربه ⁂ ولا خير فيمن كان لله
عاصيا ⁂ وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال زيد بن على رضى الله عنهم هو الدرع
والمغفر والساعدان والساقان والالات التى يتقى بها البأس وقال قتادة والسدى لباس التقوى
هو الايمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال الحسن هو الحياء وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لباس
التقوى هو السمت الحسن والحاصل ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشدوا فى المعنى
اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى ⁂ عريت وان وارى القميص قميص ⁂ وقيل لباس التقوى هو الصوف والثياب
الخشنة التى يلبسها اهل الورع وقوله تعالى **ذلك من آيات الله** يعنى انزال اللباس عليكم
يا بنى ادم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده وفضله ورحمته وقدرته **لعلهم يذكرون** يعنى
يذكرون نعمته وفضله عليهم فيشكروها قال السيوطى قدس سره معناه فيؤمنون فيه التفات الى الخطاب
او معناه فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح او يتذكرون بهذه المشاهدة مشاهدة الاخرة
ثم قال يحذرهم عن طاعة الشيطان الذى اضل اباهم ادم فاخرجه من الجنة فقال **يا بنى ادم
لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة** قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون
بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم الشيطان بغروره ولا يضلنكم ويزين لكم كشف عوراتكم فى الطواف وانما
ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس ليحذر بذلك اولاد ادم فقال تعالى يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان
كما اخرج ابويكم يعنى ادم وحواء من الجنة والمعنى انه من قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة
عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بنى ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان
وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الافعال الرديئة فى قلوب بنى ادم فهذه فتنته التى نهى الله عباده وحذرهم
منها حاصله لا يضلنكم عن طاعتى باتباعه فيمنعكم من دخول الجنة يعنى لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخرج
بها ابويكم قال الاستاذ والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به **ينزع
عنهما لباسهما** حال من ابويكم او من فاعل اخرج اى اخرجهما نازعا عنهما لباسهما
بان كان سببا فى ان ينزع عنهما والنازع هو الله فى الحقيقة وانما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان
لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه وانما قال ينزع
بصيغة المضارع لاستحضار الصورة وذكر فى اللباب اقوالا كثيرة والاقرب هو من ثياب الجنة لان اطلاق
اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس **ليريهما سوآتهما** يعنى ليرى ادم عورة

Copyright … University

حواء وترى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوأة بعض ثم بالغ في التحذير من فتنته فقال
إنه اي الشيطان يراكم هو وقبيله يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله اي من هو
من نسله وذريته او جنوده من الشياطين وقبيله عطف على الضمير في يراكم ولفظ هو تأكيد وليس القبيل
معطوفا على هو المنفصل لان معمول يراكم هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل
من حيث لا ترونهم يعني انتم يا بني آدم قال البيضاوي رحمه الله على الكشاف ورؤيتهم من حيث لا تراهم
في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم باذن الله لنا انتهى وفي غاية الاماني ولا دلالة في الاية على
عدم امكان الرؤية وقد ورد في الاحاديث رؤية جماعة من الصحابة رواه البخاري وغيره انتهى او نوكب
وانا ممن رايتهم في الهواء على صورة البشر لا على صورهم الاصلية وحديث رؤية بعض الناس الجن مما يكاد يتواتر
ومنه ما ذكر في قصة سليمان عليه السلام وقصة جن نصيبين مما لا يخفى على احد فلا عبرة بما نقل عن الكشاف
في نفي رؤيتهم فانه مبني على مذهبه الفاسد الكاسد وفي اللباب قال العلماء ان الله خلق في عيون الجن ادراكا
يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه
في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى
شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لراينا هم ولكن لم يجعلها لنا
وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الله جعلهم يجرون من ابن آدم مجرى
الدم وجعل صدور بني آدم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس
فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى ونخرج من
تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك ابن دينار ان عدوا يراك وتراه لشديد المؤنة الا من عصم الله
وقال ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الكريم الستار الرحيم
الغفار وقد علمنا الله طريق دفع كيد الشيطان بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
وقال عز وعلا وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون إنا جعلنا الشياطين
جعل قبيله من جملته فجمع أولياء يعني اخوانا وقرناء للذين لا يؤمنون بالله ورسوله قال الزجاج يعني
سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم فيه دلالة على خلق الافعال وصرح بان من يوالي الشياطين ليس
بمؤمن واسند الجعل الى نفسه دلالة على كونه حتما مقضيا وقال الاستاذ انا صيرناهم قرناءهم مسلطين
عليهم بما وجدنا من المناسبة في الخذلان والغواية او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم
على ما سول لهم والجملة تعليل آخر للنهي وتأكيد للتحذير اثر تحذير وإذا فعلوا فاحشة قال
ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء قال عطاء هي الشرك والفاحشة اسم
لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من
طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في
انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله
تعالى قالوا جوابا للناهين تقدير الكلام وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها
آباءنا فاقتدينا بهم والله أمرنا بها بذلك الفاحشة ايضا فذكروا لانفسهم عذرين احدهما

محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل القبيح آباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر
الثاني قولهم مفترين بالله والله امرنا بهذه الفاحشة وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله عنه بقوله
قل إن الله لا يأمر بالفحشاء اي بالمعاصي ولا يرضى لعباده الكفر والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل
الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله بها والله لا يأمر بالفحشاء بل جرت عادته
على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال وبما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا او توبيخا أتقولون
على الله ما لا تعلمون اي اتكذبون على الله بما لا تعلمون حقيقته فهو استفهام انكار وتوبيخ والمعنى انكم
ما سمعتم كلام الله ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين
عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون ثم امر
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم ما امر به بقوله قل أمر ربي بالقسط اي بالعدل وقال ابن عباس
بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الاية مشتمل على معرفة الله سبحانه بذاته وصفاته وافعاله وانه
واحد لا شريك له والمراد بالقسط هو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط وقل يا محمد لهم
وأقيموا معطوف على معنى بالقسط اي قل لهم اقسطوا واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ومعنى
الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا
حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي
قال الشيخ فان قلت قل أمر ربي بالقسط اخبار واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر
لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
فحذف قال لدلالة الكلام عليه وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه اي واعبدوا ربكم
مخلصين له الدين اي مخلصين الطاعة والعبادة والدعاء لله عز وجل لا لغيره فان اليه مصيركم
كما بدأكم تعودون اي كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق
والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه
وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم ولهذا قال ابن
عباس ان الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا ويحجة هذا القول قوله في سياق الاية فريقا هدى
وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم وزاد البغوي في
روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار الى
ما ابتدأ عليه خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاء
ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاء كما ان سحرة فرعون كانوا يعملون
بعمل اهل الشقاء ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل
ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد يعني

الاية كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا اشياء فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احياء يوم القيمة
ويشهد لصحة هذا القول ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى **فريقا هدى** يعني هداهم الله الى الايمان
به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته **وفريقا حق عليهم الضلالة** يعني وخذل فريقا
حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبقت لهم في الازل بانهم اشقياء وفيه دليل على ان الهدى
والضلال من الله عز وجل ولما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن
اخطأه ضل اخرجه الترمذي ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة اعني السبب
القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال **انهم** اي ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا
الشياطين نصراء واعوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى
الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لان الشياطين يقدرون على اضلال احد
وقوله **ويحسبون انهم مهتدون** يعني انهم مع ضلالهم يظنون ويحسبون انهم على هداية
وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء وفيه
دلالة على ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد من القطع واليقين والاية حجة لنا
على اهل الاعتزال في الهداية والاضلال **يا بني ادم** انما خاطبهم بهذا تذكيرا لنسبة ابيهم ادم عليه السلام
في ستر العورة **خذوا زينتكم** اي لباسكم والموارى لعوراتكم **عند كل مسجد** لطواف او صلاة ومن
السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة في الصلوة لان الصلاة مناجاة الرب عز وعلا وفيه دليل على وجوب
ستر العورة في الصلوة والحاصل لما امرهم باقامة الوجه نحو القبلة في الصلوة امر بستر العورة الذي هو من شروطها
ايضا وانما عبر عنه بالزينة لئلا يتوهم الاقتصار على قدر الحاجة وقيل بل المراد يكون المصلي لابسا
من الثياب اجملها كما ورد الامر بذلك في الجمع والاعياد وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية
كانت المراة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو
بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار
والنساء بالليل وذكر البيت زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال
مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد
عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون
خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عريانا الا الحمس وهم قريش
واحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمس فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه
فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه القاها اذا

فضى

قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله عز وجل خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة
لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عورتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يوارى العورة
عند كل مسجد لطواف وصلاة وقوله خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب ففيه دليل على ان ستر العورة
واجبة في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله **وكلوا واشربوا** مما طاب لكم يعني الطيب الطاهر ولا تضيقوا
على انفسكم فيما وسعه الله تعالى لكم من الاكل والشرب قال الكلبي كانت بنو عامر لا ياكلون في ايام حجهم
الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل
وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم **ولا تسرفوا** يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم او
بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام اي في الاكل والشرب والحرص عليه او باظهار الخيلاء باكل المستلذ
على الفقراء المحاويج وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف اية فقال وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا وفي هذا الباب عن ابي هريرة عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق
بالسقم وفي المدارك ولا تسرفوا بالشروع في الحرام او في مجاوزة الشبع انتهى وفي الاية دليل على ان جميع المطعومات
والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره
الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل وفي المدارك وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي
ابن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان
فقال علي جمع الله الطب في نصف اية كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم
شيء في الطب فقال علي قد جمع رسولنا الطب في الفاظ يسيرة وهو قوله عليه الصلاة والسلام المعدة
بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا وفي اللالي المنتثرة للسيوطي المعدة بيت الداء لا اصل له **انه لا يحب المسرفين** يعني ان الله
لا يحب من اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه
الاشياء لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى
ليس هو راض عنه ودلت الاية على الوعيد الشديد في الاسراف وصيغة التعميم لانواعه فانه مذموم في
كل امر **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده** يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين
يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها في
الطواف وغيره من الثياب وساير ما يتجمل به وفي اللباب ثم في تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور
المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين
الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد
بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل في العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النساء
قال الاستاد والذي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن
المعادن كالدروع **والطيبات من الرزق** والمعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها

Copyright © King Saud University

الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى هذه الاية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم
الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك
ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون
اشياء احلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول
الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من ساير المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه
قال البيضاوي والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم و
الملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من حرم زينة الله للانكار اي لانكار تحريم هذه الاشياء
وفي الاماني والطيبات من الرزق هي الماكل والمشارب المستلذات والاباحة انما علمت من هذه النص ولا دلالة
فيه قلت رد على البيضاوي بقوله والاباحة على ان الاصل فيه الاباحة قبل الشرع **قل هي** اي قل
يا محمد ان جملة ما ذكر من الزينة والطيبات ثابتة بالاصالة والاستحقاق **للذين امنوا في الحيوة الدنيا**
لانها خلقت لهم والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع ولهذا قال ومن كفر فامتعه قليلا **خالصة** اي خاصة
بالمومنين لا يشاركهم فيها احد من الكفرة **يوم القيمة** قال البغوي وفي الاية حذف تقديره هي
للذين امنوا وللمشركين ايضا في الحيوة الدنيا فان اهل الشرك يشاركون المومنين في طيبات الدنيا وهي
في الاخرة خالصة للمومنين لا حظ للمشركين فيها وقيل خالصة يوم القيمة من التنغيص والغم للمومنين
فانها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم قرا نافع خالصة بالرفع اي قل هي للذين امنوا مشتركة في الدنيا
خالصة يوم القيمة بالمومنين وقرا الاخرون بالنصب على القطع قال الاستاد معناه جملة ما ذكر كاينة
او مستقرة للذين امنوا في حال كونها خالصة لهم يوم القيمة وان اشتركت الطايفتان فيها في الدنيا
كذلك اي كتفصيلنا هذا الحكم **نفصل الايات** ساير الاحكام **لقوم يعلمون** اي لقوم عملهم
النظر والاستدلال حتى يتوصلوا الى تحصيل العلوم النظرية قال الشيخ معناه يعني كذلك نبين الحلال
بما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي
ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بما حرم عليهم بقوله تعالى **قل انما حرم ربي الفواحش**
اي قل يا محمد لهولاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل
الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم هو لكم بل احله الله لعباده وطيبه لهم
وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال قيل اريد بالفواحش الكباير وقيل الزنا **ما ظهر منها**
وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها قال ابن عباس كانوا لا يرون بالزنا سرا باسا
وكانوا يستقبحونه علانية فنهوا عنها جميعا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة تغير القلب وهيجان الحفيظة
بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل واحد منهما

بصاحبه

بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة في وصف
الله تعالى ففي منعه من ذلك وتحريمه ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش وقد يحتمل
ان تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقابه والله اعلم قال محي السنة اراد بما ظهر منها
طواف الرجال بالنهار عراة واراد بما بطن طواف النساء بالليل عراة وتخصيص الفواحش بالذكر
مع انتظامها في سلك الاتي ذكره اهتماما **والاثم** اي وحرم الاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص
وقيل اريد به ما بين العبد وبينه تعالى من الذنب وقيل اريد به شرب الخمر كقول الشاعر شربت
الاثم حتى ضل عقلي ۞ كذلك الاثم تذهب بالعقول ۞ وقيل اريد بالفواحش الكباير وبالاثم الصغاير
اي قل انما حرم ربي الكباير والصغاير وقيل الفواحش ما يوجب الحد والاثم ما لا يوجب الحد **و**
البغي اي وحرم البغي والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة
الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ما له بحق خرج من ان
يكون بغيا **وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا** اي اي ان الله حرم ان تشركوا به
شركاء لا ثبوت لها ولا انزل الله باشراكها سلطانا وحجة وبرهانا بل اخترعوها سفاهة
هذا تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره فهو من قبيل ولا ترى
الضب فيها ينجحر اي لا ضب فيها ولا انجحار والحاصل ومعلوم انه لا برهان بالاشراك حتى ينزل
به سلطانا وبينة واذا لم يثبت ولم يجز انزال البرهان كان ذكر ما لم ينزل به سلطانا استهزاء
وسخرية بالكفرة **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** اي حرم ان تفتروا على الله بنحو والله
امرنا بها وتحريم ما لم يحرم والالحاد في صفاته وذاته **ولكل امة** اي لكل احد من احاد الامة
اجل اي مدة ومعنى الاجل الوقت المعين لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور قولان
احدهما انه اجل نزول العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم
الى ذلك الوقت **فاذا جاء اجلهم** اي فاذا اقترب وحل وقت مجي عذابهم واهلاكهم **لا يستاخرون**
ساعة ولا يستقدمون يعني لا يوخرون ولا يمهلون قدر ساعة بعد الاجل وانما اقل من
ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسما للاوقات في العرف وهذا حين سالوا نزول العذاب
فاجرهم الله اي لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يوخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل اجل الحياة ومدة عمرهم
فاذا انقرضت وانقضى ذلك للذة والاجل وحضر الموت فلا يوخر ساعة ولا يقدم ساعة
وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد من احاد الامة اجل لا يقع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال
الله تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا
يكون المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله وقيل معنى الاية لا يطلبون التاخر ولا
التقدم في الاجل لشدة الهول وانما قال فاذا جاء اجلهم لانه قبل مجي الاجل يقبل التقدم والتاخر خلافا
ما نبه عليه ما افصح عنه في قوله ويوخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر **يا بني**
ادم الخطاب عام لجميع بني ادم سابقهم ولاحقهم وان ورد هذا بعد ارسال الرسل وانزال الكتب

Copyright King Saud University

في الحقيقة حكاية مخاطبته تعالى مع كل قوم وقت ارسال الرسل حالية او مقالية وقال مقاتل اراد بقوله يا بني
ادم مشركي العرب يعني اهل مكة ومن يلحق بهم واراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم فذكر الجمع واريد به
الواحد للتعظيم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى الكافة **اما ياتينكم** ان ياتيكم ان هي الشرطية وما
زايدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة وجزاء الشرط قوله فمن اتقى الاتي ذكره قريبا
رسل منكم اي من جنسكم او منكم من بني ادم صفة لرسل واعلم ان الرسول اذا كان من جنسهم كان
اقطع لعذرهم من التخلف واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لا يليق بقدرته
او بقدرة امثاله علموا ان ذلك الذي اتاه به معجزة وحجة على من خالفه وانما ذكر فعل الشرط بحرف الشك وهو
ان مع ان الظاهر ان يذكر معه اذا لان اتيان الرسل امر محقق للتنبيه على ان اتيانهم امر جائز غير
واجب على الله كما ظنه اهل التعليم **يقصون عليكم اياتي** يقرءون عليكم كتابي وادلة احكامي و
شرايعي التي شرعت لعبادي **فمن اتقى** منكم الشرك ومخالفة رسلي وتاب عن المعصية **واصلح**
اي زكى عمله الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب عما نهيت عنه **فلا خوف عليهم** يعني حين
يخاف غيرهم يوم القيمة من العذاب يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها لاستغراقهم فيما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **والذين كذبوا باياتنا** اي بالحكام منكم يعني ومن جحد
اياتنا وكذب رسلنا **واستكبروا** اي تكبروا وتعظموا **عنها** اي عن الايمان بالايات وبما جاءت به رسلنا
اولئك المكذبون **اصحاب النار** اي ملازموها **هم فيها خالدون** يعني لا يخرجون منها ابدا وادخال
الفاء في الخبر الاول وهو قوله فلا خوف دون الخبر الثاني وهو اولئك للمبالغة في الوعد والمسامحة
في الوعيد **فمن اظلم** اي فمن اشد ظلما اي لا احد اشنع ظلما والفاء للترتيب على فهم **ممن افترى على
الله كذبا** اي ممن تقول على الله ما لم يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد
من كل الوجوه **او كذب باياته** اي او كذب بالقران العظيم الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم **اولئك** اي اولئك المفترون **ينالهم** اي يصل اليهم **نصيبهم** اي حظهم **من
الكتاب** اي مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك قال الحسن والسدي اراد من الكتاب
ما كتب لهم وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال الزجاج اراد من الكتاب المذكور
في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب
على قدر ذنوبهم في الكفر وقيل اراد من الكتاب ما وعدوا فيه من خير او شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية
عن ابن عباس ايضا وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني
هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري قول ابن زيد وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا
جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل
ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين
حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه لا يمنع ان
ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا او يتوبوا فقوله تعالى **حتى** هي غاية
لما يصل الى الكفار وهي التي يبتدا بعدها الكلام اي يصل الى المشركين رزقهم حتى **اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم**

والمعنى

والمعنى حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض
ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة تفيد هذا المعنى **قالوا** جواب اذا
اي تقول رسلنا الملئكة تبكيتا للكفار المفترين على الله **اين ما كنتم تدعون** اي تعبدون
من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها من دون الله في الدنيا ادعوهم ليدفعوا
عنكم ما نزل بكم وما وصلت باين في خط المصحف فاتبع وحقها الفصل لانها موصولة **قالوا** اي
الكفار مجيبين للرسل **ضلوا عنا** اي غابوا عنا فلم نرهم يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا
عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا **وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين** يعني يقول الله تعالى
وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا في الدنيا جاحدين وحدانية الله تعالى
واعترفوا على انفسهم بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه وفي الغاية قوله ضلوا عنا اقرار منهم بعبادتها
فان قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا منهم بعبادتها قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا منهم بالكفر
فما فائدة قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قلت فائدته زيادة التوبيخ واظهار لفظ
الكفر الذي دل عليه قولهم ضلوا التزاما انتهى ولعله اريد بوقت مجيء الرسل لقبض ارواحهم
الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل
الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء
كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت
قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها
من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة **قال ادخلوا في امم قد خلت من
قبلكم من الجن والانس** يعني يقول الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك لمن افترى
عليه الكذب وجعل له شركاء من خلقه ادخلوا في امم اي في جملة امم مصاحبين لهم قد مضت وسلفت من
من قبلكم من كفار الجن والانس **في النار** متعلق بادخلوا اي ادخلوا جميعا في النار التي هي
مستقركم وماواكم وفي اللباب وانما اراد الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس
في الاية دليل واضح على ان الجن من يدخل تحت التكليف وانهم يثابون ويعاقبون كالانس قال
الاستاد وفي الاية اشارة الى ان دخولهم في زمرتهم وجماعتهم اشد عليهم من عذاب النار ولكذلك قد
قال في النفس المطمئنة فادخلي في عبادي وادخلي جنتي لان دخولها في تلك الطايفة اشرف واعلى
من دخول الجنة السرفي الشكال لا في المنزل **كلما دخلت امة** اي كلما دخلت جماعة النار **لعنت
اختها** وهي الطايفة التي سنت ذلك الكفر ودخلت قبلها كما ان المومنين اخوة في الدين فكذلك الكفرة
فيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة بل فيهم سابق ولاحق قال الاستاد رحمه الله
اراد بكلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة وفي الاقتداء بها فالمشرك يلعن المشرك واليهودي
يلعن اليهودي والنصراني يلعن النصراني وكذا المجوس وساير ارباب الضلال فالمراد بكلما دخلت
امة التي لها اخت من الامم الضالة ومن ليس لها اخت يعذب ما شاء الله ولا لعن قال الكلبي كلما دخلت
اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين واراد باختها من اهل ملتها في الدين لا في النسب **حتى**

Copyright © King Saud University

حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى حتى اذا تلاحقوا واجتمعوا فى النار وادرك بعضهم بعضا واستقروا
فيها واصله تداركوا ادغم التاء فى الدال وجئ بهمزة الوصل للابتداء فصار اداركوا قالت اخراهم
لاولاهم قال ابن عباس يعنى قال اخر كل امة لاولها وقال السدى قال اخراهم الذين كانوا فى اخر الزمان
لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعنى قال اخراهم دخولا فى النار وهم الاتباع و
السفلة لاولاهم دخولا ومنزلة وهم المتبوعون والقادة والرؤس وقول المقاتل هو مختار السلطان
لان القادة يدخلون النار قبلا وان الخطاب مع الله لا مع المتبوعين ربنا اى يا ربنا هؤلاء
اضلونا يعنى يقول الاتباع يا ربنا هؤلاء الرؤساء والقادة اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان
وسنوا لنا الضلال فاقتدينا وقيل انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين
من اسلافهم فسلكوا سبيلهم فى الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة
فلما كان يوم القيمة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء اضلونا لانا اتبعناهم سبيلهم
فآتهم اى اعطهم عذابا ضعفا مضاعفا على عذابنا من النار اى اضعف لهم العذاب
لانهم ضلوا واضلوا قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشئ مرة واحدة قال الازهرى والذى قال ابو عبيدة
هو ما يستعمله الناس فى مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربى مبين ويرد تفسيره الى موضوع كلام العرب
والضعف فى كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز فى كلام العرب هذا ضعفه اى مثلاه
وثلاثة امثاله لان الضعف فى الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشياء به ان يجعل عشرة امثاله وقيل
الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج فى تفسير هذه الاية فآتهم عذابا ضعفا
اى مضاعفا لان الضعف فى كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون فى معنى تضعيف الشئ
اى زيادته قال يعنى قال الله لكل ضعف يعنى للاولى منكم ضعف وللاخرى منكم ضعف وقيل معناه للتابع
ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا فى الكفر جميعا وفى جامع الاسرار للقادة ضعف بالكفر والاضلال
وللاتباع ضعف بالكفر والاقتداء يعنى ليس المراد به تضعيف ما يستحقه كل واحد لانه ظلم وما الله
يريد ظلما للعباد بل المراد به تضعيف عذاب الضلال بان يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد ولكن
لا تعلمون قرأ العامة بتاء الخطاب وقرأ ابو بكر عن عاصم بياء الغيبة فمن قرأ بالتاء فمعناه لا تعلمون
ايها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب ومن قرأ بياء الغيبة فالمعنى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب
الفريق الاخر وقالت اولاهم يعنى فى الكفر وهم القادة والرؤساء لاخراهم يعنى للاتباع فما كان لكم
علينا من فضل لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وانتم سواء يعنى قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما
كفرنا وقيل فى معنى الاية وقالت كل امة سلفت فى الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل
من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا
اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالكم وكفركم فذوقوا العذاب وهذا
يحتمل ان يكون من قول الرؤساء للاتباع والامة الاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل ان يكون
من قول الله تعالى والمعنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعنى بسبب ما كنتم تكسبون
من الكفر والاعمال الخبيثة قال الامام فى التفسير الكبير ان قول القادة ليس لكم علينا من فضل كذب لان

لان الرؤساء لهم عذاب الضلال والاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية
قول الكفار يوم القيمة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا
ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم
على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا بسبب الضلال وقبول قول الرؤساء الضالين المضلين
ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال ان الذين كذبوا بآياتنا يعنى كذبوا بالدلائل
التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا قال الاستاد هذا من تمام وعيد الكفار والمراد بالآيات
الدلايل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اى وتكبروا عن
الايمان بالايات والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا
لا تفتح لهم ابواب السماء يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم
الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد
الى الله الكلم الطيب والعمل الصالح قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تفتح ابواب السماء لارواح الكفار
وتفتح لارواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح
ابواب السماء لارواحهم ولا لاعمالهم روى الطبرى بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر فانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة
الا قالوا ما هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا
بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقيل فى معنى الاية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء
فاذا لم تفتح لهم ابواب السماء فلا ينزل من البركة والخير والرحمة شئ قال السيوطى مكية ومعناه اذا عرج
بارواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن فيفتح له وتصعد بروحه الى السماء السابعة
كما ورد فى حديث وفى جامع الاسرار انه جاء فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها
ابوابها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى ينتهى الى السماء الرابعة ويستفتح
لروح الكافر فيقال ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء بل تهوى بها الى سجين تحت الصخرة الخضراء التى
تحت الارضين قرأ الجمهور لا تفتح بتاء التانيث لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وابو عمرو بضم التاء
الفوقانية والتخفيف وحمزة والكسائى بالياء التحتانية والتخفيف لان التانيث غير حقيقى والفعل
مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء من فوق على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل
لله فالابواب على القراءة الشاذة مفعول به وعلى ما تقدم مفعول ما لم يسم فاعله ولا يدخلون المكذبون
بايات الله الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى يدخل البعير فى ثقب الابرة فكانه
قيل لا يدخلون الجنة حتى يوجد هذا المستحيل يعنى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم عند العرب فيما هو
مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذلك ما توقف عليه وهذا كقولك لا آتيك
حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلى وصار القار كاللبن
الحليب الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط

Copyright King Saud University

والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات لانه
اكبر من ساير الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال واحلام العصافير ووصف
من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل وقرئ بضم الجيم وتشديد الميم الجمل كالقمل والجمل كالنغر
اسم طريق الجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالجبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل
السفينة وقرئ سم بالضم والكسر وفي سم الخيط **وكذلك نجزي المجرمين** اي مثل ذلك الجزاء
الفظيع الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين الكاملين في الاجرام لانه تقدم من صفتهم انهم
كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار ولما
بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ما اعد لهم فيها فقال
تعالى **لهم من جهنم مهاد** اي لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد المتمهد الذي يقعد
عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط **ومن فوقهم غواش** جمع غاشية وهو الغطاء كاللحاف
وغيره ومعنى الاية الاخبار عن احاطة النار بالكفار من كل جانب يعني من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن
كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواشي اللحف وقال البراء بن عازب قال النبي
صلى الله عليه وسلم فرش الكافر لوحان من نار في قبره فذلك قوله لهم من جهنم مهاد اي تمهد لهم النار
فتكون مهادهم فبئس المهاد ومن فوقهم غواش مثل الكبات من النار وجهها والنحاة في الجمع الذي على فواعل
اذا كان منقوصا حذف لامه خلاف هل هو منصرف او غير منصرف فذهب غير الخليل وسيبويه الى انه منصرف
والتنوين الذي فيه تنوين التمكن لانه قد زال صيغة منتهى الجموع فصار وزنه وزن سلام وجناح فانصرف
وذهب الخليل وسيبويه الى انه ممنوع من الصرف والتنوين الذي فيه ليس تنوين التمكن حتى يمنع من الصرف
بل تنوين عوض عن الياء المحذوفة عندهما وعن حركتها عند المبرد فالسين مكسور تقديرا وبعض العرب
يعرب غواش ونحوه بالحركات على الحرف الذي قبل الياء المحذوفة ولذلك قرئ ومن فوقهم غواش برفع
الشين على الفاء المحذوف والتنوين في مهاد وغواش للتعظيم والتهويل **وكذلك نجزي الظالمين**
اي مثل ذلك الجزاء بالنار نجزي الظالمين انفسهم بترك الايمان واختيار الشرك عبر عنهم تارة بالمجرمين
وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الصفات الذميمة وفي الغاية وكذلك
نجزي الظالمين اي العابدين غير الله وهذا الحكم اخص من الاول اذ لا يلزم من عدم دخول الجنة دخول
النار انتهى ثم عقب الوعيد بالوعد فقال **والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا**
وسعها والمعنى والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله اليه وتنزيله عليه
من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يعني
لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها
ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني ان الذي افترض
عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود وقال اكثر اصحاب
المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس
هذا

هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم
وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا
مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعايد محذوف كانه قال
لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العايد للعلم به وقرئ لا تكلف نفس بالرفع وقوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني نخرج من قلوبهم اسباب العداوة او نطهرها منه حتى
لا يكون بينهم الا التوادد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم قال البغوي وكذلك معناه اخرجنا ما في صدورهم من غش وعداوة كانت بينهم في
الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض
ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعها ان ترد على القلب روي عن علي
رضي الله عنه ايضا انه قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة
فو الذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه
الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا
من احدهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم
نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في العلو والكمال
فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزعه
من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا القول كيف يعقل بان
الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محروم عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه
ولا يغتم بسبب حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد بازالة
الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى يكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال زيادة
من الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد ابدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته وقوله تعالى
تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وتوفير الحظ الباصرة مع انه يسري سروره
الى ساير الحواس ويذهب عن القلب الحزن واراد من تحتهم اي من تحت قصورهم والجملة حال من الضمير
في صدورهم **وقالوا** عند الاستقرار في منازلهم **الحمد لله الذي هدانا لهذا** اي لما جعله هذا
جزاؤه يعني ارشدنا لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان وصرف عنا عذاب جهنم بفضله
وكرمه **وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله** يعني وما كنا لنرشد العمل الذي هذا ثوابه لولا
ان ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنته وكرمه وفي الاية دليل على ان المهتدي من هداه الله تعالى
ومن لم يهد الله فليس بمهتد وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها جملة مبينة للاولى وعلى قراءة الجمهور
الجملة اعتراضية للتاكيد فلا يحتاج الى العطف الموذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك

قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم راوا ما وعدهم الرسل عيانا فهو اعترافهم
بعد عين اليقين كما اعترفوا في الدنيا بعد علم اليقين ايضا حيث جعله واسطة لهدايتنا فاهتدينا الى
هذا بارشادهم يقولون ذلك بينهم اغتباطا بما نالوا وسرورا بما شاهدوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا
وتعبدا لان الجنة ليست دار التكليف وحكى الله تعالى عنهم ذلك لتكون حكايته لطفا لمن سمع
ونودوا ان مخففة اي انه او مفسرة في المواضع الخمسة الاتية تلكم الجنة يعني ونادى
مناد عند روية اهل الجنة الجنة من بعيد او بعد دخولهم فيها ان هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم
بها في الدنيا واختلفوا في المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملئكة ينادون بامر الله تعالى عن ابي
سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة
نادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون رواه مسلم وقوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم بمقابلة اعمالكم
الصالحة في الدنيا روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل
في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المومن منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة
زاد في رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء
وسمى المومن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال اورثتموها يعني
ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة كما ان
الميراث يؤول الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوابا
لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما
يدخلونها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل
الصالح لن يناله المومن ولم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسببية الرحمة كان
دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في
دار الدنيا والله اعلم قال السلطان والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم وهو حال من الجنة والعامل فيها
معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر والجنة صفة والخبر اورثتموها وقال الاستاد رحمه الله ان
المعتزلة خالفوا الله فيما اخبر نحا عليه السلام وكلام اهل الجنة والنار وابليس لانه قال تعالى يضل من
يشاء ويهدي من يشاء وقال نوح ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
وقال اهل الجنة ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقال اهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس
فبما اغويتني وقد تم نظير هذا لما شرع وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور
بين الفريقين فقال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اي ونادى اهل الجنة اهل النار
توبيخا وتبكيتا لهم وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وانما ذكره
بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه موجب تحققه ووقوعه كالماضي اي يقول اهل الجنة
يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا على السن رسله من الثواب على الايمان به وبرسله
وطاعته

وطاعته حقا اي ثابتا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من
العذاب والعقاب على الكفر حقا صدقا قالوا نعم اي قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة
نعم وجدنا ذلك حقا وصدقا وقرا الكسائي حيث كان والباقون بفتحها قال الاستاد فان قلت هذا النداء
من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه
من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء
وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب
ويحتمل ان يكون ذلك حين يرميهم النار الى الهواء حتى يقرب الى اهل الجنة فيكلمهم وقدرة المحيط المحيط
بكل شي ومن اراد ان يعلم احوال الجنة والنار بالتفصيل فليطالع غنية شيخنا وامامنا وقدوتنا
ومرشدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره وقوله عز وجل فاذن موذن بعد استقرار الفريقين
وانقضاء تلك المحاورة بينهم يعني نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادي من الملئكة وقيل انه
اسرافيل عليه السلام ذكره الواحدي ان لعنة الله على الظالمين اي يقول الموذن لعنة الله
على الظالمين وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد ونصب اللعنة
وقرئ ان بالكسر والتشديد والباقون بتخفيف ان ولعنة الله رفعا ثم فسر الظالمين منهم فقال تعالى
الذين يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في الاسلام و
يبغونها عوجا اي يطلبون لسبيل الله زيغا وميلا الى الباطل يعني يحاولون ان يغيروا
دين الله وطريقته المستقيم التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله
ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلوة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه
فاخطاوا الطريق وضلوا عن السبيل وهم بالاخرة كافرون اي وهم بالدار الاخرة وكونها
واقعة جاحدون منكرون لها ثم لما كانت مناداة الفريقين منبئة عن القرب بينهما وظنة ان
بينهم وصول نفح الجنة الى اهل النار ونفحها الى اهل الجنة دفعه بقوله عز وجل وبينهما اي
بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب او بين الجنة والنار ليمنع وصول احدهما
عن الاخرى حجاب اي حاجز مانع عن الادراك والمراد به ههنا السور المذكور في قوله
فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف
حجاب بين الجنة والنار وقال السدي بينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وعلى الاعراف
قال السيوطي هو سور الجنة رجال اي وعلى اعراف الحجاب المذكور اي على اعالي ذلك الحجاب اعني
السور المضروب بينهما جمع عرف وهو اعلى السور مستعار من عرف الفرس والديك وقيل العرف
ما ارتفع من الشي فانه يكون بظهوره اعرف من غيره وقال ابن عباس الاعراف الشي المشرف وعنه
قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من
اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين اخبر الله عنهم انهم على
الاعراف وما السبب الذي من اجله صاروا هنالك فروي عن حذيفة انه سيل عن اصحاب الاعراف

Copyright King Saud University

فروى عن حذيفة انه سُئِل عن اصحاب الاعراف فقال هم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم
فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى
الله فيهم وقال البيضاوى رجال من المومنين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم
ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء واخيار المومنين وعلماؤهم او ملئكة يرون فى صورة
الرجال انتهى قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة
ولا من اهل النار لكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس فى الاخرة دار الا الجنة او النار وقال
ابن مسعود يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته
اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن استوت حسناته وسيئاته
كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا
الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظلمين فهناك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون
فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود ان العبد اذا عمل حسنة كتبت له بها عشر واذا عمل سيئة
لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من غلب وحدانه اعشاره وقال ابن عباس الاعراف سور
بين الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا
اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ
ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم تبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت
الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى قال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لهم
لكم الذى تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون
مساكين اهل الجنة ذكره ابن الجوزى فى تفسيره وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا
فى الغزو بغير اذن اباءهم ورواه الطبرى بسنده الى يحيى بن شبل مولى لبنى هاشم عن محمد بن عبد الرحمن
عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لاباءهم
فمنعهم قتلهم فى سبيل الله عن النار ومنعهم معصية اباءهم ان يدخلوا الجنة زاد فى رواية فهم
اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزى انهم قوم رضى اباؤهم دون امهاتهم او امهاتهم دون اباءهم رواه
عن ابراهيم وذكر عن ابى صالح مولى التوءمة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا
فى الفترة وفيه بحث لان اخر امر اصحاب الاعراف الجنة وهولاء الذين ماتوا فى الفترة الله اعلم
بحالهم وهو متولى امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه
الى القول الذى قبله لانه داخل فى حكمه فهذه الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة
فى الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون
فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة وليرى غيرهم شرفهم
وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانبارى وانما اجلسهم الله على ذلك المكان العالى
تمييزا لهم على ساير اهل القيمة واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة
والنار ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب

الاعراف

٨

سورة الاعراف

الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعنى يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابى مجلز ان الله
تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملئكة فقال ان الملئكة ذكور ليسوا باناث وضعف
الطبرى قول ابى مجلز قال لان لفظ الرجال فى لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بنى ادم دون اناثهم
ودون ساير الخلق اقول وفى قول ابى مجلز بُعْدٌ عن الحق لان الله قال فى حقهم لم يدخلوها وهم
يطمعون وان الملئكة لا يمنعون من الجنة لعدم عصيانهم وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف
افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله فى ذلك المكان العالى ليميزوا بين
اهل الجنة واهل النار والله اعلم بمراده واسراره وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم يعنى ان اصحاب
الاعراف يعرفون اهل الجنة واهل النار فى محفل القيمة بسيماهم اى بعلامتهم التى اعلمهم الله كبياض الوجه
وسواده اذ موضعهم عال وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملئكة والسيماء العلامة الدالة على الشئ
قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا راوا اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا راوا اصحاب النار عرفوا
بسواد الوجوه ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعنى نادى رجال الاعراف حين
راوا اصحاب الجنة انه سلام عليكم يعنى سلمتم من الافات وحصل لكم الامن والسلامة وهو تهنية منهم
لاهل الجنة بنجاتهم من المكاره وفى الغاية وهذا السلام حين دخولهم الجنة او بعده وقال البيضاوى
اى اذا نظروا سلموا عليهم لم يدخلوها حال من فاعل نادوا اى نادوهم ولم يدخل اصحاب الاعراف
الجنة والحال وهم يطمعون اى حال كون اصحاب الاعراف طامعين مترقبين لدخول الجنة قال
الحسن لم يطمعهم الا لكرامة يريدها بهم وعن الحسن بعبارة اخرى ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة
يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد
غفرت لكم وبرواية اخرى عن الحسن الذى جعل الطمع فى قلوبهم يوصلهم الى ما يطمعون قلت فعلى هذا فالطمع
هنا مجاز واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اى واذا قلبت وميلت ابصار
رجال الاعراف تلقاء اصحاب النار وجهتهم ووجاههم وحيالهم وفيه ان صارفا يصرف ابصارهم
الى جهة اهل النار لينظروا الى سواد وجوه اهل النار وما هم فيه من انواع العذاب قالوا اى اصحاب
الاعراف حينئذ متعوذين بالله تعالى ربنا لا تجعلنا فى النار مع القوم الظلمين
اى الذين ظلموا انفسهم بالشرك قال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم قالوا ربنا الاية
والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه ان لا يجعلهم
منهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعنى ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء فى الدنيا
وهم روساء الكفار فى النار يعرفونهم بسيماهم يعنى يعرفون اصحاب الاعراف اولئك الرجال
بعلامتهم معرفة سابقة فى الدنيا او كما ذكرنا بسواد وجوههم وزرقة اعينهم مع العلامة السابقة
فى الدنيا قالوا اى قالوا اصحاب الاعراف لهولاء الذين عرفوهم فى النار ما اغنى عنكم من النار
وما اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اى كثرة اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال
والاولاد وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اى وما اغنى عنكم وما افادكم تكبركم على الخلق وعن
قبول الحق وقرى تستكثرون من الكثرة اى من الاموال والجنود قال الكلبى ينادونهم وهم على السور

يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء
والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب
الاعراف لاولئك الكفار اهؤلاء لفظ استفهام يعني هؤلاء الضعفاء الذين اقسمتم اي حلفتم
بالله وانتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة يعني انكم يا جمع اهل النار حلفتم بالله بان هؤلاء
الضعفة لا يدخلهم الله جنته وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى اي الملئكة بامره سبحانه لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضلي ورحمتي لا خوف عليكم يا اهل الاعراف فيما يستقبل من النار
ولا انتم تحزنون على ما مضى وقرئ ادخلوا على بناء المجهول وقرئ دخلوا على الاستيناف وتقديره
دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال
لهم اهل النار ان اولئك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيروهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون
الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملئكة لاهل النار اهؤلاء يعني اصحاب الاعراف الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة ثم تقول الملئكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
وفي الغاية ولما اطلع اصحاب الاعراف الفقراء والضعفاء بصدد الدخول الى الجنة قالوا للكفار اهؤلاء
الذين بصدد الدخول الى الجنة اقسمتم الخ ثم التفتوا الى ناحية الفقراء المترصدين ومتهيئين لدخول الجنة
بعلامة ظاهرة ادخلوا الجنة والله اعلم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء قال ابن عباس رضي الله عنه لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا
يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراباتهم
في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد
وجوههم فينادي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد
احترقت افض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل
النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء باهل النار وما يرون ويلقون
من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل
النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء او مما رزقكم الله يعني
مما رزقكم الله ولو سعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
اي منعهما منع المحرم عن المكلف وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا
في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الاخرة بشدة الجوع فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من
طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال
عز وجل الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي جعلوا دين ابيهم اسماعيل عليه السلام عبثا
يلعبون فيه كتحريم البحيرة والتصفيق والصفير حول البيت يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم
ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت
عنه قال ابن عباس هم المستهزؤن اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به اغترارا
بالله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا اي خدعتهم تزيين الباطل للوقوع فيه قال الشيخ يعني

خدعتهم

رضوا عنهم عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان
بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة
في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل
له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا ولذاتها وما هو فيه من ذلك ولما
وصفهم الله بهذه الصفات الذميمة قال فاليوم اي يوم القيمة ننساهم اي نفعل بهم فعل الناسين
اي نتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا اي كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له ولم يهتموا به حاصله فاليوم نتركهم جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم
هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي وما كانوا باياتنا يجحدون معطوف على ما نسوا
وما فيهما مصدرية ويجوز ان يكون الكاف في كما نسوا للتعليل والمعنى اي لنسيانهم وكونهم جاحدين
بايات الله حاصله ونتركهم في النار كما كانوا ابدا يرون حل اياتنا يكذبون وقال الاستاذ اي وكما كانوا
منكرين انها من عند الله قلت وتلخيصه نجازيهم بمثل ما فعلوا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
اي ولقد جئنا هؤلاء الكفار يعني اهل مكة بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد بينا معانيه من العقايد
والاحكام والمواعظ والحلال والحرام والقصص مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله وتبيينه
حتى جاء محكما وفيه دليل على انه عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي
على ساير الكتب عالمين بفضله قال الاستاذ ومعناه اي بيناه على علم منا بما نفصله ونبينه هدى
ورحمة حال من منصوب فصلناه يعني جعلنا القران هاديا وذا رحمة لقوم يؤمنون بالقران
لانهم المنتفعون به لا غير هل ينظرون الا تاويله يعني ما ينتظرون هؤلاء الكفار الذين كذبوا
باياتنا من اهل مكة وغيرهم وجحدوها وانكروها استكبارا ولم يؤمنوا بها الا تاويل الكتاب ومعنى
تاويل الكتاب اي ما يؤول اليه امر الكتاب من تبيين صدق الكتاب بظهور صحة ما نطق به الكتاب من
الوعد والوعيد قال مجاهد يعني تاويله اي جزاءه وقال السدي عاقبته ومعناه هل ينتظرون
الا ما يؤول اليه امرهم من العذاب ومصيرهم الى النار والحاصل ما ينتظرون ويتوقعون اهل مكة الا
ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم ومالهم الى النار يوم ياتي تاويله اي يوم
يتبين صدق الكتاب بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد وهو يوم القيمة لانه يوم الجزاء وما يؤول
اليه امورهم وشانهم يقول الذين نسوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالكتاب ولم يؤمنوا
به في الدنيا عند معاينة العذاب يوم القيمة قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم
جاؤا بالصدق وظهر ما اخبروا عنه يعني اقروا على انفسهم بحقية الكتاب والرسل حين لا ينفعهم
ذلك الاعتراف والاقرار لانهم شاهدوا ما نطق به الرسل من الحشر والنشر والبعث يوم القيمة معاينة
وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب قالوا بعضهم لبعض فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص والنجاة
مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب
او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة

بالطاعة والانابة فيقال لهم لا قال الله تعالى قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم الى الكفر والمعاصي
يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا ولو ردوا
لم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله
فيهم وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا
من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الاخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين
ان ربكم الله يعني لما عير رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفار على عبادتهم الاصنام فقالوا
من ربك يا محمد فنزل ان ربكم الله يعني ليس ربكم ومدبركم وحافظكم ما عبدتم من الاصنام
والكواكب والملائكة والجن بل كل ذلك مربوب ومخلوق محتاج الى مدبر وحافظ بل ربكم وحافظكم
وسيدكم وما لككم ومصلح اموركم ويوصل الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكاره الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات وانما فسرنا بالاوقات لان الايام لا تتحقق
الا بعد خلق السموات والارض والشمس والقمر قبل ذلك او خلق في مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف
زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حين خلق السموات والارض وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على
ايجادها دفعة دليل على انه سبحانه فاعل بالاختيار وارشاد للعباد على التاني والتثبت في الامور خلقا
باخلاق الله وفي اللباب اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشي من غير اصل سبق
ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض في ستة ايام يعني ابدعهما وانشا خلقهما على غير مثال
سبق وقدر اجالهما في ستة ايام فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان هو من طلوع الشمس
الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف
العلماء في اليوم الذي ابتدا الله عز وجل خلق الاشياء فيه فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحاق وغيره
ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق
الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وخلق الدواب يوم الخميس وخلق
ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث
وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول
خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الحديث
وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلماء وقد ذكر الازهري
في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي الحديث فقال وقال الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى
ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات
والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد
قال

قال بدئ الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وبدئ الخلق يوم الاحد
والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم
من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده
قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتدا الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن
في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله عز وجل خلق التربة التي هي الارض
بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين
وهما الثلاثا والاربعا ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج ماءها ومرعاها وخلق دوابها
ووحشها وجمع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم في يوم الجمعة اخر الخلق في
اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها
وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثا ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعا والخميس وخلق ادم يوم الجمعة
واسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما
خلق الله القلم ثم اللوح فكتب ما فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيمة ثم خلق
الظلمة والنور ثم خلق العرش من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس
وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب
وغير ذلك ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط الى الارض فتكامل
جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا
فان قلت ان الله عز وجل قادر على ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى
وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا
معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتاني
في الامور كما في الحديث التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشي اذا احدث دفعة واحدة
فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيئا بعد شي
على سبيل الحكمة والمصلحة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله اراد ان يوقع في
كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت
ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما اظهر قدرته في خلق الاشياء
بكن فيكون وفي بعض التفاسير ان المراد بالسموات والارض وما بينهما كذلك وقد فصلها في حم السجدة
اي من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا وللاعلام بالتاني في الامور وان لكل عمل يوما ولان
انشاء شي بعد شي ادل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته ثم استوى
على العرش وفي الغاية اي بعد ما كمل خلق الاشياء اجرى احكامه على الموجودات اسعادا
واشقاء واماتة واحياء لان ذاته تعالى وان كانت قديمة لم تزل ولكن اثار سلطنته انما ظهرت بعد ظهور
الاشياء ووجودها فمثل حاله بحال ملك جلس على سرير ملكه للنظر في شان من تحت حكمه والقول

ان العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام مما لا دليل عليه شرعاً وان ثبت ان عرش الرحمن فوق
السموات جسم نوراني عظيم انتهى وبهذا التفسير كان يفسر شيخنا محمد شريف رحمه الله حين قرأت
عليه سورة الم السجدة وفي اللباب العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمي مجلس السلطان
عرشاً اعتباراً بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان
ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله
عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس كما يذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك
لكان حاملاً له تعالى عن ذلك علواً كبيراً وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكوكب
واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف
وضعفها كلها وقال اما الاستواء فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم
في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند الامام مالك بن انس فدخل رجل فقال
يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك واخذته الرحضاء ثم رفع
راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل
سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجاء
رجل يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك براسه حتى علاه الرحضاء
ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعاً
فامر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه
فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل
مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي قال
البغوي اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به
الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري
والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات
التي جاءت في الصفات المتشابهات امروها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلائل
العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز
وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة
ولا نخوض في تاويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله عز وجل وهو الذي قررناه في تفسير قوله
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول
به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال
فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال
ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى
على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته
وكيفية تدبير العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال

قدرته

أي الاستواء على العرش [3]
أي دون شكل [3]
أي كقعودنا على خشب مثلاً [4]
أي العرش [5]
أي يعني مذهب اصحاب الحديث يعني محمد بن ادريس رحمه الله [6]
أي سكوتهم [7]
أي البيهقي [8]
أي العرق [9]
أي عن الله تعالى [12]
أي الانس والله اعلم [13]
أي والسكوت عنه تفسيره كما تعالى جواب الاحمق السكوت [14]

قدرته ونحو ذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال ويدل على
هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على
العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستولياً على الملك قبل خلق السموات والارض
والله منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح ان
يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه
بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة
وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر ❁ ثم استوى بشر على العراق ❁ من غير سيف
ودم مهراق ❁ وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات
ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في
ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكاً للاشياء كلها ومستولياً عليها فاي تخصيص للعرش
هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلاً
سماه استواء كما فعل في غيره فعلاً سماه رزقاً ونعمة او غيرها من افعاله ثم لم يكيف الاستواء الا انه
جعل من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال
الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا
انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا نريد بذلك علواً بالمسافة والتحيز والكون في المكان
متمكناً فيه ولكن نريد معنى نفي التحيز وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك
طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت
بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض
اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشياء
باين منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا
عن الحلول والمماسة علواً كبيراً وقد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه
وروى ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال
انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك
العرب لا تقول استولى على الشيء فلان حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى
عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر ومن اراد زيادة معرفة فليطالع
كتاب غوث الثقلين الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره المسمى بالغنية وقال البيضاوي
معناه اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة بلا كيف والمعنى ان له استواء
على الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدبير تنزل منه وقيل الملك انتهى قال بعضهم استوى
اي استولى على العرش اضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه مستولياً على جميع المخلوقات لان
العرش اعظمها واعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما يقوله المشبهة باطل لانه تعالى

أي بمعنى غلب واستولى [2]
أي استوى [3]

كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لان التغير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق
والحسن ومالك وابي حنيفة رحمهم الله ان الاستواء معلوم والتكييف عنه مجهول والايمان به واجب
والجحود به كفر والسوال عنه بدعة اوكد وقياس من قاس الصفات الازلية على الصفات الزوالية
غير منتظم لعدم الجامع اذ البارى تعالى مقدس عن الانتقال والحلول وانما خلق العرش ليعلم المتعبدون
الى اين يتوجهون بقلوبهم بالعبادة والدعاء في السماء كما خلق الكعبة ليعلم الى اين يتوجهون بابدانهم
في العبادة في الارض ومن لم يفرق بين معنى حى على الصلاة ومعنى حى على المقايل والشهوات لم يفرق
بين معنى الشمس والامس نبهنا الله عن نوم الغفلة وفي التبصرة ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض فلا يبعد عليه ابطال هذه الاحجار وخلق دون رجا لغيرها اذ ليست قديمة ولا مخلوقة
في يوم واحد بل في ستة ايام لترتب ما فيها فخلق الافلاك ثم الكواكب ثم العناصر ثم المعادن ثم
النباتات ثم الحيوانات ثم استوى على العرش ليفيض عليها بواسطة الحركة اليومية وبهذه الحركة
يغشى الليل النهار يعني انه تعالى ياتى بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنور النهار
اى يغطى ايته ويستر النهار بالليل ولم يذكر عكسه يعنى يغشى النهار الليل للعلم به اولان اللفظ يحتملهما
ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر و
حفص هنا وفي سورة الرعد يغشى مخففا من اغشى على افعل والباقون على التشديد للتكثير سبحان من يكور
النهار على الليل ثم لما كان احدهما لا ينفك عن الاخر قال **يطلبه** اى يطلب كل منهما الاخر **حثيثا** يعنى
سريعا وذلك اذا كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكانه يطلبه قال الامام الرازى امام المفسرين ووجه
اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استواءه على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال ملكه واطراد
تدبيره بين ذلك في عيان وشهود بان اراهم اياه فيما يشاهدونه من اثار ملكه وتصرفه لينضم العين
الى الخبر ويتضح المقصود كمال الاتضاح وتزول الشبهة عن كل الجهات وجعل تعاقب الليل والنهار الى اخر
مدة الدنيا ولو انقطعت الحركات المتعاقبة المتواصلة لانتقض انتظام العالم ثم انه تعالى وصف هذه الحركة
بالسرعة والشدة لانها انما تحصل بحركة الفلك الاعظم فتلك الحركة اشد الحركات سرعة واكملها شدة حتى
ان الباحثين عن احوال الموجودات قالوا الانسان اذا كان في العدو الشديد الكامل الى ان يرفع رجله ويضعها
يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل فلا جرم يكون التعاقب المتفرع على مثل هذه الحركة الشديدة في
غاية السرعة فلهذا السبب قال الله تعالى حثيثا ثم اعلم ان الشمس لها نوعان من الحركة احدهما حركتها
لا بواسطة حركة العرش وهى انما تتم في سنة كاملة وبسبب هذه الحركة تحصل السنة والنوع الثانى
حركتها بسبب حركة العرش وهذه الحركة تتم في اليوم بليلته فالكان الليل والنهار لا يحصلان
بسبب حركة الشمس بل يحصلان بسبب حركة العرش ذكر الله قوله يغشى الليل النهار عقيب ذكر العرش
بقوله ثم استوى على العرش تنبيها على ان سبب حصول الليل والنهار هو حركة العرش الاعظم لا حركة
الشمس والقمر **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** هو امر تكوين قرا ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر وقال في الغاية وهذه القراءة هى المختار لكونه ابلغ في القدرة ولعدم احتياجه الى
تقدير العامل والباقون بالنصب عطفا على قوله خلق السموات والارض اى خلق هذه الاشياء مسخرات

من ثلاث جاريات في مجاريها بامر الله وقضائه وارادته وتكون المسخرات على قراءة النصب حالا
من هذه المفاعيل وقوله بامره متعلق بمسخرات اى بقضائه وتصريفه وارادته لها في ذلك بدأ
بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر كالنايب وثلث بالنجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان
النهار والقمر سلطان الليل والشمس للتسخين والقمر للترطيب فاختصاص جرم الشمس بالنور القاهر
والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوى والسفلى وكذا تخصيص كل واحد من ساير
السيارات ومن الثوابت بقوة اخرى لا بد ان تستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات
بامره اى ليس لهن تاثيرات من انفسهن **الا له الخلق** جميعا **وله الامر** اى هو الذى خلق
الاشياء وله الامر كله يعنى لا خلق ولا تاثير ولا تصرف لغير الله تعالى اما الخلق لانه خلقهم وله الامر اى
وله ان يامر فيهم بما اراد من التسخير والترطيب وغير ذلك وله ان يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا
المعنى الامر هنا الذى هو نقيض النهى واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل
غير مخلوق فقال ان الله فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعنى ان من جعل الامر الذى هو
كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في
العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجرى بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشاها
فلا يبقى بعد هذا لاحد شئ وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفي الاية
دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل وفيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات في هذا
العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس
لاحد امر غيره فهو الامر والناهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه قال
الامام قوله الا له الخلق والامر وهو اشارة الى ان كل ما سوى الله تعالى اما من عالم الخلق او من عالم
الامر اما الذى هو من عالم الخلق عبارة عن التقدير فكل ما كان جسما او جسمانيات كان مخصوصا بمقدار
معين فكان من عالم الخلق وكل ما كان بريا من الحجمية والمقدار كان من عالم الارواح ومن عالم الامر فدل
على انه تعالى خص كل واحد من اجرام الافلاك والكواكب التى هى من عالم الخلق بملك من الملئكة وهم من عالم
الامر والاحاديث الصحيحة مطابقة لذلك وقد روى في الاخبار ان لله ملئكة يحركون الشمس والقمر عند الطلوع
والغروب وكذا القول في ساير الكواكب وايضا قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الى ان الملئكة
الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ثم اذا دققت النظر علمت ان عالم الخلق في تسخير الله وعالم الامر
في تدبير الله تعالى واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله فلهذا المعنى قال الا له الخلق والامر
قال الاستاد قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن ملك او فلك او جنى او انسى فخالق ذلك الاثر هو الله تعالى
وحده لقوله الا له الخلق والامر وقوله خلقكم وما تعملون ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا كان الثانى
مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم بوجه من الوجوه اصلا ومن قال بالتاثير نكفره وان
القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما تزعمه الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وذكر شيخنا
عبد القادر الجيلانى قدس سره في غنيته ما نصه وروى عبد الله بن عبد الغفارى عن انس عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال اذا ذكر القران فقولوا كلام الله غير مخلوق فمن قال مخلوق فهو كافر وقال عز وجل الا

Copyright © King Saud University

له الخلق والامر ففصل بين الخلق والامر فلو كان امره الذى هو كن الذى به يخلق الخلق مخلوقا لكان ذلك
تكرارا وعبثا لا فايدة فيه كانه قال الا له الخلق والخلق والله يتعالى عن ذلك ومن اراد بيان ذلك فليراجع
غنيته ففيه الشفاء وانما اطلق الخلق والامر ليعلم انه تعالى لو اراد خلق الف عالم مثلا بما فيه من العرش
والكرسى والكواكب فى اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات
ولما بين ان له الخلق والامر ذكر انه يستحق الثناء فقال **تبارك الله رب العالمين** اى تعالى
بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية قال الشيخ تبارك الله اى تمجد وتعظم وارتفع ومعنى
البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله رب العالمين يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم
وذلك ان الله افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات وذكر اشياء من عظيم خلقه وان
له الخلق والامر والنهى والقدرة عليم ختم الاية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء
والتعظيم وقال ابن عباس معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل
معناه تبارك باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل
البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف ثم امر عباده بان
يدعوه متذللين مخلصين فقال **ادعوا ربكم** قيل اعبدوا ربكم لان الدعاء طلب الخير من الله وهذه صفة
العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه
وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح والمراد به هنا لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من انواع العبادة
لان الداعى لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله
وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعى فعند ذلك
يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى **تضرعا**
يعنى ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهما اظهار الذل الذى فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان
اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا حقيقته ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين
بالدعاء له تعالى **وخفية** يعنى سرا فى انفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء ان يكون
خفيا لهذه الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون
يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك انه تعالى يقول ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وان الله ذكر عبدا صالحا ورضى فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا **ق** عن ابى
موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا
وهو معكم والذى تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا
بالله فى نفسى فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول
ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم يعنى ارفقوا بها واقصروا عن الصياح فى الدعاء
قال البيضاوى بيض الله وجهه بنوره معنى تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء
دليل الاخلاص قلت تلخيصه اى ادعوا ربكم متضرعين متذللين ذوى خفية كيلا يشوب الدعاء مع الرياء

فان الاخفاء

فان الاخفاء دليل الاخلاص وفى الجامع وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى وفى
الامالى وعنه صلى الله عليه وسلم يفضل دعاء السر على الجهر بسبعين ضعفا **انه لا يحب المعتدين**
فى الدعاء بالتشدق ورفع الصوت اى المجاوزين لما امروا به فى الدعاء وغيره قال ابو مجلز هم الذين يسألون
منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم انى اسئلك القصر الابيض عن يمين الجنة
اذا دخلتها قال اى بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتداء
رفع الصوت والنداء والصياح فى الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد فى كل شئ فكل من خالف امر الله ونهيه
فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين قلت ومن الداخلين تحت هذا الوعيد جهلة الناس
المزقيين للطمع المترصدين فى المواجهة الشريفة الرافعين اصواتهم فى الدعاء بحيث يشوش على
المعتكفين فى الروضة والله المستعان وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا
وخفية هل الافضل اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء العبادة والطاعات افضل
من اظهارها لهذه الاية ولكونها ابعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدى به
الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن على الحكيم الترمذى فقال ان كان خايفا على نفسه من الرياء
فالاولى اخفاء العبادات صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين الى
التمكين بحيث صار مباينا عن شائبة الرياء كان الاولى فى حقه الاظهار لتحصل فايدة الاقتداء
به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفائها فصلاة المكتوبة فى المسجد
افضل من صلاته فى بيته وصلاة النفل فى البيت افضل من صلاتها فى المسجد وكذا اظهار الزكاة افضل
من اخفائها واخفاء صدقة التطوع افضل من اظهارها ويقاس على هذا ساير العبادات انتهى
قلت واما فى زماننا فمنهم من انكر ذكر الجهر مطلقا ومنهم من انكر الاخفاء مطلقا والحق مسطور قبل والله
المستعان وقال عطاء فى معنى الاية هم الذين يدعون بما لا يحل وعلى المؤمنين فيقولون اللهم اخزهم
اللهم العنهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى
اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم تلا قوله
تعالى انه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها** اى ولا تفسدوا ايها الناس
فى الارض بالمعاصى والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرائع
والدعاء الى طاعة الله عز وجل وهذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبى وقال عطية لا تعصوا
فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها
يعنى بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا فى الارض شيئا بعد ان اصلحه الله
تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل وافسادها بقطع بعض اعضائها وافساد الاموال بالغصب
والسرقة واخذها من الغير بوجه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد
الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة فى الدنيا
هى هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد فى ماهيتها **وادعوه خوفا وطمعا** اى خايفين من الرد

Copyright King Saud University

وعقابه نظراً الى نقص اعمالكم وقلتها وعدم استحقاقكم بالنظر الى كبريائه طامعين رحمته
بالنظر الى بحر كرمه وجوده وعموم عطايه ووفور فضله واحسانه امر الله تعالى بان يكون
الانسان في حالة ترقب وتحرز وتاميل به عز وجل حتى يكون الخوف والرجاء له كالجناحين
للطاير يحملانه في طريق الاستقامة وان انفرد احدهما هلك الانسان وفي اللباب والمعنى وادعوه
خوفاً منه ومن عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل
وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفاً من الرياء والذكر في الدعاء وطمعاً في الاجابة فان قلت
قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشي على نفسه فما
الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعاء مقروناً بالتضرع
والاخبات وقوله وادعوه خوفاً وطمعاً ان فايدة الدعاء احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى
في بيان شرط صحة الدعاء والاية الثانية في بيان فايدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم بين
الخوف والرجاء في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله في العبادة والدعاء وان اجتهدتم
فيهما وقال كثير من العلماء ينبغي ان يكون الخوف اغلب من الرجاء طول الحياة فاذا قرب الموت فالغلبة
اعتماداً على فضله تعالى وسعة رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين المطيعين والمحسن
من كان حاضراً بقلبه غير لاه عن ربه ولا ناس رحمته واليه الاشارة في الحديث الاحسان ان تعبد الله
الحديث واراد بالرحمة هنا الاحسان المجرد عن الرقة فرحمة الله عبارة عن الافضال والانعام على عباده
وايصال الخير اليهم فعلى هذا تكون الرحمة من صفات الافعال او عبارة عن ارادة ايصال الخير والنعمة
الى عباده فتكون الرحمة من صفات الذات ولم يقل قريبة لان الرحمة بمعنى الثواب فرجع النعت
الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتانيث
عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار
عن الدنيا واقبال على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين الرحمة
التي هي الثواب في الاخرة الا الموت وهو قريب من الانسان وفي الغاية معنى الاية اشارة الى ما يتوسل به
الطامعون الى رحمته وقال الاستاد ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة
بمعنى الرحم بضم الراء يذكر لكن بمعنى الرحمة قال الله واقرب رحماً ولانه صفة محذوف اي ان رحمة
الله امر قريب او شي قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او تشبيهه بفعيل الذي هو
مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره يقال هذه قريبة منه في النسب
وقريب منه في المسافة وهو الذي يرسل الرياح عطف على قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وعلة الاتصال بما قبله هو انه لما ذكر الله الشمس والقمر والنجوم من العالم العلوي اتبعه بذكر
ما يدل على كمال قدرته من العالم السفلي قرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة والباقون
الرياح على الجمع والريح هواء يتحرك يمنة ويسرة بحركة ليس لذاته ولا للوازم ذاته والا دام بدوام
الذات فهو يتحرك بتحريك فاعل المختار نشرا قرا الجمهور نشرا بضم النون والشين جمع نشور بمعنى
ناشرات اي متفرقات وهي الرياح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقرا ابن عامر نشرا بسكون

الشين وضم النون حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون وسكون الشين حيث وقع على
انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات وهي الريح الطيبة اللينة قال الله تعالى والناشرات نشرا
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا بضم الباء وسكون الشين وهو
تخفيف بشر جمع بشير اي انها مبشرات بالمطر بدليل قوله تعالى الرياح مبشرات وقد قرئ بشرا وبشرى
بفتح الباء مصدر بشره بمعنى بشره والرياح اربع الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال
وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر ان الرياح ثمان اربع منها
عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات
والذاريات بين يدي رحمته يعني امام المطر الذي هو رحمة وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة
الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه
الفتن تكون بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا اذ كانت يدا
الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذت
الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه
شيئا وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في مؤخر الناس
فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها
واستعيذوا بالله من شرها رواه محمد بن ادريس الشافعي واخرج ابو داود المسند منه وقال كعب
الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض قال الشيخ الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب يدره والدبور تفرقه وانما قال في هذه السورة والروم يرسل الرياح بلفظ
المستقبل لان ما قبله ادعوه خوفا وطمعا وهو مستقبل لانهما يناسبان المستقبل واما في الروم فليناسب
ما قبله ومن اياته ان يرسل وقال في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبلها كيف مد
الظل وما بعده وهو الذي جعل وكذا في فاطر بني على اول السورة فاطر السموات والارض جاعل
الملائكة وهما بمعنى الماضي حتى اذا اقلت سحابا ثقالا والمعنى اي يرسل حتى اذا حملت هذه الرياح
سحابا ثقالا بما فيها من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين
الخافقين وهو طرف السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره فتبسطه في السماء
كيف يشاء ثم تفتح له ابواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله
دبر بحكمته ان الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم تضم بعضه الى بعض فيتراكم
وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى سقناه لبلد ميت قرا مخففا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والباقون بالتشديد والمعنى انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى
الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت خضرة قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر
او غير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد ذا دغيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن
الوحش والجن قال الشاعر ❊ وبلدة ليس بها انيس ❊ الخ قال الاعشى ❊ وبلدة مثل ظهر الترس موحشة ❊

Copyright ... University

للجن بالليل في حافاتها زجل ۞ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ اختلفوا في الضمير في قوله به فقال الزجاج وابن
الانباري جايز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجايز ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب
الماء لان السحاب آلة لانزال الماء ويجوز ان يكون راجعا للسوق او للريح والباء للسببية واراد
بالماء المعهود وهو ما تقل السحاب فَأَخْرَجْنَا بِهِ اى بذلك الماء لانه اقرب لفظا ومعنى لان
انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك البلد الميت وقيل الضمير
للبلد والباء حينئذ في فانزلنا به للالصاق واذا كان الضمير لغير البلد فالباء للسببية مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ اى من كل انواعها يعني فاخرجنا بذلك الماء او البلد بعد موته وجدوبه من اصناف
الثمار والزروع وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى اى كما اخرجنا الثمرات نخرج الموتى من القبور ونحييها
برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطرئتها بالقوى والحواس قال ابن عباس وابو هريرة
رضي الله عنهم اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى ارسل الله عليهم مطرا كمني الرجال من ماء
تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية اربعين
يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم
النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم
يجدون طعم النوم في رؤسهم واعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد
اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح
الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيائه الارض ومن قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب
اليابس قادر على ان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
يا منكري البعث فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا فتؤمنوا بالله وبرسوله واصله
تتذكرون بطرح احدى التائين وحاصل المعنى انكم يا منكري البعث شاهدتم الاشجار وهي
مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك
الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها
قادر على احياء الاجساد بعد موتها فلخص المعنى يقول الحق عز وجل انما وصفت ما وصفت من
التنبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يستحق ثم ضرب مثلا
لمن ينتفع بالوعظ ولمن لا ينتفع به وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ اى الارض الكريمة التربة السهلة السمحة
وهو كل موضع من الارض عامرا كان او غير عامر خاليا او مسكونا كما مر معنى البلد قريبا يَخْرُجُ
نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ اى بمشيته وتيسيره يعني انه اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن ربه
حسنا وافيا كذلك المؤمن اللين القلب اذا سمع الموعظة يدخل في قلبه فينتفع بها عبر بقوله باذنه
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة نكدا وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا والمعنى والبلد الطيب الذي خبث ارضه فهي سبخة لا تخرج نبات تلك الارض الا عسر
نكدا بمشقة وكلفة يعني يخرج قليلا عديم النفع فنكدا حال من المستتر فخبث واصل النكد الضيق

والشح قال الشاعر ۞ لا تنجز الوعد ان وعدت وان ۞ اعطيت اعطيت تافها نكدا ۞ ومعنى البيت انك ان
اعطيت اعطيت القليل عديم النفع بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فشبه
المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة
فاذا انزل المطر عليها اخرجت انواع الثمار والازهار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع
به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الخليطة
السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه
ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة
والحاصل فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم منهم خبيث
وطيب ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة
قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس
فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء
فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل
هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ
يعني كما ضربنا هذه الامثال كذلك نصرف ونبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية
وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وجنبهم سبل الضلالة فيؤمنون
وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بسماع لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ
اعلم ان الله تعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلايل آثار قدرته وغرايب خلقه وصنعته الدالة على
توحيده وربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء
عليهم السلام وما جرى لهم مع اممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه
عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة
اولئك الذين كذبوا الرسل كان الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة العذاب العظيم فمن كذب
محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي
ذكر هذه القصص دليل واضح على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا
من العلماء في زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره
عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا
واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا
جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو
ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا اى بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح
نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون
متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو ابن

Copyright © King Saud University

ابن اربعين سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل ابن مائتين وخمسين سنة وقيل هو ابن ثمانين سنة
والاصح انه عاش الف سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه
فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم
فقال له اخسأ يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب **فقال** يعني نوحا لقومه **يا قوم**
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله ووحدوه وافردوه بالعبادة واطيعوه
لتفرده بالالوهية فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله ومعبود سواه
فانه هو الذي يستوجب ان يعبد قرأ الكسائي غيره بكسر الراء حملا على اللفظ اي صفة تابعة
للفظ اله او بدلا والباقون برفعها حملا على المحل بدلا من اله لان من زائدة وهو مرفوع بالابتدا
وقرئ بالنصب على الاستثناء ثم قال لبيان الداعي الى عبادة الله **اني اخاف عليكم عذاب**
يوم عظيم يعني ان لم تقبلوا ما امرتكم به من عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي
خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيمة ولم اتى بكلمة الشك يعني اخاف
وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم اعاجلهم
ام يتاخر عنهم العذاب الى يوم القيمة **قال** في مقابلة نصحه **الملأ من قومه** اي قال الاشراف
منهم الذين يملؤن العيون منظرا وحسنا **انا لنراك** اي يا نوح **في ضلال مبين** اي في خطاء
وزوال عن الحق بين ظاهر واضح **قال** يعني نوحا **يا قوم ليس بي ضلالة** يعني ما بي شيء مما تظنون
من الضلال اي ليس بي نوع من انواع الضلالة البتة بالغ نوح في نفي الضلالة كما بالغ القوم في
اثباتها **ولكني رسول من رب العالمين** يعني استدرك نوح لتاكيد نفي الضلالة عن نفسه
بقوله ارسلني الله اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا به اكون ضالا لظهور التنافي بين الرسالة والضلالة
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم اي ابلغكم يا قوم ما اوحى الي من تكاليف الله وشرايعه
وارشدكم الى وجه الاصلح والاصوب وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي تخصيصه
ابلغكم ما اوحى الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشاير
والنذاير واقصد صلاحكم باخلاص وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك او النهاية
في صدق العناية او انصح لكم في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به قرأ ابو عمرو ابلغكم
بالتخفيف والباقون بالتشديد وجمع الرسالات والحال ان له رسالة واحدة لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها كالعقايد والاحكام والمواعظ كما اشرنا او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء
فيه كصحف شيث وهي خمسون وصحف جده ادريس وهي ثلاثون **واعلم من الله ما لا تعلمون**
يعني اعلم من صفاته ما لا تعلمون يعني بها قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه
لا يرد عن القوم المجرمين اي اعلم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا
يعذبكم في الاخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر
وقيل لعل الله تعالى اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من اسمائه ما لا تعلمون **او عجبتم ان**
جاءكم ذكر من ربكم اي اكذبتم وعجبتم من ان جاءكم وحي ورسالة ووعظ من مالك

امركم ومربيكم والهمزة للاستفهام الانكاري والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف اي اكذبتم كما
قدرنا **على رجل منكم** اي على لسان رجل من جملتكم او من جنسكم او على رجل تعرفونه بانه منكم
وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب **لينذركم** العذاب ان لم تؤمنوا يعني ليحذركم عاقبة الكفر
والمعاصي فاللام علة للمجيء اي جاءكم لينذركم **ولتتقوا** اي جاءكم لاجل ان تتقوا الله منهيه
بسبب الانذار **ولعلكم ترحمون** بعد التقوى يعني لتتعلق بكم الرحمة بسبب تقويكم والمقصود
بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة وانما ذكره بلفظ الترجي على داب الملوك وان كان مقطوعا
به كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او للاشارة الى ان التقوى لا توجب شيئا والترحم فضل
منه تعالى ولئلا يتعمد العاملون على عملهم **فكذبوه** صريحا في دعوى الرسالة لان قولهم انا لنريك
في ضلال مبين غير صريح يعني كذبوا نوحا في دعوى الرسالة **فانجيناه** اي انجينا نوحا من الطوفان
والغرق **والذين معه في الفلك** اي وانجينا الذين امنوا به من صحبوه في السفينة وكانوا
اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به وفي الفلك
اما متعلق بمعه اي بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه **واغرقنا** القوم **الذين كذبوا**
باياتنا اي بالطوفان **انهم كانوا قوما عمين** قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله
قال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر اي عمي القلوب غير
مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ للدلالة على الثبات بخلاف عام فانه
يدل على عمى حادث قال الشيخ وعمين جمع عم اصله عمي على وزن خضر فاعل كما علل قاض قال
مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق ثم شرع في قصة نبي آخر فقال **والى عاد** عطف على
نوحا الى قومه يعني ارسلنا الى عاد وكان عاد قبيلة باليمن وقيل هو اسم اب الكبير فسميت به
القبيلة وقيل كان في الاصل اسم ملك ينتسب القوم اليه وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح وهي عاد الاولى **اخاهم** اي في النسب لا في الدين **هودا** عطف بيان لاخاهم وسماه
اخا مجازا لانه كان واحدا من جنسهم لا من جنس الملئكة والجن كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم
فعلى هذا ليس هو اخاهم نسبا ولا دينا بل جنسا فقط وفي اللباب واتفقوا على ان هودا عليه السلام
لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة
فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة
وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم لا من الملئكة ويكفي هذا القدر في تسمية
الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل
ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي
صاحب القوم اخاهم واما نسبه الشريف فهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص
وقال ابن اسحاق هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وفي رواية بعد قوله ابن سام
ابن ابن عم ابي عاد وانما جعل من القوم لانهم افهم لقول هود واعرف بحاله وارغب في اتباعه
وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت قال علي كرم الله

Copyright … University

وجهه ان قبر هود عليه السلام فى حضرموت فى كثيب احمر تخالطه مدرة ذات اراك وسدر
وسياتى قريبا تمام قصتهم ان شاء الله تعالى ثم كان سائلا يقول فما قال لهم هود فقال قال
اى هود يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اى يا قوم اعبدوا الله وحده واتركوا
عبادة الاصنام ولا تجعلوا مع الله الها اخر فانه ليس لكم رب غيره وذكر فى قصة نوح فقال
بالفاء التعقيبية وهنا بقال من غير فاء لان نوحا عليه السلام كان مواظبا على دعوته
قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هود عليه السلام فكان دون نوح فى
المبالغة فى الدعاء وقوله تعالى افلا تتقون اى اتشركون بالله فلا تخافون من عذاب الله
بعبادتكم غيره عرض على التقوى كقوله الا تنزل والجواب محذوف اى تامنوا من عذاب الله تعالى
قال الملا الذين كفروا من قومه اى من قوم هود انا لنراك يا هود فى
سفاهة اى فى حمق وجهالة قال ابن عباس تدعونا الى دين لا نعرفه وانما وصف الملا بالذين
كفروا هنا دون الملا من قوم نوح لان فى اشراف قوم هود من امن به كمرثد بن سعد فاريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن فى اشراف قوم نوح عليه السلام مومن واما غير الاشراف فقد امن بعضهم
كما يدل عليه قوله تعالى لن يومن من قومك الا من قد امن وقوله ايضا وما امن معه الا قليل وقوله فى
سورة المومنين فقال الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم وفى اللباب اخبر الله عن قوم نوح انهم
قالوا له انا لنراك فى ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك فى سفاهة والفرق بينهما
ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق فى عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك
فى ضلال مبين حيث تتعب فى اصلاح سفينة فى ارض ليس فيها من الماء شئ واما هود عليه السلام
فانه لما زين عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا
انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اى فيما ادعيت من انك رسول من رب
العالمين قالوه لتوغلهم فى التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح والفكر الثاقب ثم قال مستعطفا
لقومه ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمات الشنيعة الموجبة لتغليظ القول
والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بى سفاهة اى ليس الامر كما تدعون انى بى سفاهة كاملة راسخة
او شائبة من شوائبها ولكنى رسول من رب العالمين اى لكنى انا رسول كامل العقل
بامر الدارين يعنى رب العالمين الحكيم ابلغكم رسالات ربى اى اؤدى اليكم ما ارسلنى
به من اوامره ونواهيه وشرايعه وتكاليفه وانا لكم ناصح اى انا لكم يا قوم ناصح فيما امركم
به من عبادة الله تعالى وترك ما سواه امين يعنى على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين الثقة
على ما اؤتمن عليه وفى اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم
كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح قال الاستاد وفى قوله
انا لكم ناصح دليل على جواز مدح الانسان نفسه فى موضع الضرورة الى مدحها اوعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعنى اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه
لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه وقدره واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم

نوح اى واذكروا نعمة الله عليكم واحذروا من انتقام الله اذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم
فى الارض او فى مساكنهم بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج
الى بحر عمان وزادكم فى الخلق اى فى الابداع والتصوير او فى الناس بسطة يعنى طولا وقوة
وجسامة فى الخلق فانه لم يكن فى زمانهم مثلهم فى عظم الاجرام قال الكلبى والسدى كانت قامة
الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين
ذراعا وقال مقاتل اثنى عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة وفى الغاية
انهم كانوا فى غاية من كثرة الاموال وقوله تعالى فى حق قارون اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا يشير الى قوم عاد فان شداد بن عاد ملك المعمورة من رمل عالج الى بحر
عمان وقد نبهنا الى هنا انفا فاذكروا الاء الله اى فاذكروا نعم الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك
واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تومنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم
تفلحون اى لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المودى الى الفلاح وهو البقاء فى الاخرة قالوا اى قال
قوم هود مجيبين له عن تلك النصايح العظيمة اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده اى
لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد اباؤنا من الاصنام ومعنى المجى فى اجئتنا اما المجى من
مكان اعتزل به هود عن قومه كما اعتزل نبينا عن قومه الى غار حراء او من السماء على التهكم
لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملئكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجى الملك او القصد
على المجاز كقولهم ذهب يسبنى فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون او
صرح هود بمجى العذاب عليهم ان لم يومنوا بالله ان كنت من الصادقين اى فى قولك انك رسول الله
او فى الاخبار بوقوع العذاب وجواب ان محذوف اى فات به قال هود مجيبا لهم قد وقع اى
نزل وحق ووجب عليكم من ربكم رجس وغضب اى عذاب وسخط والكسين برلعنا الرى
اى رجز قال البيضاوى من الارتجاس وهو الاضطراب وجعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة
الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان اتجادلوننى فى اسماء اى فى مسميات اسماء
سميتموها اى وضعتموها انتم واباؤكم لها اسماء من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام
على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهية وذلك معدوم فيهم لان المستحق للعبادة بالذات
هو الموجد للكل من محض العدم ما نزل الله بها من سلطان برهان دال على استحقاق عبادتها
اى على هذه التسمية وانما سميتموها انتم واباؤكم من عند انفسكم بغير دليل يعنى انتم تجعلون قولكم وقول
ابائكم حجة لكم بانها الهة وهذا امر لا يعول عليه عاقل فانتظروا يعنى العذاب انى معكم من
المنتظرين للنجاة واستيصالكم قال بعضهم فانتظروا اى هلاكى انى معكم من المنتظرين لهلاككم
بالعذاب من ربى قال الله تعالى فانجيناه اى فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه
والذين معه برحمة منا اى وانجينا ايضا من العذاب اتباع هود يعنى الذين امنوا به وصدقوه
لانهم مستحقين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اى واهلكنا الذين كذبوا هودا
من قومه واراد بالايات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا هلاك استيصال لان دابر الشى اخره

Copyright ... University

فاهلكهم جميعا ولم يبق منهم احد **وما كانوا مؤمنين** عطف على كذبوا باياتنا والمعنى استاصلناهم
لانهم ما كانوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام قيل ارسل الله عليهم الريح العقيم
التي تحت الارضين السبع مقدار ما يخرج من حلقة الخاتم فجاءتهم فهربوا منها فدخلوا بيوتهم فاخرجتهم
الريح منها وحملت الرجال والدواب كالاوراق في الهواء فاهلكتهم كلهم وامالت عليهم الرمال سبع
ليال وثمانية ايام ثم رمت بهم في البحر هذه قصتهم مختصرا واما تفصيلا فعلى ما ذكره محمد بن اسحاق و
اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام
الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فسقوا في الارض كلها
وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل
صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهبا فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام
وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم موضعا فامرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان
يكفوا عن الناس لم يامرهم بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه
منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وامن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن
عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع
اية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى
جهدهم وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك
عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم يعظم
مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان
مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام
وكان سيد العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري
وهو رجل من عاد فكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحط عاد وقل عنهم المطر قالوا
جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال من هذيل
وعتيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري
خال معاوية بن ابي بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة
من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر
مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده
وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي
واصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحيي
ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من
قومهم جهدا وعطشا قال وشكى ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به
ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية ❁ الا يا قيل ويحك قم فهينم ❁ لعل الله

يصبحنا غماما ❁ فيسقي ارض عاد ان عادا ❁ قد امسوا لا يبينون الكلاما ❁ من العطش
الشديد فليس نرجوا ❁ به الشيخ الكبير ولا الغلاما ❁ وقد كانت نساؤهم بخير ❁
فقد امست نساؤهم ايامى ❁ وان الوحش تاتيهم جهارا ❁ ولا تخشى لعادي سهاما ❁
وانتم ههنا فيما اشتهيتم ❁ نهاركم وليلكم التماما ❁ فقبح وفدكم من وفد قوم ❁
ولا لقوا التحية والسلاما ❁ قال فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وسمع القوم
ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم لتتغوثوا لهم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد
ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد رضي الله عنه انكم والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال شعرا
عصت عاد رسولهم فامسوا ❁ عطاشا ما تبلهم السماء ❁ لهم صنم يقال له صمود ❁
يقابله صداء والهباء ❁ فبصرنا الرسول سبيل رشد ❁ فابصرنا الهدى وجلى العماء ❁
وان اله هود هو الهي ❁ على الله التوكل والرجاء ❁ وزاد في رواية
لقد حكم الاله وليس جورا ❁ وحكم الله اذ غلب الهواء ❁ على عاد وعاد شر قوم ❁
فقد هلكوا وليس لهم بقاء ❁ واني لن افارق دين هود ❁ طوال الدهر او ياتي الفناء ❁
فقال جلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد بن عفير حين فرغ من مقالته وعرف انه قد اتبع
دين هود وامن به عليه السلام ❁ ابا سعد فانك من قبيل ❁ ذوي كرم وامك من ثمود ❁
فانا لا نطيعك ما بقينا ❁ ولسنا فاعلين لما تريد ❁ اتامرنا لنترك دين رفد ❁
ورمل وال صد والعبود ❁ ونترك دين اباء كرام ❁ ذوي راي ونتبع دين هود ❁
ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود
وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد رحمه الله
من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشيء مما خرجوا اليه
فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سؤلي وحدي
ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز راس وفد عاد يدعو فقال اللهم اعط
قيلا ما سالك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد
وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي
فاعطني سؤلي وسال طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان
هود صادقا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم
ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحائب فقال قيل قد اخترت
السحابة السوداء فانها اكثر السحائب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا يبقي من آل عاد
احدا وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت
عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله
عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء اي كل شيء مرت عليه بامر ربها وكان

Copyright King Saud University

اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها
صاحت ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ماذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب
من العذاب
النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع
من اهل عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حضيرة ما يصيبه ومن معه
من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلذها الانفس وانها لتمر بالضعف من عاد فتحملهم
بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر
فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذا اقبل اليه رجل على ناقة له في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة
من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت هودا واصحابه قال فارقتهم بساحل البحر
فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث
الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين
السماء والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت الريح ففلقت
ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله عليهم
طيرا سودا فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا
تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الريح
ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة
فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد
ابن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا
لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي
ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ
حين يخرج من البيضة وكان ياخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم
يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من
النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه
فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم فاصابه الذي اصاب عادا فهلك
ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم
جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك قومه
الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت
يروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر
وقد ذكرنا هذه الرواية مع قبل بعبارة تقرب هذه وسياتي قريبا في قصة نوح بان صالحا
عليه السلام مات بحضرموت وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة
وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة ويروى ان اي نبي من
الانبياء اذا اهلكت امته جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها ويدفنوا

هذه الرواية

هذه الرواية ما ذكره البيضاوي في تفسيره بقوله نجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا
الله فيها حتى ماتوا **والى ثمود** عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد يعني وارسلنا
الى ثمود وثمود قبيلة اخرى من العرب وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو
جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين مدينة الرسول عليه السلام والشام الى وادي
القرى وما حوله ومعنى الكلام وارسلنا الى بني ثمود **اخاهم صالحا** لان ثمود قبيلة كما ذكرنا
قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي
ينسبون اليه وقرئ منصرفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر ومنع الصرف
بتاويل القبيلة ومعنى اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن
ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني قال
لهم صالح عليه السلام حين ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا فما لكم
من اله يستحق ان يعبد سواه **قد جاءتكم بينة من ربكم** اي قد جاءتكم معجزة ظاهرة
الدلالة على صحة رسالتي اليكم وكانه قيل وما هذه البينة فقال **هذه ناقة الله لكم اية**
واية نصب على انها حال من الناقة والعامل معنى الاشارة في هذه كانه قيل اشير اليها اية ومعنى
انها علامة على صدقي قال العلماء وجه كون هذه الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة
للعادة انها خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر وانثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج
لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب
يوم وهذا من المعجز ايضا لان ناقة تشرب ما يشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها في يوم شربها
قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا ايضا معجز وقيل ان ساير الوحوش والحيوانات
كانت تمتنع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا
ايضا معجز وانما اضافها الى الله في قوله ناقة الله على سبيل التعظيم والتفضيل والتشريف كما يقال
بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى
وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح **فذروها تاكل في ارض الله** العشب فان الارض ارض الله
والناقة ناقته وليس لكم في الارض شيء لانه هو الذي انبت فيها العشب والكلاء **ولا تمسوها بسوء**
اي بعقر او ضرب او غير ذلك من انواع الاذى نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر وقت نزول البلاء **فياخذكم عذاب اليم**
منصوب بانه جواب النهي اي ان تمسوها بسوء ثم تمسوها ياخذكم عذاب اليم في الدارين لجراتكم على
اية الله بابطالها **واذكروا** افاضة الحياة الدنيوية عليكم لتزجوا الحياة الاخروية منه **اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد** يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها وفيه
ايماء الى انهم ان خالفوا يصيبهم مثل ما اصاب قوم عاد من الهلاك **وبوأكم** اي واسكنكم وانزلكم
في الارض اي في ارض الحجر بين مدينة الرسول والشام **تتخذون من سهولها قصورا** تسكنونها
في الصيف يعني تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والاجر المتخذ

Copyright ... University

من الطين السهل اللين جمع سهل ضد الجبل والحزونة وتنحتون الجبال بيوتا تسكنونها في الشتاء
ومعنى تنحتون اي تنقبون وتشقون بيوتا من الجبال لان بيوت الطين ما كانت تبقى مدة اعمارهم
لطول اعمارهم او لاجل الشتاء كما قلنا وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفهين قرا الجمهور بكسر الحاء
وقرئ تنحتون بفتحها وتنحاتون باشباع فاذكروا آلاء الله اي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه
عليها هذا تعميم بعد تخصيص وقيل ما مر من ذكر اللساني وهذا من الذكر القلبي ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي لا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعثي اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة
وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع الفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي قال
الاشراف والرؤساء الذين تعظموا عن الايمان بصالح للذين استضعفوا يعني للمساكين منهم
اي للذين استضعفوهم واستذلوهم يعني لم يلتفتوا الى صالح ولم يخاطبوه استهانة بل خاطبوا ضعفاء
القوم الذين كانوا مؤمنين بصالح كما هو شان الرسل في اول الامر مثل بلال وصهيب وعمار لنبينا
صلى الله عليه وسلم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير في منهم لقومه وبدل
البعض ان كان للذين استضعفوا فيندرج في المستضعفين بعض كفار قومه والمعنى قال الرؤساء
المتعظمون في انفسهم تهكما لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء والمساكين من قومه أتعلمون
أن صالحا مرسل من ربه يعني ان الله ارسله الينا واليكم قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون يعني قال الضعفاء في جوابهم انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون
قال الذين استكبروا اي عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح في جواب المؤمنين انا بالذي
آمنتم به كافرون اي جاحدون وكافرون فعقروا الناقة وفي المدارك اسند العقر الى جميعهم
وان كان العاقر ~~جميعهم~~ قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار احمر ازرق قصيرا كما
فرعون كذلك وقال عليه الصلاة والسلام يا علي اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الاخرين
قاتلك انتهى والحاصل فعقرت ثمود اي قتلوا الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر
عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اي واستكبروا عن امر ربهم وعصوه
يعني انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا ما بلغهم صالح بقوله فذروها تاكل في ارض الله
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من المرسلين اي ان كنت تزعم انك رسول
الله فان الله ينصر رسله على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب
فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة العظيمة او الصيحة يعني الزلزلة
من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين يعني فاصبحوا في اماكنهم
وبلدهم جاثمين باركين خامدين موتى على وجوههم لا يتحركون فتولى عنهم اي فاعرض عنهم
صالح وفي وقت هذا القول قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويؤيد هذا القول
قوله تعالى فاصبحوا في ~~دارهم جاثمين~~ لان الفاء للتعقيب يعني انه جعل هذا التولي بعد جثوتهم وهو موتهم
وكانوا الفا وخمسماية دار وخطابهم بيا قوم لقد ابلغتكم كخطاب نبينا صلى الله عليه وسلم لاهل قليب بدر
حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او خاطبهم على سبيل التحسر والتحزن
علي ما فاتهم

علي ما فاتهم من نعمة الاسلام والقول الثاني ان صالحا تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم
ويؤيد هذا القول انه خاطبهم احياء وقال اي صالح يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الاية تقديم وتاخير
تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم وقيل انما خاطبهم صالح وهم اموات ليكون ذلك عبرة لمن معه
ولمن ياتي بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها وفي اللباب وكانت قصة ثمود على
ما ذكره محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا ان عادا
لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا
حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا
وكانوا في سعة من العيش والرخاء فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم
صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم
وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون
فلما الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم اية مصدقة
على ما يقول فقال صالح اي اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون
فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة قالوا تدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا انت قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح
معهم فدعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حواس
وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها
الكاثبة ناقة مخترجة ومعنى المخترجة اي ما شاكلت البخت من الابل عشراء وهي التي اتت عليها عشرة
اشهر بعد طروق الفحل جوفاء اي عظيم البطن والصدر وبراء اي كثيرة الوبر فان فعلت صدقناك وامنا بك
فاخذ عليهم صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت لتصدقنني ولتؤمنن بي قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين
ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة مثل تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما سالوا ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت
سقبا مثلها في العظم ومعنى سقبا اي ولدا فامن به جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد بقية
اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحب اوثانهم
ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال
لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في بئر في الحجر
يقال لها بئر الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتنفشح
حتى تفحج لهم اي تفرج ما بين رجليها فيحلبون ما شاؤوا من لبن فيشربونه ويدخرون حتى
يملؤوا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت

Copyright ... University

حتى اذا كانت من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاء الله من الماء ويدخرون ما شاؤا ليوم الناقة
فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها
مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتاء
تشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم
للامر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك وعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة
فاجمعوا على عقرها وكان امرأتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت
عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم
والمرأة الاخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثير وكانت من اشد
الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما
فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه
نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له
نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت
عنيزة بنت غنم قدار بن سالف لعنه الله وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان
ابن زنية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اي بناتي شئت اعطيتك
على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه ق عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انبعث
اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث يعني قام بسرعة والعارم
الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن اراده قال اصحاب الاخبار
فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة
رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها
قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها
بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت
من احسن الناس وجها ليراها قدار ثم ذمرته يعني حضته على عقرها واغرته به فشد قدار
على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن قدار في
لبتها فنحرها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها فلما رأى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا
منيعا يقال له صور وقيل قارة واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج
اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح
انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فلما رأوه على
الجبل ذهبوا ليأخذوه فاوحى الله الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجاء صالح فلما
رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة
اجل يوم تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من

التسعة

التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب
قلبه ثم جذب فانزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله
ونقمته قالوا وهم يستهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت
الاحد اول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت
شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس
ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم
مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح عليه السلام ذلك قال التسعة الذين عقروا
الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا فقد الحقناه بناقته فاتوه
ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطأوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم
قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلونه
ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا فلم تزيدوا ربكم الا غضبا
عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم
مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا
قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل
على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي هدب وهو مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه فعدوا الى
اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مجدع بن هرم يا نبي الله انهم
يعذبوننا لندلهم عليك قال نعم فدلهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في امر صالح فقال هو عندي
وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا
بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني
اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا
باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة
كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم
ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الرابع تكفنوا وتحنطوا والقوا انفسهم
الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فلما اشتد
الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت
في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلف
وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله تعالى رجليها بعدما عاينت العذاب واصاب ثمود
فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي اصاب ثمود ثم استسقت
ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي في عقر الناقة قال اوحى الله عز وجل الى صالح
عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه
سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر

Copyright © King's University

الا قتلناه قال فولد تسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فابى ان يذبحه
لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد احمر ازرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر
بالتسعة فراوه قالوا لو كان لنا ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان
سبب قتل ابنائنا فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنري الناس
انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه
فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله
وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل
كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده
فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط الغار عليهم فقتلهم فانطلق رجال
ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون
صالح لم يرض ان قتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق كان التسعة قد تقاسموا
على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدارا فكان يشب
سريعا فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب
الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة
ولو كنا ناخذ هذا الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا فقال الغلام
هل لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين
ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله
ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا
بها العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان
يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة وللبخاري رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما بعد فلا تسالوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة
فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم وردها واراهم مرتقى الفصيل
من القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض
ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب
الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال
فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة
من قوم صالح اربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت
ثم بنى الاربعة الالاف مدينة وسموها حاضورا وقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة

وهو

وابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة انتهى ما ذكره صاحب اللباب والبغوي وفي
بعض التفاسير وروي انه خرج في مائة وعشرة وهو يبكي فلما علم انهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا
ديارهم ولوطا اي وارسلنا لوطا او واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن اخي
ابراهيم وابراهيم عمه اذ قال لقومه اي ارسلنا وقت قوله لقومه والمراد بقومه اهل سدوم
واليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام فنزل ابراهيم
ارض فلسطين وانزل لوطا الاردن فارسله الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم
القبيح اتاتون الفاحشة اي ادبار الرجال يعني اتفعلون الفعلة الخبيثة السيئة القبيحة
التي هي غاية في القبح والاستفهام للانكار والتوبيخ والتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح واللام
للعهد كانه علم بين الفواحش لا يذهب الذهن الى غيرها ما سبقكم بها من احد من العالمين
الانس والجن اي ما فعلها قبلكم احد قط من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق
والثانية للتبعيض وجيء بالجملة المستانفة للتوبيخ بعد الانكار كانه وبخهم باتيان الفاحشة ثم
باختراعها لان جرمهم مبتدع المعصية وفي الحديث ما قتل احد ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منه
لانه اول من سن القتل رواه البخاري وفي الحديث من سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها قال
عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط انكم لتاتون الرجال قرا نافع وحفص
عن عاصم انكم بكسر الهمزة على الخبر المستانف على انه بيان لتلك الفاحشة وقرا الباقون بالاستفهام
المقتضي للتوبيخ والتقريع والانكار وهنا ابلغ من قوله اتاتون الفاحشة في ذلك لانه يفيد بانهم
البتة فعلوا ذلك الفعلة الفاحشة فيفيد زيادة التاكيد شهوة مفعول له اي للاشتهاء يعني لا حامل
لكم عليه الا مجرد الشهوة او مصدر في موضع الحال اي مشتهين من دون النساء الاتي النساء
يعني ان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء او اتاتون الرجال منفردين من النساء او اتاتون
الرجال شهوة كائنة من دونهن وفي التقييد بالشهوة وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وابقاء النوع لا قضاء الوطر وفائدة قوله
دون النساء قطع المعذرة ودفع توهم الضرورة بل انتم ايها القوم قوم مسرفون اي مجاوزون
الحلال الى الحرام واعاذتهم وتعييرهم وتوبيخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان
وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع
فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف وجاوز واعتدى لانه وضع
الشيء في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليس محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة
في الانسان وكانت قصة قوم لوط عليه السلام على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار والسير
انه كانت قرى قوم لوط مخصبة وثمار وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم
وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح
الناس عليهم وقصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا حسانا فاخذوهم ونكحوهم فاستحكم ذلك فيهم قال
قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي

Copyright © King Saud University

ان اوله من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله تعالى السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم وفي جامع الاسرار واخرج البيهقي عن عبد الله بن المبارك قال دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه فاني ارى مع كل امراة شيطانا ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا وذهب محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله الى ان اللواطة توجب الحد وقال بعضهم لا توجبه بل يعزر فاعلها اخرج عبد الرزاق واحمد وابو داود والترمذي والنسائي والبيهقي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به واخرج ابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط واخرج الطبراني والبيهقي اربعة يصبحون في غضب الله تعالى ويمسون في سخط الله قلت من هم يا رسول الله قال المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذي ياتي البهيمة والذي ياتي الرجال واخرج الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه لا ينظر الله عز وجل الى رجل اتى رجلا او امراة في دبرها وقال ابن عباس ان اللوطي اذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيرا قال شيخ الشيوخ اعني ابن حجر في الزواجر اختلف اهل العلم في حد اللوطي فذهب قوم الى ان حد الفاعل حد الزنا ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مائة وهو اظهر قولي الشافعي رحمه الله ويحكى ايضا عن ابي يوسف ومحمد بن الحسن وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان او امراة محصنا او غير محصن وذهب قوم الى ان اللوطي يرجم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وروي عن الشعبي وبه قال الزهري وهو قول مالك واحمد واسحق واحتج عليه بان الله تعالى عذب قوم لوط بالرجم والاصل بقاء ما ثبت الى ان يرد الناسخ ولم يرد في شرع محمد صلى الله عليه وسلم ما ينسخه فوجب الحكم ببقائه وروى حماد بن ابراهيم عن النخعي قال لو كان احد يستقيم ان يرجم مرتين لرجم اللوطي والقول الاخر للشافعي انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في الحديث قال الحافظ المنذري حرق اللوطية بالنار اربعة ابو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهشام بن عبد الملك وروى ابن ابي الدنيا من طريقه البيهقي باسناد جيد عن محمد بن منكدر ان خالد بن الوليد رضي الله عنه كتب الى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انه وجد رجلا يعمل عمل قوم لوط فجمع لذلك ابو بكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم علي كرم الله وجهه فقال ان هذا ذنب لم تعمل به امة الا امة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم ارى ان تحرقوه بالنار فاجتمع راي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحرق بالنار فامر به ابو بكر ان يحرق بالنار فحرقه خالد واجمعت الامة على ان من فعل بمملوكه فعل قوم لوط كان من اللوطية المجرمين الفاسقين الملعونين فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين انتهى كلامه في الزواجر وكلامه نور حق يطابق الكتاب والسنة كما لا يخفى على الراسخ فيهما قال الكلبي فلما استحكم ذلك في قوم لوط وظهر عجت الارض الى ربها فسمعت السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله ان يحصبهم وامر الارض ان يخسف بهم وانه وصف اللوطي تارة بقوله بل انتم قوم مسرفون وتارة بانهم قوم عادون وتارة بانهم قوم يجهلون وما كان جواب قومه اي ما كان جواب قوم لوط للوط عليه السلام اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركبهم

ما حرم الله تعالى عليهم من الفعل الخبيث الا ان قالوا يعني قال بعضهم لبعض اخرجوهم من قريتكم اي اخرجوا لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم تخصيصه ان قوم لوط ما جاؤا بما يكون جوابا عما فقال من كلامه من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذي هو اصل الشر ولكن قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون من ادبار الرجال اي انهم يتنزهون عن فعلكم لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل لان البعد عن المعاصي والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن الاثام والمعاصي فقد تطهر فلهذا قالوا انهم اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والاثام فانجيناه واهله اي فانجينا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب وعلى هذا فالمراد باهله ابنتاه الا امراته اي زوجته وهي واهلة استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين اي من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا وهي معهم لانها كانت كافرة وعبارة اللباب كانت من الغابرين اي من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين انتهى وفي بعض التفاسير وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وفي التيسير معنى من الغابرين اي من الباقين في دارهم فاصابها ما اصابهم وامطرنا عليهم مطرا يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر فيكون قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل بيانا وتفسيرا لقوله وامطرنا عليهم مطرا والمعنى وامطرنا عليهم نوعا من المطر عجيبا لان نزول الاحجار او الكبريت والنار بدل الماء امر عجيب فانظر كيف كان عاقبة المجرمين اي انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه الصلوة والسلام فادخل جناحه تحت مداين قوم لوط عليه السلام وكانت خمس مداين فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر المراد به نظر القلب وهو الفكر والبصيرة والخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه عام لكل من يتاتى منه النظر من امته ليعتبروا بما جرى على اولئك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة وفي جامع الاسرار روي ان لوطا لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما السلام من ارض بابل الى الشام نزل ابراهيم بفلسطين وانزل لوطا بالاردن فارسله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عما اخترعوه من الفواحش فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وقد قررنا نحو هذا المعنى عند قوله اذ قال لقومه وروي كان تاجر من قوم لوط كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وقد اشرنا الى نحو هذا مختصرا فلا تغفل قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا عطف على نوح يعني وارسلنا الى ولد مدين كان اكثر المفسرين ذهبوا الى ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مدين

Copyright © King Saud University

بالالف ابن ابراهيم الخليل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين
اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدى اى بنو اسد وقيل مدين اسم للماء الذى كانوا عليه وقيل
هو اسم للقبيلة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله
اخاهم شعيبا يعنى فى النسب لا فى الدين وشعيب هو ابن توبة بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
قاله عطاء وقال محمد بن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
وام ميكيل بنت لوط وقيل هو شعيب بن يثرون بن توبة بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
وكان شعيب عليه السلام يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وفصاحته و
طلاقة لسانه وغاية بلاغته فى تبليغ الاحكام والدعاء الى الله تعالى وكان قومه اهل كفر وبخس
فى المكيال والميزان قال اى شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم اى قد جاءتكم حجة ومعجزة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق
ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبى معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله
غير ان تلك المعجزة التى كانت لشعيب لم تذكر فى القران وليست كل ايات الانبياء مذكورة
فى القران وقيل اراد بالبينة مجئ شعيب عليه السلام بالرسالة اليهم وما روى من محاربة
عصى موسى التنين حين نام موسى وترك الغنم ترعى ومن ولادة الغنم التى دفعها شعيب
الدرع خاصة وكانت هى الموعودة لموسى من اولادها ومن وقوع عصى ادم فى يد موسى فى [illegible]
التسع فمتاخرة عن المقاولة اذ كانت بعد تقرر نبوة شعيب فلم تكن فى معرض التحدى حتى تكون معجزة
لشعيب عليه السلام ويحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته بل هذا متعين لانه قد
روى ان موسى عليه السلام انما ادرك شعيبا بعد هلاك قومه وقيل اراد بالبينة الموعظة وهى قوله
فاوفوا الكيل والميزان اى فاتموا المكيال والميزان واعطوا الناس حقوقهم قال الاستاد معناه اوفوا
آلة الكيل على الاضمار واطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعايش لاجل قوله والميزان هنا وكما فى سورة
هود حيث قال واوفوا المكيال والميزان فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان
مصدرا كالميعاد بمعنى الوعد فلا يحتاج الى تاويل الكيل بما ذكرنا ولا تبخسوا الناس اشياء
هم اى ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان
فى الكيل والوزن اذا انقصه وطففه قال السلطان وانما قال اشياءهم للتعميم بعد التخصيص
وللتنبيه على انهم كانوا يبخسون فى الجليل والحقير والقليل والكثير وذكر الكيل والميزان لعزة احتياج
الناس اليهما وقيل كانوا مكاسين عشارين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا فى الارض
بعد اصلاحها اى لا تفسدوا فى الارض بالكفر والظلم بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل والانبياء
والاولياء وكل نبى ورسول يبعث الى قوم فهو صلاحهم واضافة الصلاح الى الارض كاضافة
المكر الى الليل والنهار فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار اى مكركم فى الليل والنهار ذلكم يعنى
الذى ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك البخس والظلم خير
لكم اى مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس قال الشيخ المراد بالخيرية اما الزيادة المطلقة او فى

الانسانية

الانسانية وحسن الاحدوثة اى ذكر الجميل فى الدنيا فقط اذ لا خير فيما كانوا عليه او الزيادة
فى الكسب والربح لان الناس اذا عرفوا منكم الامانة والعدالة رغبوا فى متاجرتكم ولانه لا بركة
مع الخيانة ان كنتم مؤمنين اى ان كنتم مصدقين بما اقول لكم لانهم لم يكونوا من الايمان
فى شئ قال السيوطى اى ان كنتم مريدى الايمان فبادروا اليه ولا تقعدوا امثال الشياطين
بكل صراط توعدون يعنى ان شعيبا قال لقومه الكفار لا تقعدوا على كل طريق من
طرق الدين والحق وتمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم وتخوفونهم على ذلك
وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب
قال السيوطى معنى توعدون اى تخوفون الناس باخذ اشيائهم او المكس منهم والاول اقرب
لقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من امن به يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله
عن دينه وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل واخذ المال قال ابن عباس رضى الله عنهما
كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذى تريدون كذاب فلا يفتننكم
عن دينكم واضافة السبيل اليه مثل بيت الله وناقة الله وتبغونها عوجا اى وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبهة او وصفها للناس بانها معوجة وتريدون اعوجاج الطريق
عن الحق وعدولها عن القصد وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى
والرشاد ثم ان شعيبا عليه السلام ذكرهم بانعم الله عليهم بقوله واذكروا اذ كنتم
قليلا فكثركم يحتمل لذلك ثلثة اوجه اى كثر الله عددكم بالبركة فى النسل وقت كونكم قليلى
العدد او كنتم مقلين فقراء فجعلكم اغنياء مكثرين موسرين بالمال او كنتم ضعفاء لا قدرة لكم فكثركم
بالقدرة بعد الضعف فى البدن تخصيصه انه كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله
عليكم واستوا به وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعنى وانظروا وتدبروا نظر اعتبار
ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله
من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط لقوله وما قوم لوط منكم ببعيد فانظروا كيف
ارسل الله عليهم حجارة من السماء بما عصوه وكذبوا رسله وان كان طائفة منكم امنوا
بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا يعنى قال شعيب لقومه وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم
فرقتين فرقة امنت بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت وجحدت فاصبروا اى انتظروا
وتربصوا فيه وعيد وتهديد حتى يحكم الله بيننا يعنى حتى يقضى الله بيننا ويفصل بيننا
فيعز المومنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم بقوله وكان حقا
علينا نصر المومنين وهو خير الحاكمين اذ يستحيل فى حقه الظلم ولا معقب لحكمه ولا حيف
فيه والحاصل ان الله حاكم عادل منزه عن الجور والميل فى حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض
الاشخاص حاكما على صورة المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين
قال الملا الذين استكبروا من قومه اى من قوم شعيب عليه السلام يعنى قال الجماعة من
اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب لنخرجنك

Copyright © Kin[illegible] University

يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا يعني ان قوم شعيب
لم يلتفتوا الى نصحه وقابلوه على داب السفهاء بما يكرهه وهو احد الامرين اما اخراجك عن القرية
ومن تبعك على دينك او لترجعن وتعودن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه من الكفر والضلالة
والكذوب بالقسم لفرط الاهتمام به وهذا فيه اشكال بيانه ان شعيبا عليه الصلاة والسلام
لم يكن قط اي لا قبل النبوة ولا بعده على دينهم وملتهم حتى يعود ويرجع على ما كان عليه اولا
فما معنى قوله او لتعودن واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب عليه السلام كانوا قبل
الايمان به على ملة اولئك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب تبعا
وان لم يكن هو عليه السلام على ملتهم اصلا وقطعا وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود
على معنى الابتداء كما تقول قد عاد علي من فلان مكروه يعني قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق
منه مكروه اصلا كما قال الشاعر ؛ فان تكن الايام احسن مرة ؛ الي فقد عادت لهن ذنوب
اراد الشاعر فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان ودفع
الاشكال بعبارة اخرى قال الشيخ فان قلت كيف معنى او لتعودن في ملتنا ومعنى ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها والكفر على الانبياء محال قبل النبوة وبعده قلت اراد عود قومه الا انه نظم
نفسه في سلكهم وحملتهم على حكم التغليب يعني به لما غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو واتباعه
بخطابهم وعلى التغليب اجاب شعيب قومه بقوله قال شعيب ا نعود في ملتكم ولو كنا
اي انا واتباعي حيث ما قال اولو كنت كارهين لملتكم ودينكم والمعنى كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها اي اتعيدوننا في حال كراهتنا وبغضنا لدينكم بتخصيصه لا نعود في ملتكم ولا نلحق بكم وان اكرهتمونا
واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يعني ان شعيبا عليه السلام اجاب قومه اذ دعوه ومن
به الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حين
العود ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان
ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك ومعناه بعبارة اخرى قد اختلقنا على الله كذبا
وتعرضنا عليه من القول باطلا وزورا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه
من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وقيل انه جواب قسم محذوف
حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا والاشكال في ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
كالاشكال في قوله او لتعودن والجواب عن هذا كالجواب عن ذلك يعني وهو ان نقول ان الله نجا
قومه الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا عليه السلام نظم نفسه في جملتهم وان
كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا
قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها وما يكون لنا اي ما يصح ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا ارتدادنا في الغاية معناه اي يستحيل ذلك العود منا الا اذا علقت مشيئته
به فانه يقع لا محالة وهذا صريح في ان الكفر بمشيئة الله تعالى والاية دامغة للمعتزلة وقال

الاستاذ

الاستاذ معناه وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله
ارتدادنا وخذلاننا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله تعالى ان نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء
الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي عليه
اهل العلم والسنة في هذه الاية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا الله على انها
ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله تعالى غير خارجة عن قبضته
يسعد من يشاء بالطاعة ويشقي من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشيئة ولم تزل
الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وعلى جده ابراهيم وسلم كثيرا
ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله تعالى وسع ربنا كل شيء علما
يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشياء فما
فالسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله تعالى وفي الغاية وما علمه لا بد من وقوعه ايمانا
وكفرا قال الشيخ والمعنى اي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم يعني احاط علمه كل شيء مما يكون
منا ومنكم والحاصل هو عالم بكل شيء فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وفي
الجامع في معنى الا ان يشاء الله يعني هذا صريح في ان الكفر بمشيئة الله وذلك مما لا يكاد يقع كما ينبئ
عنه قوله ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم في هذا المقام مما ينبئ عن عدم مشيئته
تعالى لارتدادهم وخذلانهم وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلايل
عدم مشيئته لعودهم فيها اذ اللائق بالكريم ان لا يشاء عودهم فيها بعد تنجيتهم مع اعتصام نبيه
شعيب به خاصة يعني دون قومه كما ينبئ عليه قوله على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان
ويخلصنا من الاشراك ويتم هذه النعم علينا يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه
الكافي لمن توكل عليه بتخصيصه على الله توكلنا الا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ولما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعاء فقال ربنا
اي اقض واحكم وافصل بيننا وبين قومنا بالحق اي بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف يعني
بحكمك الذي هو الحق المبين قال القاضي والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة وانت خير الفاتحين
يعني خير الحاكمين والكاشفين بين الخلق قال الفراء ان اهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح شعر
الا ابلغ بني عصم رسولا ؛ فاني عن فتاحتكم غني ؛ اي عن حاكمهم وقاضيهم وكان ابنة ذي يزن
تقول تعال افاتحك يعني اقاضيك وعند جمهور المفسرين الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح
اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا
حتى تفتح بيننا وبين قومنا وتنكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى
كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز وقال الملأ الذين
كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون يعني وقال جماعة من اشراف قوم

شعيب ممن كفر به لآخرين منهم والله لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون يعني انكم لمغبونون في فعلكم لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه وقال عطا جاهلون وقال الضحاك عجزة فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ يعني الزلزلة الشديدة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى وفي المنا وقيل اتاهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم وقال القاضي وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ اي في منازلهم جَاثِمِينَ اي ميتين قصة اهلاكهم على ما رواه ابن عباس رضي الله وغيره هو ان الله فتح على قوم شعيب بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليتبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلي وصاروا رمادا وروي ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اهل الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا جميعا قال ابو عبد الله البجلي ۔ كان ابو جاد ۔ وهوز ۔ وحطي ۔ وكلمن ۔ وسعفص ۔ وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب عليه السلام يوم الظلة اسمه كلمون فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به كلمون هد ركني هلكه وسط المحله ۞ سيد القوم اتاه الحتف نار تحت ظله ۞ جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحله ۞ هكذا ذكره في اللباب ومعالم التنزيل

وقوله تعالى الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا مبتدأ كَأَنْ اي كانهم لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا خبره قال ابن عباس في معنى كان لم يغنوا فيها اي كان لم يعيشوا في القرية متنعمين مستغنين يعني استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم ينزلوا ولم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بتكذيبهم وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغنى قال الشاعر ۞ ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ۞ في ظل ملك ثابت الاوتاد ۞ اراد فيها اقاموا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ اي الكاملين في الخسران دينا ودنيا بانفسهم واموالهم لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين فَتَوَلَّى عَنْهُمْ اي فاعرض عنهم شعيب عليه السلام شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر شعيب على نفسه تاسفهم فقال فَكَيْفَ آسَى اي فكيف احزن عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ يعني ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق لم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم

وقرئ فكيف آسي بامالتين واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين سبقا في قصة هود عليه السلام وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة مِنْ نَبِيٍّ ومن مزيدة لتاكيد النفي وصفة نبي محذوف تقديره من نبي كذب إِلَّا أَخَذْنَا اي عاقبنا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض يعني عاقبنا اهل ذلك القرية التي تكذب النبي بشدة الفقر والمرض لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ اي لكي يتضرعون ويتذللون ويتبعوا الانبياء ويحطوا اردية الكبر عن اكتافهم والمراد من قوله وما ارسلنا في قرية الخ ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الاية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذهم بالباساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير للكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين الله تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثُمَّ بَدَّلْنَا اي اعطينا مَكَانَ السَّيِّئَةِ اي العذاب الْحَسَنَةَ اي الغنى والصحة لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق تستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كلما يسوء صاحبه والحسنة كلما يستحسنه الطبع والعقل والمعنى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين كقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات حَتَّى عَفَوْا اي كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات اذا كثر وتكاثف قال مجاهد حتى كثرت اموالهم واولادهم قال الشيخ معنى عفى اي كثر وطال ومنه اعفاء اللحية اي توفيرها وتكثير شعرها قال عليه الصلاة والسلام اعفوا اللحى اي وفروها وكثروها وَقَالُوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعدما صاروا الى الرخاء والسعة قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولابائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم من الضراء والسراء فبين الله تعالى انه ازال عذرهم وازاح علتهم فلم ينقادوا ولم ينتفعوا بذلك بل فسدوا على التقديرين فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً اي اخذناهم بالعذاب فجاءة اشد الاخذ واقطعه آمن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم وندامتهم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بنزول العذاب بهم كما فعل بقوم هود ظنوا ان في الغيم مطرا فكان فيه ريح فيه عذاب اليم وقوم لوط كانوا نائمين على فرشهم وقت السحر والمراد بذكر هذه القصة بجميع القصص اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا يعني ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل اراد بها مكة وما حولها يعني انهم لو امنوا بالله وبرسوله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا عما نهى الله عنه وحرمه عليهم لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ

Copyright King Saud University

من السماء والارض اى لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب والمراد من بركات السماء المطر ومن بركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ من بركات السماء وهى المطر وقال البغوى اصل البركة المواظبة على الشئ اى تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب وقرا ابن عامر لفتحنا بالتشديد اخرج ابن ابى حاتم عن موسى الطائفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله انزله من بركات السماء واخرجه من بركات الارض وفى رواية من يتبع ما يسقط من السفرة غفر له واخرج ابن ابى شيبة عن الحسن قال كان اهل قرية اوسع الله عليهم حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث عليهم الجوع حتى انهم كانوا ياكلون ما يقعدون به ولكن كذبوا الانبياء والرسل فاخذناهم اى فعاقبناهم بما كانوا يكسبون من المعاصى والكفر والاعمال الخبيثة والحاصل انهم فعلوا وصنعوا ما صنعوا فاخذناهم بسبب افامن اى ابعد ذلك امن اهل القرى المكذبون اهل مكة وما حولها وهو استفهام بمعنى الانكار وفيه تهديد وزجر والفاء عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا اى عذابنا بياتا اى ليلا اى بائتين داخلين فى الليل وهم نائمون اى غافلون عن الباس او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى يعنى نهارا لان الضحى صدر النهار قال الشيخ الضحى ارتفاع الشمس قدر رمح قال فى ضرام السقط اول اليوم الفجر وبعده الصباح ثم الغداء ثم البكرة ثم الضحى ثم الضحوة ثم الهجيرة ثم الظهر ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الاصيل ثم العشاء الاول ثم العشاء الاخير وذلك عند مغيب الشفق انتهى وهم يلعبون اى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم فى كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع قرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بسكون الواو على الترديد والباقون بفتحها افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فان اصل المكر اظهار المحبوب واخفاء المكروه وان شئت قلت اضرار احد من غير ان يشعر به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الفاء متعلقة بمحذوف كانه قيل فلما امنوا خسروا فلا يامن اى الذين خسروا انفسهم بالكفر وترك النظر والاعتبار حتى صاروا الى النار يعنى انه لا يامن ان يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر فى اخراه وهلك مع الهالكين وعن الشبلى قدس الله روحه العزيز مكره سبحانه وتعالى بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع ابن خثيم لابيها ما لى ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله تعالى ان ياتيهم باسنا بياتا

اى اهل القرى المكذبين للرسل

اسم كتاب

قوله تعالى ان ياتيهم باسنا بياتا اولم يهد اى اولم يتبين قرا قتادة ويعقوب نهد بالنون على التعظيم والباقون بالياء للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى اولم يبين للذين يرثون الارض بالسكنى فيها من بعد اهلاك اهلها الذين كانوا من قبلها فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اى ان الشان لو شئنا اخذناهم وعاقبناهم بجزاء ذنوبهم وكفرهم كما اصبنا وعاقبنا من قبلهم وهو فاعل يهد على القراة الاولى والمعنى الم يتبين هذا الشان الطريق المستقيم لهم وعلى القراة الثانى تكون ان مع ما فى حيزها مفعول نهد ونطبع اى ونحن نختم على قلوبهم فهم لا يسمعون اى لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان والحاصل لا يسمعون اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها بما فى تضاعيفها من انواع الهداية قال الزجاج والفراء قوله ونطبع كلام مستانف وقال السلطان وغيره عطف على ما دل عليه اولم يهد اى لا يهتدون ويغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل وفى اللباب ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم كما اشرنا ويجوز عطفه على الماضى يعنى اصبنا ولفظه لفظ المستقبل والمعنى لو شئنا طبعنا على قلوبهم وقال السلطان لا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقة جواب لولا فضائه الى نفى الطبع عنهم تلك القرى مبتدا اى القرى المهلكة التى ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وخبره قوله نقص عليك من انبائها يعنى نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا ننصر رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات اى وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم والقرى المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكاثرة المتواردة عليهم الواضحة الدالة على صحة رسالتهم الموجبة للايمان به حتما فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف المفسرون فى معنى فما كانوا الخ قال ابن عباس والسدى معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وقال السدى يعنى امنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اهلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجئ الرسل بما سبق لهم فى علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابى بن كعب كان سبق لهم فى علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون وقال الربيع بن انس يحق على ان ياخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا ياتوا علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفى ذلك قال الله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع

كلام مستانف

Copyright © Kindai University

من العاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال بالصواب
قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك انه من سبق في علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن
ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون
ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل وعند مجيئهم
اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون من قومك يا محمد وما
وجدنا لاكثرهم من عهد اي ما وجدنا لاكثر الناس من وفاء بعهدهم والاية اعتراض قال
الاستاد ومعناه وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد
من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق حين اخرجهم من صلب
ادم قال ابن عباس رضي الله عنهما انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم
به وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وان مخففة ووجدنا بمعنى علمنا واللام لام الفارقة
ولا يصح دخولها ان المخففة عند الجمهور الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند بعض الكوفيين
ان ان نافية واللام بمعنى الا والمعنى على الاول اي وان الشان علمنا بان اكثرهم خارجين عن الطاعة
مارقون عن الدين متمردون ناقضون للعهد وعلى الثاني اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين خارجين
عن طاعتنا وامرنا قلت والمعنى الاول اوفق للقواعد العربية والله اعلم ثم بعثنا من بعدهم الضمير
للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم قال الاستاد معناه ثم بعثنا من بعد الانبياء الذين
تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام موسى وانما لم ينسخ قصة
موسى في تلك القصص لاشتمالها على وقايع كثيرة وغرايب عجيبة عظيمة باياتنا اي بالمعجزات
التسع والحجج الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك على ما سياتي ذكرها ان شاء الله تعالى
الى فرعون وملائه الذين هم كالبلد الخبيث لا يخرج عنهم نبات الايمان اصلا قيل ان كل من
ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك
الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون لعنه الله الذي ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن
مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا جنوده واشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن
الاشراف امن الاتباع هكذا في اللباب قال البيضاوي وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك
فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وقيل الفرعون باللام التمساح فيعرب
لقب الوليد ولشهرته بالعتو والطغيان يشتق من اسمه الفعل فيقال تفرعن لكل من طغى وتجبر
فظلموا بها اي فكفروا بالايات وجحدوها اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد قال
الله ان الشرك لظلم عظيم او ظلموا الناس بسببها حين اذوا من امن بها او لانه اذا وجب الايمان
بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف
اهلكناهم وفي الغاية الخطاب عام انتهى وكيف خبر كان وعاقبة المفسدين اسمه والجملة في محل

9

سورة الاعراف

النصب مفعول انظر وفي الجامع المراد بهم الكافرون المكذبون بالرسل وقال موسى عليه
الصلاة والسلام حين دخل مع هارون على فرعون وهو عطف على ثم بعثنا يا فرعون
اني رسول من رب العالمين اي اني مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله خلق
الخلق وهو سيدهم ومالكهم وهو الذي ارسلني اليك وانما وصفه برب العالمين ليبطل دعوى
فيه قال له فرعون لعنه الله كذبت فقال له موسى عليه السلام حقيق اي واجب على ان
لا اقول على الله الا الحق يعني اني رسول من رب العالمين والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه
وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره بيانه بعبارة اخرى اي واجب وحق على اداء الرسالة على
الوجه المطابق لنفس الامر هذا على قراءة التشديد كما هو قراءة نافع واما على قراءة غيره بسكون
الياء فمعناه انا حقيق اي جدير لائق بان لا اقول على الله الا الحق فيكون على بمعنى الباء كقولهم
رميت على القوس اي بالقوس وجيت على حال حسنة اي بحال حسنة ويؤيده قراءة ابي
بالباء فانه قرا حقيق بان لا اقول قال الاستاد معناه على قراءة غير نافع اي اداء الرسالة حق
واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا مثلي ناطقا به وقال ابو عبيدة معنى حقيق اي
حريص يعني انا حريص على ان لا اقول على الله الا الحق والله اعلم قد جئتكم ببينة من ربكم
اي ببرهان على صدقي فيما ادعي من الرسالة والمراد ببينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم
ان موسى لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال فارسل معي بني اسرائيل
يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل واستعملهم
في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة وفي المدارك معناه
خلهم يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي
غلب فرعون نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام قال فرعون ان كنت جئت
باية فات بها ان كنت من الصادقين يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ
الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فاتني بها واحضرها
عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت قال ابو منصور دلت الاية على ان اللعين عرف
عبودية نفسه وتلبيس بالربوبية حيث طلب منه الاية على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده
اله لقال من ارسلك ولم يطلب منه الاية فالقى عصاه قال ابن عباس العصا اعطاه جبريل
حين توجه الى مدين وقالوا كانت من الجنة حملها ادم منها الى الدنيا وهي من الاس فاذا
هي ثعبان مبين اي بين ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا والثعبان الذكر من الحيات ووصفه
هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات لعظيم الضخم ووصفه في اية اخرى كانها جان والجان
الحية الصغيرة البيضاء والجمع بين هذين الوصفين بانها كانت في عظيم الجثة كالثعبان العظيم
وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى العصا
صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من

Copyright © King Saud University

الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض ولحيها الاعلى على سور
القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث في ذلك
اليوم اربعمائة مرة وقيل استطلق بطنه من الخوف ولم يكن احدث قبل ذلك بل كان يستفرغ ما
ياكله وقيل انها اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم
بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا او من بك وارسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا
كما كانت وفي كون الثعبان المبين وجوه الاول انه تميز وبان ذلك عما عملته السحرة من التمويه
والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتخيلهم الوجه الثاني انهم
شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين الوجه
الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كانه ابان صدق قول موسى فانه
رسول من رب العالمين ونقل صاحب التيسير عن وهب ان موسى وهارون عليهما السلام لما
دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعا بها فقال لا اله الا الله الحليم
الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم اني
ادرأ بك في نحره واعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت فتحول ما في قلب
موسى من الخوف امنا وتحول ما قلب فرعون من الامن خوفا فمن دعا بهذا الدعاء وهو خايف امنه
الله ونفس كربته وخفف عنه كرب الموت انتهى واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال عصا
موسى اسمها ماشا واخرج ايضا ابن ابي حاتم عن مسلم قال عصى موسى هي الدابة يعني دابة الارض
وقال الحسن ولما عاين ذلك يا موسى ارجع يومك هذا وكف ثعبانك هذا قاله سرا دون اصحابه
وقال لاصحابه ان هذا لساحر عليم ثم لما ارى فرعون عجايب العصا قال هل من اية غيرها **ونزع**
يده اي اخرج يده من جيبه او من تحت جناحه **فاذا هي بيضاء للناظرين** اي بيضاء
بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار اي ذات شعاع لهم لا انها كانت
بيضاء في جبلتها روي ان موسى عليه السلام كان ادم شديد الادمة فادخل يده في جيبه
او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ثم ردها
ثم اخرجها فاذا هي لونها الاول قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير
سوء يعني من غير برص وانما قال من غير سوء لانه لما كان البياض للمرض عيبا في الجسد
قال في اية اخرى بيضاء من غير سوء والحاصل فاذا هي منيرة لها شعاع كشعاع الشمس
الابصار يسطع نورها في السماء قد اضاء الارض بياضا عجيبا يتعجب منه فان قيل ما الحكمة
في القاء العصى ونزع يده من جيبه وتغيرهما بعد ذلك ولم لم يغيرهما الله وهما بحالهما قلنا
والعلم اراهم ذلك بعد اخراجه من سلطانه وتدبيره ليعلم انهما صارتا كذلك بصنع الله
لا بفعله فانها صارت حية بعد ما اخرجها من يده وصارت يده بيضاء بعد ما غيبها عن البشر
ليعلم انهما صارتا كذلك بالله لا به والمعجزة على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة
ولكن

ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
كتمني الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه علم
انه من عند الله ودل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم مع حرص اليهود على تكذيب
النبي عليه السلام الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من
بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبي بشيء من تلك
المعجزات الخارجة الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي
اظهر ذلك المعجز على يد نبيه لتكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت
بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل
سبق لها واخراجها من العدم البحت المحض الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخرق
العادات سبحان من هو باين عن خلقه وليس كمثله شي قوله تعالى **قال الملا من قوم فرعون**
ان هذا اي موسى **لساحر عليم** يعنون انه لياخذ باعين الناس حتى يخيل اليهم العصى
حية والادم ابيض ويرى الشي بخلاف ما هو به وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب
في ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز عنه غيره قالوا الساحر عليم اي فايق في علم السحر وفي الشعر انه
من قول فرعون نفسه فكانهم قالوه معه على التشاور والسحر لطف الحيلة في اظهار اعجوبة
توهم انها من خرق العادة لخفاء سبيلها فقال فرعون عدو الله ورسله ولكل نبي ووصي
تنفيرا لهم من موسى كليم الله **يريد ان يخرجكم** بسحره **من ارضكم** يعني يريد موسى ان
يخرجكم ايها القبط من ارض مصر **فماذا تامرون** بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على
انه مفعول ثان لتامرون بحذف الجار كما قاله محذوف والتقدير باي شي تامروني ان نفعل
به تحير الملعون عند غلبة سلطان المعجزة فنسي دعوى الربوبية ومرتبة كونه امرا ناهيا
لهم يخاطبهم خطاب الاذلاء المقهورين المكلفين المامورين فماذا تامرون **قالوا** اي الملا
لفرعون عند تحيره **ارجه واخاه** هارون وكان معه على ما ذكر في موضع اخر قرا ابو بكر
وابو عمرو ويعقوب ارجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة من ارجات وكذلك قرا ابن
كثير وابن عامر في رواية هشام ارجئهو بهمزة ساكنة وهاء ساكنة متصلة بواو على الاصل
وقرا نافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي ارجهي بهاء متصلة بياء من ارجيت
بمعنى اخرت وهما يشبعان الهاء كسرا وفي رواية قالون ارجه بهاء مكسورة بغير ياء للاكتفاء
بالكسرة عنها وقرا حمزة ارجه بسكون الهاء لتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل رجه كابل
في اسكان وسطه وقرا ابن عامر في رواية ذكوان ارجئه بالهمز وكسر الهاء ووجهه ان
الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها والمعنى اخر امرهما حتى تنظر في امرهما فلا تقتلهما
ولا تومن بهما فان هذا يدل على تقدم شيء فكانه هم بقتله فقالوا اخر قتله ليتبين سحره عند
الخلق جميعا فلا يتبعهما او انهما صادقان ويدل على ذلك قوله تعالى وقال فرعون ذروني

Copyright © King Saud University

اقتل موسى ومن قتل الارجاء بالحبس فاصاب المراد لان فرعون ما كان يقدر على حبس
موسى بعد ما رأى من امر العصا ما رأى وارسل في المداين اى مداين صعيد مصر
حاشرين يعنى رجالا يجمعون ويحشرون اليك السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى انهم
قالوا لفرعون ارسل الى هذه المداين رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون الكهنة فيها
من السحرة وكان روساء السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه وتبعناه
وان غلبوا على موسى علمنا انه ساحر فذلك قوله يأتوك اى الشرط بكل ساحر
قراءة الجمهور سحار بتشديد الحاء بعدها الف والقراءة ايضا بسين بعدها الف والفرق بين الساحر
والسحار ان الساحر هو المبتدى في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذى
يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذى يدوم سحره
ويعمل في كل وقت عليم يعنى ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحق والسدى
ان فرعون لعنه الله لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لا نقابل موسى
الا بمن هو منه فاتخذ غلمانا من بنى اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفرماء يعلمونهم السحر
فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا ومعهم معلمهم
فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر اهل الارض الا ان
يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى
به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين
اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بنى اسرائيل وقال الكلبى كان الذين
يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا
اثنى عشر الفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال
محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدى كانوا بضعا وثمانين الفا ويقال رئيس القوم
شمعون وقيل يوحنا وجاء السحرة فرعون اى لما اجتمعوا جاؤا الى فرعون قالوا
اى السحرة لفرعون أإن لنا لاجرا اى جعلا وعطاء تكرمنا به قرأ اهل الحجاز وحفص
ان لنا على الخبر غير استفهام وقرأ الباقون بالاستفهام ولم يختلفوا في الشعراء انه مستفهم
ان كنا نحن الغالبين يعنى لموسى قال الامام فخر الدين وللقايل ان يقول كان حق الكلام
ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سايل سأل ما قالوا اذ
جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم اى قال للسحرة
فرعون لكم الاجر والعطاء وانكم لمن المقربين اى ولكم المنزلة الرفيعة عندى مع الاجر يعنى
لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة انى اجعلكم من المقربين عندى قال
الكلبى تكونوا اول من يدخل على واخر من يخرج من عندى قالوا اى السحرة يا موسى اما
ان تلقى اى عصاك واما ان نكون نحن الملقين يعنى عصينا وحبالنا خيروا موسى اماما مراعاة
للادب او اظهارا للجلادة قال الاستاد وهنا دقيقة لطيفة وهى ان السحرة راعوا مع موسى

عليه السلام

اى الملاء — فاعل الغلبة — اى السحرة — ساحر — اى السحرة — اى وقرئ بالاستفهام

عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقاء فلا جرم ان الله عز وجل عوضهم
حيث تادبوا في الظاهر مع نبيه موسى ان من عليهم بالايمان والهداية قال اى قال لهم
موسى القوا يعنى انتم فقدمهم على نفسه في الالقاء اكراما وتسامحا او استهزاء وثوقا
على شأنه فان قلت كيف جاز لموسى ان يأمر بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر والنهى
عنه فرض والجواب ان معناه ان كنتم محقين في القائكم فالقوا والا فلا تلقوا او امرهم بالالقاء
اولا واذن لهم في ذلك توسلا به الى اظهار الحق يعنى امرهم بالالقاء لتظهر معجزته لانه
اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه او علم موسى عليه السلام
انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخيير في التقديم والتاخير فاذن لهم
في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو القى اولا لم يكن له غلبة وظهور عليهم فلهذا
المعنى امرهم بالالقاء اولا فلما القوا اى حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس
اى صرفوها عن حقيقة ادراك الشىء بان موهوا وخيلوا اليهم ما لا حقيقة له والفرق
بين السحر والمعجزة ان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشىء والمعجزة قلب نفس
نفس الشىء وحقيقته كقلب عصى موسى عليه السلام حية تسعى واسترهبوهم اى خوفوا
الناس وارهبوهم حيث خيلوا عصيهم وحبالهم في اعين الناس حيات تسعى وجاؤا
بسحر عظيم في بابه وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى حيات كامثال
الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا
داخل تلك العصا زيبقا والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها
على البعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت
كلها حيات وافاعى ففزع الناس من ذلك واوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة
لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله انهم
لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب
السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه
عليه السلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام
ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هى تلقف قرأ حفص تلقف ساكنة
اللام خفيفة القاف وقرأ الاخرون بفتح اللام وتشديد القاف اى تبتلع سريعا ما يافكون
اى ما يكذبون فيه ويزورونه يعنى ما يقلبون بتمويههم لان اصل الافك قلب الشىء وصرفه
عن غير وجهه قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى موسى ان لا تخف والق عصاك فالقاها
فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال
بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هى تلقف اى تبتلع كل شىء اتوا
به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم

اى بان خيلوا اليها ما لا حقيقة لها — اى بحذف احدى التائين اذ اصله تتلقف

Copyright King Saud University

الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون
الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت اول مرة فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه
من امر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا
سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى فوقع الحق يعني فظهر وثبت الحق الذي جاء
به موسى وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة قالت السحرة لو كان هذا سحرا
لازداد جرم العصا او لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا
ان ذلك من امر الله وقدرته فغلبوا هنالك اي ففي ذلك الزمان او المكان الذي
هلك فيه اللقم غلب فرعون وسحرته وجنوده وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء
مبهوتين بين الناس او رجعوا اذلاء مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني خروا
لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم معرفته والايمان به او جعلهم ملقين على
وجوههم كانما القاهم ملق لشدة خرورهم ولم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا فكانوا
اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة رضي الله عنهم وكذلك قالوا اي القوا
ساجدين قايلين امنا برب العالمين اي تبرؤا من كفرهم وامنوا بربهم ولما سمعوا من
موسى وهارون حين اتيا فرعون ما قالا انا رسول رب العالمين حفظوا هذا الاسم ففهموه
يوم القاء العصا فتكلموا به وهكذا ينبغي لمن سمع علما ان يحفظه وان كان لا يعمل به في الحال
لانه ينفعه في المال ولما قالوا امنا برب العالمين فقال فرعون اياي تعنون قالوا بل رب
موسى وهرون فبهت فرعون لردهم عليه وابدال الثاني من الاول وانما ابدلوا لئلا يتوهم
فرعون بانهم ارادوا هو به وضموا على موسى هارون لان فرعون قد ربى موسى صغيرا
فلما قالوا وهارون زالت الشبهة بالكلية وعرف الكل بانهم كفروا بفرعون وانما قدموا
السجود على الايمان شكرا على ما هداهم الله اليه والهمهم بذلك فلا اعتراض فان قيل كيف حكى الله عن
السحرة في هذه السورة بقالوا امنا الى وتوفنا مسلمين ثم حكى عنهم هذا المعنى في سورة طه والشعراء
بزيادة ونقصان في الالفاظ المنسوبة الى السحرة وهذه الواقعة ما وقعت الا مرة واحدة قلنا
لان بعضهم تكلموا بخلاف عبارة صاحبه فكثر الله لنا اختلاف عباراتهم او لحكمة اقتضت التكرار
والاعادة وهي تاكيد التحدي واظهار الاعجاز وايضا محاورتهم كانت بلغتهم لا بالعربية فمرة
حكى الله الحكاية مطابقا للفظهم في الترجمة رعاية للفظ ومرة حكاها بالمعنى جريا على عادة
العرب في التفنن في الكلام والمخالفة بين اساليبه كيلا يمل اذا محض تكراره قال فرعون
للسحرة حين امنوا امنتم به اي بموسى وصدقتموه قبل ان اذن لكم اي قبل ان امركم بالايمان
به واذن لكم فيه قرا حفص امنتم على الخبر ههنا وفي طه والشعراء وقرا الاخرون بالاستفهام
اي امنتم بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني ان
هذا الصنع الذي صنعتما انتم وموسى في مدينة قبل خروجكم الى هذا الموضع والميعاد يعني الا
على ما قاله ابن زيد وذلك ان فرعون راى موسى قبل خروجه الى الميعاد يحدث كبير السحرة

بان قال له ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد انما جئت به حق قال كبيرهم لاتين غدا بسحر
لا يغلبه سحر والله لئن غلبتني لاومنن بك ولاشهدن انك حق وفرعون ينظر اليهم
وظن انهما قد تواطا عليه وعلى اهل مصر ولهذا قال ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اذا التقيتما
لتخرجوا منها اهلها يعني لتستولوا على القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل ثم قال فرعون اظهارا
لقوته وتخويفا لهم فسوف تعلمون اي فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر وعيده فقال
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف
بينهما في القطع ثم لاصلبنكم اي لاعلقنكم بعد القطع اجمعين يعني على شاطي نيل مصر
قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي والارجل فرعون قالوا مجيبين لفرعون
حين وعد بالقتل انا الى ربنا منقلبون يعني انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربه وثوابه
ورحمته او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى دار الاخرة فيحكم الله بيننا يعني
فيجازيك على ما فعلت بنا على الباطل ويجازينا على اتباعنا الحق والصبر على عذابك وانا ميتون
لا محالة سواء كان بقتلك او بطريق اخر والحاصل انهم استطابوا القتل لكونه وصلة الى لقاء الله
تعالى وما تنقم منا اي وما تنكر منا او وما تكره منا او ما تطعن علينا او ما تعيب منا
او ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا الا ايماننا وتصديقنا بايات ربنا
لما جاءتنا وهو خير الاعمال وافضل المناقب واساس المآثر ومنه قوله لا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب ثم فزعوا الى الله تعالى وسالوه الصبر على تعذيب
فرعون لعنه الله اياهم فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ
الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد اللعين قال الاستاد اي اصبب علينا
صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ المنكر يعني صبرا واي صبر عظيم وفي الغاية وقد روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لم يعط احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وتوفنا مسلمين اي منقادين
لقضايك ثابتين على الاسلام غير مفتونين من الوعيد ولا يخفى ان الاية الكريمة ساكتة عن انه فعل
بهم ذلك ام لم يفعل ولذلك وقع الخلاف قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في اول النهار سحرة
وفي اخر النهار شهداء وقال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وذكر غيره انه
لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ثم ان فرعون
لعنه الله كلما راى موسى خافه اشد الخوف فلهذا لم يامر بحبسه ولم يتعرض له بل خلى سبيله كما
قص الله عنهم بقوله وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه يعني وقال جماعة
من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرايل ليفسدوا في الارض
اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك روي انهم لما غلبوا امن بموسى ستماية
الف من بني اسرايل فقالهم ذلك فتقاولوا هذه المقالة ويذرك والهتك يعني ويتركك ليذرك
ويذر الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال السيوطي وكان اللعين صنع لقومه اصناما صغارا
يعبدونها وقال انا ربكم وربها ولذا قال انا ربكم الاعلى قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة وكان

Copyright King Saud University

يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال
السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب
هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال فرعون لعنه الله كان
دهريا منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هي الكواكب فاتخذ اصناما
على صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم
في الارض فلهذا قال انا ربكم وقرا ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك والهتك
بكسر الهمزة ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد
بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها **قال** اي فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى
وقومه **سنقتل** قرا نافع وابن كثير بالتخفيف والجمهور بالتضعيف **ابناءهم** المولودين **ونستحيي**
نساءهم يعني نتركهن احياء كفعلنا بهم من قبل وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني
اسرائيل بعدما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون
اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما تقوى موسى
بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك
بقوله **وانا فوقهم قاهرون** يعني بالغلبة والقدرة عليهم ففعلوا بهم ذلك فشكى بنو
اسرائيل الى موسى ما نزل بهم من قتل اولادهم مرة اخرى **قال موسى** تسكينا **لقومه** حين
سمع شكواهم **استعينوا بالله واصبروا** على ما سمعتم من اقاويله الباطلة من قتل الاولاد
وتعذيبكم **ان الارض لله** اي ارض مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى **يورثها** يعطيها
من يشاء من عباده وهذا اطماع من موسى لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو
اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وعلق الايراث بالمشية فاجمل ثم بينه بقوله **والعاقبة**
المحمودة **للمتقين** وهذه بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين من بني اسرائيل من القبط او النصر والظفر
او السعادة والشهادة وقيل الجنة وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان **قالوا اوذينا**
من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعني قال بنو اسرائيل لموسى اوذينا بقتل الاولاد واستخدامنا
نصف النهار من قبل ان تاتينا بالرسالة ومن بعد مجيئك باعادة القتل مرة اخرى واستخدامنا
كل النهار ويظهر من شكوى بني اسرائيل بانهم كرهوا مجيء موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب
بان موسى كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة ~~عليهم قالوا اوذينا~~ والمشقة فظنوا ان
ذلك على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا الى اخره فمتى يكون ما وعدتنا
به من زوال ما نحن فيه **فقال** موسى مجيبا لهم **عسى ربكم ان يهلك عدوكم** اي
فرعون وقومه **ويستخلفكم في الارض** اي ويجعلكم تخلفونه في ارضهم بعد اهلاكهم وهذا تصريح
بما رمز اليه من البشارة وكشف له لان عسى في مثل هذا المقام تاكيد وتحقيق لا لمجرد توقع
ورجاء ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم من بعدهم
قال السلطان وقد روي ان مصرا انما فتح في زمن داود عليه السلام **فينظر كيف تعملون**

سورة الاعراف

اي فيرى ربكم ما تعملون من بعدهم من شكر وكفر وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم قال الزجاج فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه
منهم انما يجازيهم على ما يقع من اعمالهم قال البغوي فحقق الله ذلك فاغرق فرعون واستخلفهم
في ديارهم واموالهم فعبدوا العجل وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة
وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب المنصور زيادة لعمرو فلم يوجد رغيف اخر فقرا
عمرو هذه الاية ثم دخل عمرو عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف
تعملون قوله عز وجل **ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين** اي عبارة الال على عبارة القوم
لانتظامها الاناث حقيقة ودخول فرعون في الحكم المذكور بطريق الدلالة هذا شروع في تفصيل
مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يهلكهم بعد ذلك ولم يكونوا في حفظ بل رتبت
اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال والسنون جمع
سنة بالفتح وكسرت السين في الجمع ليدل على انها جمعت على غير قياس واصلها سنوة فخففت
بالحذف والمراد بها عام القحط لكثرة دورانها على السنتهم ولان الوقايع بها تؤرخ فصارت
كالدابة والنجم ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا والمعنى ولقد اخذنا ال فرعون
بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة وهي سبع سنين يقال الحرب اسنتهم السنة اي جدب
السنة وشدة السنة **ونقص من الثمرات** اي بكثرة العاهات وتلاف الغلات بالافات
قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار **لعلهم يذكرون**
اي يتعظون فيؤمنون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة والجوع
والامراض ونقص الاموال ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير قال سعيد
ابن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة سنة لم ير مكروها
ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط
وقيل عاش اللعين اربعمائة سنة ولم يصبه مكروه في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصاب اللعين
في تلك المدة جوع او الم او حمى او طاعون لما ادعى الربوبية ثم بين الله تعالى انهم عند نزول
تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال عز وجل **فاذا جاءتهم الحسنة** اي الخصب
والسعة والسلامة من الافات **قالوا لنا هذه** اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها ولاجلنا
هذه السعة والغنا ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه **وان تصبهم**
سيئة اي القحط والجدب والمرض والبلاء وراوا ما يكرهون في انفسهم **يطيروا** اي
يتشاموا واصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لانهما من طرف اللسان واصول الثنايا والتطير
التشوم في قول جميع المفسرين **بموسى ومن معه** اي انهم قالوا انما اصابنا بلاء الاحين رايناهم وما ذلك الا بشوم موسى ومن معه وهذا القول منهم نهاية في غباوتهم وقساوة قلوبهم
لان نسبة السيئة الى من هو مستغرق في شكر نعمة الله قائم باوامر الله ونواهيه نهاية الغي والجهالة
الا انما طائرهم عند الله اي ليست خيرهم وشرهم الا عند الله وهو حكمه ومشيته المتضمنة

Copyright … University

للحكم والمصالح او ليس سبب شومهم وهو اعمالهم السيئة الا عند الله اي مكتوبة لديه فانها التي
ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طاير وقيل جمع له
وان شئت قلت معناه ان نصيبهم من الخير والجدب والخير والشر كله من الله اي من عند الله
قال ابن عباس طايرهم ما قضي لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شومهم
عند الله ومن قبل الله يعني انما جاءهم الشوم بكفرهم بالله وقيل معناه الشوم العظيم هو الذي
لهم عند الله من عذاب النار والحاصل اتفقوا في التطير انه بمعنى التشام واختلفوا في الطاير
فقيل هو بمعنى السبب وقيل بمعنى النصيب وقيل بمعنى القضا وقيل بمعنى الشوم قلت وبالله التوفيق ولو
فسروا الطاير بالشوم كالتطير لكان انسب لما نقل عن الازهري انه قال العرب تسمي الشوم طايرا
او طيرا او طيرة لتشامهم ببارحها وبنعيق غرابها وباخذها ذات اليسار اذا اثاروها
وكانت العرب تزجر الطير فتتشام بالبارح وتتبرك بالسانح والسانح من الطير ما يجي من
جهة مياسر الانسان ويجوز الى جهة يمينه ويتبرك به لانه يمكن رميه بخلاف البارح فانه الذي
يجي من جهة يمين الانسان ويجوز الى جهة يساره فلا يمكن رميه حتى يتحرف الرامي اليه وقال
روبة السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقيل ان كثيرا من اهل الجاهلية
كان اذا اراد الحاجة ذهب الى الطير في وكرها ينفرها فاذا اخذت يمينا مضى الى حاجته وهذا
هو السانح عندهم واذا اخذت شمالا رجع وهذا هو البارح عندهم فنهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك بقوله اقروا الطير على وكناتها الوكنة موقع الطير حيثما وقعت والجمع وكنات
وقال صلى الله عليه وسلم من رجعه التطير عن حاجته فقد اشرك قيل وما كفارة ذلك يا رسول الله
قال ان يقول احدكم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي الى حاجته وانما جعلوا
الطاير امارة ودليلا على الشوم تسمي الشوم طايرا وطيرا تسمية للمدلول باسم الدليل هذا
وجه ما نقل عن الازهري وهو المنقول في رواية عن ابن عباس حيث قال طايرهم اي شومهم من
قبل الله كما ذكرنا وقال الفراء وقد تشاءمت اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا غلت
اسعارنا وقلت امطارنا وكثرت امواتنا منذ اتانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم اعلم الله تعالى على لسان
رسوله ان طيرهم باطلة فقال عليه السلام لا طيرة ولا هام وكان صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير واصل
الفال الكلمة الحسنة وكانت العرب مذهبها في الفال والطيرة واحدا فاثبت النبي صلى الله عليه وسلم الفال
وابطل الطيرة والفرق بينهما ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية والطيرية
فالكلمة التي تجري على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهايم فان
ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شيء من الاحوال وفي التبصرة ومعناه اي شومهم
كفرهم ومعاصيهم فانها اسباب الافات والحاصل الخير والشر جميعا من عند الله وخلقه
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما اصابهم من الله وانما قال اكثرهم لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيفون
الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر وبعضهم يعلمون ان ما اصابهم من
البلايا والمصايب ليس الا من الله بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا او استكبارا

لان بصائرهم عن الاعتبار مسدودة وعقولهم عن شهود الحق مصدودة وافهامهم
عن ادراك المعاني مردودة فلا يعرفون ان الضار والنافع والمطلوب والمقصود هو الله وكل
ما يفعله المحبوب فهو محبوب فلذلك قالوا ما قالوا **وقالوا** اي قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه
السلام بعدما راوا من شان العصا وغيره **مهما تاتنا به** اصله ما الشرطية ضمت
اليها ما المزيدة لتاكيد معنى الشرط فصار ماما واستثقال التكرار قلبت الالف هاء فصار مهما
وهذا مذهب البصريين وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف اي الزاجر المانع بمعنى من
يكف غيره لان مه اسم الفعل بمعنى الكف وما الشرطية ومحلها الرفع على الابتداء او محلها
النصب بفعل يفسره تاتنا به اي ايما شيء تحضرنا تاتنا به **من اية** بيان لمهما وانما سموها
اية ومعجزة على زعم موسى لا لزعمهم واعتقادهم بل كانوا يستهزءون بموسى ومن معه والحاصل
قال القوم فرعون لموسى ● تهكما متى تاتنا بمعجزة على ظنك من عندك فهي عندنا سحر يدل عليه
قولهم **لتسحرنا بها** اي لتصرفنا عما نحن عليه من الدين يعني لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا ديننا
والضمير في به وبها يرجع الى ما الشرطية في مهما الا ان به ذكره باعتبار لفظها قبل التبيين اي من اية
وانث بها باعتبار المعنى بعد التبيين لانه في معنى الاية من حيث المرجع **فما نحن لك بمؤمنين**
اي بمصدقين اقناط لموسى من ايمانهم ومدفع له عن الاشتغال باظهار المعجزات وكان موسى
رجلا حديدا مستجاب الدعوة فاشتد غضبه ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه فقال الله عز وجل
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قال ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما امنت السحرة
ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله تعالى
عليهم بالايات فاخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات
اليد والعصى فلم يومنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض
وبغى وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة
ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء
وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء
الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شيء وركد الماء
على ارضهم فلم يقدروا على التحرك ولا يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من
السبت الى السبت وقال مجاهد وعطا الطوفان الموت وقال وهب الطاعون بلغة اهل اليمن
وقال ابو قلابة الطوفان الجدري وهم اول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل
الطوفان الماء طغا فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس الطوفان امر من امر الله عز وجل
طاف فعند ذلك قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نومن بك ونرسل معك
بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة
شيئا لم ينبته قبل ذلك من الكلاء والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء

الا نعمة علينا فلم يومنوا واقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زروعهم
وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة حتى
اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلي الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلأت دور القبط
ولم يصب بني اسرايل من ذلك شي فعجبوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لين كشفت عنا هذا
الرجز لنومنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم
الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جراد جند الله
الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد
من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي
ديننا فلم يومنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا في
عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدي
والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له وقال ابو عبيدة هو الحمنان
وهو ضرب من القراد وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ والقمل
بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب
رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانهال
عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس الارض وكان
يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ قملا قال سعيد بن
المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحاء
فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان عليهم اشد من القمل واخذت
اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدري
عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا
البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى
السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا
قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعد ما
اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وافنيتهم
واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم
يجلس في الضفادع فيبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم تثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت
تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفي نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته
الضفادع حتى يكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الاخر واذا اراد ان ياكل
سبقته الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الا امتلأ ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلأت
ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية

فلما ارسلها الله عز وجل على ال فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في
القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها
برد الماء فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما يلقون من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب
ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع
بعد ما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا
الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه السلام فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل
عليهم دما وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الابار والانهار وجدوه
دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون لعنه الله وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم
فقالوا من اين يسحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيا من الماء الا دما عبيطا فكان فرعون
يجمع بين القبطي والاسرايلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرايلي ماء وما يلي القبطي دما
ويقومان الى الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللاسرايلي ماء حتى ان المراة من ال فرعون تاتي الى
المراة من بني اسرايل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مايك فتصب لها من قربتها فيصير
في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتفعل ذلك فيصير دما وان فرعون
اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماوها دما فمكثوا
على ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلطه الله عز وجل
عليهم كان الرعاف فاتوا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلقون وقالوا
ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنومن بك ونرسل معك بني اسرايل فدعا موسى ربه
فكشف ذلك فلم يومنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ايات مفصلات اي يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقيم عليهم
اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر فاستكبروا اي عن الايمان فلم يومنوا وكانوا قوما
مجرمين يعني ال فرعون لاقامتهم على كفرهم بعد ما راوا تلك الايات العظام قوله تعالى
ولما وقع عليهم الرجز اي ولما نزل بهم العذاب الذي في الاية المتقدمة من الطوفان والجراد
والقمل الخ او الطاعون وهو العذاب السادس بعد الطوفان الى الدم قيل نزل بهم الطاعون
حتى مات منهم في يوم واحد سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون ق عن اسامة بن
زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طايفة
من بني اسرايل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض
وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي
ادع الله لنا بعهده عندك وهو النبوة فان النبوة عهد من الله لرسله كما يكتب العهود في الناس
او بالدعاء والاسماء والاسرار التي علمك واوصاك ان تدعو به فيجيبك كما اجابك في اياتك السابقة
وعلى الوجهين الباء صلة لادع او حال اي متوسلا اليه بعهده عندك او الباء متعلق بفعل
محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك والباء للقسم

Copyright © King's ... University

لئن كشفت عنا الرجز اى العذاب الذى وقع بنا بدعائك لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بنى اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا العذاب بدعائك لنصدقن
بما جئت به منقادين لك ولنرسلن ونخلين بنى اسرائيل حتى يذهبوا معك حيث شاءوا فلما
كشفنا عنهم الرجز اى العذاب بدعوة موسى الى اجل هم بالغوه اى الى حد من
الزمان هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه او يهلكون ولا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال
وكشف العذاب الى حلوله قال الشيخ معناه الى الوقت الذى اجل لهم وهو وقت اهلاكه بالغرق
فى اليم قال الاستاد اى الى اجلهم بالغوه فى علم الله وهو الوقت المقدر لعذابهم او لاهلاكهم
وقيل الى وقت عينوه لايمانهم وكانهم عينوا وقتا لجتمع فيه الحاضر والبادى والوجهوى لان
فاذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم الرجز فاجئوا النكث ونقضوا العهد
من غير توقف وتأخر وتأمل فى النكث فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال فرعون
وقومه انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة فى تواليها واظهار الكثير منها فالجواب
على مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل واما على قول
المعتزلة فى رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم يؤمن بتوالى تلك
المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده فانتقمنا منهم اى
فاردنا الانتقام منهم لما اسلفوا من المعاصى والجرائم وانما فسرنا الانتقام بارادة الانتقام
لان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان
يكون المراد مطلق الانتقام والفاء فى اغرقناهم تفسيرية كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه
فقال رب الى اخره فى اليم اى فى البحر المالح الذى لا يدرك قعره وهو القلزم وقيل النيل
وقيل فى لجته ومعظمه والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا
عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى وقت لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله
فاغرقناهم فى اليم يعنى البحر قال الازهرى اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم
اليم على البحر المالح والبحر العذب ويدل على استعمال اليم فى البحر المالح والعذب قوله تعالى
فاقذفيه فى اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب لان موسى عليه السلام رمى فى النيل
بانهم كذبوا بآياتنا يعنى اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على
وحدانيتنا وصدق نبيتنا وكانوا عنها اى عن آياتنا غافلين اى معرضين
او عن حلول النقمة بهم غافلين لم يلتفتوا اليها ولم يتفكروا فيها حتى صاروا غافلين
عنها قيل لما تمت الآيات والمعجزات عليهم امر الله ان يخرج بنى اسرائيل من ارض مصر
ليلا فاستعارت نساؤهم من نساء القبط ثيابهم وحليهم بعلة العرس فخرج بهم
ستمائة الف من رجل وامرأة وصبى فاخبر بذلك فرعون فركب وقت الصبح ومعه الف
الف ومائتا الف فادركهم وقت طلوع الشمس وانتهى موسى الى البحر فضرب البحر بعصاه فانفلق
له اثنا عشر طريقا فعبر كل سبط فى طريق واقبله فرعون ومن معه حتى انتهوا حيث عبر موسى
فدخلوا

فدخلوا فى ذلك الطريق فى طلبهم فلما دخل اللعين مع جنوده وقومه وهم اولهم ان يخرج
من البحر امر الله البحر فغرقهم فرجع موسى ببنى اسرائيل فسكنوا ارض مصر وقال الله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون اى واعطينا ومكنا القوم الذين كانوا يستذلون
ويغلبون بذبح الابناء واستخدام النساء والاستعباد وهم بنو اسرائيل فقوله الذين كانوا
يستضعفون صفة للقوم والمعنى ان فرعون وقومه اى القبط كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل
فقتلوا ابناءهم واستخدموهم فصاروا مستضعفين تحت ايديهم مشارق الارض
ومغاربها اى ارض الشام ومصر ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها
كلها واراد بمشارق الارض ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق الارض
ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل اراد جميع
جهات الارض كما اشرنا وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان عليهما السلام كانا
من بنى اسرائيل وقد ملكا الارض والحاصل ان الله رفع بنى اسرائيل من حضيض المذلة الى اوج
العزة بمحض فضله وعظيم احسانه ولطفه التى باركنا فيها بالماء والثمار والاشجار و
الزروع والخصب والسعة وهذا يدل على ان تلك الارض المقدسة وقد قدسها بانها
الانبياء ومثابة الاولياء وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل اى مضت وكملت
ووفت كلمة الله الاحسن الاكمل وهى وعد الله لبنى اسرائيل بالنصر على عدوهم وتمكينهم
فى الارض من بعد اهلاك عدوهم وقيل كلمة الله وعده الجميل لبنى اسرائيل بقوله عز وجل
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم الوارثين والحسنى صفة للكلمة
وهى تانيث الاحسن واتمام الكلمة عبارة عن انجاز ما وعد الله لبنى اسرائيل من تمكينهم فى الارض
بعد اهلاك اعدائهم واستعمال التمام بعلى مبالغة فى انجاز وعد الكريم كانه استعلى لبنى اسرائيل
على القبط ورفعهم بما صبروا يعنى انما حصل لبنى اسرائيل ذلك التمام وهو ما انعم الله
به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذى عدوهم فرعون لهم
ودمرنا اى واهلكنا والتدمير الهلاك باستيصال ما كان يصنع فرعون وقومه
القبط فى ارض مصر من العمارات والبنيان والقصور وما كانوا يعرشون يعنى يسقفون
ويرفعون من ذلك البنيان والجنات قرأ ابن عامر بضم الراء والباقون بكسرها وقال الحسن
ما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور
فان قيل كيف الجمع بين قوله عز وجل ودمرنا ما كان يصنع الخ وبين قوله عز وجل فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بنى اسرائيل قلنا معناه ابطلنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من المكر والكيد فى حق موسى عليه السلام وما كانوا يعرشون اى يبنون
من الصرح الذى امر فرعون هامان ببنائه ليصعد بواسطته الى السماء قال الاستاد والاحق
ان الحمل على ظاهره اولى لان الله تعالى اورث ما كان يصنع فرعون لبنى اسرائيل ثم دمره جميعه
وهذا اخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم اخبر الله عن جهالة بنى اسرائيل

Copyright King Saud University

وما احدثوه بعد انجائهم من عذاب فرعون وقومه تسلية لنبيه مما راى من بني اسرائيل بالمدينة
فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر يعني وعبرنا وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون
وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراءه وقال الكلبي
عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل فاتوا
على قوم يعكفون على اصنام لهم اي فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون
اي يقيمون ويواظبون على عبادة اصنام لهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج
كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل قال قتادة كان اولئك القوم من
لخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من الكنعانيين
الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم وقال البيضاوي والقوم كانوا من العمالقة الجبارين
الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم انتهى قرا حمزة والكسائي يعكفون وقرا الاخرون
بضمها وهما لغتان قالوا اي قال بنو اسرائيل لموسى لما راوا ذلك التمثال يا موسى اجعل
لنا الها اي تمثالا وصورة نعبده ونعظمه كما لهم آلهة يعني كما لهم اصنام يعبدونها
ويعظمونها فاجعل لنا انت الها نعبده ونعظمه وفي الغاية معناه اجعل لنا الها نتقرب به
ونجعله وسيلة الى المعبود الحقيقي كما هم يتوسلون بها الى المعبود الحقيقي ويؤيد هذا ما قال
البغوي قدس سره بقوله ولم يكن ذلك شكا من بني اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل
لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك
لشدة جهلهم وقال غيره هذه تدل على غاية جهل بني اسرائيل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة
غير الله بعدما راوا الآيات الدالة على وحدانية الله وكمال قدرته وهي الآيات التي توالت
على قوم فرعون حتى غرقهم الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم الى ان قالوا
لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها الخ وما في كما لهم آلهة كافة للكاف عن العمل ولذلك
وقعت الجملة او الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة وهم صلتها وآلهة
بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم قال يهودي لعلي رضي الله
عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال علي في جوابه قلتم لموسى اجعل لنا الها ولم
تجف اقدامكم من ماء البحر وفي رواية اخرى قال بعض اليهود لعلي كرم الله وجهه ما دفنتم
نبيكم حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم
لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون اي قال موسى في الرد عليهم انتم
قوم تجهلون عظمة الله حيث قابلتم نعمة الله عليكم بقولكم الشنيع وانه لا يستحق ان يعبد
سواه لانه هو الذي انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وانجاكم منه عن ابي واقد
الليثي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين
كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات
انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى

اجعل

اجعل لنا الها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذي وللحال
وصفهم بالجهل المطلق واكده بان وبتوسط قوم وجعل ما هو المقصود بالاخبار وصفا له لبعد
ما صدر عنهم عن العقل بعد ما راوا من الآيات الكبرى ان هؤلاء اي هؤلاء القوم متبر اي
مكسر وهالك ومدمر ما هم فيه اي في عبادة الاصنام ويحطم تماثيلهم ويجعلها رضاضا
على يدي والحاصل ان هؤلاء العاكفون على الاصنام مهلك اصنامهم اي يهلك الله تماثيلهم على
يدي وباطل ما كانوا يعملون اي وباطل مضمحل ما عملوا من عبادة الاصنام وان قصدوا بها
التقرب الى الله تعالى يعني لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لانه عمل لغير
الله فكان باطلا لا نفع فيه والحاصل تماثيلهم مهلك على يد موسى وعملهم باطل لا ينفعهم سوى
الخذلان في الدارين فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني بالنظر الى العمل ولذلك نسب الى الاول الهلاك
والى الثاني البطلان ثم قال اي موسى عليه السلام لهم توبيخا لان الاستفهام في قوله اغير الله
للانكار ابغيكم الها اي اطلب لكم يا بني اسرائيل معبودا غير الله اجابهم على سبيل التعجب والانكار
وهو فضلكم على العالمين اي على عالمي زمانكم يعني والحال انه سبحانه خصكم بنعم لم يعطها غيركم
كالآيات الباهرة التي لم تحصل لغيركم وان كان غيركم افضل منكم ثم بين الله تعالى انعامه عليهم
بقوله واذ انجيناكم قرا ابن عامر انجاكم مفردا وكذلك هو في مصحف اهل الشام والفاعل هو
الله تعالى والباقون جمعا لتعظيم المتكلم اي اذكروا صنيعة الله معكم في هذا الوقت من آل فرعون
اي من عذابهم يسومونكم من سام السلعة اذا طلبها اي يكلفونكم ويطلبونكم ويذيقونكم
ويعذبونكم سوء العذاب اي اشده ثم بين العذاب بقوله يقتلون ابناءكم اي اولادكم بدل
من يسومونكم قرا نافع بفتح الياء واسكان القاف وضم التاء مخففا والباقون مشددا على التكثير
ويستحيون اي يبقون نساءكم للخدمة وفي ذلكم اي في قتل الابناء واستحياء النساء او
في الانجاء من تعذيب آل فرعون لكم بلاء ابتلاء او انعام اي نعمة او محنة من ربكم
عظيم اي نعمة عظيمة من الله في الانجاء او نقمة منه في العذاب فلا تتعظون فتنتهون عما قلتم
قال الاستاذ والبلاء يطلق على النعمة والنقمة وهذه الآية تقدم في سورة البقرة تفسيرها والفائدة
والفائدة في ذكرها هنا انه تعالى هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال
بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة قرا ابو عمرو
ويعقوب ووعدنا بدون الالف والباقون بالالف يعني وواعدنا موسى للاتيان الى الطور
وانزال الكتاب ولمناجاتنا تمام ثلاثين ليلة ونكلمه عند انتهائها او مكث ثلاثين ليلة وهي ذو
القعدة واتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون
ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم فرعون ان يأتيهم بكتاب
من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه
عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها
فلما تمت انكر خلوف فمه المبارك فتسوك بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملائكة

Copyright King Saud University

كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له
اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر
التي زادها الله لموسى وقيل ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلثين يوما ويعمل فيها ما
يتقرب به ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل
الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل **فتم ميقات ربه اربعين** حال **ليلة**
تمييز اي وقت وعده تعالى بكلامه لموسى عليه السلام يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى
وعبادته اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال وهذا
قيل مواقيت الحج ثم لما اراد الانطلاق الى الجبل امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه ليشهدوا
على ما يشاهدونه من كرامات الله تعالى اياه ففعل واستخلف هارون اخاه على قومه وذلك قوله تعالى
وقال موسى عند ذهابه الى الجبل **لاخيه هارون اخلفني في قومي** يعني كن انت خليفتي
فيهم من بعدي حتى ارجع اليك لان هارون وان كان نبيا لكن كان موسى صاحب الشريعة
واقدم منه وان كان اصغر سنا منه **واصلح** اي ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا بينهم
واحملهم على عبادة الله عز وجل وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم **ولا
تتبع سبيل المفسدين** بموافقتهم على المعاصي يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا
تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد لان هارون صلى الله عليه وسلم لم يكن ممن يتبع سبيل
المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد يعني دم على ما انت عليه من القعود
ولما جاء موسى لميقاتنا اي لوقتنا الذي وقتناه ان نكلمه فيه واللام للاختصاص اي
اختص مجيئه بذلك الوقت **وكلمه ربه** قال في الغاية اي كلمه من وراء حجاب بلا واسطة
كما يكلم الملئكة اي اسمعه كلامه القديم بلا صوت وحرف او اوجد اصواتا وحروفا في سمعه
انتهى قال المعتزلي وكلمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في
الالواح هذا كلامه الفاسد ولا شك في بطلان مذهب المعتزلي وفساده لان الشجرة او ذلك
الجرم لا يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري فثبت بذلك بطلان
مقالته الشنيعة قال البيضاوي بيض الله وجهه اي كلمه من غير واسطة كما يكلم الملئكة
وفيما روي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم
ليس من جنس سماع كلام المحدثين انتهى قال السيوطي معناه كلمه ربه بلا واسطة كلاما سمعه
من كل جهة انتهى قال البغوي فكلمه الله وناجاه حتى اسمعه وكان جبريل معه فلم يسمع ما كلمه
ربه وادناه حتى سمع صرير القلم انتهى وفي المدارك كلمه ربه بلا واسطة ولا كيفية وروي
انه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر ابو منصور في التاويلات ان موسى سمع صوتا دالا على
كلام الله وكان اختصاصه باعتبار انه سمعه صوتا تولى تخلقه من غير ان يكون الصوت مكتسبا
لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله انتهى قلت وفي البخاري

حدثنا

حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ام المؤمنين
رضي الله عنها ان الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني مثل صلصلة
الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا
فاعي ما يقول فيكلمني وذكر ايضا في اول كتابه هذه الاية يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده وفي العقل السليم مثل ما ذكره البيضاوي بعينه وفي التبصرة فسمع كلامه
من جميع الجهات بجميع اجزائه قال الواحدي نقلا عن المفسرين رحمهم الله تعالى لما اراد الله تعالى
ان يكلم موسى اهبط الى الارض ظلمة سبع فراسخ فلما دنى موسى من الظلمة طرد عنه شيطانه
وطرد هوام الارض ونحى عنه ملكاه ثم كلمه الله وكشطت له السماء فرأى الملئكة قياما
في الهواء ورأى العرش بارزا وكان بعد ذلك لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه
من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له امرأته انا ايم منك منذ كلمك
ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت
لله ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك ان لم تتزوجي بعدي فان
المرأة لآخر ازواجها انتهى وفي اللباب وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله حروف
واصوات متقطعة وانه قديم يقول الفقير محمود بن محمد بن علي الشافعي وليس مراد سيدنا احمد
ابن حنبل بانه حروف واصوات كاصوات الادميين فان غوث الثقلين ذكر في غنيته
في العقيدة ما نصه قال محمد بن كعب قال بنو اسرائيل لموسى بما شبهت صوت ربك حين
كلمك من هذا الخلق قال شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يرتجع وهذه الايات والاخبار
تدل على ان لله صوتا لا كاصوات الادميين كما ان علمه وقدرته وبقية صفاته لا تشبه
صفات الادميين كذلك صوته وروى البخاري في صحيحه باسناده عن عبد الله بن انيس انه قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه
من قرب انا الملك انا الديان فاحمد رضي الله عنه يثبت لله ما ثبت له الرسول من حيث
اللفظ وليس عنده التشبيه بكلام الخلق اصلا كما نحن نثبت لله عز وجل الاستواء بلا كيف على
مراده سبحانه ومن تامل في كلام احمد حق التامل يعلم بان مذهبه في الكلام كمذهب الاشاعرة من
غير تفاوت ومن طالع في غنية الشيخ وكذلك في باب العقيدة يفهم ما قلت ان شاء الله تعالى
وقول الشيخ قد علمت في الغنية وقد نص احمد على اثبات الصوت في رواية جميع الاصحاب خلاف
ما قالت الاشعرية من ان كلام الله معنى قائم في نفسه مراده اثبات لفظ الصوت لا التشبيه
بكلام الخلق فانه لا يقول بالتشبيه احد ومما قال احمد وهو مذكور في الغنية انا نقول ان الله
تكلم بلا كيف ولا تشبيه وهذا البحث طويل الذيل ولنقتصر على ما نحن فيه وفي اللباب وذهب
جمهور المتكلمين الى ان كلام الله صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة
ازلية والقائلون بهذا القول قالوا ان موسى سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا كما انه

Copyright © King Saud University

لا يبعد روية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه
ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله
تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار
لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء
وفي القصة ان الله تعالى انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وقدر في
رواية الواحدي سبع فراسخ وطرد الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له
السماء فراى الملئكة قياما في الهوى وارى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف القلم
على الالواح وكلمه الله تعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع
ما كلم الله تعالى به موسى وفي مجمع الاسرار اختلفوا في انه تعالى كلم موسى وحده او مع اقوام
اخرين في ظاهر الاية انه تعالى كلمه وحده لانها تدل على تخصيص موسى بهذا التشريف وقيل بل
السبعون المختارون سمعوا كلام الله لان الغرض من احضارهم ان يخبروا قوم موسى
عما جرى هناك والله اعلم ولما سمع الكلام فاستحلى له هاج شوقه الى روية المتكلم **قال رب**
ارني انظر اليك اي ارني نفسك انظر اليك قاله الزجاج وقال ابن عباس اعطني انظر اليك
او تجلى لي فانظر اليك واراك وانما سال الروية ظنا منه عليه السلام بانه تعالى يرى
في الدنيا وفي جامع الاسرار قال المحقق الشريف قدس سره في شرح المواقف اجمعت الايمة من
اصحابنا على ان رويته تعالى في الدنيا والاخرة جايزة عقلا واختلفوا في جوازها سمعا
في الدنيا فاثبته بعضهم ونفاه اخرون انتهى قال البيضاوي معناه ارني نفسك بان
تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على انه رويته تعالى جايزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى ولذلك
رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته
لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد بعد وجعل السوال لتبكيت قومه الذي قالوا ارنا
الله جهرة خطاء اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم
حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار عن عدم رويته اياه
على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الروية وفي المدارك وهو دليل لاهل السنة على جواز
الروية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى مرئي حتى سالها واعتقاد جواز ما لا
يجوز على الله كفر قال الاستاذ قال موسى عليه السلام الهي سمعت كلامك فاشتقت
النظر اليك فقال انك لن تراني في الدنيا لانه من نظر الي في الدنيا مات فقال موسى
ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم
الله موسى عليه السلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض حتى خرج من بين
قدمي

قدمي موسى عليه السلام فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال موسى الروية
فقال رب ارني انظر اليك **قال** الله تعالى لموسى **لن تراني** اي لا سبيل لك الان في الدنيا
الى النظر الي ومما يرد به على اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة قوله تعالى في صفة
اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيمة بدليل قوله تعالى اخبارا عن حال اليهود
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فعلم ان لن ليس للتابيد
دنيا واخرى بل الدنيا فقط لموسى لا لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه قد جاء في الحديث الصحيح ان المومنين
يرون ربهم عز وجل يوم القيمة في الدار الاخرة وان محمدا راى ربه ليلة المعراج مرارا بردد موسى
محمدا على ربه للصلاة ومما يدل على جواز الروية تعليقه على استقرار الجبل وهو قوله تعالى
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه ولم يتزلزل **فسوف تراني** اي فستقدر على ان تراني
او هو امر جايز الوقوع في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته جايز الوجود وقد روى
البخاري ومسلم عنه صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رويته وحمل الروية على المعرفة لا وجه له لانه صرف الحقيقة من غير ضرورة قال وهب ومحمد
ابن اسحاق لما سال موسى عليه السلام ربه عز وجل الروية ارسل الله الضباب والصواعق
والبرق والظلمة حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى اربع فراسخ من كل جانب وامر الله
اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملئكة السماء الدنيا كثيران البقر
تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال
موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملايكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى
فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد
الضعيف موسى بن عمران مما راى وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وبدنه ثم قال لقد
ندمت على مسالتي فهل ينجيني من مكاني الذي انا فيه شي فقال له خير الملئكة ورئيسهم
يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملايكة السماء الثالثة ان
اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال النسور لهم قصف ورجف
ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم
الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحيوة فقال له خير الملئكة
ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم امر الله ملئكة السماء
الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شي من الذين
مروا قبلهم الوانهم كلهب النار وساير خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية
بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شي من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه
وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملئكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت
فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملئكة السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا
عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم

Copyright … University

يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملئكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله تعالى ملئكة السماء السادسة ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار اشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهيب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملئكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت في رأس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا ادري اانفلت مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان قمت مت فقال له كبير الملئكة ورأسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم امر الله تعالى ان يحمل عرشه في ملئكة السماء السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملئكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى واقامت الروح عليه مثل اللأم فلما افاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا يراك احد فيحيى ومن نظر الى ملئكتك انخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملئكتك انت رب الارباب وملك الملوك والاله الاعظم لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا** اى لما ظهر للجبل عظمة رب موسى وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه ومعنى جعله دكا اى مدكوكا مفتتا قرأ حمزة والكسائي دكاء بالمد اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها والباقون دكا بالقصر مع التنوين للصرف مصدر بمعنى مدكوكا متجزيا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكا بضم الدال والتنوين اى قطعا وهو جمع دكاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند وقال السيوطي اى ظهر من نوره نصف انملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم انتهى واخرج الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه

الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا كما اشرنا اليه وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هايلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلثة بمكة وهي ثور وثبير وحراء واخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى تطايرت سبعة اجبال ففي الحجاز منها خمسة وفي اليمن اثنان في الحجاز احد وثبير وحراء وثور وورقان وفي اليمن حضور وصبر واخرج ابن مردوية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال اسمع موسى قال له انني انا الله قال وذاك عشية عرفة وكان الجبل بالموقف فانقطع على سبع قطع قطعة سقطت بين يديه وهو الذي يقوم الامام عنده في الموقف يوم عرفة وبالمدينة ثلاثة طيبة واحد ورضوى وطور سيناء بالشام وانما سمي الطور لانه طار في الهواء الى الشام قال الشيخ ابو منصور الماتريدي معنى التجلي للجبل ما قال الاشعري رحمه الله انه تعالى خلق في الجبال حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية روى الشيخان والترمذي عن ابي هريرة ان الناس قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك وعنهم وعن ابي داود عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته وقد ذكرنا هذا الحديث قريبا وعن مسلم والترمذي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة الم تنجنا من النار قال فكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى وفي باب الرؤية في الآخرة آيات واحاديث كثيرة دامغات لعيون اهل الاعتزال ومن جهل اهل الاعتزال مقابلة الآيات والاحاديث الصحيحة بالاشعار الشنيعة والهجو القبيحة حيث يقول الزمخشري في حق اهل الحق ناقلا بعض سخريات العدلية بقوله انظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية في هذه الآية ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة ❁ وجماعة حمر لعمري موكفه ❁
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ❁ شنع الورى فتستروا بالبلكفه ❁
ولقد عورض ما انشده او انشأه من الهذيان ❁
لجماعة كفروا برؤية ربهم ❁ ولقابه حمر لعمري موكفه ❁
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا ❁ عنه الفعال فيا لها من متلفه ❁
هم نازعوه الخلق حتى اشركوا ❁ بالله زمرة حاكة واساكفه ❁
هم غلقوا ابواب رحمته التي ❁ هي لا تزال على العاصي موكفه ❁ نعم

Copyright King Saud University

قواعد فى العقايد ولكنه ۞ وحذا هب مجهولة مستنكفه ۞ بيكى كتاب الله من تاويلهم
بدعوعه المنهلة المستوكفه ۞ وكذا احاديث النبى دمو عها ۞ منهم على الخدين منفكة ۞
فالله امطرمن سحاب عذابه ۞ وعقابه ابدا عليهم اوكفه ۞ والحاصل ان معاشر اهل
السنة همهم مصروفة لنيل النظر الى لقاء ربنا الكريم لوعده الكريم على لسان نبيه الكريم
واهل الاعتزال همهم الاشتراك مع اخوانهم المجوس فى الدرك الاسفل من النار ومن اراد ان
يطلع على سوئهم وعقايدهم الفاسدة فليطالع كتاب غوث الثقلين الشيخ عبد القادر الجيلانى
قدس سره المسمى بغنية الطالبين وان اردت تحقيق مسالة الروية بادلتها ففى علم الكلام وقوله
وخر اى سقط موسى صعقا اى مغشيا عليه من هول ما راى هكذا فسره ابن عباس
والحسن وقال قتادة يعنى ميتا والاول اصح لقوله تعالى فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال
افاق من غشيته وفى اللباب قال الكلبى صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطى
التورية يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت ملئكة السموات ما لابن عمران
وسوال الروية وفى بعض الكتب ان ملئكة السموات اتوا موسى وهو فى غشيته فجعلوا يركلونه
ويقولون يا ابن عمران اطمعت فى روية رب العزة انتهى فلما افاق من غشيته ورجع عقله
اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغى له لانه ساله من غير استيذان قال تعظيما لما
شاهده سبحانك اى تنزيها لك من النقايص كلها او تنزيها لك من ان اسالك شيئا بغير اذن
منك فى الدنيا تبت اليك من الجرءة والاقدام على السوال بغير اذن او فى غيراوانه
وفى اللباب وقيل لما كانت الروية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت
اليك يعنى من سوالى ما ليس لى وقيل لما سئل الروية ومنعها قال تبت اليك يعنى من هذا السوال
وحسنات الابرار سيئات المقربين وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك او بانك
لا ترى فى الدنيا مع جوازها او انا اول المومنين يعنى من بنى اسرائيل لان النبى اول من امن بالله من
امته وفى التبصرة معناه وانا اول المومنين بانه لا يستقر لرويتك من بقى فيه مناسبة الحدثان
بل لا بد ان يتصف بما يناسب الصفات القديمة وذلك عند غلبة الروحانية فى الاخرة قال
الاستاد فى كتابه سئل الحسين بن المنصور لم طمع موسى فى الروية وسالها قال لانه انفرد للحق فانفرد
الحق به فى جميع معانيه وصار الحق مواجهه فى كل منظور اليه ومقابله دون كل محظور لديه على
الكشف الظاهر اليه لا على التغير فذلك الذى حمله على سوال الروية لا غير وقال ابو عثمان المغربى لما قال
موسى رب ارنى انظر اليك قال الله تعالى يا موسى اضرب بعصاك الجبل فضرب بعصاه الجبل فظهر سبعون
الف بحر فى كل بحر سبعون الف جبل على كل جبل سبعون الف موسى عليهم الكساء وبايديهم العصا يقولون
كلهم ارنى انظر فلما راى ذلك خر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين
۞ انطمع فى ليلى وتعلم انها ۞ تقطع اعناق الرجال المطامع ۞ قال الله تسلية لكليمه من عدم
الاجابة الى سوال الروية كانه قيل ان منعتك يا موسى من الروية فقد اعطيتك من النعم العظام
ما لم اعط احدا فى عالمى زمانك فاغتنمها واشتغل دائما بشكرها وهى انى اصطفيتك اى اخترتك

واخذتك

واخذتك صفوة اعنى فضلتك واجتبيتك واثرتك على الناس اى الموجودين فى زمانك
وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع قال بعضهم
اراد بالناس الذين ليس من سوى برسالاتى اى باسفار التورية يعنى باحكام التورية فان
كل حكم رسالة من الله تعالى قرا اهل الحجاز برسالتى على التوحيد والاخرون بالجمع وبكلامى
اى وبتكليمى اياك والحاصل خصصتك برسالتى وبكلامى من غير واسطة لان غيره من الرسل
سمع كلام الله تعالى بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتى مع
ان كثيرا من الانبياء قد ساواه فى الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السوال جوابين احدهما
ذكره البغوى قدس سره فقال لم تكن الرسالة على العموم فى حق الناس كافة استقام قوله
اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان
كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفى هذا الجواب نظر لان من
جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى وغيره من الانبياء
والمرسلين فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى فقال ان الله تعالى
بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت
انه انما حصل التخصيص هنا لانه سمع الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا
لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلى واشرف ممن
سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه
برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بيا محمد
يدل عليه قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله
يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذى
يعتمد فى الجواب عن هذا السوال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على
الناس الذين كانوا فى زمانه كما اشرنا الى ذلك وذلك لانه لم يكن فى ذلك الوقت اعلى منصبا
ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزل التورية فدل ذلك على انه
اصطفاه على ناس من زمانه كما اصطفى قومه على عالمى زمانهم وهو قوله يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعنى على عالمى زمانهم كما فسرنا
هكذا فيما سلف فخذ ما اتيتك اى ما اعطيتك من شرف الرسالة والنبوة والحكمة يعنى ما
فضلتك وكرمتك به وكن من الشاكرين اى على نعمائى عليك التى هى اقصى مراتب البشر
وان تفاوتت الافراد فيها فلو حصلت الروية لموسى فلم يبق لسيد البشر محمد ما يمتاز به
عن ساير الرسل وكانت مدخرة له صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عما اعطاه اياه فقال وكتبنا له
فى الالواح اى وكتبنا لموسى فى الواح التورية من كل شىء كنقش الخاتم قال ابن عباس يريد الواح
التورية قال البغوى وفى الحديث كانت من سدرة الجنة طول اللوح اثنى عشر ذراعا وجاء فى
الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت

Copyright King Saud University

الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضرا وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء
وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي
كتب به الذكر واستمد من نهر النور وفي حديث كتب الله الالواح لموسى وهو يسمع صرير
الاقلام في الالواح وقال الربيع ابن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع
الالواح من صخرة صماء لينها الله فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى صرير القلم
بالكلمات العشرة وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على
طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله تعالى التورية يوم النحر وهذا
اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروي عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح
وروي عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب في اطلاق
الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس
نزلت التورية وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى
ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليه السلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها
عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الاية في التورية بالف اية يعني قوله وكتبنا له
في الالواح قوله **من كل شيء** اي مما يحتاجون اليه من امر الدين امرا ونهيا من الاحكام
وغيرها في محل النصب مفعول كتبنا **موعظة** بدل من محل المجرور ومعنى موعظة اي نهيا
عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته **وتفصيلا** اي تبيينا **لكل شيء**
بدل من الجار والمجرور قبله اي كتبنا له في الالواح كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام من
الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام روى الطبري بسنده عن وهب بن منبه
قال كتب له يعني في التورية لا تشرك بي شيئا من اهل السماء ولا من اهل الارض فان كل ذلك
خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقر والديك وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التورية فقال اني
اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب
الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم امتي
قال هي امة محمد يا موسى فقال رب اني لاجد امة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا
امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم
وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون
المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد فقال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على
شرف كبر الله واذا هبطوا واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث
ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء
غر محجلون من اثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم
احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها كتبت بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف

فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذي
اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما
فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب
اهل الجنة يصفون في صلاتهم كصفوف الملئكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار
احد منهم ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الحجر فلما عجب موسى من الخير الذي
اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله تعالى اليه ثلاث ايات يرضيه
بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى **فخذها بقوة**
عطف على كتبنا على اضمار اي فقلنا خذها او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء
فانه بمعنى الاشياء او للرسالات او للمعنى وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الالواح من كل شيء خذها بجد
واجتهاد في العمل بما فيها او بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة كما هو شان اولي العزم لان
من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور **وامر قومك ياخذوا باحسنها** يعني ارشد قومك
الى الاولى والاحسن فان التورية فيها الاحسن والحسن وهذا مثل قوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم
وقوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه يعني مرهم ان ياخذوا في التورية
بما هو ادخل في الحسن واكثر في الثواب كالاقتصاص بالنسبة الى العفو والانتصار بالنسبة الى الصبر
فيكون الامر على طريقة الندب والحث على الافضل او مرهم بواجباتها فان الواجب احسن من غيره وقال
ابن عباس معناه يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها
وكان موسى عليه السلام اشد عبادة من قومه فامر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك
ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على
موسى اشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله ياخذوا باحسنها
يدل على ان في التورية ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله ياخذوا باحسنها قلت
ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن والعفو عنه احسن وكالانتصار حسن
والصبر احسن منه فامروا ان ياخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب
كما اشرنا الى ذلك وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد
والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها اي بحسنها وكلها حسن وقال بعضهم وامر قومك الذين
ليس لهم القوة ياخذوا باحسنها اي بعزائمها دون رخصها قوله **ساريكم دار الفاسقين**
وكيف خلت منهم لفسقهم فلا تفسقوا مثلهم فتهلكوا كهلاكهم يعني ساريكم دار فرعون وقومه
بمصر خاوية على عروشها ويؤيد هذا قراءة قسامة بن زهير ساوريكم دار الفاسقين او ساريكم في
اسفاركم منازل الهالكين كعاد وثمود وغيرهم من الذين اهلكتهم لفسقهم وتكبرهم عن الايمان
لتتعظوا وتعتبروا او ساريكم يوم القيمة ماوى الخارجين من الطاعة وهو جهنم فتحذروا الله على
ما جعلكم من اهل الجنة وقرى ساوريكم بواو خالصة بعد الهمزة يعني سابين لكم دارهم من اورثت

copyright King Saud University

الزند وقال قتادة سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله لتعتبروا
بها قوله تعالى ساصرف اى سامنع بخذلانى ومكرى عن اياتى اى عن فهم دلايل قدرتى و
اياتى المنصوبة فى الافاق حتى لا يتفكروا فيها ولا يعتبروا بها وفى الانفس حتى لا يروا فناءها ويحولوا
بها الذين اى قلوب الذين يتكبرون على الخلق او يتعظمون عن الانقياد للانبياء عليهم السلام طلبا
للعلو والرياسة وانما قال فى الارض اشارة الى كونهم من عالم التسفل الذى لا يليق الترفع بشان من كان
فيها ففيه تمهيد لقوله بغير الحق اى بدون الاستحقاق حال من فاعل يتكبرون او صلة اى
يتكبرون بما ليس بحق اى يتكبرون بالباطل وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة المتكبرين الذين طبع
على قلوبهم بسبب شوم التكبر فلا يتفكرون فى الايات ولا يعتبرون بها غفلة باشتغالهم
وافتخارهم بما هم فيه من الشهوات الفاسدة وقيل ساصرفهم عن ابطال الايات والمعجزات
وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم وقال سفيان بن عيينة سامنعهم
فهم القران قال ذو النون قدس الله روحه ابى الله ان يكرم قلوب البطالين مكنون حكمة القران
قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادى ويحاربون اوليائى ساصرفهم عن قبول اياتى والتصديق
بها حتى لا يومنوا بى عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقيل حكم الاية لاهل مصر خاصة واراد بالايات
التسع التى اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الاية عامة وفيها دليل لمذهب اهل السنة على ان الله
تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن اياته وعن قبول الحق من يشاء ويوفق للتفكر فى
اياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء ويريد لا يسئل عما يفعل وهم يسالون قال الاستاد
ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم ولعل هذه فى
زماننا هذا صفة من يتشبث بمتشابهات القران ويظهر لضعفة المسلمين بتلك المتشابهات مذ
هبا جديدا ويصرفهم عن المحكمات ويسمون انفسهم اهل الحقايق والفرار منهم واجب قال الله
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وسيما هم انهم لا يميزون بين الخالق والمخلوق نبهنا الله
من نوم الغفلة والاشتغال بما لا يعنى والحاصل التكبر فى صفة الله عز وجل صفة مدح وفى صفة
المخلوق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وان يروا كل اية منزلة او معجزة
لا يومنوا بها لعنادهم او لاختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد لان الله طبع
على قلوبهم فلا يتفكرون فى الايات ولا يعتبرون بها وان يروا سبيل الرشد يعنى طريق الحق
والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا يعنى لا يختارون لانفسهم طريقا يسلكونه
الى الهداية لان على ابصارهم غشاوة قرا حمزة والكسائى الرشد بفتحتين والباقون الرشد بضمة
وسكون وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغى
اى طريق الضلال يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقد اراهم الله تعالى السبيلين
قال الله تعالى فهديناه النجدين فاثروا الغى على الرشد قال الله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى
والمتفق عليه على ما لا خلاف فى بطلانه والمتشابهات على المحكمات ذلك بانهم كذبوا
باياتنا اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تفكرهم وتدبرهم للايات ويجوز ان ينصب
ذلك

ذلك على المصدر اى ساصرف ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات وذلك الذى
اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغى بسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيده
وكانوا عنها غافلين اى معرضين عن التفكر فيها والاتعاظ بها وذلك الغفلة غفلة اعراض
وعناد واصرار على الباطل لا غفلة سهو وجهل والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اى بلقائهم
الدار الاخرة ومشاهدتهم احوالها او بما وعد الله فى الاخرة من الثواب والعقاب حبطت
اعمالهم اى بطلت وصارت كان لم تكن فلا ينتفعون بها والمعنى انه قد يكون فى الذين يكذبون
بايات الله من يعمل البر والاحسان والخير كصلة رحم وصدقة فبين الله تعالى بهذه الاية
ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار الاخرة والبعث هل
يجزون الا ما كانوا يعملون اى هل يجزون فى العقبى الا جزاء العمل الذى كانوا عملوه فى الدنيا
والحاصل لا يجزون الا جزاء ما عملوا من الكفر والمعاصى واتخذ قوم موسى من بعده اى من بعد انطلاق
موسى عليه السلام الى الطور لمناجات ربه قيل هذا معطوف على قوله وواعدنا موسى فيكون عطف قصة
على قصة من حليهم التى استعاروها من قوم فرعون يعنى القبط وذلك ان بنى اسرايل كان لهم عيد
فاستعاروا من القبط الحلى ليتزينوا به فى عيدهم فبقى عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه
فبقى الحلى ملكا لبنى اسرايل فلذلك نسبت الحلى اليهم حيث قال من حليهم وقيل اضافة الحلى اليهم
لانها كانت فى ايديهم عوارى والاول اولى ونسب اليهم الاتخاذ وان اتخذه السامرى وحده لانهم
رضوا بفعله واتخذوا العجل معبودا لفرط جهلهم بالله ولصرف الله قلوبهم عن تدبر اياته
والحلى جمع حلى بفتح الحاء وسكون اللام كثدى وثدى قرا حمزة والكسائى بكسر الحاء واللام وتشديد
الياء والباقون بضم الحاء وقرا يعقوب على الافراد اى من حليهم والحاصل لما ابطا موسى عليه السلام
على بنى اسرايل جمع السامرى ذلك الحلى وكان رجلا مطاعا فى بنى اسرايل وكان صايغا فصاغ لهم
عجلا مفعول اتخذ جسدا بدل من عجلا اى جثة وبدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب
خاليا عن الروح وانما قال جسدا لئلا يتوهم انه كان مخطوطا مرقوما له خوار اى صوت بقر
وحاصل المعنى ان السامرى القى فى ذلك الجسد الخالى عن الروح من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام
فتحول عجلا جسدا لحما ودما له صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل
اهل التفسير وهذا مناسب لقوله تعالى فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت
كان حفيف الريح ودويها وذلك انه جعله بنوع من الحيل والتلبيس مجوفا ووضع فى جوفه
انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت فى تلك الانابيب يسمع لها صوت كصوت البقرة
والقول الاول اصح انه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له
واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى
وقرئ جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت الشديد وفى الجامع روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت
فتنتهم فى العشر التى زادها الله تعالى فلما مضت ثلثون ليلة وان السامرى كان قد اخذ قبضة من

Copyright King Saud University

من اثر فرس جبريل في البحر فقال حين مضى ثلثون ليلة يا بني اسرائيل ان معكم من حلي ال فرعون
وهي حرام عليكم فهاتوا ما عندكم فنحرقها فاتوها فاوقدنا نارًا ثم القى الحلي في النار فلما ذاب
القى تلك القبضة من التراب فصار حيًّا وخار خورة فقال السامري ان موسى ذهب يطلب ربكم فهذا
الهكم واله موسى فنسي اي اخطأ موسى الطريق وههنا الهه فان قلت الحلي كان للقبط وكان
مستعارًا في يد بني اسرائيل والغنايم لا تحل لاحد قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وامته بل كانوا يجمعون الغنايم
فيحرقونها في النار قلت لعل موسى لم يطلع على تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل ولذلك احرق العجل
بعد رجوعه ونسفه في اليم نسفًا او قضية بني اسرائيل مستثناة لقتل القبط ابناءهم واستعبادهم
اياهم يدل عليه قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل ثم عجب
من عقولهم الخسيفة فقال توبيخًا على غباوتهم وفرط ضلالهم واخلالهم بالنظر الم يروا انه
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اي الم يروا ببطن العقل الذين عبدوا العجل واتخذوه الهًا انه لا يقدر
على كلام ولا على ارشاد سبيل كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر قيل ان
بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل وهارون عليه السلام يمنعهم عن ذلك بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى
وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحة واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى وعن المروي
انه خرج على الاغلب اتخذوه اي اتخذ قوم موسى العجل الهًا واقدموا على هذا الامر الشنيع وكانوا ظالمين
لانفسهم على الاقدام باتخاذ العجل الهًا لانهم اعرضوا عن عبادة الله الذي يضر وينفع واشتغلوا
بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب وانما اعاد الاتخاذ معللًا
بالظلم ليفيد زيادة التوبيخ اي ليس ذلك الاتخاذ اول منكر صدر عن بني اسرائيل بل دابهم الاستمرار على
وضع الاشياء في غير موضعها واتخاذها في غير وجهها ولما سقط في ايديهم اي لما ندموا على
على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك كناية عن اشتداد ندمهم
لان من شان من اشتد ندمه وتحسره ان يعض يده غمًّا ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة
على فخذه لان السقوط عبارة عن النزول من اعلى الى اسفل وقال بعضهم وقوله ولما سقط في ايديهم
هذا كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غمًّا فتصير اليد مسقوطًا فيها والفاه
ساقط وواقع في اليد واصل الكلام ومعناه ووقع فوهم في ايديهم ندمًا على ما جرى من صنيعهم
الشنيعة قال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده
مكروه وان استحال ان يكون في اليد تشبيهًا لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد وفي الامالي
معناه اي ندموا غاية الندم لان من اشتد ندمه يعض بنانه قال الشاعر وكاني سبابة المتندم
وقيل لان من ندم وضع ذقنه في يده فالذقن ساقط واليد مسقوط فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل
يعني وقع العض فيها وراوا انهم قد ضلوا اي وعلموا وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل
قالوا تائبين لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوراة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة او معناه
ان لم يتب علينا على ما جرى علينا من المخالفة ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين اي من الذين
خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها قرأ حمزة والكسائي الفعلين بالتاء على الخطاب

ونصب

ونصب الباء على ان ربنا منادى والباقون بالياء على الغيبة ورفع الباء على انه فاعل وهذا
كلام التايب النادم على ما فرط منه ورغب الى الله في اقالة عثرته وانما قالوا ذلك بعد ما رجع
موسى اليهم وهو قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا والمعنى لما رجع موسى
من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرائيل رجع غضبان اسفًا شديد الحزن على ما كان
منهم في غيبته عليه السلام وفي الحديث ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين بكاء وهما حالان
من موسى وانما رجع غضبان اسفًا لان الله كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم
فكان موسى في حال رجوعه غضبان اسفًا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب او قال شديد
وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف الحزين قال الواحدي والقولان متقاربان لان
الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك
ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنًا والاخرى غضبًا قال موسى بئسما
خلفتموني من بعدي اي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم حيث عبدتم العجل والخطاب للسامري
ومن تبعه او بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم اي بئسما قمتم مقامي في الخلافة حيث لم تمنعوا من
عبادة العجل والخطاب لهارون عليه السلام والمؤمنين معه او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اي اسبقتم وعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم
امر ربكم وهو ما امركم الله به من الانتظار اربعين يومًا واتياني لكم بالتوراة بعد تمام هذا الاجل
والحاصل انكم تركتم امر ربكم غير تامّ او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي
وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم روي ان موسى وعدهم في الرجوع في اربعين يومًا فعدوا
عشرين يومًا اربعين اعتدادًا بالليالي لفرط بلادتهم وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل
قال البيضاوي كانه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته ومعنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذا
صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء اول وقته ولقايل ان يقول لو كانت العجلة
مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا
له ولما ذكر الله ان موسى رجع الى قومه غضبان ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال والقى الالواح
اي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين وكان حاملًا لها وفيها التوراة قال
البغوي وغيره فالقاها على الارض من شدة الغضب قال الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة
سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح وتكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها
ما كان من اخبار الغيب فانه كان فيها تفصيل وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروي
ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما اخبره الله به حق وصدق ومع ذلك لم يلق
التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة
ومنهم من فسر القى بمعنى وضع لا بمعنى الطرح والرمي ثم قال ولقايل ان يقول ليس في القران الا انه القى الالواح
فاما انه القاها بحيث تكسرت فليس في القران وانه عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالانبياء ويرد
قول القايلين بالكسر والرفع قوله تعالى بعد ذلك ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح يعني اخذها

Copyright King ... University

باعيانها وكمالها من غير رفع وكسر قال ابو منصور ولا يظن بموسى عليه السلام انه طرح الالواح
بحيث تكسرت لانه يشبه الاستخفاف بكلام الله والمراد بالالقاء الوضع لا الطرح كما في قوله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقوله والقى في الارض رواسي فان موسى عليه السلام قصد ان ياخذ
رأس اخيه يجره اليه وكان لا يمكنه ذلك مع بقاء الالواح في يده فوضعها لهذا واخذ براس
اخيه اى بشعر راسه بيمينه ولحيته بشماله لشدة غضبه يجره اليه عتابا لا هوانا به
بل توهما منه بانه قصر وفرط في كفهم عن عبادة العجل وهارون كان اكبر منه بثلث سنين
وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل من موسى وهذه الجملة وقعت حالا من فاعل
اخذ اى اخذ جارا اليه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى وجد قومه مقيمين على المعصية
كبر ذلك على موسى واستعظمه فاقبل على اخيه هارون يلومه ومد يده الى راسه لشدة موجدته
عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل فيتلافاهم فاعلمه هارون انما اقام بين اظهرهم
خوفا على نفسه من القتل وهو قوله عز وجل قال اى هارون ابن ام منادى حذف حرف
ندائه تخفيفا واضافته الى الام وان كانا من اب وام واحد تذكيرا لحقها لانها قاست المخاوف
فيه ليرققه عليه ويستعطفه قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بكسر الميم تخفيفا كالمنادى المضاف الى
الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر وقيل كان اخاه لامه ان القوم
الذين عبدوا العجل استضعفونى اى استذلونى وقهرونى ولم الُ جهدا في كفهم عنها وكادوا يقتلوننى
اى وقاربوا او هموا ان يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء اى لا تسر الاعداء بما تنال منى من مكروه
يعنى بعتابك اياى واصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ولا تجعلنى مع القوم الظالمين
اى معدودا في عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير واراد بالقوم عبدة العجل ولما اتضح لموسى عليه
السلام عذر اخيه قال رب اغفر لى ما صنعت الى اخى هارون اى ما اقدمت عليه من الغضب و
لاخى اى واغفر لاخى هارون ان وقع منه تقصير في الخلافة مطلقا او في الانكار على عبدة العجل ضم
موسى نفسه الى هارون في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا جميعا في
رحمتك التى وسعت كل شئ في الدنيا والاخرة وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا
لانك تجزى النوال على قليل الشكر ان الذين اتخذوا العجل اى الها عبدوه من دون الله
سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا اى سيصيبهم انتقام وعقوبة
من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا والحاصل الذين
اتخذوا العجل ان كانوا هم التائبين فالغضب هو قتلهم انفسهم وان كانوا غير التائبين
فعذاب الاخرة واراد في الحياة الدنيا اخراجهم عن ديارهم لان ذل الغربة شديد فان قيل
الغضب والذلة كيف يتصور مع التوبة قلنا نفس القتل عبارة عن الغضب واستسلامهم للقتل
واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطا عبارة عن الذلة قال ابن جريج في هذه الاية ان هذا
الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وقيل اراد بالذين اتخذوا
العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبى صلى الله عليه وسلم لما قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم واباؤهم الذين عبدوا العجل وقال اراد بالغضب عذاب الاخرة وبالذلة في الدنيا
الجزية وقال عطية العوفى سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب بنى النضير وبنى قريظة من القتل والجلاء وعلى
هذا القول فعير الابناء بقبائح افعال الاباء كما هو عادة العرب يعنى وصف اليهود الذين كانوا في
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وانما كان اباؤهم فعلوا ذلك ثم حكموا على اليهود
الذين كانوا في زمن النبى صلى الله عليه وسلم بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا
وهنا حذف مضاف تقديره ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم وقوله
عز وجل وكذلك نجزى المفترين اى وكما جازينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها كذلك نجزى كل
من افترى على الله كذبا او عبد غيره من خلقه ويومن بعض الوجوه ولا فرية اعظم من ادعاء
الالوهية في ولد البقر حيث قال السامرى هذا الهكم واله موسى ومن الناس من يثبت التاثير لكل ما
سوى الله ويتسبب انفسهم بقولهم بالاذن وقال ابو قلابة هي جزاء كل مفتر الى يوم القيمة ان يذله
الله وقال سفيان هذا في كل مبتدع الى يوم القيمة وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد
فوق راسه ذلة قلت وقولهم حق وصدق فان المبتدع مفتر في دين الله ويكفى في ذلة مبتدعى زماننا
كتمان علومهم وعباداتهم الفاسدة وتاويلاتهم الزائغة تبا لهم اخر الدهر والذين عملوا السيئات
اى عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب كبيرا او صغيرا حتى الكفر فما دونه ثم تابوا من
بعدها اى ثم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم السيئة بالاخلاص وامنوا اى صدقوا بوحدانية الله
تعالى واشتغلوا بمقتضاها من الاعمال الصالحة او صدقوا بان الله هو يقبل توبة التايب ويغفر
الذنوب ان ربك يا محمد او يا ايها الانسان التايب من بعدها اى من بعد توبتهم لغفور
رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرائيل ومعنى الاية ان من اتى بجميع
السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشائر
للمذنبين التائبين ولما سكت اى سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار اخيه هرون
او بتوبة القوم وفي نسبة السكوت الى الغضب مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له
على ما فعل كالامر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ اسكت واسكت على ان المسكت
هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح اى التى القاها كما كان قال الامام فخر الدين والدنيا
فظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تنكسر ولم يرفع من التوراة شئ وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل
والتحويل فاذا انتسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقلت ما في الاصل الى
الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لان الالواح نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة
من الالواح التى اخذها موسى من الالواح بعد ما تكسرت وتلخيص المعنى اخذ موسى الالواح التى وضعها
وفيما نسخ وكتب في تلك الالواح من اللوح المحفوظ هدى ورحمة اى هدى من الضلالة وبيان
للحق وارشاد الى الصلاح والخير قال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين
يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الاولى بعينه فتكون نسختها وعلى قول من قال ان الالواح لم تنكسر

Copyright © King Saud University

واخذها موسى بعينها بعد ما القاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها هدى من الضلالة ورحمة
من العذاب للذين هم لربهم يرهبون اى للخائفين من ربهم ودخلت اللام على المفعول اى لربهم
لضعف عمل الفعل لتقدم المفعول مثله قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او المفعول محذوف واللام
للتعليل اى يرهبون المعاصي لربهم لا للاغراض واختار موسى اى بامر الله اياه قومه
اى من قومه سبعين رجلا لميقاتنا اى للوقت الذى واعدناه ان ياتينا فيه قال اصحاب
الاخبار ان موسى عليه الصلوة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال موسى
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم اجر مثل من خرج فقعد يوشع بن نون
وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة
فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات
ربه واختلف اهل التفسير فى ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذى كلمه فيه ربه وسال فيه الرؤية
وذلك انه لما خرج الى طور سيناء اخذ معه هؤلاء السبعين الذين لم يعبدوا العجل فلما دنا موسى
من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا
حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما
انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة
المذكورة فى هذه الاية وقال السدى ان الله امر موسى ان ياتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة
العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما
اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة
فماتوا فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا
الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم
من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان
لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لى حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاء
ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام
حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على
جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بنى ادم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم
حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ
اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه
يقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان الله تعالى امر موسى ان
يختار من قومه سبعين رجلا فاختار موسى سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا
الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم

فاخذتهم

فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم
ادعوا على موسى انه قتل هارون قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه انطلق موسى وهارون
الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل قالوا له انت قتلته
حسدته على خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا فى بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا
من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلنى احد ولكنى
توفانى فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يا رب لو شئت اهلكتهم من
قبل واياى الاية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لكرههم فراق عبدة العجل لانهم
من عبدة العجل قال ابن عباس رضى الله عنهما انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين عبدوا
العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما اخرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال
مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج
موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم
قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظى لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم
عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله فلما اخذتهم الرجفة اى
الصاعقة او رجفة الجبل اى اضطرابه الشديد الذى يحصل معه التغير والهلاك فماتوا منها لقوله
ثم بعثناكم من بعد موتكم فان قلت قوله تعالى فى سورة النساء فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات يدل على ان اتخاذ العجل متاخر عن رجفة الجبل قلت ثم هناك محمول على التراخى
الرتبى على ان اتخاذ العجل كان قبل مجىء موسى بالتوراة ولانه حكى فى سورة البقرة قضية العجل قبل اخذ الصاعقة
والقران يفسر بعضه بعضا قال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا بل كان هيبة واضطرابا
شديدا فلما راى موسى ذلك خاف عليهم الموت فدعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة
فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال اى موسى رب اى يا رب
لو شئت اهلكتهم اى عبدة العجل من قبل واياى اى من قبل عبادتهم العجل او من قبل هذا اليوم
اى قبل خروجى بهم ليعاين بنو اسرائيل ذلك ولا يتهمونى وذلك انه خاف ان يتهمه بنو اسرائيل على
السبعين اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم يعنى قبل خروجهم
الى الميقات واياى معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونى ولكن ترحمت عليهم بانجائهم
من فرعون ومن البحر من قبل هذه الجريمة فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك
وفى بعض التفاسير ان موسى تمنى هلاكهم وهلاك نفسه وهذا امر بعيد من منصب النبوة لما رواه البخارى
لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به اتهلكنا جميعا بما فعل السفهاء منا اى بما طلب الجهال منا الرؤية
عيانا او هم عبدة العجل قال الفراء ظن موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب سؤالهم الرؤية وهو قولهم ارنا الله جهرة
وهذا قول الكلبى وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك
قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اى لست تفعل ذلك هذا

Copyright King Saud University

قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف اى لا تهلكنا ولا تعذبنا بذنوب غيرنا بل
ارحمنا اذ قد علم موسى عليه السلام ان الله تعالى اعدل من ان ياخذ احدا بجريمة غيره **ان ما هي** اى
الفتنة التي وقعت فيها السفهاء **الا فتنتك** اى ابتلاؤك واختبارك او جدت في العجل خوارا فزاغوا
به او طلبوا الرؤية عيانا بما رأى من لطفك ونسوا المكر قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول
ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقعت فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اى الا اختبارك
وابتلاؤك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك
الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا
على دينك وهو المراد من قوله **تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** قال الواحدي وهذه الاية من
الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر **انت ولينا** القائم بامورنا الدنيوية والاخروية
وناصرنا وحافظنا لا غير **فاغفر لنا** ما كسبناه من المعاصي وفي اللباب سال موسى لنفسه ولقومه
المغفرة اما لنفسه فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا
الله جهرة والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل في شان الولي المغفرة والرحمة **وارحمنا**
بافاضة اثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا **وانت خير الغافرين** يعني ان كل من سواك وغيرك من
خلقك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض
ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين لانك تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة **واكتب
لنا** اى قال موسى في دعائه واثبت لنا واقسم **في هذه الدنيا حسنة** اى حسن معيشة وعافية و
حياة طيبة وتوفيق طاعة قال الاستاد معناه اى اجعلنا ممن كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال الحسنة
والحياة الطيبة قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى فلنحيينه حياة طيبة **وفي الاخرة** اى
واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة **انا هدنا اليك** قال ابن عباس معناه انا
تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان
اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم العامة على ضم الهاء
من هاد يهود بمعنى رجع وقرئ بكسرها من هاده يهيده اذا اماله وحركه ويحتمل ان يكون هدنا
بالكسر مبنيا للفاعل بمعنى املنا اليك انفسنا والمفعول بمعنى املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا
مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض **قال** اى قال الله عز وجل عند دعاء موسى عليه
السلام **عذابي اصيب به من اشاء** تعذيبه من خلقي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي
وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض **ورحمتي وسعت كل شيء** يعني
ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وكفى بذلك ايجادهم الى الوجود من محض العدم وتجنبه
محض جوده قال السلطان اى في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره انتهى قلت لانه ما من مسلم الا وعليه
اثار رحمته ونعمته في الدنيا فبها يتعيشون وبها ينقلبون وقال بعضهم هنا من العام اريد به الخاص
فرحمته سبحانه عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الاخرة وقيل للمؤمنين خاصة
في الدنيا والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله لهم فاذا كان يوم القيمة

وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها
وقال انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس بقوله **فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة
والذين هم باياتنا يؤمنون** فايس ابليس منها والمعنى فساثبتها في الاخرة او فساكتبها كتبة
خاصة منكم يا بني اسرائيل لمن يتقي الشرك وساير ما نهوا عنه ولمن يعطي الزكاة خصها بالذكر لشرفها
وفيه تعريض على بني اسرائيل حيث كانت الزكاة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع شرفها على
ساير العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن اخرها
ولمن يؤمن بجميع اياتنا وكتبنا فلا يكفر بشيء منها وفيه تعريض بني اسرائيل بكفرهم بالايات العظام وبالكتاب
بالعمل بالكلية بقوله ويؤتون الزكوة وبالقلبية والذين هم باياتنا يؤمنون قال الشيخ قوله للذين يتقون
ويؤتون الزكوة افرده بالذكر لكونه اشق وهذه لامة موسى ثم اردفه بمن هو من امة محمد صلى الله عليه وسلم
ومن يؤمن به عليه السلام من اهل الكتابين بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون وبعض المفسرين
خص الاية كلها بامة محمد فقال للذين يتقون اى يتقون الشرك من امة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الاية
على هذا الاسلوب ولكن لا يساعده ما عليه اكثر المفسرين حيث قالوا ولما سمعت اليهود والنصارى قوله تعالى
فساكتبها الى قوله باياتنا يؤمنون قالوا نحن نتقي ونؤتي الزكوة ونؤمن بالتورية والانجيل فنزعها الله من
اليهود والنصارى واثبتها لامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله **الذين يتبعون الرسول النبي الامي** مبتدا
خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين بدل البعض او الكل والمراد من امن منهم
كعبد الله بن سلام واضرابه وانما سماه رسولا بالنسبة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي
لا يكتب ولا يقرا وهو قول ابن عباس وصفه به تنبيها على كمال علمه مع حاله احد معجزاته وقال الشيخ
الامي بالضم نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها او الى امة العرب فان اكثرهم لا يكتبون
ولا يقرؤن قال جمهور المفسرين المراد بالذين يتبعون الرسول جميع امته الذين امنوا به واتبعوه
سواء كان من بني اسرائيل وغيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى
الله عليه وسلم وذكر في معنى الامي حديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة لا نكتب ولا نحسب وقال
اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم
اتى بهذا الكتاب العظيم الذي عجز عنه الخلايق فصاحته وبلاغته وكان يقراه عليهم بالليل
والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير
مطالعة كتب ولا اشتغال على احد دل على كونه معجزة له عليه السلام وقيل سمي اميا لانه عليه السلام
منسوب الى ام القرى وهي مكة عظمها الله والامي عند المحققين من لم يعلم من الدنيا شيا ولا من الاخرة
الا ما علمه ربه حالته مع الله حالة واحدة وهي الطهارة بالافتقار اليه والاستغناء عما سواه
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اى النبي الامي الذي يجدون صفته ونعته
ونبوته واسمه مكتوبة عندهم في الكتابين المختصين بهم يعرفونها علما وهم واحبارهم ولكنهم
كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه

Copyright King Saud University

فزالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان ذكر الامام فخر الدين فى معنى الذين يتبعون وجهين
احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته فى التورية اذ لا يجوز ان
يتبعوه فى شرايعه قبل ان يبعث الى الخلق قال وفى قوله والانجيل ان المراد ويجدونه مكتوبا فى الانجيل
لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثانى ان المراد من لحق من بنى اسرايل
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هولاء اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه
قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين بهذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها
بنوا اسرايل الا من اتقى واتى الزكوة وامن بالايات فى زمن موسى ومن كانت هذه صفته فى ايام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله
الذين يتبعون الرسول النبى الامى من بنى اسرايل خاصة او لكن جمهور المفسرين على خلاف ذلك كما ذكرنا انفا
بان المفسرين قالوا المراد بهم جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سواء كان من بنى اسرايل او غيرهم وقال
بعض المشايخ الصوفية رضوان الله عليهم ومعنى الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل بانه
خلقه الله وخلق ما سواه لاجله وخصه بخطاب خلقتك وخلقت ما سواك لاجلك لولاك لولاك لما
خلقت الافلاك انتهى خ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التورية فقال اجل انه لموصوف فى التورية ببعض صفته فى القران
يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
شرح غريب الفاظ الحديث الفظ السيئ الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين
والصاد وهو الكثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجاء الكفر
والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كانه فى غلاف وروى اما منا
البغوى قدس سره عن كعب الاحبار قال انى لاجد فى التورية مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ
ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحمادون يحمدون الله
فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على انصافهم ويوضئون اطرافهم صفهم فى الصلوة
وصفهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جو السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده
بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وعلامة الامى هو انه **يأمرهم بالمعروف** اى بالايمان وتوحيد
الله ومكارم الاخلاق قال الزجاج هذا كلام مستانف لا محل له من الاعراب او خبر للذين يتبعون
وينهاهم عن المنكر اى عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف
فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام
وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام **ويحل لهم الطيبات** اى الحلالات المستلذات
كانت محرمة عليهم بشوم ظلمهم فى التورية وهى لحوم الابل وشحوم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا
يحرمونه على انفسهم فى الجاهلية من البحاير والسوايب والوصايل والحامى وقيل هى المستلذات التى

تستطيبها

تستطيبها الانفس **ويحرم عليهم الخبايث** كالدم والخنزير وكالربا والرشوة وما اهل به لغير الله
وغيرها من المكاسب الخبيثة وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل فى
المضار الحرمة الا ما له دليل منفصل بالحل وفى العبادات **ويضع عنهم اصرهم** اى التكاليف
الشاقة عليهم كقطع الاعضاء الخاطئة وكتعيين القصاص فى العمد والخطاء وقرض موضع النجاسة
عن البدن واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه عن الحركة لثقله قال الاستاد والمراد
بالاصر هنا العهد والميثاق الذى اخذ على بنى اسرايل ان يعملوا بما فى التورية من الاحكام وكانت
تلك شديدة وفى الحديث من تأخر عن الجمعة له كفلان من الاصر اى الاثم وعليه يحمل لان التكاليف
الشاقة علمت من قوله **والاغلال التى كانت عليهم** يعنى ويخفف ويضع عنهم ما كلفوا به
من الاثقال والشدايد التى كانت عليهم فى دين موسى وشريعته كترك العمل فى السبت وان صلاتهم
لا تجوز الا فى الكنايس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك مما ذكرنا انفا شبهت تكاليفهم بالاغلال
مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع اليد الى
العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام التى نهيت عنه وهذه الاثقال و
التكاليف نسخت كلها بمجى محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السهلة السمحة وعن عطاء انهم كانوا يغلون ايديهم الى اعناقهم فى الصلوة وقرأ ابن عامر اصارهم
بصيغة الجمع وقيل هذه القراءة هى المختار لكونها نصا فى الانواع وموافقة للاغلال والباقون اصرهم
لانه اسم جنس والله اعلم **فالذين امنوا** منهم **به** اى بمحمد صلى الله عليه وسلم **وعزروه** اى
وقروه وعظموه بالتقوية واصل التعزير المنع والنصرة ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح
وتعزير النبى تعظيمه واجلاله واكرامه ودفع الاعداء والحساد عنه قرأ الجمهور بالتشديد وقرى
بالتخفيف **ونصروه** على اعدايه **واتبعوا النور الذى انزل معه** اى مع نبوته يعنى القران وانما
سماه نورا لان به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء العلم واليقين
قال الاستاد وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر او لانه كاشف الحقايق مظهر لها فان
قلت ما معنى انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته اى مصاحبا لنبوته لان
استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان يتعلق معه باتبعوا اى واتبعوا القران المنزل
مع اتباع النبى بالعمل بسنته وبما امروا به ونهى عنه او واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له عليه
السلام فى اتباعه وقيل مع بمعنى على اى انزل عليه وقد سمى النبى عليه السلام ايضا بالنور كما فى قوله تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين **اولئك هم المفلحون** اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة
هم الناجون الفايزون بالهداية ثم بين الله شرف نبيه على ساير الخلق بقوله **قل يا ايها الناس**
انى رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد للناس انى رسول الله اليكم جميعا
لا الى بعضكم دون بعض ففى الاية دليل الى انه مبعوث الى كافة الثقلين وساير الرسل الى قومهم وجميعا
حال من اليكم ق عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى كان
كل نبى يبعث الى قومه خاصا وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لى الغنايم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت

لي الارض طيبة وطهورًا ومسجدًا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب
على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسًا لم يعطهن احد
من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدًا وطهورًا فايما رجل من امتي ادركته
الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس عامة وفي الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب
وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا يكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس
والجن م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع
الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدًا وطهورًا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي
النبيون قال الاسناد ثم لا يخفى ان المراد من قوله عز وجل اني رسول الله اليكم جميعًا انه صلى الله عليه وسلم مبعوث
الى من كان موجودًا بعد بعثته ولو بعد وفاته الى قيام الساعة ولا يخفى ايضا انه عليه السلام مبعوث
الى قيام الساعة امر مختص به صلى الله عليه وسلم فلا يرد عليه ما قيل من ان ادم عليه السلام كان مبعوثًا الى جميع
اولاده ونوحًا لما خرج من السفينة كان مبعوثًا الى الذين كانوا معه وهم جميع الناس في ذلك الزمان
لانهما ما كانا مبعوثين الى كافة الناس الى يوم القيمة بل كانا مبعوثين اليهم في زمانهما وزعم بعض العلماء
ان رسالته عليه السلام عام لكن دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين لقوله عليه السلام رفع
القلم من ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النايم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق والجواب ان
رفع القلم عن الاصناف الثلثة ايضا حكم عليهم فبهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب والتكليف
ثم لما امر الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعًا اردفه بما يدل
على صحة دعواه بقوله **الذي له ملك السموات والارض** يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو
مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني ان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعًا والموصول مجرور على
انه صفة الله وتوسيط اليكم لا يقدح في كونه صفة الله او منصوب او مرفوع على المدح او مرفوع على
انه مبتدأ خبره **لا اله الا هو يحيي ويميت** وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيها وانه القادر
على احياء خلقه وامانتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه وهو على الوجه الاول
بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي المدارك لا اله الا هو بدل من الصلة وهي
له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها وفي يحيي ويميت بيان
لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والامانة غيره **فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته** اي ما انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه قال قتادة اراد
بكلماته يعني اياته وهي القران وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله
كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله اعلم ان الكمالات اما نظرية واشار اليها
بقوله فامنوا الخ واما عملية واليها الاشارة بقوله **واتبعوه** اي واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به
او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال
بان يمتثل التابع جميع ما يامره المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة
في الافعال

في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله واد ابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت
الدليل انه من خصايصه فلا متابعة فيه لعلة الاختصاص **لعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا وترشدوا
وتصيبوا الحق في متابعتكم اياه جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيهًا على ان من صدقه ولم يتابعه
بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة **ومن قوم موسى** اي من بني اسرايل **امة** اي جماعة وطايفة
هم على الحق **يهدون الناس بالحق** اي يهتدون على الحق وبكلمة الحق ويستقيمون عليه ويعملون به
ويرشدون اليه **وبه يعدلون** يعني وبالحق يحكمون بينهم وبالعدل ياخذون ويعطون
وينصفون قال البيضاوي المراد بها الثابتون على الايمان القايلون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيهًا على ان تعارض الخير وتراحم اهل الحق والباطل امر مستمر
وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وفي
الباب واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرايل مثل عبد الله بن سلام واصحابه
فانهم امنوا بموسى والتورية وامنوا بمحمد عليه السلام والقران واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين
ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم
كما في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام قبل
التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جرير وجماعة من المفسرين ان بني اسرايل لما
قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطًا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق
بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقًا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك
حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفًا رواه
الطبري وحكى الامام البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق
على نهر يجري الرمل يسمى نهر اوداف ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون
بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل عليه السلام ذهب
بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي
الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلام واقرأهم عشر سور من القران نزلت عليه
بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة فامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان احدًا منا لا يصل اذا كان الامر كذلك فمن
اوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به
وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ايمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص
في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج
انه سلم عليه في السماء السادسة وايضًا قولهم اقرأهم عشر سور من القران وقد نزل عليه بمكة اكثر
من ذلك وكان فرض الزكوة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فرضها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه
الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية انها اما ان يكون نزلت في قوم كانوا مستمسكين بدين موسى

Copyright © King Saud University

قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان يكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كعبد الله واصحابه والله اعلم بمراده انتهى اقول ورايت هذه الحكاية على وجه غير هذا
بحيث ينفر منه الطبع ولا يقبله العقل فتركته قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرائيل و
صيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة اسباطا يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو
اسرائيل وابا اولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا واثنتي عشر مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير
او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة وتمييزه محذوف تقديره اثنتي عشرة قبايل او امة او فرقة و
اسباطا بدل من ذلك التمييز ولذلك جمع والاسباط في بني اسرائيل كالقبايل في العرب وقرئ بكسر الشين واسكانها
امما بدل بعد بدل او نعت لاسباطا ومعنى امما اي جماعات وقبايل واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه اي حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا لمجرد استسقايهم اياه
عليه السلام بل باستسقايه لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه ان اضرب بعصاك الحجر
فضربه فانبجست اي انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس منه اي من الحجر وحذفه للايماء على ان موسى لم
يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن له تاثير في ذاته بل كان ذلك بمحض فضل الله اثنتا عشرة عينا
يعني لكل سبط عين قد علم كل اناس اي سبط منهم مشربهم اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم
الغمام في التيه ليدفع عنهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن هو الترنجبين والسلوى جنس من الطير هو
السماني جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من حلالاته
ولا ترفعوا منه شيئا لغد فرفعوا فرفع عنهم انزال المن والسلوى ولو لم يرفعوا لداموا عليهم
الانزال وما ظلمونا اي وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم قال الاسناد في الكلام حذف
تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجموا ذلك وساموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسالوه
غيره ولكن كانوا انفسهم يظلمون فيرجع وبال ظلمهم اليهم ولا يضرنا شيء والمكلف اذا امر بشيء
فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بعدله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في
ملكنا وسلطاننا نقصا وضررا بما سالتهم ما سالوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بمخالفتهم ما امروا به وقد
تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة ولا باس باختلاف بعض الكلمات والقصة واحدة اذا لم يكن
بين العبارتين تناقض فانه قال هناك واذ قلنا وهنا واذ قيل لهم اسكنوا بدل ادخلوا وهناك قال
فكلوا وهنا وكلوا واسقط هنا رغدا وذكر هناك وغير ذلك مما هو ظاهر للمتامل وستقف على الاختلاف
قريبا مبينا وقوله تعالى واذ قيل لهم اي واذكر يا محمد لقومك وقت قوله تعالى لبني اسرائيل اسكنوا هذه
القرية يعني بيت المقدس او اريحا ولا منافاة بين ادخلوا واسكنوا لان كل ساكن في موضع لا بد له
من الدخول اليه وكلوا منها حيث شئتم اي بالسعة عليكم لا بالضيق يعني وكلوا من ثمار القرية
وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم واين شئتم قال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا وكلوا بالواو
والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقيب الدخول فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب وكان
السكنى حالة استمرار فحسن دخول الواو عقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاؤوا وقال في البقرة
رغدا وترك هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل واما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن

دخوله لفظة رغدا هناك بخلاف هنا وقولوا حطة اي مسالتنا حط ذنوبنا عنا وادخلوا
الباب اي باب القرية وقيل باب القبة التي يتعبد فيها موسى وهارون سجدا اي منحنين بالسجود لله
تعالى شكرا على اخراجهم من التيه وقدم وادخلوا الباب سجدا على قوله وقولوا حطة في البقرة
وهنا كما ترى ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع
والخشوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم خطيئاتكم يعني نغفر لكم ذنوبكم
ولا نواخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء
كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع قرا اهل المدينة وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء
وضمها وفتح الفاء وقرا الباقون بالنون وفتحها وكسر الفاء وقرا ابن عامر خطيئتكم على التوحيد
ورفع التاء وقرا ابو عمرو خطاياكم بالجمع وقرا اهل المدينة ويعقوب خطيئاتكم بالجمع ورفع
التاء وقرا الاخرون خطيئاتكم بالجمع وكسر التاء سنزيد المحسنين بالطاعة ثوابا وعد اولا بالغفران
وثانيا بالزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس
في مقابلة ما امروا به وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو وقال الاسناد ومعناه انه وعد بشيئين بالغفران
وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لانه استيناف مرتب على تقدير قول
القايل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم اي فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امرنا من بني اسرائيل فقالوا غير الذي قيل لهم وامروا به وذلك
انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة شعيرة ودخلوا يزحفون على استاههم فارسلنا
عليهم اثر مخالفتهم من غير تاخير رجزا من السماء اي عذابا كاينا منها والمراد به الطاعون روي
انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا ولا منافاة بين قوله هنا ارسلنا وبين قوله في البقرة
انزلنا لانهما لا يكونان الا من اعلى الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر
بذلك فكانه تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسله عليهم كثيرا بما كانوا يظلمون يعني ارسال العذاب
عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم بما
غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله وقد تقدمت هذه القصة في سورة البقرة واسالهم
السوال للتوبيخ والتقرير بتقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا يعلم الا بتعليم ووحي
ليكون لك معجزة عليهم عن القرية اي عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر اي
مجاورة بحر القلزم وقريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل هي مدين وقيل
طبرية الشام قال ابن عباس هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمي المدينة قرية نزلت حين قالت
اليهود نحن ابناء ابراهيم فلا يعذبنا الله الا مقدار عبادتنا العجل فامر الله رسوله ان يسال عن اليهود الذين
هم جيرانه عن حال اهل القرية التي كانت ملاصقة البحر من اليهود كيف عذبهم الله وكان صلى الله عليه وسلم
يعلم حال اهل القرية بوحي الله عز وجل اليه ولكن امره بالسوال عنهم للتوبيخ واظهار معجزة نبيه عليه الصلاة
والسلام كما اشرنا اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله بالصيد فيه وقد نهوا عنه واذ
يعدون بدل من القرية او ظرف لكانت او لحاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم

Copyright King Saud University

حيتانهم يوم سبتهم شرعا اى ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تاتيهم متتابعة يتبع بعضها
بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض قوله اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون من الاعداد اى يُعِدّون ويهيئون آلات الصيد
يوم السبت اى يوم تعظيمهم امر السبت لانهم قد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها بالتجرد للطاعة وقيل هو اسم اليوم المعروف واضافة السبت اليهم لاختصاصهم
باحكام فيه ويؤيد المصدر ان قرئ يوم اسباتهم والحيتان جمع حوت ابدلت الواو ياء لسكونها وانكسار
ما قبلها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اى يوم لا يعظمون السبت بالعبادة ولا يدخلون فيه يعنى ساير
الايام غير السبت لا تاتيهم حيتانهم ابتلاء من الله ويوم ظرف لا تاتيهم كذلك نبلوهم اى مثل هذا
الاختبار الشديد نختبرهم مع علمنا بحالهم قال الاستاد معناه اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم
معاملة من نختبرهم لتظهر عداوتهم ونواخذهم به بما كانوا يفسقون اى ذلك الاختبار والابتلاء
بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به وقرا الحسن لا يُسبتون بضم الياء اى لا يدخلون
فى السبت والقراءة المعروفة بنصب الياء ومعناه لا يعظمون السبت كما فسرنا بالروايتين قال اهل التفسيرات
اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله تعالى امرهم بتعظيمه ونهاهم عن
العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم فى يوم السبت
ينظرون اليها فى البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل بلاء ابتلوا به فوسوس اليهم
الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم
انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم
الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى الا قد احل لنا فاصطادوا و
اكلوا وباعوا فصار اهل القرية احزابا ثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث
سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا
امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم فى قرية
واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم
داود عليه السلام وكانوا فى زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان
لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذى بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا
اليهم فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتى انسابها
من الناس فتشم ثيابهم فتقول لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجى الناهون
وهلك سايرهم فذلك قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب واختلفوا فى القايلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية
افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل القبيح وفرقة
امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم
قلت الظاهر من كلام البيضاوى ان اجتهد فرقتان من صلحاء الامة فى موعظة الفرقة المعتدية ثم احدى

هاتين

هاتين الفرقتين ايسوا من اتعاظهم لعدم تاثير الوعظ فيهم فقال الآيسون لاخوانهم الناهين الغير
الآيسين لم تعظون الى اخرها وهذا كلام وجيه غرابة لا يوافق لما سياتى من قول ابن عباس لا ادرى
ما فعل الله بالفرقة الساكتة او معذبهم فى الاخرة عذابا شديدا يعنى انهم لاموهم على موعظة
قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم قالوا معذرة
الى ربكم يعنى ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب علينا
فموعظتنا هولاء عذر لنا عند الله يعنى موعظتنا ابقاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى التقصير والتفريط
فى النهى عن المنكر ولعلهم يتقون اى وجاء يرعندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما
هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة
عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة
الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت
لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى فلم تعظونا وقد علمتم
ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابا به والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى
ربكم خطابا من الناهية للمعتدية ولقال ولعلكم تتقون قوله ولعلهم يتقون عطف على معذرة وقرا حفص
عن عاصم معذرة بالنصب على المفعول من اجله اى وعظناهم لاجل المعذرة او على المصدر بفعل مقدر من
لفظها تقديره نعتذر به معذرة او وعظناهم معذرة وفى المدارك ولعلهم يتقون اى ولطمعنا فى ان يتقوا
اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا ما ذكروا به اى فلما تركوا ما وعظوا به يعنى تركوا ما وعظهم به
صلحاؤهم كترك الناسى للشىء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شىء من تلك المواعظ اصلا
انجينا الذين ينهون عن السوء المنكر اى من العذاب الشديد وهم الفرقة الناهية والساكتة
روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا بعذاب بئيس فلا ادرى ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكى قال عكرمة فقلت له جعلنى الله فداك
الا ترى انهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله انجيتهم لم يقل الله
اهلكتهم قال فاعجبه قولى فرضى به وامر لى ببردين فكسانيهما وقال يمان بن رباب نجت الطايفتان
الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال
ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه اشد اية فى ترك النهى عن المنكر واخذنا الذين
ظلموا يعنى الفرقة المعتدية العاصية لله بصيد الحيتان بعذاب بئيس شديد وجيع وهو مسخهم قردة
كما يشير بقوله فلما عتوا قريبا وقيل المسخ يكون بعد العذاب قرا العامة بئيس على وزن فعيل من بؤس
بأسا اذا اشتد وقرا نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذئب او على انه فعل الذم يوصف به
فجعل اسما وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة بعدها على انه بئس كحذر كما قرى مخففا عنه بنقل
حركة الهمزة الى الفاء ككبد فى كبد وابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وقرى بيّس بتشديد الياء كميت
على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس بما كانوا يفسقون اى انا اخذناهم
بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا ولم يكن مواخذتهم بمجرد التعدى بل باعتبار

ذلك لا تستلزم ايما الكفر ثم اخبر الله عن عذاب من تعدى في السبت بقوله فلما عتوا اي تكبروا عن
ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والمعنى
فلما تمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك
في يوم السبت واكله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة
لما عتوا عن ما نهوا عنه مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا وقال ابن عباس جعل
الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير وقيل انهم
بقوا ثلثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا وقال صاحب الغاية وفي الحديث لم يبق من الامة الممسوخة
نسل فان قيل كيف امرهم هذا وانتقالهم من صورة البشر الى صورة القردة ليس في وسعهم بان يجعلوا انفسهم
قردة قلنا هو امر ايجاب فهو مثل قوله تعالى كن فيكون يعني تعلقت ارادته تبارك عز عنه بالقول على سنن
الملوك او جرت عادته بايجاد الاشياء بقوله كن قال بعضهم الظاهر من قوله تعالى واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس انه
عذبهم بعذاب بئيس شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم قردة قلت وقيل الاكثرون الى ان قوله فلما عتوا تفصيل
وتقرير لقوله فلما نسوا ما ذكروا به الى بعذاب بئيس وفي المدارك قيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب
البئيس هو المسخ انتهى والله اعلم وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم وإذ تأذن ربك لما ذكر الله
قبائح اليهود ذكر ههنا حكمه عليهم بالذلة الى يوم القيمة ليرجعوا الى الاسلام واذ منصوب بمضمر معطوف
على قوله تعالى واسألهم عن القرية وتأذن بمعنى اذن اي اعلم كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم لان
العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذا اجيب بجواب
القسم وهو ليبعثن عليهم اي اذكر يا محمد لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ليسلطن عليهم الى
يوم القيمة اي الى اخر الدهر من يسومهم اي من يعذب اليهود ويكلفهم سوء العذاب
كالاذلال والاهانة لقوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا وكضرب الجزية بعث الله تعالى بعد سليمان
عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من
بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا
تزال مضروبة الى اخر الدهر قوله الى يوم القيمة لا ينافيه رفع الجزية عنهم بعد نزول عيسى عليه السلام
لان ظهوره بعض اشراط الساعة يعد من الساعة قال الاستاد واذا نزل عيسى يضع عنهم الجزية على
ما ورده في الحديث المرفوع ولكنها ينقلب تكليف الجزية الى اشد وهو تكليف الاسلام بالقتل قال البغوي واذ
تاذن ربك اي واعلم ربك قال ابن عباس تاذن ربك اي وقال ربك وقال مجاهد اي امر ربك وقال عطاء اي
حكم ربك وقيل اقسم ربك لان اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تاذن ربك جار مجرى القسم
كلو نحن مما اشرنا قال الاستاد الخطاب في ربك للنبي صلى الله عليه وسلم كما اشرنا وفي اللباب واختلفوا في
الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل تقتضي ان يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق
الذل بهم وقيل بان المراد ساير اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والذي
بعثه الله هو بخت نصر وسنحاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن
عليهم

عليهم اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة لليهود الى يوم
القيمة واورد على هذا بان في اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه
واشياعه واجيب عنه بان ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال
فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا اهلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار
المشار اليه بقوله ليبعثن الاية وههنا نكتة في ان هذا العذاب انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا الى يوم القيمة ولهذا
فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا انقضوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم
وهو قوله تعالى ان ربك لسريع العقاب اي لذلك يعاقبهم في الدنيا ولا يحتاج الى اعداد الالات
واحضار الاسباب قال الشيخ معناه لمن اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب
الاخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله الكريم وانه لغفور رحيم
يعني لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام وقطعناهم في الارض امما اي
وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة
تتميما لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط قال ابن عباس في كل ارض تدخلها قوم من اليهود قلت
وهذا التفرقة من سخط الله عليهم لئلا يجتمعوا على كلمة فيحصل منهم ضرر وامما مفعول ثان ان جعل قطع
بمعنى صير او حال ان بقي على اصل معناه منهم الصالحون اي من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل
صالحون وهم من امن بالله ورسوله موسى وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك
قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين
عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به وقال
البيضاوي وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم وهكذا في الغاية والمدارك وفي اللباب والصحيح ما ذكره
الطبري يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما يكون بعدهم لهؤلاء الذين وصفهم بالصلاح
من بني اسرائيل ومنهم الصالحون صفة لقوله امما او بدل منه ومنهم دون ذلك دون صفة لمبتدا
محذوف اي ومن بني اسرائيل ناس دون ذلك الوصف منحطون عن درجة الصلاح وهم الذين فسقوا وكفروا
وبدلوا وغيروا منهم وبلوناهم اي اختبرناهم وامتحناهم جميعا الصالح وغيره بالحسنات بالنعم الوافرة
والخصب والعافية والسيئات اي بالجدب والشدة والنقم الكثيرة والمحن الشديدة لعلهم يرجعون
اي لكي يرجعوا ويتوبوا عن الكفر والفسق الى الايمان والصلاح قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات
اذا فسرتا بالنعم والشدة يدعو الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة
واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها فخلف من بعدهم اي من بعد انقراض الذين وصفناهم
خلف اي خلف سوء وبدل شر لا خير وصدق يعني قام مقامهم جماعة شؤم وسوء وشر وهم من
عاصر نبينا صلى الله عليه وسلم من اليهود او من خلف بعد الصالحين الذين امنوا بالله وموسى وثبتوا على
دينه قبل مبعث عيسى على القولين المذكورين وخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل
هو جمع والمشهور انه بسكون اللام يستعمل في الطالح غالبا وانما قلنا غالبا لانه قد يجيء بسكون اللام في المدح

Copyright © King Saud University

حسان بن ثابت في المدح شعر: لنا القدم الاولى اليك وخلفنا ... لاولنا في طاعة الله تابع ... فسكن
اللام في قوله خلفنا وهو يريد المدح وبفتح اللام يستعمل في الصلح غالبا وانما قلنا غالبا لانه قد يفتح اللام
ويريد الذم كقول لبيد في الذم شعر: ذهب الذين يعاش في اكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجرب
بفتح اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا تغير وفسد في السقاء ويقال للردي
من القول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلوف فم الصائم لخبيث الكلام والخلف القرن الذي يجي بعد
قرن كان قبله ورثوا الكتاب اي انتقل اليهم الكتاب عن ابائهم والمراد بالكتاب التوراة والحاصل تعلموا
التوراة من ابائهم ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها يأخذون عرض
هذا الادنى يعني انهم كانوا يأخذون الرشى في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي يأخذونه
من حطام الدنيا هو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود
ورثوا التوراة من ابائهم وعلموا ما فيها من الحق وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشى في الاحكام كذا في ب
زماننا يقولون بذل الرشى هذا حق الدخان وحق القهوة ثم ان اليهود مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم
واصرارهم عليه يقولون سيغفر لنا ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله اخرجه الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل
ان تحاسب يوم القيمة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على
الذنوب اعتمادا على تمنيهم جهلا منهم والجملة حال من فاعل ورثوا العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال
الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمراد بهذا
الادنى الدنيا وما يتمتع فيها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب الزوال والاشارة بهذا الادنى لخساسته
وحقارتها ويقولون سيغفر لنا اي سيغفر لنا اخذ العرض الادنى يعني لا يواخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه
وهو عطف على يأخذون او حال عن فاعل يأخذون تقديره وهم يقولون والفعل مسند الى الجار والمجرور
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه اي ان اليهود اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا او حراما
ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على
الذنوب قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول
سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او عزل من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا
يقول الله عز وجل وان يأت الاخرين عرض الدنيا يأخذوه والحاصل انهم كانوا يوجبون المغفرة مصرين على
الذنوب عائدين الى مثلها غير تائبين عنها الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الم يؤخذ على
هؤلاء المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب يعني في التوراة والاستفهام للتقرير ان لا
يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او بدل منه او متعلق منه والمعنى انا اخذنا عليهم العهد
في التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق والصدق فافتروا على الله فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم
سيغفر لنا يعني اثبتوا لانفسهم المغفرة وقطعوا بها مع الاصرار على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب واهل السنة
وان جوزوا المغفرة مع الذنب لكنهم لا يقطعون بها قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي
يزالون

لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فان الاستفهام
للتقرير كأنه قيل اخذ ميثاقهم في الكتاب وعلموا وقرأوا ما فيه ولكن ضيعوا العمل به او عطف على ورثوا الكتاب
وقوله الم يؤخذ اعتراض والدار الاخرة خير اي وما في الدار الاخرة مما اعد الله لاوليائه واهل طاعته
العاملين بما امر الله به في كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام خير من ذلك العرض الحقير الخسيس
الدني للذين يتقون محارم الله من الرشى وغيره افلا يعقلون بان الدار الاخرة خير فيوثروها على
الدنيا قال بعضهم افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم وتسعون فيما هو الخير وقال بعضهم افلا تعقلون فعلوا
ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وتلخيص المعنى افلا يعقل هولاء الذين يرضون بعرض
الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى للعباد المتقين قرأ ابن عامر ونافع وحفص بالخطاب والباقون بالغيبة فالخطاب
يحتمل وجهين احدهما انه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بالضمائر حينئذ شيء واحد والثاني ان الخطاب
لهذه الامة اي افلا تعقلون انتم حال هولاء وما هم عليه وتتعجبون من حالهم واما الغيبة فجرى على ما تقدم من الضماير
ونقل ابو حيان ان قراءة الغيبة لابي عمرو واهل مكة وقراءة الخطاب للباقين والذين يمسكون بالكتاب
والامساك والتمسك الاعتصام والتعلق بالشيء والمراد هنا العمل بما في الكتاب من احلال حلاله وتحريم
حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الاية في الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله
بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول وهو التوراة ولم يحرفوه ولم يغيروه ولم يبدلوه فاداهم
ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران قرأ العامة يمسكون بالتشديد وقرأ ابو بكر عن عاصم
يمسكون بسكون الميم وتخفيف السين من امسك وهما لغتان قال البغوي مثل كرم وقرأ ابي بن كعب رضي
الله عنه والذين تمسكوا بالكتاب على الماضي وهو جيد لقوله واقاموا الصلوة اذ قل ما يعطف ماض على
مستقبل الا في المعنى واراد الذين يعملون بما في الكتاب قال مجاهد هم المؤمنون من اهل الكتاب كعبد الله
واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة وقال
عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى واقاموا الصلوة اي وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما
افردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم
العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله ويجوز ان يكون والذين يمسكون مبتدأ والخبر انا لا نضيع اجر
المصلحين على تقدير منهم او على وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من
التضييع واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة اي واذكر يا محمد اذ قلعنا جبل الطور من اصله
فرفعناه فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا على الانسان كالسقف
ونحوه وانما قلنا الطور لقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور والنتق الرفع بعد القلع من اصله وظنوا
اي وعلموا وتيقنوا انه واقع بهم اي ساقط لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم يوعدون به
وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله
الطور فوقهم وقيل لهم ان تقبلوا ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا اي وقلنا لهم خذوا او قائلين
لهم ذلك واضمار القول كثير في القران وكلام العرب ما اتيناكم اي اعملوا بما اعطيناكم من احكام التوراة
بقوة اي بجد واجتهاد وعزم بليغ على تحمل مشاقه وتكاليفه وهو حال عن الواو في خذوا تقديره

Copyright King Saud University

خذوا متلبسين بجد تام واذكروا ما فيه اى بما فى التوراة من الاوامر والنواهى ولا تنسوه يعنى واعملوا
بما فيه من الاحكام ولا تتركوها ترك المنسى لعلكم تتقون اى لكى تبلغوا درجة التقوى التى هى اسنى
المراتب فتتركوا الاعمال القبيحة والاخلاق الرذيلة قال اصحاب الاخبار ان بنى اسرائيل لما ابوا ان يقبلوا
احكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبريل فرفع جبلا عظيما وهو الطور حتى صار على
رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده وحاجبه
الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط عليه ولذلك لا يسجد اليهود الا على شق وجوههم
اليسرى ولما اخبر الله نبيه عن نقض ميثاق اليهود اخبر له ايضا عن اخذ ميثاقه على ذرية ادم بتوحيده
بقوله واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على
ما يتوالدون قرنا بعد قرن فان قلت جاء فى الحديث انه سبحانه اخذ الذرية من ظهر ادم وفى الاية
الكريمة من ظهور بنى ادم قلت لا منافاة فى ذلك لان بنى ادم مخرجون من ظهر ابيهم ادم فالمخرج من ظهور
الاولاد مخرج من ظهر ادم وقد قال البيضاوى وقد ذكره ونور صريحه فى شرحه على المصابيح والتوفيق بين
الاية والحديث ان يقال ان المراد من بنى ادم فى الاية واولاده وكانه صار اسما للنوع كالانسان والبشر
والمراد من الاخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان واقتصر فى الحديث على ذكر ادم اكتفاء بذكر
الاصل عن ذكر الفرع انتهى فقوله تعالى من ظهورهم بدل من بنى ادم بدل البعض قال السيوطى بدل
اشتمال مما قبله باعادة الجار والضمير راجع لادم وبنيه لا لبنيه خاصة والا يلزم اخراج اولاده من
جز الارادة قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع والباقون بالافراد واشهدهم على
انفسهم الست بربكم بان نصب لهم من الادلة على ربوبيته ووحدانيته وركب فى عقولهم وبصائرهم
ما يدعوهم الى التمييز بين الحق والباطل حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلسان المقال
على ما ثبت فى الحديث بلى اى انت ربنا وقيل اجابوا بلسان الحال فنزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب
الدلائل وخلق الاستعداد فيهم منزلة اشهادهم على الربوبية والاعتراف بها على طريقة التمثيل ويدل عليه
قوله قالوا بلى شهدنا اى اقررنا واعترفنا بانك ربنا فاستدلوا بما شاهدوا من اثار صنع الله فيهم على ان
لهم الها قادرا منفردا بالربوبية وكمال العلم والقدرة وهو الفطرة الاصلية فطر الناس عليها تمكن بها
الانسان لما له وما عليه وفى اللباب قوله تعالى واذ اخذ ربك الاية عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه سئل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية قال سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل
الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل النار اخرجه
مالك فى الموطا وابو داود والترمذى وقال الحديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم
فى هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبرى فى بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن
مسلم

مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ○ عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
من ذريته الى يوم القيمة وجعل بين عينى كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال اى رب
من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال
داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمرى اربعين سنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم يبق من عمرى اربعون قال
اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسى ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ
فخطئت ذريته اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن صحيح فاما تفسير الاية فقوله تعالى واذ اخذ ربك
يعنى واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم يعنى من ظهور بنى ادم وانما لم يذكر ظهور ادم
وانما لم يذكر ظهر ادم وان كان الله اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية ادم
بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الاباء فلذلك قال الله تعالى من بنى ادم من ظهورهم
فاستغنى عن ذكر ظهر ادم لما علم انهم كلهم بنو ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغناء
ثم للعلماء فى تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت
به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه
الطبرى باسانيده فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان يعنى عرفة قلت وفى تفسير امامنا البغوى قال ابن عباس
ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وروى عنه انه بدهناء من ارض الهند وهو الموضع الذى هبط
ادم عليه السلام وقال الكلبى بين مكة والطايف وقال السدى اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه
من السماء ثم مسح ظهره فاخرج ذريته انتهى ما ذكره البغوى ولنرجع الى قول صاحب اللباب فقال
بعد قوله يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا
وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس فى
هذه الاية قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة بنعمان هذا الذى وراء عرفة
واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول ما اهبط الله ادم الى
الارض اهبطه بدهنا ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيمة ثم اخذ
عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين زاد فى رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وفى رواية عنه قال لما خلق الله ادم اخذ
ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومصايبه واستخرج ذريته كالذر وكتب اجالهم وارزاقهم
ومصايبهم وفى رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة
فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادها فى صلبه فلن تقوم
الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق
الاول ومن ادرك الميثاق الاخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الاخر

مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا من ظهره كما يوخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا
بلى قالت الملئكة شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس اخرج ذرية
ادم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها في صلبه فليس احد من
الخلق الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيمة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال
السدي اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة
الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا
فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال
الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية زاد في رواية وذلك
حين يقول وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي اقر له بالايمان والمعرفة
الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر
يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا ادم هؤلاء
ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للسود
هؤلاء في النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب ادم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج
اهل الميثاق جميعا وروي ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري
فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم ممن اشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي
وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم
كتب اجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليه ادم عليه السلام فراى منهم الغني والفقير وحسن الصورة
ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على
بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق قال الزجاج وجائز ان يكون الله تعالى
جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم في هذه الاية ان الله تعالى اخرج
ذرية ادم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه
فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا
بقوله يا جبال اوبي معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حتى سمعت لامره
وانقادت قلت وللغزالة والضب ولعظم المسمومة وللحصى وغير ذلك مما لا يحصى كذلك جعل الله فيهم العقل
حتى تكلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بربكم فهو ايجاب
للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية بلى انت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية فاعترفوا
على انفسهم بالعبودية وقال الامام في تفسير هذه الاية قولان مشهوران الاول وهو مذهب المفسرين واهل الاثر
انه تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيمة على ما ذكره المفسرون من
من الاثار الواردة في هذا المعنى ثم قال الامام رحمه الله والمعتزلة اطبقوا على انه لا يجوز تفسير هذه الاية

اي بالحديث واحتجوا على فساده بوجوه الوجه الاول قالت المعتزلة في منعاهم لان قوله تعالى من ظهورهم بدل من
قوله بني ادم فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بني ادم فلم يذكر انه اخذ من ظهر ادم شيئا الوجه الثاني قوله ولانه
لو كان المراد انه اخرج من ظهر ادم لما قال من ظهورهم بل يجب ان يقول من ظهره وذريته واجاب الامام عن
الوجهين بقوله ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى اخرج الذرية من ظهور بني ادم واما انه اخرج كل تلك الذرية من
صلب ادم فليس في لفظ الاية ما يدل على ثبوته ولا على نفيه الا ان الخبر قد دل فثبت اخراج الذرية من ظهور بني ادم
بالقران واخراج الذر من ظهر ادم بالخبر ولا منافاة بينهما فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الاختلاف
هذا جواب الامام قلت والنبي عليه السلام اعلم من جميع الخلق بمعنى القران وعليه نزل فحديثه هو تفسير القران
الوجه الثالث ان المعتزلة قالوا ولانه لو صح القول باخذ الميثاق لوجب ان يتذكره الانسان الان واجاب الامام
عن هذا الوجه بقوله بان خالق العلم بالاحوال الماضية هو الله تعالى وهو فاعل مختار جاز ان لا يخلقه الوجه
الرابع ان المعتزلة قالوا ولان مجموع تلك الذرات يمتنع حصولها بانها في ظهر ادم واجاب الامام عن هذا الوجه
بقوله بان البنية ليست شرطا عندنا لحصول الحياة والعلم فان الجزء الذي لا يتجزى قابل للحيوة والعقل فاذا جعلنا كل
واحد من تلك الذرات جوهرا فردا فلم قلتم ان ظهر ادم لا يتسع لمجموعها هذا اذا قلنا ان الانسان عبارة عن
الجوهر الفرد واما اذا قلنا ان الانسان هو النفس الناطقة وانه جوهر غير متحيز ولا حال في المتحيز فالسوال زائل
الوجه الخامس ان المعتزلة قالوا ولانه تعالى حكى عن اولئك الذرية انهم قالوا انما اشرك اباؤنا من قبل وهذا لا يليق
باولاد ادم لانه عليه السلام ما كان مشركا واجاب الامام عن هذا الوجه بقوله ان الذرية التي قالوا هذا هم اولاد
المشركين من بني ادم لا اولاده الصلبي الوجه السادس ان المعتزلة قالوا ولان الله تعالى قال فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق ولو كانت تلك الذرات عقلاء فهمين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق واجاب الامام
عن هذا الوجه بان للانسان وجودا علميا في علمه تعالى القديم ووجودا روحيا في عالم الارواح ووجودا
خلقيا في عالم الخلق والاجساد ثم قال الامام ولهم في ذلك كلام كثير اكتفينا عنه بهذا المقدار والغرض توقيف
الطالبين على مواضع الاشكال والتوفيق بين الاية والحديث مع ان هذه الوجوه المذكورة من المعتزلة انما ترد
اذا حملنا معنى الاية على ظاهر الحديث وان فسرناها بالاستعارة التمثيلية كما فسرها بها كثير من اهل التحقيق
فلا يرد شيء مما ذكروا كما لا يخفى على من له دراية في الكلام ثم قال الامام والقول الثاني من القولين المشهورين
في تفسير هذه الاية قول اصحاب النظر وارباب المعقولات وهو انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من
اصلاب ابائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى واودعها في ارحام الامهات
وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم
من دلائل وحدانيته وغرائب صنعه فبالاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول
باللسان ونظيره قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الجدار للوتد
لم تدقني قال سل من يدقني وقول الشاعر امتلا الحوض وقال قطني ثم قال الامام وهذا القول
الثاني لا طعن فيه البتة وانه لا ينافي صحة القول الاول يقول مؤلف هذا الكتاب ثم لا يخفى على المتامل بان ما
ذكرنا اولا مما ذكره صاحب اللباب بقوله ثم للعلماء في تفسير هذه الاية مذهبان الى ان تم مذهب الاول
فراينا ما يناسب المقام من ذكر قولي الامام فكتبناهما بالتمام ثم نرجع الى المذهب الثاني مما ذكره صاحب اللباب

وان كان مما ذكره الامام استغناء عما في اللباب لان مآل قول الثاني من قولي الامام ومذهب الثاني مما ذكره صاحب
اللباب واحد ولكن الاختلاف في بعض الالفاظ كاين فحملني ذلك الى الكتابة فقال والمذهب الثاني في معنى هذه الاية
وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الاباء وهم اولاد
بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول واراهم
من عجايب خلقه وغرايب صنعه ودلايل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم
انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلايل اياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم وربهم
ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا شهدنا على انفسنا
انك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا
النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق بما جعل فيه
من السبب الذي به يوخذ الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الاية واذ ياخذ ربك من بني ادم
ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب
والعقاب يوم القيمة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية قلت المذهب الاول هو المختار
لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في
تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر ادم لاخذ الميثاق عليهم كما
ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الاية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله تعالى مسح ظهر
ادم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الحديث والاية كما تقدم في تفسير الفاظ الاية من
ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعضهم كما في الخارج وكلهم باجمعهم من
ظهر ادم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الاية والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الاية ما يدل
على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الاية
والحديث وحكى الواحدي رحمه الله عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح
ظهر ادم فاخرج منه ذريته وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر ادم فقد اخرجهم
من ظهور ذريته لان ذرية ادم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وحصل المغايرة بهذا الفصل انه تعالى اثبت
الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالايات
والدلايل التي نصبها بالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فائدة اخذ الميثاق عليهم في
القديم ان من مات منهم صغيرا دخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين
يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية
السوداء وانما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول
شيئا حتى يومن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاؤا به
من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق او الايمان بان الله ربنا غافلين او لئلا يقول
اخلافهم انما اشرك اباؤنا ونحن نسير على اثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت ذلك الميثاق لا يذكره
احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم او فكيف يذكرونه يوم القيمة حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج الذرية
من صلب

١٥ مذهب اهل التفسير والحديث

١٧ اي لا بعد البلوغ في وقت خروجهم من ظهر ادم

١٨ اي في عالم الذر اي قبل البلوغ

١٩ اي يتذكرونه

من صلب ادم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب ادم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا
ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل واصحاب
الشرايع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء
والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم وبذلك
قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيمة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا
ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق
صاحب الشرع والمعجزات الباهرات انتهى وقوله عز وجل ان تقولوا يوم القيمة قرأ الجمهور بالتاء على
خطاب الذرية في هذا وفيما بعده معناه لئلا تقولوا ايها الذرية يوم القيمة قال الاستاد قوله ان تقولوا مفعول
لقوله واشهدهم على انفسهم اي انما فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول السليمة
كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا الميثاق او التوحيد غافلين اي لم ننبه عليه وقرى ان
يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا اي الذرية انا كنا عن هذا غافلين بدليل او تقولوا
عطف على ان تقولوا وفي الجامع فان قلت بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عني ببني ادم اسلاف اليهود الذين
اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم
المقتدين بابائهم والدليل على ان الاية في المشركين واولادهم قوله او تقولوا ايها الذرية انما اشرك اباؤنا
من قبل اي من قبلنا وكنا ذرية من بعدهم اي وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك والتقليد بعد
قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصح عذرا حتى تقولوا في عذركم افتهلكنا بما فعل المبطلون
يعني افتعذبنا بما فعل اباؤنا المبطلون بتاسيس الشرك قال البيضاوي والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا
الزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية
والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال الله وكذلك نفصل الايات
اي مثل ذلك التفصيل البليغ تفصيل ساير الايات يعني نبين جميع الايات مثل ما بينا الميثاق قطعا
لعذرهم وليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله
ولعلهم يرجعون من الشرك الى التوحيد ومن تقليد الاباء واتباع الباطل الى الحق او لكي يرجعون
الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه واتل عليهم اي واقرأ يا محمد على اليهود
وان لم يتوجها بذكر الميثاق او على قومك نبأ الذي اتيناه اياتنا اي خبر من اعطيناه علم التوراة
واسم الله الاعظم قال البيضاوي هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرأ الكتب
وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به
او بلعم بن باعورا من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله انتهى وقيل كان كاهنا من كهان الجاهلية وكان
يظن انه النبي المبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مات حاسدا قال ابن عباس هو بلعام بن باعورا
وفي رواية منه انه كان من بني اسرائيل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين
وقال مجاهد هو بلعام بن باعر وقال عبد الله بن مسعود هو بلعم بن ابر وقال مقاتل هو من مدينة
البلقاء اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال

يوم القيمة

اي اليهود او كافة من غدر

١٢ ارض كنعان من ارض الشام

له بلعم تعلم اسم الله الاعظم فلما نزل بهم موسى اتاه بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد
ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله ان يرد عنا موسى ومن معه
قال اني ان دعوت الله ان يرد موسى ومن معه مضت دنياي واخرتي فلم يزالوا به حتى
دعا عليهم فسلخ ما كان فيه انتهى وفي بعض الروايات عن غير ابن عباس فوقع موسى وبنو
اسرائيل في التيه بدعاء بلعم فلما انقضت المحنة قال موسى يارب باي ذنب وقعت لنا هذه المحنة
قال بدعاء بلعم قال فلما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام ان ينزع
عنه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره
حمامة بيضاء قلت ولا يخفى على كل عاقل ان احتباس موسى عليه السلام مع قومه في التيه ليس بدعاء
بلعم بل كان ذلك الاحتباس بقول قوم موسى له اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
او بعبادتهم العجل او بقولهم لموسى اجعل لنا الها فالرواية غير مرضية وايضا كيف يستجاب دعا بلعم
بالباطل على موسى وقومه المامورين لحرب الجبارين بامر الله وايضا كيف يدعو موسى عليه السلام
بزوال الايمان المؤمن والانبياء كلهم مامورون بدعوة الناس الى الايمان مع ان الرضا بالكفر كبيرة
ومحال ان يصدر عنهم الكباير ولكن يمكن ان يدعو موسى على بلعام بعد ان ثبت عنده ان بلعام
كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه
عليه والله اعلم والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير
نظر فيه ولا بحث عن معناه وقيل لما علم بلعم بانه كفر وذهب دينه ودنياه قال لقومه لم يبق لي
الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال ثم قال لهم جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن
الى عسكر بني اسرائيل يبعنها عليهم ومروهن ان لا تمنع امراة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنى رجل
منهم بواحدة منكم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء العسكر وقع رجل من بني اسرائيل وهو زمري بن
شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب على امراة اسمها كشتى بنت صور وسمع فنحاص بن العيزار بن
هارون وهو صاحب امر موسى الحكاية فاخذ حربته وكان له قوة شديدة فدخل عليهما وهما متضاجعان فطعنهما
بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك فبينما قتل
فنحاص الزانيين ووقوع الفاحشة بينهم مات منهم سبعون الفا بالطاعون ثم رفع وذلك في ساعة
واحدة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الاية في امية بن ابي
صلت وكانت قصته انه كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول
فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب شعر وحكمة ومواعظ
حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل قتلهم محمد صلى الله عليه وسلم
فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد
احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى
قال ابى قالت فسالته عن ذلك فقال خير اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته قال

كل عيش

كل عيش وان تطاول دهرا ۞ صائر مرة الى ان يزولا ۞ ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ۞ في قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم ۞ شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ۞ ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني
من شعر اخيك فانشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز
وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس
وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها ولد فقالت
اجعل لي منها دعوة قال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرائيل فدعا
لها فصارت اجمل النساء فلما علمت انه ليس في نساء بني اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب ودعا عليها
فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها اليه وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت
امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت
فذهبت فيها الدعوات جميعا وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وفي رواية
اخرى عن ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسال الله شيئا الا اعطاه وقال السدي كان
يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اوتي كتابا قلت معناه فهم كتاب
لا انه كان نبيا اوحي اليه كتاب لان الله يقول ولقد اخترناهم على علم على العالمين فالله اعلم حيث يجعل
رسالته اي من كان محلا للرسالة ولا يعطيها لغير اهلها فكيف يرسل من لا اهلية له للرسالة والانبياء كلهم معصومون
ومع هذا والله فاعل مختار يفعل في خلقه ما يشاء **فانسلخ** اي خرج **منها** اي من الايات التي كان الله اتاه
اياها كما تنسلخ الحية من جلدها بان كفرها واعرض عنها قال ابن عباس نزع منه العلم وقد اشرنا في معنى الايات
بانه علم التوراة واسم الله الاعظم **فاتبعه الشيطان** خطواته يعني ادركه ولحقه وهو مبالغة في لحقه حيث
جعل اماما للشيطان ومتبوعا له في معصية الله تعالى وفي اللباب معناه يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان
لنفسه تابعا في معصية الله ويخالف امر ربه ويطيع الشيطان وهواه تخصيصا فادركه فصار قرينه وصاحبه
اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور **فكان من الغاوين** اي من الهالكين الضالين عن طريق الهدى
بما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه **ولو شئنا لرفعناه بها** اي لو اردنا صلاحه لرفعنا درجته و
منزلته بتلك الايات التي اوتيها الى منازل العلماء وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء لعصمناه
ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالايات **ولكنه اخلد** اي ركن وسكن واطمان قلبه **الى الارض**
اي الى عالم الاسفل وهي الدنيا الدنية لان الاخلاد هو الاقامة والدوام قال الاستاد والارض هنا عبارة عن
الدنيا **واتبع هواه** في ايثار الدنيا ولذاتها على الاخرة ونعيمها والحاصل انه اعرض عن التمسك بما اتاه من
الايات واتبع الهوى فخسر دنياه واخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الاية من اشد الايات على
العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا
الرجل باياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم والاكبر وجعل دعاءه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى
الدنيا ورضي بها عوضا عن الاخرة فنزع عنه ما كان اعطاه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والاخرة ومن
الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه
عن كعب بن مالك الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم

Copyright King Saud University

بافسدها ای حرص المرء علی المال والشرف لدینه اخرجه الترمذی ودلت الایة علی ان الکفر بمشیة الله تعالی
وانه لوشاء ایمانه کان واقعا فالایة دامغة للمعتزلة وفی المدارک وقیل لما دعی بلعم علی موسی علیه السلام
خرج لسانه فوقع علی صدره وجعل یلهث کما یلهث الکلب ثم ضرب الله مثلا لهذا الرجل الذی اتاه ایاته فی خرج
منها واتبع هواه فقال **فمثله کمثل الکلب ان تحمل علیه یلهث** ای وصفه من اتیناه ایاتنا ولم یعمل بها
یعنی صفته التی هی مثل فی الخسة کصفة الکلب فی اخس احواله وهی ان تزجره وتطرده یدلع لسانه ویخرجه
من النفس الشدید **او تترکه** ولم تتعرض له یدلع لسانه ایضا یعنی هو یلهث دایما سواء حمل علیه بالزجر ام لم
تتعرض له لضعف فواده ولیس غیره من الحیوانات کذلک یقال لهث الکلب یلهث اذا ادلع لسانه من العطش
وشدة الحر والشرطیة فی موضع الحال والمعنی لاهثا فی الحالتین وملازما لذلک دایما والحاصل ان ذلک العالم یشبه
بالکلب لانه صار ضالا وعظته اولم تعظه قال الاستاد معناه ان شددت علیه واهجته لهث او
ترکته علی حاله لهث لان اللهث طبیعة اصلیة فیه فکذلک حال الحریص علی الدنیا ان وعظته فهو حریص
لا یقبل الوعظ ولا ینجع فیه وان ترکته ولم تعظه فهو حریص ایضا لان الحرص علی طلب الدنیا صار طبیعة له
لازمة کما ان اللهث طبیعة لازمة للکلب ثم انه تعالی لما مثل حال من اوتی الایات البینات بحال الکلب اللاهث
عم بهذا التمثیل جمیع المکذبین بایات الله فقال **ذلک مثل القوم الذین کذبوا بایاتنا** یعنی ان المثل
الذی ضربناه للذی اتیناه ایاتنا فانسلخ منها مثل القوم الذین کذبوا بایاتنا من الیهود فانهم بدلوا
نعت رسول الله وصفته وحرفوا الکلم عن مواضعها رکونا الی حطام الدنیا وزخارفها قال الاستاد ای ذلک
المثل السیء فی الخسة مثل الیهود الذین کذبوا بما فی التوراة من نعت النبی صلی الله علیه وسلم ومن ذکر القران
المعجز یعنی صدقوا النبی اولا وبشروا الناس باقتراب مبعثه وکانوا یستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا کفروا
به فانسلخوا من حکم التوراة کما تنسلخ الحیة من جلدها **فاقصص القصص** ای اقرأ یا محمد القصة المذکورة
علی الیهود او علی قومک یعنی اخبرهم احوال من کفر بایات الله والحاصل اذ الحق ان المثل المذکور مثل هولاء
المکذبین فاقصصه علیهم حسبما اوحی الیک **لعلهم یتفکرون** تفکرا یودی بهم الی الاتعاظ فیومنون
وقیل هذا المثل لکفار مکة وذلک انهم کانوا یتمنون هادیا یهدیهم ویدعوهم الی طاعة الله فلما جاءهم محمد صلی الله
علیه وسلم یدعوهم الی الله والی طاعته وهم یعرفونه ویعرفون صدقه وامانته فکذبوه ولم یقبلوا منه قال الامام
فان قیل قوله تعالی فمثله کمثل الکلب تمثیل لحال بلعام فقال بعده ساء مثلا القوم الذین الخ والکلام یضرب
الا الواحد قلنا فی الجواب اولا المثل فی الصورة وان ضرب لبلعام ولکن ارید به کفار مکة کلهم لانهم صنعوا مع رسول
الله صلی الله علیه وسلم بسبب میلهم الی الدنیا وشهواتها من الکید والمکر ما یشبه فعل بلعام مع موسی علیه السلام
وثانیا ان ساء مثلا الی اخره راجع الی قوله تعالی ذلک مثل القوم الذین لا الی اول الایة انتهی **ساء مثلا**
القوم الذین کذبوا بایاتنا یعنی بئس مثلا مثل القوم الذین کذبوا بایاتنا قوله ساء الخ استیناف
مسوق لبیان کمال حال المکذبین بایات الله بعد بیان کونه کحال الکلب او المنسلخ وساء بمعنی بئس
وفاعلها مستتر فیها ومثلا تمییز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالی القوم الذین کذبوا بایاتنا وفی
ساء مثلا القوم برفع مثل علی حذف المخصوص بالذم **وانفسهم کانوا یظلمون** ای بتکذیبهم بایاتنا
وهو عطف علی کذبوا بایاتنا داخل فی الصلة ای الذین جمعوا بین تکذیب الایات وظلم انفسهم او منقطع عنها

یعنی وما

یعنی وما ظلموا بالتکذیب الا انفسهم لا یتخطاها وباله قوله عز وجل **من یهد الله فهو المهتدی**
ای من یرشده الله الی دینه فهو المهتدی او من یتولی الله هدایته وارشاده فهو المهتدی قال الاستاد
المراد بهذه الهدایة ما یوجب الاهتداء قطعا والمعنی من یهده الله ای یخلق فیه الاهتداء فهو المهتدی لا غیر
قال الاستاد ویاء المهتدی ثابتة عند جمیع القراء لثبوتها فی الرسم **ومن یضلل** ای ومن یتولی الله ضلالته
بان لم یخلق فیه الاهتداء بل خلق فیه الضلالة لصرف اختیاره نحوها **فاولئک هم الخاسرون** ای
اولئک الموصوفون بالضلالة هم الکاملون فی الخسران لا غیر وافراد المهتدی نظرا الی اللفظ من وجمع الخاسرین
نظرا الی معناه للایذان باتحاد منهاج الهدی وتفرق طرق الضلال وفی الایة دلیل علی ان الله هو الهادی
والمضل قوله عز وجل **ولقد ذرانا** کلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطریق التذییل ای خلقنا
لجهنم متعلق بذرانا **کثیرا من الجن والانس** وهم کفار الفریقین اهل الطبع والرین المعرضون
عن تدبر ایات الله والحاصل ان الله اخبر نبیه تسلیة له بانه خلق کثیرا من الجن والانس للنار وهم
الذین حقت علیهم الکلمة الازلیة بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حیلة له فی الخلاص منها واستدل
امامنا البغوی قدس سره علی صحة هذا التاویل بما رواه عن عایشة رضی الله عنها قالت دعی رسول الله
صلی الله علیه وسلم الی جنازة صبی من الانصار فقلت یا رسول الله طوبی لهذا عصفور من عصافیر الجنة
لم یعمل السوء ولم یدرکه قال او غیر ذلک یا عایشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فی اصلاب
ابایهم وخلق للنار اهلا خلقهم وهم فی اصلاب ابایهم اخرجه مسلم قال الشیخ الامام محی الدین النووی
فی شرح مسلم اجمع من یعتد به من علماء المسلمین ان من مات من اطفال المسلمین فهو من اهل الجنة لانه
لیس مکلفا وتوقف فیهم بعض من لا یعتد به لحدیث عایشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعله صلی
الله علیه وسلم نهاها عن المسارعة الی القطع من غیر ان یکون عندها دلیل قاطع کما انکر علی سعد بن ابی وقاص
اعطه انی لاراه مومنا فقال او مسلما الحدیث ویحتمل انه صلی الله علیه وسلم قال هذا قبل ان یعلم ان اطفال المسلمین
فی الجنة فلما علم قال ذلک واما اطفال المشرکین ففیهم ثلثة مذاهب قال الاکثرون هم فی النار تبعا لابائهم
وتوقفت طایفة فیهم والثالث هو الصحیح الذی ذهب الیه المحققون انهم من اهل الجنة ویستدل له
باشیاء منها حدیث ابراهیم الخلیل صلی الله علیه وسلم حین راه النبی صلی الله علیه وسلم فی الجنة وحوله اولاد الناس
قالوا یا رسول الله واولاد المشرکین قال واولاد المشرکین رواه البخاری فی صحیحه ومنها قوله تعالی وما کنا معذبین
حتی نبعث رسولا ولا یتوجه علی المولود التکلیف ولا یلزمه قول الرسول حتی یبلغ وهذا متفق علیه وفی
الایة دلیل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة فی ان الله خالق اعمال العباد جمیعها خیرها وشرها لان الله بین
بصریح اللفظ انه خلق کثیرا من الجن والانس للنار ولا مزید علی بیان الله عز وجل لان العاقل لا یختار لنفسه
دخول النار فلما عمل بما یوجب علیه دخول النار به علم ان له من یضطره الی ذلک العمل الموجب لدخول
النار وهو الله عز وجل وقیل اللام فی لجهنم لام العاقبة ای عاقبتهم جهنم یعنی لما کان عاقبتهم جهنم
جعل کانهم خلقوا لها وهو قول اهل الاعتزال یفرون عن ارادة المعاصی وهذا عدول عن الظاهر والحق ان
اللام متعلق بذرانا وفی المدارک ولا منافاة بین قوله تعالی ولقد ذرانا الخ وبین قوله عز وجل وما خلقت الجن
والانس الا لیعبدون لان من علم الله منه فی الازل انه یکون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه انه

يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص ثم وصفهم بقوله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون
بها يعنى لا يفهمون بها ولا يعقلون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلايله يعنى لا يتفكرون بها فى
ايات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها شيئا من الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله فقوله
لهم قلوب صفة لكثيرا وقوله لا يفقهون بها فى محل الرفع على انه صفة لقلوب ولهم اعين لا يبصرون بها
اى لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها فى ايات الله وادلة توحيده والحاصل لا ينظرون
الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها يعنى لا يسمعون ايات القران ومواعظه فيعتبرون
ت
لخص الكلام ان الكفار مع ما لهم هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم فى امور الدين ثم ضرب لهم مثلا فى
الجهل والاقتصار على الاكل والشرب فقال اولئك الموصوفون بالصفات المذكورة وما فيه من معنى البعد للدلالة
بعد منزلتهم فى تيه الضلال كالانعام اى كالبهايم التى لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وساير
الحيوانات متشاركون فى هذه الحواس الثلاث التى هى القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على ساير
الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير من الشر فاذا كان الكافر لا يعرف
ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التى لا تدرك شيئا وفى الجامع روى انه لما نزل اولئك كالانعام
تضرعت الانعام الى ربها وقالت يا ربنا شبهت الكفار بنا ونحن لا ننكر وحدانيتك فاعذر الله الانعام فقال
بل هم اضل يعنى بل ان الكفار اضل من الانعام لانها اذا احست خروجها عن الطريق عادت اليها والكفار
لا يرجعون الى طريق الحق بعد ما عرفوا ضلالتهم عنه ولان البهايم تميز بين المضار والمنافع فلا تقدم على
المضار والكفار يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك اولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة او
ضرب هذه الامثال لهم وهذا كالتاكيد لقوله بل هم اضل ولذلك لم يدخل العاطف ثم ذكر بعد ما هو موجب لدخول
النار وهو التصميم على الكفر والغفلة عن الحق ما هو موجب لدخول الجنة فقال ولله الاسماء الحسنى
قال البيضاوى لانها دالة على معان هى احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات انتهى والمراد من
احسن المعانى من تحميد وتقديس وتمجيد فمنها ما يستحقه بحقايقه كالقديم قبل كل شى والباقى بعد كل شى
والقادر على كل شى والعالم بكل شى والواحد الذى ليس كمثله شى ومنها ما يستحسنه الانفس لاثارها كالغفور
والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالمفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع
والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر قال الامام الحافظ جلال الدين السيوطى
اراد باسماء الله الحسنى التسعة والتسعين الوارد بها الحديث والحسنى مونث الاحسن انتهى وفى اللباب
قال مقاتل ان رجلا دعا الله ودعا الرحمن فقال بعض مشركى مكة قال ابن الجوزى هو ابو جهل ان محمدا واصحابه
يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه الاية ولله الاسماء الحسنى والحسنى
تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسماء الله المقدسة كلها حسنى ليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والحسنى
ان الاسماء الحسنى ليست الا لله تعالى لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معان
فهى انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن فى حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهى
محصورة فى نوعين احدهما عدم افتقاره الى غيره والثانى افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى
ق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها
دخل الجنة

دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفى رواية من احصاها وفى رواية اخرى لله تسعة وتسعون اسما
مائة الا واحدة لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخارى احصاها حفظها
وفى رواية الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل
الجنة هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح
العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل
اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب
الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدى المعيد المحيى المميت الحى القيوم
الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر
الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال
والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع
الباقى الوارث الرشيد الصبور قال الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح و
لا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه
عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث
قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها وذروا الذين يلحدون فى اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما
الحديث قال الشيخ محى الدين النواوى رحمه الله اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمايه وليس معناه
انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من
احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصايها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث
الاخر اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استاثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر
ابن العربى المالكى ان لله الف اسم قال ابن العربى وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل
الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدد اى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعات
لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها احضر باله
عند ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات
الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الوتر
الفرد ومعناه فى وصف الله انه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر فى الاعمال لان اكثر الطاعات
وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمايه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم واللطيف
من اسماء الله ولا يقال من اسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم
قال ابو القاسم القشيرى الشافعى فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره كما قال

ولله الاسماء الحسنى وقال الامام فخر الدين دلت الاية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة
لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهي تفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم
القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشي الى
نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشي المسمى به وهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم
تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف
ذات الشي والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع
النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمايه ايضا ثم ان شيخنا وامامنا وقدوتنا الى الله الشيخ محي الدين عبد القادر
الكيلاني قدس سره بين في كتابه المسمى بالغنية لطالبي طريق الحق سور التي فيها هذه الاسماء فقال **فصل**
ونعتقد ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة وذلك مروي عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لله تسعة وتسعون اسما ماية الا واحدا من احصاها دخل الجنة وجميعها
في القران في سور متفرقة منها خمسة اسماء في الفاتحة وهي يا الله • يا رب • يا رحمن • يا رحيم • يا ملك
وفي سورة البقرة ستة وعشرون اسما يا محيط • يا قدير • يا عليم • يا حليم • يا تواب • يا نصير • يا واسع
يا بديع • يا رؤف • يا شاكر • يا اله • يا واحد • يا غفور • يا حكيم • يا قابض • يا باسط • يا لا اله الا هو • يا حي
يا قيوم • يا علي • يا عظيم • يا ولي • يا غني • يا حميد • وفي ال عمران اربعة اسماء • يا قايم • يا واهب • يا سريع
يا خبير • وفي سورة النساء ستة اسماء • يا رقيب • يا حسيب • يا شهيد • يا عفو • يا مقيت • يا وكيل • وفي الانعام
خمسة اسماء • يا فاطر • يا قاهر • يا قادر • يا لطيف • يا خبير • وفي الاعراف اسمان • يا محيي • يا مميت • وفي
الانفال • يا نعم المولى • ويا نعم النصير • وفي هود سبعة اسماء • يا حفيظ • يا رقيب • يا مجيد • يا قوي • يا
مجيب • يا ودود • يا فعال • وفي الرعد اسمان • يا كبير • يا متعال • وفي ابراهيم اسم واحد وهو يا منان • وفي
الحجر اسم واحد وهو يا خلاق • وفي النحل اسم • يا باعث • وفي مريم اسمان • يا صادق • يا وارث • وفي المؤمنين
اسم • يا كريم • وفي النور ثلثة اسماء • يا حق • يا مبين • يا نور • وفي الفرقان • يا هادي • وفي سبا • يا فتاح
وفي المؤمن اربعة اسماء • يا غافر • يا قابل • يا شديد • يا ذا الطول • وفي الذاريات ثلثة اسماء • يا رزاق
يا ذا القوة • يا متين • وفي الطور • يا منان • وفي اقتربت • يا مقتدر • وفي الرحمن ثلثة اسماء • يا باقي
يا ذا الجلال • يا ذا الاكرام • وفي الحديد اربعة اسماء • يا اول • يا اخر • يا ظاهر • يا باطن • وفي الحشر عشرة
اسماء • يا قدوس • يا سلام • يا مومن • يا مهيمن • يا عزيز • يا جبار • يا متكبر • يا خالق • يا باري • يا مصور
وفي البروج • يا مبدئ • يا معيد • وفي قل هو الله • يا احد • يا صمد • هكذا ذكرها سفيان بن عيينة رحمة الله عليه
وذكر عبد الله بن احمد رحمة الله عليهما اسماء زوايد على هذه وهي • يا فاضل • يا فالق • يا رفيع • يا جواد
يا مبين • يا احكم الحاكمين • وذكر ابو بكر النقاش في كتاب تفسير الاسماء والصفات عن جعفر بن محمد يعني الصادق
رضوان الله عليه ان لله ثلثماية وستين اسما وروي ايضا عن غيره ماية واربعة عشر اسما وذلك يحمل على
انهم وجدوا في القران اسماء متكررة فعدوها اسماء والصحيح ما ذكرنا انتهى قوله تعالى **فادعوه بها** اي ادعوه
وسموه باسمايه التي سمى بها نفسه مثل يا الله • يا رحمن • يا رحيم • وغير ذلك او سماه بها رسوله فيه دليل على
ان اسماء الله توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز

ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان
يقال يا طبيب وللدعاء شرايط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة
المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعايه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسالة مع
رجاء الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء
وكان له اثر عظيم **وذروا الذين يلحدون في اسمايه** قرا حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد
لحدا اي مال عن القصد والاستقامة والباقون بضم الياء وكسر الحاء من الحد اي امال وقال ابن السكيت
الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال لحد في الدين والحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال
المحققون ومعنى الالحاد في اسمايه تعالى اطلاق اسمه الشريف على غيره وذلك ان المشركين سموا اصنامهم بالالهة
واشتقوا لها اسماء من اسماء الله فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من
العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقال اهل المعاني ان الالحاد في اسماء الله
هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسماء الله كلها توقيفية
كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل يدعوا الله باسمايه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه
التعظيم ويراعي حسن الادب في الدعاء فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد
بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي يا مانع يا خالق الخلق ولا يجوز تسمية الله باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه
باسم لا يليق اطلاقه على الله عز وجل ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة قال السمرقندي في تفسيره وقال
الزجاج لا ينبغي لاحد ان يدعوه بما لم يصف به نفسه ولم يسم به نفسه فيقول يا جواد ولا ينبغي له ان يقول
يا سخي لانه لم يسم به نفسه ولكنه يقول يا قوي ولا يقول يا جلد انتهى والمعنى ذروهم والحادهم فيها ولا توافقوهم
عليه او اتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اي لا اذن فيه من جهة الشارع او بما يوهم
معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه وكقول بعض الزنادقة لتلامذتهم انتم اولاد الالهيين ومراده
اولاد الله ولكن يستتر بهذا اللفظ تلبيسا لهم او لا تبالوا بانكارهم ما سمى الله به نفسه كقولهم لا نعرف الا رحمن
اليمامة او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال **سيجزون ما كانوا يعملون** اي سيعاقبون في الاخرة
بعملهم من الشرك والالحاد في الاسماء وهذا قبل الامر بالقتال ففيه وعيد وتهديد لمن الحد في اسماء الله وذاته
وصفاته عز وجل والجملة مستانفة ثم لما قال ذرانا لجهنم كثيرا كالضالين والملحدين عن الحق اتبعه بما دل
على ان مخلوق للجنة ايضا من كان مستحقا لها فقال **وممن خلقنا امة** اي جماعة وعصابة كثيرة للجنة
يهدون بالحق يعني يدعون الناس بالحق الى الحق **وبه يعدلون** اي وبالحق يحكمون فيهم العلماء والدعاة
الى الدين وفيه دليل على ان اجماع كل عصر حجة لانه لا يخلو قرن وزمان من قايم بالحق يعمل به ويهدي
اليه اذ لو اختص بعهد الرسول او الصحابة وحده لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم نزلت الاية حين قال ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله قد ذكر الله بني اسرايل بالخير بقوله ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق ونحن قد امنا بك وبالرسل والكتب فقال الله تعالى ذلك تسلية لقلوبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة
محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرا هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق

Copyright © King Saud University

وبه يعدلون ق عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قائمة
بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك والذين كذبوا باياتنا يريد
به جميع المكذبين بايات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول
الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه سنستدرجهم قال الازهري سناخذهم قليلا قليلا وذلك ان
الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل
سنستدنيهم ونقربهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة
وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان
الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم روي ان عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك
ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انه استدراج لهم حيث
جدد الله لهم النعمة كلما جددوا ما يستحقون به النقمة فاغتروا به حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله انعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج
ثم تلا هذه الاية واملي لهم اي وامهلهم عطف على سنستدرجهم وانما لم يقل ونملي لهم على وفق سنستدرجهم
للفرق بينهما فان الاستدراج بالتدبير العادي الذي توسط فيه المدبرات امرا والاملاء بالتدبير الالهي الذي لا دخل
فيه لاحد والمعنى اني اطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والعصيان ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب
التوبة ان كيدي متين اي ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
والمتين من كل شيء هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه
الاية في المستهزئين من قريش وذلك ان الله امهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الاية دليل على
مسالة القضاء والقدر وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولما نسبوا
النبي عليه السلام الى الجنون نزل اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني بنبيهم الذي يصحبهم ويخالطهم
ليلا ونهارا وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما نافية بعد وقف اي اولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله
ما بصاحبهم من جنة وعبر عنه بالصاحب لان المصاحبة تظهر ما عنده من كرم الاخلاق ولو كان به
جنون كما زعموا لم يخف عليهم قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو
قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان يحذرهم باس الله ووقائعه فقال
قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل
واعمال الخاطر في عاقبة الامر والمعنى اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة والجنة حالة من الجنون
وادخال لفظة من في قوله من جنة توجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو
بريء منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا
على الاخرة ونعيمها ومشتغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم باسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال
ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون وقال تعالى ان هو اي ما هو الا نذير مبين
اي منذر من الله موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم بالوحدانية فقال
عز وجل اولم ينظروا يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض اي في ملكه العظيم الذي

٩

سورة الاعراف

يدل عليه ملكهما وما خلق الله من شيء اي وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها
العدد لتدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة
ما يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع
القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شيء خلقه الله ويراه فيه دليل على وحدانية الله واثار قدرته
كما قال الشاعر وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وان اي اولم ينظروا ولم يتفكروا ليعلموا في ان اي انه وهو
على ما قبله او الملكوت وان مخففة من المثقلة يقدر فيها ضمير الشان لا مصدرية لان عسى غير متصرفة لا مصدر
يؤول به عسى ان يكون قد اقترب اي قرب اجلهم والمعنى ان الشان والحديث ان يكون قد اقترب اجلهم
يسارعوا الى طلب ما ينجيهم قبل مفاجاة الاجل وحلول العذاب قال البيضاوي وان مصدرية او مخففة من
المثقلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق
والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجاة الموت ونزول العذاب قال الاستاد معناه ولعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا
على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر
المؤدي الى الفوز بالنعيم المقيم فباي حديث اي كتاب بعده يعني بعد القران يؤمنون يعني يصدقون
اذا لم يصدقوا به والمعنى فباي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا
بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم وهو غاية في البيان كانه
اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو مرتبط بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل
اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فاذا لم يؤمنوا به فباي حديث
احق منه يريدون ان يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادي له وهذا كالتقرير والتعليل لقوله فباي حديث
الخ وتلخيص الكلام ليس في صاحبهم جنون ولا في ملكوت السموات والارض خفاء في الدلالة على وحدانية الله تعالى
ولا في القران نوع اشتباه بل كل من اراد الله اضلاله فلا احد يقدر على هدايته يعني ان اعراض هؤلاء عن الايمان
لاضلال الله اياهم ولو هداهم لامنوا ويذرهم في طغيانهم يعمهون والمعنى ونتركهم في ضلالتهم وتماديهم
في الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا قرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بياء الغيبة كقوله ومن يضلل الله
وحمزة والكسائي بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد غيره ويذرهم
وقرا الحرميون بالنون ورفع الراء على انه كلام مستانف اي ونحن نذرهم ويعمهون في موضع النصب على انه
حال من هم ونزل في شان اهل مكة قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس
قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا
كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسالونك يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيمة سميت ساعة لانها
تقوم في ساعة غفلة وبغتة او لان حساب الخلائق ينقضي فيها في ساعة واحدة وايان سؤال استفهام عن
الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى ومرساها قال ابن عباس يعني منتهاها وقيل قيامها وقيل الساعة
الوقت الذي يموت الخلائق فيه واصل الارساء الثبات والاستقرار يقال رسا يرسو اذا ثبت قال الاستاد ومعناه
يسالونك يا محمد اليهود عن القيمة تعنتا وعنادا وان كانوا عالمين بان علم الساعة مما استاثر الله بعلمه ولم يطلع

Copyright © King Saud University

عليه احد من خلقه او يسألونك مشركوا قريش عن شيء لا يعنيهم ويتركون ما هو المهم والمطلوب واختلف
النحويون في ايان هل هي بسيطة او مركبة فذهب بعضهم الى ان اصلها اي اوان واختلفوا فيها هل هي
مشتقة ام لا فقيل انها مشتقة من أي وأصله أوي قلبت الواو ياء وادغمت لان معناها اي وقت
وهو من أويت الشيء لان البعض آوى الى الكل قل يا محمد انما علمها عند ربي اى لا يعلم الوقت
الذي تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليه احدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا قال المحققون
وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على حذر وخوف ووجل منها لان ذلك ادعى
لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو يعني لا يبينها ولا يظهر
امر وجودها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره يعني ان الخفاء بالساعة مستمر لغير الله الى وقت
وقوعها كاخفاء الاجل وليلة القدر وساعة الاجابة في يوم الجمعة ثقلت في السموات والارض يعني ثقل
علمها وخفي امرها على اهل السموات والارض وكل شيء خفي فهو ثقيل شديد قال الحسن اذا جاءت
ثقلت وعظمت على اهل السموات وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب
قال الشيخ معناه شقت وكبرت على اهلها من الملئكة والثقلين لشدة هولها وعظمها كأنه اشارة الى الحكمة
اخفائها اى لا يطيقون حمل اخبارها وثقل عليهم اخفاؤها فان ما خفي امره ثقل على النفوس لا تأتيكم الا
بغتة اى فجأة على حين غفلة منكم كما قال الله ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا
يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة
العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه
يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة يسألونك كأنك حفي
عنها اى يسألونك يا محمد مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اى مبالغ في العلم بالساعة حتى كأنك
عالم بها من حفي عن الشيء اذا بحث عنه واستحكم علمه فيه وقد قرئ حفي بها قال الاستاذ معناه يسألك
قومك عن الساعة كأنك حفي بهم يعني بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسألونك
عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كأن بينك وبينهم مودة وكأنك صديق لهم قال ابن عباس لما
سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم
فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسألونك
عنها كأنك حفي بها اى عالم بها من قولهم احفيت في المسألة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها انتهى والجملة
التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف وعنها متعلق بيسألونك قل انما علمها عند الله يعني يا محمد
لقومك استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل لقوله ان الله عنده علم الساعة وبين اللغث
الآية فان قلت قوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها وقوله ثانيا يسألونك كأنك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس
فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن احوالها من ثقلها وشدائدها
فلم يلزم التكرار ولما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت
قيامها

قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله
علم ذلك عند الله لانه اعظم الاسم وهذا هو الفرق بين الصورتين في الجوابين ولكن اكثر الناس لا يعلمون
بان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه حتى لا يسألوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب
الذي من اجله اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قل لا املك لنفسي نفعا اجلبه لها ولا ضرا
ادفعه عنها يعني اذا لم يكن لي علم بما ينفع قبح على نفسي التي هي اقرب الاشياء الي فكيف العلم بالساعة وهو
اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيب مما يختص بالربوبية قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد
الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه فتربح فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد ان تجدب
فترحل عنها الى ما قد اخصبت فانزل الله قل لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا اى اجتلاب نفع بان اربح فيما
اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى الخصبة واترك الجدبة
الا ما شاء الله ان يوصله الي من النفع والضر ويوفقني له لانه ان شاء اغنى عبده وان شاء افقره
فانه على ما يشاء قدير يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولو كنت اعلم الغيب اى ما غاب عني
علمه لاستكثرت من الخير يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال ومن
الاشياء النافعة في الدين والدنيا وما مسني السوء اى المضار من القحط والشدة لاحترازي عنه باجتنابه
المضار قال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب يريد وقت
الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وفي اللباب فان قلت قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات
وقد جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت
اعلم الغيب الخ قلت يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان يطلعني
الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به كما قال
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك
اظهره الله تعالى على اشياء من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
انتهى ان انا الا نذير اى ما انا الا رسول من رب العالمين ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا
وبشير اى وابشر بثوابه لقوم يؤمنون اى يصدقون بقيام الساعة بعد الموت كما قال الله انما انت منذر من
يخشيها هو الذي خلقكم من نفس واحدة هذا خطاب لمشركي مكة بما فيه الامتنان هذا كلام مستأنف يعني هو
العظيم الشان الذي خلقكم وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هي آدم عليه السلام
وجعل منها زوجها اى وخلق منها زوجها حواء وقد مر بيان خلق حواء من ضلع آدم في اول سورة النساء
ليسكن اليها اى ليأنس بها ويأوي اليها يعني ليطمئن اليها كما يطمئن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه
لكونه جزءا منه فلما تغشاها يعني جامعها كنى به عن الجماع احسن كناية يقول فلما تغشاها وغشاها
اذا علاها حملت حملا خفيفا وهو اول ما تحمل المرأة من نطفة او علقة او مضغة فانه اخف عليها
بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم
متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به الجمهور على تشديد
الراء يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهي خفيفة عليها وقرئ فمرت بتخفيف الراء من المرية

اى فشككت بسببه اهو حمل ام مرض وقرى فارت اى جاء وذهب وقرى فاستمرت به ومعناه واضح وقيل ان معناه حملت حملا خفيفا عليها وما اثقلت اصلا ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية فمضت بالحمل الى ميلاده من غير اضجاج ولا ازلاق فيردّه قوله تعالى فلما اثقلت اى صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها وقرى اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله اى دعا وتضرعا ادم وحواء الى الله ربهما اى مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء والتذلل والتضرع وسبب تضرعهما انهما لم يعهدا الحمل ولم يعرفا ماله فاهتما به وعدا لئن اتيتنا صالحا اى ولدا ذا صلاح ودين ننتفع به او لئن اعطيتنا صالحا يعنى بشرا سويا مثلنا لا نقص فى خلقه لنكونن من الشاكرين على هذه النعمة المجددة علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحواء الى الارض القيت الشهوة فى نفس ادم فاصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر فى بطنها اتاها ابليس فقال لها ما الذى فى بطنك قالت ما ادرى قال اللعين انى اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا ترين فى الارض الا بهيمة او نحوها قالت انى اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك ام من فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لادم فلم يزالا فى غم من ذلك ثم عاد اليها فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس فى الملئكة الحارث فذكرت ذلك حواء لادم فقال لعله صاحبنا الذى قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لادم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحارث فعاش عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وامره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحى الشيطان يعنى من وسوسته وخديعته كما جاء انه خدعهما مرتين مرة فى الجنة ومرة فى الارض قال ابن عباس رضى اسم عبد الله ولدله له اول ولد اتاه ابليس فقال انى سانصح لك فى شان ولدك هذا سمه عبد الحارث وكان اسمه فى السماء الحارث فقال ادم اعوذ بالله من طاعتك انى اطعتك فى اكل الشجرة فاخرجتنى من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد اخر فقال اطعنى والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله عز وجل فلما اتاهما صالحا اى لما اعطاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له اى لله شركاء فيما اتاهما قال ابن عباس اشركه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة وقال عكرمة ما اشرك ادم وحواء وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان وقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله جعلا له شركاء فيما اتاهما القراء شركاء وشركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرى شركاء بضم الشين مع المتجمع شريك يعنى ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحارث قال

العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولا انّ الحارث ربّ لهما لان ادم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحارث ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر وانى لعبد الضيف ما دام ثاويا اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الف ولام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربى احسن مثواى اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هذا وانما اخبر عن ادم بقوله جعلا له شركاء فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما اتاهما ثم ابتدأ فى الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله عما يشركون نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد ادم وحواء لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعانى ولا اراد به ما سبق من معنى الاية فيستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك فى التسمية فكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفى معنى الاية قول اخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية ادم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركاء فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الاباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير به اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة اى خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اى جعل من جنسها ادمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورود الحديث بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك ينتهى ما ذكره صاحب اللباب وهذا قال الاستاذ فى تفسيره ومعنى اشراك اولادهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ويحتمل ان يكون الخطاب فى قوله تعالى هو الذى خلقكم لال قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياه عبد مناة وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار وعلى هذا التفسير يكون الضمير فى يشركون لقصى ولزوجته ولا عقابهما المقتدين بهما وقوله عز وجل ايشركون بهمزة الانكار توبيخا لمشركى مكة قال الشيخ قرى بالتاء على خطاب الكفار وبالياء على الغيبة ما لا يخلق شيئا وهم ابليس والاصنامهم وهم يخلقون اى وهم مخلوقون وضمير هم وفى يخلقون للاصنام والشيطان جمع بضمير العقلاء على زعمهم انهم الهة ولا يستطيعون اى لا تقدر اصنامهم لهم لعبدتهم نصرا اى على نصر من عبدها واطاعها ولا تقدر على ضر من عصاها فكيف يليق بالعاقل ان يعبد ما لا ينفعه ولا يدفع عنه ضره ولا انفسهم ينصرون اى لا يدفعون عن انفسهم ما يعتريها من كسر وغيره من النوازل بها بل عبدتها يدفعون عنها فالمعبود اضعف واعجز من العابد

Copyright © King Saud University

ثم خاطب المؤمنين بقوله وإن تدعوهم إلى الهدى أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الهدى
لا يتبعوكم لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبل الهداية قال الأستاذ ومعناه أي وإن تدعوا
أيها المشركون الأصنام إلى الهدى أي إلى أن يهديكم إلى ما تحصلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم
يعني إلى مرادكم ولا يجيبوكم لأنهم أجساد لا أرواح فيها والله تعالى يجيب من دعاه بالإخلاص والمعنى الأول
أظهر والله أعلم بمراده قرأ نافع بتخفيف التاء والباقون بتشديدها سواء عليكم أيها المؤمنون
أدعوتموهم أي الكفار إلى الدين والهدى أم أنتم صامتون عن دعائهم إلى الإيمان أي فهم
في كلا الحالين لا يؤمنون ومن قال بإرجاع الضمير في أدعوتموهم إلى الأصنام يقول إن المشركين كانوا
إذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا لأصنامهم فإذا لم يكن لهم إلى الأصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم
لا فرق بين دعائكم الأصنام لدفع ما نزل بكم أو سكوتكم عنها فإنها عاجزة في كل حال إن الذين تدعون
أي تعبدون من الأصنام وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم من حيث أنها مملوكة مسخرة
لله مثل ما أنتم مسخرون مذللون وإنما قال للأصنام عباد أمثالكم مع أن الأصنام أجساد لا روح
فيها قلنا إن لأنهم أمثالهم من حيث التسخير لا من كل الوجوه أو على حسب ظن المشركين بأن لها عقولا وقال
مقاتل في قوله عباد أمثالكم إنها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الأول أصح والحاصل أن
المشركين لما ادعوا أن الأصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الألفاظ
يعني عباد أمثالكم وقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا قوله تعالى
فادعوهم فليستجيبوا لكم أي فادعوا أصنامكم فليستجيبوا لكم فيما تدعونهم إليه من جلب نفع أو كشف ضر إن
كنتم صادقين في كونها آلهة ثم بين غاية عجز الأصنام وفضل عابديهم عليهم مع مبالغ التوبيخ فقال
ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان
يسمعون بها يعني أن قدرة الإنسان المخلوق إنما يكون بهذه الجوارح الأربعة فإنها الآلات يستعين بها
في جميع أموره والأصنام ليس لها خلق إلهي من هذه الأعضاء والجوارح شيء فهم تفضلون عليهم بهذه
الأعضاء لأن الرجل الماشية أفضل من الرجل العاجزة عن المشي واليد الباطشة والعين الباصرة
والأذن السامعة على هذا القياس فظهر بهذا أن الإنسان له الفضل ولا فضل لتلك الأحجار والأخشاب
المنحوتة البتة وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بمن له الفضل أن يعبد ما لا فضل له البتة ثم كرر التهكم بهم
فقال قل ادعوا شركاءكم أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم التي تخوفونني بهم واستعينوا بهم
في عداوتي وهلاكي حتى يتبين لكم عجزهم ثم كيدون أنتم وشركاؤكم جميعا فبالغوا فيما تقدرون عليه
من الكيد والمكر قرأ أبو عمرو بإثبات الياء وصلا وحذفها وقفا والباقون بحذفها في الحالين فلا تنظرون
أي فلا تمهلوني بل عجلوا في كيدكم فإني لا أبالي بكم لو توافقتم علي ولا بتدبيركم وحفظه إن وليي الله أي
إن الذي يتولى حفظي منكم وينصرني عليكم هو الله الذي نزل الكتاب أي القرآن يعني كما أيدني بإنزال
الكتاب علي كذلك يتولى حفظي وينصرني وهو يتولى الصالحين أي ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من
عباده بنصره وحفظه فضلا عن أنبيائه ورسله فإذا لا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم
ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصون

ونه

وفي هذه مدح للصالحين لأن من تولاه الله بحفظه لا يضره شيء قوله تعالى والذين تدعون أي تعبدون
من دونه أي غير الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون هذه الآية قد تقدم
تفسيرها والفائدة في تكريرها أن الآية الأولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الآية مذكورة
على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين من
لا ينصر له العبادة وهي هذه الأصنام وقال السلطان وهذه الآية من تمام التعليل لعدم مبالاته
عليه السلام بهم وقوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم
لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الهدى لا يسمعوا
دعاءكم لأن آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون إليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصائر
قلوبهم وأما عيون الرأس ناظرة إليك وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية واردة في صفات الأصنام لأنها
جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر والمعنى إذا كانت واردة في صفات الأصنام فهو أن الله قال لرسوله
بلفظ الجمع تعظيما له دون المفرد لثبوت الواو مع الجازم أو قال الله لنبيه والمؤمنين وإن تدعوهم أي
الأصنام إلى الهدى لا يسمعوا شيئا لكونهم جمادا وتراهم أي ترى الأصنام يا محمد ينظرون إليك أي يقابلونك
كالناظر وهم لا يبصرون شيئا لعدم بصرهم وبصيرتهم وقيل يجوز أن يكون الخطاب في قوله وإن تدعوهم
للمشركين والمعنى وإن تدعوا يا كفار مكة أصنامكم إلى مصالحكم لا يستجيبوا لكم والله أعلم بأسرار كتابه
ومعانيه ثم أمر الله رسوله بمكارم الأخلاق بقوله خذ العفو أي المساهلة بالناس في الدين
ولا تشق عليهم بالكلفة حتى لا ينفروا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا أو خذ العفو المذنبين
أو الفضل وما تسهل من صدقاتهم بلا كلفة وذلك قبل وجوب الزكاة وقيل العفو عمن ظلمك والمعنى
بعبارة أخرى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فيتولد منه العداوة
والبغضاء وقال مجاهد يعني خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول
الاعتذار منهم وترك البحث عن الأشياء والعفو المساهلة في كل شيء خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت
خذ العفو وأمر بالعرف إلا في أخلاق الناس وفي رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من
أخلاق الناس كذا في جامع الأصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من أموالهم فما أتوك به
من شيء فخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه وقال
السدي خذ العفو أي الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من أموالهم وهذا
قبل أن تفرض الصدقة المفروضة والحاصل عامل بالسهل من الأمور ولا تعسر فإنه أدعى لهم إلى اتباعك
وأمر بالعرف أي بما عرف حسنه من الشرع مصدر بمعنى المفعول أي المعروف اكتفى به عن ذكر النهي حاصل
المعنى وأمر بكل ما أمر الله به وهو كل ما عرفته بالوحي من الله تعالى وكل ما يعرفه الشرع وقال عطاء وأمر بقول
لا إله إلا الله وأعرض عن الجاهلين أي إن بدا منهم شيء يسوءك يعني لا تقابلهم بسفههم ولا تخاصمهم
ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الأمر بالإعراض عنهم منسوخ
بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد نسخ أولها أخذ الفضل

من الاموال نسخ بفرض الزكاة والامر بالعرف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال روى انه
لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق
امر الله عز وجل نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة رضي الله عنها
قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح اخرجه الترمذي وروى امامنا البغوي بغير سند عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وهذا كله اذا لم ينتهك حرمات
الله وقالت عائشة رضي الله عنها لم ينتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط واذا انتهك شيء من حرمات
الله لم يقاومه احد وسئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقرات
الاية قوله تعالى **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ** اي وان يصيبك من الشيطان وسوسة وتسويل
واصل النزغ الطعن وفي الحديث صياح المولود حين يولد نزغة من الشيطان ويطلق على الافساد كقوله
تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قوله واما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة قال
ابن زيد لما نزل قوله تعالى خذ العفو الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف الغضب يا رب فانزل الله واما
ينزغنك الاية يعني واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة **فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**
اي فاستجر بالله والجأ اليه في دفعه عنك وهذا جواب الشرط وجواب الامر محذوف اي فانه يدفعه عنك
إِنَّهُ سَمِيعٌ لدعائك وقولك **عَلِيمٌ** بحالك وبما لك مصلحة فاحتج الطاعنون في عصمة الانبياء
عليهم السلام بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج
الى الدعاء وهو الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان
بالله وانه لم يحصل النزغ له عليه السلام البتة فهو كقوله لئن اشركت وهو عليه السلام بريء من الشرك
البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله قد عصم نبيه عليه السلام
عن قبولها وتاثيرها م عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملئكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه
فاسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ الامام محي الدين النواوي يروى فاسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال
معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من الاسلام اي صار مسلما مؤمنا لا يامرني
الا بخير قال الخطابي الصحيح الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال
القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره
وخاطره وفي الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه اعلمنا انه معنا لنحترز
منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ** الذين اتقوا الذين يخافون
عقاب الله اذا اصابهم لمة ووسوسة من الشيطان اللعين ومعنى طايف اي ما يطوف حول الشيء يعني الشيء

الذي يلم بالانسان ويطوف حوله ويدور به ولم يقدر ان يوثر فيه او من طاف به الخيال يطيف
طيفا قرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة طايف بالالف والباقون طيف بغير الف فالاول اسم فاعل من
طاف يطوف كان الوسوسة طافت بهم والثاني مصدر او تخفيف طيف كلين وهين وهذا تاكيد لما تقدم
من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان والمراد بالشيطان جنسه ولذلك جمع ضميره في اخوانهم
ويمدونهم والحاصل من عادة المتقين اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسة **تَذَكَّرُوا** عقاب
الله وثوابه او ما امر الله به او نهى عنه او عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن
جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غضبه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله
فيقوم ويدعه **فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** الحق من الباطل فيرجعون او مبصرون بذلك التذكر مكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه فيها وعبر عن العلم الحاصل بعد التذكر بالابصار مبالغة في تيقنهم به قال السدي معناه
اذا زلوا تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة
الله عز وجل والحاصل انهم يعرفون مواقع الخطا بالتذكر والتفكر **وَإِخْوَانُهُمْ** اي اخوان الشياطين من المشركين
مبتدا **يَمُدُّونَهُمْ** خبره اي يمدهم الشياطين يعني واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين قال الكلبي
لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اي يطيلون لهم **فِي الْغَيِّ** اي في الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل
يزيدونهم في الضلالة بالتزيين والتسويل والحمل عليه **ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ** اي ثم لا يمسكون الشياطين عن
اغوائهم ولا يكفون عن اضلالهم ولا يتركونهم حتى يردوهم ويهلكوهم ويجوز ان يكون الضمير راجعا
للشياطين يعني لا يكفون الاخوان انفسهم عن الغي ولا يتبصرون كالمتقين لان المومن المتقي اذا اصابه طيف
من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يعرف وقال ابن
عباس لا الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون
على فعل الانس والشياطين جميعا **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ** اي واذا لم تات المشركين يا محمد باية ومعجزة ظاهرة
مما اقترحوا **قَالُوا** اي قال المشركون **لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** اي هلا انشاتها واختلقتها وافتعلتها من قبل نفسك
واختيارك كسائر ما تقراه لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى قال الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي
صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها اي هلا احدثتها وانشاتها من
عندك يعني هلا اقترحتها على ربك ان كنت صادقا في ان الله يقبل دعاءك ويجيب التماسك قال الاستاذ ومن
تعنتهم قولهم للنبي عليه السلام لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعند هذا امر الله رسوله ان يجيبهم
بالجواب الشافي فقال **قُلْ** يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سالوا الايات **إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي**
يعني القران الذي انزله علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي
اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على وفق دعواه معجزة قاهرة فهي كافية في تصحيح النبوة فطلب
الزيادة تعنت فلا جرم قال قل يا محمد **هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ** اي هذا القران الذي اوحي الي حجج وبرهان
وبيان تورث البصائر او كالبصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وفي التبصرة هذا امور كثيرة يعلمها
لكم شغفون انها من ربكم قلت والحاصل لما كان القران سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
اطلق عليه اسم البصيرة **وَهُدًى وَرَحْمَةٌ** اي هو سبب هداية من الضلالة ورحمة من الله وسبب امان من

Copyright © King Saud University

العذاب **لقوم يؤمنون** لانهم المنتفعون بالقران لا غير فالقران بصائر لمن بلغ النهاية في علم التوحيد وهداية لمن بلغ درجة النظر والاستدلال ورحمة لعامة المؤمنين ثم لما عظم شان القران بقوله هذا بصائر الى آخره اردفه بما يجب من تعظيم شانه عند قراءته بقوله **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا** والمعنى واذا قرئ عليكم ايها المؤمنون القران فاصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا عند قراءته اى اسكتوا للاستماع واختلف العلماء في الحال التي امر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القران فيها والانصات له اذا قرئ لان قوله فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان تجرى هذه الاية على العموم ففي اى وقت واى موضع قرئ القران يجب على كل احد الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلوة بحوائجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراءة القران وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجاء القران واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن ابي هريرة قالت نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله قال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنين عند الرجل يقرأ القران وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة او اسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب عالم قريش محمد بن ادريس وذهب قوم الى انه يقرأ فيما اسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ اذا جهر ذلك وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرأ سواء اسر الامام او جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب ابي حنيفة حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القران ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الاية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين دلايل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجهرية قال ان الاية واردة في غير الفاتحة لان دلايل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا اقرأ الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينازعه في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اى والله قال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلاة

لمن لم

لمن لم يقرأ بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث وفي جامع الاصول وعامة العلماء على استحباب استماع القران والانصات له خارج الصلاة وقيل معناه اذا اقرأ عليكم الرسول صلى الله عليه وسلم القران عند نزوله فاستمعوا له وانصتوا قال البيضاوي ومن احتج بظاهر الاية ولم ير القراءة على المأموم وهو ضعيف قلت لان الاية لا تدل على ترك القراءة خلف الامام لان هذا الانصات المأمور به نهي عن الكلام في الصلاة لا عن القراءة **لعلكم ترحمون** اى لكي يرحمكم ربكم باتباع ما امركم به من اوامره وفرائضه **واذكر ربك في نفسك** سرا هنا عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي كذا ذكره البيضاوي **تضرعا وخيفة** اى متضرعا ومتذللا اليه وخائفا من عذابه **ودون الجهر من القول** اى ومتكلما كلاما بالليان فوق السر ودون الجهر يعني قصدا بينهما حيث يسمع ما يقرأ في صلاته وغيرها من الفاتحة وغيرها فانه ادخل في الخشوع والاخلاص **بالغدو والآصال** اى اوايل النهار واواخره يعني اذكر ربك بالبكر والعشيات لانها اشرف الاوقات ومظان للاجابة وقيل معناه في جميع الاوقات وعبر عنها بذكر الطرفين وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل والاصيل من العصر الى المغرب فهو جمع الجمع لا جائز ان يكون الآصال جمعا للاصيل لان فعيلا لا يجمع على افعال ثم عمم الامر بالذكر بقوله **ولا تكن من الغافلين** عن ذكر الله وما يقربك الى الله قال ابن عباس اراد بالذكر القراءة في الصلاة يريد يقرأ سرا او تضرعا وخيفة يريد يتضرع اليه ويخاف منه هذا في صلاة السر واراد بدون الجهر يعني لا تجهر في صلاة الجهر جهرا شديدا بل في خفض وسكون حتى تسمع من خلفك وقال مجاهد وابن جريج امر الله تعالى ان يذكروه في الصدور بالتضرع اليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح بالدعاء وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار واخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى من صلاة او ذكر حتى لا يكون من الغافلين اصلا **ان الذين عند ربك** قال البغوي يعني الملئكة المقربين بالفضل والكرامة وفي المدارك مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعني الملئكة **لا يستكبرون عن عبادته** اى لا يتعظمون ولا يتكبرون عن طاعته **ويسبحونه** اى وينزهونه عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله ربنا وفي الغاية ويقدسونه عن الاحتياج الى عبادتهم بل انما يعبدونه تشرفا بعبادته **وله يسجدون** اى يخضعونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم عبر عن اعتقاد القلبي بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملئكة المقربين في عبادتهم ق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته
في غير وقت صلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت
فلي النار م عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك
بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة قال بعض المشايخ
في معنى ولله يسجدون يعني في حال الوجود والعدم من الازل الى الابد يسجدونه من الازل في العدم منقادين
مسخرين لاحكام القدرة في ايجاد الوجود ويسجدونه الى الابد في الوجود ببذل الوجود منقادين مسخرين قابلين
لاحكام القدرة في تصاريف الاعدام والايجاد والافناء والابقاء والله اعلم بمراده واسرار كتابه **سورة**
الانفال مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الى
آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس او ست او سبع وسبعون آية
سميت بها لانها مبدأ هذه السورة **بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال**
جمع نفل بفتحتين وهو الغنيمة والمطلوب بيان حكمها والمعنى يسألونك يا محمد عن الغنائم لمن هي وانما سميت
الغنيمة نفلاً لانها عطية من الله تعالى وفضل كما سمي به ما يشترطه الامام للمقاتل خص عطية له وزيادة على
سهمه قال الشيخ ومعناه يسألونك عن الانفال استفتاء يعني يسألك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو
سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال اي من الانفال وعن بمعنى
من وقيل عن صلة اي يسألونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة
واصله الزيادة سميت الغنائم انفالاً لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين انها نزلت
في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم
يصنع فيه ما يشاء ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف
اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا
فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلاً فله كذا فتسارع الشبان وبقيت الشيوخ
تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا
تذهبوا به دوننا ولا تستأثروا به علينا فانا كنا ردءاً لكم ولو انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل
يسألونك عن الانفال قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله
انك وعدت ان من قتل قتيلاً فله كذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله
ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الآخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك
فتعطف عليه خيل من المشركين فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله الناس كثير
والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شيء فنزلت هذه الآية يسألونك
عن الانفال وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبه فما جاوزت الا قليلاً حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول

الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه وروى
مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر
نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله
واصلاح ذات البين وقال ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء وما
اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول وفي الغاية نزلت بعد وقعة
بدر وهي اول سورة نزلت بعد الهجرة وابتداء وقعة بدر فانها البطشة الكبرى قوله تعالى **قل الانفال
لله والرسول** اي امرها وحكمها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به واختلف العلماء في حكم هذه
الآية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الآية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان
لله خمسه وللرسول الآية كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس
وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراماً على الامم الذين من
قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس
وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا القول قل الانفال لله
وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
الآية وصح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلاً فاصاب كل واحد
منا اثنا عشر بعيراً ونفلنا بعيراً بعيراً اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من
الجيش ما شاء قبل التخميس وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها
ويسألونك الانفال اي يسألونك الشبان ما شرطت لهم **فاتقوا الله** في الاختلاف والمشاجرة واتركوا المنازعة
والمخاصمة في الغنائم وكونوا متآخين في الله **واصلحوا ذات بينكم** اي الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما
رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول وفي الغاية اصلحوا الاحوال التي بينكم من التخالف والتخاصم في امر الغنيمة و
ابدلوها بالتحابب والاتفاق والتآلف والتحاصل واصلحوا حقيقة ما بينكم بالمودة وترك المنازعة وسميت الاحوال ذات
البين لكونها ملابسة للبين ومنه ذات الصدور اي مضمراتها **واطيعوا الله ورسوله** فيما يأمركم به وينهاكم
عنه اي والتسليم لحكمهما **ان كنتم مؤمنين** اي مصدقين بوعد الله ووعيده فان الايمان يقتضي الطاعة
او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يقتضي التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي المؤمنون الكاملون في الايمان هم الذين اذا ذكر الله
فزعت قلوبهم لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه
خوفاً من عذابه قال الاستاذ والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم
الذين اذا ذكر الله خضعت وخافت ورقت قلوبهم قال اهل الحقائق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة
وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص فان قلت ان الله تعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم اي خافت وقال في آية
اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب
والاطمينان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا

في اية واحدة وهي قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى
انه تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم عند ذكر رحمته ورجاء ثوابه وهذا حاصل في
قلب المومن ثم قال تعالى وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا يعني واذا قرئ عليهم ايات القران زادتهم
تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا
لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما
حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة الدلايل
وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني وهو انهم يصدقون
بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف
صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيين كان
اكثر ممن يصدقه في شي واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية
جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس ان الايمان
هل يقبل الزيادة والنقصان ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع
اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة
عن مجموع امور ثلثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على
ذلك بهذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة
عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في
هذه الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا وذلك
يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروى عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان اعلى وادنى
واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصا
قيل فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن
عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل
الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وفي الغاية والحقاين نفس التصديق ايضا يقبل الزيادة والنقص
للفرق الظاهر بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة ولهذا اشار علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لبلوغه غاية القصوى قال بعض اكابر القوم قدس الله روحه في
معنى زادتهم ايمانا اي زادته طمانينة بما عنده فلا يوثرون عليه شيئا ويزيدهم ما يتلى عليهم من اياته تصديقا
على تصديق وتحقيقا على تحقيق فجعل من شروط الايمان الحاصل في القلوب ازدياده عند سماع القران وتلاوته
وذكر الله وطاعته وذلك لان الايمان الحقيقي هو النور الواقع في القلوب بقدر انفتاح روزنة القلوب من الانوار
تجلي شموس صفات مالك يوم الدين للقلوب المشتاقة فيكون وجوه القلوب الناضرة من دنس حب الدنيا
بذلك النور الحقيقي وجبينها ناظرة فكلما تليت على اصحابها الايات او ذكروه او عملوا عملا صالحا زاد انفتاح

روزنتها بقدر صدقها وشوقها فيزيد فيها نور الايمان فيزدادوا ايمانا مع ايمانهم وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
اي يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه لعلمهم بان لا موثر الا قدرته ولا موجب الا ارادته
قال شيخنا وقدوتنا عبد القادر الجيلاني الشافعي المفتي على مذهب امامه محمد بن ادريس واحمد بن حنبل
في غنيته ما نصه وحقيقة التوكل تفويض الامور الى الله والتنقي عن ظلمات الاختيار والتدبير الى ساحات
شهود الاحكام والتقدير فيقطع العبد ان لا تبديل للقسمة فما قسم له لا يفوته وما لم يقدر له لا يناله
فيسكن قلبه الى ذلك ويطمئن الى وعد مولاه فياخذ من مولاه فللمتوكل ثلاث درجات التوكل والتسليم والتفويض
فالمتوكل يسكن الى وعد ربه وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه انتهى وذكر ايضا
في الكتاب المذكور فصلا في كون الايمان قولا باللسان ومعرفة بالجنان وعملا بالاركان وانه يزيد بالطاعة وينقص
بالعصيان ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وبالتوفيق يقع كما قال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون وما جاز عليه بالزيادة جاز عليه النقصان ثم ذكر اشياء كثيرة الى ان قال واعلم ان زيادة الايمان
انما يكون على التحقيق بحياد الاوامر وانتهاء المناهي والتسليم في القدر وترك الاعتراض على الله عز وجل في فعله في جميع
خلقه وترك الشك في وعده والاقسام والرزق والثقة به والتوكل عليه والخروج من الحول والقوة والصبر
على البلاء والشكر على النعماء والتنزيه للحق وترك التهمة له عز وجل في ساير الاحوال واما بجرد الصلوة والصيام فلا
انتهى وفي اللباب واعلم ان هذه المراتب الثلثة اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل
على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ اي الذين يقيمون الصلوة المفروضة فيتمونها ركوعا
وسجودا وقياما في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكوة
وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق والتصدق في انواع البر والقربات ثم عظم الله من هذه صفته
بقوله أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا اي يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس برءوا من الكفر وقال قتادة
استحقوا الايمان واحقه الله لهم وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا ثابتا وفيه دليل على انه
لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة
وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسالة اصولية وهي ان العلماء اتفقوا على انه يجوز
للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة
الاولى ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه
الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القايم والقاعد فكذلك هذه المسالة
يجب فيها ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله قال ابو عمر العراقي لا تشبيه فان قول
القايل انا مومن حقا او ان شاء الله بقول من يقول انا متحرك ان شاء الله وهو متحرك ومثل ذلك الاكل والشارب
والجالس والقايم والراكب لان في هذه المسايل وجه واحد وهو الحركة والاكل الخ فلا حاجة فيها الى الاستثناء الا
تبركا بذكر اسم الله بخلاف قولك انا مومن حقا فانه يصح ذلك بحسب يقين القايل حينئذ ولما يجب ما هو
كاين عند الله فقد يموت المومن كافرا والكافر مسلما في اخر عمره وانما العبرة بالخاتمة الوجه الثاني انه تعالى قال
اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا وفي قوله انا مومن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم

Copyright © King Saud University

وذلك للجواز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مومن ان شاء الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول
ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك
فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شاء الله وان كان اعتقاده
واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك
الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شاء الله ليس على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن حقا فقد مدح نفسه
باعظم المدايح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال ذلك العجب وحصل له الانكسار فالاستثناء
لزوال العجب لا لزوال الشك وروى ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم
عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله او لم
تومن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي
فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون
الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والتوكل على الله والاتيان بالصلوة كما امر الله
وايتاء الزكوة كذلك ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا يعني من اتى بمجموع هذه الاوصاف وثبت عليها الى
الموت كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن ان شاء الله
قال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت سالتني عن الايمان بالله وملئكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن وان كنت سالتني عن قوله انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فلا ادري انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا نحن
المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم شيئا قال
هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المومنين هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم يشهد انه
في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع انا قلنا قولنا انا مومن ان شاء الله للتبرك
لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه
الخامس ان المومن لا يكون مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن
ان يقال انا مومن ان شاء الله فالمراد بصرف هذا الاستثناء الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب
الشافعي عن استدلال اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله اي الفرق بين وصف
الانسان بكونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يفني فحصل
الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين
حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة
ويموت عليها ولم يرتد وهذا لا يقدر عليه احد انه ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ان من اتصف
بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم وقد ذكر الشيخ عبد القادر
الجيلاني قدس سره في غنيته في مبحث العقايد هذه المسالة فراجعه قلت والحق كما قال الاستاد ان النزاع بين الفريقين
لفظي لان من جوز الاستثناء انما جوزه نظرا الى الخاتمة لا انه ليس مومنا في الحال ومن منعه انما منعه
بالنظر اليه اذ لا ريب انه لا طريق له الى الخاتمة وقال البيضاوي في معنى اولئك هم المومنون حقا لانهم

حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح
التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة انتهى وقد افترى على من طهر وجوه اهل السنة عن غبار البدعة
حيث قال فيه وقد احتج عبد الله على احمد فقال ايش اسمك فقال احمد فقال اتقول احمد حقا او انا احمد ان شاء الله
فقال انا احمد حقا فقال حيث سماك والدك لا تستثني وقد سماك الله في القران مومنا تستثني وكان الاستاد
يقول ليس هناك عبد الله ولا احمد ولكن امثال هذه الترهات يأتي بها اهل الهوسات ثم اعرض عن مآل حالهم بقوله
لهم درجات عند ربهم اي لهم كرامات وعلو منزلة يعني لهم منازل عالية في جوار ربهم وفي اللباب يعني لهم مراتب
بعضها اعلى من بعض لان المومنين تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف الموصوفة فلهذا تفاوتت مراتبهم في
الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن انس
سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة والحضر العدو وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله
عن ابي سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احديهن
لوسعتهم ومغفرة اي تجاوز لما فرط منهم من الذنوب ورزق كريم اي رزق حسن صاف عن
كدر الاكتساب وخوف الحساب اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي مدده قال الشيخ وصفه بكونه كريما
لان منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
والمعنى قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالوحي لطلب المشركين الى بدر
للحرب وان كرهوا قال الاستاد الكاف فيه مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره حالهم في كراهة ما
رايت من تنفيل الغزاة على السوية مثل حالهم في كراهة اخراجك ربك الى حرب بدر من المدينة وهم لا يعلمون ان
ذلك خير لهم فكرهوه ويجوز ان تكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف تقديره استقرت الانفال لله
والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني من بيتك الكائن بالمدينة او من نفس
المدينة التي هي مهاجرتك ومسكنك كبيت المختص بك الى حرب بدر اخراجا ملتبسا بالحق والصواب الى حكمة
واذنه ومراده فطوبى لمن بيته بالمدينة والجمهور على ذلك وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت
لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك
خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل معناه راجع الى قوله
لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المومنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق والجز الى ما وعد بالنصر والظفر وقيل الكاف متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على اي امض على الذي اخرجك
ربك من بيتك فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق
وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة
الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر وقد اشرنا الى معناه والله
اعلم بمعاني كتابه وان فريقا من المومنين لكارهون الواو للحال يعني اخرجك ربك في حال كراهتهم للقتال و
وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدد عدوهم وكثرة سلاحهم وذلك ان ابا سفيان اقبل من الشام في

فى عير اى قافلة فيه تجارة عظيمة لقريش وفيه اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن
نوفل والقول بان عمرو بن هشام كان معهم سهو لان عمرو بن هشام اسم ابى جهل اللهم ان يراد رجل آخر
يوافق له فى الاسم والاب وكان فى النفير والجيش لا فى العير فقتل فى بدر فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى
ابو جهل فوق سطح الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابهم محمد
لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبلها بثلاثة ايام عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ
صخرة من الجبل ثم رمى بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شىء منها فحدثت بها اخاها العباس وبلغ ذلك
ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له
ان العير اخذت ساحل البحر ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر
الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب
ما اراد وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب يجتمعون عليه لسوقهم يوما فى السنة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى ذفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير
واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير
فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا الكلام ثم قام سعد بن عبادة سيد
الخزرج من الانصار انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال
مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى
بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا ايها الناس وهو يريد
الانصار لانهم كانوا عدد الجيش ووجوه العسكر وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه
حتى يصل الى ديارهم يعنى المدينة فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة ففطن بذلك سعد
ابن معاذ من الانصار وقال لكانك تريدنا يا رسول الله فقال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله
لكانى انظر الى مصارع القوم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان قال ويضع يده على
الارض ههنا وههنا فما ماط احد منهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ
من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح هذا الوجه فقال له لم فقال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله **يجادلونك فى الحق** اى فى ايثارك الجهاد اظهارا

للحق لايثارهم تلقى العير عليه والجملة استئناف او حال ثانية اى اخرجك ربك فى حال مجادلتهم اياك حيث قالوا
لم لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم **بعد ما تبين**
اى بعد ما تبين لهم انك لا تصنع شيئا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك فى الوعد بتبيين الحق وبعضهم
باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا **كانما يساقون الى الموت** اى لشدة كراهتهم القتال يعنى يكرهون
القتال كراهة من يساق الى الموت **وهم ينظرون** الى الموت عيانا فى كراهتهم له قال الاستاد شبه حالهم فى فرط
فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه آتيه قال الشيخ ولم تكن كراهتهم ذلك
لجبن بهم بل لانهم لم يخرجوا على هيئة القتال اذ روى انهم كانوا رجالة ما كان فيهم الا فارسان وكان الكلام
من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل المشاورة ولذلك لما عرفوا منه العزم تكلفوا فاحسنوا فى القتال ولما لاقوا
العدو وفعلوا ما يفعله الابطال **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين** اى اذكروا وقت وعد الله اياكم
احدى الفرقتين فرقة ابى سفيان مع العير وفرقة ابى جهل مع النفير واذ نصب بالمفعولية لاذكروا واحدى
الطائفتين مفعول ليعدكم وانها لكم بدل من احدى الطائفتين بدل اشتمال قوله تعالى **انها لكم** اى احدى الفرقتين
لكم **وتودون** عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اى اذكروا اذ تحبون وتريدون وتتمنون **ان غير
ذات الشوكة تكون لكم** اى وتتمنون ان العير التى ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة
والقوة ويقال السلاح قال السلطان والشوكة الحدة مستعارة من حدة الشوك ومعنى ذات الشوكة اى ذات السلاح
يعنى انكم تحبون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة التى لهم سلاح
وقوة اعنى النفير **ويريد الله ان يحق الحق** اى يظهر الحق ويعليه ويحكمه ويثبته **بكلماته** اى باياته
المنزلة فى محاربة ذات الشوكة او بامر الله ملائكته بالنزول لنصر المؤمنين وامدادهم وبما قضى وقدر من قتل
الكفار واسرهم وقرئ بكلمته مفردا قال الاستاد ومعنى بكلماته اى بامره اياكم بالقتال وبعداته التى سبقت
لكم من اظهار الدين واعزازه **ويقطع دابر الكافرين** اى ويستاصلهم حتى لا يبقى احد منهم والحاصل انتم تريدون
متاع الدنيا العاجلة والله يريد تعالى الامور هلاك العدو ونصرة دين الاسلام واظهاره واعلاء الحق والفوز
فى الدارين **ليحق الحق ويبطل الباطل** اى ليثبت الاسلام ويفنى الكفر ويهلكه يعنى فعل الله ما فعل لهذا الغرض
الذى هو سيد الاغراض اراد لكم العدو فلا تكرار اذ الاول لبيان مراده وهذا لبيان تفاوت الغرض
قال الشيخ ومعنى احقاق الحق اظهار حقيقته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا الحال ابطال الباطل
ولو كره المجرمون اى ولو كره المشركون احقاق الحق وابطال الباطل **اذ تستغيثون ربكم** بدل من قوله
واذ يعدكم الله او متعلق بقوله ليحق الحق اى ليحق الحق وقت استغاثتكم والاستغاثة طلب الغوث والنصر
والمدد والمعنى اذكر يا محمد اذ تستغيثون ربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصرة وفى المستغيثين
قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الازهرى والقول الثانى انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان
يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل
نبى الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز ما وعدتنى اللهم آتنى ما وعدتنى اللهم
ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه

عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى
ممدكم بالف من الملئكة مردفين فامده الله بالملئكة قال سماك فحدثنى ابن عباس قال بينما رجل من
المسلمين يومئذ يشتد فى اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول
اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم انفه وشق وجهه
كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين **فاستجاب لكم**
يعنى فاجاب لكم دعاءكم عطف على اذ تستغيثون **انى ممدكم** اى بانى ممدكم ومعينكم يعنى مرسل
اليكم مددا وردءا لكم فحذف الباء وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بكسر الهمزة لان الاستجابة نوع
من القول **بالف من الملئكة مردفين** اى متتبعين المؤمنين او يردف بعضهم بعضا يعنى يتبع
بعضهم بعضا روى انه نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة فى صور الرجال على خيل بلق عليهم
ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها بين اكتافهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه
وقال ابو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش
ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع
خ عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه
عليه اداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سيماء الملئكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين
عمائم خضر ولم تقاتل الملئكة فى يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا
وروى عن ابى اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم
اليوم ببدر ومعى بصرى لاريتكم الشعب الذى خرجت منه الملئكة والاصح انهم قاتلوا يوم بدر
لما ذكرنا من حديث ابن عباس فى الذى ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكان فيما سوى
يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم وقرا نافع
ويعقوب مردفين بفتح الدال متبعين يعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها بمعنى مترادفين واصله مرتدفين فادغمت التاء فى الدال وقرئ بآلاف لتوافق
ما فى سورة آل عمران وهو قوله بثلثة آلاف من الملئكة منزلين ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد
بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم وفى الغاية ومعنى مردفين
يلاحق الملئكة الى ان بلغ خمسة آلاف فيوافق هذا ما فى آل عمران فيكون ذلك تفصيلا لهذا الاجمال لان تلك السورة
متاخرة نزولا **وما جعله الله** اى الامداد بالملئكة **الا بشرى** اى الا بشارة لكم بالنصر **ولتطمئن به**
قلوبكم اى لتسكن بالامداد قلوبكم اذا رايتم مدد السماء وكثرة العدد وفى قصر الامداد على البشارة والتسكين
اشعار بعدم مباشرة الملئكة للقتال وهذا رآه بعض السلف وقد صح الحديث بانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما
سواه من الايام **وما النصر الا من عند الله** اى وما حقيقة النصر على الاطلاق الا كائنا من عنده
عز وجل من غير ان يكون فيه شركة للاسباب والحاصل لا اثر للكثرة اعوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

قال الشيخ

قال الشيخ رضى الله عنه ان الله هو ينصركم ايها المؤمنون وينصر ملئكته فثقوا بنصر الله ولا تتكلوا على قوتكم وقوة
الملئكة وشدة باسكم فالواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله فى جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله بيده
النصر والاعانة **ان الله عزيز حكيم** اى قوى منيع لا يقهره شىء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شىء
ويغلبه وحكيم فى تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده **اذ يغشيكم النعاس**
اى يجعله غاشيا لكم وغالبا عليكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى او منصوب
باضمار اذكر اى اذكروا اذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف والفاعل هو الله تعالى قرا نافع يغشيكم بضم
الياء وتخفيف الشين النعاس نصبا وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بفتح الياء واسكان الغين من المجرد والباقون
بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين المكسورة فالقراءة الاولى من اغشاه الشىء اذا غشيته اياه والفاعل
هو الله تعالى والقراءة الثالثة من غشى بالتشديد وفاعله ايضا هو الله تعالى والنعاس فيهما مفعول به وغشى واغشى
لغتان بمعنى والقراءة الثانية من غشى يغشى والفاعل هو النعاس اى من غشيه النعاس اى اخذه النوم **امنة
منه** اى امانا حاصلا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس فى القتال امنة من الله
وفى الصلاة من الشيطان والغاية فى كون النعاس امنة فى القتال ان الخائف على نفسه لا ياخذه النوم فصار
حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم
وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القى عليهم النوم حتى حصلت لهم
الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لانه كان خفيفا بحيث
لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل فى كون هذا النوم كان امنة من الله انه
وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد
امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان فى حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة وقيل كان من
حق النعاس ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم بامر الله فكانه حصلت للنعاس امنة من الله لولاها لم
يغشهم على طريقة التمثيل بابراز المعقول فى صورة المحسوس كقول الشاعر ۞ يهاب النوم ان يغشى عيونا ۞ تهابك
فهو نفار شرود ۞ وقد ذكر فى بعض مناقب شيخنا عبد القادر الجيلانى قدس سره بان النوم كان يشرد منه وهو يجرى
وراءه ليبطشه **وينزل** قرا الجمهور بالتشديد **عليكم من السماء ماء** اى المطر **ليطهركم به** اى بذلك الماء
من الحدث والجنابة وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب
وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب
واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبى الله وانتم اولياء الله وقد
غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم فانزل الله مطرا
سال منه الوادى فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفا الغبار ولبد
الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله
عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به **ويذهب
عنكم رجز الشيطان** اى وسوسته التى القاها فى قلوبكم واصل الرجز العذاب وسميت به لانها سبب العذاب
وقيل المراد منه الجنابة لانه من تخييله وقرئ بالسين اى رجس الشيطان وهو القذر فجعل ما يفضى الى

Copyright © King Saud University

العذاب رجزا لقذارته **وليربط على قلوبكم** اى وليربط ويحبس قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من
اليقين والربط فى اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الكسلطان وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم قلت وهذا تثبيت الباطن واما تثبيت الظاهر فقوله **ويثبت
به الاقدام** اى بالمطر حتى لا تغيب فى الرمل يعنى ان ذلك المطر لبّد الارض وقوّى الرمل حتى ثبتت عليه
الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب حتى تثبت فى الحركة **اذ يوحى
ربك** بدل ثالث من اذ يعدكم او متعلق بيثبت **الى الملئكة انى** بفتح الهمزة **معكم** يعنى ان الله اوحى الى الملئكة
الذين امدّهم النبى واصحابه انى معكم ايها الملئكة بالامداد والنصر والمعونة قال الاستاد معنى انى معكم اى
فى اعانتهم وتثبيتهم يعنى ليس القصد الى ازالة الخوف لان الملئكة لا خوف لهم من الكفار بل الى الاعانة
وهو مفعول يوحى وقرى انى بكسر الهمزة على ارادة القول **فثبتوا الذين امنوا** اى بشروا ايها الملئكة النبى
واصحابه بالنصر والظفر على الكفار وكان الملك يمشى بين الصفين فى صورة رجل فيقول ابشروا ايها المؤمنون
فان الله ناصركم او بتكثير سوادهم قال الشيخ واختلف فى كيفية هذه التثبيت والتقوية فقيل كما ان للشيطان
قوة فى القاء الوسوسة فى قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك قوة فى القاء الالهام فى قلب ابن ادم بالخير و
يسمى ما يلقى الشيطان وسوسة وما يلقى الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت حضورهم
معهم القتال ومعونتهم لهم اى ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين **سالقى** اى ساقذف **فى قلوب الذين
كفروا الرعب** اى الخوف وهذا تفسير لقوله انى معكم فثبتوا لان الاعانة اقوى من القاء الرعب فى قلوب الكفرة
ولا تثبيت اشد من ضرب الاعناق واجتماعهما غاية النصر **فاضربوا فوق الاعناق** اى اعالى الاعناق
التى هى المذابح يعنى المفصل الذى بين الراس والعنق او الراس لكونه امكن للقطع قيل هذا خطاب مع الملئكة فيكون
متصلا بما قبله وقيل خطاب مع المؤمنين فيكون الكلام منقطعا عما قبله قال ابن الانبارى ما كانت الملئكة تعرف
كيف تقاتل بنى ادم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق وقال الضحاك فوق صلة والمعنى فاضربوا الاعناق وقيل
معناه فاضربوا على الاعناق فيكون فوق بمعنى على **واضربوا منهم كل بنان** اى اصابع ومفصل والمعنى جزّوا
رقابهم واقطعوا اطرافهم حتى لا ياتى منهم الحرب قال ابن عباس معناه الاطراف وهى اطراف اصابع اليدين وقيل
والرجلين كذلك وقيل معناه اضربوهم فى جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وخصت اطراف اليدين
لان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح فى الحرب روى عن ابى داود المازنى وكان شهد بدرا قال انى لاتبع
رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت انه قد قتله غيرى وعن سهل بن حنيف
قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه
السيف وكانت وقعة بدر فى صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان فى السنة الثانية من الهجرة
النبوية **ذلك** اشارة الى الضرب او الامر والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين والحاصل ذلك العذاب
الذى اصابهم من الضرب والقتل والاسر والعقاب الاجل فى يوم بدر **بانهم** اى بسبب انهم اى كفار قريش
شاقوا الله ورسوله اى خالفوا الله ورسوله قال الاستاد معناه انهم شاقوا اولياء الله وهم المؤمنين
او شاقوا دين الله وذلكم مبتدا وبانهم شاقوا الله ورسوله خبره ثم قال **ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب** اى لمن يشاقق الله ورسوله يعنى ان العذاب الذى نزل بهم فى ذلك

من القتل والاسر شىء قليل فى جنب ما اعد الله لهم من العقاب يوم القيمة **ذلكم** اشارة الى القتل والاسر
الذى نزل بهم **فذوقوه** ايها الكفار ذلك العذاب عاجلا فى الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل
الذى اعد الله لهم فى الاخرة من العذاب وهو قوله **وان للكافرين عذاب النار** يعنى فى الاخرة قال
الشيخ الخطاب فى ذلكم مع الكفرة على طريق الالتفات من الغيبة فى شاقوا الله والمشار اليه اما نفس العقاب او ما
تفيده التوطئة من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله فذوقوه
والواو فى قوله وان للكافرين بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذى اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم
عذاب النار اجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثانى فلان الاقرب ان
محله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وان للكافرين الاخره معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا
العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار لكم اجلا وقوله فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد
والضمير فى فذوقوه على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثانى لما فى ضمنه وقرى بكسران فى قوله وان للكافرين
على الاستيناف ثم اخبر عن اداب القتال مع الكفار بقوله **يايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا** اى كثيرا بحيث يرى لكثرتهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبى اذا دب على مقعده قليلا قليلا
سمى جيش العظيم بالمصدر وجمع على زحوف وانتصابه على الحال والحاصل من مقتضى ايمانكم اعتقاد ان
النصر من عند الله وانه ناصر لاوليائه وان له شدة على اعدائه اذا رايتم جيش الكفر من كثرتهم فيزحفون
على مقاعدهم مجتمعين متزاحفين بعضهم الى بعض لقتالكم فاثبتوا لقتالهم **فلا تولوهم الادبار**
بالانهزام فى هذه الحالة فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض
المؤمنين **ومن يولهم يومئذ دبره** اى ومن ينهزم ويولى دبره يوم الحرب والقتال **الا متحرفا لقتال**
اى قاصدا للرجوع اليهم يريد بذلك الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب والحاصل بان يرى
عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة والرجوع على العدو والعود اليه وهذا احد ابواب الحرب
وخدعها ومكايدها **او متحيزا الى فئة** اى او منضما وصائرا الى جماعة اخرى من المؤمنين على القرب يريد
العود الى القتال ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم رواه ابو
داود والترمذى وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا
او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز **فقد باء بغضب من الله**
يعنى من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا فى هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين ليستعين
بهم فقد رجع بغضب من الله اى التزمه **وماويه جهنم** لان فراره سبب لقتل المسلمين **وبئس المصير**
وفى التبصرة وان لم يوجب الخلود هذا الوعيد اذا لم يزد العدد على الضعف كواحد من اثنين لقوله تعالى
الان خفف الله عنكم الاية وعلى هذا اكثر العلماء وعليه ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم الفرار
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وان كانوا اقل من ذلك جاز لهم ان يولوا ويتحازوا عنهم قال ابن عباس رضى الله عنهما
من فر من ثلثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين مع النبى صلى
الله عليه وسلم فى الحرب وفى الغاية والقول بان الاية مخصوصة باهل بدر ومن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الحرب

Copyright © King Saud University

لا يخالف الاجماع الفرار من الزحف اذا لم يبلغ العدد الرخصة من اكبر الكبائر انتهى وفي الباب فصل
في حكم هذه الآية اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز
لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله
عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه
والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان
المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة
والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما
استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم
مدبرين قال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل ان قوله يا ايها الذين امنوا في هذا
خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وفي الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابي رباح هذه الآية منسوخة بقوله الآن
خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة انتهى **فلم تقتلوهم**
ولكن الله قتلهم قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول
انا قتلت فلانا ويقول الآخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الآية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم
يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة والقاء الرعب في قلوب
الكفرة والربط في قلوب المؤمنين على القتال باذهاب الفزع والجزع عنهم والفاء في فلم تقتلوهم جواب
شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
وما رميت اذ رميت بصورة الرمي الموصل يعني وما رميت يا محمد اعين القوم اذ رميت بالحصباء
لان كفا من الحصا لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ولا يقدر على ذلك احد من الخلق **ولكن الله رمى**
بايصال ذلك اليهم يعني ولكن الله اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنكم
من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كمال له والمقصود منه قال اهل التفسير والسير
والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش
وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي
ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم
قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام
وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وامية
بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد القت
اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب
الذي منه جاؤوا الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك

اللهم

اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم به فلما التقى الجمعان
تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه
يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم
المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر
ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه
فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصى
في وجوه جيش فلا تبقى فيهم عين الا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله عز وجل قلت فاثبت لنفسه التاثير والخلق ولنبيه الكسب وان كان افعال
العباد كلها كذلك ولكن لما كانت هذه الرمية امرا خارقا للعادة وقد تشتبه عليه بعض عقول القاصرة خص
رميه بالذكر فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميتك وقيل
وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا وقيل انه نزل في
طعنة طعن رسول الله بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات وقيل في رمية سهم
رماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر نحو الحصن فاصاب لبابة بن ابي الحقيق على فراشه والاصح انها نزلت
في يوم بدر والا لدخل في اثناء القصة كلام اجنبي عنها وذلك لا يليق واحتج اهل السنة بهذه الآية على ان افعال
العباد مخلوقة لله تعالى قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الجلالة في الموضعين والباقون
بالتشديد ونصب الجلالة **وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا** يعني ولينعم على المؤمنين منه نعمة عظيمة
بالنصر والغنيمة والاجر والثواب واجماع المفسرين على ان البلاء هنا بمعنى النعمة ولا عطاء اجزل من قهر العدو
تخصيصه ان الله فعل ذلك ليقهر الكافرين وليبلي المؤمنين **ان الله سميع** لدعائكم واستغاثتكم ايها
المؤمنون **عليم** باحوالكم ونياتكم وقصدكم اعلاء كلمة الله **ذلكم** اي الامر ذلكم يعني الذي ذكرت من امر القتل
والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا **وان الله** اي واعلموا ان الله مع
ذلك **موهن** اي مضعف **كيد الكافرين** اي مكرهم وكيدهم يعني المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
فعلى هذا يكون عطفا على وليبلي قرأ ابن عامر والكوفيون موهن بسكون الواو وتخفيف الهاء وتنوين النون من
باب الافعال وقرأ حفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف والباقون موهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين
كيد منصوب على انه مفعول به في قراءة غير حفص ومخفوض في قراءته واصله النصب **ان تستفتحوا** اي ان تطلبوا
يا اهل مكة قضاء الله وحكمه فيكم وفي محمد واصحابه **فقد جاءكم الفتح** اي القضاء بهلاككم واسركم
قال السدي هذا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم لما ارادوا الخروج الى بدر تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فالمعنى ان
تستقضوا فقد جاءكم القضاء على القول بان الفتح بمعنى القضاء وان كان بمعنى النصر فالمعنى ان تستنصروا فقد
جاءكم النصر وقيل قال ابو جهل ومن معه يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم اينا كان افجر يعني نفسه ومحمدا
عليه السلام واقطع للرحم فاحنه اليوم فانزل الله ان تستفتحوا الآية والمعنى ان تستفتحوا الله على اقطع
للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم

Copyright King Saud University

والحق على المبطل والمقطوع على القاطع قال الاستاد في معنى الآية لما دعا النبي ربه ببدر وسأله انجاز ما وعده
من احدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسألة حتى سقط رداؤه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا
النصر وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم
وانجاز ما وعدكم من النصر على الاعداء مع كثرتهم وطغيانهم وكان اعظمهم في عداوتكم ابو جهل واقرانه فعلنا
بهم ما فعلنا اكراما لكم ق عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي
فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال
اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني
الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذي سألتماني
عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل
واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله
وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء
ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده
قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قاله انس قال
وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل فلو غير اكار قتلني عن عبد الله بن مسعود قال
مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا جهل قد اخزى الله الآخر قال ولا اهابه
عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده
فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال
هل اعمد من رجل قتلتموه وفي رواية اخرى عن ابن مسعود انه قال وجدت ابا جهل باخر رمق فعرفته
فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني
لمن الدبرة قلت لله ورسوله وروي عن ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى
صعبا ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا رأس عدو الله ابي جهل فقال
الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال
ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه
امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه
فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت
بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها قدمي
ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فوقف عليه
عبد الله بن مسعود ففعل به ما فعل فقوله عز وجل وان تنتهوا فهو خير لكم اي وان تنتهوا عن قتال محمد صلى
الله عليه وسلم وعن تكذيبه ومعاداته فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيحصل
لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر وان تعودوا لمحاربة

محمد صلى الله عليه وسلم نعد اي بمثل الوقعة التي وقعت بكم يوم بدر بنصره عليكم وتسليطه اياكم ولن تغني اي لن تدفع
عنكم فئتكم يعني جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا من الاغناء ولو كثرت اي وان كثرت فئتكم
وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة قرأ نافع وابن عامر وحفص بالفتح اي ولان الله مع المؤمنين لن
تغني عنكم فئتكم والباقون بالكسر وهذه ابلغ لان الجملة تفهم منها مع الاستقلال قيل ويشكل هذا بيوم احد
فانهم عادوا فيه للمحاربة وكانت الغلبة لهم والجواب ان الغلبة كانت اولا للمسلمين فلما تركوا المركز وخالفوا امره
عليه السلام جرى ما جرى ثم لما خاطب الكفار بقوله ان تنتهوا فهو خير لكم اتبعه بنداء المؤمنين فقال يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا عنه اي عن الرسول
صلى الله عليه وسلم والضمير في عنه للرسول لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعنى لا تعرضوا
عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد وانتم تسمعون اي والحال انتم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته
والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وتصديق لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا
كالذين قالوا بالسنتهم سمعنا اي ادعوا السماع وهم الكفار او اهل الكتاب او المنافقون وهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعونه راسا والحاصل انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول
في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها اشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب عند الله
اي ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله اي في حكمه وقضائه الصم عن سماع الحق
وجمع الصم مع انه خبر شر حملا على المعنى لانه يراد به الكثرة البكم عن النطق به فلا يقولونه الذين لا يعقلون
اي لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس
هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد
وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ولو علم الله فيهم
اي في هؤلاء الصم البكم خيرا اي سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات او شيئا من جنس الخير الذي من جملته
صرف قواهم الى طلب الحق واتباع الهدى لاسمعهم اي لجعلهم سامعين سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق
يعني لاسمعهم المواعظ والحجج ولوقفوا على حقيقة الرسول والقرآن واطاعوه وآمنوا به قال الامام فخر الدين
في معنى ولو علم الله يعني انه لو كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه
فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم
الله الحجج والمواعظ اسماع تعليم وتفهيم وقد علم الله استحالة ذلك منهم ولو اسمعهم يعني بعد ان علم انه
لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لتولوا وهم معرضون اي ولتولوا عن سماع
الحق ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره
قال الاستاد لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم عنادا للعلم بانهم اهل الطبع
وكلمة لو هنا مثلها في قوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ان يكون نقيض
الشرط اولى بان يترتب على الجزاء فالمعنى ان التولي منهم حاصل على تقدير الاسماع فعلى تقدير عدمه بطريق
الاولى قال ابو البقاء ولو في قوله عليه يفيد المبالغة وهو انه لو لم يكن عنده خوف لما عصى الله فكيف
يعصي وعنده خوف وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا

Copyright King Saud University

حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله تعالى ولو احياهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عن الايمان وهم معرضون
عن البرهان ثم علم الله المؤمنين ادبا اخر فقال يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما
بالطاعة والانضمام لامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان
استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة
والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض واستدل اكثر الفقهاء بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من
امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله
ورسوله اليه خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه
ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ
دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحي الله الي ان استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد اخر وقيل
لو دعاه احد لامر مهم لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وعبارة السلطان واختلف فيه فقيل
هذا لان اجابته لا يقطع الصلوة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي
ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول وفي الغايات ان من راى اعمى يقع في بير يجب عليه
قطع صلاته اجماعا لانه لا يحتمل التاخير فالقول بان دعاءه عليه السلام كان لامر لا يحتمل التاخير يهون ان
الاجابة لا تختص به اذا كان الامر لا يحتمل التاخير والاية مسوقة لبيان شرفه وان شانه عليه السلام يباين
شان ساير الناس فيجب اجابته عليه السلام مطلقا سواء لامر يحتمل التاخير ام لا قوله عز وجل لما يحييكم
من امر الدين لانه سبب الحياة الابدية يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان وقال قتادة هو القران
لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله
اعز به بعد الذل وقيل هي الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون وقيل الاعمال التي يحيى بها
بنوع وقيل اريد به علوم الديانات والشرايع لان العلم حياة القلب كما ان الجهل موته قال الشاعر لا تعجبن الجهول
حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل فيه ايضا وفي الجهل قبل الموت موت لاهله واجسادهم
قبل القبور قبور وان امرأ لم يحي بالعلم روحه فليس له حتى النشور نشور واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه لا يهتدي قلبي الى غيركم لانه سد على الطرق قال الواعظ معنى يحول
بالفارسية جدا كند اي يفرق ويفصل قال السلطان هذا تمثيل لغاية قربه سبحانه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها
او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير
وتخييل لتملكه سبحانه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد
سعادته

سعادته بينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر وقلبه بالتشديد على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه والعامة بفتح الميم وسكون الراء وهمزة مكسورة
بعدها انتهى قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله
وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن
او يكفر الا باذنه قلت واختار السيوطي قول السدي وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب هي
اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان تستندها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله
فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف يشاء هو الله تعالى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد امنا بك وبما جئت به
فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء اخرجه الترمذي وهذا الحديث
من احاديث الصفات يجب على المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجزم بتنزيه الله عن الجارحة والجسم وقيل
في معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى
القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة وقد فسر بعض اهل الاعتزال وتبعه
بعض اهل السنة معنى الاية هكذا يعني انه تعالى يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي فرصة
التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوايه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا
قلوبكم لطاعة الله ورسوله ثم قال والمجبرة على انه تعالى يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا اسلم
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال المحقق التفتازاني رحمه الله ما ذكره يعني انه يميته الخ تاويل المعتزلة
وعند اهل السنة انه تعالى يحول بين الكافر وطاعته حتى اذا اراد ان يؤمن والله لا يريد حال بينه وبين قلبه
كيف شاء وكذا اذا اراد المؤمن ان يكفر ولم يرد الله وبالجملة فالسعيد من اسعده والشقي من اضله الله وهذا
منقول عن ابن عباس والضحاك فلا يكون قول الظالمين بل رده قول الجاهلين انتهى كلام التفتازاني وفي
البصرة في معنى يحول اي يوقع حايل الحجاب اذا لم يستجيبوا لله وللرسول والله اعلم باسرار كتابه وانه اليه
تحشرون اي وان الله او ان الشان الى الله تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى
طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وبالتلقي بالاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة عطف على استجيبوا فانما لما اخبر الله عز وجل انه يحول على مراده بين المرء وقلبه حذر
من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم منكم خاصة بل تعم وتتعدى
اليكم جميعا وتصل الى الصالح منكم والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وفي رواية الذنب والعذاب
كما ياتي في رواية ابن عباس وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم
قال المفسرون نزلت هذه الاية في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه اتقوا فتنة تصيب الظالم
وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير فقال الزبير لقد قرانا هذه

Copyright King Saud University

الاية زمانا وما اراناً من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل وقال الكلبي
ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابتهم
الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله
بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم وروى البغوي وقد ذكره بسنده عن عدي بن عدي الكندي
قال حدثنا مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب
العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا
فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدي بن عميرة
الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها
ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها اخرجه ابو داود وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على
ان يغيروا عليهم ولم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد
اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم ف عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي
خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به وعن ام سلمة رضي الله عنها
انها قالت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث فان قلت ظاهر الحديث قوله تعالى
واتقوا فتنة لا يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة
الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف شاء لا
يسأل عما يفعل وهم يسألون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية ولانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من
المصلحة والله اعلم بمراده. اللهم طيب طيبنا من هذه البدع والخدع وايد اهلها بعدد من عندك يعني
ساكنها عليه الصلاة والسلام ولو فصلنا البدع لشد الباس وطار الراس والله المستعان من شر
الجنة والناس. واعلم ان السلطان فسر الاية هكذا يعني اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم
والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل بالجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم فتنة لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق
به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان واما صفة
لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله. حتى اذا
جن الظلام واختلط. جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط. واما جواب قسم محذوف لقراءة من قرا لتصيبن
وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخير للتبيين وفائدته التنبيه على
ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب اي اذا نزل عقابه فهو شديد ولذلك
يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه فالمراد منه الحث على لزوم الاستقامة وفيه تحذير ووعيد لمن واقع
الفتنة التي حذره الله منها قوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض

المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر
المؤمنين اذ انتم قليل في العدد اذ ظرف ناصبه محذوف تقديره واذكروا حالكم الثابتة في وقت قلتكم
يستضعفكم كفار قريش في ارض مكة في ابتداء الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس اي ياخذكم كفار
قريش بسرعة او كفار عرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وقيل الخطاب للعرب كافة فانهم كانوا
اذلاء في ايدي فارس والروم فآواكم اي جعل لكم مأوى وهي المدينة تحصنون به عن اعدائكم وايدكم
بنصره اي وقواكم بالانصار او قواكم يوم بدر بالملائكة ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم احلها لكم وما
احل لاحد قبلكم لعلكم تشكرون اي لكي تشكرون الله على هذه النعم وتتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب
الانفال ثم لما ذكر انه رزقهم من الطيبات منعهم من الخيانة بقوله يا ايها الذين امنوا لا تخونوا
الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم قال
الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هارون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن
مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من
ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان
عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار
ابو لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت
اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية
من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله
فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة
قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله
بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به ونزل فيه يا ايها الذين امنوا لا تخونوا
الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين
فنزلت هذه وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل عليه السلام النبي عليه
السلام فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان ابا سفيان في موضع
كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزلت
هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة لما هم رسول الله بالخروج اليها قال
ابو العباس المقري ورد لفظ الخيانة في القرآن بازاء خمسة معان اولها المراد بها الذنب في الاسلام
كهذه الاية لما نزلت في ابي لبابة وثانيها السرقة وثالثها نقض العهد ورابعها المخالفة وخامسها الخيانة
وتخونوا اماناتكم ومعنى الاية لا تخونوا الله ورسوله ولا تخونوا اماناتكم فهو مجزوم بالعطف على النهي قبله

Copyright King Saud University

وقيل منصوب باضمار ان بعد الواو الواقعة بعد النهي اى احفظوا عهد الله ورسوله بالوفاء بهما ولا تخونوا
فى الامانات بينكم مما ائتمنكم فيه احد من الخلايق من مال او اهل او سر او ولا تخونوا ما ائتمنتم عليه من الدين
وغيره وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن والقبيح او انتم تعلمون ان الخيانة قبيحة
فى كل شى او انتم تعلمون ان ما فعلتم من الاساءة الى الخلق خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من
خان شيئا فقد انتقصه والخيانة ضد الامانة وقيل معنى الاية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك
فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرايضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا
اماناتكم قال ابن عباس اراد باماناتكم ما يخفى عن اعين الناس من فرايض الله تعالى والاعمال التى ائتمن
عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرايضه وحدوده
ومن كانت عليه امانة فليودها الى من ائتمنه عليه ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب وَاعْلَمُوا
أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لكم صادة عن امور الاخرة قيل هذا مما نزل فى ابي لبابة وذلك لان
امواله واولاده كانت فى بنى قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام فى جميع الناس وذلك انه
لما كان الاقدام على الخيانة فى الامانة هو حب المال والولد نبه الله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر عن المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصير
محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن وروى امامنا البغوى بسنده عن عايشة رضى الله عنها ان
النبى صلى الله عليه وسلم اتى بصبى فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله واخرج الترمذى
عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المراة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم وهو محتضن احد ابنيه وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال
الترمذى لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة قوله لمن ريحان الله اى لمن رزق الله والريحان
فى اللغة الرزق وانما قدم الاموال لعمومها فى الناس او لكونها شقيق الروح ثم انه تعالى قال فى اية اخرى ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم من التبعيضية لان جميع الازواج والاولاد ليس عدوا بل بعضهم عدو وهو الذى
يكون سببا للمعصية وبعضهم يكون سببا للخيرات بخلاف الفتنة وهى الاختبار فانها عامة للاولاد والازواج
كما لا يخفى فلذا ما قيد الفتنة بمن التبعيضية والحاصل اموالكم واولادكم ابتلاء من الله تعالى ليبلوكم كيف تحفظون
فيهم حدود الله فعليكم ان لا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى لا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة
رضى الله عنه وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ لمن اثر رضا الله ورسوله على الاموال والاولاد وعلى نفسه
وراعى حدوده فيهم فانيطوا واربطوا هممكم بما يوديكم اليه قال الاستاد معناه لمن ادى الامانة ولم يخن
وفيه تنبيه على ان سعادة الاخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد وفى قوله
عنده تشريف للاجر المذكور وبيان انه مصون عن الضياع وتخصيص العوض عنده اجر عظيم لا يحاط بعظمه
فلا تفوتوه بحب الاموال والاولاد الفانية والخيانة القبيحة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ اى بطاعته
وترك معاصيه فى كل ما تاتون وما تذرون او تتقون الله بالامانة وغيرها يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا اى هداية ونورا
فى قلوبكم تفرقون بذلك بين الحق والباطل لدى الاشتباه لقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله او نصرا يفرق
بين الحق

بين الحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال الكافرين فى الدنيا والاخرة كما يشهد بذلك وقعة بدر ولذلك
سمى يوم بدر يوم فرقان قال مجاهد يجعل لكم مخرجا فى الدنيا والاخرة وقال مقاتل مخرجا فى الدين من
الشبهات وقال عكرمة نجاة اى يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل
يظهر الله به حقكم ويطفى بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه
ويشهر امركم ويبث صيتكم ويبطل الكفر ويخفضه وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ اى ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم
وَيَغْفِرْ لَكُمْ اى ويستر عليكم بان لا يفضحكم فى الدنيا ولا فى الاخرة ومنهم من فسر ويكفر بيستر ويغفر بالتجاوز
والعفو عن الذنوب وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير يعنى يحمل السيئات على الصغاير والغفران
على الكباير لان المتقى تايب والتوبة تجب ما قبلها من الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها فى اهل
بدر وقد غفرها الله لهم وفى الغاية لان الله اطلع عليهم يوم بدر فقال افعلوا بعد اليوم ما شئتم
ولا حرج وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ لا يحيط علم احد بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل سيئات
التايب حسنات وفيه تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه تعالى واحسان وليس مما يوجب
تقواهم عليه لان العبد لا يستحق اجرا على عمله الذى عمل لمولاه بطريق الوجوب قوله تعالى وَإِذْ
يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا عطف على واذكروا اذ انتم قليل لان القلة والمكر كانا بمكة وهذه السورة مدنية
لما ذكر ما من به عليه من قهر العدو بالقتل والاسر ورد امر الغنيمة اليه وامر المومنين بطاعته
واستجابة دعايه والمسارعة لامتثال اوامره ذكره سوابق نعمه ليتوفر على القيام بشكرها اى
اذكر حادثة ذلك الوقت لما مات ابو طالب وهاجر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
هاجر وبايعه الانصار واسلموا فشق ذلك على كفار مكة وخافوا من تفاخم امره اجتمعوا فى دار
الندوة للمشاورة فى شانه صلى الله عليه وسلم وتفصيل ذلك ما قال ابن عباس وغيره من اهل التفسير
قالوا اجمعوا اجتمع نفر من كبار قريش فى دار الندوة ليتشاوروا فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدى والنضر
ابن الحارث وابو البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه
ابنا الحجاج وامية بن خلف واعترضهم ابليس فى صورة شيخ فقالوا له من انت قال انا شيخ
من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقالوا ادخل
فدخل فقال ابو البخترى اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت مقيدا وتشدوا وثاقه
وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصون به ريب المنون حتى
يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدى وقال بئس الراى
رايتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذى اغلقتم دونه الى اصحابه فيوشك ان
يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقام هشام بن عمرو
من بنى عامر بن لوى فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم
ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا لكم براى تعمدون الى رجل
قد افسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه

Copyright © King Saud University

واخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم برأي ما ارى غيره انى ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فينا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبايل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا راوا ذلك قالوا العقل فتؤدى قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا والقول ما قال لا ارى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجمعون عليه فاتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة الشريفة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان يبيت فى مضجعه وقال له تسج ببردي وفى رواية اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودايع التي قبلها وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث فى الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال فى خفية هذا ما اتفق عليه المفسرون واما ما جرى بين الكفار وبين علي من السؤال والجواب وما جرى من حكاية سراقة مع النبي وغير ذلك فمذكور فى السير قوله تعالى ليثبتوك اى ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيئا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحراك وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم كما اشار عليهم ابو جهل او يخرجوك من مكة ويمكرون اى ويحتالون ويدبرون فى امرك يعني ويخفون المكايد لك ويخفون ذلك ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم الله جزاء مكرهم نسمي الجزاء مكرا لانه فى مقابلته وقيل معناه ويعاملهم معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا فى ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره والله خير الماكرين اى اعلمهم به فان قلت كيف قال والله خير الماكرين ولا خير فى مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون ان مكرهم فيه خير بزعمهم فقال فى مقابلته ومشاكلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قال الشيخ ومعنى والله خير الماكرين اذ لا يعبأ بمكرهم عند تدبير الله واستدراجه اياهم بنعمة مع ما اعد لهم من نقمة قال الراغب والمكر المحمود وهو الذي يتحرى بذلك فعل جميل وعلى ذلك قال الله والله خير الماكرين والمكر المذموم ان يتحرى به فعل قبيح قال الله ولا يحيق المكر السيء الا باهله قال البيضاوي فكتبه واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم انتهى وفى المدارك اى مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا انتهى قلت والحاصل مكر الخلق من الحيلة والعجز ومكر الخالق من القدرة والحكمة

والتدبير

والذين والله اعلم بمراده واذا تتلى عليهم اياتنا المنسوبة الى عظمتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال لعجزهم عنها قالوا قد سمعنا اى سمعنا من بلغائنا وفصحائنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وفى الامالي هذا قول ابي جهل لعنه الله كذا اسنده البخاري وقيل قول نضر بن الحارث وكان قد جاء باكاذيب العجم من قصة رستم الكردي واسفنديار وكانت قريش يجتمع عليه عند الركن ويقرأ عليهم تلك الاكاذيب ويزعم انه احسن قصصا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسر يوم بدر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير فضرب عنقه واعلم بصف الايات بالبينات اشارة الى فرط عنادهم وانهم لم يقولوا تلك المقالة عن تدبر فيها انتهى قال الاستاد نزلت الاية فى النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار والسبب فى تكلمهم هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القران ويذكر اخبار القرون الماضية فى قراءته فقال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا الخ لانه كان يتردد الى الحيرة وفارس والروم ويسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤن التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون فذمهم الله بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم فى قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان يقص عليهم القصص وقد الذين اجتمعوا فى دار الندوة قال الشيخ وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا شيئا من ذلك فاي شيء منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا فى باب البيان واعلم ان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله لو نشاء لقلنا مثل هذا يدل على انه ما شاؤا وما قالوا لعجزهم ان ما هذا الا اساطير الاولين اى ما سطره الاولون من القصص والحكايات الكاذبة نقلت اليه واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق اى اذكر يا محمد وقت قول النضر ومن مثله من الكفار اللهم ان كان ما يقوله محمد ويقرأه هو الحق المنزل من عندك لا من لديه العامة على نصب الحق على انه خبر كان وهو ضمير فصل لا محل لها من الاعراب وقرئ برفع الحق على انه خبر هو والجملة خبر كان روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال هذا والمعنى ان كان القران حقا منزلا من عندك كما يدعيه محمد من انه هو الحق لا من شعره ورأيه فامطر علينا حجارة من السماء كما امطرتها على قوم لوط او كاصحاب الفيل عقوبة على انكارنا القران قوله من السماء صفة الحجارة وليس متعلقا بامطر اذ الامطار لا يكون الا منها كانه قيل فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل او ائتنا بعذاب اليم سوى امطار الحجارة يعني ائتنا بهذا مثل ما عذبت به الامم الماضية قال الاستاد والمراد من التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا اذ لو احتملت الحقيقة عندهم لما طلبوا ما طلبوا اذ لا يطلب العاقل ارسال الحجارة من السماء او العذاب الاليم على تقدير حقيته شيء بل مع احتمال الحقيقة فعلم ان مقصودهم الاستهزاء وفى النضر بن الحارث نزل سال سايل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل فى النضر بضع عشرة اية فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر

Copyright King Saud University

قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثة من قريش صبرا طعيمة بن عدي وعقبة بن
ابي معيط والنضر بن الحارث وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة
يعني بلقيس فقال الرجل في جوابه اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا
هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له قال ابن عباس لما قص
رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن
مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله
الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا الى اخره وروي عن
انس بن مالك ان الذي قال ذلك ابو جهل بن هشام ق عن انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه
نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد قوله عز وجل **وما كان الله ليعذبهم** بما
سالوه من العذاب **وانت فيهم** اي انت مقيم بين اظهرهم هذا كلام مستانف يقوله الله تعالى اخبارا عن
نفسه جوابا لكلمتهم الشنعاء وبيانا للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم قال المفسرون نزلت هذه
الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم خرج من بينهم وبقيت بها بقية من ضعفة المسلمين يستغفرون
فانزل الله **وما كان الله معذبهم وهم** اي ضعفة المسلمين **يستغفرون** لا انفسهم والكفار بالاسلام
ثم خرج اولئك المسلمون من بينهم فعذبوا واذن الله في فتح مكة وهو العذاب الاليم الذي وعدهم
قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى قرية حتى يخرج النبي منها والذين امنوا ويلحق بحيث امر وقيل المراد بالاستغفار
قولهم في طوافهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا
ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعا لهم الى الاسلام و
الاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد
وعكرمة وهم يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية
انه يؤمن ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم
ابن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر فان قيل قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم ويوم بدر عذبهم بالقتل والاسر وهم فيهم قلنا معناه وانت تقيم بمكة وكان كذلك لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام بمكة لم يعذبوا فلما اخرجوه من مكة وخرج الى الحرب به عذبوا وقيل وما كان
الله ليعذبهم العذاب الاستيصال وانت فيهم وقيل معناه وما كان الله ليعذبهم العذاب الذي طلبوه وهو امطار
الحجارة وقال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيمة اخرجه الترمذي وقال
بعض المفسرين كتبه في تفسيره بقوله ولا يخفى انهما باقيان في المدينة المنورة على منورها افضل الصلاة والسلام الحمد لله
الذي جعلنا من اهلها انتهى قلت ايضا ونحن نحمد الله على ذلك كذلك ولفظ مضيت عبارة عن الانتقال وهي في
تبره فهو بين اظهرنا اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك واعلم انه نفي خبر كان الاول على خلاف ما اتى به في خبر
الثاني

الثاني فانه اما ان يكون محذوفا وهو الارادة كما يقدره البصريون اي ما كان الله مريدا لتعذيبهم وانت فيهم
وانتفاء ارادة العذاب ابلغ من نفي العذاب واما انه هو المذكور الموكد بلام الجحود على راي الكوفيين لان كينونته
صلى الله عليه وسلم فيهم ابلغ في كونها سببا لعدم تعذيبهم من استغفارهم فشتان بين وجوده صلى الله عليه وسلم
فيهم وبين استغفارهم **وما لهم الا يعذبهم الله** بيان لاستحقاقهم العذاب بالقتل والاسر بعد بيان ان
المانع ليس من قبلهم اي اي شيء لهم من انتفاء عذاب الله عنهم يعني لا حظ لهم فيه وهم معذبون البتة
متى زال ذلك المانع وكيف لا يعذبون **وهم يصدون عن المسجد الحرام** اي وحالهم انهم يمنعون المؤمنين
عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية قال
الحسن الاية الاولى وهي قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم الا يعذبهم الله وفيه بعد لان
الاخبار لا يدخلها نسخ **وما كانوا اولياءه** اي ليسوا اولياء المسجد الحرام كما زعموا يعني وما استحق اهل
الشرك مع شركهم وعداوتهم لاهل الدين ان يكونوا ولاة امر المسجد الحرام وهو رد من الله لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت الحرام فنصد من نشاء وندخل **ان اولياؤه** اي وما اولياء المسجد الحرام والذابون وولاة
امره **الا المتقون** من الشرك الذين لا يعبدون غيره اي الا المؤمنون الموحدون الابرار المطيعون بالتقوى
يعني لا يصلح كل مسلم ايضا ان ياتي ولاية امره فكيف يصلح له الكفرة فان المشركين بمعزل لا يصلح لولاية بيت الله عز وجل
وقيل الضمير الله تعالى **ولكن اكثرهم** اي لكن اكثر المشركين **لا يعلمون** ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر
منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر الله بعض اسباب الولاية عنهم على زعمهم فقال
وما كان صلاتهم عند البيت اي ما كان دعاؤهم او ما يسمونه صلاة على زعمهم او ما يضعون موضعها
الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر والمكا بالقصر كالبكا **وتصدية** اي تصفيقا من الصدى
اي الصوت او من الصد وهو المنع والتصدية فيها قولان احدهما انها من الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت
في الامكنة الخالية الصلبة يعني الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قوله الى شيء والمراد بها ههنا ما يسمع
من صوت التصفيق وهو ضرب احدى اليدين على الاخرى وثانيهما انها من الصد وهو المنع والاصل تصددة بدالين
فابدلت ثانيتهما ياء قال الاستاد المكاء اسم طاير ابيض يكون بالحجاز له صفير قال الازهري والمكاء والتصدية
ليسا بصلاة ولكن الله اخبرهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت رضي الله عنه
صلاتهم والتصدي والمكاء قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون
قال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤن به ويدخلون
اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكاء جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة
سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبي صلى
الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس رضي الله عنهما كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم
وعلى قول غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل ابن عباس اصح لان الله سماه ذلك صلاة على حسب معتقدهم
وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه
فلا عيب له قرأ العامة صلاتهم رفعا مكاء نصبا وقرئ صلاتهم نصبا مكاء رفعا وخطأ الفارسي هذه القراءة

وقال لا يجوز ان يخبر عن النكرة بالمعرفة والجواب عنها انهما اسما جنس لانهما مصدران واسم الجنس تعريفه
وتنكيره متقاربان وذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر في الدنيا وقيل يقال لهم في الاخرة
ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا اعتقادا او عملا واللام يحتمل ان يكون للعهد
والمعهود ابتنا بعذاب اليم ان الذين كفروا ينفقون اموالهم في حرب النبي عليه السلام ليصدوا
عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقيبه عبادتهم المالية
التي لا جدوى لها في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل
ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام
والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل
والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر
اسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم النبي عليه السلام وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتبة نزلت
في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اثنان واربعون مثقالا
وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش
من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما
اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة
ابن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا
سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم
وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون
اموالهم على امثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وقال الشيخ المراد بسبيل
الله دينه واتباع رسوله يعني كان غرضهم من الانفاق الصد عن اتباع محمد عليه السلام وهو سبيل الله و
دينه وان لم يكن عندهم كذلك فسينفقونها اي سينفقون اموالهم في ذلك الوجه بتمامها بلا فائدة ولعل
الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاقهم في يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل
وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبة
انفاقهم وانها لم تقع بعد ثم تكون عليهم حسرة يعني ما انفقوا من اموالهم تكون عاقبة ذلك حسرة
وندامة وغما لفوات الاموال من غير مقصود جعل ذات الانفاق تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون
اخر الامر ولا تظفرون بما تاملون وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك لان العاقبة للمتقين كتب الله لاغلبن
انا ورسلي وهو من دلايل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر والذين كفروا اي والكافرون منهم لان
منهم من اسلم وهذا خص وقال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم في حرب النبي الى جهنم يحشرون في الاخرة
اي يساقون اليها ليميز الله الخبيث من الطيب اي ليفرق الله ويفصل بين فريق الكفار وهم الفريق
الخبيث وبين فريق المومنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز اهل السعادة من اهل الشقاوة
وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق
الكفار

سورة الانفال

الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المومنين في سبيل الله وقال الاستاد معناه اي يميز الكافر من المومن
او الفساد من الصلاح واللام على هذين القولين متعلقة بيحشرون او يغلبون واما ليميز ما انفقه
المشركون من عداوة رسول الله عليه السلام ومما انفقه المسلمون في نصرته كانفاق ابي بكر وعثمان
رضي الله عنهما واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة قرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز بالتشديد
من التمييز والباقون بالتخفيف من الميز والاول ابلغ ويجعل عطف على ليميز الخبيث بعضه على بعض
اي بعضه فوق بعض فيركمه جميعا اي فيجمعه جميعا ويضم بعضه على بعض حتى يتراكم لفرط ازدحامهم
او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما للكافرين فيجعله اي المجموع المتراكم اعني الخبيث في جهنم
اي في جملة من يعذب بها من الكفار اولئك اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث وان
كان مفرد اللفظ لكن معناه الفريق وهي جمع هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة
ثم لما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى طريق الصواب بقوله قل يا محمد للذين
كفروا كابي سفيان واصحابه قل يا محمد لاجل الذين كفروا في شانهم وحقهم وبلغهم ان ينتهوا عن
الشرك ومعاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف اي ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم
قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله على عمومه في الحربي لانه لم يلتزم شيئا من الاحكام واما
الذمي فيسقط عنه بالاسلام ما عدا حقوق العباد قال التفتازاني والاحتجاج بهذه الاية على ان
من عصى طول العمر ثم ارتد ثم اسلم لم يبق عليه ذنب في غاية الضعف لانه يكون سببا لاختيار
الارتداد كما لا يخفى قال الاستاد استدل بهذه الاية على صحة توبة المنافق لانه كافر حقيقة وعلى ان الكفار
ليسوا مخاطبين بالفروع لانها لا تصح منهم في حال الكفر وبعد الاسلام لا يلزمه قضاؤها وعلى ان المرتد اذا اسلم
لا يلزمه قضاء العبادات التي تركها في حال الردة وفي الاخرين تامل وان يعودوا الى قتاله عليه السلام
واصروا على الكفر فقد مضت سنة الاولين اي الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى
على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك او مضت سنة الاولين في اهلاك اعدائه ونصر اوليائه وفي البيان
ومعنى الاية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم
ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك
اعدائه ونصر انبيائه واوليائه واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه
شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه يعني بذلك انه
ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر ارجو ان لا يعجز
عن هدم ما بعده من ذنب انتهى وقاتلوهم اذا اصروا على الكفر حتى لا تكون اي لا توجد فتنة
شرك او بلاء ويكون العامة على نصبه عطفا على تكون قبله الدين كله لله وحده ولا
يعبد غيره يعني حتى تكون الطاعة والعبادة خالصة لله دون غيره قال قتادة حتى يقال لا اله الا الله
عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم او حتى لا يفتن مومن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه
شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركاء فان انتهوا عن الكفر وقتال المسلمين وايذائهم فان الله

Copyright King Saud University

الجزء العاشر

بما يعملون بصير اى فان الله لا يخفى عليه شيء من اعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم يعني
فيجازيهم على انتهائهم عن الكفر واسلامهم هذا على قراءة الغيبة وعن يعقوب تعملون بالتاء خطابا
للمؤمنين والمعنى على هذه القراءة قاتلوهم حتى لا تكون فتنة فان انتهوا عن الشرك فان الله يجازيكم
ايها المؤمنون بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم
ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على ان الانتهاء عن الكفر كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم
وهم المؤمنون المخاطبون في هذه القراءة للتسبب وان تولوا اى وان اعرضوا عن الايمان واصروا
على الكفر ولم ينتهوا وعادوا الى قتال المسلمين واذيتهم فاعلموا ايها المؤمنون ان الله مولاكم
اى ناصركم وحافظكم ومتولي اموركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى اى ان الله هو نعم
المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير اى وهو نعم الناصر لكم لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم
اخذتم من الكفار قهرا من شيء فان لله خمسه يأمر فيه بما شاء وللرسول والآية نزلت
في غنائم بدر بعد ما ردها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتصير تلك الجملة قانونا يمشون عليه
مدى الدهر والمعنى اعلموا ايها المؤمنون المنصورون بنصر الله ورسوله علما مقرونا بالعمل ان كل شيء جليلا كان
او حقيرا حتى الخيط والمخيط الذي غنمتموه واخذتموه من اموال الكفار على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل
فثابت ان لله خمسه لنصره لكم وشكرا له على ذلك والخمس يعطي خاص عباده فيعطي خمس منه للرسول الذي
هو الاصل في اسباب النصر واعلم ان العلماء اختلفوا هل الغنيمة والفيء اسمان لمسمى واحد ام مختلفان
في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه عنوة
واما الارض فهي فيء وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه
الخمس واربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس هو لمن سمى
الله وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه بخيل
ولا ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفيء والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء
واحد والصحيح انهما يختلفان فالفيء ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف خيل وركاب فذكر الله في هذه الآية
الكريمة حكم الغنيمة فقال واعلموا ان ما غنمتم من شيء اى من اى شيء وما بمعنى الذي ولا يجوز ان يكون الانفصال
اذ لو كتب موصولا لوجب ان تكون ما كافة وغنمتم صلته ومن شيء بيانه والفاء انما دخلت لما في الذي من معنى
وان مع اسمها وخبرها خبر لمبتدأ محذوف تقديره فثابت ان لله خمسه او فالحكم ان لله خمسه وللرسول وان
بالكسر وذهب اكثر المفسرين والفقهاء على ان ذكر قوله لله للتعظيم ولافتتاح الكلام على سبيل التبرك وهذا كقوله
تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وانما اضافه الى نفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد
منه سهما مفردا لان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا
سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها
والخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح
خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين

وثانيه

وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد رحمهما الله وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو
للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على اربعة
اصناف المذكورين في الآية وهم ذووا القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فقوله عز وجل
ولذي القربى يعني ان سهما من خمس الخمس لذي القربى يعني لقرابة النبي من بني هاشم والمطلب كما هو
مذهب الشافعي وليس عندنا لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روي
عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب
وبنو هاشم شيء واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير
ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرجه البخاري وفي رواية لابي داود
ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم من الخمس من
بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا
وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية
النسائي قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم وبني
المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي صلى الله عليه وسلم
فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال
اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه فطوبى
لعالم قريش وحسرتا لمن يعاديه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم
ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين
وهو قول مالك والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحابه الى انه غير ثابت يعني ساقط قالوا سهم النبي
صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى
والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم وحجة
الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضل فقير على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب
مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي رحمه الله بالميراث الذي يستحق باسم
القرابة غير انه يعطي القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما قال
الاستاذ قال قوم اراد بذي القربى جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي
ابن الحسين هم بنو هاشم وقيل الخمس كله لذوي القربى والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان
من ذوي القربى والعطف للتخصيص قوله عز وجل واليتامى جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى
واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه يعني اراد باليتامى اطفال

مكتبة الرياض ... المخطوطات

المسلمين الذين هلكت اباؤهم وهم فقراء والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل
وهو المسافر البعيد المنقطع في سفره عن ماله من المسلمين فيعطى من خمس الخمس لفاقته وحاجته
فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا
الغنيمة فيعطى الفارس ثلثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما لما روى عن ابن
عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية
نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية لابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسهم للرجل ولفرسه ثلثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب
الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق رحمهم الله وقال ابو حنيفة رحمه الله
للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار
الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة تخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان
يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا من
المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس الغنيمة لما روي عن ابي قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل
والسلب ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش
من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة
في سهمان الغنيمة ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث
من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سلمة الفهري رضي الله عنه قال شهدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف العلماء في ان
النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب
وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما افاء الله عليكم قدر هذه الا
الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة
وهو قول احمد واسحق وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو
ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذا الجزية وما
اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت منهم واحد في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء
ومال الفيء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته قال عمر رضي الله عنه ان الله قد خص رسوله
صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يخص به احدا غيره ثم قرا عمر وما افاء الله على رسوله منهم الاية فكانت
هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي
يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم في ديوان
الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدأ

بالمقاتلة

بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفيء
فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة
وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق عن
مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق بهذا الفيء منكم وما احد منا احق به من احد الا
انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل
وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج امامنا البغوي بسنده انه سمع عمر بن الخطاب
يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله عز وجل ان كنتم امنتم
بالله وصدقتم بوحدانيته فاعلموا ذلك واعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضا بالحكم
والعمل بالعلم قال الاستاد جزاء قوله ان كنتم امنتم بالله محذوف دل عليه اعلموا تقديره ان كنتم امنتم
بالله فاعلموا ان الله جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي
اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
اي وان كنتم امنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم
والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسالونك عن الانفال وقال السلطان العبد هو محمد صلى الله عليه وسلم
وما انزله عليه من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان
اي يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل ويوم منصوب
بانزلنا او ببدل منه يوم التقى الجمعان يعني يوم جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عروة
ابن الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع عشرة
من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف
والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك والله على كل شيء قدير
ولذلك نصر المؤمنين مع قلة عددهم وعددهم على الكافرين مع وجود كثرتهم وقواهم بالامداد بالملائكة
اذ منصوب بانه بدل ثان من يوم الفرقان انتم اي اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المؤمنين اذ انتم
كائنون بالعدوة الدنيا اي بشاطئ الوادي وجانبه يعني بشفير الوادي القريب من المدينة والدنيا هنا
تانيث الادنى والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
بكسر العين والضم افصح لانه لغة حجاز وهم يعني المشركين بالعدوة القصوى اي بالجانب البعدى
من المدينة مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى وكلاهما من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء
في القصوى كالعليا والدنيا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود واستحوذ وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اسفل منكم يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها
وكانوا في موضع اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلثة اميال من بدر وانما يطلق الركب على اصحاب
الابل في السفر اذا كانوا فوق العشرة قال الاستاد اراد بالركب العير وقوادها ابو سفيان واصحابه والركب
مبتدا واسفل منكم منصوب على الظرف واقع موقع الخبر اي في مكان اسفل من مكانكم يعني ساحل البحر والجملة

Copyright King Saud University

حال من اذ انتم حاصل الكلام اذكر يا محمد نعمتي عليكم وعلى اصحابكم اذ كنتم في شدة وقد بلغ ضعفكم من
حيث العدد والعدد والمكان لان عدوة الدنيا كانت رخوة تدخل فيها الارجل ولا تمشي فيها الا
بتعب ولم يكن فيهما ماء بخلاف عدوة القصوى فانها كانت ارضا صلبة وفيها ماء وكلاء وهذه الفايدة
ذكر المركزين مع الفريقين وذكر ايضا ولو تواعدتم انتم مع الكفار القتال ثم علمتم ما انتم عليه من ضعفة
الحال وشدة قوة الاعداء لاختلفتم انتم ايها المومنون وهم ايضا في الميعاد لقلتكم وكثرتهم قال الاستاد
هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم فنكر الله تعالى ما ذكر من الفوايد ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الظفر ليس الا
صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع الله بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
وتلاقيتم للقتال ليقضي الله امرا كان مفعولا في علمه وحقيقا بان يفعل من نصر الاسلام ومحق الكفار
فعلى ذلك ليهلك بكفر من هلك عن بينة اي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المومنين مع قلتهم
على الجيش الكثير يعني ليموت من مات عن بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ويحيى اي يومن بالله
من حي عن بينة او ويعيش من عاش عن بينة راها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحاق
معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويومن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان
ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدي من اهتدى على بينة وان الله لسميع عليم يعني يسمع
دعائكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قال الاستاد اي لسميع اقوالكم فيسمع كفر من كفر وايمان من آمن
عليم بنياتكم فيعاقب الكافر ويثيب المومن وانما ارادف الهلاك والحياة بهذين الوصفين لان كلا منهما يكون بالقول
والاعتقاد فان الحي له قول واعتقاد كما ان المشرف على الهلاك كذلك اذ مقدر باذكر يعني اذكر يا محمد نعمة الله
عليك اذ يريكهم اسلوب ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم مصالحكم اذ يريكهم الله اي اذ
يريك الله المشركين يعني اذ يقللهم في منامك اي في نومك وقيل في عينك قليلا وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راهم في منامه قبل الحرب شرذمة قليلة فاخبر بذلك اصحابه ليكون ذلك مسرة لهم وتثبيتا
وتشجيعا على عدوهم ولما كانوا ذليلين بقهر الله كانوا قليلين في المعنى وقيل راهم رؤية عين والمنام هو
العين لانها موضع النوم وليس فيه زيادة معنى مع العدول عن الحقيقة قوله قليلا نصب على الحال من المفعول
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وضعفت قلوبكم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا
فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم جمع الخطاب في الجزاء وقد افرده في الشرط صرفا
الخطاب عنه صلى الله عليه وسلم الى اصحابه ليعصمه عن نحوه ولتنازعتم في الامر اي اختلفتم في امر القتال
بان يقدم عليه بعضكم ويحجم البعض وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي يكون معه
مخاصمة ومجادلة ومجاذبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم وتفرقت كلمتكم واختلفت
اراءكم ثباتا وفرارا كما ذكرنا ولكن الله سلم اي ولكن الله انعم عليكم بالسلامة من الفشل والهزيمة
والتنازع والمخالفة فيما بينكم انه عليم بذات الصدور اي بما في القلوب وبما سيكون فيها
وبما يغير احوالها قال الشيخ معناه انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجرأة والجبن والصبر والجزع وقال
ابن عباس رضي الله عنه معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل ففيه اشارة الى انه علم
نياتهم الصادقة في الدين فنصرهم ولم يقتصر على الرؤية المنامي بل اراهم في اليقظة ايضا فقال واذ يريكموهم

الضمير ان مفعولا ليرى اي واذ يبصركم اياهم لا عن بعد بل اذ التقيتم اي وقت اللقاء للحرب
في اعينكم اي لا في نومكم او الحس المشترك منكم على ما في المنام قليلا حال من المفعول الثاني
ولا يقتضي مفعولا ثالثا لانها من رؤية البصر وانما قللهم الله تعالى في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود
رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول
صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم يعني ويقللكم يا معشر المومنين في اعين المشركين في اليقظة ليقدموا
عليكم ولا يرجعوا ولا يتداركوا حتى قال ابو جهل ان محمدا اكلة جزور وقيل قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء
ثم اكثرهم فيما بعد حتى اراهم اياهم مثليهم كما في ال عمران لتفاجئهم الكثرة فيبهتهم وتكسر قلوبهم وذلك
التقليل من ايات الله ولذلك قيل الحكمة في تقليل المشركين في اعين المومنين تصديق رؤيا النبي صلى الله
عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المومنين وتزداد جرأتهم عليهم ولا يجبنوا عن قتالهم والحكمة في تقليل
المومنين في اعين المشركين ليلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب
لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المومنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت
ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة
من خوارق العادات فلا ينكر ذلك قال الاستاد ولما كانت الرؤية وساير الادراكات بخلق الله وتاثيره
وحده من غير سبب من الاسباب فله ان يخلق رؤية القليل في صورة الكثير وبالعكس والحاصل قوله ويقللكم
في اعينهم كان هذا قبل التحام الحرب فلما التحم اراهم اياهم مثليهم ليقضي الله امرا كان مفعولا
اي امرا كاينا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله فان قلت قد قال في
الاية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وقال في هذه الاية ليقضي الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار
قلت المقصود من ذكره في الاية المتقدمة ليحصل استيلاء المومنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون
ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الاية لانه تعالى قلل عدد
الفريقين في اعين بعضهم بعضا للحكمة الذي قضاها فلذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع
الامور اي تصير في الاخرة فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساته او يغفره قال
الاستاد معناه لا يبعد ايجاد الخوارق اذ لا تاثير للاسباب اصلا بل الى الله ترجع الامور لا الى الاسباب فلا يبعد
ايجاد شيء على خلاف مقتضاها ثم لما ذكر الله نعمه على المومنين يوم بدر علمهم اذا التقوا للحرب ادبين اولهما
الثبات وثانيهما ذكر الله تعالى فقال يا ايها الذين امنوا بان ناصر الضعفاء هو الله وحده دون الاسباب
اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة كافرة او بغاة لقوله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او قطاع
الطريق لقوله تعالى يحاربون الله ورسوله قال الشيخ ولم يصف الفئة لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار
واللقاء وان كان بينهما لكن اشتهر استعماله في القتال فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا واذكروا الله
كثيرا في مواطن الحروب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره وقيل في دعائكم اللهم اخذلهم اللهم
اقطع دابرهم قال الاستاد يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله
عباده المومنين واولياءه الصالحين بان يذكروه في اشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه
تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على

Copyright © King Saud University

العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله تعالى عباده ان يسالوه الظفر والنصر على العدو عند اللقاء
ليفيض عليهم الثبات المستمر ولا يكفي في ذلك الذكر والتوحيد القليل بل فاذكروه كثيرا جهارا وخفية وقال
بقول المنافق هو مرائي لعلكم تفلحون اي تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة فان قلت ظاهر الاية يوجب
الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لاية التحيز والتحرف قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة
والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول هذه الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود لا يحصل
الا بذلك التحرف والتحيز وفي الاية تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجي اليه عند الشدائد
ويقبل اليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال ثم ذكر ان هذا الفلاح منوط
بطاعة الله ورسوله فقال واطيعوا الله ورسوله في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو وفيما امركم
من كثرة الذكر ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر واحد وفيكم رسول الله الذي ياتيه الخبر والمدد
من السماء ساعة فساعة وقال لا ينبغي عند نبي التنازع فتفشلوا اي فتجبنوا لان التنازع يوجب الجبن
وهو جواب النهي فيكون منصوبا باضمار ان ويجوز ان يعطف على النهي فتكون مجزوما وتذهب ريحكم
اي قوتكم او دولتكم او نصرتكم او جرأتكم او جدتكم او حدتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على
المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد قال الاستاذ استعار الريح للدولة لانها في التمشي
والنفوذ كالريح في الهبوب يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة قال ::: اذا هبت رياحك فاغتنمها
فان لكل عاصفة سكونا ::: وقيل المراد بها الحقيقة لان عادة الله تعالى جرت بان من تكون الريح من صوبه
وجاءه العدو له النصر قال قتادة وابن زيد اراد بالريح ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله
تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور رواه الشيخان
وعن النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول
النهار اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصرة اخرجه ابو داود قال الشيخ احتج نفاة
القياس بهذه الاية فقالوا القياس يفضي الى المنازعة والمنازعة محرمة بهذه الاية فوجب ان يكون
العمل بالقياس حراما والجواب انه ليس كل قياس بل قياس كل عالم يوجب المنازعة وايضا قوله ولا تنازعوا
معطوف على قوله فاثبتوا وهو جواب الشرط في قوله اذا لقيتم فئة فالمحرم التنازع عند لقاء فئة الكفار
فلا حجة فيها واصبروا على مخالفة اهويتكم الداعية الى التنازع فان الصبر مستلزم للنصر يعني اصبروا عند
لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم ان الله مع الصابرين بالكلاءة والحفظ والنصر والعون يعني هو معينهم
وناصرهم لا غير ق عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي
فيها انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية
فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل
الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا ثم اشار الى ابي طالب رضي الله
يجب ان يكون خروجه من بيته لله ورسوله ويستمر عليه الى حين القتال فقال ولا تكونوا كالذين
اي لا تكونوا مشابهين لهم بوجه فضلا ان تتصفوا بصفتهم خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين

خرجوا

خرجوا منها للحماية العير بطرا اي فخرا واشرا بالشجاعة وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان
النعمة اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكاثرها على ابناء الزمان
وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته
فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ورئاء الناس ليثنوا
عليهم بالشجاعة فان البطر مقابلة النعمة بالتكبر والخيلاء والرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان
القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان
المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الاية في كفار
قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وفرح وبغي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد
اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان
لما راى انه قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا
فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام
قال فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا
ابدا فامضوا زاد غيره فقال فلما وافوا بدرا سقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان
القيان فاطعموها العذاب وسمع انهم خسروا في الدنيا والاخرة فنهى الله عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم
والمعنى لا يكونن امركم ايها المؤمنون رياء وسمعة ولا التماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية واقاتلوا
حسبة في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره والله بما يعملون محيط
علما فيجازيهم به فيه وعيد وتهديد لمن يرائي ويتسامع لانه سبحانه وتعالى احاط بكل شيء علما لا يخفى عنه خافية
فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين ثم لما كان اعتقاد كون البطر والرياء من اسباب النصر انما هو من تزيين
الشيطان قال واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اي واذكروا ايها المؤمنون اذ زين ابليس للمشركين
اعمالهم الخبيثة وقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس من جيش محمد وغيره واني جار لكم
اي مجير لكم ومعاضد لكم السلامة من اعتراض المعترضين قال بعضهم كان تزيينه وسوسة القاها في قلوبهم وخيل
اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات
مجيرهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين فعلى هذا يكون قال في قوله وقال لا غالب لكم
مقالة نفسانية من غير ان يتحول ابليس في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن
مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجمعت على المسير الى بدر لتخليص العير ذكرت الذي بينها وبين
بني بكر من الحروب فكان ذلك ان يثنيهم عن المسير اذ كانوا قتلوا منهم قتيلا فلم يامنوا يوم خروجهم
الى بدر ان ياتوهم من ورائهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان
من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس
جاء ابليس يوم بدر في جند من الشيطان معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن
مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل

٢٦٥م

Copyright King Saud University

عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى
مدبرا وشيعته فقال له الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله
شديد العقاب وذلك حين رأى الملئكة فقوله لا غالب اسم لا ههنا مبنية ولكم في موضع رفع خبر لا
اي لا غالب كائن لكم او في موضع نصب على انه صفة لا غالب وخبره محذوف اي لا غالب كائنا لكم واقع
موجود واليوم معمول الخبر ومن الناس حال من الضمير في لكم ولا يجوز ان يكون اليوم منصوبا بغالب ولا من الناس
حالا من الضمير في غالب لان اسم لا اذا عمل فيما بعده لا يجوز بناؤه لانه مشابه بالمضاف فكان منصوبا كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا **فلما تراءت الفئتان** اي التقى الفئتان المؤمنة والكافرة ورأى ابليس ان
الملئكة قد نزلوا من السماء لنصر المؤمنين علم عدو الله ابليس وتحقق انه لا طاقة له بهم **نكص على**
عقبيه اي رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وهو حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون
على العقبين وقيل معناه بطل كيده وصار ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم **وقال اني بريء**
منكم ومن جواركم وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وهو آخذ بيد الحارث بن هشام فنكص عدو الله على عقبيه فقال له الحارث افرارا
من غير قتال وجعل يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس
سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغني هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا
اني ارى من الملئكة النازلة لامداد المؤمنين **ما لا ترون** من الملئكة قالوا رأى ابليس الملئكة
ورأى جبريل متعمما معتجرا ببرد يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس
ما ركب كذا في اللباب وفي الجامع يعني يقود فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا معه للادب قال
قتادة قال ابليس اني ارى ما لا ترون وصدق وقال **اني اخاف الله** وكذب ما به مخافة
الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه
اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك فقال اني اخاف الله
كذا ذكره السيوطي وقيل خاف ان يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه احد وقيل معناه اني
اخاف الله اعلم صدق وعده لاوليائه لانه على ثقة من امره وقيل لما رأى الملئكة قد نزلت
من السماء خاف ان تكون القيمة **والله شديد العقاب** يجوز ان يكون مستانفا من كلام الله
تعالى اي يحق لابليس ان يفر من خوف عقابه ويجوز ان يكون من تتمة كلام ابليس اظهارا
للمقدرة والمعنى على هذا اني اخاف الله لانه شديد العقاب واذا قلنا تم كلام ابليس عند قوله اني
اخاف الله فيكون والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله والله شديد العقاب لمن خالف
وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى الشيطان يوما هو
فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة
وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل يزع الملئكة اخرجه
مالك في الموطا قوله ولا ادحر بالدال المهملة والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد
مع الاهانة

مع الاهانة قوله يزع الملئكة اي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذي يتقدم
ويتأخر في الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف
يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملئكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة
البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة **اذ يقول المنافقون** ظرف لزين
او لاذكر اي اذكر وقت قول المنافقين من اهل المدينة وفي الجامع وهم قوم من الاوس والخزرج **والذين في**
قلوبهم مرض اي شك وارتياب وضعف اعتقاد وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام في
قلوبهم ولم يتمكن وكانوا بمكة مستضعفين وقد اسلموا وحبسهم اقرباؤهم عن الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر
اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا **غر هؤلاء** اي المسلمين **دينهم** اي
اغتر هؤلاء المسلمين ثقتهم بدينهم والمعنى ان هؤلاء المسلمين نفر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم
وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال الاستاد والذين في قلوبهم مرض
اي والذين لم يطمئنوا الى الايمان وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون والعطف لتغاير الوصفين انتهى وقال الله في جوابهم
ردا عليهم ودفعا لشبهتهم بقوله **ومن يتوكل على الله** اي ومن يثق بالله ويفوض امره اليه ويقطع
النظر عن الاسباب يغلب **فان الله عزيز** غالب لا يغالب ما يفعله ولا يذل من استجار به وان قل
حكيم اي انما يفعله ما يفعله لحكمة بالغة فينصر اولياءه ويقهر اعداءه وان كان ذلك مما يستبعده العقل
في بادي الراي ولما شرح احوال الكفار شرح احوال موتهم والعذاب الذي يصل اليهم بقوله **ولو ترى** اي
لو رأيت يا محمد وعاينت وشاهدت **اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة** اي حين تقبض الملئكة ارواح الذين
كفروا عند الموت يوم بدر وغيره لرأيت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت
واعلم ان لو ترد المضارع الى الماضي كما ترد ان الماضي على الاستقبال **يضربون وجوههم وادبارهم**
بمقامع من حديد ليختلفوا في وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملئكة وجوه الكفار وادبارهم
بسياط من نار وان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم عند الاقدام وادبارهم
عند الانهزام وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملئكة وجوههم بالسيوف
واذا ولوا ادبارهم ضربت الملئكة ادبارهم وقال ابن جريج يريد ما اقبل من اجسادهم وادبر يعني يضربون
جميع اجسادهم قوله واذ ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة وحالهم يوم بدر او غيره
قوله يتوفى قرأ ابن عامر بتائين على ارادة الجماعة والباقون بياء من تحت قوله والملئكة فاعل يتوفى ويدل
عليه قراءة ابن عامر وقيل ويجوز ان يكون فاعل يتوفى على قراءة العامة ضمير الله عز وجل والملئكة حينئذ مبتدأ
خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو ويضربون على الاول
حال من الموصول او من الفاعل او منهما لاشتماله على الضميرين **وذوقوا عذاب الحريق** عطف على يضربون باضمار
القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب اليم قال الشيخ وتقول لهم الملئكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق اي
النار وقيل كانت للملئكة معهم مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم
وقال ابن عباس تقول لهم الملئكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيمة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب
الحريق **ذلك** اي الداهية التي نزلت بكم من القتل والضرب والحريق وهو مبتدأ خبره **بما قدمت ايديكم**

Copyright King Saud University

اى انما حصل لكم بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصى وانما عبر بالايدى دون غيرها مع ان الكفر محله
القلب لان اكثر الافعال تزاول بها قال الاستاد اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد
محله القلب وظاهر الاية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هى اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد
آلة العمل والقدرة هى المؤثرة فى العمل فجعل اليد كناية عن القدرة قال الشيخ قوله بما قدمت لخ رد على الجبرية ويحتمل
ان يكون ذلك لخ من كلام الملئكة وهو الظاهر وان يكون من كلام الله **وَأَنَّ اللَّهَ** عطف على ما اى وبان
الله **لَيْسَ بِظَلَّامٍ** اى بذى ظلم **لِلْعَبِيدِ** يعنى انه تعالى لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه
لا يظلم احدا من خلقه وانما نفى الله الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصى على عصيانه
لانه متصرف فى ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه تعالى خلقه كفر الكافر
وتعذيبه عليه ظلم بل تعذيبه عدل ظاهر فلهذا قال وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم فى ملكه وتحت قدرته
فهو يتصرف فيهم كيف شاء ولا يحتمل الظلم الذى فى ملك الغير ومن ليس له التصرف مطلقا قال السلطان قوله وان الله لخ
عطف على ما فى قوله بما قدمت ايديكم للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم
بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى
الظلم سببا للتعذيب وانما اتى بصيغة المبالغة للتكثير لاجل الجمع فلو وقع الظلم على تلك الافراد لكان ظلما كثيرا
قال صاحب الغاية قوله وان الله لخ عطف على الخبر اى ذلك العذاب بسبب امرين بكفركم وبان الله لا يعذب
احدا بغير ذنب وانما اتى بصيغة المبالغة للتكثير المستفاد من الاستغراق ولو وقع الظلم على تلك الافراد لكان
ظلما كثيرا او للاشارة الى شدة العذاب والمعنى ان ذلك العذاب العظيم الذى يحيق بهم لو عذب به من لا يستحقه
لكان ظلما عظيما لا ظلما فى الجملة انتهى والله اعلم ثم ان دأب من ذكرنا من الكفرة **كَدَأْبِ** اى كعادة
آلِ اى قوم **فِرْعَوْنَ** عدو الله وعدو كل رسول ونبى وملك وولى وكل من اتبعه فهو آله يحشر معه قال
شيخنا فى غنيته وهو تحت ابى جهل بدرجة فى الدرك الاسفل من النار وفى اللباب والمعنى ان عادة هؤلاء
الكفار فى كفرهم كعادة آل فرعون فى كفرهم قال الشيخ اى كصنيع آل فرعون وفعلهم وعادتهم وعملهم الذى
دابوا فيه اى داوموا عليه واصروا على ذلك الى الوفات فجوزى هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزى
فرعون مع قومه بالاغراق **وَالَّذِينَ** اى وكعادة الذين **مِنْ قَبْلِهِمْ** اى من قبل آل فرعون من الكفرة او من
قبل قريش من المشركين ايضا **كَفَرُوا** تفسير لداب اللعين وآله **بِآيَاتِ اللَّهِ** اى ان عادة آل فرعون
والامم السالفة هو كفرهم بايات الله قال ابن عباس معناه ان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبى
من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما
انزل بآل فرعون **فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ** اى عاقبهم الله **بِذُنُوبِهِمْ** اى بسبب كفرهم ومعاصيهم كما اخذ هؤلاء **إِنَّ
اللَّهَ قَوِيٌّ** على ما يريده شديد القوة لا يقاومه احد تخصيصه هو قوى فى اخذه وانتقامه ممن كفر به
وكذب رسله **شَدِيدُ الْعِقَابِ** لمن كفر به وكذب رسله بحيث لا يغلبه فى دفعه شئ وفى الجلالين
ان الله يمهل الظالم فاذا اخذه لم يفلته والملك من ملوك الدنيا اذا عاقب فغاية عقابه القتل وعقاب
الله تعالى الكافر العذاب السرمد ثم ذكر ما يجرى مجرى العلة والعقاب الذى انزله بهم فقال **ذَلِكَ** اى تعذيب
الكفرة وما حل بالمشبه والمشبه به **بِأَنَّ اللَّهَ** اى بسبب ان الله **لَمْ يَكُ** اصله يكون فحذف الحركة

للجزم

للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا **مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ**
اى مزيلا ومبدلا اياها بالنقمة **حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** بتركوا شكرها ويجعلوا مكانه الكفر كقوله
تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وكقوله لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد او حتى
يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء والنعمة التى غيرها قريش هى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فلم يشكروا
تلك النعمة لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا يتلو عليهم اياته كفروا بهما فنقلهما الى الانصار بالمدينة
وقيل هى انه تعالى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فلم يشكروا الله لذلك فجعل لهم الخوف مكان الامن والجوع
مكان الرخاء وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادة
الله تغييره متى يغيروا حالهم قال الشيخ معناه ان الله تعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف
وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما
بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم بالعقاب قال الاستاد ان الله لم يصح فى حكمته ان يغير النعمة عند
قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نحو لم يكن لآل فرعون ومشركى مكة حال مرضية فغيروها الى حال مسخوطة لكن
كما تغير الحال المرضية الى الحال المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة النبى
اليهم كفرة عبدة الاصنام فلما بعث اليهم بالايات فكذبوه وسعوا فى اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء
مما كانت فغير الله ما انعم عليهم به من الامهال وعاجلهم بالعذاب **وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ** اى وبان الله سميع
لما يقولوا مكذبوا الرسل ولاقوال الخلق كله لا يخفى عليه خافية **عَلِيمٌ** بما فى صدورهم فيكون تعليلا ثانيا لحلول
من العذاب **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ** يعنى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم
كصنيع آل فرعون **وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ** يعنى اهلكنا
بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا
كفار قريش بالسيف **وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ** اى قومه معه وبسببه **وَكُلٌّ** اى كل من الامم المكذبة او من
غرق فى القبط وقتلى قريش **كَانُوا ظَالِمِينَ** انفسهم بالكفر والمعاصى اشار الى سبب اخذهم بالعقاب ظلمهم
وفيه تقرير لقوله وان الله ليس بظلام للعبيد اى المشبهون الذين هم قتلى قريش والمشبه بهم الذين هم آل
فرعون والذين من قبلهم كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى فتسبب شدة ظلمهم لعقابهم فما
ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون وفى الاسرار وكل كانوا ظالمين اى ظالمى انفسهم لافساد استعدادهم
وان لم يبلغوا فى الظلم والكفر ما بلغ فرعون انتهى فان قلت ما الفائدة فى تكرير هذه الاية مرة ثانية قلت
فيها فوائد منها ان الكلام الثانى يجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الاية الاولى فيها ذكر اخذهم
وفى الاية الثانية ذكر اغراقهم فذلك تفسير للاول والفائدة الثانية انه ذكر فى الاولى انهم كفروا
بايات الله وفى الاية الثانية انهم كذبوا بايات ربهم ففى الاولى اشارة الى انهم انكروا ايات الله وجحدوها
وفى الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة
للتاكيد وفى قولهم كذبوا بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ
بالذنوب ثم لما وصف الكفار بقوله وكل كانوا ظالمين افرد بعضهم بمزية فى الشر والفساد وهم بنو قريظة
فقال **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ** اى شر ما يدب على وجه الارض **عِنْدَ اللَّهِ** اى فى علمه وحكمه وقضائه

وان كان عند الناس اعقلهم الذين كفروا اى اصروا على الكفر وتحوا فيه وقال الاستاد معناه
ان شر الدواب من الاناسى الكفار المصرون على الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فشرهم فى تلك الاية
فهم لا يؤمنون لاصرارهم على الكفر والطبع فلا يتوقع منهم الاسلام وهذا اخبار عن بنى قريظة المتمردة
رهط كعب بن الاشرف والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف ويترك
من الذين كفروا قوله الذين عاهدت منهم اى اخذت العهد والميثاق منهم قبل من صلة يعنى الذين
عاهدتهم وقيل هى للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف وهذا اقرب ثم ينقضون
عطف على عاهدت وفى عطف المضارع على الماضى الدلالة على استمرار النقض عهدهم فى كل مرة
عاهدوا فيها قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بنى قريظة ان لا يحاربوه ولا
يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ثم قالوا نسينا واخطانا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون
اى انهم لا يخافون الله فى نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقى نقض العهد
حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد
من شر الدواب فاما فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة تثقفنهم اى فان تجدن وتصادفن
وتظفرن يا محمد بهؤلاء الذين نقضوا عهدك فى الحرب معهم فشرد بهم اى ففرق عن مقاتلتك
والمحاربة معك ونكل عنها بقتلهم وهلاكهم والنكاية فيهم من خلفهم اى من وراءهم من الكفرة
قال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم قال ابن عباس نكل بهم من وراءهم اى اجعلهم عبرة ونكالا لمن خلفهم
من المشركين واصل التشريد فى اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الاية انك اذا ظفرت يا محمد بهؤلاء الكفار
الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل والتعذيب تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى
يخافك من وراءهم وخلفهم من اهل مكة واليمن وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر يعنى فرق
وقرئ من خلفهم بمن الجارة والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء لعلهم اى لعل الذين
خلفهم يذكرون يعنى اهل التشريد من وراءهم يتذكرون ويتعظون ويعتبرون من نقض العهد بهم بما لعل ذلك
النكال يمنعهم من نقض العهد واما تخافن اى وان تعلمن يا محمد من قوم عاهدوك خيانة
اى نقض عهد بما يظهر لك منهم من اثار الغدر كما ظهر من بنى قريظة والنضير بتخصيصه فان تعلمن ممن عاهدك
نكثا ونقضا بامارة تلوح لك بان لم يبد منهم ما يوجب نقض العهد البتة بل لاح لك رائحة المخالفة
فانبذ اليهم اى فاطرح اليهم عهدهم على سواء حال من النابذ او المنبوذ اليهم او منهما اى اطرح
عهدهم حال كونك مستويا انت وهم فى العلم بنقض العهد بان تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ومنهم من قال
على سواء اى على طريق ظاهر مستو يعنى اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون
انت وهم فى العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد اولا بنصب الحرب معهم ومنهم من قال
معناه على سواء اى على عدل وطريق سوى فى العداوة ولا تعاجلهم فى الحرب فانه يكون خيانة فان المعاهد
وهم على توهم بقاء العهد خيانة وهى لا تليق بك فاخبرهم قبل حربك اياهم بانك قد نقضت العهد ان الله

لا يحب الخائنين اى فى نقض العهد وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة
ينصب عند استه وينادى عليه هذه غدرة فلان عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين
معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس
او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فساله
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى
ينقضى امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى عن سليم بن
عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله اكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة او فرس واما حكم الاية فقال
اهل العلم اذا ظهرت اثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن
نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب
على الامام ان ينبذ اليهم عهدهم ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم
ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب
واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فى ذمة النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا جيش رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة ونزل فيمن هرب وانفلت من المشركين
يوم بدر قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا الله اى فاتوه وافلتوا من ان يظفر بهم قال البغوى
نزلت فى قر ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص يحسبن بالياء وفتح السين وقرا الاخرون بالتاء وكسر
السين ومعنى سبقوا اى فاتوا فمن قرا بالياء يقول لا يحسبن الذين كفروا انفسهم سابقين فائتين
من عذابنا ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب والخطاب للنبى والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعنى
خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون اى انهم بهذا السبق والانهزام لا يعجزون الله
اى لا يفوتونه من الانتقام منهم اما فى الدنيا بالقتل واما فى الاخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم
فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزونه قرا ابن عامر انهم لا يعجزون بفتح الالف
اى لانهم لا يعجزون ولا يفوتون وقرا الاخرون بكسر الهمزة على الابتداء ومعنى الاية واعرابها على ما ذكر فى الاسرار
هو هكذا يعنى قوله ولا تحسبن الذين كفروا قرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء وفتح السين وفى فاعله
وجهان احدهما هو مضمر اى لا يحسبن احد او من خلفهم والمفعول الثانى سبقوا اى فاتوا وافلتوا من
ان يظفر بهم ويخلصوا من العذاب وثانيهما ان الفاعل الذين كفروا والمفعول الاول محذوف اى انفسهم
فحذف للتكرار وقيل على تقدير ان سبقوا وان مصدرية سادة مسد مفعولى لا يحسبن وهو بعيد لان ان
المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون على قراءة ابن عامر فانه قرا بفتح الهمزة وان
لا صلة وسبقوا حال يعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل النهى اى لا يحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون
الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت كما هو قراءة غير ابن عامر الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
بخلاف ما لو فتحت همزة ان فان الجملة حينئذ متعلقة بالجملة الاولى انتهى بحروفه والله اعلم ثم ان الصحابة لما قصدوا

Copyright King Saud University

الكفار يوم بدر بلا آلة وعدة امر ان لا يعودوا لمثله وان يعتدوا للكفار بما امكنهم من الة وقوة فقال
واعدوا ايها المؤمنون لهم اى لقتالهم اى لقتال ناقضى العهد والكفار ما استطعتم من قوة اى من
كل ما يتقوى به فى الحرب فان الاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة ٣ وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة هى الرمى قالها ثلاثا اخرجه
م عن ابى اسيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا
خ اكثبوكم يعنى غشوكم وفى رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفى رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل
م عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله
فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه م عن فقيم اللخمى قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين
وانت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت
وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابى نجيح السلمى قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة فى الجنة فبلغت يومئذ ستة عشر سهما
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائى والترمذى
بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجه ابو داود ايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى عمله الخير والرامى به
والممد به وفى رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الى من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو
محمود الا الثلثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اى نبله فانهن من الحق ومن
ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى مختصرا
الى نبله خ عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالسوق
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بنى فلان فامسك احد الفريقين
بايديهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمى وانت معهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا وانا
معكم كلكم وفى المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع انواع الاسلحة والالات التى تكون لكم قوة فى الحرب على
قتال عدوكم الثانى انها الحصون والمعاقل الثالث الرمى بالسهم وقد سمعت احاديثه الرابع انها جميع
ما يتقوى به فى الحرب على العدو فكل ما هو الة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المامور باستعدادها
وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمى لا ينفى كون غير الرمى ليس من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة
وقوله الندم توبة فكذا ههنا تحمل معنى الاية على الاستعداد للقتال فى الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات
كالرمى بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض الكفايات
وقوله تعالى ومن رباط الخيل اى واعدوا ايضا من اجناس الخيل الذكور والاناث للغزو واصل الربط
الشد والصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف لكونها اقوى على الكر والفر
ويختارون اناث الخيل عند البيات والغارات لقلة صهيلها وخص الخيل بالذكر تفضيلا لها ق قال صلى الله
عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والغنيمة رواه عروة بن الجعد البارقى والرباط فعال
بمعنى مفعول كلباس بمعنى ملبوس او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط بمعنى

ربوط

مربوط كفصيل وفصال وقيل اسم للخيل التى ترتبط فى سبيل الله وعطفها على القوة كعطف جبريل
على الملئكة وقد يطلق الرباط على انتظار الصلوة بعد الصلاة اخرج البخارى ومسلم فى شعب الايمان
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل
وزر فاما الذى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فاطال لها فى مرج او روضة فما اصابت
فى طيلها ذلك من المرج او الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا
او شرفين كانت اثارها وارواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها
كان ذلك حسنات له فهى لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى
رقابها ولا ظهورها فهى لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك
وزر ق عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم
القيمة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل على فيها شئ الا هذه الاية الجامعة
الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفى بعض الروايات فمن ربطها
عدة فى سبيل الله وانفق عليها احتسابا فى سبيل الله فان شبعها وجوعها وريها وظماها وارواثها
وابوالها فلاح فى موازينه يوم القيمة ومن ربطها رياء وسمعة وفرحا ومرحا فان شبعها و
جوعها وريها وظماها وارواثها وابوالها خسران فى موازينه يوم القيمة وفى بعض الروايات
وعليكم بكل كميت اغر محجل او اشقر اغر محجل او ادهم اغر محجل الطيل الحبل الذى يشد به الفرس
وقت الرعى والاستنان الجرى والشرف الشوط الذى تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا استغناء
بها عن الطلب لما فى ايدى الناس لها حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها
فقيل اراد به الاحسان اليها وقيل اراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل
الاسلام النواء المعاداة يقال ناوات الرجل مناواة اذا عاديته ترهبون به يعنى لا يكون
اعدادكم للخيلاء بل ترهبون وتخوفون به والجملة حال من فاعل اعدوا اى اعدوا حال كونكم
مرهبين به او استيناف تعليل للامر عن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير فى به لما استطعتم
او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك
لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد فى العداوة والمعنى تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله
وعدوكم وقال ابن عباس معناه تخزون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم عطف على
عدو الله اى وترهبون من غيرهم من الكفرة قوله من دونهم صفة لاخرين اختلف العلماء فى
الاخرين قال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدى هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله
لا تعلمونهم اى لا تعرفونهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله
الله يعلمهم اى يعرفهم باعيانهم فانه يعلم الكليات والجزئيات وفيه تنبيه على ان علمه تعالى
كاف فى ذلك فلا تهتموا بنفى عداوتهم واعداد الة الجهاد قال الاسناد واورد على قول ابن زيد
بان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل
واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم

كان ذلك مما يخيفهم ويحزنهم فكان ذلك ارهابا لهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري
قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم
بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين اما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واماكنهم
دونكم ويعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل احدا في
دار فيها فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير اسناد وفي المدارك ان في الحديث
ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن انتهى
والله اعلم وفي اللباب وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله اي وما تنفقوا لاعداد القتال وساير وجوه الخيرات قل او جل لاعزاز دين الله يوف اليكم
اجره وجزاؤه يعني في الاخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا من الفيء والغنيمة والجزية والخراج وانتم
لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب في الاخرة شيئا وان جنحوا للسلم فاجنح لها يعني لما امر
الله عباده المؤمنين باعداد القوة وما يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا
اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا يعني مالوا ومنه الجناح لميلانه على الطاير وبه يميل الطاير الى
احد شقيه وقد يعدى باللام والى ومعنى للسلم اي للصلح والاستسلام قرا ابو بكر عن عاصم بكسر السين
والباقون بفتحها ومعنى فاجنح لها اي وعاهد معهم وملْ الى المصالحة وتانيث الضمير لحمل السلم مع
انه مذكر على نقيضها فيه قال الشاعر ❊ السلم تاخذ منها ما رضيت به ❊ والحرب يكفيك من
انفاسها جرع ❊ روي عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير
منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداءه
من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة واذا كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم
عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين
ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة قال السيوطي على ما رواه عن ابن عباس انها منسوخة باية السيف
وقال مجاهد مخصوصة باهل الكتاب او نزلت في بني قريظة وتوكل على الله يعني فوض امرك
الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع احوالك لتخصيصه توكل على الله ولا تخف من ابطانهم
خداعا في الميل الى الصلح فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم فانه لا يحيق المكر السيء الا باهله انه
هو السميع لاقوالهم الباطلة ولدعوتك واستغاثتك العليم باحوالهم ونياتهم القبيحة وتوكلك
وبكيفية العصمة وان يريدوا بميلهم للصلح ان يخدعوك اي يغدروا بك بان يستعدوا لك
قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى ان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فلا تخف عن
خديعتهم فان حسبك الله اي فان الله كافيك بنصره ومعونته يعني فان محسبك الله
وكافيك لا تحتاج معه الى احد ويستوي في حسبك الجمع والمفرد هو الذي ايدك بنصره اي قواك
واعانك بنصره يوم بدر من غير اعداد قوة ولا رباط والان قد ايدك بالمؤمنين جميعا او بالانصار
فان قلت اذا كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول بالمؤمنين قلت والتاييد
والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة

فاما الذين

فاما الذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسايط معلومة
واما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله بالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسايط وهم
المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اتاهم لنصره عليه السلام ثم بين كيف ايده بالمؤمنين
فقال والف اي جمع بين قلوبهم اي قلوب المؤمنين وهم الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين
سنة وفي الحديث انهم تذاكروا يوم بعاث وهو يوم مشهور وكانت الغلبة فيه للاوس حتى بدا
القبيلتان للحرب فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتدعون بدعاية الجاهلية وانا بين اظهركم فعلموا
انها نزغة من الشيطان فندموا وتعانقوا وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ايضا يا معشر الانصار الم اجدكم
ضلالا فهداكم الله بي وكنتم من المتفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي فانتهوا وتعانقوا وكانوا
قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم على العصبية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والاطوار على
الضغينة في ادنى شيء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم
لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وامنوا به واتبعوه صاروا كنفس واحدة وهذا
من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في المتحابين في الله عن مجاهد قال اذا لقي
الرجل اخاه فصافحه تحاتت الذنوب بينهما كما ينثر الريح الورق وقد روى سهل بن سعد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن مالفة لا خير فيمن لا يالف ولا يولف وروى مالك في الموطا عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيمة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم
لا ظل الا ظلي فالظل كناية عن الرحمة او ظل العرش لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي لتمكن العداوة فيهم دهرا طويلا وكثرة الدماء والثارات يعني تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح
ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح اذ لا يدخل تحت قدرة البشر لكونها من عالم الغيب
ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء وفي الاية دليل على ان القلوب
بيد الله يصرفها كيف شاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم انه عزيز اي تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده يعني غالب لا يغلبه على مراده
شيء حكيم اي متقن في صنعه جعلهم بعد ذلك التفرق يدا واحدة على نصرة دين الله واعلاء كلمته
لتخصيصه حكيم لا يخرج شيء عن حكمته شيء يعني يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده او انه عزيز يقهر من
يخدعونك حكيم ينصر من يتبعونك او انه قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب والعقايد ينقلبها من العداوة
الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب والله اعلم قوله تعالى يا ايها النبي حسبك
الله اي كافيك الله وان لم يكن معك احد لما وعده بالنصر عند مخادعة الاعداء وعده بالنصر والظفر
في هذه الاية مطلقا وعلى هذا التقدير لا يلزم منه التكرار وحسبك وكافيك من اتبعك من المؤمنين
اي ان نظرت الى الاسباب حسبك من اتبعك من المؤمنين فعلى هذا من مرفوع المحل عطفا على اسم الله اي
حسبك الله وحسبك المؤمنون ويحتمل ان يكون منصوبا محلا على المفعول معه فالمعنى كفاك الله مع من
اتبعك من المؤمنين ناصرا كقوله ❊ فحسبك والضحاك سيف مهند ❊ او مجرورا بالعطف على الكاف عند
الكوفيين فانه جاير عندهم بلا اعادة الجار وهذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال

Copyright © King Saud University

وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى
الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر وقيل نزلت في اسلام حمزة رضي الله عنه حين
كمل اسلامه اربعين رجلا من المسلمين وظهر الاسلام بمكة باسلامه قال المفسرون فعلى هذين
القولين هذه الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اللباب وقيل
اراد بقوله ومن اتبعك من المومنين الانصار والاية نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع
المهاجرين والانصار ومعنى الاية حسبك الله وحسب من اتبعك من المومنين وقيل معناه حسبك
الله ومتبوعك من المومنين انتهى ثم بعد ما بين كفايته لرسوله وللمومنين بالنصر والاعداد امر
رسوله صلى الله عليه وسلم بترتيب مبادي نصره وامداده فقال يا ايها النبي حرض المومنين على
القتال اي بالغ في حث المومنين وترغيبهم على قتال المشركين بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها
تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته قال الزجاج التحريض في اللغة ان يحث الانسان غيره على
شيء حتى يعلم منه انه ان تخلف عنه كان حارضا والحارض هو الذي قارب الهلاك ففي الاية اشارة الى
المومنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي صلى الله عليه وسلم عليه كانوا حارضين اي هالكين قال الله تعالى
حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون يعني رجلا
صابرون عند لقاء العدو محتسبين انفسهم يغلبوا مائتين من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر
معناه امر كانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين
ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله تعالى الان خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الخبر انما يدخل
على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى اوجب اولا على المومنين هذا الحكم وانما حسن هنا التكليف لان الله
وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء وان يكن منكم مائة يعني
صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا فحاصله وجوب ثبات الواحد من المومنين في مقابلة العشرة من
الكفار قال الاستاد هذه عدة من الله وبشارته بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة
امثالهم بعون الله وتاييده قرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بتاء التانيث في الايتين ووافقهم ابو عمرو
ويعقوب في وان تكن منكم مائة والباقون بياء التذكير ولما قوله تعالى ان يكن منكم عشرون وان يكن
منكم الف فبالتذكير عند جميع القراء ذلك بانهم قوم لا يفقهون يعني بسبب ان المشركين قوم جهلة
قلوبهم خالية عن المعرفة لا يثبتون ثبات المومنين لرجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا لانهم
يستحقون من الله الا الهوان والخذلان وتخصيصه ان المشركين لجهلهم بالله لا يرجون من الله ثوابا يكون
باعثا لهم على المصابرة على القتال بخلاف المومنين فانهم موقنون بما اعد الله لمن يموت في سبيله من علو
الدرجات والوصول الى المثابات ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وشتان بين
من يقاتل حمية ومن يقاتل لله روي ان خالد بن الوليد رضي الله عنه في بعض الحروب مع الروم بارز
من الايام بنفسه وكان امير الجيش فقتل الف بطل من ابطال الروم ثم تقدم عليه بطريق منهم قال
له يا امير المومنين اخبرك نبيك انك لا تموت قال خالد لم ذلك قال الان ما تفعله من الاقدام انما يفعله
من اخبره صادق بانه لا سبيل للموت اليه فقال خالد اخبرني صادق القول بان كل نفس ذائقة الموت

واخبرني

واخبرني ايضا بما اعد الله لمن يقتل في سبيل الله من النعيم المقيم وكان غذائي اليوم خبز الشعير مبتلا
بالماء فانا استعجل الموت للفوز بذلك النعيم فاسلم البطريق مكانه اخرج ابو الشيخ وابن مردويه
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية يا ايها النبي حرض المومنين على القتال الاية ثقلت على المسلمين فشق
عليهم ان يقاتل عشرون مائتين ومائة الفا فخفف الله عنهم فنسخها بالاية الاخرى فقال الان خفف
الله عنكم اي لانكم وان زدتم وزاد قوة الاسلام ولكن علم ولم يزل ان فيكم ضعفا اي ضعفا
عن قتال الواحد العشرة والمائة الالف واراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فيها لا يقال تقييد التخفيف بقوله الان ظاهر الاستقامة لكن في تقييد العلم بالضعف اشكال لايهامه انتفاء العلم
بالحادث قبل وقوعه لانا نقول ان العلم متعلق به ابدا اما قبل وقوعه فبانه سيقع وحال الوقوع بانه يقع وبعد
الوقوع بانه وقع وفي قوله ضعفا لغتان فتح الضاد وهو قراءة حمزة وعاصم وضمها وهو قراءة الباقين وفي
اللباب خ عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر
واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الاية فكتب ان لا يفر مائة من
مائتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين
فنزلت الان خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة ونقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف
عنهم فظاهر هذا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الاية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر
فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المومنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المومنين فنزل الان
خفف الله عنكم ايها المومنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة انتهى فان يكن منكم مائة
صابرة محتسبة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله اي بارادته وتيسيره وتسهيله فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف
من عدوهم لا ينبغي لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر والمعنى ليقاتلوا
مثليهم وتثبتوا لهم وجوبا والله مع الصابرين يعني بالنصر والتاييد والمعونة فكيف لا يغلبون ونزل
لما اخذوا الفدى اسرى بدر قوله تعالى ما كان لنبي اي لنبي امر بالتحريض على القتال وقرئ للنبي على
العهد قيل المراد به اعتاب نبينا عليه السلام بالطف وجه حيث لم يقل ما كان لك ان تفعل كذا وفيه
من التعظيم له ما لا يخفى ان يكون له اسرى احتباس كافر للفداء يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي
اي ما صح ولا استقام وما كان ينبغي له اسرى وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك
يا محمد يعني ما كان لنبي ان يحتبس كافرا قدر عليه وصار في يده اسيرا للفداء والمن والاسرى جمع اسير
واسارى جمع الجمع قرا ابو جعفر واهل البصرة تكون بالتاء الفوقية نظرا الى لفظ الاسرى وقرا ابو جعفر
اسارى بالالف والاخرون اسرى روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسارى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم
واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله
كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر
فاضرب عنقه فان هؤلاء ايمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب

Copyright King Saud University

فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعتك رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول
ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من
اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم انتم عالة فلا يفلتن
احد منهم الا بفداء او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني في يوم اخوف ان تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضا قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فهوي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان
وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض علي
اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الاية اية اخرج هذا الحديث
الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي قدس سره واخرج مسلم في
افراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون
في هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا قوة
على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله
يا رسول الله ما ارى الذي راى ابو بكر ولكني ارى ان تمكننا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب
عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين
يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء
تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض علي اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض
علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان
يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي
في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه قوله عز وجل **حتى يثخن في الارض** والمعنى
حتى يبالغ في قتل المشركين وتغليبهم ويقهرهم بان يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي
اهله فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسر فيا سر الاسارى الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته
يقال اثخنه المرض اذا اثقله واشتدت قوته عليه وقرئ حتى يثخن بالتشديد للمبالغة **تريدون**
عرض الدنيا يعني تريدون ايها المؤمنون حطام الدنيا ومتاعها باخذكم الفداء من المشركين والخطاب
لاصحاب

لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال تريدون دون تريد وكان مراده عليه السلام اسلام قومه لا
الدنيا وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها
دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة **والله يريد الاخرة** يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين
ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع للجمهور على نصب الاخرة وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف
كقوله : اكل امرئ تحسبين امرأ : ونار توقد بالليل نارا : **والله عزيز** لا يقهر ولا يغلب بل
هو غالب على ما اراد من تغليب اوليائه على اعدائه **حكيم** في تدبير مصالح عباده يعلم ما يليق بكل حال
ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت
الحال وصارت الغلبة للمؤمنين قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد
سلطانهم انزل الله في الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار
ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم وان شاؤا اعتقوهم قال السيوطي وهذا
منسوخ بقوله فاما منا بعد واما فداء قال الامام فخر الدين والدنيا ان هذا الكلام يوهم ان قوله تعالى فاما
منا بعد واما فداء يزيل حكم الاية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتي الايتين متوافقتان وكلاهما
يدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفداء والله اعلم قال العلماء كان الفداء لكل اسير اربعين
اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الفا وستماية درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل
اسير اربعة الاف قال البيضاوي والاية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا
يقرون عليه وفي اللباب فصل قد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة الانبياء وبيانه من وجوه
الاول ان قوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر
الوجه الثاني ان الله تعالى امر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل
اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم
وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفداء وخوف العذاب وقرب
نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض يدل على انه
كان له الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة قتلوا سبعين رجلا من عظماء
المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت هذه الاية
على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة
لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا
بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفداء كان محرما واما قوله تعالى تريدون عرض
الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب لطيف لغرض اخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا
على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي
صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل
بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم

Copyright © King Saud University

بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدية والله اعلم انتهى بحروفه لولا كتاب من الله سبق
قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان
فكانت النار تنزل من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المومنون فى اخذ الغنائم والفداء انزل الله
لولا كتاب من الله سبق اى لولا قضاء من الله سبق فى اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم والاسرى
وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع
النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين
لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما فعلوا فعلا جهالة بان لم يصرح لهم بالنهى عن ذلك او ان الفدية التى
اخذوها ستحل لهم او لولا حكمه وقضاؤه سبق اثباته من الله فى اللوح المحفوظ بان لا يعاقب المخطى
فى اجتهاده لمسكم اى لنالكم واصابكم فيما اخذتم اى بسبب ما اخذتم يوم
بدر من الفداء من الاسارى قبل ان تومروا به عذاب عظيم اى لعظم ما جئتم به وهو الميل الى الدنيا
من اخذ الفداء من الاسرى قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد ممن حضر بدرا الا واحب الغنائم الا عمر
بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول
الله كان الاثخان فى القتل احب الى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب
من السماء ما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ فى له تعالى كتاب مبتدا ومن الله صفته اى لولا كتاب ثابت
من الله وسبق صفة اخرى له وخبر المبتدا محذوف اى لولا كتاب بهذه الصفة فى الوجود وسبق لا يجوز
ان يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها فكلوا مما غنمتم اى بعضه بعد اخراج الخمس حلالا طيبا
والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره فقد احللت لكم ما اخذتموه من الغنائم والفداء بالاجتهاد
فكلوا مما غنمتم حلالا اى خاليا عن الشبهة او اكلا حلالا اى شرعا طيبا لا عتاب معه كما لا عتاب مع الحلال
وروى انه لما نزلت هذه الاية الاولى كف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفداء
فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الاية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على
ساير الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال واحلت لى الغنائم ولم تحل
لاحد قبلى ق عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلم تحل لاحد الغنائم قبلنا
ثم احل الله لنا الغنائم وذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا واتقوا الله اى خافوا
الله فى مخالفته والاقدام على ما لم ياذن لكم فيه ان الله غفور اى غفر لكم ما فرط منكم فى اخذ
الفداء رحيم بكم حيث اباح لكم ما اخذتم من الفداء قال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد
قبلى كان النبى يبعث الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لى الارض مسجدا واحلت لى الغنائم واوتيت الشفاعة وقيل واتقوا الله اشارة الى المستقبل وان الله
غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ثم لما انكسرت قلوب الاسارى باخذ الفدية بحيث يخاف عليها
عدم الميل الى الايمان جبرها بقوله يا ايها النبى الذى جعلك الله بشيرا ونذيرا ورحمة للعالمين
قل انت واصحابك لمن فى ايديكم اى فى ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى قرا
ابو عمرو وابو جعفر من الاسارى بالالف والباقون بلا الف قيل كلاهما جمع اسير وقيل الاسارى جمع
الجمع

الجمع وقد مر قريبا والاية نزلت فى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اسر يوم بدر
وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج معه عشرون
اوقية من ذهب ليطعم بها اذ جاءت نوبته فكان يوم الوقعة ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم
فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون اوقية معه فلما اسر اخذت منه فى الحرب فكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شى خرجت به
لتستعين به علينا فلا اتركه لك وكلفه فداء ابنى اخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس
يا محمد تتركنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل
وقت خروجك من مكة وقلت انى لا ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث لى حدث فهو لك ولعبد الله
ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخى قال اخبرنى به ربى عز وجل فقال
العباس اشهد انك صادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله
ولقد دفعته اليها فى سواد الليل وامر ابنى اخيه عقيلا ونوفل بن الحارث فاسلما فذلك قوله تعالى يا ايها النبى
قل لمن فى ايديكم من الاسارى الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفداء ان يعلم الله فى قلوبكم
اى ان يتعلق علمه الازلى بالمعلوم فيما لا يزال بما فى قلوبكم خيرا اى ايمانا وتصديقا واخلاصا يوتكم خيرا
مما اخذ منكم يعنى من الفداء بان يخلفكم فى الدنيا اضعافه او يثيبكم فى الاخرة ويغفر لكم ما سلف منكم
قبل الايمان والله غفور يعنى لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه رحيم باهل طاعته قال العباس رضى
الله عنه فابدلنى الله خيرا مما اخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين
الف درهم مكان العشرين اوقية واعطانى زمزم وما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربى عز وجل وكان يقول ايضا انجز احد الوعدين وانا على ثقة من الاخر وروى انه قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه ما قدر
على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ منى وارجو المغفرة وقيل ان الاية نزلت فى جميع الاسارى وقيل هذا فى
لقوله تعالى لمن فى ايديكم ولقوله من الاسرى ولقوله فى قلوبكم ويوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والجواب ان
اقصى ما فى الباب ان يقال سبب نزول الاية هو العباس رضى الله عنه الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وان يريدوا اى الاسارى خيانتك اى ان يكفروا بك او نقض ما عاهدوك عليه من الاسلام
بان لم يسلموا الا خدعا فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الاول الماخوذ بقوله الست بربكم قالوا
بلى من قبل اى قبل بدر بالكفر او فقد خانوا الله اى كفروا بالله من قبل اى قبلك بكفرهم وقيل معناه وان
نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك والله اعلم فامكن اى فامكن المومنين منهم ببدر حتى
قتلوا منهم واسروا منهم قلت يعنى قتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار سبعين رجلا واسروا منهم
سبعين رجلا مع كثرة الكفار وقلة المومنين كما ذكرنا مرارا وما استشهد من اصحابه صلى الله عليه وسلم الا اربعة
عشر رجلا ستة من المهاجرين • عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب مات بقرب من الصفرا • وعمير بن
ابى وقاص • وذو الشمالين • وعاقل بن البكير • ومهجع مولى عمر بن الخطاب • وصفوان بن بيضا • ومن
الانصار ثمانية رجال • سعد بن خيثمه • ومبشر بن عبد المنذر • ويزيد بن الحارث • وعمير بن الحمام • ورافع

Copyright © King Saud University

ابن معلاء وسراقة وعوف بن الحارثة ومعاذ بن عمرو بن الجموح والحارثة رضي الله عنهم اجمعين قال الاستاد
فامكنك الله منهم واظهرك عليهم يوم بدر حتى اسرتهم وقتلتهم فان تنك الاصحاب بامره عليه السلام فان
اعادوا الخيانة فيمكنك منهم وهذه غاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل احد يخونه
او ينقض عهده والله عليم بخلقه يعني بما في بواطنهم وضمايرهم من ايمان وتصديق او خيانة ونقض عهد
حكيم في جزائهم على حسب ذلك بان يمكنك لتفعل بهم مرة اخرى ان خانوا مثل ما فعلته من قبل ثم قال في ترغيب
الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام بعد الايمان وفي احسان المسلمين الى المهاجرين باسكانهم ديارهم واعطاء فضل
طعامهم اياهم كما فعل الانصار بهم ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا اي تركوا
ديارهم واوطانهم وفوقهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا الكفار
باموالهم حيث صرفوها في الخيل والسلاح وانفقوها في المحاويج وبذلوا انفسهم في الجهاد بمباشرة القتال لطاعة
الله وابتغاء رضوانه وقدم الاموال على الانفس لان صرفها بعد الهجرة من الوطن غاية السماحة ثم شرع في وصف
الانصار فقال والذين اووا ونصروا يعني الذين اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من
المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله وهم الانصار جعلوا ديارهم ماوى المهاجرين ونصروهم
على اعدائهم اولئك يعني المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض اي في العون والنصرة دون اقربائهم
من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم
وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا
بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله تعالى في اخر هذه السورة واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله والذين امنوا ولم يهاجروا كساير المومنين الذين امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم
من شيء اي من توليهم في الميراث فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة وان كانوا من اقرب اقاربكم
حتى يهاجروا الى المدينة المنورة قرا حمزة ولايتهم بكسر الواو والباقون بفتحها عن الفراء انهما لغتان كالوكالة
وعن الزجاج بالفتح النصرة وبالكسر الامارة وانما جاز الكسر على التشبيه بالصناعة كالخياطة والحياكة كانه يتولى
صاحبه يزاول عملا ثم انه تعالى لما بين ان حكم المومن الذي لم يهاجر انقطاع بينه وبين المهاجرين توهم انه يجب
ان يتحقق بينهم المقاطعة التامة كما في حق الكفار فازال هذا الوهم بقوله وان استنصروكم اي ان استنصر
الذين امنوا ولم يهاجروا في الدين اي في امر الدين فعليكم النصر اي ففرض عليكم نصرهم واعانتهم على
الكافرين وانما تركوا الهجرة لضعفهم وعدم قدرتهم على الخروج برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس انا وامي من
المستضعفين وعن حذيفة بن اليمان خرجت انا وابي والمشركون متوجهون الى بدر فقالوا تريدون محمدا صلى الله عليه وسلم
فقلنا ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا ان لا نذهب اليه فلما جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرنا له فقال لنا اذهبوا الى المدينة
نفي بعهدهم الا على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم
لانه غدر وخيانة تلخيصه ان من لم يهاجر لو قاتلوا قوما بينكم وبينهم ميثاق وحلف فلا تنصروهم على عدوهم
لان الميثاق مانع لكم عن القتال فاصلحوا بينهم قال بعضهم ونسخ هذا باية السيف والله بما تعملون بصير
اي في النصرة وعدمها فيجازيكم به وهذا تحذير من تعدى حد الشرع والذين كفروا بالله ورسوله
بعضهم

بعضهم اولياء بعض في النصرة والارث فلا ارث بينكم وبينهم وفي الغاية انهم يتوارثون بعضهم
من بعض ولا توارث بين مسلم وكافر لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له اين تنزل غدا بمكة قال وهل
ترك لنا عقيل من دار وذلك ان عقيلا كان كافرا لما مات ابو طالب ورثه ولم يرثه جعفر ولا علي
قال الاستاد معناه بعضهم اولياء بعض في النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين اليهود
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم
من بعض انتهى قلت تلخيصه بعضهم اولياء بعض في الميراث والتواصل فلا توالوهم انتم ولا تواصلوهم بنسبة
القرابة والتوارث الا تفعلوه شرط مجزوم بان معناه ان لم تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي
بعضهم بعضا حتى في الميراث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة وما نهيتكم عنه من المواصلة بالكفار
بقطع العلاين بينكم وبينهم والتباعد عنهم والاشتغال بقتالهم تكن اي تحدث فتنة عظيمة
في الارض وهي قوة الكفار وفساد كبير وفرق كثير وهو ضعف المسلمين لان المسلمين اذا لم يصيروا يدا
واحدة على اهل الشرك ضعفوا فيظهر الشرك ويزيد الفساد قال الاستاد معناه تحدث فتنة في الارض بزوال
المومنين الى الكفار والاخذ منهم وبالعكس ويقع بينهم التقاول والتقابل لان عداوة الدين لا يمكن زوالها
وتحدث ايضا فساد كبير في الدين يعني في باب الاعتقاد والاعمال لان الولاية بينهم والتوارث من اسباب
المودة والحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء
من دون المومنين قلت فعلى هذا الا يليق والانسب بحال السني ان لا يجالس اهل البدع الا لضرورة والله المستعان
وكيف لا يكون بين المومنين المهاجرين المجاهدين وبين الذين اووا ونصروا موالاة ظاهرة وقد حصلت
الموالاة الباطنة لان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك هم المومنون حقا يعني لا شك في ايمانهم ولا مرية ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة من
الوطن ومفارقة الاهل والمسكن والجهاد في سبيل الله وبذل النفس والمال في نصر الدين فطوبى لهم قاموا
بحقوق الايمان التي منها الموالاة الباطنة المستلزمة للظاهرة وكيف لا يكون بينهم موالاة وقد افاد بعضهم
بعضا بالمال وغير ذلك من الفوايد زعم بعضهم ان هذه الاية مكررة للتي قبلها وليس كذلك فان التي قبلها
تضمنت ولاية بعضهم لبعض وتقسيم المومنين الى اقسام ثلثة وبيان حكمهم في ولايتهم وتناصرهم
وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص بكمال الايمان بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال في نصرة الحق وما ال اليه حالهم من قوله تعالى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم ورزق
كريم اي ان لهم في الجنة رزقا لا يلحقهم فيه غضاضة ولا تعب ولا منة فكل شيء شرف وعظم
في بابه قيل له كريم وقيل كررت هذه الاية لان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة
وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم
من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الاية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر في الاية الثانية
اصحاب الهجرة الثانية والحاصل لا تكرار اصلا لانه تعالى ذكر في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار
بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد
اخرى يدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شانهم وعلو درجاتهم

ثم الحق بالمهاجرين والانصار فى المغفرة والرزق الكريم من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين
امنوا من بعد اى بعد السابقين الى الايمان والهجرة وهم اهل الهجرة الثانية بعد الهجرة الاولى لان الهجرة
انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد
الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه فى الصحيحين وقيل معنى من بعد اى بعد نزل هذه الاية وقيل بعد يوم
بدر قال الامام والاصح ان المراد بعد الهجرة الاولى وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان
المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فاما من كان فى بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة وجب عليه
ان هاجر الى بلد لا يخاف على اظهار دينه بقوله تعالى وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم ايها
المهاجرون والانصار يعنى انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف
واعظم من مرتبة المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله تعالى الحق المهاجرين المتاخرين بالمهاجرين
السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح
هذا الالحاق واولوا الارحام اى ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض فى الارث من التوارث بالايمان
والهجرة المذكورة فى الاية السابقة قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى الميراث فبين هذه الاية ان سبب القرابة اقوى واولى من
سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه ذلك التوارث كما اشرنا انفا وقوله فى كتاب الله اى فى حكم الله
او فى اللوح المحفوظ وقيل اراد به القران وهو ان قسمة المواريث مذكورة فى سورة النساء من كتاب الله
وهو القران وتمسك اصحاب ابى حنيفة رحمه الله بهذه الاية فى توريث ذوى الارحام واجاب عنه الامام
الشافعى رحمه الله بانه لما قال فى كتاب الله كان معناه فى حكم الله الذى بينه فى سورة النساء فصارت
هذه الاية مقيدة بالاحكام التى ذكرها فى سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء اهل الفروض فروضهم
وما بقى فللعصبات وقوله عز وجل ان الله بكل شىء عليم يعنى انه عالم بكل شىء لا يخفى عليه خافية
ولكونه كامل العلم والحكمة جعل التوارث عند قلة المسلمين للاجانب من حيث النسب ليكون موجبا
للتناصر والتظاهر ولما قوى الاسلام وكثر اهله جعل لذوى القرابات من حيث النسب والدين والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

سورة التوبة مدنية باجماعهم

قال ابن الجوزى سوى ايتين فى
اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت بمكة وهى اخر سورة نزلت واعلم ان فى اخر ما نزل
من الايات والسور اختلافا جليا فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال اخر اية نزلت يستفتونك
قل الله يفتيكم فى الكلالة واخر سورة نزلت براءة واخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال
اخر اية نزلت اية الربوا وروى البيهقى عن عمر رضى الله عنه مثله والمراد بها قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا وعند احمد وابن ماجة عن عمر رضى الله عنه ان اخر ما نزل اية
الربوا واخرج النسائى عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال اخر شىء نزل من القران واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله الاية واخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير وقال الفريابى فى
تفسيره حدثنا سفيان عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس قال اخر اية نزلت واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله الاية وكان بين نزولها وبين موت النبى صلى الله عليه وسلم احد وثمانون يوما واخرج

ابن ابى حاتم

ابن ابى حاتم وابن مردويه وابن جرير مثله وفى المستدرك عن ابى بن كعب قال اخر اية نزلت لقد
جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة واخرج ابن مردويه عن ابى ايضا كذلك واخرج مسلم عن
ابن عباس قال اخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح واخرج الترمذى والحاكم عن عائشة رضى الله
عنها قالت اخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاتخذوه الحديث وفى حديث عثمان
المشهور براءة من اخر القران نزولا قال البيهقى يجمع بين هذه الاختلافات ان صحت بان كل واحد
اجاب بما عنده وقال القاضى ابو بكر هذه الاقوال ليس فيها شىء مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وكل قاله
بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن وقال السيوطى يحتمل ان كلا منهم اخبر عن اخر ما سمعه من النبى
صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك وان لم يسمعه هو
اقول ومما فهمت من كتب الثقات فى دفع الاختلاف والتناقض بين الاقوال المذكورة انه يعرف بالقرائن
والتامل الصادق ان الاخرية فى كل واحد من الايات والسور المذكورة مقيدة بقيد لم يوجد فى غيره
مثلا اية الربوا اخر اية نزلت فى الاحكام وسورة البراءة اخر سورة نزلت لبيان العلاقة والامان وسورة
النصر اخر سورة نزلت لبيان الفتح واليوم اكملت لكم اخر اية نزلت لبيان اكمال الدين واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله اخر اية نزلت لبيان الانذار والمواعظة وكذا ساير الايات والسور فاذا قيدت كل واحد منها
بقيد بناسبها اندفع التناقض والله اعلم بذلك ومن اسماء هذه السورة البراءة لانها امرة بالبراءة و
الانقطاع من الكفار والتوبة لان فيها ذكر التوبة قال الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار
الى قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق يعنى تبرئ منه والمبعثرة
لانها تبعثر وتظهر عن احوال المنافقين وسورة العذاب والمخزية لانه فيها خزى المنافقين والمدمرة
لانه فيها هلاك المنافقين والمشردة لانها شردت وفرقت جموع المنافقين والمثيرة لانها اثارت
واشاعت مخازى المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم والمدمدمة يقال دمدم الله
عليهم اى اهلكهم والزقهم بالارض والبحوثة لانها بحثت عن حال المنافقين والمنكلة يقال نكل به
اذا جعله نكالا وعبرة لغيره وفى الاتقان واخرج ابو الشيخ عن عكرمة قال قال عمر رضى الله عنه ما فرغ
من تنزيل براءة حتى ظننا انه لم يبق منا احد الا سينزل وكانت تسمى الفاضحة وسورة العذاب انتهى
عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة مازالت تنزل تقول
ومنهم ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال نزلت فى بدر قال قلت سورة
الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه فى الصحيحين يعنى من قوله سعيد بن جبير قال الاستاد ومن اسمائها
الفاضحة لانها فضحت طوايف المنافقين وهو ظاهر وكذا الكافرين واهل الكتاب بقوله وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال قاتلهم الله انى يؤفكون وفضح المؤمنين ايضا
بقوله يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وبقوله لا تتخذوا اباءكم واخوانكم
اولياء واشتهارها بهذه الاسماء يقتضى انها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وايها
مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلثون اية وللعلماء خلاف فى سبب اسقاط البسملة
فى اولها قال بعضهم وانما لم تكتب البسملة لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلا يلايم ذكرها قال الله تعالى

Copyright Sanghong Sang University

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا لانه لا يلايم السلام الذي يدل على الامن فكيف يذكر اسم الجلالة
مع الرحمة العامة لكافة الخلق الشاملة للدارين في نبذ العهد والاعلام بالقتل وسفك الدماء واما تصدير
كتبه صلى الله عليه وسلم بالبسملة على اهل الحرب فكان لدعايهم الى الاسلام ولم ينبذ اليهم عهدهم الا تراه
قال في اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى واما هذه السورة فقد اشتملت على المقاتلة ونبذ العهد
فظهر الفرق وقال ابن عباس رضي الله عنهما قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال
وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها
في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو
ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا انزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب عنده فيقول ضعوا هذه
الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا وكانت الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة
وكانت الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة وكانت البراءة من اخر القرآن نزولا وكان قصتها شبيهة بقصتها
وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها من اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب
سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما
سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي بن ابي طالب لم لا تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم
قال يا بني ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال
لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتح هذه السورة بسم الله
الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية
وسئل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في اخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة
بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة
اختلفوا في سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما
نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابقة فلما حصل هذا الاختلاف
بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة وقال بعضهم انه كان من شأن العرب في الجاهلية اذا كان
بينهم وبين قوم عهد وارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة براءة
بنقض العهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابتها
بغير بسملة وبعث بها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقرأها عليهم في الموسم ولم يبسمل على ما جرت
به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة اما التفسير فقوله تعالى **بَرَاءَةٌ** خبر مبتدأ محذوف اي هذه
براءة يعني قطع علاقة ووصلة كانت لكم مع المشركين وقطع عصمة كانت لهم منكم كما تقول هذا كتاب
من فلان الى فلان وهي مصدر كالنشاءة والدناءة فيجوز تعلق من الله بها كذا نقله عمر بن علي بن عادل
الحنبلي في تفسيره واصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ براءة اي انقطعت
بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته **مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**
من ابتدائية

اي ٢ بين الحديرة عليه السلام مكاتيبهم بالبسملة وبين تركها في اول هذه السورة

اي ٣ وما فصلتم بينهما

اي ٤ بينهما

اي ٥ البراءة

اي ٦ من الانفال

اي ٧ الانفال والبراءة

اي ٨ لموافقة العرب

اي ٩ هذه السورة تبري من الله ورسوله براءة من العهد الذي عاهدتم ايها المؤمنون مع المشركين

اي ١٢ للمؤمنين

اي ١٣ من المؤمنين

اي ١٤ هذه انقطاع موالاة ونبذ عهد من الله ورسوله

سورة التوبة

من ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره هذه براءة وانقطاع موالاة ونبذ عهد وصلت اليكم من الله ورسوله
لتنبذوا عهودكم **إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** عهدا مطلقا او دون اربعة اشهر او فوقها
ويجوز ان تكون براءة مبتدأ نكرة لانها تخصصت بالوصف بالجار بعدها وهو قوله من الله والخبر الى
الذين الخ وقرئ بنصبها على تقدير اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم
به المشركين قال الزجاج معناه قد برئ الله ورسوله من اعطايهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا
والخطاب في قوله عاهدتم لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم
وعاقدهم الا انه عليه السلام عاقدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا قال المفسرون
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون
عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله واما
تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم
وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق وغيرهما نزلت براءة في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيه الناس ودخلت خزاعة في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم
واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن
سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ∴ لاهم اني ناشد محمدا ∴ حلف ابينا
وابيه الا تلدا ∴ كنت لنا ابا وكنا ولدا ∴ ثمة اسلمنا ولم ننزع يدا ∴ فانصر هداك الله نصرا
عتدا ∴ وادع عباد الله يأتوا مددا ∴ فيهم رسول الله قد تجردا ∴ في فيلق كالبحر يجري مزبدا ∴
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا ∴ ان سيم خسفا وجهه تربدا ∴ ان قريشا اخلفوك الموعدا ∴
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ∴ هم بيتونا بالوتير هجدا ∴ وقتلونا ركعا وسجدا ∴ وزعموا ان لست
تدعوا احدا ∴ وهم اذل واقل عددا ∴ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم
وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم
ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين آية من صدر براءة ليقرأها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا
على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان برئت ذمة
الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله
بابي انت وامي انزل في شاني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى
يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلي
بن ابي طالب يؤذن فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم
واقام للناس الحج والعرب تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان
يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرأ عليهم اول سورة براءة وفي جامع
الاصول وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر لا ينبغي لاحد ان يبلغ الا لانه كان عادة العرب في نقض

والجمهور على رفع براءة

١٧ اي من مالك

١٩ اسم ماء

٢١ اي علياً

٣١ اي ابو بكر

٣٢ اي العيد

Copyright © King Saud University

العهود ان لا يباشره الا رجل عاهد او يكون نسيبا له قريبا منه انتهى وقال يزيد بن تبيع سالنا
عليا باى شىء بعثت فى الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة
الا نفس مومنة ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا فى حج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة
عشر حجة الوداع اقول ومعنى قوله ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة يعنى هو اشارة بان المشركين لا يقبل منه
بعد هذا غير الايمان وكان عليا رضى الله عنه قال امرت ان انادى بان يتصف الناس بما يستعد
به ان يكونوا من اهل الجنة اذ لا يقبل منهم سوى هذا والله اعلم ق عن ابى هريرة رضى الله عنه ان
ابا بكر رضى الله عنه بعثه فى الحجة التى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يوذنون
فى الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ثم اردف النبى صلى
الله عليه وسلم بعلى بن ابى طالب فامره ان يوذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا فى اهل منا ببراءة ان لا يحج
البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفى رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل
الحج الاكبر من اجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى الناس فى ذلك فلم يحج فى العام القابل
الذى حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله فى العام الذى نبذ فيه ابو بكر الى المشركين
يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله الاية فصل قد يتوهم متوهم ان فى بعث على بن ابى طالب بقراءة اول براءة عزل ابى بكر عن
الامارة وتفضيله على ابى بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم فى تلك
السنة اول حديث ابى هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه فى رهط يوذنون فى الناس الحديث وفى لفظ ابى داود و
النساى قال بعثنى ابو بكر فيمن يوذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثنى
ابو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذى اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب
العلماء عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليوذن فى الناس ببراءة بان عادة العرب ان لا يتولى تقرير
العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه كما اشرنا قبل هذا وكان على بن ابى طالب اقرب الى النبى
صلى الله عليه وسلم من ابى بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبى صلى الله عليه وسلم ليوذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة
لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا فى عقد العهود ونقضها ومن الدليل على ان ابا بكر كان هو الامير
ان عليا لما لحقه قال امير او مامور فقال مامور ثم ساروا وقيل انما خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا
لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا فى هذه الرسالة حتى يصلى خلف ابى بكر ويكون جاريا مجرى
التنبيه على امامة ابى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحاج
وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان ابو بكر الامام وعلى الموتم وكان ابو بكر الخطيب
وعلى المستمع وكان ابو بكر المتولى امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلى فدل ذلك على تقديم ابى بكر على
على وفضله عليه هكذا ذكره صاحب لباب التاويل من الشافعية وعمر بن عادل من الحنابلة نحوه الا فى الفاظ
قليلة والله اعلم **فسيحوا فى الارض** اى فسيروا ايها المشركون فى الارض بعد نبذنا العهد مقبلين ومدبرين
امنين من القتل والقتال غير خائفين احدا من المسلمين قال شمس الدين احمد بن سليمان بن كمال باشا فى تفسيره السيح
السير

السير على مهل والجرى على انبساط وانما زيد قوله فى الارض تعميما للاذن والاعلام ان السيح لا يكون
الا فى الارض انتهى قال ابن الانبارى قوله فسيحوا على اضمار القول اى فقولوا لهم سيحوا وليس هذا
من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف الى تمام **اربعة
اشهر** يعنى مدة اربعة اشهر ولا امان لكم بعدها وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان الاية
نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان
التبليغ كان يوم النحر لما ذكرنا انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كما ذكرنا وهذا
القول اصوب وعليه اكثر المفسرين واربعة اشهر ظرف لسيحوا قال مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين
كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كان مدته اكثر حطه الى الاربعة اشهر
ومن كان عهده بغير اجل محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك اى
فى الحل والحرم ويوسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان ومن لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم
وذلك خمسون يوما وقال الكلبى انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاتم له
الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده لقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم وقيل ان المقصود من هذا المدة ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه
الاجل الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا لهم الى الدخول فى الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى
الغدر ونكث العهد **واعلموا انكم** ايها الكفرة **غير معجزى الله** اى لا تفوتونه وان امهلكم يعنى انكم
لا تفوتون عذاب الله وان هذا الامهال ليس لعجز الله عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب
وقيل معناه فسيحوا فى الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم لانكم فى ملكه و
قبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه
شىء كما قدمنا قلت ولعل معنى الاخير هو الاصوب قال الاستاد معناه واعلموا ايها الكفرة انكم لو فصلتم
محاربتنا فى هذه المدة او بعدها وحكمين ارضنا باستعانة ناس اخرين لا تفوتون عذابنا وان امهلنا لكم
وهذا من جملة معجزات القران فانهم غلبوا الى يومنا هذا وما ظهر لهم اثر فى الحرمين اصلا **وان الله مخزى
الكافرين** الاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار اى هو مذلهم بالقتل والاسر فى الدنيا وعذاب
النار فى الاخرة ثم اشار الى ان هذا الامان ليس امانا عن العذاب الاخروى ولا عن الدنيوى بعد تمام
المدة بقوله **واذان من الله ورسوله الى الناس** اى اعلام صادر من الله ورسوله الى الناس
المعاهدين ومن لم يعاهد الاذان فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء وهو
عطف على براءة ورفعه كرفع براءة على الوجهين وقال عمر بن على بن عادل الحنبلى فى تفسيره قوله واذان
رفع بالابتداء اى اذان صادر او اعلام واصل ومن الله اما صفة له او متعلق به والى الناس الخبر
ويجوز ان يكون اذان خبر مبتدا محذوف اى وهذا اعلام والجاران متعلقان به قال ابو حيان ولا وجه
لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد فى زيد قايم وعمرو قاعد انتهى والظاهر
ما ذكره البيضاوى كما اشرنا بقولنا ورفعه كرفع براءة على الوجهين فعلى هذا جاز زيد قايم وعمرو قاعد
بالعطف على زيد وقال ابن كمال باشا فى تفسيره والواو عاطفة للجملة على الجملة قال الاستاد ويجوز ان يجعل من عطف

Copyright © King Saud University

المفرد على المفرد نحو زيد قائم وعمرو قاعد كما جاز عطف الجملة على الجملة والفرق بين الجملة الاولى يعنى براة من
وهذه الجملة ان الاولى اخبار بثبوت البراة وهذه الجملة اخبار بوجوب الاخبار بما ثبت فلا تكرار فى ذكر
الجملتين وانما علقت البراة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراة مختصة
بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث
من المعاهدين ومن لم ينكث **يوم الحج الاكبر** اى يوم العيد وهو يوم النحر اخرج البخارى وغيره عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فقال اى يوم هذا قالوا يوم النحر فقال
هذا يوم الحج الاكبر سمى به لانه فيه تمام الحج ومعظم افعاله كالطواف والنحر والحلق والرمى تسمية لمعظم الشئ باسم كله
ولان الاعلام كان فى يوم النحر وقيل هو يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعاله الواجبة لانه اذا فات فات الحج
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة رواه ابو داود وغيره وانما وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر لنقصان
عملها عن عمل الحج وقيل وصفه بالاكبر مخصوص بالسنة التى حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين
لانه اجتمع فيها حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم
ذلك اليوم عند المومنين والكافرين وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وقيل الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة
وقيل الحج الاكبر ايام منا كلها ثم انه تعالى بين ان ذلك الاذان باى وجه كان فقال **ان الله برئ من
المشركين ورسوله** فيه حذف تقديره واذان من الله ورسوله بان الله برئ من المشركين ورسوله
ايضا برئ منهم وان المفتوحة مع اسمها وخبرها منصوب بانه مفعول اذان على معنى اعلام منهما بان الله
برئ من عهود المشركين ورسوله كذلك برئ قال الشيخ وفى رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره
مضمر اى ان الله برئ من المشركين ورسوله ايضا برئ الثانى تقديره برئ الله ورسوله من المشركين الثالث
ان الله فى محل الرفع بالابتداء وبرئ خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول ولا تكرار فى الاية لان المقصود
من الاية الاولى البراة من العهد ومن الاية الثانية البراة التى هى نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد
والذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى الاولة براة من الله ورسوله الى يعنى برئ اليهم وفى الثانية
برئ منهم وقرأ يعقوب ورسوله بنصب اللام اى ان الله ورسوله عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع وقرئ
ورسوله بجر اللام والوجه فيه القسم من الله مثل قوله لعمرك تقديره ورسوله ان الامر كذلك وحكى ان اعرابيا
سمع رجلا يقرأ ورسوله بالجر فقال الاعرابى اذا كان الله قد برئ من رسوله فانا برئ منه فلببه القارئ الى عمر رضى
الله عنه فحكى الاعرابى الواقعة فحينئذ امر بتعليم العربية ويحكى هذه ايضا عن على رضى الله عنه وعن ابى
الاسود الدؤلى هكذا ذكره عمر بن على بن عادل الحنبلى فى تفسيره قوله تعالى **فان تبتم** اى رجعتم عن
شرككم وكفركم وغدركم واخلصتم التوحيد **فهو** اى التوب **خير لكم** من الاقامة على الشرك الذى
هو سبب براة الله ورسوله وهذا ترغيب من الله فى التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول
النار اقول والمراد الخيرية مطلقا وهو من قبيل الصيف احر من الشتاء **وان توليتم** يعنى اعرضتم
عن الايمان والتوبة من الشرك اعتمادا على قوتكم فى التخلص من قهر الله **فاعلموا انكم** ايها الكفرة
غير معجزى الله اى لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا وهذا وعيد عظيم واعلام لهم
بان الله قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى **وبشر** اى اخبر **الذين كفروا بعذاب اليم**

فى الاخرة

يعنى فى الاخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم
الشتم **الا الذين عاهدتم من المشركين** هذا استثناء راجع الى قوله تعالى براة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حى من كنانة
امر الله رسوله باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم سبعة اشهر وكان السبب فيه
انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط العهد ولم ينكثوه ولم
يقتلوا منكم ولم يضروكم قط قال بعضهم هو استثناء من قوله فسيحوا فى الارض والمعنى براة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم الى اخره وقال السلطان
هو استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين
عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا قرأ العامة بالصاد المهملة وقرئ بالضاد المعجمة اى لم ينقضوا
عهدكم وهذا لا يلائم المشهور بالصاد المهملة وهو ابلغ لانه فى مقابلة التمام **ولم يظاهروا** اى ولم
يعاونوا **عليكم احدا** من عدوكم الكافرين **فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم** اى نقضا
الذى وقع عليه العهد ولا تجعلوهم فى حكم الناكثين ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافى كالغادر
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فان هذه الطائفة
لما اتقوا النقض ونكث العهد استحقوا من الله ان يصان عهدهم ايضا عن النقض والنكث هذا
قبل تمام المدة **فاذا انسلخ الاشهر الحرم** اى اذا انقضى ومضى اخر مدة التاجيل قال السلطان
اى فاذا انقضى الاشهر الحرم التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها قيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها انتهى
قلت اما مخالفة النظم الكريم فلان الاشهر الحرم الاربعة التى ذكرت اولا فى قوله فسيحوا فى الارض اربعة
اشهر ليست عين الاشهر الحرم بل شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والاشهر الحرم الدائرة كل سنة
رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واما مخالفته للاجماع لانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم مع ان
الاجماع منعقد على انتساخها وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من محرم
واما اذا حمل الاشهر الحرم على الاشهر التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين الاية يكون امرا بمحاربتهم وقتالهم بعد انسلاخ تلك الاشهر المعينة الى ابد الاباد
قال الحسين بن الفضل وتكون هذه الاية ناسخة لكل اية فى القران فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء
على وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء وفى الغاية والاشهر الحرم التى ابيح لهم ان يسيحوا فيها وحملها على الاشهر
الحرم التى ورد بها الحديث وهى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب محض خطاء لان قتل المشركين ليس
بحرام فيها وكونها حرما للزيادة شرفها وقال ابن كمال باشا فى تفسيره واراد بالاشهر الحرم فى هذه الاية
تسعة اشهر لبنى كنانة واربعة اشهر لساير المعاهدين المذكورة فى قوله تعالى فسيحوا فى الارض اربعة
اشهر ثم قال ومن قال التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فكانه غفل عن عموم الحكم لبنى كنانة ثم قلت
قد نقص من كماله فى هذا وفيما بعده حيث تعرض للرد ببعض هو اشد الناس على من لو نفخ فيه بعض
خدمه لصار هباء ولا انسلخ عن رتبة الكمال رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتجاوز طوره ثم انى شككت

Copyright ... University

لاستادنا بعض مزلاته ومقالاته التي يتشنع بها على الاكابر في تفسيره فقال لا نتركه فان فساداته اكثر من ان يحصى ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفي اللباب ومعنى قوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعنى فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله حرم على المومنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر الحرم متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم انتهى **فاقتلوا المشركين** الناكثين عهدهم **حيث وجدتموهم** اى في الحل والحرم وهذا اطلاق يعنى اقتلوهم في اى وقت واى مكان وجدتموهم **وخذوهم** اى اسروهم والاخيذ الاسير هذا اذا تمكنتم منهم **وان لم تتمكنوا منهم اسرا وقتلا احصروهم** اى احبسوهم في المكان الذي هم فيه لئلا ينبسطوا في سائر البلاد حتى يضطروا الى القتل او الاسلام وقال ابن عباس ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام **وان انبسطوا اقعدوا لهم** اى لقتالهم **كل مرصد** اى على كل ممر وطريق يعنى كونوا لهم رصدا ورقيبا حتى تاخذوهم من اى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها هذا كله قبل التوبة **فان تابوا** من الشرك ورجعوا الى الايمان **واقاموا الصلوة** اى واتموا اركان الصلوة المفروضة التي هي عماد الدين الدال على انقياد الظاهر والباطن **واتوا الزكوة** الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم وفي الغاية معناه اى اقروا بوجوبها لان تارك الصلاة وان كان تقتل عند الشافعي وعند احمد يكفر ولكن تارك الزكوة ليس بكافر ولا تقتل اذا لم ينكر وجوبها انتهى واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما راسي العبادات البدنية والمالية **فخلوا سبيلهم** اى دعوهم يتصرفون كيف شاؤا من دخول مكة وغيرذلك من البلدان وفي الاسرار وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله قال الشافعي رحمه الله انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد هذا المجموع وجب ان تبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل اخرج ابن الشيخ عن الحسن وعن ابن عباس فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة قال حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه وارضاه يقول في مانعي الزكوة لا افرق بين ما جمعه الله تعالى قال الامام الرازي لعل مراده كان هذه الاية واخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن الربيع الظفري وكانت له صحبة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل من اشجع تؤخذ صدقته فجاءه الرسول فرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فان لم يعط صدقته فاضرب عنقه انتهى **ان الله غفور** لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة **رحيم** باوليائه واهل طاعته قال الاستاد هذا تعليل للامر بتخليتهم ولا تعرضوا لهم بشيء من الاسر وغيره لان الله غفور غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة **وان احد من المشركين استجارك** ان شرط واحد فاعل فعل محذوف لان ان لا يليها الا الفعل لفظا او تقديرا

والدليل على حذفه استجارك الملفوظ المفسر له روى ابن عباس ان رجلا من المشركين قال لعلي كرم الله وجهه ان اراد واحد منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء الاجل لسماع كلامه او لحاجة من الحاجات ايقتل فقال لا لقوله تعالى وان احد من المشركين اى المامورين بقتالهم استجارك اى استامنك وطلب منك جوارك **فاجره** اى فامنه وان لم يكن بينك وبينه ذمة وعهد **حتى يسمع كلام الله** اى قراءتك كلام الله فيعلم ما له وما عليه من الشرائع في الاسلام تلخيص المعنى وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزله عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك **ثم ابلغه مامنه** اى ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله **ذلك** اى ما امرتك به من الاجارة **بانهم قوم لا يعلمون** اى بسبب انهم دين الله وتوحيده فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل فلا بد من اعطائهم الامان قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيمة وفي الجامع وقال السدي هي منسوخة بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة والتعبير عن الفهم بالسمع لان الفهم من اهل اللسان فيفهمون المعنى كما يسمعون اللفظ وفي المعاني وفيه دليل على ان كلامه يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى ثم انه سبحانه وتعالى اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى هنا فقال على سبيل الجحد والانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا يبكثوه مع عداوة صدورهم **كيف يكون للمشركين عهد** اى لا يكون للمشركين عهد **عند الله وعند رسوله** وهم يغدرون وينقضون العهد فقوله عهدا اسم لا يكون وفي خبر يكون ثلثة اوجه الاول هو كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وقوله عند الله ورسوله على الوجه الاول والثاني ظرف للعهد او ليكون او للاستقرار الذي تعلق به للمشركين او هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد **الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** هم المستثنون من قبل من الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ومحله النصب على الاستثناء من المشركين او الجر على البدل منهم لان معنى الاستفهام المتقدم نفي اى لا يكون للمشركين عهد الا الذين لم ينكثوا او الرفع على الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فتربصوا **فما استقاموا لكم** اى فان استقاموا على العهود **فاستقيموا لهم** على الوفاء بالعهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاؤا فاسلموا بعد اربعة اشهر وقال صاحب اللباب والصواب انهم من قبائل بني بكر وهم جذيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقصكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما في فما استقاموا وجهان احدهما ان تكون زمانية

وهي المصدرية على التحقيق اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم وثانيهما شرطية اى ان استقاموا لكم
على العهد فاستقيموا لهم على الوفا بالعهد وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد
ان الله يحب المتقين يعنى انه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه وهذا استقاموا
صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة كما مر قريبا كيف اعادة ثانيا
لزيادة الاستبعاد والجحد والانكار مع التنبيه على العلة وحذف هنا يكون للعلم به اى كيف يكون
لهم معتد به عند الله وعند رسوله او كيف لا تقتلونهم نجدان تم مدة عهدهم وبقوا على كفرهم ولم
يسلموا وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا
يرقبوا فيكم اى لا يراعوا ولا ينتظروا ولا يحفظوا فيكم الا اى قرابة قال حسان لعمرك
ان الك من قريش ؛ كال السقب من رال النعام ؛ قال ابن عباس ومعنى الا اى قرابة ورحما
وقال قتادة الال الحلف وقال السدى هو العهد والذمة وانما كرر للتاكيد او لاختلاف اللفظين
وقال ابو مجلز ومجاهد الال هو الله ومنه قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة
الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعنى من الله وعلى هذا القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله
فيكم لا يحفظونه ولا يراعونه ولا يخافونه وفى الجامع وقيل الال من اسمائه تعالى بالسريانية يرادف
لفظ الجلالة والمعنى لا يرقبون الله فيكم ولا يخافونه ولا ذمة اى عهدا لا يحفظون فيكم عهدا
وحقا يعاب على اغفاله بل يوذوكم ما استطاعوا يرضونكم بافواههم وهذا كلام مستانف
وليس حالا من فاعل لا يرقبوا والمعنى يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما فى قلوبهم والحاصل قوله يرضونكم
كلام مستانف يبين حالهم المنافية لذوى الثبات على العهد وهو النفاق الذى هو شر الخصال
وانما قلنا وليس حالا من فاعل لا يرقبوا بان ارضاهم بافواههم كان قبل الظهور فان بعد ظهورهم
وغلبتهم لا يرضون المؤمنين ولان المراد بيان اثبات ارضايهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا
بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعادات بحيث ان ظفروا لم يرحموا والحالية تنافيه وتابى
قلوبهم عن موافقة ما يتفوهون به تخصيصه يرضونكم بكلامهم الحسن وتابى قلوبهم الوفا به
واكثرهم فاسقون اى ناقضون للعهد فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث
وافحش من الفسق فكيف وصفهم بالفسق فى معرض الذم وما الفايدة فى قوله واكثرهم فاسقون مع
ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا فى دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق
فى دينه فالمراد بوصفهم فاسقين لانهم نقضوا العهد وبالغوا فى العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين
مع كفرهم فيكون ابلغ فى الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقين لان منهم من وفى بالعهد
ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا اى استبدلوا بايات القران والايمان بها عرضا قليلا لا اعتداد به من متاع الدنيا وذلك
انهم انما نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم اياها
ابو سفيان بن حرب ذمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصدوا عن سبيله اى ومنعوا الناس عن الدخول فى دين الله فقد كان
ان اهل

ن اهل الطايف امدوهم بالاموال ليقووا وهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الجامع او سبيل بيته
بحضر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراهم اداهم الى الصد وقيل نزلت الاية فى اليهود
الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابهم بشئ ياخذونه من جهلتهم انهم ساء ما
كانوا يعملون عملهم هذا يعنى الشرى ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول فى دين
الاسلام او ما دل عليه قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير للمخصوص
بالذم لا تكرير ويحتمل ان يدفع التكرار بان الاية الاولى على الخصوص حيث قال فيكم والثانية على العموم
حيث قال فى مؤمن وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم او اليهود الذين كتموا صفة رسول الله او طايفة اخرى من اليهود اعانوا
المشركين على نقض العهود فكان المراد من هذه الاية ذم اولئك اليهود وهذا اللفظ فى القران يستعمل
فى اليهود غالبا فالحمل على اليهود يقتضى عدم التكرار فكان اولى وفى اللباب ومعناه ان هولاء المشركين
لا يراعون فى مؤمن عهدا ولا ذمة اذا اقدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا
ظهروا عليكم واولئك هم المعتدون فى نقض العهد فان تابوا اى فان رجعوا عن الشرك
والكفر الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفا به واقاموا الصلوة المفروضة عليهم بجميع حدودها
واركانها واتوا الزكوة اى وبذلوا الزكوة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم عند وجود المال
وانقضاء الحول فاخوانكم اى فهم اخوانكم على حذف المبتدا والجملة الاسمية فى محل الجزم على جواب
الشرط فى الدين لا فى النسب متعلق باخوانكم لما فيه معنى الفعل اى لهم ما لكم وعليهم ما عليكم
فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه ونفصل اى نبين
الايات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم من الكفر والايمان او جميع
الايات القرانية لقوم يعلمون اى يتدبرون ما فيها وهذا اعتراض واقع بين الكلامين اى
بين فان تابوا وان نكثوا قال ابن كمال باشا والواو للعطف على مقدر اى وننزل القران ونفصل الايات
قال الاستاد فى معنى ونفصل الايات اى نبين ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه
قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وقد قدمنا نحو هذا انفا وقال ابن مسعود امرتم
بالصلوة والزكوة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الزكاة والصلوة جميعا لم يفرق
بينهما وابى ان يقبل الصلوة الا بالزكوة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعنى بذلك ما ذكره
ابو بكر فى حق من منع الزكوة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلوة والزكوة
ق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من
العرب قال عمر بن الخطاب امير الخير والصواب كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه
الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر خليفة خير البشر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة
والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها وفى رواية عقالا كانوا
يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت

ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله
وان نكثوا عطف على قوله فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم اي مواثيقهم يعني
وان نكثوا ما بايعوا عليه من المواثيق والوفاء بالعهود من بعد عهدهم يعني من بعد ما عاهدوكم
عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم وتلخيصه نقضوا عهودهم الموكد بالايمان
اما بان ارتدوا عن الايمان والعياذ بالله على ان نحمل العهد على متابعة الاسلام بقرينة ذكره في مقابلة
قوله فان تابوا الاية او بان استمروا على نقض العهد والكفر وطعنوا في دينكم يعني وعابوا في
دينكم الذي انتم عليه بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي
اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد هولاء الذين نقضوا العهد كفار قريش
وهو قوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في ابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة الرسول وقيل اراد جميع
الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال
حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الاية بعد ولم يات اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون
مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وفي الاسرار قرا عاصم وابن
عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين من غير ادخال الف بينهما على الاصل والباقون بتحقيق
الهمزتين وادخال الف بينهما تخفيفا وقيل قراءة الباقين بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين وادخال الف
بينهما هذا هو المشهور عن القراء السبعة وليس فيما اشتهر عنهم قلب الهمزة الثانية ياء خالصة قال
السلطان والتصريح بالياء لحن وفي المدارك بهمزتين كوفي وشامي والباقون بهمزة واحدة غير ممدودة
بعدها ياء مكسورة واصلها اأممة لانها جمع امام كعماد واعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة
وادغمت في الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين اخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرها انتهى انهم لا
ايمان لهم وايمان جمع يمين اي لا عهد لهم قال ابن عادل في تفسيره كون الايمان جمع يمين مناسب
للنكث وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا ايمان لهم بكسرة الهمزة يعني لا دين لهم ولا تصديق
وقيل هو من الامان اي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن
في الاسلام فقد نكث عهده لان العهد معهود معه على ان لا يطعن كما تقدم نحو هذا قريبا قال الشافعي
رحمه الله يقول يمين الكافر يكونه يمينا بدليل وصفها بالنكث في قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم والنكث لا يكون
حيث لا يمين فيوجب الكفارة على الكافر اذا حنث ويقول معنى لا ايمان اي انهم لا يوفون بها وابو حنيفة رحمه الله
لا يجعلها ايمانا استشهادا بظاهر لا ايمان لهم فلا يوجب الكفارة على الكافر اذا حنث قال البيضاوي وهو ضعيف
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم انتهى قال ابن عادل الحنبلي في
تفسيره ومعنى نفي الايمان عن الكفار انهم لا يعرفون بها وان صدرت منهم وثبتت لكم ومحض المعنى ان لم
يف المشركون لكم بالعهد وعابوا دينكم فقاتلوهم لعلهم ينتهون اي لكي ينتهوا عن الطعن في
دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الاسلام ثم حض المومنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال
تعالى

تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اي فما يمنعكم من ان تقاتلوا قوما نقضوا عهودهم وهم الذين
نقضوا عقد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة قال الشيخ دخلت الهمزة على لا النافية ترغيبا
على المقاتلة وانكارا لتركها وهموا باخراج الرسول اي هموا قبل النكث باخراج الرسول من مكة حين اجتمعوا
في دار الندوة على ما ذكرناه في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فان قلت قد تقدم ان الذي
استقر رايهم عليه في المشاورة كان قتله عليه السلام فلم لم يذكره مع انه اعظم من همهم باخراجه عليه
السلام قلت اراد التنبيه الى الادنى وان ذلك كاف في المسارعة على قتالهم ليعلم منه انهم اذا كانوا بذلك
مستوجبين للقتال فكيف بما هو اعظم وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه
من المدينة وهم اي كفار قريش بدؤكم بالقتال اول مرة يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا حين
سلم العير لا ننصرف حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد به انهم بدءوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم وبخهم على خوفهم من المشركين الناكثين بقوله اتخشونهم اي اتتركون ايها المومنون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه فالله احق ان تخشوه في ترك قتالهم فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا
امره ان كنتم مومنين اي ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده فان قضية الايمان الصحيح ان لا
يخشى المومن الا من الله تعالى كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله وذلك لان المومن اذا اعتقد ان لا ضار
ولا نافع الا الله ولن احدا لا يقدر ان يضره وينفعه الا باذنه ومشيته فلا يخاف الا منه روينا
في مسند احمد بن حنبل وفي سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال له اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فان العباد لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء
لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على
ذلك وكونهم مومنين وان كان مقطوعا به اورده في صورة التشكيك لان تكاسلهم الفرضي عن القتال
بعد تحقق موجبه يوهم ذلك قال الاصم دلت الاية على انهم كرهوا هذا القتال لقوله وهو كره لكم فامرهم الله
بقوله قاتلوهم اي الذين نكثوا وبدؤا بالقتال يعذبهم الله بايديكم يريد بالتعذيب القتل يعني
يقتلهم الله بايديكم ويخزهم اي ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الهوان والذلة وينصركم عليهم
بان يظفركم بهم فان قلت اليس القتل والاسر مغنيا عن ذكر النصر قلت فائدة ذكر النصر بعدهما الوعد
بان العاقبة لهم مع ذلك القتل والاسر وان لا سبيل للعدو عليهم ويشف صدور قوم مومنين
اي ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة
حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى فتكوا فيهم ثم شفى الله صدور
خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل هم قوم من اليمن وسبا قدموا
مكة مسلمين فلقوا من المشركين اذى كثيرا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب
وانما وضع المظهر موضع المضمر للاشارة الى ان وصف الايمان هو الموجب لذلك الشفاء ويذهب
غيظ قلوبهم يعني ويذهب وجد قلوبهم وكربها بما نالوه من بني بكر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر وقد وفى الله بما وعدهم فالاية من
المعجزات ويتوب الله على من يشاء وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول والمعنى

Copyright © King Saud University

ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فيمنّ عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل
بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهولاء كانوا من ايمة الكفر ورؤساء
المشركين ثم منّ الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا وعليه قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح
الخ هكذا ذكره المفسرون ولكن فيه نظر لان سورة برأة نزلت سنة تسع وفتح مكة كانت في سنة ثمان
كما صرحوا به اللهم الا ان يقال ان المنزل في سنة تسع بعد فتح مكة هو تمام السورة وهو لا ينافي نزول
بعض اياتها قبل فتحها فيحتمل ان يكون نزول هذه الاية قبل فتح مكة كما ذكره بعض المفسرين وقرئ
ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتوبة قوم اخرين يعني ومن فوايد القتال انه يتوب بسببه بعض من تامل فيه **والله عليم** بسرائر عباده وبكل
ما يفعل في ملكه ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام **حكيم** مصيب
في احكامه وافعاله لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة لا يلحقه خطأ **ام حسبتم** خطاب للمومنين حين كره بعضهم
القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان **ان تتركوا** على ما انتم عليه **ولما**
يعلم الله علم ظهور **الذين جاهدوا منكم** اي ولم يتبين ولم يظهر ولم يتميز المخلصون منكم
وهم الذين جاهدوا من غيرهم او ولما يرَ الله الذين جاهدوا منكم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه
كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه وفي الاسرار نفى العلم واراد نفي لا زمه ونفي العلم
واراد نفي المعلوم للمبالغة من حيث ان نفي علم الله به مستلزم لعدمه اذ لو لم يكن معدوما لوجب علم الله
به للاحاطة علم الله بجميع الاشياء ولم يتعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل عن الاندراج تحت ارادة اكرم
الاكرمين وفي اللباب قوله ام حسبتم ان تتركوا هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت
فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تتركوا فلا تومروا بالجهاد ولا
تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب وقال في قوله ولما يعلم الله الخ يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي
يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي
ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازي عليه لانه انما يجازي على ما عملوا **ولم يتخذوا**
عطف على الذين جاهدوا **من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة**
اي بطانة واولياء وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج
وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او بمفعول ثان ان جعل بمعنى التصيير
وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين المخلص من غيره متوقع والمقصود من هذا نهي المومنين او اهل
عن موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم **والله خبير بما تعملون** يعني موالاة المشركين او
العمل لله وحده وقال الاستاد اي خبير بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ويزيل ما يتوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله الخ او حال من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم والحال ان الله يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شي منها **ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد**
الله يعني بها المسجد الحرام وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من روساء كفار قريش اسروا يوم بدر
ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله
وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال له علي وهل لكم
محاسن قال نعم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت
هذه الاية ما كان للمشركين اي ما صح للمشركين ولا ينبغي لهم ان يعمروا شيئا من مساجد الله فضلا عن
المسجد الحرام يعني اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله وحده
فمن كان كافرا فليس له ان يعمر مساجد الله وقيل اراد هنا بالمساجد المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة ساير
المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد وقرا الباقون
بالجمع قال الاستاد في تفسيره واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين احدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة
من بناء المسجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته
والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم
حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن
ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم
المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى **شاهدين** اي معترفين ومقرين **على انفسهم بالكفر** وذلك
باظهار الشرك وتكذيب الرسل وهو حال من فاعل يعمروا قال ابن عادل الحنبلي في تفسيره لباب الكتاب
قوله شاهدين الجمهور على قراءته بالياء نصبا على الحال من فاعل يعمروا والمراد وهم شاهدون فلما طرحت
وهم نصب وقرا زيد بن علي رضي الله عنه شاهدون بالواو رفعا على خبر مبتدأ مضمر والجملة حال ايضا
والمعنى ما استقام للمشركين ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غير الله وذلك فان
عمارة بيت الله لتعظيم البيت وصاحبه وعبادة غيره تحقير له فبينهما تناف قال ابن عباس شهادتهم
على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وكانوا كلما طافوا طوفة سجدوا لاصنامهم وقال الحسن انهم لم يقولوا
نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان
النصراني يسال من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في
رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم **اولئك** الذين يدّعون عمارة المسجد الحرام
وما يضاهيها من اعمال البر مع ما هم من الكفر **الذين** اي بطلت **اعمالهم** التي يفتخرون بها بما قارنها
من الكفر فصارت هباء منثورا **وفي النار هم خالدون** يعني من مات منهم على كفره وايراد الجملة
اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود وهذه الجملة مستانفة والظرف متعلق بالخبر وقدم للاهتمام به
ولاجل الفاصلة احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الفاسق المومن لا يخلد في النار لان هذا الكلام المفيد
للحصر انما ورد في حق الكفار فان الله تعالى جعل الخلود في النار جزاء على كفره ولو كان هذا الحكم ثابتا لغيرهم
لما صح الحصر وقيد بالكافر به **انما يعمر مساجد الله** جمهور القراء على الجمع وقرا الجحدري وحماد
ابن ابي سلمة عن ابن كثير بالافراد والجمع هنا حقيقة لان المراد جميع المومنين العامرين مساجد اقطار
الارض اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها **من آمن بالله** لما بين ان الكافر ليس له ان يعمر المسجد
بين ان اللائق لعمارته ان يكون موصوفا بصفات اربع فقال انما يعمر الخ فبين انه لا بد من الايمان بالله

لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه لا غيره والكافر ممتنع منه ذلك ولم يذكر الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم اكتفاء بذكر الايمان بالله لما اشتهر ان هذا قرين ذلك لا ينفك احدهما عن صاحبه
فكانهما شيء واحد لاشتمال كلمة الشهادة على الايمان بهما ولدلالة قوله تعالى **واليوم الاخر** عليه
لان المراد بالايمان باليوم الاخر هو الايمان بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به القران
المنزل عليه صلى الله عليه وسلم ولدلالة قوله تعالى **واقام الصلوة واتى الزكوة** اى الصدقة المفروضة
عن طيب نفس عليه لان فرضيتهما وكيفيتهما علما بما اوحي عليه عليه السلام ومن افعاله عليه السلام
ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة وهذه الاشياء مشتملة على ذكر النبوة وفي صلوح العمارة
عن اولئك الموصوفين بما ينافي عمارة المسجد الحرام واثبته على وجه الحصر لمن اتصف بالكمالات العلمية والعملية
واقتصر منها على الصلوة والزكوة لانهما مما عليه مدار الدين ومن عمارتها ادامة العبادة والصلوات الخمس و
الذكر ودرس العلم فيها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسراج وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا
وفي الطبراني عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا في بيته فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد
فهو زائر الله وحق على المزور ان يكرم زائره وفي بعض الروايات عنه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي
في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان
يكرم زائره واخرج ابن ابي شيبة عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من غدا الى المسجد او راح اعد
الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح واخرج الطبراني عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الف المسجد الفه الله واخرج احمد والترمذي والبيهقي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان واخرج البيهقي عن انس بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيمة وعن انس رضي الله عنه
من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه واخرج الطبراني
في الاوسط عن عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا لا يريد به رياء ولا سمعة
بنى الله له بيتا في الجنة واخرج ابن ابي شيبة عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ولو مفحص
قطاة بنى الله له بيتا في الجنة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة
الحشيش وفي الحديث ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا
وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
بنى لله مسجدا صغيرا او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه من
بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النسائي ومما يتعجب من بعض القضاة والمفتين
في زماننا يمنعون من يعمر مساجد الله بالذكر سيما كلمة التوحيد التي هي افضل الاذكار مع انكبابهم على المحرمات
نبهنا الله واياهم عن نوم الغفلة ونسيان الحق وقال الشيخ وكذلك في معنى واقام الصلوة واتى الزكوة
واعلم ان الاعتبار باقامة الصلوة وايتاء الزكوة في عمارة المسجد ان الانسان اذا عمر المسجد لا لاجل
لا قامة الصلوة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكوة لان الزكوة واجبة وعمارة المساجد
نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه قوله تعالى **ولم يخش الا الله** اي لم

يخش

يخش في ابواب الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس **فعسى اولئك** المنعوتون بتلك الاوصاف
الجميلة **ان يكونوا من المهتدين** الى مقاصدهم من الجنة وما فيها مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ذكره بصفة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا
لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم
ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها قال الاستاد في معنى فعسى اولئك الى اخره ان عسى من الله
واجب يعني واولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة لا الاعداء في الدين
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن اى كايمان من **امن بالله واليوم الاخر**
وجاهد في سبيل الله اى وكجهاد من جاهد في سبيل الله قال الاستاد في تفسيره معناه لو سلمنا
ان عمارة المسجد الحرام وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا ان هذه الاعمال في مقابلة الايمان
بالله والجهاد في سبيل الله شيء قليل قال المفسرون نزلت الاية في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا
فقيل بين كافر ومؤمن لقوله تعالى كمن امن وقصته ما مر مما جرى بين العباس والمسلمين يوم بدر ويروى
ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام اصحاب محمد فقال اليهود
لهم بل انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله تعالى اولئك اعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون
للمفضول ايضا درجة وقصته ما روى مسلم عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد
الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال
لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله
فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
الخ قال الشيخ ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء بت
فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما ادري ما تقولان
لقد صليت الى القبلة سنة قبل الناس وانا صاحب الجهاد وفي رواية ستة اشهر بدل سنة فانزل الله اجعلتم
سقاية الحاج الاية وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم
العباس اقره رسول الله على ذلك وعمارة المسجد الحرام عبارة عن بنايه وتشييده ومرمته وغير ذلك
مما ذكرنا قريبا واعلم ان السقاية والعمارة مصدران كالرعاية والحماية لا يمكن تشبيههما بالاعيان
والجثة فلا بد من تقدير مضاف اما في جانب المشبه اى اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن امن
الى اخره ويؤيده قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام واما في جانب المشبه به اى اجعلتم سقاية
الحاج كايمان من امن وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات واما لبعض المؤمنين
المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوها على الهجرة والجهاد ونظايرهما اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار
انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بالسقاية والعمارة بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد
قال السلطان ومعنى اجعلتم الخ انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة والدليل
على ما قاله قوله تعالى **لا يستوون عند الله** يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين امنوا بالله وجاهدوا في

سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع ايمان به
ثم بين عدم تساويهم بقوله **والله لا يهدى** اى لا يوفق ولا يرشد **القوم الظالمين** اى القوم الكافرين
الظالمين انفسهم بالاشراك بالله ومعاداة الرسول فلا لحاقهم فى الضلالة لا يساوون الذين هداهم الله
ووفقهم للحق والصواب وقيل اراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين لا مطلق الكفرة وفى
الاسرار اراد بالظالمين الذين ظلموا المسلمين بالتسوية الى الحجة والاستدلال الى الاسلام لان منهم من اسلم
كعباس بن عبد المطلب والحمل على الكفرة الذين يموتون على الشرك بعيد عن المقام انتهى ثم صرح بالفرق لفاضل
بقوله **الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة**
يعنى ان من كان موصوفا بالايمان والهجرة والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم منزلة ورتبة
عند الله ممن لم يجتمع فيه هذه الصفات وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر ثم على تقدير ان يكون الفريقان
المتخاصمان المتناظران كافرا ومؤمنا يرد عليه ان هذا يقتضى ان يكون للمفضول ايضا درجة ولكنه
ليس للكافر درجة والجواب ان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة و
الفضيلة وذكر عند الله للتشريف والتعظيم وكذلك ذكر قوله **واولئك هم الفائزون**
بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله **يبشرهم ربهم**
يعنى يخبرهم ربهم الذى رباهم بنعمة الخلق والوجود وغيره والبشارة الخبر السار الذى يفرح الانسان
عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار وقرأ حمزة بفتح الياء وضم الراء بالتخفيف
والباقون بضمها وكسر الشين والتشديد ثم فسر ما بشرهم به بقوله **برحمة** اى بثواب عظيم **منه**
ورضوان اى بالرضاء عنهم وهذا نهاية مقصود العبد اللهم ارزقنى الرضا كل الرضا **وجنات**
لهم فيها اى فى تلك الجنات **نعيم مقيم** اى دائم لا ينقطع عنهم ابدا لخصيصه بشرهم بخيرات
دائمة وسعادات باقية لا حصر لها وهذا نكر للتشريف **خالدين فيها** اى فى تلك الجنات والنعيم **ابدا**
اى لا انقطاع لذلك اكد الخلود بالتابيد حتى لا يحمل على المكث الطويل **ان الله عنده اجر عظيم** لا
يحاط به ولا يخطر على قلب بشر وهذا لمن عمل بطاعته وجاهد فى سبيله قال بعض المشايخ من وصل الى
مقام التشريف بالعندية فالله العظيم اجره اى رؤيته ولقاؤه اجره وهذا هو رضوان الاكبر واعلم ان
القلوب مجبولة على محبة من بشر بالخير فاراد الحق سبحانه ان تكون محبة العبد له سبحانه على الخصوص
ولهذا تولى بشارتهم بعزيز خطابه ولذيذ كلامه من غير واسطة الملئكة فقال يبشرهم ربهم الخ فى
معناه انشدوا ؞ لولا تمتع مقلتى بلقائه ؞ لوهبتها للمبشرى باتيانه ؞ ويقال يبشر العاصى بالرحمة
والمطيع بالرضوان ثم الكافة بالجنة ثم لما امر الله رسوله عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابيه
واخيه وقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى الاجابة ويعجب ذلك ومنهم من يتعلق
به زوجته او ولده فيقول تدعنا بلا شئ فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل **يا ايها الذين امنوا**
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء والمعنى لا تتخذوهم اولياء وبطانة يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة قال الكلبى السلطان والاية نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا
اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة
الذين

الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة وانما قلنا والمعنى لا تتخذوهم اولياء الخ بدليل قوله **ان**
استحبوا اى ان اختاروا **الكفر على الايمان** واقاموا على الكفر فلا تتولوهم قال الاستاذ وهذه
الاية متصلة بما قبلها نزلت فى قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وفى رواية عن ابن
عباس نزلت هذه الاية فى المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن ولم يتم ايمانه الا بان يهاجر
ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فشق عليهم فنزلت فهاجروا وما التفتوا قال الامام فخر
الدين الرازى هذا مشكل لان الصحيح ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن حمل هذه الاية على ما
ذكر ثم قال فالاقرب ان تحمل على انه تعالى امر المؤمنين بالتبرى عن المشركين وبالغ فى ايجابه قال كيف
يمكن هذا الانقطاع التام بين الرجل وابيه واخوانه فذكر الله تعالى ان ذلك الانقطاع واجب بسبب
كفرهم فالمؤمن لا يوالى الكافر وان كان من اقرب اقاربه ويمكن ان يقال فى دفع الاشكال ان المفسرين
قد صرحوا بان المنزل بعد فتح مكة هو تمام السورة وهو لا ينافى نزول بعض اياتها قبل فتحها فيحتمل
ان يكون نزول هذه الاية قبل فتحها فحصل التوفيق واضمحل الاشكال وانما قلنا والاية نزلت فى المهاجرين
مرتين لاختلاف بعض الكلمات فى الروايات ويقع مثل هذا كثيرا **ومن يتولهم** اى ومن يتولى الكافرين
منكم فاولئك هم الظالمون قال البيضاوى بسبب وضعهم الموالات فى غير محلها وقد وافق البيضاوى
اكثر المفسرين فى اول العبارة ثم زادوا عليه لدفع الاشكال لان عبارته يحتمل ان يراد بالظلم ظلم معصية
وظلم كفر كما لا يخفى على المتامل ولكن عبارة الامام البغوى مصرح بانه اراد بالظلم ظلم الكفر وكذلك
عبارة صاحب اللباب وصاحب الغاية وصاحب الاسرار وصاحب العقل السليم ولنفصل لكم عباراتهم
اما البغوى فانه قال ومن يتولهم منكم فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد
فاولئك هم الظالمون وكان فى ذلك الوقت لا يقبل الاسلام الا من مهاجر فهذا معنى قوله واولئك هم
الظالمون واما صاحب اللباب فانه قال ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه
بمخالفة امر الله واختيار الكفار على المؤمنين واما عبارة صاحب الغاية فانه بعد ما ساق عبارة البيضاوى
ثم قال بعد ذلك وانما نص على الظلم لان النهى ظاهر فى التحريم واما عبارة العمادى فانه ايضا بعد ما ساق
عبارة البيضاوى قال كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم واما عبارة صاحب الاسرار فانه قال بعد ما ساق عبارة
البيضاوى قال ابن عباس يريد انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ابعد الناس اليه ويبغض فى الله اقرب
الناس اليه قلت ومن الى عبارة البيضاوى فى مثل هذا المقام فقد استراح والله اعلم باسرار كتابه
وعليه اعتمادى واستنادى ولما نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الخ قال الذين اسلموا ولم يهاجروا
ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى
قل اى قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة **ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم**
وعشيرتكم والمراد بالعشيرة الاقرباء من اهل الانسان ماخوذ من العشرة قال فى القاموس عشيرة الرجل
بنو ابيه الادنون او قبيلته وقيل ماخوذ من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة
وقرأ ابو بكر وعشيراتكم على الجمع وقرئ وعشايركم **واموال اقترفتموها** اى اكتسبتموها **وتجارة تخشون**

كسادها اى ما اشتريتموه تخافون خسرانها وعدم نفاقها بفوات وقت رواجها كفوات الموسم مثلا
ومساكن ترضونها اى منازل تعجبكم الاقامة فيها احب خبر كان اليكم اراد الحب الاختياري دون
فانه لا يدخل تحت التكليف المتحفظ عنه من الله ورسوله اى من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد في
سبيله اى في اعزاز دينه تلخيصه ان الله بين انه يجب تحمل المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما واخر انه
ان كانت رعاية هذه المصالح الدنياوية عندكم احب واولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن
المجاهدة في سبيله فتربصوا اى فانتظروا حتى ياتى الله بامره اى بعقوبة والامر عقوبة
عاجلة او اجلة قال عطاء معنى بامره اى بقضائه وقال مقاتل معنى بامره اى بفتح مكة وعلى كل حال هو امر
تهديد وتخويف لا يهدى اى لا يرشد القوم الفاسقين اى الخارجين عن طاعته وفي الغاية
وهم الذين طبع الله على قلوبهم قال السلطان وفي الاية تشديد عظيم قل من يتخلص عنه قال الاستاد في
الاية تنزيل لوجود الهداية في حقهم منزلة العدم لعدم الاثر وفي الاية دليل على انه اذا وقع تعارض بين
مصالح الدنيا ومصالح الدين وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قيل قوله عز وجل وان
نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم الى هنا نزل قبل فتح مكة في المدينة ثم نزل بعد فتحها لقد نصركم الله النصر
المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم في مواطن اماكن الحرب كثيرة كبدر والنضير وقريظة
وغير ذلك قال الاستاد والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه
قاتل في ثمان منهن ويقال الجميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد
نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اى ونصركم الله في يوم حنين ايضا فاعلم الله انه هو الذى
يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب
من الطايف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز ويوم حنين عطف
على محل في مواطن بحذف المضاف في المعطوف او المعطوف اليه اى وموطن يوم حنين او التقدير في ايام
مواطن كثيرة ويوم حنين ليتناسب الامكنة او الازمنة فيقع حرف العطف موقعه ويجوز ان يراد
بالموطن الوقت كمقتل الحسين وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف
في شوال في اثنى عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وقال عطاء
كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة
الاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل
فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم
قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم تنادوا يا حماة السواد
اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس
فلما انجفل القوم هربوا ف عن ابي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة
فقال

فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسّر الى هذا الحى
من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر
وهو يقول انا النبى لا كذب • انا ابن عبد المطلب • اللهم انزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم
قال الشيخ ومن دعائه يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وقد روى ان موسى
عليه السلام دعا بهذه الكلمات يوم فلق له البحر قال البراء كنا والله اذا احمر الباس نتقى به وان
الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابى اسحاق قال قال رجل للبراء
ابن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج
شبان اصحابه واخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط
لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فاقبلوا هناك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبى لا كذب • انا ابن عبد المطلب • ثم صفهم قال الاستاد قوله
عليه السلام انا النبى لا كذب الى دال على كمال شجاعته حيث لم يخف اسمه في تلك الحالة ولم يخف
الكفار على نفسه وروى شعبة عن ابى اسحاق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة وانا
لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من
الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بسهامهم
الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر الباس
يعنى اذا اشتد الحرب والباس بالباء الموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم ساير الناس وقال غيره لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم
يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه سفيان بن الحارث وايمن بن ام ايمن قتل يوم
حنين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة مولاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو حبان ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس وابو سفيان بن الحارث
وابن جعفر وعلى بن ابى طالب وربيعة بن الحارث والفضل بن العباس واسامة بن زيد وايمن بن عبد الله
هؤلاء من اهل بيته وثبت معه ابو بكر وعمر رضوان الله عليهم اجمعين م عن العباس بن عبد المطلب رضى الله
عنهما قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة
الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار
قال العباس وانا اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ
بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى
صوتى اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها

Copyright King Saud University

فقالوا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا هم والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار
ثم قصرت على بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه
الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم
بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي هذه كلمة
لم تسمع قبل ان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم وهي مما اقتضبه وانشاه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم
كليلا يعني لا يقطع شيئا وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما
غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم
وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله
وقسم غنائمهم بين المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة
الاف من الملائكة مسومين وروي ان رجلا من بني نضر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل البلق
والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروي ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا نحن واصحاب محمد
لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا
قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انهم لم يقاتلوا ٢ اي ردونا
الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر الامام البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن
عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن ٣ اي ذهبت الى ورائه ٤ اي بدلا عنهم
ابي طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي فضرب في صدري
وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك
رسول الله قد اطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها ٥ موضع اسمه اوطاس
عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الجيش فسار
الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب
اميرهم مالك بن عوف النضري فاتى الطائف فتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير ٦ اي امير المسلمين
المسلمين رضوان الله عليه قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يومئذ ستة الاف سبي ثم اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف ٧ اي شهر شوال
عنهم واتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفيان
ابن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان ٨ اي مائة مائة من الابل
ناسا من الانصار قالوا يوم حنين لما افاء الله على رسوله من اموال هوازن ما افاء فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم

في قبة

في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني
عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو راينا يا رسول الله لم يقولوا شيئا واما اناس منا حديثة اسنانهم
فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢ اي انتم فقهاء الانصار
فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول ٣ اي الانصار
الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون ٤ من الثواب
بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس ٥ اي المرتبة وغيبة الناس
فلم نصبر ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في
المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم
فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم
الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال فما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا الله
ورسوله امن قال لو شئتم قلتم كذا وكذا اترضون ان يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون
بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت وادي
الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار م عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال اعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس
كل انسان مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس ٭ اتجعل نهبي ٦ اي غارتي
ونهب العبيد بين عيينة والاقرع ٭ فما كان حصن ولا حابس ٭ يفوقان مرداس في المجمع ٭ وما كنت ٧ اسم فرس عباس
دون امرئ منهما ٭ ومن تخفض اليوم لا يرفع ٭ قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة خ عن المسور
ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه ان يرد عليهم اموالهم
وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى
الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم ٨ اي انتظرت
بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى ٩ اي رجع
الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد
فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رايت ان ارد سبيهم فمن احب ان يطيب ذلك لهم فليفعل فقال
الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى
يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا
واذنوا هذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين **اذ اعجبتكم كثرتكم** حتى قلتم لن نغلب اليوم عن قلة واذ بدل من يوم حنين **فلم تغن عنكم**
كثرتكم **شيئا** من الاغناء او من امر العدو يعني ان الظفر على العدو فليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله
ومعونته **وضاقت عليكم الارض** من الرعب **بما رحبت** اي برحبها وسعتها وفضائها على ان ما
مصدرية والباء بمعنى مع والمعنى انكم لا تجدون موضعا تلجؤون اليه وتطمئنون فيه من شدة خوفكم
او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه **ثم وليتم مدبرين** منهزمين وثبت النبي مع عمه العباس وابن عمه

رجعتم

٦ م م

ابو سفيان بن الحارث هكذا عند اكثر المفسرين وقد شرحنا بروايات كثيرة قريبا ثم انزل الله سكينته
يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمانينة والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك لان الانسان اذا خاف رجف فواده
فلا يزال متحركا واذا امن سكن فواده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن
الامن على رسوله وعلى المؤمنين قال السلطان وانزل الله سكينته اى رحمته التى سكنوا بها وامنوا
على رسوله وعلى المومنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا
مع الرسول ولم يفروا انتهى قال الاستاد وانما كان انزال السكينة على المومنين الذين انهزموا لان الرسول عليه السلام
كان ساكن القلب قبل الانهزام وبعده ليس عنده اضطراب كما حصل للمومنين من الهزيمة والاضطراب
فى هذه الواقعة وفى الغاية اراد بالسكينة الوقار وقوة القلب وقوله على رسوله وعلى المومنين اى الذين
ثبتوا معه او من تولى منهم فانهم كروا بعد الفرار انتهى ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا
الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر وانزل جنودا لم تروها
باعينكم يعنى الملئكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على الاختلاف الواقع بين المفسرين قال
الاستاد انزل لهم من السماء لتثبيت المومنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان
الملئكة لم يقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعنى اهل هوازن بالقتل والاسر وسبى العيال وسلب
الاموال وذلك التعذيب جزاء الكافرين فى الدنيا ثم اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذاب اشد من ذلك
العذاب واعظم ثم يتوب الله من بعد ذلك الجرم العظيمة على من يشاء منهم بالتوفيق والهداية
للاسلام كما فعل ببنى من هوازن حيث اسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فرد عليهم
سبيهم والله غفور لمن تاب رحيم بعباده يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم يا ايها الذين امنوا انما
المشركون نجس اى ذو نجس بفتح الجيم والتخفيف اى قذر لخبث باطنهم ورذالة شركهم وكفرهم
ولترك غسل الجنابة وعدم تحاميهم وتحفظهم عن النجاسة وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس
او جعلوا كانهم نجس بعينه مبالغة فى وصفهم بالنجاسة والمراد النجاسة الحكمية لا النجاسة العينية
والا لما طهرهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير ولذلك قال الحسن
ابن صالح من مس مشركا فليتوضا ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة وقال الشيخ اراد بهذه النجاسة
نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة ابدانهم وهذا هو اصح
الاقوال قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من الكفار وقيل بل اراد جميع اصناف الكفار عبدة
الاصنام وغيرهم وقرى نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو كبد فى كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس
قال الفراء اذا قالوه مع الرجس اتبعوه اياه قالوا رجس نجس بكسر النون قال امامنا البغوى والنجس
بفتح النون مصدر يستوى فيه الذكر والانثى والتثنية والجمع فاما النجس بكسر النون وجزم الجيم فلا يقال
على الانفراد انما يقال رجس نجس فاذا افرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم وقوله فلا يقربوا المسجد
الحرام اى لا يدخلوا الحرم فضلا عن دخول المسجد لنجاستهم قال اكثر ائمتنا والمراد منعهم من دخول
الحرم لانهم اذا دخلوا فقد قربوا من المسجد ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام اراد به الحرم لانه صلى الله عليه وسلم اسرى به من بيت ام هانئ وقال السلطان فلا يقربوا

المسجد الحرام

المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد النهى عن الحج والعمرة
لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع انتهى والدليل فى كونهم مخاطبين بالفروع لانهم كما يعذبون
بكفرهم يعذبون بعدم امتثالهم للاوامر وعدم اجتنابهم عن المناهى وفى الجامع قال الامام منطوق الاية
لا يناسب قول ابى حنيفة ومفهومها لا يناسب قول مالك ومن الحنفية من فسر القرب بالتمكين وشتان بينهما
لفظا ومعنى ومنهم من فسر القرب بالحج والعمرة ويستدل بنداء على رضى الله عنه حين نادى فى الموسم ان لا
يحج بعد هذا العام مشرك قال الاستاد وهذا النداء من اقوى الدليل لمنع المشركين من قرب المسجد الحرام قال
صاحب اللباب قال العلماء وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان
يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعى واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار
الكفر والامام فى الحرم فلا ياذن له فى دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج
الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثانى من بلاد الاسلام الحجاز وحده
ما بين اليمامة وبين اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامى ونصفها حجازى وقيل كلها
حجازى وقال ابن الكلبى حد الحجاز ما بين جبلى طى وطريق العراق سمى حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد
وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربى وتبوك من الحجاز فيجوز للكافر دخول ارض الحجاز بالاذن
ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلثة ايام م عن عمر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما زاد فى رواية لغير مسلم واوصى
فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر فى خلافته واجل لمن يقدم تاجرا
ثلثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب اخرجه مالك فى الموطا
مرسلا م عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان يئس ان يعبده
المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادى الى اقصى
اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف العراق فى الطول ومن
جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر
ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى بعد عامهم
هذا يعنى العام الذى حج فيه ابو بكر الصديق بالناس ونادى على فيه ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك
وهو سنة تسع من الهجرة وقيل سنة حجة الوداع ثم لما نزلت هذه الاية عسر على المسلمين ذلك النهى وقالوا
من ياتينا بطعامنا وكان الكفار يقدمون اليهم بالتجارات فنزل وان خفتم عيلة اى فقرا وفاقة
وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام والارزاق ويتجرون
فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وقد اغناهم الله بالفتوح والجزية
وبانزال المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش باليمن وجلبوا الميرة
الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقرى عايلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء

قيده بالمشية ليقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل فى ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض
وفى عام دون عام لان ابراهيم عليه السلام قال فى دعايه وارزق اهله من الثمرات من امن بالله وكلمة
من للتبعيض فقوله ههنا ان شاء الله المراد منه ذلك التبعيض قال الاستاد والمقصود من ذكر هذا الشرط
تعليم رعاية الادب كما فى قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله **ان الله عليم** بما يصلحكم **حكيم**
فيما يعطى ويمنع فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب
ويقال من اناخ بعفو كريم مولاه • واستمطر سحاب جوده اغناه • عن كل سبب • وكفاه كل نصب • وقضى
له كل سؤل وارب • واعطاه من غير طلب • ثم لما ذكر شبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة شرع فى
بيان احكام اهل الكتاب فقال **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر** ولو امنوا بهما
لامنوا بالنبى اى قاتلوا الذين لا يومنون بهما على ما ينبغى فايمانهم كلا ايمان لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة
والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للامر بقتالهم وبانتظامهم بسبب ذلك فى سلك
المشركين قال الشيخ فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يومنون بالله واليوم الاخر فكيف اخبر الله عنهم
انهم لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر قلت ان ايمانهم بالله ليس كايمان المومنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم
والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يومن بالله وقيل ان من اعتقد ان العزير ابن الله
وان المسيح ابن الله فليس يومن بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس يومن بالله واليهود
والنصارى يكذبون اكثر الانبياء فليسوا بمومنين بالله واما ايمانهم باليوم الاخر فليس كايمان المومنين
وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون
ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المومنين وان زعم انه مومن **ولا يحرمون ما حرم الله**
ورسوله اى ولا يحرمون الخمر والخنزير او انهم لا يحرمون ما حرم الله فى القران ولا ما حرم رسوله فى السنة
او معناه لا يعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا باحكام من قبل انفسهم **ولا يدينون دين الحق**
اى لا يعتقدون دين الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو الاسلام بدليل قوله ان الدين عند الله الاسلام
او لا يدينون دين الحق سبحانه يعنى دين الله لان الحق هو الله او لا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون
الله كطاعتهم **من** البيان للذين لا يومنون **الذين اوتوا الكتاب** اى اعطوا الكتاب وهم اليهود و
النصارى **حتى يعطوا الجزية** غاية للقتال المامور به والجزية ما يعطى المعاهد من اهل الكتاب على عهده
وهى عطية عقوبة جزاء على الكفر على ما قطعه رسول الله على اهل الذمة سميت للخراج المضروب فى كل سنة
على رقابهم جزية للاجتزاء بها فى حقن دمائهم قال السلطان مشتق من جزى دينه اذا قضاه **عن يد**
اى عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها
بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام
المسلمين عليهم بقبولها منهم وهى حال عن الفاعل اى يعطوها مقهورين اذلاء وكذلك قوله **وهم**
صاغرون من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم اذلاء مكروبون وقال
عكرمة يعطون وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس توخذ الجزية من احدهم وتوطا
عنقه وقال الكلبى اذا اعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يوخذ بلحيته ويضرب فى لهزمته ويقال له

ادّ حق الله

ادّ حق الله يا عدو الله وقال الشافعى رحمه الله الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم **فصل**
فى بيان حكم الاية اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا
عربا واختلفوا فى الكتابى العربى وفى غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب محمد بن ادريس الشافعى الى ان
الجزية على الاديان لا على الانساب فتوخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا توخذ من عبدة الاوثان
بحال واحتج بما روى عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة
فاخذوه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود قال الشافعى رحمه الله وهو رجل من العرب
يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعى الى ان الجزية توخذ
من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة توخذ من اهل الكتاب على العموم وتوخذ من مشركى العجم ولا
توخذ من مشركى العرب وقال ابو يوسف لا توخذ من العربى كتابيا كان او مشركا وتوخذ من العجم كتابيا كان
او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز اخذها منهم ويدل عليه ما روى عن بجالة بن عبدة قال
عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
من مجوس هجر اخرجه البخارى وفى المدارك واما المجوس فملحقون باهل الكتاب فى قبول الجزية وكذا الترك
والهنود وغيرهما بخلاف مشركى العرب لما روى الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على
الجزية الا من كان من العرب انتهى عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادرى
كيف اصنع فى امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم
سنة اهل الكتاب اخرجه مالك فى الموطا عن ابن شهاب قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر
اخرجه مالك فى الموطا وفى امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف
ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راى الصحابة كان على انها لا توخذ من كل مشرك وانما
توخذ من اهل الكتاب واختلفوا فى ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروى عن على بن ابى طالب رضى
الله عنه انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم
واتفقوا على تحريم ذبايحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل فى دين اليهود والنصارى من
غيرهم من المشركين نظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فيقرون بالجزية وتحل مناكحتهم
وذبايحهم وان دخلوا فى دينهم بعد النسخ بمجى محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون
بالجزية ولا تحل ذبايحهم ومناكحتهم ومن شككنا فى امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله
يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبايحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب
من تنوخ وبهراء وبنى تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبايحهم واما الصابئة والسامرة
فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم فى اهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين واما قدر الجزية فاقلها
دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن
معاذ بن جبل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم
يعنى محتلم دينارا او عدله من المعافرى ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود والنبى صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

امره ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على
انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على
كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب ابي حنيفة ويدل عليه
ما روى عن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق
اربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلثة ايام اخرجه مالك في الموطا وقال اصحاب الشافعي اقل
الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى
الغني اربعة دنانير قال العلماء انما اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لآبائهم
الذين انقرضوا على الدين من شريعة التورية والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قد
فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا لهذا المعنى وليس المقصود
من اخذ الجزية من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم
رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلائله
وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل **وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ** جملة مبتداة سيقت لتقرير ما مر من
عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين **عُزَيْرُ ابْنُ اللّٰهِ**
مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه وهو
عاصم والكسائي فقد جعلاه عربيا فيكون منصرفا وتنوينه على الاصل والسبب في قولهم عزير ابن الله
ما روى عطية العوفي عن ابن عباس ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله التورية
ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله وابتهل فعاد حفظ التورية الى قلبه فانذر قومه به فلما جربوه
وجدوه صادقا فيه ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على
الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بخت نصر
لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرأ التورية وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره
فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله عز وجل عزيرا ليجدد لهم التورية
ويكون لهم آية بعد ما اماته الله مائة سنة قال فاتاه ملك باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت التورية
في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية فكتبها لهم من صدره
ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التورية جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه
حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التورية
في قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله وهذا القول اشنع كان في اشياع في اليهود
جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهره عليهم ولا عبرة بانكار متاخري اليهود ذلك فان
خبر الله اصدق شاهد عليهم وقال السلطان انما قال هذا القول الشنيع بعضهم من متقدميهم او ممن
كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه
بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك قالوا ما هذا الا ابن الله والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب انتهى **وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيْحُ**

ابن الله

ابْنُ اللّٰهِ قاله بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لكونه يفعل ما فعله من ابراء
الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها قال الامام فخر الدين الرازي بعد ان حكى حكاية بولص
الذي افسد عليهم دينهم بالحيل والخديعة والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل
على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة
الحقيقة والجهال قبلوا ذلك منهم وفشى هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم
بحقيقة الحال قلت وقد اشتهرت وفشت في هذه الامة المحمدية مع وجود القران بين اظهرنا وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكثرة العلماء اقوال شنيعة لا يقبله العقل والنقل كالقول بوحدة الوجود سبحان من هو باين
عن خلقه ليس كمثله شيء والقول باسلام من اجمع على كفره فان الايمان عند اليأس لا ينفع والحق سبحانه وتعالى
يقول بعد هلاك الغرق واغراقه فاخذه الله نكال الاخرة بالاحراق والاولى بالاغراق وكفى بالله شهيدا
والسكوت عن الحق مع القدرة والرضى بذلك لا يخفى معناه نبهنا الله من نوم الغفلة قوله **ذٰلِكَ** اشارة
الى ما صدر عنهم من القولين الشنيعين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة
والفظاعة **قَوْلُهُمْ بِاَفْوَاهِهِمْ** اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار
بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه الذي ليس له معنى في نفس الامر لخصيصه
انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا
بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له **يُضَاهِئُوْنَ** اي يشابهون ويوافقون
قرأ العامة بضم الهاء بعدها واو وعاصم بها مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو والكلام على حذف
المضاف اي يضاهي قولهم **قَوْلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ** اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان
الكفر قديم فيهم قال قتادة والسدي معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله
كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون
ان الملئكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة
وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولوهم
قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ اي لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى
التعجب اي حقا ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله
الله ما اعجب فعله والحاصل دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك **اَنّٰى يُؤْفَكُوْنَ** اي كيف
يصرفون عن الحق الى الباطل بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على
عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل **اِتَّخَذُوْا**
اهل الكتابين **اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ** يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم
وقراءهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله اي بالسجود لهم
والاحبار العلماء من اليهود من ولد هارون والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى عن عدي
ابن حاتم رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي

Copyright King Saud University

اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا
حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء
ورهبانها والمسيح ابن مريم يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا
الالهية بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي والحال ان اهل الكتاب ما امروا في كتابيهم وعلى السنة انبيائهم
يعني ما امر موسى وعيسى في حقهما او وما امروا في جميع الكتب الالهية الا ليعبدوا اي بان يطيعوا
الها واحدا يعني الا قوله اعبدوا الله ربي وربكم لانه هو المستحق للعبادة لا غيره لا اله الا هو استئناف
مقرر للتوحيد او صفة ثانية لالها سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك
يعبدونه قال الاستاد معناه تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون
له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال يريدون ان يطفئوا اي يريد رؤساء اليهود والنصارى
ان يخمدوا ويبطلوا نور الله اي القران الدال الناطق على تنزيه الله عن الشريك والصاحبة
والولد او حجج الله وشرعه وبراهينه الدالة على وحدانيته وتقديسه عن الولد وعن كل ما لا يليق بجنابه
الاقدس او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يعني معجزاته الباهرات الخارقة للعادات التي ظهرت على يده عليه السلام
الدالة على صدقه فهذه المذكورات انوار نيرة ودلايل واضحة في صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطاله
بافواههم اي بالسنتهم يعني بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله تلخيصه يريدون ان يردوا
القران تكذيبا بالسنتهم او يريدون ان يغيروا دين الاسلام بالسنتهم او يريدون ان يبطلوا نبوة محمد عليه
السلام بالسنتهم وكلمة التوحيد بالشرك ويأبى الله اي لا يرضى الله ولا يترك الا ان يتم اي الا ان يظهر
نوره اي دينه الاسلام تلخيصه لا يريد الله الا اتمام هذا النور وهو اعلاء التوحيد واعزاز الاسلام واظهار
القران والعمل به وايضاح الحجة والبرهان ولو كره الكافرون اي ولو كره الكافرون اتمام نور الله فهو
يظهره قال الاستاد وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة
وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ولو كرهوه اي على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق
عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى فالاشبه مثل حالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء
المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي لان قوله تعالى ويأبى الله يعني لا يريد الله لو قوعه في مقابلة قوله
تعالى يريدون الخ يعني هم يريدون الاطفاء والله تعالى لا يريد الا الاتمام وفيه من المبالغة والدلالة على
الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان
عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره تعالى زيادة اعتناء بشانه تعالى
له على تشريف قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله الذي يأبى الا ان يتم دينه هو الذي
ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ملتبسا بالهدى اي بالقران الذي هو هدى للمتقين او بالقرب
الذي انزل عليه وجعله هاديا اليه وقيل ببيان الفرائض ودين الحق اي الثابت وهو دين الاسلام

وقيل دين الله لان الحق هو الله والضمير في ليظهره للدين او للرسول اي ليغلبه وينصره على
الدين كله يعني على سائر الاديان كلها بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة او على اهلها وقال ابن عباس
الهاء في ليظهره عايدة الى الرسول عليه السلام والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره عليها
حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام
على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الله الا به قال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام
فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه
في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن
المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر
الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز وبذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما
ان يذلهم فيدينون له كذا اخرجه البغوي بغير سند م عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى قلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله
ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه
فيرجعون الى دين ابايهم قال الشافعي رحمه الله فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان
ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع الشرك دينان دين
اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل
اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا
ظهوره على الدين كله والكلام في قوله تعالى ولو كره المشركون كالكلام فيما سبق الا ان وصفهم بالشرك
بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله ثم لما وصف الله الاحبار و
الرهبان بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية اراد ان يصفهم بالطمع والحرص تنقيصا لهم وتحقيرا لشانهم
ودلالة على ان هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم اربابا فقال يا ايها الذين امنوا ان
كثيرا من الاحبار والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان
من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال الناس بالباطل
ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل في قوله عز وجل لياكلون
اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو اعظم
مقاصده والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام وقيل
المعنى انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذا من عند الله وياخذون بها ثمنا
قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم
لانهم كانوا يخافون لو امنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك الماكل وقيل ان التورية كانت مشتملة على ايات
دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة باطلة
ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى ويصدون

Copyright © King Saud University

عن سبيل الله اى عن دين الاسلام والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن كان هذا صفتهم فانهم الذين
قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ولعمرى ان من تامل فى احوال الناس والتزوير فى اهل زماننا وجد
هذه الايات كانها ما نزلت الا فى شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعى انه لا يلتفت الى الجنة
ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه فى الطهارة والعصمة مثل الملئكة المقربين حتى اذا آل الامر
الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة والذين مبتداء ضمن معنى الشرط ولذلك
دخلت الفاء فى خبره فى قوله فبشرهم فالجملة مستانفة حينئذ او عطف على الاحبار والرهبان فيكون
الموصول لبيان اوصاف الكثير من الاحبار والرهبان يكنزون اى يجمعون ويدخرون فان اصل الكنز
الجمع وجعل الشىء بعضه على بعض سواء كان ذلك بالدفن او بوجه اخر الذهب والفضة خصهما
بالذكر لفضلهما على ساير الاموال من انهما اصل التمول واثمان الاشياء او لان ذكرهما للكنز دليل
على ثبوت ما سواهما لعند الكانز غالبا والموصول اما عبارة عن الكثير من الاحبار والرهبان كما ذكرنا
فيكون مبالغة فى الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل فى
الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين من غير المنفقين وهو الانسب بقوله ولا ينفقونها فى سبيل
الله فيكون نظمهم فى سلك المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم مثلهم فى استحقاق
البشارة بالعذاب الاليم قال البغوى عند قوله تعالى فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال بعض الصحابة هذه
الاية فى اهل الكتاب وقال الاكثرون هى عامة فى اهل الكتاب وفى المسلمين وبه قال ابو ذر رضى الله عنه فالمراد
بالانفاق فى سبيل الله الزكوة لما روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية
كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع احد منا ان يدع لولده شيئا فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم ولما روى البيهقى وغيره من انه صلى الله
عليه وسلم قال ما ادى زكوته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز انما يكون عند عدم
الانفاق فيما امر الله تعالى بالانفاق فيه واما ما روى البخارى فى تاريخه عن ابى ذر من قوله صلى
الله عليه وسلم من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد زكوتها لقوله صلى الله
عليه وسلم فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها
الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره واصح الاقوال
فى هذه الاية ما ذكره ابن عمر ان كل مال اديت زكوته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه
وان كثر وان كل مال لم تؤد زكوته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه
الزكوة ويستحق على منع الزكوة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه
وفى رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسال عن الكنز ما هو فقال
هو المال الذى لا تؤدى منه الزكوة ورواه الطبرانى بسنده عن ابن عمر قال كل مال اديت زكوته فليس
بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكوته ففى الكنز الذى ذكره الله فى القران يكوى به صاحبه
وان لم يكن مدفونا وروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها
كنز وقيل الكنز كلما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه روى الطبرى بسنده عن ابى امامة قال توفى

رجل

الظاهر ما فوق اربعة الاف دينار كنز وان اخرج زكوته على هذه الرواية

رجل من اهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال النبى صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى اخر فوجد فى
مئزره ديناران فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا فى اول الاسلام قبل ان تفرض الزكوة
فكان يجب على كل من فضل معه شىء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكوة نسخ
ذلك الحكم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته
واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين
يكنزون الخ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت فى الذهب والفضة
فلو علمنا اى المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة
صالحة تعين المؤمن على ايمانه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقد اشرنا الى اصح الاقوال فى معنى
هذه الاية خ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد
زكوته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعنى
شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا
لهم الاية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب
وهى صفة اخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان فى الشدقين واللهزمتان عظمان
ناتيان فى اللحيين تحت الاذنين فان قيل كيف قال ولا ينفقونها والمذكور الذهب والفضة فاعاد
الضمير على احدهما قلنا اعاد الضمير على الفضة لانها اقرب المذكورين استغناء بذكره عن ذكر الاخر
بمعرفة السامع باشتراكهما فى المعنى المقصود او لانها اكثر وجودا فى ايدى الناس فيكون كنزها اكثر
ونظيره قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة او على المكنوزات من الدراهم والدنانير والاموال
لان الحكم عام لجميع الاموال غير مختص بهما ونظيره قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا لان كل
طائفة مشتملة على عدد كثير تخصيصه رد الكناية الى الاموال المكنوزة وهو اعيان الذهب والفضة او
الى الفضة لانها اغلب اموال الناس فبشرهم اى اخبرهم بعذاب اليم يعنى الكى بهما للكافرين الذين
لا يؤدون زكاة اموالهم ف عن ابى ذر رضى الله عنه قال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس
فى ظل الكعبة فلما راٰنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت
يا رسول الله فداك ابى وامى من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكوتها
الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاوه باظلافها كلما نفدت اخراها
عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وقد فرقه البخارى فى موضعين واما الحديث الذى
رواه ابو هريرة فقد ذكرنا صدره قريبا واما تمامه فعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت
له صفايح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت
له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما
الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها

الامم

Copyright © ... University

الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطاءه باخفافها
وتعضه بافواهها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى
يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب
بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء
ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه مسلم
بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها
بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكي
اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية
القرنين وانما استثناها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء
وهي الشاة المكسورة القرن قوله يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون
او باذكر يحمى اي يوم توقد النار ذات حمى وحر شديد عليها اي على الكنوز في نار
جهنم واصله تحمى الكنوز بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة في شدة حر الكنوز المكوية بها لان الاحماء
التسخين والنار في ذاتها سخنة فتسخينها يكون مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور
تنبيها على المقصود وهو شدة حر الكنوز فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير فالاسناد معناه
يعني على الكنوز [illegible] فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة فتكوى اي فتحرق بها
اي بالكنوز جباههم اي جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود لا يوضع دينار على
دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته وانما عد
هذه الثلاثة لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه بالجباه والجنوب وولوه ظهورهم وهذا داب [illegible]
وعادة البخلاء او لان هذه الاعضاء اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسية
التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه فان قلت
من لم يكنز ولم ينفق في سبيل الله في المعاصي هل يكون حكمه في الوعيد حكم من كنز ولم ينفق في سبيل الله قلنا
ان ذلك اشد لان من بذر ماله في المعاصي عصى من جهتين بعدم الانفاق في سبيل الله والتبذير
كشراء الخمر وشربها من جهات ان كانت المعصية تتعدى كالزنا على ظلم مسلم من قتله واخذ ماله
ثم يقال لهم توبيخا هذا ما كنزتم لانفسكم اي جمعتم لتنتفعوا به في الدنيا فصار عينه
مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي فذوقوا العذاب بما كنتم تكنزون
في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها وقرئ تكنزون بضم النون [illegible]
لا يؤتون الزكوة [illegible] عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها
ملأ من قريش اذ جاء رجل اخشن الثياب اخشن الجسد اخشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى
عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفه

حتى يخرج

حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رايت احدا منهم رجع اليه شيئا
قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رايت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون
شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها زاد البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه
فقلت ما شيء سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيئا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي
الجامع واخرج الشيخان ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا والشيخان ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جاء يوم القيمة
شجاعا من نار فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى
بين الناس وصح عن ابن مسعود امرنا باقام الصلوة وايتاء الزكوة ومن لم يزك فلا صلاة له
وفي رواية فليس بمسلم والطبراني ما تلف مال في بر ولا بحر الا بمنع الزكاة مانع الزكاة يوم القيمة في
النار والبزار والبيهقي ما خالطت الصدقة او قال الزكوة مالا الا افسدته وصح ما منع قوم الزكوة الا
حبس الله عنهم القطر وفي رواية صحيحة الا ابتلاهم الله بالسنين والطبراني حصنوا اموالكم بالزكاة
وداووا مرضاكم بالصدقة واعدوا للبلاء الدعاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من كان له
مال يبلغه حج بيت الله ولم يحج او يجب فيه الزكوة ولم يزك يسأل الرجعة عند الموت فقال له رجل اتق
الله يا ابن عباس فانما يسأل الرجعة الكفار فقال ابن عباس ساتلو عليك بذلك قرآنا قال الله تعالى
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اي فاؤدي
الزكاة واكن من الصالحين اي احج والخطيب وغيره طعام السخي دواء وطعام الشحيح داء والديلمي الويل الويل
لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر وابن عدي لا يجتمع الايمان والبخل في قلب رجل مؤمن ابدا قال
الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيمة وفي هذا الباب آيات واحاديث كثيرة اكتفينا بهذا المقدار قوله تعالى ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر قرأ الجمهور بفتح الشين شهرا وهي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر
وجمادى الاولى وجمادى الاخرى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة
وذو الحجة والمعنى ان مبلغ عددها المعتد به للسنة من غير زيادة عند الله يعني في علمه وحكمه اثنى
عشر شهرا اي شهور السنة القمرية في كتاب الله اي مثبتا في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه
جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل المراد به كتاب الله القرآن لان فيه آيات تدل على
الحساب ومنازل القمر وقيل المراد به كتاب الله الحكم الذي اوجبه وامر عباده بالاخذ به وفي تفسير
السمرقندي ويقال لان عدة الشهور يعني عدة الشهور التي وجبت عليكم الزكاة فيها اثنا عشر شهرا
قلت مراده بهذا المعنى ربط الآية بما قبلها لان المراد هنا بيان ان احكام الشرع مطلقا تبتني على الشهور
القمرية المحسوبة بالاهلة لقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج دون الشمسية قوله
عند الله [illegible] وقوله عند الله معمول لعدة لانها مصدر وقوله اثنا عشر شهرا خبر ان وقوله في كتاب الله
صفة لاثنا عشر شهرا [illegible] اراد الله هذه الشهور شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير
القمر في المنازل وهي شهور العرب التي تعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر

Copyright King Saud University

امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن
دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية
عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج
تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من اجل النسيء يعنى به تاخير
حرمة الى شهر اخر وكانت العرب فى الجاهلية اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه
شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وكانوا ينقلون الحج من الشهر الذى
امر الله باقامته فيه الى شهر اخر فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى الصفر وتارة
فى غيره من الشهور فامر الله تعالى الناس واعلمهم فى القران على لسان نبيه بان عدد شهور سنة
المسلمين التى تعبد واها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وقوله **يوم خلق السموات
والارض** متعلق بما فى كتاب الله من معنى الثبوت او بنفس الكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا
امر ثابت فى نفس الامر من خلق الله السموات يعنى ان هذا الحكم حكم الله به وقضاه يوم خلق الله الاجرام
والازمنة ان السنة اثنا عشر شهرا قال الشيخ اليوم عبارة عن طلوع الشمس وغروبها وليس فى جلال القدم
شرق الحدث ومغربه المشارق هناك ازال وازال الازال والمغارب اباد واباد الاباد والدهر الدهار
الفلك الدوار فابانه فى قدم الرحمن او جد من العدم وقتا بعد يوم فخلق الخلق فى ذلك اليوم **منها** اى من
الشهور **اربعة حرم** جمع حرام سميت بذلك لتحريم القتال فيها واحد منها فرد وهو رجب مضر لترجيب
العرب اياه اى لتعظيمه ويقال له الاصب لانه يصب فيه البركات والاصم لانه تصم فيه الاذان عن سماع
قعقعة السلاح نطق بهما الحديث وثلثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة
للحج والمحرم لتحريم القتال فيه قال الاستاد وانما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها
وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقى قاتل ابيه وابنه واخيه فى هذه الاشهر لم يهجه ولما جاء
الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات
ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم ومن اراد تفاصيل فضايل شهر رجب فليرجع
لغنية شيخنا عبد القادر الجيلانى قدس سره **ذلك** اى تحريم الاشهر الاربعة وتعظيمها **الدين القيم**
اى هو الدين القويم المستقيم القديم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب ورثته منهما
الى ان غيره بنو كنانة بالنسيء الاتى ذكره قال السمرقندى فى تفسيره فى معنى الدين القيم يعنى ذلك الحساب
المستقيم لا يزاد عليها ولا ينقص وقال مقاتل بن حيان ذلك الدين القيم يعنى ذلك القضاء البين
وهكذا قال الضحاك انتهى وفى تفسير الاستادين معناه ذلك الدين المستقيم والعدد الصحيح المستوى فالدين
بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت
وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذى لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى القايم الذى لا يزول فالواجب على
المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد فى صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم وغير
ذلك من ساير احكام المسلمين المرتبة على الشهور **ق** عن ابى بكرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم

ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ثم قال اى شهر هذا قلنا
الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال اى بلد هذا
قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلد الحرام قلنا بلى قال فاى يوم
هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن
اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل بعض من بلغه
ان يكون اوعى له من بعض ما سمعه ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد انتهى وانما اطنبنا
فى شرح الاية ليفهم المبتدى ويزيد بذلك علما المنتهى والله اعلم بنيتى وهكذا ديدنتى الى اخر الكتاب
ان شاء الله تعالى نرجو من الناظر فى غنيتنا ان لا ينسى الحقير من صالح دعايه ثم قال الله تعالى
فلا تظلموا فيهن انفسكم اى فلا تظلموا انفسكم فى جميع اشهر السنة بفعل المعاصى وترك
الطاعات وانما قلنا فى جميع اشهر السنة لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصى
والفساد مطلقا فى جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الضمير فى قوله فيهن راجع الى الاشهر الحرم وهو قول
اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا فى الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان
الظلم على كل حال عظيما قلت فالمعنى على قول قتادة لا تظلموا انفسكم فى جميع اشهر السنة سيما فى الاشهر الحرم وقال
ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم تريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحاق بن يسار لا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم
حال الفساد فالامتناع منه على الاطلاق شاق على الانفس لا جرم ان خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم
والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فلربما تركها فى بعض الاوقات
فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحترمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصى فى غيرها من
الاشهر فهذا وجه الحكمة فى تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا
وفى بعض التفاسير وفى الاية تقديم وتاخير تقديره ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فلا تظلموا
فيهن انفسكم منها اربعة حرم يعنى وخاصة فى الاربعة الاشهر قال الاستاد فان قيل اجزاء الزمان متساوية
فى الحقيقة فما السبب فى تفضيل بعض الاشهر على بعض وتميزه اجيب بان هذا المعنى غير مستعمل فى الشرايع
كما ميز الحرمين الشريفين والبيت المقدس عن ساير البلاد وميز يوم عرفة عن ساير الايام بعبادة مخصوصة
وميز يوم الجمعة عن ساير الايام وميز شهر رمضان عن ساير الشهور بمزيد حرمة وميز بعض ساعات
لوجوب الصلوة فيها وميز ليلة القدر عن ساير الليالى وميز بعض الاشخاص بالرسالة فاى استبعاد
فى تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فله
ان يعظم من امره ما شاء قال الاستاد وامر التفضيل ثابت فى الاشخاص الى قيام الساعة قال الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فالنبى عليه الصلاة والسلام فضل بعض اصحابه على بعض بما فيه من الخصايل
الحميدة ليس فى غيره والتابعين فضل بعضهم على بعض وهكذا الحكم فى المجتهدين ومن بعدهم فمنهم من يفضل
محمد بن ادريس الشافعى المطلبى لعلمه وزهده ونسبه المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يفضل مالكا

Copyright © King Saud University

وابا حنيفة لعلمهما وسبقهما ومنهم من يفضل احمد بن محمد بن حنبل لعلمه وزهده حشرنا الله في زمرتهم
جميعا ومتعنا الله بعلومهم وبركاتهم والمرء مع من يحب قال البيضاوي في معنى قوله تعالى فلا تظلموا فيهن
انفسكم يعني بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم
بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطا انه لا يحل للناس ان
يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف
وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة انتهى قلت واراد بالرواة في قوله ما روي انه صلى الله عليه وسلم
حاصر الطائف الخ قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري واما عطاء بن ابي رباح فانه لا يقول
بالنسخ لان ابن جريج قال حلف عطاء بن ابي رباح بالله بانه ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في
الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا ومما يؤيد ما ذهب اليه الجمهور ايضا هو انه صلى الله عليه وسلم كان في
الابتداء مأمورا بالصفح والاعراض عن المشركين ثم امر بالدعاء الى الدين بالموعظة والمجادلة بالاحسن
بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة الاية ثم اذن بالقتال اذا كان البداءة من الكفار بقوله تعالى اذن
للذين يقاتلون الاية وبقوله تعالى فان قاتلوكم فاقتلوهم ثم امر بالقتال ابتداء في بعض الازمان بقوله تعالى
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الاية ثم امر بالبداءة بالقتال مطلقا في الازمان كلها وفي الاماكن
باسرها فقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وقوله تعالى وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
ومما يؤيد ما ذهب اليه الجمهور ايضا قوله تعالى **وقاتلوا المشركين كافة** اي جميعا في كل الشهور **كما يقاتلونكم**
كافة يعني كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتال المشركين ولا تخاذلوا ولا
تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدائكم
من المشركين في اي شهر ومكان كان لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة **واعلموا ان**
الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصر والمعونة على اعدائهم بسبب تقواهم ثم فسر الظلم
المنهي عنه بقوله **انما النسيء زيادة في الكفر** اي تاخير حرمة شهر الى شهر اخر كتاخير المحرم الى
صفر زيادة الاثم في كفرهم بحكم الله ومعنى النسيء المذكور في الاية هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر وذلك
ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة
ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك
ثلثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخيرهم الى الاشهر الحلال
فنسؤا اي اخروا تحريم شهر الى شهر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحلون المحرم ويحرمون
صفر فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا ويؤخرون شهرا
بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين
ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر رضي الله عنه
في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع
وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ذي الحجة

الذي الحجة كالاول يعني رجع الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله
عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة
على ذلك لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في اول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة
ومجاهد اول من نسأ بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية الكناني وقال
الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس في الموسم فاذا
هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له
المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال
ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا الاوتار القسي وركبوا
الاسنة في الرماح واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم
وفينا ناسئ الشهر القلمس ❁ وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن
الضحاك عن ابن عباس ان اول من نسأ النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث ابي هريرة
وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه
في النار هذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله عز وجل في قوله انما النسيء زيادة في الكفر قال الشيخ معناه
زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب
اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسيء فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان
ذلك الفعل زيادة في كفرهم قلت ويعتبر من هذا كما ان الكفر يزيد بالعمل فكذلك الايمان وانما سمي هذا العمل كفرا
لانه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس فهو كفر انضم الى كفرهم والله اعلم **يضل به الذين**
كفروا قرا العامة بفتح الياء وكسر الضاد وحسن اسناد الضلال الى الذين كفروا لانه يضل بالنسيء الذين كفروا سواء
غيرهم ام لا والمعنى على قراءة العامة اي يضل بالنسيء الذين كفروا اتباعهم من الناس وهم ايضا ضلال
في انفسهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بضم الياء وفتح الضاد على البناء للمفعول ومعناه ان كبارهم
اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله بالنسيء الذين كفروا ويضل به
الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين تابعيهم والاخذين بافعالهم وهذا
الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرا يضل بضم الياء وكسر الضاد وذلك قراءة يعقوب من اضل
وذكرنا معناه **يحلونه** الضمير البارز للمنسوء الدال عليه النسيء اي يحلون المنسي من الاشهر الحرم
عاما اي سنة وهي السنة التي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام **ويحرمونه** اي ويحرمون مكان المنسي
عاما اي شهرا منه لا يقاتلون فيه تلخيصه يحلون شهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه على
اعدائهم ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغزوا فيه ولا ينهبوا **ليواطئوا عدة** اي عدد **ما حرم الله**
يعني يفعلون ما فعلوا ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة قال الشيخ اللام متعلق بيحرمونه او بما دل عليه مجموع
الفعلين مثل يفعلونه او يرتكبونه تلخيصه انهم فعلوا النسيء لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة
كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد فقط لا في الحكم فذلك قوله **فيحلوا ما حرم الله** من القتال

Copyright © King Saud University

بمجرد موافقة العدد من غير مراعاة وقت زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا
العمل اى احسن اليهم قبح اعمالهم والجمهور على بناء زين للمفعول والفاعل المحذوف هو الشيطان وقرئ ببنائه
للفاعل والفاعل هو الشيطان وسوء مفعوله وقيل الفاعل هو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم
حسنا والله لا يهدى القوم الكافرين يعنى انه تعالى لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق له فى الازل انه
من اهل النار والخبيصه والله لا يهدى هداية موصلة الى الاهتداء حال اختيارهم الثبات على الباطل ثم لما شرح
معايب الكفار من النسئ وغيره عاد الى الترغيب فى قتالهم فقال يا ايها الذين امنوا بجميع ما جاء به الرسول
من عند الله وخصوصا بفوايد الاخرة للمجاهدين على الحق ودناءة الدنيا ما ذا عرض لكم اذا قيل
من جهة الله ورسوله نفعا لكم انفروا اى اخرجوا للقتال فى سبيل الله اى فى جهاده اثاقلتم
اى ابطاتم قال ابو البقاء اثاقلتم ماض بمعنى المضارع اى ما لكم تتثاقلون والعامل فى اذا معنى الفعل اى ما تصنعون
اذا قيل لكم او ما دل عليه اثاقلتم بمعنى تعديتم ولم تخرجوا او ملتم الى الارض الى الدنيا وشهواتها وتركتم
الجهاد فاللام للجنس والقصد الى المعنى المكنى عنه او الى ارضكم ودياركم فاللام للعهد نزلت حين امروا بغزوة
تبوك بعد الفتح وحنين امرهم بالنفير فى الصيف لجهاد الروم حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا
الظلال وشق عليهم الخروج لشدة الحر وكثرة العدو وبعد المسافة والخوف من عسكر الروم فعاتبهم الله
بقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا ولذاتها وشهواتها والاستفهام للتوبيخ من الاخرة اى بدل نعيمها والخبيصه
ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا اى فما التمتع
بالدنيا فى جنب الاخرة الا قليل مستحقرة لان لذات الدنيا ونعيمها فان زايل ينفد عن قريب ونعيم الاخرة
باق على الابد وفى الاية دليل على وجوب الجهاد فى كل حال وفى كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن
الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور من قبل الوعيد
المذكور فى الاية الاتية وهى قوله الا والا هنا ليس للاستثناء وانما هو حرف شرط دخل على لا اى ان لا
تنفروا يعنى ان لم تخرجوا للحرب بعد الامر به يترتب عليكم ثلاث خصال احدها قوله تعالى يعذبكم الله
عذابا اليما فى الدنيا بحبس المطر عنكم وفى الاخرة بالنار قال نجدة بن نفيع سالت ابن عباس عن
هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احياء العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم
المطر فكان ذلك عذابهم والثانية قوله تعالى ويستبدل قوما غيركم اى يهلككم ويستبدل بكم قوما
اخرين خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان
الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى
حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت
النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم ولئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل
الا بهم والثالثة قوله تعالى ولا تضروه شيئا الضمير البارز لله تعالى اى ولا تضروا الله شيئا بتخلفكم
لانه غنى عن العالمين وانما تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير للرسول
صلى الله عليه وسلم يعنى ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا بترككم نصرته فان الله تعالى ناصره على اعدائه
ولا يخذله لانه وعده بالعصمة ووعده حق وفى قوله والله على كل شىء قدير تنبيه على انه قادر
على نصرة

على نصرة دينه ورسوله باى وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كائنا من كان
فيقدر على التبديل وتبديل الاسباب والنصر بلا مدد كما قال الا تنصروه اى ان لم تنصروا النبى والا ليس
للاستثناء وانما هو حرف شرط دخل على لا فقد نصره الله اى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة
تبوك فالله تعالى ينصره كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا يعنى كفار مكة من مكة وانما اسند الاخراج
الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه عليه السلام اذن الله له فى الخروج فكانهم اخرجوه والخبيصه انه
تعالى نصر نبيه فى الوقت الذى اخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله ثانى اثنين
يعنى هو احد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضى الله عنه وهذا كقولك ثالث ثلاثة
ورابع اربعة والخبيصه لم يكن معهما غيرهما فنصرهما الله فى مثل تلك الحالة فلا يخذله فى غيرها وثانى بنصب
الياء حال من مفعول اخرج اى حال كون الرسول احد اثنين فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل مقام الجزاء
وقرئ ثانى اثنين بسكون الياء على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب اذ هما فى الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد بزمان الاخراج زمان متسع فالعامل فيها فقد نصره الله
والغار نقب عظيم يكون فى الجبل وهذا الغار هو فى جبل ثور وهو قريب من مكة نحو ساعة فى ناحية
ركن اليمانى مكثا فيه ثلثا ويجمع الغار على غيران كتاج على تيجان وقاع على قيعان اذ بدل ثان
من اذ اخرجه يقول الرسول لصاحبه وهو ابو بكر الصديق لا تحزن اى لا تجزع وذلك ان ابا بكر رضى الله
عنه خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن قال
السمرقندى وانما كان ابو بكر يخاف على نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذهاب التوحيد والاسلام لا على
نفسه قلت وان خاف الصديق على نفسه مثلا فلا نقص فى ذلك فان الله يقول لكليمه موسى واخيه هارون
لا تخافا اننى معكما الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه لا تحزن وقال الله لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
ولا تحزن عليهم ولم يكن حزن الصديق من المعاصى بل هو من باب التقرب والشفقة على الرسول عليه السلام
ولا عبرة بظنون الروافض تبا لهم وانت خبير برقة قلب الصديق وشفقته على النبى وامته وقد سمعت
ما قالت عايشة فى حق والدها حين امر النبى عليه السلام بان يصلى ابو بكر بالناس قوله ان الله معنا
يعنى بالنصر والمعونة قال الشعبى عاتب الله اهل الارض جميعا فى هذه الاية غير ابى بكر وقال الحسين بن الفضل
من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القران وفى ساير الصحابة اذا
انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر انت صاحبى على
الحوض وصاحبى فى الغار اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ق عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال
نظرت الى اقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا
تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال شيخ الشيوخ وامام اهل الكشف والنقل محى
الدين النواوى رحمه الله معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل فى قوله تعالى ان
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظم توكل النبى صلى الله عليه وسلم حتى فى هذا المقام وفيه
فضيلة لابى بكر عليه السلام وهى من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما
ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته فى طاعة الله وطاعة رسوله وملازمته النبى صلى الله

Copyright King Saud University

عليهم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه وليلة واحدة من لياليه
اما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهينا اليه قال والله لا تدخله حتى
ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها
به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووضع راسه الشريف في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما لك يا ابا بكر قال
لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب
موته واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني
عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية
وخوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه
علامة لاحد قال الامام البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي
ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب
فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ
الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل فنزل وقال له انه ان اقتل فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت
هلكت الامة

ذكر سياق الهجرة وهو من افراد البخاري

عن عائشة رضي الله عنها
قالت لم اعقل ابوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد
لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح
في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم
وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد
ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش فقال لهم ان ابا بكر
لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين
على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر
وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا بذلك ولا
يستعلن فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد
ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي
فيه فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا
يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم
فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره
فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فاته فان احب ان يقتصر على

ان يعبد

ان يعبد ربه في داره فليفعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا
ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت
الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني
اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ
بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني اريت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من
هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب
قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة
الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي
يا رسول الله قال فاني قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحابة بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت
فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت
به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور
فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر
فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى
عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل
حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلث واستاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر
بالهداية وقد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه ودفعا اليه
راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن
فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني
عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن جعشم
يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية كل واحد منهما لمن
قتله او اسره فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا
ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت
فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت
فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر
البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم
فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت

Copyright © King Saud University

بما اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت
عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء
مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم الامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع
في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد
جعلوا فيك الدية واخبرتهم ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني الا ان
قالا اخف عنا فسألته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب قال عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير
في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب
بياض وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة
فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى
رجل من يهود على اطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين
يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون
فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى
نزل بهم في بني عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على
التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين
يتيمين في حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته هذا ان شاء الله
المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول
الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه ويقول وهو ينقل اللبن
هذا الحمال لا حمال خيبر ❊ هذا ابر ربنا واطهر ❊ ويقول ❊ اللهم ان الاجر اجر الآخرة ❊ فارحم الانصار
والمهاجرة ❊ فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات اخرجه البخاري بطوله **شرح غريب الفاظ الحديث**
قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء
من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد
وقيل هو قليب ماء لبني تغلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا
لا يتعذر عليه كسب كل شيء حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول انه يملك الشيء المعدوم
الذي لا يقدر عليه فيه فيه صفة بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام في القيام

بامر العيال

بامر العيال وقرى الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده انا لك
جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي قوله تقصف الناس عليه يعني
ازدحموا عليه والذمة العهد والامان واخفارها نقضها واللابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة
سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء اي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة
وقت شدة الحر والنطاق حبل او نحوه تشد به المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من اعلاه
الى اسفله لئلا يصل الى الارض وفوقها تعقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع
الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير اول الليل وبتشديدها سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء
وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم
في الحديث وهو الماهر بالهداية واراد به هداية الطريق هو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في آل
فلان اذا اخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب
الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام
القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثان الغبار يقال ما رزأت فلانا شيئا اي ما
اصبت منه شيئا والمراد انهم لم يأخذوا منه شيئا وقوله اوفى اي اشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن
وقوله مبيضين هو بكسر الياء اي عليهم ذوو ثياب بيض والمربد الموضع الذي يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا
الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة في الآخرة
لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن
لاجل عمارة المسجد افضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمال والرواية الاولى اشهر
واكثر والله اعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى
باضا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل اتت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام
وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسبه الى ابي بكر الصديق وهو قوله
قال النبي ولم يجزع يوقرني ❊ ونحن في سدف من ظلمة الغار ❊ لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ❊
وقد تكفل لي منه باظهار ❊ وانما كيد من تخشى بوادره ❊ كيد الشياطين قد كادت لكفار ❊
والله مهلكهم طرا بما صنعوا ❊ وجاعل المنتهى منهم الى النار ❊ وذكر ابو الليث في تفسيره ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما سمع قولهم ان ليس في الغار احد حين رأوا بيض الحمام دعا للحمامتين بالبركة فاحرزهما الله تعالى
في الحرم وافرخا كما ترى وفي تفسيره ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت هل قلت في ابي بكر شيئا
قال نعم قال قل حتى اسمع فقال ❊ وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ❊ طاف العدو به اذ يصعد الجبلا ❊
وكان حب رسول الله قد علموا ❊ من البرية لم يعدل به رجلا ❊ قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
بدت نواجذه وقال صدقت يا حسان هو كما قلت قوله عز وجل **فانزل الله سكينته** اي طمأنينته وامنته
التي يسكن عندها القلوب **عليه** قيل على النبي كما يراد بالضمائر المذكورة قبل هذا وما بعد هذا وقد صرح
في قوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فلا يحتاج الى تكليف قوله وايده اي فقد نصره بل هو معطوف

٤٦٧

Copyright © King Saud University

على فانزل الله كما لا يخفى وقيل على صاحبه وهذا هو الاظهر وعليه اكثر المفسرين كابن عباس وغيره لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل وكان ساكن القلب دائما واما الصديق فكان منزعجا قال الاستاد فتكون هذه السكينة خصوصية للصديق من بين المؤمنين على الانفراد كالصاحب قال الله لجميع المؤمنين هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ويقول للصاحب على التخصيص فانزل الله سكينته عليه كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لابي بكر خاصة وقال ابن عطا في قوله ان الله معنا معناه ان الله معنا حيث وصل بيننا وصلة الصحبة ولم تنفصل قلت فدله على ان ابا بكر كان مكرما في الازل بهذه الكرامة يعني كرامة كونه صاحبا للنبي بنص القران وكونه ثاني رسول الله في جميع الاحوال فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا كان ثانيه فقط فلذلك لما خرج من العدم كان ثانيه في عالم الارواح والذي يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وكان ثانيه في سباق الطلب والمسير الى الله والذي يؤكد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت وانا وابو بكر كفرسي رهان فسبقته فتبعني وكان ثانيه في الاسلام دل عليه قوله والذي جاء بالصدق وصدق به وكان ثانيه في الامامة للمسلمين يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه مروا ابا بكر فليصل بالناس وثانيه في قبره الشريف لان سيدنا عمر عند ظهر ابي بكر واما ابو بكر فمتصل بالنبي في القبة البيضا تحت القبة الخضرا قال لنا السيد الحسيب النسيب السيد عبد الله السقاف باعلوي الحضرمي حين اتفق اهل المدينة لادخال رجل على القبر الشريف لحاجة فادخله لديانته وحسن ظنون اهل المدينة به ان المكرم وقبر الصديق وقبر الفاروق في قبة بيضاء ليس عليها باب وذلك وراء الستارة المعظمة وجدارها وقدامها بالكل القبة الكبيرة المحيطة ببيت عائشة الصديقة هذا الذي سمعنا منه وكتب لنا تصوير ذلك وهو بخطه الشريف عندي وثانيه بعد وفاته في الخلافة على ما اتفق عليه الاصحاب ومن فضايل الصديق ان الله عاتب اهل الارض جميعا بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق ومن فضايله انه ما تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له ومن فضايله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو بكر اول من آمن به من الرجال الكمل ثم ان ابا بكر دعى الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يد ابي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وفضايلهم كثيرة لا يحمله الدفاتر واما قول بعض الرفضة ان شجاعة علي رضي الله عنه كان اعظم من شجاعة الصديق في تلك الليلة حيث القى بنفسه للتهلكة لله ورسوله حين نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم قلنا في الجواب انا لا ننكر فضايل الكرار حين خطر بنفسه في تلك الليلة واضطجع في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ولكن كان عداوة المشركين وغضبهم على الصديق اشد من عداوتهم على علي رضي الله عنهما والدليل على ذلك ان الكفار لم يقصدوا عليا بضرب ولا الم لما عرفوا انه المضطجع فعلم بان خطر الصديق كان اعظم واما قول بعض الشيعة ايضا ان كون ابي بكر ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابع كل ثلثة في قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر قلنا في الجواب ان المراد في الاية النجوى كونه تعالى مع الكل بالعلم والتدبير وكونه مطلعا على ضمير كل واحد مقرونا بالاذلال والاهانة في حق الكفار وهو حق له الكفرة وفي هذه الاية مقرون بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا وقوله **وايده بجنود لم تروها** معطوف على قوله فقد نصره الله والمعنى وايده الله بانزال الملئكة في الغار ومواطن قتاله ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته عليه السلام في الغار ويحرسونه ويمنعونه

على العدو

على العدو كيوم بدر والاحزاب وحنين وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقوله لم تروها صفة لجنود **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** يعني جعل الله شركهم سفلى منخفضة الى يوم القيمة او دعوتهم الى الكفر وجعله كذلك **وكلمة الله هي العليا** يعني التوحيد او دعوة الاسلام هي الظاهرة الغالبة الى يوم القيمة قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية عالية الى يوم القيمة وقيل كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعد الله تعالى حقا وصدقا للجمهور على رفع كلمة على الابتداء وهي يجوز ان يكون مبتدا ثانيا والعليا خبره والجملة خبر للاول ويجوز ان يكون هي فصلا والعليا الخبر وقرا يعقوب وكلمة بالنصب نسقا على مفعولي جعل اي وجعل الله كلمته هي العليا والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها **والله عزيز** يعز بنصره اهل كلمته **حكيم** يذل اهل الشرك بحكمته او عزيز في ملكه حكيم في امره وتدبيره وصنعه ثم اكد امر القتال بقوله **انفروا خفافا وثقالا** حالان من ضمير المخاطبين اي اخرجوا في سبيل الله على اي حال كان يعني على الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم فالخصه اخرجوا الى جهاد اعدائكم شبانا وشيوخا او نشاطا وغير نشاط او ركبانا ومشاة او خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني اغنياء عن ابن عباس رضي الله عنهما خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا اهل العسرة او خفافا من السلاح مقلين منه وثقالا مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحاء ومرضى ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وقيل معناه عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من العلماء من حمل الامر على الوجوب ثم نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول وانها منسوخة ولان الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان وذكر ابو الليث في تفسيره وقال بعضهم ليست بمنسوخة ولكنها في الحالة التي وقع النفير حيث

يجب

Copyright © King Saud University

وجب على جميع الناس الخروج الى الجهاد واذا لم يكن النفير لا يكون فرضاً عاماً فاذا خرج بعض الناس
سقط عن الباقين وبه ناخذ والله اعلم وقوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
اى جاهدوا في اعزاز دينه بالمال والانفس او احدهما قال في اللباب فيه قولان الاول ان الجهاد انما
يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه
فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد
بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فينفروا بماله فيكون مجاهداً بماله دون نفسه ذلكم اى ذلكم
الجهاد يعني ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف خير
لكم اى خير عظيم في حد نفسه او خير مما يبتغى بتركه في الدنيا من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع
بالاموال والاولاد قال الاستاد يعني خير لكم من القعود عن الجهاد والتثاقل عنه او ان الجهاد خير حاصل لكم ثوابه
والمعنى قريب بعضهم للبعض ان كنتم تعلمون بان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه فلا تتثاقلوا الخصر
ان كنتم تعلمون الخير من الشر علمتم انه خير لكم فبادروا اليه وفي الغاية هذا توبيخ لهم عن التكاسل والقعود عن
الحرب في سبيل الله والا كونهم عالمين بخيريته لا ريب فيه قال السمرقندي اى ان كنتم تصدقون بثواب الله تعالى
قال الشيخ معناه ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله صدق فانفروا خفافاً وثقالاً ثم نزل في شان المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك قوله عز وجل لو كان اى ما دعوتم اليه عرضاً قريباً
اى غنيمة سهلة قريبة التناول يعني نفعاً دنيوياً يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر واسم
كان ضمير يعود على ما دل عليه السياق اى لو كان ما تدعوهم اليه كما اشرنا وسفراً قاصداً اى متوسطاً
بين القريب والبعيد لاتبعوك اى لخرجوا معك طمعاً في الفوز بالغنيمة ولكن بعدت عليهم الشقة
اى المسافة التي تقطع بالمشقة يعني ثقل عليهم السفر لبعد المسافة وشدتها ولهذا تخلفوا عنك وقرئ
بكسر العين والشين ثم اخبر الله عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله وسيحلفون
بالله يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة معتذرين بقوله لو
استطعنا اى قدرنا الخروج معك الى هذه الغزوة بالمال والبدن لخرجنا معكم الى الغزوة
قوله لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط ايضاً وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيهاً لها بواو
الضمير في قوله اشتروا الضلالة وهذا من دلايل النبوة والمعجزات الباهرات لانه اخبر عما سيكون بعد
القفول فقالوا كما اخبر ثم بين الله تكذيبهم واهلاكهم فقال يهلكون انفسهم بايقاعها في الهلاك
بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس
في العذاب او حال من فاعله بمعنى مهلكين انفسهم وفي الاية دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها
والله يعلم انهم لكاذبون في ايمانهم وايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا
مستطيعين للخروج قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم نزل هذه الاية حين استاذن
بعض من المنافقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخلفوا عن الخروج الى غزوة تبوك ولم يكن لهم عذر
فاذن لهم به فقال الله مقدماً العفو على العتاب تطييباً لقلبه صلى الله عليه وسلم وكناية عن خطابه في
الاذن باجتهاده فان العفو من روادف الخطاء اى محى الله عنك ما صدر منك بالاجتهاد او دام لك العفو

يا سليم القلب لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت ولم
اذنت لهم على الغور قال السيوطي والطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم
اى في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك
يا محمد ما كان منك في اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استاذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن
ميمون الاودي اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء
من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بداه بالعفو قبل
ان يعيره بالذنب فصل استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم السلام
وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني انه
تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله
عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير للنبي عليه السلام كما يقول
الرجل لغيره اذا كان معظماً له عفا الله عنك ما صنعت في امري • رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله
وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب
المتوكل • عفا الله عنك فلم لا تجود علينا بفضلك يا ابن العلا الم تر عبداً عدا طوره • ومولى عفا ورشيداً
هتك • اقلني اقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى • والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد
بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة اولا فان كان
قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول
العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر منه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان هذا
الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم
اذنت لهم فانه امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى
عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيراً في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال
الله في سورة النور فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب
من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنباً قال الداودي انها تكرمة وقال مكي هو
استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي عن ابي سعيد الفاريابي انه قال معناه عافاك الله
يا سليم القلب لم اذنت لهم في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق
بالحروب ومصالح الدنيا يقول الفقير مولف الكتاب ابو عمر السيد محمود بن محمد بن علي المدني دار او قرار هذا تعليم و
تاديب لمن بعد النبي من الخلفاء والامراء الى يوم القيمة والدليل على ذلك انه لو اراد بالخطاب نفسه عليه السلام
خاصة دون الامة لقدم العتاب يعني قوله لم اذنت لهم على اللطف والعفو يعني قوله عفا الله عنك فنبه الامة على
التدبر في الامور وعدم العجلة والله اعلم باسرار كتابه ولما سبقت الاصطفائية للحبيب قبل وقوع المعاملات سبق

Copyright © King Saud University

العفو عما هو في صور الزلات كيف لا من كان صورة سيئاته حسنات وزلاته زلفات فهو مختار لسرخي وعروس ملكوته وملكه جميع حركاته عنده حسنة وافعاله كلها لديه مستحسنة وهكذا شان الاحباب مع المحب بعند لزلة حبيبه بل يعشق على عثرة محبوبه لان من كان حسنا فما يبدو منه ايضا يكون حسنا كاميل فان نطقت جاءت بكل ملاحة وان سكتت جاءت بكل جميل ملاحته وحسن وجهه يعتذر لخطائه في وجهه شافع يمحو لسيئاته ويأتي بالمعاذير واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا اي حتى يظهر لك صدقهم في اعتذارهم لك يعني يحصل لك العلم التام والمعرفة الكاملة عن صدقك وهو موعى فحاصل المعنى لم اذنت لهم على الفور فرجع الانكار الى كيفية الاذن لا الى ذات الاذن ونفسه وتعلم الكاذبين فيما يعتذرون به قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة وفي المدارك وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد ثم بين له علامة المومنين المخلصين بقوله لا يستاذنك بغير عذر ظاهر الذين يؤمنون بالله اي يصدقون بالله في السر والعلانية واليوم الآخر في التخلف ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لتخليص المعنى ليس من عادة المومنين الموقنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذن في التخلف عنه قال الاسناد قوله لا يستاذنك نهي على صورة النفي لعدم الجزم فهو كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والله عليم بالمتقين اي الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته فيجازيهم باجزل ثواب ثم ذكر علامة المنافقين بقوله انما يستاذنك في التخلف عن الجهاد بالاموال والانفس معك يا محمد بغير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر في السر وهم المنافقون لقوله وارتابت قلوبهم يعني شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا وهو عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقيق الريب وتقرره فهم في ريبهم يترددون يعني ان المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المومنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المومنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استيذان فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم كما اشرنا واما المنافقون فكانوا يستاذنونه في التخلف من غير عذر فعيرهم الله بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر ولو ارادوا الخروج معك الى الغزو وهذا الكلام يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج عدة اي اهبة يعني لتهيؤا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح والزاد فترك العدة دليل على ارادتهم التخلف وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم اي خروجهم الى الغزو معك استدراك

عن مفهوم قوله لو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا وتكاسلوا لانه تعالى كره انبعاثهم والحاصل ولما كان ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للجهاد بالاموال والانفس قيل ولكن كره الله نهوضهم للخروج فثبطهم اي منعهم وكسلهم وحبسهم وضعف رغبتهم عن الخروج معكم الى الجهاد قال الاسناد والمعنى ان الله كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر بتلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بالغيظ فيكم وبقوله لم اذنت لهم بلم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التامل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن له قبل ان يوحى اليه في امرهم بالقعود وقيل اقعدوا مع القاعدين معناه انهم لما استاذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم الصبيان والنساء والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله قال لهم ذلك على سبيل الغضب فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل هو الشيطان بالقاء القعود في قلوبهم لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني ما زادوكم بخروجهم معكم الى الجهاد شيئا الا فسادا وشرا بافساد ذات البين وايقاع الجبن بين المسلمين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم فالاستثناء مفرغ واصل الخبال الاضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعضهم الاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا وقال بعضهم الاستثناء منقطع لان المعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا ولا وضعوا خلالكم يعني ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم ويقال الايضاع في اللغة هو اسراع الابل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين افاض من عرفات ايها الناس عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس في ايضاع الابل ولا في ايجاف الخيل يعني ان المنافقين لو خرجوا فيكم يسرعون الابل فيما بينكم ويؤذونكم بالهزيمة اي حملوا ركابهم على العدو والسريع بينكم بالتخذيل والهزيمة لانهم يبغونكم الفتنة اي يطلبون منكم ما يفتنون به وذلك انهم يقولون للمومنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف وفي المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من تلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخر ونحوه او لا اذبحنه وفيكم سماعون لهم يعني فيكم جواسيس لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم او وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك بانهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها فان قلت كيف يجوز ان يكون في المومنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المومنين لهم اقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب ضعفة المومنين في بعض الاحوال

Copyright © King Saud University

والله عليم بالظالمين اى بالمنافقين والكافرين الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والنفاق وعلى الاول فيعلم الله ضمايرهم وما يتاتى منهم فيعاقبهم على ذلك وهذه الجملة يجوز ان تكون مستانفة واللام فيهم على الاول
للتقوية وفى الثانى للتعليل اى لاجلهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى لقد طلبوا المنافقون تشتت شملك يا محمد
وتفرق اصحابك عنك قبل غزوة تبوك كفعل عبد الله بن ابى بن سلول يوم احد حين رجع ومعه ثلثماية منافق وقالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقد مر شرح احواله وهذه الفتنة هى تخلفه ايضا عن تبوك بعد ما خرج مع بعض اصحابه
مع رسول الله الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع او اراد بقوله من قبل حين ارادوا قتل النبى ليلة العقبة وقلبوا
لك الامور اى دبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء فى ابطال امرك وبالغوا فى تخذيل الناس ولكن الله شتت
حتى جاء الحق اى النصر والظفر وكثر المسلمون وظهر امر الله اى غلب دينه وعلا شرعه وخفض
كلمة الكفر وهم كارهون اى والحال ان المنافقين كانوا كارهين لمجئ الحق واعلاء كلمة الله والايات
لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله ومنعهم لاجله وكره انبعاثهم او هتك
استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب
عليه ومنهم من يقول ائذن لى فى التخلف عن الجهاد ولا تفتنى نزلت فى الجد بن قيس كان
من المنافقين وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل
لك فى جلاد بنى اصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف
قومى انى رجل مغرم بالنساء وانى اخشى ان رايت بنات بنى الاصفر لا اصبر عنهن ائذن لى
فى القعود ولا تفتنى بهن واعينك بمالى قال ابن عباس رضى الله عنهما اعتل الجد بن قيس ولم يكن له
علة الا النفاق فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم اى
ومن المنافقين من يقول ائذن لى فى التخلف والقعود فى المدينة ولا تفتنى يعنى ببنات بنى الاصفر وهم الروم
اى كا توقعنى فى الفتنة والاثم قال السمرقندى فى تفسيره وكان الاصفر رجلا من الحبش ملك ناحية
من الروم فتزوج رومية فولدت بنات اجتمع فيهن سواد الحبش وبياض الروم وكن فتنة فقال الجد
ابن قيس ائذن لى ولا تفتنى فقال الله تعالى الا فى الفتنة سقطوا اى علموا انهم فى الاثم والنفاق
والحرج وقعوا بالتخلف والجرأة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة وعلى الاعتذارات الكاذبة
وقرى سقط بالافراد محافظة على لفظ من فى قوله ومنهم من يقول لانه موحد اللفظ مجموع المعنى لان
المراد به جد بن قيس ومن تبعه وفى تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فى
الفتنة وهم يحسبون انهم نجوا منها زعما منهم ان الفتنة هى التخلف بغير اذن وفى التعبير عن الافتتان
بالسقوط فى الفتنة تنزيلها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم فى دركات الردى اسفل سافلين
وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعنى يوم القيمة تحيط بهم وتجمعهم فيها اى جامعة لهم يوم القيمة
من كل جانب او الان محيطة بهم تنزيلا للامر المتحقق منزلة الواقع او لاحاطة اسباب جهنم من الكفر والمعاصى
وقال السمرقندى يعنى جعلت جهنم للكافرين وهو جد بن قيس ومن تابعه تخصيصه لا محيص لهم عنها
ان تصبك حسنة تسؤهم يعنى ان تصبك يا محمد فى بعض غزواتك حسنة يعنى ظفر ونصر وغنيمة
وعافية يحزن المنافقين تلك الحسنة لفرط حسدهم اخرج ابن ابى حاتم عن جابر بن عبد الله قال جعل المنافقون

الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبى صلى الله عليه وسلم اخبار السوء يقولون ان محمدا واصحابه قد
جهدوا فى سفرهم وهلكوا فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فساءهم ذلك
فانزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك فى بعض غزواتك مصيبة اى كسر وشدة وآفة
وهزيمة نحو ما جرى فى غزوة احد يقولوا اى المنافقين قد اخذنا امرنا من قبل اى يقولوا متبجحين
بما صنعوا من المكر والخداع فى التخلف حامدين لارائهم الفاسدة انا قد اخذنا امرنا الذى نحن متسمون به من
الحذر والتيقظ والعمل بالجد والحزم من قبل هذه المصيبة تخليصه تبجحا بانصرافهم واستحمادا رايهم فى التخلف
ويتولوا اى يدبروا من مجلس التحدث بقولهم قد اخذنا امرنا من قبل الى اهلهم او يعرضوا عن رسول
الله وهم فرحون اى مسرورون بما اصابك من المصيبة وبتخلفهم وسلامتهم منها وقوله وهم فرحون
حال من الضمير فى يقولوا ويتولوا لا عن يتولوا فقط لمقارنة الفرح لهما معا قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه
مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اى الا ما قدره الله لنا وعلينا
وكتبه فى اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة من خير وشر فلا يقدر احد ان
يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا ان اراده ما لم يقدر له قال الاستاد معناه
الا ما قضى الله من شدة ورخاء او ما كتب الله لنا فى القران وهو قوله تعالى فيقتلون ويقتلون وقرى
هل يصيبنا من اصاب وهل يصيبنا فى كليهما بدل لن وبرفع الفعل وهو من فيعل لا من فعل لانه من
بنات الواو كقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما يقصد به وقيل
من الصوب هو مولانا اى ناصرنا ومتولى امرنا واولى بنا من انفسنا فى الموت والحياة فائدة لتاكيد
ما سبق من الاختصاص وعلى الله الذى لا يخيب من توكل عليه لا على غيره فليتوكل المؤمنون لعلمهم
بان لا مولى سواه فيفوضون جميع امورهم اليه لا على الاسباب الدنيوية الفانية قال الاستاد
معناه لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص
كالواو للعطف والفاء لافادة التسبب والاصل وليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة
القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه التوكل عليه كما فى قوله واياى فارهبون قل هل تربصون بنا
هذا جواب ثان عن فرح المنافقين بمصائب المؤمنين اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا ايها
المنافقون ان يقع بنا الا احدى الحسنيين اى احدى العاقبتين والخصلتين اللتين كل منهما احسن الخصال
اما النصر والغنيمة والظفر بالاعداء واما الشهادة فى سبيل الله والمغفرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكفل
الله وفى رواية تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا الجهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو
على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر وغنيمة اخرجاه
فى الصحيحين والحسنيين تثنية حسنى تانيث احسن فان قلت قد قلت كل منهما احسن الخصال فيلزم ان يكون
كل منهما احسن من الاخرى وتناقضه ظاهر قلت جاز ذلك باعتبار الجهات ونحن نتربص بكم يعنى
ونحن ايضا ننتظر بكم يا اهل النفاق احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده اى بقارعة من السماء كما اصاب من قبلكم من الامم الماضية او بعذاب بايدينا اى باذن الله
لنا بقتالكم يعنى يصيبكم هلاك بايدى المؤمنين بان يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم فنقتلكم على الكفر الباطن

Copyright ... University

قل فتربصوا الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فانتظروا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون
اى منتظرون ما هو عاقبتكم فاذا لقى كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما
يسوءكم قال الحسن معناه فتربصوا يا اهل النفاق مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من
اظهار دينه واستيصال من خالفه قل للمنافقين جميعا وجد بن قيس داخل فيهم دخولا اوليا
انفقوا فى سبيل الله وطاعته ووجوه البر طوعا بالاختيار من غير الزام لاحد فى انفاقكم او
كرها اى بالاجبار يعنى بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم اى ما انفقتموه وان
فعلتم ذلك طائعين او كارهين فلا يتقبل من جد بن قيس حين انفق ماله فى الجهاد وقعد عنه لنفاقه
ولا من ساير المنافقين ونحن نرى ان اهل النفاق لا ينفق فى الجهاد الا كرها كما قال فيما ياتى قريبا ولا ينفقون
الا وهم كارهون فذكر الطوع هنا على سبيل الفرض لمساواة الكره فى عدم القبول وان يعطوا من غير
اكراه والزام وفى انفسهم الكراهة قال الاستاد وهذه الاية وان كانت خاصة فى انفاق اهل النفاق فهى
عامة فى حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بان ينفق رياء وسمعة وهكذا جميع الاعمال فانه لا يقبل منه
واما اذا انفق من غير رياء وسمعة وهو مومن مذنب غير ذنب الكفر فان الله يتقبل منه ثم علل سبب منع
القبول بقوله لانكم اى لانكم يا اهل النفاق كنتم قوما فاسقين اى كافرين فى السر خارجين عن
الطاعة والاخلاص وانما يتقبل الله من المتقين وقوله انفقوا امر بمعنى الخبر اى قل لهم ان انفقتم الخ
وقد يجى الخبر بمعنى الامر كقولك غفر الله لك رحم الله محمدا يعنى اللهم اغفر له اللهم ارحمه قرا حمزة والكسائى
كرها بضم الكاف والباقون بالنصب ثم بين المعنى الذى لم يقبل نفقاتهم لاجله فقال وما منعهم ان تقبل
منهم ان ناصبة وما بعدها مفعول ثان لمنع او بدل من هم فى منعهم نفقاتهم قرا الاخوان ان
يقبل بالياء من تحت لان تانيث النفقات غير حقيقى والباقون بالتاء الفوقانية الا انهم كفروا بالله
وبرسوله يعنى كفروا فى السر يعنى المانع من قبول نفقات المنافقين كفرهم سرا بالله وبرسوله
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى جمع كسلان يعنى متثاقلين فى الاتيان الى الصلوة وذلك
لانهم لا يرونها واجبة عليهم ولا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم مع
فعلها وكانوا يفعلونها نفاقا وتقية ولا ينفقون الا وهم كارهون على النفقة غير محتسبين لانهم
كانوا يعتقدون الانفاق فى سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما فان قيل الكفر وحده علة
مستقلة للمنع عن قبول النفقات فلا يبقى لعطف قوله ولا ياتون الصلوة ولا ينفقون اثر فى وجه المنع
عن قبول نفقاتهم قلنا فى الجواب اتيانهم الصلوة مع الكسل والانفاق مع الكره امارة لنفاقهم وكفرهم
ويجوز توارد الامارات المتعددة على شى واحد والجواب بوجه اخر وهو انه اطلق كفرهم اولا ثم قيده
بعدم اعتقادهم وجوب الصلاة والانفاق فى سبيل الله وبوجه اخر ان الله حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم
خص من انواع كفرهم هذين تفظيعا لشان تارك الصلوة وترك الانفاق فى سبيل الله ثم زهد الرسول
صلى الله عليه فيهم من النظر الى دنياهم بقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اى لا تستحسن يا محمد
كثرة اموالهم واولادهم فانما هى زينة الحيوة الدنيا وانت بمعزل عنها وفى حقهم مكر واستدراج دون
نظير ولا تمدن عينيك الاية قال الشيخ قدس سره وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبى عليه السلام صورة

الآن

الآن المراد به حقيقة جميع المؤمنين والمعنى فلا تتعجبوا باموال المنافقين واولادهم والاعجاب وهو ان
تسر بالشى سرور راض به متعجب من حسنه قال الاستاد فينبغى للانسان ان لا يعجب بشى من امور
الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل فى استدراج كثر الله ماله وولده فيكثر اعجابه بماله
وولده فيبطر ويكفر نعمة الله ويقول فخرا انا اكثر منك مالا واعز نفرا ولا يعلم بما اراد الله ويكره بانه
يعذبه بذلك الكثرة قال الله تعالى انما يريد الله ليعذبهم اى لان يعذبهم بها اى بسبب الاموال
والاولاد فى الحيوة الدنيا اى بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من
الشدايد والمصايب والظرف اما متعلق بتعجبك ويكون قوله انما يريد الله ليعذبهم بها جملة معترضة
والتقدير فلا تعجبك فى الحيوة الدنيا اموالهم الخ ويجوز ان يكون حالا من الاموال والاولاد ولهذا قال ابن
عباس ومجاهد وقتادة والسدى وابن قتيبة فى الكلام تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم فى الاخرة ولما متعلق بالتعذيب والمراد بالتعذيب الدنيوى
مصايب الدنيا قال امام المفسرين فخر الدين الرازى فكيف يكون كثرة الاموال والاولاد سببا للعذاب فى
الدنيا فحاصل من وجوه منها ان كل من كان حب الانسان للشى اشد واقوى كان حزنه وتالمه على فراقه
اعظم واصعب ثم عند الموت يعظم حزنه وتشتد حسرته لمفارقته المحبوب فالمشغوف بحب المال والولد
لا يزال فى تعب فيحتاج فى اكتساب الاموال وتحصيلها الى تعب شديد ومشقة ثم عند حصولها يحتاج الى
متاعب اشد واعظم فى حفظها وصونها لان حفظ المال بعد حصوله اصعب من اكتسابه ثم
انه لا ينتفع الا بالقليل من تلك الاموال فالتعب كثير والنفع قليل ثم قال واعلم ان الدنيا خضرة حلوة و
الحواس الخمس مايلة اليها فاذا كثرت وتوالت استغرقت فيها وانصرف الانسان بكليته اليها فيصير
ذلك سببا لحرمانه من ذكر الله ثم انه يحصل فى قلبه نوع قسوة وقوة وقهر وكلما كان المال والجاه اكثر
كانت تلك القسوة اقوى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فظهر ان كثرة
المال والاولاد سبب قوى فى زوال حب الله وحب الاخرة من القلب وفى حصول الدنيا وشهواتها فى القلب
فعند الموت كان مثل هذا الانسان ينتقل من البستان الى السجن ومن مجالسة الاقرباء والاحبة الى موضع
الغربة والكربة فيعظم تالمه ويقوى حزنه ثم عند الحشر حلالها حساب وحرامها عذاب فثبت ان
كثرة الاموال والاولاد سبب لحصول العذاب فى الدنيا والاخرة انتهى فان قيل هذا المعنى حاصل للكل فما فايدة
تخصيص المنافقين فالجواب ان المنافق انما يرتبط بالاموال والاولاد الانتفاع بهما فى الدنيا فاذا انتفى النفع
الدنيوى يزهق روحه من الالم بخلاف المومن فانه ما يحبهما الا لله فاذا انتفى النفع الدنيوى يرجو بهما الثواب
فى الاخرة فيكون صابرا شاكرا وتزهق انفسهم اى وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون
على الكفر فيكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة فيكون ذلك استدراجا واصل الزهوق الخروج بصعوبة
وشدة ويحلفون بالله يعنى المنافقين انهم لمنكم اى مومنون على دينكم ومثلكم وما هم منكم
يعنى كاذبون فى ايمانهم وايمانهم ولكنهم قوم يفرقون اى انهم قوم يخافون ان تفعلوا بهم
كالمشركين فيحلفون تقية وتخلصا لانهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق فيحلفون كذبا
وزورا ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجا يعنى حرزا وحصنا ومعقلا يلجاون اليه عند خوفهم

Copyright ... University

وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يأمنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليه
ولفار قوكم **أو مغارات** اى او غيرانا فى الجبال جمع مغارة وهى الموضع الذى يغور فيه الانسان
اى يستتر **أو مدخلا** اى موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب فى الارض كنفق اليربوع اصله
مدتخل فادغمت الدال فى التاء وقال الحسن اى وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرا يعقوب مدخلا بفتح الميم وسكون الدال وفتح الخاء مخففا من دخل وقرئ مدخلا من الادخال ومتدخلا
من تدخل بتشديد الخاء ومندخلا من اندخل وترتب هذه المعطوفات ترتيب بديع لكونه تعالى ذكر
اولا الامر الاعم وهو الملجأ من اى نوع كان ثم ذكر الغيران التى يختفى فيها فى اعلى الجبال ثم الاماكن
السافلة وهى السرب عبر عنها بالمدخل فتبارك الله ما احلى هذا النظم البديع وقوله **لولوا اليه** يعنى لهم
لو وجدوا مكانا بهذه الصفة الثلثة او على احد هذه الوجوه الثلثة وهى شر الامكنة واضيقها لولوا اليه
اى لرجعوا اليه وتحرزوا فيه **وهم يجمحون** اى وهم يسرعون الى ذلك المكان تبعدا عنكم اسراعا لا يردهم
شئ كالفرس الجموح الذى لا يرده اللجام والضرب وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ومنه الجمازة للناقة
السريعة السير تلخيص للمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا ان يهربوا
او يبعدوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قال الاستاذ الجمح مشى بين المشيين
وهو من لغات اليمن **ومنهم** اى بعض المنافقين **من يلمزك** اى يعيبك **فى** قسم **الصدقات**
اى الزكوات كما يدل على ذلك قوله تعالى الاتى انما الصدقات الخ او الغنائم كما ستسمع الاحاديث فى ذلك
او هما لشمول الصدقات الغنائم قرأ العامة بكسر الميم فى المضارع من لمزه يلمزه اى عابه وقرأ ابن كثير
يلامزك على المفاعلة من واحد كسافر وعاقب وقرأ يعقوب يلمزك بضم الميم اعلم ان العيب فى الصدقات
يحتمل ان يكون فى اخذها وذلك بان يقال انتزاع مال الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل لمصالح
عباده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم ويحتمل ان يكون فى انك تأخذ هذه الصدقات الكثيرة الا انك
تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع فى قسمة الصدقات وفى تفريقها وهذا هو الذى دلت الاخبار
على انهم ارادوه لان الاية نزلت فى ذى الخويصرة التميمى راس الخوارج واصلهم واسمه حرقوص بن زهير
ق عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما
اتاه ذو الخويصرة رجل من بنى تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل
اذا لم اعدل وفى رواية فقد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ايذن لى فيه فاضرب عنقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم
زاد فى رواية يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفى رواية من الدين كما يمرق السهم من
الرمية وقال السمرقندى فى تفسيره بعد قوله من الرمية سيماهم رجل اسود احد ثدييه مثل ثدى المرأة او مثل
البضعة يخرجون على حين الفتنة من الناس فنزلت ومنهم من يلمزك فى الصدقات الاية قال ابو سعيد اشهد
انى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان عليا حين قتلهم وانا معه اتى بالرجل على النعت
الذى نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقال الكلبى الذى نزلت فى حقه هذه الاية هو ابو الجواظ
المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون فنزلت وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث
عهد باعرابية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك
ان تعدل فما عدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى وفى الاسرار كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال
ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل فقال عمر رضى الله عنه ائذن لى ان
اضرب عنقه فقال دعه حتى لا يقال يقتل محمد اصحابه قلت وانما قال يقتل محمد اصحابه فان المنافقين كانوا
معدودين من الصحابة فى الظاهر عند من لم يعرف حالهم وفى الغاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بشئ
من الذهب فقسمه بين اربعة نفر من المؤلفة يتألفهم على الاسلام فجاء ذو الخويصرة فقال اعدل الى اخر
الحديث ثم قال وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم عن ابى سعيد الخدرى والله اعلم قال ابن زيد قال
المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه فانزل الله ومنهم من يلمزك فى
الصدقات **فان اعطوا منها** اى من الصدقات **رضوا** عنك فى قسمتها وذكروك بالجميل **وان لم
يعطوا منها** بالحكمة يعلمها الله ورسوله كعدم استحقاقهم لذلك **اذا هم يسخطون** اى وان لم تعطهم عابوا
عليك وتسخطوا لتخيصه اذ لم تعطهم فاجأهم سخطهم ولم يكن تأخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا
والشره فى تحصيلها واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية لان كلا منهما يدل على ان الشرط يستعقب
الجزاء ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم فى نفس الامر فقال **ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله**
اى ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما اتاهم على يدى رسوله من الغنائم و
الصدقات وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره **وقالوا حسبنا الله** اى
كافينا الله يعنى كفانا فضله وعليه اعتمادنا وثقتنا واستنادنا **سيؤتينا الله من فضله ورسوله**
اى سيعطينا الله ما نحتاج اليه من رزقه صدقة او غنيمة اخرى حين استحقاقنا ورسوله يؤتينا بامره
ما يليق بحالنا من وجه اخر اكثر مما اتانا جبرا لقلوبنا **انا الى الله راغبون** فى ان يوسع علينا
من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم
واعود عليهم ومعنى راغبون اى طامعون وراجون ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما
فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم واشعارا باستحقاقهم الحرمان وانهم بعداء عن الصدقات وعن مصارفها
وحسما لاطماعهم فقال **انما الصدقات للفقراء والمساكين** اى ليست الصدقات اى الزكوات للذين يلمزونك
فى الصدقات وانما الصدقات للفقراء والمساكين والحاصل قصر جنس الصدقات اى الزكوات على الاصناف
المعدودة فى هذه الاية يعنى هى مختصة بهم لا يتجاوز الى غيرهم كانه قيل انما هى لهم لا لغيرهم وفى المدارك كقولك
الخلافة لقريش يريد لا يتعداهم ولا تكون لغيرهم قلت وكذلك الامامة من قريش فما انصف من تعدى وتجاوز
عن حده واعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه فى قسم الصدقات بين الله عز وجل
فى الاية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم
منها بشئ ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزونه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات

Copyright © King Saud University

عن زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني
من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم
فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود **فصل**
في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسألة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكوة على الاغنياء وصرفها
الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة
صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا
بالطبع واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله تعالى وعن الاشتغال بالطاعات المقربة
الى الله تعالى فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكوة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله تعالى فيصير
سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكوة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب
الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاوجب الله تعالى الزكوة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب
الوجه الثالث سبب وجوب الزكوة امتحان العبد المؤمن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج
المال مشق على النفس فاوجب الله عز وجل الزكوة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة اصحاب الاموال
ليميز بذلك بين المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله
والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله تعالى خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة من
ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المنفق على عياله ويعاقب العبد
العاصي المانع لعياله ماله ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن
المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى
الذي امر له به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي
الاغنياء فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال
الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر
بدفع الزكوة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسألة الثانية الاية تدل على انه لا حق
لاحد في الصدقات الا لهؤلاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها
مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه
فدل بذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية المسألة الثالثة في بيان الاصناف
الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف
العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي
لا يسأل والمسكين السائل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير
من انقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج
الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان
او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا يقع منه موقعا بكفايته سائلا كان او غير سائل
فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال

لافرق

لافرق بين الفقير والمسكين لان الله تعالى وصفهما بهذين الوصفين والمقصود شيء واحد وهو قول
ابي يوسف ومحمد وفائدة الخلاف تظهر في مسألة وهو انه لو اوصى لفلان وللفقراء والمساكين فالذين
قالوا الفقراء غير المساكين قالوا لفلان الثلث والذين قالوا الفقراء هم المساكين قالوا لفلان النصف
حجة الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم
وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين
لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد ❊ لما رأى لبد النسور تطايرت ❊ رفع القوادم كالفقير
الاعزل ❊ قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته
وحاجته شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيمة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان
المسكين اسوء حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنة ولقال ايضا كاد المسكنة ان يكون كفرا
بدل كاد الفقر ان يكون كفرا فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير
كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين
وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوء حالا من الفقير قوله تعالى او مسكينا ذا متربة وصف
المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى
جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي اما
الفقير الذي كانت حلوبته ❊ وفق العيال فلم يترك له سبد ❊ واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن علاء
ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين
الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء
فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله انتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان
المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب الشافعي لانه قيد المسكين المذكور
هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فائدة مع انه يحتمل ان
يكون المعنى صاحب تراب والفائدة عن جعل الكفارات للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب
من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز
اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات
عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال
فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب
القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي
مرة سوي اخرجه النسائي وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن
عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم
الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها

لغني ولا لقوي مكتسب أخرجه ابو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين أتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب
واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه
وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب ابي حنيفة حده ان يملك مائتي درهم وقال
قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او
خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود
والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر
من خمسين درهما من الزكوة وقيل اربعون درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية في ذلك
اربعين درهما واما كيفية قسم الصدقات فسنذكر قريبا في المسألة الرابعة بعد قوله والله عليم حكيم فصل
ولنذكر هنا جملة مختصرة مما قاله الشافعي في القسم قال صاحب الاماني وذهب الشافعي الى وجوب استيفاء
الاصناف الثمانية ان وجدوا قسمة على السواء والا فالموجود منهم يعني ان انعدم صنف منها
رد نصيبه على الموجودين ويعطى من كل صنف ثلثة فما فوقها ان وجدوا نظرا الى اعتبار الجمع والحصر
والفريضة واللام التمليكية والواو التشريكية لانه كلام الاختصاص بلا فرق وهو كقولك هذا الدرهم لهؤلاء
فانهم يشتركون فيه فان قلت فعلى هذا يجب ان يكون صرفه الى افراد كل صنف ولم يقل به الشافعي قلت لم يذهب
الى ذلك لتعذره ولما روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن فقال له مرهم بالصلوة
فان هم فعلوا ذلك فاعلمهم ان الله قد فرض عليهم زكوة اموالهم بان يوخذ من اغنيائهم فيرد الى
فقرائهم فخص زكاتهم بفقرائهم اي خص زكاة ذلك البلد الى فقراء ذلك البلد فحسب ولهذا لم يجوز
الشافعي رحمه الله نقل الزكوة من ذلك البلد الى بلد اخر فالشافعي ذهب الى ما قسم الله بنفسه وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها
بنفسه قلت والله اعلم بتقدير الانصباء والمصالح لا يفعل الا هو الاصوب الاصح كما يقول في اخر هذه الآية
والله عليم حكيم انتهى وقوله عز وجل **والعاملين عليها** اي الساعين في تحصيل الصدقات وجمعها
في جهتها يعطون من مال الصدقات بقدر اجور اعمالهم سواء كانوا فقراء او اغنياء وهذا قول ابن عمر
وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد والضحاك
الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا
على الصدقات لما روي عن ابي رافع رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم
على الصدقة فاراد ابو رافع ان يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم
اخرجه الترمذي والنسائي وقوله عز وجل **والمؤلفة قلوبهم** هم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة
في الاسلام فيستألف قلوبهم ليثبتوا على الاسلام او هم قوم اسلموا نعطيهم ليسلم نظراؤهم بسببهم
نعطي هذين الطائفتين اليوم عند الشافعي واما الاعطاء رجاء لاسلامهم او ليذب من المسلمين
فلا نعطيهم

فلا نعطيهم اليوم عند الشافعي لعز الاسلام قال صاحب اللباب والمؤلفة قلوبهم قسمان قسم مسلمون
وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من اشراف العرب كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما اعطى عيينة بن بدر بن حصين والاقرع بن
حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطيهم ليقوي رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم اشراف في قومهم مثل
عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] يعطيهم
تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم ونظرائهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي امثال هؤلاء من خمس
خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما عنده من العدد والمدد في كل الخطة من
الازل الى الابد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني
من مؤلفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا يبلغهم جيوش المسلمين
الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لا يجاهدونهم اما لضعف نيتهم
او لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة
قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانعي الزكاة يأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم
الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جاء الى
ابي بكر بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلثين بعيرا اما مؤلفة الكفار فهم
قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجاء اسلامه
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله كما اعطى صفوان بن
امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام هذا كان في زمنه اما اليوم فقد اعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك
واغناه عن ان يتألف عليه احد من المشركين فلا يعطى مشرك بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم
ورأوا ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال
مالك والثوري واصحاب ابي حنيفة واسحاق بن راهوية وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك
عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى
ذلك قال السمرقندي في تفسيره والمؤلفة قلوبهم قوم كان يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتألفهم بالصدقة
على الاسلام وكانوا رؤساء في كل قبيلة منهم ابو سفيان بن حرب والاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن
حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وصفوان بن امية وغيرهم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاؤا الى ابي بكر وطلبوا منه فكتب لهم كتابا وجاؤا بالكتاب الى عمر بن الخطاب ليشهدوه فقال اي شيء
هذا فقالوا سهمنا فاخذ عمر الكتاب ومزقه وقال انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيكم ليتألفكم على
الاسلام فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فان ثبتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف فرجعوا
الى ابي بكر فقالوا انت الخليفة ام هو قال هو ان شاء فبطل سهمهم قال الاستاذ ويلزم على ما ذكره
السمرقندي ان يكون الاجماع ناسخا للكتاب وليس كذلك والجواب عن ذلك انه يقال انه ليس بنسخ
للكتاب بل تقرير له في المعنى وذلك لان المقصود بالدفع اليهم في زمن النبي عليه السلام كان لاعزاز

Copyright © King Saud University

الاسلام في ذلك الوقت لضعفه وكان الاعزاز في الدفع ولما غلب الاسلام وتبدل الحال صار الاعزاز
في المنع ولما كان الاعطاء في زمن النبي لاعزاز الاسلام والمنع بعده ايضا لاعزاز الاسلام كان الاعزاز
هو المقصود وهو باق على حاله فليس فيه نسخ الكتاب بالاجماع بل تقرير لما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم
والله اعلم قوله عز وجل **وفي الرقاب** اي وفي فك الرقاب يعني وللصرف في فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء من الصدقات على اداء النجوم قال الشيخ معناه ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع
اليهم ليعتقوا به وهو مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري
والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم وقال مالك واحمد واسحاق
ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روى عن ابن
عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكوة وقال ابو حنيفة واصحابه لا يعتق من الزكاة رقبة
كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعين بها مكاتبا لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض وقال
الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيدا ممن صلوا وصاموا وقدم
اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب
ويدل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات
للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة
المقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا ذلك فيما شاؤوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم
في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين يصرف
نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا في ابن السبيل
فيصرف اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه ومقصده والحاصل ان الاصناف الاربعة الاول
يصرف المال اليهم يعني الى انفسهم واما الاصناف الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل الى جهة ما
في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكاة قوله عز وجل **والغارمين** وهم الذين عليهم ديون لغير
معصية ولا سفه ولا افساد او تابوا ولا وفاء عندهم فيعطون على قدر الوفاء بديونهم فقط وقيل هم
الذين استدانوا في اصلاح ذات البين او في عمل الخير او للانفاق على عيالهم من غير اسراف لعدم كفاية
ما في ايديهم فيعطون ما يؤدون ذلك مع غناهم لما روى عن عطاء بن يسار رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم
او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني
اخرجه ابو داود مرسلا لان عطاء لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم
عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان
دينه في هوى نفسه يعني في شيء لا يسمنه ولا يغنيه كالدخان والحشيش فاختلف في ذلك
اهل زماننا فمنهم من حرم ذلك وجعله من التبذير فلا نعطيه شيئا من الصدقات ومنهم من سكت عن الحكم
ومنهم من صرح بتحليل ذلك فالذي حرمه وسفك عليه الدماء هو السلطان واكثر اهل العلم بالله والذي
سكت فاما سكوته عن علم فامره الى الله تعالى واما عن جهل فهو معذور والذي صرح بالتحليل فان كان عن جهل

فعليه

فعليه وزر الشاربين لغرته اياهم وان كان عن علم فقياسه لا يجوز مع سواد الاعظم اعني الامام
واكثر العلماء بالله هكذا قرر استادنا واما انا فاقول الاحوط للمتدين ان لا يحوم حوله والله اعلم قوله
وفي سبيل الله اي وللصرف في الجهاد يعني للغزاة سهم من مال الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج
الى الغزو وما يستعينون به على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك
وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن
اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز
قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين
الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله تعالى وفي سبيل الله عام
في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه وفي الجامع قال الشافعي
رحمه الله يجوز للغازي ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحاق
وابي عبيد وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا **وابن السبيل** اي المسافر
المنقطع عن ماله الغير العاصي بالسفر يعطى ما يبلغه المقصد او موضع ماله ان كان له في الطريق
مال قال الاستاد اراد بابن السبيل المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته
الطريق قال الشاعر ٭ انا ابن الحرب ربتني وليدا ٭ الى ان شبت واكتهلت لداتي ٭ وكل مريد سفر مباح
ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقة ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي
يقصده او لم يكن له وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع
فريضة من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف لما دل عليه الاية اي فرض الله الصدقات للاصناف
الثمانية فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع اي تلك فريضة وفائدة التقييد بالفريضة
الاشارة الى ان صدقة التطوع يجوز دفعها الى هؤلاء والى غيرهم **والله عليم** بصالح خلقه وبتقدير
الانصباء **حكيم** يضع الاشياء في مواضعها قال الشيخ حكيم فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره
نقص وخلل وفي الغاية عليم يعلم موضع الاستحقاق حكيم حيث حصر الصدقات في هؤلاء المذكورين
المسئلة الرابعة في احكام متفرقة تتعلق بالزكوة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء
هي الزكوة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة واختلف في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها فذهب
جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه
ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهمانهم
ثمانية قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم
حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان يصرف الى اقل من ثلثة منهم ان وجد منهم ثلثة او اكثر
فلو فاوت بين اولئك الثلثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه
ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء
الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى انما سمى هذه

Copyright © King Saud University

الاصناف الثلثة اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمها بينهم جميعا وهو
قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب ابو سفيان الثوري واصحاب ابي حنيفة
واحمد بن حنبل قال احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد ويفرقها اولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال
كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف كلها وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى
موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة وان راى الخلة في الفقراء في عام قدمهم
وان راها في عام في صنف اخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق
فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيء وان
كان محترفا لكنه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الشافعي ما يرفع الحاجة
من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة أكره ان يعطى رجل واحد من
الزكوة مائتي درهم فان اعطيته اجزاه فان اعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل تجزي فيه قولان ولا يجوز
ان يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال الشافعي وابو حنيفة لا يعطي والدين
علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو
المطلب فلا يدفع اليهم من الزكوة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم انا لا تحل لنا الصدقة وقال ابو حنيفة تحرم
على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا
في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم
وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة عن بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه اكثر اهل
العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة
تؤخذ من اغنيائهم وترد في فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد اخر
واداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان
الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قال السيوطي قوله والله عليم حكيم اي عليم بخلقه حكيم
في صنعه فليس لكم صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل
بعض احاد الصنف على بعض وافادة اللام وجوب استغراق افراده لكن لا يجب على صاحب المال اذا قسم لعسره
بل يكفي اعطاء ثلثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما افادته صيغة الجمع وبينت السنة ان شرط المعطى منها
الاسلام وان لا يكون هاشميا ولا مطلبيا قال البيضاوي وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوات
بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه
ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله على ان الاية بيان ان الصدقة
لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم انتهى قال بعض الشيوخ اعلم ان للانسان روحا وبدنا ومالا فاذا بذل
الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصوم والصلوة فكيف يليق به ان
يبذل المال في ابتغاء مرضاته قوله عز وجل **ومنهم** اي ومن المنافقين الذين يحلفون بالله انهم لمنكم من هو
اشد من الكاذب اللامز في الصدقات اذ هم **الذين يؤذون** اي يعيبون **النبي** فوق ايذاء اللامز

وهذا نوع

وهذا نوع اخر من طعن المنافقين نزلت في جماعة منهم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم **ويقولون** لبعضهم في بعض
الايذاء **هو اذن** اي ليس الا الاذن بضمتين وهو الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي
بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته اذن كالتصديق للذي وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن قصدوا به
المذمة فانه من اهل سلامة القلوب والغرة فيسمع منا كلما نحدثه ويصدقنا بما نقول له من غير ان يتدبر فيه
ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به قال الشيخ نزلت في جماعة من
المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا
نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا وهلكنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما
شئنا ثم ناتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن اي اذن سامعة كل ما يقال له
ويقبله وقيل هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحاق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل
بن الحارث وكان ازنم وادلم ثائر الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه
النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث
النبي الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا
ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الاية قيل مقصود المنافقين بقوله هو اذن انه ليس ببعيد
غور بل هو سليم صدر سريع الاغترار بكل ما يسمع والظاهر ان مراد المنافقين بقوله هو اذن اي لا تدبر
له في الامور من باب الذم ففسره الله بما هو مدح له عليه السلام وثناء عليه فقال **قل هو اذن**
خير لكم اي مستمع خير لكم لا مستمع شر يعني هب انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد
عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لكم لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين ومعناه
يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم وقال بعضهم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستمع الى كل
كلام كل من حدثه بشيء لشرفه وكرمه ومجده وحسن خلقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه
صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف
وشلل ثم وصف الله تعالى نبيه وبين كونه اذن خير لهم بقوله **يؤمن بالله** اي يقر ويصدق
بوحدانية الله وما يليق به لما قام عنده من الادلة **ويؤمن للمؤمنين** اي ويصدق النبي للمؤمنين
لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم فيما يقولون ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان
بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يعدى الا بالباء فيقال
امنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله
انؤمن لك وامنتم له وما انت بمؤمن لنا افتطمعون ان يؤمنوا لكم فحصل الفرق بين المتعدي بالباء والمتعدي
باللام قال البيضاوي واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان
قوله **ورحمة** بالرفع عطف على اذن خير اي هو رحمة اي ذو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل
للمبالغة وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير عطف الخاص على العام اي هو اذن خير ورحمة لكم
لا يسمع ولا يقبل غيرهما وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اي ياذن لكم رحمة وقال ابو الليث
في معنى قوله تعالى ورحمة اي هو نعمة **للذين امنوا منكم** قال البيضاوي اي رحمة لمن اظهر

Copyright © King Saud University

الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما
عليكم انتهى قال الاستاد وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله تعالى انه رحمة
للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه عليه السلام رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر
ولا ينقب ولا يفتش عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم انتهى قال الشيخ مؤيدا للبيضاوي معناه هو رحمة
للذين اظهروا الايمان منكم نفاقا حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم حيث
لا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم اللهم استرنا بسترك الجميل في الدنيا والاخرة واسناد الايمان اليهم
بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم
امر حادث ماله من قرار ثم لما بين كونه صلى الله عليه وسلم سببا للخير والرحمة بين ان كل من اذاه استوجب العذاب
الاليم لانه يسعى في ايصال الخير والرحمة اليهم وهم يقابلون احسانه بالاساءة وخيره بالشر فلذلك استوجبوا
العذاب الاليم بقوله والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه لهم على اذيتهم
عليه من اذيته عليه السلام عذاب اليم يعني في الاخرة ثم بين ان من قبائح المنافقين اقدامهم على
الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن
ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان الكاذبة ليعذروهم ويرضوا عنهم والمعنى
يحلفون بالله لكم انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرضوكم ايها
المؤمنون بايمانهم الفاجرة قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد و
وديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير
وكان عندهم غلام من الانصار واسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام
من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى الغلام النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فدعاهم فسالهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى
الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية
وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الاية تلخيص المعنى يحلفون لكم ايها المؤمنون بالايمان
الفاجرة هؤلاء المنافقون ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله
احق ان يرضوه اي احق بالارضاء بالطاعة والوفاق والضمير عائد الى الله لان في رضى الله رضى
رسوله فتوحيد الضمير لتلازم الرضائين والمعنى والله احق ان يرضوه بالتوبة والاسلام والاخلاص
او لان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه فذكر الله تمهيد لتعظيم الرسول وبيان ان ارضاءه ارضاء
الله تعالى فلذلك اكتفى بذكر ارضاء الرسول كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمعنى ورسوله احق ان
بالطاعة فيما يامركم من امر الدين والموافقة له وعند سيبويه والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان
يرضوه فحذف الخبر من الجملة الاولى لدلالة الثانية عليه والجملة نصبت على الحالية من ضمير يحلفون وقيل
يجوز ان يكون المراد يرضوهما معا فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر ان كانوا مؤمنين اي ان كانوا
هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده الظاهر ان جوابه محذوف تقديره ان كانوا صدقا فـ

حقا

حقا كما يزعمون فليرضوا الله ورسوله فان مقتضى الايمان ابتغاء مرضاة الله ولو بسخط من سواه
الم يعلموا قرا الجمهور بياء الغيبة ردا على المنافقين والاستفهام للتوبيخ والتقريع كقول الانسان
لمن حاول تعليمه مدة وبالغ في ذلك التعليم فلم يتعلم او علم ثم نسيه او انكر بعد العلم والمعرفة يقال له
الم يعلم انه كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المؤمنين والمنافقين
وعلمهم من احكام الدين ما يحتاجون اليه قال الم يعلموا من شرايع الدين التي علمهم رسولنا
وقرئ بتاء الخطاب فقيل هو التفات من الغيبة الى الخطاب ان كان المراد به المنافقين فالاستفهام
للتوبيخ ايضا وقيل الخطاب للمؤمنين فالاستفهام للتقرير انه اي الشان من يحادد الله و
رسوله اي يشاقق الله مفاعلة من الحد وهو الجهة والجانب فان كل واحد من المخالفين
المتعاندين والمتنازعين في حد غير حد صاحبه وشق غير شق صاحبه والمعنى من يكون في حد
وجانب والله ورسوله في جانب وقيل معناه من يخالف الله ورسوله وقيل يحارب الله ورسوله او يعاند
الله ورسوله ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم اي فحق ان له نار جهنم جزاء
لصنيعه فحق خبر المبتدا وهو قوله فان له نار جهنم وانما حملنا على حذف خبر المبتدا لان ان المفتوحة
تجعل ما في حيزها في حكم المفرد فلا يصح ان يكون جزاء لانه لا يكون الا جملة ويجوز حذف المبتدا والتقدير
فالامر ان له نار جهنم والجملة الشرطية في محل الرفع على انه خبر ان الاولى وفتحت ان بعد فاء الجزاء
لاجماع القراء على فتح ان بعد الفاء في هذه الاية كما اجمعوا على كسرها في قوله ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم وقرئ فان بالكسر وهذا تخريج واضح صحيح وقد عدل عن هذا بعضهم الى وجه
اخر فقال المعتزلي ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه من يحادد الله على ان جواب من
محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم فعند اهل العربية
هذا التقدير مردود لانهم نصوا على انه اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون فعل الشرط
ماضيا او مضارعا مقرونا بلم وههنا فعل الشرط مضارع غير مقرون بلم وقالوا ايضا فانا
نجد الكلام تاما بدون هذا الذي قدره وقال المبرد ان ان الثانية مكررة للتوكيد كان
التقدير انه من يحادد الله ورسوله فله نار جهنم وكررت ان توكيدا وعند اهل العربية هذا
ايضا مردود لانه يلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط وايقاع اجنبي بين فاء الجزاء وما
في حيزه ويشكل ايضا حينئذ نصب نار جهنم فانه لو كانت تكرارا للاولى لم تقتض الا ما اقتضته
الاولى ولم تعمل الا فيما عملت فيه من غير ان تنفرد بعمل خالدا فيها على الدوام حال مقدرة من
ضميره له ذلك اي عذابه على الدوام في نار جهنم الخزي العظيم اي الفضيحة العظيمة
فان قلت هذه الاية تدل على تخليد اصحاب الكباير في النار لان المراد بالمحادة المخالفة والمعاداة
قلنا قوله تعالى الم يعلموا الاية خبر عن المنافقين الذين سبق ذكرهم فيكون المراد به المحادة بالكفر
والنفاق وذلك يوجب التخليد في النار قال ابن عباس نزلت في رهط تخلفوا عن غزوة تبوك
جاءوا حين رجع النبي صلى الله عليه وسلم يعتذرون ويحلفون فنزلت هذه الاية وغيرها يحذر
المنافقون يحذر خبر عن حذرهم لا امر عند اكثر المفسرين يعني يخاف المنافقون ويخشى وقال الزجاج

يحذر هنا بمعنى الامر اى ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم اى على المؤمنين سورة اى سورة براءة
تنبئهم اى تخبر المؤمنين بما فى قلوبهم اى بما فى قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك
ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن
فى شأنهم وكان بعضهم يقول لوددت انى جلدت مائة جلدة احب الى من ان ينزل فينا شئ يفضحنا
فنزل يحذر المنافقون قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعنى انها
فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم واثارتها وحفرت عن مخازيهم ومثالبهم قلت قد قدم
اسماء السورة قال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر
الاسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين وعن ابى مسلم ان المنافقين
اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله قل استهزءوا امر تهديد فهو كقوله
اعملوا ما شئتم ان الله مخرج اى مبرز من القوة الى الفعل او مظهر ما كان موجودا بالفعل ما كنتم
تحذرون يعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه من المؤمنين او معناه
ما تحذرون اخراجه من النفاق تلخيصه اى ما تحذرون من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من [illegible]
قال ابن كيسان نزلت هذه الاية فى اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة
لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له فى ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة
حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم
فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة م عن قيس بن
عباد قال قلت لعمار ارأيتم قتالكم ارأيا رأيتموه فان الرأى يخطئ ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله شيئا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان فى امتى قال شعبة واحسبه قال حدثنى حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فى امتى اثنى عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل فى سم الخياط ثمانية منهم
تكفيكهم الدبيلة سراج من نار يظهر فى اكتافهم حتى ينجم من صدورهم ولئن سألتهم يا محمد اى المستهزئين
بالقرآن وبك ما هذا الكلام الذى تتحدثون ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال السيوطى معناه
والله لئن سالت المنافقين عن استهزائهم بك وبالقرآن وهم سائرون معك الى تبوك ليقولون
فى اعتذارهم انما كنا نخوض فى الكلام ونقطع الطريق ونلعب كما يفعله الركب فى السفر ولم نقصد الاستهزاء
واصل الخوض الدخول فى مائع كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل فى كل دخول فيه تلويث
والذى سبب نزول هذه الاية على ما قال الكلبى ومقاتل ومجاهد وقتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
يسير فى غزوة تبوك وبين يديه ثلثة نفر اثنان يستهزءان بالقرآن وبالرسول والثالث يضحك قيل كانوا
يقولون ان محمدا يزعم ان الله يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل

فاصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن وانما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال
احبسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب يعنى كنا نتحدث ونخوض
فى الكلام كما كان الركب يقطع الطريق بالحديث واللعب قال ابن عمر رضى الله عنه رايت عبد الله بن ابى يشتد قدام
النبى صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بامر الله
له فى جوابه قل ابالله اى بتكاليفه او باسمائه او بقدرته حيث استبعدتم اعانته الرسول واصحابه على
فتح قصور الشام وآياته اى بالقرآن العظيم ورسوله اى وبرسوله محمد كنتم تستهزءون ما يلتفت
اليه ويترتب عليه وفى رواية ان جبريل عليه السلام نزل فاخبر النبى باستهزائهم وضحكهم فبعث النبى
اليهم عمار بن ياسر فقال اذهب الى اولئك وسلهم عما يتحدثون ويضحكون واخبر النبى عمارا قبل ذهابه اليهم
بانهم يستهزءون بالقرآن واخبره بانك اذا سألتهم عن ضحكهم يقولون لك انما كنا نخوض ونلعب فلما ذهب
عمار بن ياسر فسألهم ما تقولون قالوا انما كنا نخوض ونلعب فيما يخوض فيه الركب اذا ساروا ونضحك
بيننا ليقصر بعضنا على بعض السفر قال عمار بن ياسر رضى الله عنه صدق الله وبلغ رسوله هكذا اخبرنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بانكم تقولون ما قلتم لى ثم قال عمار غضب الله عليكم هلكتم فعرفوا عند ذلك
انه نزل فيهم قرآن فجاءوا واعتذروا فنزل قوله تعالى لا تعتذروا اى لا تظهروا عذركم فى الكاذب
فانه لا ينفعكم بعد ظهور اسراركم قد كفرتم اى قد اظهرتم الكفر بالاستهزاء والايذاء بعد ايمانكم
اى بعد اظهاركم الايمان قال السمرقندى معناه قد كفرتم فى السر بعد ايمانكم فى العلانية ويقال قد اقمتم على
كفركم الاول فى السر بعد ايمانكم مع الاقرار فى العلانية بالايمان انتهى تلخيصه فقد ظهر كفركم بعد اظهاركم
الايمان وانما قلت تلخيصه لانه لو قال قائل كيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم ولم يكونوا مؤمنين فى السر
اصلا قلنا معناه قد اظهرتم الكفر الباطن بعد ما اظهرتم الايمان وفى الجامع وفيه دليل على ان الجد
واللعب فى اظهار كلمة الكفر سواء فان الهزل بالكفر كفر بلا خلاف بين الائمة ان نعف عن طائفة
منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء بالرسول واراد بالطائفة هنا مخشى
بن حمير الاشجعى نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين اى مصرين على النفاق والاستهزاء
قال الكاشى ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب
توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحاق الذى عفى الله
عنه رجل واحد وهو مخشى بن حمير الاشجعى يقال انه هو الذى كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان
يمشى مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت هذه الاية تاب من نفاقه ورجع
الى الاسلام وقال اللهم انى لا ازال اسمع اية تقرأ اعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها
القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب
يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قال ابن عباس الطائفة الواحد فما فوقها قال ابن
الانبارى ان لفظ الجمع يطلق على الواحد كما فى قوله تعالى الذين قال لهم الناس والمراد نعيم بن مسعود
قرأ عاصم نعف برفع الفاء وفتح النون نعذب بضم النون وكسر الذال طائفة نصب على المفعولية اضافه
من الله عن نفسه بكلمة المعظم والباقون بضم ياء الغيبة وفتح الفاء فى يعف تعذب بضم تاء التأنيث

وفتح الذال ورفع طايفة على قيامها مقام الفاعل وقرئ بياء الغيبة وبناء الفاعل فيهما وهو الله وقرئ
وان تُعْفَ بالتاء والبناء للمفعول وفيها غرابة لاسناد الفعل المونث الى الظرف لكنه محمول على المعنى
كانه قال ان تُرْحَمْ طايفة وقوله تعالى **المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ** يعنى انهم
متشابهون فى الدين كابعاض الشى الواحد اى انهم كذكورهم فى تلك الافعال المنكرة تلخيصه انهم على
امر واحد ودين واحد يجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت
منى اى امرنا واحد لا مباينة فيه والحاصل هذا تكذيب للمنافقين فى قولهم انهم لمنكم لانهم متواصلون
متحدون فى وصف النفاق ذكورهم واناثهم وقوله وما هم منكم وان كان ردا لتلك الدعوى
الا انه لم يكن مشتملا على ما يضاد دعواهم من قوله **يَأْمُرُونَ بِالمُنكَرِ** اى يامر بعضهم بعضا بالشرك
والمعصية وبجميع ما انكره الشارع **وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ** اى عن الايمان والطاعة وتصديق
الرسول **وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ** عن الانفاق فى الطاعة وفى جميع سبل الخير فقبض اليد كناية عن
البخل والشح **نَسُوا اللهَ** اى غفلوا ذكر الله وتركوا طاعته **فَنَسِيَهُمْ** اى فتركهم من لطفه
وفضله بالتوفيق فى الدنيا والرحمة فى الاخرة قال الشيخ معناه انهم تركوا امر الله حتى صاروا بمنزلة
الناسين له فجازاهم الله على ذلك بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه تخرج على مزاوجة
الكلام نحو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال الاستاد معناه ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة
والاحسان يعنى جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره **إِنَّ المُنَافِقِينَ**
هُمُ الفَاسِقُونَ اى الكاملون فى التمرد والفسق الذى هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن
كل خير والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى **وَعَدَ اللهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ**
وَالكُفَّارَ اى المجاهرين بالكفر يقال وعده بالخير وعدا وواعده بالشر وعيدا
فالوعد يكون فى الخير والشر **نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** فيه حذف تقديره بان يصلوها
خالدين يعنى مقدرين الخلود ومقيمين فيها نحو كونه خالدين حال عن المفعول الاول للوعد يقدر
لان هذه الحال لم يقارن الوعد **هِيَ حَسْبُهُمْ** اى هى كافيهم عقابا وجزاء على كفرهم ونفاقهم
وتركهم الايمان والطاعة تلخيصه تلك العقوبة كافية لهم ولا محل لهذه الجملة الاستينافية
وَلَعَنَهُمُ اللهُ اى ابعدهم الله من رحمته وطردهم عن بابه واهانهم وفى اظهار اسم الجليل
الاعظم من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى **وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** اى دايم لا ينقطع تلخيصه
المعنى ان لهم نوعا اخر من العذاب المقيم الدايم سوى العذاب بالنار فالخلود المذكور اولا يدل
على ان العذاب بالنار دايم وقوله ولهم عذاب مقيم يدل على ان لهم من ذلك نوعا اخر من العذاب
فان قيل هذا مشكل لانه قيل فى النار المخلدة هى حسبهم وحسبهم يمنع من ضم شى اخر اليه فالجواب
انها حسبهم فى الايلام ومع ذلك يضم اليه نوع اخر زيادة فى تعذيبهم قال بعضهم المراد بقوله
ولهم عذاب مقيم العذاب العاجل الذى لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من الخوف من اطلاع
الرسول صلى الله عليه وسلم على بواطنهم وما يجدونه من انواع الفضايح **كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** مثل
خبر مبتدا محذوف اى انتم ايها المنافقون مثل الذين من قبلكم من بنى اسرائيل يعنى انكم فعلتم بنبيكم مثل

الذين

الذين فعلوا قبلكم بانبيائهم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم فى الامر بالمنكر
والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن فعل الخير والطاعة ثم وصف الله الكفار بانهم كانوا اشد
من هولاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال **كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً** اى بطشا ومنعة فى
عساكرهم **وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا** تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم اى هم عصوا
فاهلكوا فانتم اولى بالاهلاك لمعصيتكم وضعفكم **فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ** اى فتمتعوا بنصيبهم
وحظهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها بدلا وعوضا من الاخرة والخلاق النصيب
وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له وسمى النصيب نصيبا لانه نصب له
فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ وهذا خطاب للحاضرين من الكفرة والمنافقين يعنى فتمتعتم ايها المنافقون
والكافرون بنصيبكم الذى اوتيتم فى الدنيا من الحظوظ الفانية ورضيتم بها وقطعتم النظر
عن العاقبة وطلب الفلاح فى الاخرة **كَمَا اسْتَمْتَعَ** الكاف فى محل النصب نعتا لمصدر محذوف
اى استمتاعا كاستمتاع **الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم** من الامم السالفة **بِخَلَاقِهِمْ** اى بنصيبهم من
الدنيا استغناء عن نصيب الاخرة فان قلت اى فايدة فى قوله فاستمتعوا بخلاقهم والحال
ان قوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذى خاضوا عن
ان يقال وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا قلت فايدته انه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما
اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتها الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب
الفلاح فى الاخرة وجعل تمهيدا لذم المخاطبين بان شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد
ان تنبه بعض الظلمة عن سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف
بغير حق وانت تفعل مثله ولم يسلك هذا المسلك فى التشبيه الثانى وهو قوله وخضتم كالذى خاضوا
حيث لم يقل وخاضوا وخضتم كالذى خاضوا اكتفاء بتقديم التمهيد المذكور فى التشبيه الاول
فان التشبيه الثانى لما كان معطوفا على التشبيه الاول علم ان المقدمة المذكورة هناك مقصودة
ههنا فاستغنى عن ذكرها فى التشبيه الثانى **وَخُضْتُمْ** اى دخلتم فى الباطل عطف على ما قبله ومستند
اليه **كَالَّذِي خَاضُوا** اى خضتم خوضا كالخوض الذى او الذين خاضوا تلخيصه وسلكتم فى
فعلكم مثل ما سلكوا فى اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمومنين
قال البغوى يعنى قوله كالذى خاضوا اى كما خاضوا وقيل كالذى يعنى الذين خاضوا وذلك ان
الذى اسم ناقص مثل ما ومن يعبر به عن الواحد والجمع نظيره قوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا ثم قال
ذهب الله بنورهم **أُولَٰئِكَ** الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة يعنى الذين رضوا بنصيبهم
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ اى بطلت اعمالهم التى كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت
الايمان تلخيصه ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر لعدم مقارنتها الايمان **فِي**
الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ يعنى لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين قال الاستاد معناه ان اعمالهم لا تنفعهم
فى الدنيا ولا فى الاخرة بل يعاقبون عليها قال الشيخ معناه لم يترتب على اعمالهم اثر فى الدنيا
والاخرة بطريق المثوبة والكرامة اما فى الاخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها

Copyright © King Saud University

من الصحبة والبيعة وغيرهما حسنًا ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس مرتبة عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق المكر
والاستدراج واولئك هم الخاسرون والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا
تبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى
لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ثم لما شبه المنافقين
بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزايل بين ان اولئك الكفار منهم قد
اندرست طوايف سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهي الشام واليمن والعراق قريب من بلادهم
وقد بقيت اثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام للتقرير فقال الم ياتهم اي
يات هولاء المنافقين والكفار يعني قد اتاهم نبا اي خبر الذين من قبلهم اي الامم الخالية
الذين من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال قوم نوح
بالجر بدل من الذين اهلكناهم بالطوفان لتكذيبهم نوحًا وعاد اي وقوم عاد اهلكناهم بالريح
العقيم لتكذيبهم هودًا وثمود اي وقوم ثمود اهلكناهم بصيحة جبريل والرجفة لتكذيبهم صالحًا
وقوم ابراهيم وهم قوم نمرود بن كنعان اهلكناه بالبعوض الذي هو اضعف الخلق بسبب عتوه
وتجبره على الخلق وسلب الله نعمته عنهم لتكذيبهم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب
اهلكوا بعذاب يوم الظلة لتكذيبهم شعيبًا والموتفكات اي مداين قوم لوط يعني قراها واهلها
اهلكناهم بجعلنا عاليها سافلها وامطارنا الحجارة عليها لتكذيبهم لوطا جمع موتفكة اي
المكذبة لنبيهم او المنقلبة يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مداين قوم لوط
كما قلنا انفا وانما ذكر الله هذه الطوايف الستة لان اثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق
والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليها ويعرفون اخبارهم اتتهم
رسلهم استيناف لبيان نباهم فالضمير في اتتهم رسلهم على القول الاول يعود على جميع من تقدم
ذكره من الامم وخصه بعضهم بالموتفكات فيكون المراد بالرسل لوط عليه السلام الا انه ذكره
بلفظ الجمع لانه كان يرسل الى كل قرية رسولًا داعيًا الى الحق فهم رسل الرسول بالبينات
اي بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا كما فعلتم
ايها الكفار والمنافقون فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل النقمة كما عجلت لهم
فما كان الله ليظلمهم بتعجيل العقوبة لهم يعني لم يهلكهم بغير ذنب قال السلطان اي لم
يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم قال الشيخ الفاء للطعن على تقدير
والمعنى فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك تخصيصه ما صح وما استقام له ان يظلمهم
ولكنهم ظلموا انفسهم فنظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة الله تعالى عن الظلم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون يعني ان الذين استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم اي بارتكابهم الذي
حيث عرضوا انفسهم للعقاب بالكفر والمعاصي يعني بترك طاعة الله وتكذيب رسله وبما بين

حال المنافقين والمنافقات وذمهم على صنيعهم اخبر عن حسن حال المومنين والمومنات الكاملين
في الاخلاص جمعًا بين الترغيب والترهيب على ما هو سنته في كتابه فقال والمومنون والمومنات
بعضهم اولياء بعض سرًا وعلانية في الدين والاعانة والتراحم والتناصر واتفاق الكلمة
قال السمرقندي معناه بعضهم على دين بعض وبعضهم معين بعض في الطاعة انتهى فان قلت انه تعالى
قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وفي وصف المومنين بعضهم اولياء بعض فما الفايدة في ذلك
قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر حصل بمقتضى
الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المومنين بتسديد الله وتوفيقه
وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اولياء بعض هنا في مقابلة قوله
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفايدة يامرون
بالمعروف يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة
وينهون عن المنكر اي عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا
في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده حيث قال يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال في
اية اخرى في وصف المنافقين ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى وقال في وصف المومنين هنا
ويقيمون الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها ويوتون الزكوة الواجبة عليهم وهو في
مقابلة قوله ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله في ساير الامور وهو في مقابلة نسوا
الله فنسيهم اولئك اي المومنون والمومنات الموصوفون بهذه الصفات الجليلة سيرحمهم الله
لانهم ما نسوا الله فلا ينساهم في الدنيا والاخرة والجزاء من جنس العمل لما ذكر الله وعد
المنافقين من العذاب في نار جهنم حيث قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم قال في مقابلة ذلك لطفا بالمومنين سيرحمهم الله
بالرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنان ما لا عين رات ولا اذن سمعت ووعده حق وقوله صدق
ولهذا قال المفسرون والسين في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد في الوقوع لان السين في الاثبات كلن
في النفي قال التفتازاني ولهذا قد يتمحض للتاكيد من غير قصد الى معنى الاستقبال قال البيضاوي بعد قوله
سيرحمهم الله لا محالة فان السين موكدة للوقوع وفي المدارك السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة
فهي توكد الوعد كما توكد الوعيد في سانتقم منك يومًا وفي الغاية سيرحمهم الله لا محالة لان
السين في الاثبات مثل لن في النفي قال ابن الكمال السين موكدة للوعد مفيدة لوقوع الرحمة لا محالة هنا
بحسب جليل النظر والذي هو بحسب دقيقه انها مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تنتقم برجائه
وفضله تعالى زعيم بالانجاز قال في الجامع معناه يفيض عليهم اثار رحمته من التاييد والنصرة
لان السين للاستقبال وصاحب اللباب ايضا يقول والسين في سيرحمهم الله للتوكيد والمبالغة وفيه
التبصرة معناه وان كان في بعض المومنين ضعف ايمان سيرحمهم بتقويته فيهم قلت معناه سيرحمهم
الله بمحض فضله في الدنيا والاخرة من الشدايد كلها ويويدهم قلنا ما ذكر عن ابي سعيد الفاريابي انه
قال سيرحمهم الله في خمس مواضع عند الموت وسكراته وفي القبر وظلماته وعند الكتاب وحسراته

وعند الميزان وندامته. وعند الوقوف بين يدي الله وسؤالاته. والله اعلم باسرار كتابه إن الله عزيز
اي غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد. وايصال العقوبة لمن اراد
تخصيصه قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يحكم بحكمته للمومنين بالجنة وللكافرين بالنار
حسب وعده الكريم قال الشيخ معناه يضع الاشياء موضعها قال الاستاذ الحكيم هو الذي يدبر عباده
على ما يقتضيه العدل والانصاف بين بحكمته وعده للمومنين حيث قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها لما ذكر الله في الايات المتقدمة وعيد المنافقين
وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد
بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يحير في حسنها الناظر لانه قال تعالى ومساكن
طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فيكون مساكنهم في جنات
عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات
الاخر هي البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بين
الجامع فيكون المعطوف وهو قوله ومساكن طيبة مغايرا للمعطوف عليه وهو قوله جنات تجري الخ
من فائدة المغايرة ان يكون المساكن الطيبة الكائنة في جنات عدن للنبيين والشهداء والصديقين
والجنات لمن عداهم قلت وياتيك الخلاف والتفصيل ان شاء الله تعالى قوله تعالى ومساكن طيبة يعني
ومنازل يسكنونها طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش قال السمرقندي يعني منازل طاهرة يطيب
فيها النفس في جنات عدن يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام روى
الطبري بسنده عن عمران بن حصين وابي هريرة رضي الله عنهما قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار
سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل
فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت
سبعون وصيفة ويعطى المومن من القوة في غداة ما ياتي على ذلك كله اجمع وروى بسنده عن ابي
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على
قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله
طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاويلها فقوله عدن
داره يعني دار الله هو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار الله التي اعدها لاوليائه واهل
والمقربين من عباده عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء
الكبرياء على وجهه تعالى في جنة عدن اخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن
الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج و
له خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة
جنانه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن اعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها

مخدقة

مخدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها وهم الانبياء والصديقون
والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح
طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام فخر الدين حاصل الكلام
ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوي
هذا القول قال بعضهم وعدن علم بدليل قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول
الثاني انه صفة للجنة قال الازهري العدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن
عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن الى هنا ذكر صاحب اللباب رحمه الله في
الغاية قوله تعالى وعد الله المومنين الى ان قال ومساكن طيبة تفصيل لما اجمله في قوله سيرحمهم الله
وقد روى البخاري مرفوعا ان للمومن في الجنة قبة من ياقوتة حمراء طولها ستون ميلا وله في كل
زاوية منها اهلون وفي الغاية ايضا قوله تعالى في جنات عدن اي اقامة من قولهم عدن بالمكان
اذا اقام به وقد صار علما بالغلبة لقوله جنات عدن التي وعد لهم ولقوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده والحديث الذي يرفعونه ان عدنا دار الله التي لا يسكنها الا النبيون والصديقون
والشهداء ليس له اصل ويرده هذا النص لانه اثبته لكافة المومنين والمومنات انتهى قلت قال ابن
كمال وعدن مقام معين وساق حديث ابي الدرداء الى ان قال لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء وهذا لا ينافي تعميم الوعد لساير المومنين لان الموعود لهم ما في قوله من الجنات انتهى
اقول وقد اثبت البخاري البينية بين القوم وبين نظرهم لربهم برداء الكبرياء على وجهه تعالى
في جنة عدن وهي داره على مراده كما ان الكعبة بيته على مراده فله ان يدخلها من شاء من خواصه
من النبيين والشهداء والصديقين قال السمرقندي في تفسيره وعن مجاهد انه قال قرا امير
المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر جنات عدن فقال ايها الناس وما جنات عدن
عدن هو قصر في الجنة من ذهب له خمسمائة الف باب وعلى كل باب خمس وعشرون الفا من الحور العين
لا يدخلها الا نبي وهنيئا لصاحب القبر واشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم او صديق وهنيئا لابي بكر
الصديق او شهيد واني لعمر الشهادة وفي المدارك وعدن مدينة في الجنة وذكر غوث الله الاعظم
المستانس بالله المستوحش عن غير الله الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره في غنيته ما نصه
فبينما اهل الجنة على لذاتهم وسرورهم اذ يفتح لهم باب الملك القدوس من جنة عدن فاذا تجيء
اصوات صفوف الروحانيين من جنة عدن بتماجيد الماجد الكريم الى درجات الجنان وثارت
ريح عدنية بالوان الطيب والروائح والنسيم نسيم القربة وسطع على اثر ذلك نور فاشرقت منه
رياضهم وخيامهم وشواطي انهارهم واستنار كل شئ منه نورا ثم ناداهم الجليل من فوق رؤسهم
السلام عليكم احبائي واوليائي واصفيائي ثم طال حديثه وذكر ما لاهل الجنة من النعيم والسرور
عند رب العالمين ومن اراد تحقيق المقام فليراجع غنيته ثم وعد الله عباده بما هو اعلى من
طيب العيش بقوله ورضوان من الله اكبر يعني رضوانه عنهم اعظم مما هم فيه من
الثواب والنعيم في الجنة تخصيصه شئ اي رضوان الله اكبر من الجنات ونعيمها ومساكنها

كلها لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصل والفوز باللقاء ذلك هو الفوز العظيم اى
النجاة الوافرة يعني الرضوان او ما تقدم ذكره من نعيم الجنة ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك
ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم
تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول
احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده عليكم ابدا وعن بعض العارفين ليت لي عند الله ركعتين مقبولتين
لان القبول علامة الرضى قل العمل او كثر ولهذا فسر رضوان بشئ قليل وان كان وحده ذاته كثيرا قال
الامام الرازي قدس سره وانما كان الرضوان اكبر عند العارفين لانه نعيم روحاني وهو اشرف من النعيم
الجسماني ثم لما وصف الله الكفار والمنافقين وكشف للرسول صلى الله عليه وسلم احوال المستترين منهم بالنفاق
امر بجهادهم بقوله يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمحاربة والقتال والمنافقين اى وجاهد
المنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وقيل باليد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب
فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن باقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسباب الحدود
قيل في قول الحسن بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا تعلق لاقامة الحدود على النفاق
وانما قال الحسن وقتادة ايضا ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي
النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري واقوى الادلة ان الجهاد مع الكفار بالسيف ومع المنافقين
باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا قول ابن مسعود وسبب هذا
الاختلاف في جهاد المنافقين ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك
لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام قال الاستاذ وانما قدم الكفار لان جهادهم اهم
واتم ويقاتل المنافق بالسيف ايضا اذا كشف الله ما في بواطنهم من الكفر ولم تنفعهم الحجة قال الله
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا قال عطاء نسخت هذه الاية كل شئ من العفو والصفح قال الشيخ
قلنا وجاهد المنافقين باللسان دون السيف لاظهارهم الاسلام ولقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على
الله واغلظ عليهم اى اشدد على الفريقين جميعا بالسيف على الكفار ومع المنافقين ومن في عقيدته زيغ
باظهار الحجة عليهم وبترك الرفق بهم وبالزجر باللسان هذا في الدنيا ثم بين الله من جهتهم جميعا
في الاخرة فقال ومأواهم جهنم وبئس المصير يعني ان جهنم مأواهم ومسكنهم وبئس المصير مصيرهم
اليها ثم بين الله لرسوله سوء معاملتهم وخبث فعالهم بقوله يحلفون اى المنافقون بالله
ما قالوا اى ما بلغك عنهم من السب ولقد قالوا كلمة الكفر وهي كلمة الجلاس او كلمة عبد الله
ابن ابي بن سلول وكفروا بعد اسلامهم اى اظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام اختلف المفسرون
فيمن نزلت هذه الاية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد قبل هو وابن امرأته مصعب
من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن اشر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال
مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في
القرآن

القرآن او ان تصيبني قارعة او اخلط بخطيئته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
اقبلت انا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط بخطيئته او تصيبني
قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب فحلف
ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الاية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سياتيكم انسان فينظر اليكم
بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا
وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر
الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من غفار
وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول
للاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك يعني نحن
سلطناهم على انفسنا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من
المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الاية
هذه روايات الطبري وذكر البغوي وكذا عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم
فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله
الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فحلف عامر بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله
وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى
بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع الله قد عرض علي
التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الاية وستاتي قصة
ابي في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى وقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا الضمير للمنافقين
واسناد الفعل اليهم لصدوره عن البعض في الجملة المعنى قصدوا ما لم يصلوا ان يفعلوه قال
مجاهد همّ الجلاس بقتل رجل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل همّ عبد الله بن
ابي بن سلول وكان الذي همّ قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقال السدي قال المنافقون اذا
رجعنا الى المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن سلول تاجا واب لم يرض محمد فلم يصلوا اليه
وقيل همّ اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجعه عليه
السلام من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل

حذيفة او عمار بن ياسر لذلك كما مر قوله وما نقموا اى وما عابوا وما طعنوا على محمد صلى الله عليه وسلم
وما انكروا عليه او وما جاء هذا لما يورث نقمتهم وطعنهم على النبي والمؤمنين او وما اكرهوا شيئا
من امر محمد واصحابه الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله اى الا بسبب ان وسع الله
عيشهم من فضله بالغنايم على يد رسوله بعد شدة حاجتهم يعني لم ينلهم منه الا هذا وهذا ليس مما ينقم
ويعاب والضمير في فضله لله تعالى وتوسيط ذكر الرسول عليه السلام لانه الواسطة في وصول
الفضل المذكور منه تعالى تلخيصه ما انكروا شيئا من امر النبي الا هذا الامر الجميل الحسن فهو كقول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ❊ بهن فلول من قراع الكتايب ❊ اى ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنايم
فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل مولى له فامر له النبي صلى الله عليه وسلم
بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال
عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر الفا
وفيه نزلت وما نقموا الخ قال الشيخ والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله
عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا وذلك ان اهل المدينة كانوا اهل زرع
وعمل واكثرهم كانوا محاويج فلما قدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالبركة فقال اللهم بارك
لهم في صاعهم ومدهم اللهم اجعل البركة بها ضعفي ما بمكة وصحح هواها وانقل حماها الى الجحفة وحصل لهم
الفتوح والغنايم والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل تقدير الاول ما نقموا وما كرهوا شيئا
منهم الا اغناء الله اياهم وهو من باب قولهم ما لي عندك ذنب الا اني احسنت اليك وتقدير الثاني ما نقموا
وما كرهوا الداعي لشيء ما الا لاجل ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا عن النفاق و
يؤمنوا بالله ورسوله يك اى يكون التوبة خيرا لهم من الاقامة على النفاق في الدنيا والاخرة
لنجاتهم من العذاب ووصولهم الى الثواب في العقبى والعاقل اذا سمع مثل هذه الايات يتوب كما تاب الجلاس
وان يتولوا اى وان يعرضوا عن التوبة ويصروا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا اليما
في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وانواع الخزي والاذلال والاخرة اى ويعذبهم في الاخرة بالنار
وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها
من ولي ولا نصير اى ليس لهم ولي يتولى امرهم ولا نصير فينجيهم من العذاب بالقهر والمدافعة
بالارض لان لهم منها اعوانا وانصارا وفي الاخرة لا انساب ولا اسباب وقيل اراد بالارض ارض
الدنيا والاخرة وقيل كان اعتقادهم وجود الولي والنصير مقصورا على الدنيا فعبر عن الدنيا بالارض
وخصها بالذكر لذلك ومنهم اى من المنافقين من عاهد الله في هذا الفعل معنى
القسم فلذلك اجيب بقوله لنصدقن وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه واللام للتوطئة
ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له لئن آتانا من فضله بان يوسع علينا في الرزق
لنصدقن اى لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال الصدقة الزكوة روى البغوي بسنده الثعلبي
عن ابي امامة الباهلي واخرجه الطبري بسنده ايضا عن ابي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب
الانصاري

الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله
ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع
الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة والذي نفسي بيده
لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة
فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهي تنمى كما ينمى الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر ويصلي في غنمه ساير الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد
الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان
اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله اية الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف ياخذان
وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة
فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا
حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم
استقبلهما بها فلما راياها قالا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا
الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية اذهبا حتى ارى رايي قال فاقبلا فلما راهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يتكلما يا ويح
ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله
فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الاية الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة
لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته
فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته
رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~صدقته رجع الى منزله~~ فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي
فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها فلما ولي
عمر فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر انا لا اقبلها منك فلم يقبلها
ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه
واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه

اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه
وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها فان قلت باب التوبة مفتوح الى ان يطلع الشمس من مغربها
فلم لم يقبل توبته وقد جاء تائبا قلت توبته لم تكن عن اخلاص بدليل قوله تعا فاعقبهم نفاقا الى يوم
يلقونه ورواية ابي امامة هي المشهور عند المفسرين وقال ابن عباس ان ثعلبة اتا مجلسا من مجالس الانصار
فاشهدهم لئن اتاني الله من فضله اتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات
ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية وقال الحسن ومجاهد
نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله
من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السايب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال
بالشام فابطا عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن
منه ولاصلن فلما اتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الاية وبرواية ابن السايب قاله
الكلبي ايضا قال السمرقندي في تفسيره وقال مقاتل نزل في ثعلبة بن حاطب الانصاري كان محتاجا
فقال لئن آتانا من فضله لنصدقن وابتلاه الله تعالى فرزقه وذلك ان مولى لعمر بن الخطاب قتل
رجلا من المنافقين خطا فدفع النبي ديته الى عصبته وهو ثعلبة فبخل ومنع حق الله تعا وهذه الرواية
قريب لرواية ابن عباس غير انه ما فصل كيفية الموت وبينه مقاتل والله اعلم قال صاحب اللباب وحاصله
ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليتصدقن وليفعلن فيه
افعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سال لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الاية ومن
المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن ولنخرجن
من ذلك المال صدقة **وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ** اي ولنعملن في ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح
بأموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكوة وايصالها
الى اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله
لنصدقن اخراج الزكوة الواجبة وقوله لنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على
الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة قال ابن عباس يريد الحج ليلائم المعطوف عليه اعني لنصدقن
اشارة الى الزكوة فيحسن ترتيبها على ايتاء المال المشار اليه بقوله لئن آتانا من فضله ومن ههنا قالوا
الصلاح في المال بعد الصدقة المنفقة في الحج والغزو **فَلَمَّا آتَاهُمْ** اي اعطى الله المنافقين من
فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ يعني منعوا حق الله منه ولم يفعلوا من افعال البر شيئا **وَتَوَلَّوْا** عن طاعة
الله ولم يفوا بالعهد **وَهُمْ مُعْرِضُونَ** اي وهم قوم عادتهم الاعراض عن العهد **فَأَعْقَبَهُمْ** اي تصيير
الله عاقبة المنافقين **نِفَاقًا** ثابتا مستمرا **فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ** اي يلقون الله وهو
يوم القيمة او يوم موتهم قال الاستاذ معناه فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك سببا لزيادة النفاق
وسوء الاعتقاد في قلوبهم قال البغوي يريد حرمهم التوبة الى يوم القيمة وقيل ويجوز ان يكون ضمير قوله
فاعقبهم للبخل والمعنى فاورثهم البخل باخراج الزكاة نفاقا متمكنا في قلوبهم الى ان يلقون الله بالموت
وقيل يلقون عمل البخل اي جزاءه **بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ** اي بسبب اخلافهم ما وعدوه
من

على تقدير ان يكون ضمير اعقب للبخل ايضا

من اعطاء الزكوة والصلاح **وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** اي وبسبب كونهم كاذبين فيما وعدوا بقولهم
لنصدقن ولنكونن من الصالحين قرا الجمهور يكذبون مخففا وقرئ مشددا وقال الامام فخر الدين
ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم الاحتراز
عن ذلك ويجتهد في الوفاء به عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اية
المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كن فيه كان منافقا وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان اخرجه الشيخان والترمذي والنسائي عن ابي هريرة وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن
كان فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال صاحب اللباب في تفسيره قال
الشيخ الامام محي الدين النواوي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه
الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء على ان من كان مصدقا
بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم
السلام جمعوا هذه الخصال حيث قالوا اكله الذيب كذبا وانا له لحافظون خلفا في الوعد وائتمنهم ابوهم
على يوسف فخانوه وهم مع ذلك ليسوا بمنافقين بل كانوا مومنين وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض
العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي
قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها
شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه
وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه
وعاهده من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى
الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلد في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم
كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض
العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا
فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في
امر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطا بن
ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر
ورواه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال اكثر ائمتنا وحكى
الخطابي قولا اخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم
ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول
فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا

Copyright ... University

وقال عبد الله بن مسعود اعتبروا المنافق بالثلث اذا حدث كذب واذا وعد خان واذا عاهد
غدر ثم قرا ومنهم من عاهد الله الى قوله وبما كانوا يكذبون فقد ذكر الثلثة فى هذه الاية
هكذا ذكره السمرقندى والله اعلم باسرار كتابه وفى جامع الاسرار المراد بخلف الوعد فى الاية الخلف
مع الانكار وبالخيانة الخيانة فى دين الله بترك الواجبات وارتكاب المحرمات استحلالا ونفاقا
لان الاية فى حق المنافقين وقوله تعالى **الم يعلموا** قرا الجمهور بياء الغيبة والاستفهام لتقرير
عناد المنافقين يتعلق بقوله لين آتانا من فضله اى الم يعرفوا هولاء المنافقين **ان الله**
يعلم سرهم اى ما اسروه فى انفسهم من النفاق او العزم على خلاف ما وعدوه **ونجواهم**
من النجوى وهو الكلام الخفى يعنى ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين والفكر بردّ
الله حين هو ابه على العقبة وتسمية الصدقة جزية او اخت الجزية وتدبير منعها عن مستحقها
وقرى الم تعلموا بتاء الخطاب للمؤمنين دون المنافقين لتخصيص المعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع احوالهم
لا يخفى عليه شيء منها **وان الله علام الغيوب** وهذا مبالغة فى العلم يعنى ان الله عالم بجميع الاشياء
فكيف يخفى عليه احوالهم والغيوب ما غاب عن العباد والخلق يعنى علم غيب كل شيء مما هو به
الذين يلمزون اى يعيبون **المطوعين** اى المتطوعين المتبرعين المتنفلين بما ليس بواجب عليهم
من المؤمنين حال من المطوعين **فى الصدقات** متعلق بيلمزون **ق** عن ابى مسعود البدرى قال لما نزلت
اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مراء وجاء رجل فتصدق
بصاع فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين الاية قال ابن عباس وغيره
من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضى
الله عنه باربعة الاف درهم قال السمرقندى باربعة الاف درهم عددا ووزن كل درهم مثقال وقال
يا رسول الله مالى ثمانية الاف جئتك باربعة الاف فاجعلها فى سبيل الله وامسكت اربعة الاف
لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله فى مال
عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وفى رواية
السمرقندى فبارك الله فيه حتى انه بلغ ماله حين مات انه طلق احدى نسائه ثلثا فى مرضه فصالحها
على ثمانين الف درهم ونيف وفى رواية اخرى ثمانين الف دينار ونيف وفى رواية فبارك الله فيه
حتى صولحت امراته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وقيل دينار وتصدق يومئذ عاصم
ابن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وقيل سبعين وسقا من تمر وكل واحد منهم جاء بمقدار طاقته
حتى جاء ابو عقيل الانصارى واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال اجرت الليلة الماضية نفسى من رجل
لارسال الماء الى نخيله فاخذت منه صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالى واقرضت الاخر لربى
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى الصدقات وفى رواية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينثره فى الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله
لغنيان وفى رواية وان الله لغنى عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات
او ليذكر مع ساير الاكابر فانزل الله الاية قوله الذين مرفوع على الذم على اضمار مبتدا اى هم الذين

او منصوب عليه باضمار اعنى الذين او مجرور على البدلية من الضمير فى سرهم ونجواهم وقرى يلمزون
بضم الميم **والذين لا يجدون الا جهدهم** عطف على المطوعين اى يلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم
يعنى ابا عقيل الانصارى كما قلنا قرا الجمهور جهدهم بضم الجيم وقرى بفتحها فقيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل المضموم
الطاقة والمفتوح المشقة وقيل المضموم شيء قليل يعاش به والمفتوح العمل وهو مصدر جهد اذا بالغ فيه وقال
الشعبى الجهد بالضم هو القوت والقوت ماخوذ من القوت وهو القلة والجهد بالفتح فى العمل قال الشيخ
وقد يكون القليل من المال الذى ياتى به المتصدق اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذى ياتى به لان
الغنى اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذى اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد
وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة **فيسخرون منهم** اى فيستهزؤن بالمؤمنين فى عمل الخير معطوف على يلمزون وقوله تعالى
سخر الله منهم اى جازاهم الله على سخريتهم فهو كقوله الله يستهزئ بهم فهو خبر غير دعاء
ثم وصف الله جزاءه لهم بقوله **ولهم** اى ثابت للمنافقين **عذاب اليم** على كفرهم فى الآخرة
استغفر لهم اى استغفر يا محمد للمنافقين **او لا تستغفر لهم** اى للمنافقين صيغة الامر
والنهى ههنا بمعنى الخبر على قصد التسوية بين حال الاستغفار وتركه بمعنى ان شئت استغفر لهم وان
شئت فلا تستغفر لهم فلا يفيد ذلك لهم وفى البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خيرت فاخترت
يعنى الاستغفار ثم نص الله على مراده بقوله **ان تستغفر لهم** اى لا عداى واعدايك المنافقين
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ثم بين الله معنى الذى لاجله لم يغفر لهم فقال **ذلك** اى عدم
غفران الله لهم **بانهم كفروا بالله ورسوله** اى بسبب انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله
يعنى ان الياس من المغفرة ليس لبخل منا ولا قصور فينا بل العدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها وذكر
عدد السبعين للمبالغة فى الياس عن طمع المغفرة قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قد رخص لى فسازيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم **ق** عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما توفى عبد الله يعنى ابن
ابى بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه
ثم ساله ان يصلى عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلى عليه وقد نهاك ربك ان تصلى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خيرنى الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسازيد
على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد فى رواية فترك الصلاة عليهم
قال بعضهم وانما خص السبعين من العدد فى الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان
السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين
بالذكر قال الاستاد والسبعون جرى مجرى المثل للتكثير وليس للتخصيص والتحديد والغاية اذ لو استغفر

Copyright © King Saud University

لهم مدة حياته لن يغفر لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به وقد وردت الاخبار بذكر السبعين
كلها يدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين ساير الاعداد ان
العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلث والكثير الثلاث فما فوقه وادنى الكثير الثلاثة وليس لاقصاه
غاية والعدد ايضا نوعان شفع ووتر واقل الاشفاع اثنان واقل الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد
والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين لان فيها اوتارا ثلثة واشفاعا ثلثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز
العشرة فهو اضافة الاحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين
والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى المائة والسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب
والكثرة منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص
السبعين لهذا المعنى والله اعلم بذلك وقوله **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** اى الخارجين
عن الايمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان تلخيصه والله لا يوفق للايمان به وبرسوله هداية
موصلة الى المقصد لمخالفة ذلك للحكمة التى عليه يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى
الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك فى
كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى وهو كالتنبيه ايضا على عذر الرسول فى استغفاره وهو
عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
كقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم قال الاستاد لما نزل قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم
على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون علم النبى صلى الله عليه وسلم ان ذكر السبعين
لمجرد التكثير لا للتخصيص على ذلك ولذلك قال قبل العلم بوقوفهم على الكفر لازيدن فلما علم تركهم من
غير صلاة قال الشيخ وللانبياء مع الله سر لا يسع الى ذلك عقولنا ولهم لامتهم رافة ورحمة فاطمع
النبى ذلك فقال لازيدن على ذلك وهذا داب الانبياء عليهم السلام الا ترى الى قول ابراهيم خليل
الرحمن ومن عصانى فانك غفور رحيم والى قول عيسى بن مريم ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قوله عز وجل **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ** اى فرح المتخلفون عن غزوة
تبوك **بِمَقْعَدِهِمْ** اى بقعودهم فى المدينة **خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ** اى خلف رسول الله وبعد ذهابه
الى الغزو يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم وعليه قراءة من قرأ لا يلبثون خلافك الا قليلا اى
بعدك ويجوز ان يكون الخلاف بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة اى لاجل مخالفتهم رسول
الله او على الحال اى مخالفين له حيث مضى هو للغزو وتخلفوا عنه **وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان
الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال واعلم ان
الفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب الا انه اعاده لفائدة التاكيد والتعريض بالمومنين الذين اثروا
على الراحة والدعة تحصيل رضاء الله عز وجل ببذل المال والنفس **وَقَالُوا** اى بعض المنافقين لبعض

وقال

او قال بعض المنافقين لبعض المومنين ليمنعه من الغزو **لَا تَنْفِرُوا** اى لا تخرجوا الى الغزو **فِي
الْحَرِّ** وكانت غزوة تبوك فى شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله **قُلْ** يا محمد لهم **نَارُ
جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا** اى من حر تبوك فالاولى ان تتقوها بترك التخلف **لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**
اى لو كانوا يعلمون ان مآلهم الى النار او انها كيف هى ما كانوا يتخلفون عن رسول الله وفسر الكسى فقد
يفقهون بيعقلون ثم يقول وفى قراة ابن مسعود لو كانوا يعلمون وفسر البغوى قدس سره يفقهون
يعلمون ثم قال وكذلك هو فى مصحف عبد الله بن مسعود قال الاستاد وان كان الفقه بمعنى الفهم
والفطنة ولكن الاقتداء بالصحابى اولى واحسن وفى بعض التفاسير قال عليه السلام افضل الاعمال
احمزها قوله **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا** يعنى فليضحك هولاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرحين قليلا فى الدنيا الفانية بقعودهم خلافه **وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا** اى مكان ضحكهم فى الدنيا وهذا
وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم فى الدنيا فهو
قليل بالنسبة الى بكائهم فى الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع الفانى بالنسبة الى الدائم الباقى
قليل **جَزَاءً** يعنى ان ذلك البكاء فى الاخرة عقوبة لهم **بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** من الكفر والنفاق
والاعمال الخبيثة فى الدنيا والضحك على ذلك خ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوى قدس سره بسنده عن
عن انس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم
تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كانها
جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله عز وجل
فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ يعنى فان ردك الله من غزاتك هذه يعنى من تبوك الى المدينة **إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ**
اى الى المتخلفين عنك من المنافقين وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك
كان منافقا مثل المرضى واصحاب الاعذار والفاء لتفريع الامر الاتى على ما بقى من امرهم ورجع يتعدى
كهذه الاية ولا يتعدى نحو والينا ترجعون فى قراة من بناه للفاعل والمصدر على قراة الاولى الرجع كقوله
والسماء ذات الرجع وعلى القراة الثانية الرجوع كالدخول قال السلطان وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا
فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ اى فاستاذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم فى الخروج معك
الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك **فَقُلْ** يا محمد لهم **لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا** لا الى غزاة ولا
الى سفر **وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا** والجملتان اخبار فى معنى النهى للمبالغة وسمهم بسمة الكفر
مخرجين عن ديوان الغزاة آيسين من الغنائم والصدقات ثم انه تعالى علل ذلك المنع بقوله **إِنَّكُمْ
رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ** اى لانكم رضيتم بالتخلف عن غزاة تبوك قال الاستاد والمعنى
اول مرة من بين الخروج والاستيذان قال الفتح معناه رضيتم بالتخلف عنا اول ما دعيتم الى
غزوة تبوك وفى الغاية والاولية اضافية وارى بمرة العموم كانه قيل اول المرات من قوله هند
اكبر النساء قال بعضهم فان قلت قوله مرة نكرة وضعت موضع المرات لارادة التفضيل فلم ذكر
اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهى

Copyright ... University

اكبرهن ثم قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة **فاقعدوا مع الخالفين** اي مع المتخلفين من النساء والصبيان اذ ليس لهم استعداد للقتال وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال صاحبه خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات **ولا تصل على احد منهم مات ابدا** ظرف لقوله لا تصل ومات صفة احد في اللباب قال قتادة بعث عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه عمر عن ذلك فاتاه نبي الله فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وساله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فانزل الله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية انتهى قال البغوي اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال لما مات عبد الله بن ابي ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اما اني خيرت فاخترت لو اني اعلم اني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى انزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم انتهى واخرج الترمذي هذا الحديث وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى قال الاستاد وفي نزول هذه الاية واية اخذ الفداء من اسارى بدر واية تحريم الخمر واية تحويل القبلة واية امر النساء بالاحتجاب منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب لان الوحي نزل على مطابقة قوله قلت ما اتى به عمر بن الخطاب من الكرامات من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم **ق** عن جابر رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه فالله اعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال ابو هارون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله البس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا

فوجدوا

فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه والجمع بين الروايات المذكورة المختلفة انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه ليكفن فيه ثم انه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه اولا ثم اتاه ثانيا بعد ما ادخل حفرته فاخرجه ففعل به ما فعل ويحتمل ان يكون حديث قتادة المذكور توفيقا بين الروايات المختلفة غير انه في روايته جملة منقطعة عما قبله لانه قال ونفث في جلده ودلاه في قبره وقال الشيخ الامام محي الدين النواوي انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله فاحب ان يكافئه بها وروي ان النبي كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه فيروى انه اسلم الف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر في انوار التنزيل واسرار التاويل معنى قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ما نصه وروي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفنه فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي وفي الامالي اسند البخاري عن ابن عمر انه لما مات ابن ابي جاء ابنه عبد الله رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله ان يكفنه في قميصه ويصلي عليه فكفنه في قميصه وصلى عليه ونزل قبره ووضعه على ركبته وتفل من ريقه في فيه كل ذلك رافة وتطييبا لقلب ابنه واجلالا لخواطر الناس ولعل ان يكون ذلك باعثا لبعض المنافقين على الاخلاص مع انه لم يكن نهي عن الصلاة عليهم وما قيل انه لما اراد الصلاة عليه جذبه جبريل ليس له اصل وانما عبر عن الموت في المستقبل بالماضي لكونه كائنا لا محالة والقول بان ابدا قيد بالموت فان الكافر لما كان حياته للتعذيب فكانه لم يحي تكلف لظهور ان المراد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المستقبل عن مثل ما ارتكبه في الصلاة على ابن ابي قال بعضهم قوله ابدا منصوب بقوله ولا تصل وبه صارت الاية محكمة لا بمات كما توهم وقال فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي ولم يدر انه على التقدير المذكور لا حاجة الى التوجيه المزبور بل لا وجه له لان للحياة في البرزخ لا ينافي استمرار الموت الواقع في الدنيا قال السمرقندي في تفسيره وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى عليه وقام على قبره وكفنه في قميصه ثم نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم فنهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين بعده قال ابن عباس

والله لا ادري اي صلاة كانت وما خادع رسول الله صلى الله عليه وسلم انسانا قط والله اعلم باسرار كتابه
قوله ولا تقم على قبره لدفن او زيارة يعني لا تقف عليه ولا تتولى دفنه وفي الغاية قوله
لا تقم على قبره كناية عن ترك الدعاء له كان عليه السلام يقوم على القبور ويدعو للموتى وروي انه
قال ان هذه القبور مملوة ظلمة وان الله ينورها بدعائي انتهى ثم علل النهي بقوله انهم كفروا بالله
ورسوله سرا وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر خارجون عن الايمان للدلالة على ان الصلاة
على الميت والاستغفار له والوقوف على قبره انما يليق بالمومن وهم استمروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه
فليسوا مستحقين لها ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره
بعدها فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا يدخل تحته الفسق
وغيره فما الفائدة في وصفه فاسقا بعد وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي
الامانة ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير
وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين
بعد ان وصفهم بالكفر قال البيضاوي قوله انهم الى وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان
يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شانها وتزهق
اي تخرج انفسهم الخبيثة وهم كافرون فيعذبون بالنار في دار القرار قد سبق مثل هذه الاية
في هذه السورة ~~قد سبق شرح هذه الاية في هذه السورة~~ فلا فرق بينهما الا في عبارات مخصوصة فلذا قال بعض
المفسرين انها التاكيد للاية السابقة والمقام يقتضي التاكيد لان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها لان اشد ما يفتتن به الانسان من اسباب الدنيا هي الاموال والاولاد فيجب التحذير
عنها مرة بعد اخرى وقال الفارسي ليست للتاكيد لان تيك في قوم وهم المنافقون وهذه في قوم وهم اليهود
وقد تغاير لفظ الايتين ههنا ولا تعجبك بالواو لمناسبة عطف نهي على نهي قبله في قوله ولا تصل ولا تقم
ولا تعجبك فناسب ذلك الواو وهناك بالفاء لمناسبة تعقيب قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون
اي للانفاق فهم معجبون بكثرة الاموال والاولاد فنهاه عن الاعجاب بفاء التعقيب وهنا واولادهم
دون لا لانه نهي عن الاعجاب بهما مجتمعين وهناك بزيادة لا لانه نهي عن كل احد فدل بمجموع الايتين
على النهي بالاعجاب بهما مجتمعين ومنفردين وهنا ان يعذبهم وهناك ليعذبهم فاتى باللام مشعرة
بالعلية ومفعول الارادة محذوف اي انما يريد الله تعذيبهم فقد اختلف متعلق الارادة في الايتين
وهناك في الحيوة الدنيا وهنا سقطت الحيوة تنبيها على خسة الدنيا وانها لا تستحق ان تسمى حيوة
قال الشيخ وايضا ان الحكمة في وجه التكرار هي عادة تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادة
ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وبعتقد ان العمل به مهم والله اعلم بمراده واسرار
كتابه ثم عاد الى توبيخ للمنافقين فقال واذا انزلت سورة كاملة من القران ويجوز ان يراد بعضها
مجازا لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز قال الشيخ المراد بالسورة الكاملة سورة براءة لانها مشتملة
على الامر بالايمان والامر بالجهاد ان امنوا بالله بان يامرهم في السورة بان يصدقوا بالله يعني بقلوبكم
كما قرئ

كما قرئتم جهارا بالسنتكم وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته وانما قدم الامر بالايمان
على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل الواجب عليكم ان تومنوا بالله اولا وتجاهدوا
مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فايدة يرجع اليكم نفعها في الدنيا والاخرة هذا اذا اراد بامنوا
وجاهدوا جماعة المنافقين واما اذا اراد بهذا الامر فريق المومنين كما عليه اكثر المفسرين فمعناه الامر بالدوام
والاستمرار على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل ساعة استاذنك
اولوا الطول منهم اي استاذنك في القعود عن الجهاد ذووا الفضل والغنى والسعة من المال
وقالوا اولوا الطول عطف تفسير لاستاذنك مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن
مع القاعدين اي دعنا واذن لنا ان نتخلف ونقعد مع القاعدين الذين تخلفوا عن الجهاد بعذر
المرض والزمن او دعنا نقعد مع النساء والصبيان في البيوت فالقاعدين يشمل الرجال والنسوان ففيه
لفظه تغليب ثم رخص من بينهم النساء بقوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف اي رضوا بان يجلسوا مع
النساء بالمدينة جمع الخالفة وهي من صفات النساء حقيقة وقيل يجوز ان تكون الخوالف جمع خالفة وتكون
من صفات الرجال يقال رجل خالف اي من ارذياء الناس وسفلتهم لا خير فيه قال الاستاد يقال فلان
خالفة قومه اذا كان دونهم قدرا ومنزلا فعلى هذا يكون جمعا للذكور باعتبار لفظه فالتاء للمبالغة او للنقل
من الوصفية الى الاسمية لا للتانيث وهذا مردود فان الفواعل لا يكون جمعا لفاعل وصفا لعاقل الا ما شذ من
نحو فوارس ونواكس وهوالك وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اي وختم على قلوب هولاء المنافقين فهم
لا يفهمون مراد الله في الامر بالجهاد قال الشيخ معناه لا يفهمون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما
في التخلف عنه من الشقاوة وفيه تنبيه على ان اثر الطبع ازالة الفطنة لا ازالة الفهم راسا حتى ينافي بقاء التكليف
لكن استدراك من معنى رضوا لان معناه لم يجاهدوا اصلا ورضوا بالقعود مع النساء لكن الرسول
والذين امنوا معه اي المخلصون من المومنين وانما قال معه افادة لمعنى التبعية له صلى الله عليه وسلم جاهدوا
باموالهم وانفسهم تلخيص الاستدراك ان لم يجاهد هولاء المتخلفون فالله غني عنهم ويجاهد الرسول ومن
هو خير منهم يعني المومنين كقوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون وفي الغاية ان الاستدراك
من قوله فهم لا يفقهون تقديره ان لم يفقه المطبوعون التوحيد وثواب الجهاد ولكن قد فقه من هو اعلى
منهم شانا واخلص طوية وازكى معتقدا اعني النبي واصحابه كقوله تعالى فان يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين واولئك اي الذين جاهدوا باموالهم وانفسهم لهم الخيرات اي لهم
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل اراد بالخيرات الحور لقوله تعالى فيهن
خيرات حسان وهي جمع خيرة على فعلة بسكون العين تخفيف خيرة بكسر الياء وتشديدها تانيث خير وهو
المستحسن من كل شي وكثر استعمال الخيرات في النساء ومنه قوله تعالى خيرات حسان كما اشرنا انفا وقول
الشاعر ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات اي الخيرات قال الكرماني قيل معناه لهم
الجنات ويقال زوجات حسان في الجنة والخيرة الزوجة والخيرات الزوجات والخيرة الثواب وقال
القتبي والاخفش الخيرات واحدها خيرة وهي الفواضل وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود انه
قال في قوله تعالى واولئك لهم الخيرات قال لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة اربعة ابواب

يدخل عليها من الله تعالى فى كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لا طمحات ولا مرحات ولا نجرات
ولا دفرات حور عين كانهن بيض مكنون الاية قال اهل اللغة طمحات اى ناكسات رؤسهن مرحات
خفيفات الروس بخرات منتن ريح الفم دفرات منتن ريح الابط **واولئك هم المفلحون** اى
الفائزون بالمطالب **اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك** اشارة
الى ما اعد الله لهم من الجنات ونعيمها **الفوز العظيم** الذى لا فوز وراءه او النجاة الوافرة والثواب
الجزيل وفلا ما فى الفوز العظيم تفسير للفلاح ثم لما شرح احوال المنافقين الذين كانوا فى المدينة شرح احوال
المنافقين من الاعراب بقوله **وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم** اى وجاء المعتذرون
من اعراب البوادى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فى التخلف عن الغزو معه قيل هم رهط
اسد وغطفان استاذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال قال الضحاك هم رهط عامر بن
الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يا رسول الله ان
نحن غزونا معك تغير اعراب طى على حلائلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله قد انبانى
الله من اخباركم وسيغنى الله عنكم وقيل هم نفر من بنى غفار رهط خفاف بن ايماء بن رحضة
وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجاء المعذرون
اى المقصرون يعنى انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر وقيل
ان الاصل فى هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء فى الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار فى
كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اى اذا تكلف وتمهد لنفسه العذر يعنى اذا كذب فى عذره ومنه
قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه
ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ❁ ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ❁ يعنى فقد جاء
بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذى هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا
المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين فى اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ايضا ومن المفسرين من قال انهم كانوا
صادقين فى اعتذارهم بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل
بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابى عمرو بن العلاء انه لما قيل له
هذا الكلام فقال ان قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف
اخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراءة على الله فهم المراد بقوله **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله**
اى وقعد الذين لا عذر لهم اصلا وهم الذين كذبوا الله ورسوله فى السر وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا
وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعنى فى ادعائهم الايمان قرا الجمهور المعذرون بفتح العين
وتشديد الذال وكسرها قال الزجاج معناه بالتشديد اى جاء المعتذرون الذين يعتذرون كان لهم
عذر او لا عذر لهم وقرا ابن عباس وجاء المعذرون بالتخفيف وقال معناه الذين جاؤا بالعذر اى هم
المخلفون اصحاب العذر ثم قال لعن الله المعذرين بالتشديد لان المعذرين هم الذين يعتذرون بلا علة
ويعتذرون بلا عذر ليؤذن لهم فى التخلف وقرا الجمهور كذبوا بالتخفيف وقرئ كذبوا بالتشديد اى
لم يصدقوا ما جاء به الرسول عن ربه ولا امتثلوا امره ثم بين الله نكال من تخلف بغير عذر بقوله
سيصيب
الذين

كفروا منهم عذاب اليم يعنى فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى
علم ان منهم من سيؤمن ويخلص فى ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا على
الكفر والنفاق وماتوا عليه ثم بين الله احوال الذين قعدوا بالعذر الصحيح فقال **ليس على
الضعفاء** اى فرض الجهاد ساقط عن الضعفاء والضعيف هو الصحيح فى بدنه العاجز عن الغزو
وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ الهرمى والصبيان والنساء ومن خلق فى اصل الخلقة نحيفا
ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله عز وجل عطف عليهم المرضى بقوله **ولا على
المرضى** والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فيدخل فيه اهل الزمانة والعمى والعرج وكل من كان
موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو **ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون**
فى الجهاد كالفقراء العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح
ومؤنة السفر لان العاجز عن مؤنة السفر والغزو معذور قال البيضاوى فى معنى لا يجدون ما ينفقون
اى لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة قوله **حرج** اى ليس على هؤلاء الاصناف الثلثة اثم
فى التخلف عن الغزو قال الامام فخر الدين الرازى وكذلك ليس فى الاية انه يحرم عليهم لان الواحد
من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان
لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء فى جواز
التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى **اذا نصحوا لله ورسوله** النصح لله ورسوله
الايمان بهما واطاعتهما فى السر والعلن والقيام لما يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا
كما يفعله الناصح لمن ينصحه وفى الغاية معناه بان اطاعوا الله ورسوله سرا وعلانية قال الكرمانى
معناه اذا كانوا مخلصين مسلمين فى السر والعلانية قال الشيخ معناه اذا نصحوا فى مغيبهم واخلصوا
الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد فى الوحدانية وفى صفة
بصفات الالهية وتنزيهه عن النقايص والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والالتزام لطاعته
فى امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه قال الاستاد معناه انهم اذا اقاموا فى البلد احترزوا
عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا فى ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو
واقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله تعالى وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة
هذه الامور يجرى مجرى النصح لله ورسوله قلت وهذه المعانى بعضها من بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدين النصيحة ثلثا قالوا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قوله **ما على
المحسنين من سبيل** اى ليس على المعذورين الناصحين من طريق الى المعقوبة والعذاب او الى العيب للعايب
عليهم لان تخلفهم بالعذر وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك تخصيص الكلام ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم لانهم سدوا باحسانهم
طريق العقاب عن انفسهم قال العالم العابد رحمه الله ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل
ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل فى نفسه
وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل **والله غفور** لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع

Copyright ... University

قال الشيخ اى يجبر تقصيرهم عند العذر بالمغفرة رحيم بهم فى التوسعة فى ذلك او بان يرحمهم ويعطيهم
من فضله ما اعطى اهل الجد والاجتهاد عند القدرة قال قتادة نزلت هذه الاية فى عايذ بن عمرو
واصحابه وقال الضحاك نزلت فى عبد الله بن مكتوم وكان ضريرا قال الشيخ ففى هذه الاية علو قيمة
الفقير الراضى بقسمة مولاه فانها تظهر عند سقوط الامر ولو لم يكن فى الفقر خير الا هذا لكفى له بذلك
فضلا الكنى منهم بنصيحة القلب واعتقاد ان لو قدروا لخرجوا واصحاب الاموال امتحنوا اليوم
بجمعها ثم بحفظها ثم ملكتهم محبتها حتى شق عليهم الغيبة عنها ثم يتوجه اللوم عليهم فى ترك
انفاقها ثم ما يعقبه غدا من الحساب والعذاب يتوجه عليهم ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام
الثلثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك اى لا حرج
ولا اثم فى التخلف عنك على الاصحاء الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة بقدر الاستعداد لتحملهم
اى يسالونك يا محمد ان تعطيهم مركبا تحملهم عليها يقال حمل الامير فلانا اذا اعطاه مركبا تلخيصه
يسالونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحاق نزلت فى
البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبرى عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه فانزل الله هذه الاية وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف
سالم بن عمير ومن بنى واقف حرمى بن عمير ومن بنى مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى
ومن بنى المعلى سلمان بن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذى تصدق
بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بنى سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزنى وقال البغوى وقد
هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصارى
وعلبة بن زيد الانصارى وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزنى قال اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد
ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلثة اخوة معقل وسويد والنعمان
بنو مقرن وقيل نزلت فى العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت فى كل من ذكر وقال بعض المفسرين هم
سبعة من الانصار وهم الذين رواه البغوى ثم قال اتوا رسول الله وقالوا قد ندبتنا الخروج معك فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد ما احملكم عليه وهم يبكون وقيل وهم ابو
موسى الاشعرى واصحابه قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة كما اشرنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين
فذلك قوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من كاف اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك وقد
قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا جواب اذا واعينهم تفيض من الدمع اى انصرفوا واعينهم
تسيل دمعها فان من للبيان كقولك افديك من رجل وهى مع مجرورها فى محل النصب على التمييز وهو
ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا وقوله حزنا اى لاجل حزنهم
ان لا يجدوا ما ينفقون فى الجهاد او تفيض اعينهم حزينة او يحزنون حزنا الا يجدوا ما ينفقون
على انفسهم فى الجهاد انما السبيل لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال فى حق من يعتذر ولا
عذر

ولا عذر له شرعا انما السبيل اى انما يتوجه الحرج والمعاتبة على الذين يستاذنونك
يا محمد فى التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنياء اى واجدون للاهبة قادرون على الخروج
معك رضوا استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر كانه قيل ما بالهم استاذنوا
فى القعود وهم قادرون على الجهاد فاجيب بقوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعنى ان
السبب هو رضاؤهم بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف وهم النساء والصبيان
والقعود معهم ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم اى ختم عليها حتى غفلوا عن وخامة
العاقبة وهو عطف على رضوا فهم لا يعلمون عاقبة رضاهم بالقعود او لا يعلمون فى التوحيد
او لا يعلمون ما فى الجهاد من الخير فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما
فى الاخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لا ينقطع قال الاستاذ معناه انهم لا يعلمون انهم مطبوعون
على قلوبهم لان من خصايص الطبع الجهل بحال انفسهم وهذا هو الاستدراج الموعود بقوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون يعتذرون اليكم استيناف لبيان ما يتصدون له عند رجوع النبى واصحابه اليهم
اى يعتذر هولاء المنافقون المتخلفون عنك اليك والى اصحابك قيل ذكره بلفظ الجمع لاعتذارهم الى
النبى واصحابه وقيل جمع الضمير تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا احسن اذا رجعتم اليهم من
غزوة تبوك اذ قبل الرجوع كانوا يتوقعون عدم رجوعكم فاذا رجعتم اليهم خافوا ان تفضحوهم
بالنفاق تلخيص الكلام يعتذرون اليكم بالاعذار الباطلة الكاذبة والايمان الفاجرة اذا رجعتم
اليهم من سفركم قل لهم يا محمد لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم اى لن
نصدقكم فيما اعتذرتم به لانه قد نبانا الله من اخباركم اى قد اعلمنا بالوحى الى رسوله
بعض اخباركم وهو ما فى ضمايركم من الشر والفساد او قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم قال
البغوى روى ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فاخبر الله عن
اعمالهم وسرايرهم الخبيثة ثم امهلهم للتوبة فقال وسيرى الله عملكم ورسوله يعنى
فى المستانف اتتوبون من نفاقكم وكفركم ام تثبتون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا
المومنين فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا قال الشيخ معنى
قوله وسيرى الله عملكم ورسوله يعنى دعواكم انكم تحبون الله ورسوله سيعلم ذلك منكم ورسوله
ان كان ما تقولون حقا على الاخلاص والتوبة النصوح قال الاستاد فان قيل قوله تعالى وسيرى الله
معناه سيعلم لان السين للاستقبال والروية من الله تعالى بمعنى العلم والله تعالى عالم باعمالهم
حالا وما لا قلنا معناه سيعلمه واقعا موجودا كما علمه غيبا لان الله تعالى يعلم كل شى على ما هو عليه
فيعلم المنتظر منتظرا ويعلم الواقع واقعا واما فى حق الرسول عليه السلام فهو على ظاهره قال
السمرقندى معناه فيما تستانفون وسيراه المومنون ثم تردون بالبعث الى عالم
الغيب والشهادة الى الله للجزاء بما صدر عنكم من الاعمال الشنيعة ووضع المظهر موضع المضمر
لتشديد الوعيد لان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته
باحوالهم مما غاب من السر عن الخلق ومما شاهدوه من العلانية مما يوجب الزجر العظيم

الجزء الحادى عشر
١١

Copyright King Saud University

فينبئكم بما كنتم تعملون اى فيخبركم بما عملتم من الشر والفساد فيجازيكم عليه ثم اخبر الله
عن المنافقين بما سيفعلونه فى المستقبل بقوله سيحلفون بالله لكم اى سيؤكدون تلك
الاعذار بالايمان الكاذبة اذا انقلبتم اى اذا رجعتم اليهم من تبوك انهم معذورون
فى التخلف لتعرضوا عنهم اى لتصفحوا عنهم ولا تعاتبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم
فاعرضوا عنهم اى ولا توبخوهم لان العتاب والتوبيخ لمن يرجى منه الخير والرجوع والاعراض
هنا اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله تعالى انهم رجس اى ان بواطنهم
خبيثة قذرة نجسة واعمالهم قبيحة تلخيصه روحانيتهم نجس كنجس العين لا تقبل التطهير
فجزاؤهم وماواهم ومستقرهم فى الاخرة جهنم وهى كفتهم عتابا وتوبيخا فلا تكلفوا
توبيخهم جزاء بما كانوا يكسبون اى يجزون جزاء كسبهم من النفاق او للجزاء
بما كانوا يفعلونه من الافعال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس
ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن ابى بن سلول حلف للنبى صلى الله عليه وسلم
بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه
فانزل الله عز وجل هذه الاية والتى بعدها وفى الغاية من قال ان عبد الله بن ابى تخلف عن
النبى فى غزوة تبوك فقد سهى لانه كان معه فى غزوة تبوك صح ذلك فى البخارى وغيره بذلك تمام
سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره اى يحلفون بالله لترضوا عنهم بحلفهم وغرضهم من ذلك
رضاكم لينفعهم فى دنياهم فان ترضوا عنهم اى فان رضيتم عنهم ايها المؤمنون
بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم بما ظهر لكم قال السمرقندى معناه ان انت رضيت عنهم يا محمد والمؤمنون
فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى المنافقين لانه تعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق
والشك فلا يرضى عنهم ابدا وفى الجامع نعلم من مضمون الكلام انه تعالى نهى المسلمين عن
ان يرضوا عن المنافقين وعن الاغترار باكاذيبهم وعلل النهى بقوله فان الله لا يرضى الخ
للدلالة على ان رضاء المؤمنين عنهم لو وجد لا يجديهم نفعا لان الله تعالى ساخط عليهم ولا اثر
لرضاهم عند سخطه تعالى وابرز النهى عن الرضاء فى صورة الشرطية اخراجا له مخرج المتردد فيه
لانه من الامور القلبية بخلاف الاعراض فانه محسوس مشاهد ثم وضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالخروج عن الطاعة وللدلالة على ان سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم فلا يحصل
رضاه ما داموا فاسقين وعلى ان الحكم عام وان كان سبب الورود خاصا فان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب ثم لما ذكر مثالب المنافقين من اهل المدينة شرع فى معايب الاعراب واراد بهم
جماعة معينين الذين كانوا يوالون منافقى المدينة بقوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا
اى اهل البادية وسكانها اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر الاعراب صيغة جمع وليس جمعا
لعرب قال سيبويه وذلك لئلا يلزم ان يكون الجمع اخص من الواحد فان العرب هذا الجيل
الخاص المبارك سواء سكن القرى ام سكن البرارى واما الاعراب فلا يطلق الا على من
سكن

سكن البوادى فقط ولهذا الفرق نسب الاعراب الى لفظه فقيل اعرابى ويجمع على اعاريب فعلى هذا
يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل
البدو فعلى هذا هما متباينان قال اهل اللغة يقال رجل اعرابى اذا كان نسبه فى العرب وجمعه
العرب ورجل اعرابى اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلاء ويجمع الاعرابى بالياء على
الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب
فالاعرابى اذا قيل له يا عربى فرح بذلك والعربى اذا قيل له يا اعرابى غضب ومما يتعجب منه ان
بعض العجم ينادى عبيدهم السود بيا عرب والابيض بالمملوك والعرب سادات العجم وفى اللباب العرب
افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب
اشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القران والسنن والمواعظ وفى حديث الجفاء
فى الفدادين اهل الوبر عند اصول اذناب الابل والسكينة فى اهل الغنم قال صلى الله عليه وسلم حب العرب من
الايمان وفى الجامع ولا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال فى النهاية فى الحديث
ثلث من الكبائر التعرب بعد الهجرة هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد ان كان مهاجرا
جعل المهاجر ضد الاعرابى انتهى قال الشيخ وسمى العرب عربا لان اباهم يعرب بن قحطان وهو اول من
نطق بالعربية وقيل لان اولاد اسماعيل عليه السلام نشاؤا بعربة وهى من تهامة فنسبوا الى بلدهم
وكل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسانهم فهو منهم لانهم انما تولدوا من اولاد اسماعيل وقيل سموا عربا
لان السنتهم معربة عما فى ضمايرهم قال بعض الحكماء حكمة الروم فى ادمغتهم لانهم يقدرون على التركيبات
العجيبة وحكمة الهند فى اوهامهم وحكمة اليونان فى افئدتهم لكثرة ما لهم من المباحث العقلية
وحكمة العرب فى السنتهم لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وقد حبب الى ان اذكر نبذة من
للعرب من الفضايل وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب العرب ايمان
رواه الحاكم وعن جابر بن عبد الله انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام
ابو يعلى فى مسنده وفى حديث احبوا العرب وبقاءهم فان بقاءهم نور فى الاسلام وان فناءهم
ظلمة فى الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب العرب ايمان وبغضهم
كفر فمن احب العرب فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى الطبرانى فى الاوسط وعن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب العرب فاولئك هم المشركون
البيهقى والمعنى هم المشركون بالله تعالى بسبب سبهم لكون النبى منهم قال المناوى قال بعض علماء الروم
من سب جنس العرب من حيث انهم عرب فانه حينئذ كافر لان النبى صلى الله عليه وسلم منهم فسب الجنس
يستلزم سبه عليه السلام وسبه كفر ويؤيده خبر حب العرب ايمان وبغضهم كفر وعن جابر
بن عبد الله رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب ابى بكر وعمر من الايمان وبغضهما
كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابى
فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فانا احفظه يوم القيمة ابن عساكر ولله در القايل فالعرب
خير الناس ثم خيرهم ... محمد نبى فيهم خير خيرهم ... قوم اذا قيل من قالوا نبيكم ... منا فهل

Copyright © King Saud University

هذه تلفى لغيرهم ❁ ان تقرأ النحل تخل جسم حاسدهم ❁ وفي براءة يبدو وجه جاههم
قوم النبي فان تحفل بغيرهم ❁ بين الورى فقد استسمنت ذا ورم ❁ ان يجحد العجم فضل العرب
قل لهم ❁ خير الورى منكم ام من صميمهم ❁ من فضل العجم فض الله فاه ولو ❁ فاهو لغض
وغضوا من نبيهم ❁ ولترجع الى ما نحن بصدده فان فضايل العرب لا تحصى روينا الحديث
النبوي عن احمد بن حنبل وابي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما من
سكن البادية جفا ومن سكن الصيد غفل ومن اتى السلطان فقد افتتن وقوله تعالى واجدر
اي احق واولى واحرى ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
من الاحكام والشرايع فرايضها وسننها لان اهل البدو اجهل واقل علما من غيرهم وروى الاعمش
عن ابراهيم وكان زيد بن صوحان جالسا يحدث وقد اصيبت يده يوم نهاوند فجاء اعرابي
وقال والله ان حديثك ليعجبني وان يدك لتريبني فقال له زيد او ليس الشمال فقال الاعرابي
والله ما ادري الشمال تقطع او اليمين فقال زيد صدق الله الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر
ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم اي يعلم حال كل احد من اهل الوبر وهو
صوف الابل والمراد به اهل البادية والمدر وهو قطع الطين اليابس والمراد به اهل القرى او عليم
بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرايضه واحكامه وفيما يصيب به مسيئهم عقابا ومحسنهم
ثوابا فان قيل اذا كان الله تعالى قد وصف الاعراب بالجهل في القران بقوله واجدر ان لا يعلموا الاية
فكيف يصح الاحتجاج بالفاظهم في اشعارهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله قلنا هذا وصف من الله
تعالى لهم بالجهل في احكام القران لا في الفاظه ونحن نحتج بلغتهم في بيان معاني الالفاظ لان القران
والسنة جاء بلغتهم ومن حكمته تعالى وصنعه انه ذكر في الاعراب قوله ومن الاعراب من يتخذ
اي يعد ما ينفق في الجهاد مغرما اي غرامة وخسرانا لانه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا من
المسلمين ورياء وتقية ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه وهم اعراب بني اسد وبني تميم
وغطفان ويتربص عطف على يتخذ اي ينتظر بكم الدواير اي داير الزمان ان ينقلب
عليكم وهي جمع دايرة يعني ما يحيط بالانسان من مصيبة ونكبة تخصيصه ينتظر بكم داير الموت والهلاك
عليهم دايرة السوء اي عليهم يدور الهلاك وعاقبة العذاب لا عليكم وهذه الجملة معترضة
بين جمل هذه القصة وهي دعاء على الاعراب المتقدمين بنحو ما يتربصونه بالمومنين او اخبار
عن وقوع ما يتربصون عليهم قرا ابن كثير وابو عمرو السوء بضم السين بمعنى عاقبة المضرة والشر
وقرا الباقون بالنصب يقال رجل سوء اذا كان خبيثا قال الفراء فتح السين هو الوجه لانه
مصدر ساء نقيض سره وضم السين اسم للعذاب فالسوء بالضم هو المضرة والشر والله سميع
لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون من النفاق والغش وارادة انقلاب الزمان على
المومنين ثم استثنى الله من اسلم من الاعراب من جهينة ومزينة واسلم وغفار بقوله ومن
الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ذكر ههنا الاصل الذي يترتب عليه انفاق المال
في القربات وهو الايمان بالله تعالى واليوم الاخر اذ جزاء ما ينفق وثوابه الدايم انما يظهر في الاخرة

وعن

ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة ومزينة
واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة
فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن
بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعك سراق
الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم
وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان قال خابوا و
خسروا قال نعم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله
وغفار غفر الله لها زاد مسلم في رواية له اما اني لم اقلها لكن الله قالها ق عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند
الله جمع قربة يعني يطلب بما ينفق في الجهاد القربة الى الله تعالى اي سبب قربات الى الله وهي ثاني
مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وفي الغاية معناه يتخذون ما ينفقون قربات
وحصولها عند الله وصلوات الرسول اي دعوات الرسول اي وسبب صلواته عليه السلام لانه صلى الله
عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين لقوله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وكان دعاوه بالخير والبركة
والاستغفار لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى قال الشيخ ويسن لاخذ الصدقة
ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكنه ليس له ان يصلي عليه بان يقول اللهم صل على فلان
لان الدعاء بلفظ الصلوة منصبه عليه السلام فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم
يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة عند
الله وهذه شهادة من الله تعالى للمومن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف
التحقيق وهو قوله انها قربة لهم تلخيص المعنى ان نفقاتهم وصلوات الرسول قربة لهم الى الله تعالى
وفضيلة ونجاة لهم وقرا ورش عن نافع قربة بضم الراء والباقون بسكونها سيدخلهم
الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيق الوعد وتقريره وفسر من فسر الرحمة
بالجنة وهذا الكلام دليل قوي على رضاء الله عن المتصدقين اذا اخلصت النية من صاحب الصدقة
ان الله غفور لذنوب المومنين المنفقين في سبيله رحيم بتكرمتهم في الاخرة او رحيم بهم حيث
وفقهم لهذه الطاعات ثم لما ذكر فضايل الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وما اعد
لهم من الرحمة والغفران بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهي منازل السابقين الاولين بقوله
والسابقون مبتداء خبره الجملة الدعائية من قوله تعالى رضي الله عنهم الخ فالمعنى السابقون الاولون بالايمان
والهجرة والنصرة والجهاد الفايزون بالمراتب العليا رضي الله عنهم الخ وقيل خبره قوله الاولون والمعنى
والسابقون الى الهجرة الاولون من اهل هذه الملة او السابقون الى الخير الاولون من اهل الهجرة وقيل
ان الخبر قوله تعالى من المهاجرين والانصار والمعنى فيه الاعلام بان السابقين من هذه الامة

المهاجرون والانصار قال البيضاوي والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين
اسلموا قبل الهجرة ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير رضي الله عنه انتهى روى ابن الجوزي
ان اهل البيعة الثانية لما انصرفوا بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله
عنه الى المدينة يفقه اهلها في الدين ويقرئهم القران فعلمهم القران فاسلم معه خلق كثير وهو اول
من جمع الجمعة في المدينة قبل الهجرة والمراد بالمهاجرين مطلقا الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا
اوطانهم قبل فتح مكة وبالانصار مطلقا الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه
واووا اصحابه وفي اللباب اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن
سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم
اهل بيعة الرضوان وكان بيعة الرضوان بالحديبية وقال الامام والصحيح عندي ان المراد بالسابقين
الاولين من المهاجرين السابقون بالايمان والهجرة ومن السابقين من الانصار السابقون في النصرة
واستدل عليه بانه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين انهم فيماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا الا انه تعالى
لما وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا علم ان المراد من السبق السبق في الهجرة والنصرة ازالة للاجمال
عن اللفظ انتهى كلام الامام وقال محمد بن كعب القرظي المراد بقوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد
ابن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم
واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة في كتابه
فقلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر
الاية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم
باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد
فكاني لم اقرا هذه الاية قط قلت ويؤيد قول القرظي كون من في قوله من المهاجرين للتبيين
ومن جعله للتبعيض فلا تصدق السابقون الاولون على قدماء الصحابة من المهاجرين والانصار
وفي اللباب واختلف العلماء في اول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق
اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء اول من امن بعد خديجة علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه وهذا قول جابر بن عبد الله واختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان
ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم
اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال
الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال
ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومن العبيد
زيد بن حارثة رضي الله عنهم فهؤلاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحاق

فلما اسلم

فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان
رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان
فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان
رجال قومه يالفونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو
الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان
والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص
وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على
يده وصلوا معه فكان هؤلاء الثمانية النفر اول من سبق الى الاسلام
ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من
الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي
الاولى وكانوا ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك
ابن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رئاب ثم اصحاب
العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة
الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام
ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء
سباق الانصار انتهى وفي الجامع ثم ان الاجماع على ان افضلهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
ثم علي ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل
بيعة الرضوان بالحديبية انتهى ثم اعلم ان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة شريفة
عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة
وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووه وواسوه و
اووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله تعالى عليهم ومدحهم وقراءة
الجمهور والانصار بالكسر وقرا الحضرمي والانصار بالضم فمن قرا بالضم فهو عطف على
السابقون ومعناه والسابقون والانصار ومن قرا بالكسر فهو عطف على المهاجرين
ومعناه من المهاجرين ومن الانصار قوله **وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم**
اي اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم وسلكوا سلوكهم
في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيمة **بِإِحْسَانٍ** باخلاص
في العمل قال الله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن قال عطاء اراد
بالذين اتبعوهم باحسان الذين يذكرون المهاجرين والانصار يترحمون
عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم ق عن عمران بن حصين رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين

Copyright © King Saud University

يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا
ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث
الاول اصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا
واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة
الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف
نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في
سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم
انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وفي تفسير السمرقندي وروى
عن عمر رضي الله عنه انه كان يقرأ الذين اتبعوهم باحسان بغير واو
وقراءة العامة بالواو فمن قرأ بغير واو يكون نعتا للانصار
ومن قرأ بالواو يكون نعتا لجميع المومنين الى يوم القيمة وروى عن محمد
ابن كعب القرظي انه قال سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ هذه الاية والذين
اتبعوهم باحسان فقال له عمر من اقرأك هذه الاية قال اقرأنيها ابي بن كعب
قال لا تفارقني حتى اذهب بك اليه فلما جاءه قال يا ابي انت اقرأته هذه الاية
هكذا قال نعم قال عمر انت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
قال عمر كنت اظن انا قد رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا قال ابي تصديق
هذه الاية اول سورة الجمعة واوسط سورة الحشر واخر سورة الانفال اما في اول
الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم واوسط سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم واخر سورة
الانفال والذين امنوا من بعد وهاجروا انتهى وفي الغاية في معنى والذين اتبعوهم باحسان
اي من غير الطائفتين لقوله تعالى في سورة الحشر والذين جاؤا بالرفع عطفا
على السابقين وكان يروى ان قوله والذين اتبعوهم بغير واو ليكون
صفة الانصار فيكون وصف السبق مختصا بالمهاجرين والاتباع بالانصار
حتى قال زيد بن ثابت لعمر انه بالواو كان عمر يقرأ بغير واو فسال ابي بن كعب
فصدق ابي زيدا فقال عمر من اقرأك هذه القراءة قال ابي اقرأني رسول
الله وانت تبيع القرظ قال عمر صدقت فان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا
وخذلتم واوينا وطردتم رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
يعني باعمالهم الحسنة المقبولة المرضية عنه ورضوا عنه
اي عن الله تعالى بافاضته عليهم نعم الدنيا والاخرة قال الشيخ
وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة واعد لهم
جنات

جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في ساير
المواضع والباقون تحتها بغير من ونصب تحت بنزع الخافض خالدين فيها
ابدا اكده بالتابيد لئلا يحمل الخلود على المكث الطويل ذلك الفوز العظيم
اي الثواب الوافر وممن حولكم من الاعراب منافقون اي من حول مدينتكم
وبلدتكم يا اهل المدينة منافقون ذكر جماعة من المفسرين من المتاخرين كالبغوي
والواحدي وابن الجوزي والبيضاوي والسيوطي وصاحب المدارك وابن
كمال انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم
حول المدينة يعني ومن هولاء الاعراب منافق قلت واطلاق
النفاق على هولاء مطلقا امر صعب لان النبي صلى الله عليه
وسلم دعا لهولاء القبايل ومدحهم لما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله
لها فالظاهر ان المراد بممن حولكم من الاعراب منافقون
هم عصية وغطفان لان النبي دعا على عصية لانها عصت الله ورسوله
وفي الغاية القول بانهم اسلم وغفار سهو ظاهر قلت ويويد
ما ذكره صاحب الغاية قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي
ذكرنا قريبا وهو ما رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس
لهم مولى دون الله ورسوله وقبل هذا الحديث حديثين اخرين الصحيحين
في مدح هولاء والدعاء لهم فراجعه وفي اللباب وما ذكره المفسرون اي البغوي
والواحدي وابن الجوزي مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولاء القبايل ومدحهم
فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب
على القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول
النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من
القبايل المذكورة في تفسير هذه الاية بل قال في تفسير هذه الاية من القوم الذين
حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم اقوام
منافقون انتهى قلت وقد اطلق القول ايضا السمرقندي في تفسيره حيث قال يعني الاعراب
الذين حول المدينة والله اعلم باسرار كتابه قوله وممن حولكم خبر مقدم ومن الاعراب لبيان
الجنس ومنافقون مبتدا ومن في ممن حولكم موصولة او موصوفة والظرف
صفة او صلة له قوله عز وجل ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم تقديره من المنافقون من قوم حولكم ومن اهل المدينة وهم عبد الله

Copyright © King Saud University

ابن أُبَيّ بن سلول واحزابه قال البغوي ومن اهل المدينة اى من الاوس والخزرج منافقون
مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ اى مرنوا وثبتوا واستمروا واستحكموا ولجوا فيه واقاموا عليه بحيث
لا يرجعون عنه الى الاخلاص والتوبة لَا تَعْلَمُهُمْ اى لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير
لمهارتهم فيه وتنوقهم وخوضهم فى مراعاة التقية وتحامى مواقع التهم والشك الى حد
اخفى عليك يا محمد حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك وصفاء خاطرك
واطلاعك على الاسرار قال بعضهم لا تعرفهم انت يا محمد بسبب ايمانهم فى العلانية
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ لانى عالم السر والعلانية ونعلم نفاقهم ونعرفك حالهم سَنُعَذِّبُهُمْ
مَرَّتَيْنِ بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان
كذا ذكره البيضاوى قال صاحب اللباب رحمه الله اختلف المفسرون فى العذاب الاول
على اتفاقهم على ان العذاب الثانى هو عذاب القبر بدليل قوله تعالى ثُمَّ
يُرَدُّونَ فى الاخرة إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وهو عذاب النار فثبت بهذا
انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة فى الدنيا ومرة فى القبر
ومرة فى الاخرة اما المرة الاولى وهى عذاب المرة الاولى اختلفوا
فيها فقال الكلبى والسدى قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فى يوم
جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول
والثانى هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان
اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك علمه
بهم وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبى وهذا القول ضعيف لان احكام
الاسلام فى الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية
اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هى الدبيلة فى الدنيا
تفسيرها فى الحديث بانها خراج من نار يظهر فى اكتافهم
حتى ينجم من صدورهم يعنى يخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى
هى المصائب فى الاموال والاولاد فى الدنيا والاخرى عذاب الاخرة وقال
ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم فى الدنيا والاخرى عذاب القبر
وقال ابن اسحاق الاولى هى ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم
فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احدهما ضرب الملئكة
وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب
القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى
احراقهم بنار جهنم وهو قوله ثم يردون الى عذاب عظيم يعنى عذاب
جهنم يخلدون فيه والله اعلم وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا

بِذُنُوبِهِمْ اى قوم آخرون من اهل المدينة غير المذكورين يعنى جماعة من المسلمين من اهل المدينة
او من الاعراب المؤمنين ولا يرجع هذا الى المنافقين لان هؤلاء تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك فاقروا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة
بل ندموا على التخلف وتابوا وقالوا انكون فى الظلال ومع النساء والصبيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فى الجهاد واللأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب الى المدينة وبلغهم
ما نزل فى المتخلفين قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم فى سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك
فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا عنى
وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم
وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا
واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فانزل الله خذ من
اموالهم صدقة تطهرهم بها الاية واختلف المفسرون فى عددهم عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم
ابو لبابة وفى رواية عنه ايضا انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن
اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة احدهم ابو لبابة وقيل كانوا
ثلثة ابو لبابة ابن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقال قوم نزلت هذه الاية
فى ابى لبابة خاصة قال مجاهد نزلت فيه حين قال لبنى قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار
الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسى ولا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل
الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسى حتى يكون رسول الله هو الذى يحلنى
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده الشريف فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتى ان اهجر
دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله فقال يجزيك
الثلث يا ابا لبابة قال جميع الرواة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين
لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضى التبعيض قال الحسن
وقتادة وهؤلاء سوى الثلثة الذين خلفوا وسياتى خبرهم ان شاء الله قال الاستاد فاذا اقترن
بالاعتراف الندم على الماضى من الذنب والعزم على تركه فى المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم
توبة اما مجرد الاعتراف فلا وفى الغاية قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا عطف على منافقون اى ومنهم طائفة عملوا صالحا وآخر سيئا او عطف على قصة وهذا
اولى لما روى البخارى عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى الليلة آتيان فابتعثانى
فانتهيت الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر منهم كاحسن ما انت راء

وشطن كما قيح ما انت راء قال لهم اذهبوا فتعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك
السوء عنهم فصاروا في احسن صورة فقال لي هولاء قوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم نعلى
ما ذكره صاحب الغاية لا يجوز العطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون لان العطف يوهم النفاق
في المعطوف ايضا وقوله تعالى **خلطوا عملا صالحا** وهو جهادهم الى ساير الغزوات قبل ذلك **واخر
سيئا** وهو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب
وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم مع اهل النفاق عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان العمل
الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الاية في حق جميع المسلمين
والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
وروى الطبري عن ابي عثمان قال ما في القران اية ارجى عندي لهذه الامة من قوله تعالى واخرون
اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا فما المخلوط به قلت ان الخلط
عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلط فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالاخر
ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء
فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيئ ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي
فكذلك وقال اللايق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصل بقي كل واحد منهما
كما هو مذهبنا فان القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة
للذم والعقاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمخالطة وانه بقي
كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما بالاخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت
الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية احسن من الباء لانه اريد معنى
الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيئ كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما في
الجامع والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم او للدلالة على ان
كل واحد منهما مخلوط بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه والظاهر
ما قاله الامام لقوة ادلته والله اعلم وقوله تعالى **عسى الله ان يتوب عليهم** اي ان يقبل
توبتهم ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة وفي اللباب قال
ابن عباس وجمهور المفسرين على ان عسى من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى فعسى الله ان ياتي
بالفتح وقد فعل ذلك وقال اهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه من الاكل في الاهل
ابعد وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان
فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو نيل ما يرجوه
منه اقرب لانه ختم الاية بقوله **ان الله غفور** اي يتجاوز عن سيئات التائب **رحيم** اي يتفضل عليه
قال الاستاذ وعسى للاطماع وهو من اكرم الاكرمين ايجاب كيف لا وقد قال لحبيبه عليه السلام عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال السمرقندي وعسى من الله تعالى واجب ان يتجاوز عنهم قوله تعالى
خذ من اموالهم اي من اموال المعترفين بذنوبهم **صدقة تطهرهم** من ذنوبهم او عن حب المال

المال الذي هو راس كل خطيئة **وتزكيهم بها** اي ترفعهم بتلك الصدقة من منازل المنافقين
الى منازل المخلصين او تنمي بها اموالهم وحسناتهم قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ
من اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ
شيئا منها حتى او مر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد
بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هولاء
الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال
توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة
وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم من الغزو وحسن اسلامهم بذلوا
الزكوة امر الله رسوله ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الاية ابتدا كلام والمعنى خذ من اموال المسلمين
الاغنياء صدقة الزكوة المفروضة وادفعها الى الفقراء تطهرها اموالهم وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها
على ايجاب اخذ الزكوة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة
فلو حملناها على اخذ الزكوة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ولان جمهور المفسرين ذكروا
في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين واما حجة اصحاب القول الاخر فانهم قالوا المناسبة حاصلة
ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال
فامروا باخراج الزكوة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص
السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكوة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا
لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلا ان يكونوا راضين باخراج الزكوة من باب
اولى ثم في هذه الاية الكريمة احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ منهم ايام حياته ثم اخذها الائمة
من بعده فيجوز للامام او نايبه ان ياخذ الزكوة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من
اموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض للماخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القران فلم يبق
الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الزكوة الحكم الثالث ظاهر قوله
خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكوة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاز الحكم الرابع
ظاهر قوله تطهرهم ان الزكوة انما وجبت لكونها طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها
الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكوة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة
اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم ثم للعلماء في قوله تطهرهم
قولان الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام والقول
الثاني ان يكون تطهرهم متعلقة بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهرهم وانما
حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت
تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم

Copyright © King Saud University

بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم
انت بها القول الثالث ان تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى
تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معنا تطهرهم
من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين كما اشرنا
الى هذا المعنى قريبا وقيل معنى وتزكيهم او تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم كما مر قريبا بهذا المعنى وقرى
تطهرهم من اطهره عداه بالضمير وقرى تطهرهم بالجزم جوابا للامر فقوله عز وجل **وَصَلِّ عَلَيْهِمْ**
ادع لهم واستغفر لهم كذا قال ابن عباس قال الكشاف فهي رحمه الله سنة للامام اذا اخذ الصدقة
ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما بقيت وقال بعضهم يجب للامام
ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع
وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان
ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي
اوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ** اي ان دعاءك رحمة
لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكن لهم يعني تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وان الله
قد قبل توبتهم او قبل زكاتهم قرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد قال ابو عبيدة هذا احب الي لان
الصلوة اكثر من الصلوات الا ترى الى قول الله تعالى اقيموا الصلوة وانما هي صلاة الابد والصلوات جمع قلة
تعدل ثلث صلوات وخمس صلوات والباقون بالجمع لتعدد المدعو لهم **وَٱللَّهُ سَمِيعٌ** لاقوالهم
واعترافهم او لدعائك لهم **عَلِيمٌ** بنياتهم واعترافهم **أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ** هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير والاثبات فبشر الله
عز وجل هؤلاء التايبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلموا اي قد علموا هؤلاء الذين
تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة منهم وقيل ان المراد بهذه الاية
غير التايبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التايبين
قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فانزل
الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده قيل لا فرق بين عن عباده ومن عباده
لانه لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك او منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع
ابلغ لانه فيه تبشير بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى **وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ** اي
يقبلها ويثيب عليها يعني قبلها قبول من ياخذ شيئا ليودي بدله وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا
في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى اخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان
هو سبحانه المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السايل هو الاخذ
لها وفي هذا تعظيم امر الصدقة وتشريفها وان الله يقبلها من عبده المتصدق عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب
طيب

١١

سورة التوبة

طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن
حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله هذا لفظ مسلم وفي لفظ البخاري
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان
الله يقبلها بيمينه ثم يربيها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه
ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتصير
مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ
الصدقات ويمحق الله الربوا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب اي حلال وذكر اليمين والكف
على مراد الله ومراد رسوله وفي اللباب وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله
تعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير او السايل اخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق
قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربوا اي تكبر يقال ربى الشيء يربوا اذا زاد وكبر
والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المهر اول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ اي وان من شانه تعالى قبول توبة التايبين والتفضل عليهم
قال الشيخ هو عطف من حيث التاكيد والتشبيه للتايبين على مفعول الم يعلموا الله المتجاوز عن
الذنوب بالتوبة لمن تاب يعني قد علموا ذلك قوله تعالى **وَقُلِ ٱعْمَلُواْ** اي قل يا محمد لهؤلاء التايبين
اعملوا خيرا يعني اعملوا لله بطاعته واداء فرايضه او قل يا محمد للناس اعملوا ما شئتم لان ظاهره
امر وباطنه وعد ووعيد فيكون الخطاب للجميع **فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ** فانه لا يخفى عليه خير كان
او شر وفي الجامع اي يتعلق علمه القديم بعملكم الحادث البتة انتهى قال الاسناد فيه ترغيب عظيم
للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله يرى اعمالكم ويجازيكم
عليها قال البغوي وقال مجاهد هذا وعيد لهم قلت كانه تعالى ينبههم على الاخلاص في المستقبل و
يرغبهم على ذلك **وَرَسُولُهُۥ** عطف على الاسم الجليل اي ويرى الرسول عملكم باطلاع الله اياه
على ذلك بالوحي **وَٱلْمُؤْمِنُونَ** اي ويراه المومنون باخبار الرسول لهم بانكم مخلصون او مصرون
على النفاق او يقذف الله في قلوب المومنين من محبة الصالحين وبغضة المفسدين وفي بعض
التفاسير وفي الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كاينا ما كان
قال السمرقندي وقال ابن مسعود ان الناس قد احسنوا القول كلهم فمن وافق قوله فعله فذلك
الذي اصاب حظه ومن خالف قوله فعله فانما يوبخ نفسه قال شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره
كن من ابناء الافعال والاعمال • واعداء القيل والقال • قال الله تعالى يا ايها الذين لم تقولون ما لا
تفعلون **وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ** وهو ما يغيب عن الناس **وَٱلشَّهَٰدَةِ** اي ما يشاهدونه
والمعنى وسترجعون بالموت يوم القيمة الى الله الذي يعلم السر والعلن او يعلم سركم وعلانيتكم ولا
يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم **فَيُنَبِّئُكُم** اي فيخبركم **بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** في الدنيا
من خير وشر فيجازيكم على اعمالكم لان المجازاة من الله تعالى لا تحصل في الاخرة الا بعد التعريف
ليعرف كل احد ان الذي وصل اليه عدل لا ظلم **وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ** اي وطايفة

Copy of King Saud University

اخرى غير المعترفين المتبادرين الى التوبة من المتخلفين عن النبي في غزوة تبوك مؤخرون وموقوفون
في شانهم وامرهم الى ان يظهر الله امره فيهم قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم مرجون
بالواو والباقون مرجئون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة وهما لغتان يقال ارجئته وارجيته اذا اخرته
قال بعضهم ان الله قسم المتخلفين على ثلثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا
عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة واصحابه
فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون امرهم وشانهم الى ان يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله و
اخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله
توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم فنزلت هذه الاية في الثلثة الذين خلفوا
وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستاتي قصتهم ان شاء الله عند قوله تعالى وعلى الثلثة
الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم
يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى اما يعذبهم بان يميتهم بلا توبة واما يتوب عليهم
ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والترديد للعباد لان الله تعالى عالم بالواقع والمعنى ليكن امرهم عندكم
بين الخوف والرجاء قوله واخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره قال الاستاد معناه ان امرهم
الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفى عنهم فان قلت قد تواترت النصوص على قبول الله
التوبة عن التائب اذا كان مخلصا في توبته فالحكمة في تاخير قبولها من هؤلاء وارجاء امرهم منهما قلت الحكمة في
ذلك والله اعلم الاشارة الى عظم جنايتهم فان التاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسلا وركونا الى اللذة امر عظيم
الا ترى الى بكاء ادم اربعين عاما وما جرى على داود وقصة حزنه وشدة بكائه مشهورة والله عليم
باحوالهم وبما في قلوبهم حكيم فيما يفعل بهم ويقضي عليهم وترك والله غفور رحيم والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا عطف على واخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين
اتخذوا او منصوب على الاختصاص اي اخص بالذم الذين اتخذوا والمعنى ومن المنافقين طائفة اتخذوا
بنو غنم بن عوف قال الشيخ نزلت هذه الاية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء
وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد
وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو
سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا
المسجد مضارة للمومنين يعني لاهل مسجد قباء وليكونوا فيه بادين رسوله بان يظهر فيه كفرهم
المخفي في قلوبهم يعني بنوا ذلك لضرر المسلمين ولتقوية كفرهم قرأ نافع وابن عامر الذين اتخذوا بغير
واو على انه استيناف قصة المنافقين والباقون بالواو العاطفة على واخرون مرجون كما ذكرنا
او عطف هذه القصة يعني عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على ساير قصصهم في
الغاية والقول بحذف الواو بدل من مرجون غلط لانهم مخلصون اخر توبتهم وتفريقا بين المؤمنين
اراد بالمؤمنين الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء يعني لكي يصلي بعض المؤمنين في مسجد الضرار
وبعضهم

وبعضهم في مسجد قباء فيختلف كلمتهم وراءهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء
بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجد الضرار على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من
الشام وهو الذي سماه رسول الله بالفاسق وقد قال اللعين لرسول الله يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا
الى الشام من سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قيصر روم مستنصرا به على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا مسجدا فاني ات
من قيصر بجند ونخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجد الضرار بجنب مسجد قباء وانتظروا مجيء ابي
عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا
لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه نتخذه مصلى فاخذ رسول الله ثوبه
ليقوم معهم الى المسجد فنزلت الاية وفي رواية لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعا
نزل بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجدهم فدعا بقميصه
ليلبسه ويأتيهم فانزل الله هذه الاية واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به من القتل فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فذهبوا اسرع ما يكون فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة يلقى فيه الجيف والنتن والقمامة
ومات ابو عامر الراهب بالشام وقيل بقنسرين غريبا وحيدا طريدا وابو عامر هذا ابو حنظلة غسيل
الملئكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح وحزب الاحزاب على رسول الله وهرب
يوم حنين الى الشام وفي تفسير السمرقندي وكان النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقا وقال لا تقولوا له
راهبا وقولوا فاسقا وكان امر بالنبي صلى الله عليه وسلم مرتين ثم رجع عن الاسلام فدعا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمات كافرا فلما ظهر امرهم وفشى نفاقهم جاءوا يحلفون ان اردنا الا الحسنى اي ما
اردنا ببنائه الا خيرا فنزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قوله وارصادا
اي ترقبا وانتظارا لمن حارب الله ورسوله اراد بالمحارب ابا عامر الفاسق ليصلي فيه
اذا رجع من الشام من قبل يعني ان ابا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار
فهو متعلق بحارب وقيل متعلق باتخذوا اي اتخذوا مسجدا ضرارا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما
روي في بعض الروايات ان مسجد الضرار بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياتيه فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما رجع كرروا عليه السؤال
وحلفوا له بانا ما اردنا ببنائه الا خيرا فنزل وليحلفن اي الذين بنوا ان اردنا اي ما اردنا
ببنائه الا الحسنى اي الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة والذكر والرفق بالمسلمين والتوسعة
على اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قال السمرقندي
لكي يرجع ابو عامر الراهب فيسلم وهذه كلمة لا يعول عليها قوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون

Copyright © King Saud University

في قبلهم وحلفهم وفي الجامع قيل كل مسجد بني مباهاة او رياء او سمعة او لغرض غير وجه الله
او بمال حرام كمساجد الظلمة فهو لاحق بمسجد الضرار وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد
قباء اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه ان يأذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم في مسجدهم فقال
لا ونعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه واني
لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم وكنت غلاما قاريا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرأون
فصليت بهم ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم فعذره وصدقه وامره بالصلاة
في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم
ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الآخر قوله تعالى **لا تقم فيه ابدا** اي لا تقم
فيه لمحة طرف فضلا عن الصلاة فيه او لا تقم في مسجد الضرار للصلاة ما عشت فان النهي عن القيام
فيه مطلقا يستلزم النهي عن الصلاة وهو كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان وقامه اي قام
لاجل الصلاة قال ابن عباس معناه لا تصل فيه ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي
في مسجد الضرار ثم بين علة النهي فقال **لمسجد** اللام للابتداء او جواب قسم محذوف تقديره
والله لمسجد الى آخره وعلى التقديرين فهو مبتدأ موصوف بقوله **اسس** اي بني اصله ووضع اساسه
وقواعده **على التقوى** اي على تقوى الله عز وجل وتوحيده ولوجهه لا على النفاق **من اول**
يوم اي من ايام تاسيسه يعني من اول يوم من ايام وجود المسجد حين وجد ووضع اساسه
كان ذلك البناء على التقوى فيد تابذلك لظهور انه لم يوسس على التقوى من اول يوم من مطلق
الايام وفي الغاية مسجدك الذي بنيته واسسته لله وهو مسجد المدينة كذا رواه البخاري انتهى قال
السيوطي اي لمسجد بنيت قواعده على التقوى من اول يوم وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد
قباء كما في البخاري انتهى **احق** خبر لقوله لمسجد اي اولى واجدر من مسجد الضرار **ان تقوم** بان
تصلي **فيه** اي في المسجد الموسس على التقوى فالاحق لا تترك فان قلت احقية هذا يدل على احقية
ذلك في الجملة ومعلوم ان لا شائبة للحق في ذلك قلت اريد المبالغة اي لو كان ذلك يبنى كان هذا
احرى واولى بالقيام فيه فكيف وقد بني لانواع الكفر واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى
فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة
لا المسجد الذي بني بنو عمرو بن عوف يعني مسجد قباء ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي
المسجدين اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا
لمسجد المدينة اخرجه مسلم قلت وليس بعد نص رسول الله كلام وفي رواية الترمذي والنسائي
تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله هو مسجدي هذا قال الشيخ والحمل على مسجد النبي بالمدينة اولى لان وصف التقوى
وقع مقابلا لقوله ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا وكل ما يقابل هذه الاوصاف موجود في مسجد
رسول الله على وجه الكمال ولان التعبير بالقيام عن الصلاة في جوف ان تقوم فيه يستدعي المداومة

كما في

كما في قوله ويقيمون الصلوة وبعضده توكيد المنهي بقوله ابدا ومداومة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم توجد الا في مسجده صلى الله عليه وسلم ولانه في مسجده يزيد الطاعات اضعافا مضاعفة دون
مسجد قباء **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي **ق** عن عبد الله بن زيد رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوايم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسائي ومعنى رواتب
اي ثوابت قال البيضاوي في قوله لمسجد اسس على التقوى هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة انتهى وفي اللباب وروي عن
ابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الاية
وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويدل على انهم اهل قباء ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال نزلت هذه الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون
بالماء فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع
الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا
قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الاية وفي رواية انهم كانوا يستنجون بالاحجار ثم بالماء ويدل
على فضل مسجد قباء ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء او يأتي قباء
راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء
كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج
الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى
يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير رضي الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة اخرجه الترمذي انتهى وقوله عز وجل **فيه**
رجال اي في المسجد الذي اسس على التقوى رجال وقد عرفت الخلاف هل هو مسجد النبي بالمدينة او
مسجد قباء وهذه جملة مستانفة مبينة لاحقية المسجد المذكور لقيامه صلى الله عليه وسلم من جهة الحال
بعد بيان احقيته له من حيث المحل وصفة للمبتدأ او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق
وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بالرجال المهاجرون والانصار والمؤمنون ان قلنا بان ذلك المسجد
مسجد المدينة او بعض الانصار ان قلنا بانه مسجد قباء **يحبون ان يتطهروا** اي يحرصون على
الطهارة من الاحداث والجنابات وساير النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين او من الذنوب والمعاصي
والخصال المذمومة كالكفر والنفاق وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم
وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي لرضاة الله لان
التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه ولان الله تعالى
وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله ورجال المسجد يعني الذي اسس

Copyright ... University

على التقوى مبنيّ على صفات اصحاب مسجد الضرار فالحمل على الطهارة الباطنة احسن لان طهارة الظاهر
انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصي وقال عطاء كانوا يستنجون
بالماء ولا ينامون على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان
يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة ورفعه البغوي وغيره فقالوا
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره وقدم هذا الحديث قريبا وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة
وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثناء
فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا ان جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون ادبارهم من
الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله
قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول قال البيضاوي
في تفسيره قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا
الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال صلى
الله عليه وسلم أترضون بالقضاء فقالوا نعم قال أتصبرون على البلاء فقالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا
رجال يحبون انتهى قال الاستاذ روى صدر هذا الحديث الطبراني وعجزه ابن مردويه فهو ملفق من حديثين
وقوله **والله يحب المطهرين** اي المتطهرين قال السيوطي اي يثيبهم انتهى قال الشيخ معناه يرضى
عنهم ويحسن اليهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه وقوله **أفمن أسس** اي اصّل **بنيانه** اي
بناء مسجد المدينة الاعظم او بناء مسجد قباء او بناء دينه على الاختلاف الذي ذكرنا **على تقوى**
وهو التوقي من كل ما يوهم من فعل او شرك اي على مخافة **من الله** وهي قاعدة محكمة ثابتة **ورجاء**
رضوان منه والاستفهام هنا للتقرير والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب
رضاه وثوابه وهذا تشنيع ممن بناؤه للضرر والكفر والنفاق فشتان بين الفريقين قرأ نافع وابن عامر
أُسس مبنيا للمفعول بنيانُه بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون مبنيا للفاعل بنيانَه بالنصب لانه
مفعول به وفاعل اسس ضمير مستتر راجع الى من وقوله **خير** خبر المبتدا وهو من والتفضيل هنا باعتبار معتقدهم
أم من ام متصلة ومن عطف على من الاولى **أسس بنيانه** كالاولى **على شفا** اي على طرف
جرف اي جانب **هار** اي مشرف على السقوط يعني بنى بنيانه على اهون القواعد واضعفها قرأ حمزة
وابن عامر وابو بكر عن عاصم جرْف بسكون الراء والباقون بضمها وهما لغتان التثقيل والتخفيف يقال
اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الماء تحته فهو الى السقوط اقرب
قال ابو عبيدة الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيحفر بالماء فيبقى واهيا هار اي هائر
وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى
بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشيء الرخو **فانهار به** اي سقط بالباني يعني معه قال الشيخ يعني
ادى

ادى بالباني بسبب ضعفه وقلة استمساكه الى السقوط **في نار جهنم** يريد بناء هذا المسجد الضرار
كالبناء على شفير جهنم يتهور باهلها فيها فلا خير لبنائه اصلا وهذا مثل ضربه الله للمسجدين مسجد
الضرار ومسجد التقوى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة او مسجد قباء يعني المثل أفمن اسس بنيان
دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس بنيان دينه
على اضعف القواعد واقلها ثباتا وبقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير اساس
ثابت وهو شفا جرف هار فاذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد
ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه اشرف البناء والباني الثاني قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار
المسلمين فكان بناؤه اخس البناء وكان عاقبته الى نار جهنم قال بعضهم ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل
على حقيقة الباطل وكنه امره وسرعة انطفائه واضمحلاله قال الشيخ وانما لم يقل فوقع في نار جهنم لانه ما دام
حيا امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيها وانما وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا
عما ينافي التقوى وهو الباطل قال الله واما الباطل فيذهب جفاء قال ابن عباس في معنى فانهار به
في نار جهنم اي صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناؤهم حتى وقع في النار ولقد ذكر لنا
انه حفرت بقعة منه فرؤي الدخان يخرج منه وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد
الضرار **والله لا يهدي القوم الظالمين** اي الى ما فيه صلاح ونجاة يحتمل لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة اي شكا ونفاقا **في قلوبهم** لا يزال ذلك البناء الباطل سببا
لتزايد الشك والنفاق والحسرة والندامة في قلوبهم حتى كانه نفس الريبة وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما امر بهدمه ثقل ذلك على اهل مسجد الضرار وندموا على ما انفقوا على البناء من اموالهم وازداد بغضهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واشتد عداوتهم وبقوا مرتابين في امرهم هل يتركون بين المسلمين كما كانوا ام يقتلون و
قيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بنائه كما حبب العجل الى بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي
حرارة وغيظا في قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم** اي لا يزال بنيانهم الذي بنوا لهذه المقاصد الردية من
الاضرار والكفر والتفريق والارصاد موقع ريبة وشكا راسخا في قلوبهم في جميع الاحوال والاوقات
الا وقت ان تقطع وتنفصل وتتفرق وتتصدع قلوبهم فيموتوا يعني ان هذه الريبة لا ينفك عنهم
بل باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها فاذا ماتوا انتهوا انتهى الفساد قرأ ابن عامر وعاصم في رواية
حفص وحمزة بفتح التاء فعلا مضارعا بحذف التاء من التفعل وقرأ ابن كثير ان تقطع بفتح التاء وسكون
القاف مبنيا للفاعل ونصب قلوبهم على المفعولية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع
انت بالسيف قلوبهم والباقون بضم التاء مبنيا للمفعول من التقطيع والاستثناء من اعم الاوقات
او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او في كل الاحوال
الا وقت تقطع قلوبهم او الا حال تقطع قلوبهم فلو صورت ان قلوبهم تقطعت بحيث لا يبقى لها قابلية
الادراك والاضمار لزالت منها الريبة واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية متمكنة فيها
وهو في غاية المبالغة والمراد منه الاخبار بموتهم على النفاق واصرارهم عليه حال حياتهم ويجوز

ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم بالسيف او في القبور او في النار وقيل التقطع بالتوبة
والاسف الا ان يتوبوا توبة ينقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقرا يعقوب الى ان تقطع
بحرف الانتهاء وقرى ان يقطع بالياء لكون تانيث القلوب غير حقيقي وان تقطع مضارعا
وقرى ولو تقطعت على البناء للفاعل ولو تقطعت على البناء للمفعول **والله عليم** بنياتهم
واحوالهم واحوال الجميع خلقه **حكيم** فيما حكم به عليهم بهدم بنيانهم ولما شرح احوال
المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك عاد الى بيان فضيلة الجهاد فقال **ان الله اشترى**
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة هذا تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة
على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيل الله والمعنى انه تعالى رحم بالمومنين فطلب منهم ان يبذلوا
انفسهم واموالهم ويخرجوا الى الجهاد في سبيل الله ليثيبهم الجنة وذكر الشراء على وجه المثل لان
اموالهم وانفسهم كلها لله وهي عند اهلها عارية ولكنه اراد به التحريض والترغيب في
الجهاد وهذا كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط
لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان
تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
فنزلت ان الله اشترى الاية قال ابن عباس بالجنة وانما قدم الانفس على الاموال اشارة الى انهم يبذلون
ارواحهم اسمح منهم ببذل الاموال قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيئا في الحقيقة لان المشتري
انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو
رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل
في سبيل الله حتى يقتل او انفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزاء لما فعل في الدنيا
فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
والمراد بالاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعات **يقاتلون في سبيل الله**
هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر اي قاتلوا في سبيل الله تسليما للثمن المتعين فان
المبيع قد تعين اولما كان هذا البيع في المعنى سلما يجب تسليم راس المال فيه قال الشيخ يجوز ان يكون
مستانفا لبيان ما لاجله الشراء كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون ويجوز
ان يكون حالا **فيقتلون** اعداء الله فيحصل لهم اجر دفع فسادهم **ويقتلون** في سبيل الله وطاعته
فينالون درجة الشهداء قرا حمزة والكسائي بتقديم فعل المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل والباقون بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول للدلالة
على انهم يقاتلون ولا يرجعون عنهم الى ان يصيروا مقتولين **وعدا عليه حقا** اي ذلك الوعد بان
لهم الجنة وعدا على الله حقا قال السمرقندي معناه واجبا لهم ذلك بان يفي لهم بما وعد سمي قلت اي
كالواجب لان وعد اكرم الاكرمين نقد حاضر فقوله وعدا مصدر موكد لما دل عليه قوله بان لهم الجنة
وحقا صفة لوعدا وكيف لا يكون هذا الوعد حقا فقد ذكره في اجلة كتبه **في التورية والانجيل والقران**

يعني ان هذا الوعد الذي وعد الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في
القران وهو ايضا في غاية الوثاقة وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على
جميع اهل الملل وقيل مكتوب في التورية الجنة جنتي والمال مالي فاشتروا جنتي بمالي فان ربحتم فلكم
وان خسرتم فعلي وفي الغاية في معنى قوله في التورية والانجيل والقران هذا على متعارف التجار فان
المبلغ اذا كان له قدر تكتب الوثيقة وقد بالغ ذلك حتى انزله في الكتب الثلثة التي عليها مدار
الشرايع ويحتمل ان يراد بالقران زبور داود لما في الحديث ان داود كان يوم يريد ان يسرج له الدابة
فيختم القران قبل ان يسرج فيكون الوعد مسطورا في الكتب الاربعة **ومن اوفى بعهده من**
الله شيئا او خبر وفيه استفهام على سبيل الانكار اي ليس احد اوفى من الله في عهده وشرطه
فيكون مبالغة في الانجاز وتقريرا لكونه حقا وترغيبا في الجهاد اشد ترغيب وابلغه لان خلاف الوعد
قبيح من كرام المخلوقين فكيف يكون من اكرم الاكرمين ثم هناهم فقال **فاستبشروا ببيعكم الذي**
بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به قال الاستاد وهذا اعلام
لهم بانهم ربحوا في تجارتهم ربحا وافرا يبارك عليه قوله **وذلك هو الفوز العظيم** اي الذي
بايعتم به مع الله هو الثواب الجزيل الوافر يوم القيمة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله
بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربحة بايع الله كل ها كل مومن وعنه قال
ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم قوله تعالى
التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المومنون المذكورون في قوله ان الله اشترى
من المومنين ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من المعاصي من اهل الجنة وان لم
يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال التسعة وقرى بالياء من التائبين الى والحافظون نصبا على المدح او جرا
صفة للمومنين ومعنى قوله التائبون الذين تابوا من الشرك وبرءوا من النفاق او التائبون من كل معصية
فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وجميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل
واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور المعصية
وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له
على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع
مذمتهم فليس بمخلص في توبتهم **العابدون** اي الموحدون الذين عبدوا الله مخلصين قال ابن عباس
هم الذين يرون العبادة الواجبة عليهم بالاخلاص او المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة
عليهم **الحامدون** يعني الذين يحمدون الله لنعمايه سيما نعمة الاسلام او على كل حال في السراء والضراء
وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى الى
الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون
بشكره على جميع نعمه دنيا واخرى وقد بين شيخنا عبد القادر الجيلاني مسلكه معنى الشكر في كتابه
فتوح الغيب فراجعه **السائحون** اي الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم قال ابن

Copyright © King Saud University

عباس ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام قال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه اللذات
كلها من المطعم والمشرب والنكاح قال الازهري قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبد لا زاد
معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل واللذات كلها ولان الصوم رياضة نفسانية
يتوصل بها الى خفايا الملك والملكوت وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصائم
مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل
عليه ما روي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ايذن لنا في السياحة
فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السائحون هم طلبة
العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه والسياحة اذا كانت للعبرة وتهذيب الاخلاق فلها
اثر عظيم واذا كانت لمجرد هواء النفس وشهواتها فلا تزيدها الا المقت وكثرة اللغو **الراكعون**
الساجدون في الصلوة يعني المصلين لا كاهل الكتاب ولكن يعد الركوع في ضمن السجود لانه صرح بكل
منهما على حدة وانما عبر عن الصلوة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلي عن غير المصلي
بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلي وغيره وقال السمرقندي الراكعون اي الذين يحافظون
على الصلوات الساجدون يعني الذين يسجدون لله في الصلوة وفي المدارك الراكعون هم المصلون
والساجدون المحافظون على الصلوات **الآمرون بالمعروف** اي بالايمان والطاعة يعني يامرون الناس
بالايمان بالله وحده وباعمال الخيرات **والناهون عن المنكر** اي عن الشرك والمعاصي ودخول الواو في الناهون
للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين لان الامر بالمعروف
متضمن للنهي عن المنكر لان الامر بالشيء نهي عن ضده والنهي عن الشيء امر بضده وقيل هي الدالة
بين الضدين ودخول الواو في قوله **والحافظون لحدود الله** اي فيما بينه وعينه من الشرائع
والحقايق للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل ان العطف للايذان بان
التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثمانية عدد كامل كما مر في هذه السورة ولذا
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية قال الشيخ فان العرب تعطف بالواو على
السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه آخر
وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله
التائبون الى قوله الساجدون مبتدأ خبره هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر قال ابن عباس في
معنى قوله والحافظون لحدود الله اي القائمون بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله المنتهون
الى امره ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذي الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه وعطف
قوله والحافظون لحدود الله على قوله والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من عطف العام على
الخاص كذا في الاماني قال السمرقندي وذكر عن خلف بن ايوب انه امر امرأته في بعض الليالي ان تكف الرضاع
عن الولد وقال قد تم عليه سنتان فقيل له لو تركتها حتى ترضع تلك الليلة فقال اين قول الله والحافظون
لحدود الله ثم قال **وبشر المؤمنين** اي بشر المصدقين بهذه الشروط والعاملين به بان لهم الجنة
تخصيصه بشر المصدقين بالصفات المذكورة بالجنة وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان
كأنه قيل

كأنه قيل وبشرهم بما جل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ونزل في استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب
واستغفار بعض الصحابة لابويه المشركين قوله **ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين**
ولو كانوا اولي قربى والمعنى ما صح وما استقام وما ينبغي للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا لمن
لمن يشرك بالله ولو كانوا ذوي قرابة يعني وان بلغ من القرب ما بلغ لان الله تعالى لا يغفر للمشركين لانهم بسبب اختيار
هم الكفر ما بقي لهم استعداد نور الاستغفار منهم روي عن سعيد بن المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب ودين
اشياخه وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنه فانزل الله ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء اخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شان ابي طالب وذلك ان
وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا قلت لا اشكال في ذلك لان الذي
نزل في ابي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له الى ان نزلت هذه الآية ومنع من الاستغفار بعده وفي الغاية فان قلت كيف
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابي طالب بعد موته قلت الاستغفار جائز عقلا ولم يكن فيه نهي فكان
لشدة رافته بعمه يستغفر له وكذلك قيد بقوله لاستغفرن لك ما لم انه عنك م عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فابى فانزل الله
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله
على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الآية ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار
تبلغ كعبيه تغلي منه ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو
في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك
ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح
وقد بسط السيوطي الكلام في اسلام اباء النبي وامهاته وقد اشرنا الى بعض ذلك فيما مر وفي الجامع وقيل
قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه
فقال الله ما كان للنبي الآية ثم قال الله تعالى بيانا للسبب منع الاستغفار **من بعد ما تبين لهم**
انهم اصحاب الجحيم يعني من بعد ما تبين للنبي والمؤمنين انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب الجحيم
وايضا فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف وعده قال البيضاوي في معنى قوله من
بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار فانه طلب لتوفيقهم للايمان
وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال **وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا**

Copyright © King Saud University

عن موعدة وعدها اياه اى وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة
وعد ابراهيم اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لما انزل الله
خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربى سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان
فقلت اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك يعنى ان ابراهيم ليس بقدوة فى هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك
لمكان الوعد الذى وعده رجاء ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فعلى هذا الضمير فى اياه
راجع الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم
سأستغفر لك ربى يعنى اذا اسلمت وقيل ان ضمير اياه راجع الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان
يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربى ويدل عليه ايضا قراءة الحسن وعدها
اباه بالباء الموحدة ومن اراد تفصيل اسلام والدى النبى صلى الله عليه وسلم واسلام ابائه وامهاته الى ادم
عليه السلام وهل الازر والد للخليل او عمه فليراجع الكتاب المسمى بسبل الهدى والرشاد فى سيرة خير
العباد للشيخ العلامة الشمس الدين محمد بن يوسف بن على الشامى تلميذ الامام الحافظ السيوطى والخطيب
القسطلانى فانه اوضح فيه حديثى مسلم وبين ركاكتهما والحاصل لا ينبغى لاحد من المفسرين والمحدثين
من اهل الراى وغيرهم ان يتكلم فى والدى النبى واجداده الا بالخير والا فالصمت وسئل القاضى ابو بكر بن
العربى احد الائمة المالكية عن رجل قال ان ابا النبى صلى الله عليه وسلم كذا فاجاب بان من قال ذلك فهو ملعون
فى الدنيا والاخرة لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة قال ولا اذى
اعظم من ان يقال عن ابيه انه كذا قال الامام فخر الدين الرازى ان اباء صلى الله عليه وسلم كلهم الى ادم
كانوا على التوحيد قال الله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ومعناه انه كان ينقل
نوره من ساجد الى ساجد قال فى كتاب اسرار التنزيل ما نصه قيل ان ازر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه
والدليل على ذلك ان اباء الانبياء ما كانوا كفارا قال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات قال
الشمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى فى ابيات له ❊ حبا الله النبى مزيد فضل ❊ على فضل وكان به رؤفا
فاحيا امه وكذا اباه ❊ لايمان به فضلا لطيفا ❊ فسلم فالقديم بذا قدير ❊ وان كان الحديث به ضعيفا
وله ايضا ❊ تنقل احمد نورا عظيما ❊ تلألأ فى جباه الساجدينا ❊ تقلب فيهم قرنا فقرنا
الى ان جاء خير المرسلينا ❊ قال الغزالى فى كتاب النفخ والتسوية فى قوله صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين
خلقا ان المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا ولكن الغايات
والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود وبسط الكلام على ذلك وسيدى العارف سيدى على بن
ابى الوفا حيث قال ❊ سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد ❊ هذا النعيم هو المقيم الى الابد
اصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن ❊ جار الكريم فعيشه العيش الرغد ❊ عش فى امان الله تحت لوائه
لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد ❊ لا تخش ضيما فعندك بيت من ❊ كل الممالك من اياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن ❊ هو فى المحاسن كلها فرد احد ❊ قطب النهى غوث العوالم كلها

11

سورة التوبة

على على ما راحمين جمد ❊ روح الوجود حياة من هو واجد ❊ لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وادم والصدور جميعهم ❊ هم اعين هو نورها لما ورد ❊ لو ابصر الشيطان طلعة نوره
فى وجه ادم كان اول من سجد ❊ او لو راى النمرود نور جماله ❊ عبد الجليل مع الخليل وما عند
لكن جمال الله جل فلا يرى ❊ الا بتوفيق من الله الصمد ❊ عن عبد الله بن عمرو بن العاص
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين
الف سنة وكان عرشه على الماء رواه مسلم زاد صاحب اللطايف ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو ام الكتاب
ان محمدا خاتم النبيين وعن العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله لخاتم النبيين وان
ادم لمنجدل فى طينته رواه الامام احمد والحاكم وصححه والمعنى كنت خاتم الانبياء فى الحال الذى ادم
مطروح على الارض حاصل فى اثناء الخلقة لما يفرغ من تصويره واجراء الروح او المعنى ان نبوة نبينا
كانت معروفة مذكورة من قبل ان يخلقه الله تعالى ويخرجه الى دار الدنيا حيا وان ذلك كان مكتوبا فى ام الكتاب
من قبل نفخ الروح فى ادم عليه السلام وفى شفاء الصدور لابن سبع عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت ارضى ولا سمائى ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت
هذه الغبراء ❊ وما عجب اكرام الف لواحد ❊ لعين تفدى الف عين وتكرم ❊ يرحم الله القايل
حفظ الاله كرامة لمحمد ❊ اباءه الامجاد صونا لاسمه ❊ تركوا السفاح فلم يصبهم عاره
من ادم والى ابيه وامه ❊ وقال بعضهم رحمهم الله ❊ من عهد ادم لم تزل تحمى له
فى نسلها الاصلاب والارحام ❊ حتى تنقل فى نكاح طاهر ❊ ما ضم مجتمعين فيه حرام ❊ ولسيدى الفاضل
نسب اضاء وشمسه من هاشم ❊ وسماؤه من يعرب ونزار ❊ من معشر ورثوا السيادة كابرا
عن كابر فهم كبار كل كبار ❊ اقمار اندية اسود وقايع ❊ اطواد احلام سحاب قطار
وبه در الفاضل ❊ ان الذى بعث النبى محمدا ❊ انجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وابيه حكم شايع ❊ ابداه اهل العلم فيما صنفوا ❊ فجماعة اجروهما مجرى الذى
لم ياته خبر الدعاة المسعف ❊ والحكم فيمن لم تجئه دعوة ❊ ان لا عذاب عليه حكم يؤلف
فبذلك قال الشافعية كلهم ❊ والاشعرية ما بهم متوقف ❊ وبسورة الاسراء فيه حجة
وبنحو ذا فى الذكر اى تعرف ❊ ولبعض اهل الفقه فى تعليله ❊ معنى ارق من النسيم والطف
ونحى الامام الفخر رازى الورى ❊ منحى به للسامعين تشنف ❊ اذ هم على الفطر الذى ولدوا ولم
يظهر عناد منهم وتخلف ❊ قال الاولى ولدوا النبى المصطفى ❊ كل على التوحيد اذ يتحنف
من ادم لابيه عبد الله وما ❊ فيهم اخو شرك ولا مستنكف ❊ فالمشركون كما بسورة توبة
نجس وكلهم بطهر يوصف ❊ وبسورة الشعراء فيه تقلبا ❊ فى الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى ❊ اسراره هطلت عليه الذرف ❊ فجزاه رب العرش خير جزائه
وحباه جنات النعيم بزخرف ❊ فلقد تدين فى زمان الجاهلية ❊ فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا ❊ الصديق ما شرك عليه يعكف ❊ قد فسر السبكى بذاك مقالة
للاشعرى وما سواه مزيف ❊ اذ لم تزل عين الرضى منه على ❊ الصديق وهو بطول عمر احنف

Copyright © King Saud University

عادت عليه صحبة الهادى فا ∴ فى الجاهلية للضلالة يعزف ∴ فلامه وابوه احرى سيما
وراث من الايات مالا يوصف ∴ وجماعة ذهبوا الى احيائه ∴ ابويه حتى امنا لا خوفا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا ∴ فى ذاك لكن الحديث يضعف ∴ هذه مسالك لو تفرد بعضها
كفى فكيف بها اذا تتالف ∴ ويجنب من لا يرتضيها صمته ∴ ادبا ولكن اين من هو منصف
صلى الاله على النبى محمد ∴ ماجد ذا الدين الحنيف محنف ∴ وذكر ابن حجر فى كتابه الزواجر
ما نصه ان الله اكرم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بحياة ابويه حتى امنا به كما جاء فى حديث صححه
القرطبى وغيره ورد ايضا فى فتاواه اقوال المخالفين فراجعه فرحم الله امرا عرف قدره ولم يتجاوز
طوره وطوبى لمن يسلك سبيل الهدى ويجتنب عن المهالك والردى قوله تعالى **فلما تبين له انه**
عدو لله تبرأ منه اى لما ظهر لابراهيم وبان له ان اباه عدو لله بان اوحى اليه بانه
لن يومن ويموت على الكفر تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وقيل لما تبين له فى
الاخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال يلقى ابراهيم اباه ازر يوم القيمة وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول ابراهيم الم اقل لك
لا تعصينى فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتنى ان لا تخزينى يوم
يبعثون فاى خزى اخزى من ابى الابعد فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم
ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ بقوائمه فيلقى فى النار اخرجه البخارى زاد غيره
فيتبرأ منه يومئذ القترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة
وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله تعالى **ان ابراهيم لاواه حليم** جاء فى الحديث ان الاواه الخاشع
المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس هو المومن التواب وقال الحسن وقتادة
الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذى يكثر التاوه وكان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول اوه من النار قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر
لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف
من النار وقال ابو عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم
فى قول ابى عبيدة جميع ما قيل فى الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء
والفعل منه اوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن يحمى
الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق فى القلب ليخف بعض ما به من الحزن
والشدة قال السمرقندى فى تفسيره وروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس انه قال كل القران اعلمه
الا اربعة غسلين وحنانا والاواه والرقيم وروى عن ابن عباس فى رواية اخرى انه قال الاواه
الذى يذكر الله تعالى فى الارض الوحشة وقال الاواه بلغة الحبشة التقى وقوله حليم اى صبور على
الاذى يعنى حليم عن الجهل ومن حلم ابراهيم عليه السلام قول ابيه له لئن لم تنته لارجمنك وهو يقول
فى جوابه سلام عليك سأستغفر لك ربى وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم
عليه السلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى

انه مع

انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر لتقتدوا انتم به فى
هذه الحالة ايضا قوله تعالى **وما كان الله ليضل قوما** اى ما كان الله ليسميهم ضلالا
ويخلق فيهم ذلك ويواخذهم بواخذهم يعنى ما كان الله ليقضى عليكم بالضلال ايها المومنون
بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين **بعد اذ هداهم** اى بعد اذ هدى الله القوم للاسلام
يعنى بعد اذ رزقكم الله الهداية ايها المستغفرون لموتاكم المشركين ووفقكم للايمان به وذلك انه
لما منع الله المومنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا من ما صدر منهم
فاعلمهم الله بان ذلك الاستغفار ليس بضائرهم **حتى يبين لهم** بالنهى الصريح عبارة او دلالة
ما يتقون اى الذى يجب عليهم اتقاؤه يعنى حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغير ذلك مما نهى عنه فاذا اعلمهم بانه ذنب يواخذهم الله ان اقدموا على ارتكابه واما قبل الاعلام
فلا يخذلهم ولا يواخذهم فكانت الاية بينت عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاقدام على استغفاره لعمه
ابى طالب وعذر من استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع عن الاستغفار لهم وفيه دليل على ان تكليف
الغافل غير واقع فى شرايع الانبياء عليهم السلام وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى
عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع فى قلوب المومنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله
عز وجل هذه الاية وبين انه لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه قال
مجاهد بيان الله للمومنين ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم فى معصيته وطاعته عامة
وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما ياتون ويفعلون وما يذرون ويتركون وقال
مقاتل والكلبى هذا فى امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة
فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد
ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين
ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعنى وما كان الله ليبطل
عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ فاذا تبين لهم ذلك يواخذهم للمخالفة **ان الله**
بكل شىء عليم اى فيعلم امرهم فى الحالين يعنى حال الحرمة والاباحة او عليم بكل ما يصلح الخلق ومنه
علمه بحال الغافل الذى لم يصل اليه الحرمة او الاباحة فيبين له ذلك ويعذره قال الشيخ معناه انه
تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من اوامره
ونواهيه **ان الله له ملك السموات والارض** اى لا شريك له فى ملكهما يعنى ما فيهما عبيده
وملكه يحكم فيهما بما يشاء من الامر بعد الامر يامر بامر ثم يامر بغيره ويفعل ما يشاء فلا ينسخه **يحيى**
ويميت اى من شانه احياء الموتى واماتة الاحياء والاهداء والاضلال يعنى انه يحيى من يشاء على
الايمان ويميته عليه ويحيى من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه فى حكمه وعبيده **وما لكم**
اى ليس لكم ايها الناس **من دون الله** اى من غيره مما سواه **من ولى** اى من قريب ينفعكم ويحفظكم من
عدوكم **ولا نصير** اى ولا ناصر ومانع يمنع عنكم ضررا عداكم والحاصل انه سبحانه وتعالى هو وليكم و
ناصركم ليس لكم غيره ينفعكم من عدوكم وينصركم عليه قال البيضاوى لما منعهم عن الاستغفار للمشركين

وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولي امرهم والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الامنه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا
عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود في ما ياتون ويذرون سواه انتهى والحاصل فيه اشارة الى ان فايدة
القرابة حق الولاية والنصرة ولا ولاية ولا نصر الا منه تعالى فعلى العاقل ان يتوجه الى الله بكليته ويقبل
الى ذاته العلي وجنابه المقدس بشراشره ويعرض عمن سواه ولما شرح احوال غزوة تبوك واحوال
المتخلفين عنها عاد الى شرح ما بقي من احكامها فقال **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين**
والانصار قال ابن عباس رضي الله عنهما التوبة على النبي هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف
لقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الاولى والافضل لا انه ذنب يوجب عقابا وقيل
معناه ادام توبته على النبي الخ قال اصحاب المعاني ذكر النبي هو مفتاح الكلام للتبرك والمراد التوبة
على من ذكر بعده من الانصار والمهاجرين لما فرط منهم في احد وحنين وقولنا ذكره عليه السلام
مفتاح كلام للتبرك يعني هو كقوله تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه
تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله
فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف وتعظيم له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل
ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في
قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في
قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية قال الامام ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات
في مدة عمره اما من باب الصغاير واما من باب ترك الاولى والافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد التي حصلت لهم في ذلك السفر
غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدايد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تسلية لهم وتنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى
الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة وفي
اوايلها بيان معاملات المنافقين على التفصيل سميت السورة الفاضحة الى ان نزلت هذه الاية فلما نزلت
هذه الاية سميت السورة بسببها سورة التوبة قال الكسم قندي ويقال لقد تاب الله على النبي يعني غفر الله ما تقدم
من ذنبه وما تاخر كما ذكر في اول سورة الفتح انتهى قال الشيخ اراد بالذنب ما فرط منه من ترك الاولى
كاذنه للمنافقين بالتخلف حيث حلفوا لله كذبا وقيل المقصود من هذه الاية هو الترغيب لكل احد على
التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله توبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة
من تلك النقيصة والاظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده قال بعضهم والتوبة لها
مراتب اولها التوبة من الشرك واقصاها ربط السر على التوحيد ومطالعة جلال الله والذهول عن
ذلك ولو لمحة طرف يوجب التوبة على الكمل كما يوجب ارتكاب الكبيرة على عامة المؤمنين وعليه يحمل
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ثم نعتهم فقال **الذين**

اتبعوه اي اتبعوا امر الرسول عليه السلام في غزوة تبوك **في ساعة العسرة** اي في وقت العسرة
وهي حالهم ولم يرد ساعة معينة وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين
الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من ساير القبايل وقد خص اكثر العلماء ساعة
العسرة بغزوة تبوك وعلى هذا اتفاق المفسرين وقال ابو مسلم يجوز ان يكون المراد بساعة العسرة جميع الاحوال
والاوقات على الرسول عليه السلام وعلى المؤمنين فيدخل فيه غزوة الخندق وغزوة بدر وغيرهما وقد ذكر
الله بعضها في القران كقوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقوله لقد صدقكم
الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم الاية والمقصود منه وصف المهاجرين والانصار بانهم
اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في الاوقات الشديدة والاحوال الصعبة وذلك يفيد نهاية المدح والتعظيم
ففي الاية اشارة الى انهم مع علو شانهم كانوا محتاجين الى التوبة فغيرهم يحتاج اليها بطريق الاولى
والحاصل كانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار مع النبي جيش العسرة لانه كان عليهم
عسرة في الظهر والزاد والماء والحر الشديد وجهزهم عثمان وغيره من الصحابة رضي الله عنهم قال
الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب
صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا
التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه
ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى تاتي على اخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة
وقيل كان الرجلان يقتسمان تمرة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا
اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته
ستقطع فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله قال
اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤا ما معهم من
الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك قال بعضهم والمعجز
في هذه القصة انه عليه السلام وضع كفه في ماء قليل فانفجرت الماء من بين اصابعه العشرة حتى
شربوا وسقوا دوابهم وملؤا اوعيتهم ودعا ايضا بتمر قليل وجعله في قصعة ودعا عليه بالبركة
فكفاهم ذلك وزاد قوله **من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم** بيان لتناهي شدتهم و
بلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى الرجوع والتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الشيخ والمعنى من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التي نالتهم والزيغ
في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم لكنهم صبروا
واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى **ثم تاب عليهم** يعني انه علم اخلاص
نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة واعلم ان في كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه
الضمير في منهم قرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي والباقون بالتاء من فوق

Copyright © King Saud University

وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم وقوله ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم قال الاستاد فان قلت قد ذكر التوبة
اولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة ذلك قلت انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى
قد قبل توبتهم وعفى عنهم ثم اتبعه بقوله **انه بهم رؤف رحيم** تاكيدا لذلك ومعنى الرؤف
في صفة الله انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات قال الخطابي في الفرق بين
الرؤف والرحيم قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قال بعضهم الرافة
عبارة لازالة الضرر والرحمة عن ايصال المنفعة **وعلى الثلثة الذين خلفوا** معطوف على ما قبله
تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة
واصحابه حيث لم تقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم وحي
بقبول توبتهم لانهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه وقيل في معنى خلفوا اي انهم خلفوا عن غزوة
تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله قال صاحب اللباب واما حديث توبة
كعب بن مالك وصاحبيه فقد روي عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك
ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احد
تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم
على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب
ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها
راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى
كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا
كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان
ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت
الثمار والظلال وانا اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت اغدو
لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى
بي حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي
شيئا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا
خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه

في النفاق

في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال
وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر
في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال
كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب
واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشيء ابدا فيه كذب فاجمعت صدقه
واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس
فلما فعل جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم
علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم
قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت بلى يا رسول
الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه على بعذر لقد اعطيت
جدلا ولكني والله لقد علمت يا نبي الله لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله
ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله وفي رواية
عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت
عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدقكم الحديث فقم حتى يقضي الله فيك
فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت
في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك
استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان
قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية
الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي
قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس
او قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة
فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج
فاشهد الصلاة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه
بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا
اقبلت على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت
حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت
يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت فناشدته فقال الله ورسوله

اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من
نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس
يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه
قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت
حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها بها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين و
استلبث الوحي واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان
تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الى صاحبي
مثل ذلك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امراة هلال
ابن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل
تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به من حركة الى شيء ووالله ما زال يبكي منذ
كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك
فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال
فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت
من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض
بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا
وعلمت ان قد جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر
فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم
قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي
فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتامم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى
دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني
والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال فقلت امن
عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار
وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله
ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك
فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما انجاني بالصدق وان
من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث
منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين

ابلاني الله اي انعمني الله

والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم
الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون
كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال
لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم
انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله
تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما
هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت
كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي قال وانزل
الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في شاني معنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة
تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري
ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة
الجمل او الناقة القويان على الحمل والسفر قوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة
البرية القفر سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلاهم بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم
واظهره لهم ولاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليها اصعر هو بالعين المهملة اي اميل
قوله وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفقت مثل جعلت والمغموص المعيب المشار
اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب يزول اذا ظهر
شخص للانسان خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كانه
ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله
ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة حقيقة الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه و
القافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن كانه لشدته يظهره يبثه
صاحبه اي يظهره وزاح عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد
اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اوردت عليه من الكلام
والغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم قوله حتى
تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت علي

Copyright ... University

وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فأما صاحباي فاستكانا أي خضعا وسكنا قوله تسورت
حائط أبي قتادة أي علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والأنباط الفلاحون والزراعون
وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتيممت بها التنور فسجرتها
أي فقصدت بالصحيفة التي أرسلها ملك غسان فأحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف
وقوله فانطلقت أتأمم أي أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس ويقال برق
وجهه إذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور وقوله أنخلع من مالي أي أخرج منه جميعه وأتصدق
كما يخلع الإنسان قميصه وقوله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني
البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر وإذا أطلق كان في الشر غالبا فإذا أريد به الخير قيد كما قيد هنا
بقوله أحسن مما أبلاني أي أنعم علي قوله أن لا أكون كذبته هكذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة
لفظ لا قال العلماء لفظة لا زائدة ومعناه أن أكون كذبته وقوله فأهلك هو بكسر اللام وأرجأ وأرجى
تأخر وقوله في الرواية الأخرى يحطمكم الناس أي يطؤكم ويزدحمون عليكم وأصل الحطم الكسر وقوله
سائر الليل أي باقي الليل وقوله وآذن بتوبة الله علينا أي أعلم والإيذان الإعلام والله أعلم انتهى
وقوله عز وجل **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت** غاية للتخليف أي خلفوا وأخروا
إلى أن ضاقت عليهم الأرض برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم بالكلية وتخصيصه ضاق عليهم
المكان بعدما كان واسعا وهو مثل لشدة الخوف كأنهم لا يجدون في الأرض مكانا يستقرون فيه قلقا
وجزعا مما هم فيه **وضاقت عليهم أنفسهم** أي قلوبهم من فرط الوحشة وشدة الغم والحزن
ومجانبة الأقارب والأباعد إياهم بترك الكلام ونظروا إليهم بعين الإهانة والجفاء بحيث لا يسعها
أنس وسرور وذلك لتأخر توبتهم **وظنوا** أي وأيقنوا علموا **أن لا ملجأ** أي لا مفزع ولا مفر ولا
مخلص **من الله** أي من سخطه وغضبه **إلا إليه** بالتوبة والاستغفار يعرف معناه من قوله صلى الله عليه وسلم
أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك عن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح
فقال أن يضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **ثم تاب عليهم**
أي وفقهم وألهمهم للتوبة **ليتوبوا** أي ليتوبوا ويقال تجاوز عنهم حتى تابوا ويقال تاب عليهم ليتوب من
بعدهم ويقتدي بهم قال الشيخ معناه أنزل الله توبتهم ليتوبوا عن ارتكاب مثله أو ليتوبوا إذا صدر منهم
ذنب لما علم من هذه الواقعة أو معناه ثم تاب عليهم بعدما طال عليهم المدة خمسين يوما ليكونوا في جملة التائبين
أو رجع عليهم بالتوبة مرة أخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة قوله إن الله هو التواب الرحيم قال بعضهم فيه
حذف تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه فرحمهم ثم تاب عليهم لدلالة الكلام عليه وهو تأكيد لقوله ثم
لأنه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وإنه عطفه على قوله لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والأنصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه إن الله تاب عليهم
الماضي ليكون ذلك داعيا لهم إلى التوبة في المستقبل ويدوموا عليها وقيل إن أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب
عليهم ليرجعوا إلى حالهم الأول وعادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ولا يرجعوا إلى عمل
ما يبطل التوبة وهذه الروايات بعضهم من بعض وإنما كررناه لأنه لما تقدم قبول التوبة على نفس التوبة ذ

التوبة غاية

التوبة غاية لقبولها مع أن الأمر معكوس وضمنا دفع ما يرد على ظاهر الآية بوجوه التي ذكرنا وبيانه
أيضا أن تاب عليهم بمعنى وفقهم للتوبة وأن فعل العبد مخلوق لله فقوله تاب عليهم يدل على أن التوبة
فعل الله وقوله ليتوبوا يدل على أنها فعل العبد فهو نظير قوله تعالى فليضحكوا قليلا مع قوله أنه هو أضحك
وقوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق مع قوله إذ أخرجه الذين كفروا وقوله هو الذي يسيركم مع قوله
قل سيروا والله أعلم بأسرار كتابه **إن الله هو التواب الرحيم** أي هو الذي يقبل التوبة من عباده
التائبين وإن عادوا في اليوم مائة مرة وفيه دليل على أن قبول التوبة لمحض الفضل والكرم والرحمة و
الإحسان وأنه لا يجب على الله تعالى شيء **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله** أي اخشوا الله ولا تعصوه
بالمخالفة وارتكاب ما لا يرضاه ورسوله قال السمرقندي أراد بالذين آمنوا من أسلم من أهل الكتاب
وكونوا مع الصادقين أي مع الذين صدقوا الله في أيمانهم وعهودهم أو صدقوا الله في دينه نية وقولا
وعملا أو في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم وفي اللباب يعني كونوا مع النبي وأصحابه
في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع
الصادقين يعني مع أبي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت
قلوبهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك بإخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب
ولم يعتذروا بالأعذار الباطلة الكاذبة قال السمرقندي وروي عن كعب بن مالك قال فينا نزلت وكونوا مع الصادقين
وهذه الآية تدل على فضيلة الصدق لأن الصدق يهدي إلى الجنة والكذب يهدي إلى الفجور كما ورد في الحديث
وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجز له اقرؤوا
إن شئتم وكونوا مع الصادقين وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه احتج بهذه الآية على الأنصار في يوم
السقيفة وذلك أن الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر يا معشر الأنصار إن الله تعالى
في كتابه للفقراء المهاجرين إلى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الأنصار أنتم هم فقال أبو بكر إن
الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون
معكم نحن الأمراء وأنتم الوزراء وقرئ من الصادقين أي كونوا من الصادقين لا من المتصفين بالكذب قوله تعالى
ما كان لأهل المدينة أي ما صح وما استقام لساكني المدينة من المهاجرين والأنصار **ومن حولهم من
الأعراب** يعني سكان البوادي كمزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام في كل الأعراب لأن اللفظ
عام وحمله على العموم أولى **أن يتخلفوا عن رسول الله** أي إذا غزا وهذا ظاهره نفي وخبر و
معناه النهي أي ليس لهم التخلف عن الجهاد وما استقام ذلك كما أشرنا آنفا **ولا يرغبوا بأنفسهم عن
نفسه** أي ولا أن يرغبوا عطفا على الأول يعني ليس لهم أن يصونوا أنفسهم عما لم يصن عليه السلام نفسه
الشريف عنه بل اللازم عليهم أن يكابدوا معه ما يكابده من الأهوال والشدائد بل يجب على من آمن به أن
يجعل نفسه وقاية لنفسه ويؤثر حياته على حياته كما فعل طلحة يوم أحد وتخصيصه ليس لأحد من المسلمين
أن يكونوا بأنفسهم أبر وأرحم وأشفق من نفس محمد صلى الله عليه وسلم لأن نفسه أعز نفس عند الله بل يجب
عليهم أن يلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم **ذلك** أي النهي عن التخلف
أو وجوب المتابعة **بأنهم** أي بسبب أنهم **لا يصيبهم** في غزوهم وعزمهم في كل خير **ظمأ** أي عطش

Copyright © King Saud University

ولا نصب اى تعب ولا مخمصة اى مجاعة قيل التنكير فى الثلثة للتقليل فى سبيل الله اى فى الجهاد
ولا يطؤن اى ولا يدوسون موطئا مصدر يعنى وطيا يعنى مكانا او رضا من اراضى الكفار من سهل او
جبل باقدامهم وارجل خيولهم يغيظ اى يحزن الكفار يعنى ولا يضعون قدما على الارض يكون
ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون اى ولا يصيبون من عدو لله
نيلا اى اصابة قتلا كان او اسرا او نهبا او هزيمة ونحو ذلك الا كتب لهم به عمل صالح
اى الا كتب الله لهم بكل واحد من الامور المعدودة ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم قال
بعضهم فى معنى قوله عمل صالح اى حسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الثواب الجزيل وقيل الرفيع قال
ابن عباس بكل روعة تنالهم فى سبيل الله سبعين الف حسنة فالتنوين للتفخيم وفى ذلك الثواب مما يوجب
المتابعة واقتحام الشدائد ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب و
تنبيه على ان الجهاد احسان وان كان فيه اهلاك النفوس لانه سبب لاعلاء كلمة الله اما فى حق
الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المومنين فلانه صيانة لهم
عن سطوة الكفار واستيلائهم والحاصل ان الله لا يدع محسنا من خلقه قد احسن فى عمله واطاعه فيما
امره به او نهاه عنه ان يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفى الاية دليل على ان من قصد طاعة الله
كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله قال صلى الله عليه وسلم من
اغبرت قدماه فى سبيل الله عز وجل حرمه على النار وكذا القول فى قصد المعصية فان حركته فيها كلها سيئات
الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء فى حكم هذه الاية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من
المومنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعى وابن المبارك
وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون فى هذه الاية انها لاول هذه الامة واخرها فعلى هذا تكون
هذه الاية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل واباح
التخلف لمن شاء بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية انه قال وما كان لهم ان
يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم قال الواحدى هذا هو الصحيح لانه تتعين الطاعة والاجابة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة اذا ندبوا وعينوا لانا لو سوغنا للمندوب ان
يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله اعلم ولا ينفقون يعنى فى سبيل
الله نفقة صغيرة ولا كبيرة اراد بالصغيرة نحو تمرة فما دونها حتى علاقة سوط او سيف وبالكبيرة مثل
ما انفق عثمان فى جيش العسرة فما فوقها وتقديم النفقة الصغيرة مع ان حقها التاخير على الكبيرة للاهتمام
بشان النفقة لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها ولا يقطعون واديا اى ولا يجاوزون فى مسيرهم
واديا من الاودية مقبلين الى العدو او مدبرين بالدواب او المشى والوادى من ودى اذا سال فيخلع
الارض والجمع اودية الا كتب لهم اى كتب الله اثارهم وخطاهم ونفقاتهم يعنى اثبت لهم ذلك
الذى فعلوه ليجزيهم الله بذلك اللام جواب قسم محذوف تقديره والله ليجزينهم فحذف النون
وكسرت اللام وكانت مفتوحة فاشتبهت فى اللفظ لام كى فنصبوا بها كلام كى قال الشيخ متعلق بكتب اى اثبت

فى صحائف اعمالهم لاجل الجزاء اى كتب لهم ثواب لكى يجزيهم الله باعمالهم احسن ما كانوا يعملون
يجزيهم باحسن من اعمالهم انه يعطى الحسنة واحدة عشرة الى سبعمائة الى ما لا يدرك حسابه قال
بعضهم ويقال يجزيهم باحسن اعمالهم ويصير ساير اعمالهم فضلا قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا
يعملون كما اشرنا قال الامام فخر الدين فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب و
المندوب والمباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى ان الاحسن صفة
للجزاء اى يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب ق عن سهل بن سعد الساعدى
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من
الدنيا وما عليها وفى رواية وما فيها ق عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله
لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة
او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم
فى سبيل الله الا جاء يوم القيمة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده
لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم
ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى
فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخارى بمعناه ق عن ابى سعيد رضى الله عنه قال اتى رجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى الناس افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله قال ثم
من قال ثم رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره خ عن
ابى عبس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار
خ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا
بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيمة يعنى حسنات م عن ابى مسعود الانصارى
البدرى رضى الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه فى سبيل الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف وعن زيد بن خالد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا ولما
عيبوا على التخلف وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا فنزل وما كان المومنون لينفروا
كافة يعنى لا يجوز للمومنين ان ينفروا كلهم الى الجهاد ويتركون النبى وحده بل يجب ان يصيروا طائفتين
طائفة تبقى فى خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم ويتعلمون منه الاحكام والشرايع ويخبرون بذلك من غاب اذا حضروا
وطائفة تنفر الى الجهاد واللام لتاكيد النفى اى ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج
الى الجهاد لم يتخلف عنه الا المنافقون او صاحب علة فلما بالغ الله فى عيوب المنافقين فى غزوة تبوك قال المومنون
والله لا نتخلف عن شىء من الغزوات مع الرسول ولا عن سرية فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا على الكفار

Copyright King Saud University

نفر المسلمون جميعًا الى العدو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت قال عكرمة لما نزلت هذه الآية يعني ما كان لأهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنحن من
المسلمين فنزلت هذه الآية ردًا عليهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وفي رواية عن ابن عباس انها ليست
في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل
بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم واجهدوهم فانزل الله عز وجل يخبر صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى
الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم
ما تأمرنا ان نفعله واخبرنا عما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم
بطاعة الله وطاعة رسوله [illegible] ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكوة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا
ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وينذرون قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام وينذرونهم
النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي
فأصابوا من الناس معروفًا ومن الخصب ما ينتفعون به ووجدوا عوامن ووجدوا من الناس الهدى
فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجًا واقبلوا من البادية
كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وما كان المؤمنون الخ وهذه الآية على رواية مجاهد كلام
مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد قوله عز وجل **فلولا** اي فهلا **نفر** اي خرج يعني لما لم يكن نفر الكافة
فهلا نفر **من كل فرقة** اي من كل قبيلة **منهم** اي من المؤمنين **طائفة** اي جماعة وهي اقل
من الفرقة لان القياس ان ينتزع القليل من الكثير لتخصيصه هلا نفر الى الغزو من كل فرقة طائفة وبقي
طائفة عند النبي **ليتفقهوا في الدين** الذي هو الجهاد الاكبر يعني ليتعلموا الفقه وشرائع الدين
فاذا رجع السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون عند النبي عنه فيعلمونهم ويقولون
لهم ان الله تعالى قد انزل على النبي بعدكم كذا وكذا **ولينذروا قومهم** اي وليخوفوا من قعد
عند النبي قومهم الذين نفروا الى الجهاد **اذا رجعوا** اي اذا رجع السرايا من سفرهم **اليهم** اي
الى الطائفة القاعدة عند النبي للعلم وامور الدين يخبرهم بما حصل لهم من العلوم والمعارف فيعلمونهم
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عقاب الله بعد التعليم كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء
قال ابن عباس هذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف احد فيما اذا اخرج النبي
قال البيضاوي واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة
تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذروا فرقتهم كي يتذكروا ويحذروا فلو لم تعتبر اخبار الآحاد
ما لم يتواتر لم تفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرًا واعتراضًا في كتاب المرصاد انتهى قال الشيخ
في وجه التفريج من الاعتراض وفي هذه الآية دليل على ان اخبار الآحاد مقبولة فيجب العمل بها لا

الله تعالى اخبر ان الطائفة من الفرقة اذا تفقهت في الدين وانذرت قومهم صح ذلك في لفظ
الطائفة يتناول الواحد والاكثر لان اقل الفرقة اثنان والطائفة من الاثنين انتهى وفي الغاية
ان خبر الواحد حجة لان الطائفة يطلق على الواحد فما فوقه انتهى وفي الآية دليل على انه يجب ان يكون
المقصود من العلم والفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم دون
الاغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس فكل من تعلم
العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم الآية روى مسلم رضي الله عنه
ان من يسحب للنار ثلثة عالم لم يتعلم لوجه الله بل ليقال انه عالم وتاجر تصدق بماله ليقال انه
جواد وغاز اهريق دمه ليقال انه شجاع ق عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولن يزال
امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتي امر الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف
عابد اخرجه الترمذي والفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع واحكام الدين وذلك ينقسم الى
فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة واحكام الصلوة والصوم فعلى كل مكلف
معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك
كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال تجب في
مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد
ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى
بلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه
قال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي قال صلى
الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي قال صلى الله عليه وسلم العلم
ثلثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود والآية
المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي
العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض
رحمه الله عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السماء اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي رحمه
الله طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين**
ربع **يلونكم** اي يقربون منكم **من الكفار** امروا بقتال الاقرب فالاقرب في الدار والنسب كما امر
الرسول صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح ولان
ضرره اشد والحذر منه اكثر ولانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابعد
وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق

Copyright ... University

وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم قال ابن عباس اراد بقوله يلونكم
من اليهود مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب
الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم
حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يومنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلماء انه قال
نزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه تعالى لما امرهم بقتال المشركين
كافة ارشدهم الطريق الاصوب وهو ان يبتدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد
وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور وفي الاماني
روي انه لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يريد بها النفس لانها عدو
قريب بين الجنبين يعسر الاحتراز عنها **وليجدوا فيكم غلظة** امر الله المومنين بان يغلظ على الكفار
اي اغلظوا عليهم في القتل والاسر فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان يعني وليجدوا فيكم شدة وقوة
في القتال وعنفا في القتال وصبرا على الجهاد على كل حال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها **واعلموا ان
الله مع المتقين** بالعون والنصر والحراسة الدايمة فهو تبشير لهم بالنصر قال الشيخ اراد بالمعية الولاية
الدايمة ثم انه تعالى بعد ما ذكر قبايح اعمال المنافقين ذكر من قبايح اقوالهم فقال **واذا ما انزلت سورة**
من سور القران ما صلة موكدة **فمنهم** اي فمن المنافقين **من يقول** لاصحابه استهزاء ليثبتهم على
النفاق او لضعفة المؤمنين ليصدهم عن الايمان **ايكم** مرفوع بالابتداء وخبره **زادته هذه**
السورة **ايمانا** اي تصديقا ويقينا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته في ايراد الزيادة مع
لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المومنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا **فاما الذين امنوا** جواب من الله
وتحقيق للحق او تعيين لحالهم عاجلا واجلا اي فاما الذين امنوا بالله تعالى وبما انزل الله **فزادتهم
ايمانا** يعني تصديقا وتيقنا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء الى جنسه مما هو في صفته فالمومنون
اذا اقروا بنزول سورة من القران عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار
والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في سورة الانفال وقال السلطان
فزادتهم ايمانا اي بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم
وهم يستبشرون يعني المومنين يفرحون بنزول القران شيئا بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا
وذلك يوجب مزيد الثواب في الاخرة واما حديث السمرقندي في تفسيره بان الايمان محكم في القلب زيادته
ونقصانه كفر لا يجوز روايته لان الله تعالى يقول في محكم كتابه بزيادة الايمان قال الله تعالى ولما راى
المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما
قال الله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قال الله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا عن ابن عباس قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار
وقال محمد عليه السلام حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل

ونعم الوكيل رواه البخاري قال الشيخ الرب وتبعه قايلان بالزيادة فمن الذي لا يرضى وكما تحصل
الزيادة في الايمان بسبب نزول القران كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله تعالى **واما الذين
في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق وكفر وضعيف اعتقاد سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد
في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج **فزادتهم** اي نزول السورة
رجسا الى رجسهم اي كفرا مضموما الى كفرهم لكفرهم بالسورة يعني ازدادوا بسبب انكارهم
السورة او استهزائهم بها كفرا مع كفرهم الاول لانه اقبح الاشياء واصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر
وماتوا يعني هولاء المنافقين **وهم كافرون** اي جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
يعني استحكم فيهم كفرهم حتى ماتوا عليه قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص وكان عمر
ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان
يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله
وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله
وايم الله لو شققتم عن قلب مومن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود
اولا يرون يعني المنافقين المذكورين في قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض الهمزة للانكار والتوبيخ والواو
للعطف على مقدر اي الا ينظرون ولا يرون وقرئ بالتاء على خطاب المومنين اي الا ترون ايها
المومنون ان المنافقين كذا وكذا واذا قلنا الهمزة للتعجب فالمعنى اي عجبا من المنافقين كيف قست قلوبهم وعميت ابصارهم
عما يتتابع عليهم من انواع المحن والفتن **انهم** اي المنافقين **يفتنون** اي يبتلون باصناف البليات
من المرض والقحط او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الايات **في كل عام مرة او مرتين**
والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور **ثم لا يتوبون** اي لا ينتهون ولا يتوبون
من نفاقهم **ولا هم يذكرون** والمعنى ولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم
يتعظون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة او ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر
والظفر للمسلمين **واذا ما انزلت سورة** هذا نوع اخر من قبايح المنافقين وبيان لاحوالهم
عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالتهم وهم غايبون واذا ما انزلت
سورة مشتملة على فضايح المنافقين تاذوا من سماعها **نظر بعضهم الى بعض** نظرا مخصوصا
دالا على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها او على الغيظ بما فيها من عيوبهم وتوبيخهم تخصيصه
يتغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية قايلين **هل يراكم من احد** اي يقولون
هل يراكم احد من المسلمين لننصرف من المسجد عند حضور الرسول فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا
الضحك فنخاف الافتضاح بينهم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد ودخلوا على شياطينهم
وان علموا ان احدا من المسلمين يراهم اقاموا وثبتوا في المسجد كالطير في القفص او واذا ما انزلت
سورة في عيوب المنافقين اشار بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ان قمتم من حضرة الرسول ومجلسه
ثم انصرفوا من حضرة الرسول ومجلسه او واذا حضر عليه السلام قاموا مخافة الفضيحة
لانهم لا يصبرون على استماعها لغلبة الضحك او ثم انصرفوا على كفرهم او عن الايمان بتلك السورة

Copyright © King Saud University

العظيمة صرف الله قلوبهم عن الايمان والهدى قال الزجاج اضلهم الله مجازاة على فعلهم ويحتمل
الاخبار فيكون تعليلا للانصراف بطريق الاستيناف والدعاء وهذا اوفق بالمقام وحينئذ فالباري
قوله بانهم متعلق بانصرفوا وعلى الاول بصرف الله قوم لا يفقهون الحق لاشياء فيه نفعهم لسوء
فهمهم او عدم تدبرهم ثم خاطب الله جميع العرب من اهل مكة وغيرهم بقوله لقد جاءكم رسول
من انفسكم يعني لقد جاءكم رسول عظيم كريم رحمة للعالمين ونعمة من الله عليكم ايها العرب بانه
من جنسكم عربي مثلكم تعرفون نسبه بانه من قريش وتعرفون لسانه وشانه من الامانة والصدق وفطن
لكم وقرا ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت
من القرن الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم و
واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله
ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في ربوة من الارض فقال رسول الله صلى الله
ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم خير
البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح
كنكاح اهل الاسلام وقال جعفر محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال ابن عباس ليس قبيلة
من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب قال بعض العلما في تفسير قول ابن عباس ليس
قبيلة من العرب الخ يعني من مضريها وربيعيها ويمانيها فاما مضر وربيعة فهم من ولد معد بن عدنان
واليه تنسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان امنة رضي الله عنها امها نسب
في الانصار لان كانت قريش والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا
يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فان شرفهم بشرفه
وعزهم بعزته وفخرهم بفخرهم فانه من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف
وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقيل ان قوله لقد جاءكم خطاب عام لجميع الناس لان حمله على
العموم اولى والمعنى على هذا القول لقد جاءكم يا ايها الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان
من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة
بقوله عزيز عليه اي شديد شاق على الرسول الذي من انفسكم ما عنتم اي مشقتكم
ايها العرب ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم على ايمانكم و
اسلامكم وصلاح شانكم وايصال النفع والخير اليكم لا يبغض ابناء الجنس روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال انما انا لكم كالوالد للولد فاذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولكن شرقوا او غربوا ثم بين الله رحمته
للعالمين فقال بالمؤمنين منكم ايها العرب ومن غيركم متعلق بقوله رؤف اي شديد الرحمة
لهم

لهم قيم عليه لافادة الحصر اي لا رحمة ولا رافة الا بالمؤمنين واما الكفار فليس له عليهم رافة ولا رحمة
سوى الدعوة الى الاسلام فان ابوا فالسيف وهذا كالمتمم لما ورد في هذه السورة من التغليظ كانه
يقول اني وان بالغت في التغليظ في هذه السورة الا ان ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين واما
رافتي ورحمتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط ولا يجوز ان تكون بالمؤمنين من التنازع لان من شرطه تاخر
المعمول عن العاملين رحيم اي يريد لهم الخير والنفع قدم الابلغ وهو الرؤف لان الرافة شدة
الرحمة او محافظة ورعاية للفواصل في اللباب رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه
الله رؤفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى
الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله تعالى فان تولوا اشارة الى
تسليته صلى الله عليه وسلم يعني فان اعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك
الحرب او اعرضوا عن قبول التكاليف الشاقة المذكورة في هذه السورة او عن نصرتك في الجهاد فقل حسبي
الله اي يكفيني الله وينصرني عليكم فلا افوض امري الا اليه ولا اثق الا به لا اله الا هو كانه
دليل على كفايته والاستغناء عن غيره لانه لا ناصر ولا رازق ولا معين الا هو عليه توكلت
يعني لا على غيره وبه وثقت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب اي خالق العرش العظيم
اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير وهو فوق السموات وعلى
الوجهين ذكره لتقوية داعية التوكل والدلالة على ان من هذا شانه جدير بان لا يرجى سواه
قال الشيخ انما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى وهو
رب العرش فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله وقرئ العظيم بالرفع بانه
نعت للرب وقراءة الجمهور العظيم بالخفض على انه نعت للعرش وفسر السمرقندي العرش العظيم بالسرير
العظيم اي اعظم من في السموات والارض روى الحاكم في مستدركه عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال
هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة اخر القران نزولا وفي رواية عنه احدث
القران عهدا بالله هاتان الايتان لقد جاءكم رسول الى اخر الايتين وقيل اخر ما نزل من القران
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعن البراء بن عازب رضي الله عنه اخر سورة انزلت كاملة براءة
ومن قال وعن النبي عليه السلام ما انزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل
هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فكانه سهى عما تقدم من قوله
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك الحديث والله
اعلم باسرار كتابه وذكر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه لما جمع القران في المصحف كان لا يثبت اية
في المصحف حتى يشهد به رجلان فجاء خزيمة بن ثابت بهاتين الايتين لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم الى اخر السورة فلم يطلب منه البينة واثبته في المصحف
يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وتجلي

الله على سيدنا محمد كلما ذكرك الذاكرون • وغفل عن ذكره الغافلون • وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين ∴ سورة يونس عليه السلام أخرج النحاس وابو الشيخ وابن مردويه
عن ابن عباس قال نزلت سورة يونس بمكة وكذا في قول عكرمة وعطاء وجابر وفي رواية عن ابن
عباس انها مكية الا ثلث ايات وهي قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخر ثلث ايات وفي
رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الاية
وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وقال الكلبي انها مكية الا اية
فانها مدنية نزلت في اليهود كما في رواية الثاني من ابن عباس وقال فرقة نزلت من اولها نحو من اربعين
اية بمكة وباقيها بالمدينة وفي المدارك سورة يونس مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور وهي مائة
وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم • الر
قال ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير معناه انا الله ارى واخرج ابن مردويه في رواية عن ابن عباس
في قوله الر قال فواتح السور اسماء من اسماء الله وفي رواية عن ابن عباس ان الر وحم ونون حروف
الرحمن مفرقة يعني مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من
اسماء القران وقيل هي اسم للسورة واخرج ابو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي في قوله الر قال الف
ولام وراء من الرحمن كما في رواية ابن عباس واختلف القراء في امالة هذه الحروف اذا كان
اخرها الف وهي را وطا وها ويا وحا ففخم الرا ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون
اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة
مسماة ومفتتحة بالر وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه لما ختم سورة التوبة بذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بالرسالة واظهار حرصه على اهل مكة بالايمان به واتباعهم
في دينه افتتح هذه السورة بما فيه دلالة على صدق رسالته ووجوب اتباعه بوحي الكتاب اليه
وانه ختم تلك السورة بثنائه بقوله وهو رب العرش العظيم وبدأ هذه السورة باية الر وهو منزل
الكتاب الحكيم وانه لما ذكر في ختم تلك السورة تولي الكفار افتتح هذه بالرد والتعجب والانكار عليهم
وانتظام السورتين بان تلك السورة في ذكر المنافقين والمشركين وحسن عاقبة المخلصين وفي هذه
السورة محاجة الكافرين وما نزل في الكافرين الماضين وخلاص المخلصين تلك اشارة الى ما
تضمنته السورة او القران من الاي والاشارة اليه قبل جريان السورة لما انها على جناح الذكر
وبصدده صارت في حكم الحاضر او لما انها حاضر عند المتكلم بها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه
على بعد منزلة السورة في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله عز وجل ايات الكتاب والمراد به
جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح
المحفوظ او باعتبار انه انزل جملة الى السماء كما هو المشهور الحكيم اي ذي الحكمة ومعنى الحكمة اصابة الحق
بالعلم والعمل فالحكمة من الله تعالى معرفة الاشياء وايجادها على غاية الاحكام واذا وصف بها القران
فلاشتماله على فنون الحكم الباهرة او لانه كلام حكيم فيكون موصوفا بوصف متكلمه او لانه من باب
الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة وقيل فعيل بمعنى فاعل اي حاكم على الكتب
كلها

كلها او لانه يحكم ويميز بين الحق والباطل ويفصلها الحلال من الحرام قال الحسن حكم القران بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى او يحكم بان محمدا صادق لان القران اظهر معجزته وابقاه وقيل
بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم اي محكم اياته بالحلال والحرام
والحدود والاحكام لم ينسخ شيء منها قال الشيخ الاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال السمرقندي محكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف اخرج
ابن ابي حاتم عن ابي مالك في قوله تلك اي هذه واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة في قوله تلك ايات
الكتاب قال الكتب التي خلت قبل القران وروي عن مجاهد انها التوراة والانجيل والمعنى ان الايات
المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة
في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب
حتى يشار اليهما وقيل المراد بالايات حروف التهجي التي من جملتها الر سميت ايات لانها افتتاح السور
وسر القران قال الشيخ ومن فسر تلك بهذه فالمعنى هذه ايات الكتاب الذي انزل اليك ومن ابقاه
على حاله فالمعنى تلك الايات التي وعدتك يوم الميثاق ان اوحيها اليك الكتاب الحكيم قال الشيخ
المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات
الكتاب وهو القران الذي انزله الله اليك وذلك ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره
الدهور ومنهم من فسر الايات بالحجج والبراهين وهي التي احتج النبي صلى الله عليه وسلم بها على دعوات
اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
رسولا انكرت العرب ذلك او من انكر منهم فقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد
فانزل الله اكان للناس عجبا الاية وقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا الاية فلما كرر عليهم الحجج
قالوا وان كان بشرا فغير محمد كان احق بالرسالة فلولا انزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم يقولون اشرف من محمد يعنون الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمرو الثقفي من الطايف
فانزل الله ردا عليهم اهم يقسمون رحمة ربك الاية والهمزة في اكان همزة استفهام ومعناه الانكار و
التوبيخ لتعجب الكفار وعجبا خبر كان وللناس حال منه تقدم عليه لنكارته واسمه ان اوحينا اي
ايحاؤنا قدم خبره لكون الانكار والتعجب راجعا اليه وقيل معناه احدث للناس عجب لايحائنا
وفي الغاية ان اوحينا اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس للبيان متعلقها هيت لك والمعنى ان
هذا العجب مختص بهم ومحصله انهم جعلوه اعجوبة لهم يتعجبون منه وصار عندهم علما في ذلك
الى رجل ذي خلق عظيم منهم اي من جنسهم بشرا كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من
افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله
الى الناس الا يتيم ابي طالب فهو من افرط حماقتهم وقصر نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة
الوحي والنبوة لان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله تعالى غني بالذات عن العالمين وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء الاتصاف بالصفات الجميلة والنعوت
الجليلة والسبق في استكمال القوة النظرية بالعقايد الحقة وفي استكمال القوة العملية بالاعمال الصالحة

Copyright © King Saud University

والملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم فانه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشان في غاية الغايات
فانه كان متصفا بكمال الصدق والامانة قبل النبوة ايضا واما قصور نظرهم وفرط حمقهم فقولهم
الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا لان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلنا ملكا لجعلنا رجلا لان
بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم مليكة كما قال الله تعالى قل لو كان في الارض ملئكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا والعجب حالة تعتري الانسان من روية الشيء على خلاف
العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف
سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة ومن وافقهم في المخالفة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين ما اوحى
اليه فقال **أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ** اي اهل مكة وغيرهم يعني خوفهم بعقاب الله تعالى ان اصروا على الكفر
والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وان هي المفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول
او المخففة من المثقلة فيكون اسمها ضمير الشان المقدر والاصل انه انذر الناس فيكون في موضع مفعول
اوحينا ويقال في الاية تقديم ومعناه تلك ايات الكتاب الحكيم للناس اكان عجبا للناس ان اوحينا الى
رجل منهم ان انذر الناس وقال عامة المفسرين على ظاهر التنزيل ثم خص التبشير بالمومنين بقوله
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ اي بان لهم اي سوابق وسوالف اعمال صالحة
قدموها ذخرا لاخرتهم فالقدم ما قدم من عمل قال حسان بن ثابت ؛ لنا القدم العليا اليك وخلفنا
لاولنا في طاعة الله تابع ؛ قال ذو الرمة ؛ وانت امرؤ من اهل بيت ذوابة ؛ لهم قدم معروفة
ومفاخر ؛ قال ابن عباس في معنى قدم صدق يعني اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك يعني
ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وفي رواية اخرى
عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو
شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لانه شفيع صدق وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم يعني
رضوانه واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد
والفائدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شيء اضيف الى الصدق فهو
ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب
قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء وفي السبب
اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد قال ذو الرمة ؛ لكم قدم لا ينكر الناس انها ؛ مع الحسب العادي طمت
على البحر ؛ معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال اخر ؛ صل لذي العرش واتخذ قدما ؛ تنجيك
يوم العثار والزلل ؛ وفي الدر المنثور قدم صدق اي حسبتهم في نبيهم او شفاعته لهم عند ربهم او
صدق اي العمل الذي قدموا كما قال الله تعالى سنكتب ما قدموا واثارهم والاثار ممشاهم قال ابن مسعود ومشى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اسطوانتين من مسجدهم ثم قال هذا اثر مكتوب وفي الغاية بان لهم سابقة
صدق وعن الاخفش معناه التقديم فانهم قدموا خيرا قبل لقاء الله ويحتمل ان يراد ما سبق في علم الله من
سعادتهم فيكون تسلية لهم وتطمينا لقلوبهم من سوء الخاتمة او يكون تجريدا او هم قدم صدق لما في الحدة

حتى يضع

حتى يضع الجبار قدمه في النار اي طايفة قدمهم لها **عِندَ رَبِّهِمْ** كقوله في مقعد صدق عند مليك
مقتدر **قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ** قرا نافع وابو عمرو وابن عامر لسحر مبين بغير الف
يعني قال الكافرون ان هذا القران لسحر مبين يعني كذب ظاهر وقرا الباقون لساحر مبين وعليه
اليهم يعني ان الذي قرا عليهم القران لساحر مبين فالسحر اسم والسحر فعل فان قيل لم اقال الكفار
هذا القول فالحكمة في حكاية كلامهم في القران قيل له الحكمة فيه من وجوه احدها انهم كانوا
يقولون قولا فيما بينهم فيظهر قولهم عند النبي فكان في ذلك علامة نبوته صلى الله عليه وسلم لمن يتقن
به والثاني ان في ذلك تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على ذلك كما قال فاصبر على ما يقولون والثالث
ان في ذلك تنبيها لمن بعده ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يمتنع بما يسمع من المكروه قال
الشيخ وفي الكلام حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم
قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات
الباهرات التي لا يقدر احد من البشر على مثلها وعجزوا عن معارضتها فاتهم عنوا به القران المنزل عليه
وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك وعلى كل حال ففي الاية
اعتراف بعجز الكفرة عن معارضة القران وتسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ
السحر عنادا ومكابرة لان التعجب اقل ما تم التكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا حتى عند نفس المعارض
دأب العاجز المفحم ثم لما حكى عن الكفار تعجبهم من الوحي والبعثة والرسالة اجاب عن ذلك التعجب
بما ذكره وهذا الجواب موقوف على اثبات امرين احدهما اثبات ان لهذا العالم الها قادرا قاهرا
نافذ الحكم بالامر والنهي والتكليف والثاني اثبات الحشر والنشر والبعث والقيمة حتى يحصل الثواب
والعقاب اللذان اخبر الانبياء عليهم السلام عن حصولهما ذكر ما يدل على تحقيق هذين الامرين
في ايتين اما اثبات الاله فبقوله عز وجل **إِنَّ رَبَّكُمُ** الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا
منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ** التي هي اسباب الامور الحادثة فيها قال البيضاوي التي هي اصول الممكنات قال شيخنا فيه
نظر لان الملئكة والعرش والكرسي من الممكنات مع ان اصلها ليس السموات والارض فقول لعل البيضاوي
البيضاوي لعله قالوا من ان السماء جارية مجرى الفاعل والارض مجرى القابل فاذا استدارت الافلاك
واختلفت اتصالات الكواكب حصل بها الفصول الاربعة وساير الاحوال المختلفة من المعادن والنباتات
والحيوانات وحصل جميع الكاينات وانتظام مصالح العالم ذكر لفظ الجلالة لاعترافهم به من
غير نكير لقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله **فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**
من ايام الدنيا المعهودة يعني في مقدارها فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان طلوع الشمس
الى غروبها مما لا يتصور تحققه حين لا شمس ولا قمر ولا ارض ولا سماء قال بعض العلماء المراد بالستة ايام
ههنا مراتب مصنوعاته لان قبل الزمان لا يمكن تحدد الزمان والمراد بالايام الستة يوم لمادة السموات ويوم
لصورها ويوم لكمالاتها من الكواكب والنقوش وغيرها ويوم لمادة الارض ويوم لصورها ويوم لكمالاتها
من الجبال وغيرها فاليوم عبارة عن الكون الحادث ذي خلقها مدبرا جامع القدرة التامة على ابداعها واخراجها

دفعة في اقل من لمحة ولفتة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لتعليم خلقه التثبت والتاني
في الاحوال والامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد اختاره فاعل مختار لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون ولو احدثها في مقدار اخر من الزمان لاى شيء خصص به **ثم استوى على العرش**
استواء يليق به وقد تقدم تفسير هذا في سورة الاعراف وقال القفال العرش في كلامهم هو السرير الذي
يجلس عليه الملك قال الله نكروا لها عرشها ورفع ابويه على العرش ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك
يقال ثل عرشه اى انتقض ملكه وفسد واذا استقام ملكه واطرد امره ونفذ حكمه قالوا استوى على
عرشه واستقر على سرير ملكه وهذا نظير قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد فالمراد من الاستواء على
العرش نفاذ القدرة وجريان المشية وحصول تدبير المخلوقات على ما شاء واراد والمراد من العرش الجسم
المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير ينزل منه فان قيل
فاذا حملتم استوى على العرش على ان المراد استوى على الملك يلزم ان يقال انه لم يكن مستويا عليه قبل خلق
السموات والارض قلنا انه تعالى كان قبل خلق العالم قادرا على تكوينها وتخليقها لا انه كان مكونا لها وموجدا
لها باعيانها لان احياء زيد واماتة عمرو واطعام هذا وارواء هذا لا يحصل الا عند هذه الاحوال
فاذا فسرنا العرش بالملك والملك بهذه الاحوال صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض
واعلم انه تعالى ذكر قوله استوى على العرش في سبع سور ههنا وفي الاعراف والرعد وطه والفرقان والسجدة
والحديد لمناسبة المقام قال ابن الخطيب لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها لان الاستواء على العرش معناه
كونه مستقرا عليه بحيث لولا العرش لسقط ونزل واثبات هذا المعنى يقتضي كونه تعالى محتاجا الى العرش وانه
لولا العرش لسقط ونزل وذلك باطل ومحال لاجماع المسلمين على انه تعالى هو الحافظ والممسك للعرش وايضا فاذا
قوله ثم استوى يدل على انه قبل ذلك ما كان مستويا عليه وذلك يدل على انه تعالى تغير من حال الى حال وكل متغير
محدث وذلك باطل بالاتفاق وايضا العرش يطلق على كل ما علا فاظل ومنه عرش الكروم فثبت بهذه الوجوه
انه لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها واذا كان كذلك امتنع الاستدلال بها على اثبات المكان والجهة كما يقوله
المشبهة لتعاضد الادلة العقلية والنقلية على انه تعالى منزه عن علامة الحدوث والامكان وانه
ليس كمثله شيء لتفرده بعلو الشان ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وكبريائه وجلاله وانه لا يخرج امر
من الامور عن قضائه وتقديره فقال **يدبر الامر** قال مجاهد يقضيه ويقدره وحده وقيل معنى التدبير
تنزيل الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر
في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال
ملكوت السموات والارض فلا يحدث حادث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه
وحكمته والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى او تاكيد وتقدير للاستواء او مستانفة لا محل لها من
الاعراب مبنية على سؤال من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك على كل حال فايثار صيغة
المضارع على الماضي للدلالة على تجدد التدبير واستمراره قال السمرقندي في قوله يدبر الامر يعني يبعث القضاء
في تدبير الخلق وروى الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابن سابط قال يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكائيل
وملك الموت واسرافيل اما جبريل فعلى الرياح والوحي والجنود واما ميكائيل فعلى النبات والمطر واما ملك

الموت فعلى الانفس واما اسرافيل فينزل اليهم بما يؤمرون انتهى وفي الدر المنثور اخرج ابن ابي شيبة
وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد في قوله يدبر الامر قال يقضيه وحده وفي
قوله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته ثم يحييه انتهى قال البيضاوي في معنى يدبر الامر
اى يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها
منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة انتهى ورواية مجاهد احسن ولهذا قدمناها
ثم زاد في تقرير سلطانه وقهره بقوله **ما من** زائدة للملاحة **شفيع** يشفع لاحد **الا من**
بعد اذنه الاستثناء مفرغ من اعم الاوقات اى لا شفيع عند الله شافع في وقت من الاوقات
يوم القيمة الا من بعد ان ياذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في
تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يساله ما ليس له به علم فاذا اذن في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن ياذن
له فيه ففيه مع زيادة التقرير لعظمة جلاله وعز شانه وعلو ارتفاعه وكبريائه الرد ايضا على كفار
قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيمة كما حكى عنهم في قوله تعالى ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه ايضا اثبات الشفاعة لمن اذن له الرحمن **ذلكم الله** العظيم
الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية يعني الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام واستوى على العرش ودبر امر الكائنات ولا يقدر احد ان يشفع لاحد الا باذنه **هو**
ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك **فاعبدوه** اى فاجعلوا عبادتكم
له وحده لا لغيره ولا تشركوا به شيئا من خلقه من انسان او ملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع
افلا تذكرون الهمزة للتوبيخ والانكار اى افلا تتفكرون وتتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والايات
المذكورة في القران ادنى تدبر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه من دونه
ويقال افلا تتعظون بان لا تعبدوا من لا يملك شيئا وتعبدون من يملك الدنيا وما فيها قرا حمزة
والكسائي وحفص تذكرون بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد لان اصله تتذكرون فادغم احدى
التائين في الذال واقيم التشديد مقامه قال الامام وهذا يدل على ان التفكر في المخلوقات والاستدلال بها
على جلال الله تعالى وعظمته من اعلى المراتب واكمل الدرجات واما اثبات الامر الثاني وهو التعريف بالحشر
والنشر والبعث فبقوله تعالى **اليه** اى الى لقائه تعالى **مرجعكم** اى مصيركم يوم القيمة **جميعا**
ايها الناس بالموت والنشور لا الى غيره من خلقه فاستعدوا للقائه وقت الحساب والجزاء **وعد الله**
مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم في معنى الوعد من الله او وعد بلا خلاف منه **حقا** مصدر
اخر مؤكد لغيره وهو ما دل وتضمن عليه وعد الله وفي اللباب ومعنى وعد الله حقا وعدكم الله ذلك وعدا
حقا يعني البعث كائنا وصدقا قال الزجاج وعد الله حقا صار نصبا على معنى وعدكم وعدا لان قوله تعالى
اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع **انه** بالكسر استئنافا والفتح في معنى التعليل لحقيقة الرجوع اليه والمعنى
لان الله **يبدؤا الخلق** اى يخلقهم ويحييهم ابتداء **ثم يعيده** اى يحييهم بعد اماتتهم فهو المتفرد بالابتداء
والاعادة وفي هذه الاية دليل قاطع على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري
البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر

Copyright © King Saud University

على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلى فيركب تلك الاجزاء تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى
بعد الفناء وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى فاذا
ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي
وهو قوله تعالى **ليجزى** اى ليثيب **الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** يعني بالعدل
لا ينقص من اجورهم شيئا قال الشيخ قوله بالقسط اى بعدله او بعدلهم في امورهم او بايمانهم لانه
العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله تعالى **والذين كفروا لهم**
شراب من حميم اى من ماء حار وقد انتهى نهاية الحر **وعذاب اليم** اى مولم **بما كانوا يكفرون**
اى بجحدهم الرسالة والكتاب وانما قلنا وهو الاوجه لمقابلته لان المعنى ليجزى الذين كفروا بشراب
من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير الاسلوب والنظم من ثلثه اوجه الاول انه جعل المعطوف
جملة اسمية تفيد سببية كفرهم لتعذيبهم بشراب الحميم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والثاني انه تعالى ادخل لام
التعليل على الثواب ولم يدخلها على العقاب بل قال والذين كفروا الخ للتنبيه على ان المقصود بالذات من
الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض والثالث انه تعالى لم يعين ثواب المومنين وعين
عقاب الكافرين للتنبيه على انه تعالى يتولى اثابة المومنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب
الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشوم افعالهم وجمع الله بين الماضي والمستقبل للدلالة
على مواظبتهم على الكفر ثم اخبر عن عظيم قدرته وانعامه عليهم بالنعم العظيمة التي توجب لهم ان
يتجنبوا منه ولا يعبدوا غيره بقوله **هو الذي جعل الشمس ضياء** اى جعل ذات ضياء بالنهار
للجمهور ضياء بصريح الياء قبل الالف وهو اجوف واوي مهموز اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها
وقرا قنبل عن ابن كثير ضئاء بهمزتين بينهما الف على انه مقلوب قدمت لامه واخرت عينه طرفا بعد الف
زايدة فقلبت همزة وهو مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما او جمع ضوء كسياط وسوط
والقمر نورا اى ذا نور بالليل قال السمرقندي جعل الشمس ضياء مع الحر والقمر نورا بلا حر وسمي الشمس ضياء
والقمر نورا للمبالغة كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضوء اعم من النور ولذلك نسب الى الشمس وفي الكفاية
والقول بان الضوء يكون للشيء بالذات والنور بالعرض فيكون نور القمر مستفادا من الشمس ليس له اصل
لغة وشرعا انتهى وفي اللباب واختلف اصحاب الكلام في ان شعاع الفايض من الشمس هل هو جسم
او عرض والحق انه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية
اذا كانت كاملة تامة قوية فلهذا خص الشمس بالضياء لانه اقوى واكمل من النور وخص القمر بالنور لانه
اضعف من الضياء ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضياء المختص بالشمس
اكمل واقوى من النور المختص بالقمر انتهى وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكلم ربنا بكلمتين فصارت احداهما شمسا والاخرى قمرا وكانا من النور
جميعا ويعودان الى الجنة يوم القيمة واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن السدي في قوله جعل الشمس ضياء
والقمر نورا قال لم يجعل الشمس كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار وهو قوله فمحونا اية الليل الاية واخرج
ابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا قال وجوههما الى
السموات

السموات واقفيتهما الى الارض واخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو قال الشمس والقمر وجوههما
الى العرش واقفيتهما الى الارض واخرج ابن ابي شيبة عن عبد الله بن عمرو انه كان بين يديه
نار اذ شهقت فقال والذي نفسي بيده انها لتعوذ بالله من النار الكبرى وراى القمر حين جنح
للغروب فقال والله ليبكي الآن واخرج ابن ابي شيبة عن سعيد بن المسيب قال لا تطلع الشمس
حتى يسحبها ثلثمائة ملك وسبعون ملكا اما سمعت امية بن ابي الصلت يقول ❊ ليست بطالعة لنا
في رسلها ❊ الا معذبة والا تجلد ❊ **وقدره منازل** الضمير في وقدره لكل واحد من الشمس والقمر
والمعنى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدر لسيرهما منازل لا يجاوزها في السير ولا يقصر عنها
وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر فهو كقوله والله ورسوله احق
ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف انقضاء
الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على روية الاهلة والسنة المعتبرة في
الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة
به وجملة المنازل ثمانية وعشرون منزلا واساميها مشهورة وهي الشرطين ❊ والبطين ❊ والثريا
والدبران ❊ والهقعة ❊ والهنعة ❊ والذراع ❊ والنثرة ❊ والطرف ❊ والجبهة ❊ والزبرة ❊
والصرفة ❊ والعواء ❊ والسماك ❊ والغفر ❊ والزبانا ❊ والاكليل ❊ والقلب ❊ والشولة ❊ والنعايم
والبلدة ❊ وسعد الذابح ❊ وسعد بلع ❊ وسعد السعود ❊ وسعد الاخبية ❊ وفرغ الدلو المقدم
وفرغ الدلو المؤخر ❊ وبطن الحوت يعني به الرشا فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجا وهي
الحمل ❊ والثور ❊ والجوزا ❊ والسرطان ❊ والاسد ❊ والسنبلة ❊ والميزان ❊ والعقرب ❊ والقوس ❊ والجدي
والدلو ❊ والحوت ❊ لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضاء ثمانية
وعشرين ليلة ثم يستتر ويستقر ليلتين ان كان الشهر ثلثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة
واحدة قال الشيخ بعدما عد الكواكب الى قوله وبطن الحوت اعلم انها كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها
علامات المنازل فيرى القمر كل ليلة نازلا بقرب احدها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه وذلك انهم قسموا دور
الفلك وهي اثنا عشر برجا حمل الحامل البروج ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان وثلث
فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت التسمية بحذايه فعلم ان القمر ينزل كل ليلة منزلا ويستتر ليلتين ان
كان الشهر ثلثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل
ويكون مقام الشمس في كل منزل ثلثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضاء تلك المنازل انتهى كلام
الشيخ قال السمرقندي يعني وقدره منازل اى جعل الليل والنهار منازل يزيد احدهما وينقص الاخر وما
يجاوزان المقدار الذي قدره قلت وفي هذا نظر لان ظاهر نظم الكريم يقتضي ارجاع الضمير الى الشمس والقمر
او القمر وحده لعدم ذكر الليل والنهار ولا حاجة الى التكلف قال الاستاد في حق قوله وقدره منازل يعني سير
القمر خاصة في المنازل وافراد القمر بذلك لان مناط الاحكام الشرعية السنة القمرية والاشهر الهلالية
ولذلك علله بقوله **لتعلموا عدد السنين** يعني قدر هذه المنازل للقمر لتعلموا بها عدد السنين ووقت
دخولها وانقضايها **والحساب** يعني ولتعلموا احساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها

Copyright © King Saud University

في معاملاتكم وتصرفاتكم بسير القمر في منازلها ما خلق الله ذلك اي ذلك الخلق والتدبير
المذكور الا بالحق اي الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يعني لم يخلق ذلك المذكور عبثا
وباطلا تعالى الله عن ذلك قال النيسابوري بحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول
تنتظم مصالح هذا العالم ويحصل معايش الخلايق وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة
النور ونقصانه تختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التامل والتدبر ويدرك
قال نفصل اي نبين الايات اي علامات وحدانيته ودلالات ربوبيته بالحجج والبراهين القاطعة
لقوم يعلمون اي يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بياء الغيبة
فارجاع الضمير الى الله تعالى والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم قال الشيخ معنى
التفصيل هو ذكر هذه الدلايل الباهرة واحدة عقب اخرى مع الشرح والبيان لمن يعلم الحكمة في ابداع الكاينات
فيستدل بذلك على شؤن مبدعها ومخترعها جل جلاله وتخصيص العلم بمن يعلم لانهم هم المنتفعون
بهذه الدلايل كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها مع انه صلى الله عليه وسلم كان منذر الكل ثم ذكر
المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار بقوله ان في اختلاف الليل والنهار من حيث اللون
او في تعاقبهما وكون احدهما خلف الاخر يعني بالذهاب والمجي والزيادة والنقصان وما خلق الله في
السموات والارض من انواع الكاينات كالملايكة والشمس والقمر والنجوم والحيوان والجبال والبحار
والانهار والاشجار وغير ذلك لايات اي لدلالات على وحدانية الله وقدرته لقوم يتقون
الله في العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر قال الشيخ معناه لقوم يتقون الله ويخشون عقوبته
ويقال لقوم يتقون الشرك وقد تقدم تفسير هذه الاية في نظايرها وفي الدر المنثور اخرج ابو الشيخ عن
خليفة العبدي قال لو ان الله تبارك وتعالى لم يعبد الا عن روية ما عبده احد ولكن المومنين تفكروا
في مجي هذا الليل اذا جاء فملا كل شي وغطى كل شي وفي سلطان النهار اذا جاء فمحى سلطان الليل وفي
السحاب المسخر بين السماء والارض وفي النجوم وفي الشتاء والصيف فوالله ما زال المومنون يتفكرون فيما
خلق ربهم تبارك وتعالى حتى ايقنت قلوبهم بربهم وكانما عبدوا الله عن روية انتهى قلت ولهذه
المرتبة اشار علي كرم الله وجهه حيث قال لو كشف الغطا ما ازددت يقينا ان الذين لا يرجون
لقاءنا اي لا يتوقعونه ولا يخطرونه ببالهم لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها قال
بعضهم معناه لا يخافون البعث بعد الموت او لا يرجون ثوابنا بعد الموت كالمشركين اخرج ابن جرير
وابو الشيخ عن ابن زيد هولاء الذين لا يرجون لقاء الله اهل الكفر قال ابن عباس معناه لا يخافون
البعث واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقال انه بمعنى الطمع والتوقع اي لا يطمعون في حسن لقائه
كما يامله السعداء او لا يتوقعونه اصلا لانهم لا يومنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية
فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية واعلم ان اللقاء هو الوصول الى الشي وهذا في حق الله تعالى
محال لانه منزه عن الحد فوجب ان يكون مجازا اما عن البعث او عن لقاء الحساب بدليل قوله تعالى اني
ظننت اني ملاق حسابيه او عن الروية يقال لقيت فلانا اذا رايته وانما سمي ذلك لقاء الله لانه لا
على ذلك الا الله فجعل لقاء البعث كلقاء الله تفخيما لشانه كما جعل اتيان ملايكته اتيان الله للتعظيم قيل

ان الرجاء

اي يجعل الليل لباسا والنهار معاشا

اي بياض النهار وظلمة الليل

اي فارغ

اي بالعود

اي الجنة

اي اللقاء

اي البعث او الطمع في حسن اللقا

اي على البعث وما عطف

ان الرجاء يستعمل في معان ثلثة توقع ما هو خير من حيث انه خير وهو الامل وتوقع ما هو شر من حيث
انه شر وهو الخوف ومطلق التوقع مع قطع النظر عن كون المتوقع خيرا او شرا وان لم يخل عن
احدهما وهو حقيقة في المعنى الاول ومجاز في المعنيين الاخيرين بعلاقة التضاد واستعمال المقيد في
المطلق واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى قلت واستعمال الرجا
في معنى الخوف شايع كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي اذا
لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخفه وتقول العرب فلان لا يرجو فلانا اي لم يخفه فالمراد من
لقاء الله سوء الحساب وشدته عند الله تعالى وما يترتب عليه من اصابة المكروه وهذا صريح في عدم
تحذير التاثير والترهيب فيهم والله اعلم قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا اي اختاروا زينتها
وزخارفها بدل الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها اي وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه
الطمانينة التي حصلت في قلوب الفجار والكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل
والخوف والقلق والاضطراب فلا تسمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم قال الله تعالى
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الاية واخرج ابو الشيخ عن يوسف
ابن اسباط قال الدنيا دار نعيم الظالمين قال فقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الدنيا جيفة
فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب وايثار الباء على الى في بها للايذان بتمام الملابسة ودوام
المصاحبة والموانسة واختيار صيغة الماضي في رضوا واطمانوا للدلالة على التقرر والتحقق كما ان
اختيار صيغة المستقبل في لا يرجون للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن اياتنا غافلون
اي عن القران ومحمد صلى الله عليه وسلم معرضون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها وقيل المراد
بالايات ادلة التوحيد وهذا العطف يحتمل ان يكون من باب عطف الصفات تنزيلا للتغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي بمعنى انهم جامعون بين عدم رجاء لقاء الله وبين الغفلة عن الايات
والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا ويحتمل ان يكون هذا الموصول غير الاول
بان يكون المراد بالموصول الاول من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالموصول الاخر من
الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات
الشنيعة ماواهم النار اي مسكنهم النار بما كانوا يكسبون اي بما واظبوا عليه وتمرنوا
به من الكفر والتكذيب والمعاصي والاعمال الخبيثة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم اي يرشدهم الى الجنان ربهم بايمانهم بسبب تصديقهم بالله ورسوله قال الشيخ معناه
يهديهم ربهم بسبب ايمانهم الى ماواهم ومقرهم وهو الجنة واعلم تذكير تعويلا على ظهورها
وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفرة وما اواهم اليه من
اعمالهم السيئة وهذا دليل على ان الايمان المجرد من العمل منج من حيث انه قال بايمانهم ولم يضم
اليه العمل الصالح كيف لا وقد قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون فانه صريح في ان مجرد الايمان اذا لم يخلط بظلم وهو الشرك يكون سببا
للهداية وقال البيضاوي في اول السورة وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال

اي لا يرجون

اي بدلا عن الاخرة

اي لا يرجون من باب عطف الصفات

وقدنا ان الايمان المجرد كاف في النجاة

البيضاوي ردّاً للكشاف ومفهوم الترتيب وان دلّ على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دلّ منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف لهم
وفي اللباب يهديهم ربهم الى الجنان ثواباً لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة وقيل يهديهم على الصراط الى
الجنة يجعل لهم نوراً يمشون وقال قتادة بلغنا ان المؤمن اذا خرج من قبره يصوّر له عمله في صورة
حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نوراً وقائداً الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال
به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصايص
ولطايف وبصاير ينوّر بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية
وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اي بتصديقهم هداهم وعبارة اخرى ان في الكلام تقديم وتأخير
ان الذين يهديهم ربهم بايمانهم حتى امنوا وعملوا الصالحات وقال الحسن يرحمهم ربهم بايمانهم ويقال
ينجيهم ربهم بايمانهم ويقال يهديهم ربهم في الدنيا حتى يثبتهم على الايمان ويدخلهم في الاخرة الجنة
بايمانهم **تجري من تحتهم الانهار** خبر آخر او استيناف كانه قيل ما بالهم في الجنة فقيل تجري
لهم والمعنى يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من بين ايديهم وهم ينظرون
اليها من اعالي سررهم وقصورهم فهو كقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سرياً لم يرد به انه تحتها وهي
قاعدة عليه بل اراد بين يديها سرياً وقيل تجري بامرهم **في جنات النعيم** متعلق بتجري يعني ذلك
لهم في جنات النعيم او حال من الانهار او خبر آخر **دعويهم** اي قولهم وكلامهم وقيل الدعوى بمعنى الدعاء
اي دعاؤهم بقرينة قوله سبحانك اللهم **فيها** اي في الجنة **سبحانك اللهم** وهي كلمة تنزيه لله من كل
سوء ونقيصة والمعنى انزهك تنزيهاً عما لا يليق بعظمة جلالك من العجز والخلف في الوعد قال اهل التفسير
هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم
في الوقت بما يشتهون على الموايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحفة في كل صحفة لون
من طعام لا يشبه بعضها بعضاً فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى على ما اعطاهم فذلك قوله
تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح
والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليهم بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال
لذتهم لانهم يلهمون بذلك فينطقون به تلذذاً لا تكليفاً ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون
ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح
التحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم وقوله جشاء اي يخرج الطعام
جشاء وعرقاً قوله تعالى **وتحيتهم** فيما بينهم **فيها** اي في الجنة **سلام** اي سلامة من كل مكروه
يعني يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والتحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة
وهي من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى وتحية بعضهم لبعض كما اشرنا او من اضافته الى
المفعول ان كان المعنى وتحية الملئكة اياهم كما قال الله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
او تحية الله اياهم كما قال الله سلام قولاً من رب رحيم اي يسلم عليهم بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك
تمام

ثم ثناهم **واخر دعويهم** اي اخر دعاءهم بعد التسبيح والتقديس وبعد ما اكلوا وشربوا على قدر حاجتهم
ان الحمد لله رب العالمين تلخيص الكلام ان اهل الجنة اذا اشتهوا شيئاً قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك
الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك قال الزجاج اعلم الله ان اهل
الجنة يبتديون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح
ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك في الحديث وان هي المخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان المحذوف
اذ اصله انه الحمد لله وقيل مفسرة وقد قرئ بتشديد النون وبنصب الحمد على انه اسمها ثم لما وصف الكفار
بنهاية الغفلة اكد ذلك بان غفلتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة
في تعجيل ايصال العذاب اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج من اصلابهم من يؤمن بقوله **ولو يعجل الله**
للناس الشر الذي كانوا يستعجلون به نزلت في اهل مكة حين استعجلوا العذاب بقولهم اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت في النضر بن الحارث وحده حين
قال اللهم ان كان هذا هو الحق الخ والمعنى ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر فيما لهم فيه مضرة
ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس نزل هذا في قول الرجل المسلم لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك
الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب له ونظيره قوله تعالى
ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا **استعجالهم بالخير** اي مثل استعجالهم
بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير لتخصيصه ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به
تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به **لقضي** اي لاتم وقت الدعاء **اليهم** اي الناس **اجلهم**
الذي عين لعذابهم اي لاميتوا واهلكوا وما امهلوا طرفة عين ولكن يمهلهم بفضله وكرمه ويستجيب
للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة والمعنى على القول
بان الاية نزلت في الكفار ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل
قضاء اجالهم وهلكوا جميعاً ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى **فنذر الذين لا يرجون**
لقاءنا اي فندع ونترك الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت **في**
طغيانهم اي في تمردهم وعتوهم وضلالتهم مع افاضة النعم عليهم الزاماً للحجة واستدراجاً
في العذاب **يعمهون** يترددون متحيرين فيه مجازاة لهم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب
البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة واجعل ذلك كفارة له يوم القيمة قرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وهو الله والباقون على البناء للمفعول جرياً على سنن الكبرياء مع الايذان بتعيين الفاعل وقرئ
لقضينا بنون العظمة التفاتاً من الغيبة الى التكلم قال الشيخ قوله فنذر عطف على فعل محذوف دلت
عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي بل نمهل فنذر الذين الخ فان قيل لم عطف فنذر على محذوف
لا على يعجل قلنا لان التركه وقع والتعجيل لم يقع كما اقتضته كلمة لو قوله تعالى **واذا مس** اي اصاب
الانسان والمراد بالانسان في هذه الاية الكافر كذا في اللباب ومشى اليه السيوطي والسمرقندي وغيرهم

Copyright King Saud University

الضر اى البلاء من المرض والخوف والفقر وغير ذلك من الشدائد دعانا بالاخلاص لكشفه وازالته
لجنبه اى دعانا ملقيا لجنبه اى مضطجعا عليه فهو حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه
من الحالين واللام بمعنى على كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء
لجميع الاحوال او لاصناف المضار وانما قلنا لجميع الاحوال لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث
والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا فى كل حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا او قاعدا او قائما وقال
الزجاج وجائز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما قال الاستاذ وهذا
القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره اى فلما
ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه مر اى مضى ومشى على طريقته الاولى قبل مس الضر
واستمر على كفره ونسى حالة البلاء او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا اى كانه
بالتشديد فخفف وحذف ضمير الشان وهذه الجملة التشبيهية فى محل النصب على الحال من فاعل مر
اى مضى على سبيله وطريقته الاولى مشبها بمن لم يدعنا اصلا الى كشف ضر اى بلاء مسه
صفة ضر اى اصابه قبل ذلك وتخصيصه انه استمر على حالته الاولى قبل ان يصيبه البلاء ونسى ما كان فيه من
الجهد والضنك والضيق والفقر كذلك اى كما زين له الدعاء والبكاء عند الضر والغفلة والاعراض عند الغنا
والرخا زين للمسرفين اى زين الله للكافرين بتخليقه او الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون
من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات والشرك بالله وتكذيب الانبياء وما بمعنى الذى ورفع
لقيامه مقام الفاعل قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت الاية فى ابى حذيفة وهشام بن مغيرة وقال عطا
فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة قال الشيخ والمسرف هو المجاوز عن الحد فى كل شىء وانما سمى الكافر
مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها فى عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه فى البحائر والسوائب
ثم خوف الله كفار مكة بمثل عذاب الامم الخالية لئلا يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ولقد اهلكنا
القرون الماضية كقوم نوح وعاد واضرابهم قال ابن عباس بين القرنين ثمان وعشرون سنة من
قبلكم اى من قبل زمانكم لما ظلموا اى لما اشركوا وظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح
على ما لا ينبغى وجاءتهم الواو للحال من ضمير ظلموا يعنى وقد اتى القرون المتقدمة او عطف عليه رسلهم
بالبينات اى بالحجج والمعجزات الدالة على صدقهم وما كانوا ليؤمنوا جحدا واستكبارا اى ما
استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم
واللام لتاكيد نفى ايمانهم والجملة معطوفة على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا
كذلك نجزى القوم المجرمين يعنى كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها
المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم قال البيضاوى فى معنى كذلك نجزى القوم المجرمين اى مثل ذلك
الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم نجزى
كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم
خلائف فى الارض من بعدهم الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم جعلناكم يا اهل مكة خلفاء فى الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم استخلاف من يختبر

لننظر

لننظر كيف تعملون فى الارض خيرا وشرا وهل تعتبرون باهلاك من مضى فتصدقوا رسلنا
فنجازيكم ونعاملكم على حسب اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان
يكون قال اهل المعانى معنى النظر هو طلب العلم وجاز فى وصف الله تعالى اظهارا للعدل لانه تعالى
يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا
ذكره الواحدى والرازى قال الشيخ وكيف فى محل النصب بتعملون مستعارا لمعنى اى شىء تعملون فيكون
نصبه على المفعولية ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية اى لننظر على اى حال تعملون الامور الكائنة
على حال الخير ام على حال الشر ولا يجوز ان يكون منصوبا بننظر لان معنى الاستفهام يمنع ان يعمل فيه ما قبله
وفائدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا نفس الافعال وذواتها ولذلك
يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى كما قدمنا نظرا لننظر الخ قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا عن
ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان
الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء اخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا
معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعنى واذا
قرئ على هؤلاء المشركين ايات كتابنا الذى انزلناه اليك يا محمد بينات واضحات تدل على وحدانيتنا
وصحة نبوتك قال الذين لا يرجون لقاءنا اى قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عقابنا
ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا
ولا يخاف عقابا ائت بقران غير هذا اى ليس فيه عيب الهتنا او بدله من تلقاء نفسك قالوا
ذلك كيدا وطمعا فى المساعدة ليتوسلوا به الى الزامه عليه السلام والاستهزاء به قال قتادة قال ذلك
مشركوا مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن ابى امية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن
حفص وعمرو بن عبد الله بن ابى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبى صلى الله عليه وسلم
ان كنت تريد ان نؤمن بك فائت بقران غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس
فيها عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب
اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال امام المفسرين فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام
الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء
وهو قولهم لو جئتنا بقران غير هذا القران او بدلته لامنا بك وغرضهم السخرية الثانى ان يكونوا
قالوا على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كذابا فى قوله ان هذا القران
ينزل عليه من عند الله ومعنى ائت بقران غير هذا وبدله يحتمل ان ياتى بقران اخر مع وجود هذا
القران والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما طلبوا ولما سالوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم تبديل القران امر الله ان يجيبهم بقوله قل اى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة ما يكون
لى اى ما يصح لى ان ابدله اغيره من تلقاء نفسى اى من قبل نفسى لانه ليس من قولى وكلامى
وانما هو وحى الله الىّ وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر
لانه ليس من مقدور البشر بل مقدور البشر تفسير معانيه وتاويله وهم على ذلك فى خطر الا من عصمه الله

Copyright © King Saud University

والعزى فانزل الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون اى المشركون
يعنى لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون الى مامول ولا يامنون من محذور وهذا وعيد وتاكيد لما سبق
ثم لما طلبوا بتبديل القرآن لانه مشتمل على ذم الاصنام التى اتخذوها آلهة ذكر فى هذا الموضع قبح عبادة
الاصنام ليبين تحقيرها فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان عصوه وتركوا عبادته
ولا ينفعهم ان عبدوه يعنى الاصنام لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون
مثيبا على الطاعة ومعاقبا على المعصية حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون عنها
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله وفى الامانى اى ويعتقدون ذلك ويقولون بشفاعة الاصنام
اذا سئلوا وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة يعبدون العزى وهبل قال ابو سفيان يوم
احد بعد ما ظهر فى المسلمين انكسار اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبونه قالوا ماذا
نقول قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
تجيبونه قالوا ماذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم والمعروف بان اسافا ونايلة كانوا صنمين
لاهل مكة ليس كذلك بل كانا رجلا وامرأة زنيا فى جوف الكعبة فمسخهما الله حجرين فجعل اسافا على
الصفا ونايلة على المروة ليكونا عبرة لمن يراهما كذا رواه البخارى انتهى قال الاستاد وفى هذه الشفاعة
قولان احدهما انهم كانوا يزعمون انها تشفع لهم فى الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثانى انها
تشفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت قال
بعض مشايخنا ان الكفار اعتقدوا ان المتولى لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك
الروح صنما معينا واشتغلوا بعبادة ذلك الصنم ومقصودهم عبادة ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك
الروح يكون عند الله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصنام
معينة على صورة ذلك الكوكب واشتغلوا بعبادتها ومقصودهم عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات
معينة على تلك الاوقات والاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صور
انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك يكونون شفعاء لهم عند الله يوم
القيمة ثم انكر الله عليهم معتقدهم بقوله قل يا محمد اتنبئون الله اى اتخبرونه بما لا يعلم اى بما لم
يعلمه وهو الشريك او شفاعته لكم لان ما لا يعلمه لا وجود له اصلا اذ لا يخفى على الله شئ فى السموات
ولا فى الارض تخصيصه اتخبرون الله ان له شريكا يشفع لكم ولا يعلم الله لنفسه شريكا فى السموات
ولا فى الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفى علم الله بذلك الشريك والتشفيع وانه لا وجود له
البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور
فى العرف فان الانسان اذا اراد نفى شئ حصل فى نفسه يقول ما علم الله ذلك منى مقصوده انه ما حصل
منه قط ولا وقع اصلا قال الشيخ وفيه تقريع وتهكم واستهزاء بالكفرة لادعائهم المحال والحاصل
لا نعلم اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات الذى يحيط علمه بجميع ما كان وما سيكون
فالم يعلمه لا يكون له تحقق ما وهذا مجاز مشهور كما اشرنا حيث قلنا انك تقول ما علم الله ذلك منى والمراد انه
ما وجد منى ذلك قطعا قوله فى السموات ولا فى الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة لنفى ما زعموا منبهة
على ان

على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوى او ارضى ولا بشئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث
مقهور تحت قدرة الله مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه اى تنزيها له وتعالى اى ارتفع عما
يشركون ما اما موصولة اى عن شركائهم الذين يشركونهم به فى العبادة او مصدرية اى عن
اشراكهم به غيره قرا حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول النحل والروم بتاء الخطاب والباقون
بياء الغيبة والحاصل ان الله نزه نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون شئ
فى السموات والارض ولا يعلمه ثم بين الله تعالى ان عبادة الاصنام بدعة بقوله وما كان
الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة قال ابن عباس على الاسلام قال الضحاك
على هدى وعن مجاهد وما كان الناس الا امة واحدة قال آدم وحده فاختلفوا حين قتل احد ابنى
آدم اخاه قال السدى كان الناس اهل دين واحد على دين آدم فكفروا فلولا ان ربك اجلهم الى يوم
القيمة لقضى بينهم قال الشيخ فى معنى قوله وما كان الناس الا امة اى موجودين على فطرة الله التى فطر الناس
عليها او متفقين على الدين الحق وهو دين الاسلام ولا يجوز ان يكونوا امة واحدة فى الكفر والضلال
لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد والشهيد لله لا بد وان يكون مومنا فثبت انه لم تخل
امة الا وفيهم مومن وقد وردت الاحاديث بان الارض لا تخلو عمن يعبد الله وعن اقوام بهم
يحفظ اهل الارض ثم اختلفوا فى انهم متى كانوا موجودين على الفطرة او متفقين على الدين الحق
فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على الاسلام فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
ثم اختلفوا بعده وقيل انهم بقوا على الايمان الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا على عهد نوح
فبعث الله اليهم نوحا وقيل كانوا على الايمان من زمن نوح بعد الغرق اذ لم يذر الله من الكافرين
ديارا الى ان ظهر الكفر فيهم وقيل كانوا على الايمان من عهد ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن
لحى فعلى هذا القول يكون المراد من الناس العرب خاصة والغرض منه ان العرب اذا سمعوا ان عبادة الاصنام
حادثة باطلة لم يتأذوا من ابطال هذا المذهب وقيل ان الناس كانوا امة واحدة فى الكفر فهذا القائل يقول
فايدة هذا الكلام مع الرسول عليه السلام ان لا يطمع فى ان يصير كل من يدعوه الى الدين يكون مجيبا له
فان الناس كانوا على الكفر فى فترة الرسل وانما حدث الاسلام فى بعضهم بعد ذلك فكيف تطمع فى اتفاق الكل
على الايمان انتهى وفى اللباب وقيل كان الناس امة واحدة يعنى فى الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين
ويدل عليه قوله تعالى فى سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقريره انه لا مطمع فى ان يصير
الناس على دين واحد فانهم كانوا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبى عليه السلام انتهى والجواب
عن هذا ما قلنا بانه لا يجوز ان يكونوا امة واحدة فى الكفر والضلال لقوله تعالى فكيف اذا جئنا الآية فافهم
جدا وقيل كان الناس امة واحدة وليس فى الآية ما يدل على اى دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف على
دليل خارج وقيل معناه انهم كانوا فى اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة كما اشرنا ثم اختلفوا فى الاديان
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
والمراد بالفطرة فى الحديث فطرة الاسلام وقال الزجاج وما كان الناس يعنى العرب كانوا على الشرك حتى جاء
النبى عليه السلام فاختلفوا فامن بعضهم وكفر بعضهم وقال ايضا وما كان الناس الا امة واحدة اى ولدوا

على الفطرة فاختلفوا بعد الفطرة بان ثبت بعض وكفر بعض والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان
الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا
كلمة سبقت اي مضت ازلا بالحكمة البالغة من ربك لقضي بينهم عاجلا قال الكلبي كان الناس اهل
دين واحد على دين ادم فكفروا فلولا ان ربك اجلهم الى يوم القيمة لقضي بينهم في الدنيا قال الشيخ
حسنا لولا قضية قضاها الله في الازل والموح المحفوظ بان تكون الدار الاخرة هي دار القضاء وفصل
الجزاء او لكي يتوب الحكم بينهم في هذه الدار قال الاستاد والمعنى لولا كلام وو عد سبق ومضى ذلك من الله تعالى
بان يجعل لكل امة اجلا ووقتا وان لا يهلكهم الا باجالهم او بان يتاخر العذاب الفاصل بينهم الى
يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا بتعجيل العذاب للمكذبين وقال الحسن ولولا كلمة
سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم
القيمة لقضي بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق
من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيمة وقيل سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد قيام الحجة عليه وقيل
الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن
اخرهم برحمته الى يوم القيمة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بتمييز الحق عن الباطل
بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار وكذلك
قوله تعالى ويقولون اهل مكة وهذا حكاية لصورة مقالتهم الشنعاء معطوفة على قوله ويعبدون من دون
الله لولا انزل عليه اي هلا انزل على محمد اية من ربه اي معجزة ظاهرة لنشاهدها كما كان
للانبياء من الناقة والعصا واليد البيضا لتخصيصه هلا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الايات
وذلك حين قال عبد الله بن امية لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فقال الله لنبيه عليه السلام
فقل لهم انما الغيب اي ما غاب عن العباد يعني امره لله مختص به لا سبيل لاحد اليه فلو اقتضت
حكمته انزال ما تسالونه لانزل لتخصيصه ان الذي سالتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم
احد ذلك الا هو يعني لا يعلم احد متى نزول الاية الا هو فانتظروا العذاب والهلاك ان لم تومنوا
اني معكم من المنتظرين للعذاب النازل عليكم لجحودكم ما نزل علي من القران العظيم والايات
البينات واقتراحكم غيره او معناه فانتظروا لنزول ما اقترحتموه او قضاء الله بيننا باظهار المحق
على المبطل اني معكم من المنتظرين او فانتظروا لي في الموت اني معكم من المنتظرين بهلاككم واخرج ابن
ابي حاتم عن الربيع في قوله فانتظروا اني معكم من المنتظرين قال خوفهم عذابه وعقوبته ثم لما بين في
الاية المتقدمة انهم يطلبون الايات الزائدة عنادا او لجاجا ومكرا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا
اي اعطينا واصبنا الناس يعني كفار مكة رحمة اي مطرا وخصبا ورخاء او نعمة وصحة وسعة
من بعد ضراء مستهم اي من بعد قحط ومرض وبلاء وضيق اصابهم وذلك ان الله تعالى
حبس عن كفار مكة المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم فانزل عليهم
المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش بعد ذلك فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر والمكر وهو
قوله تعالى اذا لهم مكر اي تكذيب واحتيال في اياتنا اي في دفع ايات الله التكذيب بها فدعا عليهم النبي
واستهزاءهم

النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الميتة والجيف
وكان الرجل ينظر الى السماء فيرى دخانا من شدة الجوع فجاء ابو سفيان وقال يا محمد انك تامر
بصلة الرحم وان قومك فيما هم فيه فادع الله ان يسقيهم فدعا الله فسقوا فعادوا الى
تكذيب القران وعداوة الرسول والطعن فيه وقالوا مطرنا باستحقاقنا وبالكواكب لا بدعائه وقال
مقاتل بن حيان في معنى قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا يعني انهم لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون
سقينا بنوء كذا ويدل على صحة هذا القول ما روي عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال صلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على
الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مومن بي
وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال
مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء اي مطر كان
قد وقع في الليل وسمي المطر سماء لانه ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم
سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر او ريح كما يزعم المنجمون
ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للنجم الطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للنجم الغارب
فنفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التاثير واما
من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه
قوم وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر بكفر النعمة هكذا ذكره صاحب اللباب واعلم ان اذا الاولى
شرطية والثانية فجائية جواب لاذا الاولى لقيامها مقام الفاء والعامل في اذا الفجائية الاستقرار
الذي في لهم فالمعنى استقر لهم المكر في وقت اذاقة الرحمة وقت المكر في الايات فانتصبتا على الظرفية
وقوله في اياتنا متعلق بمكر جعل الايات محلا للمكر مبالغة قل الله اسرع مكرا اي مجازاة والمكر
منه تعالى الاستدراج والجزاء واطلاقه عليه للمشاكلة اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا
واقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وهذا قابلوا نعمة الله بالمكر
قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو استدراجهم وامهالهم الى يوم القيمة قال الاستاد والمكر اخفاء
الكيد وهو ايصال المضرة الى الغير من حيث لا يشعر به ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني ان
الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة السيئة الى يوم القيمة حتى يفضحوها
على روس الخلايق ويجزون على مكرهم وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا
في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وتلوين الخطاب بصرفه عن النبي الى
الملائكة للتشديد في التوبيخ قرا نافع في رواية يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله والباقون بالخطاب
مبالغة في الاعلام بمكرهم ثم اخبر عن حال الخلق وما لهم بقوله عز وجل هو الذي يسيركم في
البر والبحر اي هو الذي يسهل لكم السير بان جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها ويمكنكم منه في
البر على الاقدام وظهر الدواب وفي البحر في الفلك وبالسباحة وقيل معناه والله الهادي لكم الى السير
في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر والبحر قرا ابن عامر ينشركم بالنون

والشين من النشر بمعنى التفريق والباقون يسيركم من التسيير اخرج البيهقي في سننه عن ابن عمر ان تميما الداري سال عمر بن الخطاب عن ركوب البحر فامره بتقصير الصلاة قال يقول الله هو الذي يسيركم في البر والبحر **حتى اذا كنتم في الفلك** اي في السفن **وجرين بهم** اي وجرت السفن بمن فيها من الركاب رجع وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة في تقبيح حالهم كانه تعالى يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم قال السمرقندي يقال للسفينة الواحدة جرت وللجماعة جرين واسم الفلك يقع على الواحد وعلى الجماعة ويكون مذكرا اذا اريد به الواحد ويكون مونثا اذا اريد به الجماعة كقوله تعالى في الفلك المشحون وقال الفلك التي تجري بامره ذكر بالتانيث مرة وذكر بلفظ التذكير مرة وفيه دليل ان الكلام بعضه يكون على وجه المخاطبة وبعضه على وجه المغايبة كما قال ههنا حتى اذا كنتم ذكر بلفظ المخاطبة ثم قال وجرين بهم بلفظ المغايبة انتهى قال الاستاد فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير اذ الكون في الفلك يقارن التسيير في البحر بل يتقدمه وغاية الشي ما ينتهي به الشي وينقطع ويكون هو متاخرا عنه بل الغاية هي مضمون الجملة الشرطية التي هي اذا كنتم في الفلك جاءتها ريح مع ما في حيزها ويتعلق بها انتهى واخرج ابن ابي حاتم عن ابن زيد في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم قال ذكر هذا ثم عدا الحديث في حديث اخر عنه بغيرهم قال وجرين بهم قال فعدا الحديث عنهم فاوقد شي كنتم في الفلك وجرين بهؤلاء لا يستطيع يقول جرين بكم وهو يحدث قوما اخرين ثم ذكر هذا ليجمعهم وغيرهم وجرين بهم هؤلاء وغيرهم من الخلق وفي الغاية في معنى وجرين بهم اي بكم وانما التفت الى الغيبة ليذكر سوء فعلهم لمن يسمع ويعلم ضلالهم وليس ما بعد حتى وحده وهو الكون في الفلك غاية للسير ليتوهم اتخاذ المغاية بل الغاية اذ الشرطية وما في حيزها في الجمل المتعاطفة نظيره ما سياتي ان شاء الله تعالى في قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه والظاهر من سوق الاية انها في حق اهل الكفر من كفار مكة لمناسبته ما قبلها ولكن ولك ان تقول في وجه الاية ان قوله هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للسايرين في البر والبحر من فريق اهل الايمان ليستديم الشكر ولعل اهل الضلال يتوب بتذكير هذه النعمة والله اعلم قوله **بريح طيبة** اي وجرت السفن بريح طيبة ساكنة لينة الهبوب يستطاب هبوبها ويستقيم مرور السفن بها **وفرحوا بها** اي وفرح ركبان الفلك بتلك الريح الطيبة وامن السفينة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك **جاءتها** جواب اذا قيل الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة **ريح عاصف** ذات عصف شديدة الهبوب تكسر كل شي فاقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف ولم يقل عاصفة لاختصاص الريح بالعصف او يذكر الريح ويونث وفي اللباب يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه يراد ذات عصوف اولاجل ان لفظ الريح تذكر انتهى **وجاءهم الموج** وهو شدة حركة الماء واختلاطه وقيل ما ارتفع وعلا من غوارب الماء فوق البحر **من كل مكان** اي من كل جانب من جوانب السفينة يعني

من ساير الجهات والنواحي او من كل مكان يجي الموج منه **وظنوا انهم احيط بهم** اي وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم وسدت عليهم مسلك الخلاص كمن احاطت به العدو وقيل المراد بالظن اليقين اي وايقنوا انه الهلاك وقيل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه قال القتبي واصل هذا ان العدو اذا احاط بالقرية يقال دنا اهلها من الهلاك قال الله تعالى واحيط بثمره وصار ذلك كناية عن الهلاك **دعوا الله مخلصين له الدين** اي اخلصوا في الدعاء لله عز وجل من غير شرك ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم ولم يخطر ببالهم غيره لتراجعهم الى الفطرة التي فطر الناس عليها حين شاهدوا اسباب الهلاك واشتد عليهم الخوف وطمهم البلاء وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا الاخلاص ايمانا لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدايد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضيق وبلاء اخلصوا لله الدعاء قوله دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به ويحتمل الاستيناف كانه قيل ما صنعوا بعد تلك الحالة واما جعل جاءت حالا ودعوا مستجابا للشرط فلا يستقيم المعنى لان فرحهم بالريح الطيبة لم يكن في حال مجي العاصفة وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم فتح مكة فر عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه الى البحر فركب البحر فاصابتهم عاصف فقال اصحاب السفينة لاهل السفينة اخلصوا فان الهتكم لا تغني عنكم شيئا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم ان لك عهدا ان انت عافيتني مما انا فيه ان اتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلاجدنه عفوا كريما قال فجاء واسلم واخرج ابن سعد عن ابي مليكة قال لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن ابي جهل البحر هاربا فخب بهم البحر فجعلت الصراري يدعون الله ويوحدونه فقال ما هذا قالوا هذا مكان لا ينفع فيه الا الله قال فهذا اله محمد الذي يدعونا اليه فارجعوا بنا فرجع واسلم واخرج البيهقي في الدلايل عن عروة قال فر عكرمة بن ابي جهل يوم الفتح فركب البحر فاخذته الريح فنادى باللات والعزى فقال اصحاب السفينة لا يجوز ههنا لاحد ان يدعو شيئا الا الله وحده مخلصا فقال عكرمة رضي الله عنه والله لئن كان في البحر وحده انه لفي البر وحده فرجع واسلم قوله تعالى **لئن انجيتنا** اللام موطئة للقسم على ارادة القول يعني يقولون او قايلين لئن انجيتنا يا ربنا او هو مفعول دعوا الله لانه في معناه **من هذه** اي من هذه الشدايد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة **لنكونن** البتة بعد الخلاص ابدا **من الشاكرين** لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسئولة يعني لنكونن من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة المومنين بك المتمسكين بطاعتك **فلما انجاهم** الله تعالى من الريح العاصف والموج الهايل والشدايد التي كانوا يخافونها اجابة لدعائهم والفاء للدلالة على سرعة الاجابة **اذا هم يبغون في الارض** اي فاجئوا الافساد والظلم في جهات الارض واطرافها وسارعوا اليها متجاوزين فيهما كان لم يشاهدوا الريح العاصف والامواج الهايلة **بغير الحق** اي مبطلين في البغي فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم واشجارهم اذا لم يرج حصولها للمسلمين كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة والنضير ثم خاطب اوليك الباغين توبيخا لهم وتشديدا ومبالغة في التهديد والوعيد بقوله **يا ايها الناس انما بغيكم** اي وبال

Copyright King Saud University

ظلمكم يرجع عليكم كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وهو مبتدا على انفسكم خبره
اى راجع عليكم فى الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان زعمتم ذلك واصل البغى مجاوزة الحد متاع
الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتداء والمعنى ان بغى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح
لزاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم لا يتهيأ ان يبغى
بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها فى سرعة انقضائها والبغى من منكرات
الذنوب العظام قال صلى الله عليه وسلم اثنان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وقال
ايضا ثلث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر وفى رواية ثلث هن رواجع على اهلها المكر
والنكث والبغى ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
ومن نكث فانما ينكث على نفسه قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث قد فرغ الله من القضاء فيهن لا يبغين احدكم
فان الله يقول يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ولا يمكرن احد فان الله يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
ولا ينكثن احد فان الله يقول ومن نكث فانما ينكث على نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوخر الله عقوبة
البغى وفى الدر المنثور واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال النبى عليه السلام لو بغى جبل على جبل لدك
الباغى منهما وقد نظم بعضهم هذا شعرا وكان المامون يتمثل به ❊ يا صاحب البغى ان البغى مصرعة
فارجع فخير مقال المرء اعدله ❊ فلو بغى جبل على جبل ❊ لاندك منه اعاليه واسفله ❊ وقال صلى
الله عليه وسلم ان الله اوحى الى ان تواضعوا حتى لا يبغى احد على احد ولا يفخر احد على احد واخرج البيهقى
عن طريق بلال بن ابى بردة عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يبغى على الناس الا ولد بغى او فيه
عرق وفى تفسير الشيخ ورفع متاع الحيوة الدنيا السبعة على انه خبر لمبتداء محذوف تقديره ذلك البغى
والظلم منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها او على انه خبر لغوله بغيكم تعلى هذا يكون قوله على انفسكم
له الا حفص فانه نصبه على انه مصدر موكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا او على انه مفعول من اجله فيكون البغى مبتدا والجار من صلته وخبره محذوف اى انما بغيكم على انفسكم
جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون
متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يلايم المصدر المذكور على البغى بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل
بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغى والظلم المفسر بالافساد
المفرط اللايق بحالهم فاى مناسبة بينه وبين البغى بمعنى الطلب والحاصل البغى المحمود وهو مجاوزة
العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والمذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة هكذا
قال صاحب المفردات قوله تعالى ثم الينا مرجعكم عطف على الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون
الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا يوم القيمة فننبئكم اى فنخبركم بما كنتم تعملون من البغى والعدول
فنجازيكم عليها وهذا وعيد بالعذاب كقول الرجل ساخبرك بما فعلت ثم لما قال انما بغيكم على انفسكم
متاع الحيوة الدنيا ضرب مثلا لمن اغتر بها واعرض عن التاهب للاخرة فقال انما مثل الحيوة
الدنيا فى فنائها وبقائها يعنى فى حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وتلاشى نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها وليس المشبه به ما دخله حرف التشبيه فى قوله كماء اى مطر انزلناه من السماء لانه من

من التشبيه المركب بل مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه بحيث لم يبق له اثر
اصلا بعد ما كان طريا قد التف بعضه ببعض وزين الارض وطمع فيه اهله فاختلط اى اشتبك
به اى بسبب الماء نبات الارض حتى خالط بعضه ببعض قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون
مما يأكل الناس من الحبوب والثمار وغير ذلك وهو حال من النبات والعامل فيه محذوف
اى كاينا او مستقرا مما يأكل الناس والانعام اى ومما يأكل من الكلاء والحشيش والبقول وقوله
حتى غاية فلا بد لها من شئ مغيا والفعل الذى قبلها وهو اختلط لا يصلح ان يكون مغيا لقصر
زمنه فقيل ثمه فعل محذوف تقديره لم يزل النبات ينمو حتى اذا اخذت الارض زخرفها
اى حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك
من الزهور المختلفة الاشكال كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة فتزينت بها وفى الكواشى
مثل الارض بالعروس لابسة انواع الملابس الفاخرة متزينة باصناف الزينة من انواع الحلى
انتهى قال الاستاد استعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب
لما كان من الاشياء البهية المنظر استعارة للنفوس قوله وازينت اى وتزينت الارض بالزهر
والنبات قرأ الجمهور بوصل الهمزة وتشديد الزاى والياء والاصل وتزينت وقرئ على الاصل وقرئ
وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وقرئ وازيانت كابياضت
وظن اهلها اى اهل تلك الارض ونباتها انهم قادرون عليها اى من الانتفاع بها يعنى متمكنون
على جدادها وقطافها وحصادها ورفع غلتها رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما
وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة اتاها امرنا جواب اذا اى اتى ذلك الارض ونباتها
قضاؤنا وعذابنا بهلاكها بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم من العاهات ليلا او نهارا
ظرفان للاتيان اى فى الليل او فى النهار فجعلناها اى جعلنا زرع ذلك الارض حصيدا يعنى محصودة
مقطوعة اى شبيها بما حصد بالمناجل فى قطعه واستيصاله فيكون من باب التشبيه كان
مخففة اى كانها لم تغن اى لم تكن ولم يلبث زرعها ونباتها بالامس فيما قبل بزمان
قريب فان الامس مثل قريب فى الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن انفا قال الشيخ معناه كان
لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غنى فلان
بالمكان اذا اقام به قال الاستاد فى تفسيره وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب
فى زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا
اتبعه بهذا المثل لمن بغى فى الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات
فى اول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن
واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت اى
بالنبات والزخرف عبارة عن كمال الحسن التى فجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه بالعروس
اذا البست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض وما شكلت
الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه فى الانتفاع بها وانها

ثم ان الله تعالى ارسل على هذه الارض صاعقة او بردًا او ريحًا فجعلها حصيدًا كان لم تكن من قبل قال
قتادة ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية
هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به
وقع الياس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه ما هو
فيه من نعيم الدنيا ولذتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت
وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتته افة فتلف بالكلية ثم ان
الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة
ذلك النبات بعد التلف كان قادرًا على اعادة الاموات احياء في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب
الطايع ويعاقب العاصي انتهى وقد اطنبنا في ذكر التمثيل والاستعارة لان الافهام متفاوتة والمقام
يقتضي التفصيل قوله تعالى **كذلك** نعت مصدر محذوف اي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي
نفصل فنبين في المستقبل **الايات** القرانية التي من جملتها هذه الايات المنبهة على احوال الحياة الدنيا
قوله **لقوم يتفكرون** في الايات ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها
ثم لما نفر العقلاء عن الميل الى الدنيا رغبهم في الاخرة بقوله **والله يدعو الى دار السلام**
اي الى دار السلامة وهي الجنة بالدعاء الى الايمان سميت الجنة دار السلام لان من دخلها سلم وامن
من المكاره والافات عن ابن عباس رضي الله عنهما والله يدعو الى دار السلام يقول يدعو جميع خلقه الى
عمل الجنة والله السلام والجنة داره قال الشيخ اضاف الله داره وهي الجنة الى اسم السلام تعظيما لها
وقيل ان الله تعالى يوصف بالسلام لانه سلم من جميع النقايص والعيوب والفناء والتغير او لانه لا يظلم
خلقه لانه لا يتصور منه الظلم لان الظلم لا يكون الا على من لم يكن في ملكه والخلق كله ملكه وعبيده ويحتمل
ان يراد بالسلام التحية لانه تعالى يسلم على اهل الجنة قال الله تعالى سلام قولا من رب رحيم والملائكة يسلمون
عليهم ايضا قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وهم يحيون بعضهم بعضا
بالسلام قال الله تعالى تحيتهم فيها سلام وفيه دليل على ان في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله الجنة في
ايات كثيرة من كتابه **ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم** يعني والله يهدي
ويكرم ويوفق من يشاء هدايته من خلقه ممن سبقت عنايته به الى صراطه المستقيم وهو دين
الاسلام عمم بالدعوة اي لكل احد المؤمن والكافر اظهارًا للحجة وخص بالدعوة ثانيًا استغناء
عن الخلق واظهارًا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين خ عن جابر رضي الله عنه قال جاءت
ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم فقال بعضهم انه نايم وقال بعضهم العين نايمة والقلب يقظان
فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقال مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مادبة وبعث داعيًا
فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة
فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم ان العين نايمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد
فمن اطاع محمدًا صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية
قال

قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكايل عند رجلي فقال
احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطًا مستقيمًا على كنفي الصراط زوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور
وداع يدعو على راس الطريق وداع يدعو من فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
والابواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من
فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم هو كتاب الله في الاسرار ان في تعميم الدعوة لجميع الناس وتخصيص
الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده ولم يخلق فيه قدرة
الطاعة ثم لما ذكر دار السلام ذكر السعادات الحاصلة لهم فيها فقال **للذين** خبر مبتدا **احسنوا** العمل
في الدنيا باتيان المامورات واجتناب المنهيات **الحسنى** مبتدا قدم عليه خبره والمراد بالحسنى هي
المثوبة الحسنى لانها تانيث الاحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها **وزيادة**
اي وما يزيد على مثوبتهم تفضلًا لقوله تعالى ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعماية ضعف واكثر قال ابن عباس للذين احسنوا الحسنى يعني للذين شهدوا ان لا اله
الا الله الجنة قال ابو بكر الصديق والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم والتصديق لما قاله الصديق ما
روي عن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك
وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال
فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الاية
للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وعلى كل حال الحسنى هي الجنة والامر المغاير لجميع ما في الجنة
من النعيم روية الله تعالى قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وايات القران يفسر بعضها
بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على روية الله تعالى والاية والحديث دامغان لاهل
الاعتزال واخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبر على سيف البحر
تكبيرة رافعًا بها صوته لا يلتمس بها رياء ولا سمعة كتب الله له رضوانه الاكبر ومن كتب له رضوانه الاكبر
جمع بينه وبين محمد وابراهيم في داره ينظرون الى ربهم في جنة عدن كما ينظر اهل الدنيا الى الشمس والقمر في يوم
لا غيم فيه ولا سحابة وذلك قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى لا اله الا الله والزيادة الجنة
والنظر الى الرب قوله **ولا يرهق وجوههم قتر** يعني ولا تغشى وجوه اهل الجنة كابة ولا كسوف ولا
غبار فيها سواد **ولا ذلة** اي ولا هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب
ذلك من حزن وسوء حال قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى **اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون** يعني ان اولئك الذين وصفت صفتهم بالمثوبات هم اهل الجنة واصحابها لا غيرهم
وهم فيها دايمون مقيمون لا يخرجون منها ابدًا لا زوال في الجنة ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم ثم لما شرح حال المحسنين شرح بعده حال المسيئين

فقال والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها اي فلهم
جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات
والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعماية الى اضعاف كثيرة
وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى وهذا العطف
يحتمل ان يكون على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو ويحتمل ان
يكون الذين مبتدأ وجزاء سيئة مبتدأ ثانيا وخبره بمثلها والباء فيه زايدة للحسن اي وجزاء سيئة سيئة
مثلها لا يزاد عليها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل ويجوز
ان لا تقدر زيادة الباء والتقدير مقدر بمثلها او مستقر بمثلها والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن الاول
وقيل ان قوله الذين كسبوا مبتدأ خبره هو قوله كانما اغشيت او قوله اوليك اصحاب النار فعلى هذين
القولين قد فصل بين المبتدأ وخبره ثلاث جمل معترضة او اربع جمل وترهقهم ذلة قال ابن عباس
معناه تغشاهم ذلة وشدة وقيل تغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم وفي اسناد الرهق الى انفسهم
دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ ويرهقهم بالياء التحتانية ما لهم
من الله من عاصم اي ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم قال الاستاد معناه ما من احد
يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين قال السيوطي ومن زايدة اي ما لهم
من الله عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل اي كانما البست وجوههم سوادا
من الليل المظلم قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بسكون الطاء اي جزءا واحدا قال الاخفش معناه
اي جزءا من الليل وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة او حالا منه وقرأ غيرهم بفتح الطاء جمع قطعة
فعلى هذا يكون مظلما حالا من الليل والعامل فيها اغشيت لانه العامل في قطعا فهو موصوف بالجار و
المجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة وهي من الليل فالصفة معمولة لاغشيت وهي صاحبة
الحال والعامل في الحال هو العامل في صاحبها بهذه الطريقة او معنى الفعل في من الليل اي قطعا كاينة
من الليل في حال كونه مظلما اوليك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الذميمة اصحاب النار هم
فيها خالدون ثم لما كانت الاية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لان سواد الوجوه
من علامات الكفر قال الله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقال فيما ياتي ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة اوليك هم الكفرة الفجرة ولان للذين احسنوا متناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
فلا يبقى لهم قسيمة لم يكن فيها تمسك للوعيدية لان السيئات وان اشتملت الشرك وساير المعاصي
ولكن الدلايل التي ذكرناها مخصصة ويوم منصوب بفعل مقدر اي انذرهم او ذكرهم يوم نحشرهم
الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع وموقف واحد الضمير للفريقين لانه المتبادر من قوله جميعا
ومن افراد الفريق الثاني بالذكر بقوله ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم معناه
توبيخهم وتهديدهم على رؤس الخلايق اقطع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل قال الشيخ
ويوم نجمع الخلايق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيمة ثم نقول لهم وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر
في حيز الصلة من بين ساير ما كسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتفريع عليه لانه من معظم
سيئاتهم

سيئاتهم فالجملة مستانفة مسوقة لبيان بعض اخر من احوالهم الفظيعة وتاخيرها في الذكر مع تقدمها
في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار مكانكم
اي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسالوا وفي هذا وعيد للعابدين والمعبودين انتم وشركاؤكم اي انتم
ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله قوله انتم تاكيد للضمير المستتر في مكانكم من
عامله وهو الزموا لسده مسده وشركاؤكم عطف على انتم وقرئ شركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع قوله
تعالى فزيلنا بينهم اي فرقنا وقطعنا الوصلة التي كانت بين العابدين والمعبودين في الدنيا وبين ما
بينهم بعد اجتماعهم في الموقف وتبرأ كل معبود عن عابده الا الله قال السيوطي ففرقنا بينهم وبين المؤمنين كما في
اية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وهو معطوف على قوله ثم نقول فان قلت قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ
الماضي بعد ان عطف على المضارع وهو قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت
السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكاين اما قوله تعالى وقال لهم شركاؤهم اي
اصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم او لانه
تعالى خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ما كنتم ايانا تعبدون
ما نافية وتقديم المفعول للفاصلة قال الشيخ تبرأ المعبودون من العابدين قال الاستاد هنا مجاز عن براءة
ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به فالمراد
انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا وقيل المراد بالشركاء الملايكة او المسيح لقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملايكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ولقوله اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الاية
وقيل الشيطان حيث تبرأ من عبدته بقوله ليس لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فان قلت
كيف صدر هذا الكلام عن الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله تعالى خلق لها في ذلك
اليوم الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يبقيهم
او يفنيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله واحوال القيمة غير معلومة الا ما دل عليه
الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها ولي
مجاز قلت قال مجاهد يأتي على الناس يوم القيمة ساعة فيها لا ترى اهل الشرك اهل التوحيد يغفر لهم
فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال الله انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ثم يكون من بعد ذلك ساعة فيها شدة تنصب لهم الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول
الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول
لهم الالهة جوابا لقولهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان مخففة من الثقيلة اي انا كنا
عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن
عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك واللام في قوله لغافلين فارقة بين المخففة والنافية
اما قوله تعالى هنالك اي في ذلك اليوم تبلو كل نفس ما اسلفت فهو كالتتمة للاية المتقدمة
والمعنى ان في ذلك المقام او ذلك الموقف اي في ذلك اليوم على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان
تختبر وتمتحن كل نفس ما قدمت من عمل خيرا وشرا فتعاين نفعه وضره لانه لا تجازى الا بما عملت ورد

Copyright King Saud University

البخاري اذا كان يوم القيمة تتبع كل امة ما كانت تعبد ويبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم
في صورة لم يعرفوها فيقول انا ربكم فيقولون كلا لا نبرح مكاننا حتى يأتينا ربنا فيكشف لهم عن ساق
فيخرون له سجدا الا من كان منافقا فانه لم يقدر على السجود ويصير ظهره طبقا قرا حمزة والكسائي
تتلو بتائين اى تقرأ كل نفس في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر اذا كان تتلو بمعنى التلاوة
واذا كان بمعنى التلو والتبع فمعناه تتبع كل نفس ما اسلفت من العمل لان عملها هو الذي يهديها
الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرا الباقون بالباء الموحدة من تحتها بواحدة وقد قدمنا المعنى
واخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل لهم يوم القيمة ما كانوا
يعبدون من دون الله فيتبعونه حتى يوردهم النار ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك تبلوا
كل نفس ما اسلفت وهذا كقوله ويوم ندعو كل اناس بامامهم **وردوا الى الله مولاهم الحق**
يعني رجعوا في الاخرة الى الله مولاهم الحق الثابت ربوبيته وولايته ليجازيهم بما اسلفوا والمعنى وردّ العابدون
والمعبودون وكل بر وفاجر الى حكم الله الذي هو مولاهم الحق وربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وقرئ الحقَّ بالنصب على المدح او المصدر المؤكد فان قيل قد قال الله تعالى في اية اخرى وان
الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك والرب ويطلق على الناصر فمعنى
المولى هنا المالك والرب ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الايتين واخرج ابو الشيخ عن السدي
في قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق قال نسخها قوله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم
وضل عنهم اى ضاع عنهم وبطل **ما كانوا يفترون** اى ما كانوا يكذبون في الدنيا ويدعون
من ان الالهة يشفع لهم او انها الهة لهم قال الشيخ فتبقى للصادقين خصوصية درجاتهم في المحبة والانس
مع حقائق معناهم ويضل سعي الكاذبين الذين يراءون الناس باعمال الصادقين **قل** للمشركين
الذين حكينا احوالهم على حقيقة التوحيد **من يرزقكم** الاستفهام للتقرير والتقريع **من
السماء** بانزال المطر **والارض** بانبات النبات ثم اردفه بانواع اخر من دلايل التوحيد على وجه
لا يقدرون على انكار شئ منها **ام من يملك السمع والابصار** اى ومن اعطاكم هذه الحواس
التي تسمعون بها وتبصرون بها يعني من خلق لكم الاسماع والابصار اللذين اصل خلقهما سماع ايات
الله للتلاوة وابصار اياته المبصرة ام هذه هي المنقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا
تسوية وما يقدر منها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة ابطال الاول
بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام اخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اى
من يستطيع على خلقهما وتسويتهما على هذه الخلقة العجيبة او من يحفظهما من الافات مع كثرتها
وسرعة انفعالهما من ادنى شئ يصيبهما **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي** يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة و
يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطاير الحي وقيل معناه يخرج
المومن من الكافر والكافر من المومن والقول الاول اقرب الى الحقيقة وقيل النبات من الحبة والحبة
وهما من النبات **ومن يدبر الامر** اى ومن يلي تدبير العالم العلوي والسفلي يعني تدبير الخلايق

وهذا

وهذا تعميم بعد تخصيص والمعنى ان مدبر امر السموات وما فيها ومدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى
ثم بين ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سالهم عن مدبر هذه الاحوال **فسيقولون الله** هو الله اذ لا مجال
للعناد والمكابرة في ذلك لغاية وضوحه قال الاستاد ولا يجدون جوابا غيره فاذا اعترفوا واقروا
بان فاعل هذه الاشياء هو الله وحده **فقل** لهم يا محمد **افلا تتقون** اى افلا تخافون بطش الله
وسطوته حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ من هذه الامور فالهمزة
لانكار عدم الاتقاء والفاء للعطف على مقدر اى اتعلمون ذلك وتقرون به فلا تخافون عقابه في
اشراككم به ما لا يشاركه في شئ مما ذكر من خواص الالهية **فذلكم الله ربكم الحق** اى فذلكم الذي
يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق للعبادة لا هذه الاصنام فقوله فذلكم
مبتدا نتيجة للذي اعترفوا بانه متصف بالصفات المذكورة وقوله الله خبر وقوله ربكم بدل من الخبر
او بيان له وقوله الحق صلة له اى ربكم الثابت الربوبية والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فاعبدوه
ولا تشركوا به شيئا **فماذا بعد الحق الا الضلال** يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة
والدلايل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا قوله فماذا يجوز ان يكون
الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وصار معنى الاستفهام هنا النفي ولذلك
اوجب بعده بالا ومعناها اى شئ ويجوز ان يكون ذا موصولا بمعنى الذي والاستفهام ايضا بمعنى النفي
والتقدير فما الذي بعد الحق الا الضلال يعني فليس بعد عبادته اذا اعبدتم غيره الا الضلال عن الحق لانه
لا واسطة بينهما وقيل بعد بمعنى غير والمعنى ليس غيره الا الضلال وتلخيصه ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى
الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال **فانى تصرفون** يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف
تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال الباطل او على اى حال تصرفون عن الحق الذي لا خلاص عنه وهو
التوحيد المحقق ربوبيته الى الضلال الذي هو الاشراك وعبادة غيره تعالى مع انكم مقرون بالحق ونظير
هذا قوله تعالى كيف تكفرون بالله الاية قال الاستاد معناه فانى تصرفون عن الحق الابلج فهو تعجيب من
حالهم **كذلك** اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال او كما انهم مصروفون
عن الايمان والحق **حقت** اى وجبت او صدقت او سبقت **كلمت ربك** وحكمه وقضاؤه في
الازل حيث قال لاملان جهنم او هي انهم لا يؤمنون قرا نافع وابن عامر كلمات هنا وفي اخر السورة
وفي غافر **على الذين فسقوا** اى تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح يعني بلغوا
الحد الاقصى في الكفر **انهم لا يؤمنون** بفتح ان بدل من كلمة ربك اى حق عليهم انتفاء الايمان في علمه تعالى
ويجوز ان يكون المراد من الكلمة العدة وانهم لا يؤمنون تعليل لحقيتها بتقدير اللام اى لانهم لا يؤمنون
قال الشيخ وقيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاء الله لا يرد ولا يدافع
قوله تعالى **قل هل من شركائكم** اى قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من اصنامكم التي تزعمون انها الهة
من يبدؤا الخلق ثم يعيده يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق من غير اصل ولا مثال سبق
اى ثم يميته ويحييه بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السوال استفهام انكار اى ليس في معبوديكم
من هذا شانه قال الشيخ فان قيل كيف قال الله ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة لا من الله ولا من معبودهم

قلنا لما كانت الاعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها وهو القدرة على ابداء الخلق والاعادة اهون
بالنسبة الينا لزمهم الاعتراف بها فصاروا كانهم يسلمون وجودها من حيث ظهور الحجة ووضوحها
وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل انت
يا محمد الله يبدؤ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها والمعنى الله هو القادر
على ابداء الخلق واعادته فانى تؤفكون اى من اين تكذبون انهم شركاء او فانى تصرفون عن قصد
السبيل يعنى كيف تصرفون وتعدلون عن الهدى وجادة الحق والمراد من هذا التعجب من احوالهم كيف
تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره قل يا محمد هل من شركائكم من يهدى
الى الحق هذه حجة ثالثة على ما ذكر افحامًا لهم اثر افحام والمعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على
ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك قل الله يهدى للحق اى قل لهم يا محمد ان الله هو
الذى يرشد الى الحق لا غيره من معبوديكم افمن يهدى اى يرشد الى الحق اى الى الاسلام ودين
الحق وهو الله تعالى احق اى حق وجدير ان يتبع فيعمل بامره وينتهى بنهيه ويعبد امن لا يهدى
اى ام الذى لا يهتدى او لا يهدى غيره الطريق الا ان يهدى يعنى ام الذى لا يمشى بنفسه الا ان يحمل
من مكان الى مكان احق ان يتبع والاستفهام للتوبيخ والتقريع اى الاول احق بان يتبع قال الشيخ وهو
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدى بنفسه او لا يهدى غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته الله
تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم على زعمهم كالملئكة والمسيح وعزير فكيف
بالجوامد قال الاستاد والمعنى ان الله هو الذى يهدى من يشاء الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التى
لا تهتدى الا ان تهدى فان قلت الاصنام جماد لا يتصور هدايتها ولا ان تهدى غيرها فكيف قال الا ان يهدى
قلت ذكر العلماء في الجواب عن هذا السؤال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان
الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل وتنقل فبين به عجز الاصنام الوجه
الثانى ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة
انزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة
وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم
يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفرة والضلالة فالله تعالى
هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلايل الدالة على وحدانيته واما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون
على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله تعالى الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره
قرا حمزة والكسائى يهدى باسكان الهاء وتخفيف الدال على الاصل الثلاثى وقرا ابن كثير وابن عامر وورش
عن نافع يهدى بفتح الياء وتشديد الدال واصله يهتدى فادغمت التاء في الدال ونقلت فتحتها الى الهاء
لئلا يجتمع ساكنان وقرا ابو عمرو ونافع في رواية غير ورش يهدى باختلاس فتحة الهاء وتشديد الدال
وقرا عاصم في رواية حفص يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال تباعًا لكسرة الدال بعد الهاء وعن
عاصم في رواية ابى بكر يهدى بكسر الياء ايضا لاتباع كسرة الهاء لتتفق الحركات وقرى الا ان يهدى مبنيا
للمفعول للمبالغة فما لكم قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم فاى شئ لكم في عبادة هذه الاصنام شركاء

الاصنام شركاء لله تعالى ثم قال كيف تحكمون اى على اى حال تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه
او كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شركاء او بيما حكمتم اذ جعلتم لله شركاء من
ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية والاستفهام للانكار التوبيخى وفيه تعجب من حالهم
والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادى الى الحق وما يتبع اكثرهم اى جميعهم
يعنى فيما يتعلق بالعقايد والاصول الدينية مطلقا في قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم في الاخرة
الا ظنا اى مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد والخالق
الى المخلوق بادنى مشاركة موهومة او المراد بالاكثر من ينتسب منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف قال الاستاد في تفسيره والمعنى وما يتبع اكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته
بل هم في شك وريبة او المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام
تشفع لهم او المراد بالاكثر الرؤساء والاباء والمعنى قريب بعضهم لبعض ان الظن لا يغنى من الحق
شيئا يعنى ان الشك لا يغنى من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وبعبارة اخرى ان الظن لا ينفع من الحق
اى من العلم والعقايد شيئا من الاغناء وقيل في الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظنا
منهم لم يرد به كتاب ولا سنة يعنى لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا قوله ان الظن لا يغنى خبر ان ومن
الحق متعلق به وشيئا مفعول مطلق ويجوز ان يكون شيئا مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة مستانفة
لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن
غير جايز ان الله عليم بما يفعلون اى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم عليه
وقرى تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد ثم لما فرغ عن دلايل التوحيد شرع في اثبات النبوة
فقال وما كان هذا القران ان يفترى اى ما صح وما استقام ان يكون مثله في علو شانه
واعجازه مفترى من الخلق لامتناع صدوره من دون الله من الخلق اذ ليس لمن دونه
كمال قدرته التى بها عموم الاعجاز تخصيصه وما ينبغى لهذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء
الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شئ يمكن ان يفترى به لان المفترى هو الذى ياتى به البشر
وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق
فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحى انزله الله عليه وانه مبرأ عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه احد
الا الله ثم ذكر ما يؤكد هذا بقوله ولكن تصديق الذى بين يديه اى ولكن يتعين ان الله انزل هذا
القران مطابقا لما قبله من الكتب التى انزلها على انبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران العظيم المعجز
وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة
بين يديه من قبل ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لفرط عداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه
احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل
مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله تعالى انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه
وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ولكن تصديق الذى القران بين يديه من اخبار الغيوب الاتية

Copyright to King Saud University

من القيمة والبحث وغير ذلك وفي الغاية ولكن تصديق الذي بين يديه اي من ساير الكتب السماوية
شاهد على صدقها لانه معجز دونها فكيف يكون مفترى جعله نفس التصديق مبالغة على طريقة رجل
عدل قال السمرقندي معناه ولكن نزل بتصديق الذي بين يديه من التوراة والانجيل او ولكن
تصديق النبي انزل القران بين يديه يعني الذي هو قبل سماعهم لان القران تصديق ما جاء من انباء
الامم السالفة واقاصيص انبيائهم ونصب التصديق على انه خبر للكون المقدر او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تصديقا وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب عطف على
ولكن تصديق نصبا ورفعا اي وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرايض والاحكام اي
والقران مفصل الاحكام المكتوبة على المكلفين او القران مفصل ما في اللوح المحفوظ يعني فصل فيه ما هو
مكتوب هنالك لقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وبعبارة اخرى وتفصيل مجمل الكتاب اراد
بالكتاب القران او تفصيل ما حقق وما ثبت من العقايد والحقايق والشرايع التي بها تستكمل القوة النظرية
والعملية او وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع من قوله كتاب الله عليكم والمعاني بعضها
قريب الى بعض وفي عين الحياة ولكن القران هو الذي تصدق ما بين يديه من الكتب المنزلة
وايضا يصدق ما بين يديه من ايات الله فان القران يصدق بعضه بعضا كما يفسر بعضه بعضا
وتفصيل الجملة التي هي المقدرة المكتوبة في الكتاب الذي عنده لا يتطرق اليه المحو والاثبات لانه ازلي
ابدي كما قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت يعني في اللوح المحفوظ لان ما في اللوح يقبل المحو والاثبات
والتغير بخلاف ما عنده حيث قال وعنده ام الكتاب اي الاصل الذي لا يقبل التغير وهو علمه القايم
بذاته القديم انتهى **لا ريب فيه من رب العالمين** يعني ان هذا القران لا شك فيه انه من الله
رب العالمين وانه ليس مفترى على الله قوله لا ريب فيه خبر ثالث للكون المقدر داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استيناف فاذا انتفى عنه الريب
مع انه كان جامعا لكل ما يحتاج اليه علم انه كاين من رب العالمين وهو خبر رابع للكون المقدر
او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض بين العامل ومعموله او متعلق بالفعل المعلل بهما
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب وسياق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه
والبرهان عليه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار **ام يقولون**
افتراه اي بل ايقولون اختلق القران محمد من عند نفسه وهذا ورد في حق الذين ظنوا انه معجز
وظهر لهم حقيته وكذبوه حسدا وعنادا تلخيصه ام يقول هولاء المشركون افترى محمد هذا القران
واختلقه من قبل نفسه **قل** اي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون **فاتوا بسورة مثله**
يعني بسورة شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم عرب مثلي في
العربية والفصاحة والبلاغة واشد تمرنا في النظم والعبارة فان قلت قال الله في سورة البقرة
فاتوا بسورة من مثله وقال هنا فاتوا بسورة مثله فما فايدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى
الله عليه وسلم اميا لم يقرأ ولم يكتب واتى بهذا القران العظيم كان معجزا في نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة
من مثله يعني مع انسان امي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة واما قوله فاتوا بسورة

مثله اي فاتوا بسورة تساوي سور القران في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني
ان السورة في نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله
وادعوا للمعاونتكم **من استطعتم** من الانس والجن بل من كل من كان **من دون الله** متعلق
بادعوا اي ادعوا ما سوى الله تعالى من خلقه ولا تدعوه فانه سبحانه وحده قادر على ذلك
ان كنتم صادقين في قولكم ان محمدا افتراه فاذا عجزوا بعد ذلك علم انهم كذبوا فقال الله في حقهم
بل كذبوا اي بل سارعوا الى التكذيب **بما** اي بالقران الذي لا يسوغ لهم تكذيبه لان التصديق
والتكذيب بالشيء انما يسوغ بعد الاحاطة بحال المكذب وبمعرفة ماله ومرجعه والا كان مسارعة
اليه في غير اوانه وهولاء **لم يحيطوا بعلمه** اي بالقران يعني بل اسرعوا الى التكذيب بالقران
في بديهة السماع واوله قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره ويتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه
قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القران وقيل معناه بل كذبوا بما في القران من ذكر الجنة
والنار والحشر والقيمة والثواب والعقاب مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم
لما سمعوا ما في القران من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروا لجهلهم فرد
الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القران العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد
على استيعابها وتحصيلها قال الاستاذ اضرب عن دعايهم للتحدي وانهم لا يستاهلون ذلك الى
حالة اخرى لهم اشنع من العناد وهي الجهل اذ لا شيء اقبح منه فان العناد ربما يتحسن ومن امثالهم
عاند من تطيق له عنادا والمعنى انهم قبل التدبر في بطونه والاحاطة بخواص تركيبه وعجايب
معانيه سارعوا الى تكذيبه فاذا عاندوا ونسبوه الى الافتراء بعد العجز عن الاتيان بمثله لا يستبعد
ذلك منهم **ولما ياتهم تاويله** اي انهم كذبوا بالقران ولم ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه
ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القران به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يؤول اليه
عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا
القران وعلمه وعلم تاويله قال الشيخ في تفسيره في معنى قوله ولما ياتهم تاويله هو عطف على
الصلة اي ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من
الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ و
المعنى ثم انهم فاجوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر
لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او
لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا انتهى
كذلك اي مثل ذلك التكذيب قبل النظر في معجزات الانبياء عليهم السلام **كذب الذين من**
قبلهم اي من الامم الماضية رسلهم يعني كما كذب هولاء بالقران كذلك كذبت الامم السالفة
انبياءهم فيما وعدوهم به **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** اي فانظر يا محمد كيف
صار عاقبة من ظلم من الامم كذلك يصير عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل واحد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة

من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله ثم وصف حال المكذبين بعد اتيان التاويل المتوقع بقوله
ومنهم من يؤمن به اى ومن المكذبين بالقران من قومك يا محمد من سيؤمن بالقران لعلم
الله ذلك منه اى المعنى ومن المكذبين من يصدق بالقران بعد العلم به وبعد اتيان تاويله اى
سيصدق به ظاهرا وباطنا من غير استكبار بان يتوب عن كفره او يصدق به فى نفسه ويعلم انه
حق ولكن يعاند فيصر على كفره استكبارا قال الشيخ معناه ومنهم من بقى على نعت فطرة الله التى
فطر الناس عليها مستعدا لقبول الايمان كما كان مستعدا عند استماع خطاب الست بربكم لما كانوا مستعدين
لقبول الايمان عند عرضه قالوا مجيبين لله باجمعهم بلى فمن يؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله فانه
دال على انه لم يفسد استعداده الفطرى ثم اشار الى من لم يبق على نعت فطرة الله التى فطر الناس عليها
بقوله ومنهم من لا يؤمن به ابدا اى لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن به اما فى نفسه فى
الحال لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين اى
بالمصرين الذين لا يؤمنون فهو يهددهم او باحوال المعاندين هل يتوبون على الكفر او يتوبون وان كذبوك
اى فان اصروا على تكذيبك يا محمد بعد الزام الحجة فقل لهم لى عملى يعنى الطاعة وجزاء
ثوابها ولكم عملكم يعنى الشرك وجزاء عقابه قال السلطان فتبرأ منهم فقد اعذرت ولى
لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما
تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله يعنى لا تؤاخذون بعملى
ولا اؤاخذ بعملكم يعنى الكلام الردع والزجر وقال مقاتل والكلبى هذه الاية منسوخة باية السيف قال
امام المفسرين فخر الدين الرازى وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية
اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات
هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا اقول الحق ما قاله الامام لان النسخ انما يصار اليه عند قيام التعارض
قطعا والابهام بمعزل عنه ثم لما قسم الكفار فى الاية الاولى الى قسمين منهم من يكون فى نهاية البغض
والعداوة ومنهم من لا يكون كذلك وصف ههنا القسم الاول فقال ومنهم اى ومن هؤلاء المشركين
من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرايع لكن لا يقبلونه كالاصم الذى لا يسمع اصلا
لخصه ومن المشركين يستمعون اليك باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لك
افانت تسمع الصم اى افانت تقدر على اسماع المشركين ولو كانوا لا يعقلون اى ولو انضم الى
مع الصمم عدم تعقلهم وتدبرهم كما انك لا تقدر على اسماع الصم الغبى الغير العاقل فكذلك لا تقدر
على اسماع من اصم الله سمع قلبه فلهم اذان لا يسمعون بها شبههم بالاصم الذى فقد عقله فى عدم
الانتفاع بما يتلى عليه قال الاستاد معناه اتقدر على اسماعهم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان
الاصم العاقل ربما يتفطن بالاشارة واذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وفيه تنبيه
على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتى الا باستعمال
العقل السليم فى التدبر وعقولهم لما كانت ماوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر
افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام

الناعق

الناعق قال شيخى ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال
اذ لم ينتفعوا بما يسمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم
من ينظر اليك بابصارهم الظاهرة ويعاينون دلايل نبوتك ولكنهم لا يصدقون بذلك وجمع
الضمير الراجع الى كلمة من فى قوله ومنهم من يستمعون اليك رعاية لجانب المعنى كما افرد فى من ينظر
رعاية لجانب اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف
عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة افانت تهدى العمى اى اعقيب ذلك انت
تهديهم وترشدهم يريد بالعمى عمى القلوب ولو كانوا لا يبصرون اى ولو انضم الى عدم البصر عدم
البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة ولذلك
يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم قال
الاستاد وفى هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من
سلبته السمع ولا تقدر ان تهدى من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن
ان الله لا يظلم الناس شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله يا عبادى انى حرمت الظلم على
نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا قوله شيئا مفعول مطلق اى لا يظلم شيئا من الظلم لا قليلا ولا كثيرا بسلب
حواسهم وعقولهم لانه فى جميع افعاله متفضل او عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب
اليهم بسبب الكسب ففيه دليل على ان للعبد كسبا هو مناط الثواب والعقاب وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة قال الاستاد وظلمهم على انفسهم بتفويت منافع الحواس والعقول وصرفها الى غير ما
خلقت له قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاء لقضائه وقدره السابق فيهم اخبر فى هذه
الاية ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل
من تصرف فى ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب
وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قرا حمزة والكسائى بتخفيف لكن ومن ضرورة ذلك كسر النون
لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد ونصب الناس
ثم لما وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم يحشرهم
اى واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن
مكانهم قرا حفص عن عاصم يحشرهم بياء الغيبة والضمير المستتر لله والباقون بنون العظمة
كان مخففة من المثقلة اسمها محذوف اى كانهم لم يلبثوا هذه الجملة التشبيهية فى موضع الحال
اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا ولم يمكثوا فى الدنيا او فى القبور لشدة ما يلقون يوم القيمة الا ساعة
من النهار اى الا قدر ساعة من النهار يعنى شيئا قليلا منه فانها مثل فى غاية القلة وتخصيصها بالنهار
لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره يوما مشبها اهله
بمن لم يلبث قبله الا ساعة وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم فى الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم
فى طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك
استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيمة وطال عليهم استقلوا مدة مقامهم فى الدنيا

بل يجب الفرار منه وعلى هذا من تبعيضية او معنى الاستفهام التعجب من العذاب مع الانكار اى اى
شئ هايل شديد من انواع العذاب تستعجل المشركون فعلى هذا من للبيان قال البغوى معناه ماذا
استعجل من الله المشركون وقيل ماذا استعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى
انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه
المجرمون اى اى شئ يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون [illegible] كما يقول الرجل لغيره وقد فعل
فعلا قبيحا ماذا اجنيت على نفسك انتهى قوله ماذا يستعجل متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبرونى ووضع
المجرمون موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجى العذاب لا ان يستعجلوه
وجواب الشرط يعنى ان اتاكم محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطا الاستعجال و
يجوز ان يكون جواب الشرط ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون الجملة الشرطية متعلقة بارايتم
ويجوز ان يكون جواب ان اتاكم قوله اثم اى ابعد اذا ما وقع اى حل العذاب ونزل بكم
آمنتم اى صدقتم به اى بالله فى وقت الباس او بالعذاب عند المعاينة والمعنى ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان كما وقع لفرعون لعنه الله فعلى هذا يكون ماذا يستعجل
اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير وجئ بثم دلالة على زيادة استبعاد التاخير
ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وذكر ما بعد اذا
تاكيدا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل يعنى انهم لم يومنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة قوله
الآن قرأ الجمهور بهمزة الاستفهام داخلة على الان وقرأ نافع الان على وزن عالان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وهو منصوب بفعل مضمر تقديره الآن آمنتم يعنى عند الياس وعدم
قبول الايمان تؤمنون ويدل على هذا الفعل المقدر الفعل الذى تقدمه وهو قوله اثم اذا ما وقع
آمنتم به ولا يجوز ان يعمل فيه آمنتم الظاهر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده كما ان ما بعده لا يعمل
فيما قبله لان له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر ومعموله استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت
القول الملقن مسوق لتقرير ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم بالله او بحقية العذاب انكارا للتاخير وتوبيخا عليه وقد كنتم به تستعجلون
اى بالعذاب تكذيبا واستهزاء وهذه الجملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ و
زيادة التنديم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وفى الخاية الآن منصوب
على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن تؤمنون توبيخا لهم والآن هو الوقت
الذى انت فيه ظرف غير متمكن ووقعت معرفة وليست اللام فيه للتعريف انتهى ثم قيل عطف على
المضمر قبل الآن وتاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب وفى الغاية انه عطف على قيل المقدر قبل
الآن للذين ظلموا اى ظلموا على انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد
الذى تخلدون فيه لا يزول عنكم فى القبر فتعذبون فيه ثم تبعثون فتحشرون الى جهنم فتعذبون
فيها خالدين ثم انه تعالى لما ذكر العذاب المويد ذكر ما بعده هل اى ما تجزون اليوم الا جزاء

بما كنتم

بما كنتم به تكسبون يعنى فى الدنيا من الاعمال كالكفر وانواع المعاصى ثم انه تعالى لما اخبر عن الكفار بانهم
يقولون متى هذا الوعد واجاب عنه بما تقدم حكى عنهم انهم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة اخرى
فى هذه الواقعة وسالوه عن ذلك السوال مرة اخرى بقوله ويستنبئونك اى ويستخبرونك يا محمد عن
العذاب نزلت حين قدم حيى بن اخطب مكة وقال للرسول صلى الله عليه وسلم مستخبرا عن العذاب احق
هو اى احق ما وعدتنا من العذاب والبعث او ادعاء النبوة ام باطل واعلم انهم سالوه اولا عن
زمان وقوعه وههنا سالوه عن تحققه فى نفسه ولهذا اختلفت ابهما فاجاب عن الاول بقوله ولكل
امة اجل واجاب عن الثانى بتحققه بقوله قل اى وربى اى قل لهم يا محمد نعم وربى جمع بين حرف
الايجاب والقسم تاكيدا لحقية العذاب فان اى بمعنى نعم كما اشرنا وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواوه
فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده والحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او
خبر مقدم والجملة فى محل النصب بيستنبئونك والحق ان الاستفهام فيه على اصله وقيل انه للانكار
والاستهزاء ويؤيده انه قرئ الحق بهمزة الاستفهام ولام التعريف فانه فيه تعريض بانه باطل قوله
انه لحق يعنى ان العذاب الكاين او ما ادعيه لثابت حق لا ريب فيه وما انتم بمعجزين اى
بفايتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته وقال الزجاج وما انتم ممن يعجز من يعذبكم وهذه الجملة
معطوفة على جواب القسم فيكون قد اجاب القسم بجملتين احدهما مثبتة موكدة بان واللام والاخرى منفية
موكدة بزيادة الباء ثم قال مخبرا عن حالهم التى سيكون لهم يوم القيمة ولو ان لكل نفس ظلمت
اى كفرت بالله واشركت به او تعدت على الغير بفعل ما يستحق به العذاب واسم ان ما فى الارض
من خزاينها واموالها وغير ذلك لافتدت به اى لافتدت النفس بجميع ما فيها اى لجعلت فديتة
نجاتها يوم القيمة من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه بما نجيه من العذاب لا بمعنى قبل فديته
لان النفس الظالمة هى المعطية للفدية لا الاخذة ومن قال انه بمعنى قبل فالتقدير ولو ان لكل نفس ظلمت
ما فى الارض لافتدت بما ينجو به من العذاب الا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه واسروا اى واسرت
النفوس المدلول عليها بكل نفس الندامة يوم القيمة عند معاينة العذاب على ترك الايمان وعلى ما فعلوا
من الظلم المعنى واخفوها لانهم من شدة الامر وتفاقمه لم يقدروا على اظهار الندامة ببكاء ولا عويل
بفعله المصاب وكثيرا ما ترى من له ولد عزيز عليه اذا مات يبقى كالجماد ولا يسيل دمع ولا يقدر
على صراخ وقيل اظهروها لان كلمة السر من الاضداد قال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم
ليس يوم تصبر وتصنع وقيل اسروا الندامة يعنى اخفى الروساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا
من ملامتهم اياهم وتوبيخهم وتعييرهم لهم او حياء منهم وقيل اسروا الندامة اى اخلصوها لان اخفاءها
اخلاصها او لانه يقال سر الشئ لخالصه من انه يخفى ويضن به لما راوا العذاب يعنى
حين عاينوا العذاب وابصروه والمعنى واخفوا الندامة حين معاينتهم من فظاعة الامر وشدة الاهوال
ما لم يكونوا يحتسبون وقضى بينهم بالقسط اى وحكم بين الخلايق بالعدل وقيل بين المومنين و
والكافرين وقيل بين الروساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيوخذ للمظلوم
من الظالم وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون اى لحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم و يشدد

Copyright © King Saud University

في عذاب الظالم وليس في قوله تعالى هنا وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون تكريرا لما تقدم من قوله تعالى
فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون لان المراد به فيما تقدم قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
وفي هذه الاية مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة
الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض اي ان كل شيء في السموات والارض لله ملكا له لا شركة
فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدي به من عذاب الله تعالى يوم القيمة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا
ملك لله فكيف يفتدي من هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه والحاصل ان من له ما في العالم العلوي والسفلي خلقا
وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاثابة والعقاب قادر على انزال العذاب على اعدائه وايصال
الثواب على اوليائه فاذا وعد بشيء فلا خلف لوعده فهذا تقرير لما تقدم من قوله فاذا جاء رسولهم قضي
بينهم الا ان وعد الله حق اي ما وعد الله به من الثواب والعقاب على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
ثابت كائن لا خلف فيه فهو دليل على القضاء بين الظالم والمظلوم وصدر الجملتين بحرف التنبيه ايقاظا
من سنة الغفلة ولكن اكثرهم اي اكثر الناس لقصور عقولهم وانهماكهم في الشهوات وعدم تفكرهم
في اثار صنعه لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
هو يحيي ويميت اي هو متفرد بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر قال الاستاد هو يحيي ويميت
في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة
والموت قابلة لهما ابدا واليه لا الى غيره ترجعون بعد الموت فيجازيكم بحسب اعمالكم وانتم لا تظلمون
ثم لما قال الله تعالى ان القران من رب العالمين واثبت رسالة نبيه وصف القران هنا بصفات اربع
فقال يا ايها الناس اي يا اهل مكة لانهم قالوا حق هو وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري
قد جاءتكم موعظة اي زجر مقترن بالتخويف من ربكم وشفاء لما في الصدور اي
قد جاءكم كتاب عزيز وهو القران وعظ ونصيحة وارشاد للمكلف ببيان ما ينفعه من محاسن
الاعمال وما يضره من الترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكافل بهذا البيان والاعتبار
هو الحكمة العملية المتعلقة بكيفية العمل لاشتماله على الدلائل القطعية الدالة على التوحيد وساير العقائد
وباعتبار قبول الدلائل القطعية والتدبر فيها شفاء ودواء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
والعلم المتكفل بهذا البيان والاعتبار هو الحكمة النظرية فان الجهل داء وعرض للقلب الذي في الصدر
ان لم يتلاف بالتدبر في القران قوي وتبعه الهلاك وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد
الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع
القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه واخرج ابو الشيخ عن الحسن
قال ان الله تعالى جعل القران شفاء لما في الصدور قلت مراده امراض القلب كسوء الاعتقاد وهي اشد
الامراض ولم يجعله شفاء لامراضكم قلت يعني فظاهر البدن لظاهر النص واخرج ابن المنذر وابن مردويه
عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتكي صدري قال اقرا القران يقول
الله شفاء لما في الصدور واخرج البيهقي في شعب الايمان عن واثلة بن الاسقع ان رجلا شكى الى
النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه قال عليك بقراءة القران قلت فالقران شفاء لامراض الظاهر والباطن
ورواية

ورواية الحسن ما قل واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود قال في القران شفاءان القران
والعسل فالقران شفاء لما في الصدور والعسل شفاء من كل داء واخرج البيهقي عن طلحة بن
مطرف قال كان يقال ان المريض اذا قرئ عنده القران وجد له خفة فدخلت على خيثمة وهو
مريض فقلت اني اراك اليوم صالحا قال انه قرئ عندي القران قوله وهدى اي القران
هدى من الضلالة الى الحق واليقين يهدي الى طريق مستقيم بالدلايل المنصوبة في الافاق والانفس
ورحمة للمؤمنين اي رحمة ونعمة لمن امن به وعمل بمضمونه حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال
الى انوار الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان فالتنوين في
الصفات الاربع للتعظيم وانما خص الرحمة بالمؤمنين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم ثم لوى الخطاب
ووجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما في مجيء القران العظيم من الفضل
والرحمة فقال قل بفضل الله وبرحمته اي قل يا محمد للناس بانزال القران والهداية الى
الاسلام والايمان فليفرحوا فبذلك الفضل والرحمة فليفرحوا لا بغيرهما من متاع الدنيا فقوله بفضل
الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف وهو فليفرحوا يفسره ما بعده يعني فليفرحوا المذكور بعده وقوله
فبذلك فليفرحوا تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فقوله فبذلك متعلق بقوله
فليفرحوا المذكور فتقديم الجار والمجرور للاختصاص يعني لا تفرحوا الا بفضل الله ورحمته لا بزخارف
الدنيا وقيل قوله بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف مناسب لقوله فليفرحوا اي فليعتنوا
حذف الاول لدلالة الثاني عليه وتكرير الفاء للتاكيد والتقدير ايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا وانما للتاكيد لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير واثباته لاشتماله
على زيادة كمال التمييز ففيه زيادة تقرير وتثبيت والفاء الاولى جواب شرط محذوف كانه قيل ان
فرحوا بشيء فليخصوها بالفرح وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وفي اللباب الباء في بفضل الله
متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل
بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهو القران بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير بكم ثم اشار بقوله
فبذلك فليفرحوا الى القران لان المراد بالموعظة والشفاء القران فترك اللفظ واشار الى
المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا
قال الواحدي الفاء في قوله فليفرحوا زايدة كقول الشاعر ۞ واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
الفاء في فاجزعي زايدة قرا الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب
على الاصل المرفوض بناء على مذهب الكوفيين وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي عنه
مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا واخرج الطيالسي وابو داود والحاكم وصححه وابن مردويه
عن ابي بن كعب قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك فلتفرحوا بالتاء واخرج ابن جرير
والبيهقي عن هلال بن يساف في قوله قل بفضل الله وبرحمته قال بالاسلام الذي هداكم و
بالقران الذي علمكم واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس في الاية قال فضل الله العلم ورحمته محمد

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وعن ابي سعيد الخدري فضل الله
القران ورحمته ان جعلكم من اهله وعن ابن عباس قال فضل الله كتاب الله ورحمته
الاسلام وعنه ايضا فضل الله الاسلام ورحمته القران واخرج ابو القسم ابن بشران في اماليه
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكى
الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا **هو خير مما يجمعون** من عرض الدنيا من الاموال قال البغوي هو
خير مما يجمعون اى مما يجمعه الكفار من الاموال وهو ضمير ذلك قرا ابن عامر بتاء الخطاب التفاتا
الى الكفار وهو المختار لانه الابلغ في النصح كذا في الغاية والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا
الى ضمير المومنين ويجمعون مسند الى ضمير الكفار كذا في الاسرار ومعنى الاية ليفرح المومنون بفضل الله
ورحمته فان ما اتاهم الله من المواعظ وشفاء ما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون
النفس اليه خير مما يجمعون من متاع الدنيا ولذاتها الفانية قوله تعالى **قل** يا محمد لكفار مكة **ارايتم**
اى اخبروني **ما انزل الله لكم من رزق** اى ما خلق لكم من زرع وضرع عبر عن في
الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء وقال الاستاد اضاف
انزال الرزق الى السماء وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما الحقا مقدرة ولما انت اسبابها متعلقة
بالسماء من المطر والشمس والقمر في الانبات والانضاج والتلوين قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
وما في موضع النصب بانزل او بارايتم لانه بمعنى اخبروني كما اشرنا ولكم دل على ان المراد منه ما حل لكم من
الرزق ومن تبعيضية ولذلك وبخ عليه بقوله **فجعلتم** ايها الكفار **منه** اى بعض ذلك الرزق **حراما**
وحلالا للرجال فتبعضتموه وقلتم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا وفي اللباب يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة
والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفي الغاية فيه
من رزق بيان لما وهو مفعول انزل ان كانت استفهامية وان كانت موصولة يتعلق بارايتم اى اخبروني
كلم الامثال عليهم كما في قوله خلق لكم ما في الارض لا الدلالة على ان الرزق اريد به ما حل لهم منه لان الكلام
مع المشركين الذين يحلون بحيرة وسائبة وحاما ووصيلة انتهى عن ابن عباس في قوله قل ارايتم
الاية قال هم اهل الشرك كانوا يحلون من الانعام والحرث ما شاؤا ويحرمون ما شاؤا واخرج الحاكم
وصححه والبيهقي في سننه وابن عساكر عن ابي سعيد مولى ابي اسيد الانصاري قال اتى وفد اهل مصر
عثمان رضي الله عنه فقالوا له ادع بالمصحف وافتح السابع وكانوا يسمون سورة السابعة فقراها
حتى اذا اتى على هذه الاية قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الاية فقالوا له
قف ارايت ما حميت من الحمى آلله اذن لكم على الله تفترى فقال امضه انما نزلت في كذا وكذا فاما
الحمى فان عمر حمى الحمى قبلي لابل الصدقة فلما وليت وزادت ابل الصدقة زدت في الحمى قوله **قل** تكرير
لتاكيد الامر بالاستخبار اى قل لهم يا محمد اخبروني **آلله اذن لكم** في ذلك التحريم والتحليل فتقولون
ذلك بحكمه واذنه **ام** اى بل **على الله تفترون** في نسبة ذلك اليه وهو قولهم والله امرنا بها

داخل الاستفهام لانه قال ولكم دل على ان المراد منه ما حل لكم

يونس

والمعنى بل انتم على الله تفترون اى تكذبون في ادعائكم ان الله امرنا بهذا قال الشيخ ام متصلة والاستفهام
للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخر قطعا كانه قيل ام لم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه
فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع
مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب عن ان
يكون ذلك باذن الله تعالى ومعنى الهمزة تقرير للافتراء وتوبيخ عليه وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز
ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى الله تعالى خاصة تفترون قوله **وما** استفهامية وقعت مبتدا **ظن**
الذين يفترون على الله الكذب خبره وهذه الجملة مسوقة من الله لبيان هول ما سيلقونه
غير داخلة في حيز القول المامور به والاستفهام لتقرير التهديد والمعنى اى شئ ظنهم في الافتراء
على الله ايحسبون ان الله لا يواخذهم ولا يعاقبهم على الكذب عليه **يوم القيمة** ابهم امره
تعظيما لشان الوعيد ويوم منصوب بالظن وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة **ان الله لذو فضل**
على الناس اى على جميع الناس بما ساق اليهم من الرزق كافرهم ومؤمنهم وبما اخر عنهم العذاب
وبما انعم عليهم بالعقل المتين وبما بعث اليهم الرسل الهادين والكتب قال الشيخ والمعنى ان الله لذو فضل
على الناس بامهالهم وبالانعام عليهم وبانزال الكتب لبيان الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا**
يشكرون اى لا يشكرون الله على ذلك الفضل والنعمة والاحسان ثم لما اورد الله الدلائل القاطعة
على فساد مذاهب الكفار من التشريك وقبح اعمالهم من التحريم والتحليل افتراء على الله شرع يسلي نبيه
بان ما يقاسيه معهم من المشاق ليس شئ منه الا وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم الجزاء
يحصل به تمام السرور للمطيعين وتمام الخوف للمكذبين فقال **وما** نافية بمعنى لا **تكون** انت يا
محمد **في شان** خبر تكون اى في عمل وامر كتلاوة القران قال ابن عباس معناه ولا تكون يا محمد في
شان تريد من اعمال البر وقال الحسن معناه ولا تكون يا محمد في شان من شان الدنيا وحوائجك
والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الامور والاحوال
وجمعه شئون تقول العرب ما شان فلان اى ما حاله والشان اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال
ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الاية يجوز ان يكون المراد به الاسم فان
ابن عباس قال معناه ولا تكون يا محمد في شان تريد من اعمال البر كما تقدم آنفا ويجوز ان يكون المراد
منه القصد يعني قصد الشئ قال البيضاوي ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا
قصدت قصده وهو مصدر بمعنى المفعول انتهى **وما تتلو منه** والضمير في منه اما راجع الى الشان
لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه فعلى هذا يكون داخلا
تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته او لان القران يكون
لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو على الوجهين قوله من قران على ان من تبعيضية
او مزيدة لتاكيد النفي واما راجع الى القران لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته
فعلى هذا يكون المعنى ولا تتلو من القران من قران يعني من سورة وشئ منه لان لفظ القران
يطلق على جميعه وعلى بعضه تخصيصه وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران واذا

على عدم تقرير قل بفضل الله وبرحمته

ان ضميرمنه راجع الى ما بعده من قوله من قران فالاضمار قبل الذكر يكون من باب التفخيم له يعني فاضماره قبل
الذكر ثم بيانه تفخيم له واما راجع الى الله والمعنى ولا تتلوا يا محمد من قران نازل عليك ثم خاطب
الله رسوله وامته بقوله ولا تعملون انتم وامتكم من عمل اى اى عمل وفي اللباب واما قوله تعالى
ولا تعملون من عمل خطاب للنبي وامته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب
رئيس القوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة
الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين الاولين انتهى قوله تعالى الا كنا عليكم شهودا اى
رقباء مطلعين عليه يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شئ وعالم بكل شئ لانه محدث
ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة
داخل في علمه وشاهد عليه اذ تفيضون فيه يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون
وتخوضون وتندفعون في ذلك العمل او القران تخصيصه وقت شروعكم في العمل لا يفوتنا منه شئ قال
الاستاد الاستثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين تقديره ما تلابسون بعمل من الاعمال في حال من الاحوال
الا كنا رقباء مطلعين عليه حافظين له حين تخوضون وتندفعون في ذلك واصل الافاضة الاندفاع
بكثرة او بقوة قال الشيخ الافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال
الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقال الزجاج اذ تنتشرون فيه يقال افاض القوم
في الحديث اذا انتشروا فيه قوله تعالى وما يعزب عن ربك اى ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه
من عمل خلقه شئ لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلأ عازب اذا كان بعيد
المطلب وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفي سبا والباقون بضمها قوله من مثقال ذرة اى موازن
نملة صغيرة او هباء قال الشيخ المثقال الوزن اى من وزن ذرة والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي
خفيفة الوزن جدا تخصيصه ما يعزب عنه ما يساوى في الثقل نملة صغيرة او هباء يتراءى في الهواء عند
وقوع الشمس في الكوة ونحوها ومن صلة مزيدة لتاكيد النفي يعني ما يغيب عن علمه ما هو اقل قليل
فكيف بما هو فوقه في الارض ولا في السماء اى في الوجود والامكان عبر بقطري
العالم عن كله اذ المراد هو البرهان على احاطة علمه بجميع ما في الوجود فعبر عنه بما ذكر على معتقد
العامة فان القران وارد على لسانهم وهم لا يعرفون ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما فان قلت
لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبا كما سياتي فما فايدة
ذلك قلت لان الكلام في هذه الاية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم واقوالهم فحسن
تقديم الارض على السماء هنا فان قيل اذا كان الكلام هنا في حال اهل الارض فلم ذكر السماء قلنا
ذكر السماء ايضا استطرادا كيلا يتوهم من التخصيص الذكرى اختصاص علمه سبحانه بما في الارض
فقط ولا اصغر من ذلك اى من وزن الذرة ولا اكبر من الذرة الا في كتاب
مبين اى في كتاب بين وهو اللوح المحفوظ قرأهما حمزة برفع الراء على الابتداء والخبر
الباقون بفتحها على ان لا نافية للجنس واصغر واكبر اسمها وفي كتاب خبرها فتكون كلاما برأسه
مقررا لما قبله ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله

مع الجار

مع الجار جعل الاستثناء منقطعا فالمعنى على هذا لا يعزب عن ربك شئ من ذلك لكن جميع الاشياء ثابتة
في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ ثم انه تعالى لما عمم وعده ووعيده في حق كافة من اطاع وعصى
في الاية السابقة حيث ذكر احاطة علمه بالاشياء كلها كان مظنة ان يسرع الخوف الى قلوب المخلصين
اذ ما من احد الا وله نوع تقصير بمقتضى البشرية ازال ذلك بقوله الا ان اولياء الله الذين يتولون
الله ويتقربون اليه بالطاعة لانه قال واسجد واقترب ويتولاهم ويتقرب هو سبحانه اليهم بالكرامة
وانواع الحفظ فلا يكلهم الى انفسهم طرفة عين لقوله وهو يتولى الصالحين لا خوف عليهم
في الاخرة من لحوق مكروه اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون بفوات مامول ومحبوب من نعيم
الدنيا ولذاتها ولا يحزنون بفوات مامول في الاخرة والا فهم اشد خوفا وحزنا في الدنيا من غيرهم
فان البلاء على الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل كيف لا وقد قال الله تعالى لا تخافا انني معكما اسمع
وارى قال ابن عباس في هذه الاية اراد باولياء الله الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبري
بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله من اولياء الله
فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا
بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
يوم القيمة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام
بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه
ابو داود قال الاستاد وهذا مبالغة وترغيب في الولاية والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكان هؤلاء
والا فلا خلاف ان احدا من غير الانبياء لا يبلغ منزلة الانبياء عليهم السلام م عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة اين المتحابون
بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور
يغبطهم النبيون والشهداء اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري
رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيمة قال وفي ناحية القوم اعرابي
فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرايت في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبايل شتى لم يكن بينهم
ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل
لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ويروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون
بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله
لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور
لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة
ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة
التي هي على المغبوط من غير زوال عنه قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا
القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي
يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة الله جل جلاله فان رأى
رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في
طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يتقرب به الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه
صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي
الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال
الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان
مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد كل ما نهى الله عنه قال بعض المحققين
زوال الخوف والحزن انما يحصل لهم في الاخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وانكاد وحزن قال
بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد
بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف او يحزن
انتهى من اللباب وفي الدر المنثور اخرج احمد في الزهد وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن وهب قال قال الحواريون
يا عيسى من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال عيسى عليه الصلاة والسلام الذين
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والذين نظروا الى آجل الدنيا حين نظر الناس
الى عاجلها واماتوا منها ما يخشون ان يميتهم وتركوا ما علموا ان سيتركهم فصار استكثارهم منها
وذكرهم اياها فواتا وفرحهم بما اصابوا منها حزنا وما عارضهم من نائلها رفضوه وما عارضهم
من رفعتها بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها وخربت فليسوا يعمرونها وماتت
في صدورهم فليسوا يحيونها يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم رفضوها
فكانوا برفضها هم الفرحين وباعوها فكانوا ببيعها هم الرابحين ونظروا الى اهلها صرعى قد خلت
بهم المثلات فأحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيئون
به لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا
وبهم علم الكتاب وبه علموا ليسوا يرون نائلا مع ما نالوا ولا امانا دون ما يرجون ولا خوفا دون
ما يحذرون واخرج احمد وابن ماجة والحكيم الترمذي وابن مردويه عن اسماء بنت يزيد قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخياركم قالوا بلى قال خياركم الذين اذا رأوا ذكر الله واخرج احمد والحكيم
الترمذي عن عمرو بن الجموح انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يحق العبد حق صريح الايمان حتى يحب لله

ويبغض

ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاء من الله وان اوليائي من عبادي واحبائي من
خلقي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم واخرج احمد عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله
عليه وسلم خيار عباد الله الذين اذا رأوا ذكر الله وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون البراء العنت واخرج الحكيم الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خياركم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه ورغبكم في الاخرة
عمله والاية تحتمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان
لتوليهم له اي يتقون انفسهم من مخالفة الله ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف
الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة واختلفوا في هذه البشرى
فروي عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا
قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سألت
ابا الدرداء عن هذه الاية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألني عنها احد منذ سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنها قال ما سألني عنها احد غيرك منذ انزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له
قال الترمذي حديث حسن خ وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي
من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا
اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة
بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء وفي
هذا القول وهو انا اذا حملنا قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص
يقتضي ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح
بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان
معرفة الله في القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا رأى الولي رؤيا او رؤيت كانت تلك الرؤيا بشرى
من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت
جزءا من اجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم
كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتي على موافقة النبوة
لا انها جزء من النبوة قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ان
النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاث وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى في المنام الوحي
فهي جزء من ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام لعله يكون فيه اخبار بغيب وهي احدى ثمرات
النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع
الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر
جزءا من النبوة لا انه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الاية ان المراد

من علامات الحاجة **لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ملكا وخلقا وعبيدا هذا تقرير لغناه وتحقيق
لمالكيته لكل ما سواه وهذا نظير قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ولما نزه
الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى **اِنْ** اى
ما **عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ** اى حجة **بِهٰذَا** اى بهذا الذى تقولونه يعنى انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة
فمن فى من سلطان زايدة لتاكيد النفى وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل الظرف
لاعتماده على النفى وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بالمحذوف وقع صفة له واما بما
فى عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ما عندكم فى هذا القول سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة
فى الالزام والافحام ثم بالغ فى الانكار عليهم بقوله **اَتَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** يعنى اتقولون
على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بالقول بغير
حجة ولا برهان وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من برهان قطعى
والتقليد فيها غير جايز **قُلْ اِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ** اى قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون
على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون له ولدا **لَا يُفْلِحُونَ** اى لا ينجون من النار ولا يسعدون
بالجنة ولا يفوزون بها وان اغتروا بطول السلامة والبقاء فى النعمة قال الزجاج هنا وقف تام
يعنى على قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى **مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا** وفيه اضمار تقديره لهم متاع فى الدنيا
يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضاء آجالهم فى الدنيا وهى ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم فى العذاب
والحاصل قوله متاع خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر
او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم متاع فى الدنيا وتمتع به وليس بافلاح **ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ**
الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ اى بسبب كفرهم المختص بسبب ما كانوا يجحدون فى الدنيا نعمة الله
عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله ولما ذكر الله تعالى فى هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا
عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع اممهم ليكون فى
ذلك لرسول الله تسلية واسوة بمن سلف من الانبياء ليحق عليه ما يلقى من اذى قومه وان
الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك فى الدنيا
كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم
كفرا وجحودا فذكر الله قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش
فقال تعالى **وَاتْلُ** اى اقرأ يا محمد **عَلَيْهِمْ** اى على قومك **نَبَأَ نُوحٍ** اى خبر نوح مع قومه ليتزجروا
بذلك عما هم عليه من الكفر والطغيان **اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ** الكفرة وهم بنو قابيل واذ ظرف
لنبأ لا لاتل لانه مستقبل واذ داخل على الماضى **اِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ** اى ثقل وشق
عليكم **مَقَامِي** نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كونى واقامتى ولبثى بينكم مدة مديدة او قيامى
على الدعوة **وَتَذْكِيرِي بِاٰيَاتِ اللّٰهِ** اى وعظى اياكم بحججه وبيناته فعزمتم على قتلى وطردى وجواب
الشرط محذوف اى فافعلوا ما شئتم وقوله فعلى الله توكلت قايم مقامه ودال عليه فكانه قال الا ابالى
بتهديدكم لانى توكلت على الله وقيل معناه ان كان ثقل عليكم طول مقامى فيكم وذلك لانه عليه السلام اقام
فيهم

فيهم الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويذكرهم بآيات الله وقال ابو البقاء جواب الشرط
غير محذوف بل هو قوله **فَعَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْتُ** اى فوضت امرى الى الله ووثقت به لا بغيره فهو حسبى
فَاَجْمِعُوا اَمْرَكُمْ عطف على قوله فعلى الله توكلت على قول ابى البقاء ولكن يرد عليه انه عليه السلام
كان متوكلا على الله تعالى دايما كبر عليهم مقامه او لم يكبر ومع هذا يلزم عليه عطف الانشاء على
الاخبار والمعنى فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم
فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتموه تخصصه اعزموا على امركم الذى تريدون بى من السعى فى
هلاكى واجتهدوا وابنوه على اى وجه يمكنكم قرأ نافع فاجمعوا بالوصل من الجمع والباقون بالقطع من
الاجماع وهو العزم **وَشُرَكَاءَكُمْ** الواو بمعنى مع اى مع شركائكم ويؤيد النصب القراءة بالرفع عطفا على
الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد للفصل واسناد الاجماع الى الشركاء للجوامد على طريقة التهكم وقيل
انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به قال الاستاذ والمعنى وادعوا الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم
وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم على انها تضر وتنفع مع اعتقاده
انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو تبكيت وتوبيخ لهم **ثُمَّ لَا يَكُنْ اَمْرُكُمْ** فى قصدكم بالطرد والاهلاك
عَلَيْكُمْ غُمَّةً اى خفيا مستورا ولكن ليكن امركم ظاهرا مكشوفا من قولهم غم الهلال فهو مغموم
اذا خفى وستر وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا للتوكل وعدم
المبالاة بهم وكلمة ثم للتراخى فى الرتبة **ثُمَّ اقْضُوا اِلَيَّ** اى ثم امضوا وادوا الى ذلك الامر الذى
تريدون بى من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم
اقضوا ما انتم قاضون وقرئ ثم افضوا بقطع الهمزة بالفاء اى انتهوا الى بشركم من افضى اذا انتهى
او ابرزوا الى من افضى ايضا اذا خرج الى الفضاء **وَلَا تُنْظِرُونِ** اى لا تؤخرون ولا تمهلونى فانى لست
مباليا بكم ولا يخفى ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عن من بلغ فى التوكل غاية القصوى ثم بين ان كل
ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس فقال **فَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ** اى فان اعرضتم
عن تذكيرى وقبول نصحى **فَمَا سَاَلْتُكُمْ مِنْ اَجْرٍ** على تبليغ الرسالة من جعل وعوض يوجب اعراضكم
وتوليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او فما سألتكم من اجر فتأتى ذلك بتوليكم **اِنْ اَجْرِيَ**
اى ما ثوابى على الدعوة والتذكير **اِلَّا عَلَى اللّٰهِ** الكريم سواء امنتم او توليتم **وَاُمِرْتُ اَنْ**
اَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يعنى انى امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه او لم
تقبلوه وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين المنقادين لحكم الله ولكل مكروه يصل الى منكم لاجل
هذه الدعوة لا اخالف امره ولا ارجو غيره وهذا شان المؤمن الكامل ولذا فسر البغوى قوله من المسلمين
بالمؤمنين قوله **فَكَذَّبُوهُ** اى فكذبوا نوحا واصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس
الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب **فَنَجَّيْنَاهُ** من الغرق الفاء فصيحة **وَمَنْ مَعَهُ**
من المسلمين وكانوا ثمانين **فِي الْفُلْكِ** اى فى السفينة **وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ** اى وجعلنا الذين نجيناهم
معه فى الفلك سكان الارض خلفاء عن الهالكين بالغرق **وَاَغْرَقْنَا** بالطوفان **الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا**

متاع في الدنيا

ثلثة ارباع

Copyright © Kyoto University

اى بحججنا الواضحة الدالة على صدقه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى فانظر يا محمد او
يا ايها الانسان كيف كان آخر امر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك وفيه تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير للمشركين الذين انذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له عليه السلام ثم
عقب خبر نوح باخبار رسل جاؤا بعده على اممهم بالبينات فلم يؤمنوا فاهلكوا تحذيرا لاهل مكة
ليؤمنوا فقال ثم بعثنا اى ارسلنا من بعده اى من بعد نوح واهلاك قومه رسلا كراما
ابراهيم وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا الى قومهم اى بعثنا كل رسول الى قومه فجاؤهم اى جاء كل
رسول قومه المخصوصين به بالبينات اى بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
اى فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم تلخيصه فاصروا على
التكذيب وكان فى علم الله انهم لا يؤمنون بما كذبوا به ما مصدرية وضمير به راجع الى المعهود
الذهنى وهو الحق فالمعنى ما امنوا بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه من قبل اى قبل بعثة
الرسل اليهم يعنى ان اولئك الاقوام والامم التى جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب
ولم يزحزحهم ما جاءت به الرسل ولم يرجعوا عن ما هم فيه من الكفر والتكذيب كذلك نطبع اى نختم
على قلوب المعتدين اى كمثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا او مثل ذلك الطبع المحكم نختم
ونطبع على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب قرأ العامة بالنون الدالة على تعظيم المتكلم
وقرئ بياء الغيبة بارجاع الضمير على الله ايضا ولذلك صرح به فى موضع اخر كقوله تعالى كذلك يطبع الله
وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد اما الاول فظاهر واما الثانى فلقوله تعالى
بما كذبوا به من قبل ولقوله المعتدين قوله تعالى ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الخ عطف
قصة على قصة من بعدهم يعنى ثم بعثنا من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون عليهما
السلام الى فرعون اعدى اعداء الله اللعين وملائه اى اشراف قومه باياتنا التسع وهى العصا واليد
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فاستكبروا عن الايمان بموسى وهارون
والفاء فصيحة اى فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما والاستكبار ادعاء الكبر من
غير استحقاق وكانوا قوما مجرمين اى مكتسبين للاثم معتادين بالاجرام فلذلك تهاونوا برسالات ربهم
واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا اى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى
من عند الله وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك تلخيصه فلما عرفوا انه الحق وانه من عند الله
لا من موسى فالحق ظاهر اقيم مقام ضمير الايات المذكورة انفا والا لم ينتظم قوله ان هذا لسحر مبين جواب
لقوله فلما جاءهم الحق ثم جعل الحق شخصا جاءهم من عند الله على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية بقرينة
اسناد المجيء اليه ليدل على غاية ظهوره بحيث لا يخفى على من له ادنى تميز وتوصيف الايات بالحق نص
بان صنيعهم هى التخييل والتمويه فيكون باطلا قالوا من فرط عنادهم ان هذا لسحر مبين اى ظاهر
انه سحر او فائق فى فنه واضح ممتاز بين اخوانه تلخيصه ان هذا الذى جاء به موسى سحر يعرفه كل احد
اعظم الساحرين قال موسى استيناف كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام
الانكارى التوبيخى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكى المقول لدلالة ما قبله عليه

عليه ولا يجوز ان يكون المقول اسحر هذا لانهم بتوا القول واكدوه بان واللام بل هو استيناف
بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى
اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة اى العيب ونحو القول الذكر كقوله سمعنا
فتى يذكرهم اى يعيبهم فيستغنى القول حينئذ عن المقول وفى اللباب فى معنى قوله تعالى قال موسى
اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر اسحر هذا فحذف
السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر
ثم احتج على صحة قوله فقال ولا يفلح الساحرون يعنى حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح
ابدا يعنى لا يفوزون بمطلوب قال الشيخ هذا من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا
لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر واما تجويز ان يكون الكل مقول
القولين على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم
قالوا اى قال قوم فرعون لموسى اجئتنا لتلفتنا اى لتصرفنا وتلوينا وتردنا واللفت
والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من الدين يعنى من عبادة الاصنام وتكون لكما
الكبرياء اى الملك والسلطنة فى الارض اى فى ارض مصر والخطاب لموسى وهارون عليهما السلام
وانما سمى الملك بالكبرياء لانه اكبر ما يطلب من امور الدنيا ولذا يتصف به الملوك وما نحن لكما
بمؤمنين اى بمصدقين لكما فى دعوى النبوة ووعيد العذاب وقال فرعون لقومه ائتونى بكل
ساحر عليم اى حاذق فى علم السحر وفائق فيه يعنى ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه
السلام بانواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار يعنى
المبالغة فلما جاء السحرة عطف على مقدر تقديره فاتوا به فلما جاؤا قال لهم
موسى بعد ما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين القوا اى اطرحوا على الارض
ما انتم ملقون اى طارحون من الحبال والعصى فسترون ابطال الله ذلك فان قيل كيف امر
بالسحر والسحر كفر والامر بالكفر كفر فالجواب انه عليه السلام امرهم بالقاء ما معهم من
الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد لا انه عليه السلام امرهم
بالسحر فلما القوا ما القوا واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مبال
بما صنعوا ما جئتم به السحر يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم
وفى تفسير الشيخ ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره اى هذا هو السحر الذى اضفتموه الى قرأ
العامة السحر بغير مد وقرأ ابو عمرو آلسحر بالمد على الاستفهام على انها استفهامية مرفوعة
بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه والتقدير السحر جئتم به كانه استفهام انكار تقليل
للشىء المجىء به او خبر مبتدأ تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينتصب
ما بفعل يفسره ما بعده اى اى شىء اتيتم به ان الله سيبطله اى سيمحقه بالكلية ويهلكه
او يظهر فضيحة صاحبه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين
اى لا يثبته ولا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له

وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ اى ويظهر الله الحق ويثبته ويقويه ويغلبه عطف على قوله تعالى
سيبطله واظهار الاسم الجليل فى المقامين الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بِكَلِمَاتِهِ
اى باياته او باوامره وقضاياه او بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل معناه بما سبق من
قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة وقرئ بكلمته بالتوحيد وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ذلك والمراد
بهم كل من اتصف بالاجرام فَمَا آمَنَ لِمُوسَى فى مبدا امره إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ اى الا اولاد
من اولاد قوم موسى يعنى بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم
وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه روى عن ابن عباس انهم كانوا سبعين اهل
بيت من القبط من آل فرعون قال الفراء سمى ذريتهم لان آباءهم كانوا من القبط وامهاتهم من
بنى اسرائيل وكان الرجل يتبع امه واخواله فى الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا
اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس الاباء وقيل المراد بالذرية من آل فرعون آسية امرأته
ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته واذا رجع الضمير الى موسى فالمعنى على ما ذكر
ابن عباس ما آمن لموسى الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل حيث دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من شبانهم ولا يجوز حمل الذرية على القلة من حيث التحقير والاهانة بل يحمل على
التصغير بمعنى قلة العدد او حداثة السن وانما ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه
كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر
والتكذيب فبين الله تعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم السلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام
من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما آمن له الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم على
خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ الملأ الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية كائنين على خوف
عظيم من فرعون ومن اشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان اباؤهم من القبط وامهاتهم من بنى اسرائيل
كما ذكرنا وقيل اراد بالملأ ملأ فرعون وانما قال وملئهم بالجمع وفرعون واحد على ما هو المعتاد من
ضمير العظماء او المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أَنْ يَفْتِنَهُمْ اى ان يصرفهم عن دينهم
وايمانهم بتعذيبه وانما قال ان يفتنهم ولم يقل يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين
لامره قوله وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ اى وان فرعون لغالب قهار ظالم متكبر فيها
وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وكان كثير القتل
والتعذيب لبنى اسرائيل وَقَالَ مُوسَى تثبيتا لقومه وذلك حين قالوا له اوذينا من قبل ان تأتينا
ومن بعد ما جئتنا يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ اى ان كنتم مصدقين الله واياته فَعَلَيْهِ
تَوَكَّلُوا اى فخصوه باسناد جميع الامور اليه والاعتماد فى جميع الحالات عليه إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ
يعنى ان كنتم مستسلمين لقضاء الله وامره مخلصين وليس هذا من تعلق الحكم وهو وجوب التوكل
بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصول التوكل
لا ايجابه فانه لا يوجد مع التخليط وانما يوجد مع الاخلاص ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان
قدرت والمعنى ان دعاك زيد فاجبه يعنى وجب الاجابة ان قدرت ذلك وفى اللباب معناه ان كنتم

مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعنى ان كنتم موقنين
بالايمان القلبى وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال
الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره انتهى ثم انه تعالى بين ان موسى لما
امرهم قبلوه فَقَالُوا اى قال قوم موسى مجيبين له عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا اى عليه اعتمدنا لا على غيره
لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله مخلصين انفسهم له تعالى فلذلك اجيبت دعوتهم
كما قال الله تعالى ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون ثم بين انه دعاهم الى ربهم
بقوله رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اى لا تجعلنا موضع فتنة وعذاب للقوم الظالمين
بان تسلطهم علينا فيعذبونا او يفتنونا ويضلونا عن ديننا وقال مجاهد معناه لا تعذبنا بعذاب
من عندك ولا تغلبهم علينا فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا انهم على حق وخير
فيفتتنوا بسببنا وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اى خلصنا برحمتك من ايدى قوم فرعون
الكافرين يعنى من كيدهم وشؤم مشاهدتهم لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاعمال الشاقة
وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى ان يتوكل على الله اولا ثم يدعو ليجاب دعوته
قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هرون لحفظ فى مهما من العدو أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا
بِمِصْرَ بُيُوتًا يعنى اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة
اى منزلا ووطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا يسكنون فيها ويرجعون اليها للصلاة والعبادة
وَاجْعَلُوا انتما وقومكما بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً اى تلك البيوت اى مصلى قال الشيخ اختلف اهل التفسير
فى معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال المراد بالبيوت المساجد التى يصلى فيها وفسروا القبلة
بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها
لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على
تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهو قول مجاهد ايضا قال ابن
عباس قالت بنو اسرائيل لموسى انا لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم ان
يصلوا فى بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل اراد
مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اى متقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا
وقيل معناه واجعلوا فى بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قيل انه تعالى خص موسى وهارون بالخطاب
فى اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما ثم انه عمم هذا الخطاب فقال واجعلوا
بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه تعالى امر موسى وهارون بان يتبوآ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك
مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عمم بالخطاب
للجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن
معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا فى الكنائس والبيع الجامعة ان يؤذوهم فامرهم
الله ان يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا فى الكنائس
الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلوة

Copyright © King Saud University

فيها فأمروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل
موسى وهارون واظهرهما على فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل الله
لهم بصونهم من شرهم وهو قوله **وبشر** يا موسى **المؤمنين** بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى
وبانه لا يصل اليهم مكروه من الاعداء وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه
رئيس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد لان ذلك
كان واجبا على الجمهور ثم وحد لان بشارة الامة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين
موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير **وقال موسى ربنا انك آتيت**
فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ولما كان سبب كفرهم وعنادهم واصرارهم على
الكفر هو حب الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك
اعطيت فرعون واشراف قومه ما يتزين به من اللباس والمراكب والغلمان والاشياء الجميلة والاموال
النفيسة قيل كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة و
الياقوت والزبرجد فطغوا بها وضلوا ولذلك قال في الحياة الدنيا **ربنا** اي يا ربنا اعطيتهم ذلك
ليضلوا في عاقبته **عن سبيلك** اي عن دينك اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي وعلى
هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا
عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملأه زينة فضلوا وعلى
هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام
تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك قرأ عاصم وحمزة
والكسائي بضم الياء اي ليصرفوا الناس عن دينك والباقون بفتحها من الضلال اي ليمتنعوا عن دينك
ربنا اطمس على اموالهم اي ازل صورها وهيأتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين
امسخها وغيرها عن هيأتها وامحقها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم
صارت حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق وهذا الطمس هو احد الآيات
التسع التي اوتيها موسى **واشدد على قلوبهم** اي اطبع عليها واستوثق واقسها حتى لا تلين
ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال
الواحدي وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى على هذا السؤال
فلا يؤمنوا في محل النصب على انه جواب للدعاء او في محل الجزم على انه دعاء في النهي او في محل
النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون ما بينهما دعاء معترضا **حتى يروا العذاب**
الاليم اي حتى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال ابن عباس اراد بعذاب الاليم
الغرق وقال في رواية اخرى عن ابن عباس قال لموسى قبل ان يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق
فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم موسى ان سابق قضاء
الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى

ما قدر وقضى عليهم قال الله تعالى لموسى وهارون **قد اجيبت دعوتكما** انما نسب الدعاء اليهما
وان كان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتأمين دعاء لانه طلب
وسؤال ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال **قد اجيبت** قال بعضهم
لما رأى موسى انهم لا يزيدون على عرض الآيات والمواعظ في الازمنة الطويلة الا كفرا وعلى التحذير
بعذاب الله وانتقامه الا طغيانا وتمردا واصرارا على ما هم عليه وعلى الانذار الا استكبارا وعلى
النصائح الا بعدا ولم يبق له عليه السلام مطمع فيهم وعلم بالهام الله انهم لا يؤمنون ابدا وان ايمانهم
كالمحال فاشتد غضبه لله فدعا عليهم فمسخت اموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى ادركه الغرق
وكان ايمانه ايمان بأس فلم يقبل وفي المدارك وانما دعا عليهم بهذا الدعاء لما ايس من ايمانهم وعلم بالوحي
انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء لانه انما ارسل اليهم
ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا انتهى وقال الشيخ دعاء
موسى كدعاء نوح حيث اخبره الله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا وذكر ابن حجر في كتاب الاعلام بقواطع الاسلام ما نصه وقد تمنى موسى صلى الله عليه وسلم ان لا يؤمن
فرعون وزاد على التمني فدعا الله بذلك بقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم فلم يضره ذلك ولا عاتبه الله عليه ولا زجره عنه انتهى قوله تعالى **فاستقيما** اي فاثبتا على
ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم
بعد الدعاء اربعين سنة قلت وانما اخر المطلوب الى اربعين سنة ليزدادوا ظلما فيزدادوا عذابا قال
الشيخ معناه اثبتا على تبليغ الرسالة وامضيا لامري الى ان يأتيهم العذاب **ولا تتبعان** قرأ العامة
بتشديد التاء والنون وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة مع تشديد
التاء وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية فلا للنفي والنون للتأكيد ولا تتبعان بتخفيف
التاء والنون من تبع ولا تتبعان ايضا بتخفيف التاء وتشديد النون **سبيل الذين لا يعلمون** المعنى
لا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي وصدق اجابتي فان وعدي بقوله دعوتكما لا خلف
فيه ووعدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا في اجابة الدعاء فان الامر مرهون باوقاتها
فلا تسألن ما ليس لك به علم ولما سأل نوح عليه السلام عن حال كنعان قال الله فلا تسألن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال الامام فخر الدين ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من
موسى وهارون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله تعالى **وجاوزنا**
ببني اسرائيل البحر اي وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرناهم وجعلناهم مجاوزين بان جعلناه يبسا و
حفظناهم حتى جاوزوه وعبروه والبحر هو بحر قلزم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل
كضعف وضاعف وفي الغاية وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جزت المكان وجاوزته اذا خلفته
وفي الآية دليل على خلق الافعال **فاتبعهم فرعون وجنوده** يعني لحقهم وادركهم يقال اتبعته اي
مشيت خلفه حتى اتبعته اي لحقته **بغيا وعدوا** وفي اللباب معناه اي ظلما وعدوانا وقيل
البغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل وقال البيضاوي

Copyright King Saud University

اى باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ عدوًّا قال اهل التفسير لما اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان
وسبعون ولما خرج بنو اسرائيل مع موسى وهارون من مصر وهم ستماية الف وذلك لما اجاب الله دعاء موسى
وهارون امره بالخروج ببنى اسرائيل من مصر فى الوقت الذى امره ان يخرج فيه ويسّر لهم اسباب الخروج
وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما ادركهم
فرعون قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون من ورائنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء
العظيم فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
وكشف عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان فى عسكره
ثمان ماية الف حصان على لونه حصانه سوى ساير الالوان وكان يقدمهم جبريل عليه السلام وهو
على فرس انثى وذيّق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل
بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده اذا تكاملوا
جميعا فى البحر وهمّ اولهم بالخروج التطم البحر عليهم **حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ** اى لحقه والضمير لفرعون
قال البغوى اى غمره الماء وقرب هلاكه وفى الغاية اى قارب به الغرق وبدت اسبابه وعلاماته وقيل الغرق
بفتح الراء غمرة الماء قبل الهلاك وبالسكون هو الهلاك **قَالَ** فرعون **ءَامَنتُ** اى صدقت **أَنَّهُۥ** اى بانه
وفى المدارك ولا وقف على قوله ادركه الغرق وجواب اذا قوله قال امنت انه قرا حمزة والكسائى انه بالكسر على
اضمار القول تقديره قال امنت فقال انه فيكون هذا القول مفسرا لقوله امنت او على الاستيناف بدلا وتفسيرا
لقوله امنت وقرا الباقون بالفتح **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**
قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل كذا فى اللباب قال البيضاوى
فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل انتهى قالوا انما كرر فرعون معنى الواحد ثلث
مرات فى ثلث عبارات حرصا على القبول المفضى الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات وانى
ما هو آت ثم لم يقبل الله منه حيث اخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار وقال
السيوطى كرر معنى الواحد ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل فى فيه من حماة البحر مخافة ان تناله الرحمة وقال
له الان تؤمن انتهى وقال البغوى بعد قوله وانا من المسلمين فدس جبريل فى فيه من حماة البحر وقال
وذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى فى غنيته بان فرعون مخلد فى النار وذلك فى فصل الاخلاص وساق فيه
الكلام الى ان قال فالا سعر وحلاله المنافقين فى الدرك الاسفل يعنى فى الهاوية مع فرعون وهامان
وقومهما وقال فى محل اخر بانه تحت ابى جهل فى النار بدرجة وذكر ايضا فى فصل فضايل عاشوراء الى ان
قال وما هلك فيه اعداء هم الكفار من فرعون وقومه وغيرهم وذكر ايضا فى فصل واولى ما يستعان به
على محاربة الشيطان وساق فيه الكلام الى ان قال وربما سلب اخر عمره فيخلد مع الشيطان فى النار يوم القيمة
ومع فرعون وقارون وهامان نعوذ بالله من سلب الايمان ومتابعة الشيطان فى السر والاعلان
وذكر ايضا فى الفصل الذى ذكر فيه معنى قوله تعالى فاذكرونى اذكركم وساق فيه الكلام الى ان قال وقال
سلمان الفارسى رضى الله عنه ان العبد اذا كان دعاء فى السراء فاذا نزل به البلاء قالت الملئكة يا رب
عبدك نزل به البلاء فيشفعون له فيجيبه الله واذا لم يكن دعاء قالوا الان فلا يشفعون له فيا نه قصة فرعون الان

الآن وقد عصيت قبل انتهى وسيأتيك الايات والاحاديث الصحاح فى موته على الكفر ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قال الشيخ فى معنى وانا من المسلمين
اى الذين اسلموا نفوسهم لله تعالى اى جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بنى اسرائيل خاصة
واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول معطوفة على امنت وايثار الاسمية
لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى يحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اى امنت مخلصا لله منتظما
فى سلك الراسخين فيه ورأيت ورقتين صغيرتين ونصف صحيفة مع واحد من الجوالة الذين ضلوا
تحفة المرسلة الى روح النبى وامته وتن تكدوا حين دخل عليهم هذه التحفة فياليتهم لم يتحف اللهم
انى اعوذ بك من تحفة فيها حتف المسلمين واضلالهم وكانت فيها كلمات غير منتظمة لقواعد الصوفية لعلها
محمد بن فضل الله الهندى البرهانپورى اولها اعلموا اخوانى اسعدكم الله ان الحق هو الوجود وساق الكلام
الى ان قال واحد ذلك الوجود واللباس مختلفة ومتعددة ومراده من هذه الكلمات اظهار فضله بانه
يفهم كلام ابن العربى وهيهات هيهات قد فات ما فات نبهنا الله من نوم الغفلة وفى تلك الورقتين
ايضا كلمات مؤول له على غير مراد الله ورسوله واجماع المسلمين وقد نسبوا الى الملحد وانى حاشا ثم حاشا بان
يكون من من لغاته ومما قال فى تلك الورقة ان هذا القول يعنى ما اتى به فرعون من التوحيد عاقلا عند استقامة
عقله لا انه حالة الغرق قلت والله يكذبه حيث يقول حتى اذا ادركه الغرق وسيأتيك احاديث كثيرة فى معنى
الغرق وبقية الكلمات المؤولة والاقوال المزيفة على هذا المنوال ولنرجع الى المقصود فان قيل ان الانسان اذا
وقع فى الغرق لا يمكنه ان يتلفظ بهذه الكلمات فكيف حكى الله عنه انه ذكر ذلك فالجواب ان الكلام نفسى
لا قولى فذكر هذا الكلام بالنفس لانه لما التطم عليهم البحر ظهر اصبع من اصابع اللعين على ظاهر البحر
يشير الى التوحيد فضربه جبريل كما سيأتى فى رواية او ان المراد بالغرق مقدماته فان قيل ان فرعون
كرر معنى الايمان ثلث مرات بثلث عبارات حيث قال اولا امنت وثانيا انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل
وثالثا وانا من المسلمين فما السبب فى عدم قبول ايمانه فالجواب من وجوه الاول انما امن عند نزول العذاب
والايمان فى هذا الوقت غير مقبول بدليل قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا فايمانه كايمان من امن
عند معاينة العذاب يوم القيمة والثانى ان الله اخبر عن فرعون بعد تحقق جهره وموته انه من اهل النار فى
ايات عديدة كقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا اى الملأ امر
فرعون وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امره لقومه رشد فقط يقدم قومه يوم القيمة اى يتقدمهم وهم
على عقبه فاوردهم النار اى فادخلهم لا محالة فيها يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى
النار وهم يتبعونه وبئس الورد المورود يعنى بئس الورد الذى وردوه واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة
اى ويلعنون على لسان اهل الحق فى الدنيا ويلعنون فى الاخرة بئس الرفد المرفود اى رفدهم يعنى العون
المعان او بئس العطاء المعطى وكقوله تعالى وحاق اى نزل بال فرعون قال ابو السعود المفتى يعنى نزل
بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك
قلت وذلك لانه ادعى الربوبية دونهم قوله سوء العذاب اى الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا كانه قيل وما سوء العذاب فقيل النار يعرضون استيناف للبيان ويوم تقوم الساعة اى

Copyright King Saud University

ى ويقول للقبة يوم القيمة بعدما يقدم فرعون قومه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم فانه اشد
ما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وكقوله تعالى فصب عليهم ربك سوط
عذاب اى عذابا دايما بشير به الى فرعون ومن ذكر قبله من الكفرة والآيات فى الباب كثيرة والله الهادى
والثالث ان اقرار فرعون كان تقليدا فانه قال لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل ولم يقل امنت برب العالمين
رب موسى وهارون كما قال السحرة فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بنى اسرائيل ان للعالم الها فاقر
بذلك الاله الذى سمع من بنى اسرائيل انهم يقرون بوجوده وهذا محض التقليد قيل انه كان من الدهرية
المنكرين لوجود الصانع وفى القاموس الدهرى بفتح ويضم القايل ببقاء الدهر ولهذا كان يدعى الربوبية
ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول الا بالحجة القطعية اليقينية لا بالتقليد المحض والرابع ان جمهور بنى
اسرائيل كانوا يقولون بالتشبيه والتجسيم ولهذا اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم انه تعالى فى جسد ذلك العجل
فلما قال فرعون امنت بالذى امن به بنو اسرائيل فكانه امن بالاله الموصوف بالجسمية والحلول ومن اعتقد
ذلك فهو كافر فلذلك ما صح ايمانه والخامس ان الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى والاقرار بنبوة
موسى عليه السلام فلما اقر فرعون بالوحدانية ولم يقر بنبوة موسى لم يصح ايمانه كما لو قال الكافر الف مرة اشهد
ان لا اله الا الله لم يصح ايمانه حتى يقول معه واشهد ان محمدا رسول الله فكذا ههنا قال الاستاد فدلت
هذه الاية ان ايمان البأس ومعاينة العذاب غير مقبول وفى توبة البأس خلاف بين العلماء والاصح قبولها
لانبساط المعرفة السابقة بالايمان فى المؤمن بخلاف الكافر فانه لا معرفة له مع ربه حتى ينبسط عند البأس
فيرد ايمانه عليه والحاصل ان ايمان الكافر وتوبته عند معاينة الملكة والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل ان فرعون قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به
من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه
ما قال فى ذلك ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابها لحضور الموت ومعاينة الملكة قيل
آلآن قال البيضاوى اى اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار انتهى قال السمرقندى
اى اتؤمن فى هذا الوقت حين عاينت العذاب وقد عصيت قبل نزول العذاب وهذا موافق لقوله تعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن والقرآن يفسر بعضه
بعضا انتهى وفى المدارك اتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك وقيل
قال ذلك حين الجمه الغرق والعامل فيه اتؤمن انتهى وفى الغاية اتؤمن الآن وقد عصيت مدة عمرك
انتهى قال ابو السعود وقوله الآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل الآن وهو الى قوله تعالى
اية حكاية لما يجرى منه تعالى من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهر بالرد على وجه الانكار والتوبيخ
على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفى حذف فعل المذكور الخبر المحكى فى صورة الانشاء
من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روى من ان جبريل عليه السلام دس فاه عند
بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولى بالرد الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما
نقل انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم فلو رايتنى يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه
الرحمة الدنياوية اى النجاة التى هى طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم
يونس

يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر
اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة البأس
واليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد
فتدبر وحق العامل فى الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان
الى حد يمتنع قبوله فيه اى الآن تؤمن حين يئست من الحياة وايقنت بالممات انتهى وقد عصيت
قبل اى قبل هذا الوقت مدة عمرك وكنت من المفسدين اى من الضالين المضلين عن
الايمان لقوله تعالى واضل فرعون قومه وما هدى قال الاستاد ابو السعود قوله وقد عصيت حال من فاعل
الفعل المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن
تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر فى دلايله واياته ولا لشئ اخر مما عسى
يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله وكنت
من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالين فى الضلال والاضلال
من الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من الظلم والتعدى وصد
بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به وفى اللباب الآن تتوب وقد اضعت
التوبة فى وقتها واثرت دنياك الفانية على الاخرة الباقية والمخاطب لفرعون بالآن هو جبريل
على المشهور وقيل ان القايل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد
فى الارض ويدل على هذا القول قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اى نخرجك من البحر بجسدك
عاريا بلا روح ونبعدك مما وقع فيه قومك من قعره ونجعلك على نجوة اى مكان مرتفع من
الارض ليراك بنو اسرائيل وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة والخلاص
لا الايمان الحقيقى فالخطاب ننجيك على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل ننجيك ولكن هذه
النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقرا يعقوب ننجيك من الانجاء وقرئ ننحيك اى نلقيك
بناحية الساحل قال الشيخ قوله ببدنك فى موضع الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك مصاحبا لجسد
عاريا عن الروح او كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير او ببدرعك وكان له درع مشهور
من الذهب مرصع بالجواهر يعرف به وقرئ بابدانك اى باجزاء بدنك كلها وقيل اتاه
جبريل يوما برقعة فيها ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته ثم لم يطلب من ذلك
منعم شيئا سوى انه يقر بانه عبده فابى وادعى السيادة دونه فكتب على الرقعة يغرق فى البحر
ابو العباس وليد بن مصعب فلما ادركه ناوله الرقعة فامن كمن امن بعد طلوع الشمس من
مغربها قال الله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله الاية قال الشيخ وقد علم جبريل من الله عز وجل
بان عدوه يموت كافرا ولا ينفعه ما جاء به من التوحيد وذلك كمن راى شخصا يصلى بلا وضوء
فقطع صلاته وفى الغاية اى نلقيك فى نجوة من الارض خاليا من الروح ليراك بنوا اسرائيل على

Copyright © King Saud University

الهيئة زيادة في سرورهم ولئلا يظن الجهلة انك نجوت من الغرق لكونك الها قال اهل التفسير لما
اغرق الله فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنوا اسرائيل ما مات
فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله
عز وجل البحر فالقى جيفة فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فرآه بنوا اسرائيل
فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال آمنت انه لا اله الا الذي
آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين قال جبريل عليه السلام يا محمد فلو رأيتني وانا آخذ من حال
البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي
رواية اخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في في فرعون الطين
خشية ان يقول لا اله الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح ومن الناس من اشكل الحديث وتكلم فيما فعل جبريل بفرعون فنقول في اثبات الحديث
وبيانه انه قد ورد هذا الحديث من طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول علي بن
زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا
ولكنه كان سيء الحفظ ويخلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع
عليه او خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن
عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخاري ورواه ايضا شعبة عن عطاء
ابن السايب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السايب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم
وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به او خولف فيه
وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم
وان كان فيهم من هو سيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث
الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك
في رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السايب
او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث
والحاصل ان الحديث قد صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وان
فعل ما فعل بامر الله ورضائه وان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء واهل السنة
يقولون ان الله يحول بين الكفار والايمان لقوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
ولقوله وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ولقوله تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فاخبر الله تعالى انه قلب افئدتهم على تركهم الايمان
به اول مرة وهكذا فعل بفرعون الذي هو عدوه وعدو كليمه وعدو روح الامين جبريل
سيد الملائكة منع الله العدو من الايمان عند الموت جزاء على تركه للايمان اولا قد سبق

الطين

٣ والظاهر من هذا الحديث بان جبريل قال الآن الخ
٣ اي طينه
٤ اي الامام فخر الدين الرازي
٥ اي الذي
٦ اي في اثبات القدر
٧ اي ختم الله
سبيلا

الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصرف الكافر وذلك جزاء
على كفره السابق وعلى كل حال فالله هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله
وقضائه وعلم من الله بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان
وحاشا لجبريل الامين ان ياتي بشيء من تلقاء نفسه والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال
عما يفعل واتفق السلف والخلف بان الخبيث مات كافرا ولنسرد لكم الاحاديث التي ذكرها
السيوطي في الدر المنثور برواياتها اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال لما خرج آخر
اصحاب موسى ودخل آخر اصحاب فرعون اوحى الى البحر ان انطبق عليهم فخرجت اصبع
فرعون بلا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل قال جبريل فعرفت ان الرب رحيم وخفت
ان تدركه الرحمة فرمسته بجناحي وقلت الآن وقد عصيت قبل فلما خرج موسى واصحابه
قال من تخلف في المدائن من قوم فرعون ما غرق فرعون ولا اصحابه ولكنهم في جزائر البحر
يتصيدون فاوحى الله الى البحر ان الفظ فرعون عريانا فلفظه عريانا اصلع اخنس قصيرا
فهو قوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية لمن قال ان فرعون لم يغرق وكانت نجاة
عبرة لم يكن نجاة عافية ثم اوحى الى البحر ان الفظ ما فيك فلفظهم على الساحل وكان البحر
لا يلفظ غريقا يبقى في بطنه حتى ياكله السمك فليس يقبل البحر غريقا الى يوم القيمة واخرج احمد والترمذي
وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردوية عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اغرق الله عز وجل فرعون قال آمنت انه لا اله
الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل قال لي جبريل يا محمد لو رايتني وانا آخذ من حال البحر فادسه في
فيه مخافة ان تدركه الرحمة واخرج الطيالسي والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر وابن
ابي حاتم وابن حبان وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقي في شعب الايمان
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل لو رايتني وانا آخذ من حال البحر
فادسه في في فرعون مخافة ان تدركه الرحمة واخرج ابن مردوية عن ابي صالح عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل قال لو رايتني وانا آخذ من حال البحر
فادسه في فيه حتى لا يتابع الدعاء لما اعلم من فضل رحمة الله واخرج الطبراني في
الاوسط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي جبريل ما كان على الارض شيء ابغض
الي من فرعون فلما آمن جعلت احشو فاه حماة وانا اغطه خشية ان تدركه الرحمة
واخرج ابن جرير والبيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لي جبريل لو رايتني يا محمد وانا اغط فرعون باحدى يدي وادس من
الحال في فيه مخافة ان تدركه رحمة الله فيغفر له واخرج ابن مردوية عن ابن عمر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لي جبريل ما غضب ربك على احد غضبه على فرعون
اذ قال ما علمت لكم من اله غيري واذ قال انا ربكم الاعلى فلما ادركه الغرق استغاث وبدأت
احشو فاه مخافة ان تدركه الرحمة واخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال كانت

٥ اي قدرة
٧ صحح الحديث
٨ اي جبريل بفرح بذلك
٩ اي طينه
١٣ اي الطين الاسود

عمامة جبريل يوم غرق فرعون سوداء واخرج ابو الشيخ عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لي جبريل ما ابغضت شيئا من خلق الله ما ابغضت ابليس يوم امر بالسجود فابى ان يسجد وما
ابغضت شيئا اشد بغضا من فرعون فلما كان يوم الغرق خفت ان يعتصم بكلمة الاخلاص
فينجو فاخذت قبضة من حماة فضربت بها في فيه فوجدت الله عليه اشد غضبا مني فامر
ميكايل فاتيته فقال الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين واخرج ابن ابي حاتم عن
السدي قال بعث الله اليه ميكايل ليعيره فقال الآن وقد عصيت قبل واخرج ابن المنذر
والطبراني في الاوسط عن ابي بكر الصديق قال اخبرت ان فرعون كان اثرم انتهى وذكر
ابن حجر في كتابه الزواجر ما نصه واخذ علماء الامة ومجتهدوها الذين عليهم المعول
من الاية الاولى اعني قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اجماعهم على كفر فرعون
ورواه الترمذي في تفسيره في سورة يونس عليه السلام من طريقين وقال في احدهما حديث حسن وفي
الاخر حديث حسن غريب صحيح وروى ابن عدي والطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال خلق الله يحيى بن
زكريا في بطن امه مومنا وخلق فرعون في بطن امه كافرا وفي الزواجر ايضا انما امن فرعون عند
نزول عذاب الاستيصال له ولقومه والايمان حينئذ غير نافع لما تقرر ان ايمانه انما كان تقليدا محضا
بدليل قوله الا الذي امنت به بنو اسرايل فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بني اسرايل
ان للعالم الها فامن بذلك الاله الذي سمع بني اسرايل يقرون بوجوده فامن به وهذا هو محض التقليد
على انه كان دهريا منكرا لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الخبيث البالغ نهاية القبح والفحش لا يزول
بتقليد محض بل لا بد في مزيله من ان يكون برهانا قطعيا وعلى التنزل فلا بد في اسلام الدهري
ونحوه ممن كان قد دان بشيء ان يقر ببطلان ذلك الشيء الذي كفر به فلو قال امنت بالذي لا اله
غيره لم يكن مسلما كما مر وفرعون لم يعترف ببطلان ما كان كفر به من نفي الصانع والهية نفسه
وقوله الا الذي امنت به بنو اسرايل لا يدرى ما الذي اراد به فاذا صرح الايمة في امنت بالذي لا اله
غيره بانه لا يحصل الايمان لاحتماله فكذا فيما قاله وعلى التنزل فالاجماع منعقد على ان الايمان
بالله مع عدم الايمان بالرسول لا يصح فلو سلمنا ان فرعون آمن بالله ايمانا صحيحا هو لم يومن بموسى
صلى الله عليه وسلم ولا تعرض له حينئذ اصلا فلم يكن ايمانه نافعا الا ترى ان الكافر لو قال الوفا
من المرات اشهد ان لا اله الا الله او الا الذي امن به المسلمون لا يكون مومنا حتى يقول وان محمدا
رسول الله فان قلت السحرة لم يتعرضوا في ايمانهم للايمان بموسى ومع ذلك قبل ايمانهم
قلت ممنوع بل تعرضوا لذلك بقولهم امنا برب العالمين رب موسى وهرون على ان ايمانهم حصل
ايمان بمعجزة موسى وهي العصا التي تلقفت ما صنعوا والايمان بالله مع الايمان بمعجزة الرسول
ايمان بالرسول فهم امنوا بموسى صريحا بخلاف فرعون لم يومن به صريحا ولا اشارة بل ذكر بني
اسرايل دون موسى مع انه الرسول الحق العارف بالاله وما يليق به والهادي له طريقه فيه اشارة
الى بقائه على كفره به فان قلت فقد صرح القاضي عبد الصمد من الحنفية في تفسيره ان مذهب
الصوفية ان الايمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب وهذا يدل على انه مذهب قديم لان

القاضي

القاضي المذكور وهو متقدم كان موجودا اوايل المائة الخامسة في سنة ثلثين واربعماية قال الذهبي
والحد الفاصل بين العلماء المتقدمين والمتاخرين راس القرن الثالث وهو الثلثمائة واذا كان
مذهب الصوفية ذلك فكيف ساغ الاجماع على كفر فرعون قلت لو سلمنا صحة ذلك عن الصوفية
الذين هم من اهل الاجتهاد المعول عليهم حتى لا ينعقد الاجماع مع مخالفتهم لم يرد ذلك علينا
ولم يختل به ما قدمناه من اجماع الامة على كفر فرعون لانا لم نحكم بكفره لاجل ايمانه الباس فحسب
بل لما انضم اليه من انه لم يومن بالله ايمانا صحيحا وعلى التنزل فهو لم يومن بموسى اصلا فلا يرد ما
حكي عن مذهب الصوفية على ما قررناه فان قلت قد قال محي الدين بن عربي في فتوحاته المكية بصحة
الايمان عند الاضطرار وان فرعون مومن فانه قال ما حاصله لما حال الغرق بين فرعون وبين
اطماعه لجا الى الله تعالى ولحما اعطاه باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار فقال امنت انه
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل لرفع الاشكال كما قالت السحرة لما امنت آمنا برب العالمين
رب موسى وهارون لرفع الارتياب وازاحة الاشكال ثم قال وانا من المسلمين فخاطبه بلسان
العتب الآن اظهرت ما كنت قبل علمته وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين في اتباعك
فاليوم ننجيك فبشره قبل قبض روحه لتكون لمن خلفك اية اي لتكون النجاة علامة له اذا قال
ما قلته كانت له النجاة مثل ما كانت لك اذ العذاب ما يتعلق الا بظاهرك وقد اريت نجاته من
العذاب فكان ابتداء الغرق عذابا وصارت الموت فيه شهادة خالصة كل ذلك حتى لا ييئس
احد من رحمة الله فانه لا ييئس من رحمة الله الا القوم الكافرون والاعمال بالخواتيم واما قوله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فكلام محقق في غاية الوضوح فان النافع هو الله
فما نفعهم الا الله وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده عند روية الباس وانما قبض فرعون
ولم يوخر عن حال ايمانه لئلا يرجع الى ما كان عليه من الدعوى واما قوله فاوردهم النار ففيه نص انه يدخلها
معهم بل قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون ورحمة الله اوسع من حيث لا يقبل ايمان المضطر واي اضطرار اعظم
من اضطرار فرعون في حال الغرق والله تعالى يقول امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فقرن للمضطر
اذا دعاه الاجابة وكشف السوء عنه فلم يك عذابه اكثر من الغرق في الماء انتهى فهل هذا الكلام مقرر او مردود
فما وجه رده قلت ليس هذا الكلام مقررا واي كنا نعتقد جلالة قايله فان العصمة ليست الا للانبياء وقد
قال مالك رضي الله عنه وغيره ما من احد الا ماخوذ من قوله ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله
عليه وسلم على انه قد نقل عن بعض كتب ذلك الامام انه صرح فيها بان فرعون مع هامان وقارون في النار
اقول وهو يحكم في نفس فتوحاته المكية في اربع محلات ما نكا فرا مخلدا في النار فكيف يحكم على الشهيد بل
النار ويحكم عليه بدخوله الجنة ولنرجع الى كلام ابن حجر فقال واذا اختلف كلام عالم فيوخذ منه بما
يوافق الادلة الظاهرة ويعرض عما خالفها بل قد تقرر لك ان الآية وحديث الترمذي الصحيح صريحان في بطلان
الايمان عند الباس فلا يلتفت بعد ذلك الى ما مر من تاويل فلم تك ينفعهم ايمانهم بان النافع هو الله ايضا
فمما يبطل هذا التاويل ان اصطلاح القران والسنة اضافة الاشياء الى اسبابها فاذا قيل لا ينفع الايمان فليس
معناه الشرعي الا الحكم عليه بانه باطل لا يعتد به واي معنى سوغ لهذا القايل ان يخص نفع الله بهذه الحالة

Copyright © King Saud University

التي هي حالة وقوع العذاب مع النظر الى ما هو الحق الواقع من ان الله هو النافع حقيقة في كل وقت
ولو نفعهم لما استاصلهم بالعذاب وقوله تعالى وخسر هنالك الكافرون مع الايمان على الكفر وكفى
بتفسير ائمة الصحابة والتابعين فمن بعدهم الموافق للحديث الصحيح وللاجماع السابقين الاية بما يوافق ما ذكرناه
واذا ثبت واتضح انه لا يصح ايمان الباس ثبت ان ايمان فرعون لا يصح على انا قد منا انا لو قلنا بصحة
ايمان الباس فالاية دالة على انه لا يصح ايمانه ايضا لعدم ايمانه بموسى وهارون صلى الله عليهما وسلم اجلالا
السهو ومن تامل صيغة ايمانه مع صيغة ايمانهم المحكيين عنهما في القرآن علم اتضاح ما بين الايمانين
فلا يصغ الى قياس احدهما على الاخر وقوله لجا الى الله مما اعطاه باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار
عجيب واي ذلة وافتقار كان عليها باطنه وهو ينكر ربوبية رب الارباب ويعتقد انه الاله المطلق
الرب الاكبر ويؤذي موسى ويعاند ثم هو في ذلك الاكابي جهل ومن ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرعون هذه الامة وبتسليم ان باطنه كان عليها فاي نفع لهما مع عدم الايمان الصحيح وقوله آلآن
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين على العتب في غاية البعد اذ لو صح ايمانه واسلامه لكان
الانسب بمقام الفضل الذي طمح اليه نظر الشيخ ان يقال له الآن نقبلك ونكرمك لاستلزام
صحة ايمانه رضى الحق عنه ومن وقع له ذلك الرضى لا يليق ان يقال له باعتبار رعاية مقام الفضل
جوابا لايمانه الصحيح آلآن وقد عصيت وكنت من المفسدين لان كل احد في رؤيته وسليقته
بان هذا الخطاب انما يخاطب به المغضوب عليه لا المرضى عنه وتخصيص وكنت من المفسدين بما
يأباه هذا السياق الذي تقرر لانه اذ صح ايمانه محي عنه ما عصاه وافسده في اتباعه
فكيف مع ذلك المحو العظيم يعاتب ويخاطب بذلك التانيب المحض والتقريع الصرف والتوبيخ
فلم يكن هذا الا لاقامة اعظم نواميس الغضب عليه وتذكيره بقبايحه التي قدمها واعلامه
بانها هي التي منعته النطق بالايمان الى اخر رمق منه فلم ينفعه النطق بها حينئذ سيما وهو بان
على تكذيبه برسوله وعناده لاياته واعراضه عن جنابه وتخصيص النجاة بالبدن اعد
شاهد على انه لم يرد بها الا ما قاله المفسرون واطبق عليه المعتبرون من انهم لم يصدقوا
بغرقه سيما مع دعواه الالهية وان مثله لا يموت فالقي بنجوة من الارض اي بربوة مرتفعة وعليه
درعه ليعرف بها والعرب تطلق البدن على الدرع وكان له درع يعرف بها ويعضده القراءة الشاذة
بابدانك اي دروعك لانه كان يلبس كثيرا منها خوفا على نفسه او وهو عريان لا شيء يستره او
انه بدن بلا روح ولا ينافيه القراءة المذكورة لانه عليها جعل كل جزء من بدنه المخذول بدنا على
حد شابت مفارقه وقرئ شاذا ايضا ننحيك بالحاء المهملة اي نلقيك بناحية مما يلي البحر قال
المفسرون رماه الى جانب البحر كالثور ليكون لمن خلفه من بني اسرائيل وغيرهم علامة على ان
مثله ممن تجبر وتكبر على الله لابد وان يقصم ويوخذ على غاية من الذلة والمهانة لينتهي
الناس عن مثل طريقته مع ما في تخصيصه من بين ساير قومه بالاخراج من الدلالة على باهر
قدرة الله تعالى وصدق موسى فيما جاء به ثم ختم الله تعالى هذا المقام بقوله وان كثيرا
كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون زجرا لهذه الامة المحمدية عن الاعراض عن التامل والتعقل

لهم على الناس فيها ولا اعتبار بها كما قال الله لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وذكر ابن حجر في
زواجره ما نصه ومذهب اهل الحق ان الايمان لا ينفع عند الغرغرة ولا عند معاينة عذاب الاستيصال
قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون
نعم يستثنى من ذلك قوم يونس لقوله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين بناء على ان الاستثناء متصل وان ايمانهم كان عند معاينة عذاب
الاستيصال وهو قول عليه بعض المفسرين وعليه فوجه استثنائهم ان ذلك وقع كرامة وخصوصية
لنبيهم فلا يقاس عليها الا ترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم قد اكرمه الله تعالى بحياة ابويه رضي الله
عنهما له عليه السلام حتى آمنا به كما جاء في حديث صححه القرطبي وابن ناصر الدين حافظ الشام
وغيرهما نفعهما الله تعالى بالايمان بعد الموت على خلاف القاعدة اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم والخصوصيات
لا يقاس عليها ونازع بعضهم في خبر احياء ابويه صلى الله عليه وسلم واطال فيه بما رددته عليه في
الفتاوى انتهى ولنرجع الى ما نحن فيه قال الامام البغوي في معنى قوله تعالى لتكون لمن خلفك
آية اي عبرة وعظة قال البيضاوي اي لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم
من عظمة ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه
مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء
الملك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كساير الآيات فان افراده
اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل
على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا يحتمل على المستهزى وان كثيرا من الناس
اي من اهل مكة عن آياتنا لغافلون اي لا يعتبرون بها ولا يتفكرون فيها ولقد بوانا
اي انزلنا واسكنا بعد هلاك فرعون بني اسرائيل مبوأ صدق اي منزلا صالحا مرضيا
اي مسكن رفق وكرامة وهو الشام ومصر وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا
مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان
الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وفي الغاية والمراد بمبوأ صدق هو الشام
لكونه موطن اهل صدق اعني الانبياء او المحشر يكون فيه يوم القيمة وقيل هو مصر فانهم سكنوا فيها
بعد فرعون او وجه كونه منزل صدق انهم هناك وجدوا النجاة وبها غرق فرعون بموضع
يسمى سويس على ثلاث مراحل منها واسم موضع الغرق في زماننا قلزم وهو اخوف امكنة في بحر
قلزم ورزقناهم اي رزقنا بني اسرائيل من الطيبات من الحلالات واللذايذ يعني كان الله اورث
بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره وهو كلام
مستانف لبيان النعم الفايضة عليهم اثر نعمة الانجاء فما اختلفوا بني اسرائيل في امر دينهم
بان آمن بعضهم وكفر بعضهم حتى جاءهم العلم اي الا من بعد ما قرءوا التورية وعلموا احكامها
فانهم اختلفوا من بعد يوشع بن نون آمن بعض وكفر بعض والمعنى ما اختلف اليهود الذين

Copyright © King Saud University

الذين كانوا في عهد محمد صلى الله عليه وسلم في تصديقه انه رسول الله فقال البعض انه حق كعبد الله بن سلام
واصحابه وقال البعض انه ليس بحق وغيروا نعوته بغيا وحسدا الامن بعدما علموا صدقه بنعوته وبظهور
معجزاته ان ربك يا محمد يقضي بما يرفع النزاع بينهم يوم القيمة باثابة البعض ومعاقبة
البعض يعني بانجاء المومنين وتعذيب الكافرين فيما كانوا فيه يختلفون من امرك وامر نبوتك
تلخيصه فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك وكتم نعوتك النار وقوله تعالى فان كنت
في شك مما انزلنا اليك هذا كلام على سبيل الفرض والتقدير يعني فان كنت يا محمد في شك
من حقيقة ما اخبرناك به من القصص على سبيل الفرض والتقدير وفي الدر المنثور قال ابن عباس اذا حسنت
ووجدت بشيء من الشك فقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وفي اللباب معناه
مما انزلنا اليك من القران قال الشيخ وان كنت يا محمد في شك ما يسير على الفرض والتقدير من القصص التي
من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسال الخ وانما قلنا على الفرض والتقدير فان مضمون
القضية الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا
كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا تكون منقسمة الى المتساويين وكقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين وكقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ونظايرهما فاسئل الذين يقرءون الكتاب
التورية من قبلك يعني علماء اهل الكتاب فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدق ما انزلنا اليك
ويخبرونك ايضا انك مكتوب عندهم في التورية والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم قال
صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا ارتاب تلخيص الكلام ان الذي انزلنا اليك محقق عند اهل الكتاب ثابت
في كتبهم حسبما القينا اليك والاستشهاد اظهار ذلك بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها
لا وصف الرسول عليه السلام بالشك نزلت الاية حين قالت كفار قريش ان هذا الوحي يلقي اليه الشيطان
او تهييج الرسول وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين والبعث على طلب المزيد فيه كما تقول لمن تجتهد
في مزاولة امر وانت تريد مزيد تعنته عليه اراك توانيت عن هذا وقعدت عليه تريد تهييجه في
تحريكه لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسأل قال المفسرون علم الله
ان رسوله غير شاك لكنه ذكر ذلك على عادة العرب بقول الواحد لعبده ان كنت عبدي فاطعني
ويقول لولده افعل كذا ان كنت ولدي ولا يكون ذلك شكا او المراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم
بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيما انزل واحسن الاجوبة عندي
ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفا احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس وغيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فقال هذا الآية
عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير
والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا تم كلام القاضي عياض رحمه الله قلت وان كان في الظاهر الخطاب مع النبي لكن المراد به غيره
كما في قوله لئن اشركت ومعلوم من النبي بالضرورة ما خطر بباله شك اصلا فكيف الشرك فثبت ان المراد
بالخطاب غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمع يا جارة فالمعنى على هذا قل يا محمد يا ايها الانسان الشاك

ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين يقرءون الكتاب يخبروك
بصحته والدليل على ما قلنا قوله تعالى في اخر هذه السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية
وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وبعضهم احسن كلام الزجاج ولكن لا يخلو عن سؤال فالاولى هو الذي
مر من قبل من كلام العياض ومن نحا نحوه وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت للنفي لا للشك ومعناه
وما انت في شك مما انزلنا حتى تسال فلا تسال ولئن سالت لازددت يقينا وكقوله ان الكافرون
الا في غرور ولا يلزم ان يكون بعدان النافية الا كقوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده فان نافية وليس
بعدها الا فان قيل اذا كان الخطاب للناس فلم وحد الله الضمير في قوله فان كنت قلت مراده عز وجل
الجميع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الاية انسانا
بعينه قوله تعالى لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم
تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك
والمعنى جاءك الحق وهو القران الذي انزلت اليك لا ريب في حقيته وظهر ذلك بالايات القاطعة التي لا يحوم
حولها شائبة الارتياب فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك يعني لا مر
للمرية فيه بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
اي بدلايله وبراهينه الواضحة وكلا النهيين من باب تهييج الله نبيه بالثبات على ما عليه من اليقين
والمعنى دم واثبت على ما انت عليه من انتفاء المرية والتكذيب بايات الله فتكون من الخاسرين اي
الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به غيره ممن له شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بايات الله البتة
فثبت بذلك ان المراد غيره والله اعلم قال البيضاوي وهذا ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الطمع
عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء
فلا يتغير وعبادا قضى لهم بالكرامة فلا يتغير فقال ان الذين حقت اي وجبت وثبتت عليهم كلمة
ربك اي حكم ربك وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول
مني لاملان جهنم الاية او كما في الحديث خلقت هولاء للنار ولا ابالي وقيل معنى كلمة ربك اي سخطه ولعنته
وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل انهم لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه
واعلم ان قضاء الله عند الاشاعرة هو ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي فيما لا يزال وقدره
ايجاده تعالى اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها وبهذه الاية استدل اصحابنا
على اثبات القضاء والقدر ولا وقف على قوله لا يؤمنون لان قوله ولو جاءتهم كل اية
يتعلق بما قبلها والمعنى ولو جاءتهم كل علامة دالة على التوحيد فانهم لا يؤمنون بها لان السبب الذي
لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى
قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء قال البيضاوي وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون
قلت وذلك عند الباس واليأس فلا يقبلهم قوله تعالى فلولا كانت هذا كلام مستانف لتقرير ما سبق

من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء التى
بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ليس ممن حقت عليهم الكلمة لاهتدائهم الى التدارك فى وقته بخلاف
فرعون فانه اخر الايمان الى ان اخذ بمخنقه ولولا تحضيضية توبيخية ومعناه هلا وقيل ان لولا هنا
بمعنى ما النافية يعنى فما كانت **قرية** يعنى فهلا كانت قرية واحدة من القرى العاصية التى اهلكنا اهلها
امنت اى تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب وفى اللباب عند معاينة العذاب
ولم يؤخر كما اخر فرعون الى ان لحقه الغرق **فنفعها ايمانها** اى نفع اهل ذلك القرية تصديقهم
ورسوله عند الياس كما فى اللباب او فى وقت الاختيار كما فى المدارك بان يقبل الله منها ويكشف العذاب
عنها **الا قوم يونس** هذا استثناء منقطع يعنى لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم وقيل
الاستثناء متصل والجملة فى معنى النفى كانه قيل ما امنت قرية من القرى العاصية الهالكة الا قوم
يونس وانتصابه على الاستثناء **لما امنوا** اى لما اخلصوا الايمان عند رؤية امارة العذاب
ولم يؤخروا الى حلوله **كشفنا عنهم عذاب الخزى** اى الذل والهوان **فى الحيوة
الدنيا** اى بعد ما اظلهم اماراته **ومتعناهم الى حين** يعنى ومتعناهم بمتاع الدنيا
بعد كشف العذاب الى وقت انقضاء آجالهم وفى اللباب واختلفوا هل راوا العذاب عيانا ام لا
فقال بعضهم راوا دليل العذاب فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله تعالى
كشفنا عنهم عذاب الخزى والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه ذكر القصة
فى ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس
كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس
عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له
اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا
قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان
جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال
ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثى ميل
فلما دعوا كشف الله عنهم وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب
كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا
فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم
يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس
والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات
وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية
ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم
عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان

الرجل

لياتى الى الحجر قد وضع اساس بنيانه فيقلعه فيرده وروى الطبرى بسنده واخرج احمد ايضا
فى الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن ابى الجلد جيلان قال لما غشى قوم
يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال
قولوا يا حى حين لا حى • ويا حى محيى الموتى • ويا حى لا اله الا انت • فقالوها فكشف الله عنهم العذاب
ومتعوا الى حين يقول الكاتب محمود بن محمد بن على رايت شيخى وقدوتى الشيخ عبد القادر قدس سره فى
المنام فقال لى اسم الاعظم يا حى يا قيوم لا اله الا انت وانى قد جربت فوجدت الفائدة وقال الفضيل
ابن عياض رحمه الله انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا
ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل
له ارجع الى قومك قال كيف ارجع اليهم فيجدونى كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف
اليهم مغاضبا فاتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير اجرة فلما دخلها وتوسطت ولججت
وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم قال اهل السفينة ان لسفينتنا لشانا قال يونس قد عرفت شانها
ركبها رجل ذو خطيئة قالوا ومن هو قال انا اقذفونى فى البحر قالوا ما كنا لنطرحك من بيننا
حتى نعذر فى شانك فاستهموا فاقترعوا ثلاث مرات فادحض سهمه والحوت عند رجل السفينة
فاغرا فاه ينتظر امر ربه فيه فقال انكم والله لتهلكن جميعا او لتطرحنى فيه فطرحوه فيه وانطلق
واخذه الحوت وقال ابن عباس والبحر هو بحر الروم وفى رواية جاء حوت اخر اكبر منه فابتلع هذا الحوت
واوحى الله الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فانى جعلت بطنك سجنه فلم اجعله طعاما لكم وانما جعلت
بطنك حرزا او مسجدا وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه ابتلعه الحوت فاهوى به الى قرار الارض
وكان فى بطنه اربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى فى الظلمات لا اله الا انت سبحانك انى كنت
من الظالمين فاجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فانبت الله عليه
شجرة من يقطين وهو الدباء يعنى القرع فجعل يستظل تحتها ووكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست
الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه تبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف او يزيدون اردت
ان اهلكهم فخرج يونس فاذا بغلام يرعى فقال من انت يا غلام قال من قوم يونس قال اذا رجعت
اليهم فاخبرهم انى لقيت يونس قال قد تعلم انه ان لم يكن لى بينة قتلت فقال يونس تشهد لك
هذه البقعة وهذه الشجرة فقال له الغلام فمرهما فقال يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له
قالتا نعم فرجع الغلام فقال لقيت يونس فامر الملك بقتله فقال ان لى بينة فارسلوا معى فاتى البقعة
والشجرة فقال انشدكما هل اشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك تشهد
له الشجرة والارض فاخذ الملك بيد الغلام فاجلسه فى مجلسه وقال انت احق بهذا المكان منى فاقام
امرهم ذلك الغلام اربعين سنة والله اعلم وقد ذكر بعض العلماء قصة يونس فى سورة الصافات
ونرجو الله ان نذكر هناك ان تيسر بعض ما بقى من قصته على اختلاف الروايات والله ذو الفضل العظيم
فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب
عن فرعون حين امن ولم يقبل توبته قلت اجاب العلماء المعول على اقوالهم عن هذا باجوبة

Copyright © King Saud University

احدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون
ما آمن الا بعد ما باشره العذاب وهو وقت اليأس واليأس من الحياة وقوم يونس عليه السلام
دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب
الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون لانه ما صدق
في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه والله اعلم قوله تعالى **ولو شاء ربك لآمن من في الارض**
جميعا يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في
الارض كلهم جميعا ولكن لا يشاء ان يصدقك بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل
انه لا يؤمن به الا من سبق له من الله سعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق من الله الشقاء
في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره انه لا يؤمن
به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم والآية دليل على القدرية في انه تعالى
لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة واول القدرية المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر
واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه الرسول صلى الله عليه وسلم منهم وهو الايمان المنوط به
التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف وفي المدارك وقول المعتزلة المراد بالمشية مشية
القسر والالجاء اي لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله
افانت تكره الناس بما لم يشاءه الله منهم **حتى يكونوا مؤمنين** اي ليس اليك مشية الاكراه
والجبر في الايمان انما ذلك الي فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله لا يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك
الاختيار وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفا لو اعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون
فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في افانت بمعنى النفي اي لا يمكنك انت يا محمد ان تكرههم على الايمان
لا يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق لتخصيصه ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه او تحرص
عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشية الله وقضائه وقدره ليس لاحد ذلك سواه **وما كان لنفس**
ان تؤمن الا باذن الله يعني وما كان ينبغي وما صح ولا امكن لنفس خلقها الله تعالى ان تؤمن وتصدق
الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس يعني باذن الله بامر
وقال عطاء بمشية الله قال البيضاوي معناه بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهدن نفسك في هداها
فانه الى الله **ويجعل الرجس** اي العذاب او الخذلان لانه سببه وقرئ بالزاي دون السين وقرأ ابو بكر
ونجعل بالنون على سبيل العظمة اي ونحن نجعل وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله وقال ابن عباس الرجس السخط
على الذين لا يعقلون اي لا يفهمون عن الله امره ونهيه لا يتدبرون آيات الله وفي الغاية ناظر الى
قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون لانهم لا يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات والآيات
ليوديهم الى العلم بوحدة موجدها ولذلك قال **قل** لكفار مكة **انظروا** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الذين يسألونك الآيات انظروا وتفكروا بقلوبكم نظر اعتبار وتدبر قرأ عاصم وحمزة بكسر اللام لالتقاء
الساكنين والباقون بضمها نقلوا حركة الهمزة الى اللام **ماذا في السموات والارض** اي اي شيء بديع

خلق الله في السموات والارض من عجائب الصنع والعبر وبدائع الآيات الدالة على وحدانيته ففي السماء
الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم تسخيرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء
وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آيات دالات على وحدانية الله
عز وجل وانه خالقها ومبدعها كما قال الشاعر ❊ وفي كل شيء له آية ❊ تدل على انه واحد ❊ وجعل
ماذا بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان
يكون ما الاستفهامية مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر المبتدأ وعلى التقديرين لا تكون
الجملة الاسمية مفعول انظر لكونه معلقا عنها بالاستفهام ثم ذكر ان التفكر والتدبر في الدلائل
الآفاقية والانفسية لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال عز من قائل **وما تغني**
الآيات والنذر ما نافية وقيل استفهامية اي وما تفيد ولا تنفع هذه الآيات والحجج والنذر اعني الرسل
جمع نذير صفة بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار **عن قوم لا يؤمنون** اي عند قوم لا يصدقون
بالله وآياته ورسله وهذا في حق اقوام علم الله انهم لا يؤمنون بما سبق لهم في الازل من الشقاء و
اختيارهم الكفر والمعنى على الاستفهام اي اي شيء تنفع الآيات والنذر عند قوم يموتون
على الكفر لاختيارهم ذلك في علم الله وحكمه واخرج ابو الشيخ عن السدي وما تغني الآيات والنذر عن
قوم يقول عند قوم لا يؤمنون نسخت قوله حكمة بالغة فما تغن النذر ثم هدد كفار مكة بقوله **فهل**
ينتظرون يعني ما يترقبون مشركي مكة بتكذيبك وعدم الايمان بك **الا مثل ايام الذين خلوا**
اي مضوا **من قبلهم** يعني من مضى قبل كفار مكة من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة اراد
بايام الذين خلوا وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود يقال ايام العرب لحروبها والعرب تسمي العذاب
اياما والنعم ايضا اياما كقوله وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد
الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلت بالامم الماضية المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون
ذلك العذاب **قل فانتظروا** اي قل لهم يا محمد فارتقبوا العذاب والهلاك **اني معكم من**
المنتظرين لذلك العذاب او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين لهلاككم قال الربيع بن انس خوفهم
عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب
وهو قوله عز وجل **ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا** عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام
الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم من الهلاك والعذاب على حكاية
الحال الماضية قوله ننجي بالتشديد وقرئ بالتخفيف **كذلك حقا علينا ننج المؤمنين**
اي كما انجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك
من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسل والمؤمنين
من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحيث الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق
لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا قوله حقا اعتراض بين العامل والمعمول ونصبه بفعله
المقدر اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف
متعلقة بقوله تعالى ننجي المؤمنين وقرأ حفص والكسائي ننجي باسكان النون وتخفيف الجيم والباقون بالتشديد

Copyright © King Saud University

وفي الاية تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان ثم امر نبيه عليه السلام بان يقول لاهل مكة قل يا ايها
الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان
ما بلغ اليهم قال الشيخ والمعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا بك ان
كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم في صحته وسداده فاني نظرت الى دينكم وعرفت
انه باطل وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما رأى الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى
الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي ولا
يصح لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما
ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه الاصنام التي لا اصل لها البتة فانا اصر بتم على ما انتم عليه فلا
اعبد الذين تعبدون من دون الله اي من غير الله وهو الاصنام وانما وجب تقديم هذا
النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهي الجمادة التي لا تنفع لمن عبدها
ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاحياء والاماتة وهو الله
عز وجل ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يميتكم ويقبض ارواحكم عند انقضاء اجالكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها
وتعلموا انها لا مدخل للشك فيها وامرت ان اكون من المؤمنين اي امرني الله بان اكون من جملة
المصدقين بما انزل الله الي من الوحي وما دل العقل على صحته ووافق قانون الشرع وحذف الجار
من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال
القلوب وان اقم وجهك للدين حنيفا والواو في قوله وان اقم واو عطف معناه وامرت ان
اقيم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا اي مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل
اقم عملك على الدين الحنيف وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين
الحنيف غير مايل عنه قال الاستاد المعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرايض
والانتهاء عن القبايح وامرت بالاستقامة في الصلاة باستقبال القبلة وحنيفا حال من الدين او من
من الوجه او حد لقوله ملة ابراهيم ولقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وفي
الغاية قوله وان اقم عطف على ان اكون صلة ان هنا للانشاء والانشاء والخبر في ذلك سيان والمعنى
امرت بالايمان والاستقامة والاخلاص فيه او الاول اشارة الى الاصول والعقايد وهذا الى الفروع كاداء
الفرايض واستقبال القبلة والوجه اريد به الذات انتهى وقال ابن الخطيب اقامة الوجه كناية عن
توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين لان من يريد ان ينظر الى شيء نظر استقصاء فانه يقيم وجهه
في مقابلته بحيث لا يصرفه عنه لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل بطلت تلك المقابلة واذا بطلت
المقابلة اختل الابصار فلهذا جعل اقامة الوجه كناية عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وفي
المدارك واوحي الي ان اقم ليشاكل قوله امرت استقم مقبلا بوجهك على ما امرك الله او استقم ولا تلتفت
يمينا وشمالا ولا تكونن من المشركين وفي اللباب يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه
غيره

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

غيره فيهلك قال الاستاد هنا عطف على اقم داخل تحت الامر وهذا لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان
لان ذلك مذكور في قوله اول الاية لا اعبد الذين تدعون من دون الله فلا بد من حمل هذا النهي على
فايدة زايدة وهي ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة
لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي يسميه اصحاب القلوب بالشرك
الخفي قال ابو السعود في تفسيره هنا عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكن منهم اعتقادا ولا
عملا قال ملا حسين الواعظ اراد بقوله ولا تكونن الخ الامة قلت هذا هو الظاهر كما مر نظاير هذا
قوله ولا تدع اي لا تعبد اراد به الامة عطف على قوله اقم داخل في صلة ان من دون الله
اي غير الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك ان عبدته ودعوته لدفع مكروه او جلب محبوب
وما يجوز ان تكون نكرة موصوفة وان تكون موصولة ولا يضرك ان تركته وعصيته فان
فعلت فرضا وتقديرا ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كنى عنه بالفعل تنويها لشانه
صلى الله عليه وسلم وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله عز وجل فانك اذا
من الظالمين اي لنفسك ايها الانسان لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهي جزاء الشرط
وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه واعلم ان هذا الخطاب وامثاله هنا مما ذكرنا وما ياتي
وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره البتة لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من
دون الله شيئا اصلا لا قبل النبوة ولا بعده فيكون المعنى ولا تدع ايها الانسان من دون
الله ما لا ينفعك الاية الله اعلم وقوله عز وجل وان يمسسك الله بضر اي وان
يصبك الله بشدة وبلاء فهذا تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصويره
لاختصاصه به سبحانه وتعالى فلا كاشف له اي لا رافع لذلك الضر الذي انزله بك
كاينا من كان وما كان الا هو اي الا الله وحده فثبت عدم كشف الاصنام وغيرها
بالطريق البرهاني وان يردك بخير اي وان يرد يصيبك بسعة ورخاء فلا راد
اي فلا دافع لفضله الذي به من الرزق وغيره اي لا احد يقدر على رد مراده كاينا ما كان
ومن فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا يصيب به اي بالخير وفي اللباب اي بكل احد من
الضر والخير من يشاء من عباده اي يخص بالخير او الضر والخير من يشاء من خلقه
وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين انه هو القادر على
ذلك كله وان جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر
على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله وهو الغفور
الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية وفي الاية لطيفة
اخرى وهي ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه لما ذكر امساس الضر
بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء
من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على
رده لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر للذنوب

Copyright © King Saud University

عباده الرحيم بهم قوله عز وجل **قل يا ايها الناس** اى اهل مكة قاله السيوطي **قد جاءكم**
الحق من ربكم يعني القران والاسلام او محمد عليه السلام جاء بالحق من الله تعالى ولم يبق
لكم عذر ولا على الله حجة بعد هذا **فمن اهتدى** اى اختار الهدى بالايمان بمحمد وبالقران و
المتابعة لهما **فانما يهتدى لنفسه** اى لان ثواب اهتدائه له لا لغيره **ومن ضل** بالكفر بهما
اى من ضل عن الهدى ولم يختره **فانما يضل عليها** اى فوبال ضلاله على نفسه لا على
غيره **وما انا عليكم بوكيل** اى وما انا عليكم بحفيظ موكول الى امركم حتى اجبركم على الهدى
وانما انا بشير ونذير قال ابن عباس هذه الاية منسوخة باية السيف **واتبع ما يوحى**
اليك بالامتثال والتبليغ ثم عزاه فقال **واصبر** على الدعوة واذاهم **حتى يحكم الله** بالنصرة
او بالامر بالقتال **وهو خير الحاكمين** اى اعدلهم اذ لا يمكن للخطاء في حكمه وقد صبر حتى حكم
على المشركين بالقتال واهل الكتاب بالجزية يعطونها عن يد وهم صاغرون ● تم تفسير يونس والله
اعلم بمراده واسرار كتابه **تفسير سورة هود عليه السلام** وهي مكية في قول ابن عباس وبه
قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير اية وهي قوله
تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به ~~وقوله اولئك يؤمنون به~~ وقوله ان الحسنات يذهبن
السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون اية وقيل مائة واثنتان وعشرون اية قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب هذه رواية ابن عباس عن ابي بكر الصديق عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها
الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية وسيأتي القول في قوله تعالى فاستقم
كما امرت ان شاء الله تعالى قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة
في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله
اللهم قدم موتي في جواره وانت واياه راض عني **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الر** ان كان اسما للسورة فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد للتحدي
والاعجاز من حيث دلالته على ان المتحدى به مؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم فلولا
انه من عند الله لما عجزوا عن اتيان مثله او كان معناه انا الله ارى فقوله **كتاب** خبر
مبتدأ محذوف اى هذا كتاب والمشار اليه اما هذا البعض واما مجموع القران نزل بعد ختم
سورة يونس بالامر بالايمان واتباع الوحي والصبر عليه لنفي الشرك وبيان الوحي المحكم المفصل
والعمل به **احكمت اياته** في محل الرفع صفة لكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه
لم ينسخها كتاب كما نسخت به الكتب والشرائع يعني منعت اياته من الفساد والنسخ
بكتاب اخر او نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ من حيث البلاغة والفصاحة
بحيث لم تقبل المعارضة وهي مشعرة بالاحكام او من جهة المعنى لانه التوحيد والعدل والنبوة
والمعاد

والمعاد وهي في غاية من الاحكام او المعنى او حققت مدلولاتها بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة
او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية
والعملية **ثم فصلت** اى بينت وشرحت وزينت بالفوائد من دلائل التوحيد والعقائد واحكام
الحلال والحرام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات والامثال قال الحسن احكمت اياته
بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس اى احكمت بالثواب والعقاب
وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه ولخص ما يحتاج
اليه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وثم في قوله ثم فصلت ليس هي للتراخي في
الوقت بل هي لتراخي الحال كما تقول هي محكمة الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وكما تقول فلان
كريم الاصل ثم كريم الفعل والعمل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله
منه ايات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام
هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البناء وان هذا الكتاب جميعه ناسخ
الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات محكمات ان بعض
اياته منسوخة نسخها بايات منه ايضا لم ينسخها من غيره وقيل احكمت اياته ان معظم
ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب
واجراء الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه وقرى ثم
فصلت اى فرقت بين الحق والباطل وقرى احكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وحده
قال بعض المشايخ في معنى الر كتاب احكمت اياته يشير بالالف الى الله وباللام الى جبريل وبالراء
الى الرسول عليه السلام يعني ما انزل الله مع جبريل الى الرسول كتاب الى اخره او يشير بالالف
الى انفراده بالوحدانية وباللام الى لطفه باهل توحيده وبالراء الى رحمته بكافة البرية وهي في
القسم اى بانفرادي بالربوبية ولطفي بمن عرفني بالاحدية ورحمتي على كافة البرية ان هذا
كتاب احكمت اياته يعني جعلت حكيمة لقوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة فالكتاب هو القران
والحكمة هي الحقائق والمعاني والاسرار التي ادرجت في اياته شبهت الايات القرانية
بالحكيم الحاذق فان الانسان الخالي عن العرفان مريض بمرض القلب فاذا عمل بها بحيث
يستكمل قوته النظرية بالعقائد الحقة والعملية بالعمليات بطريق الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه الحديث يحصل له الشفاء من مرض القلب كما قال الله تعالى ويشف صدور قوم
مؤمنين وقال ذلك البعض ايضا في معنى ثم فصلت اى بينت لقلوب العارفين تلك الحقائق
والحكم **من لدن حكيم** اى احكمت ايات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله **خبير** باحوال
عباده وما يصلحهم وهو متعلق باحكمت او فصلت اى اتقنت وفسرت من عند الله حكيم في
الاتقان خبير في التفسير والبيان او صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي فقوله **ان لا تعبدوا الا الله** مفعول
له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع والمعنى كتاب احكمت ثم فصلت بان لا تعبدوا

سورة هود عليه السلام

Copyright ... University

الا الله وحده والمراد بالعبادة التوحيد وترك الانداد والاصنام وما كان يعبد من دون الله
والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في الاسلام وقيل يجوز ان يكون ان مفسرة لان في تفصيل
الايات معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله فلا نهي في هذا الوجه ويجوز ان لا يكون قوله ان لا تعبدوا
متصلا بما قبله بل يكون منقطعا عنه ويكون كلاما مقولا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم يغري امته
على اختصاص الله تعالى بالعبادة كانه قال ترك عبادة غير الله تعالى مثل فضرب الرقاب يعني
الزموه او اتركوها تركا فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول وفيه اختصار مع
اعطاء معنى التاكيد **انني لكم منه** اي قل لهم يا محمد اني لكم من عند الله تعالى **نذير** مخوف
من عذابه لمن كفر **وبشير** على الجنة والثواب لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا **ثم توبوا اليه** اي ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله
بالطاعة قال الشيخ اختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة
لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه
من شرك او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا
ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة
بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد وفي الاماني معناه استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او
استقيموا على التوبة واخلصوها فالتاخير رتبي لان الاستقامة والاخلاص اعلا شانا منها **يمتعكم**
جوابا للامر اي يعيشكم في الدنيا **متاعا حسنا** اي عيشة راضية ويعطيكم نعمة واسعة متتابعة
قال الاستاذ معناه اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط
عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن وسعة ودعة وخير قال بعضهم العيش الحسن
هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور **الى اجل مسمى** يعني يمتعكم متاعا حسنا الى اخر العمر يعني
حين الموت ووقت انقضاء الاجال فان قيل كيف يكون في امن وسعة الى حين الوفات وقد قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال ايضا اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة فان هذه المذكورات تدل على ان نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف
الجمع بين هذه النصوص قلنا لا منافاة لان المومن انما يشتغل باستغفار ربه وطاعته لايثاره طاعة
ربه على هوى نفسه وتكون راحته واطمينان قلبه في الاشتغال بطلب مرضاة ربه الا بذكر الله
تطمئن القلوب وتفويض جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتمادا على ضمانه
بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان هذا شانه لا جرم يعيش في امن
وراحة لكونه راضيا بما قضاه الله تعالى في حقه بخلاف من ربط قلبه بغير الله تعالى بالاسباب
فانه يكون ابدا في الم الخوف من فوت محبوبه وزواله فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا فقيل
في الجواب ليس معنى قوله يمتعكم متاعا حسنا انه تعالى يعيشكم في امن وسعة الى اخر الاعمار بل معناه انه

تعالى لا يعذبهم بعذاب الاستيصال كما استاصل اهل القرى من الكفرة قال الامام ان قيل قوله تعالى
الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد اجلين وانه يقع في ذلك التقديم والتاخير فالجواب لا دلالة
على ذلك ومعنى الاية انه تعالى يحكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله في الوقت الفلاني
ولو اعرض عنها لكان اجله في وقت اخر لكنه تعالى عالم بانه يشتغل بالعبادة فيقدر له الاطول
او لا يشتغل فيقدر له الاقصر فلا جرم كان عالما بان اجله ليس الا في ذلك الوقت المعين فثبت ان لكل
انسان اجلا واحدا مسمى لا يتغير وسمى منافع الدنيا متاعا تنبيها على حقارتها وقلتها [illegible]
ويؤت كل ذي فضل فضله اي ويعطي الله كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة
قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على
قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته
على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة
وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب
بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته
العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب احاده اعشاره
وقيل معنى الاية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته قال السلطان والمعنى ويعط كل ذي فضل
وعمل صالح في دينه جزاء فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين قلت ويويد
ما قال السلطان قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون **وان
تولوا** قرا الجمهور بفتح التاء والواو واللام المشددة واصله وان تتولوا حذف منه احدى التائين
تخفيفا ولذلك جاء الخطاب في قوله عليكم والمعنى فان تعرضوا عما جئتم به من الهدى والايمان و
التوبة فقل لهم **فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير** يعني عذاب النار في الاخرة ووصف
بالكبير مبالغة لما يقع فيه من الشدايد والاهوال وقيل بل كبير صفة لعذاب فهو منصوب وانما
خفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب مع انه صفة للجحر وقرى وان تولوا بضم التاء
وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع ولى وقيل المراد بيوم كبير يوم الشدايد وقد ابتلوا بالقحط اكلوا
فيه الجيف قوله تعالى **الى الله مرجعكم** يعني رجوعكم الى الله لا الى غيره بالموت ثم بالبعث للجزاء
فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وهذا وعيد وتقرير لكبر اليوم ولذلك
اردفه بقوله **وهو على كل شيء قدير** اي فهو قادر على ان يعذبكم اشد العذاب او على
ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الاخرة ثم انه تعالى لما قال وان تولوا اي عن عبادة الله
تعالى وطاعته بين بعده صفة ذلك المتولي فقال **الا انهم يثنون صدورهم** قال ابن عباس نزلت
في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في
صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وروى البخاري عن ابن عباس
انها نزلت فيمن كان يستحيي ان يتخلى او يجامع فيفضي الى السماء وقال عبد الله بن شداد بن الهاد

Copyright © King Saud University

نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه
وغطى وجهه كيلا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاستاد وهذا ضعيف اذ الاية مكية والنفاق
حدث بالمدينة وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كيلا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل
كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله
ما في قلبي وقيل نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا
صدورنا على عداوة محمد عليه السلام كيف يعلم وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون
بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني وفي تفسير الشيخ معناه يحرفون صدورهم عن الحق فان ثني
الصدر كناية عن الاعراض والانحراف لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن انحرف عنه
ثنى صدره عنه وطوى عنه كشحه اي يطوونها على الكفر وعداوة الرسول اي يولون ظهورهم عن
سماع الحق والوحي والايات يريدون بذلك الاستخفاء من الله بان لا يطلع نبيه على اسرارهم لما
بينه بقوله اي ليستخفوا منه وقرئ يثنوني بالياء على تأويل الجمع وبالتاء على تأويل الجماعة وهو مضارع
اثنونى على زنة افعوعل وهو بناء للمبالغة فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وقرئ تثنون
على وزن ترعوي وتثنون بفتح التاء وسكون الثاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة
واصله يثنونن مثل يعشوشب من الثن بالكسر وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم
ومطاوعة صدورهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتثنئن من اثنأن كاطمأن قوله **ليستخفوا منه**
اي ليطلبوا الخفاء من الله يعني ليطلبوا من الله سترهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين على انحرافهم عن
الحق قال مجاهد يثنون صدورهم ليستخفوا من الله سترهم ان استطاعوا **الا حين يستغشون**
ثيابهم اي الا حين ياوون الى فراشهم ويغطون رؤسهم بثيابهم **يعلم** الله تعالى **ما يسرون**
في قلوبهم **وما يعلنون** بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
انه عليم بذات الصدور اي بضمائر القلوب التي ليست من جنس القول فكيف بما في معنى
الاية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم
في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباد
ابن جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم تثنوني صدورهم قال فسألته عنها فقال
كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل
ذلك فيهم وقد ذكرنا هذه الرواية قريبا عن البخاري غير انه زدنا هنا بعض الكلمات قوله عز وجل
وما ليس **من** زائدة للتحسين **دابة في الارض الا على الله رزقها** قال السلطان في معنى
رزقها اي غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله
وحملا على التوكل فيه قلت وفي الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا وتخصيص الكلام ان الله تكفل برزقها تفضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو
الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله رزقها قال
مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا احتج بهذه الاية اهل السنة على ان الحرام

رزق

الجزء الثاني عشر

رزق والا يعني لم ياكل طول عمره الا من الحرام لا يصل اليه رزقه والدابة اسم لكل حيوان ذي
روح ذكرا كان او انثى من الدبيب الا انه اختص بحسب عرف البعض بذات القوائم الاربع
وبحسب عرف العرب بالفرس والمراد بها في هذه الاية معنى الوضعي اللغوي باتفاق المفسرين
ويعلم مستقرها ومستودعها قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه
في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود
مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار
والمستودع القبر قال الاستاد ويعلم مستقرها اي محل قرارها في الاصلاب او في اماكنها
في الحيوة او مساكنها في الارض حين وجدت الدابة بالفعل ومستودعها يعني موضعها
في الارحام او موضعها من المواد والمقار حين كانت بالقوة فالمعنى ما من دابة في الارض
الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة
في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض
عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه اللهم انا جيرانك
بيتك فاجعل ما ارزقتنا رؤية وجهك الكريم مع رضائك عنا بشفاعة سيد المرسلين
قوله عز وجل **كل في كتاب مبين** اي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها وجميع احوالها مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها بالقلم الاعلى التابع للعلم الالهي
وكانه اريد بهذه الاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على
الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد فيجازي المؤمنين بالجنة والمنافقين
بالنار قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** اي خلقهما
وما فيهما او وما في جهتي العلو والسفل في مقدار ستة اولها الاحد وآخرها الجمعة السموات
في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما
فصل في سورة حم السجدة كما سياتي ولم يذكر خلقت ما في الارض لكونه من تتمات خلقها
وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل اذ قد وردت بعضها من ذهب
وبعضها من فضة وبعضها من غيرهما وبالذات فانها سبع طباق بين كل اثنين منهما
مسيرة خمسماية سنة على ما ورد في الخبر بخلاف السفليات فانها واحدة بالاصل والذات
واما قوله تعالى ومن الارض مثلهن فبالاقاليم السبعة وقد استوفينا الكلام في سورة
الاعراف في بيان خلق السموات والارض وبيان الايام وبيان العرش فراجعه **وكان**
عرشه على الماء اي وكان عرش الله قبل خلق السموات والارض على الماء ولم يكن
حائل بينهما يعني ليس تحت العرش شيء غير الماء لا انه كان موضوعا على متن الماء فان
الاستعلاء ليس استعلاء تمكن واستقرار واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول
حادث بعد العرش من اجزاء هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وعلى
هذا ذهب القاضي وكثير من المفسرين قال ابو السعود ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة

Copyright King Saud University

او كان موضوعا على متنه كما ورد فى الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلا كيف لا ولو دل لدل على وجوده
لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث فى العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم
من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما وفى اللباب قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء
ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء
وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو
خالق وما هو كاين من خلقه الى يوم القيمة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان
يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء اى على
اى شىء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات
والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات
فى يومين ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى
يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ اخر الخلق فى اليوم السابع قال بعض العلماء
وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على متن الماء يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن
له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء
فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى
الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فاتى ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا بشرتنا
فاعطنا مرتين فتغير وجهه عليه السلام ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى
يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك
عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شىء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق
السموات والارض وكتب فى الذكر كل شىء ثم اتانى رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت
فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت ذهبت ولم اقم عن
ابى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء ما تحته
هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء اخرجه الترمذى وقال قال احمد يريد العماء اى ليس معه
شىء قال ابو بكر البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شىء قبله يعنى
لا الماء ولا العرش ولا غيرهما والجميع ذلك غير الله وقوله كان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش
على الماء ثم كتب فى الذكر كل شىء وقوله فى عماء وجدته فى كتابى عماء مقيدا بالمد فان كان فى الاصل
ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء اى فوق سحاب مدبر له وعاليا عليه كما قال
أامنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال لاصلبنكم فى جذوع النخل يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه
هواء اى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء اى ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك
من العما مقصورا والعما اذا كان مقصورا فمعناه لا شىء ثابت لانه مما عمى على الخلق لكونه غير شىء فكانه
قال فى جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شىء غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اى ليس
فوق العمى الذى هو لا شىء موجود لا فوقه هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شىء فليس يثبت
له

له هو الاكبر جدا والله اعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان
عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله وكان
عرشه على الماء هذا اخر كلام البيهقى وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل
الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد فى الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا
فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى عما
مقصورا وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال ابو عبيد انما تأولنا هذا الحديث
على كلام العرب المنقول عنهم والا فلا ندرى كيف كان ذلك العما قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكيفه
بصفة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه
على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان
عرشه على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا
ففرغ منه لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون انتهى ما ذكره صاحب اللباب بحروفه قال الشيخ واستدل بقوله تعالى وكان عرشه
على الماء على امكان الخلاء فانه هو الفراغ الكاين بين الجسمين اللذين لا يتماسان وليس
بينهما ما يماسهما وعلى ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم ولا دليل فيه
على قدم الماء لقوله تعالى هو الاول فان قيل ما الفايدة فى ذكر ان عرشه كان على الماء قبل خلق
السموات والارض فالجواب ان فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه احدها ان العرش مع كونه
اعظم منها كان على الماء وفى وقوفه على متن الماء اعظم الاعتبار لاهل الافكار فلولا انه تعالى
قادر على امساك الثقل بغير عمد لما صح ذلك وثانيها انه تعالى امسك الماء لا على مقر والا لزم
ان يكون اجسام العالم غير متناهية وثالثها ان العرش الذى هو اعظم المخلوقات قد امسكه
الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فدل على كمال القدرة وفى
الدر المنثور واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن الربيع بن انس قال كان عرشه على الماء فلما
خلق السموات والارض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفا تحت العرش وهو البحر المسجور فلا تقطر
منه قطرة حتى ينفخ فى الصور فينزل منه مثل الطل فتنبت منه الاجسام وجعل النصف الاخر
تحت الارض السفلى قال ابن الكمال باشا فى تفسيره والعرش عبارة عن قيوميته والماء اشارة
الى صفة الحيوة اذ من الماء كل شىء حى وفى على بيان بناء الاولى على الثانية اى وكان
حيا قيوما فلا دلالة فيه على امكان الخلاء ولا على ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام
هذا العالم وليت شعرى من اين الدلالة على تاخر خلق الماء من خلق العرش قال شيخنا وفى
رد الكمال بتاويله على الاكابر كما هو دابه لا كمال له وان كان ابن باشا وقال بعض الماء بالعلم
~~لانه كالة حياة الاجساد~~ اى وكان عرشه على علمه يعنى على ما يعلمه وشبه العلم بالماء لانه
كما ان حياة الاجساد بالماء كذلك حيوة الارواح بالعلم قلت وان كان للتاويل حلاوة ولكن

Copyright © King Saud University

تفسير الشارع عليه السلام بردّه والاحسن بحال المؤمن الوقوف مع الشارع عليه السلام
قوله تعالى **لِيَبْلُوَكُمْ** اى ليختبركم وهو اعلم بكم منكم وهو متعلق بخلق اى خلق السموات و
الارض لحكمة بالغة وهى ان يجعلهما مساكن لعباده وينعم عليهم فيهما بفنون النعم ويكلفهم
الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك
اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلايل وامارات تستدلون بها
وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه معنى العلم من حيث انه طريق اليه
كالنظر والاستماع **أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** اى ايكم اكمل علما وعملا واطوع لله فان قيل كيف ذكر
صيغة التفضيل الدالّ على اختصاص الكلام بالاحسن اعمالا مع ان الخطاب فى ليبلوكم عام
للمومنين والكافرين فانه امتحن الفريقين بالامر بالطاعة والنهى عن المعصية واعمال المومنين
هى التى تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال الفريقين فتتفاوت الى حسن وقبيح قلنا الخطاب
عام اريد به الخاص وهم المومنون تشريفا لهم وتحريضا على احاسن المحاسن وتخصيصا على
الترقى دايما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع فى طاعة الله وعلم انه
لما بين انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وجب القطع بحصول الحشر
والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب الرحمة والثواب للمحسن والعقاب وذلك لا يتم الا بالاعتراف
بالمعاد والقيمة فعند هذا خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم فقال **وَلَئِنْ قُلْتَ** اى ولئن قلت يا محمد
لهولاء الكفار من قومك **إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ** للحساب والجزاء **لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ**
كَفَرُوا إِنْ اى ما **هَذَا** يعنى القران الناطق بالبعث او الذى تقوله **إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** اى
كالسحر فى الخديعة او البطلان يعنى لو تلوت عليهم من القران العظيم ما فيه اثبات البعث
لقالوا هذا المتلو سحر واللام لتوطية القسم وليقولن جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة
القسم عليه وانكم محكى بالقول ولذلك كسرت همزته فى قراءة الجمهور وقرا حمزة والكسائى الا ساحر
على ان الاشارة الى القايل وقرى انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل
اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتّوا بانكاره ثم بين انه متى تاخر عنهم
العذاب الذى توعدهم الرسول به اخذوا فى الاستهزاء وقالوا ما الذى حبسه عنا فقال **وَلَئِنْ**
أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ الموعود **إِلَى** مجئ **أُمَّةٍ** اى اوقات واجل **مَعْدُودَةٍ** اى محدودة قال
الاستاد الى جماعة من الاوقات قليلة واصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكانه قال
الى انقراض امة ومجئ امة اخرى واراد بالعذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم البدر **لَيَقُولُنَّ**
استهزاء وتكذيبا **مَا يَحْبِسُهُ** اى اى شئ يحبس العذاب ويمنعه وانما يقولون ذلك استعجالا
بالعذاب يحسبون انه ليس بشئ قال الله عز وجل فى جوابهم **أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ** العذاب كيوم
بدر **لَيْسَ مَصْرُوفًا** اى ليس العذاب مرفوعا عنهم يعنى لا يصرفه عنهم شئ ويوم منصوب بخبر

ليس

ليس نقدّم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها لانه اذا جاز تقديم المعمول كان تقديم عامله
اولى اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل **وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** يعنى ونزل
واحاط بهم وبال استهزائهم يعنى وقع عليهم العذاب الذى كانوا به يستعجلون وضع الماضى موضع
المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ووضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان
استهزاء وسخرية ثم لما ذكر ان عذاب الكفار وان تاخر لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على
كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب فقال **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ** قال الكسيوطى اراد بالانسان
الكافر اى الوليد بن المغيرة وقيل اراد به الجنس **مِنَّا رَحْمَةً** اى غنا وصحة يعنى ان اعطيناه رخاء
وسعة فى الرزق والعيش وصحة فى البدن وبسطنا عليه من الدنيا بحيث يجد لذتها **ثُمَّ نَزَعْنَاهَا**
مِنْهُ اى ثم ازلنا وسلبنا تلك النعمة من الانسان واصابته المصايب فاجتاحته وذهب به
إِنَّهُ لَيَئُوسٌ اى قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به **كَفُورٌ** اى مبالغ فى كفران
ما سلف له من النعمة وجحود له **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ** كصحة بعد مرض وغنى بعد
فقر **مَسَّتْهُ** اى اصابته اضاف الله تعالى اذاقة النعماء الى ذاته الجليلة ومس الضراء اليها
لا الى ذاته الجليلة تنبيها على ان القصد الاول ايصال الخير الى العباد تفضلا منه تعالى ورحمة
ومساس الشر ليس الا لشوم نفسه وفساد حاله مجازاة وانتقاما قال الله تعالى ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه
ايجادا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام لخبر ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله تعالى اكثر **لَيَقُولَنَّ**
اى الانسان الذى اصابه الخير والسعة والصحة **ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي** يعنى ذهبت الشدايد
والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يضف الاشيا كلها
الى الله عز وجل وانما اضافها الى العوايد فلهذا ذمه الله عز وجل فقال **إِنَّهُ لَفَرِحٌ** اى بطر
بالنعم مغتر بها والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمشتهى **فَخُورٌ** متكبر متطاول على
الناس بما اذاقه الله من نعمائه وقد شغله الفخر عن الشكر وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على
ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الاخرة وانه يقع فى
الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول ثم استثنى فقال عز وجل
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا على الضراء ولم يظهروا الجزع ايمانا بالله واستسلاما لقضايه **وَعَمِلُوا**
الصَّالِحَاتِ شكرا لالائه سابقها ولاحقها قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا
وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا عليها
قال بعضهم والاستثناء متصل ان كان اللام فى الانسان للاستغراق كقوله ان الانسان لفى خسر
الا الذين امنوا ومنقطع ان كان للعهد لان الانسان المذكور هناهم الكفار على ما عليه الاكثرون
أُولَئِكَ اى من هذه صفته **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** لذنوبهم **وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** يعنى الجنة او اقله الجنة
واختيار الكبير على العظيم لعله لرعاية الفواصل ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله **فَلَعَلَّكَ**

Copyright King Saud University

تارك بعض ما يوحى اليك يعنى سبّ آلهة الكفار والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى من امرتك ان تبلغ
ذلك اليه وهو ما يخالف راى المشركين مخافة ردّهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشئ لوجود
ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يوجد ما يصرفه عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة فى الوحى و
التغيير فى التبليغ فى الدنيا نزل حين قالت كفار مكة ايت بقران غير هذا ليس فيه سبّ آلهتنا
فهمّ النبى ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرًا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى من ذكر
آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون فى معنى هذه الاية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه
البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا
غلطًا وانه صلى الله عليه وسلم بلّغ جميع ما انزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه شيئًا واجمعوا على انه
لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة فى الوحى والانذار ولا يترك بعض ما يوحى اليه لقول احد لان
تجويز ذلك يؤدى الى الشك فى اداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من
أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله
واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئًا آخر سوى
ما ذكره المفسرون وللعلماء فى ذلك اجوبة احدها قال ابن الانبارى قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم
لا يترك شيئًا مما يوحى اليه اشفاقًا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى اكّد على رسوله صلى الله
عليه وسلم فى متابعة الابلاغ كما قال يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك الاية الثانى ان هذا ادب من الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزله اليه والله تعالى من وراء ذلك فى عصمته ممن يخافه ويخشاه
الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقران ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحزن لذلك ويضيق صدره وان يلقى اليهم ما لا يقبلون ويستهزؤن به فامره الله عز وجل
بتبليغ ما اوحى اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمّل هذا الضرر اهون من كتم شئ من الوحى
والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفى
الفعل مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر فى باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل
ان الله تعالى مع علمه بان رسول الله لا يترك شيئًا من الوحى هيّجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم
وردّهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك اى لعلك لعظم ما تراه منهم تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردّهم واستهزائهم
به وضائق به صدرك عطف على تارك يعنى بان تبلغ الوحى اليهم على ما هو عليه وقلبك
على قوله تارك ولم يقل ضيّق وان كان اكثر استعمالًا منه ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرًا ولانه اشكل بتارك والضمير فى به يعود الى بعض
ما يوحى وقيل الضمير فى به مبهم يفسره ان يقولوا اى مخافة ان يقولوا قال الاستاد والمعنى عارض
لك احيانًا ضيق بان تتلو عليهم لاجل ان يقولوا لولا اى هلّا انزل عليه كنز يستغنى
به وينفقه فى الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يشهد على صدق ما يدعيه وقائل هذه
المقالة هو عبد الله بن امية المخزومى والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقًا فى قولك

بانك رسول الله تصفه بالقدرة على كل شئ وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلّا انزل عليك
ما تستغنى به انت واصحابك وهلّا انزل عليك ملكًا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة فى امرك
فاخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله انما انت نذير اى ليس عليك الا الانذار والتخويف
لمن خالفك وعصى امرك بما اوحى اليك ولا عليك ردّوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله
على كل شئ وكيل اى حفيظ يحفظ اقوالهم واحوالهم فتوكل عليه فى جميع امورك فانه فاعل
بهم يوم القيمة جزاء اقوالهم وافعالهم فلا تلتفت الى سفههم واستكبارهم واستهزائهم ام يقولون
افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى يعنى بل يقولون كفار مكة اختلقه يعنى ما اوحى اليه من القران
قل اى قل لهم يا محمد فأتوا بعشر سور مثله نعت لسور اى فأتوا بمثل القران فى البيان وحسن
النظم وحلاوته والاخبار الصادقة عن الامور الماضية والآتية والاطلاع على ما فى الضماير مفتريات
صفة اخرى لسور اى مختلقات من عند انفسكم ان صحّ انى اختلقته من عند نفسى على زعمكم فانكم
عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر عليه لتعلمكم القصص والاشعار
وتعوّدكم بالسجع والنظم وهذا امر تعجيز وهذه الاية قبل قوله تعالى فى سورة البقرة فأتوا بسورة
من مثله وقبل قوله فى سورة يونس فأتوا بسورة مثله ونزل اولًا فليأتوا بحديث مثله وهو
كل القران فلما ظهر عجزهم عنه تحدّاهم بعشر سورة ثم لما ظهر عجزهم عنها تحدّاهم بسورة
فلما ظهر عجزهم ولزمتهم الحجة بالكلية امر نبيه بان يقول لهم وادعوا من استطعتم
من دون الله اى من غير الله من العقلاء وغيره حتى يعينوكم على الاتيان بمثله وتوحيد المثل
باعتبار كل واحد فيكون المعنى بعشر سور كل واحد مثل سور القران ويحتمل ان يقال يجوز الافراد
والمطابقة فى لفظ المثل اذا وصف به متعدد قوله تعالى ان كنتم صادقين فى انه
افتراء من تلقاء نفسى فان لم يستجيبوا اى فان لم يفعلوا ما كلفوا به من الاتيان بمثله
وهو كقوله تعالى فان لم تفعلوا لكم وانما عبّر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم
على كمال الامن من امره كانه امرهم بالاتيان بمثله داع لهم الى امر يريد وقوعه والضمير
فى لكم للرسول صلى الله عليه وسلم وجمعه للتعظيم اوله وللمؤمنين لانهم ايضًا كانوا يتحدّونهم
وكان امر الرسول فى قوله تعالى قل فأتوا متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر
الا ما خصّه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون
عنه ولذلك رتّب ما بعده بالفاء الجزائية بقوله فاعلموا انما انزل بعلم الله اى
ملتبسًا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق ولا يقدر عليه سواه فلا يتصور فيه الافتراء قال
البغوى والخطاب فى فاعلموا اقيل مع المؤمنين وقيل مع المشركين والمعنى ظاهر اى فان لم يستجيبوا
لكم ايها الرسول والمؤمنون فاعلموا الخ او فان لم يستجيبوا لكم ارباكم ايها الكفار فى المعاونة
فاعلموا ايها الكفرة انما انزل يعنى القران ملتبسًا بعلمه واذنه وامره خاصة لا سبيل لاحد
اليه لانه نظم معجز قوله تعالى وان لا اله الا هو اى واعلموا عند عجز الكل او
دوموا على العلم بان لا اله الا الله لتخصيصه ان الذى انزل القران هو الله الذى لا اله الا هو

Copyright © ... University

لامن تدعون من دونه **فهل انتم مسلمون** بعد هذه الحجة القاطعة لفظه استفهام ومعناه امر
اى اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الاية على انه خطاب مع المومنين كان قوله فهل
انتم مسلمون الترغيب اى دوموا على ما انتم عليه من الاسلام وفى تفسير الاستاد معناه فهل انتم
ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه بالنسبة اليكم والى كل من عداكم
الى المعارضة ويحتمل ان يكون الخطاب فى لكم وفى فاعلموا للمشركين والضمير فى يستجيبوا لمن استطعتم
يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة على معارضة القران لعجزهم وقد عرفتم فى انفسكم
القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من
التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الدليل والحجة الثابتة وفى مثل هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى طلب التصديق بثبوت الدخول فى الاسلام والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر قوله تعالى **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا** اى بعمله الذى يعمله من
اعمال البر نزلت فى اليهود والنصارى فى كل من عمل عملا يبتغى به غير الله عز وجل باحسانه وبره وهو
اشارة الى ان الذين يصرون على التكذيب بالقران بعد ظهور عجزهم انما حملهم على ذلك حب الدنيا
وزينتها ثم بين حال من يكون كذلك وعلى تلك الصفة بقوله **نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا** اى
نوصل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوفِ
بالتخفيف والرفع من اوفى والفاعل هو الله لان الشرط ماض كقول الشاعر ⁂ وان اتاه كريم يوم
مسغبة ⁂ يقول لا غايب لمال ولا حرم ⁂ وقرئ يوفَّ بالياء اى يوف الله ويوفّ على البناء للمفعول
ونوفى بالتخفيف والرفع كما فى يوفى واخرج النحاس فى ناسخه عن ابن عباس من كان يريد الحيوة
الدنيا اى ثوابها وزينتها مالها نوف اليهم اى نوفر لهم ثواب اعمالهم بالصحة والسرور فى
الاهل والمال والولد **وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** اى لا ينقصون اى انهم فى الدنيا خاصة لا ينقصون
ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا بل يعطون اجور اعمالهم
فيها كاملة موفرة واما فى الاخرة فهم فى الحرمان المطلق والياس المحقق كما ينطق به قوله تعالى
أُولَئِكَ المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون ثمرات اعمالهم من غير بخس وفى الدر المنثور
ثم نسخت هذه الاية بقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها الاية **الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ**
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ مطلقا فى مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا فى الدنيا ما تقتضيه صور اعمالهم
الحسنة فلم يبق لهم ثواب الاخرة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة **وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا**
اى وبطل ما عملوا فى الدنيا من اعمال البر قال الشيخ وحبط فى الاخرة ما صنعوه او صنيعهم اى لم يكن
لهم ثواب لانهم كانوا لم يريدوا به الاخرة ووجه الله وانما ارادوا به الرياء وجمع الدنيا وقد وفى
اليهم ما ارادوا والحاصل ان الضمير فى فيها اما متعلق بقوله حبط فيكون راجعا الى الاخرة
والمعنى وظهر حبوط ما صنعوا فى الاخرة لانهم لم يروا لها ثوابا فيها واما متعلق بقوله صنعوا فالضمير
حينئذ تعين ان يعود الى الحيوة الدنيا كما تعين ان يعود اليها فى قوله نوف اليهم اعمالهم فيها
وفى الصحاح حبط عمله حبطا وحبوطا بطل ثوابه **وَبَاطِلٌ** فى نفسه **مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** لانه لم يعمل

بوجه

بوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وكانت كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها فتكون الاولى منهما معللة
بالثانية وعلة لما قبلها قال الاستاد واختلف المفسرون فى المراد بقوله من كان يريد الحياة الى الاية
فروى قتادة عن انس انها فى اليهود والنصارى كما اشرنا وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل
عملا صالحا فى غير تقوى يعنى اهل الشرك اعطى على ذلك اجرا فى الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطى سايلا
او يرحم مضطرا ونحو هذا من اعمال البر يعجل الله له ثواب عمله فى الدنيا يوسع عليه فى المعيشة والرزق
ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره فى الدنيا وليس له نصيب فى الاخرة ويدل على صحة هذا القول
سياق الاية وهو قوله اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار الاية وهذه حالة الكافر فى الاخرة وقيل
نزلت فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنايم لانهم كانوا
لا يرجون ثواب الاخرة وقيل ان حمل الاية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذى هذه صفته والمومن
الذى ياتى بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد فى هذه الاية هم اهل الريا وهذا القول
مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار لا يليق بحال المومن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال
الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله تعالى استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب
النار ويدل على هذا ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته
وشركه اخرجه مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله
او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار اخرجه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من
الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة يعنى ريحها اخرجه ابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال
واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤون
باعمالهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال البغوى محى الفرض والسنة وروينا ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر
قال الرياء اخرجه بغير سند ولكن بسنده لنا سندا والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة
ليحمده الناس عليها وليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل هو لغير الله نعوذ
بالله من الخذلان قال البغوى قد سبق وقيل هذا فى الكفار يعنى قوله من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها اما المومن فيريد فى الدنيا والاخرة وارادته الاخرة غالبة فيجازى بحسناته
فى الدنيا ويثاب عليها فى الاخرة وروينا عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله لا يظلم المومن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الاخرة واما الكافر
فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوى
بغير سند قلت واخراجه كاف لنا والله اعلم قوله **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ** اى
من كان على بيان وبرهان وحجة من الله تعالى يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره الهمزة

لا لكار اي يعقب من هذا شانه يعني كونه على بينة من ربه هولاء المقصرين هممهم وافكارهم على
الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة من
ربه كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مومن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مومنوا
اهل الكتاب تخليص الكلام لما ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا
وزينتها ذكر في هذه الاية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الاخرة فقال تعالى افمن كان على
بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الاخرة الا النار وانما حذف الجواب لظهوره
ودلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن
هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة
اليقين يعني انه على يقين من ربه انه الحق **ويتلوه شاهد منه** اي ويتبع ذلك البرهان الذي هو
دليل العقل شاهد من الله تعالى يشهد بصحته وصدقه وهو القران قال الاستاد واختلفوا في
الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين
انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويويده ويسدده ويقويه وقال
الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى محمد بن الحنيفية قال قلت لابي يعني علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه انت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله تعالى ويتلوه شاهد منه قال
وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان
يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو الة الفصل والبيان وبه يتلى
القران وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل
الشاهد هو القران لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته لانه
اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم
ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب
ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من
قريش الا وقد نزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل وانت ايش نزل فيك فقال علي ما تقرا الاية
التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي
صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القران
في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القران وقوله تعالى
ومن قبله اي ومن قبل نزول القران وارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة **كتاب موسى**
اي كان كتاب موسى فانه ايضا يتبع البرهان الذي كان من الله وهو برهان العقل في التصديق وقرئ
كتاب ما بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه
حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرايل ويقرا من قبل القران التورية **اماما** اي مومتما به في الدين
ورحمة لمن اتبعها يعني ان كتاب موسى عليه السلام امام لمن يتبعه يرجعون اليه في امور الدين

والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة وهو
مصدق القران وشاهد للنبي ولم يزل القران معجزا طول الدهر ومهيمنا على الكتب الالهية كلها
وهما حالان من كتاب موسى سواء قرئ مرفوعا او منصوبا اي حال كون كتاب موسى اماما
لبني اسرايل ورحمة لهم حيث انقذهم الله من النار في الاخرة ومن استعباد فرعون لعنه الله
وقومه في الدنيا **اولئك** اشارة الى من كان على بينة من الله **يومنون به** اي بالقران
فلهم الجنة قال الاستاد معناه ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار
اليهم بقوله اولئك يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد باولئك الذين اسلموا من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه **ومن يكفر به** اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران
من الاحزاب اي من اهل مكة يعني ومن تحزب وتظاهر واجتمع على قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد **فالنار موعده** اي مصيره في الاخرة لا محالة روى البغوي في كتابه بسنده
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي
احد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ومات ولم يومن بما ارسلت به الا كان من اصحاب
النار قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت
مصداقه في كتاب الله حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت
اين هذا في كتاب الله حتى اتيت على هذه الاية ومن قبله كتاب موسى الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال تعالى **فلا تك في مرية** اي في شك
منه اي في الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك **انه الحق من ربك** اي
ان القران الصدق من الله وهو رد لقولهم انه لقول شيطان رجيم اسمه الرئي يلقنه الى محمد وهنا
قولان احدهما ان معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القران نازلا من عند الله فعلى هذا
القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر
به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك
في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق
الاية وهو قوله تعالى **ولكن اكثر الناس لا يومنون** يعني لا يصدقون بما اوحينا اليك من ان
موعد الكفار النار وذلك لقلة نظرهم واختلال فكرهم قوله تعالى **ومن** اي لا احد **اظلم
ممن افترى على الله كذبا** كان اسند الى الله ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله تخصيصه اي
الناس اشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه ما اشر نا او زعم ان له شريكا او ولدا
فشتان بين المفتري الذي ليس على بينة من ربه وبين من كان على بينة من ربه **اولئك** يعني المفترين
على الله الكذب **يعرضون على ربهم** يوم القيمة فيسالهم عن اعمالهم في الدنيا في الموقف بان يحبسوا
ويعرض اعمالهم عرض العبيد المفترين على ملوكهم لا يمكنهم الانكار لكانه للجيد **ويقول الاشهاد**
يعني الملئكة الذين يحفظون اعمال بني ادم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال
الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم او يشهد عليهم جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد

Copyright King Saud University

كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يعنى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الاخرة لكل من
كذب على الله فنى يتحقق هولاء البينة من ربهم مع كونهم من اهل اللعنة الا لعنة الله على
الظالمين يقول الله ذلك يوم القيمة فيلعنهم ويطردهم من رحمته وهذا تهويل عظيم مما يحيق بهم
حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ق عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض
له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المومن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا
وكذا فيقول اعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته
وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفى رواية فينادى
بهم على رؤس الخلايق هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى الذين يصدون
عن سبيل الله اى يمنعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتحريف وادخال الشبه وهذه
الاية متصلة بما قبلها لان الذين يصدون وصف للظالمين ويبغونها عوجا اى يطلبون السبيل معوجة
يعنى يطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلايل الدالة على صحة الاسلام ثم اكد كفرهم
وكفرهم واختصاصهم به فقال وهم بالاخرة هم كافرون اى والحال انهم كافرون بالاخرة
مع صدهم عن سبيل الله اولئك الموصوفون بالاحوال الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين فى الارض
اى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم قال ابن عباس معنى معجزين اى سابقين وقيل هاربين
وقيل فايتين فى الارض وقيل مفلتين اى لم يكونوا معجزين الله مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد اهلاكهم
وان هربوا فى سعة الارض كل مهرب لانهم فى قبضة الله وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا اراد
طلبهم بالعقاب والانتقام منهم وما كان لهم من دون الله اى من غير الله
من اولياء اى من انصار يمنعونهم من عذاب الله ولكن الله اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون
اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وابتداء كلام من الله تعالى لبيان كون
عذابهم مضاعفا وقيل هو من كلام الاشهاد على سبيل الدعاء عليهم تخصيصه يزاد عذابهم فى الاخرة
بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد والباقون بالالف من المضاعفة يعنى يزاد للرؤساء منهم العذاب بكفرهم وبما اضلوا به غيرهم
ما نافية كانوا يستطيعون السمع لتصاممهم عن الحق وبغضهم له فهذه الجملة مستانفة كانه
قيل ما بال هولاء الضالين استوجبوا مضاعفة العذاب فقيل لانهم ما كانوا يستطيعون السمع وما
كانوا يبصرون الحق لتعاميهم عن ايات الله لفرط كراهتهم له كانهم لم يستطيعوا ذلك قال
قتادة معناه صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا فيأخذوا به
وقال ابن عباس اخبر الله انه احال بين اهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا وفى الاخرة اما فى الدنيا
فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون واما فى الاخرة فانه لا يستطيعون
خاشعة ابصارهم قال الشيخ قوله ما كانوا وما كانوا علة لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما
نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح

للولاية

للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بين البيان والمبين اولئك الذين خسروا
انفسهم يعنى ان هولاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة
الله باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون يعنى
وبطل وضاع وغاب عنهم كذبهم وفريتهم وافكهم على الله من دعوى الشريك وبان الملئكة
والاصنام تشفع لهم فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة قوله تعالى لا جرم يعنى حقا وقال
الفراء لا محالة وقال الاستاد اى ثبت وحق وفى هذه اللفظة خلاف بين النحويين وتلخيص
ذلك فى خمسة اوجه احدها وهو مذهب الخليل وسيبويه وجماهير الناس انهما ركبتا من لا النافية
وجرم وبنيا على تركيبهما تركيب خمسة عشر وصار معناهما معنى فعل وهو حق فعلى هذا يرتفع ما بعد
هذه اللفظة بالفاعلية وهو قوله تعالى انهم فى الاخرة هم الاخسرون فالمعنى حق وثبت كونهم
فى الاخرة هم الاعظمون خسرانا والاشدون عذابا والثانى ان لا جرم بمنزلة لا رجل فى كون لا
نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وهى واسمها فى محل الرفع بالابتداء وما بعدهما
خبر لا النافية وصار معناها لا محالة ولا بد الثالث كالذى قبله الا ان ان وما بعدها فى
محل النصب او الجر بعد حذف الجار اذ التقدير لا محالة فى انهم فى الاخرة اى فى خسرانهم الرابع ان
لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله لا كما ترد لا هذه فى قوله
لا اقسم وقوله فلا وربك لا يومنون ثم اتى بعدها بجملة فعلية وهى جرم ان لهم كذا وجرم فعل ماض
معناه كسب وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام وان وما فى حيزها فى
موضع المفعول به لان جرم يتعدى اذ هو بمعنى كسب فتقدير الاية كسب فعلهم او قولهم خسرانهم
وهذا هو قول الزجاج وعلى هذا فالوقف على قوله لا ثم يبتدأ بقوله جرم بخلاف ما تقدم الخامس
ان معناها لا صد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول جرمت اى قطعت فيكون جرم
اسم لا مبنى معها على الفتح كما تقدم وخبرها ان وما فى حيزها وعلى هذه التقادير كلها فمعناه
انهم اخسر من كل خاسر وهذه الايات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين
من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير ثم لما ذكر فريق الكفار
واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع فى بيان حال اضدادهم اعنى فريق المومنين وما يؤل
اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة فى قوله تعالى افمن كان على
بينة من ربه الاية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومالا فقال ان الذين امنوا
اى صدقوا بكل ما يجب ان يصدقهم به وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح
واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله قال ابن عباس واخبتوا اى
خافوا وعنه ايضا الاخبات الانابة وعن قتادة معناه الخشوع والتواضع وعن مجاهد
معناه اطمانوا وسكنوا فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة واخواتها كان معنى الكلام انهم ياتون
بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال او يكونوا مطمئنين
الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع واخواتها كان معناه انهم ياتون

Copyright © King Saud University

بالاعمال الصالحة خايفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولئك اى
الذين صفتهم ما ذكر اصحاب الجنة هم فيها خالدون دايمون موبدا لا انقطاع لنعيمهم
ولا زوال لذلك قوله تعالى مثل اى صفة الفريقين الكفار والمومنين المذكورين قريبا
كالاعمى والاصم هذا مثل الكافر والبصير والسميع هذا مثل المومن فالاعمى هو الذى
لا يهتدى لرشد والاصم هو الذى لا يسمع شيئا البتة من الحق وهذا حال الكافر والبصير هو
الذى يبصر الاشياء على ماهيتها وحقيقتها والسميع هو الذى يسمع الاصوات ويجيب الداعى
وهذا حال المومن والحاصل شبه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن
استماع كلام الله وتدبر مقالته وشبه المومن بالسميع والبصير لان امره بالعكس فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمومن بالجامع بين
البصر والسمع والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصالح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف
والطباق اما اللف لانه جمع بين الفريقين ونشره بقوله كالاعمى والاصم الاية واما الطباق لانه جمع بين
الضدين وهما الاعمى والبصير والاصم والسميع هل يستويان الفريقين المذكورين والاستفهام
انكارى يعنى لا يستويان من كان على بينة من ربه مع من لم يكن على بينة منه وقوله مثلا اى
تشبيها وتمثيلا او صفة وحالا وهو نصب على التميز على جميع الاحتمالات تخصيصه لا تساوى بين
الفريقين اصلا ولذا انكر الله على من لم يجزم به بقوله افلا تذكرون اى افلا تتعظون بضرب
الامثال والتامل فيها بان الفريقين لا تساوى بينهما لانه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر ونظر وقال
الفراء لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم فى حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع
فى حيز كانهما واحد وهما من وصف المومن ثم اعلم انه جرت عادة الله فى القران اذا ورد على
الكافر الدلايل اتبعها بالقصص لتوكد بها الدلايل وقد بدا بذكر هذه القصة فى سورة يونس
وانعم علينا باعادتها ههنا لما فيها من زوايد الفوايد فقال ولقد ارسلنا نوحا بالايات
الناطقة والبراهين القاطعة وانما بدا بقصته لانه اول نبى عذب قومه وكان قومه موصوفين
بالجهل المفرط والتعامى عن الحق الى قومه العماة الصم فضموا اعنى قوله انى لكم اى
بانى لكم ايها القوم قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى بفتح الهمزة والباقون بكسرها اما الفتح فعلى
اضمار وحذف الجار اى بانى كما اشرنا واما الكسر فعلى ارادة القول اى ارسلناه بقوله انى لكم نذير
اى مخوف ومهدد للعصاة بالعقاب وكان بشيرا ايضا لقوله فقلت استغفروا ربكم انه
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا مبين اى ابين لكم موجبات العذاب لمن خالف امر
الله وعبد غيره ووجه الخلاص بان لا تعبدوا الا الله وحده بدل من انى على قراءة
الفتح واما على قراءة من كسر فيجوز ان تكون ان مصدرية وهى معمولة لارسلنا ويجوز ان تكون
مفسرة والمفسر بها اما ارسلنا واما نذير انى اخاف عليكم ان عبدتم غير الله عذاب يوم
اليم اى مولم موجع وصف اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه تخصيصه انه فى الحقيقة
صفة المعذب اذ هو الخالق للالم لكن يوصف به العذاب وزمانه على المجاز العقلى على طريقة جد جده

ونهارك

ع٣

ونهارك صايم للمبالغة قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعماية
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الف سنة وخمسين سنة وقال
مقاتل بعث وهو ابن ماية سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مايتين وخمسين سنة
مكث يدعو قومه تسع ماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فكان عمره
الف سنة واربعماية وخمسين سنة فقال الملا الذين كفروا من قومه يعنى الاشراف والروساء
من قوم نوح عليه السلام ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا اى لا مزية لك علينا تخصك
من بيننا بما تدعيه من النبوة ووجوب الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة
جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك
ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتاتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله تعالى
بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال الله تعالى اخبارا عن قوم نوح وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعنى سفلتنا ولخساءنا والرذل الدون من كل شئ وقيل هم
الحاكة والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة قال الاستاد هو جمع ارذل الذى هو صفة كاحمر و
قياسه اذا لم تكن للتفضيل ان يجى جمعه على فعل الا انه لما صار بالغلبة مثل الاسم حتى حذف موصوفه
جمع على افاعل او جمع اراذل جمع رذل وهو الدون من كل شئ كما اشرنا والحاصل ان الرفعة فى الدين
ومتابعة الرسل لا يكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل
ولا تضرهم خسة صنايعهم اذا حسنت سيرتهم فى الدين قوله تعالى بادى الراى يعنى
اتبعوك فى اول الراى من غير تثبت وتفكر فى امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراى يعنى
انهم اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا ويتعمقوا فيه قرا ابو عمرو بادئ الراى بالهمزة من
البدء وهو اول الراى والباقون بياء صريحة مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها من البدو بمعنى
الظهور يعنى ظاهر الراى دون باطنه وهو منصوب على كلا القراءتين على الظرف واصله وقت حدوث
اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه والعامل فيه اما
نراك اى وما نراك فى اول راينا على قراءة ابى عمرو او فيما يظهر لنا من الراى والتدبير فى قراءة الباقين
واما اتبعك اى ما نراك اتبعك اول رايهم وظاهر رايهم وما نرى لكم علينا من فضل اى لك يا نوح
ولمتبعيك يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة لاستوائنا فى البشرية وهذا القول ايضا جهل منهم
لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالمال والشرف والرياسة والجاه ثم قالوا لنوح
واتباعه بل نظنكم كاذبين اى نظنك يا نوح كاذبا فى دعوى النبوة ونظنهم كاذبين فى دعوى
العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغايبين وقيل الخطاب لنوح وحده من غير ادراج قومه معه
تعظيما له قال نوح يا قوم ارايتم اى اخبرونى ان كنت على بينة اى على بيان ويقين وبرهان
وشاهد من ربى بصحة دعواى الذى انذرتكم به واتانى رحمة من عنده اى اعطانى
هداية ومعرفة باتياء البينة او النبوة والاضافة للتشريف فانه فضل من الله يوتيه من يشاء
فعميت عليكم اى خفيت والتبست البينة عليكم فلم تهدكم فجعلتموها تلبيسا مع ظهور الفرق

Copyright © King Saud University

عند البصراء ولم يقل فعميتا لرجوع الضمير الى البينة ولم يتعرض لعماء الرحمة لاستلزام خفاء البينة
خفاءها او لرجوعه الى الرحمة التى هى النبوة ولم يذكر عماء البينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت
النبوة عليكم بعد قيام البينة عليها او لرجوع الضمير الى كل واحد منهما وقيل وحد الضمير فى قوله
فعميت لان البينة والرحمة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انهما متحدان بحسب الذات
فان المراد بهما البرهان الدال على نبوته عليه السلام وهو بينة باعتبار انه شاهد على دعواه
ورحمة باعتبار انه ينتفع به وحذف جواب الشرط للانفهام من المقام اى فاخبرونى وقرا حمزة والكسائى
وحفص عن عاصم بضم العين وتشديد الميم اى عماها الله عليكم يعنى اخفاها والباقون بتخفيف
الميم وفتح العين اى خفيت عليكم البينة فلم تهدكم قوله تعالى **انلزمكموها** اى انكرهكم ونجبركم
من شطرانفسنا على قبول الرحمة والهاء عايد الى الرحمة وهذا استفهام معناه الانكار يعنى
لا اقدر على ذلك ولا اكراه فى الدين ~~[illegible]~~ والذى اقدر عليه
ان ادعوكم الى الله وليس لى ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبى الله
لالزمها ولكنه لم يملك ذلك **وانتم لها كارهون** اى وانتم يا قوم لا تريدون الرحمة ولا تختارونها
ولا تتاملون فيها واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى
الفصل نحو انلزمكم اياها والاتصال كما هنا يعنى انلزمكموها ثم قال نوح اخبارا عن شفقته **ويا قوم**
لا اسالكم عليه اى على تبليغ الرسالة وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر **مالا** اى جعلا وجزاء
فى مقابلة اهتدايكم **ان** اى ما **اجرى** جزاى وثوابى على ايمانكم بالله واتباعكم لى **الا على الله**
وحده تخصيصه انا لا اطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب فقيرا
او غنيا وانما اجرى على هذا الطاعة الا على رب العالمين واذا كان كذلك فسواء كان غنيا او
فقيرا لم يتفاوت الحال فى ذلك **وما انا بطارد الذين امنوا** جواب لهم حين سالوا طرد
تخصيصه انهم طلبوا من نوح عليه السلام ان يطرد الذين امنوا وهم الارذلون فى زعمهم فقال
ما يجوز لى ذلك لانهم يعتقدون **انهم ملاقوا ربهم** قال السيوطى يعنى بالبعث فيجازيهم ويأخذ
لهم ممن ظلمهم وطردهم قال الشيخ انهم يلاقونه فى الاخرة ويفوزون بقربه ولقايه فكيف اطردهم
ثم بين انهم بنوا امرهم على الجهل بالعواقب والاغترار بالظواهر فقال **ولكنى اريكم قوما تجهلون**
عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولاء المومنين خير منكم فان اكرمكم
عند الله اتقاكم تخلص المعنى ولكنى اريكم قوما تجهلون منزلة المومنين ومقدارهم عند الله وباستيجاب
طردهم لغضب الله وبركاكة رايكم فى التماس طردهم قوله تعالى **ويا قوم من ينصرنى من الله**
ان طردتهم اى من يمنعنى من عذاب الله ان طردتهم وهم بتلك المثابة والكرامة والتقرب عنده
فقد لانهم مومنون مخلصون **افلا تذكرون** يعنى فتتعظون بان ما تطلبونه منى لا يسوغ عقلا
ان التماس طردهم وتوفيق الايمان والاسلام عليهم ليس بصواب وسياتى قوله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشى ان شاء الله تعالى قيل هذا الطرد اشارة الى المطلق المؤبد والاتى
معينة رعاية للمصلحة **ولا اقول لكم عندى خزاين الله** التى لا يعنيها شئ فاكون انا اعطيكم

لتتبعونى عليها لاعطيكم منها بملكه لى عليها وادعى فضلا عليكم فى الغنى ولا اقول عندى خزاين
رزقه او اموال حتى تجدتم فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل وقيل معناه لا اقول لكم
عندى غيوب الله وما هو منطو عن الخلق جوابا لقولهم ان هولاء المومنون انما اتبعوه فى ظاهر
ما يرى منهم وهم فى الحقيقة غير متبعين له وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها على الناس واستتارها
عنهم والقول الاول اولى **ولا اعلم الغيب** اى ولا ادعى علم ما يغيب عنى مما يسرونه فى انفسهم فسبيلى
قبول ايمانهم فى الظاهر ولا يعلم ما فى ضمايرهم الا الله قال الاستاذ ولا ادعى فى قولى انى لكم نذير مبين انى
اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد بل اقول لكم ان الله وعدكم
واوعدنى كذا قال الاستاذ وهو عطف على عندى خزاين الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا
او حتى اعلم ان هولاء اتبعونى بادى الراى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول
وفى الدر المنثور معناه لا اقول اتبعونى على علم بالغيب **ولا اقول انى ملك** حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا مبطل فى دعوى الملكية تخصيصه لا اقول انى ملك نزلت من السماء برسالة بل اقول ما انا الا بشر منكم شرفنى
الله بالرسالة ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به الكيكم استدل بعضهم بهذه الاية فى تفضيل الملايكة على
الانبياء قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول انى ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعى كذا وكذا لا يحسن
الا اذا كان ذلك الشئ اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب
ان يكون الملك افضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة فى مقابلة قولهم ما نريك الا بشرا
مثلنا لما كان فى ظنهم ان الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملايكة فاعلمهم ان هذا الظن باطل
وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال ولا اقول انى ملك ولم يرد ان درجة الملايكة افضل من درجة
الانبياء عليهم السلام والله اعلم قوله تعالى **ولا اقول** اى لا احكم **للذين** اى على الذين **تزدرى** اى تحتقرهم
اعينكم من الضعفاء تخصيصه لا اقول فى شان من استرذلتموهم لفقرهم **لن يوتيهم الله خيرا** يعنى
توفيقا وهداية وايمانا واجرا فان ما اعد الله لهم فى الاخرة خير مما نالكم فى الدنيا مع ان الله تعالى يورثهم
ارضكم ودياركم بعد غرقكم **الله اعلم بما فى انفسهم** اى بما فى قلوبهم من الايمان والصدق والخير
والشر ولو طردتهم ووافقت هواكم **انى اذا لمن الظالمين** يعنى ان فعلت شيئا من ذلك فعلته فاكون
ظلمتهم ولكنى على علم من الله وانا لا افعله فما انا من الظالمين والازدراء افتعال يقال ازدريته
اى احتقرته فابدلت تاؤه بابا لافتعال دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناد الازدراء الى
العين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الروية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة
منالهم دون تامل فى معانيهم وكمالاتهم **قالوا يا نوح قد جادلتنا** اى خاصمتنا **فاكثرت**
جدالنا اى فاكثرت خصومتنا واطلته او اتيت بانواع الجدال **فاتنا بما تعدنا** من
العذاب المعجل او العذاب الذى اشير اليه فى قوله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان
لا يكون المراد باليوم يوم القيمة **ان كنت من الصادقين** فى دعواك انك رسول من الله الينا
وفى الوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا **قال انما ياتيكم به الله ان شاء** يعنى قال
نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله عاجلا او

متى شاء وكيف شاء وعلى من شاء يعني ان تحلق به مشيئته التابعة للحكمة البالغة فلا راد لانزاله وما
انتم بمعجزين اى بفايتين من عذاب الله بالهرب او بالمدافعة كما تدافعوننى فى الكلام ولا ينفعكم نصحى
اى لا ينفعكم نصيحتى وانذارى وتحذيرى من نزول العذاب بكم والنصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه
الخير من فعل وقول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش ان
اردت ان انصح لكم لتستغفروا من الشرك فتؤمنوا ان كان الله يريد ان يغويكم
اى يضلكم ويهلكم على الضلالة ارادة مستمرة فانى وان كنت رسول الله فليس لى تغيير تلك الارادة
وفى اللباب فى معنى ان يغويكم يعنى يضلكم وقيل يهلكم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى
الى الهلاك انتهى قال الاستاذ فى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم شرط داخل على شرط اخر وهو ان اردت
ان انصح لكم فيكون شرط الثانى مقدما فى الحكم تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحى ان اردت
ان انصح لكم وهذا دليل بين لنا فى ارادة المعاصى قال الشيخ فى تفسيره قوله ان اردت ان انصح لكم شرط
وجزاؤه محذوف اى فتؤمنوا وما قبل هذا الشرط يعنى ولا ينفعكم نصحى دليل الجواب والجملة يعنى مجموع
قوله ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وخلاصة
ما قالوا فى وجه ترادف الشرطين هنا ان الشرط الثانى جزاؤه مجموع قوله لا ينفعكم نصحى ان اردت ان
انصح لكم فهو فى حكم الجزاء توسعا فوصل بالشرط الثانى معنى فهذا الشرط مع جزائه يكون فى حكم جزاء
الشرط المقدم عليه وكذلك الحكم فى كل شرط الى ان تنتهى الشروط السابقة فلو قال رجل لامرأته انت
طالق ان كلمت زيدا ان دخلت الدار ان اكلت خبزا كان تقديره ان اكلت خبزا فانت طالق
فلو كلمت ثم دخلت ثم اكلت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق لكن ان اكلت
اولا ثم دخلت ثم كلمت طلقت فيكون تقدير الاية ايضا ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى فتل هذه التعليقات حكمها ان يتقدم المؤخر ويتاخر المتقدم فى الوقوع كما
عرفته وهذا الكلام جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طايل فكانه قال نعم لا طايل فى جدالى
ان كان الله يريد اغواءكم لكن لا علم لى بذلك فانصح لكم ما لم اقنط منه فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من
قومك الخ وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وان اردت
زيادة بيان فراجع تفسير الامام قوله عز وجل هو ربكم اى هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته له الحكم والامر فلا تقدرون للخروج من سلطانه واليه ترجعون فى الاخرة فيجازيكم على
اعمالكم ثم قالوا انه افترى من نفسه التوحيد والدعوة اليه فقال الله تعالى لنوح عليه السلام
بالاستفهام للتقرير وزيادة الميم للتحسين ام يقولون اى ايقولون قوم نوح قال السيوطى بل يقولون
كفار مكة لنبينا افتراه اى اختلقه وجاء به من عند نفسه واسنده الى الله وفى اللباب والضمير يعود
الى الوحى الذى جاءهم به قال البغوى قال ابن عباس يعنى نوحا وقال مقاتل يعنى محمدا عليه السلام واختار
كمال وصاحب الامالى بقول مقاتل وقالا هذا انسب واظهر بالسياق لانه كالتكرير لقوله ام يقولون افتراه
وانما اورده فى اثناء قصة نوح عليه السلام على وجه الاعتراض اشارة الى ان نسبة محمد عليه السلام
الى الافتراء بعد اتيانه بقصة نوح على هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم مطالعة الكتب والتلمذ
غاية

غاية العناد والمكابرة فجاز زيادة انكار على انكار كانه قيل بل ا مع هذا البيان ايضا يقولون
افتراه وهذا نظير اعتراض قوله وان يكذبوك فقد كذب امم من قبلكم بين قصة ابراهيم عليه السلام
على احد الوجهين قال شيخنا والاخذ بما ذهب اليه ابن عباس احسن من غير حاجة الى التكاليف والى
هذا ذهب اكابر المفسرين ومن سكت عن مرجع الضمير فانما سكت لظهوره بانه يرجع الى نوح والله
اعلم قوله قل اى يا نوح او يا محمد ان افتريته بالغرض البحت فعلى اجرامى اى فعلى اثمى
ووبال الجرامى وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع اجرامى بفتح الهمزة وينصره ان فسره الاولون
باثامى وانا برىء مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا وجه لعاداتكم لى واعراضكم
عنى قال الاستاذ مما تجرمون يعنى من الكفر والتكذيب وفى اللباب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة
نوح عليه السلام مع قومه فهى من قصته واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك
عند مبالغته فى بذل الوسع فى النصح مع عدم نفعه اياهم الا من قد امن فى الماضى فانه
يستمر على ايمانه وهذا اقناط له من ايمان قومه سوى من امن به واعلام بانهم استحقوا العذاب
المعجل لان تاخيره انما هو لتوقع ايمان البعض فدعا عليهم عند ذلك بقوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ثم قال الله تعالى تسلية نوح على دعائه وتحزنه عليهم فلا تبتئس اى فلا
تحزن عليهم فانى مهلكهم بما كانوا يفعلون اى بسبب كفرهم وافعالهم القبيح وتكذيبهم
اياك وايذائهم لك فقد حان وقت الانتقام لك منهم قال ابن عباس ان قوم نوح عليه كانوا
يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه فى لبد ويلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى
اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وروى ان شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال
يا بنى لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكنى من هذا العصا فاخذها من ابيه وضربها
نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن الاية وحكى محمد بن اسحق
عن عبيد بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبطشون بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق
قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو
ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتى قرن الا كان اخبث من الذى قبله ولقد كان ياتى القرن
الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا
فشكى نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعنى السفينة والفلك يطلق
على الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا قال
الاستاذ معناه ملتبسا بكمال حفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك فجمع لكثرة
آلة الحس الذى به يحفظ الشىء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية
على طريق التمثيل وقيل باعين اولياءنا من الملائكة الموكلين بك ووحينا اليك كيف تصنعها اى
تعريفنا صنعتها وتقديرها وهياتها وفى الامالى ووحينا اليك بذلك الصنع اى بصفته وفى
الخزانة لم يكن يعلم كيفيته فاوحى الله اليه ان اصنعه مثل جؤجؤ الطير انتهى وقيل ووحينا اى امرنا

Copyright King Saud University

او الهامنا قال ابو السعود المفتي ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي
الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير والامر للوجوب
اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق
بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشئ سيصنعه بامره تعالى
ووحيه من شانه كيت كيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها في سنتين وقيل في اربعماية وكانت
من خشب الساج وجعلت ثلثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع وفي البطن الاوسط
الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد
وحمل معه جسد ادم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وقيل جعل في الاول
الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثماية ذراع وعرضها
خمسين ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها
ستماية ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله
فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال
لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال
كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستماية ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا انتهى وفي الدر المنثور
للامام المجتهد عبد الرحمن السيوطي اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وضعفه
الذهبي وابن مردوية عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نوح
مكث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم حتى كان اخر زمانه غرس شجرة فعظمت
وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة ويمرون فيسئلونه فيقول اعملها سفينة
فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر وكيف تجري قال سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور
وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه
فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو
رحم الله منهم احدا لرحم ام ذلك الصبي واخرج ابو الشيخ وابن مردوية عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كانت سفينة نوح لها اجنحة وتحت الاجنحة ابواب واخرج ابن بشر وابن عساكر
عن ابن عباس ان نوحا لما امر ان يصنع قال يا رب واين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج عشرين
سنة وكف عن الدعاء وكفوا عن الاستهزاء فلما ادرك الشجر امره ربه فقطعها وجففها فقال
يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلثة صور كراس الديك وجؤجؤه كجؤجؤ الطير
وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقه واجعل لها ابوابا في جنبها وشدها بدسر يعني مسامير
الحديد فبعث الله جبريل فعلمه صنعة السفينة فكانوا يمرون به ويسخرون منه ويقولون

الا ترون

الا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء واين الماء ويضحكون وذلك قوله وكلما مر عليه
ملا من قومه سخروا منه وعن ابن عباس ايضا امر ان يطليها بالقار ولم يكن في الارض قار ففجر الله
له عين القار حيث يحت السفينة يعني غليانا حتى طلاها فلما فرغ منها جعل لها ثلثة ابواب واطبقها
فحمل فيها السباع والدواب فالقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب وجعل الوحش والطير في
الباب الثاني ثم اطبق عليها وجعل ولد ادم اربعين رجلا واربعين امراة في الباب الاعلى ثم اطبق عليهم
وجعل الذرة معه في الباب الاعلى لضعفها ان لا تطاها الدواب واخرج عبد بن حميد وابن
المنذر وابن جرير وابو الشيخ عن قتادة قال ذكر لنا ان السفينة استقلت بهم في عشر خلون من رجب
وكانت في الماء خمسين وماية يوم ثم استقرت بهم على الجودي واهبطوا الى الارض في عشر ليال خلون من
المحرم وعن ابن عباس انه قال فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله الى نوح عليه السلام اغمز ذنب
الفيل فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فلما وقع الفار بجزر السفينة يقرضه وحبالها
اوحى الله الى نوح ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار
وفي رواية ابن عباس ان كعب بن حام لما احيى الله على يد عيسى عليه السلام فقال عيسى له كيف علم
نوح ان البلاد قد غرقت قال بعث الغراب ياتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف
فلذلك لا يالف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلاد
قد غرقت فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم يالف البيوت واخرج
ابن عساكر عن سعيد بن مينا ان كعبا قال لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني عن اول شجرة نبتت على
وجه الارض قال عبد الله الساج وهي التي عمل منها نوح السفينة قال كعب صدقت قال اهل السير لما امر
الله نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ
القار وكلما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه قال امامنا البغوي
قدس سره وزعم اهل التوراة ان الله تعالى امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصبغه ازورا وان يطليه
بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلثين ذراعا
والذراع الى المنكب وان يجعله ثلثة اطباق سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه كوا فصنعه نوح كما
امره الله عز وجل وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست
بنجار فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطي فصنعها مثل جؤجؤ
الطير وفي تفسير مالك بن سليمان الهروي ان الحية والعقرب اتتا نوحا فقالتا احملنا فقال نوح انكما سبب
الضرر والبلاء فانا لا احملكما قالتا احملنا فانا نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين خاف
مضرتهما سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين امن من شرهما قلت وهو كذلك وقد جربت
قبل علمي بهذه الخاصية فما كان يضرني الحية وايضا اني رايت في كتاب شيخنا عبد القادر قدس سره قال من صلى
على نوح وعلى نوح السلام لا يضره العقرب تلك الليلة والله اعلم قوله تعالى ولا تخاطبني في امهال
الذين ظلموا اي كفروا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم فانهم وقيل ولا تخاطبني
في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم انهم مغرقون اي حكمت عليهم بالطوفان

يريد ابنه كنعان وامه واعلة قال البيضاوى فانهما كانا كافرين وسياتى تفصيل كفرهما قريبا
قوله تعالى **ومن امن** اى واحمل معك المومنين من غيرهم يعنى من امن معك من قومك **وما امن
معه الا قليل** قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث
ونساوهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم وفى اللباب اختلفوا فى عدد من حمل نوح معه
فى السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته
وثلثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساوهم كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلث كنائن له قلت
وفى القاموس كناين بالفتح امراة الابن وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسايهم وهم نوح وبنوه
سام وحام ويافث وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين
نفرا رجلا وامراة وقال ابن عباس كان فى السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم وقال الطبرى
والصواب من القول فى ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما امن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد
عددا بمقدار فلا ينبغى ان يجاوز فى ذلك حد الله تعالى اذا لم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال
والنساء قلت وقد قدمنا هذا وعنه ايضا بان جميع الدواب والطيور قصدوا نوحا ليحملها قال ابن عباس
اول ما حمل نوح الذرة واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه
فلم تستقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان
الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل ودخل الشيطان معه
فقال له نوح ما ادخلك على يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى
يا عدو الله فقال ما لك بد من ان تحملنى معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى
قال الامام فخر الدين والدنيا الرازى واما الذى يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن
وهو جسم نارى او هوائى فكيف يفر من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه
خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى
ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا انتهى وفى الاسرار قال
سعيد بن المسيب ولد نوح ثلثة سام وحام ويافث وولد لكل واحد منهم ثلثة فولد سام العرب
وفارس والروم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك والصقالبة قلت وفى القاموس الصقالبة
جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية وولد حام اليونان والقبط والبربر
قلت وفى القاموس بربر جيل جمعه البرابرة وهم بالمغرب وامة اخرى بين الحبوش والزنج يقطعون
مذاكير الرجال ويجعلونها مهور نسايهم قوله تعالى **وقال اركبوا فيها** اى وقال نوح لمن حمل معه
اركبوا فى السفينة اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض ويحتمل ان يكون
ضمير قال لله يعنى وقال الله لنوح ومن معه صيروا فيها **بسم الله مجريها ومرسيها** وفى
اللباب يعنى بسم الله اجراوها وارساوها قال الضحاك اذا كان نوح اذا اراد ان تجرى قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو اى تقف وفى رواية بزيادة بسم الله
مجراها

مجراها كذلك فى مرساها والحاصل ان سفينة نوح كانت تجرى باسم الله وتقف باسم الله وليست كساير
السفن التى باهلها تجرى وتقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغى له ان يشرع
فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى ساير الامور
وفى الاسرار قرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم مجراها بفتح الميم على انهما من جرى ورسى وقرا
الباقون بضم الميم على انهما من اجرى وارسى واتفق السبعة على ضم ميم مرساها والجار والمجرور حال
من فاعل اركبوا اى اركبوا فيها مسمين الله او قايلين بسم الله وقت اجرايها وارسايها وعلى التقدير
فهو حال مقدرة لان وقت الاجراء والارساء بعد الركوب او كانهما على ان المجرى والمرسى للوقت
او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز
ارتفاعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر فيكون بسم الله حالا من ضمير فيها اى اركبوا فيها ملتبسا باسم
الله اجراؤها وارساؤها فيكون بسم الله مع متعلقه المقدر حالا كما تقدم ويكون المجموع جملة واحدة
ويجوز ان يكون بسم الله مجراها جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدا وبسم الله خبره اى اجراؤها
بسم الله وهى اما جملة منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبرا وانشاء او حال مقدرة من الواو والهاء
وفى الاسرار وقرى مرساها بفتح الميم مجراها ومرساها بفتح الثلاثة وقرى مجريها ومرسيها
بلفظ الفاعل فيكونان بدلين من الله وقيل صفتين لله وفيه بحث فان اضافة اسم الفاعل
اذا كان بمعنى الاستقبال غير محضة فكيف تكون النكرة صفة للمعرفة قوله تعالى **ان ربى لغفور
رحيم** واخرج ابو يعلى والطبرانى وابن السنى وابن عدى وابو الشيخ وابن مردوية عن الحسين بن
على رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امان لامتى من الغرق اذا ركبوا الفلك ان يقولوا
بسم الملك الرحمن بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الى اخر الاية
وفى رواية عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال امان لامتى من الغرق اذا ركبوا فى السفن
ان يقولوا بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره الاية بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور
رحيم وفى رواية اخرى عنه ان يقولوا اذا ركب السفينة بسم الله الملك الرحمن مجراها ومرساها
ان ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الاية الا اعطاه الله امانا من الغرق حتى يخرج
منها ومعنى ان ربى لغفور رحيم حيث لم يهلكنا ولولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم
فهو غفور لذنوبنا رحيم لا يعاقبنا قوله تعالى **وهى تجرى بهم** متصل بمحذوف دل عليه اركبوا
اى فركبوا فيها مسمين اى يقولون بسم الله وهى تجرى بهم وهم فيها **فى موج كالجبال** اى فى موج
من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وما قيل من
ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه كالحوت ليس بثابت والمشهور ان
الماء علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا وان صح فلعل ذلك الجريان فى الموج كان
قبل التطبيق فان قيل الجريان فى الموج يوجب الغرق اجيب بان الامواج لما احاطت من جميع جوانبها
شبهت تلك السفينة كانها جرت فى داخل تلك الامواج قال العلماء بالسير ارسل الله المطر اربعين
يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض

Copyright © King Saud University

عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعني صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض
وارتفع الماء على اعلى جبل واطوله اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شئ
ونادى نوح ابنه يعني كنعان وقرا الجمهور بكسر تنوين نوح لالتقاء الساكنين وكان كافرا كما اثرنا
وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة
لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك لان جنابهم ارفع
من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين قيل لابن عباس ما كانت
تلك الخيانة فقال كانت امراة نوح تقول زوجي مجنون وامراة لوط تدل الناس على ضيفه اذا
نزلوا وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرف الندبة وهذا النداء كان قبل
جريان السفينة اذ الواو لا يقتضي الترتيب وكان في معزل اى في مكان عزل فيه نفسه عن
ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور او في معزل عن
السفينة او في معزل عن دينه وهو مفعل للمكان من عزله اذا ابعده وقيل في معزل عن الكفار قد
انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم في الدين ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان
ينافق اباه وظن انه مومن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند
مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان والجملة في موضع نصب على الحال وصاحبها
هو ابنه والحال ياتى من المنادى لانه مفعول في الحقيقة يا بني اركب معنا في السفينة قرا
حفص عن عاصم بفتح الياء هنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة في يا بنيا والباقون
بالكسر فيكون من قبيل يا غلام في حذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة الا ابن كثير فانه وقف عليها في
لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثاني في رواية قنبل واختلفت الرواية عن عاصم
في ساير المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما وفي الاسرار معناه اسلم
وادخل في السفينة تسلم مع المسلمين ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال فتهلك معهم
قال كنعان في جوابه ساوي اى سا صعد وسالتجي واصير الى جبل يعصمني يمنعني
من الماء اى من الغرق فيه وليس لي بك حاجة ولا اسلم ولا اركب السفينة قال نوح لابنه
لا عاصم اى لا مانع اليوم من امر الله اى من عذابه وهو الغرق لا جبل ولا غيره
وذكر اليوم للتنبيه على انه ليس كساير الايام التي تقع فيها المصايب وتلم فيها الملمات المعتادة التي
ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية الا من رحم اى الا الراحم وهو الله
تعالى فينجيه من الغرق فيكون معصوما او المعنى لا مكان يعتصم اللايذ به من امر الله الا مكان من
رحمهم الله وهم المومنون ومكانهم ذلك اليوم هو السفينة او المعنى لا عاصم اى لا ذا عصمة من غضب الله
الا من رحمه الله فعلى هذه التقادير الاستثناء متصل وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه
وحال بينهما الموج اى وقع بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة او بين ابنه والجبل
فكان من المغرقين اى فصار من المهلكين بالماء يعني من جملتهم او كان في علم الله انه يغرق
لانه كان من المغرقين قبل ذلك وقيل بعدما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح يا ارض ابلعي
اى انشفي

٢٤ نفتح حفص وكسر ابو بكر
٢٥ اى معنى يا بني اركب معنا
٢٦ اى الفلك
٢٧ اى غلب الماء ولم يصل الى الجبل
٢٨ قبل وصوله الى الجبل

اى انشفي وتشربي ماءك الذي نبع منك دون ما نزل من السماء فصار انهارا وبحارا ويا
سماء اقلعي اى امسكي عن انزال المطر نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يومرون تمثيلا لكمال
قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه المتبادر الى
امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه تلخيصه حكى الله عن سلطانه وقدرته
ما تعلق ارادته بوقوع على وفقه من غير ريب وانما قلنا نوديا بما ينادى به اولو العلم لانه نوديا
باسم يخصهما وهو يا ارض ويا سماء وطلب به اقبالهما تشبيها لهما بالعقلاء المميزين المامورين
الذين لا يتاتى منهم العصيان لكمال هيبة الامر وادخالا لهما في جنس ذلك المامورين على سبيل الاستعارة
المكنية وجعل النداء قرينتها على سبيل الاستعارة التخييلية وجعل الامر والبلع ترشيحا للاستعارة
لان كل واحد منهما امر ملايم للمستعار منه اما الامر فظاهر واما البلع فلانه ادخال الطعام في الحلق
بعمل الجاذبة والمراد بالبلع ان تشرب الارض ماءها فقط دون ماء السماء فهو استعارة لغور
الماء في الارض واما الاقلاع فهو مشترك بين الحيوانات والجمادات يقال اقلع الرجل من عمله اذا كف
واقلعت السماء بعدما مطرت اى امسكت فليس هو تجريدا ولا ترشيحا وبذلك قولنا نوديا بما
ينادى به اولو العلم ايضا على ان النداء والامر وقعا من الله حقيقة ووجد المطلوب منهما
تمثيل لكمال قدرته الى اخره ويحتمل ان يقال انه لا قول ثمة ولا امر ويكون القصد الى تمثيل تاثير قدرته
فيهما بامر مطاع للمطيع في حصول المراد من غير امتناع وتوقف ففيه استعارة تمثيلية ايضا
ويحتمل ان يجعل معنى نوديا الخ يعني عبر بما يدل على ندائهما وعلى الامر لهما تمثيلا الخ وهذا ما عليه
الاكثرون والحاصل ففي الاية من عجيب البلاغة وجوه كثيرة منها انه خرج مخرج الامر على معنى
التعظيم لفاعله لانه من غير معاناة ولا لغوب ومنها ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة
على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل
هذه الافعال لا يقدر عليه احد سوى الواحد القهار ومنها حسن تقابل المعاني ومنها حسن ايتلاف
الكلمات ومنها حسن البيان في تقرير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال ومنها انه قال ماءك
باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض اتصال الملك بالمالك واختار
ضمير الخطاب دون ان يقال ليبلع ماءها لاجل الترشيح ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يلزم تعميم
الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل به يحذف من اقلعي حذرا من التطويل ومنها
سيما فكل القصة في اوجز خطبة الى غير ذلك مما عليه هذا الكلام من الحسن العجيب واللفظ البديع
فثبت بان في الاية من علم البيان لما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها ومن علم
المعاني لما فيها فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها لانه اختار يا دون
اخواتها لكونها اكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت
وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارضي لزيادة التهاون
اذ الاضافة تستدعي القرب ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما
اخف وادور واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعي وقيل اقلعي ولم يقل عن المطر

وكذا لم يقل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ولم يقل يا سماء اقلعي فاقلعت اختصارًا وغير ذلك بان قدم
النداء على الامر فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء وقدم امر
الارض على امر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منه وفي الاية ايضا من الفصاحة المعنوية وهي كما ترى
نظم للمعاني لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشكك
الطريق الى المرتاد ومن الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى غريبة مستعملة سليمة عن التنافر
بعيدة عن البشاعة عذبة عن العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل
في الحلاوة وكالنسيم في الرقة وكالمصباح في الزجاجة ومن ثمة اطبق المعاندون على ان طوق
البشر قاصر على الاتيان بمثل هذه الاية ولله در شان التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته
الا ادرك لطايف لا يتسع الحصر ولا تظن الاية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور
والله اعلم باسرار كتابه قوله **وَغِيضَ الْمَاءُ** اى نقص وذهب وهذا اخبار عن حصول المامور به
وَقُضِيَ الْأَمْرُ اى فرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح يعني وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين
وانجاء المومنين **وَاسْتَوَتْ** اى استقرت السفينة **عَلَى الْجُودِيِّ** وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل
على الاصح وفي الاماني والقول بانه جبل بالشام ابا مل او بكذا ليس له اصل قال السيوطي هو جبل
من جبال الجنة يزوره مشايخ الاكراد وهو لهم كاحد لاهل المدينة وابي قبيس لاهل مكة وقد ذكرنا
بانه قطعة من الطور واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال الجودي جبل بالجزيرة
تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق فارست عليه سفينة نوح
وكان شيخنا يقول في هذا الجبل المبارك قبر نوح واصحابه وفيه مسجده وقريته المسماة بثمانين وفيه
قبر ادم لما ذكرنا بان نوحا حمله معه وهو بقرب قريتنا يعني د كان لكن ما اتفق لنا زيارته ولكن
الله عوضنا خيرا منه حيث جعل قرارنا ببلدة بنية طيبة الطيبة صلى الله على ساكنها وعلى جميع
اخوانه من الانبياء والمرسلين بعدد ما عنده من العدد والمدد في كل لحظة من الازل الى الابد
ولنرجع الى المقصود واخرج احمد وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي هريرة قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
باناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشورا فقال ما هذا الصوم فقيل هذا اليوم الذي نجى الله
فيه موسى وبني اسرايل واغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي
فصامه نوح وموسى شكرا لله فقال صلى الله عليه وسلم انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم فصام
وامر اصحابه بالصوم قال السلطان روي ان نوحا ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وفي تفسير ابن خازن وروي ان نوحا عليه السلام ركب
السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد
رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي
قبيس وهبط نوح ومن معه من السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وامر جميع من معه بصيامه
شكرا لله وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت بعد الطوفان
وقد اشرنا الى بعض ما ذكرنا هنا فيما قبل ولكن رايت هنا زيادة بعض الكلمات فكتبنا وقيل انه

لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج ابن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته
من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله
عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك وقد تقدم قريبا بحث الساج على غير هذا
المنوال فراجعه فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغ الحلم
من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل
اعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه
يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ايضا هلاك
اطفال الامم الكافرة مع ابايهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله تعالى متصرف في خلقه
وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وجواب اخر ان الله تعالى
علم بانه لو لم يعقم ارحام نسايهم ما يحصل منهم الا الكفار كما قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا **وَقِيلَ**
بُعْدًا يعني هلاكا **لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** اى الكافرين ولم يصرح بالفاعل مسلوكا سبيل الكناية لان هذه
الامور لا يتاتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره ومثله في صدر الاية ليستقل من
ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية قوله تعالى **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ**
اى ناداه ودعاه وساله او اراد ان يدعوه بدليل فاء العاطفة في قوله **فَقَالَ رَبِّ إِنَّ**
ابْنِي كنعان **مِنْ أَهْلِي** يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي قال الشيخ اى اهلي الذين وعدتني
بنجاتهم في ضمن الامر بحملهم او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال **وَإِنَّ وَعْدَكَ**
الْحَقُّ اى الصدق الذي لا خلف فيه يعني ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت
ان تنجي اهلي فما بال ولدي وحاله اغرق ام نجا او فما له لم ينج فيكون النداء بعد غرق ابنه
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه فان الواو لا يقتضي الترتيب **وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** لا حكم
فوق حكمك او انك اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل او لانك اكثر
حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ورب ذي باب غريق في الجهل والجور
والرشوة من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر
واستعبر **قَالَ** الله تعالى **يَا نُوحُ إِنَّهُ** اى هذا الابن الذي سالتني نجاته **لَيْسَ مِنْ**
أَهْلِكَ الناجين الذين عمهم الوعد او من دينك فهذا تذكير للاستغناء في قوله الا من سبق عليه
القول وانما نفى اهليته لقطع الولاية بين المومن والكافر وفي اللباب اختلف علماء التفسير هل كان
هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد خبث من غير نوح ولم يعلم به
فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه نوح
ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر
المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان
ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امراة نبي قط ولان
الله نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه وقول نوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا

Copyright © King Saud University

نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر
من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله خلق خلقه
فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن
والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله تعالى اخرج قابيل من صلب ادم
وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا وكذلك اخرج
كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شاء فان قلت فعلى هذا
كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه
وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راى تلك الاهوال ان يسلم
فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني ليس هو من
اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما انتهى بحروفه اقول اما قول
صاحب اللباب واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا فلا نسلم بانه عليه السلام من صلب
آزر بل قيل آزر عمه وابوه تارح وقدم تفصيل ذلك في سورة الانعام فراجعه ولما حكمت الشريعة
برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر علل لانتفاء كونه من اهل نوح عليه السلام
بقوله **انه عمل غير صالح** اي انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل ونفسه في مداومته على
العمل الفاسد مبالغة ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما قرأ الكسائي
ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك
والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين
غير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد
ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح كما
اشرنا بقولنا انه ذو عمل فاسد والتقدير على هذه القراءة بعبارة اخرى ان ابنك ذو عمل او صاحب
عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار قال الواحدي وهذا قول ابي
اسحق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قوله تعالى **فلا تسألن ما ليس لك**
به علم من انجاء ابنك وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من محل
شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه
المسألة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ما ليس لك به علم بجواز مسألته قرأ نافع وابن عامر
بتشديد النون من غير ياء على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت
المشددة للياء ثم حذفت الياء اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل وابن كثير بتشديد
النون مع الفتح وابو عمرو والكوفيون بنون مكسورة خفيفة وياء وصلا لابي عمرو ودونه ياء في الحالين
للكوفيين وفي الاسرار معناه اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله
صواب وموافق للحكمة هذا على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول المسؤول او طلبا لا تعلم انه

صواب

صواب وهذا على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه
في كل ما علم فساده ومشتبه الحال وانما سمي نداؤه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه
في شان ولده او استفسارا لمانع للانجاء في حقه وانما سمي سؤاله جهلا وزجر عنه بقوله **اني**
اعظك اي انهاك **ان تكون من الجاهلين** لمثل هذا السؤال الذي لا تعلم لان استثناء من سبق
عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر
عليه ثم انه تعالى لما نهاه عن السؤال عما ليس به علم **قال** نوح عند ذلك يا رب قبلت هذا التكليف
ولا ارجع اليه الا اني لا اقدر على الاحتراز منه الا باعانتك وهدايتك بدا اولا بقوله **رب اني اعوذ بك**
اي الجأ اليك واعتذر اليك **ان اسألك** فيما يستقبل **ما ليس لي به علم** اي بما لا علم لي بصحته يعني
انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسألتي ما ليس لي به علم **والا**
تغفر لي اي وان لم تغفر لي ما فرط مني من الاقدام على السؤال فيما ليس لي به علم **وترحمني** اي برحمتك
التي وسعت كل شيء وبالتوبة والتفضل علي بما انت اهله **اكن من الخاسرين** اعمالا ولا يخفى
ان حقيقة التوبة تقتضي امرين احدهما العزم على ترك الفعل في المستقبل واليه الاشارة بقوله اعوذ بك
والاخر الندم والاستغفار لما مضى واليه الاشارة بقوله والا تغفر لي الاية وهذه عادة الصالحين
انهم اذا وعظوا اتعظوا واذا نبهوا للخطأ تعوذوا واستغفروا وانما حكى الله تعالى ما صدر من الانبياء
عليهم السلام من التعوذ والاستغفار ليقتدى بهم في ذلك من غير قنوط عن رحمته واخرج احمد في الزهد
عن وهيب بن الورد الحضرمي قال لما عاتب الله نوحا في ابنه وانزل عليه اني اعظك ان تكون من
الجاهلين بكى ثلثماية عام حتى صار تحت عينيه مثل الجدول من البكاء **فصل** وقد استدل
بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبياء عليهم السلام وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح والمراد منه
السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون
من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له
يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا بان ينجيه واهله فاخذ نوح
ظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى
فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله تعالى على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس
من اهله الذين وعد بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله عز وجل انه مغرق
مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه
فخاف نوح من ذلك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات
الابرار سيئات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى
تاويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية اصلا عند من له عقل سليم و
طبع مستقيم ثم عقب المعاتبة على السؤال بالبشارة والسلامة بقوله **قيل يا نوح اهبط بسلام**
منا خاطبه بالهبوط من السفينة بعدما استوت على الجودي فالسلام ان كان بمعنى السلامة يكون المعنى
انزل من السفينة او من الجبل الى الارض مسلما من المكاره محفوظا من الغرق من جهتنا وان كان بمعنى

Copyright © King Saud University

التسليم والتحية يكون المعنى مسلّماً عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك البركة
هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته والمعنى ومباركاً عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدماً
ثانياً ولهذا قيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيمة كما قال الله تعالى
وجعلنا ذريته هم الباقين فكل العالم من اولاده الثلاثة ولم يعقب ممن كان معه في السفينة غيرهم
وروى انه لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته قيل اول كلمة تكلم بها نوح
حين خرج من السفينة يا مور اتقن كلمة بالسريانية والمعنى يا مولاي اصلح فلا ينقطع اهل الصلاح
والتقوى من الجزيرة وحواليها ببركة هذه الكلمة الى يوم القيمة قيل واول شجرة غرس نوح عليه السلام
حين خرج من السفينة الآس ثم اتى حران فخطها ثم اتى دمشق فخطها فكانت حران اول مدينة
خطت بعد الطوفان ثم دمشق وقيل ثم بابل بعدهما قوله تعالى **وعلى امم ممن معك** يعني وبركات عليك
وعلى قرون تجيء من بعدك من ذريته اولادك الذين كانوا معك في السفينة وهم المؤمنون قال محمد بن كعب
القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيمة قال الشيخ ويجوز ان تكون من لبيان الجنس فيراد بهم الذين كانوا
معه في السفينة فالسلام مختص بهم وسموا امماً لانهم كانوا جماعات متحزبين او لتشعب الامم منهم
باعتبار مآل امرهم وان تكون لابتداء الغاية اي وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
قوله تعالى **وامم سنمتعهم** هذا ابتداء كلام اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا وفي اللباب
اي وامم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش فقوله امم
مبتدأ وسنمتعهم صفتها والخبر محذوف والتقدير وممن معك امم سنمتعهم كما قدرنا في صدر الكلام
فان قيل لم حذف الخبر قلنا لان ممن معك تدل عليه واخرج ابن جرير عن الضحاك وعلى امم ممن معك
يعني ممن لم يولد اوجب الله لهم البركات لما سبق لهم في علم الله من السعادة وامم سنمتعهم يعني متاع
الحياة الدنيا **ثم يمسهم منا عذاب اليم** في الآخرة لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة وتلخيص معنى
الآية بتمامها ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك امم
ممتعون بالدنيا وزخارفها منقلبون الى النار والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة
قوله تعالى **تلك** خطاب مع نبينا صلى الله عليه وسلم اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها
الرفع بالابتداء وخبرها الاول **من** للتبعيض **انباء الغيب** اي اخبار ما غاب عنك وخبرها الثاني
نوحيها اليك اي موحاة اليك يا محمد والضمير للقصة او حال من الانباء او هو الخبر الاول ومن
انباء متعلق به او حال من الهاء **ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا** اي من قبل نزول
القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملاً فنزل القرآن بتفصيلها
وبيانها وجواب آخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان امياً لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك
كانت امته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القرآن والجملة اما حال من الكاف
في اليك او من المفعول في نوحيها او خبراً ثالثاً لتلك **فاصبر** على مشاق الرسالة كما صبر نوح يعني
اصبر يا محمد على اذى مشركي قومك كما صبر نوح على اذى قومه **ان العاقبة** اي آخر الامر المحمود بالنصر

والظفر

والظفر على الاعداء في الدنيا وفي الآخرة بالفوز والسعادة **للمتقين** عن الشرك والمعاصي لا يقال
قد ذكر هذه القصة في سورة يونس فما فائدة هذا التكرار لانا نقول ان القصة الواحدة قد
ينتفع بها من وجوه ففي السورة الاولى كان الكفار يستعجلون نزول العذاب فذكر الله تعالى هذه
القصة وبيّن ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا
في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه السورة ذكر القصة لبيان ان اقدام الكفار على الايذاء كان
حاصلاً في زمن نوح فلما صبر نال الفتح والظفر فكن يا محمد كذلك لتنال المقصود فلما كان الانتفاع
بالقصة في كل سورة من وجه لم يكن تكريرها خالياً عن الفائدة قوله تعالى **والى عاد** عطف على
ارسلنا نوحاً الى قومه يعني وارسلنا الى عاد **اخاهم** اي واحداً منهم يعني من قبيلتهم ونسبهم
لا في الدين **هوداً** عطف بيان لاخاهم والمعنى ولقد ارسلنا الى عاد العمالقة الضم اخاهم يعني واحداً
منهم في النسب ولا في الدين وهو هود كقولهم لواحد من قبيلتهم يا اخا العرب مشفقاً عليهم لنسبهم
ويبصرهم بعد ما سمعوا من قصة نوح فابصرهم عبادة الله وتوحيده اذ **قال يا قوم اعبدوا الله**
يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئاً **ما لكم من اله غيره** يعني الله تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التي
تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملاً على
لفظه **ان انتم** اي ما انتم باتخاذكم الاوثان شركاء وجعلها شفعاء **الا مفترون** الا كاذبون على الله
الله عن ذلك علواً كبيراً **يا قوم لا اسألكم عليه** اي على التوحيد وتبليغ الرسالة **اجراً** اي ثواباً وجعلاً
آخذه منكم **ان اجري** اي ما ثوابي وجعلي **الا على الذي فطرني** يعني خلقني فانه هو الذي يرزقني
في الدنيا ويثيبني في الآخرة ما من نبي ولا رسول الا وصرح لقومه بعدم اخذ الاجر على التبليغ ازاحة للتهمة
وتمحضاً للنصيحة فانها لا تنجع ولا تنفع ما دامت مشوبة بالمطامع وانما قال في قصة نوح مالاً دون
اجر لذكر الخزائن بعده ولفظ المال بها اليق **افلا تعقلون** اي افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل
والصواب من الخطأ او افلا تتفطنون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجراً الا من الله **ويا قوم استغفروا
ربكم** اي اطلبوا المغفرة من الذنوب السالفة بالايمان بايه لانه المطلوب اولاً **ثم** بعد الايمان به **توبوا**
اي ارجعوا من شرككم وعبادتكم الاوثان **اليه** اي الى الله بالطاعة واخرج ابن عساكر عن الضحاك قال امسك
الله عن عاد القطر ثلاث سنين فقال لهم هود عليه السلام استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم
مدراراً فابوا الا تمادياً قوله **يرسل السماء عليكم مدراراً** يعني ينزل المطر عليكم متتابعاً مرة بعد
مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر
مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا
بالله وصدقوه ارسل الله عليهم المطر فاحيا به بلادهم كما كانت اول مرة ومدراراً منصوب على انه
حال من السماء ولم يؤنثه وان كان من مؤنث لان مفعالاً صيغة مبالغة ومعناه الكثير الدر والمتتابع
فيستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وشكور وقيل لان المراد بالسماء السحاب فذكر حملاً على المعنى **ويزدكم قوة
الى** **قوتكم** اي مع قوتكم اي ويضاعف قوتكم وقال مجاهد ويزدكم شدة مع شدتكم وعن عكرمة في قوله ويزدكم
قوة الى قوتكم قال ولداً الى الولد وقيل انكم ان آمنتم يقويكم بالاموال والاولاد وذلك ان الله اعقم ارحام نسائهم

Copyright © King Saud University

فلم يلبث فقال لهم هود عليه السلام ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالاً ويعيد ارحام الامهات
الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوةً بالاموال والاولاد وقيل اغا رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة
لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وبساتين وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة فى البدن قوله تعالى ولا
تتولوا مجرمين اى ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مصرين على اجرامكم يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى
ونصحى حال كونكم مشركين وعن الحسن بن على رضى الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج قال بعض
حجابه انى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيئا لعل الله يرزقنى ولدا فقال عليك بالاستغفار وكان يكثر
حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعماية فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية رضى الله عنه فقال هلا
سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل قال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول
نوح ويمددكم باموال وبنين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اى ببرهان وحجة ظاهرة ودليل
واضحة على صحة دعوى رسالتك ليلزمنا تصديقك وهذا لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه نقل ان من بعض معجزات هود انه
كانت الريح الصرصر مسخرة له وما نحن بتاركي الهتنا اى بتاركى عبادتهم عن قولك عن
للسببية اى من اجل قولك كقوله تعالى الا عن موعدة وعدها اياه فتتعلق بتاركى او على تضمين الترك
معنى الصدور فيكون حالا من الضمير فى تاركى كانه قيل ما نترك الهتنا صادرين عن قولك وما نحن
لك بمؤمنين اى بمصدقين فى شىء فيكون اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتراك اصابك
بعض الهتنا بسوء يعنى انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب الهتنا الا ان بعض
الهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا نحمل امرك الا على هذا تلخيصه ما نقول
الا قولنا اعتراك واصابك بعض الهتنا بسوء فخبلت به عقوبة لك على سبك اياها والدعوة
الى تركها ورفض عبادتها والجملة مقول القول والا لا عمل له فى اللفظ لان الاستثناء مفرغ تقديره ما نقول
قولا الا هذا القول قال هود عليه السلام مجيبا لما لهم الحمقاء بان الامر ليس كما تقولون انى اشهد
الله على نفسى واشهدوا انتم على ايضا انى برىء مما تشركون اى من اشراككم
الالهة من دونه اى من غير الله او هذه الاصنام التى تعبدونها فكيدونى جميعا اى احتالوا
واقصدوا فى هلاكى وضررى انتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع
وجميعا حال من ضمير كيدوا ثم لا تنظرون اى لا تمهلون امرهم ان يجتهدوا على الكيد فى اهلاكه
من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخذهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم
يبق لهم شبهة ان الهتهم التى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا ايضا من جملة
معجزاته وذلك انه كان وحيدا فى قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم
من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله انى توكلت على الله اى
استنادى واعتمادى على الله الكريم ربى وربكم اى مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدره تلخيصه انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته
وحفظه ثم برهن على ثقته بالله بقوله ما من دابة ونسمة تدب على الارض من بنى ادم وغيره

الا هو

الا هو اخذ بناصيتها اى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها ويقهرها لان من اخذت
بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الراس وسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة
وقيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا
بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه
جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون من كلامهم
ان ربى على صراط مستقيم اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم
قال الشيخ معناه ان ربى وان كان قادرا وانتم فى قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلكم
ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسىء بعصيانه وقيل
معناه ان ربى هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربى يحملكم على صراط مستقيم واخرج ابن ابى حاتم
عن يحيى بن سعيد قال ما من احد يخاف لصا عاديا او سبعا ضاريا او شيطانا ماردا فيتلو هذه الاية
انى توكلت على الله الى قوله على صراط مستقيم الا صرف عنه فان تولوا اى فان تتولوا وتعرضوا عن
الايمان بما ارسلت به فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اى فقد اديت ما على من الابلاغ والزام
الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم تلخيصه فان تتولوا فانى لم اعاتب
لانه لم يقع منى تقصير فى تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم فى قبول ذلك ويستخلف بالرفع اى
يستبدل ربى قوما غيركم اى خيرا منكم يعنى انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به
اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى
عذاب الاستيصال فهو استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين فى ديارهم
واموالهم وقيل انه عطف على الجواب بالفاء اى فقد يستخلف لح ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل فان تتولوا يعذرنى ويستخلف وفى اقتصار اضافة الرب عليه صلى الله عليه وسلم
رمز الى اللطف به والاهلاك للمخاطبين ولا تضرونه شيئا يعنى بتوليكم انما تضرون انفسكم
لاستحالة الضرر على الله ومن جزم يستخلف اسقط منه النون وقيل معناه لا تنقصونه شيئا
اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء ان ربى على كل شىء حفيظ يعنى ان ربى
حافظ لكل شىء فيحفظنى من ان تنالونى بسوء او انه رقيب ومهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مجازاتكم ومواخذتكم ومن كان هذا شانه لا يمكن ان يلحقه ضرر منكم ومن امثالكم ولما
جاء امرنا اى عذابنا او امرنا باهلاكهم وهو ما نزل بهم من الريح العقيم الشديد الغليظ
عذبهم الله تعالى سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهى الايام النحسات تدخل فى مناخرهم وتخرج
من ادبارهم وتصرعهم على الارض على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية نجينا هودا
والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف على ما عليه المفسرون برحمة منا اى بهداية
وفضل ونعمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما انجى الله المؤمنين
من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب غليظ يعنى الريح التى
اهلكت بها عاد وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين

Copyright © King Saud University

عذاب الدنيا والاخرة والحاصل ان المراد بالنجاة الاولى هو النجاة من عذاب الدنيا وهو الريح العقيم
السموم المذكورة وبالثانية هو النجاة من عذاب الاخرة ايضا والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب
الدنيا ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا
ثم لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد اشار الى اثار قوم هود المهلكين
في طريق الشام اي تلك الاثار اثار عاد يا اهل مكة فسيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم ثم وصف حالهم بقوله جحدوا
بايات ربهم اي كفروا بالايات والعلامات الدالة على توحيده والمعجزات الدالة على صدق رسوله
هود عليه السلام وعصوا رسله يعني هودا وحده وذكره بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب
رسولا واحدا فقد كذب كل الرسل لاتفاق كلمتهم على التوحيد واتبعوا امر كل جبار عنيد
يعني ان السفلة والسقاط من قوم هود اتبعوا الروساء والمراد بالجبار الرفيع في نفسه المتكبر المتمرد
على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه قيل الجبار هو الذي يضرب ويقتل عند الغضب
والعنيد لا يقول الحق فلا يقبله وان عرفه والمعنى انهم عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم هذا هو جرمهم ثم بين عقوبة تلك السفلة بقوله واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة يعني جعلت اللعنة لازمة تابعة لاحقة لهم في الدارين يعني لا تفارقهم
واين ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيث داروا بسبب اتباعهم لرؤسائهم الضالين المضلين
الملعونين في الكفر الطرد والابعاد من رحمة الله واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن السدي في قوله
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال لم يبعث نبي بعد عاد الا لعنت عاد على لسانه واخرج ابو
الشيخ عن مجاهد في قوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال لعنة اخرى واخرج ابن المنذر وابو الشيخ
عن قتادة في الاية قال تتابعت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة ثم ذكر السبب الذي
استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم يعني جحدوه فاجرى
كفروا مجرى جحدوا فعدي بنفسه كما ان جحدوا اجري مجرى كفروا فعدي بالباء في قوله جحدوا بايات
ربهم الا بعدا لعاد اي بعدا من رحمة الله وهلاكا لهم دعا عليهم باللعن بعد هلاكهم ليدل
على استحقاقهم له يقينا وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم فان قلت
اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول قلت الفائدة
فيه ان التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له قوم هود عطف
بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين
عادا الاولى القديمة الذين هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق وفي الاسرار وعاد
الثانية هم قوم صالح فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص
تدل على تقوية التاكيد والى ثمود اي ولقد ارسلنا الى ثمود العماة الصم وهم سكان الحجر اخاهم في
النسب لا في الدين صالحا عليه السلام ليسمعهم ويبصرهم عبادة الله وتوحيده اذ قال يا قوم
اعبدوا الله اي وحدوا الله وخصوه بالعبادة ما لكم من اله غيره يعني هو الهكم المستحق
للعبادة

للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال هو انشاكم
من الارض اي هو خلقكم وكونكم من الارض لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله
منها من التراب وتخصيصه ان الله خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض و
استعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم
يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم
وفي الغاية معناه امركم بالعمارة فيها او جعلكم عمارها اي سكانها او استبقاكم فيها من العمر او من العمرى
وهي ان يقول الرجل اعمرتك هذه الدار اي لك الانتفاع بها مدة عمرك وعلى هذا فالمعنى انه اعمركم فيها
دياركم وهو يرثها منكم وترجع بعد موتكم او جعلكم معمرين لغيركم لان من ورث غيره فكانه اعمره اياها وفي
المدارك وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من
الظلم فسال نبي من الانبياء في زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش
فيها عبادي فاستغفروه اي من ذنوبكم فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم
من التفريط ثم توبوا اليه من الشرك والمعاصي ثم ذكر موجب الاستغفار والتوبة فقال ان
ربي قريب اي قريب الرحمة او قريب من المؤمنين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال
السيوطي انه قريب من خلقه بعلمه مجيب لمن دعاه وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم
ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنهما
في الوجود اعني الاجابة ثم لما قرر صالح عليه السلام هذه الدلائل قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا اي قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا
لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود الى ديننا
فلما اظهر لهم دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه قال الشيخ معناه كنا نرجو منك
الانتفاع بك في ديننا وتدبير امورنا قبل ان تدعونا الى دين غير دين ابائنا فلما نطقت بهذا القول
انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك قال ابن عباس يعني مرجوا يعني قد كنت فينا فاضلا خيرا نقدمك
على جميعنا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اي ما عبدوه من الالهة والعدول الى صيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية تمسكوا بطريق التقليد ونظير تعجبهم هذا ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة
في قوله اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانا لفي شك مما تدعونا اليه
من التوحيد والتبري من الاوثان مريب يعني انا مرتابون في قولك اي موقع في الريبة فهو
اسم فاعل من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في الريبة والتهمة فهو متعد
او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة فهو لازم والاسناد مجازي قال يا قوم اي قال صالح عليه
السلام مجيبا لقومه يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اي على حجة
ظاهرة وبصيرة ويقين وحرف الشك باعتبار المخاطبين من ربي اي من مالكي ومتولي امري والاصابة
للتشريف واتاني اي واعطاني منه اي من لدنه رحمة اي نبوة وحكمة فانها فضل من الله قال الاستاد
اتى بان للشك مع انه عليه السلام على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على

Copyright King Saud University

بينة من ربي وآتاني نبوة على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم ووافقت هواكم وعصيت ربي في اوامره
فمن ينصرني من الله اى فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته اى ان خالفت امره في تبليغ
رسالته لدينكم الباطل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياى يعنى بما تقولون لى وتامروني به و
تحملونني عليه غير تخسير اى غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني
بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران قال ابن عباس معناه فما تزيدونني غير بصارة في خسارتكم
وقال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما
تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة كما اشرنا واخرج ابن جرير وابو الشيخ عن مجاهد فما
تزيدونني غير تخسير يقول ما تزدادون انتم الا خسارا واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن عطاء
الخراساني فما تزيدونني غير تخسير قال ما تزيدونني بما تصنعون الا شرا لكم وخسرانا تخسرونه
والله اعلم ويا قوم هذه اى هذه الناقة مع انها ناقة الله والاضافة للتشريف كبيت الله
وعبد الله وللتنبيه على انها مفارقة لساير ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الصفة وذلك
ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل
فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها قوله تعالى لكم اى حاصلة لكم
بذاتكم تعيد فوايدها مع فوايد الاخروية لكونها آية اى معجزة دالة على صدقي وهي حال من
ناقة الله وعاملها معنى الاشارة ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تاخرت لكانت
صفة لها والحاصل هذه لكم آية فلو نادت منها دوابكم وامتنعت من الرعي فذروها تاكل
في ارض الله اى ترع عشبها وكلأها ونباتها وتشرب ماءها فان ناقة الله اولى بان ترعى
بارضه من دوابكم وان كانت دوابكم عندكم اولى ولا تمسوها بسوء يعنى بعقر ونحوه
لانتسابها الى الله فياخذكم ان عقرتموها عذاب قريب اى عاجل لا يتراخى عن مسكم لها
بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فذار بامرهم قيل زينت عقرها لهم عنزة ام غنم
وصدقة بنت المختار واقتسموا لحمها فرقى سقبها اى فصيلها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال
صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا وانفجرت الصخرة بعد رغايه فدخلها
وقد تقدم قصتها مفصلا فقال لهم صالح توبيخا وتهديدا تمتعوا في داركم اى عيشوا في
منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك يعنى العذاب
الذى وعدهم به بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب اى هو غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرايه
مجرى المفعول به ومثله يوم مشهود وكقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا والاصل شهدنا فيه
او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له انى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير
كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول والميسور والمفتون روى انه قال لهم ياتيكم العذاب بعد
ثلاثة ايام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة
فكان كما قال واتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله تعالى فلما جاء امرنا اى عذابنا او امرنا
بنزوله وفيه من التهويل ما لا يخفى نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بامنوا

برحمة اى بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح عليه السلام النبوة والى المؤمنين
الايمان قال الاستاد برحمة منا اى بنعمة بان هديناهم الى الايمان فآمنوا ومن خزي يومئذ
اى ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة
فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا قرا نافع والكسائي
هنا وفي المعارج قوله من عذاب يومئذ بفتح الميم على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه والباقون
بكسر الميم لاضافة الخزي اليه قال الاستاد والوجهان جائزان لان ظرف الزمان متى اضيف الى مبني
جاز فيه الاعراب والبناء ان ربك اى ان ربك يا محمد هو القوي هو القادر على كل شيء وعلى
انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين العزيز الغالب القاهر الذى لا يغلبه شيء ثم اخبر عن عذاب قوم
صالح فقال واخذ الذين ظلموا اى ظلموا انفسهم بالكفر بالرسل الصيحة وذلك ان جبريل
صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت
كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا اى فصاروا في ديارهم
جاثمين اى صرعى هلكى وجثومهم سقوطهم على وجوههم قد سبق تمام تفصيلهم في سورة
الاعراف فراجعه كان مخففة واسمها محذوف اى كانهم لم يغنوا اى لم يقيموا فيها
اى في تلك الديار ولم يسكنوها مرة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت فيه الا ان ثمود
وضعه موضع المضمر لزيادة البيان كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق
من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد قرا حفص وحمزة ان
ثمود ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين وقرا الباقون بنصب الدال وبالتنوين
وقوله الا بعدا لثمود منعه القراء من الصرف فقراوه بنصب الدال بغير التنوين الا الكسائي
فانه صرفه ونونه بخفض الدال فمن منع الصرف جعله اسما للقبيلة ومن صرف جعله اسما للحي
او للاب الاكبر ولما جاز صرفه وترك صرفه اختير الصرف في النصب دون الرفع والجر لان النصب
اخف الحركات ثم لما ذكر الله قصة ثمود ذكر بعدها القصة الرابعة فقال ولقد جاءت
رسلنا ابراهيم صدرت بكلمة قد لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد
للتوقع ودخلت اللام فيها لتاكيد الخبر ولفظ رسلنا جمع واقله ثلاثة واختلفوا في عددهم
فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك
كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا وقال كعب بن محمد القرظي كان جبريل ومعه سبعة
املاك وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى
لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به قوله تعالى بالبشرى
اى بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم
ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا
سلاما اى سلمنا عليك سلاما او نسلم عليك سلاما فسلاما منصوب على المصدر بفعل
محذوف ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال الاستاد ان الملائكة سلموا سلاما قال

Copyright Cairo University

اى ابراهيم **سلام** اى امركم سلام او وجوابى سلام او وعليكم سلام رفعه ابراهيم اجابة باحسن
من تحيتهم حيث دلت تحيتهم على التجدد وتحيته على الثبات والاستمرار قرا حمزة والكسائى سلم بكسر
السين واسكان اللام والباقون بفتح اللام والف بعدها وفتح السين وكذلك فى الذاريات وهما لغتان
كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح اى نحن سلم صلح لكم غير حرب قال ابن الخطيب قوله سلام عليكم
بالتنكير يدل على الكمال والتمام كانه قيل سلام كامل تام عليك لان التنكير يفيد المبالغة والتمام بخلاف
قوله السلام عليكم فانه لا يفيد الا الماهية ونظيره قوله تعالى سلام عليك ساستغفر لك ربى
وقوله سلام قولا من رب رحيم وقوله والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واما
قوله والسلام على من اتبع الهدى فالمراد منه الماهية والحقيقة قوله **فما لبث** ما نافية
والضمير لابراهيم او فاعله **ان جاء** والتقدير ما ابطأ ولا تأخر مجيئه عليه السلام **بعجل**
اى ولد بقر **حنيذ** اى مشوى على الحجارة المحماة فى حفرة من الارض وهو من فعل اهل البادية
وكان سمينا يسيل منه الودك من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين قال
قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لم ياته
ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءه الملئكة راى اضيافا لم ير مثلهم
قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوى **فلما راى ايديهم** يعنى ايدى الاضياف **لا
تصل اليه** اى لا يمدون الى العجل المشوى للاكل **نكرهم** اى انكر ذلك منهم امتناعهم من الطعام
وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى على ما قال البيضاوى قال الاستاد وانما انكر
ذلك منهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير قوله نكرهم حال
لما وهذا صريح فى ان انكاره عليه الصلاة والسلام اياهم كان بعد ما راى انهم لم يمدوا ايديهم
الى الطعام والظاهر من قوله تعالى قال سلام قوم منكرون انه كان قبل ذلك والتوفيق بين الايتين
انه عليه السلام انكرهم بعينه حين لاقاهم ونكرهم بقلبه بعد ما راى منهم امارة الخوف قال ابو العالية
يقال نكره بقلبه وانكره بعينه قوله تعالى **واوجس منهم خيفة** اى ادرك ووقع فى قلبه
خوف منهم الايجاس الادراك والوجس هو رعب القلب وفى القاموس قوله تعالى فاوجس فى
نفسه اى احس وانما خاف ابراهيم صلى الله على محمد وعليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من
الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملئكة وقيل ان ابراهيم عرف
انهم ملئكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام
لم يعرف انهم ملئكة فى اول الامر ويدل على صحة هذا انه صلى الله عليه وسلم قدم اليهم الطعام ولو
عرف انهم ملئكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملئكة لا ياكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم
ملئكة لما خافهم فلما رات الملئكة خوف ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعدد من صلى على محمد صلى
الله عليه وسلم عدد خلق الله بدوام الله **قالوا لا تخف** يا ابراهيم **انا** لا ناكل ولا نشرب لانا
ملئكة الله **ارسلنا الى قوم لوط** لنهلكهم **وامراته** سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وهى بنت هاران بن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم **قائمة** من وراء الستر تسمع
كلامهم

كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم **فضحكت** سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان
العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال الشاعر ❊ وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ❊ ولم
تعد حقا ثديها ان تحلما ❊ ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء قال السدى لما قرب
ابراهيم عليه السلام الطعام الى ضيفه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تاكلون فقالوا انا
لا ناكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه
على اخره فنظر جبريل عليه السلام الى ميكائيل عليه السلام وقال وحق لهذا ان يتخذه ربه خليلا
وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم واصل الضحك انبساط الوجه من سرور
يحصل للنفس ويستعمل فى السرور المجرد وفى التعجب المجرد ايضا واكثر المفسرين على ان الضحك هو المعروف
بين الناس ولهذا انكر الفراء والزجاج وابن الانبارى وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت
وقد عرفه غيرهم وانشد ❊ تضحك الضبع لقتلى هذيل ❊ وترى الذيب لها يستهل ❊ وقال
الاخطل ❊ تضحك الضبع من دماء سليم ❊ اذ راها على الجراب تمور ❊ وقال ايضا فى هذا المعنى
وضحك الارنب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا ❊ وقال فى هذا المعنى ايضا ❊ انى لاتى العرس
عند طهورها ❊ واهجرها يوما اذا تك ضاحك ❊ واخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابى
حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس فضحكت قال فحاضت وهى بنت ثمان وتسعين سنة واخرج ابن جرير
عن مجاهد فضحكت قال حاضت وكانت ابنة بضع وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه السلام ابن
مائة سنة واخرج ابو الشيخ عن ابن عمر فى قوله فضحكت قال حاضت والله اعلم قوله تعالى **فبشرناها
باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب** نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل
عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب انه معطوف على موضع باسحاق او على
اسحاق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد كل من الاحتمالين للفصل بين المعطوف وهو يعقوب
وبين ما عطف هو عليه وهو اسحاق بالظرف وهو من وراء اسحاق وقرا الباقون بالرفع
على انه مبتدا وخبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده والجملة الاسمية حال داخلة فى البشارة
اى فبشرناها باسحاق متصلا به يعقوب بان يولد منه والمعنى من بعد اسحاق يعقوب وهو ولد
الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها واخرج ابن الانبارى فى كتاب الوقف
والابتداء عن حسان بن ابجر قال كنت عند ابن عباس فجاءه رجل من هذيل فقال له ابن عباس
ما فعل فلان قال مات وترك اربعة من الولد وثلاثة من الوراء فقال ابن عباس فبشرناها باسحاق
ومن وراء اسحاق يعقوب قال ولد الولد فلما بشرت بالولد صكت وجهها اى ضربت وجهها
وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا **قالت يا ويلتى** نداء ندبة واصله
يا ويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند روية ما يتعجب منه مثل يا عجبا واصله فى الشر
فاطلق فى كل امر فظيع عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة ولذلك امال الالف عاصم وابو عمرو
وقرئ يا ويلتى بالياء على الاصل **االد وانا عجوز** بنت تسعين فى قول ابن اسحاق وقال

مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة ولم تدخلها التاء لان هذا اللفظ وضع للانثى وهذا
بعلى اى وهذا الذى تشاهدونه زوجى واصل البعل القايم بالامر يعنى المستعلى على غيره ولما
كان الزوج مستعليا على الزوجة قايما بامرها سمى بعلا بذلك شيخا وكان سن ابراهيم
يومئذ مائة وعشرين سنة فى قول محمد بن اسحاق وقال مجاهد مائة سنة وكان
بين البشارة والولادة سنة ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرى بالرفع
على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل من هذا ان هذا
لشىء عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجب عادة من كون الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة
يولد لهما قالوا اى قالت الملئكة لسارة اتعجبين من امر الله اى لا تعجبين يا سارة كما
النساء من قدرة الله فان خوارق العادات والكرامات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقلا فضلا
عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الايات رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت يعنى
بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملئكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان
ازواج الرجل من اهل بيته واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة انه اى ان الله حميد اى محمود فى جميع فعاله مجيد كثير الخير و
الاحسان واسع الكرم ثم انه تعالى لما فرغ من قصة ابراهيم شرع فى قصة لوط عليه السلام
فقال فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملئكة
من الاكل واطمان قلبه بحقيقتهم الملكية وجاءته البشرى بالولد بدل الخوف يجادلنا
فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا او جعل يجادلنا قيل معناه يكلمنا ويسالنا لتخصيص جادل
رسلنا فى شان قوم لوط لان العبد وان كان خليلا لا يقدر ان يجادل ربه قال الحسن
هذا الجدال هو قوله ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وسماه جدالا لانه كان
حريصا فى السؤال حرص المجادل وجواب قوله فلما محذوف وقوله يجادلنا حال اقيم مقام الجواب
تقديره اقبل علينا يجادلنا لا رسلنا او كلام مستانف دال على الجواب المحذوف مثل شرع فى جدالنا
او جواب لما جىء به مضارعا على حكاية الحال الماضية استحضارا للصورة المجادلة او المضارع
الواقع فى سياق جواب لما يكون بمعنى الماضى بان ترده لما الى معنى الماضى كما ترد كلمة لو ما وقع فى حيزها
من المضارع الى الماضى وفى تفسير ابن الخازن وكانت مجادلة ابراهيم مع الملئكة انه قال لهم ارايتم لو
كان فى مداين قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون
قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا
لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين
وقيل انما طلب ابراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا ويرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى
قال ابن جريج وكان فى قرى قوم لوط اربعة الاف الف ان ابراهيم لحليم اواه منيب
قوله حليم اى لا يستعجل فى مكافاة من يوذيه فيتحمل جهل السفهاء غير عجول على الانتقام منهم

وقوله

وقوله اواه اى هو كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس وقوله منيب اى رجاع الى الله
تعالى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه وقد تقدم تفسير
هذا فى سورة التوبة فراجعه قوله تعالى يا ابراهيم على ارادة القول اى قالت الملئكة يا ابراهيم اعرض
عن هذا اى اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال انه اى ان الشان قد جاء
امر ربك اى جاء قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله وانهم اتيهم
عذاب غير مردود اى غير مصروف عنهم بجدال ولا بدعاء وشفاعة اشاروا بهذا الى
ان القضاء اذا كان معلقا يندفع بالدعاء وغيره واذا كان مبرما فهو غير مردود قوله تعالى
ولما جاءت رسلنا لوطا اى لما اتوه ورأى هيأتهم وجمالهم وكان بين قرية ابراهيم
وقوم لوط اربعة فراسخ سيء بهم اى تحزن لوط بسبب مجيئهم وساءت ظنه بقومه لانه
رآهم على صورة غلمان مرد حسان الوجوه فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه
فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائى سىء وسيئت باشمام السين الضم وفى العنكبوت
والملك والباقون باختلاس حركة السين قوله تعالى وضاق بهم ذرعا اى ضاق بمكانهم وفى
ذرعه اى صدره وقلبه وهو كناية عن حزنه وشدة انقباضه للعجز عن مدافعة المكروه عن
اضيافه يقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع فى مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه
السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم
بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم وقال اى لوط هذا يوم عصيب اى
شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء اى شد به ماخوذ من العصابة التى يشد بها الراس قال
قتادة والسدى خرجت الملئكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل
فى ارض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملئكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال
اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله
وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملئكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان
قومى شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على
جماعة اخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول
قال جبريل للملئكة اشهدوا وقيل ان الملئكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم
يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان فى بيت لوط
رجالا ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم وفى الدر المنثور واخرج سعيد بن منصور وابن
المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما جاءت رسل الله لوطا ظن انهم
ضيفان لقومه فادناهم حتى اقعدهم قريبا وجاء ببناته وهن ثلثة فاقعدهن بين ضيفانه
وبين قومه وجاءه قومه يهرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من
اضيافه وقيل يهرعون يسرعون وقيل هو مشى بين مشيين يعنى بين الهرولة والجمز واخرج الطستى

Copyright © King Saud University

عن ابن عباس ان نافع بن الازرق قال له اخبرني عن قوله عز وجل يهرعون اليه قال يقبلون اليه بالغضب
قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت الشاعر وهو يقول اتونا يهرعون وهم اسارى نسوقهم
على رغم الانوف **ومن قبل** اى ومن قبل ذلك الوقت يعني من قبل مجي الرسل اليهم او من قبل مجيئهم الى
لوط **كانوا يعملون السيئات** يعني الفعلات الفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم تخصيصهم
انهم تعودوا بالفواحش ولم يستحيوا منها حتى جاوا يهرعون لها مجاهرين تبا لهم ولصنيعهم **قال**
يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني ادم **يا قوم هؤلاء بناتي**
قال قتادة المراد بناته لصلبه احديهما رغوثا والاخرى رميثا او ريوثا فدا وفدى بهما اوهن
ان كانت اكثر كما مر انفا اضيافه كرما وفتوة وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبون بناته
فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا للحرمة للمسلمات على الكفار فانه شرع طار لان تزويج
المسلمات الى الكفار كان جائزا في شرع لوط وهكذا كان في اول الاسلام بدليل انه صلى الله عليه وسلم
زوج ابنته زينب عن ابي العاص بن وايل وزوج ابنتيه من ابني ابي لهب عتبة وعتيبة
قبل الوحي وهم كفار ثم نسخ ذلك بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وفي الغاية والاستدلال
بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي العاص بن الربيع مبني على كونه متعبدا بشرع من قبله وفي
اللباب وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقيل انه كان في ذلك الوقت
وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد نساء قومه
واضافهن الى نفسه لان كل نبي هو ابو امته وكالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب
ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين على ما عليه اكثر المفسرين وليستا بكافيتين
للجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على اعدايه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك
بمنصب الانبياء ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه
سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق انتهى بحروفه والله اعلم وفي الاسرار ما نصه وفي قراءة ابي
وابن مسعود النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وهذا القول اولى
لان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لا يليق باهل المروة فكيف
بالانبياء وايضا فبناته من صلبه لا تكفي الجمع اما بنات امته ففيهن كفاية للكل وايضا فلم يكن
له سوى بنتين واطلاق البنات على البنتين لا يجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلثة انتهى بحروفه والله
اعلم بحقيقة الحال وفي المدارك وقيل كان لقوم سيدان مطاعان فاراد لوط ان يزوجهما بنتيه قلت
وذلك بشرط اسلامهما كان ذلك جايزا في شريعته قوله **هن اطهر لكم** اى طاهر وحل لكم
لا الاطهر من باب افعل التفضيل وهنا سوال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل
التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من اتيان الرجال في الادبار طاهر ومعلوم انه محرم
فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السوال ان هذا جار مجرى
قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم
لما قالوا يوم احد اعل هبل قال الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل وبين الصنم
فاذا

فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظاير كثيرة قال البيضاوي معناه انظف فعلا او اقل فحشا كقولك
الميتة اطيب من المغصوب واحل منه انتهى قال الاستاد القول بان ذلك اقل فحشا مبني على تجويز ادنه
على السفاح [illegible]يم ولا يقوله متدين وقال الشيخ معناه المبالغة في الطهارة لا تفضيلهن على من
راموه وقرى اطهر بالنصب فعلى القراة المشهورة وهي الرفع يكون قوله هؤلاء بناتي جملة من مبتدا وخبر
وكذلك هن اطهر لكم وعلى الشاذة يكون قوله هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا ضمير فصل فانه
انما يقع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وصاحبها وفي المدارك هؤلاء مبتدا وبناتي عطف بيان
وهن ضمير فصل واطهر خبر المبتدا او بناتي خبر وهن اطهر مبتدا وخبر وما ذكرنا من اختلاف المعاني
والاعراب فانما هو بحسب الاراء القرايح قوله تعالى **فاتقوا الله** اى خافوا الله واقربوه بترك الفواحش
والكفر والعصيان او فاتقوا الله بايثارهن عليهم **ولا تخزون في ضيفي** قرا ابو عمرو ونافع
باثبات ياء الاضافة على الاصل والباقون بحذفها للتخفيف دلالة الكسر عليه والمعنى ولا تسوءني
في اضيافي ولا تفضحوني معهم من الخزي وهو الهوان فان اخزاء ضيف الرجل اخزاء او ولا تخجلوني
من الخزاية بمعنى الحيا **اليس منكم رجل رشيد** يهتدي الى الحق الصريح ويجتنب عن الباطل القبيح
فيرشد اصحابه اليه ويمنعهم عنه قاله نجيا من حالهم وقال عكرمة معناه رجل يقول لا اله الا الله وقيل
رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح **قالوا لقد علمت ما لنا في**
بناتك من حق اى ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة او ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين
نكاحهن او ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك **وانك لتعلم**
ما نريد وهو اتيان الذكران في ادبارهم فعند ذلك **قال** لوط عليه السلام **لو ان لي بكم قوة**
اى لو اني اقدر بنفسي على دفعكم عن ضيفي لقاتلتكم **او اوي** اى الجا وانضم **الى ركن** اى جند وعشيرة
شديد اى قوي امتنع به عنكم لاويت شبه القوي الابد والناصر العزيز بركن الجبل في الشدة والمنعة وجواب
لو لقاتلتكم كما قدرنا ويحتمل ان يكون لو للتمني فلا يحتاج الى الجواب ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبت
وفي رواية الترمذي ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي يعني لخرجت من الحبس وذهبت مع
الساعي ولما قلت له ارجع الى ربك قال الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل
فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن له
عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو ان لي بكم قوة
في الدفع بنفسي او اوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع
المكروه عنهم قال الاستاد كان نبينا صلى الله عليه وسلم استغرب من لوط قوله او اوي الى ركن شديد لانه يوهم
من قوله واليأس من ان يكون له ناصر والحال انه لا ركن اشد من الركن الذي كان ياوي اليه وهو الله والجواب انه
عليه السلام قاله غلبت بادرة وخجالة من الاضياف واما في حديث يوسف عليه السلام بيان فضل يوسف
وبيان قوة صبره وثباته لانه لما جاءه رسول الملك بارساله اليه وقال اخرج من الحبس وارجع الى الملك لانه
استخلصه وهو يحض عنك فابى ان يخرج وقال ارجع الى ربك فلم يخرج مع ان يبادر الى الراحة فلهذا

Copyright King Saud University

انى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وقال ولو لبثت فى السجن الحديث اقول ولا يا خذك الغفلة فتقول
فى قوله عليه السلام لاجبت الداعى بان يوسف عليه السلام كان اثبت واصبر من نبينا صلى الله عليه وسلم
بل قاله تواضعا كما هو خلقه او فى هذه القضية خاصة او لامر هو يعلم به والشاهد على قولنا بان
نبينا صلى الله عليه وسلم كان اصبر من يوسف ما قاله الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف
لولا كلمته التى قالها ما لبث فى السجن يعنى قوله اذكرنى عند ربك وهذا الحديث صريح بان نبينا لو نزل به
ما نزل بيوسف ما كان يقول اذكرنى عند ربك وهذا الحديث له شان واى ذكره الثعلبى مرسلا وبغير سند
وقال مالك بن دينار لما قال يوسف عليه السلام للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى
وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب انسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة وكان الحسن يبكى ويقول
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقد ذكر ابن خازن حديث الثعلبى فى سورة يوسف وذكر فيه كلاما
اخر فراجعه وقرى او اوى بالنصب باضمار ان فلما حذفت ان رفع الفعل فيكون معطوفا على قوة كانه قال
لو ان لى بكم قوة او اويا قال ابن عباس اغلق لوط بابه والملئكة فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من
وراء الباب وهم يعالجون سور الجدار فلما رات الملئكة ما يلقى لوط من الكرب بسببهم **قالوا** اى الملئكة
يا لوط ان ركنك لشديد **انا رسل ربك فلن يصلوا** الينا و**اليك** بسوء يعنى لن يصلوا
الى اضرارك باضرارنا فهون عليك فان الامور بكفة الاله مقادير ها فلا يا تيك منهيها ولا قاصر عنك
ما مورها ودعنا واياهم فافتح الباب ففتح فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل فى
عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التى يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم
وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب
بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم
يقولون النجاة النجاة فى بيت لوط اسحر قوم فى الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى
تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك وذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا
اعينهم اى اعميناهم ومحوناهم **فاسر باهلك** اى باهل بيتك الباء للحال اى مصاحبا لهم قرا
ابن كثير ونافع بهمزة الوصل حيث جاء فى القران من السرى والباقون بالقطع من الاسراء وكلاهما
بمعنى لان الاول هو السير فى اخر الليل والثانى فى اوله كما قاله الليث لاستلزامه المنافات بين
القرائتين ولا يقال فى النهار الاسار والفاء لترتب الاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود
الامر والنهى من جنابه تعالى اليه عليه السلام قوله **بقطع من الليل** الباء فيه للحال اى مصاحبين
بطائفة وبقية منه على ان المراد به ظلمة الليل وقيل الباء فيه بمعنى فى اى اخرجوا ليلا لتسبقوا نزول
العذاب الذى موعده الصبح **ولا يلتفت منكم احد** اى لا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر
الى خلفه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط اى لا تدع منهم احدا يتخلف **الا امراتك**
فانها من الملتفتات فيهلك مع من هلك من قومها قرا ابن كثير وابو عمرو برفع التاء والباقون بنصبها
والاستثناء يجوز ان يكون من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرى فاسر باهلك بقطع من الليل الا
امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض
ذلك

جامعة الرياض
المكتبة المركزية - قسم المخطوطات

ذلك قراءتهما بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القرائتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها
او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع
لا يصح حملها على المعنى المتناقض ولكن الاولى جعل الاستثناء فى القرائتين عن قوله ولا يلتفت مثله
فى قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الاقوى فان النصب اخف
وان كان البدل اقوى ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك
علله على طريقة الاستئناف بقوله **انه** اى الشان **مصيبها ما اصابهم** من العذاب والحسن
جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع لان المستثنى يجب نصبه على لغة اهل الحجاز وهو المختار ورفعه
لغة بنى تميم فقال لوط لجبريل متى وقت هلاكهم فقال **ان موعدهم الصبح** فقال انه بعيد اريد
اسرع من ذلك فقال **اليس الصبح بقريب** استفهام بمعنى الاثبات فلما خرج لوط من قريته واخذ
اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امراته فانها لما سمعت هدة العذاب
وهو المختار ورفعه لغة بنى تميم فقال لوط لجبريل متى وقت هلاكهم نزل بهم التفتت وصاحت
وا قوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة
والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين **فلما
جاء امرنا** اى وقت عذابنا وموعده وهو الصبح او امرنا بالعذاب وتوبيخ الاصل فان الاصل فى
الامر ان يكون مصدرا وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله **جعلنا عاليها** اى عالى مدائنهم
سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملئكة المامورون به فاسنده الى نفسه
من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط
وهى خمس مداين اكبرها سدوم وهى المؤتفكات المذكورة فى سورة براءة ويقال كان فيها اربعمائة الف
وقيل اربعة الاف الف فرفع جبريل المداين كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب
ولم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها **وامطرنا عليها** اى على
المدن واهلها او على شذاذها ومنفرديها ومن كان خارج مدنهم من مسافريها **حجارة من
سجيل** اى من طين متحجر لقوله تعالى حجارة من طين قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك
وكل يعنى الطين المتحجر فارسى معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسى صار لغة للعرب ولا يضاف
الى الفارسى مثل استبرق وسندس ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها
فى الفاظهم فصارت عربية وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعنى الاجر
وقيل سجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل فى سماء الدنيا وقيل اولها حجر واخرها طين وقيل اسم للتسمية بتر به
عن حجارة الارض وقيل من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين وقيل اصله من سجين اى من جهنم
فابدلت نونه لاما والاحسن من الاقوال كلها انه طين متحجر لقوله تعالى حجارة من طين قوله **منضود**
قال ابن عباس معناه متتابع بعضها بعضا وهو صفة لسجيل والنضد جعل الشئ بعضه فوق بعض
معدا لعذابهم ومنه طلح منضود اى متراكب او نضد به اى الصف به والمراد وصف الحجارة بالكثرة
مسومة نعت ثان للحجارة لان من سجيل ايضا صلة لها والتسويم العلامة فتكون معلمة للعذاب وقيل

Copyright © King Saud University

معلمة ببياض وحمرة او باسم من يرمى به قوله **عند ربك** اى فى خزاينه التى لا يتصرف فيها غيره او فى
حكمه وهو ظرف لمسومة وقيل صفة لها **وما هى** يعنى تلك الحجارة **من الظالمين** يعنى من
مشركى مكة وعن مجاهد يرهب بها قريشا ان يصيبهم ما اصاب القوم وعن السدى معناه
من ظلمة العرب ان لم يومنوا فيعذبوا بها قال قتادة وعكرمة يعنى ظالمى هذه الامة والله ما اجار
منها ظالما بعد واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن الربيع قال كل ظالم فيما سمعنا قد جعل بحذائه حجر
ينتظر متى يومر ان يقع به فخوف الظلمة فقال وما هى من **الظالمين ببعيد** فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفى الاية وعيد لكل ظالم فان التعريف للجنس يعم جميع الظالمين لكن سوق الكلام فى حق
قوم لوط فيدخلوا فيه دخولا اوليا وفى الدر المنثور واخرج ابن ابى الدنيا فى ذم الملاهى وابن المنذر
والبيهقى فى شعب الايمان عن محمد بن المنكدر ويزيد بن خصفة وصفوان بن سليم ان خالد بن
الوليد كتب الى ابى بكر الصديق انه وجد رجلا فى بعض نواحى العرب ينكح كما تنكح المراة وقامت عليه بذلك
البينة فاستشار ابو بكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه
ان هذا ذنب لم يعص الله به امة من الامم الا امة واحدة فصنع الله بها ما قد علمتم ارى ان
نحرقه بالنار فاجتمع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على ان يحرقوه بالنار فكتب ابو بكر الى خالد ان احرقه
بالنار ثم حرقهم ابن الزبير فى امارته ثم حرقهم ابن عبد الملك واخرج ابن المنذر عن ربيعة بن ابى
عبد الرحمن قال عذب الله قوم لوط فرماهم بحجارة من سجيل فلا يرفع تلك العقوبة عن عمل عمل قوم
لوط قوله تعالى **والى مدين** هو اسم ابن لابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة التى هى
اولاده او اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فسميت باسمه والمعنى وارسلنا الى اولاد مدين او
الى اهل مدين **اخاهم** اى واحدا منهم **شعيبا** عطف بيان لاخاهم وفى المدارك وارسلنا شعيبا
الى ساكنى مدين او الى بنى مدين **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**
يعنى وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبياء عليهم السلام يبدءون بالاهم
فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء فلهذا قال شعيب عليه السلام
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من
اهل مدين البخس فى الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهى تطفيف الكيل والوزن
فقال **ولا تنقصوا المكيال والميزان** والنقص فى الكيل والوزن على وجهين
ان يكون الاستيفاء من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر وهو
استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زايدا عن حقهم فيكون نقصا فى مال الغير وكلا الوجهين
مذموم فلهذا نهاهم شعيب عليه السلام عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان
فال الاسناد معناه ولا تنقصوا الناس من المكيال والميزان يعنى ما يكال ويوزن
على طريق ذكر المحل وارادة الحال **انى اراكم بخير** اى موسرين فى نعمة تغنيكم عن
البخس وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول
النقمة ان لم يتوبوا ويومنوا وهو فى الجملة علة للنهى ثم عقبت بعلة اخرى وهى قوله **وانى اخاف**

عليكم

عليكم عذاب يوم محيط اى يحيط بكم فيهلككم وهو عذاب الاستيصال فى الدنيا او حذرهم
عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفى الجامع معناه لا يشذ منه احد والمراد
احاطة العذاب بهم كاحاطة الدايرة بما فيها وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب
لاشتمال اليوم على ما وقع فيه من العذاب فهو من المجاز العقلى نحو نهاره صايم وقيل معناه عذاب
يوم مهلك من قوله واحيط بثمره قلت حاصله ولما كانت اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته
يستلزم احاطة تلك الحوادث واخرج ابن جرير وابو الشيخ عن ابن عباس فى قوله انى اراكم
بخير قال رخص السعر وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط قال غلاء السعر وقيل معنى اخاف
اى اعلم قوله تعالى **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط** اى اتموهما بالعدل والتسوية
من غير زيادة ولا نقصان وذلك بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال فان الازدياد ايفاء فهو
مندوب غير مامور به وقد يكون ممنوعا كما فى الربوا اعاد الامر بالايفاء والاتمام بعد تقديم النهى
عن ضده وهو النقص دليلا على تاكيد وجوبه وهو كقولك صل قرابتك ولا تقطعها فيكون
الجمع بين الامر به والنهى عن ضده دليلا عليه وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل
يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى الايفاء دونها فتجب الزيادة حينئذ لان ما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** اى ولا تنقصوا الناس يعنى اموالهم
ولما خص النهى عن التنقيص ثم امر بايفاء الحق فى الكيل والوزن عمم الحكم فى جميع الاشياء التى
يجب ايفاء الحقوق فيها بقوله ولا تبخسوا الناس اى فى قليل اموالهم وكثيرهم فيدخل فيه الكيل والوزن
والذرع وغير ذلك فعلى ما ذكرنا يعنى من قولنا ولما خصص الى اخره لا تكرار بين قوله ولا تنقصوا
المكيال وبين قوله واوفوا المكيال وبين قوله ولا تبخسوا الناس لان الاول نهى عن النقص والثانى امر
بالايفاء والثالث يعم جميع الاشيا بل ظهر هذا البيان الذى فى صورة التكرار فايدة وهى المبالغة
فى منعهم وزجرهم عما كانوا مصرين عليه من التطفيف فى الكيل والوزن ومنع حقوق الناس والبخس
فى جميع الاشياء **ولا تعثوا فى الارض مفسدين** اى لا تفسدوا ولا تسعوا فى الارض
بشدة الفساد العثى من عثى بكسر الثاء معناه اشد الفساد قيل نحو السرقة والغارة وقطع الطريق
والقتل وفى الغاية العثى الافساد وفايدة تقييده بالحال يعنى بمفسدين اخراج ما يقصد به الاصلاح
كاتلاف اموال اهل الحرب وهذا اعم من ولا تبخسوا لتناوله الجنس وغيره كما ان البخس اعم من الاول
لتناوله المقدار وغيره وفى الاسرار معناه لا تسعوا فيها بشدة الفساد فان العثى يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد فهو ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور
من المعاملات وبالعثى السرقة وقطع الطريق والغارة وفايدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما
فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وجعل التبخيس فسادا فى الارض لانه تبديل
لحكم الله تعالى فانه تعالى اصلح الارض بالمعاملات التى اذا عملوا بها اعتدلت احوالهم فمن غيرها فقد
افسد وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم قوله تعالى
بقيت الله خير لكم يعنى ما ابقى الله لكم من الرزق الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن واتمامهما بل بعد الترة عن

جميع ما حرم الله عليكم خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف او معناه طاعة الله خير لكم لقوله تعالى
والباقيات الصالحات خير لكم او معناه ما ابقاه لكم من الثواب فى الاخرة خير لكم واحسن عاقبة واكثر
بركة مما يحصل لكم فى الدنيا من مال الحرام بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان
زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربى الصدقات واخرج عبد الرزاق وابن جرير
وابن ابى حاتم عن قتادة فى قوله بقيت الله خير لكم يقول حظكم من ربكم خير لكم قال الربيع معناه وصية
الله خير لكم وقال الحسن معناه رزق الله خير لكم من بخسكم الناس وقرى تقية الله بالتاء وهى تقواه
التى تكف عن المعاصى قال بعض مشايخ الصوفية رحمهم الله معناه اختيار محبة الله وترك ما سواه
وطلب الوصول اليه خير لكم من طلب الكثير وهو ما سواه فان طلب ما سواه معقب للوبال واضافة البقية
الى الله للتشريف **ان كنتم مؤمنين** اى بشرط كونكم مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم
عنه فان خيريتها باستتباع التوابع المنجاة من العقاب وذلك مشروط بالايمان لان الكافر ان
فرضنا نجاته من العقاب المرتب على البخس والتطفيف لكن لم يظهر تلك الفائدة ظهورها مع الايمان
لكونه مخلدا فى النار وفيه اشارة الى عظم شان الايمان لان الشئ البين نفعه لم يعتد به دونه
قوله تعالى **وما انا عليكم بحفيظ** يعنى قال شعيب عليه السلام ما انا احفظكم يا قوم عن القبائح
او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد ازلت عذركم حين انذرت او لست
بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم فى تقديم الظرف وايلائه حرف النفى وعيد بليغ
ثم **قالوا** من شدة تمردهم **يا شعيب اصلواتك تامرك** بتكليف **ان نترك ما يعبد
اباؤنا** من الاصنام قيل اراد بالصلاة اى دينك وايمانك لان الصلاة عماد الدين فعبر
عن الشئ باسم اعظم اركانه وقيل المراد بها الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلى للذى
يتلو السابق والمعنى ربك اى اتباعه هذا ولكن الاظهر ان المراد بها الاعمال المخصوصة لانه عليه
السلام كان كثير الصلاة فلذلك جمعوا وكانوا يقولون له ما تستفيد بهذا فيقول انها تامر
بالمحاسن وتنهى عن المساوى كما عرفه الله عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فقالوا له على وجه التهكم والاستهزاء به وبصلاته واخرج ابن عساكر عن الاحنف ان شعيبا
كان اكثر الانبياء صلوة اصلواتك تامرك الاية اجابوا شعيبا بهذا بعد ما امرهم بالتوحيد اشعارا بان
مثله لا يدعوا اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه
قرا حمزة والكسائى وحفص اصلاتك بالافراد والباقون بالجمع والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف
ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يومر بفعل غيره وقوله **او ان نفعل فى اموالنا ما
نشاء** عطف على ما فى ما يعبد اباؤنا اى تامرك صلواتك يا شعيب بترك ما يعبد اباؤنا ويامرك ايضا
بترك ان نفعل فى اموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان وقرى بتاء الخطاب فيهما والمعنى اصلوتك
تامرك يا شعيب ان تفعل فى اموالنا ما تشاء وفعله فى اموالهم هو امرهم بعدم التطفيف وايفاء الحق
وهو جواب النهى عنهما وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير يعنى عن الاخذ فى اطرافهما
كما ضيص زماننا من فعل اليهود واخرج ابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظى قال
عذب

عذب قوم شعيب فى قطعهم الدراهم وهو قوله او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء
او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء قال قرض الدراهم وهو من الفساد فى الارض وعن زيد بن اسلم
قطع الدراهم والدنانير المثاقيل التى فجارت بين الناس وعرفوها من الفساد فى الارض وعن سعيد بن المسيب قال
زيد فى قوله يا شعيب اصلواتك الاية قال نهاهم عن قطع هذه الدراهم والدنانير فقالوا انما هى اموالنا
نفعل فيها ما نشاء ان شئنا قطعناها وان شئنا احرقناها وان شئنا طرحناها قلت ولا يجى بنا ادركهم
فى الارض عشر معشار فساد زماننا نبهنا الله من نوم الغفلة وقسوة القلب **انك لانت الحليم الرشيد**
واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس انك لانت الحليم الرشيد قال يقولون انك لست بحليم ولا رشيد
قال قتادة انك لانت الحليم الرشيد استهزاء به وفى رواية عن ابن عباس ايضا ارادوا بانك لانت الحليم الرشيد
السفيه الغاوى لان العرب قد تصف الشئ بضده فيقولون للديغ الحية سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل
هو على بابه فى الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل بك شق عصى قومك ومخالفتهم فى دينهم
وتلخيصه ان يكون قصدهم ومرادهم انك فى الحقيقة موصوف بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى عتاب
ما نتكلم به مما لسنا عليه فانا كنا نرجوا ان ننتفع بك ونسترشدك فى التدابير فلما نطقت هذه الاقوال انقطع
رجاؤنا نظيره قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا وبينه اتخاذ الجواسيس اعنى **قال** لهم شعيب **يا قوم
ارايتم** اى اخبرونى **ان كنت على بينة من ربى** يعنى على بصيرة وهداية وبيان اشار الى ما اتاه الله
من العلم والهداية والنبوة والكرامة عبر بها عما اتاه الله ردا على مقالتهم الشنعاء فى جعلهم امره ونهيه
غير مستند الى سند **ورزقنى منه** اى من لدنه وباعانته بلا كد منى فى تحصيله **رزقا حسنا** اى مالا
حلالا اشار الى المال الحاصل له من غير بخس ولا تطفيف وقيل اراد بالرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية
والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف اكتفى عنه بما ذكر فى قصة صالح من قوله فمن ينصرنى من الله ان
عصيته قال الاستاد وتقدير الجواب ارايتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى المال الحلال الصرف والهداية
والمعرفة والنبوة فهل يسعنى مع هذه النعم العظيمة ان اخون فى وحيه او ان اخالف امره او اتبع الضلال
او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد
والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله نعم كثيرة قوله تعالى **وما اريد** بنهيى اياكم
عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف واخذ اطراف الدراهم والدنانير وغير ذلك من المعاصى **ان
اخالفكم** واذهب **الى ما انهاكم عنه** من البخس والتطفيف فارتكبه قال الشيخ معناه وما اريد
ان اقصدكم بعدما وليتم عنه لاستقل به دونكم لو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان
انهاكم عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا وليت عنه
وهو قاصد له والمعنى بعبارة اخرى وما اريد ان اسبقكم الى شهواتكم التى نهيتكم عنها لاستبد واستقل
بها دونكم قال امام المفسرين فخر الدين الرازى وتحقيق الكلام فى الاية ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد
وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه
عليه السلام قال لما عرفتم بكمال عقلى فاعلموا ان الذى اخترته لنفسى هو اصوب الطرق واصلحها
وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك فاعلموا

هذه الطريقة خير الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه انى لست انهاكم عن شئ وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسى وقال ابن الانبارى بين الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محض النصيحة **ان اريد الا الاصلاح ما استطعت** اى ما اريد بما اباشره من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما بينى وبينكم الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة الحسنة ما دمت استطيع الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء وما مصدرية واقعة موقع الظرف قال الاستاد ما المدة ظرف للاصلاح اى مدة استطاعتى للاصلاح وقيل ما خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته بحذف المضاف وهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شاف وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس فقال شعيب عليه السلام وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه هذا الذى وفقنا لهذه المعانى **وما توفيقى الا بالله** اى وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته وهو خلق قدرة الطاعة فى العبد والظاهر انه مصدر بمعنى المفعول اى وما كونى موفقا لاصابة الحق والهداية فى امضاء ما امرم فيما آمر وادع الا بتأييده واعانته وفى ضمنه تهديد الكفار وقطع لاطماعهم فيه لانه طلب التوفيق من الله تعالى فى امضاء امره التأييد والاظهار على عدوه واصل التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقى الا بالله **عليه توكلت** اى على الله اعتمدت فى جميع امورى على غيره فانه القادر المتمكن من كل شئ فى حد ذاته وما سواه عاجز فى حد ذاته بل معدوم محض ساقط عن درجة الاعتبار وبمنزلته فان الوجود الامكانى بالنسبة الى الوجود الواجبى الحقى ساقط ازلا وابدا عن درجة الاعتبار وقد فسر به قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وفيه اشارة الى محض التوحيد الذاتى والفعلى الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ وقد ذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى قدس سره معرفة الصانع والتوكل فى كتابه الغنية فراجعه وقد ذكر القشيرى معنى التوحيد فى رسالته فراجعه وقد ذكر الغزالى فى كتابه مشكوة الانوار ما يناسب هذا المقام فقال حقيقة الحقائق من ههنا ترقى العارفون من حضيض المجاز الى يفاع الحقيقة واستكملوا معارجهم فراوا بالمشاهدة العيانية ان لا شئ فى الوجود الا الله وان كل شئ هالك الا وجهه لا انه يصير هالكا فى وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وابدا لا يتصور الا كذلك فان كل شئ سواه اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذى يسرى اليه الوجود من الاول الحق رئى موجودا لا فى ذاته لكن من الوجه الذى يلى موجده فيكون الموجود وجه الله تعالى فلكل شئ وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله تعالى موجود فاذا لا موجود الا الله تعالى ووجهه تعالى فاذن كل شئ هالك الا وجهه ازلا وابدا ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيمة ليسمعوا نداء المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد

القهار

القهار بل هذا النداء لم يفارق سمعهم ولم يفهموا معنى قوله اكبر انه اكبر من غيره حاش لله اذ ليس فى الوجود معه غيره حتى يكون اكبر منه بل ليس لغيره معه رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذى يليه فالموجود وجهه فقط ومحال ان يقال انه اكبر من وجهه بل معناه اكبر من ان يقال له اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة واكبر من ان يدرك غيره كنه كبريائه نبيا او ملكا بل لا يعرف الله تعالى كنه معرفته الا هو بل كل معروف داخل تحت سلطنة العارف واستيلائه وذلك ينافى الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه فى كتاب المقصد الاسنى فى معانى اسماء الله الحسنى انتهى بحروفه قلت وهذا الحقيقة فسر البيضاوى واكابر المفسرين قوله عليه توكلت بان ما عدا الله عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار فلا توكل الا على الله قوله **واليه انيب** اى واليه ارجع فيما ينزل من النوايب وفى جميع امورى فى الدنيا والآخرة وفيه اشارة الى معرفة المعاد وهو يفيد الحصر ايضا بتقديم الجار والمجرور على عامله وايثار صيغة الاستقبال على الماضى الانسب للتقرر والتحقق كما فى التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار التجددى ولا يخفى فى جوابه عليه السلام من مراعات لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجارات والمحاورة وتمهيد مقال الحق بطلب التوفيق فيما ياتيه به العبد ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى جميع اموره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بعداوتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء قوله **ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى** اى لا يكسبنكم ولا يحملنكم معاداتكم وخلافكم اياى وهو فاعل يجرمنكم **ان يصيبكم** اى عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة قرأ الجمهور لا يجرمنكم بفتح ياء المضارعة من جرم ثلاثيا وهو يتعدى لواحد ولاثنين مثل كسب وقرأ ابن كثير بضمها من اجرم وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد ولو كان منقولا من المتعدى الى مفعولين لكان له ثلثة مفاعيل والاول افصح من الثانى لان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وان يصيبكم مفعوله الثانى **مثل ما اصاب قوم نوح** من الغرق قرأ الجمهور بضم لام مثل على انه فاعل يصيبكم وقرئ مثل بفتحها وفيها وجهان احدهما انها فتحة بناء وذلك انه فاعل لكنه فى قرائة الرفع وانما بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون وثانيهما انه نعت لمصدر محذوف فالفتحة للاعراب والفاعل على هذا مضمر يفسره سياق الكلام اى يصيبكم العذاب اصابة مثل ما اصاب الآية **او قوم هود** اى الريح التى اهلكتهم **او قوم صالح** اى ما اصابهم من الرجفة والصيحة حتى هلكوا جميعا **وما قوم لوط منكم ببعيد** اى منازلهم او زمن هلاكهم وتوضيح ذلك انهم كانوا حديثى عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او معناه انهم ليسوا ببعيد فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم انى ببعيد وانما كان خبرا عن جمع لاحد وجهين اما الحذف مضاف تقديره وما اهلاك قوم لوط واما باعتبار موصوف مقدر خاص اى بمكان بعيد لان بلاد قوم لوط قريبة

من مدين وأما باعتبار موصوف مقدّر عام أي بشيء بعيد وأما باعتبار استواء المذكر والمؤنث
في بعيد وأمثاله كقريب وقليل وكثير لورودها على زنة المصادر كالصهيل والنهيق واستغفروا
ربكم من عبادة الأصنام ثم توبوا إليه من البخس والنقصان في الكيل والوزن وأخذ
أطراف الدراهم والدنانير وقد فسرنا هنا وإن مرّ تفسير مثله في أول السورة إن ربي رحيم
عظيم الرحمة بعباده إذا تابوا واستغفروا أستغفر الله العظيم وأتوب إليه ودود أي فاعل
بهم ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه من اللطف والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة
وحثّ عليهما قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل أودّه
إذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول معناه أن عباده الصالحين يودّونه
ويحبونه لكثرة أفضاله وإحسانه إليهم وقال الحليمي قد قيل هو الواد لأهل طاعته أي الراضي
عنهم بأعمالهم والمحسن إليهم لأجلها والمادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون
معناه أن يودّدهم إلى خلقه وقال السيوطي ودود أي محب لهم قالوا أي إذا أنا بقلة المبالاة يا
شعيب ما نفقه أي ما نفهم كثيرا مما تقول من وجوب التوحيد وحرمة التخبيس
وهي الدليل الذي ذكرته عليهما قالوا ذلك إما لأنه كان يبعد عن أفهامهم لشدة نفورهم من كلامه
كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وإما لأنهم تهكموا واستهانوا بكلامه كما يقول الرجل
لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول وإن كان يسمع ويفهم قوله وإنا لنراك
فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج ويقال إن حمير يسمون المكفوف
ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل يعني ذليلا قال أبو روق إن الله تعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا
به زمانة ومنع بعض المعتزلة استنباء الأعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين لأنهما
يحتاجان إلى التمييز بين المدعي والمدعى عليه بخلاف النبي فإن النبوة أمر يفاض على الباطن فإنها
أخبار من الله تعالى للعباد وقيل كان ضعيف البصر قيل المراد بالضعف العجز عن الكسب و
التصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه يعني لا قوة لك فتمتنع منا إن أردنا بك
سوءا والدليل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ولولا رهطك أي جماعتك وعشيرتك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم وقيل الرهط ما بين الثلثة إلى العشرة
وقيل إلى سبعة لرجمناك أي لقتلناك بالحجارة أسوأ القتلات وما أنت علينا بعزيز
أي بكريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة علينا فقال في جوابهم بقوله قال يا قوم أرهطي
أعز عليكم من الله أي أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلي لمكان
رهطي عندكم لا لمكان الله فالأولى أن تحفظوني في الله ولأجل الله لا لرهطي لأن الله أعز
وأعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا أي وجعلتم الله ونسيتموه كالمنسي المنبوذ وراء
الظهر بسبب إشراككم به والإهانة برسوله قال قتادة معناه نبذتم أمره وعهده أيضا معناه
لا تخافونه قال السدي معناه جعلتموه خلف ظهوركم فلم تطيعوه ولم تخافوه قال الضحاك معناه
تهاونتم به وظهري منسوب إلى الظهر وكسر الظاء من تغييرات النسب كقولهم في النسبة إلى أمس

إمسي بكسر الهمزة وقد تمت بقوله واتخذتموه وراءكم إلا أنه زاد فيه بنسبته إلى الظهر تأكيدا
وإفادة لمعنى الإعراض عنه بالكلية وأخرج أبو الشيخ عن ابن زيد واتخذتموه وراءكم ظهريا
قال الظهري الفضل مثل الجمّال يخرج معه بإبل ظهريا فضل لا يحمل عليها شيئا إلا أن يحتاج إليها
فيقول إنما ربكم عندكم هكذا إن احتجتم إليه وإن لم تحتاجوا فليس بشيء إن ربي بما تعملون
محيط يعني أنه تعالى قد أحاط علمه بجميع أعمالكم وأحوالكم وأقوالكم لا يخفى عليه منها شيء فيجازيكم
بها يوم القيمة ويا قوم اعملوا على مكانتكم أي اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها من طلب قتلي
وإهلاكي قال الأستاذ معناه على تؤدتكم وتمكنكم من عملكم وقال الشيخ المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال
كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر والمكانة بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام
ومقامة أو مصدر مكن بالضم مكانة فهو مكين إذا تمكن من الشيء أي اعملوا قادرين على جهتكم التي أنتم
عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها إني عامل ما أقدر عليه
على حالتي ومكانتي التي كنت عليها من الطاعة والخير والصبر والثبات على الإسلام
وإنما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف فيما بينهم
لا عزة له وفي هذا الأمر والرد وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سوف تعلمون
أينا الجاني على نفسه والمخطي في فعله وسوف تعلمون أيضا من يأتيه عذاب يخزيه
ومن يجوز أن يكون استفهامية كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه بسبب عمله
السيئ ويجوز أن يكون موصولة تقديره سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه سبق
مثل هذه الآية في سورة الأنعام غير أنه ذكر الفاء في فسوف تعلمون ثمه للتصريح بأن الإصرار منهم على
ما هم عليه والتمكن من شعيب عليه السلام فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لأنه جواب
سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل فالسببية مرادة تصريحا هناك وتقديرا هنا
وبعبارة أخرى قال ابن خازن فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في قوله هنا سوف
تعلمون قلت إدخال الفاء في قوله هناك فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها
في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا
فما يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت على مكانتك فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل
تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين و
أبلغهما الاستيناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه قوله ومن هو كاذب
أي فيما يدعيه قال الشيخ وهو عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له بل لأنه أوعدوه وكذبوه
قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف
الأول إليهم والثاني إليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ثم
زاد في التهديد فقال وارتقبوا أي وانتظروا لما أقول لكم انتظروا العاقبة وما يؤول إليه
أمري وأمركم إني معكم رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى
الضارب أو الرقيب بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أو الرقيب بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع

ولما جاء أمرنا اى عذابنا او امرنا بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين آمنوا
معه برحمة منا اى بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة وانما ذكره بالواو
كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه فيها ذكر وعد يجرى مجرى السبب المقتضى لدخول الفاء فى معلوله كما فى قصتى
صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك واخذت الذين ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين اى ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم وهو استعارة
من جثم الطير اذا قعد ولطى بالارض كأن لم يغنوا فيها اى كانهم لم يقيموا بديارهم مرة من
الدهر ماخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا به عن غيره ألا بعدا اى هلاكا و
البعد ضد القرب واستعمل هنا بمعنى البعد بفتحتين كالرشد من بعد بالكسر اذا هلك لمدين
كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم يعذب الله امتين قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح
فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم وفى تفسير
الاستاد العامة على كسر العين من بعد يبعد بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بمعنى هلك وانما
شبه مدين بثمود لان عذابهم كان ايضا بالصيحة والفرق كما ذكره ابن عباس وقرئ بعدت بضم
العين على الاصل فان كسرها تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما
والبعد بفتح العين مصدر المكسور وهذا اوضح مما مر آنفا ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ليس المراد
بالآيات التوراة كما قيل لان التوراة نزلت بعد هلاك فرعون وملائه كما صرح به هذا القايل فى سورة
المومنين بل المراد الآيات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل و
الضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها اظلال الجبل
وليس كذلك فانه لقبول احكام التوراة حين اباها بنوا اسرائيل ومكن الجواب عن القيل بان يكون
مراده بذكر التوراة او المعجزات فى معنى الآيات مطلقا من غير تقييد ببنى اسرائيل فرعون وقومه بقرينة
تخصيص قوله وسلطان مبين بالمعجزات والعصا الى فرعون وملائه والله اعلم والباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا للمصدر المؤكد اى ارسلناه ملتبسا بآياتنا او ارسلناه ارسالا
ملتبسا بها وسلطان مبين وهو العصا فيكون عطفا للخاص على العام وانما افردها بالذكر
لاظهار شرفها لكونها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه بآياتنا
وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق
بينهما ان الآيات تعم العلامات المفيدة للظن والبراهين التى تفيد اليقين والسلطان يخص بالبرهان
الذى يفيد اليقين وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالبرهان القاطع المعضد
بالحس وفسر البغوى السلطان المبين بالحجة المبينة وسكت عن الآيات والحجة المبينة هى
لهما وفسر الخازن قوله بآياتنا اى بحججنا والبراهين التى اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وفسر
السلطان المبين بالمعجزة القاهرة الظاهرة الدالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين سميت الحجة
سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو

وسمى

وسمى السلطان العدل سلطانا لانه حجة الله فى الارض وفى الامانى بعد قوله بسلطان مبين اى
ما اتى به من المعجزة سمى آيات باعتبار الدلالة على صدقه وسلطانا واضحا باعتبار سلطانه على
الخصم او الآيات الاحكام والسلطان براهينها وقيل السلطان استيلاؤه على قلب من يراه
لقوله تعالى والقيت عليك محبة منى لم يره احد الا احبه وقيل لم يأخذه فشل ولا خوف من
اول شانه ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو طفل وقتل القبطى بين اظهر قومه فتركه الى
فرعون الكافر المشهور بعداوة الله وموسى وملائه يعنى اتباعه واشراف قومه فاتبعوا
اى الملأ امر فرعون يعنى ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى الكليم
قال الاستاد معناه فاتبعوا امره بالكفر بموسى اى فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد
بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى
ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم فوله
وما امر فرعون برشيد اى وما هو عليه برشيد اى مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض
وضلال صريح لتخيصه وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى
خير لان اللعين كان دهريا وهو القايل بقدم العالم على الصورة الكاينة الآن والفرق الضالة كثيرة
كالسوفسطائية وهم النافون للعلم وحقايق الاشياء واصحاب الطبايع وهم القايلون بقدم
العناصر الاربعة الماء والتراب والنار والهواء والفلاسفة وهم القايلون بقدم العالم ونفى
الصانع والمجوس وهم القايلون بقدم الافلاك وفرقة اخرى وهم الذين يعبدون الانسان الحادث
كجمشيد وفرعون ونمرود وغيرهم وفرقة اخرى وهم المفوضة الذين قالوا ان الله تعالى خلق
محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق الدنيا وقد ظهر فى زمننا فرقة اخرى جامعة لهولاء الفرق
بل لبقية الفرق كلهم فى الفساد وهم القايلون بالجبنية يعنى ان الله خالق الاشياء وهو مع هذا
عينهم ليس غيرهم تبا للجميع اخر الدهر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وان شئت تفصيل
الفرق فراجع الى الملل والنحل للامام ابى بكر الباقلانى وايضا الى غنية شيخنا عبد القادر الجيلانى
قدس سره ثم ذكر حال اللعين يوم القيمة بقوله يقدم اى يتقدم ويمشى امام قومه قومه
وهم وراءه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم
وفى الصحاح قدم بالفتح يقدم قدما اى تقدم قال الاستاد يعنى كما تقدم قومه فادخلهم البحر
فى الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار اى فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم
وقدامهم لتخيصه كما كان قدوتهم فى الضلال والكفر فى الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم
فى النار وانما ذكر اورد بلفظ الماضى لا بلفظ المستقبل المطابق لقوله يقدم مبالغة فى تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى ادخالها ايراداها وانما هو ورد اقلت ورايت فى كتابى هذه الاية
منا بافى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بعض من يحب فرعون بانه يعبد شيئا يا ساقعا فانتهت
وبدى الى السماء استعيذ بالله من ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما اضلهم فاوردهم النار وقال
قتادة فى قوله يقدم الخ يعنى يمضى فرعون بين ايدى قومه حتى يهجم بهم على النار قال ابن عباس

Copyright King Saud University

الورود في القرآن اربعة في هود وبئس الورد المورود وفي مريم وان منكم الا واردها وفيها ايضا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا وفي الانبياء حصب جهنم انتم لها واردون كل هذا الدخول وبئس
الورد المورود يعني وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله فرعون في تقدمه على قومه
الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا
عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون فاوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاصل
فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة قوله واتبعوا اى فرعون في عذابه
اياهم وملأه الذين اتبعوا امره في هذه يعني في هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا
عظيما عن رحمة الله حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل
الموقف فاللعنة تابعة لهم حيث ما ساروا دايرة معهم اينما داروا في الموقف واكتفى ببيان
حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من
اغواهم والقاهم في الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت
اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد اى العون المرفود المعان وذلك
ان اللعنة في الدنيا رفد ومعين للعذاب ومدد له وقد رفدت وامدت باللعنة في الاخرة واللعنتان
تابعتان لهم والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انهم
ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليصير
ما يضاف عمادا له وعن مجاهد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اردفوا زيدوا بلعنة
اخرى فتلك لعنتان بئس الرفد المرفود اللعنة في اثر اللعنة واخرج ابن ابي حاتم عن السدي في الاية قال
لم يبعث نبي بعد فرعون الا لعن على لسانه ويوم القيمة يزيد لعنة اخرى في النار وقال ابن عباس في
معنى فبئس الرفد المرفود يعني بئس اللعنة بعد اللعنة قالت النابغة في هذا المعنى ∴ لا تقذفني بركن
لا كفاء له ∴ وان تاثفك الاعداء بالرفد ∴ وقد مر احوال كفر فرعون في يونس قوله تعالى ذلك
من انباء القرى اى ذلك النبأ المذكور الذي ذكر من انباء الامم السالفة والقرون الماضية من
بعض انباء القرى المهلكة وبعد اسم الاشارة باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب للرسول عليه السلام
وذلك مبتدأ وخبره من انباء القرى وقوله نقصه عليك خبر بعد خبر والمعنى نخبرك يا محمد نخبر
قومك اخبارهم لعلهم يعتبروا بهم فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب
ثم استأنف فقال منها قايم اى بعضها يعني من تلك القرى التي اهلكنا اهلها بعضها عامر
باق كالزرع القايم على ساقه واهلها قد هلك وحصيد اى بعضها عافي الاثر كالزرع المحصود وقيل
منها قايم الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي واندرس على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره
وما ظلمناهم اى بعذابنا واهلكنا اياهم بغير ذنب ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
يعني بان عرضوا انفسهم للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم اى فما نفعتهم
ولا قدرت ان تدفع عنهم العذاب الهتهم التي يدعون اى يعبدون من دون
الله اى من غيره من زايدة شيء اى شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اى حين

جاءهم

جاءهم عذاب الله ونقمته لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب وما زادوهم
غير تتبيب اى غير تخسير وتدمير وهلكة التب الخسران تلخيصه ما زادوا الاصنام عبادهم
غير شر وخسران اسند الفعل الى واو الضمير الذي هو لمن يعقل لانهم نزلوهم منزلة العقلاء
في اعتقادهم انها تنفع عبادتهم لها ثم بين ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام بل يعم كل
ظالم سيوجد فقال وكذلك اى ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو مبتدأ وخبره قوله
اخذ ربك اى عقوبة ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب
على المصدر اى اخذا مثل ذلك الاخذ اذا اخذ اى اذا عاقب القرى اى اهلها وقرئ اذ
اخذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة فلا يغني عنهم من اخذه شيء وهو حال من القرى
وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت الحال عليها وفايدتها الاشعار بانهم
انما اخذوا لظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ظلم نفسه او غيره فان الظلم مطلق ثم لما
بين كيفية اخذ الامم الظالمة اكده بقوله ان اخذه اليم شديد اى وجيع غير مرجو
الخلاص عنه وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير اخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي
وابن ماجة وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات
عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه ليملي للظالم حتى اذا
اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد فعلم ان في
الاية الكريمة والحديث الشريف دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة
والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد
ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالم الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث
والله اعلم ان في ذلك اى في ذلك المذكور من القصص وما ذكر من عذاب الامم السالفة
واهلاكهم لاية اى لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة يعني ان هلاك اولئك
عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من اقر به ويخشى الله ويخاف عذابه لانه ينظر الى ما نزل
بهم بسبب ذنوبهم فيعلم ان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة وينزجر به عن
موجباته فانه يعلم ان ما نزل بهم فمن فاعل مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واما
من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل
المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض
الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي اقترفها الامم السالفة فهو بمعزل من هذا الاعتبار وهلاكا له
لما لهم من الخيالات الباطلة والافكار الفاسدة ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب
الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى للحساب فيه والثواب والعقاب تلخيصه
يجمع فيه الناس فان معنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والجزاء وايثار اسم المفعول على يجمع
للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وتحقق وقوعه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ
من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اى يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس فيه

Copyright King Saud University

يوم مشهود يعني يشهده اهل السماء واهل الارض لتخيصه ذلك يوم مشهود فيه الخلايق
الموقف لا يغيب عنه احد فالمشهود هو الموقف والشاهدون هم الخلايق والمشهود فيه اليوم
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به ولو جعل اليوم مشهودا بنفسه بلا اعتبار الاتساع
لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتميزه فان ساير الايام كذلك وما نؤخره اى ذلك اليوم
المذكور ونحن قادرون على ان نقيمه الآن الا لاجل معدود اى الا الى وقت معلوم محدود
وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله عز وجل توضيحه اى الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف
المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود لانه لا نهاية له ثم ذكر
بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يات اى حين ياتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله
تعالى ان تاتيهم الساعة او يوم ياتي الجزاء الواقع فيه وقيل ياتي الله تعالى لقوله تعالى هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله قرا ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة والباقون
باثباتها والعامل في الظرف محذوف اى اذكر يوم ياتي او ينتهي الاجل يوم ياتي وقيل عامله
قوله تعالى لا تكلم نفس الا باذنه اى لا تتكلم فيه لهول ذلك اليوم وشدته نفس
بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذن الله كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
وكقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وكقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الايات وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن
نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا
تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيمة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففي
بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في الكلام
فيتكلمون وفي بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله
لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا ان ياذن الله لها في الشفاعة ثم قسم
اهل الموقف المجموعين للحساب فقال فمنهم اى من الخلق او من اهل الموقف بدليل قوله لا تكلم نفس
او من الناس اى بعضهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وتقديمه على السعيد لان
المقام مقام التحذير والانذار وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والاصل ومنهم سعيد حذف
الخبر لدلالة الاول عليه والشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان
ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية
وسعادة اخروية وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين
ايضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار
فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من
احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا

وندع

وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير
لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة
الشريفة ومدفنهم فيها اماتنا الله بها والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان
بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشي بتلك المخصرة او باليد
ونحو ذلك حتى يؤثر فيه استدل بعض العلماء بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل
الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم
اخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسيئاته وهم اصحاب الاعراف في قول
والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم وهم تحت
مشية الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما شاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل
على نفي القسم الثالث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما نزلت فمنهم شقي وسعيد قلت
يا رسول الله فعلى ما نعمل على شيء قد فرغ منه او على شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء قد فرغ
منه وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فاما الذين شقوا في علمه تعالى
يعني الذين سبقت لهم الشقاوة لعلمه تعالى بانهم يختارونها ففي النار اى مستقرون فيها
لهم فيها اى في النار من العذاب والهوان زفير وشهيق الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما وصف شدة كربهم وغمهم و
تشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف
وقال مقاتل والضحاك الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده في جوفه وقيل
الشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابو العالية الزفير في
الحلق والشهيق في الجوف والمعاني كلها قريبة بعضها من بعض والعبارات مختلفة قوله
خالدين فيها يعني لابثين مقيمين في النار وقوله عز وجل ما دامت السموات والارض ما
مصدرية وقتية تقديره خالدين في النار مدة دوام السموات والارض قال السيوطي في تفسير
المختصر اي في الدنيا فهو تاكيد للخلود لان الجمهور الاعظم من الامة قد اتفقوا على ان عذاب الكفار
دايم لقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وليست المدة المذكورة لتعليق دوام الكفار بدوام
هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم ودوامهم فيها وانقطاع دوامهما
كقوله تعالى اذا دكت الارض دكا واذا السماء انفطرت ويوم نطوي السماء كطي السجل للكتب والسموات
مطويات ونظايرها كثيرة مما يدل على خراب السموات والارض وانهدامهما فلذلك التوقيت والمدة للدلالة
على تابيدهم في النار وعدم انقطاع العذاب وذلك بناء على منهاج قول العرب وعادتهم فانهم كانوا
يعبرون عن الدوام والتابيد على سبيل المبالغة والتمثيل بقولهم لا اتيك ما دامت السموات والارض وما لاح
كوكب وما قام ثبير وما اختلف الليل والنهار قال امرؤ القيس فاني قايم ما اقام عسيب يريدون به

التابيد والخلود ولو نزلنا وقلنا اريد بالتوقيت المذكور الارتباط والدوام فى النار بدوام هذه السموات
والارض فالمراد سموات الاخرة وارضها فانهما دايمتان لا تزولان لان الله خلقهما للتابيد ويدل على ثبوتهما
وتحققهما قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء
ومعلوم ان اهل الاخرة لابد لهم من مظل ومقل فما اظلتهم سماء وما اقلتهم ارض وذلك السماء اما سماء
يخلقها الله او يخلقها او هو العرش المجيد لما جاء فى الاخبار ان اهل الجنة تحت ظل العرش وكل ما اظلك فهو سماء
وكل ما استقرت عليه قدمك فهو ارض وجاء فى الاخبار ايضا فى صفة الجنة ان ترابها من زعفران وملاطها
المسك ولو قلنا بضعف الاخبار فلا يلزم فى التعليق بسموات الاخرة وارضها علمنا بكيفياتهما وتفاصيل احوالهما
بل يكفى تعقل لابدية اهل الجنة من مقلة ومظلة وذلك معلوم من النصوص المذكورة يعنى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء قال الاستاد وقول بعضهم وفيه نظر
لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب
فلا يجدى له التشبيه ساقط عن درجة الاعتبار لان هذا القدر ضرورى عند من يقول بالحشر ويمكن ان
يقال حاصل الاية يرجع الى شرطية هى قولنا ان دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات
والارض دايمتان بناء على ان يراد بهما اللتان توجدان فى الاخرة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا
لكنهما لم تدوما بناء على ان يراد بهما سموات الدنيا وارضها لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم
لا ينتج شيئا لان ارتفاع الملزوم لا يستلزم ارتفاع اللازم لجواز عموم اللازم وبعبارة اخرى المفهوم من الاية
انه متى كانت السموات والارض دايمتين كان كونهم فى النار دايما وهذا يقتضى انه كلما حصل الشروط حصل
المشروط ولا يقتضى انه اذا اعدم الشرط يعدم المشروط اليس انا نقول ان كان هذا انسانا فهو حيوان فان قلنا
لكنه انسان فانه ينتج انه حيوان اما اذا قلنا لكنه ليس بانسان لم ينتج انه ليس بحيوان لانه ثبت فى علم المنطق
ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا فكذا ههنا اذا قلنا ما دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا
لكن السموات والارض دايمة لزم ان يكون عقابهم حاصلا اما اذا قلنا لكنه ما بقيت السموات والارض لم يلزم
عدم عقابهم قوله الا قال السيوطى اى غير **ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد** اى من غير
اعتراض عليه والظاهر هو استثناء من الخلود فى عذاب النار وذلك ان اهل النار لا يخلدون فى عذاب
النار فقط بل يعذبون بالزمهرير وانواع من العذاب سوى عذاب النار او ما شاء يعنى من شاء وهم قوم
يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل الجنة ايضا لمفارقتهم
اياها بكونهم فى النار اياما فهولاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التابيد ولا سعدوا سعادة
من لا تمسه النار ويعضد هذا ما روى عن ابن عباس والضحاك وقتادة ان هذا الاستثناء فى اهل الشقاء
يرجع الى قوم من المومنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس
لان الذين اخرجوا من النار سعداء فى الحقيقة استثناهم الله من الاشقياء ويدل على صحة هذا التاويل
ما روى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة
وفى رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخارى ومسلم خ عن انس رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعدما امتحشهم منها سفع فيدخلون الجنة

فيسميهم

فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفى رواية ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة
ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم بدوام سموات الجنة
وارضها فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثناء الثانى اى الاتى فى اهل السعادة فى قوله
واما الذين سعدوا فيرجع الى مدة لبث هولاء فى النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية
فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة **واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك** ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل
هذا القول ان الاستثناءين يرجع كل واحد الى قوم مخصوصين هم فى الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا
استوجبوا بها عقوبة يسيرة فى النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة ولان اجماع الامة على ان من
دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثناءين الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم
فى الدنيا واحتباسهم فى البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين فى الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معنى الا ما شاء ربك سوى
ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك من الزيادة على ذلك
وهو كقولك لفلان على الف الا الالفين اى سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو يعنى وقد شاء ربك
خلود هولاء فى النار وخلود هولاء فى الجنة فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اى ولا الذين
ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا
استثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه
فهذه الاقوال فى معنى الاستثناء يرجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله فى اخر الاية
ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخراج من اراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال فى حال الفريقين
واما على التفصيل فقوله الا ما شاء ربك فى جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان
يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل فيه المجموع و
الاستثناء فى جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود
وقيل ان الاستثناء الاول فى جانب الاشقياء معناه الا ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد
والزمهرير وفى جانب السعداء معناه الا ما شاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل اعلى من منازل الجنان
ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل الجنة فى الجنة وهو ان الامة مجمعة على ان
من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها واخرج ابن جرير وابن مردويه عن قتادة انه تلا هذه الاية
فاما الذين شقوا فقال حدثنا انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار ولا نقول
كما قال اهل حروراء واخرج ابن مردويه عن جابر قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الذين شقوا
الى قوله الا ما شاء ربك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله ان يخرج اناسا من الذين شقوا من
النار فيدخلهم الجنة فعل واخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن خالد بن معدان فى قوله الا ما شاء ربك قال

في التوحيد من اهل القبلة واخرج ابو الشيخ عن الضحاك الا ما شاء ربك قال الا من استثنى من اهل القبلة واخرج
عبد الرزاق وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابي نضرة عن
جابر بن عبد الله الانصاري او عن ابي سعيد الخدري او رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الا ما شاء
ربك ان ربك فعال لما يريد قال هذه الاية قاضية على القران كله يقول حيث كان في القران خالدين فيها تاتي
عليه واخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والبيهقي عن ابي نضرة قال ينتهي القران كله الى هذه الاية ان ربك
فعال لما يريد قوله عز وجل في جانب السعداء **عطاء غير مجذوذ** اى غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب
لا ينقطع وعطاء نصب على المصدر المؤكد اى اعطوا عطاء او الحال من الجنة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى
بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار قال ابن خازن وروى عن
ابن مسعود انه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه
وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار
بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها او يكون محمولا
على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم وفي الاسرار وروى عن عبد الله
ابن عمرو بن العاصي لياتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيه ~~احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا~~
وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المؤمنين
الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين
وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق
عذابهم وفي الاسرار وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاصي لياتين على جهنم يوم تصفق ابوابها ليس فيها
احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا قلت ان صح هذا فانما اراد به الطبقة العليا وهي محل عصاة المسلمين
وفي الدر المنثور للجلال السيوطي واخرج ابن المنذر عن الحسن قال قال عمر لو لبث اهل النار في النار كقدر رمل
عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه واخرج اسحاق ابن راهويه عن ابي هريرة قال سياتي على جهنم يوم لا يبقى
فيها احد وقرا فاما الذين شقوا الاية واخرج ابن المنذر وابو الشيخ عن ابراهيم قال ما في القران اية ارجى لاهل
النار من هذه الاية خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال وقال ابن مسعود لياتين عليها
زمان تخفق ابوابها واخرج ابن جرير عن الشعبي قال جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا واخرج
عبد الرزاق وابن جرير وابن ابي حاتم عن قتادة في قوله الا ما شاء ربك قال الله اعلم بثنيته على ما وقع
يقول الضعيف مؤلف هذا الكتاب والذي اخرجه السيوطي وابن خازن في هذه الاية لا معول عليه كما هو
ظاهر من الايات البينات والاحاديث الصحيحة الصريحة ولما قص قصص الامم السابقة وما حل بهم من عذابه
ثم اتبعه بذكر ما اعد للاشقياء والسعداء شرع لرسوله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين من قومه تسلية له عليه
السلام وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم فقال **فلا تك في مرية** اصله فلا تكن حذفت النون
لكثرة الاستعمال والمعنى اذا بينت عندك ما قصصت لك من قصص المتقدمين من المشركين فلا تك في مرية
وتردد **مما يعبد** ما مصدرية او موصولة اى من عبادة **هؤلاء** او من الذي يعبده هؤلاء
المشركين وكن على زيادة يقين في انها ضلال سيئ العاقبة مؤدية الى مثل ما حل بمن قبلهم ثم علل النهي

مستندا فقال **ما يعبدون الا كما يعبد** اى كالذي يعبد **آباؤهم من قبل** او كعبادة آبائهم يعني
انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا انهم راوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم **وانا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص** اى وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه
لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب وقدرهم في الاخرة كاملا
موفرا غير ناقص واخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يوفي
كل عبد ما كتب له من الرزق فاجملوا في الطلب دعوا ما حرم وخذوا ما حل ثم اورد نظير الانكار منهم
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال **ولقد آتينا موسى الكتاب** يعني التوراة **فاختلف فيه** اى فامن به
قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران حيث قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعموا انك مفتر عليهم
والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للكفار **ولولا كلمة** وهي كلمة الانظار **سبقت من ربك** اى لولا
قضاء سبق بتاخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيمة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم
وتكذيبهم وهو قوله **لقضي بينهم** اى بين قوم موسى او بين قومك بالعذاب المستاصل قال الاستاذ
معناه لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق لخصصه لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم
واهلاكهم **وانهم** اى وان كفار قومك **لفي شك منه** يعني من القران ونزوله عليك يا محمد
مريب موقع في الريبة يعني انهم قد وقعوا في الريبة والتهمة ثم جمع الاولين والاخرين في حكم توفية الجزاء
فقال **وان كلا** التنوين عوض عن المضاف اليه اى وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين قرا ابن
كثير ونافع وابو بكر بتخفيف ان مع الاعمال اعتبارا للاصل والباقون بتشديدها **لما ليوفينهم** قرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد بناء على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذف
اولهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم **ربك** جزاء **اعمالهم** والباقون لما بالتخفيف فاللام الاولى
موطئة للقسم والثانية لام جواب القسم المحذوف تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم في القيمة فيجازي
المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار وقرئ لما بالتنوين اى جميعا اى ان كلا
ليوفينهم ربك اعمالهم لما يعني توفية جامعة لاعمالهم جميعا كقوله اكلا لما اى جامعا لاجزاء المأكول
وقرئ وان كل لما على ان تكون ان نافية وتكون لما بمعنى الا جمعت هذه الاية الوعد والوعيد لان توفية
جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله تعالى **انه بما يعملون خبير**
يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده وان دقت فيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد
للمكذبين الكافرين ثم لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة وشرح الوعد والوعيد قال لرسوله صلى الله
عليه وسلم **فاستقم كما امرت** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل والدعاء
اليه كما امرك ربك واللام في فاستقم للتاكيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها
فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك اى دم على ما انت عليه من القيام حتى آتيك قال قتادة امر الله نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يستقيم على امره ولا يطغى في نعمته وقال سفيان معناه استقم على القران واخرج ابن ابي
حاتم وابو الشيخ عن الحسن قال لما نزلت هذه الاية فاستقم كما امرت ومن تاب معك قال شمروا شمروا
فما رؤي ضاحكا وقال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية اشق من هذه

الاية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود واخواتها قيل شيبتك قصص الانبياء وهلاك
الامم الماضية قال لا ولكن قوله فاستقم واعلم ان الله تعالى امره بالدوام على الاستقامة استقامة مثل
الاستقامة التي امر بها ليقتدي به امته وهذه كلمة جامعة لكل ما يتعلق باستكمال القوة النظرية
بالعقائد الحقة كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يحصل للعقل معرفة الله تعالى على وجه يبقى مصونا
في طرف الاثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل وباستكمال القوة العملية بالاعمال الحقة من الاعمال
المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل
والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن
الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية فثبت ان معرفة الصراط المستقيم على وجه
الكمال في غاية الصعوبة وبتقدير معرفته فالثبات عليه والعمل به اصعب اللهم اجعلنا من ابناء الافعال دون
مجرد الاقوال قوله **ومن تاب معك** اي واستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا
قال ابن جريج معناه ومن امن معك قال البيضاوي اي ومن تاب من الشرك والكفر وامن معك قلت
الظاهر ان الاشتراك في نفس التوبة يكفي في الاصحاب ولا يلزم الاشتراك في المتوب عنه وقد كان صلى الله عليه وسلم
يستغفر الله كل يوم اكثر من سبعين مرة على ما ورد في الحديث وهو معطوف على المستكن في قوله استقم وانما لم يؤكد
بمنفصل لقيام الفاصل مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى استقم انت وليستقم المؤمنون
قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان يستقيم على الامر ولا يروغ عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله
الثقفي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال احدا بعدك قال قل امنت بالله
ثم استقم قوله **ولا تطغوا** اي ولا تجاوزوا امري ولا تعصوني اي ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به
ونهيتكم عنه بتخيصه ولا تخرجوا عن حدود الله بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور مذموم وانما
سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز عن الحد بالكل تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله صلى الله عليه وسلم **انه**
بما تعملون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شيء وهو في معنى التعليل للامر
والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان قال الامام
وعندي لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما دل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله
تعالى فاستقم كما امرت والعمل بالقياس انحراف عنه وكذلك لما ورد القران بالامر باعمال الوضوء في الاعضاء
مرتبة في اللفظ وجب الترتيب فيها ولما ورد الامر في الزكاة باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب
اعتباره وكذا القول في كل ما ورد امر الله به كل ذلك لقوله تعالى فاستقم كما امرت انتهى فعلم مما ذكرنا انه
يجب الاحتياط التام في المسائل الاجتهادية في القياسات بحيث لا تكونا مخالفين لعلل المنصوصة
قوله تعالى **ولا تركنوا الى الذين ظلموا** اي فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل
اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم بتخصيصه لا تميلوا ادنى ميل الحق وجد منه ادنى ظلم وهذه غاية
تحذير فان قرين السوء اشد اغواء من الشيطان فاذا كان الركون الذي هو ميل يسير الى من وجد منه ادنى
ظلم مخلا بالاستقامة فكيف بالميل التام ثم الظلم الكامل ثم الانهماك فيه قال ابن عباس لا تركنوا اي لا
تميلوا الى المشرك وعنه ايضا لا تميلوا مطلقا وعنه لا تداهنوا الظلمة وقال ابو العالية لا ترضوا

باعمالهم وعن عكرمة معناه لا تطيعوهم وقيل معناه لا تميلوا اليهم بقلوبكم وقيل معناه ولا تسكنوا الى
الذين ظلموا **فتمسكم النار** اي فتصيبكم النار بحرها بركونكم الى من وجد منه ما يسمى ظلما في الجملة
فما ظنك بالركون الى الظالمين الموسومين بالظلم ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي والتهديد عليه وخطاب
الرسول ومن معه من المؤمنين بها التثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنه بالميل
الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وعن الحسن جعل الدين بين لائين
ولا تطغوا ولا تركنوا واخرج ابو الشيخ عن الحسن قال خصلتان اذا اصلحتا للعبد صلح ما سواهما من امره الطغيان
في النعمة والركون الى الظلمة ثم قرأ هذه الاية ولا تطغوا ولا تركنوا الى الذين ظلموا وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء
فيهما على لغة تميم وقرئ تركنوا على البناء للمفعول من اركنه **وما لكم من دون الله** اي غيره
من مزيدة للتحسين **اولياء** اي اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه والجملة حال من مفعول تمسكم اي
تمسكم حال انتفاء ناصركم قوله **ثم لا تنصرون** اي ثم لا ينصركم الله ~~اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم~~ اذ قد
سبق في حكمه ان يعذبكم فعلى هذا المعنى يكون ثم لاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم مع استحقاقهم العذاب مع
ركونهم تخصيص المعنى ثم لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيمة ثم خص من انواع
الاستقامة الصلوة على انها عماد الدين فقال **واقم الصلوة طرفي النهار** الغداة والعشي
اي الصبح والظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي قال الاستاد هو عطف على فاستقم كما امرت
في معنى النهي عن اداء الصلوة قبل وقتها وطرفي منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف **وزلفا**
نصب على الظرف جمع زلفة وهي طائفة وقطعة **من الليل** اي المغرب والعشاء والمعنى وساعات
من الليل يعني اقم الصلوة في هذه الاوقات الخمسة **ان الحسنات** مطلقا خصوصا الصلوات الخمس في
اوقاتها **يذهبن السيئات** اي يكفرنها او يمنعن المصلي من اقترافها كقوله ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر قال السيوطي في تفسير المختصر اراد بالسيئات الذنوب الصغاير واعلم ان
سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت
هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر
على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى
تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال فاطرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه اقم الصلوة الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقرأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة
قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب
بن عمرو **ق** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك فنزلت اقم الصلوة الخ فقال الرجل يا رسول الله الي هذه قال لمن
عمل بها من امتي وفي رواية قال رجل من القوم يا نبي الله هذا له خاصة فقال بل للناس كافة عن معاذ
بن جبل رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة

Copyright © King Saud University

ليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا قد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله
عز وجل واقم الصلوة الخ فامره الله صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله هي
له خاصة ام للمؤمنين قال بل للمؤمنين عامة اخرجه الترمذي وقال الحديث ليس بمتصل عبد الرحمن
ابن ابي ليلى لم يسمع من معاذ م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات
الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر زاد في رواية اخرى ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر ق عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ارأيتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون
ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا
م عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب
احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب
يكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلوة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر
من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح وهي الاقلاع عن الذنب بالكلية والندم على فعله والعزم التام
على انه لا يعود اليه في المستقبل وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر والقول الاول اصح بانها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب
ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور المفسرين **ذلك** اي الاستقامة والتزم
او القرآن **ذكرى للذاكرين** اي عظة للمتعظين وهم المتقون **واصبر** يا محمد على الطاعات
وعن المعاصي وعلى اذى قومك وما تلقاه منهم او على الصلوات **فان الله لا يضيع اجر المحسنين**
يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين اذا اصلوا مع الاخلاص ثم لما بين ان الامم المتقدمين
حل بهم عذاب الاستيصال بين ان السبب فيه امران الاول قوله **فلولا كان** اي فهلا كان
من القرون التي اهلكناهم **من قبلكم** يا امة محمد **اولو بقية** اي ذوو رأي وعقل
وتميز وطاعة وخير اصحاب دين وفضل وسمي الفضل والخير بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه
اجوده وافضله واحسنه وخيره فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا **ينهون عن الفساد**
في الارض يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض يعني سبب نزول العذاب على الامم
هو انه لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم تخصيصه بحث محمد
صلى الله عليه وسلم وامته انه لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة بقية وجماعة
يعني اصحاب خصلة باقية من اولي الفضل الذين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي والفساد
الا قليلا ممن انجينا منهم اي لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا ناهين عن الكفر
والفساد تخصيصه من امم من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في
الارض فنجيناهم فمن للبيان والامر الثاني في نزول عذاب الاستيصال ما ذكره بقوله **واتبع**
الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي والفساد وترك النهي عن الفساد في الارض **ما اترفوا**

فيه اي ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك تلخيصه
انهم ابتغوا ما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الاخرة ونعيمها **وكانوا مجرمين**
اي وكانوا كافرين عطف على واتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك لان تابع الشهوات
مغمور بالاثام او كان عادتهم الاجرام فلهذا اتبعوا الشهوات وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء
ما اترفوا فالواو للحال قوله **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم** اللام لتأكيد النفي وبظلم
حال من الفاعل والمعنى وما كان ربك يا محمد اي لا يصح ولا يستقيم ان يهلك الله القرى ظالما لها
قال السلطان بظلم اي بسبب كفر من القرى **واهلها مصلحون** في اعمالهم مؤمنون موحدون
مطيعون ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات او المعنى ما صح وما استقام ان يعذب الله
القرى بشرك اهلها مصلحون فيما بينهم في المعاملات لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا اخر
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق
العباد لان مبنى حقوق الله على المسامحة وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد وقيل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم والمعنى بعبارة اخرى ان الله لا يعذب القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين
اي يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد وعن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل
عن تفسير هذه الاية وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهلها ينصف بعضهم بعضا والمراد تنزيه الله تعالى عن الظلم واستحالته منه في الحكمة بالكلية
لانه لا يتصور صورة الظلم منه فيما يفعله كائنا ما كان فان الظلم هو التصرف في ملك غيره والمخلوق
كله عبيده والمراد من الهلاك هلاك الاستيصال في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم لهم **ولو شاء**
ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ولكن لم يشأ
ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق وليس فيه ما يدل على عموم الناس حتى يخالف قوله تعالى وما كان
الناس الا امة واحدة ولو سلمنا انه يدل على عمومه فالمشيئة الازلية تعلقت باختلاف الناس
لحكمة اقتضاه وكونهم على امة واحدة لبعض افراد الناس في زمان واحد فلا اختلاف بينهما
وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة فان الكل مأمور بالاسلام ودلت الاية على ان ايمان الكل غير
مراد لان ما اراده يجب وقوعه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي تفسير ابن
باشا وهو دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وعلى انه تعالى قادر على ايقاع ما اراده في الخصوص
المذكور واما ان كل ما اراده يجب وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه قلت كانه يرد على القاضي
ولكن عبارته غير مستقيم لانه اخذه من بعض الحواشي من غير دراية فافهم رحم الله لمن
عرف قدره ولا يتجاوز طوره **ولا يزالون** اي الناس **مختلفين** اي بعضهم على الحق وبعضهم
على الباطل لا تكاد اثنان يتفقان مطلقا **الا من رحم ربك** اي الا ناسا هداهم
الله هداهم الى الحق بفضله فاتفقوا على اصل دين الحق والعمدة فيه **ولذلك خلقهم**
ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او الاشارة اليه والى الرحمة
وان كان لمن فالى الرحمة وعن ابن عباس ولا يزالون مختلفين اهل الحق واهل الباطل الا من رحم

ربك قال اهل الحق ولذلك خلقهم قال للرحمة وعنه ايضا ولا يزالون مختلفين الامن رحم
ربك قال اهل رحمته فانهم لا يختلفون وعنه لا يزالون مختلفين فى الهوى وعن عطاء بن ابى رباح
ولا يزالون مختلفين اى اليهود والنصارى والمجوس والحنيفية وهم الذين رحم ربك الحنيفية
وعن الحسن فى الاية قال الناس مختلفون على اديان شتى الامن رحم ربك فمن رحم ربك
غير مختلف ولذلك خلقهم قال للاختلاف وعن مجاهد ولا يزالون مختلفين قال اهل الباطل الا
من رحم ربك قال اهل الحق ولذلك خلقهم قال للرحمة وعن عكرمة ولا يزالون مختلفين قال الاختلاف
الملل الامن رحم ربك قال اهل القبلة ولذلك خلقهم قال للرحمة وعن الحسن ولا يزالون مختلفين
قال فى الرزق وعن قتادة فى الاية قال اهل رحمة الله اهل الجماعة وان تفرقت ديارهم وابدانهم
واهل معصية اهل فرقة وان اجتمعت ديارهم وابدانهم ولذلك خلقهم للرحمة والعبادة ولم
يخلقهم للاختلاف وعن ابن عباس ولذلك خلقهم قال خلقهم فريقين فريقا يرحم فلا
يختلف وفريقا لا يرحم يختلف وذلك قوله فمنهم شقى وسعيد وكان الحسن يقول فى الاية فريق
فى الجنة وفريق فى السعير وعنه ايضا فى الاية فى قوله تعالى ولذلك خلقهم قال خلق هؤلاء لجنته
وخلق هؤلاء للنار وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه واخرج ابو الشيخ عن ابى نجيح ان رجلين
اختصما الى طاوس فاختلفا عليه فقال اختلفتما على فقال احدهما لذلك خلقنا قال كذبت قال
اليس الله يقول ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم قال انما خلقهم للرحمة
والجماعة قلت وحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الجنة وجعلهم
متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم اهل الاتفاق ومصيرهم
الى الجنة ويدل على صحة ما قلنا قوله تعالى وتمت كلمة ربك اى حكمه وقضاؤه وارادته
ووعيده او هى قوله للملئكة لاملأن جهنم من الجنة اى من الجن والناس اجمعين
اى لاملأن جهنم من عصاة الطائفتين اجمعين لاستوائهما فى التكليف والجنة والجن قيل
واحد والتاء فيه للمبالغة وقيل الجنة جمع جن فاجمعين لتاكيد العموم للافراد من عصاة الفريقين
او لاملأن منهما لا من احدهما فهو لتاكيد العموم للنوعين وهذا صريح بان الله تعالى خلق اقواما
للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم
من الهداية عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود
على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امتى على
ثلث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذى بنحوه عن معاوية رضى الله عنه قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة
وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة
اخرجه ابو داود وقال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتى دلالة على ان هذه الفرق
غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء
الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم

اهل البدع

اهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم
فى اقواله وافعاله قوله تعالى وكلا التنوين عوض عن المضاف اليه اى وكل نبأ تحتاج اليه يا محمد
نقص عليك اى نخبرك به وقوله من انباء الرسل بدل لكلا وانباء الرسل اخباره
وقوله ما نثبت به فؤادك بدل من كلا ايضا او بيان له ومعنى الاية لما ذكر
الله عز وجل فى هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم
مع انبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من اخبار الرسل
وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت ونقوى به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتاسى بالرسل الذين
خلوا من قبلك وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع
اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه وجاءك فى هذه اى جاءك
يا محمد فى هذه السورة الحق ما هو الحق اختلفوا فى مرجع ضمير هذه الى ماذا يعود قيل معناه وجاءك
فى هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل فى هذه الاية
وقيل فى هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين وهذا قيدنا فان قلت فقد جاءه الحق فى سور
القرآن كلها فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون
قد جاء الحق فى غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وقيل فى هذه
الانباء المقتصة عليك قال الاستاد المراد بالحق البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة فان
هذه الاية فذلكة لتفاصيل السورة وان السورة الى خاتمتها تسلية لقلب النبى صلى الله عليه وسلم
وموعظة اى وجاءك موعظة وذكرى للمؤمنين الى آخر الدهر اشارة الى الفائدة العامة تخصيصه
هذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون فى اى وقت تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم
وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق من اهل مكة وغيرهم ولا يتعظون به ولا يتذكرون ولم تؤثر
فيهم هذه الايات البينات البالغة وعيدا وتهديدا اعملوا على مكانتكم اى على حالكم
من عدم الايمان به وافعلوا كل ما تقدرون عليه فى حقى من الشر تخصيصه اعملوا ما انتم عاملون
فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم وقرأ ابو بكر بالجمع انا عاملون على حالنا
وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر تخصيصه انا عاملون بما امرنا به ربنا ولا نخالفه وانتظروا
بنا الدوائر وما يعدكم به الشيطان انا منتظرون لما وعدنا الرحمن من الاحسان والغفران
ولما يحل بكم من نقمته وعذابه اما فى الدنيا واما فى الاخرة نحو ما نزل على امثالكم واشباهكم من
الاهلاك والخذلان ثم ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة فقال تعالى
ولله غيب السموات والارض له خاصة علم ما غاب فيهما عن العباد فلا يخفى عليه اعمالكم
تخصيصه ان علمه سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها
لا يخفى عليه فى الارض ولا فى السماء واليه يرجع الامر كله اى يرجع الى الله لا محالة امرهم
وامرك فينتقم منهم تخصيصه يرجع امر الخلق كلهم فى الدنيا والاخرة قرأ نافع وحفص يرجع
بضم الياء وفتح الجيم اى يرد وقرأ الاخرون بفتح الياء وكسر الجيم اى يعود الامر كله اليه حتى

copyright King Saud University

لايكون للخلق امر يعني لاشريك له في ذلك فاعبده وحده وتوكل عليه اى ثق به في مجامع
امورك فانه كافيك وكافلك وتقديم العبادة على التوكل انما يصح الا بعد تخصيصه بالعبادة و
الانسلاخ عن افعال النفس وهواها الى المامور به وما ربك بغافل عما تعملون
فيجازيهم وينتقم منهم قرا نافع وابن عامر وحفص تعملون بتاء الخطاب على تغليب الخطاب
على الغيبة لان قبله اعملوا اى انه سبحانه ليس غافلا عما تفعل انت فيجازي كلا ما يستحقه
والباقون بالغيبة رجوعا على قوله للذين لا يومنون قال ابن خازن في تفسيره هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والجميع للخلق مومنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم
لا يخفى عليه شيء منها فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته واخرج عبد الله بن احمد بن حنبل
في زوايد الزهد وابن الضريس في فضايل القران وابن جرير وابو الشيخ عن كعب قال
فاتحة التوراة فاتحة الانعام وخاتمة التوراة خاتمة هود يعني ولله غيب السموات
والارض الاية والله اعلم باسرار كتابه تم سورة هود بعون الملك العلام في جوار الرسول عليه الصلوة والسلام

وقد فرغ بحمد الله وعونه جل شانه من تمنيق المجلد الاول وهو من سورة البقرة الى
اخر سورة هود عليه السلام من التفسير المسمى غنية التالي وجلاء الخاطر تاليف خاتم المفسرين
وخادمهم السيد الامجد الاجل المكرم • الفاضل الاوحد الامثل المحترم • السيد
محمود بن محمد بن علي الشيخاني القادري المدني • كان الله له عند
منامه • واحسن ماله • افقر العباد محمد سعيد بن حسين القرشي الكوكي
النقشبندي ثم المدني يوم الثلاثا العشرين من شهر ربيع الاول
من سنة ثمان وتسعين والف في اخر المسجد النبوي اللهم اغفر له
ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين بفضلك وكرمك • وصل
اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد عين الوجود • وعلى اله و
اصحابه الذين خيروا الصحبة حبيب الودود • عدد ما كتبت
من الحروف والنقاط والسكنات والحركات ركذكك من التفسير
والحواشي من سورة البقرة الى اخر سورة هود • الى اليوم
الموعود • واليوم المشهود • صلاة
ترزقنا الروية والشهود • في
الدنيا ودار الخلود • بفضلك
العميم • وكرمك العظيم والجود
والحمد لله رب
العالمين
امين

Copyright © King Saud University